هذا الجزء الثاني من حاشية شيخ زاده
على تفسير القاضى البيضاوى

شيخ زاده – محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوى محي الدين الحنفى المعروف بشيخ زاده المدرس الرومى توفى سنة ٩٥١ احدى و خمسين و تسعمائة له من الكتب الاخلاصية فى تفسير سورة الاخلاص. تعليقة على شرح الهداية لابن مكتوم. حاشية على انوار التنزيل للبيضاوى مجلدات مطبوع. حاشية اخرى على انوار التنزيل. شرح فرائض الراجية. شرح قصيدة البردة. شرح المشارق للصغانى. شرح مفتاح العلوم للسكاكى فى المعانى و البيان. شرح الوقاية فى مسائل الهداية. (٩٥١ هـ. [١٥٤٤ م.]



قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالاوفست

وقف الاخلاص

HAKİKAT KİTABEVİ

يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول ـ تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤١٥	١٣٧٣	١٩٩٥



بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله الذى خلق الاشياء فقدرها تقديرا و صوّر شكل الانسان فاحسنه تصويرا و منحه بالعقل و جعله سميعا بصيرا و شرفه بما عرفه به من العلم و نور قلبه تنويرا و هداه الى معرفته فيالها نعمة و فضلا كبيرا و أطلق لسانه فاذعن بشكره تحميدا و تهليلا و تكبيرا و أرسل محمد صلى الله عليه و سلم الى كافة الخلق بشيرا و نذيرا و أنزل عليه كتابا منيرا و أودعه حكمة و حكما و ترغيبا و تحذيرا و ألهم حفاظه تلاوة له و تحبيرا و علم عباده علومه تفهيما و تبصيرا و ضرب فيه الامثال ليزيل جهالة و تحييرا و جعله برهانا واضحا و صوابا لائحا و وفر فضله توفيرا فى الصدور محفوظا و بالالسنة متلوا و فى الصحف مسطورا يهدى للتى هى أقوم و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا و جعل كل بليغ عن الاتيان بسورة مثله حسيرا قل لئن اجتمعت الانس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و آله و صحبه اجمعين.]

سورة آل عمران

* بسم الله الرحمن الرحيم *
(الم الله لااله الاهو) انما فتح الميم فى المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها

﴿قوله انما فتح الميم﴾ قرأ الجمهور بفتح الميم واسقاط همزة الجلالة وقرأ ابو بكر عن عاصم بسكون الميم وقطع الف الله وهى قرآءة ضعيفة مخالفة لقرآءة الجمهور ﴿قوله وكان حقها ان يوقف عليها﴾ كما وقف على الف ولام وان يبدأ بما بعدها كما يقال واحد اثنان وهى قرآءة عاصم برواية ابى بكر وانما كان حق هذه الحروف ان يوقف عليها لما مر فى اوّل سورة البقرة من ان المختار ان اسماء الحروف كالف ولام ونحو هما قبل تركبها مع العامل معربة وان سكونها سكون وقف لاسكون بناء ولهذا اغتفر فيها التقاء الساكنين نحو لام ميم عين

(وكذا)

وكذا اذا عدّد اسماء نحو ثلاثه اربعه خمسه فان التاء تصير هاء والتاء انما تصير هاء فى الوقف لا فى البناء **﴿قوله لالقاء حركة الهمزة عليها﴾** متعلق بقوله انما فتح الميم وما بينهما معترض بين العلة ومعلولها واختلفوا فى فتحة الميم هل هى لالتقاء الساكنين وان ايثار الفتح للخفة مع ان الاصل فى تحريك الساكن الكسر او هى فتحة همزة الجلالة نقلت الى الميم عند حذف الهمزة تخفيفا فذهب سيبويه الى الاوّل والجمهور الى الثانى ووجه قول الجمهور ان فتحة الميم هى فتحة الهمزة نقلت الى الميم مع ان نقل الحركة موقوف على ثبوتها وثبوت الحركة موقوف على ثبوت الهمزة والهمزة لاتثبت فى الدرج فلا يتصوّر نقل حركتها هو ما اشار اليه المصنف بقوله ليدل على انها فى حكم الثابت وذلك لان سكون الميم لما كان على الوقف لم يكن الحال حال الدرج لان الوقف ينتهى به الكلام ويكون ما بعده ابتدآء كلام فلما لم يتصل الميم بلفظ الجلالة لم يكن سقوط همزة الجلالة للدرج وانما حذفت للتخفيف فكانت الهمزة فى حكم الثابت نقلت فتحتها الى الميم كما نقلت حركة الهمزة الى الدال قبلها فى قولك واحد اثنان لتدل عليها * فان قيل تعديد هذه الالفاظ لايخلو من ان يكون على سبيل الدرج والوصل او على سبيل الوقف والقطع فاما على سبيل الدرج والوصل فلا اثبات للهمزة ولا نقل لحركتها واما على سبيل الوقف وقطع البعض عن البعض فحينئذ تكون الميم موقوفا عليها وتكون هذه الجلالة واقعة فى الابتدآء فلا وجه لتخفيفها ونقل حركتها الى ماقبلها لان شرط تخفيف الهمزة ان لاتكون مبتدأ بها * والجواب ان تعديدها على سبيل الوقف والقطع معنى وحقيقة ولذلك اغتفر التقاء الساكنين فيها وثبتت الهمزة فى واحد اثنان وصارت التاء ها فى ثلاثه اربعه خمسه وعلى سبيل الدرج والوصل لفظا وصورة لعدم السكت لانه انما يكون للراحة بعد التعب ولا تعب ههنا ولهذا ادغمت الميم التى هى آخر لام فى الميم التى هى اوّل ميم وجاز نقل حركة الهمزة الى ماقبلها للتخفيف سوآء كان للوصل كما فى واحد اثنان او للقطع كما فى ثلاثه اربعه على ما حكى سيبويه وهو ثقة **﴿قوله لالتقاء الساكنين﴾** ولا شك ان لزوم التقاء الساكنين مبنى على ان يكون سكون الميم للبناء فان سكونه لو كان للوقف لكان منقطعا عن لفظ الجلالة فلا يتلاقى ساكنان * فان قيل سلمنا ان لا تلاقى بين الميم وبين الجلالة لكن التلاقى بين الميم وبين الياء التى قبلها متحقق * والجواب انهما وان كانا ساكنين لكن مثل التقاء هذين الساكنين لا يوجب تحريك احدهما فان السابق منهما اذا كان حرفا من حروف المدّ واللين لم يجب التحريك لانه يسهل النطق بمثل هذين الساكنين كقولك هذا ابراهيم واسحق ويعقوب موقوفة الاواخر وانما يجب التحريك اذا لم يكن اسبقهما من حروف المدّ لانه يتعذر النطق بدون التحريك حينئذ فمن قال فتح الميم هربا من التقاء الساكنين اراد بالساكنين الميم ولام الجلالة واجتماع مثل هذين الساكنين غير مغتفر فى باب الوقف بل يجب تحريك احدهما كما حرّك النون فى من الرجل سوآء وقفت على كلمة من او لا وقول المصنف فانه غير محذور فى باب الوقف محل بحث **﴿قوله بالعدل﴾** على ان الباء سببية متعلقة بنزّل اى نزّله بسبب العدل فى العقائد والاخلاق والاعمال وما بعده على ان الباء متعلقة بمحذوف هو حال اما من الفاعل او المفعول وقوله مصدّقا حال من الكتاب وانما قال نزّل ثم قال وانزل التوراة لان التنزيل للتكثير والقرءآن نزل نجوما شيأ بعد شئ والتوراة والانجيل نزلا دفعة واحدة واللام فى قوله لما بين يديه زآئدة فى المفعول لتقوية العامل وهو مصدّقا فانه لكونه اسم فاعل فرع فى العمل ونظيره قوله تعالى فعال لما يريد وانما قلنا ذلك لان هذه المادّة متعدّية بنفسها جعل سائر الكتب الالهية لتقدّمها عليه كأنها بين يديه يقال لكل ماتقدّم عليك انه بين يديك تشبيها له بما هو بين يديك فى كونه امامك **﴿قوله واشتقاقهما الخ﴾** اشارة الى ان الناس اختلفوا فى هذين اللفظين هل يدخلهما الاشتقاق والتصريف او لا يدخلهما لكونهما اسمين اعجميين عبرانيين لهذين الكتابين الشريفين والمصنف اختار الثانى ومن قال باشتقاقهما قال التوراة مشتقة من قولهم ورى الزند اذا قدح فظهر منه نار وورى الزند واوريته انا قال تعالى افرأيتم النار التى تورون فثلاثيه لازم ورباعيه متعدّى قال الله تعالى فالموريات قدحا فلما كانت التوراة فيها ضياء ونور يخرج به المرء من الضلال الى الهدى كما يخرج من الظلام الى النور سمى هذا الكتاب بالتوراة ويؤيد هذا القول قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وهذا قول الفرآء وجمهور الناس وقال وزنها تفعلة بكسر العين فابدلت الكسرة فتحة وهى لغة طائية يقولون فى الناصية ناصاة وفى جارية جاراة وفى ناجية ناجاة وقيل وزنها تفعلة بفتح العين وقيل فى الانجيل انه مشتق من النجل وهو الاصل يقال لعن الله ناجليه اى والديه سمى هذا الكتاب بهذا الاسم لانه الاصل المرجوع اليه فى ذلك الدين وقيل فى الانجيل انه مشتق من النجل مأخوذ من قول

لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها فى حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم فى حكم الوقف كقولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور فى باب الوقف ولذلك لم تحرّك الميم فى لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتدآء بما بعدها على الاصل ﴿ الحىّ القيوم ﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام قال ان اسم الله الاعظم فى ثلاث سور فى البقرة الله لا اله الا هو الحىّ القيوم وفى آل عمران الله لا اله الا هو الحىّ القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحىّ القيوم ﴿ نزّل عليك الكتاب ﴾ القرءآن نجوما ﴿ بالحق ﴾ بالعدل او بالصدق فى اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو فى موضع الحال ﴿ مصدّقا لما بين يديه ﴾ من الكتب ﴿ وانزل التوراة والانجيل ﴾ جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائى التورية بالامالة فى جميع القرءآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه قرأ بالفتح كقرآءة الباقين ﴿ من قبل ﴾ من قبل تنزيل القرءآن

العرب نجلت الشيء اذا استخرجته واظهرته ويقال للماء الذي يخرج من البئر نجل ومنه انجل للولد وسمي الانجيل به لانه مستخرج من اللوح المحفوظ فالنجل من الاضداد حيث يطلق على الولد والوالد والفرع والاصل وقيل انه من النجل الذي هو سعة العين يقال عين نجلاء لسعتها وطبنة نجلاء سمي الانجيل بذلك لان فيه توسعة ليست في التوراة اذحللت فيه أشياء محرمة في التوراة ﴿قوله متعبدون﴾ بفتح الباء اي مكلفون مأمورون من تعبده اي استعبده واتخذه عبدا وبكسر الباء بمعنى عابدون ملتزمون من التعبد بمعنى النسك ﴿قوله او الزبور﴾ لقوله وآتينا داود زبورا قيل في حمله على الزبور نظر لان الزبور ليس فيه شيء من الشرائع والاحكام وانما هي مواعظ فالاولى ان يحمل الفرقان على جميع الكتب السماوية على طريق ذكر العام بعد الخاص او على المعجزات المقررة لانزال هذه الكتب لانهم لما اتوا بهذه الكتب وادعوا انها نزلت عليهم من عند الله افتقروا الى اثبات هذه الدعوى بدليل حتى يحصل الفرق بين دعواهم ودعوى الكاذبين فلما اظهر الله تلك المعجزات على وفق دعواهم حصلت المفارقة بين دعوى الصادق ودعوى الكاذب فالمعجزة هي الفرقان القاهر الذي يدل على صدق الرسل في دعوى الرسالة وان ما اظهروه من الكتب منزل عليهم من عند الله ﴿قوله نقم بالفتح والكسر﴾ والفتح هو الافصح والانتقام العقوبة يقال انتقم منه انتقاما اي عاقبه ﴿قوله وهو وعيد﴾ يعني ان قوله ان الذين كفروا الآية وعيد جيء به بعد ما قرر التوحيد بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم وبعد ما اشار الى العمدة في اثبات نبوته عليه الصلاة والسلام بقوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا الآية تعظيما لامر النبوة والتوحيد * وسبب نزول هذه الآية من اولها الى آية الملاعنة وهي نيف وثمانون آية انها نزلت في وفد نجران روي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وثلاثة من اكابر القوم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم يقال له العاقب واسمه المسيح والثاني مشيرهم ووزيرهم كانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم يقال له ابو حارث بن علقمة احد بني بكر بن وائل وملوك الروم كانوا شرفوه وموّلوه واكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما قدموا المدينة ودخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم اولئك الثلاثة العاقب والسيد والحبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختلاف من اديانهم فتارة يقولون عيسى هو الله وتارة يقولون هو ابن الله وتارة ثالث ثلاثة ويحتجون على قولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون على قولهم انه ابن الله بانه لم يكن له اب يعلم ويحتجون على قولهم ثالث ثلاثة بقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم * اسلموا فقالوا قد اسلمنا قبلك فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام * كذبتم يمنعكم من الاسلام دعواكم لله ولدا وعبادتكم الصليب واكلكم الخنزير * وقال * ألستم تعلمون ان الولد يشبه اباه وانتم تعلمون ان ربنا حي بلا موت وان عيسى يأتي عليه الفناء وانتم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيأ من ذلك وألستم تعلمون انه تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء فهل يعلم عيسى شيء من ما في العالم غير ما علمه الله تعالى اياه * فاعترفوا بجميع ذلك وقال عليه الصلاة والسلام * فان ربنا صوّر عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك * قالوا بلى قال عليه الصلاة والسلام * ألستم تعلمون ان ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث وتعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث فكيف هو كما زعمتم * فسكتوا وابوا الا الجحود ثم قالوا يا محمد ألست تزعم انه كلمة الله وروحه فقال * بلى * فقالوا حسبنا فانزل الله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ثم ان الله تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم بملاعنتهم ان ردّوا عليه فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملاعنة فقالوا يا ابا القاسم دعنا ننظر في امرنا ثم نأتيك بما تريد ان تفعل فانصرفوا ثم قال بعض اولئك لبعض ما ترى فقال والله يا معشر النصارى لقد عرفتم ان محمدا نبي مرسل ولقد جاء بفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم انه ما لاعن قط قوم نبيا الا وفني كبيرهم وصغيرهم وانه يحل الاستئصال بكم ان فعلتم وان انتم ابيتم الا دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد رأينا ان لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونرجع نحن على ديننا فابعث رجلا من اصحابك معنا يحكم بيننا في اشياء قد اختلفنا فيها من اموالنا فانك عندنا رضى فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة بن الجراح فقال له عليه الصلاة والسلام * اخرج معهم واقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه فلما وصف الله تعالى

(هدى للناس) على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما (وانزل الفرقان) يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ماعداها كأنه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق بين الحق والمبطل او المعجزات (ان الذين كفروا بايات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم (والله عزيز) غالب لا يمنع من التعذيب (ذو انتقام) لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه

نفسه بانه الحي القيوم رد قول النصارى ان المسيح اله و ابن الله لان الحي القيوم هو الواجب الوجود لذاته القائم بالحفظ
و الترزيق و التربية لجميع ما سواه لانه ولد من الام و كان يأكل و يشرب و يحدث و النصارى زعموا انه قتل و لم يقدر على
دفع القتل عن نفسه و لما ثبت ان الاله يكون حيا قيوما و ثبت ان عيسى ما كان حيا قيوما ثبت قطعا انه ليس باله و لا ابن
اله و ان النصارى لما ادعوا الٰهية عيسى بامور احدها العلم فانه كان يخبر عن الغيوب و يقول لأحدهم انك اكلت
فى دارك كذا و يقول لآخر انك صنعت فى دارك كذا و ثانيها القدرة و هى ان عيسى كان يحيي الموتى و يبرئ الاكمه
و الابرص و نحو ذلك و ثالثها من جهة الالزام المعنوى و هو انه ليس له اب من البشر و رابعها من جهة الالزام اللفظى
و هو قولهم لنا انتم تقولون انه روح الله و كلمته فالله تعالى استدل على بطلان قولهم بالٰهية عيسى و بالتثليث بقوله
الحي القيوم فان الاله لما وجب ان يكون حيا قيوما و عيسى لم يكن كذلك وجب القطع بانه لم يكن الها و اجاب عن
شبهتهم بعلم الغيوب بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء فى الارض و لا فى السماء و كون عيسى عالما ببعض المغيبات يدل
قطعا على انه ليس باله فان الاله هو الخالق لجميع الممكنات فلا بد ان يكون عالما بتفاصيل مخلوقاته و من المعلوم بالضرورة
ان عيسى ليس بهذه المنزلة كيف و النصارى يقولون انه قتل فلو كان يعلم الغيب لعلم ان القوم يريدون قتله فكان
يفر منهم قبل وصولهم اليه و اما تعللهم بقدرته على احياء الموتى فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله هو الذى يصوركم
فى الارحام كيف يشاء و تقريره ان ما حصل لعيسى من احياء بعض الاموات لا يدل على كونه الٰها لاحتمال ان الله
تعالى اكرمه بذلك اظهارا لمعجزته و عجزه عن احياء باقى الاموات يوجب قطعا عدم الالٰهية عليه الصلاة و السلام
لان الاله هو القادر على ان يصور فى الارحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب و اما الشبهة الثالثة
و هى الالزام المعنوى بانه لم يكن له اب من البشر فاجاب الله تعالى عن ذلك ايضا بقوله هو الذى يصوركم فى الارحام
كيف يشاء فان شاء صوره من نطفة الاب و ان شاء صوره ابتداء من غير اب كما خلق آدم من غير اب و لا ام و اما قولهم
انتم تقولون انه روح الله و كلمته فهذا الزام لفظى و اللفظى يحتمل الحقيقة و المجاز فاذا ورد لفظ يكون ظاهره مخالفا
للدليل العقلى كان من باب المتشابهات فوجب رده بالتأويل الى ما يطابق مقتضى الدليل و ذلك هو المراد بقوله تعالى
هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب و اخر متشابهات فظهر بما ذكرنا ان قوله الحي القيوم
يدل عن ان المسيح ليس باله و لا ابن اله و قوله ان الله لا يخفى عليه شيء فى الارض و لا فى السماء جواب عن تعللهم بالعلم و قوله
هو الذى يصوركم فى الارحام جواب عن تمسكهم بانه ما كان له اب من البشر و قوله هو الذى انزل عليك الكتاب جواب
عن تمسكهم بما ورد فى القرآن من ان عيسى روح الله و كلمته ﴿قوله و هو كالدليل على كونه حيا﴾ لانه
كناية عن كونه تعالى مكونا لكل ما فى العالم من الممكنات و ذلك يستلزم تفرده بالوجوب الذاتى الذى هو معنى الحياة
فى حقه تعالى ﴿قوله كالدليل على القيومية و الاستدلال على انه الخ﴾ اما الاول فلانه كناية عن كونه قادرا
على جميع الممكنات و هو يستلزم كونه قادرا على تحصيل مصالح الخلق و منافعهم فيكون قائما بالقسط قيوما لجميع
الكائنات و اما كونه كالدليل العقلى على كمال علمه فظاهر لان اتقان الصنع لا يتصور الا من الفاعل الذى لا يخفى عليه
شيء و من كان علمه و قدرته بهذه المثابة يكون قيوم جميع الممكنات ﴿قوله اى صوركم لنفسه﴾ فان تفعل قد
يأتى بمعنى فعل كقولهم تأثلت مالا بمعنى اثلته اى جعلته اثلة اى اصلا للاستغناء و اشار اولا الى ان قوله تعالى
يصوركم من صوره فتصور اى صار ذا صورة و ان كيف يشاء متضمن لمعنى الشرط و قد ذكروا انها جزاء حيث قالوا
كيف يصنع اصنع و كيف تكون اكون الا انه لا يجزم بها و جوابها محذوف لدلالة ما قبله عليه و كذلك مفعول يشاء
لما تقدم من انه لا يذكر الا لغرابة و التقدير كيف يشاء تصويركم يصوركم فحذف تصويركم لانه مفعول يشاء و يصوركم
لدلالة يصور الاول عليه ثم ذكر ان تصوره بمعنى صوره لنفسه فكأنه من تصورت الشيء بمعنى توهمت صورته فتصور لى
﴿قوله بان حفظت من الاجمال و الاحتمال﴾ يلوح من هذا الكلام ان المحكم ما كان له معنى و لا يكون له
احتمال معنى آخر و المتشابه ما يكون له معنى و يكون له احتمال معنى آخر فاللفظ المفيد لمعنى ان لم يحتمل معنى آخر فهو
المحكم و ان احتمل فهو المتشابه و اتضاح المعنى يريد به ان يظهر عند العقل ان معناه هذا لا غيره و ذلك نهاية جهة ظهور
الكلام و المذكور فى اصول الحنفية ان اللفظ لا يخلو من ان يكون ظاهر المراد او لا و الاول اما ان يكون منصوصا
او لا الثانى هو الظاهر و الاول اما ان يحتمل التخصيص و التأويل او لا الاول هو النص و الثانى اما ان يحتمل النسخ
او لا الاول هو المفسر و الثانى هو المحكم و اللفظ الذى لا يكون ظاهر المراد لا يخلو من ان يكون عدم الظهور لنفس

(ان الله لا يخفى عليه شيء فى الارض و لا فى السماء) اى شيء كائن فى العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء و الارض اذ الحس لا يتجاوزهما و انما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى و لان المقصود بالذكر ما اقترن فيها و هو كالدليل على كونه حيا و قوله (هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء) اى من الصور المختلفة كالدليل على القيومية و الاستدلال على انه عالم باتقان فعله فى خلق الجنين و تصويره و قرئ تصوركم اى صوركم لنفسه و عبادته (لا اله الا هو) اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه و لا يقدر على مثل ما يفعله (العزيز الحكيم) اشارة الى كمال قدرته و تناهى حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم نزلت السورة من اولها الى نيف و ثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم و اجاب عن شبههم (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال و الاحتمال (هن ام الكتاب) اصله يرد اليها غيرها و القياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة

الصيغة او لغيرها الثانى هو الخفى والاوّل ان امكن دركه بالتأمّل فهو المشكل والاّ فان كان البيان مرجوّا فهو المجمل والاّ فهو المتشابه فهو فى غاية الخفاء كما ان المحكم فى غاية الظهور فلكل واحد مما يكون ظاهر المراد وما لا يكون ظاهر المراد اربعة اقسام اقسام الاوّل الظاهر و النص و المفسر و المحكم و اقسام الثانى الخفى و المشكل و المجمل و المتشابه هذا ما اصطلح عليه الحنفية فقوله تعالى لا تدركه الابصار محكم على الاصطلاحين فى ان معناه لا يدركه شئ من الابصار وقوله تعالى الى ربها ناظرة متشابه بتفسير المصنف اذ يحتمل ان يكون المعنى انها ناظرة الى ذات ربها وانها منتظرة لثوابه و نعمه او نحو ذلك فيردّ هذا القول الى قوله الاوّل و يحمل على غير معنى النظر اليه و كذا قوله لا يأمر بالفحشاء محكم فى انه تعالى لا يأمر بالقبيح و قوله امرنا مترفيها ففسقوا فيها متشابه اذ معناه امرناهم بالفسق او بالطاعة فيردّ الى الاوّل و يحمل على انا امرناهم بالطاعة و يحتمل ان يكون التقدير امرناهم بالفسق و يحمل الامر على حقيقته و يحتمل ان يكون مجازا عن التمكين فتكون الآية من قبيل المتشابه على هذا الاحتمال ايضا لاشتباه ان المعنى امرناهم بالفسق حقيقة او بمعنى مكناهم **قوله** ليظهر فيها فضل العلماء قال الامام طعن بعض الملاحدة فى القرءآن لاجل اشتماله على المتشابهات وقال انكم تقولون ان تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرءآن الى يوم القيامة مع انه بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب ويستدل على مذهبه فالجبرى يتمسك بآيات الجبر كقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه و فى آذانهم وقرا والقدرى يقول بل هذا مذهب الكفار بدليل انه تعالى حكى ذلك عن الكفار فى معرض الذم لهم فى قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف وايضا مثبت الرؤية يتمسك بقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة و الثانى يتمسك بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة يتمسك بقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وبقوله الرحمن على العرش استوى و الثانى يتمسك بقوله ليس كمثله شئ ثم ان كل واحد يسمى الآيات الموافقة لمذهبه محكمة و الآيات المخالفة لمذهبه متشابهة وانما يرجع فى ترجيح بعضها على بعض الى ترجيحات خفية و وجوه خفية فكيف يليق بالحكيم ان يجعل الكتاب الذى هو المرجوع اليه الى يوم القيامة هكذا أليس انه لو جعله جليا ظاهرا خاليا عن هذه المتشابهات كان اقرب الى حصول الغرض فذكر العلماء لحكمة كون بعض القرءآن محكما و بعضه متشابها وجوها الاوّل متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق اصعب واشق و زيادة المشقة توجب زيادة الثواب الثانى ان القرءآن لو كان كله محكما لم يفتقر الانسان الى التمسك بالدلائل العقلية فحينئذ يكون باقيا فى الجهل و التقليد و الثالث ان القرءآن ان كان مشتملا على المحكم و المتشابه افتقر المكلف الى تعليم طرق التأويل و ترجيح بعضها على بعض وافتقر فى تحصيل ذلك الى علوم كثيرة من علم اللغة و النحو و علم اصول الفقه و لو لم يكن الامر كذلك لما كان الانسان محتاجا الى تحصيل هذه العلوم الكثيرة المتضمنة للمعارف المتكثرة و الرابع وهو السبب الاقوى فى هذا الباب أن القرءآن كتاب مشتمل على دعوى الخواص و العوام باسرهم و طباع القوم تنبو فى اكثر الامر عن ادراك الحقائق فمن سمع من القوم فى اوّل الامر اثبات موجود و ليس بجسم ولا متحيز ولا يشار اليه يظن ان هذا عدم ونفى ويقع فى التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهموه وتخيلوه ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح كالمخاطبة فى اوّل الامر بما هو من باب المتشابهات وثانيا بما هو من باب المحكمات وهو انما يكون فى مخاطبة من انكشف لهم عن حقائق الامور واستعدت بصائرهم للاشارة بأنوار اليقين **قوله** فينالوا بها اى بالعلوم المستحصلة او بتحصيلها وتأنيث ضمير التحصيل لاكتسابه التأنيث من المضاف اليه وعلى هذا التقدير يلزم تفكيك الضمائر ويحتمل ان يرجع الى المتشابهات ويكون قوله وباتعاب القرائح فى استخراج معانيها عطف تفسير لئلا تتشتت الضمائر وقوله معالى الدرجات مفعول فينالوا **قوله** واما قوله الر كتاب احكمت آياته جواب لما يقال كيف يصح قوله منه آيات محكمات واخر متشابهات مع انه تعالى وصف القرءان كله بانه محكم حيث قال احكمت آياته وقال تلك آيات الكتاب الحكيم ووصفه ايضا بانه متشابه حيث قال الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها وآيات فى قوله تعالى منه آيات محكمات مبتدأ ومنه خبر مقدم عليه وقوله محكمات صفته وقوله واخر معطوف على آيات اى وآيات اخر ومتشابهات صفة لاخر وفى الحقيقة اخر صفة لمحذوف تقديره وآيات اخر متشابهات * فان قيل واحدة متشابهات متشابهة وواحدة اخر اخرى وواحدة اخر لا يصح ان توصف بواحدة متشابهات فلا يقال اخرى متشابهة الا ان يكون بعض الواحدة يشبه بعضا وليس المعنى على ذلك وانما المعنى ان كل آية تشبه آية اخرى فكيف يصح وصف هذا الجمع بهذا الجمع ولم يصح وصف مفرده بمفرده * اجيب

(واخر متشابهات) محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص و النظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا فى تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح فى استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالى الدرجات واما قوله تعالى الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا فى صحة المعنى وجزالة اللفظ

بان توصيف الجمع بمتشابهات لايستلزم صحة توصيف المفرد بمتشابه لان التشابه لايكون الابين اثنين فصاعدا والاشياء المتعددة يجوز ان يشابه كل واحد منها الآخر فتوصف بانها متشابهة بخلاف الشئ الواحد فانه لاتعدد فيه فكيف يصح ان يوصف بالتشابه ويقال انه متشابه ونظيره قوله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان وان لم يجز ان يقال للواحد انه يقتتل ﴿قوله واخر جمع اخرى﴾ واخرى مؤنث آخر وهو افعل التفضيل تقول آخر آخران آخرون وأواخر أخرى أخريان أخريات وأخر نحو الافضل الافضلان الافضلون والافاضل والفضلى الفضليان الفضليات والفضل ومعنى آخر في الاصل اشد تأخرا فقولك جاءني زيد ورجل آخر معناه في الاصل ورجل اشد تأخرا من زيد في معنى من المعاني ثم نقل الى معنى غير فمعنى رجل آخر رجل غير زيد وهذا معنى مايقال من ان آخر كان في الاصل موضوعا للاختلاف في الصفة فنقل الى الاختلاف في الذات فلا يستعمل اخريات واواخر في اصل معناهما الا مع اللام او الاضافة كما هو حق اسم التفضيل نحو جاء فلان في اخريات الناس واواخر الناس اى في الجماعات المتأخرة ولما خرج آخر وسائر تصاريفه عن معنى التفضيل استعملت بدون لوازم افعل التفضيل وهى من والاضافة او اللام وأخر اسم معدول اى مصروف عن اصله لانه خرج عن معنى التفضيل وعن ان يستعمل على وجه استعمال افعل التفضيل فلابد له من اصل معدول عنه وهو اما افعل من او الافعل المعرف باللام فذهب بعض النحاة الى انه معدول عن آخر من وذهب آخرون الى انه معدول عن ذى اللام استدلالا بمطابقته لموصوفه تقول رجل آخر ورجلان آخران ورجال آخرون وامرأة اخرى وامرأتان اخريان ونسوة اخريات واخر وافعل من لايطابق صاحبه بل يلزم في الاحوال صفة المفرد المذكر نحو زيد او الزيدان او الزيدون او هند او الهندان او الهندات افضل من كذا وذكر المصنف اولا مذهب من يقول انه معدول عن ذى اللام واجاب عما يقال كيف يكون معدولا عن المعرفة اذ مقتضى القياس ان يكون معرفة لكونه معدولا عن المعرفة باللام من حيث انه روعى مطابقته لموصوفه وهى من خواص افعل المعرف باللام لان افعل من لايطابقه الا ان يعرف الا انه في معنى المعرف ﴿قوله عدول عن الحق﴾ فالزيغ اخص من مطلق الميل من حيث انه ميل من حق الى باطل وارتفاع زيغ يجوز ان يكون على انه فاعل الجار قبله لاعتماده على الموصول حيث وقع صلة له ويجوز ان يكون على انه مبتدأ خبره الجار قبله ومنه حال من فاعل تشابه اى تشابه حال كونه بعضه وابتغاء مصدر مضاف الى مفعوله منصوب على انه مفعول له لفعل الاتباع والتأويل تفعيل من آل يؤول اولا اى عاد ورجع وفرق الناس بين التأويل والتفسير في الاصطلاح بان التفسير كشف معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذى نزلت فيه بما لايعلم الا بالتوقيف لتعلقها بالسماع من الثقات والرواية عنهم والتأويل صرف الآية عن ظاهر معناها الى مايحتمله النظم اذا كان المحتمل الذى يراه موافقا للكتاب والسنة ولايجوز الا لمن حصلت له صفات اهل العلم وادوات يقتدر بها على ان يتكلم فيه من اصول اهل اللغة والاعراب وطريق استعمال الالفاظ في معانيها حقيقة ومجازا وصراحة وكناية بعد ان نور الله تعالى بصيرته بحيث يستعد لان يقف على اسرار القرآن واستنباط المعاني المكنونة تحت كلماته المتعلقة بالدراية قال عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضى الله عنهما «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» وقال عليه الصلاة والسلام «من فسر القرآن برأيه فقد كفر» وفي رواية «من فسر القرآن برأيه واصاب فقد اخطأ» وقد يسمى التفسير تأويلا قال تعالى سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا وقال واحسن تأويلا وذلك لانه اخبار عما يرجع اليه اللفظ من المعنى والمراد منه ههنا انهم يطلبون التأويل الذى ليس في كتاب الله تعالى دليل عليه مثل طلبهم ان الساعة متى تقوم وان مقدار الثواب والعقاب لكل مطيع وعاص كم يكون وفسر صاحب الكشاف قوله تعالى ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بقوله طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وطلب ان يؤولوه التأويل الذى يشتهونه فسر الفتنة بالضلال عن الدين اذلا فتنة ولاضلال اعظم من الفتنة في الدين وذلك يقتضى فساده وقال الاصم في تفسير الفتنة انهم متى اوقعوا تلك المتشابهات في البين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضى الى التقاول والمرج وذلك هو الفتنة وتقييد الفتنة بالفتنة في الدين والتأويل بالتأويل على مايشتهون مستفاد من المقام ﴿قوله ومن وقف على الا الله﴾ اختلف الناس فيه فقال قوم الواو في قوله والراسخون في العلم عاطفة على الجلالة فعلى هذا لايعلم المتشابه الا الله ويجوز ان يكون لبعض الناس تأويل شئ من القرآن سوى ما استأثر الله بعلمه ويكون قوله يقولون آمنا به اما حالا

وأخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولايلزم منه تعرفه لان معناه ان القياس ان يعرف الا انه في معنى المعرف او عن آخر من ﴿ فاما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ عدول عن الحق كالمبتدعة ﴿ فيتبعون ماتشابه منه ﴾ فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل ﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ وطلب ان يؤولوه على مايشتهونه ويحتمل ان يكون الداعى الى الاتباع مجموع الطلبتين اوكل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثانى يلائم الجاهل ﴿ ومايعلم تأويله ﴾ الذى يجب ان يحمل عليه ﴿ الا الله والراسخون في العلم ﴾ اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه

من الراسخون اى يعلمون التأويل حال كونهم قائلين ذلك واما استئنافا كما اشار اليه المصنف وذهب الاكثرون الى ان الواو فى قوله والراسخون واو الابتداء والاستئناف فيكون مبتدأ والجملة بعده خبره فعلى هذا لم يطلع عليه احد من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحوه روى عن عمر بن عبد العزيز فى هذه الآية انه قال انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا به كل من عند ربنا وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال تفسير القرآن على اوجه تفسير لايسع احدا جهله وتفسير تعرفه العرب بالسنتها وتفسير يعلمه الفقهاء وتفسير لايعلمه الا الله وسئل مالك ابن انس رضى الله عنه عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ويؤيد هذا القول وجوه احدها انه تعالى ذم طلب المتشابه بقوله فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وثانيها انه مدح الراسخين فى العلم بأنهم يقولون آمنا به وقال فى اول البقرة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم فهؤلاء الراسخون لوكانوا عالمين بتأويل المتشابه على التفصيل لما كان لهم فى الايمان به مدح لأن كل من عرف شيأ على سبيل التفصيل لابد ان يؤمن به وثالثها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل اقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علمنا ان مراد الله تعالى بعض من معانيه المجازية ومعلوم ان المعانى المجازية كثيرة وترجيح بعضها على بعض لا يكون الا بالترجيحات اللغوية لا بالظن فكيف يحكم فى تأويل القرآن بالدلائل الظنية

قوله بما استأثر الله تعالى بعلمه وتكون الحكمة فى ازاله ابتلاء الراسخين بحملهم على التوقيف وكبح عنان التصرف * وان اريد به مالا يتضح المراد منه بحيث يتناول المجمل والمؤول فالحق العطف

قوله مدح للراسخين حيث قال اولوا الالباب واللب العقل والجمع الباب وخالص كل شئ لبه وجودة الذهن مستفادة من التعبير عن العقل باللب المنبئ عن الخلوص **قوله** واتصال الآية بما قبلها اى اتصال قوله تعالى هو الذى انزل عليك الكتاب الآية بما قبلها وقوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء وقدمر انه كالدليل على القيومية وكالاستدلال على انه لايخفى عليه شئ ووجه كونه كالدليل على القيومية ان القائم بمصالح الخلق لابد ان تكون مصالحهم الجسمانية والروحانية بيده وقد بين الله استيلاءه على اشرف مصالحهم الجسمانية وهو تعديل بنيتهم على احسن الاشكال والهيئات بقوله هو الذى يصوركم فى الارحام وبين بهذه الآية قيوميته باشرف مصالحهم الروحانية وهى تصوير الروح بالصور العلمية وتربيته بها

قوله او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم وتقرير كونه جوابا عنه ان ظاهره لما كان مخالفا للدليل العقلى كان من قبيل المتشابهات فوجب تأويله برده الى أم الكتاب

قوله من مقال الراسخين واعترض قوله تعالى ومايذكر الا اولوا الالباب بين مقالتهم مدحا بذكراى ويقول الراسخون ربنا لاتمل قلوبنا عن الهدى والعدل كما ازغت قلوب الزائغين وحذف يقولون لدلالة الاول عليه فلما آمن الراسخون بكل ما انزل الله تعالى من المحكمات والمتشابهات تضرعوا اليه تعالى فى ان لايجعل قلوبهم مائلة الى الباطل بعد ان جعلها مائلة الى الحق فان القلب صالح لان يميل الى كل واحد من الايمان والكفر ولايميل الى شئ منهما الا عند حدوث داعية احدثها الله تعالى فان كانت تلك الداعية داعية الكفر فهى الخذلان والازاغة والختم والطبع والرين والفسوق والوقر والكنان واحد الاكنة ونحو ذلك من الالفاظ الواردة فى القرآن وان كانت تلك الداعية داعية الايمان فهى التوفيق والارشاد والهداية والتسديد والتثبيت والعصمة ونحو ذلك من الالفاظ الواردة فى القرآن وكان عليه الصلاة والسلام * يقول قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن * والمراد من هذين الاصبعين داعية الخير والشر شبههما بالاصبعين تشبيها لهما باصبعى الانسان فى كونهما وسيلتين وواسطتين فى امر التقليب

قوله وقيل لاتبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا كل واحد من الزيغ والهداية مخلوق لله تعالى عند اهل السنة والمعتزلة لما أبوا عن اسناد زيغ القلب وضلاله الى الله تعالى لكونه قبيحا فلا فسروا الازاغة بالابتلاء والمعنى لاتكلفنا من العبادات مالانأمن معه الزيغ فانهم لما ذهبوا الى ان كل ماصلح فى قدرة الله تعالى ان يفعله فى حقهم لطفا وجب عليه ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الآلهية فلا امتنع ان يسند اليه ازاغة القلوب عندهم لم يبق فائدة فى دعاء الامتناع عنها

قوله واذ فى موضع الجر لانها خرجت عن الظرف

(بالاضافة)

بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية اوبما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ماهو المراد (يقولون آمنا به) استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم اوخبر ان جعلته مبتدأ (كل من عند ربنا) اى كل من المتشابه والمحكم من عنده (ومايذكر الا اولوا الالباب) مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى مااستعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشى الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها فى تصوير الروح بالعلم وتربيته وماقبلها فى تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو أباله بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره فى الرحم والمصور لايكون اب المصور (ربنا لاتزغ قلوبنا) من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لاتزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لاترتضيه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لاتبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا (بعد اذ هديتنا) الى الحق والايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرفية واذ فى موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان

(وهب لنا من لدنك رحمة) زلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق اومغفرة للذنوب (انك انت الوهاب)

لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شئ (ربنا انك جامع الناس ليوم) لحساب يوم او لجزآئه (لاريب فيه) فى وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزآء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ماتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل (ان الله لايخلف الميعاد) فان الآلهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لوّن الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا (ان الذين كفروا) عام فى الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود اومشركوا العرب (لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ) اى من رحمته اوطاعته على معنى البدلية اومن عذابه (واولئك هم وقود النار) حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها (كدأب آل فرعون) متصل بما قبله اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقدبهم كما توقدبأولئك او استئناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم فى الكفر والعذاب وهو مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن (والذين من قبلهم) عطف على آل فرعون وقيل استئناف (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم) حال باضمار قداو استئناف بتفسير حالهم او خبران ابتدأت بالذين من قبلهم (والله شديد العقاب) تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم) اى قل لمشركى مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر فى سوق بنى قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم مانزل بقريش فقالوا لايغرنك انك اصبت اغمارا لاعلم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوّة وقرأ حمزة والكسائى بالياء فيهما على ان الامر بان

[يح]كى لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه (وبئس المهاد) تمام مايقال لهم او استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم اومامهدوه لانفسهم (قدكان لكم آية)

بالاضافة اليها لما كان تطهير القلوب عما لاينبغى مقدما على تنورها بما ينبغى سأل الراسخون فى العلم ربهم اوّلا ان لايجعل قلوبهم مائلة الى الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم اتبعوا ذلك بان طلبوا من ربهم ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة ويجعل جوارحهم واعضاءهم مزينة بزينة الطاعة وانما قالوا رحمة ليكون ذلك شاملا لجميع انواع الفضل والاحسان ولما ثبت بالبرهان القاطع ان لارحيم الاهو اكد ذلك بقوله من لدنك تنبيها للعاقل على ان المقصود لايحصل الامنه **قوله** انت الوهاب بمنزلة قول العبد الهى هذا الذى طلبته منك عظيم بالنسبة الىّ حقير بالنسبة الى كمال كرمك وغاية جودك ورحمتك فانك انت الوهاب * واللام فى قوله ليوم لام العلة اى لاجل حساب يوم ولاريب صفة ليوم وقوله تعالى ان الله لايخلف الميعاد يجوز ان يكون من تمام حكاية قول الراسخين فيكون التفاتا من خطابهم البارى تعالى بضمير الخطاب الى الاتيان بالاسم الظاهر دالا على تعظيمه بالاسم الجامع فان المقام لما كان مقام الاعتراف بان الآلهية تقتضى الحشر والنشر لينتقم للمظلومين من الظالمين كان المقام مقام الهيبة والعظمة والجلال فاقتضى ذلك ان يذكر تعالى باجل اسمائه بخلاف قوله فى آخر السورة انك لاتخلف الميعاد فان ذلك المقام مقام طلب العبد من ربه ان ينعم عليه من فضله وان يتجاوز عن سيئاته فكان المقام مقام التعطف والالتجاء لامقام الهيبة والجلال فلذلك قال هناك انك لاتخلف الميعاد وهو مصدر بمعنى الوعد وياؤه منقلبة عن واو لانكسار ماقبلها كميقات **قوله** واستدل به الوعيدية احتج الجبائى بهذه الآية على القطع بوعيد الفساق قال لان الوعيد داخل تحت لفظ الوعد لقوله تعالى قدوجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا وقد اخبر فى هذه الآية بانه لايخلف الميعاد والجواب لانسلم انه تعالى توعد الفساق مطلقا بل ذلك مشروط عندنا بشرط عدم العفو بدليل منفصل **قوله** عام فى الكفرة لان اللفظ عام وخصوص السبب لايمنع عموم اللفظ وقيل المراد به وفد نجران لانه تعالى ذكر فى قصتهم ان خيرهم واشفقهم اباحارثة بن علقمة قال لاخيه كرز بن علقمة حين عثرت بغلة ابى حارثة فقال كرز تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابوحارثة بل تعست امك فقال ولم يا اخى فقال والله انه النبى الذى ننتظره فقال له اخوه كرز فما يمنعك ان تؤمن به وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم لاخذوا منا كل هذه الاشياء فبين تعالى ان اموالهم لاتدفع عنهم عذاب الله وقال ابن عباس يعنى بالذين كفروا يهود قريظة والنضير ومن فى قوله من الله بمعنى بدل ولابدّ من حذف مضاف اى بدل رحمته او طاعته ومعنى اغنى عنه اجزأ عنه وكفاه وشيأ نصب على المصدر فان الاموال والاولاد لاتغنى شيأ من الاشياء بدل رحمة الله تعالى وطاعته **قوله** وقرئ بالضم وهو مصدر بمعنى الايقاد اوّل مراتب العذاب حصول اليأس والحرمان من الانتفاع بما يرجو نفعه كالاموال والاولاد فان المرء يفزع اليهما فى دفع النوآئب فاذا تعذر عليه الانتفاع بهما فى ذلك اليوم فاعداهما بالتعذر اولى ونهاية مراتب العذاب ان يجمع عليه الاسباب المؤلمة بعد حرمانه من الانتفاع بما يرجو نفعه وهو المراد بقوله اولئك هم وقود النار فانه لاعذاب اعظم من ان تشتعل النار فيهم كاشتعالها فى الحطب اليابس **قوله** متصل بما قبله يريد ان كدأب آل فرعون فى محل النصب بعامل مقدّر مدلول عليه بقوله وقود النار **قوله** حال باضمار قد يعنى اذا كان قوله والذين من قبلهم مجرور المحل بالعطف على آل فرعون تكون الجملة الماضوية حالا من المشبه بهم او استئنافا واقعا فى جواب من قال ماحال آل فرعون ومن قبلهم فيما فعلوا او فعل بهم حتى يشبه هؤلاء الكفرة بحالهم وكونها استئنافا لبيان حالهم انما هو على تقدير كونه خبر مبتدأ محذوف واما على تقدير كون الكاف فيه منصوب المحل تكون هذه الجملة استئنافا لبيان السبب **قوله** على ان الامر بان يحكى قوله بان يحكى خبران اى على تقدير القرآءة بالياء فيهما يكون المأمور به ان يحكى عليه السلام مااخبره الله به من وعيدهم بلفظه كأنه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام ادّ اليهم هذا القول الذى هو قولى لك سيغلبون ويحشرون وعلى تقدير القرآءة بالتاء يكون المأمور به ان يخبرهم بما سيجرى من كونهم مغلوبين ومحشورين الى جهنم فيكون عليه السلام مأمورا بان يخبرهم بمعنى انهم سيغلبون ويحشرون **قوله تعالى** قدكان لكم آية جواب قسم محذوف وآية اسم كان ولم يؤنث الفعل لان تأنيث الآية غير حقيقى ولوجود الفصل بلكم فان الفاصل يقوم مقام علامة التأنيث ولكم خبر كان قدم على اسمه وقوله فى فئتين فى محل الرفع نعتا لآية ولا وجه لكون فئتين خبر كان لان حكم اسم كان حكم الابتدآء فلا يجوز ان يكون اسما لها الامايجاز الابتداء به وههنا لوجعلت آية مبتدأ وما بعدها خبرا لم يجز اذ لامسوّغ للابتداء بهذه

النكرة بخلاف ما اذا جعلت لكم الخبر فانه جائز لوجود المسوّغ وهو تقديم الخبر المجرور بحرف الجر ﴿قوله الخطاب لقريش او لليهود﴾ لف على ترتيب قوله او لا قل لمشركي مكة او لليهود لما اوعد احد الفريقين بانهم سيغلبون ويحشرون الى جهنم اتبع ذلك بذكر مايكون آية لصحة ذلك والفئة الجماعة وكانت الفئة التي تقاتل في سبيل الله وطاعته ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعين رجلا من المهاجرين ومائتين وستة وثلاثين من الانصار وصاحب راية المهاجرين علي بن ابي طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا بين كل اربعة منهم بعير وفرس للمقداد بن عمرو وفرس لزيد بن ابي مزيد واكثرهم رجالة وكانت الفئة الكافرة الذين هم مشركوا مكة مائة وخمسين رجلا من المقاتلة وفيهم مائة فرس وسبعمائة بعير واهل الخيل كلهم كانوا دارعين وهم مائة نفر وكان في الرجال دروع سوى ذلك وكان حرب بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر العلماء في كون هذه الوقعة آية وجوها احدها ان المسلمين قد كان اجتمع فيهم من اسباب الضعف امور منها قلة العدد ومنها انهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتأهبوا ومنها قلة السلاح والخيل اذ كان معهم من الدروع ست ومن السيوف ثمانية ومنها ان ذلك كان اول غزواتهم وقد حصل للمشركين اضداد هذه المعاني من كثرة العدد وانهم قد خرجوا متأهبين للمصار بقوانهم كانوا معتادين بالحروب في الازمنة الماضية ولاشك ان غلبة هؤلاء الضعفاء عليهم امر خارج عن العادة فيكون آية عظيمة ومعجزة باهرة وثانيها انه عليه الصلاة والسلام كان اخبر قومه بان الله ينصره على قريش بقوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم يعني جمع قريش وكان عليه السلام قد اخبر قبل الحرب بان هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فلما وجد مخبر خبره في المستقبل على وفق خبره كان ذلك اخبارا عن الغيب فكان ذلك معجزا وثالثها قوله تعالى يرونهم مثليهم رأي العين والاصح في تفسير هذه الآية ان الرائين هم المشركون والمرئيين هم المؤمنون والمعنى ان المشركين كانوا يرون المؤمنين مثلي عدد المشركين قريبا من ألفين او مثلي عدد المؤمنين ستمائة ونيفا وعشرين وذلك معجز ووجه رؤية المشركين وظنهم اياهم كثيرا ان من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل انهم في غاية الكثرة وقيل في وجهه ان الله تعالى انزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين بهم كثيرا وفيه ان الكلام مقتصر على الفئتين ولم يدخل فيه قصة الملائكة ورابعها ماقال الحسن ان الله تعالى امدّ رسوله في تلك الغزوة بخمسة آلاف من الملائكة لقوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني ممدكم بألف من الملائكة وقال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين وكانت سيماهم انه كان على اذناب خيولهم ونواصيها صوف ابيض وهو المراد من قوله والله يؤيد بنصره من يشاء ﴿قوله وذلك﴾ اي ورؤية المشركين اياهم اضعاف ماكانوا عليه ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا للمسلمين من الله تعالى كامدهم بالملائكة وهو جواب عما يقال من ان معنى ويرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين او مثلي عدد المسلمين مناقض لقوله تعالى في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم ﴿قوله ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء﴾ هذا على تقدير ان يكون الخطاب في قوله قد كان لكم آية في فئتين لليهود فانه حينئذ يكون خطاب ترونهم ايضا لليهود والمعنى ترون يامعشر اليهود اهل مكة مثلي عدد المسلمين والنصرة مع ذلك للمؤمنين وكان ذلك معجزة وآية فلما كان المشركون هم المرئيون مثلي عدد المسلمين على تقدير ان يكون فاعل ترونهم اليهود قال محيي السنة وذلك ان جماعة من اليهود كانوا حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة فرأوا المشركين مثلي عدد المسلمين فكذا الحال على تقدير ان يكون الفاعل المؤمنين * قال الامام فمن قرأ بالتاء فلان ماقبله خطاب لليهود والمعنى ترون ايها اليهود المسلمين مثلي ماكان عليه الفئة المسلمة او مثلي الفئة الكافرة او تكون الآية خطابا مع مشركي قريش والمعنى ترون يامشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة ومن قرأ بياء الغيبة بعد الخطاب وهو قوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم جعله اخبارا عن احدى الطائفتين ﴿قوله رؤية ظاهرة معاينة﴾ اشارة الى ان رأي العين منصوب على انه مفعول مطلق لقوله يرونهم يقال رأيت رأيا ورؤية ورأيته في المنام رؤيا حسنة فالرؤيا تختص بالمنام وفسره صاحب الكشاف بقوله رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات ﴿قوله لعظة﴾ يتعظ به ذووا البصائر ويعلمون ان النصر والظفر انما يحصلان بتأييد الله تعالى ونصره لا بكثرة العدد والشوكة والسلاح والمعتبر هو الذي يعبر من منزلة الجهل الى أوج العلم فان اصل العبرة من العبور وهو النفوذ من احد الجانبين الى الآخر او من العبارة وهي الكلام الذي يعبر به المعنى الى المخاطب وقوله وكون الوقعة آية ايضا اي كما انها عبرة يحتمل الامرين اي يحتمل ان يكون كونها

الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين (في فئتين التقتا) يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم) يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريبا من ألف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ماقللهم في اعينهم حتى اجترأوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله ان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قرآءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا (رأي العين) رؤية ظاهرة معاينة (والله يؤيد بنصره من يشاء) نصره كما ايد اهل بدر (ان في ذلك) اي التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الوقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم (لعبرة لاولي الابصار) اي لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم

آية لما فيهما من التقليل و التكثير او من غلبة الضعفاء عـلى الاقوياء فعلى هذا التقدير تكون كلمة فى فى الموضعين للظرفية واما قوله وكون الوقعة آية ايضا يشعر كونها للتجريد فيهما كما فى قوله تعالى لهم فيها دار الخلد فان الجنة نفسها دار الخلد لان فيها دار الخلد للداخلين فلا جرم حملت كلمة فى على التجريد فكذا الحال اذا كان نفس الوقعة آية وعبرة تكون فى للتجريد ايضا ﴿قوله المشتهيات﴾ يعنى ان الشهوات جمع شهوة بسكون العين لحركت فى الجمع والشهوة مصدر معناه ميل النفس وتوقانها الى الشئ يقال اشتهى يشتهى شهوة والمراد ههنا بالشهوات المشتهيات اذ لو اريد بها المعنى المصدرى لما جمع ويدل عليه ايضا بيانها بالمشتهيات حيث قيل من النساء والبنين الآية وسميت شهوات للمبالغة فى نزوع النفس اليها بحيث كأنها صارت عين النزوع و الميلان كما يقال رجل عدل للمبالغة فى عدالته ايماء الى كمال محبتهم اياها فان الانسـان قد يحب شيأ لكنه يحب ان لا يحبه كمسلم يميل طبعه الى بعض المحرمات لكنه يحب ان لا يحبه واما من احب شيأ واحب ان يحبه فذلك كمال المحبة كما فى قوله تعـالى حكاية عن سليمان عليه الصلاة والسلام انى احببت حب الخير عن ذكر ربى ومعناه احب الخير واحب ان اكون محبـا للخير قرأ العامة زين على بناء المفعول فالفاعل المحذوف هو الله تعـالى عند اهل السنة بناء على ان الخـالق لجميع الافعال والدواعى هو الله تعالى وايضا لو كان المزين هو الشيطان فمن الذى زين الكفر والبدعة للشيطان فان كان ذلك شيطانا آخر لزم التسلسل وان وقع ذلك من نفس ذلك الشيطان فليكن فى الانسان كذلك وان كان من الله فهو الحق فليكن فى حق الانسان كـذلك ويؤيده قوله تعالى فى سورة القصص هؤلاء الذين اغوينـا اغويناهم كما غوينا يعنى ان اعتقد احد انا اغويناهم فمن الذى اغوانا ثم التزيين من الله تعـالى تزيين فى الطباع بان ركب فى طباع البشر حب المستلذات والميل اليها والطبع يرغب فيما يتلذذ به ويشتهى وان لم يكن حسنا فى نفسه وتلك الرغبة والميلان بخلق الله تعـالى لقوله تعالى كذلك زينـا لكل امة عملهم وتزيين فى العقول ولا يتزين الشئ فى العقل ولا يحسن الا اذا كان حسنا فى نفسه او جدت عاقبته او تعلق به امر النهى ونحو ذلك قال تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمـان وزينه فى قلوبكم وكذلك التكريه ايضا يقع على وجهين احدهمـا فى الطباع وهو تنفيرها عن الشئ وذلك بخلق النفرة والكراهة فيها وثانيهما فى العقول وان كانت الطباع تميل اليها كما قال تعالى وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان فالطبع يميل ويرغب الى ماهو ألذ واشهى وأخف عليه وينفر عما يضره ويثقل عليه والعقل لا ينفر عما سوى القبيح فى نفسه ويرغب فيما هو الحسن فى نفسه وقوله عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ٭ ليس محمولا على كراهة العقل وشهوة العقل بل هو محمول على كراهة الطبع وشهوته فكل واحد مما فى الطباع والعقول من التزيين والتكريه فهو من الله تعالى عندنا وقولهم ان الشيطان هو الذى زين المشتهيات لهم ان عنوا بذلك انه يرغبهم فيها ويدعوهم اليها ويريهم زينتها وهو حسن ظاهرها فنعم الامر كذلك وان عنوا ان الشيطان له قدرة انشـاء التزيين واحداث الحسن فلا اذ الافعال مخلوقة لله وهو يدعوهم الى ما خلق الله حسنه فى الطباع ويريهم ما جعله الله حراما عنـدهم فكان فعله هو الدعاء لا الاحداث ولكن مع هذا الحب الحذر من دعوته غاية الحذر اذ هو يرانا ولا نراه ولا يتحقق الحذر من مثل هذا العدو الا بالفزع الى الله تعـالى والاستعاذة به منـه ﴿قوله ولعله زينه ابتلاء﴾ بيـان للحكم الداعية الى تزيين المشتهيات الحكمة الاولى انه تعالى زينه ليظهر انه هل يتبع لشهوته رعاية لهواه او ينقاد لامر ربه فيما امره ونهاه ويجازى على حسب نيته وحاله ﴿قوله فان الآية فى معرض الذم﴾ اى للشهوات الفانية روى عن الحسن البصرى انه قال والله ما زينها الا الشيطان اذ لا احد اذم لها ولاهلها من الله تعالى فانه تعالى ذم الدنيـا واهلها فى القرآن فى غـير موضع فأنى يستقيم اضافة التزيين اليه اذ ما كان حراما فالتزيين فيـه من الشيطان وما كان واجبا او مندوبا فالتزيين فيه من الله تعالى وبقى قسم ثالث وهو المباح الذى ليس فى فعله ثواب ولا فى تركه عقاب فلم يذكره وكان من حقه ان يذكره ويبين ان التزيين فيـه هل هو من الله او من الشيطان كذا فى التفسير الكبير ونقل المصنف عنه انه فرق بين المباح والمحرم فذكر المباح بدل الواجب والمندوب والله اعلم ﴿قوله بيـان للشهوات﴾ قدم النساء على الكل لكثرة تشوق النفس اليهن لانهن حبائل الشيطان وفتنة الرجال قال عليه الصلاة والسلام ما تركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء ٭ ثم ثنى بالولد الذكر لان حبه اتم واقوى من حب الانثى وفى تزيين حب الانثى والولد فى قلب الانسان حكمة بالغة لولا هذا الحب لما حصل التوالد والتناسل وهذه المحبة اقوى فى جميع

(زين للناس حب الشهوات) اى المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا فى محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله تعالى احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعى ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية فى معرض الذم وفرق الجبائى بين المباح والمحرم (من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعـام والحرث) بيـان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة ألف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف فى انه فعلال او فنعال

طباع الحيوانات * و القناطير جمع قنطار و في نونه قولان احدهما انها اصلية و وزنه فعلال وثانيهما انها زآئدة و وزنه فنعال و اشتقاقه من قطر يقطر اذا سال لان الذهب و الفضة يشبهان الماء في سرعة الانقلاب و كثرة التقلب و قال الزجاج هو مأخوذ من قنطرت الشئ اذا عقدته و احكمته و منه القنطرة لاحكام عقدها و توثيق طاقتها و القنطار و هو المال الكثير يتوثق اصناف الانسان به في دفع النوآئب و الصحيح ان وزنه و قدره لا يحد و منهم من حاول تحديده و فيه روايات فروى ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم انه قال «القنطار اثنتاعشرة اوقية» و روى عنه ايضا ان القنطار الف درهم و روى ابى بن كعب انه عليه الصلاة و السلام «قال القنطار الف ومائتا اوقية» و قال ابن عباس رضى الله عنه القنطار الف دينار او عشرة آلاف درهم و هو مقدار الدية و قال المكى القنطار بلسان الروم ملئ مسك ثور من ذهب او فضة ﴿قوله و المقنطرة مأخوذة منه للتأكيد﴾ فان شأن العرب ان يشتقوا من لفظ الشئ الذى يرون المبالغة في وصفه ما يتبعونه تأكيدا او تنبيها على تناهيه في وصفه و من ذلك قولهم ظل ظليل و داهية دهيا و شعر شاعر و الف مؤلفة و دراهم مدرهمة اى تامة كاملة في شأنها زين للناس حب كثرة الذهب و الفضة لانهما جعلا ثمنا يتوصل بهما الى جميع الاشياء المطلوبة فمالكهما كالمالك لجميع المطالب و صفة المالكية هي القدرة و القدرة صفة كمال و الكمال محبوب لذاته و لما كان الذهب و الفضة اكمل الوسائل الى نيل الذى هو المحبوب لذاته لاجرم كانا محبوبين * قال الواحدى الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم و النساء و الرهط و قيل واحده خائل مثل راكب و ركب و طائر و طير و هو مشتق من الاختيال و هو مشية الانسان على سبيل الخيلاء المنبئ عن الاستكبار فسميت الافراس خيلا لاختيالها و جولانها في مشيها بطول اذنابها و اعناقها و يسمى الخيال خيالا و التخييل تخييلا لجولان هذه القوة في استحضار تلك الصورة و اختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة اقوال الاول من السومة و هى العلامة و قال ابو مسلم مأخوذ من السيما بالمد و القصر و معناهما واحد و هى الهيئة الحسنة قال تعالى سيماهم في وجوههم ثم اختلفوا في تلك العلامة فقال ابو مسلم هى الاوضاح و الغرة التى تكون في الخيل بان تكون غرا محجلة و قيل البلق و قال قتادة الشية و قول ابو مسلم احسن الاقوال لان الاشارة في الآية الى احسن احوالها و ذلك ان يكون الفرس اغر محجلا و سائر الاحوال التى ذكروها لا تفيد شرفا للفرس و القول الثانى ان المسومة بمعنى الراعية من سوم الماشية يقال اسمت الماشية و سومتها اذا ارسلتها في مراحها و مرعاها للرعى و المقصود من توصيف الانعام بها انها اذا رعت مرسلة ازدادت حسنا و نماء و القول الثالث و هو قول مجاهد و عكرمة ان المسومة هى الخيل المطهمة الحسان قال القفال المطهمة المرأة المليحة و قيل هى التامة الخلقة و لم يبين اشتقاقها بهذا المعنى فكأنه من السوم في البيع لان الخيل المطهمة تسام كثيرا لكثرة الراغبين فيها او من السومة بمعنى العلامة كأنها علم في الحسن و القوة ﴿قوله و الانعام الابل و البقر و الغنم﴾ يعنى ان الانعام جمع نعم و النعم هى هذه الاجناس و لا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانه غلب عليها قال العلماء ذكر الله تعالى اربعة اصناف من المال كل نوع يتمول به صنف من الناس فاما الذهب و الفضة فيتمول بهما التجار و اما الخيل المسومة فيتمول بها الملوك و اما الانعام فيتمول بها اهل البادية و اما الحرث فيتمول به اهل البساتين فيكون فتنة كل صنف في النوع الذى يتمول به و اما النساء و البنون فانها فتنة للجميع ﴿قوله بالشهوات المخدجة﴾ اى الناقصة المعيبة هذه المشتهيات انما تكون مخدجة اذا انتفع بها في الوجوه المباحة من غير ان يتوسل بها الى مصالح الآخرة و اما اذا انتفع بها تقويا على طاعة الله تعالى و تجنبا عن مساخطه فلا تكون مخدجة و يبقى اثرها و نفعها ابد الآباد و الظاهر ان حسن المآب من قبيل جرد قطيفة و اخلاق ثياب و مرجع حسن من قبيل رجل عدل ﴿قوله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم﴾ التفات من الغيبة في قوله للناس الى الخطاب تشريفا لهم اى هل اخبركم بما هو خير خالص من الكدرة باق من ذلك المذكور الذى هو مشتهيات الدنيا و يجوز ان يتم الكلام عند قوله من ذلكم و يستأنف بالجملة التى بعده لبيان أن يكون جنات مرفوعا على الابتداء و الجار و المجرور قبله خبرا مقدما عليه فيكون عند ربهم متعلقا بما تعلق به للذين من الاستقرار و يجوز ان يتم الكلام عند قوله للذين اتقوا بان يتعلق الجار بخير و يرتفع جنات على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هو جنات اى ذلك الذى هو خير جنات و الجملة بيان لما هو خير و عند ربهم متعلق بخير كما تعلق به للذين فيكون عند ربهم متعلقا بما تعلق به للذين من الاستقرار و يؤيد هذا الوجه قرآءة من قرأ جنات على البدلية من خير لان اللام

و المقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة و المسومة المعلمة من السومة و هى العلامة او المرعية من اسام الدابة و سومها او المطهمة و الانعام الابل و البقر و الغنم (ذلك متاع الحياة الدنيا) اشارة الى ما ذكر (و الله عنده حسن المآب) اى المرجع و هو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) يريد به تقرير أن ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) استئناف لبيان ما هو خير و يجوز ان يتعلق اللام بخير و يرتفع جنات على هو جنات و يؤيده قرآءة من جرها بدلا من خير (و ازواج مطهرة) مما يستقذر من النساء (و رضوان من الله) قرأ عاصم بضم الرآء و هما لغتان

في قوله للذين يتعين ان يكون متعلقا بخير ويتحد معنى البدلية مع معنى كون جنات خبر محذوف ولا اختلاف بينهما الا في وجه الاعراب ﴿قوله فأدناها متاع الحياة الدنيا﴾ فان الدنيا اطيب واوسع واجمع للخير بالنسبة الى بطن الام والجنة اطيب واوسع واجمع للخير بالنسبة الى الدنيا ورضوان الله تعالى اجل واعزمنها روى عن ابي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم* ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك وسعديك الخير كله في يديك فيقول الله تعالى هل رضيتم فيقولون مالنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون فاى شيء افضل من ذلك فيقول أحل بكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده ابدا* وهو اعلى مراتب الجنة الروحانية التي هي عبارة عن تجلي نور الله تعالى في روح العبد واستغراق العبد في معرفته فالعبد يصير اولا بهذه المقامات راضيا من الله تعالى ويصير في آخرها مرضيا عند الله واليه الاشارة في قوله تعالى راضية مرضية ﴿قوله صفة للمتقين﴾ اى لقوله الذين اتقوا واستضعف ابو البقاء جعله صفة للعباد قال لان فيه تخصيصا لعلم الله تعالى ولا محذور فيه لان علمه تعالى باناتبهم الى الله تعالى ومقدار مشقتهم في العبادة والطاعة كناية عن مجازاتهم عليها على حسب ما وعده ﴿قوله او مدح منصوب﴾ اى باضمار اعنى او امدح او مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من هؤلاء المتقون فقيل هم الذين يقولون كيت وكيت ﴿قوله وفي ترتيب السؤال﴾ يعني ان قولهم ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا يدل على انهم توسلوا بمجرد الايمان الى رحمة الله تعالى ومغفرته ويؤيد هذا قوله تعالى في آخر السورة ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار والآية حجة على من جعل الطاعات جزأ من الايمان لان الايمان لو كان اسما لجميع الطاعات لما مدحهم الله تعالى بمجرد قولهم بمجرد قولهم اننا آمنا* فان قيل أليس انه تعالى اعتبر جملة الطاعات في حصول المغفرة حيث اتبع هذه الآية بقوله الصابرين والصادقين الآية* والجواب ان هذه الآية تؤكد ما قلنا لانه تعالى جعل مجرد الايمان وسيلة الى طلب المغفرة والمذكور بعده وهي الصفات التي ارتقى بها المؤمنون الى درجة المتقين المذكورين بقوله الذين اتقوا لو كانت شرطا لحصول المغفرة لوجب ذكرها قبل طلب المغفرة ﴿قوله والصبر يشملهما﴾ لان الصبر حبس النفس على ما يعسر عليها تحمله فيدخل فيه الصبر على أداء الواجبات والمندوبات وفي ترك المحذورات من المشتهيات وفي كل ما ينزل من المحن والشدائد بان لا يخرج عن شيء من ذلك بل يكون راضيا بقلبه عن الله تعالى ﴿قوله وتوسيط الواو﴾ اى العاطف المنبئ عن تغاير المعطوف والمعطوف عليه ولا تغاير ههنا لان الصفات المذكورة كأنها لموصوف واحد فينبغي ان لا يعطف بعضها على بعض كما في قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور واجاب عنه اولا بانه قد يتخلل العاطف بين صفات موصوف واحد كما في قوله

※ الى الملك القرم وابن الهما ※ م وليث الكتيبة في المزدحم ※

تنزيلا لكل واحدة من الصفات المعلومة منزلة الذوات المتباينة على ان كل واحدة منها لما بلغت من الكمال مبلغا خرجت به عن عداد امثالها صارت كأنها لا يتحملها ذات الموصوف فلا تكون من الصفات القائمة فنزلت منزلة ذوات مستقلة عن الموصوف غير قائمة به واجاب ثانيا بمنع اتحاد الموصوف بها بناء على جواز كونه من قبيل عطف الذوات المتغايرة حقيقة بناء على ان كل من كان معه واحدة من هذه الخصال استحق هذا المدح العظيم والثواب الجزيل فكيف اذا كان معه جميع تلك الخصال والباء في قوله بالاسحار بمعنى في ﴿قوله شبه ذلك﴾ يعني ان قوله تعالى شهد الله الخ من قبيل الاستعارة التصريحية التبعية شبهت دلالته على الوحدانية بما نصبه من الادلة العقلية وانزله من الادلة السمعية بشهادة الشاهد في كشف الحق وبيانه وكذلك الاقرار والاحتجاج من الملائكة واولى العلم من الثقلين ﴿قوله مقيما العدل﴾ اشارة الى ان الباء للتعدية كالهمزة ولعل اقامة العدل عبارة عن الجرى في تدبير ملكه على وجه الاستقامة ورعاية مقتضى الحكمة وان اردت معرفة ذلك فانظر اولا في كيفية خلقه تعالى اعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله تعالى فيها ثم انظر الى اختلاف احوال الخلق في الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والألم* واعلم ان ذلك من الله تعالى عدل وحكمة وصواب ثم انظر في كيفية خلقة العناصر وأجرام الافلاك وتقدير كل واحد منها بقدر معتبر وخاصة معينة واقطع بان كل ذلك صواب متعلق بامور الدنيا ومصالحها واما عدله المتعلق بامر الدين فانظر الى اختلاف الخلق في العلم والجهل

(والله بصير بالعباد) اى باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعدلهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فأدناها متاع الحياة الدنيا واعلاها رضوان الله تعالى لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها (الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار) حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها او كمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون بالاسحار ويدعون (شهد الله انه لا اله الا هو) بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها (والملائكة) بالاقرار (واولوا العلم) بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد (قائما بالقسط) مقيما للعدل في قسمه وحكمه

وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وبكر راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اومن هو والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفى وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير

وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف (لا اله الا هو) كرّره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبنى عليه قوله (العزيز الحكيم) فيعلم انه الموصوف بهما وقدّم العزيز لتقدّم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روى في فضلها انه عليه الصلاة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله (ان الدين عندالله الاسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اى لادين مرضىّ عندالله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرّع بالشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائى بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وانّ بالفتح على وقوع الفعل على الثانى واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما (وما اختلف الذين اوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة فى دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او فى التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا فى امر عيسى عليه السلام (الامن بعدما جاءهم العلم) اى بعدما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج (بغيا بينهم) حسدا بينهم وطلبا للرياسة لالشبهة وخفاء فى الامر (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) وعيد لمن كفر منهم (فان حاجوك) فى الدين وجادلوك فيه بعدما اقمت الحجج (فقل اسلمت وجهى لله) اخلصت نفسى وجملتى له لاشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت عليه الحجج ودعا اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس (ومن اتبعن) عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه

والفطانة والبلادة والهداية والغواية واعلم بان ذلك عدل وقسط فقدّر المصنف فى قسمه وحكمه اى قسمه الارزاق والاعمار وسائر الاحوال المتعلقة بالمعاش وحكمه اى خطابه بأفعال المكلفين بما يحل ويحرم ويصح ويفسد وكل ذلك عدل وصواب والحال قسمان مؤكدة وهى التى تكون لازمة لذى الحال ومنتقلة ويقال متحوّلة وهى التى تزول عنه مرّة وتثبت له اخرى وقائما على تقدير كونه حالا من فاعل شهد تكون حالا مؤكدة لان القيام بالعدل لازم لله تعالى لاينتقل عنه **﴿قوله وانما جاز افراده بها﴾** مع ان النحاة لم يجوّزوا اختصاص احد الامور المتعاطفة بانتصاب الحال منه دون الباقين بناء على انهم منعوا ذلك فى موضع الالتباس كما جاز ذلك لعدم الالتباس فى قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة فان نافلة انتصب حالا من يعقوب كذلك وقوله اومن هو اى يجوز ان يكون قائما حالا من هو فى قوله لا اله الا هو * ولما ورد ان يقال ما العامل فى الحال المذكورة على تقدير كونها حالا من هو * اجاب عنه بقوله والعامل فيها معنى الجملة يعنى ان الحال المؤكدة لايكون عاملها شيأ من اجزاء الجملة المتقدمة وانما تنتصب بعامل مضمون مستفاد من معنى تلك الجملة كما فى الآية او من بعض اجزائها كما فى زيد ابوك عطوفا اى ثبتت ابوته لك عطوفا قاله صاحب الكشاف وهو اوجه من انتصابه من فاعل شهد اى انتصابه حالا من هو اوجه من انتصابه حالا من فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح من هو اوجه من انتصابه على المدح من فاعل شهد اما اوّلا فلانه اقرب واما ثانيا فلدخول القيام بالقسط فى حكم شهادة الله تعالى والملائكة واولى العلم انه قائم بالقسط وفى جعله حالا من هو رعاية لما اشتهر بين النحاة من ان الحال المؤكدة تكون بعد الجملة الاسمية حتى ان صاحب الكشاف شرط ذلك فى المفصل ومعناه ان ذلك هو الغالب فيها **﴿قوله او الصفة للمنفى﴾** اى ويجوز ان يكون انتصاب قائما على انه صفة للمنفىّ بلا كأنه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو واغتفر الفصل بين الصفة والموصوف بالاجنبىّ بناء على اتساعهم فى ذلك كما فى قوله تعالى حكاية لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم **﴿قوله وهو﴾** اى قيامه بالعدل مندرج فى المشهود به اذا جعلته صفة للمنفى او حالا من الضمير وقد ذكرنا وجه الاندراج على التقدير الثانى ويعلم منه الحال على التقدير الاوّل **﴿قوله ومزيد الاعتناء﴾** اى وليزداد اعتناء الامة بذكر هذه الكلمة بسبب معرفتهم اوّلا وحدانيته فانه تعالى لما اخبر ان الله تعالى شهد انه لا اله الا هو وشهدت الملائكة واولوا العلم بذلك صار التقدير كأنه قيل يا امة محمد قولوا انتم على وفق شهادتى وشهادة الملائكة واولى العلم لا اله الا هو فكان الغرض من الاعادة ذكر هذه الكلمة على وفق تلك الشهادة **﴿قوله والحكم به بعد اقامة الحجة﴾** فانه تعالى لما اقام حجة الواحدانية باخباره بتلك الشهادات كرره بعدها للحكم بما انتجت الحجة **﴿قوله فيعلم انه الموصوف بهما﴾** اى كمال العلم فان الالوهية والقيام بالقسط لايتم الا اذا كان عالما بمقادير الحاجات وكان قادرا على تحصيل المهمات **﴿قوله وهو التوحيد والتدرّع بالشرع﴾** بناء على ان الاسلام هو الاستسلام والانقياد ظاهرا وباطنا روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال نزل قوله ان الدين عندالله الاسلام حين افتخر المشركون باديانهم وقال كل فريق منهم لادين الا ديننا وهو دين الله تعالى منذ بعث آدم عليه الصلاة والسلام فكذبهم الله تعالى وقال ان الدين عندالله الاسلام الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام وهو الدين الحق منذ بعث الله تعالى آدم وما سواه من الاديان فكله اباطيل والاسلام هو الاستسلام كذا فى التيسير **﴿قوله او اجراء شهد مجرى قال تارة﴾** فيكسر انه لذلك ومجرى علم اخرى فتفتح ان لذلك الا ان ما جرى مجرى علم لابدّ ان يكون مقدرا لان الفعل المذكور لايجرى مجراهما لامتناع استعمال اللفظ الواحد فى معنيين حقيقيين او مجازيين او مختلفين **﴿قوله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده﴾** قال الربيع ان موسى عليه الصلاة والسلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من بنى اسرآئيل فاستودعهم التوراة واستخلف عليهم يوشع بن نون فلما مضى القرن الاوّل والثانى والثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين اوتوا الكتاب من ابناء اولئك السبعين حتى فرّقت بينهم الدنيا ووقع الشرّ والاختلاف وذلك من بعدما جاءهم العلم يعنى بيان ما فى التوراة بغيا بينهم اى طلبا للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقال محمد بن جعفر نزلت فى نصارى نجران فان اهل الانجيل اختلفوا فى امر عيسى عليه الصلاة والسلام وفرقوا القول فيه بعدما جاءهم العلم بان الله واحد وان عيسى عبده ورسوله **﴿قوله عطف على التاء﴾** وحسن لوجود الفصل بالمفعول او مفعول معه كل واحد من الوجهين يوهم خلاف المراد لان المراد اسلمت وجهى لله واسلموا وجوههم لله وكل واحد من الوجهين المذكورين يوهم ان يكون المعنى انه عليه الصلاة والسلام اشترك معهم فى اسلام وجهه لله كما اذا قلت اكلت رغيفا وزيد

لزم ان يكون المتكلم وزيد شريكين فى اكل الرغيف او قلت اكلت الرغيف وعمرا بمعنى مع عمرو فانه يدل ايضا على ان عمرا مشارك لك فى اكل الرغيف ولا معنى ههنا لمشاركة الاتباع اياه عليه الصلاة والسلام فى اسلام وجهه فلابدّ من حمل الكلام على خلاف الظاهر اعتمادا على ظهور المراد ﴿قوله لما وضحت لكم الحجة﴾ يعنى ان اقامتها وايضاحها يقتضى العمل بمقتضاها فأسلموا فان المقصود من الاستفهام فى مثل هذا المقام الامر قال النحويون انما جاء الامر فى صورة الاستفهام لكون الاستفهام بمنزلة الامر فى الدلالة على طلب الفعل واستدعائه الا ان فى التعبير عن معنى الامر بلفظ فى صورة الاستفهام فائدة زآئدة وهى تعيير المخاطب بكونه معاندا بعيدا عن الانصاف لان المنصف لايتوقف فى قبول الحجة بعد قيامها ونظيره قولك لمن لخصت له المسئلة غاية التلخيص والكشف والبيان هل فهمتها فان فيه اشارة الى كون المخاطب بليدا قليل الفهم وقال تعالى فى الخمر فهل انتم منتهون وفيه اشارة الى تباعدهم عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطى المنهى عنه ﴿قوله فقد نفعوا انفسهم﴾ يعنى ان اهتدوا كناية عن هذا المعنى والا فلا فائدة فى الشرطية وكذا الكلام فى قوله انما عليك البلاغ روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال اهل الكتاب اسلمنا فقال عليه الصلاة والسلام لليهود * أتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله * فقالوا معاذ الله وقال للنصارى أتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله * فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا فقال الله عز وجل فان تولوا فانما عليك البلاغ اى تبليغ الرسالة وليس عليك الهداية اى انت الذى ليس عليه الا ابلاغ الادلة واظهار الحجة ﴿قوله هم اهل الكتاب الذين فى عصره عليه الصلاة والسلام﴾ بقرينة قوله تعالى فبشرهم اذ لا يتصوّر ان يخبر عليه الصلاة والسلام الاسلاف المنقرضين بان مصيرهم الى العذاب الاليم * واعلم انه تعالى لما ذكر حال من يعرض ويتولى وصفهم وبين طريق اعراضهم بثلاثة اوصاف الكفر وقتل الانبياء والآمرين بالقسط ولما ورد ان يقال كيف يصح ان يوصف من يعرض ويتولى فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بقتل الانبياء والآمرين بالمعروف ولم يقع منهم شئ من ذلك * اجاب عنه بقوله قتل اوّلوهم الانبياء ومتابعيهم يعنى ان هذه الطريقة لما كانت طريق اسلافهم صحت هذه الاضافة اليهم اذ كانوا مصوّبين لاسلافهم راضين بطريقتهم فان صنع الاب قد يضاف الى الابن اذا كان راضيا به وجاريا على طريقته ولان القوم كانوا يريدون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المؤمنين الا انه تعالى عصمهم منهم فلما كانوا فى غاية الرغبة فى ذلك صح ان يوصفوا به مجازا على مثال النار محرقة والسم قاتل اى ذلك من شأنهما اذا وجدا محلا قابلا يفعلان فعلهما * فان قيل قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق فما فائدة التقييد بذلك * والجواب ان المقصود بيان عظم ذنبهم من حيث انهم انما باشروا قتل هؤلاء السادات ميلا منهم الى الظلم المحض لا لاجل حق ثابت فى نفس الامر ولا فى زعمهم الباطل بدعوهم الى القتل ﴿قوله ومنع سيبويه ادخال الفاء فى خبر انّ﴾ اى كما يمنع دخولها فى خبر ليت ولعلّ بالاتفاق اى ان المبتدأ اذا تضمن معنى الشرط سوآء كان اسما موصولا او نكرة موصوفة يكون بمنزلة كلمة الشرط ومشابها لها وتكون الصلة والصفة بمنزلة فعل الشرط ويكون الخبر بمنزلة جزآء الشرط فتدخله الفاء الا ان الخبر لما لم يكن جزآء حقيقة جاز تجريده من الفاء ايضا واذا دخلت على المبتدأ المذكور نواسخ الابتدآء زالت مشابهته لكلمة الشرط لان كلمة الشرط يلزمها الصدارة فلا يدخلها نواسخ الابتدآء لان تلك النواسخ تؤثر معنى فى الجملة وقد تقرّر ان ما يؤثر فى الجملة لا يدخل على جملة مصدّرة بما تلزمه الصدارة فلما زالت مشابهة المبتدأ المذكور لكلمة الشرط بدخول نواسخ الابتدآء قال الجمهور ان كان الناسخ انّ لا يمتنع دخول الفاء فى خبرها بخلاف سائر النواسخ بناء على انّ انّ لكونها لتحقيق مضمون ما دخلت هى عليه لا تغير معنى الابتدآء ولا تؤثر معنى فى الجملة ونقل عن الاخفش انه يجيز زيادة الفاء فى خبر المبتدأ مطلقا نحو زيد فوجيه وانشد

*وقائلة خولان فانكح فتاتهم *وسيبويه يؤوّل مثله بنحو هذه خولان فانكح ﴿قوله ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم﴾ وعلى هذا فى الآية تقديم وتأخير ومحل فبشرهم بعد قوله أولئك الذين حبطت اعمالهم اى بطلت والمراد باعمالهم ما هم عليه من ادّعائهم التمسك بالتوراة واقامة شريعة موسى عليه الصلاة والسلام والمراد ببطلانها فى الدنيا تبدّل مدحهم بالذم وثنائهم بالعيب وانهم لم تحقن دماؤهم واموالهم وفى الآخرة انهم لم يستحقوا بها مثوبة فصارت كأن لم تكن ﴿قوله اى التوراة﴾ على ان يكون تعريف الكتاب للعهد ومن للتبعيض

(وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين) الذين لا كتاب لهم كمشركى العرب (ءأسلمتم) كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعييرلهم بالبلادة او المعاندة (فان أسلموا فقد اهتدوا) فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال (وان تولوا فانما عليك البلاغ) اى فلم يضرّوك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت (والله بصير بالعباد) وعد ووعيد (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم) هم اهل الكتاب الذين فى عصره صلى الله عليه وسلم قتل اوّلوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكنّ الله عصمهم وقد سبق مثله فى سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين ومنع سيبويه ادخال الفاء فى خبر انّ كليت ولعل ولذلك قيل الخبر (اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة) لان لهم اللعنة والخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (ومالهم من ناصرين) يدفعون عنهم العذاب (ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب) اى التوراة

او للبيان فعلى الاول يكون النصيب من ذلك المعهود هو مافهموا من معانيه و كدحوا فى تحصيله منه و هو وان كان
نصيبا عظيما فى نفسه الا انه بعض من معانى التوراة لتعذر احاطة البشر بجميع معانى كلام الله تعالى وعلى الثانى
يكون ما اوتوه نفس التوراة ومعنى ايتائها اياهم انزالها عليهم ﴿قوله او جنس الكتب﴾ على ان يكون تعريف
الكتاب للجنس ومن للتبعيض والنصيب هو التوراة الذى هو بعض من جنس الكتب وايتاؤه انزاله ﴿قوله يحتمل
التعظيم﴾ هو على تقدير ان تكون من للبيان والتحقير على ان تكون من لتبعيض ما اوتوه وما فهموه من التوراة
والمدراس بيت العلم والدراسة ﴿قوله تعالى يدعون﴾ حال من الذين اوتوا وقال ابن عباس فى رواية الضحاك المراد
بكتاب الله القرآن و هو قول قتادة دعوا الى القرآن بعد ان ثبت انه كتاب الله حيث لم يقدر بشر على معارضته
ليحكم القرآن بين اليهود و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم فحكم القرآن عليهم بالضلالة فأعرضوا عن حكم
القرآن ولم يؤمن به فريق من رؤساء اليهود وقيل المراد بكتاب الله التوراة لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
ان رجلا وامرأة من اليهود زنيا وكانا ذوى شرف وكان فى كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما ورجعوا فى امرهما
الى النبى صلى الله عليه وسلم على رجاء ان يكون عنده رخصة فى ترك الرجم فحكم عليه الصلاة والسلام بالرجم
فانكروا ذلك وقالوا جرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال صلى الله عليه وسلم * بيني وبينكم التوراة فان فيها الرجم
فمن اعلمكم * قالوا اعور ابن صوريا وكان رجلا اعور من احبار اليهود فى القدس فارسلوا اليه فقدم المدينة وجبريل عليه
الصلاة والسلام قد وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم * انت ابن صوريا * قال نعم
قال * انت اعلم اليهود * قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة فقال له * اقرأ * فلما اتى على آية الرجم
وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها فقال ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام ورفع كفه ثم قرأ على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى اليهود ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى
تضع ما فى بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك غضبا شديدا وانصرفوا
فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى ايضا انه عليه الصلاة والسلام دخل مدرسة اليهود وكان فيها جماعة منهم فدعاهم
الى الاسلام فقالوا على اىّ دين انت فقال عليه الصلاة والسلام * على ملة ابراهيم * فقالوا ان ابراهيم كان يهوديا قال
عليه الصلاة والسلام * فهلموا الى التوراة * فأبوا ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية فكل واحدة من هاتين الروايتين
المذكورتين فى سبب نزول هذه الآية دليل واضح على ان المراد بكتاب الله هو التورة فكأنه قيل انهم اذا أبوا
ان يجيبوا الى التحاكم الى كتابهم فلا تعجب من مخالفتهم كتابك ﴿قوله فيكون الاختلاف فيما بينهم﴾ تفريع على فعل
القراءتين يعنى ان نظم الآية سواء قرئ يحكم على بناء الفاعل او المفعول يقتضى ان يقع الاختلاف والتعادى بين
من اسلم من احبار اهل الكتاب وبين من لم يسلم منهم ثم يدعو المحققون منهم مخالفيهم الى كتاب علموا كونه كتاب الله
ليحكم بينهم وبين مخالفيهم بالحق وما ذكر فى سبب النزول وان اقتضى ان يكون الاختلاف فيما بينهم وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيدعوهم الى كتاب الله ليحكم بينهم وبينه الا انه خلاف ما يدل عليه النظم وظاهر عبارة
المصنف يوهم ان يكون قوله فيكون متفرعا على قرآءة البناء للمفعول ولا وجه له لان كون الاختلاف بينهم فقط
لا بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم انما فهم من رجوع ضمير بينهم الى الذين اوتوا نصيبا وهو مشترك بين القرآءتين
فينبغى ان يكون التفريع على مجموع القرآءتين لا على الثانية فقط ﴿قوله وفيه﴾ اى فى اطلاق قوله ليحكم بينهم
حيث لم يقل ليحكم فيما اختلفوا فيه من فروع الايمان وثمراته دليل على ان الادلة السمعية حجة فى الاعتقاديات
﴿قوله استبعاد لتوليهم﴾ يعنى ان كلمة ثم للتراخى الرتبى اذ لا تراخى فى الزمان ﴿قوله وانما ساغ﴾ اى جاز
تأخر ما انتصب حالا من النكرة مع ان الواجب ان يتقدم عليها كما فى قوله * لعزة موحشا طلل قديم * لتخصصها بالصفة فان
قوله منهم فى محل الرفع على انه صفة لفريق ولو جعله حالا من الضمير المستتر فى بينهم لم يحتج الى هذا الاعتذار ﴿قوله
بسبب تسهيلهم﴾ اشارة الى ان ذلك مبتدأ والجار بعده خبره اى ذلك التولى والاعراض بسبب تسهيلهم المبنىّ
على اقوالهم الباطلة فان تسهيل امر العقاب وتقليل مدته سوآء كان موجب العقاب كفرا او فسقا غير الكفر يوجب
التولى والعدول روى عنهم انهم كانوا يقولون مدة عذابنا سبعة ايام وهى عدد ايام الدنيا ومنهم من قال اربعين ليلة
على قدر مدة عبادة العجل وقال ابن عباس رضى الله عنهما زعمت اليهود انهم وجدوا فى التوراة ان ما بين طرفى
جهنم اربعين ليلة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وقالوا انما نعذب الى ان ننتهى الى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك

(قال)

او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض
او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم
والتحقير (يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم)
الداعى محمد عليه الصلاة والسلام وكتاب
الله القرآن او التوراة لما روى انه عليه
الصلاة والسلام دخل مدراسهم فقال له
نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على
اىّ دين انت فقال على دين ابراهيم
فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال
هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم فأبيا
فنزلت وقيل نزلت فى الرجم وقرئ ليحكم
على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما
بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية
حجة فى الاصول (ثم يتولى فريق منهم)
استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه
واجب (وهم معرضون) وهم قوم
عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما
ساغ لتخصصه بالصفة (ذلك) اشارة الى
التولى والاعراض (بانهم قالوا لن تمسنا
النار الا اياما معدودات) بسبب تسهيلهم
امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد
الزائغ والطمع الفارغ (وغرّهم فى دينهم
ما كانوا يفترون) من ان النار لن تمسهم الا
اياما قلائل او ان آباءهم الانبياء يشفعون
لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام
ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم

قال ابن عباس رضى الله عنهما اصل الجحيم سقر وفيها شجرة الزقوم فاذا اقتحموا جهنم تبادروا فى العذاب حتى انتهوا
الى شجرة الزقوم وملأوا بطونهم منها فيقول لهم خازن سقر زعمتم ان النار لن تمسكم الا اياما معدودات وقد خلت
اربعون سنة وانتم فى النار وما فى قوله ما كانوا يفترون اما مصدرية اى غرّهم افتراؤهم على الله بمثل قولهم نحن
ابناء الله واحباؤه ولا يعذبنا بذنوبنا الامدّة يسيرة وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات وقولهم نحن على
الحق وانت على الباطل واما موصولة اى الذى كانوا يفترونه والافترآء اختلاف الكذب ثم انه تعالى لما حكى عنهم
اغترارهم بالجهل بين انه سيجئ يوم يزول فيه ذلك الجهل وذلك الغرور فقال فكيف اذا جمعناهم وهو منصوب
بفعل مضمر تقديره فكيف يصنعون اوكيف يكون حالهم واذا جمعناهم ظرف محض غير متضمن لمعنى الشرط
والعامل فيه العامل فى كيف وقوله ليوم متعلق بجمعناهم اى لقضاء يوم اولجزآء يوم اولحسابه وقال الكسائى
اللام بمعنى فى والاوّل اظهر وابلغ لان اليوم لافائدة فيه الا مايوجد فيه من الافعال كالحساب والجزآء ولاريب
فيه صفة للظرف **﴿قوله استعظام﴾** يعنى ان كيف سؤال عن الحال وهذا الاستفهام المقصود منه
استعظام مايلحق بهم من الحال كأنه قيل على اىّ حال يكون من اغترّ بالدعاوى الباطلة اذا جمعوا ليوم الجزآء
﴿قوله جزآء ما كسبت﴾ الاحتياج الى التقدير انما هو على تقدير ان يحمل ما كسبت على عمل العبد واما ان حمل
على الثواب والعقاب فلا حاجة الى الحذف **﴿قوله وفيه دليل على ان العبادة لاتحبط﴾** لان احباطها ينافى
توفية جزآئها * قال الامام قوله تعالى ووفيت كل نفس ما كسبت يستدل به القائلون ان صاحب الكبيرة من اهل
الصلاة لايخلد فى النار اما الاوّلون فقالوا لاشك ان صاحب الكبيرة يستحق العقاب بتلك الكبيرة والآية دلت على
ان كل نفس توفى ما كسبت وذلك يقتضى وصول العذاب الى صاحب الكبيرة وجوابنا ان هذا من العمومات
المخصصة بادلة منفصلة كما ان المعتزلة خصصوها بمن لم يتب من معصيته وشرطوا فى توفية عقاب العاصى عدم توبته
بدليل منفصل واما اصحابنا فانهم يقولون ان المؤمن يستحق ثواب الايمان فلابدّ وان يوفى ثواب ذلك الايمان لقوله
تعالى ووفيت كل نفس ما كسبت فاما ان يقال يثاب فى الجنة اوّلا ثم ينقل الى دار العقاب وذلك باطل بالاجماع
واما ان يقال يعاقب اوّلا ثم ينقل الى دار الثواب فيثاب فيها ابدا مخلدا وهو المطلوب * فان قيل يجوز ان يقال
ان ثواب ايمانه حبط بعقاب معصيته * قلنا هذا باطل لما تقدّم فى سورة البقرة من ان القول بالمساقطة محال وايضا
فانا نعلم بالضرورة ان ثواب توحيده ستين سنة ازيد من عقاب شرب جرعة من الخمر والمنازع فيه مكابر وبتقدير
القول بصحة المساقطة يمتنع سقوط كل ثواب الايمان بعقاب شربة من الخمر وكان يحيى بن معاذ رضى الله عنه يقول ثواب
ايمان لحظة يسقط كفر ستين سنة فكيف يعقل ان ثواب ستين سنة يحبط بعقاب دون لحظة الى هنا كلام الامام
﴿قوله الميم عوض عن يا﴾ فان اصل اللهم عند البصريين يا الله فحذف حرف الندآء وعوّض عنه
هذه الميم المشدّدة لكونها عوضا عن حرفين ولذلك لايجتمعان فلا يقال يا اللهم وتعويض الميم المشدّدة عن حرف
الندآء من خصائص هذا الاسم الشريف فلا يجوز التعويض المذكور فى غيره فلا يقال زيدمّ عمروم كما ان دخول
يا عليه مع كونه معرّفا بلام التعريف من خصائصه وكاختصاصه بالتاء حال القسم وبقطع همزته فى يا ألله
وقال الكوفيون اصله يا ألله أمّنا بخير اى اقصدنا بخير من قولك أممت زيدا اى قصدته ومنه ولا آمّين البيت
الحرام اى قاصديه وقيل عليه لو كانت الميم المشدّدة بقية فعل محذوف لما صح ان يقال اللهم اغفرلنا الا بحرف
العطف لان التقدير يا الله أمّنا بخير واغفرلنا وارحمنا ولم نجد احدا يذكر هذا الحرف العاطف واجاب عنه الكوفيون
بان العاطف ترك بين الفعلين بناء على ان الفعل الثانى ليس مطلوبا مغايرا للفعل الاوّل بل الثانى تفسير الاوّل فكانه
قيل يا الله أمّنا بخير بان تغفرلنا فجعل الثانى عطف بيان للاوّل **﴿قوله وهو ندآء ثان﴾** بحذف حرف
الندآء اى يا مالك الملك وكذا قوله قل اللهم فاطر السموات والارض ولا يجوز ان يكون نعتا لقوله اللهم لان قولنا
اللهم مجموع الحرف والاسم وهذا المجموع لم يكن له صفة وقال المبرد والزجاج ان مالك وصف للمنادى المفرد لان هذا
الاسم ومعه الميم بمنزلته ومعه ياء الندآء فلا تمتنع الصفة مع الميم كما لاتمتنع مع يا **﴿قوله تعالى تؤتى الملك﴾**
قال الامام الملك هو القدرة والمعنى ان قدرة الخلق على كل مايقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى فهو الذى يقدر
على كل قادر ومقدوره وعلى كل مالك ومملوكه وقيل الملك ضبط الشئ المتصرّف فيه بالحكم والملك كالجنس له فكل
ملك ملك من غير عكس والملكوت يختص بملك الله تعالى وقيل المراد بالملك النبوّة قال مجاهد وسعيد بن جبير

(فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه)
استعظام لما يحيق بهم فى الآخرة وتكذيب
لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات روى
ان اوّل راية ترفع يوم القيامة من رايات
الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى
على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار
(ووفيت كل نفس ما كسبت) جزآء ما كسبت
وفيه دليل على ان العبادة لاتحبط وان المؤمن
لايخلد فى النار لان توفية ايمانه وعمله لاتكون
فى النار ولا قبل دخولها فاذا هى بعد الخلاص
منها (وهم لايظلمون) الضمير لكل نفس على
المعنى لانه فى معنى كل انسان (قل اللهم) الميم
عوض عن يا ولذلك لايجتمعان وهو من
خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام
التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله
يا الله أمّنا بخير فخفف بحذف حرف الندآء
ومتعلقات الفعل وهمزته (مالك الملك)
يتصرّف فيما يمكن التصرّف فيه تصرّف
الملاك فيما يملكون وهو ندآء ثان عند سيبويه
فان الميم عنده تمنع الوصفية (تؤتى الملك من
تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) تعطى منها ما تشاء
من تشاء وتسترد فالملك الاوّل عام والآخران
بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوّة ونزعها
نقلها من قوم الى قوم

والسدّي تؤتي الملك يعني النبوّة والرسالة * فان قيل قوله تعالى وتنزع الملك ممن تشاء يأبى عن حمله على النبوّة لانه
تعالى اذا اكرم عبدا بالنبوّة لاينزعها منه لان عزل النبي عن النبوّة اذلال والانبياء عباد مكرمون * والجواب عنه
من وجهين الاوّل انه تعالى اذاجعلها في نسل رجل ثم نزعها من نسله وشرّف بها انسانا آخر من غير ذلك النسل
صحّ ان يقال انه تعالى نزعها منهم واليهود كانوا يعتقدون ان النبوّة لاتكون الا في بني اسرآئيل فلما شرّف الله
تعالى بها محمدا صلى الله عليه وسلم صح ان يقال انه تعالى نزع ملك بني اسرآئيل الى العرب والثاني ان يكون المراد من
نزع الملك ممن يشاء ان لايعطيه ابتدآء لا ان يسلبه من بعد اعطائه ونظيره قوله تعالى الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور مع ان هذا الكلام يتناول من لم يكن في ظلمة الكفر قط وماحكاه عن الكفار من قولهم للانبياء
عليهم الصلاة والسلام لتعودنّ في ملتنا وقول الانبياء ومايكون لنا ان نعود فيها مع انهم لم يكونوا فيها قط
وعلى هذا القول تكون الآية ردّا على اربع فرق احداها الذين استبعدوا ان يجعل الله بشرا رسولا والثانية
الذين جوّزوا ان يكون الرسول من البشر الا انهم قالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم فقير وقالوا لولا نزّل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم والثالثة اليهود حيث قالوا ان النبوّة في اسلافنا واما قريش فليسوا اهلا للكتاب
والنبوّة والرابعة المنافقون فانهم كانوا يحسدون على النبوّة على مايحكى عنهم في قوله ام يحسدون الناس على ما آتاهم
الله من فضله ﴿قوله اذ لا يوجد شرّ جزئيّ مالم يتضمن خيرا كليا﴾ كما صرّح صاحب التجريد بقوله
الوجود خير محض فان وجود النفس مثلا يتضمن قدرة القادر عليه وكون الآلة قاطعة صالحة لان يتوسل بها
اليه وكذا الزمان يتضمن امورا وجودية كلها خيرات والشرّ في امثالها امور عدمية تابعة لهذه الامور الوجودية
﴿قوله اولان الكلام وقع فيه﴾ من حيث ان الآية نزلت تصديقا له عليه الصلاة والسلام فيما اخبر به
امته من الخير الموعود لهم وتفسير الآية على وفق ماروى في سبب نزولها اللهم مالك الملك مصرّفه ومدبره
كما يشاء تؤتي الملك من تشاء محمدا واصحابه وتنزع الملك ممن تشاء الروم والعجم وتعز من تشاء قال ابن عباس رضي
الله عنهما يريد المهاجرين والانصار وتذل من تشاء يريد الروم وفارس بيدك الخير في الدنيا والآخرة والمستكنّ
في صدعتها للضربة والبارز للصخرة والصدع الشق يقال صدعته فانصدع اي شققته فانشق والتصديع التفريق
وتصدّع القوم اي تفرّقوا والضمير المجرور في لابتيها للمدينة في الصحاح اللوبة واللابة ولابتا المدينة حرّتان يكتنفانها
والحرّة ارض ذات حجارة سود محرّقة كأنها احرقت بالنار واللام في لكأنّ جواب قسم محذوف اي والله لكأنّ
ومصباحا منصوب على انه اسم كأنّ وفي جوف بيت مظلم صفة مصباحا وخبر كأنّ محذوف اي ظهر والحيرة بكسر
الحاء مدينة بقرب الكوفة وفي الكشاف وصف قصور الحيرة بقوله كأنها انياب الكلاب ووجه تشبيهها بها صغرها
وانضمام بعضها الى البعض وصنعاء بالمد قصبة اليمن روى الامام الواحدي في الوسيط عن عليّ بن ابي طالب رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله
انه لااله الا هو وقل اللهم مالك الملك تؤتي الملك الى قوله وترزق من تشاء بغير حساب مشفعات فيمن يتلوهن يقول الله
تعالى انه لايقرأكنّ احد من عبادي دبر كل صلاة مكتوبة الاجعلت الجنة مأواه والا اسكنته حظيرة قدسي
والاقضيت له كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة * اللهم اجعلني ممن يعمل بهذا الحديث فانال سعادة الفضائل التي
وعدتها للعاملين ﴿قوله وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقب او بالزيادة والنقص﴾ فان
احدهما اذا اتصل بالآخر وجاء عقيبه بلافصل صار كأنه دخل فيه والقول بان معنى الايلاج الزيادة والنقص اقرب
الى اللفظ لانه اذا كان الليل طويلا بان بلغ خمس عشرة ساعة وقصر النهار فصار تسع ساعات يكون مانقص من
النهار زيادة في الليل وداخلا فيه والآية نظير قوله تعالى يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل * فان قيل ايلاج
الشئ في الشئ يقتضي اجتماع حقيقتهما بعد الايلاج كايلاج الخيط في الابرة والاصبع في الخاتم ونحوهما وحقيقتا
الليل والنهار لايجتمعان * قلنا الايلاج انما يقتضي اجتماع ذات الداخل مع ذات المدخول فيه سواء كان ذلك الاجتماع
مع بقاء وصفهما كما في ايلاج الماء في الكوز او مع زوال وصف احدهما ومغلوبيته كما في ادخال شئ يسير من الليل
في النهار فايلاج النهار في الليل وعكسه من قبيل الثاني لان ساعات احدهما تدخل في ساعات الآخر ويجتمع معها
وتتبدّل اوصافها ويلبس الداخل لباس مادخل فيه من ضوء وظلمة وجلاء وخفاء ﴿قوله نهوا عن موالاتهم﴾
اشارة الى ان لايتخذ نهي مجزوم بكسر الذال لالتقاء الساكنين والموالاة ضدّ المعاداة وكون المؤمن موليا للكافر

(وتعز من تشاء وتذل من تشاء) في الدنيا
او في الآخرة او فيهما بالنصر والادبار
والتوفيق والخذلان (بيدك الخير انك على
كل شئ قدير) ذكر الخير وحده لانه المقضيّ
بالذات والشرّ مقضيّ بالعرض اذ لا يوجد شرّ
جزئي مالم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب
في الخطاب اولان الكلام وقع فيه اذ روى
انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل
عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون ظهر
فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا
سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره
فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها
وبرق منها برق اضاء مابين لابتيها لكأنّ
مصباحا في جوف بيت مظلم فكبّر وكبّر معه
المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة
كأنها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال
اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم
ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها قصور
صنعاء واخبرني جبريل بان امتي ظاهرة على
كلها فأبشروا فقال الكافرون ألاتعجبوا ايمنيكم
ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب
قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون
الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشرّ
ايضا بيده بقوله انك على كل شئ قدير
(تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل
وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي
وترزق من تشاء بغير حساب) عقب ذلك ببيان
قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت
والحياة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على
ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك
ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج
الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر
بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي
من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من
موادّها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة
والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر
والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف
(لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء) نهوا عن
موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما
حتى لايكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن
الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية

يحتمل ثلاثة اوجه ان يكون راضيا بكفره و يواليه لاجله و المؤمن يكفر بهذا الوجه من الموالاة لان الرضى بالكفر وتصويبه كفر و الكفر ينافي الايمان وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر و ذلك غير ممنوع منه و ثالثها وهو الوجه المتوسط بين الوجهين الاولين وهو ان يوالي الكفار على وجه الركون اليهم والمعاونة و المظاهرة والنصرة على الوجه الذي يتوالى به المتوادون من اهل القرابات بالتعظيم و المحبة و الاستشارة في مهم مع اعتقاد ان دينه باطل فهذا لا يوجب الكفر الا انه منهي عنه لان الموالاة بهذا الوجه قد تجره الى استحسان طريقته و الرضى بدينه وذلك يخرجه عن الاسلام فلذلك هدد الله تعالى فيه فقال ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ اي من ولاية الله في شئ يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله تعالى رأسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي و موالاة عدوه ضدان قالوا

* تود عدوي ثم تزعم انني * صديقك ليس النوك عنك بعازب *

ليس الحمق عنك ببعيد وكتب بعضهم الى صديق له في جملة ما كتبه اليه انه من والى عدوك فقد عاداك * ومن عادى عدوك فقد والاك ﴿قوله من دون المؤمنين﴾ معناه من غير المؤمنين لان لفظة دون اسم لمكان هو اسفل من مكان آخر تقول زيد جلس دون عمرو اي في مكان اسفل من مكانه ومن كان مباينا لغيره في المكان فهو مغاير له فجعل لفظة دون مستعملة في معنى غير والمعنى ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ﴿قوله الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه﴾ والاحتراز منه اشارة الى ان تقاة منصوبة على انها مفعول به وذلك على ان يكون تتقوا بمعنى تخافوا وان يكون تقاة مصدرا واقعا موقع المفعول به حيث وضع قوله ما يجب اتقاؤه موضع تقاة ووضع قوله من جهتهم موضع منهم اشارة الى ان من ابتدائية متعلقة بالفعل قبلها ويحتمل ان يكون منهم حالا من تقاة قدمت عليها والمعنى لا تفعلوا ذلك الا لاجل تخوفكم امرا يجب الاحتراز عنه كائنا من جهتهم بان يغلب الكفار او بان يكون المؤمن بينهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان وهذا رخصة من الله تعالى حتى لو ثبت على الحق ظاهرا او باطنا وقتل كان اجره عظيما ﴿قوله او اتقاء﴾ اشارة الى ان تقاة منصوبة على انها مفعول مطلق واقعة موقع الاتقاء والعرب تضع بعض المصادر موضع بعض كما في قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا وضع موضع تبتلا وقوله وأنبتها نباتا حسنا ويحتمل ان يكون تقاة مصدر اتقى على الندرة والشذوذ قال في الصحاح اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة ومجيء المصدر على فعل او فعلة قليل نحو التهمة والتخمة والتؤدة ﴿قوله عليه الصلاة والسلام كن وسطا وامش جانبا﴾ اي كن فيما بين الناس ظاهرا وامش جانبا من موافقتهم فيما يأتون ويذرون وقيل معناه لا تجانب معاشرتهم ولكن جانب الخوض في امورهم وقيل ليكن جسدك مع الناس وقلبك مع الله عز وجل ﴿قوله يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها﴾ اشارة الى ان احضار العمل عبارة عن احضار جزائه او عن احضار ما يدل عليه من الصحائف التي كتب هو فيها فان نفس العمل عرض فلا يمكن اعادته واحضاره * والامد الغاية التي ينتهى اليها مكانا كان او زمانا قال السدي مكانا بعيدا وقال مقاتل كما بين المشرق والمغرب وقال الحسن تمنى احدهم ان لا يلقى عمله ابدا وقيل يود ان لم يعمله والمقصود تمني فقده سوآء حملنا لفظ الامد على الزمان او على المكان واشار بقوله من الخير والشر الى ان قوله وما عملت من سوء معطوف على قوله ما عملت من خير ﴿قوله من الضمير في عملت﴾ الظاهر ان يجعل حالا من ضمير تجد مقيدا بتعلقه بما عملت من سوء والتقدير تجد ما عملت من سوء محضرا حال ما تود بعده عنها ويحتمل ان يكون صفة للسوء والتقدير وما عملت من السوء تود ان بعد ما بينها وبينه ﴿قوله او خبر لما عملت﴾ اي ويحتمل ان تكون الواو في وما عملت للابتدآء لا للعطف ويكون ما عملت من سوء مبتدأ وتود خبره فلما لم يكن معطوفا على مفعول تجد اقتصر مفعول تجد على قوله ما عملت من خير ﴿قوله ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود﴾ ولو كانت شرطية لزم بقاء الشرط بلا جواب او انجزام الفعل ولم يرو الجزم فتعين الاول قال النحرير التفتازاني رحمه الله وعليه اعتراض مشهور وهو انه اذا كان الشرط ماضيا والجزآء مضارعا جاز فيه الرفع والجزم من غير تفرقة بين ان الشرطية واسماء الشرط ولا يمنعه انطباق القرآء على احد الجانبين وان كان مرجوحا وقد سمع الرفع والجزم في لسان العرب ومنه بيت زهير

* وان اتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرم *

(من دون المؤمنين) اشارة الى انهم الأحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة (ومن يفعل ذلك) اي اتخاذهم اولياء (فليس من الله في شئ) من ولايته في شئ يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعادين لا يجتمعان قال

تود عدوي ثم تزعم انني * صديقك ليس النوك عنك بعازب

(الا أن تتقوا منهم تقاة) الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع من موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا (ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) فلا تعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة (قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله) اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها (ويعلم ما في السموات وما في الارض) فيعلم سركم وعلنكم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه فكأنه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا) يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزآء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود

وقرئ ودّت و على هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقرآءة المشهورة (ويحذركم الله نفسه) كرّره للتأكيد والتذكير (والله رؤوف بالعباد) اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم اوانه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى) المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على مايقرّبها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيق ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقرّبه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول فى عبادته والحرص على مطاوعته (يحببكم الله ويغفرلكم ذنوبكم) جواب للامر اى يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقرّبكم من جناب عزه ويبوّئكم فى جوار قدسه عبرعن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة (والله غفور رحيم) لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت فى وفد نجران لماقالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل فى اقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل (قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا) يحتمل المضىّ والمضارعة بمعنى فان تتولوا (فان الله لايحب الكافرين) لايرضى عنهم ولايثنى عليهم وانما لم يقل فلا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولى كفر وانه من هذه الحيثية ينفى محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين

وقد يجاب بان رفع المضارع فى الجزآء شاذ كرفعه فى الشرط نص عليه المبرّد وشهد به الاستعمال حيث لم يوجد الا فى ذلك البيت وقد جاء الجزم فى القرءآن كثيرا كما فى قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم ومن كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيانؤته منهافلا وجه لحمل القرءآن العظيم مع كونه فى نهاية الفصاحة على الوجه الشاذ النادر **قوله وقرئ ودّت** بلفظ الماضى وعلى هذه القرآءة تكون كلمة ما شرطية وفى محلها حينئذ احتمالان الاوّل النصب بالفعل بعدها والتقدير اىّ شئ عملت من سوء ودّت فودّت جواب الشرط والاحتمال الثانى الرفع على الابتدآء والعائد على هذا المعنى محذوف تقديره وما عملته ويجوز ان تكون موصولة مرفوعة المحل بالابتدآء وودّت خبرها والمعنى الذى عملته من سوء ودّت لو ان بينها وبينه امدا وهو مختار المصنف حيث قال ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن اى فى ذلك اليوم فينبغى ان يحمل الكلام على مايفيد الكينونة والوقوع فى ذلك اليوم وما الشرطية لاتفيد الوقوع فان معنى ماصنعت صنعت ان صنعت هذا صنعت هذا **قوله اوانه لذو مغفرة وذو عقاب** فقوله تعالى والله رؤف بالعباد على الوجه الاوّل تذييل لما قبله وبيان الحكمة فى تحذيره عن عقاب نفسه حيث بين انه يمهل ولايهمل فلا تغترّوا بامهاله وتأهبوا اليوم حسابه وجزآئه وعلى الوجه الثانى انه من قبيل اتباع الوعيد بالوعد ليكون المكلف بين الخوف والرجاء ولو اقتصر على الاوّل لغلب عليه الخوف قيل لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الوعيد على وفد نجران قالوا هذا الوعيد لا يكون لنا فنحن ابناء الله واحباؤه فبين الله تعالى انه لا يحب الا من يتبع حبيبه فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله اذ كل من فرق العقلاء يدعى انه يحب الله ويطلب مرضاته وطاعته فقال لرسوله قل ان كنتم صادقين فى ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لاوامره ومتحذرين من مخالفته وما يوجب سخطه وهو تعالى لما ارسل رسوله لدعوة عباده الى سبيل مرضاته وايده بالمعجزات القاطعة ظهر وثبت ان مرضاته فى متابعة رسوله وسخطه فى مخالفته فمن ادعى محبة الله تعالى وخالف سنة رسوله فهو كذاب فى دعواه لان من احب آخر يحب خواصه والمتصلين به واكثر المتكلمين انكروا محبة الله تعالى واوّلوها وقالوا لامعنى لها الا امتثال اوامره وارادة طاعته فيما احبه وكرهه فيكون قوله تعالى تحبون الله استعارة تبعية شبهت ارادة نفوسهم طاعته وامتثال اوامره واحكامه بميل قلب المحب الى المحب ميلا لا يلتفت معه الى الغير وانما قالوا ذلك لانه تعالى لايشبه شيأ ولا يناسب طباعنا فكيف نحبه وانما يتصوّر منا الحب لمن هو من جنسنا فانا لانحب شيأ الا لاجل ان نلتذ بنيله والوصول اليه او ندفع الالم بنيله ومالم يمكن الوصول اليه فكيف نحبه وانما قالوا ذلك بناء على ان المحبوب لذاته هو اللذة ودفع الالم لان كل شئ لوكان محبوبا لشئ آخر لزم الدور او التسلسل فلابدّ ان ينتهى الى ماهو محبوب لذاته وهو اللذة ودفع الالم فاذا قيل العبد يحب الله فمعناه يحب طاعته وخدمته او يحب ثوابه واحسانه * واما محبة الله للعبد فهى عبارة عن ارادة ايصال الخيرات والمنافع اليه فى الدين والدنيا وهذا القول ضعيف لانا لا نسلم ان المحبة لا تتعلق بما لا يمكن الوصول الى ذاته والالتذاذ بها ويكون الكمال الذى ادرك فيه محبوبا لذاته دفعا للدور او التسلسل ولما فسرت المحبة بميل النفس الى الشئ وكان ذلك فى حقه تعالى محالا كانت المحبة المسندة اليه تعالى بقوله يحببكم الله من باب الاستعارة التبعية او من باب المشاكلة قال صاحب الكشاف من يطلب محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلاشك فى انه لايعرف ماالله ولايدرى مامحبة الله وما تصفيقه وطربه ونعره الا لانه صوّر فى نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشوقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصوّرها وربما رأيت ان المنى قدملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمق العامة حواليه قد ملأوا بالدموع اردانهم لما رأوا من حاله * وقال الامام خاض صاحب الكشاف فى هذا المقام فى الطعن على اولياء الله وكتب ههنا ما لا يليق بالعاقل ان يكتب مثله فى كتب الفحش فهب انه اجترأ على الطعن فى اولياء الله فكيف اجترأ على كتبه مثل ذلك الكلام الفاحش فى تفسير كلام الله نسأل الله العصمة والهداية **قوله يحتمل المضىّ** على معنى فان اعرضوا عنها وعن اطاعتها ويحتمل ان يكون مضارعا ويكون اصله تتولوا فحذف احدى التاءين فعلى هذا يكون الكلام جاريا على نسق واحد وهو الخطاب **قوله وانما لم يقل فلا يحبهم** يعنى ان مقتضى الظاهر اضمار مفعول يحب لتقدم ذكره مضمرا على انه فاعل تولوا لكنه وضع الظاهر موضع المضمر للعموم امااوّلا فليتناول اللفظ جميع الكفر فلو اضمر

لم يتناول اللفظ الا لمن كفر بسبب التولى عن اطاعتها و اما ثانيا فلانه لما وضع الكافرين موضع المتولين دل الكلام على ان التولى كفر و على ان التولى انما كان علة لانتفاء محبة الله عن المعرضين من حيث كونه كفرا و على اختصاص محبته تعالى بالمؤمنين والاضمار لايفيد هذا المعنى لعدم كونه متعرضا له ﴿ قوله بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ﴾ متعلق بقوله تعالى اصطفى و هو وان كان يتعدى بالباء كما فى قوله تعالى اصطفيتك على الناس برسالاتى الا انه ضمن معنى فضل فلذلك عدى بعلى حيث قيل اصطفاهم على العالمين و عداه المصنف بالباء على الاصل والاصطفاء فى اللغة الاختيار فمعنى اصطفاهم اى صفاهم من الصفات الذميمة و زينهم بالخصال الحميدة و جعلهم صفوة خلقه تمثيلا بما يشاهد من الشئ الذى يصفى و ينقى من الكدورة و يجوز فى صاد صفوة الحركات الثلاث و قيل ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لابد وان يكونوا مخالفين لغيرهم فى القوى الجسمانية والقوى الروحانية اما القوى الجسمانية فهى اما مدركة و اما محركة اما المدركة فهى اما الحواس الظاهرة واما الحواس الباطنة اما الحواس الظاهرة فهى خمس احداها القوة الباصرة و كان عليه الصلاة والسلام مخصوصا بكمال هذه الصفة لقوله عليه الصلاة والسلام * زويت لى الارض فرأيت مشارقها و مغاربها * و لقوله عليه الصلاة والسلام اقيموا صفوفكم و تأهبوا فانى اراكم من وراء ظهرى * و نظير هذه القوة حصل لابراهيم عليه الصلاة والسلام قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض و ذكر فى تفسيرها انه تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت من الاعلى والاسفل وليس هذا بمستبعد لان البصراء يتفاوتون فيروى ان زرقاء اليمامة كانت تبصر الشئ من مسيرة ثلاثة ايام فلا يبعد ان يكون بصر الانبياء عليهم الصلاة والسلام اقوى من بصرها و ثانيتها القوة السامعة و كان عليه الصلاة والسلام اقوى الناس فى هذه القوة لقوله عليه الصلاة والسلام * اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا و فيه ملك ساجد لله تعالى فسمع اطيط السماء * و روى انه عليه الصلاة والسلام سمع دويا و ذكر انه هوى صخرة قذفت فى جهنم فلم تبلغ قعرها الى الآن قيل لا سبيل للفلاسفة الى استبعاد هذا فانهم زعموا ان فيثاغورس راض نفسه حتى سمع حفيف الفلك * و نظير هذه القوة حصل لسليمان عليه الصلاة والسلام فى قصة النملة حين قالت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم فالله تعالى اسمع سليمان كلام النملة و أوقفه على معناه و حصل ذلك لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين تكلم مع الذئب والبعير والضب و ثالثتها قوة الشم كما فى حق يعقوب عليه الصلاة والسلام حين قال انى لأجد ريح يوسف لولا ان تفندون فأحس بها من مسيرة ثلاثة ايام و رابعتها قوة الذوق كما كان فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام * حين قال * ان هذا الذراع يخبرنى انه مسموم * و خامستها قوة اللمس كما فى حق الخليل عليه الصلاة والسلام حيث جعلت له النار بردا و سلاما وكذا قوة الذكاء * قال على رضى الله عنه علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف باب من العلم استنبطت من كل باب ألف باب فاذا كان حال الولى هكذا فكيف حال النبى عليه الصلاة والسلام واما القوى المحركة فمثل عروجه عليه الصلاة والسلام الى المعراج و عروج عيسى عليه الصلاة والسلام حيا الى السماء و رفع ادريس والياس على ما وردت به السنة والاخبار قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك * واما القوى الروحانية العقلية فلابد وان تكون فى غاية الكمال و نهاية الصفاء والحاصل ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس و من لوازم تلك النفس الكمال فى الذكاء والفطنة والترفع عن الكدورات الجسمانية والشهوانية فاذا كان الروح فى غاية الصفاء والشرف كان البدن فى غاية النقاء والنضارة فكانت هذه القوة المحركة والمدركة فى غاية الكمال لانها جارية مجرى انوار فائضة من جوهر الروح واصلة الى البدن و متى كان الفاعل كذلك كان القابل فى غاية الشرف والصفاء ﴿ قوله و به استدل على فضلهم على الملائكة ﴾ وجه الاستدلال ان الاصطفاء يدل على مزيد الكرامة و علو الدرجة و لما بين الله تعالى انه اصطفى آدم و اولاده من الانبياء على كل العالمين ادى ذلك الى التناقض لان الجمع الكثير اذا وصفوا بان كل واحد منهم افضل من كل العالمين يلزم كون كل واحد منهم افضل من الآخر و ذلك محال و لو حملناه على كونه افضل عالمى بلده او عالمى زمانه او عالمى جنسه لم يلزم التناقض فوجب حمله على هذا المعنى دفعا للتناقض و ايضا قال تعالى فى صفة بنى اسرائيل و انى فضلتكم على العالمين ولايلزم كونهم افضل من محمد صلى الله عليه وسلم بل قلنا المراد به عالمى زمان كل واحد منهم فكذا هنا فالجواب ان ظاهر قوله اصطفى آدم على العالمين يتناول كل من يصح اطلاق لفظ العالم عليه فيندرج فيه الملك غاية

﴿ ان الله اصطفى ادم و نوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل و بين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها و به استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسماعيل واسحق و اولادهما و قد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى و هرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اسعازار بن ابى يود بن يوزن بن زربابل بن سالتان بن يوحنا بن اوشا بن اموذن بن مشكى بن حازقار بن احاد بن يوثام بن عزريا ابن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود ابن ايشى بن عوبد بن سلمون بن ياعز بن نحشون بن عميار ابن رام بن حضروم بن فارض بن يهودا ابن يعقوب عليه السلام و كان بين العمرانين الف و ثمانمائة سنة

ماقى الباب انه ترك بعمومه فى بعض الصور لدليل قام عليه فيجوز ان يترك فى سائر الصور من غير دليل

﴿قوله حال﴾ اى اصطفاهم فى حال كون بعضهم من بعض و قوله بعضها من بعض فى موضع النصب على انه صفة ذرية و فسره المصنف بقوله متشعبة بعضها من بعض فجعل من بعض متعلقا بمتشعبة المحذوفة الواقعة صفة لقوله ذرية واحدة فان ابراهيم اعقب اسماعيل و اسحق فهما متشعبان من ابراهيم المتشعب من نوح المتشعب من آدم * و اولادهما كذلك الى آخر انبياء بنى اسرآئيل و الى خاتم الانبياء و المرسلين عليهم الصلاة و السلام متشعبون منهما ومن ابراهيم ونوح وآدم وآل عمران موسى وهرون من ذرية ابراهيم وآدم وكذا عيسى وامه مريم

﴿قوله فعلية من الذرّ﴾ بفتح الذال و هو البث و التفريق يقال ذررت الحب و الملح و الدوآء اذره ذرّا اذا فرقته و الذرّ ايضا جمع ذرّة و هى اصغر النمل و منه سمى الرجل ذرّا و كنى بابى ذرّ و سمى نسل الثقلين ذرية لان الله تعالى قد بثهم فى الارض او لان الله اخرج نسل آدم عليه الصلاة و السلام من صلبه كهيئة الذرّ

﴿قوله او فعولة من الذرء﴾ و هو الخلق يقال ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرأ و اصل ذرية ذرّوءة لينت الهمزة فصارت ياء فاجتمعت الواو و الياء و سبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء و ادغمت الياء فى الياء ثم كسر ماقبل الساكنة لتسلم الياء فصارت ذرية و سمى الاولاد ذرية لانه تعالى قال ذرياتهم و الآباء ذرية لانه تعالى ذرأ الاولاد منهم قال تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم اى آباءهم

﴿قوله فينتصب به﴾ فان قيل ان الله تعالى سميع عليم قبل ان قالت المرأة هذا القول فامعنى تقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت * اجيب بان سمعه تعالى لذلك الكلام مقيد بوجود ذلك الكلام و علمه تعالى بان تذكر ذلك مقيد بذكرها لذلك و التوقيت فى العلم و فى السمع انما يقع فى النسبة و التعلقات و ذلك لا ينافى ازلية ذاته تعالى و صفاته باسرها

﴿قوله و هذه حنة﴾ يريد ان المراد بامرأة عمران فى هذه الآية حنة بالحاء المهملة و النون بنت فاقوذا أم مريم البتول جدة عيسى عليه الصلاة و السلام ام امه الا انه وقع الاشتباه فى ان عمران زوج حنة هل هو عمران بن ماثان او هو عمران ابن يصهر ابو موسى وهرون وقدمر أن بين العمرانين ألفا وثمانمائة سنة * قال صاحب الكشاف فان قلت كان لعمران ابن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابى مريم التى هى اخت موسى وهرون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن اذن و عمران بن ماثان كانا فى عصر واحد و قد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت مريم فكان يحيى و عيسى ابنى خالة روى انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينما هى فى ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها و تمنته فقالت اللهم ان لك علىّ نذرا شكرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته و خدمه فحملت بمريم و هلك عمران و هى حامل ثم قال بعد مقدار صحيفة روى ان حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة و حملتها الى المسجد فوضعتها عند الاحبار و هم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم و صاحب قربانهم فجعل يتنازع فى كفالتها رؤس بنى اسرآئيل و احبارهم و ملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندى خالتها الى هنا كلام الكشاف فقد صرّح اوّلا بان ايشاع اخت مريم ثم قال ان ايشاع خالة لمريم و وافقه المصنف ايضا بعد صحيفة و الاخت لاتكون خالة فبين كلاميه تدافع و قيل فى التوفيق بينهما كان عمران تزوّج ام حنة فولدت ايشاع وكانت حنة ربيبة ثم تزوّج حنة بعد ذلك بناء على انه كان جائزا فى شريعتهم فولدت مريم فتكون ايشاع اخت مريم من الاب و خالتها ايضا و هذا توفيق جيد الا انه احتمال عقلى لا تؤيده الرواية

﴿قوله و كان هذا النذر مشروعا فى عهدهم﴾ و ذلك لانه كان الامر فى دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون الحكم ثم يخير بين الذهاب و المقام فاذا اراد ان يذهب ذهب و ان اختار المقام فليس له بعد ذلك خيار ثم ان حنة حرّرت ما فى بطنها مطلقا مع ان الاناث لاتصلح لذلك لما يصيبها من الحيض و الاذى اما لانها بنت الامر على تقدير الذكورة او لانها جعلت ذلك النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر و محرّرا حال من ما اى نذرت لك الذى فى بطنى محررا

﴿قوله و تأنيثه﴾ اى تأنيث الضمير الذى فى قوله فلما وضعتها و هو راجع الى ما و لفظها مذكر الا انه انث نظرا الى جانب المعنى فان المتكلم لما علم ان مدلول ما مؤنث جاز له تأنيث الضمير الراجع اليه * ولما اورد على هذا الجواب ان يقال على تقدير ان يكون تأنيث الضمير مبنيا على علم المتكلم بكون المعبر به عنه مؤنثا لزم ان يكون قولها رب انى وضعتها انثى بمنزلة ان يقال وضعت الانثى انثى * اجاب عنه بقوله وجاز انتصاب انثى حالا منه الخ و تقريره ان تأنيث الضمير ليس باعتبار علم المتكلم بكون المعبر عنه مؤنثا كما فى قوله فلما وضعتها ليلزم

﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ حال او بدل من الآلين او منهما و من نوح اى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض و قيل بعضها من بعض فى الدين و الذرية الولد يقع على الواحد و الجمع فعلية من الذرّ او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت ﴿ والله سميع عليم ﴾ باقوال الناس واعمالهم فيصطفى من كان مستقيم القول و العمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها ﴿ اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك مافى بطنى ﴾ فينتصب به اذ على التنازع و قيل نصبه باضمار اذكر و هذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن ان المراد زوجته و يرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان و تزوج بنته ايشاع و كان يحيى و عيسى عليهما السلام ابنى خالة من الاب روى انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هى فى ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد و تمنته فقالت اللهم ان لك علىّ نذرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم و هلك عمران و كان هذا النذر مشروعا فى عهدهم فى الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا ﴿ محرّرا ﴾ معتقا لخدمته لا اشغله بشئ او مخلصا للعبادة و نصبه على الحال ﴿ فتقبل منى ﴾ ما نذرته ﴿ انك انت السميع العليم ﴾ لقولى و نيتى ﴿ فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى ﴾ الضمير لما فى بطنها و تأنيثه لانه كان انثى و جاز انتصاب انثى حالا منه لان تأنيثها علم منه فان الحال و صاحبها بالذات واحد

كون التقييد بالحال لغوا بل باعتبار قاعدة اخرى وهى ان كل ضمير وقع بين اسمين مذكر و مؤنث وهما عبارتان عن مدلول واحد جاز فيه التذكير و التأنيث كما فى قولنا الكلام يسمى جملة و مانحن فيه من هذا القبيل فان ضمير انى وضعتها وقع بين قوله مافى بطنى و بين قوله انثى فان لفظ انثى حال بمنزلة الخبر فأنث الضمير العائد الى مانظرا الى مابعده من الحال من غير ان يعتبر فيه معنى الانوثة ليلزم اللغو وهذا المعنى هو المراد بقوله لان تأنيثها علم منه ﴿ قوله او على تأويل مؤنث ﴾ عطف على قوله لانه كان انثى ولا يلزم حينئذ ان يكون التقييد بالحال لغوا اذ لا اعتبار فى ان يقال رب انى وضعت النفس او النسمة او الجبلة انثى ﴿ قوله وانما قالته ﴾ جواب عما يقال اى فائدة فى هذا الاخبار وقد علم المخاطب فائدة الخبر اعنى الحكم ولازمها اعنى كون المخبر عالما بالحكم * وتقرير الجواب ان ماذكر من انحصار المقصود من القاء الكلام الخبرى فيما ذكر من الامرين انما هو فيما اذا كان المتكلم بصدد الاخبار و الاعلام والا فقد يلقى الكلام الخبرى لاظهار التحزن و التحسر ﴿ قوله وهو استئناف من الله تعالى ﴾ لما تحسرت منه وتحزنت على ان ولدت انثى قال الله تعالى انها لاتعلم قدر هذا الموهوب والله هو العالم بما فيه من العجائب وعظائم الامور فانه تعالى سيجعله وولده آية للعالمين وهى جاهلة بذلك لاتعلم شيأ منه فلذلك تحسرت وتحزنت ﴿ قوله وقرأ ابن عامر وضعت ﴾ اى بتاء المتكلم على ان تكون الجملة من تمام حكاية مقالة ام مريم لما تحزنت بولادتها انثى شرعت فى تسلية نفسها بان قالت ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة لان مقتضى قولها السابق ان تقول وانت تعلم بما وضعت وقوله وقرئ وضعت اى بكسر تاء المخاطبة على خطاب الله تعالى اياها بان يقول لها انك لاتعلمين قدر هذا الموهوب والله هو المنفرد بعلم مافيه من الفضائل والآيات ﴿ قوله ومابينهما اعتراض ﴾ على تقدير ان يكون كل واحد من قوله والله اعلم بما وضعت وقوله وليس الذكر كالانثى من كلام الله تعالى واما اذا كان جميع ماقبله من كلام ام مريم فلا اعتراض حينئذ بل يكون التقدير قالت انى وضعتها وقالت والله اعلم بما وضعت وقالت وليس الذكر كالانثى وقالت وانى سميتها مريم ﴿ قوله وفيه دليل ﴾ اى فى قولها وانى سميتها مريم فان معناه جعلت هذا اللفظ اسما فالذات الموضوع لها مسمى ولفظ مريم اسمها وجعله اسما لها تسمية وظاهر هذا الكلام يدل على ان عمران كان قدمات قبل وضع حنة مريم والا لما تولت الأم تسمية المولود لان العادة ان التسمية يتولاها الاباء ولما فاتها ان يكون مافى بطنها رجلا خادما للمسجد تضرعت الى الله تعالى فى ان يحفظها من الشيطان وان يجعلها من الصالحات ﴿ قوله فرضى بها ﴾ اشارة الى ان تقبل بمعنى الثلاثى المجرد نحو تعجب وعجب من كذا وتبرأ وبرئ منه والقبول مصدر قولهم قبل فلان الشئ اذا رضيه الا انه عبر عن معنى القبول بلفظ التقبل للدلالة على المبالغة فى اظهار القبول لان باب التفعل يدل على شدة اعتناء الفاعل باظهار ذلك الفعل كالتصبر والتجلد ونحوهما فانهما يفيد ان المبالغة فى اظهار الصبر والجلادة فكذا التقبل يفيد المبالغة فى اظهار القبول * فان قيل فلم لم يقل فتقبلها ربها بتقبل حسن حتى تكمل المبالغة * فالجواب ان لفظ التقبل وان افاد ماذكرنا الا انه يفيد نوع تكلف على خلاف الطبع واما القبول فانه يفيد معنى القبول على وفق الطبع فذكر التقبل اولا ليفيد الجد والمبالغة ثم ذكر القبول ليفيد ان ذلك القبول ليس على خلاف الطبع بل على وفق الطبع واحسن الوجوه والباء فى قوله بقبول حسن يحتمل ان تكون زائدة كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وكفى بالله وهذا على تقدير ان يكون القبول مصدر قبل يقبل فانه حينئذ لايكون للباء معنى بل لابد ان يقال فتقبلها قبولا حسنا ويحتمل ان تكون للآلة وهذا على تقدير ان يكون القبول اسما لما يتقبل به الشئ كالسعوط واللدود فان الاول اسم لما يسعط به والثانى لما يلد اى الدواء الذى يصب فى احد شق الفم ولديدا الفم جانباه والسعوط الدواء الذى يصب فى الانف والمسعط الاناء الذى يجعل فيه السعوط واختار المصنف هذا الوجه حيث قدم قوله بوجه حسن يقبل به النذائر وذلك الوجه قبول تلك الانثى مع انوثتها وصغرها فان المعتاد فى تلك الشريعة ان لايجوز التحرير الا فى حق غلام قادر على خدمة المسجد وههنا لما علم الله تعالى تضرع حنة قبل بنتها حال صغرها وعدم قدرتها على خدمة المسجد ﴿ قوله روى ان حنة ﴾ بيان لتسلمها عقيب ولادتها والسدانة مصدر بمعنى خدمة المسجد وفى الصحاح السادن خادم الكعبة وبيت الاصنام والجمع السدنة يقال سدن يسدن سدنا وسدانة ﴿ قوله دونكم هذه النذيرة ﴾ اى خذوها والتنافس الرغبة فى الشئ النفيس والتخاصم فيه والقربان بالضم مايتقرب به الى الله وهو فى الاصل

او على تأويل مؤنث كالنفس والجبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره (والله اعلم بما وضعت) اى بالشئ الذى وضعت وهو استئناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها (وليس الذكر كالانثى) بيان لقوله والله اعلم اى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت فتكون اللام للجنس (وانى سميتها مريم) عطف على ماقبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة (وانى اعيذها بك) اجيرها بحفظك (وذريتها من الشيطان الرجيم) المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم مامن مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة (فتقبلها ربها) فرضى بها فى النذر مكان الذكر (بقبول حسن) بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم

فقال زكريا انا احق بها عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فألقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اى بذى قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اى فأخذها فى اوّل امرها حين ولدت بقبول حسن (وأنبتها نباتا حسنا) مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها (وكفلها زكريا) شدّد الفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول اى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدّوا زكرياء مرفوعا (كلما دخل عليها زكريا المحراب) اى الغرفة التى بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس (وجد عندها رزقا) جواب كلما وناصبه روى انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس (قال يا مريم أنى لك هذا) من اين لك هذا الرزق الآتى فى غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها او ان يكون من كلام الله تعالى

مصدر قرب يقرب ثم جعل اسما لذلك وهذه الامّة يتقرّبون الى الله تعالى بان يذبحوا ذبيحة لله تعالى ويقسموها بين الفقراء وقربان تلك الامّة شئ يضعونه فى بيت لتنزل نار سماوية وتأكله كما قال تعالى حتى تأتينا بقربان تأكله النار وصاحب القربان من يتولى امر القرابين من المتقرّبين فى البيت الذى تنزل فيه النار من السماء ﴿قوله فطفا﴾ اى ارتفع يقال طفا الشئ فوق الماء يطفو طفوا وطفوّا اذا علا ولم يرسب اى ولم ينزل فى قعر الماء فقال زكريا انا احق بها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فألقوا فيه اقلامهم التى كانوا يكتبون بها الوحى على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح ثم ألقوا اقلامهم ثلاث مرّات ففى كل مرّة يرتفع قلم زكريا فوق الماء وترسب اقلامهم فاخذها زكريا ﴿قوله ويجوز ان يكون مصدرا﴾ عطف من حيث المعنى على قوله بوجه حسن فالباء على هذا ايضا للآلة والمعنى فتقبلها بامر ذى قبول حسن وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها فالوجهان متحدان فى حاصل المعنى ﴿قوله وان يكون تقبل بمعنى استقبل﴾ قسيم لقوله فرضى بها فى النذر مكان الذكر وتفعل بمعنى استفعل كثير فى كلامهم يقال تعجله بمعنى استعجله وتنقصه بمعنى استنقصه والحاصل ان القبول يحتمل ان يكون بمعنى ما يقبل به الشئ وان يكون مصدرا فكذا تقبل يحتمل ان يكون بمعنى رضى بها فى النذر وان يكون بمعنى استقبل وتلقى اى فاخذها فى اوّل امرها حين ولدت يقال استقبل الامر اذا اخذه فى اوّله وعنفوانه وعنفوان الشئ وانفوانه اوّله وعين العنفوان بدل من الهمزة ﴿قوله مجاز عن تربيتها﴾ اى استعارة تمثيلية فانه تعالى شبه حاله فى حسن تربيتها ونفعها بما يصلح فى جميع الاوقات بحال الزراع مع زرعه فانه لا يزال يتعهد زرعه ويسقيه ويحميه من الآفات ويقلع عنه ما عسى ينبت فيه مما يضر صلاحه وكماله فاطلق اسم المشبه به على المشبه ثم اشتق منه ﴿قوله وقصروا زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش﴾ فان ابن عياش روى عنه عاصم مدّ زكرياء منصوبا على انه مفعول ثان لكفل فانه تعدّى بالتضعيف الى اثنين اى ضمنها الله زكرياء وضمها اليه بالقرعة قال الامام محيي السنة وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم زكريا مقصورا والآخرون يمدّون يقال كفل يكفل كفالة وكفلا فهو كافل وهو الذى ينفق على انسان ويهتم باصلاح مصالحه وفى الحديث «انا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين» وقال تعالى اكفلنيها ﴿قوله اى الغرفة التى بنيت لها﴾ قيل لما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها وقيل ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد وجعل بابه فى وسطه لا يرقى اليه الا بالسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم قال الاصمعى المحراب الغرفة استدلالا بقوله تعالى اذ تسوّروا المحراب والتسوّر لا يكون الا من علوّ يقال تسوّر الحائط اذا استعلاه وقال الزجاج المحراب اشرف المجالس ومقدّمها وقيل كانت المساجد عندهم تسمى المحاريب والمحراب مفعال من الحرب لانه يحارب فيه الشيطان وهو فى اللغة اسم للموضع العالى الشريف وقال الحسن حين ولدت مريم لم تلتقم ثديا قط وكان يأتيها رزقها من الجنة فقال لها زكريا أنى لك هذا قالت هو من عند الله فتكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى عليه الصلاة والسلام حال صغره ﴿قوله من اين لك هذا الرزق﴾ قوله هذا الرزق مبتدأ ومن اين لك خبر قدّم عليه وجملة قال يا مريم استئناف وقيل معناه من اىّ جهة لك هذا لان أنى للسؤال عن الجهة واين للسؤال عن المكان ﴿قوله وهو دليل جواز الكرامة للاولياء﴾ لان حصول الرزق عندها على الوجه المذكور لا شك انه امر خارق للعادة ظهر على يد من لا يدّعى النبوّة وليس معجزة لبعض الانبياء لان النبىّ الموجود فى ذلك الزمان هو زكريا عليه الصلاة والسلام ولو كان ذلك معجزة له لكان عالما بحاله ولم يشتبه امره عليه ولم يقل لمريم أنى لك هذا وايضا قوله تعالى بعد هذه الآية هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة مشعر بانه لما سألها عن امر تلك الاشياء وذكرت له ان ذلك من عند الله هنالك طمع فى انخراق العادة بحصول الولد من المرأة الشيخة العقيمة العاقرة بناء على انه قد كان آيسا من الولد بسبب شيخوخته وشيخوخة زوجته فلو لم يعتقد ان ما رآه فى حق مريم من الخوارق وان ذلك العلم لم يحصل له الا باخبار مريم لما كانت رؤية تلك الخوارق فى حق مريم سببا لطمعه فى انخراق العادة بولادة العاقر والشيخ الكبير واذا كان كذلك ثبت ان تلك الخوارق ما كانت معجزة لزكريا عليه الصلاة والسلام ولا لنبىّ غيره لانعدامه فتعين انها كرامة لمريم عليها السلام مع كونها ارهاصا لعيسى عليه الصلاة والسلام فثبت المطلوب واما المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها دلالات صدق الانبياء ودليل النبوّة لا يوجد مع غير النبىّ

كما ان العقل المحكم لما كان دليلا على العلم لا جرم لا يوجد فى حق غير العالم ﴿قوله وبضعة لحم﴾ البضعة بفتح الباء القطعة من اللحم والباء فى قوله فرجع بها المصاحبة اى فرجع النبى صلى الله عليه وسلم مصاحبا تلك الهدية الى فاطمة رضى الله عنها وقال هلم اى تعالى ويستوى فيه الواحد والجمع والتأنيث والتذكير فى لغة اهل الحجاز قال تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا واهل نجد يصرّفونها فيقولون هلم هلما هلموا هلمى هلممن والاوّل افصح ﴿قوله فى ذلك المكان﴾ يعنى ان هنا ظرف مكان واللام للبعد والكاف حرف خطاب وهو وزان ذلك والمعنى ان زكريا عليه السلام لما رأى خوارق العادة عند مريم طمع فى خرق العادة فى حقه بان يرزقه الله الولد من الشيخة العاقرة فدعا فى ذلك المكان الذى رأى فيه ما رأى من امر مريم بان قال رب هب لى الآية ثم ان كون ما رآه من امر مريم حاملا للدعاء المذكور له وجهان الاوّل انه استدل بما رآه من امرها على كرامتها على الله تعالى ومنزلتها عنده فرغب فى ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة فى النجابة والكرامة على الله تعالى واذا كانت عجوزا عاقرا فقد كانت اختها كذلك والثانى انه تنبه لما رأى من امرها على جواز ولادة العاقر لان ظهور الفواكه فى غير اوانها بمنزلة ولادة العاقر من الشيخ فاى واحد من الامرين خطر بباله حمله ذلك على ان يدعو بذلك ولم يرض المصنف بالاحتمال الثانى استبعادا لكون مشاهدة وقوع الخوارق كرامة لولىّ سببا لتنبيه النبىّ لجواز وقوعها معجزة لنبى ﴿قوله اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان﴾ جوّز حمله على الزمان وهو معنى مجازى لهنالك مع جواز حمله على معناه الحقيقى الذى هو المكان تكثيرا للفائدة لان دعاءه فى زمان رؤية ما رآه من امر مريم عليها السلام يستلزم دعاءه فى مكان تلك الرؤية بخلاف الدعاء فى ذلك المكان فانه لا يستلزم الدعاء فى ذلك الزمان ﴿قوله اى من جنسهم﴾ اى وصل اليه النداء من جنس الملائكة دون غيرهم من الاجناس فان حكم الواحد من الجنس قد ينسب الى الجنس نفسه نحو فلان يركب الخيل وانما يركب واحدا من افراده والخيل والابل ونحوهما من اسماء الجموع ويقال بنوا فلان قتلوا زيدا والقاتل واحد منهم ومثله فى القرآن الذين قال لهم الناس وهم نعيم بن مسعود ان الناس يعنى اباسفيان والعطف بالفاء فى قوله فنادته الملائكة يؤذن بان التبشير وقع عقيب الدعاء ولفظ الملائكة لما كان جمعا مكسرا جاز فى الفعل المسند اليه التذكير باعتبار الجمع والتأنيث باعتبار الجماعة ﴿قوله تعالى وهو قائم﴾ جملة حالية من مفعول نادى وذكر لقوله يصلى اربعة اوجه احدها ان يكون صفة لقائم وثانيها ان يكون خبرا بعد خبر على رأى من يرى تعدد الخبر مطلقا نحو زيد شاعر فقيه وثالثها انه حال ثانية من مفعول نادى على رأى من يجوّز تعدد الحال ورابعها كونه حالا من المستتر فى قائم على التداخل ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى يبشرك﴾ بفتح الباء وسكون الباء وضم الشين وفى الصحاح بشرت الرجل ابشره بالضم بشرا وبشورا من البشرى وكذلك الابشار والتبشير ثلاث لغات والاسم البشارة والبشارة بالكسر والضم ﴿قوله تعالى مصدّقا﴾ حال مقدرة من يحيى قال الجمهور المراد بالكلمة هو عيسى عليه الصلاة والسلام وكان يحيى اوّل من صدّق بعيسى وآمن به وقرئ بآية كلمة الله وروحه وقال السدّى لقيت ام يحيى ام عيسى وهذه حاملة بعيسى وتلك بيحيى فقالت يا مريم شعرت انى حبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت امرأة زكريا فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله مصدّقا بكلمة من الله قال ابن عباس رضى الله عنهما ان يحيى كان اكبر سنا من عيسى بستة اشهر وكان يحيى اوّل من آمن وصدّق بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل ان رفع عيسى عليهما الصلاة والسلام * واعلم ان كلمة الله تعالى هو كلامه وكلامه على قول اهل السنة صفة قديمة قائمة بذاته وعلى قول المعتزلة صفة يخلقها الله تعالى فى جسم مخصوص دالة بالوضع على معانى مخصوصة ومن المعلوم بالضرورة ان ذات عيسى كما انها ليست من قبيل الاصوات والحروف ليست ايضا صفة قائمة بذات الله تعالى فوجب تأويل قوله تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته وقوله تعالى فى هذه الآية مصدّقا بكلمة من الله فقيل فى تأويله انه عليه الصلاة والسلام لما تكوّن بكلمة كن من غير توسط شئ من الاسباب المعهودة سمى كلمة لانه بها تكوّن وسمى روحا ايضا لانه تعالى احيى به من الضلالة كما يحيى الانسان بالروح وقد سمى الله تعالى القرآن روحا لذلك فقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ﴿قوله او بكتاب الله﴾ اى ويحتمل ان يراد بالكلمة كتاب الله تعالى وآياته كالتوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله تعالى المنزلة فعبر عن الجمع ببعضه كما تقول العرب انشدنى كلمة فلان اى قصيدته التى قالها وان طالت قال عليه الصلاة والسلام * اصدق كلمة قالها لبيد * الا كل شئ ما خلا الله باطل * وذكر لحسان رضى الله عنه الحويدرة الشاعر فقال لعن الله كلمته يعنى

روى ان فاطمة رضى الله تعالى عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلم يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرآئيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجمع اهل بيته وبقى الطعام كما هو فأوسعت على جيرانها (هنالك دعا زكريا ربه) فى ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى (قال رب هب لى من لدنك ذرّية طيبة) كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفاكهة فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لى من لدنك ذرّية لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة (انك سميع الدعاء) مجيبه (فنادته الملائكة) اى من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادى كان جبرآئيل وحده وقرأ حمزة والكسائى فناداه بالامالة والتذكير (وهو قائم يصلى فى المحراب) اى قائما فى الصلاة ويصلى صفة قائم او خبر او حال آخر او حال من الضمير فى قائم (أن الله يبشرك بيحيى) اى بان الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائى يبشرك ويحيى اسم اعجمى وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل (مصدّقا بكلمة من الله) اى بعيسى سمى بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التى هى عالم الامر او بكتاب الله سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته (وسيدا) يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم فى انه ماهمّ بمعصية (وحصورا) مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى روى انه مرّ فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت (ونبيا من الصالحين) ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة

(قال رب أنى يكون لى غلام) استبعادا من حيث العادة او استعظاما او تعجبا اواستفهاما عن كيفية حدوثه (وقدبلغنى الكبر) ادركنى كبر السنّ واثرفىّ وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون (وامرأتى عاقر) لاتلد من العقر وهو القطع لانهاذات عقر من الاولاد (قال كذلك الله يفعل مايشاء) اى يفعل مايشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اوكما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل مايشاء من خلق الولد اوكذلك الله مبتدأ وخبر اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل مايشاء بيان له او كذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر كذلك والله يفعل مايشاء بيان له (قال رب اجعل لى آية) علامة اعرف بها الحبل لأستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار (قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاثة ايام) ان لاتقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك ان يحبس لسانك الاعن الشكر واحسن الجواب ما اشتق عن السؤال (الارمزا) اشارة بنحو يد اورأس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام مادل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ماتلقنى فردين ترجف * روانف أليتيك وتستطارا (واذكر ربك كثيرا) فى ايام الحبسة وهو مؤكد لماقبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لايفيد التكرار (وسبح بالعشىّ) من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل (والابكار) من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار

قصيدته وقوله من الله فى محل جرّ على انه صفة لكلمة فيتعلق بمحذوف اى كلمة كائنة من الله وسيدا وحصورا ونبيا احوال ايضا كمصدقا ومن الصالحين صفة لقوله نبيا اى نبيا كائنا من اولاد الصالحين اوكائنا من عدادهم فان مراتب الصلاح لكونها متفاوتة جاز ان يمدح به الانبياء وان كانت النبوّة اشرف احوال نوع الانسان حتى ان سليمان عليه السلام مع كونه من جملة الانبياء قال وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين طلبا لأعلى مراتبه والظاهر انّ يكون فى قوله أنى يكون لى غلام تامّة وان الجار والظرف كلاهما متعلقان بيكون والمعنى من اين يحدث او كيف يحدث لى غلام فان زكريا عليه الصلاة والسلام لما ناداه الملائكة وبشروه بيحيى تعجب من مجيء الولد من الشيخين الكبيرين فراجع فى استكشاف وجهه وكيفية ظهوره الله تعالى فقال ذلك وقيل انه خطاب مع الملائكة والرب اشارة الى المربى ويجوز وصف المخلوق به فانه يقال فلان يربينى ويحسن الىّ * فان قيل لما تيقن زكريا بقدرة الله تعالى على كل ممكن فدعا ربه ان يهب له ذرية طيبة * فأجاب الله تعالى دعاءه وبشره بيحيى فلم تعجب منه ولم استبعده والشك فى قدرة الله تعالى لايقوم بشأنه اذلا يخفى على مثله انه لايلزم ان يكون كل انسان مخلوقا من نطفة سابقة عليه وان تكون تلك النطفة مخلوقة من انسان سابق عليها والا لزم التسلسل وقدم الحوادث المتولدة بالنوع فلابدّ من الانتهاء الى مخلوق خلقه الله تعالى لامن نطفة او من نطفة خلقها الله تعالى لامن انسان اشار المصنف الى جوابه بقوله استبعادا من حيث العادة الخ يعنى ان زكريا عليه الصلاة والسلام لم يقل هذا الكلام بناء على شكه فى قدرة الله تعالى وانكاره لما قال الملائكة وانما قاله استبعادا لتسببه عن غير الوجوه المعتادة والاسباب المعهودة اواستعظاما لقدرة الله تعالى لان الحادثة الواقعة على خلاف العادة ادل على عظم قدرة المحدث اوتعجبا من وقوعه من حيث خفاء سببه وهذه الوجوه الثلاثة مبنية على ان يكون قوله انى يكون لى ولد بمعنى من اين يكون أبأن يعطيه الله تعالى حال شيخوخته وشيخوخة زوجته ام بان يجعلهما شابين ام بان يرزقه الله تعالى ذلك الولد من امرأة اخرى واستفهامه عن كيفية الحدوث مبنى على ان يكون انى بمعنى كيف لايدل على كونه شاكا فى قدرة الله تعالى والكبر مصدر كبر الرجل يكبر كبرا اى ايس وبابه علم وقوله وامرأتى عاقر جملة حالية امّا من الياء فى قوله لى فيتعدد الحال على قول من يراه واما من الياء فى بلغنى والعاقر من لا يولد له رجلا كان او امرأة واكثر استعماله فى المرأة التى لاتحبل واشار المصنف بقوله لانهاذات عقر الى ان بناء عاقر للنسبة مثل تامر ولابن اوهو بمعنى مفعول اى معقورة ﴿قوله تعالى قال كذلك﴾ هذا القائل هو الرب المذكور فى قوله تعالى رب أنى يكون لى غلام وقدمرّ انه يحتمل ان يكون المراد به هو الله تعالى وان يراد جبريل عليه السلام لان الرب اذا استعمل مضافا يجوز اطلاقه على غيره تعالى واشار المصنف اوّلا الى ان الكاف فى كذلك فى محل النصب على انها صفة مصدر محذوف والتقدير ماذكره بقوله يفعل مايشاء من العجائب فعلا مثل ذلك الفعل وثانيا الى انها فى محل النصب ايضا على انها حال من الابوين المدلول عليهما بقوله يفعل مايشاء والتقدير يفعل مايشاء من خلق الولد من ابوين كائنين مثل ماانت عليه وزوجك ﴿قوله بيان له﴾ اى بيان للابهام فى اسم الاشارة ﴿قوله علامة اعرف بها الحبل﴾ اى حصول العلوق وذلك لان العلوق لايظهر فى اوّل الامر وذكر لمعرفته ثلاث فوائد المسرّة والبشاشة بوصول العطية المبشر بها وازدياد العبادة شكرا لله تعالى على انعامه وزوال مشقة الانتظار الى ظهور امارات العلوق وعلاماته ﴿قوله واحسن الجواب﴾ اى اوقعه واكثره حسنا مايقتضيه السؤال ويتفرع هو من السؤال طلب السائل معرفة وقت العلوق ليزيد فى العبادة شكرا * فاجيب بما يعينه على العبادة والشكر وهو احتباس لسانه الاعن الشكر ويدل عليه قوله تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشىّ والابكار ﴿قوله والاستثناء منقطع﴾ لان الرمز ليس من جنس الكلام اذالرمز هو الاشارة بالعين او الحاجب او نحوهما ثم انه لما ادّى ماهو المقصود من الكلام من الدلالة على مافى الضمير سمى كلاما وفسر الكلام بما يعمه ومايتركب من الحروف المسموعة قال الشاعر

اذا كلمتنى بالعيون الفواتر * رددت عليها بالدموع البوادر

فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا ﴿قوله وقرئ رمزا﴾ بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وقرئ رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وعلى القراءتين يكون حالا من ضمير زكريا المستكن فى تكلم ومن مفعوله معا كفردين فى البيت المذكور فانه حال من المنوى فى تلقنى ومن ضمير المتكلم وترجف اى تضطرب بشدة وهو مجزوم لانه جواب

الشرط والروانف جمع رانفة وهى طرف الالية الذى يلى الارض من الانسان اذا كان قائما والروانف بمعنى الرانفتين وجمع لأمن اللبس اذ لا يكون للانسان اكثر من رانفتين وتستطارا اصله تستطاران سقط النون للجزم وقيل اصله تستطارن فقلبت النون الفا للوقف ومعناه تتحرك وترتعش من شدة الخوف والباء فى بالعشى بمعنى فى والعشى جمع عشية وهى آخر النهار والعامة قرأوا والابكار بكسر الهمزة وهو مصدر ابكر يبكر ابكارا اى خرج بكرة او صار فى وقت البكرة ثم يسمى ما بين طلوع الفجر الى الضحى ابكارا كما يسمى اصباحا وقرئ شاذا والابكار بفتح الهمزة وهو جمع بكر بفتح الفاء والعين كسحر واسحار ﴿قوله تعالى واذ قالت الملائكة﴾ ان شئت جعلته معطوفا على الظرف قبله وهو قوله اذ قالت امرأة عمران وان شئت جعلته منصوبا بمقدر ﴿قوله كلموها شفاها﴾ قال اهل التفسير المراد بالملائكة ههنا جبريل عليه الصلاة والسلام وذلك لا يعلم الا بالخبر فان صح الخبر فهو كذلك والا فلا ولم يقل من قال ذلك من الملائكة من هو * قال الامام والقول بان القائل هو جبريل وان كان عدولا عن الظاهر الا انه يجب المصير اليه لان سورة مريم دلت على ان المتكلم مع مريم عليها السلام هو جبريل وهو قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا اى سوى الخلق لتستأنس بكلامه ثم قال واعلم ان مريم ما كانت من الانبياء لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم واذا كان كذلك كان ارسال جبريل اليها اما ان يكون لكرامة لها وهو مذهب من يجوز كرامات اولياء الله تعالى او ارهاصا لعيسى عليه الصلاة والسلام وذلك جائز عند الكعبى من المعتزلة او معجزة لزكريا عليه الصلاة والسلام وهو قول جمهور المعتزلة ومن الناس من قال ان ذلك كان على سبيل النفث فى الروع والالهام والالقاء فى القلب كما فى حق ام موسى عليه الصلاة والسلام فى قوله واوحينا الى ام موسى والارهاص من الرهص بالكسر وهو الصف الاسفل من الجدار وهو فى الاصطلاح تقدم ما يشبه المعجزة على دعوى النبوة كاظلال الغمام لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم الحجر والمدر وغير ذلك ﴿قوله واغناؤها برزق الجنة عن الكسب﴾ فكان يأتيها رزقها من عند الله تعالى على ما قال تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله قال الحسن ان امها لما وضعتها ما غذتها طرفة عين بل ألقتها الى زكريا فكان رزقها يأتيها من الجنة ﴿قوله وتطهيرها﴾ اى بان طهرها الله تعالى عن الكفر والمعصية وعن الافعال الذميمة والصفات القبيحة وعن مسيس الرجال وعن الحيض والنفاس قالوا وكانت مريم لا تحيض وعن تهمة اليهود وكذبهم ﴿قوله والثانى﴾ وهو اصطفاؤها على نساء العالمين فان جميع ما ذكر لم يتفق لغيرها من الاناث روى موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية * وهو حديث حسن يوافق الآية فى الدلالة على ان مريم افضل من جميع نساء العالمين وعن انس قال حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وآسية امرأة فرعون وهو يدل على ان هؤلاء الاربع افضل النساء ﴿قوله فى الجماعة﴾ مستفاد من قوله مع الراكعين وقوله بذكر اركانها فان كل واحد من القنوت وهو طول القيام والسجود والركوع من اركان الصلاة وتسمية الشئ بتسمية اشرف اجزائه مجاز مشهور فتكون الاجزاء الثلاثة وهى القيام والسجود والركوع مجازا عن الصلاة ويكون مع الراكعين مجازا عن المصلين وعبر عنها باركانها الثلاثة وفى جعل الركن مجازا عن الكل مبالغة فى المحافظة على اركانها ﴿قوله او ليقترن اركعى بالراكعين﴾ يعنى ان كون فواصل الآية هى النون يستدعى ان يكون مع الراكعين آخر الآية فلو اخر قوله واسجدى عن قوله واركعى لزم ان ينفصل واركعى عن قوله مع الراكعين وفى الكشاف ويحتمل ان يكون فى زمانها من يقوم ويسجد فى صلاته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع وهو قول المصنف للايذان بان من ليس فى صلاتهم ركوع ليسوا مصلين ﴿قوله ما ذكرنا من القصص﴾ اى من حديث حنة وزكريا ويحيى ومريم وعيسى وانما هو من اخبار الغيب فلا يمكنك ان تعلمه الا بالوحى فقوله ذلك مبتدأ ومن انباء الغيب خبره وجملة نوحيه اليك مستأنفة او صفة للغيب المعرف بلام العهد الذهنى على طريق قوله * ولقد امر على اللئيم يسبنى * وهو الظاهر لقوله التى لم تعرفها الا بالوحى ﴿قوله والمراد تقرير كونه وحيا﴾ جواب عما يقال لا شك ان المقصود من الآية بيان ان اخباره عليه الصلاة والسلام بنبأ الغيب على الوجه المطابق للواقع من دلائل صدقه عليه الصلاة والسلام فى دعوى النبوة بناء على ان الاخبار بالشئ على الوجه المطابق للواقع يتوقف على العلم به وطريق العلم منحصر فى المشاهدة والاستماع من اهل العلم

﴿واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كان معجزة زكريا او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل ألهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثانى هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامة السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين ﴿يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين﴾ امرت بالصلاة فى الجماعة بذكر اركانها مبالغة فى المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك فى شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعى بالراكعين للايذان بان من ليس فى صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقوله تعالى وأدبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك﴾ اى ما ذكرنا من القصص من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى ﴿وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم﴾ اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة او السماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقى ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل

وقرآءة اسفارهم والوحي وان ماعدا الوحي من طرق العلم منتف فتعين انه عليه الصلاة والسلام انما اخبر بتلك الانباء بالوحي وانه نبي حقا ثم انه تعالى لم ينف من طرق العلم الا المشاهدة ولا حاجة الى نفيها لكون انتفائها معلوما قطعا لان مشاهدة ماسبق على المشاهد سبقا زمانيا واستحالتها معلومة لكل احد بخلاف الاستماع من الاساتذة واصحاب التواريخ فانه وان كان منفيا في نفس الامر ايضا كالمشاهدة الا انه متوهم ليس استحالته كاستحالة المشاهدة فالتصريح بنفي مالا حاجة الى نفيه وترك التعرض لنفي ماينبغي التعرض لنفيه خلاف مقتضى الظاهر فاالوجه في ذلك* وتقرير الجواب ان ذلك انما وقع لنكتة وهي التهكم باليهود المنكرين لنبوته عليه الصلاة والسلام وان يوحى اليه وطريق التهكم منحصر في الثلاثة المذكورة لامحالة وانهم ينكرون الوحي ويعترفون ايضا بانه عليه الصلاة السلام ليس من اهل السماع والقرآءة للقطع بانه عليه الصلاة السلام لم يخالط الكتاب ولم يصاحب احدا من اهل الكتاب فلم يبق من طرق علمه الا المشاهدة ماخبر به من الوقائع فاذانفيت مع كون انتفائها معلوما قطعا ويقينا عندكل احدكان المقصود من نفيها التهكم بمنكري الوحي كأنه قيل ايها المنكرون لان اوحي اليه والمتهمون في دعوى نبوته ليس لكم في سبب الاتهام سوى احتمال المشاهدة والعيان وانه غاية السفاهة ونهاية الخذلان ومن اضل ممن عدل عن الاحتمال الثابت بالمعجزات الساطعة والبراهين القاطعة الى احتمال لايذهب اليه وهم احد واي حالة ادعى الى الضحك والاستهزآء والسخرية من حال هؤلاء ﴿قوله متعلق بمحذوف﴾ منصوب المحل به فان ايهم لايصح ان يكون ابتدآء استفهام لفساد المعنى ولايجوز تعليقه ليلقون لان التعليق بالاستفهام من خصائص افعال القلوب ويلقون ليس منها ولامما يحكى بعده الجمل فلابد من ان يقدر فعل له تعلق بيلقون لئلا ينقطع النظم فان قولهم ايهم يكفل مرتبط من جهة المعنى بيلقون فلما لم يصح تعليقه بالاستفهام وجب ان يتعلق بفعل مقدر ليبقى الارتباط المعنوي ووجب ان يكون الفعل المقدر ممايصح تعليقه بالاستفهام ويتعلق بيلقون بان يكون في موضع المفعول له وذلك قوله اي يلقونها ليعلموا وان لم يكن ممايصح تعليقه بالاستفهام فلابد ان يكون ممايحكى بعده الجمل ويكون في موضع الحال من فاعل يلقون اي يلقون قائلين ايهم يكفل مريم والظاهر في عبارة المصنف اويقولوا ان تكون بنون الاعراب اذلاوجه لكون يقولوا علة لالقاء الاقلام ولم يقدر ينظرون كماقدره الزمخشري لان التعليق من خواص افعال القلوب كماهو المشهور وهو ليس منها واما الزمخشري فقد اعتمد على ماذكره الشيخ ابن الحاجب من ان النظر فعل ادراكي يصح تعليقه بالاستفهام خاصة ﴿قوله بدل من اذقالت الاولى﴾ فيه بعد لكثرة الفاصل بين البدل والمبدل منه ﴿قوله اومن اذيختصمون﴾ والظاهر ان المراد بالبدل هو بدل الكل من الكل وذلك يستلزم اتحاد زمان الاختصام بزمان قول الملائكة وليس كذلك لان الاختصام وقع في زمن صغر مريم جدا وقول الملائكة وقع بعد ذلك بزمان مديد فكيف يصح الابدال من اذيختصمون بدل الكل فالمصنف اشار الى جوابه باعتبار كون زمان الاختصام والبشارة زمانا ممتدا متسعا يقع الاختصام في بعض اجزآئه والبشارة في بعض آخر فيكون قوله اذيختصمون اشارة الى جميع ذلك الزمان وكذاقوله واذقالت الملائكة يكون اشارة الى جميع ذلك الزمان فيكون الثاني عين الاول بهذا الاعتبار فيجوز ان يكون بدلا منه بدل الكل وقدشاع بينهم ان يعبر عن الزمان الواقع ظرفا للفعل بزمان ممتد يقع فيه افعال كثيرة نحو لقيته سنة كذا وفارقته في تلك السنة والحال ان الملاقاة وقعت في اول السنة والمفارقة في آخرها ومنه في قوله تعالى بكلمة منه في محل الجر على انه صفة لكلمة ومن لابتدآء الغاية لان سبب ظهور عيسى عليه الصلاة والسلام وحدوثه هو الكلمة الصادرة منه تعالى اطلق عليه لفظ الكلمة بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب وحدوث كل مخلوق وان كان بسبب هذه الكلمة الا ان السبب المتعارف للحدوث لما كان مفقودا في حق عيسى عليه الصلاة والسلام كان اسناد حدوثه الى الكلمة اتم واكمل فجعل عيسى عليه الصلاة والسلام بهذا الاعتبار كأنه نفس الكلمة كمايقال لمن غلب عليه الجود والكرم انه نفس الجود ومحض الكرم على سبيل المبالغة فكذا هنا ﴿قوله من الالقاب المشرفة﴾ بكسر الرآء المشددة ﴿قوله واشتقاقهما﴾ اي والقول باشتقاق المسيح من المسح وباشتقاق عيسى من العيس بفتحتين تكلف اذلامعنى لاشتقاق الاسماء الاعجمية من الالفاظ العربية ﴿قوله او بما طهره من الذنوب﴾ قيل كان ممسوحا بدهن طاهر مبارك يمسح به الانبياء ولايمسح به غيرهم قالوا وهذا الدهن من مسح به وقت الولادة فانه يكون نبيا وقيل انه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن ﴿قوله او مسح الارض﴾ اي

(ايهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا اويقولوا ايهم يكفل مريم (وماكنت لديهم اذيختصمون) تنافسا في كفالتها (اذقالت الملائكة) بدل من اذقالت الاولى ومابينهما اعتراض اومن اذيختصمون على أن وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا (يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم) المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لاطائل تحته

قطعها كما سمي الدجال مسيحا من حيث انه يمسح الارض اى يقطعها فى المدّة القليلة اومن حيث ان احدى عينيه ممسوحة وقوله تعالى اسمه مبتدأ والمسيح خبروعيسى بدل منه او عطف بيان او خبربعد خبر على رأى من يجوّز تعدّد الخبرلمبتدأ واحدوابن مريم يجوز ان يكون صفة لعيسى ويؤيده كتب الناس اياه بدون ألف ويجوز ان يكون خبرا ثالثا وقد صرّح المصنف بان المسيح لقب عيسى عليه الصلاة والسلام فيكون عيسى اسمه العلم قدّم اللقب على الاسم العلم لشهرة اللقب بالنسبة الى الاسم لان المسيح قلما يقع على مسمى يشتبه به وعيسى قديقع على عدد كثيرفيميز المراد من غيره بوصفه الموضح وهو ابن مريم ﴿قوله وابن مريم﴾ لما اختار ان المسيح وعيسى وابن مريم اخبار مترادفة اخبربها عن قوله اسمه اجاب عما يرد من انها صفات وليست باسماء * وتقرير الجواب انه ليس المراد بالاسم ما يرادف اللقب والعلم او مايعمهما فقط بل المراد به كل لفظ يكون علامة مميزة للمسمى عما سواه ولما كان ابن مريم اسما بهذا المعنى نظم فى سلك الاسماء واخبر بكل واحد من الالفاظ الثلاثة عن قوله اسمه ﴿قوله ولا ينافى تعدّد الخبر افراد المبتدأ﴾ لما ذهب الى ان هذه الالفاظ الثلاثة اخبار متعاقبة يستقل كل واحد منها بالخبرية عن شئ واحد وهو اسمه ورد عليه انه لايجوز عند بعض اهل العربية فاتقول فى توجيهه اجاب عنه اوّلا بان المبتدأ ايضا متعدّد بحسب المعنى وثانيا بان المراد بالاسم مايكون علامة للمسمى بحيث يعرف ويتميز بها المسمى عن غيره ومجموع هذه الالفاظ الثلاثة اسم واحد بهذا المعنى فلذلك وقعت خبرا عن شئ واحد وليس كل واحد منها مستقلا بالخبرية بل هو من باب حلو حامض * قال الامام فان قيل لم قال اسمه المسيح بن مريم والاسم ليس الاعيسى واما المسيح فهو لقبه واما ابن مريم فهو صفته * والجواب ان الاسم علم المسمى ومعرّف له فكأنه قيل الذى يعرف به اسم تلك الكلمة هو مجموع هذه الثلاثة والمصنف اشار الى هذا الجواب بقوله ويحتمل ان يراد ان الذى يعرف به الخ وثالثا بان الخبر هو المسيح وعيسى خبر مبتدأ محذوف * فان قيل لم ذكر ضمير اسمه مع كونه راجعا الى الكلمة * اجيب بانه ذكر اعتبارا لجانب المعنى فان المراد بها مذكر ﴿قوله وانما قيل ابن مريم﴾ يعنى ان حال توجه الخطاب الى مريم يقتضى ان يقال عيسى ابنك الا انه قيل عيسى بن مريم تنبيها لها على انها انما تلده من غير اب فلا ينسب ولدها الا الى امّه فيقال فى مقام تسميته وتمييزه عن غيره ابن مريم فلو قيل ابنك لم يلزم هذا المعنى ﴿قوله وتذكيرها﴾ يعنى ذكر الحال مع ان ذا الحال مؤنث نظرا الى جانب المعنى لان المراد بالكلمة الولد المكوّن بالكلمة كما ذكر ضمير اسمه لذلك ومعنى الوجيه ذو الجاه والشرف والقدر يقال وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه اذا صارت له منزلة رفيعة عند الناس والسلطان وقال بعض اهل اللغة الوجيه الكريم لان اشرف اعضاء الانسان وجهه فجعل الوجه استعارة عن الكرم والكمال ﴿قوله والوجاهة فى الدنيا النبوّة﴾ فلا يرد ان يقال كيف كان وجيها فى الدنيا مع ان اليهود عاملوه بما عاملوه كما انه تعالى سمى موسى وجيها حيث قال ياايها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها فانّ طعن بنى اسرآئيل فيه وايذآءهم اياه لم يقدح فى وجاهته وبناء التفعيل فى المقرّبين ليس للتكثير والمبالغة بل هو للتعدية لان التضعيف الواقع للمبالغة لايكسب الفعل مفعولا وهذا البناء قد عدّاه الى المفعول حيث بنى منه اسم المفعول بخلاف موّتت البهائم ﴿قوله تعالى ويكلم الناس﴾ معطوف على قوله وجيها اى وجيها ومكلما فان الجملة الفعلية الحالية مقدّرة بالاسم فجاز عطفها على الاسمية والكهل الذى اجتمع قوّته وتم شبابه واوّل سنّ الكهولة ثلاثون وقيل اثنان وثلاثون وقيل اربعون وآخر سنها خمسون وقيل ستون ويدخل فى سنّ الشيخوخة ﴿قوله فى المهد﴾ متعلق بمحذوف على انه حال من الضمير فى يكلم اى يكلم صغيرا وكهلا لان المراد انه يكلم الناس فى الحالة التى يكون الصبىّ فيها فى المهد لا انه يكلمهم حال كونه مضجعا فى المهد حقيقة ﴿قوله اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء﴾ اشارة الى جواب مايقال تكلمه حال كونه فى المهد من المعجزات واما تكلمه فى حال الكهولة فليس من المعجزات فاالفائدة فى ذكره * وتقريره ان تكلمه فى حال الطفولية والكهولة على حدّ واحد وصفة واحدة من غير تفاوت بان يكون كلامه فى حال الطفولية مثل كلام الانبياء والحكماء لاشك انه من اعظم المعجزات ﴿قوله والمهد مصدر﴾ يقال مهدت الفراش مهدا بسطته ووطأته وتمهيد العذر بسطه وكلام عيسى فى المهد هو قوله فى تبرئة امّه انى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا الى قوله ويوم ابعث حيا وحكى عن مجاهد قال قالت مريم كنت اذا خلوت انا وعيسى حدّثنى وحدّثته فاذا شغلنى عنه شان يسبح فى بطنى وانا اسمع قال ابن قتيبة لما بلغ عيسى بن مريم ثلاثين سنة ارسله الله الى بنى اسرائيل فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب

وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت فى سلكها ولا ينا فى تعدّد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذى يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير أب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب (وجيها فى الدنيا والآخرة) حال مقدّرة من كلمة وهى وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة فى الدنيا النبوّة وفى الآخرة الشفاعة (ومن المقرّبين) من الله وقيل اشارة الى علوّ درجته فى الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة (ويكلم الناس فى المهد وكهلا) اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمى به مايمهد للصبىّ من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله

ابن منبه جاءه الوحي على رأس ثلاثين سنة فمكث في نبوته ثلاث سنين واشهرا ثم رفعه الله وعلى التقديرين صح ان يقال انه بلغ زمن الكهولة وكلم الناس فيه ثم رفع الى السماء على بعض تفاسير من اول الكهولة واما قول من يقول ان اول سن الكهولة اربعون سنة فلابد ان يقول انه رفع شابا ولايكلم الناس كهلا الا بعد اى بنزل من السماء فى آخر الزمان فانه حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال **قوله** وذكر احواله المختلفة من الصبي الى الكهولة رد على وفد نجران فى قولهم ان عيسى كان آلها لانه من المعلوم عند كل احد ان التغيير مستحيل فى حق الاله **قوله** ومن الصالحين حال ثالث والظاهر انه حال رابع فان قوله وجيها حال وكذلك قوله ومن المقربين وقوله ويكلم الناس وقوله ومن الصالحين فهذه اربع احوال انتصبت من قوله بكلمة والمعنى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات والاحوال وجعل قوله يكلم الناس معطوفا على قوله بكلمة منه اسمه المسيح وجعل ايثار الاسمية فى جانب المعطوف عليه لقصد الاستمرار والثبات وفى جانب المعطوف اوثر الفعلية المضارعية لقصد التجدد والحدوث دليل على انه لارتبة اعظم من كون المرء صالحا لان المرء لايكون كذلك الا ان يكون فى جميع الافعال والتروك مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل ومعلوم ان ذلك يتناول جميع المقامات فى الدين والدنيا من افعال القلوب وافعال الجوارح **قوله** تعجب او استبعاد عادى على ان يكون انى يكون بمعنى من اين يكون فان التبشير به يقتضى التعجب مما يقع على خلاف العادة اذلم تجر عادة بان يولد ولد بلااب وقوله او استفهام على ان انى يكون بمعنى كيف يكون هذا الولد أبتزوج يقع فى المستقبل ام يخلق الله تعالى اياه ابتداء اى من غير مسيس **قوله** كلام مبتدأ اى مستأنف لامحل له من الاعراب سواء كان استئناف اخبار من الله او عن الله تعالى على اختلاف القرآن ولايلزم ان تكون الواو عاطفة البتة لان النحويين نصوا على ان الواو قد تكون للاستئناف بدليل ان الشعراء يأتون بها اوآئل اشعارهم من غير تقدم شئ يكون مابعدها معطوفا عليه ويسمونها واو الاستئناف ومن ذهب الى ان الواو لاتكون غير عاطفة البتة قدر ان الشاعر عطف كلامه على شئ هو فى نفسه ولكن الاول اشهر القولين **قوله** او عطف على يبشرك اى ان الله يبشرك بكلمة ويعلم ذلك المولود المعبر عنه بكلمة وهذا الوجه ظاهر على القرآءة بياء الغيبة واما على القرآءة بنون العظمة ففيه اشكال لان يبشرك خبر ان الله فلو كان نعلمه عطفا عليه يصير التقدير ان الله نعلمه وقيل فى تأويله انه من قبيل الالتفات من ضمير الغيبة الى ضمير التكلم ايذانا بالفخامة والتعظيم ورده النحرير التفتازانى رحمه الله بقوله واما حديث الالتفات ممالاينبغى ان يلتفت اليه لان التكلم فى الحكاية لايكون الا من الحاكي الاترى انك لو قلت قال عليه الصلاة والسلام * ان الله ارسل رياحا فتثير السحاب لم يكن كلام الله * وقيل فى دفع الاشكال اصل الكلام انا نبشرك ولما بلغ الملائكة ذلك الكلام الى مريم قالوا بطريق الغيبة ان الله يبشرك فلوحظ فى العطف ماهو اصل الكلام ونقل عن ابى حيان انه استبعد عطفه على يبشرك جدا لاستلزامه طول الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه **قوله** او وجيها لانه قدمر انه حال مقدرة فيجوز ان يعطف عليه جملة حالية فجعل فعلها مضارعا للتجدد والحدوث **قوله** والكتاب الكتبة يعنى انه مصدر بمعنى الخط والكتابة * والحكمة العلوم العقلية والشرعية وتهذيب الاخلاق وأخر تعليم التوراة عن تعليم الخط والحكمة لان التوراة كتاب الهى فيه اسرار عظيمة والانسان مالم يتعلم العلوم الكثيرة لايمكنه ان يخوض فى البحث عن اسرار الكتب الالهية ثم ذكر بعده تعليم الانجيل لان من تعلم الخط ثم تعلم العلوم ثم احاط باسرار الكتاب الذى انزله الله على من قبله من الانبياء فقد عظمت درجته فى العلم فاذا انزل الله عليه بعد ذلك كتابا آخر وقف على اسراره واطلع على حكمه وحقائقه لبلوغه الى ارفع مراتب الاستعداد وقوله منصوب بمضمر على ارادة القول اى على ان يكون ذلك الفعل المضمر معمولا لقول مضمر ايضا ووجه الاحتياج الى الاضمار انه لايصح عطفه على شئ من المنصوبات المذكورة قبله وهى وجيها ومن المقربين ويكلم وفى المهد ومن الصالحين وذلك لان الضمائر المتقدمة غيب وضمير قوله ومصدقا ورسولا فى حكم التكلم لتعلق قوله انى قد جئتكم ولما بين يديّ بهما فاحتيج الى ذلك التقدير ليناسب الضمائر ثم جوز كونه منصوبا بالعطف على الاحوال المتقدمة لتضمن الرسول معنى النطق وكذا مصدقا فيه ايضا معنى النطق فكأنه قيل وناطقا بانى قد جئتكم ومصدقا لمابين يديّ **قوله** وتخصيص بنى اسرآئيل لخصوص بعثه اليهم فان هذه الآية تدل على انه عليه الصلاة والسلام كان رسولا الى كل بنى اسرآئيل وانه لم يبعث الا اليهم وكان اول انبياء بنى اسرآئيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى بن مريم عليهم الصلاة والسلام وقال بعض

(اليهود)

وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن الالوهية (ومن الصالحين) حال ثالث من كلمة او ضميرها الذى فى يكلم (قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) تعجب او استبعاد عادى او استفهام عن انه يكون بتزوج اوغيره (قال كذلك الله يخلق مايشاء) القائل جبريل او الله تعالى وجبريل حكى لها قول الله تعالى (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك (ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لماهمها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء (ورسولا الى بنى اسرآئيل انى قد جئتكم بآية من ربكم) منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكأنه قال وناطقا بأنى قد جئتكم وتخصيص بنى اسرآئيل لخصوص بعثه اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم

اليهود انه عليه السلام كان مبعوثا الى قوم مخصوصين من بنى اسرآئيل او من غيرهم و على التقديرين تكون الآية رادّ لهم ﴿قوله نصب بدل أنى قد جئتكم﴾ فانه منصوب بنزع الخافض اذ الاصل بأنى فلذلك قرأ العامة أنى قد جئتكم بفتح الهمزة و اما قوله انى اخلق فقرآءة نافع بكسر الهمزة اما على اضمار القول او على الاستئناف وقرأ الباقون بفتح الهمزة اما على انها بدل من انى قد جئتكم او على انها بدل من آية فعلى هذا يكون محلها الجرّ اى و جئتكم بانى اخلق و هذا نفسه آية من الآيات و هذا البدل يحتمل ان يكون بدل كل من كل ان اريد بالآية شئ خاص وان يكون بدل بعض من كل ان اريد بالآية الجنس فانه قال بآية مع انه قد اتى بآيات امالان المراد بالآية الجنس واما لان الكل آية واحدة من حيث انه يدل على شئ واحد وهو صدقه عليه الصلاة و السلام فى دعوى الرسالة او على انها خبر مبتدأ محذوف و تقديره هى انى اخلق اى الآية التى جئت بها انى اخلق و هذه الجملة فى الحقيقة جواب لسؤال مقدر كانّ قائلا قال وما الآية فقال ذلك ﴿قوله و المعنى اقدر لكم﴾ فان الخلق فى الاصل هو التقدير كما فى قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين اى المقدرين و قد ثبت ان العبد لا يكون خالقا بمعنى التكوين والابداع فوجب ان يكون بمعنى التقدير و التسوية وقوله لكم متعلق بأخلق واللام للعلة اى لاجلكم بمعنى لتحصيل ايمانكم و دفع تكذيبكم اى أنّ الكاف فى قوله كهيئة الطير فى محل النصب على انه صفة مفعول محذوف اى اخلق لكم هيئة مثل هيئة الطير و الهيئة اما مصدر فى الاصل ثم اطلقت على المفعول اى المهيأ فالخلق بمعنى المخلوق و اما اسم لحال الشئ و ليست بمصدر و لما كان الكاف اسما بمعنى المثل صح ان يرجع اليه ضمير فيه و المعنى فأنفخ فى مثل هيئة الطير روى ان عيسى عليه الصلاة و السلام لما ادّعى النبوّة و اظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش تعنتا فاخذ طينا فصوّره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء و الارض قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الله تعالى قيل انما طلبوا منه خلق الخفاش لانه اعجب من سائر الخلق ومن عجائبه انه لحم و دم يطير بغير ريش و يلد كما يلد الحيوان و لا يبيض كما يبيض سائر الطيور و يكون له الضرع و يخرج منه اللبن و لا يبصر فى ضوء النهار و لا فى ظلمة الليل و انما يرى فى ساعتين ساعة بعد غروب الشمس و ساعة بعد طلوع الفجر قبل ان يسفر جدّا و يضحك كما يضحك الانسان و يحيض كما تحيض المرأة ثم اختلف الناس فقال بعض انه لم يخلق غير الخفاش و يؤيده قرآءة نافع فيكون طائرا بالالف على التوحيد وقال آخرون انه خلق انواعا من الطير و يؤيده قرآءة الباقين طيرا على الجمع فان الطير اسم جنس يقع على الواحد و على الجمع و لما دل القرآن على انه عليه الصلاة و السلام انما تولد من نفخ جبريل عليه الصلاة و السلام فى مريم و جبريل عليه السلام روح محض و روحانى محض فلا جرم كانت نفخة عيسى سببا للحياة و الروح ﴿قوله و ابرئ الاكمه﴾ عطف على اخلق و البرآءة التفصى من الشئ المكروه ملابسته و كذلك التبرى و الاكمه الذى هو اعمى و قيل الذى هو مطموس العين و ابرآؤه جعله بصيرا بعد الكمه قال الزمخشرى لم يوجد فى هذه الامة اكمه غير قتادة وعابه السدوسى صاحب التفسير قال الراغب و قد يقال لمن ذهبت عينه اكمه و انشد * كمهت عيناه حتى ابيضتا * خص عليه الصلاة و السلام هذين المرضين بالذكر لانهما اعييا الاطباء و كان الغالب فى زمن عيسى عليه الصلاة و السلام الطب فأراهم الله تعالى الامر المعجز من جنس ذلك قال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه الصلاة و السلام من المرضى فى اليوم الواحد خمسون ألفا من اطاق منهم ان يبلغه بلغه و من لم يطق مشى اليه عيسى و كان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان روى ان عيسى لما قال لهم ابرئ الاكمه و الابرص قالوا ان لنا اطباء يفعلون ذلك فذهبوا الى جالينوس و اخبروه بذلك فقال اذا ولد اعمى لا يبصر بالعلاج و الابرص اذا كان بحال اذا غرزت الابرة لا يخرج منه الدم لا يبرأ بالعلاج فان كان هو يحيي الموتى فهو نبى ليس بطبيب فرجعوا الى عيسى و جاؤا بالاكمه و الابرص فمسح بيده فأبصر الاعمى و برئ الابرص فآمن به بعضهم و جحد بعضهم و قالوا هذا سحر ثم قال عيسى عليه الصلاة و السلام و احيي الموتى باذن الله فاخبروا بذلك جالينوس قال الميت لا يعيش و لا يحيي بالعلاج فان كان هو يحيي الموتى فهو نبى ليس بطبيب فطلبوا منه ان يحيي الموتى فأحيي اربعة انفس عازر و كان صديقا له فارسل اخته الى عيسى عليه الصلاة و السلام فقالت ان اخاك عازر يموت فائته و كان بينه و بينه مسيرة ثلاثة ايام فأتاهم و اصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لامّه انطلق بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره و هو فى صخرة مطبقة فقال عليه الصلاة و السلام اللهم رب السموات السبع و الارضين السبع انك ارسلتنى الى بنى اسرآئيل ادعوهم الى دينك و اخبرهم انى احيي الموتى فأحى

(أنى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير) نصب بدل أنى قد جئتكم او جرّ بدل آية او رفع على هى انى اخلق لكم والمعنى اقدّر لكم و اصوّر شيأ مثل صورة الطير وقرأ نافع انى بالكسر (فأنفخ فيه) الضمير للكاف اى فى ذلك المماثل (فيكون طيرا باذن الله) فيصير حيا طائرا باذن الله نبه به على انّ احياءه من الله تعالى لا منه وقرأ نافع هنا وفى المائدة طائرا بالالف و الهمزة (و ابرئ الاكمه والابرص) الاكمه الذى ولد اعمى او الممسوح العين روى انه ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداوى الا بالدعاء (و احيي الموتى باذن الله) كرّر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية

عازر فقام عازر وودكه يقطر فخرج من قبره وبقي ولدله من العجوز * ومر بميت على عيسى محمول على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله فبقي وولدله * وابنة العاشر الذي يأخذ العشور قيل له اتحييها وقد ماتت امس فدعا الله تعالى فاحياها وعاشت وبقيت وولد لها وسام بن نوح دعا الله تعالى بالاسم الاعظم فخرج من قبره * روي ان القوم قالوا انت تحيي من كان موته قريبا فلعلهم لم يموتوا واصابتهم سكتة فأحي لنا سام بن نوح فقال عيسى عليه السلام دلوني على قبره فخرج القوم معه حتى انتهى الى قبره فدعا الله فخرج من قبره وقد شاب رأسه فقال له عيسى كيف شاب رأسك ولم يكن في زمانك شيب فقال له يا روح الله انك لما دعوتني سمعت من يقول اجب روح الله فظننت ان القيامة قد قامت فمن هول ذلك شاب رأسي فسأله عن النزع فقال يا روح الله ان مرارة النزع لم تذهب من وقت موتي وكان قد مر من وقت موته اكثر من اربعة آلاف سنة فقال للقوم صدقوني فاني نبي فآمن به بعضهم وكذب به آخرون وقالوا هذا سحر فارنا آية اخرى نعلم بها انك صادق فاخبرنا بما نأكله في بيوتنا وما ندخره فاخبرهم وقال يا فلان انك اكلت كذا وكذا وادخرت كذا وكذا فذلك قوله تعالى وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فالله تعالى حكى ههنا خمسة انواع من معجزات عيسى عليه الصلاة والسلام النوع الاول ذكره بقوله انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير الآية والنوع الثانى والثالث والرابع ذكرها بقوله تعالى وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله تعالى والنوع الخامس ذكره بقوله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴿قوله تعالى ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين﴾ اشارة الى جميع ما تقدم من الخوارق واشير اليها بلفظ الافراد وان كانت جمعا في المعنى بتأويل ما ذكر وما تقدم والظاهر ان هذه الالفاظ من كلام عيسى عليه الصلاة والسلام ختم بها كلامه وان احتمل ان تكون من كلام الله تعالى وجواب قوله ان كنتم مؤمنين محذوف اى ان كنتم مؤمنين انتفعتم بذلك المذكور ﴿قوله عطف على رسولا على الوجهين﴾ اى سواء كان تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قدجئتكم اوحال كونه ناطقا باني قدجئتكم وبأني اصدق ما بين يدي قال الفراء والزجاج نصب مصدقا على الحال والمعنى وجئتكم مصدقا لما بين يدي وجاز اضمار جئتكم لدلالة اول الكلام عليه وهو قوله انى قدجئتكم بآية ويجوز ان يكون منصوبا بالعطف على محل بآية لان بآية في محل النصب على الحال اذ التقدير وجئتكم ملتبسا بآية ومصدقا ﴿قوله مقدر باضماره﴾ اى متعلق بفعل مضمر لدلالة ما تقدم عليه اى وجئتكم لاجل ﴿قوله اومردود على قوله انى قدجئتكم بآية﴾ اى منتظم معه في كونه من متعلقات قوله رسولا ومعطوفا عليه عطف احد المفعولين على الآخر كأنه قيل ارسلت رسولا باني قدجئتكم وارسلت رسولا لأحل لكم الا ان عطف المفعول له على المفعول به مما منعه النحاة ويمكن ان يقال ان قوله انى قدجئتكم بآية وان كان مفعولا به غير صريح لقوله رسولا الا انه يستفاد منه معنى العلية فيصح عطف قوله ولاحل لكم عليه كأنه قيل ارسلت رسولا لاجل ان اظهر لكم ما ابدى الله تعالى به من المعجزات ولاحل قال النحرير المحقق ولك ان تجعل الكل حالا فيستقيم العطف اى انى قدجئتكم ملتبسا بآية وكائنا لاحل ومصدقا لما بين يدي ومعنى قوله لاحل لابين لكم ما احل الله لكم وما حرم لانه ليس لاحد تحليل الحرام ولا عكسه ﴿قوله اومعطوف على معنى مصدقا﴾ اذ المعنى جئتكم لاصدق ما بين يدي ولاحل لكم * والثروب جمع ثرب وهو شحم غشاء الكرش والامعاء ﴿قوله ولا يخل ذلك﴾ اى لا يناقض كونه محللا بعض الذي كان محرما عليهم في التوراة كونه مصدقا للتوراة لان التصديق بالتوراة لا معنى له الا ان يصدق ان كل ما فيها حق وصواب حكم تعالى به لاقتضاء الحكمة ذلك الى ان ينزل ما ينسخه وانما يكون حكمه مناقضا لكونه مصدقا للتوراة ان لو كانت الاحكام المذكورة مقيدة بقيد التأبيد فاذا لم يكن التأبيد مذكورا في التوراة لم يكن حكم عيسى بتحليل ما كان محرما فيها مناقضا لكونه مصدقا بالتوراة كما ان ورود النسخ في الشريعة الواحدة يستلزم كون بعض احكامها مناقضا فان كل واحد من الناسخ والمنسوخ حق وصواب في وقته ﴿قوله وهي قوله ان الله ربي وربكم﴾ لما ذكر ان قوله تعالى وجئتكم بآية من ربكم ليس تأكيدا للجملة المتقدمة عليها المطابقة لها لفظا ومعنى بل هو تأسيس لبيان مجيئه اياهم بآية اخرى وهي قوله ان الله ربي وربكم اشار الى ان الوجه في قرآءة العامة ان الله بكسر الهمزة هو كون الجملة محكية بعد قول مضمر هو خبر مبتدأ محذوف والتقدير وهي قوله ان الله ربي وربكم ثم بين وجه كونه آية مع انه قد يصدر من بعض العوام بقوله فانه دعوة الحق وحاصله انه ليس المراد بالآية المعجزة حتى يقال مثل هذا

(وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها (ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين (ومصدقا لما بين يدي من التوراة) عطف على رسولا على الوجهين اومنصوب باضمار فعل دل عليه قدجئتكم اى وجئتكم مصدقا (ولأحل لكم) مقدر باضماره اومردود على قوله انى قدجئتكم بآية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولأطيب قلبك (بعض الذي حرم عليكم) اى في شريعة موسى عليه السلام كالشحوم والثروب والسمك ولحم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه السلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان (وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) اى جئتكم بآية اخرى ألهمنيها ربكم وهي قوله ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر

القول قديصدر عن بعض العوام فكيف يكون معجزة بل المراد بعدماثبتت نبوّته بالمعجزة كان ذلك القول منه لكونه طريق الانبياءودليل الاهتدآءعلامة لنبوّته يفيد المسترشدزيادة الاهتدآء ﴿قوله اوجئتكم بآية على ان الله ربى﴾ وجه ثان لكونه تأسيسا مبنى على قرآءة من فتح همزة ان الله واسقط الخافض وهو كلمة على المتعلقة بآية ﴿قوله بماذكرت لكم﴾ اى من خلق الطين كهيئة الطيروابرآءالاكمه والابرص واحياء الموتى والانباء بالغيوب الخفية على وجهها وغيرها من ولادتى بغيراب ومن كلامى فى المهد بكلام الانبياء والحكماء الى غير ذلك ﴿قوله تحقق كفرهم عنده﴾ قال بعض المفسرين الاحساس ههناعلى حقيقته وهى ادراك الشئ بعض الحواس الخمس التى هى السمع والبصر والشم والذوق واللمس والقوم تكلموا بكلمة الكفرفاحس عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك باذنه التى هى حاسة السمع ولم يلتفت المصنف الى هذا القول لان فعل الاحساس قدجعله فى القرآن متعلقا بالكفر وهو امر معنوىّ لايحس بالسمع فجعله من قبيل الاستعارة التبعية حيث شبه العلم الجلى عن الشبهة بالعلم الحاصل بالاحساس فجعله احساسا واشتق منه لفظ احس فسرت الاستعارة اليه تبعا والظاهر ان قوله تعالى منهم متعلق بمحذوف على انه حال من الكفر اى احس الكفرحال كونه صادرا منهم واختلفوا فى السبب الذى ظهربه كفرهم قال السدى انه تعالى لما بعثه رسولا الى بنى اسرآئيل جاءهم ودعاهم الى دين الله تعالى فتمرّدوا وعصوا فاختفى عنهم وخرج مع امه يسيحان فى الارض فاتفق انه نزل فى قرية على رجل فأحسن ذلك الرجل ضيافته وكان فى تلك القرية ملك جبار فجاء ذلك الرجل يوما حزينا فسأله عيسى عليه الصلاة والسلام عن السبب فقال ملك هذه المدينة رجل جبار ومن عادته ان جعل على كل رجل منا يوما يطعمه ويسقيه الخمر مع جنوده وهذااليوم يوم نوبتى والامر متعذر علىّ فلما سمعت مريم ذلك قالت يانبى الله ادع الله له ليكفيه ذلك فقال ياامّاه انى فعلت ذلك كان فيه شرّ فقالت قداحسن الينا واكرمنا فقال عليه الصلاة والسلام قولى له اذا قرب مجيئ الملك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمنى ففعل ذلك فدعاالله تعالى فتحول مافى القدور طبيخا ومافى الخوابى خمرا فلما جاءه الملك فأكل وشرب سأله من اين هذا الخمر فتلعثم الرجل فى الجواب فلم يزل الملك يطالبه الواقعة حتى اخبره حقيقة الحال فقال الملك ان من دعاالله فأجاب دعاءه وحوّل الماء القَراح طبيخا وخمرا اذا دعالى ان يحيى الله ولدى لابدّ وان يجاب وكان ابنه قدمات قبل ذلك بأيام فدعاعيسى وطلب منه ذلك فقال عيسى لاافعل فانه ان عاش وقع الشرّ فقال ماابالى اذا رأيته وكان احب الخلق اليه وكان يريدان يستخلفه ابوه قال عيسى عليه الصلاة والسلام ان احييته تتركونى وامى نذهب حيث شئنا قال نعم نتركك فدعاالله تعالى فاحيى الله الغلام فلما رأه اهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا اكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد ان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما اكلنا ابوه فاقتتلوا وذهب عيسى وامه عليهما السلام فمرّوا بالحواريين وهم يصطادون السمك فقال ماتصنعون قالوا نصطاد السمك قال افلا تمشون معى حتى تصطادوا الناس قالوا من انت قال عيسى بن مريم عبدالله من انصارى الى الله فآمنوا به وانطلقوا معه وصار امر عيسى مشهورا فى الخلق وقصد اليهود قتله واظهروا الطعن فيه والكفربه وقيل كان اليهود يظنون انه هو المسيح المبشربه فى التوراة وانه ينسخ دينهم فكانوا من اوّل الامر طاعنين فيه طالبين قتله فلما اظهر الدعوة اشتدّ غضبهم فاخذوا فى ايذآئه وايحاشه وطلب قتله فعند ذلك احس بأن من سوى الحواريين كافرون مصرون على انكار دينه وطلب قتله ﴿قوله ملتجئا الى الله اوذاهبا اليه﴾ يريد ان كلمة الى متعلقة بمحذوف على انه حال من الياء فى انصارى اى من انصارى ذاهبا الى الله او ملتجئا اليه اوضاما نصرته اياى الى نصرة الله تعالى اياى فيكون المحذوف حالا من المنوى فى انصارى كقوله تعالى لاتأكلوا اموالهم الى اموالكم اى لاتأكلوا اموالهم مضمومة الى اموالكم وكقوله عليه الصلاة والسلام «الذود الى الذود ابل» معناه الذود مضموما الى الذود الجوهرى قيل الى فيه بمعنى مع اى اذا اجتمع القليل مع القليل صار كثيرا قال الزجاج كلمة الى ليست بمعنى كلمة مع فانك لوقلت ذهب زيد الى عمرولم يجزان تقول ذهب زيد مع عمرو ولان الى تفيد الغاية ومع تفيد ضم الشئ الى الشئ بل المراد من قولنا الى ههنا بمعنى مع هو أنها تفيد فائدتها من حيث ان المراد من يضيف نصرته اياى الى نصرة الله تعالى اياى ﴿قوله من الذين يضيفون انفسهم الى الله﴾ المراد باضافة انفسهم اليه تعالى اضافة نصرتهم الى نصرته تعالى ﴿قوله خالصته﴾ ومنه يقال للدقيق حوّارى لانه هو الخالص منه وقال عليه السلام ان لكل نبى حواريا وحواريى من امتى الزبيرفعلى هذا الحواريون هم صفوة الانبياء الذين خلصوا

اوجئتكم بآية على ان الله ربى وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم بآية من ربكم اى جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاوّل لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اى لماجئتكم بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله فى المخالفة واطيعون فيماادعوكم اليه ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوّة النظرية بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرّر ذلك بأن بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم (فلما أحس عيسى منهم الكفر) تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس (قال من انصارى الى الله) ملتجئا الى الله اوذاهبا اليه اوضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصارى مضمنا معنى الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم الى الله فى نصرى وقيل الى هنا بمعنى مع اوفى او اللام (قال الحواريون) حوارىّ الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهنّ سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيّاتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه السلام من اليهود وقيل قصارون يحوّرون الثياب اى يبيضونها

واخلصوا في التصديق بهم في نصرتهم قال مجاهد والسدى كان الحواريون صيادين يصطادون السمك وسموا حواريين لبياض ثيابهم وذلك ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما خرج سائحا مرّ بجماعة يصطادون السمك وكان فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا وهو من جملة الحواريين الاثنى عشر فقال لهم عيسى انتم تصيدون السمك فان اتبعتمونى صرتم بحيث تصيدون الناس لحياة الابد قالوا ومن انت قال عيسى بن مريم عبدالله ورسوله فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيأ فامره عيسى عليه الصلاة والسلام بالقاء شبكته في الماء مرّة اخرى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق به واستعانوا باهل سفينة اخرى فملأوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عليه الصلاة والسلام فهم الحواريون وقيل كانوا ملوكا وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام على قصعة منها فكانت لا تنقص فذكروا الواقعة لذلك الملك فقال لهم أتعرفونه قالوا نعم فذهبوا وجاؤا بعيسى عليه الصلاة والسلام اليه فقال من انت قال عيسى بن مريم فقال له انى اترك ملكى واتبعك فتبعه ذلك الملك مع اقاربه فاولئك هم الحواريون وقيل ان امّه كانت سلمته الى صباغ ليعلمه وكان الصباغ اذا اراد ان يعلمه شيأ كان هو اعلم به فاراد الصباغ ان يغيب يوما لبعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة وقد جعلت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان بحيث يتم المقصود عند رجوعى ثم غاب فصنع عيسى عليه الصلاة والسلام حبا واحدا وجعل الجميع فيه وقال كونى باذن الله تعالى كما اريد فرجع الصباغ وسأله فأخبره بما فعله فقال قد افسدت علىّ الثياب قم فاخرجها فاخرجها فكانت ثوبا احمر وثوبا اصفر كما كان يريد الى ان اخرج الجميع على الالوان التى ارادوها فتعجب الحاضرون منه وآمنوا به وهم الحواريون وقال الحسن كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحوّرون الثياب اى يبيضونها قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثنى عشر من الملوك وبعضهم من صيادى السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه الصلاة والسلام واعوانه والمخلصين في محبته وطاعته ﴿قوله اى انصار دين الله﴾ اى انصار انبيائه قدّر المضاف لان نصرة الله تعالى في الحقيقة محال وقولهم آمنا بالله استئناف يجرى مجرى التعليل لقولهم نحن انصار الله والمعنى انه يجب علينا ان نكون من انصار الله لاجل انا آمنا بالله فان الايمان بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه ثم أشهدوا عيسى على اسلامهم وكمال انقيادهم له في جميع ما اراد منهم ليشهد لهم يوم القيامة لان كل نبى شاهد امّته فقالوا واشهد بانا مسلمون وبعد ما أشهدوه على انفسهم واسلامهم تضرّعوا الى الله تعالى وقالوا ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين الذين شهدوا لك بالتوحيد ولانبيائك بالتصديق واذا شهدوا عيسى عليه الصلاة والسلام على اسلام انفسهم حيث قالوا واشهد بانا مسلمون فقد اشهدوا الله تعالى على ذلك تأكيدا للامر وتقوية له وطلبا من الله تعالى مثل ثواب كل مؤمن شهد لله تعالى بالتوحيد وللانبياء بالتصديق وهذا معنى قول المصنف اى مع الشاهدين بوحدانيتك واما قوله او مع الانبياء او امّة محمد صلى الله عليه وسلم فمعناه ان القوم آمنوا بالله حيث قالوا في الآية المتقدمة آمنا بالله وآمنوا بكتبه حيث قالوا آمنا بما انزلت وآمنوا برسله حيث قالوا واتبعنا الرسول فوجب ان يكون مطلوبهم بقولهم فاكتبنا مع الشاهدين امرا زائدا على ما يستفاد من كلامهم السابق وهو طلب درجة الشاهدين وثوابهم فضلا زائدا على فضل من هو في درجة الحواريين فعند ذلك ذكر المفسرون وجوها الاوّل ما روى عن ابن عباس انه قال مع الشاهدين اى مع محمد وامّته فانهم هم المخصوصون باداء الشهادة قال تعالى وكذلك جعلناكم امّة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا والثانى هو المروىّ عن ابن عباس ايضا اكتبنا مع الشاهدين اى اكتبنا في زمرة الانبياء لان كل نبى شاهد لقومه وقد اجاب الله تعالى دعاءهم وجعلهم انبياء ورسلا فأحيوا الموتى وصنعوا كما صنع عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿قوله من يقتله غيلة﴾ الغيلة بالكسر الاغتيال يقال قتله غيلة وهو ان يخدعه فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله وذلك ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما خرج من قومه هو وامّه وعاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة هموا بقتله قال ابن عباس المكر الكيد في خفية ومداراة واكثر ما يستعمل فيه المكر مضافا الى الله تعالى هو استدراج العبد واخذه بغتة من حيث لا يعلم كما قال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال الزجاج مكر الله مجازاته على مكرهم فسمى الجزاء

(نحن انصار الله) اى انصار دين الله (آمنا بالله واشهد بانا مسلمون) لتشهد لنا يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم (ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) اى من الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امّة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس (ومكروا) اى الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة (ومكر الله) حين رفع عيسى وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل

باسم الابتدآء لانه فى مقابلته قيل المراد بمكر الله تعالى بهم فى هذه الآية انه رفع عيسى عليه الصلاة و السلام الى السماء و مامكنهم من ايصال الشرّ اليه وذلك ان يهودا ملك اليهود اراد قتل عيسى عليه الصلاة و السلام و كان جبريل عليه الصلاة و السلام لايفارقه ساعة و هو معنى قوله تعالى و ايدناه بروح القدس فلما ارادوا ذلك امره جبريل ان يدخل بيتا فيه روزنة فى سقف البيت فلما دخل البيت اخرجه جبريل من تلك الروزنة و كان قد القى شبهه على غيره فاخذ و صلب قيل انه عليه الصلاة و السلام لما دخل امر ملك اليهود رجلا من اصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل البيت و يقتله فدخل فلم ير عيسى فابطأ عليهم فظنوا انه يقاتله فيه فألقى الله عليه شبه عيسى عليه الصلاة و السلام فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه و صلبوه يظنون انه عيسى و هو يصيح انا ططيانوس فلم يلتفتوا اليه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى و بدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا و ان كان هذا صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم فذلك مكر الله بهم قيل لما صلب شبيه عيسى بن مريم جعلت ام عيسى و امرأة كان عيسى دعالها فابرأها الله تعالى من الجنون تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى فقال لهما على م تبكيان قالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعني و لم يصبني الا خير و ان هذا شخص شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى الارض الى مريم الحزينة فى جبلها فانه لم يبك عليك احد بكاءها و لم يحزن حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم اى فاجعلهم متفرقين فى الارض دعاة الى الله عز و جل فأهبطه الله تعالى عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا ثم جمعت له الحواريين فامرهم فكان كل واحد منهم يتكلم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله و مكروا و مكر الله و الله خير الماكرين قيل عاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين ﴿**قوله** و المكر من حيث انه فى الاصل حيلة﴾ اى احتيال فى ايصال الشرّ و الاحتيال محال فى حقه تعالى فسمى جزآء المكر مكرا كما سمى جزآء المخادعة بالمخادعة و جزآء الاستهزآء بالاستهزآء او ان معاملة الله تعالى معهم كانت شبيهة بالمكر فسميت مكرا على سبيل الاستعارة ﴿**قوله** اى مستوفى اجلك﴾ الجوهرى استوفى حقه و توفاه بمعنى و توفاه الله اى قبض روحه و الوفاة الموت قال صاحب الكشاف قوله انى متوفيك اى مستوفى اجلك و ذكر فيه اربعة اوجه الاوّل انى بنفسى مستوفى اجلك لا اسلط عليك من يقتلك و الثانى قابضك عن وجه الارض الى السماء فالمستوفى على الاوّل الاجل و على الثانى الشخص و الثالث مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء كأنه قيل سأتوفاك و اما الآن فلا و لا نظر الى انه يقتل فيما بعد او يموت حتف انفه و الرابع انى مستوفى نفسك بالنوم و الاوّل اظهر انتهى كلامه بعبارته فجعل استيفاء الاجل عبارة عن كونه متوليا بنفسه لاخذ اجله الذى هو مدة حياته ﴿**قوله** الى محل كرامتى﴾ جعل رفعه الى ذلك المحل رفعا اليه للتفخيم و التعظيم ﴿**قوله** و ان ينتصب بمضمر﴾ اى و يجوز ان ينتصب ذلك بفعل مضمر يفسره مابعده فالمسألة حينئذ من باب الاشتغال و اسند تلاوته الى نفسه كما اسند القصص الى نفسه فى قوله نحن نقص عليك احسن القصص مع ان التالى و القاص هو الملك المأمور بهما على طريق اسناد الفعل الى سببه الآمر و فيه تعظيم بليغ و تشريف عظيم للملك و انما حسن ذلك لان تلاوة جبريل عليه الصلاة و السلام لما كانت بامره تعالى من غير تفاوت اصلا اضيف ذلك اليه تعالى و الظاهر ان الآيات بمعنى العلامات الدالة على ثبوت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم لانها اخبار لايعلمها الا قارئ كتاب الله او من يوحى اليه و ظاهر انه عليه الصلاة و السلام ليس ممن يكتب و يقرأ فبقى انه عليه الصلاة و السلام انما اخبر بها بان اوحى اليه و يحتمل ان يكون المراد ان ذلك من آيات القرآن فيكون عطف قوله و الذكر الحكيم عليها من قبيل عطف الصفات كقوله

﴿ الى الملك القرم و ابن الهمـا ﴿ م و ليث الكتيبة فى المزدحم ﴾

الذكر الحكيم فيه قولان الاوّل ان المراد منه القرآن و كونه حكيما اما لكونه حاكما كالقدير و العليم بمعنى القادر و العالم و القرآن حاكم بمعنى ان الاحكام تستفاد منه و يجوز ان يكون الحكيم بمعنى ذى الحكمة فى تأليفه و نظمه و كثرة علومه و جوّز أن يكون بمعنى محكم لقوله تعالى كتاب احكمت آياته ثم فصلت الا ان الفعيل بمعنى المفعل قليل جدا نحو عقدت العسل فهو عقيد و معقد و حبست الفرس فى سبيل الله فهو حبيس و محبس و القول الثانى ان المراد بالذكر الحكيم ههنا اللوح المحفوظ الذى منه نقلت جميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة و السلام اخبر الله تعالى انه انزل هذه القصص مما كتب هنالك ﴿**قوله** تعالى ان مثل عيسى﴾ اجمع المفسرون على ان قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم نزل عند حضور وفد نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم و ذلك انهم قالوا

و المكر من حيث انه فى الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة و الازدواج (والله خير الماكرين) أقواهم مكرا و اقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب (اذ قال الله) ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك (يا عيسى انى متوفيك) اى مستوفى اجلك و مؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالى او متوفيك نائما اذ روى انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت و قيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء و اليه ذهبت النصارى (و رافعك الىّ) الى محل كرامتى و مقرّ ملائكتى (و مطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم او قصدهم (و جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يغلبونهم بالحجة او السيف فى غالب الامر و متبعوه من آمن بنبوته من المسلمين و النصارى و الى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم و لم يتفق لهم ملك و دولة (ثم الىّ مرجعكم) الضمير لعيسى عليه السلام و من تبعه و من كفر به و غلب المخاطب على الغائبين (فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من امر الدين (فأما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا و الآخرة و ما لهم من ناصرين و اما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم) تفسير الحكم و تفصيله و قرأ حفص فيوفيهم بالياء (و الله لا يحب الظالمين) تقرير لذلك (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى و غيره و هو مبتدأ خبره (نتلوه عليك) و قوله (من الآيات) حال من الهاء و يجوز ان يكون الخبر و نتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة و ان يكونا خبرين و ان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه (و الذكر الحكيم) المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه يريد به القرآن و قيل اللوح (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) ان شأنه الغريب كشأن آدم

(خلقه من تراب) جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلقه بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب
افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب (ثم قال له كن) اى انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر وقدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر (فيكون) حكاية حال ماضية (الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اى الحق المذكور من الله تعالى (فلا تكن من الممترين) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات اولكل سامع (فمن حاجك) من النصارى (فيه) فى عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) اى من البينات الموجبة للعلم (فقل تعالوا) هلموا بالرأى والعزم (ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله وألصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم (ثم نبتهل) اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم ابهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ماترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى رضى الله تعالى عنه خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال اسقفهم يامعشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية ألفى حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته

رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل وهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى السيدة البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط من غير اب فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم كأنهم قالوا يا محمد لما سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله تعالى فقال ان آدم ما كان له اب ولا ام ولم يلزم ان يكون ابوه هو الله وان يكون ابنا لله فكذا القول فى عيسى ومعنى المثل لغة الشبه ومعناه العرفى القول السائر المشبه مضربه بمورده ولا يضرب الا ماله غرابة فلذلك يستعار لفظ المثل لكل حالة غريبة وصفة عجيبة وشأن بديع تشبيها لها بمعناه العرفى فلذلك قال ان شأنه الغريب الخ ﴿قوله والمعنى خلق قالبه من التراب﴾ جواب عما يقال ظاهر نظم الآية يقتضى ان يكون خلق آدم وتكوينه مقدما على قول الله له كن ولا وجه له * وتقرير الجواب الاول ان المعنى كون قالبه ثم احياه والجواب الثانى ان الخلق ليس بمعنى التكوين والانشاء بل بمعنى التقدير والتسوية ويرجع معناه الى علم الله تعالى بكيفية وقوعه وارادته لايقاعه على الوجه المخصوص وكل ذلك مقدم على قوله كن والجواب الثالث ان المحذور انما يلزم ان لو كانت كلمة ثم لتراخى المخبر عن الخبر وليست كذلك بل هو متقدم على وجود آدم تقدم الازلى على الحدث فان قوله كن عبارة عن ادخاله فى الوجود فصح ان خلق آدم متقدم عليه لتراخى الخبر فالله تعالى اخبرنا اولا انه خلق آدم لا من ذكر ولا انثى ثم ابتدأ خبرا آخر فقال انى مخبركم ايضا بعد خبرى الاول انى انما خلقته بان قلت له كن كما تقول اعطيت زيدا اليوم ألفا ثم اعطيته امس ألفين ومرادك ان تقول اعطيته ألفا ثم انا اخبركم انى قد اعطيته امس ألفين فكذا الحال فى قوله خلقه من تراب اى صيره خلقا سويا ثم قال انى اخبركم انى خلقته بان قلت له كن فالتراخى فى الخبر على هذا الوجه لا فى المخبر ﴿قوله حكاية حال ماضية﴾ يعنى ان المناسب لقوله خلقه ثم قال له كن ان يقال فكان اى فكان كما امر الله تعالى الا انه لم يقل كذلك بل قال كن فيكون حكاية للحال التى كان عليها آدم عليه السلام وقيل معناه اعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة ﴿قوله خبر مبتدأ محذوف﴾ اى ما قصصنا عليك من خبر عيسى هو الحق والخطاب حينئذ لا على ارادة حقيقة النهى لان النهى عن الشئ حقيقة يقتضى ان يتصور صدور المنهى عنه من المنهى ولا يتصور كونه عليه السلام شاكا فى صحة ما نزل عليه والمعنى دم على يقينك وما انت عليه من الاطمئنان الى الحق والتنزه عن الشك فيه والامتراء افتعال من المرية وهو الشك ﴿قوله اى من البينات الموجبة للعلم﴾ فسر العلم بما يوجبه من الدلائل العقلية والدلائل الواصلة اليه بالوحى والتنزيل لان العلم الذى فى قلبه عليه الصلاة والسلام لا يوجب افحامهم وانقطاع جدالهم وسبابهم والظاهر ان كلمة من فى قوله من العلم لبيان الجنس ﴿قوله بالرأى والعزم﴾ لا بالابدان لانهم مقبلون وحاضرون عنده بأجسادهم ﴿قوله تعالوا﴾ العامة على فتح اللام منه لانه امر من الله تعالى من التعالى نحو ترآى يترآى اصله تعاليوا على وزن تفاعلوا من العلو استثقلت الضمة على الياء فسكنت ثم حذفت لاجتماع الساكنين فاذا امرت به الواحد قلت تعال يا زيد بحذف الالف للجزم وكذا اذا امرت الجمع قلت تعالوا لانك لما حذفت اول الساكنين تركت الفتحة على حالها وقرئ تعالوا بضم اللام بناء على انه لما استثقلت الضمة على الياء نقلت الى اللام بعد سلب حركتها فبقى تعالوا بضم اللام ومعناه طلب العلو أى الارتفاع من المخاطب فاذا قلت تعال كان معناه ارتفع الا انه كثر فى الاستعمال كونه لطلب كل مجيئ سواء كان على سبيل التسفل او التصاعد وصار بمنزلة هلم وأقبل ومعنى المباهلة الدعاء على الظالم من الفريقين والابتهال افتعال من البهلة والبهلة بفتح الباء وضمها هى اللعنة ﴿قوله نتباهل﴾ اى بان نقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم والابتهال يطلق بمعنى الاجتهاد فى الدعاء وان لم يكن بالدعاء ولا يقال ابتهل بالدعاء الا اذا كان هناك اجتهاد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال نبتهل اى نتضرع فى الدعاء وعن الكلبى نجتهد ونبالغ فى الدعاء قيل اصل البهل كون الشئ غير مراعى والباهل البعير المخلى عن قيده او عن سمته والباهلة الناقة المخلى ضرعها عن صرار يقال ابهلت فلانا اذا خليته وارادته تشبيها له بالبعير الباهل والمسترسل فى الدعاء والتضرع يقال له مبتهل لانخلاعه عن جميع ما يشغله عن التوجه التام الى جناب عزته تعالى واختار جعل الافتعال ههنا بمعنى التفاعل لان المعنى لا يجيئ الا على ذلك وتفاعل وافتعل اخوان فى مواضع نحو اجتوروا وتجاوروا واشتوروا وتشاوروا واقتتلوا وتقاتلوا ﴿قوله فلما تخالوا﴾ اى خلا بعضهم ببعض ﴿قوله محتضنا الحسين﴾ اى آخذا اياه فى حضنه وهو ما دون الابط ﴿قوله وعلى خلفها﴾ قيل هو المراد بقوله وانفسنا قال الواحدى اراد بالانفس بنى العم والعرب تخبر عن ابن العم بانه نفس ابن عمه وقد قال تعالى ولا تلمزوا

(انفسكم)

انفسكم اراد اخوانكم من المؤمنين وقيل اراد بالانفس الازواج وقيل اراد بها القرابة القريبة انتهى كلامه و الذى
حملهم على هذا التوجيه الاحتراز عن ان يدعو الانسان نفسه فأن الداعى انما يدعو غيره ولم يرض المصنف بشئ
من هذه التوجيهات بل قال يدع كل منا ومنكم نفسه الى المباهلة ويحمل عليها و لابعد فى ان يحمل الانسان نفسه
على الامر وقوله اسقفهم اى اعلمهم بامور دينهم وهو بضم الهمزة وسكون السين وضم القاف وتشديد الفاء اسم
لرئيس من رؤساء النصارى فى الدين وهو ابوحارثة وكان من كبار علمائهم و صاحب مدراسهم والعاقب كان
اميرهم * قال الامام فان قيل الاولاد اذا كانوا صغارا لم يجز نزول العذاب بهم وقد ورد فى الخبر انه عليه الصلاة
والسلام ادخل فى المباهلة الحسن والحسين رضى الله عنهما فما الفائدة فيه والجواب ان عادة الله تعالى جارية بان
عقوبة الاستئصال اذا نزلت بقوم هلك معهم الاولاد والنساء فيكون ذلك فى حق البالغين عقابا وفى حق الصبيان
والنساء لايكون عقابا بل يكون جاريا مجرى اماتتهم وايصال الايلام اليهم ومعلوم ان شفقة الانسان على اولاده
شديدة جدا وربما جعل الانسان نفسه فدآء لهم واذا كان كذلك فهو عليه الصلاة والسلام اخذ صبيانه ونساءه
معه وامرهم بان يفعلوا مثل ذلك ليكون ادعى للخصم الى قبول الحق وابلغ فى الزجر عن المخالفة واقوى
فى تخويفهم وادل على وثوقه عليه الصلاة والسلام بان الحق معه والمصنف اشار الى هذا التفصيل بقوله وانما
قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم اى يجعلها خطرا ﴿قوله بجملتها خبر ان﴾ يعنى ان هو مبتدأ
والقصص خبره والجملة خبر ان هذا مذهب بعض العرب وعليه قرآءة من قرأ فى غير السبعة وماظلمناهم ولكن كانوا هم
الظالمون وان ترنى انا اقل برفع الظالمين واقل على ان كل واحد منهما خبر ضمير الفصل الذى هو فى محل الرفع على
الابتدآء واما الخليل فانه ذهب الى ان ضمير الفصل لامحل له من الاعراب والقصص مصدر قولهم قص فلان
الحديث يقصه قصا وقصصا واصله تتبع الاثر يقال فلان خرج يقص اثر فلان اى يتبعه ليعرف اين ذهب ومنه قوله
تعالى وقالت لاخته قصيه اى اتبعى اثره وكذلك القاص فى الكلام لانه يتبع خبرا بعد خبر ﴿قوله وتفسيرها
مابعدها﴾ اطلق لفظ الكلمة على كلام كثير الاجزآء على طريق اطلاق اسم الجزء على الكل ووجه كون مابعدها
تفسيرا لها ان قوله ان لانعبد اما بدل من كلمة بدل كل من كل او انه خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف جواب
لسؤال مقدر كأنه لما قيل تعالوا الى كلمة قال قائل ماهى فقيل هى ان لانعبد وعلى التقديرين يكون مفسرا لماقبله اعلم
انه عليه الصلاة والسلام لما اورد على نصارى نجران انواع الدلائل انقطعوا ولم يهتدوا ثم دعاهم الى المباهلة فخافوا
وفزعوا منها وقبلوا الصغار بادآء الجزية وقد كان عليه الصلاة والسلام حريصا على ايمانهم فامره الله تعالى بان
يعدل عن طريق المجادلة والاحتجاج الى نهج آخر يشهد كل عقل سليم وطبع مستقيم انه كلام مبنى على الانصاف
وترك الالجاء اى لاميل فيه الى جانب حتى يكون فيه شائبة التعصب فهو كلام ثابت فى المركز نسبته الينا واليكم
على سوآء واعتدال فقال قل ياهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم اى هلموا الى كلمة فيها انصاف من بعضنا
لبعض ولاميل فيها لاحد على صاحبه وهى ان لانعبد الا الله قال الزجاج سوآء نعت للكلمة اى كلمة ذات سوآء
وعدل والمعنى الى كلمة عادلة مستقيمة مستوية اذا أتينا بها نحن وانتم كنا على السوآء والاستقامة ﴿قوله
اى لزمتكم الحجة﴾ حيث لم تقدروا على دفعها وهذا المعنى مستفاد من قوله اشهدوا بانا مسلمون حيث اوجب
عليهم ان يعترفوا بانا مسلمون مهتدون الى دار الحق منقادون للحق دونكم وهذا الاعتراف انما وجب عليهم من
حيث كونهم محجوجين اى مغلوبين بالحجة والحصر المدلول عليه بقوله دونكم مستفاد من المقام والمعنى فان تولوا
واعرضوا عن الاجابة لما دعوتهم اليه فليس اعراضهم ذلك لاجل مساعدة الحجة اياهم فقل لهم قد اسفر الصبح وتبين
الحق لذى عينين فاعترفوا بانا مسلمون منقادون للحق دونكم ونظيره قول الغالب فى جهاد او صراع او نحوهما
اعترف بانى انا الغالب وسلم الى الغلبة ولم يذكر الامام فى هذا المقام الاقوله والمعنى ان أبوا الا الاصرار فقولوا
انا مسلمون يعنى اظهروا انكم على هذا الدين ولاتكونوا بصدد ان تحملوا غيركم عليه وسلك فيه مسلك الامام
الواحدى ﴿قوله او اعترفوا بانكم كافرون الخ﴾ على ان يكون قوله انا مسلمون تعريضا بكفرهم من حيث انهم
اعرضوا عن الحق بعد ظهوره ﴿قوله بين اولا احوال عيسى عليه الصلاة والسلام﴾ اى بقوله ويكلم الناس
فى المهد وكهلا ونحوه مما يدل على انه وجد بعد ان كان معدوما واستقر مدة فى مضيق الرحم ثم كان طفلا ثم صار
مترعرعا ثم صار شابا يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ ﴿قوله ثم ذكر مايحل عقدتهم﴾ اى بقوله ان مثل

(ان هذا) اى ماقص من نبأ عيسى ومريم
(لهو القصص الحق) بجملتها خبر ان او هو
فصل يفيد أن ماذكره فى شأن عيسى ومريم
حق دون ماذكروه ومابعده خبر واللام
دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر
واصلها ان تدخل على المبتدأ (ومامن اله
الا الله) صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق
تأكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم
(وان الله لهو العزيز الحكيم) لا احد سواه
يساويه فى القدرة التامة والحكمة البالغة
ليشاركه فى الالوهية (فان تولوا فان الله
عليم بالمفسدين) وعيد لهم ووضع المظهر
موضع المضمر ليدل على ان التولى عن الحجج
والاعراض عن التوحيد افساد للدين
والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل الى
فساد العالم (قل ياهل الكتاب) يعم اهل
الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود
المدينة (تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم)
لايختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها
مابعدها (ان لانعبد الا الله) اى نوحده
بالعبادة ونخلص فيها (ولانشرك به شيأ)
ولانجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة
ولانراه اهلا لان يعبد (ولايتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله) ولانقول عزير ابن الله
ولاالمسيح ابن الله ولانطيع الاحبار فيما
أحدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم
بعضنا بشر مثلنا روى انها لما نزلت اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال
عدى بن حاتم ماكنا نعبدهم يارسول الله قال
أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون
بقولهم قال نعم قال هو ذاك (فان تولوا) عن
التوحيد (فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)
اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم
او اعترفوا بأنكم كافرون بما نطقت به
الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر
الى ماراعى فى هذه القصة من المبالغة فى
الارشاد وحسن التدرج فى الحجاج بين اولا
احوال عيسى وماتعاور عليه من الاطوار
المنافية للالهية ثم ذكر مايحل عقدتهم
ويزيح شبهتهم

فلما رأى عنادهم وحاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل وألزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال وقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده) تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم عليه السلام وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام وكان ابراهيم قبل موسى بألف سنة وعيسى بألفين فكيف يكون عليهما (أفلا تعقلون) فتدعون المحال (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها أنتم اصله ءأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد من غير همز وورش اقل مدا وقنبل بالهمز من غير ألف بعد الهاء والباقون بالمد والهمز والبزي يقتصر على المد على اصله (والله يعلم) ما حاججتم فيه (وانتم لا تعلمون) وانتم جاهلون به (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان (ولكن كان حنيفا) مائلا عن العقائد الزائغة (مسلما) منقاد لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام (وما كان من المشركين) تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم

عيسى عند الله كمثل آدم الآية ﴿قوله بنوع من الاعجاز﴾ وهو تقديم ذكر من يخاطر المرء بنفسه لاجلهم ويحارب دونهم على ذكر نفسه وانفسهم ﴿قوله تعالى لم تحاجون﴾ هي ما الاستفهامية دخل عليها حرف الجر فحذفت الفها كما في عم وفيم واللام متعلقة بما بعدها وتقديمها على عاملها واجب لدخولها على ماله صدر الكلام ولا بد من مضاف محذوف في قوله في ابراهيم اي في دين ابراهيم وشريعته لان الذوات لا مجادلة فيها ﴿قوله والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى﴾ فكيف يتصور ان يكون ابراهيم على دين حدث بعد زمانه بمدة مديدة * فان قيل هذا لازم متوجه عليكم ايضا لانكم تقرأون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وتقولون انه كان على دين الاسلام والاسلام انما حدث بعده بزمان طويل * فان قلتم ان ابراهيم كان في اصول الدين على المذهب الذي عليه المسلمون الآن * فنقول لم لا يجوز ايضا ان تقول اليهود ان ابراهيم كان يهوديا بمعنى انه كان على الدين الذي عليه اليهود وتقول النصارى ان ابراهيم كان نصرانيا بمعنى انه كان على الدين الذي عليه النصارى وكون التوراة والانجيل نازلين بعد ابراهيم لا ينافي كونه مسلما كذلك لا ينافي كونه يهوديا او نصرانيا * والجواب ان المراد بقولنا ان ابراهيم كان مسلما انه كان قائلا بجميع ما نقول به من اصول الدين وليس للنصارى واليهود ان يقولوا مثل ذلك لان النصارى يقولون بالنصرانية المحرفة كقولهم بعبودية عيسى عليه الصلاة والسلام واليهود يقولون باليهودية المحرفة كقولهم بعدم جواز النسخ ولا شك ان ابراهيم ما كان قائلا بشيء منهما اما عدم كونه قائلا بالاول فظاهر واما عدم كونه قائلا بالثاني فلان اصحاب الشرائع من الانبياء لا شك انهم جاؤا بشرع سوى شرع من قبلهم وذلك يستلزم القول بالنسخ فلا بد وان يكون في دين كل واحد من الانبياء جواز القول بالنسخ وان النسخ حق واليهود ينكرون ذلك فثبت ان اليهود ليسوا على ملة ابراهيم ﴿قوله الحمق﴾ مستفاد من جعل هؤلاء خبرا عن قوله انتم فانهم قد يقصدون بالاشارة بنحو ذلك وهؤلاء تحقيرا للمشار اليه واستبعادا لعقله تنزيلا لبعده عن ساحة الحضور والخطاب منزلة بعد المسافة ﴿قوله وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والانجيل﴾ روى قتادة والسدي والربيع وجماعة كثيرة ان الذي لهم به علم هو دينهم الذي وجدوه في كتبهم وثبتت صحته لديهم والذي ليس لهم به علم هو شريعة ابراهيم وما كان عليه مما ليس في كتبهم ولا جاءت به اليهم رسلهم ومن المعلوم انهم ليسوا بمعاصريه حتى يعلموا دينه بالسماع منه فجدالهم فيه مجرد حماقة ومحض مكابرة وعناد وقيل الذي لهم به علم امر نبينا صلى الله عليه وسلم لان امر بعثته وبيان نعوته مذكور في كتبهم وهم يجادلون في امره مع علمهم به وما ليس لهم به علم هو امر ابراهيم عليه الصلاة والسلام وما هو عليه من الدين واختار المصنف القول الاول وجعل ما لهم به علم عبارة عن دينهم الذي نطق به كتابهم وهو التوراة والانجيل فانهم يجادلون نبينا صلى الله عليه وسلم في ان دينهم هو دين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ويزعمون ان شريعة التوراة والانجيل مخالفة لشريعة القرآن ويجادلون ايضا في معنى ابراهيم ويزعمون انه كان يهوديا او نصرانيا او ان شريعته كانت مخالفة لشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ﴿قوله عنادا﴾ مفعول له لقوله جادلتم وقوله او تدعون وروده فيه معطوف على قوله وجدتموه واشار بعطفه عليه الى انه يحتمل ان لا يراد بالعلم في قوله به علم العلم حقيقة بل ما يعم العلم حقيقة او ادعاء والمعنى هبوا انكم تستخيرون محاجته فيما تدعون علمه فكيف تحاجونه فيما لا علم لكم به البتة ولا نطق به كتابكم من امر ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿قوله اصله ءأنتم﴾ بتوسيط الالف بين همزة الاستفهام وهمزة انتم للفصل بينهما كما هو مذهب قالون وهشام وابي عمرو في الهمزتين المفتوحتين اذا تلاصقتا في كلمة واحدة ﴿قوله منقاد لله﴾ قال الامام * فان قيل قولكم ابراهيم على دين الاسلام اتريدون به الموافقة في الاصول ام في الفروع فان كان الاول لم يكن مختصا بدين الاسلام بل يقطع بان ابراهيم كان على دين اليهود اعني ذلك الدين الذي جاء به موسى او كان على دين النصارى اعني ملة النصرانية التي جاء بها عيسى فان اديان الانبياء لا يجوز ان تكون مختلفة في الاصول وان اردتم به الموافقة في الفروع يلزم منه ان لا يكون محمد صلى الله عليه وسلم صاحب شرع البتة بل كان مقررا لدين غيره وايضا فن المعلوم بالضرورة ان التعبد بالقرآن ما كان موجودا في زمان ابراهيم وتلاوة القرآن مشروعة في صلاتنا وغير مشروعة في صلاتهم فالجواب يجوز ان يكون المراد به الموافقة في الاصول والغرض منه بيان انه ما كان موافقا في اصول الدين لمذهب هؤلاء الذين هم اليهود والنصارى في زماننا هذا ويجوز ايضا ان يقال المراد به الموافقة في الفروع وذلك

(لان)

لان الله تعالى نسخ تلك بشرع موسى عليه الصلاة والسلام ثم انه تعالى نسخ فى زمان محمد عليه الصلاة والسلام شرع موسى عليه الصلاة والسلام تلك الشريعة التى كانت ثابتة فى زمان ابراهيم عليه الصلاة والسلام فعلى هذا التقرير نبينا صلى الله عليه وسلم لما كان غالب شرعه موافقا لشرع ابراهيم جاز ان يقال ان شرعه موافق لشرع ابراهيم ولو وقعت المخالفة فى الفروع القليلة لم يقدح ذلك فى حصول الموافقة الى هنا كلام الامام وبه يخرج الجواب عن قول المصنف وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والالاشترك الالزام بان يقال لنا كيف تقولون ان ابراهيم كان على ملة الاسلام وقد حدث الاسلام بعده بزمان طويل ﴿قوله تعالى للذين اتبعوه﴾ خبر ان ودخلت لام الابتداء على الخبر مع ان اصلها ان تدخل على المبتدأ كراهة توالى حرفى تأكيد ﴿قوله تعالى وهذا النبى﴾ مرفوع بالعطف على اسم الموصول وكذلك قوله والذين آمنوا والنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون رضى الله عنهم كانوا داخلين فيمن اتبع ابراهيم الا انهم خصوا بالذكر تشريفا لهم وتكريما فهو من باب وملائكته ورسله وجبريل وميكال كذا قيل الا ان المصنف اشار بقوله من امته الى ان المعنى للذين اتبعوه فيما مضى وهم امته وعطف عليهم هذا النبى والذين آمنوا فلا يكون من عطف الخاص على العام وعلى قرآءة نصب النبى يكون والذين آمنوا معطوفا على قوله للذين اتبعوه ويكون المعنى للذين اتبعوه واتبعوا هذا النبى والذين آمنوا وفيه نظر لانه حينئذ كان ينبغى ان يثنى الضمير فى اتبعوه فيقال اتبعوهما والذين آمنوا حينئذ يحتمل ان يكون معطوفا على النبى او على قوله للذين والثانى اوجه ﴿قوله لايمانهم﴾ مستفاد من تعليق الحكم بالمشتق والولىّ الناصر والمعين ﴿قوله ولو بمعنى أن﴾ فان لو قد تكون مصدرية كما فى قوله تعالى يودّ احدهم لو يعمر الف سنة ولم يقل ان يضلوكم لان لو أوفق للتمنى فان قوله ودّت بمعنى تمنت وقولك لو كان كذا يفيد معنى التمنى ﴿قوله بما نطقت به التوراة والانجيل﴾ يعنى ان المراد بآيات الله الكتابان المعهودان وان الكفر بهما عبارة عن الكفر بما دلا عليه من نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على البشارة ببعثته عليه الصلاة والسلام وبيان نعوته ويحتمل ان يكون المراد بالكفر بهما الكفر بما فيهما من ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان حنيفا مسلما اطلق الآيات على ما فيها من مدلولها على طريق اطلاق اسم الدليل على المدلول على سبيل المجاز ويجوز ان يكون المراد بآيات الله القرآن الدال على صحة نبوّته عليه الصلاة والسلام وعلى تقدير ان يفسر آيات الله بالتوراة والانجيل يكون المناسب ان يجعل قوله وانتم تشهدون من الشهادة بمعنى الاعتراف والاقرار وان فسرت بالقرآن يحتمل ان يكون تشهدون من الشهود والمشاهدة والمعنى وانتم تشاهدون نعت القرآن فى الكتابين ويحتمل ان يكون من الشهادة اى وانتم تشهدون وتعرفون بانه كلام الله حقا لما يدل عليه من المعجزات ولما كان بين العلم وبين كل واحد من الشهادة والشهود علاقة اللزوم فان الشهود ملزوم للعلم والشهادة مفرّعة عليه كان قوله تشهدون بمعنى تعلمون مجازا فان الشاهد انما يشهد عن علم والشهود يفيد العلم ويستلزمه واليه اشار المصنف بقوله او تعلمون بالمعجزات انه حق ويحتمل ان يكون المراد بآيات الله جملة المعجزات التى ظهرت منه عليه الصلاة والسلام ويكون قوله وانتم تشهدون من الشهادة اى وانتم تشهدون بقلوبكم وعقولكم انها معجزات خلقها الله تعالى فى يده عليه الصلاة والسلام تصديقا له فى دعوى نبوّته وانكم تجحدون عند العوام كونها معجزات بادّعاء انها سحر وافك وشعر واساطير ونحو ذلك ﴿قوله بالتحريف﴾ يعنى ان المراد بالحق كتاب الله الذى انزله على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وبالباطل ما حرّفوه وكتبوه بأيديهم وخلطوه بالآخر ابرازا لاباطيلهم فى صورة الحق بان يقولوا الكل من عند الله ﴿قوله او بالتقصير فى التمييز بينهما﴾ على ان يكون المعنى لم تلبسون اى تخلطون الاسلام وهو الحق بالباطل الذى هو اليهودية والنصرانية وتقولون انها حق كالاسلام وانتم تعلمون ان الدين عند الله الاسلام وتعلمون ايضا ما جزاء من لبس الحق بالباطل * قرأ العامة تلبسون بكسر الباء من لبسه يلبسه اى خلطه وقرئ تلبّسون بضم التاء وكسر الباء وتشديدها لتكثير اللبس وقرئ تلبسون بفتح الباء اى لم تلبسون الحق متلبسا مع الباطل يقال لبس الثوب لبسا من باب علم ولبس الشئ بالشئ لبسا من باب ضرب اى خلطه به وشئ من الحق والباطل لايلبس كلبس الثوب فالمراد بلبسهما الاتصاف بهما ونظيره فى استعمال اللبس فى معنى الاتصاف بالشئ قوله عليه الصلاة والسلام «المتشبع بما ليس عنده كلابس ثوبى زور» وهذا مثل يضرب لمن يظهر من نفسه شيأ وليس كذلك والمتشبع الذى يرى انه شبعان وليس به وثنى الثوب لان اقل ما يلبس ثوبان وقال الفرزدق

(ان اولى الناس بابراهيم) ان اخصهم به واقربهم منه من الولى وهو القرب (للذين اتبعوه) من امته (وهذا النبى والذين آمنوا) لموافقتهم له فى اكثر ماشرع لهم على الاصالة وقرئ وهذا النبى بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم (والله ولى المؤمنين) ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم (ودّت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم) نزلت فى اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى أن (ومايضلون الا انفسهم) وما يتخطاهم الاضلال ولايعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او مايضلون الا امثالهم (ومايشعرون) وزره واختصاص ضرره بهم (يااهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم (وانتم تشهدون) انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته فى الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق (يااهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) بالتحريف وابراز الباطل فى صورته او بالتقصير فى التمييز بينهما وقرئ تلبّسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبى زور (وتكتمون الحق) نبوّة محمد عليه السلام ونعته (وانتم تعلمون) عالمين بما تكتمونه

فلاب وابنا مثل مروان وابنه ۞ اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا

قوله اوّل النهار ﴾ اشارة الى ان وجه النهار منصوب على الظرفية لكونه بمعنى اوّل تشبيها لاوّل الشئ بوجه الحيوان من حيث ان كلا منهما اوّل مايواجه منه ﴿ **قوله** ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم ﴾ لا لاجل حسد وعداوة بينكم وبينه استدلالا بايمانكم به فى اوّل الامر وهذا الطريق منهم حيلة فى تشكيك ضعفة المسلمين فى صحة نبوّته عليه الصلاة والسلام وصحة ما اظهره من دين الاسلام فانهم زعموا ان هذا الطريق يؤدّى الى ان يقول المسلمون ان رجوعهم الى الكفر لو كان مبنيا على الحسد لما آمنوا به اوّل النهار فاذا لم يكن حسدا وجب ان يكون لاجل انهم اهل كتاب وهم اعلمنا وقد تفكروا فى امره واستقصوا فى البحث عن دلائل نبوّته فلاح لهم بعد ذلك التأمل التام والبحث المستوفى انه كذاب فى دعوى النبوّة فظهر ان مقصودهم من هذا الطريق تشكيكهم فى حقية الاسلام عن ابن عباس ان وجه النهار اوّله وهو الصلاة الصبح وآخره صلاة الظهر وتقريره انه عليه الصلاة والسلام كان يصلى الى بيت المقدس بعد ان قدم المدينة ففرح اليهود بذلك وطمعوا ان يكون منهم فلما حوّله تعالى الى الكعبة وكان ذلك عند صلاة الظهر قال لهم كعب بن الاشرف وغيره آمنوا بالذى ازل على الذين آمنوا وجه النهار يعنى آمنوا بالقبلة التى صلى اليها صلاة الصبح فهو الحق واكفروا بالقبلة الى الكعبة لعلهم يقولون هؤلاء اهل الكتاب وهم اعلمنا فيرجعون الى قبلتنا نقله الامام اوّلا ثم قال لما حوّلت القبلة الى الكعبة شق ذلك عليهم فقال بعضهم لبعض صلوا الى الكعبة اوّل النهار واكفروا بهذه القبلة فى آخر النهار وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون ان اهل الكتاب اصحاب العلم فلولا انهم عرفوا بطلان هذه القبلة لما تركوها فحينئذ يرجعون عن هذه القبلة والمصنف اختار هذا الوجه لكونه اظهر الوجهين ﴿ **قوله** ولا تقروا عن تصديق قلب ﴾ اشارة الى ان فعل الايمان عدّى باللام على ان آمن ضمن معنى اقر واعترف فعدّى باللام لذلك ونظيره قوله تعالى فآمن لموسى وما انت بمؤمن لنا وآمنتم له اى قالت الطائفة المتقدمة لاتباعهم اظهروا الايمان بالقرآن أوّل النهار ان كان من بقية كلامها لهم اى اظهروا انكم تصدّقون بحقية الاسلام والقرآن بقلوبكم لكن لا تظهروه للمسلمين ولا تقرّوا بذلك الا لاهل دينكم وقيل ان هذه اللام صلة زيدت للتأكيد كما فى قوله تعالى ردف لكم او ردفكم قال الامام ما الفائدة فى اخبار الله تعالى عن تواففهم على هذه الحيلة وجوابه من وجهين احدهما ان هذه الحيلة كانت مخفية فيما بينهم وما اطلعوا عليها احدا من الاجانب فلما اخبر النبى عليه الصلاة والسلام عنها كان ذلك اخبارا عن الغيب فيكون معجزا والثانى انه تعالى لما اطلع المؤمنين على تواطئهم على هذه الحيلة لم يحصل بهذه الحيلة اثر فى قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام لربما اثرت هذه الحيلة فى قلب بعض المؤمنين ولما قالت تلك الطائفة لاتباعهم ما قالوا حكى الله تعالى تلك المقالة لنبيه عليه الصلاة والسلام وامره بان يقول لهم ان الدين دين الله وان وجوب الاتباع له انما هو لثبوته من جهة الله تعالى فتارة يأمر باتباع موسى واخرى باتباع نبى آخر عليهم الصلاة والسلام وتارة يأمر بالتوجه الى الصخرة واخرى الى الكعبة وكل ما امر به وأرشد اليه فهو الحق الواجب متابعته ومن عاند واستكبر فلا يضر الا نفسه ﴿ **قوله** تعالى ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من جلة كلام الله تعالى فيتعلق بمحذوف والمعنى استكبرتم عن الدخول فى الاسلام ودبرتم تلك الحيلة فى تمشية غرضكم الفاسد من اجل ان يؤتى احد شريعة مؤيدة بكتاب ربانى مثل ما اوتيتم فحملكم الحسد على الامتناع من قبوله ﴿ **قوله** وقرأه ابن كثير آن يؤتى ﴾ فانه قرأ بمدّ الالف على الاستفهام والباقون قرأوا بفتح الالف من غير مدّ ولا استفهام ومعنى او يحاجوكم على هذا دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولأن يتصل به عند كفركم فى محاجتهم لكم عند ربكم فان من آتاه الله الوحى لابدّ ان يحاج مخالفيه عند ربه ﴿ **قوله** وقرئ ان ﴾ اى بكسر الهمزة فيكون قوله قل ان الهدى هدى الله كلاما امر الله تعالى نبيه ان يقوله حين انتهاء الحكاية عند اليهود الى هذا الموضع لانه تعالى لما حكى عنهم قولا باطلا ندب رسوله عليه الصلاة والسلام بان يقابله بقول حق ثم عاد الى حكاية تمام كلامهم فحكى عنهم قولهم لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعنى ما تؤتون مثله فلا يحاجوكم ﴿ **قوله** على الوجهين الاوّلين ﴾ احدهما ان يكون قوله أن يؤتى احد متعلقا بمحذوف وثانيهما ان يتعلق بلا تؤمنوا والمعنى على الاوّل ان الحسد حملكم على الحيلة مع ان الايتاء والمحاجة المذكورين المورثين للغيظ والحسد كائنان البتة واوثر او على الواو اشعارا بان كلا من امرين يكون سبب الغيظ والحسد وعلى الثانى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم وبان يحاجوكم اى ويغلبوكم بالحجة الا لاشياعكم

(وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى ازل على الذين آمنوا وجه النهار) اى أظهروا الايمان بالقرآن اوّل النهار (واكفروا آخره لعلهم يرجعون) واكفروا به آخره لعلهم يشكون فى دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حوّلت القبلة آمنوا بما ازل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اوّل النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلمنا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثناء عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا فى الاسلام اوّل النهار ويقولوا آخره نظرنا فى كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذى ورد فى التوراة لعل اصحابه يشكون فيه (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهمّ (قل ان الهدى هدى الله) يهدى من يشاء الى الايمان ويثبته عليه (ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم) متعلق بمحذوف اى دبرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدى بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرآءة ابن كثير آن يؤتى على الاستفهام للتقريع تؤيد الوجه الاوّل اى ألأن يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم (او يحاجوكم عند ربكم) عطف على ان يؤتى على الوجهين الاوّلين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير أحد لانه فى معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم

(وانما عطف)

وانما عطف باو دون الواو ليفيد العموم كقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا وعلى الثالث وهو ان يكون ان يؤتى خبر ان فحينئذ لا يكون او يحاجوكم معطوفا على ان يؤتى وداخلا فى حيز ان بل يكون او بمعنى حتى ويكون المعنى قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم فيغلبوكم ويدحضوا حجتكم عند الله والفضل فى اللغة الزيادة والمراد به ههنا الرسالة عبر عنها بالفضل للدلالة على انها لا تحصل الا بتفضل الهى لا بالاستحقاق

﴿قوله تعالى بيد الله﴾ معناه انه مالك له يؤتيه من يشاء والواسع الكامل القدرة والعليم الكامل العلم فلكمال قدرته يصح ان يتفضل على اى عبد شاء بأى تفضل شاء وبكمال علمه لا يكون شئ من افعاله الا على وجه الحكمة والصواب

﴿قوله تعالى يختص برحمته من يشاء﴾ كالتأكيد لما قبله ﴿قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تأمنه﴾ من مبتدأ ومن اهل الكتاب خبره قدم عليه ومن اما موصولة والجملة الشرطية بعدها صلتها ولا محل لها من الاعراب واما نكرة موصوفة بما بعدها فتكون فى محل الرفع ويقال امنته بكذا او على كذا فالباء للالصاق بالامانة وعلى للدلالة على استعلاء المودع على الامانة فان من ائتمن على شئ صار ذلك الشئ فى معنى الملصق به لقربه منه واتصاله بحفظه وايضا صار المودع كالمستعلى على ذلك الشئ والمستولى عليه فلذلك حسن التعبير عن هذا المعنى بكلتا العبارتين وقيل قولك امنتك بدينار معناه وثقت بك فيه وامنتك عليه معناه جعلتك امينا عليه وحافظا له والمراد بالقنطار والدينار ههنا القدر الكثير والقدر القليل يعنى ان فيهم من هو فى غاية الامانة حتى لو ائتمن على المال الكثير ادى الامانة وفيهم من هو فى غاية الخيانة حتى لو ائتمن على الشئ القليل يخون فيه ولا حاجة الى ذكر مقدار القنطار ههنا الا انهم اختلفوا فى تفسيره فقيل الف ومائتا اوقية قالوا لان الآية نزلت فى عبد الله بن سلام حين استودعه رجل من قريش ألفا ومائتى اوقية من الذهب فرده الى صاحبه ولم يخن فيه فدل هذا على ان القنطار هو ذلك المقدار وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه ملء جلد ثور من المال وقيل ألف ألف دينار او ألف ألف درهم والاوقية فى الحديث اربعون درهما وكذلك كان فيما مضى والذى تعارفه الناس وانعقد عليه الاطباق ان الاوقية وزن عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم ﴿قوله الامدة دوامك قائما﴾ اشارة الى انه استثناء مفرغ من الظرف العام والتقدير لا يؤده اليك فى جميع المدد والازمنة الا فى مدة دوامك قائما عليه وقوله عليه متعلق بقائم والظاهر ان المراد من هذا القيام معناه المجازى وهو الالحاح والخصومة والتقاضى والمبالغة فى المطالبة بما يتأتى من طريقها عبر عنه بالقيام لان المطالب بالشئ يقوم فيه والتارك له يقعد عنه وقيل المراد القيام على غريمه حقيقة بالاجتماع معه والملازمة له والمعنى انه انما يكون معترفا بما دفعت اليه مادمت قائما على رأسه فان أنظرت وأخرت انكر فان مواجهة الغريم تورثه المهابة والاستحياء من صاحب الحق فان الحياء فى العينين الا ترى الى قول ابن عباس رضى الله عنهما لا تطلبوا من الاعمى حاجة فان الحياء فى العينين واذا طلبت من اخيك حاجة فانظر اليه بوجهك حتى يستحيى فيقضيها والظاهر ان سبيل اسم ليس وفى الاميين صفته وعلينا خبره اى ليس سبيل كائن فى الاميين ثابتا علينا والامى منسوب الى الام وسمى النبى عليه الصلاة والسلام اميا قيل لانه كان لا يكتب وذلك لان الام اصل الشئ فمن لا يكتب فقد بقى على اصل حاله فى ان لا يكتب وقيل لانه نسب الى مكة وهى ام القرى وقوله ويقولون على الله الكذب حيث قالوا ان العرب ليسوا على ديننا فيحل لنا ان نظلمهم لانه تعالى لم يجعل لهم فى كتابنا حرمة وقيل ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا واياما كان فهم يقولون على الله كذبا لان ما قالوه ليس مذكورا فى التوراة وليسوا منتسبين اليه تعالى بما ذكروه من النسبة ولما حكى الله عنهم قولهم ليس علينا فى الاميين سبيل رد عليهم واجاب بقوله بلى عليهم فى شأن الاميين سبيل فيتم الوقف على قوله بلى ومابعده استئناف اى بل لله سبيل عليكم فى شان هؤلاء يذمكم ويعاقبكم على ظلمكم اياهم واكل اموالهم بغير حق فقد ظهر بهذا التقرير وجه كون هذا الكلام مقررا للجملة التى سدت بلى مسدها واوفى بمعنى وفى الا ان لغة اهل الحجاز اوفى ولغة اهل نجد وفى والضمير المجرور فى بعهده يجوز ان يرجع الى من الشرطية بطريق اضافة المصدر الى فاعله ويجوز ان يرجع الى اسمه تعالى فى قوله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون على اضافة المصدر الى مفعوله فان اليهود قد عاهدوا الله فى ضمن ايمانهم بالتوراة ان يؤمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام وبما جاء به وهو المراد بالعهد فى هذه الآية * فان قلت فأين الضمير الراجع من جملة الجزاء الى من الشرطية * اجيب بان عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وملاك الامر ما يقوم به ويقال القلب ملاك الجسد والتقوى ملاك الامر ﴿قوله وهو يعم الوفاء﴾

(قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة (ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك) كعبد الله بن سلام استودعه قرشى ألفا ومائتى اوقية ذهبا فأداه اليه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشى آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة وقرأ حمزة وابو بكر وابو عمرو يؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس الهاء وكذا روى عن حفص والباقون باشباع الكسرة (الا مادمت عليه قائما) الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى والترافع واقامة البينة (ذلك) اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده (بانهم قالوا) بسبب قولهم (ليس علينا فى الاميين سبيل) اى ليس علينا فى شأن من ليسوا من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ذلك (وهم يعلمون) انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم فى التوراة حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك فى كتابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله مامن شئ فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر (بلى) اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل (من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) استئناف مقرر للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهى

اى التقوى بم وفاء ماعاهدوا الله عليه من الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام وبما جاء به مما يتعلق بتكميل القوّة النظرية والعملية فعطف قوله واتقى على ماقبله من عطف العام على الخاص تكميلا للفائدة **قوله** تعالى لاخلاق لهم اى من اختار الارتشاء على الوفاء برعاية الله تعالى ورعاية ايمانه واستبدله به فاولئك لانصيب لهم فى الاخرة ونعيمها *قال الامام هذا العموم مشروط باجماع الامّة بعدم التوبة فانه ان تاب عنها سقط الوعيد بالاجماع وعلى مذهبنا مشروط ايضا بعدم العفو فانه تعالى قال ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء **قوله** ولايكلمهم الله اى بكلام ينفعهم ويسرّهم قيدبه دفعا لمايتوهم من التدافع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقوله فلنسألنّ الذين ارسل اليهم ولنسألنّ المرسلين واجاب عنه ثانيا بقوله اوبشئ اصلا فانه لايبعد أن يخص اولياءه بكلامه بغير سفير وواسطة تشريفالهم ولايكلم الكفرة والفساق كذلك وتكون المحاسبة معهم بكلام الملائكة وثالثا بانه من قبيل نفى الشئ بمعنى ان لاينتفع به ورابعا بان نفى تكليمه اياهم كناية عن سخطه وغضبه لان ترك التكلم لازم للسخط فاطلق لينتقل منه الى الملزوم واستشهد على كونه كناية عن غضبه عليهم بقوله ولاينظر اليهم يوم القيامة فان النظر عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئى طلبا لرؤيته والنظر بهذا المعنى محال فى حق البارى تعالى فلا يمكن حمله على معناه الحقيق ولا جعله كناية عن السخط والاستهانة بخلاف عدم التكلم فانه يصح كونه كناية عن السخط لجواز ارادة معناه الحقيق واذا كان المراد باحد اللفظين السخط والاستهانة كان ذلك شاهدا على ان المراد باللفظ الآخر ايضا ذلك **قوله** ولايثنى عليهم كما يثنى على اوليائه مثل ثناء المزكى للشاهد والتزكية من الله تعالى قد تكون على ألسنة الملائكة كقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بماصبرتم وقد تكون بغير واسطة امافى الدنيا فكقوله تعالى التائبون العابدون واما فى الآخرة فكقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم ثم انه تعالى لمابين حرمانهم من الثواب بين كونهم فى العذاب الشديد المؤلم حيث قال ولهم عذاب اليم قال عكرمة نزلت الآية فى احبار اليهود كتموا ماعهد الله اليهم فى التوراة من امر محمد صلى الله عليه وسلم وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا انه من عندالله لئلا يفوتهم الرشى التى كانت لهم من اتباعهم وقالوا ايضا بان جواز الخيانة فى امانة من خالفهم فى الدين مذكور فى التوراة وكانوا كاذبين فى ذلك القول وعالمين انهم كاذبون فيه وقال مجاهد نزلت فى رجل حلف يمينا فاجرة فى تنفيق سلعته روى الامام الواحدى عن الاشعث انه قال كان بينى وبين رجل من اليهود ارض فجحدنى فقدمته الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال * ألك بينة * قلت لا فقال لليهودى * احلف * فقلت يارسول الله اذا يحلف فيذهب بمالى فانزل الله عزوجل ان الذين يشترون بعهدالله وايمانهم ثمنا قليلا اى يستبدلون ويأخذون بما عهد اليهم من اداء الامانات وايمانهم الكاذبة عرضا يسيرا من الدنيا اولئك لانصيب لهم من الخير **قوله** يفتلونها بقراءته يعنى من لوى الشئ اذا فتله اى صرفه عن وجهه واستقامته * قال الامام اللى عبارة عن عطف الشئ ورده عن الاستقامة الى الاعوجاج يقال فتله عن وجهه فانفتل اى صرفه فانصرف ولوى لسانه عن كذا اذا غيره ولوا فلان فلانا عن رأيه اذا أماله عنه وقوله بقراءته اشارة الى اعتبار حذف المضاف بين الباء والكتاب وهو القراءة والباء للاستعانة اوالظرفية كما فى قولك نزلت بالمكان اى فيه قال القفال فى تأويل الآية قوله تعالى يلوون ألسنتهم معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرّفوها عن حركاتها الاعرابية تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير فى لسان العرب فلايبعد مثله فى العبرانية فيحتمل ان يراد بلىّ الالسنة بقراءة الكتاب صرفه عن الصحيح المنزل الى المحرّف الباطل فيقرأ ذلك الباطل بدل المنزل وقيل ان جماعة من احبار اليهود اتوا كعب بن الاشرف فى زمن قحط يطلبون منه طعاما فقال ماتقولون فى هذا الرجل الذى يقول انا رسول الله فقالوا هو عبدالله ورسوله الى خلقه فقال كعب لوقلتم غيرهذا لكان لكم عندى طعام وعطاء قالوا نرجع ونتأمل فرجعوا وعادوا وقد بدّلوا نعته بنعت الدجال فقالوا وجدنا فى التوراة كذا فخلفهم لايرجعون عن هذا واعطى كل واحد منهم ثمانية اذرع من كرباس وصاعا من شعير كذا فى التيسير والظاهر مارواه صاحب الكشاف عن ابن عباس رضى الله عنهما من ان الفريق الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب هم الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدّلوا فيه صفة النبى صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذى عندهم **قوله** او يعطفونها بشبه الكتاب اى ويحتمل ان يكون ماقدر مضافا الى الكتاب هو الشبه الذى اتوا به من عند انفسهم ثم قالوا

(ان الذين يشترون) يستبدلون (بعهدالله) بما عاهدوا الله عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات (وأيمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمننّ به ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا (اولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولايكلمهم الله) بما يسرّهم اوبشئ اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيامة اولا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتدّ بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه (ولايزكيهم) ولايثنى عليهم بالجميل (ولهم عذاب اليم) على مافعلوه قيل انها نزلت فى احبار حرّفوا التوراة وبدّلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرها واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت فى رجل اقام سلعة فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل فى ترافع كان بين الاشعث ابن قيس ويهودى فى بئر اوارض وتوجه الحلف على اليهودى (وان منهم لفريقا) يعنى المحرّفين ككعب ومالك وحيى بن اخطب (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرّف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها

هذا من عند الله والظاهر ان تقدير القرآءة مبنى على تأويل القفال وتقدير الشبه مبنى على ماروى ابن عباس والعامة قرأوا يلوون بفتح الياء وسكون اللام بعدها واو مضمومة اخرى ساكنة مضارع لوى اى فتل وقرئ يلوّون بفتح اللام وتشديد الواو الاولى من لوّى مضعفا والتضعيف للتكثير والمبالغة لا للتعدية اذ لو كان لها التعدّى الى مفعول آخر لانه بدون التضعيف متعدّ الى واحد وقرئ يلون بفتح الياء وضم اللام بعدها واو مفردة ساكنة واصلها يلوون كقرآءة العامة ثم ابدلت الواو المضمومة همزة وهو بدل قياسى فى أجوه وأقتت ثم خففت الهمزة بالقاء حركتها على الساكن قبلها وهو اللام وحذفت الهمزة فبقى يلون بوزن يفون حيث حذفت عين الفعل ولامه معا وذلك لأن اصله يلويون كيضربون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان الياء وواو الضمير فحذفت الياء لالتقائهما ثم حذفت الواو التى هى لام الكلمة لما ذكرنا قال الامام كيف يمكن ادخال التحريف فى التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس ثم قال والجواب لعلّ هذا العمل صدر من نفر قليل يجوز عليهم التواطئ على التحريف ثم انهم عرضوا ذلك المحرّف على بعض العوام وعلى هذا التقدير يكون هذا التحريف ممكنا ثم قال والاصوب عندى فى تفسير الآية وجه آخر وهو ان الآيات الدالة على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم كان يحتاج فيها الى تدقيق النظر وتأمل القلب والقوم كانوا يوردون عليها الاسئلة المشوّشة والاعتراضات المظلمة فكانت تصير تلك الدلائل مشتبهة على السامعين واليهود كانوا يقولون مراد الله من هذه الآيات ماذكرناه لا ماذكرتم فكان هذا هو المراد بالتحريف ولىّ الالسنة كما ان المحق فى زماننا اذا استدل بآية فالمبطل يورد عليه الاسئلة والشبهات ويقول ليس مراد الله ماذكرت فكذلك فى هذه الصورة والله اعلم بمراده ﴿قوله تاكيد لقوله وماهو من الكتاب﴾ قال الامام واعلم ان من الناس من قال انه لافرق بين قوله لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب وبين قوله هو من عند الله وماهو من عند الله وكرّر هذا الكلام بلفظين مختلفين لاجل التأكيد اما المحققون فقالوا المغايرة حاصلة وذلك لانه ليس كل مالم يكن فى الكتاب لم يكن من عند الله فان الحكم الشرعى قد يثبت تارة بالكتاب وتارة بالسنة وتارة بالاجماع وتارة بالقياس والكل من عند الله فقوله لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب نفى خاص ثم عطف عليه النفى العام فقال ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله فلا يكون تكرارا وايضا يجوز ان يكون المراد من الكتاب التوراة ويكون المراد من قولهم هو من عند الله انه موجود فى كتب سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام مثل شعياء وأرمياء وذلك لان القوم فى نسبة ذلك التحريف الى الله تعالى كانوا متحيرين فان وجدوا قوما من الاغمار والبله الجاهلين بالتوراة نسبوا ذلك المحرّف الى التوراة ويقولون انه موجود فيها وان وجدوا عقلاء اذكياء زعموا انه موجود فى كتب سائر الانبياء الذين جاؤا بعد موسى عليه الصلاة والسلام ولم يرض المصنف بهذا التحقيق لظهور ان مرادهم بقولهم هو من عند الله ان مالووا به ألسنتهم من جملة التوراة وانه تعالى انزل التوراة على موسى هكذا فهو تصريح وتقرير لما رمز اليه بقوله لتحسبوه من الكتاب لان الكتاب لايكون الا منزلا من عند الله فيكون قوله وماهو من عند الله نفيا لما ارادوا بقولهم هو من عند الله وهو ان المحرّف من كتاب الله المنزل من عنده ﴿قوله وبيان لأنهم الخ﴾ عطف تفسير لقوله تشنيع فان التصريح بان ما أتوا به من عند انفسهم منزّل من عند الله اشنع من الرمز اليه والتعريض به ﴿قوله وهذا لايقتضى ان لايكون فعل العبد فعل الله تعالى﴾ لما توهم ان قوله تعالى وماهو من عند الله يصلح ان يكون دليلا على المعتزلة فيما زعموا من ان العبد مستقل فى افعاله وان افعاله ليست من عند الله تعالى اى ليست بخلقه وايجاده اجاب عنه بانه لايدل على صحة مذهبهم لان قولهم هو من عند الله ليس معناه ان ماصدر منهم من لىّ الالسنة وتحريف الكتاب على وجهه من فعل الله تعالى وكائن بخلقه حتى يكون قوله تعالى وماهو من عند الله نفيا لهذا المعنى فلا دلالة فيه على صحة مذهبهم ﴿قوله القرظى﴾ بضم القاف وفتح الراء وكسر الظاء المعجمة اى يهودى من بنى قريظة والسيد اسم رئيس وفد بنى نجران من النصارى ﴿قوله وان نأمر بغير عبادة الله﴾ اى بعبادة غير عبادة الله بحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ويؤيده عبارة محيى السنة وهى قوله فقال معاذ الله ان آمر بعبادة غير الله والمعنى ماكان لبشر ان يجمع بين هذين بين النبوّة وبين دعاء الخلق الى عبادة غير الله لان من آتاه الله الكتاب والحكم والنبوّة يكون اعلم الناس وافضلهم فيمنعه ذلك عن ادّعاء الالوهية فانه تعالى لايؤتى الوحى والكتاب الا نفوسا طاهرة وارواحا طيبة وايتاء الكتاب تستلزم ايتاء النبوّة وهو الحكمة المعبر عنها باتقان العلم والعمل فلذلك

(لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب) الضمير للمحرّف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين (ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله) تأكيد لقوله وماهو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لاتعريضا اى ليس هو نازلا من عنده وهذا لايقتضى ان لايكون فعل العبد فعل الله تعالى (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه (ماكان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوّة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) تكذيب وردّ على عبدة عيسى وقيل ان أبا رافع القرظى والسيد النجرانى قالا يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان يعبد غير الله وان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت وقيل قال رجل يارسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لاينبغى ان يسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله

(ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل فى العلم والعمل (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرّسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درّس كاكرم وكرّم ويجوز ان تكون القرآءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ما كان اى ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ أكفائه اربابا بل ينهى عنه وهوادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرأ ابو بكر على اصله برواية الدورى باختلاس الضم (ايأمركم بالكفر) انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله (بعد اذ انتم مسلمون) دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا لله (واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه)

قدّم الكتاب على الحكم لان المراد بالحكم هو العلم بالشريعة وفهم مقاصد الكتاب واحكامه فان اهل اللغة والتفسير اتفقوا على ان هذا الحكم هو العلم قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا يعنى العلم والفهم فالكتاب السماوى ينزل اوّلا ثم يحصل فى عقل النبى فهم ذلك الكتاب واسراره وبعدما يحصل فهم الكتاب يبلغ النبى ذلك المفهوم الى الخلق وهو النبوة والاخبار فاحسن هذا الترتيب **قوله ولكن يقول** اضمر القول على ما تقرر عند العرب من جواز الاضمار اذا كان فى الكلام ما يدل عليه ونظيره قوله تعالى فاما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم اى فيقال لهم ذلك **قوله منسوب الى الرب** بمعنى كونه عالما مواظبا على طاعته كما يقال رجل الهى اذا كان مقبلا على معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون للدلالة على الكمال فى هذه الصفة كما قالوا شعرانى ولحيانى ورقبانى اذا وصف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وهذه الزيادة لا بدّ منها فى النسبة عند قصد المبالغة فحينئذ لا يقال رقبى وشعرى ولحوى وهذا قول سيبويه وقال المبرّد الربانيون ارباب العلم واحدهم ربانى منسوب الى ربان والربان هو الذى يربى العلم ويربى الناس ويعلمهم ويصلحهم ويقوم بأمرهم والالف والنون فيه للمبالغة كما قالوا ريان وعطشان وشبعان وعريان ثم ضمت اليه ياء النسبة كما قالوا لحيانى ورقبانى قال الواحدى فعلى قول سيبويه الربانى منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الربانى مأخوذ من التربية **قوله للاعتقاد والعمل** وهو معنى كونه ربانيا فان الآية دلت على ان التعلم والتعليم والدراسة يوجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالتعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع سعيه وخاب امله وكان مثله مثل من غرس شجرة تؤنق بمنظرها ولا منفعة بثمرها **قوله وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون** بفتح التاء وسكون العين وفتح اللام اى تعرفون فيتعدى الى مفعول واحد وباقى السبعة بضم التاء وفتح العين وتشديد اللام المكسورة فيتعدى الى اثنين اوّلهما محذوف تقديره تعلمون الطالبين الكتاب والعامة على تدرسون بفتح التاء وضم الراء والمعنى بما كنتم تعلمون غيركم ثم تدرسون ودرّس بالتشديد يحتمل ان يكون التضعيف فيه للتكثير فيكون موافقا لقرآءة تعلمون بالتخفيف وان يكون للتعدية ويكون المفعولان محذوفين لدلالة المقام وانفهام المرام والتقدير تدرّسون غيركم العلم اى تحملونهم على الدرس وقرئ تدرسون من باب الافعال كتكرمون من اكرم على ان ادرس بمعنى درّس كاكرم وكرّم وانزل ونزّل **قوله عطفا على ثم يقول** والمعنى ولا له ان يأمركم باضمار ان بعد لا وان تكون لا مؤكدة لمعنى النفى السابق كما تقول ما كان من زيد اتيان ولا قيام تريد انتفاء كل واحد منهما عن زيد وتفصيل المعنى ما صح وما استقام لبشر ان يؤتيه الله الكتاب ثم يترتب عليه ان يقول للناس كونوا عبادا لى ولا ان يأمركم باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا وان لم تكن لا مزيدة بل كانت نافية كان هذا المعنى معطوفا على قوله ثم يقول قصدا الى ترتب هذا المجموع على الايتاء بمعنى ما كان لبشر ان يؤتى النبوة ثم يترتب على ذلك امره بعبادة نفسه ونهيه عن عبادة الملائكة والنبيين مع استوآء الكل فى عدم استحقاق العبادة وهو معنى قول المصنف وهو ادنى من العبادة اى والحال ان اتخاذ أكفائه اربابا اقرب من عبادة القوم نفسه فى كونه عبادة لمن لا يستحقها وقرآءة الرفع على الاستئناف اظهر لوقوعه بعد انقضاء الآية وتمام الكلام فلا يحتاج الى جعل لا مزيدة ولا الى توجيه النفى على مجموع الامرين وهما امر الناس بعبادة نفسه والنهى عن عبادة الملائكة والانبياء ويدل على انقطاعه عن الاول ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قرأ ان يأمركم فان ان يأمركم لا يمكن كونه معطوفا على يقول لامتناع دخول ان الناصبة على ان وفاعل يأمركم فيه اقوال قال الزجاج ولا يأمركم الله وقال ابن جريج لا يأمركم محمد وقيل لا يأمركم عيسى وقيل لا يأمركم الانبياء ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله واليهود والنصارى حيث قالوا فى المسيح وعزير ما قالوا **قوله تعالى بعد اذ انتم** متعلق بيأمركم وهو ظرف زمان اضيف الى ظرف زمان ماض نحو حينئذ ويومئذ **قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين** العامل فى اذ وجوه احدها اذكر ان كان الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم الثانى اذكروا ان كان الخطاب لاهل الكتاب الثالث قال فى قوله قال أاقررتم والمقصود من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب بما يدل على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام قطعا لعذرهم واظهارا لعنادهم ومن جملتها ما ذكره الله تعالى فى هذه الآية وهو انه تعالى اخذ الميثاق من الانبياء الذين آتاهم الكتاب والحكمة بانه كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم آمنوا به ونصروه واخبرانهم

قبلوا ذلك وحكم بان من رجع عن ذلك وتولى فاولئك هم الفاسقون فحاصل الكلام انه تعالى اوجب على جميع الانبياء الايمان بكل رسول جاء مصدقا لما معهم ومن المعلوم بالمعجزات القاطعة ان محمدا صلى الله عليه وسلم جاء مصدقا لما معهم قال ابن جرير الطبرى قوله تعالى واذ أخذ الله معناه اذكروا يااهل الكتاب اذ أخذ الله ميثاق النبيين وقال الزجاج معناه اذكر يا محمد اذ أخذ الله ميثاق النبيين ثم الميثاق يحتمل ان يكون مصدرا مضافا الى فاعله ويكون المعنى ان الله تعالى اخذ الميثاق منهم فى ان يصدق بعضهم بعضا بمعنى ان يوصى قومه ان ينصروا ذلك النبى الذى بعده ولا يخذلوه وان يكون مضافا الى مفعوله ويكون الميثاق مأخوذا للانبياء من غيرهم بان يكون الانبياء يأخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد عليه الصلاة والسلام فانه يجب عليهم ان يؤمنوا به وينصروه ﴿ قوله قيل انه على ظاهره ﴾ وهو ان الله عز وجل اخذ الميثاق من النبيين خاصة ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبى ان يؤمن بمن يأتى بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بالايمان به وبنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام وعليهم وجعل هذا المعنى ظاهرا لان نظم الآية يدل على ان الآخذ للميثاق هو الله تعالى والمأخوذ منهم هم النبيون فليس فى الآية ذكر الامة فامر الامة انما يفهم من الآية بطريق الاولوية لا بصريح الآية ﴿ قوله وما يحتمل الشرطية ﴾ فتكون فى محله النصب على المفعول به للفعل بعدها وهو آتيتكم وهذا الفعل مستقبل معنى لكونه فى حيز الشرط ومحل الجزم والتقدير والله لاى شئ آتيتكم من كذا لتكونن كذا ﴿ قوله ويحتمل الخبرية ﴾ اى ويحتمل ان تكون مبتدأة موصولة وآتيتكم صلتها والعائد محذوف تقديره للذى آتيتكموه ومن كتاب حال امامن الموصول واما من عائده وقوله ثم جاءكم رسول عطف على الصلة وحينئذ فلابد من رابط ربط هذه الجملة بما قبلها فان المعطوف على الصلة صلة ثم قيل الرابط محذوف تقديره ثم جاءكم رسول به فحذف به لطول الكلام ولدلالة المعنى عليه وقيل حصل الربط بالظاهر لان الظاهر وهو قوله لما معكم صادق على قوله لما آتيتكم فهو نظير قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين لم يقل لا يضيع اجره بل اكتفى بربط الظاهر وتناوله لمرجع الى الضمير ولتؤمنن به جواب قسم مقدر وهذا القسم المقدر وجوابه خبر للمبتدأ وهو لما آتيتكم ويجوز ان تكون ما فى لما آتيتكم موصولة فى محل النصب على انها مفعول فعل محذوف وذلك الفعل هو جواب للقسم المقدر والتقدير والله ليبلغن ما آتيتكم من كتاب قرأ العامة بفتح اللام فى قوله لما آتيتكم وتخفيف الميم وقرأ حمزة وحده بكسر اللام وقرأ سعيد بن جبير بالفتح وتشديد الميم * اما قرآءة العامة فقد ذكر وجهها وهو ان اللام موطئة للقسم اى باسطة طريقا لتفهم جواب القسم ومسهلة لتفهمه كانها وطأت طريقا يؤدى اليه وفيه بحث لان لام التوطئة على ماذكر فى النحو هى اللام الداخلة على اداة الشرط فى نحو لئن بسطت ولئن اشركت ولم يسمع أن تكون اللام الداخلة على الموصول موطئة ووجه قرأة حمزة بكسر اللام ان تكون اللام للتعليل وان تكون مامصدرية واللام متعلقة بأخذ تعليلا له قال صاحب الكشاف ومعنى قرأة حمزة لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيئ رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان مامصدرية والفعلين معها اعنى آتيتكم وجاءكم فى معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقكم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل انى آتيتكم الكتاب والحكمة وان الرسول الذى امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان لا تكون مامصدرية بل تكون موصولة بمعنى الذى وعائدها محذوف وثم جاء عطف على الصلة والذى ربطه بالموصول اما محذوف وتقديره ثم جاءكم رسول مصدق له واما قيام الظاهر مقام المضمر * ووجه قرآءة التشديد ان يكون لما ههنا ظرفية بمعنى حين وذهب الزمخشرى الى ان جوابها مقدر من جنس جواب القسم حيث قال وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين اى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول وجب عليكم الايمان به ونصرته ويجوز ان يكون اصل لما لمن ما فادغمت النون فى الميم لتقاربهما والادغام ههنا واجب ولما اجتمع ثلاث ميمات ميم من وميم ما والميم الذى انقلبت من النون لاجل الادغام حذف احدى الميمات دفعا لثقل المكرر ﴿ قوله كعبر ﴾ وهى الناقة القوية على السفر قرأ العامة اصرى بكسر الهمزة وهى اللغة الفصحى وقرأ ابو بكر عن عاصم فى رواية اخرى بضم الهمزة والظاهر انها لغة فى المكسور ويحتمل ان يكون جمع اصار كأزر فى جمع ازار والاصر الثقل الذى يلحق الانسان لاجل ما يلزمه من العمل والاصر هنا العهد الثقيل سمى العهد اصرا لانه مما يؤصر اى يشد ويعقد ومنه

قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذى وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرآئيل اوسماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام فى لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان مامصدرية اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب ثم مجيئ رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم اولمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا (قال ءأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى) اى عهدى سمى به لانه يؤصر اى يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به (قالوا اقررنا قال فاشهدوا) اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة (وانا معكم من الشاهدين) وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم (فمن تولى بعد ذلك) بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة (فاولئك هم الفاسقون) المتمردون من الكفرة

الاصار وهو الذى يعقدبه وقوله «اقررتم اى بالايمان به والنصرله والظاهر ان ضمير قال فى قوله قال «اقررتم راجع الى الله فى قوله واذأخذ الله فيكون الاستفهام للتقرير والتأكيد عليهم لاستحالة حقيقة الاستفهام فى حق الله تعالى والاقرار افعال من قرّالشئ يقرّاذاثبت ولزم مكانه واقرّه غيره اى اثبته واخذ الاصر معناه قبول العهد ومتعلق اقررنا محذوف ولابدّ من تقدير جملة محذوفة لدلالة ماتقدّم عليها والتقدير قالوا اقررنا بالايمان وبنصرته والامتناع عن خذلانه واخذنا اصرك على ذلك كله والفاء فى قوله فاشهدوا عاطفة على جملة مقدّرة والتقدير قال «اقررتم واخذتم اصرى فاشهدوا بالاقرار ايها الانبياء وقال سعيد بن المسيب الخطاب للملائكة أمرهم بان يشهدوا عليهم وقوله من الشاهدين خبرالمبتدأ ومعكم حال اى وانا من الشاهدين مصاحبا لكم والمقصود منه التأكيد والتحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض ﴿قوله﴾ عطف على الجملة المتقدّمة يعنى ان الفاء ههنا عاطفة جملة على جملة والجملة المعطوف عليها اما الجملة المذكورة المتقدّمة او الجملة المقدّرة وتقدير الكلام على الاوّل فاولئك الذين يتولون ويعرضون عن الايمان بهذا الرسول ونصرته وعن الاقرار بذلك كله هم الفاسقون الخارجون عن الايمان فغير دين الله يبغون بعد اخذ هذا الميثاق المؤكد بهذه التأكيدات البليغة فلما قصد انكار مضمون هذه الجملة المعطوفة وسطت همزة الانكار بينهما انكارا لابتغائهم دينا غير مااختاره الله تعالى لهم لاسيما بعد اتضاح الحق واخذ المواثيق والعهود والتشاهد * فان قلت بجعلها معطوفة على الجملة المتقدّمة يستلزم عطف جملة فعلية على اسمية وليس بفصيح * فالجواب انه ان تضمن نكتة كان فصيحا وهى بيان انهم يبغون ذلك فى الحالة الثابتة وموضع الهمزة هولفظ يبغون لالفظ غير اذ المعنى ايبغون غير دين الله لان الاستفهام انما يكون عن الافعال والحوادث التى تتعلق بالذوات وكذا الانكار لايتوجه الى نفس الذوات بل الى عوارضها الاانه قدّم المفعول الذى هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذى هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود الباطل * واعلم ان هذه الجملة لو عطفت بالواو وقيل اوغير دين الله يبغون جاز الا ان الفاء فائدة جليلة وهى التوبيخ البليغ فان الفاء تدل على انهم يبغون ذلك عقيب اخذ الميثاق المذكور المقرّر ﴿قوله﴾ تعالى وله اسلم ﴿ جملة حالية اى كيف يبغون غير دينه والحال هذه وقوله طوعا وكرها مصدران فى موضع الحال والتقدير طائعين وكارهين * قال الامام الاسلام هو الاستسلام والانقياد والخضوع اذا عرفت هذا ففى خضوع كل من فى السموات والارض لله تعالى وجوه الاوّل وهو الاصح عندى ان كل ماسوى الله فهو ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فانه لايوجد الا بايجاده ولايعدم الا باعدامه فاذا كل ماسوى الله فهو منقاد خاضع لجلال الله تعالى فى طرفى وجوده وعدمه وهو نهاية الانقياد والخضوع ثم هذا الوجه فيه لطيفة اخرى وهى ان قوله وله اسلم يفيد الحصر اى وله اسلم جميع ماسواه لالغيره فهذه الآية تفيد ان واجب الوجود واحد وان كل ماسواه لايوجد الابتكوينه ولايفنى الابافنائه والوجه الثانى فى تفسير الآية انه لاسبيل لاحد الى الامتناع عليه فى مراده وكلهم كائنون على مراده طوعا اوكرها فالمسلمون والصالحون ينقادون له طوعا فيما يتعلق بالدين وينقادون له كرها فيما يخالف طباعهن من المرض والفقر والموت واشباه ذلك واما الكافرون فهم منقادون لله كرها على كل حال لانهم منقادون لله فيما يتعلق بالدين وفى غير ذلك مستسلمون له سبحانه كرها لايمكنهم دفع قضائه وقدره وقال الحسن اسلم من فى السموات طوعا ومن فى الارض بعضهم طوعا وبعضهم كرها خوفا من السيف والسبى وقال قتادة المؤمن اسلم طوعا فنفعه ايمانه والكافر اسلم كرها فى وقت البأس فلن ينفعه قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقيل كل الخلق منقادون لالهيته طوعا بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله ومنقادون لتكاليفه وايجاده الالام كرها فقول المصنف اى طائعين بالنظر فى الادلة الخ هو الوجه الثانى والفرق بين ماذكره من الوجهين لايخلو عن خفاء ونهاية ما ادركه الفكر القاصر ان الكره بالمعنى الاوّل هو مباشرة مالا يرضاه تجنبا عما شاهده من اشدّ الضرر وافظعه والكره بالمعنى الثانى هو مجرّد كونه مسخرا اى مذللا لارادة الفاعل المختار مطاوعا لقدرته من غير ان يشاهد شيأ مما يكرهه على الفعل والمسخر لااختيار له فى الفعل لان الاختيار ترجيح ماهو الخير من الامرين وذلك يستدعى تمكن الفاعل من كل واحد من الامرين والمسخر لايتمكن من ترك الفعل ذكر فى التيسير ان اخذ الميثاق كان على ثلاثة اوجه ميثاق الذرّية وهو فى قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية

(وميثاق)

(أفغير دين الله يبغون) عطف على الجملة المتقدّمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابى عمرو وعاصم فى رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم (وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها) اى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة مايلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لايقدرون ان يمتنعوا عما قضى عليهم

وميثاق الانبياء بمحمد عليه الصلاة والسلام على التعيين وهو فى هذه الآية واذ اخذ الله ميثاق النبيين انتهى فقد اختار قول من ذهب الى انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين على امر محمد عليه الصلاة والسلام بان اخذ منهم الميثاق على ان يؤمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ويصدّقوه وينصروه ان ادركوه اوبان اخذ الميثاق على النبيين وامهم جميعا فى امر محمد عليه الصلاة والسلام واكتفى بامر الانبياء لان العهد من المتبوع عهد على الاتباع روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال لم يبعث الله نبيا من آدم ومن بعده الا اخذ عليه العهد فى امر محمد عليه الصلاة والسلام واخذ العهد على قومه ليؤمننّ به ولينصرنه ان بعث وهم احياء فالمراد بالرسول فى قوله ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم هو محمد عليه الصلاة والسلام وقد ذكر قول من ذهب الى انه تعالى اخذ الميثاق من الانبياء خاصة ان يبلغوا كتاب الله ورسالته الى عباده وان يصدّق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبى ان يؤمن بمن يأتى بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بنصرته ان ادركوه وهذا على تقدير ان يكون تقدير الآية واذ اخذ الله ميثاق النبيين لتبلغنّ الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة الا انه حذف تبلغنّ لدلالة اللام عليه لان لام القسم انما تقع على الفعل فلما دلت هذه اللام على هذا الفعل لاجرم حذف الفعل اختصارا والاضمار اعتمادا على دلالة القرينة باب متسع لاسيما اذا اتضح المرام واستغنى به عن ارتكاب التعسفات فى تصحيح الكلام * فان قيل قوله لما آتيتكم ان كان خطابا لجميع الانبياء فجميعهم ما اوتوا الكتاب وانما اوتى بعض منهم وان كان للامم فالاشكال اظهر * والجواب من وجهين الاوّل ان جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام اوتوا الكتاب بمعنى ان كل واحد منهم مهتدبه داع الى العمل به وان لم ينزل عليه والثانى ان اشرف الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد اوتوا الكتاب فوصف الكل بوصف اشرف النوع * فان قيل ما وجه قوله تعالى ثم جاءكم رسول والرسول لايجئ الى النبيين وانما يجئ الى الامم * فالجواب ان حملنا قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين على اخذ ميثاق اممهم فقد اندفع الاشكال وان حملناه على اخذ ميثاق النبيين انفسهم كان معنى قوله ثم جاءكم اى جاء فى زمانكم * فان قيل محصل الآية انه تعالى اخذ الميثاق على جميع الانبياء بان يؤمنوا بكل رسول يجئ مصدّقا لما معهم فما معنى ذلك الميثاق واخذه * والجواب انه لاشك انه نصب دلائل دالة على أن الانقياد لامر الله تعالى واجب وقرّر تلك الدلائل فى عقولهم فكلما بعث الله رسولا يدّعى انه تعالى امر الخلق بالايمان به وانه تعالى صدّقه وايده بالمعجزات فتلك الدلائل توجب عليهم ان يصدّقوه ويؤمنوا به فكأنه تعالى بتقرير تلك الدلائل فى عقولهم اخذ ميثاقهم وعهدهم بذلك ويحتمل ان يكون المراد من اخذ الميثاق انه تعالى شرح صفاته عليه الصلاة والسلام فى كتب الانبياء المتقدمين فكان ايمانهم بكتابهم ايمانا بصاحب تلك الصفات فلما بعث عليه الصلاة والسلام بتلك الاوصاف والاحوال المذكورة فى كتبهم كان نفس مجيئه مصدّقا لما معهم وقد عاهدوا الله تعالى فى ضمن الايمان بكتابهم ان يؤمنوا به وينصروه فهذا معنى اخذ الميثاق عليهم ﴿قوله تعالى واليه ترجعون﴾ يحتمل ان يكون جملة مستأنفة سيقت للاخبار بذلك لتضمنها معنى التهديد العظيم والوعيد الشديد والمعنى ان من خالفه فى العاجل فسيكون مرجعه الى حيث لايملك الضرّ والنفع سواه ويحتمل ان يكون معطوفا على قوله وله اسلم فيكون حالا مثله ﴿قوله امر للرسول﴾ اشارة الى وجه توحيد الضمير فى قل وجمعه فى آمنا وعلينا فلما ورد ان يقال كيف يجوز ان يكون ضمير علينا عبارة عن نفسه عليه الصلاة والسلام ومتابعيه مع ان القرآن انما نزل عليه لا على اتباعه * اجاب عنه بقوله والقرآن الخ ﴿قوله او بان يتكلم﴾ عطف على قوله بان يخبر وقوله اجلالا علة لامره تعالى اياه بان يتكلم بذلك الطريق اى امره بذلك اجلالا من الله تعالى لقدر نبيه * ولما ورد ان يقال كيف عدّى الانزال فى هذه الآية بحرف الاستعلاء وعدّى فى قوله قولوا آمنا بالله وما انزل الينا بكلمة الى * اجاب بان الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فتارة يراعى احد الاعتبارين واخرى الآخر قدّم ذكر الايمان بالله على ذكر سائر ما يجب الايمان به لان الايمان بالله اصل يتوقف عليه سائر ما يجب الايمان به وقدّم ذكر الايمان بما انزل على محمد عليه الصلاة والسلام على ذكر كتب سائر الانبياء لان سائر الكتب قد حرّفها اهلها فلا سبيل الى معرفة احوالها الا بما انزل الله تعالى على محمد عليه الصلاة والسلام فكان ما انزل عليه كالاصل لما انزل على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلذلك قدمه عليه واختلف العلماء فى كيفية الايمان بالانبياء المتقدمين من الذين نسخت شرائعهم وحقيقة الخلاف ان شرعه لما صار منسوخا فهل تصير نبوّته منسوخة اولا فمن قال انها تصير منسوخة قال نؤمن بانهم كانوا انبياء ورسلا

(واليه ترجعون) وقرئ بالياء على ان الضمير لمن (قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم) امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسيط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدّى بالى لانه ينتهى الى الرسل يعدّى بعلى لانه من فوق وانما قدّم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرّف له والعيار عليه

لا في الحال ومن قال ان نسخ الشريعة لايقتضى نسخ النبوة قال اوا نؤمن بانهم انبياء ورسل في الحال فتنبه لهذا الموضع كذا في تفسير الامام الكبير ﴿ قوله منقادون ﴾ على ان يكون الاسلام بمعنى الاستسلام وهو الانقياد وقوله او مخلصون على ان يكون من السلامة وتكون همزة الافعال للتعدية وحذف المفعول للعلم به اى مخلصون انفسنالله في عبادته لانجعل له شريكا في عبادتنا وقيل قوله او مخلصون اشارة الى ان تقديم الظرف للاختصاص واما على الاول فللاهتمام ورعاية الفاصلة ولايخفى مافيه * قال الامام قوله تعالى ونحن له مسلمون فيه وجوه الاول ان اقرارنا بنبوة هؤلاء الانبياء انما كان لاجل كوننا منقادين لله تعالى مستسلمين لحكمه وفيه تنبيه على ان حالهم على خلاف حال من قال تعالى في حقهم أفغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض والثاني ان قوله ونحن له مسلمون اى مستسلمون لامره بالرضى وترك المخالفة وتلك صفة المؤمنين بالله وهم اهل السلم والكافرون اهل الحرب لقوله تعالى انما جزآء الذين يحاربون الله ورسوله والثالث ان قوله ونحن له مسلمون يفيد الحصر والتقدير له اسلمنا لالغرض آخر من سمعة ورياء وطلب مال وهذا تنبيه على ان حالهم بالضد من ذلك فانهم لايفعلون ولايقولون الا للسمعة والرياء وطلب الاموال ولما قال في آخر الآية ونحن له مسلمون وبين ان الدين هو الاسلام وان كل دين سوى الاسلام غير مقبول عندالله وان صاحبه من الخاسرين في الآخرة قال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فقوله تعالى دينا مفعول يبتغ وغير الاسلام حال منه لانه في الاصل صفة فلما قدم انتصب حالا ويحتمل ان يكون تمييز الغير لابهامها فيرتكاميز مثل وشبه واخواتهما ان يكون بدلا فغير الاسلام هو المفعول به ليبتغ وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بادغام احد المتجانسين في الآخر الا ان قرآءة العامة الاظهار بناء على ان المثلين لم يجتمعا لوجود الفاصل بينهما بالياء المحذوفة للجزم ﴿ قوله واستدل به على ان الايمان هو الاسلام ﴾ مع ان ظاهر قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا يقتضى ان الايمان مغاير للاسلام وان الايمان هو التصديق المجرد او مع الاقرار والاسلام هو الاعمال ووجه الاستدلال انه لاشك ان الايمان مقبول عندالله تعالى فلوكان غير الاسلام للزم ان لايقبل بحكم هذه الآية فثبت انهما متحدان * وتقرير الجواب انا لانسلم ان كون الايمان غير الاسلام يستلزم عدم قبوله وانما يستلزم ان لوكان الايمان دينا ولانسلم ذلك فان منطوق الآية ان لايقبل دين مغاير لدين الاسلام ولايلزم منه عدم قبول الايمان على تقدير كونه غير الاسلام الا اذا ثبت كونه دينا مستقلا ولم يثبت لان الدين هو الطاعة والايمان ليس بطاعة بل هو مبدأ الطاعة * ثم انه تعالى لما عظم امر الاسلام والايمان بقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا قال كيف يهدى الله الآية قاله استبعادا لان يهدى قوماهم معاندون للحق مكابرون فيه غير خاضعين له بان يخلق فيهم الاهتدآء ويوفقهم لاكتساب الاهتدآء وانما يخلق الاهتدآء ويوفق لكسب ذلك ويقدرهم عليه اذاكانوا خاضعين متواضعين للحق راغبين فيه فان الهداية من الله تعالى قد تكون بخلق الاهتدآء واعطاء القدرة والتوفيق على كسب الاهتداء وتحصيله وقد تكون ببيان الطريق والارشاد الى الحق بنصب الدلائل فالهداية على الوجه الاخير تعم جميع الخلق من المطيع والعاصى والمؤمن والكافر وهى بهذا الوجه ليست بمرادة في هذا الموضع والا لكان الكافر والضال معذورا في ضلاله بل المراد من الهداية خلق الاهتدآء وقد جرت سنة الله تعالى في دار التكليف على ان كل فعل يقصد العبد تحصيله فان الله تعالى يخلقه عقيب قصد العبد فكأنه تعالى قال كيف يخلق فيهم المعرفة والاهتدآء وقد قصدوا تحصيل الكفر وارادوه ﴿ قوله وذلك يقتضى ان لاتقبل توبة المرتد ﴾ بيان لفساد القول المذكور باستلزامه بطلان مااجمعوا عليه من قبول توبة المرتد ﴿ قوله عطف على مافي ايمانهم من معنى الفعل ﴾ والتقدير بعد ان آمنوا او بعد ان شهدوا ولايجوز كونه معطوفا على كفروا لانهم ليسوا جامعين بين الكفر والشهادة وكذالايجوز عطفه على ايمانهم من حيث لفظه لان عطف الفعل على الاسم غير جائز بل من حيث المعنى فانه من قبيل عطف الفعل على الفعل نظرا الى المعنى ونظيره قوله تعالى لولا اخرتنى الى اجل قريب فأصدق وأكن فقد عطف أكن وهو مجزوم على قوله فأصدق وهو منصوب باضمار ان بعد الفاء فيكون في تقدير المصدر وعطف الفعل على المصدر لايجوز الا انه من قبيل عطف الفعل على الفعل من حيث المعنى روى ان سيبويه سأل الخليل عن قوله فاصدق وأكن من الصالحين فقال الخليل جزم واكن لان الفعل الاول يكون مجزوما حين لافاء فيه وهو من قبيل العطف على المحل كأنه قيل لولا اخرتنى الى اجل قريب اصدق واكن قال الشاعر

لانفرق بين احد منهم ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ منقادون او مخلصون في عبادته ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا ﴾ اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله ﴿ فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذلوكان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لاقبول كل مايغايره ولعل الدين ايضا للاعمال ﴿ كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات ﴾ استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضى ان لاتقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على مافي ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فأصدق وأكن

﴿ مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ﴾ ﴿ ولا ناعب الابين غرابها ﴾

عشيرة الرجل بنوا ابنه الادنون و نعب الغراب صاح يقول هم مشائيم لايصلحون حال قبيلة و لاينعب غراب قبيلتهم الابالبين و الفراق وحق ناعب ان يكون منصوبا فيكون معطوفا على مصلحين لكنه انجرّ عطفا على محله لان الباء تدخل فى خبرليس كثيرا لتوهم وجود الباء فيه كأنه قيل ليسوا بمصلحين ولا ناعب ﴿قوله اوحال﴾ اى ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قدوالتقدير كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وقد شهدوا ان الرسول حق اى حال ماشهدوا ﴿قوله وهو على الوجهين﴾ اى سوآء جعل وشهدوا عطفا اوحالا يكون الاقرار باللسان خارجا عن حقيقة الايمان اما على الاوّل فظاهر واما على الثانى فلان تقدير الآية كيف يهدى الله قوما كفروا بعد الايمان حال ماشهدوا بان الرسول حق بتقييد كفرهم الواقع بعد الايمان بكونه مقرونا بالاقرار باللسان فكما ان الكفر الواقع بعد الايمان مغاير للايمان فكذا ماهو قيد فيه مغاير له ايضا فصارت الآية دليلا على مذهبنا من ان الايمان هو التصديق بالقلب و لاشك ان المعنى القائم بالقلب مغاير للاقرار باللسان ﴿قوله الذين ظلموا انفسهم﴾ اشارة الى ان قوله والله لايهدى القوم الظالمين ليس تكريرا لقوله كيف يهدى الله قوما كفروا بناء على ان قوله كيف يهدى الله مختص بالمرتدين والله لايهدى القوم الظالمين عام يتناول المرتدّ والكافر لكنه مختص بالكافر الاصلى اورد تعليلا لما ذكر فى حق المرتدّ من استبعاد هداية الله تعالى اياه * فان قيل ظاهر الآية يقتضى ان من كفر بعد اسلامه لايهديه الله وقد راينا كثيرا من المرتدين اسلموا و هداهم الله و كثيرا من الظالمين تابوا عن الظلم * فالجواب ان معناه لايهديهم الله ماداموا مقيمين على الرغبة فى الكفر و فى الثبات عليه و لا يقبلون على الاسلام و اما اذا تحرّوا اصابة الحق والاهتدآء بالادلة المنصوبة فحينئذ يهديهم الله بخلق الاهتدآء فيهم ﴿قوله و بمفهومه على نفى جواز لعن غيرهم﴾ لان تقديم خبر ان و هو عليهم على اسمها يفيد الحصر المشتمل على حكمين احدهما منطوق و هو ثبوت لعن الله تعالى ولعن الملائكة والناس عليهم و ثانيهما مفهوم وهو عدم ثبوته لغيرهم وقوله اولئك مبتدأ وجزآؤهم يحتمل ان يكون مبتدأ ثانيا وان عليهم الخ خبر المبتدأ الثانى والجملة خبر لاولئك ويحتمل ان يكون جزآؤهم بدلا من اولئك بدل اشتمال و ان عليهم الخ خبر اولئك * واعلم ان لعنة الله مخالفة للعنة الملائكة لان لعنة الله بالابعاد عن الجنة وانزال العقوبة والعذاب واللعنة من الملائكة هى بالقول وكذلك لعنة الناس وكل ذلك يستحقونه بسبب ظلمهم وكفرهم ويصلح ان يكون جزآء لذلك ﴿قوله والمراد بالناس المؤمنون﴾ لانه لو اريد به جميع الناس لزم ان يلعن كل واحد منهم جميع من يوافقه ويخالفه ولا وجه لان يلعن الانسان من يوافقه و يحتمل انه يراد به الجمع بناء على ان جميع الخلق يلعنون المبطل والكافر والكافر يعتقد فى نفسه انه ليس بمبطل ولا كافر فاذا لعن الكافر وكان فى علم الله كافرا فقد لعن نفسه وان كان لايعلم ﴿قوله تعالى خالدين﴾ حال من الضمير فى عليهم والعامل فيها الاستقرار ومعنى الخلود فى اللعنة انهم يوم القيامة لاتزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون ومن معهم فى النار ولا يخلو شئ منا حوالهم من اللعنة ويجوز ان يكون المراد بالخلود فى اللعن الخلود فى اثر اللعن لان اللعن يوجب العقاب الخالد فعبر عن خلود اثر اللعن بخلود اللعن ومعنى الانظار فى قوله ولاهم ينظرون التأخير كما فى قوله تعالى فنظرة الى ميسرة والمعنى لايخفف عنهم العذاب ولا يؤخر من وقت الى وقت فان العذاب الملحق بالكفار مضرّة خالصة من شوآئب المنافع دائمة غير منقطعة نعوذ بالله من ذلك ومايؤدى اليه وعطف قوله واصلحوا على قوله الا الذين تابوا يدل على ان التوبة وحدها وهى الندم على مامضى من الارتداد والعزم على تركه فى المستقبل لاتكفى حتى ينضاف اليها العمل الصالح اى واصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات ومع الخلق بالعبادات والحاصل ان الآية فى رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن اسلت وعبادة بن الصامت ثم ان الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم وارسل الى قومه ان اسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لى من توبة فانزل الله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم فارسل اليه اخوه مع رجل من قومه هذه الآية وقرأها عليه فقال الحارث والله انك فيما علمت لصدوق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصدق منك وان الله عزوجل لأصدق الثلاثة فرجع الحارث الى المدينة وتاب واسلم وحسن اسلامه ﴿قوله لانهم لايتوبون﴾ جواب عما يقال قد يراد بقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك ان المرتدّ تقبل توبته وان ازداد كفرا فما معنى قوله لن تقبل توبتهم * وتقرير الجواب ان قوله لن تقبل توبتهم كناية عن عدم توبتهم اصلا الى ان يموتوا على الكفر لان الموت على الكفر ملزوم لعدم قبول التوبة فاطلق اللازم

او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان (والله لايهدى القوم الظالمين) اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه (اولئك جزآؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه على نفى جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون اوالعموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتدّ عنه ولكن لايعرف الحق بعينه (خالدين فيها) فى اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما (لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك) اى من بعد الارتداد (واصلحوا) ماافسدوا ويجوز ان لايقدّر له مفعول بمعنى ودخلوا فى الصلاح (فان الله غفور) يقبل توبته (رحيم) يتفضل عليه قيل انها نزلت فى الحارث بن سويد حين ندم على ردّته فارسل الى قومه ان اسألوا هل لى من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا) كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن اوكفروا بمحمد بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصدّ عن الايمان ونقض الميثاق اوكقوم ارتدّوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون اونرجع اليه وننافقه باظهاره (لن تقبل توبتهم) لانهم لايتوبون اولا يتوبون الا اذا أشفوا على الهلاك

واريد به المزوم ويقال اشفى المريض على الموت اذا اشرف عليه والتوبة الواقعة عند الاشراف على الموت غير مقبولة لقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ﴿قوله تغليظا فى شأنهم﴾ علة لقوله كنى وبيان لفائدة انه كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة فان عدم قبول التوبة يأس من رحمة الله تعالى فالتعبير عن عدم كونهم موفقين للتوبة بعدم قبول التوبة ابراز لحالهم فى صورة اليأس من الرحمة ولا حال اشدّ وأفظع منه وليست هذه الفائدة فى قوله يموتون على الكفر فلذلك عدل عنه الى طريق الكناية وقوله ولذلك اى ولكون قوله لن تقبل واردا على سبيل الكناية لم تدخل الفاء فيه فانه لو دخلت الفاء عليه وهو كناية عن عدم توبتهم اصلا او عن عدمها فى وقتها لافهم كون كفرهم وازديادهم فى الكفر سببا لعدم التوبة والموت على الكفر وليس كذلك لانه كم من مرتدّ يزداد فى الكفر ثم يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر بخلاف قوله تعالى فلن يقبل من احدهم ملئ الارض ذهبا فان الموت على الكفر سبب لامتناع قبول الفدية فدخلت الفاء هنالك ايذانا بسببية المبتدأ لخبره ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى مجموع الوجهين او الى الوجه الاخير فقط لان الكفر وازدياده كما لا يكون سببا للموت على الكفر لا يكون ايضا سببا للتوبة اتفاقا ولا لعدم التوبة لان السبب لابدّ ان يكون مفضيا الى المسبب والكفر وازدياده لا يفضى الى شئ منهما ﴿قوله تعالى واولئك هم الضالون﴾ يجوز ان يكون فى محل الرفع عطفا على خبر ان اى ان الذين كفروا لن تقبل توبتهم وانهم اولئك الضالون وان يكون معطوفا على الجملة المؤكدة بانّ فلا محل لها من الاعراب لعطفها على ما لا محل له وقوله هم الضالون من قبيل حصر الكمال والا فكل كافر ضال سوآء كفر بعد الايمان او كان كافرا فى الاصل ومن جهات كمالهم فى الضلال ثباتهم عليه وعدم كون الاهتدآء متوقعا منهم * قال الامام اعلم ان الكافر على ثلاثة اقسام احدها الذى يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذى ذكره الله تعالى فى قوله الا الذين تابوا واصلحوا فان الله غفور رحيم وثانيها الذى يتوب من ذلك الكفر توبة فاسدة وهو الذى ذكره الله تعالى فى الآية المتقدمة وقال لن تقبل توبتهم وثالثها الذى يموت على الكفر من غير توبة البتة وهو المذكور فى هذه الآية ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية واخبر عن القسم الاخير بثلاثة اشياء الاوّل قوله لن يقبل من احدهم ملئ الارض ذهبا اى قدر ما يملأ الارض من الذهب والثانى قوله ولهم عذاب اليم اى مؤلم والثالث قوله ومالهم من ناصرين اى كما لا خلاص لهم من هذا العذاب الاليم بسبب الفدية لا خلاص لهم منه بسبب النصرة والاعانة والشفاعة وقرئ ذهب بالرفع على انه بدل من ملئ الارض وذكر فى النحو ان النكرة اذا ابدلت من المعرفة بدل الكل من الكل يجب نعت تلك النكرة كما فى قوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة الا ان الفاضل الاسترابادى نقل عن ابى على الفارسى واستصوبه انه قال يجوز وصف تلك النكرة المبدلة من المعرفة اذا استفيد من البدل ما ليس فى المبدل منه فان لم تفد النكرة الا ما افاده الاوّل لم يجز لانه يكون ابهاما بعد التفسير نحو مررت بزيد رجل ولا فائدة فيه ﴿قوله محمول على المعنى﴾ جواب عما يقال ظاهر النظم يوهم ان الغرض المسوق له الكلام عدم قبول ملئ الارض ذهبا افتدى به او لم يفتد ومعلوم ان الغرض عدم قبول الفدية وان كانت ملئ الارض ذهبا وتوضيحه ان مثل هذه الواو انما يؤتى بها حيث يراد تحقق الحكم السابق على تقدير الشرط وعدمه حتى ذهب بعضهم الى انها للعطف على محذوف هو نقيض الشرط المذكور اى لو لم يفتد به ولو افتدى به وههنا المقصود عدم قبول الفدية سوآء كانت ملئ الارض او لم تكن فمقتضى الظاهر ان يقال لا تقبل فديته ولو كانت ملئ الارض او لا يقبل ملئ الارض لو افتدى به بدون الواو * والجواب من وجوه تقرير الاوّل ان عدم قبول ملئ الارض ذهبا كناية عن عدم قبول فدية مّا وعدل عن التصريح به الى الكناية تصويرا للتكثير لان ملئ الارض غاية الكثرة فى العرف وضمير به عبارة عن حقيقة ملئ الارض فيصير المعنى لن يقبل منه فدية مّا ولو افتدى بملئ الارض ذهبا فلفظ ملئ الارض قائم مقام فدية مّا والمنظور اليه فيه مجرّد العموم والتناول لجميع مراتب الفدية لا حقيقة ملئ الارض والمنظور فى الضمير الراجع اليه الحقيقة * وتقرير الجواب الثانى ان قوله فلن يقبل من احدهم ملئ الارض ذهبا ليس المراد منه انه لو فدى نفسه به يوم القيامة لن يقبل منه بل المراد ان من مات على الكفر اذا كان تصدق فى الدنيا بملئ الارض ذهبا لن يقبل الله تعالى ذلك منه لانّ الطاعة مع الكفر لا تكون مقبولة وانما يتقبل الله من المتقين وقوله ولو افتدى به ليس من قبيل الشرط الذى يقصد به تأكيد الحكم السابق بل هو شرط معطوف على شرط محذوف قبله والتقدير ما ذكره المصنف قال الواحدى نقلا عن الزجاج المعنى لو قدم ملئ الارض ذهبا تقرب به

فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا فى شأنهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة اولانّ توبتهم لا تكون الانفاقا لا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه (واولئك هم الضالون) الثابتون على الضلال (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملئ الارض ذهبا) لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية أدخل الفاء ههنا للاشعار به وملئ الشئ ما يملأه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملئ او الخبر لمحذوف (ولو افتدى به) محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملئ الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملئ الارض ذهبا لو تقرّب به فى الدنيا او لو افتدى به من العذاب فى الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين فى حكم شئ واحد

الى الله لم ينفعه ذلك مع كفره و لو افتدى من عذاب الله تعالى بملء الارض ذهبا لم يقبل منه * وتقرير الجواب الثالث ان النظم انما يوهم خلاف المقصود ان لو حمل على ظاهره و ليس بواجب لجواز ان يقدر و لو افتدى بمثله معه فهذا الشرط أكد الحكم السابق على وجه لم يفد خلاف المقصود و قد شاع حذف لفظ المثل فى الكلام وزيادته اما حذفه ففى نحو قولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وقضية و لا اباحسن لها اى و لامثل ابى حسن لها واما زيادته ففى نحو قولهم مثلك لايفعل كذا و المراد انت لاتفعله * فان قيل نفى قبول الافتداء يوهم ان الكافر يملك يوم القيامة من الذهب مايفتدى به و هو لا يملك فيه نقيرا و لا قطميرا فضلا عن ان يملك ملء الارض ذهبا و لو سلم ان يملك ذلك فأى نفع له فى الآخرة حتى يخلص نفسه بدله فما فائدة قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا * والجواب ان الكلام وارد على سبيل الفرض و التقدير تصويرا لهول يوم الحساب وتحقيقا للوعيد و امر المجازاة فالذهب كناية عن اعز الاشياء وكونه ملء الارض كناية عن كونه فى غاية الكثرة و التقدير لو أن الكافر يوم القيامة قدرة على اعز الاشياء بالغا الى غاية الكثرة وقدر على بذله لنيل اعز المطالب لايقدر على ان يتوسل بذلك الى تخليص نفسه من عذاب الله تعالى و المقصود بيان انهم آيسون من تخليص انفسهم من العقاب ثم انه تعالى لما بين ان الانفاق لا ينفع الكافر البتة علم المؤمنين كيفية الانفاق الذى ينفعهم فى الآخرة فقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فبين به ان من انفق مااحب كان من جملة الابرار **﴿قوله﴾** اى لن تبلغوا حقيقة البر **﴿** على ان تكون اللام للجنس والحقيقة ومعنى نيل جنس البر الوصول اليه والاتصاف به **﴿قوله﴾** اولن تنالوا بر الله **﴿** على ان تكون اللام عوضا عن تعريف الاضافة فيراد نوع من الجنس ومعنى نيله اصابته ووجدانه فالبر على الاول مايصير به المكلف من الابرار وذلك ما يحصل منه من الاعمال الصالحة الخالصة لوجه الله و على الثانى يراد به بر الله تعالى اولياءه واكرامه اياهم وتفضله فهو من قول الناس برنى فلان وبر فلان لاينقطع عنى **﴿قوله﴾** اومن المال اومايعمه **﴿** اشارة الى ان المفسرين اختلفوا فى قوله تعالى مما تحبون فمنهم من قال انه نفس المال فان الانسان مجبول على حبه قال الله تعالى وانه لحب الخير لشديد وقال آخرون كل مايحتاج اليه مما هو عند المنفق محبوب كأنه قيل لا وصول الى المطلوب الابانفاق المحبوب **﴿قوله﴾** بيرحى **﴿** اختلف الفاظ المحدثين فيها فيروونها بفتح الباء وكسرها وبفتح الراء وضمها والمد فيها والقصر روى ان الزمخشرى قال فى الفائق كأنها فيعلى من البراح وهى الارض المنكشفة الظاهرة وقال شيوخ مكة يروونها بئرحاء بكسر الباء فان صح فهو مضاف الى حاء وهى قبيلة وقال الصغانى فى التكملة انه فيعلى وقد صحفها اصحاب الحديث فقالوا ابئرحاء وليست ببئر مضافة الى حاء كبئر ذروان و بئر بضاعة وقال فى المغرب انها بستان لابى طلحة بالمدينة مستقبل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم يدخل فيه ويشرب من ماء طيب وقوله بخ بخ كلمة مدح ورضى مبنية على السكون وقد يكسر وينون فيقال بخ بخ وكررت للمبالغة **﴿قوله﴾** مال رابح **﴿** اى ذو ربح ونفع اورائح اى يروح نفعة لقربه من البلد اورائح اى يروح ويعود اليك نفعه وثوابه او يروح خيره الى صاحبه ويجيء اليه ويذهب منى وقسمها ابو طلحة فى اقاربه وبنى عمه وروى انه جعلها بين حسان بن ثابت وابى بن كعب **﴿قوله﴾** اسامة بن زيد **﴿** وزيد هذا هو زيد بن حارثة صاحب الفرس فلما وهب صلى الله عليه وسلم ذلك الفرس لابنه اسامة شق ذلك على زيد وظن ان صدقته لم تقبل فقال اردت ان اتصدق بها فقال عليه الصلاة والسلام * ان الله عز وجل قد قبلها منك * وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اشترى جارية فلما رآها اعجبته فأعتقها فقيل له لم اعتقتها و لم تصب منها فقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وبالجملة كان السلف اذا احبوا شيأ جعلوه لله تعالى ذخيرة ليوم يحتاجون اليه والانسان لا ينفق محبوبه الا اذا ايقن انه يتوسل بذلك الى وجدان محبوب اشرف من الاول والانسان لاينفق محبوبه الا اذا تيقن بوجود الصانع العالم القادر ويتيقن بالبعث والحساب والجزاء وان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولازم منه ان الانسان لايمكنه انفاق محبوبه فى الدنيا الا اذا كان مستجمع الخصال المحمودة فى الدين واختلف المفسرون فى ان المراد من الانفاق مما تحبون هل هو اخراج الزكاة او الانفاق المستحب فذهب الصحابة الى الاول وقال المعنى حتى تخرجوا زكاة اموالكم وقال الحسن كل شئ انفقه المسلم من ماله يبتغى به وجه الله تعالى فانه الذى عناه الله بقوله حتى تنفقوا مما تحبون حتى التمرة وما نقله المصنف من الروايات يؤيد القول الثانى * قال الامام وانا اقول لو خصصنا الآية بغير الزكاة لكان اولى لان الآية مخصوصة بانفاق الاحب والزكاة الواجبة ليس فيها

(اولئك لهم عذاب اليم) مبالغة فى التحذير واقناط لان من لايقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما (ومالهم من ناصرين) فى دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق (لن تنالوا البر) اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير اولن تنالوا بر الله الذى هو الرحمة والرضى والجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) اى من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله والمهجة فى سبيله روى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يارسول الله ان احب اموالى الى بيرحى فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رائح وانى ارى ان تجعلها فى الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال زيد انما اردت ان اتصدق بها فقال عليه السلام ان الله قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب

ايتاء الاحب فانه لايجب على المزكى ان يخرج احسن امواله و اكرمها بل الصحيح ان هذه الآية مخصوصة بأيتاء المال على سبيل الندب و نقل الواحدى عن مجاهد و الكلبى ان هذه الآية منسوخة بآية الزكاة و هذا فى غاية البعد لان ايجاب الزكاة كيف ينافى الترغيب فى بذل المحبوب لوجه الله تعالى ﴿قوله و هو يدل على ان من للتبعيض﴾ لم يشترط انفاق الكل تيسيرا على العباد قال القشيرى من اراد البرّ فلينفق بعض ما يحبه و من اراد البارّ فلينفق جميع ما يحبه و قيل اذا كنت لا تصل الى البرّ الا بانفاق محبوبك فتى تصل الى البارّ و انت تؤثر عليه حظوظك روى ان ابن عمر رضى الله عنهما كان مريضا فاشتهى عنبا و ذلك فى الشتاء فخرج بنوه و اشتروا له عنقودا بدرهم فلما أتى به اخذ منه حبة فاذا سائل يسأل فأعاد الحبة فى موضعها ثم قال ياسالم ناوله العنقود فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول * خير الصدقة ما كان على شهوتها فناوله سالم العنقود ثم اشتراه منه بدرهم ثم جاء به اليه و قال كل شهوتك فعاد السائل فأعادها الى موضعها و فعل كالاول فكان كذلك ثلاث مرات و مات عبدالله بشهوته رضى الله عنه ﴿قوله و يحتمل التبيين﴾ و المعنى لن تنالوا البر الا ان تنفقوا الشئ الذى تحبونه و دلت الآية على ان لابأس بمحبة شئ من الدنيا اذا لم يقدّمه على محبة الدين و لم يؤثر العاجل على الآجل ﴿قوله اى من اى شئ﴾ اشارة الى ان ما شرطية و قوله فان الله به عليم جواب الشرط جعل علمه تعالى بذلك جوابا للشرط مع ان علمه تعالى غير مشروط بشئ بناء على ان علمه بذلك الانفاق جعل كناية عن اعطاء الثواب و يجوز تعليق الاثابة بالعمل ﴿قوله اى المطعومات﴾ فى الحواشى السعدية لما كانت كلمة كل عند الاضافة الى المفرد المعرّف لعموم الاجزاء مثل اكلت كل الخبز و كان القصد هنا الى عموم افراد المطعوم حمل الطعام على المطعومات بدلالة اللام الاستغراقية او المضاف اذ هو عام بالاضافة فوقعت كلمة كل لتوكيد العموم المستفاد من اللام او الاضافة ﴿قوله و المراد اكلها﴾ اذ لا يوصف بنحو الحل او الحرمة الا افعال المكلف لا الاعيان ﴿قوله و هو مصدر﴾ يقال حلّ الشئ يحلّ حلا كما يقال ذلت الدابة ذلا و عزّ الرجل عزا و اطلق على الاشخاص فى قوله تعالى لاهنّ حل لهم للمبالغة ﴿قوله و قيل كان به عرق النسا﴾ روى ان يعقوب نذر ان وهب الله له اثنى عشر ولدا و اتى بيت المقدس صحيحا ان يذبح آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة فقال له يا يعقوب انك رجل قوى هل لك فى الصراع فعالجه فلم يصرع واحد منهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال انى لو شئت ان اصرعك لفعلت و لكن غمزتك هذه الغمزة مخرجا عن ذلك الذبح ثم ان يعقوب عليه الصلاة و السلام لما قدم بيت المقدس اراد ذبح ولده و نسى قول الملك فأتاه الملك و قال له انما غمزتك للمخرج و قد وفى نذرك فلاسبيل لك الى ولدك ثم انه لما ابتلى بذلك المرض نسى ذلك من بلائه و شدّته و كان لا ينام الليل من الوجع فحلف لئن شفاه الله لايأكل احب الطعام اليه و قيل حلف يعقوب لئن شفاه الله تعالى لايأكل عرقا و لا طعاما فيه عرق فحرّمها على نفسه فجعل بنوه بعد ذلك يتتبعون العروق بخروجها من اللحم و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان يعقوب عليه الصلاة و السلام لما اصابه عرق النسا وصف له الاطباء ان يجتنب لحم الابل فحرّمه يعقوب على نفسه و قيل حرّمه على نفسه تعبدا لله تعالى ﴿قوله و احتج به الخ﴾ اى بقوله تعالى الا ماحرّم اسرآئيل على نفسه و الاجتهاد كما يجوز من الائمة يجوز من الانبياء ايضا لعموم قوله و اعتبروا و لقوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم و لقوله لمحمد عليه الصلاة و السلام عفا الله عنك لم اذنت لهم فجاز ان يجتهد يعقوب فاداه اجتهاده الى التحريم فقال بتحريمه ﴿قوله و للمانع ان يقول ذلك باذن من الله فيه﴾ بأن يقول له عليه الصلاة و السلام افعل مابدالك من تحليل و تحريم نقل الامام عن قوم من المتكلمين انهم قالوا يجوز من الله تعالى ان يقول لعبده احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فلعلّ هذه الواقعة كانت من هذا الباب ﴿قوله تعالى من قبل ان تنزل التوراة﴾ يحتمل ان يتعلق بحرّم اى الا ما حرّم من قبل انزالها و هو و ان كان من قبيل تعيين المعلوم بالضرورة اذ كل احد يعلم ان تحريم اسرآئيل ماحرّم على نفسه انما هو قبل انزال التوراة ضرورة تباعد مابين وجود اسرآئيل و انزال التوراة الا انه جيئ به للاشعار بأن شيأ من الطعام لم يكن حراما على بنى اسرآئيل قبل انزال التوراة الا طعام واحد حرّمه اسرآئيل على نفسه قبل انزالها و ان ماحرّم من المطعومات انما حرّم بانزال التوراة و بعد انزالها و يحتمل ان يتعلق بقوله كان حلا اى كان حلا لبنى اسرآئيل من قبل ان تنزل التوراة و فصل بالاستثناء بناء على ما ذهب اليه الكسائى و ابو الحسن من جواز ان يعمل ما قبل الا فيما بعدها اذا كان مابعدها ظرفا او مجرورا و قرئ تنزل بتخفيف الزاى

(و تشديدها)

و قرئ بعض ماتحبون و هو يدل على ان من للتبعيض و يحتمل التبيين (و ماتنفقوا من شئ) اى من اى شئ محبوب او غيره و من لبيان ما (فان الله به عليم) فيجازيكم بحسبه (كل الطعام) اى المطعومات و المراد اكلها (كان حلا لبنى اسرآئيل) حلالا لهم و هو مصدر نعت به و لذلك يستوى فيه الواحد و الجمع و المذكر و المؤنث قال تعالى لاهنّ حل لهم (الا ماحرّم اسرآئيل) يعقوب (على نفسه) كلحوم الابل و البانها و قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفى لم يأكل احب الطعام اليه و كان ذلك احبه اليه و قيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء و احتج به من جوّز للنبى ان يجتهد و للمانع ان يقول ذلك باذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء (من قبل ان تنزل التوراة) اى من قبل انزالها مشتملة على تحريم ماحرّم عليهم لظلمهم و بغيهم عقوبة و تشديدا و ذلك ردّ على اليهود فى دعوى البرآءة مما نعى عليهم فى قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات و قوله و على الذين هادوا حرّمنا كل ذى ظفر الآيتين بان قالوا لسنا باوّل من حرّمت عليه و انما كانت محرّمة على نوح و ابراهيم و من بعده حتى انتهى الامر الينا فحرّمت علينا كما حرّمت على من قبلنا و فى منع النسخ و الطعن فى دعوى الرسول عليه السلام موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل و ألبانها (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) امر بمحاجتهم بكتابهم و تبكيتهم بما فيه من انه قد حرّم عليهم بسبب ظلمهم مالم يكن محرّما روى انه عليه السلام لما قال لهم بهتوا و لم يجسروا ان يخرجوا التوراة و فيه دليل على نبوّته

وتشديدها وكلاهما بمعنى واحد وهذا رد قول من قال ان نزل بالتشديد يدل على ان الانزال كان منجما لان التوراة انما انزلت دفعة واحدة باجماع المفسرين يقال نعى عليه هفوته اذا شهره بها وقد شهر الله تعالى اليهود بالظلم والبغى وقبائح الافعال حيث انزل قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الاما حملت ظهورهما او الحوايا اوما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فان هاتين الآيتين دلتا على انه تعالى انما حرم على اليهود هذه الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم وقبيح فعلهم وانه لم يكن شئ من الطعام حراما غير الطعام الواحد الذى حرمه اسرائيل على نفسه فشق ذلك على اليهود من وجهين احدهما ان ذلك يدل على ان تلك الاشياء حرمت بعد ان كانت مباحة وذلك يقتضى وقوع النسخ وهم ينكرونه والثانى ان ذلك يدل على انهم كانوا موصوفين بقبائح الافعال فلما شق عليهم ذلك من هذين الوجهين انكروا كون حرمة هذه الاشياء متجددة واقعة بعد ان لم تكن وزعموا انها كانت محرمة ابدا فطالبهم النبى عليه الصلاة والسلام بان يأتوا بالتوراة لتدل على صحة قولهم فعجزوا وافتضحوا هذا على تقرير الامام والمفهوم من كلام المصنف انه عليه الصلاة والسلام طالبهم باحضار التوراة الزاما لهم بما فى كتابهم من انه تعالى قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما وان كتابهم ناطق بصحة النسخ وباتصافهم بالظلم والبغى والله اعلم والوجه فى ارتباط هذه الآية بما قبلها ان الآيات السابقة كانت فى تحقيق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام والالزامات الواردة على اهل الكتاب وتمامه يتوقف على ابطال شبه الطاعنين فى نبوته ومن جملة شبه اليهود انهم قالوا انك تدعى انك على ملة ابراهيم مع ان هذه الاشياء كانت محرمة عليه فجعلوا ذلك شبهة طاعنة فى صحة دعواه عليه الصلاة والسلام فأجابهم النبى عليه الصلاة والسلام عن هذه الشبهة وقال ان ذلك كان حلا لابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الا ان يعقوب حرمه على نفسه لسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة فى اولاده فانكر اليهود ذلك وقالوا كل ما حرمه اليهود كان حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرهم النبى باحضار التوراة وامرهم بان يستخرجوا آية منها تدل على ان لحوم الابل وألبانها كانت محرمة على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وظهر كذبهم روى ابن ماجه فى سننه عن انس بن مالك رضى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول* شفاء عرق النسا ألية شاة تذاب ثم تجزأ ثلاثة اجزاء ثم يشرب على الريق فى كل يوم جزؤ منها* وفى رواية عن انس قال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول* تؤخذ ألية كبش عربى لا صغير ولا كبير فتقطع صغارا فتخرج اهالتها فتقسم ثلاثة اقسام يشرب فى كل يوم قسم منها على الريق* قال انس فوصفته لاكثر من مائة رجل فبرئوا باذن الله عز وجل وظاهر الآية يدل على ان هذا الذى حرمه اسرائيل على نفسه قد حرمه الله تعالى على بنى اسرائيل لقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل فحكم بحل كل المطعومات لبنى اسرائيل ثم استثنى منها ما حرمه اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء ان يكون ذلك حراما عليهم ﴿قوله قل صدق الله﴾ يحتمل وجوها احدها قل صدق الله فى ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل واولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطلت شبهة اليهود وثانيها قل صدق الله فى ان لحوم الابل وألبانها كانت محللة لابراهيم وانما حرمت على اسرائيل حرمها على نفسه فثبت ان محمدا عليه الصلاة والسلام لما افتى بحل لحوم الابل والبانها كان قد افتى بملة ابراهيم وثالثها صدق الله فى ان سائر الاطعمة كانت محللة لبنى اسرائيل وانما حرمت على اليهود جزاء على قبائح افعالهم ﴿قوله وجعل متعبدا لهم﴾ عطف على ما قبله لتفسير المعنى وضع الله اياه للناس لان كونه موضوعا للناس يقتضى ان يشترك فيه جميع الناس وذلك لا يكون الا بكونه موضوعا للطاعات والعبادات قال عليه الصلاة والسلام* لا تشد الرحال الا لثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا* واول هذه المساجد المسجد الحرام فان الاول اسم للفرد السابق ولذلك قيل هذه الآية جواب عن شبهة اخرى من شبه اليهود فى انكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وذلك انه عليه الصلاة السلام لما حول الى الكعبة طعن اليهود نبوته وقالوا ان بيت المقدس افضل من الكعبة واحق بالاستقبال لانه وضع قبل الكعبة فأجابهم الله تعالى بقوله ان اول بيت وضع للناس هو الكعبة فكان جعله قبلة اولى وايضا انه تعالى لما قال فى الآية المتقدمة فاتبعوا ملة ابراهيم وكان من اعظم شعائر ملة ابراهيم الحج ذكر فى هذه الآية فضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج ﴿قوله تعالى وضع للناس﴾ فى موضع الجر على انه صفة لبيت وقوله للذى ببكة خبر ان اخبر بالمعرفة عن

(فمن افترى على الله الكذب) ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بنى اسرائيل ومن قبلهم (من بعد ذلك) من بعد ما لزمهم الحجة (فأولئك هم الظالمون) الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح لهم (قل صدق الله) تعريض بتكذيبهم اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية وألزمتكم تحريم طيبات احلها لابراهيم ومن تبعه (وما كان من المشركين) فيه اشارة الى ان اتباعه واجب فى التوحيد الصرف والاستقامة فى الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود (ان اول بيت وضع للناس) اى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل

(للذي ببكة) للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه اومن بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه السلام سئل عن اوّل بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اوّل من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اوّل بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح ويطوف به الملائكة فلما اهبط آدم امربان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السماء وهو لايلائم ظاهر الآية وقيل المراد انه اوّل بالشرف لابالزمان (مباركا) كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال (فيه آيات بينات) كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولاتتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهر كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى اوحال اخرى (مقام ابراهيم) مبتدأ محذوف خبره اى منها مقام ابراهيم اوبدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون آثار سائر الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه ألوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه

النكرة وهي اوّل بيت لتخصص النكرة بالاضافة والوصف والنبيط والنميط اسم موضع بالدهناء وهو مقصور لم يسمع من العرب الابالقصر فان كل واحد من الباء والميم يعقب الآخر في استعمالات العرب منها هذا الموضع ومنها قولهم راتم في راتب ولازب في لازم ومكة اسم للبلد الحرام ابدلت ميمه باء فقيل بكة والباء في ببكة ظرفية اى في بكة ﴿ قوله وقيل هي موضع المسجد ﴾ عطف على قوله وهي لغة في مكة والبيت كائنه في البلد فهو في المسجد ﴿ قوله من بكه ﴾ خبر ثان لقوله هي اى قيل سمي موضع المسجد بكة لبك الناس وازدحامهم فيه يقال بكه اذا زاحمه وتباك القوم اذا ازدحموا قال قتادة رأيت محمد بن على الباقر يصلي فمرّت امرأة بين يديه فذهبت ادفعها فقال دعها فانها سميت بكة لان الناس يبك بعضهم بعضا تمرّ المرأة بين يدى الرجل وهو يصلي والرجل بين يدى المرأة وهي تصلي لابأس بذلك روي عن على ابن الحسن ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملائكة ان يطوفوا به ثم امر الملائكة الذين هم سكان الارض ان يبنوا في الارض بيتا على مثاله فبنوه واسمه الضراح وامر من في الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وروى ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفي عام فكانوا يحجونه فلما اهبط آدم الى الارض قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا حوله قبلك بألفي عام فطاف به آدم ومن بعده الى زمن نوح عليه الصلاة والسلام فلما اراد الله الطوفان حمل الى السماء الرابعة وهو بحيال الكعبة يطوف به ملائكة السموات وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه اوّل بيت بناه آدم في الارض فنسبة بنائه الى ابراهيم على هذه الروايات ليس لانه عليه الصلاة والسلام بناه ابتداء بل لرفعه قواعده واظهاره ما درس منه فان موضع الكعبة اندرس بعد الطوفان وبقي مختفيا الى ان بعث الله جبريل الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ودله على مكان البيت وامره بعمارته * وجرهم بضم الجيم وسكون الراء وضم الهاء حي من اليمن وهم اصهار اسمعيل عليه الصلاة والسلام والعمالقة من ولد عمليق بن لاود بن سام بن نوح وهم امم تفرّقوا في البلاد ﴿ قوله وهو لا يلائم ظاهر الآية ﴾ لان المقصود من سوق الآية تفضيل الكعبة على بيت المقدس دفعا لشبهة اليهود * والضراح وان طاف به آدم ومن بعده الى زمن الطوفان الاان حمل الآية على تعظيمه لايظهر له وجه ﴿ قوله وقيل المراد انه اوّل بالشرف لابالزمان ﴾ ودلالة الآية على الاوّلية بالفضل والشرف امر لابدّ منه لان المقصود الاصلي من سوق الآية ترجيحه على بيت المقدس وهذا انما يتم بالاوّلية بحسب الفضل والشرف وتفاضل بعض الاعيان والمعانى على بعض ليس لذواتها وانما هو بحسب جعل الله تعالى ولاتأثير للاوّلية في الوضع والبناء في هذا المقصود الاان الاوّلية بحسب الشرف لاتنافي الاوّلية بحسب الزمان فجاز ان يراد بالاوّلية ماهو بحسب الزمان ويفهم شرف ماهو الاوّل زمانا من تقييده بكونه مباركا وهدى للعالمين ﴿ قوله والجملة مفسرة ﴾ اى يجوز ان تكون هذه الجملة مستأنفة لامحل لها من الاعراب وانما جيء بها بيانا وتفسيرا لبركته وهداه ويجوز ان تكون حالا اخرى على رأى من يجوّز تعدد الحال لذى حال واحد ويحتمل ان تكون في محل النصب على ان تكون وصفا لهدى بعد وصفه بالجار قبله ذكر في بيان فضيلة البيت ان اوّل من بناه هو الخليل عليه الصلاة والسلام والتلميذ المعين له هو اسمعيل عليه الصلاة والسلام قيل ليس في العالم بناء اشرف من الكعبة وان الطيور لاتمرّ فوق الكعبة عند طيرانها في الهواء بل تنحرف عنها عند موازاتها ﴿ قوله وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ﴾ اشارة الى ان الضمير في قوله فيه آيات وان كان للبيت الاانه اريد به الحرم تجوّزا للعلاقة والمجاورة او بطريق اطلاق الجزء وارادة الكل وقد روي ان سباع الطيور والوحوش تقصد طيرا فيفرّ منها فاذا دخل الحرم رجعت عنه واستغنت عن اصطياده وذلك خاصية عظيمة ﴿ قوله وان كل جبار قصده بسوء ﴾ اى قصد اصابة السوء بالبيت فلا يرد ان الحجاج حبس عبد الله بن الزبير رضى الله عنه في المسجد الحرام وضرب المنجنيق على ابي قبيس ورمى به داخل المسجد وقتل عبد الله وذلك لان مقصوده اخذ عبد الله لا الاضرار بالبيت ﴿ قوله على ان المراد بالآيات ﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان تبين الآيات بامر واحد وهو مقام ابراهيم او بامرين على ان يكون قوله ومن دخله كان آمنا معطوفا من حيث المعنى على مقام * وتقريره ان مقام ابراهيم وان كان مفردا بحسب اللفظ الاانه لاشتماله على آيات كثيرة جعل بمنزلة الآيات فصلح بيانا لها ﴿ قوله ألوف سنة ﴾ قيل كان بين ابراهيم وبين الهجرة الفان وثمانمائة سنة وثلاث وتسعون سنة وعلى مازعمه اليهود ألفان واربعمائة واثنتان واربعون سنة ﴿ قوله وسبب هذا الاثر انه ﴾ اى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اسكن هاجر وابنه اسمعيل في وادي مكة وانصرف الى الشام جاء بعد زمان

زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسماعيل انزل حتى نغسل رأسك فلم ينزل فارادت ان رجله وهو راكب فوضعت حجرا على الجانب الايمن فوضع ابراهيم قدمه عليه حتى غسلت احد جانبي رأسه ثم حوّلته الى الجانب الايسر حتى غسلت الجانب الآخر ورجلته فاثرت قدمه فيه الا ان ذلك الاثر اندرس من كثرة المسح بالايدى وقيل هو الحجر الذى قام عليه ابراهيم عليه الصلاة والسلام عند الاذان بالحج حين قال له ربه وأذن فى الناس بالحج فقال القفال ويجوز ان يكون ابراهيم قام على ذلك الحجر فى هذه المواضع كلها ﴿ قوله جملة ابتدائية ﴾ على تقدير ان تكون من موصولة لا شرطية وعلى التقديرين لا يصح عطف الجملة على المفرد من حيث اللفظ ﴿ قوله اى ومنها أمن من دخله ﴾ على تقدير ان يكون مقام ابرهيم مبتدأ حذف خبره ومابعده على تقدير كونه بدلا او عطف بيان* وللماوردان يقال كيف صح بيان الجماعة بالاثنين* اجاب عنه انه من باب الطى وهو ان يذكر جمع ثم يؤتى بعضه ويسكت عن ذكر باقيه لغرض يدعو المتكلم الى ذلك ويسمى طيا وفائدة الطى عندهم تكثير ذلك الشئ كأنه تعالى لما ذكر من جملة الآيات هاتين الآيتين قال وكثير سواهما ومن قبيل الطى قوله عليه الصلاة والسلام * حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرّة عينى فى الصلاة *فانه عليه الصلاة والسلام ذكر اثنين وهما الطيب والنساء وطوى ذكر الثالث كأنه عليه الصلاة والسلام لما ذكر الاولين سقط فى يده واعرض عن الالتفات الى امر دنياه فابتدأ بقوله *وقرّة عينى فى الصلاة* لانها ليست من امور الدنيا وانما هى من الامور الاخروية قال الحسن وقتادة فى معنى أمن من دخله كانت العرب فى الجاهلية يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم أمن القتل والغارة وهذا قول اكثر المفسرين لقوله تعالى أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقد سأل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ربه ان يأمن سكان مكة حيث قال رب اجعل هذا بلدا آمنا فاستجاب الله تعالى دعاءه وقال الضحاك من حجه كان آمنا من الذنوب التى اكتسبها قبل ذلك وقيل معناه من دخل معظما له متقربا الى الله عز وجل كان آمنا يوم القيامة من العذاب واختاره المصنف واستشهد عليه بالحديث وعنه عليه الصلاة والسلام *الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران فى الجنة* وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال* يبعث الله من هذه البقعة ومن الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر *وعنه عليه الصلاة والسلام *من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام * قال ابو بكر الرازى لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله ان اوّل بيت وضع للناس موجودة فى جميع الحرم ثم قال ومن دخله كان آمنا وجب ان يكون مراده جميع الحرم واجمعوا على ان من قتل فى الحرم فانه يستوفى القصاص منه فى الحرم وانما الخلاف فيما اذا وجب القصاص عليه خارج الحرم ثم التجأ الى الحرم فهل يستوفى منه فى الحرم اولا فقال الامام الشافعى يستوفى فيه واحب البقاع الى الله مايؤدى فيه فرائض الله تعالى وقال ابو حنيفة لا يستوفى الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يباع له ولا يتكلم معه حتى يضطرّ الى الخروج ثم يستوفى منه القصاص واحتج بهذه الآية فقال ظاهر الآية الاخبار عن كونه آمنا ولا يمكن حمله على الخبر اذ قد لا يصير آمنا فى حق من اتى بالجناية وفى القصاص فيما دون النفس فوجب حمله على الامر وتركنا العمل به فى الجناية التى دون النفس لان الضرر فيها اخف من ضرر القتل فى القصاص بالجناية فى الحرم لانه هو الذى هتك حرمة الحرم فبقى محل الخلاف على ظاهر الآية ﴿ قوله قصده للزيارة على الوجه المخصوص ﴾ اشارة الى تعريف الحج فى عرف اهل الشرع فان الحج فى اللغة القصد ورجل محجوج اى مقصود وفى عرف الشرع هو القصد الى مكة لأداء المناسك المشروعة فى مواضعها والحج بفتح الحاء وكسرها لغتان فصيحتان بمعنى واحد والفتح لغة اهل الحجاز والعالية والكسر لغة اهل نجد وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح المصدر وقال سيبويه يجوز ان يكون المكسور ايضا مصدرا كالذكر والعلم وقوله حج البيت مبتدأ ولله خبره وعلى الناس متعلق بما تعلق به الخبر اومتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير المستكن فى الجار ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر وسبيلا مفعولا به لان استطاع متعدّ قال تعالى لا يستطيعون نصركم واستطاعة السبيل الى الشئ عبارة عن استطاعة مايكون وصلة الى الشئ وسببا للوصول اليه قال تعالى فهل الى خروج من سبيل وفى نظم الآية مبالغات كثيرة منها قوله ولله على الناس حج البيت يعنى انه حق واجب عليهم لله فى رقابهم لا ينفكون عن ادائه والخروج عن عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل منه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التأكيد احدهما ان

(ومن دخله كان امنا) جملة ابتدائية اوشرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه فى معنى أمن من دخله اى ومنها أمن من دخله اوفيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام * حبب الىّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرّة عينى فى الصلاة لان فيهما غنية عن غيرهما فى الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيامة قال عليه السلام من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند ابى حنيفة من لزمه القتل بردّة اوقصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج (ولله على الناس حج البيت) قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائى وعاصم فى رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد

الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان التفصيل بعد الاجمال والايضاح بعد الابهام ايراد له في صورتين مختلفتين والثالث قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج والرابع ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان والخامس قوله عن العالمين ولم يقل عنه لما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان ﴿**قوله** بدل من الناس﴾ فتكون من موصولة في محل الجر تقديره على من استطاع اى قدر واطاق الى البيت سبيلا اى قدر على الذهاب اليه واراد به قدرة سلامة الآلات والاسباب وهي تتقدم على الفعل والاستطاعة التي هي شرط لوجوب الفعل هي الاستطاعة بهذا المعنى لا الاستطاعة التي هي شرط حصول الفعل وهي لا تكون الا مع الفعل لانها علة وجود الفعل وسببه فلا تكون الا معه فالاستطاعة الاولى شرط للوجوب لا للحصول لانها لو كانت شرطا له لكان لا يجب الحج على من كان في اقصى البلاد من مكة الا بحضورها لانه لا شك في انه لم توجد في حقه القدرة التي تتأدى بها افعال الحج لانها انما تؤدى في مكة فلا يكون قادرا على تلك الافعال الا بالحضور الى تلك الامكنة فيجب ان لا يلزم الحج الا بحضورها فكان له ان لا يحضر حتى لا يجب عليه الحج وايضا كل واحد من الاستطاعة والسبيل مطلق وقد فسره عليه الصلاة والسلام بالزاد والراحلة وكل واحد منهما من قبيل الاسباب لا من قبيل حقيقة القدرة فانه عليه الصلاة والسلام لما سئل ما السبيل قال الزاد والراحلة فان السبيل ما يتوصل به الى المطلوب ويتأتى به امكان الوصول اليه ولا شك ان الزاد والراحلة من اسباب الوصول الى الحج وان الحج لا يجب الا عند اجتماع اسباب التوصل نحو صحة البدن بان يطيق ركوب الراحلة والنزول عنها والاستمساك عليها ونحو أمن الطريق وزوال خوف التلف من سبع أو عدو أو فقدان طعام أو شراب ونحو القدرة على المال الذي يشتري به الزاد والراحلة ويقضي به جميع ما عليه من الدين ويضع عند من يجب عليه نفقته من المال ما يكفيه لذهابه ومجيئه وقال الامام الشافعي يكفي لوجوب الحج الاستطاعة بالمال فمن كان عاجزا بنفسه بان يكون زمنا او به مرض لا يرجى زواله وكان له مال يمكنه ان يستأجر به من يحج عنه يجب عليه ان يستأجر من ينوب عنه ولو لم يكن له مال لكن كان له ولد او اجنبي يطيعه ان امره بان يحج عنه يلزمه ان يأمره اذا كان يعتقد صدقه لان وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة ويقال في العرف فلان مستطيع لبناء دار وان كان لا يفعله بنفسه وانما يفعله بماله واعوانه وقال الامام مالك الاستطاعة بالبدن فمن صح بدنه وامكنه المشي والاكتساب في الطريق اذا لم يجد ما يشتري به الراحلة يجب عليه الحج لان صحيح البدن القادر على المشي واكتساب ما ينفقه على نفسه في الطريق يصدق عليه انه يستطيع الحج وان لم يجد ما يركبه روى عن الضحاك انه قال اذا كان شابا صحيحا ليس له مال فعليه ان يؤجر نفسه حتى يقضي حجه فقال له قائل أكلف الله الناس ان يمشوا الى البيت فقال لو كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه قال لا بل ينطلق اليه ولو كان حبوا قال فكذلك يجب عليه حج البيت ﴿**قوله** لما نزل صدر الآية﴾ وهو قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا جمع عليه الصلاة والسلام اهل الاديان كلهم بناء على ان لفظ الناس مستغرق لجميع افراد المكلفين قيل لما نادى الخليل عليه الصلاة والسلام الخلق دعاهم الى الحج باسم الناس حيث قال ايها الناس ان الله قد بنى لكم بيتا وامركم ان تحجوه فحجوه ذكر الله تعالى امور الحج في آي من القرآن مقرونة باسم الناس فقال واذن في الناس بالحج ولله على الناس ثم أفيضوا من حيث افاض الناس واذ جعلنا البيت مثابة للناس والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس ان اول بيت وضع للناس الى غير ذلك فلذلك احتجوا بهذه الآية على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام لان قوله تعالى ولله على الناس يعم المؤمن والكافر وعدم الايمان الذي هو شرط لصحة الاتيان بالفروع لا يمنع كون المرء مكلفا بالمشروط الا ترى ان الدهري مكلف بالايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام مع ان الايمان بالله شرط لصحة الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام وهذا الشرط غير حاصل للدهري وايضا المحدث مكلف بالصلاة مع ان الوضوء الذي هو شرط صحة الصلاة غير حاصل واسم الناس وان كان يعم المؤمنين والكفار الا انا نقول المراد بالناس في هذه الآية هم المؤمنون دون الكفار فانهم غير مخاطبين باداء الشرائع عندنا وعند الامام الشافعي هم مخاطبون بها قال الامام ابو منصور قال الامام الشافعي رضي الله عنه في الآية دلالة على ان الحج يجب على جميع الناس لا المؤمنين خاصة فتكون حجة على ان الكفار غير مخاطبين بالشرائع فان الله تعالى قال ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا واسم الناس يقع على المؤمنين والكافرين الا انا نقول المراد بالناس المؤمنون وقد عرفنا ذلك بسياق الآية وهو قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين فلو حمل لفظ الناس على

(من استطاع اليه سبيلا) بدل من الناس بدل البعض من الكل مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي رضي الله تعالى عنه انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله تعالى انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما أتى الى الشيء فهو سبيله (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد أكد امر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روى انه لما نزل صدر الآية

بآيات الله) بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح لان معرفتهم بالآيات اقوى وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما (والله شهيد على ماتعملون) والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار (قل يااهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله من آمن) كرّر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بأن كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرّشون بينهم حتى أتوا الاوس والخزرج فذكروهم مابينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدّهم عنه (تبغونها عوجا) حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرّشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم (وانتم شهداء) انها سبيل الله والصدّ عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا (وما الله بغافل عما تعملون) وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ماتعملون ولما كان في هذه الآية صدّهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون (ياايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردّوكم بعد ايمانكم كافرين) نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدّثون فمرّ بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ماقيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال أتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بين قلوبكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوّهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم (وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) انكار وتعجب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر (ومن يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره (فقد هدى الى صراط مستقيم) فقد اهتدى لامحالة (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) حق تقواه ومايجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله مااستطعتم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تأكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب

الفريقين لم يكن لقوله ومن كفر معنى لانه يصير في التقدير كأنه قال ولله على الكفار حج البيت ومن كفر فان الله غني عن العالمين ثم ان كان اللفظ عامّا فقد قام دليل التخصيص من حيث العقل فان شرع الله تعالى منزه عن العبث واللعب تعالى الله عن ذلك على ان خطاب الله تعالى في سائر العبادات للمؤمنين فكذلك في باب الحج حتى تكون الخطابات على سنن واحد في طلب العبادات انتهى كلامه **قوله** ارباب الملل هم ستة مذكورة في قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا فاقرّ من بفرضية الحج منهم المسلمون وكفر بها اهل الملل الخمس الباقية وقالوا لانؤمن بفرضية حج البيت ولا نأتي اليه ولانحجه فانزل الله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين فيكون الكافر من انكر النص ولم يعتقد وجوب الحج **قوله** دليل على ان كفرهم اقبح لان ترتيب التوبيخ على كونهم اهل الكتاب يشير الى كون الوصف مقتضيا للتوبيخ ووجه الاقتضاء ماذكره من الوجهين **قوله** طالبين لها اعوجاجا جعلها حالا مع احتمال كونها جملة مستأنفة اخبر عنهم بذلك بناء على ان كونها في محل النصب على الحال اظهر لان الجملة الاستفهامية السابقة جيء بعدها بجملة حالية ايضا وهو قوله وانتم تشهدون فعلى تقدير كون هذه الجملة حالا تتفق الجملتان في انتصاب الحال من كل واحد منهما ثم انها كما يجوز كونها حالا من فاعل تصدّون يجوز ايضا كونها حالا من سبيل الله لان الجملة اشتملت على ضمير كل واحد منهما فان ضمير يبغونها يعود على سبيل والسبيل يذكر ويؤنث ومن التأنيث هذه الآية وقوله تعالى قل هذه سبيلي وعوجا مفعول به وقدّر اللام في قوله طالبين لها لان البغي يتعدّى الى مفعول واحد فقط بنفسه يقال بغيت المال والاجر والثواب ولايتعدى الى مفعول آخر الا بواسطة اللام وههنا لما لم تذكر اللام صريحا وجب تقديرها فلما حذفت اللام عمل الفعل فيما بعدها كما قالوا وهبتك درهما يريدون وهبت لك ومثله صدته ظبيا اي صدت له قال الشاعر

فتولى غلامهم ثم نادى ❁ أظبيا اصيدكم ام حمارا

والعوج بكسر العين وفتحها الميل والانحراف لكن العرب فرقوا بينهما فخصوا المكسور بالمعاني والمفتوح بالاعيان تقول في دينه وكلامه عوج بالكسر وفي الجدار والقناة والشجر عوج بالفتح **قوله** بان تلبسوا جواب عما يقال كيف يبغون لسبيل الله عوجا وهي اقوم من كل مستقيم فابتغاء العوج لها طلب المحال واجاب عنه بوجهين حاصل الاوّل وتطلبون بتلبيسكم ان يتوهم الناس العوج وتفعلون مايوهم العوج فيها فالاستفهام للانكار والتوبيخ وحاصل الثاني تتعبون انفسكم بطلب المحال والاستفهام للاستبعاد والتوبيخ **قوله** انكار وتعجب لان كيف حقيقة في السؤال عن الحال وليست بمرادة وقد تستعمل في التعجب وهو على الله تعالى محال والكفر منكر شرعا وعقلا فصير الى الانكار والتعجب والاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر هي تلاوة آيات الله عليهم حالا بعد حال وكون الرسول فيهم يزيل الشبه ويقرّر الحجج فالعدول عن الايمان والدخول في الكفر مع تحقق هذه الامور ابعد وانجب **قوله** ومن يتمسك بدينه الاعتصام هو الاستمساك بالشيء واصله من العصمة بمعنى المنع والعاصم المانع واستعصم فلان بالشيء اذا تمسك بالشيء في منع نفسه عن الوقوع في آفة واعتصم الرجل بصاحبه لزمه وتمسك به في الامتناع عما يضرّ والعصمة المنع يقال عصمه الطعام اي منعه من الجوع وابو عاصم كنية السويق واعتصمت بالله اذا امتنعت بلطفه من المعصية وبالجملة لابدّ في الاعتصام من ملاحظة معنى التمسك والتمسك بالله تعالى حقيقة لايتصوّر فلابدّ ان يقدّر مضاف وهو الدين او يجعل الاعتصام بالله تعالى استعارة للالتجاء اليه بان يشبه الالتجاء بالتمسك **قوله** تعالى فقد هدى جواب الشرط وجيء في الجواب بقد دلالة على التحقيق والتوقع فان كلمة قد سواء دخلت على الماضي او المضارع لابدّ فيها من معنى التحقيق ثم انه ينضاف في بعض المواضع الى هذا المعنى في الماضي التقريب من الحال مع التوقع اي يكون مصدره متوقعا لمن يخاطبه واقعا عن قريب كما تقول لمن يتوقع ركوب الامير قد ركب اي حصل عن قريب ماكنت تتوقعه ولاشك ان المعتصم بالله متوقع لهدايته وقوله لامحالة اشارة الى مافي قد من معنى التحقيق **قوله** وعن ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى الخ قال بعض العلماء هذه الآية منسوخة لماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين لان حق تقاته ان يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى ولا طاقة للعباد بذلك فنزلت فاتقوا الله مااستطعتم فنسخ اوّل هذه الآية ونسخ آخرها وهو قوله ولاتموتنّ الا وانتم مسلمون وقال جمهور المحققين القول بهذا النسخ باطل لانه لايحتمل ان يأمر الله عباده بشيء ليس في وسعهم فيقال انه كان

واصل تقاة وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) اى ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادركم الموت فان النهى عن المقيد بحال اوغيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي (واعتصموا بحبل الله) بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة من الردى كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة من التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز (جميعا) مجتمعين عليه (ولا تفرقوا) عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا مايوجب التفرق ويزيل الالفة (واذكروا نعمة الله عليكم) التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المودى الى التألف وزوال الغل (اذ كنتم اعداء) في الجاهلية متقاتلين (فألف بين قلوبكم) بالاسلام (فأصبحتم بنعمته اخوانا) متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفأها الله بالاسلام والف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم (وكنتم على شفا حفرة من النار) مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار (فأنقذكم منها) بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتأنيثه لتأنيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم آياته) دلائله (لعلكم تهتدون) ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه

منسوخا بالامر بقدر الطاقة والوسع ولكن الاصل في هذا عندنا ما روى عن معاذ انه عليه الصلاة والسلام قال له هل تدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله * قال الله ورسوله اعلم قال * حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وحق العباد على الله ان يدخلهم الجنة اذا عبدوه ولم يشركوا به احدا * او كما قال فيكون هذا الحديث تأويلا للآية اى اتقوا الله فلا تكفروه فيكون محصول الآية الامر بالايمان والنهى عن الكفر وهذا لا يجوز ان ينسخ وما يقال من انهم لما قالوا من يقوى على ان يتق الله حق التقوى نزل فاتقوا الله ما استطعتم ليس فيه ان الاول كان امرا بما ليس في الوسع ثم نزل التخفيف بل فيه بيان ان ذلك الامر كان بما هو في الوسع واليه اشار المصنف بقوله وهو استفراغ الوسع الى قوله فاتقوا الله ما استطعتم ﴿قوله كما في تؤدة﴾ شبه التقاة بالتؤدة من وجهين الاول في كونهما مصدرين والثاني ان التاء فيهما بدل من الواو فان اصل تؤدة وؤدة قلبت الواو المضمومة تاء كما في تراث وتجاه قال الجوهري مشى مشيا وئيدا وعلى تؤدة اى وني في مشيه واتأد وتوأد في مشيه وهى افتعل وتفعل من الوأد واصل التاء في اتأد واو يقال اتئد في امرك اى تثبت ﴿قوله ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادركم الموت﴾ اشارة الى ان الاستثناء مفرغ والمستثنى منه اعم الاحوال اى لا تموتن على حال من الاحوال الا على هذه الحالة فهو نهى عن موتهم على غير هذه الحالة والمراد دوامهم على الاسلام ولما كان الثبات على الاسلام ممكنا صار الموت على الاسلام وعلى غيره بمنزلة ما هو ممكن بالنسبة اليهم فنهى عن الموت على غير الاسلام والمراد الامر بالثبات على الاسلام وذلك لان الموت لابد منه فاذا داموا على الاسلام يموتون عليه وقريب منه ما حكى عن سيبويه رحمه الله لا ارينك ههنا اى لا تكن بالحضرة فتقع عليك رؤيتى وادخل اداة النهى على فعل الكون واخر قوله اذا ادركم الموت اشارة الى ان النهى راجع الى القيد وعلل ذلك بقوله فان النهى عن المقيد بحال او بغيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة نحو لا تعبث وانت تصلى ونحو القيد اخرى كما في هذه الآية وفي قولك لا تصل الا خاشعا وقد يتوجه نحو المجموع دون كل واحد منهما كما في قولك لا تصل محدثا اى لا تجمعهما وان جاز لك ان تلابس كل واحد منهما منفردا عن الآخر وكذا النفي في جواز توجهه الى تلك الامور الثلاثة ﴿قوله استعار له الحبل﴾ يعنى ان لفظ الحبل مستعار لاحد المعنيين دين الاسلام او القرآن فان كل واحد منهما يشبه الحبل في كونه سببا للنجاة من الردى والوصول الى المطلوب فان من سلك طريقا صعبا يخاف ان تزلق رجله فيه اذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبي ذلك الطريق أمن الخوف كذلك طريق السعادة الابدية ومرضاة الرب تعالى طريق زلق ودواعى الضلال عنها متكثرة تزلق رجل اكثر الخلق فيها فمن اعتصم بالقرآن العظيم وبقوانين الشرع وبآيات الرب الكريم فقد هدى الى صراط مستقيم وأمن من الغواية المؤدية الى نار الجحيم كما يأمن المتمسك بالحبل من العذاب الاليم ﴿قوله وللوثوق به﴾ عطف على قوله له اى واستعار الاعتصام باحد الامرين للوثوق به والاعتماد عليه ثم سرت الاستعارة الى المشتق وهو اعتصموا والمعنى اجتمعوا واتفقوا على الاعتماد والاتباع لما هو بمنزلة الحبل لكم وهذه الاستعارة باعتبار معناها الاصلى الحقيقي كانت ترشيحا للاستعارة الاولى لكون الاعتصام الحقيقي من ملائمات الحبل المستعار منه ﴿قوله او لا تفرقوا تفرقكم الجاهلي﴾ فالنهى حينئذ عن التفرق بطريق التعادى والتحارب وهو مخل باتفاق كلمتهم في نصرة الدين وتقويته ﴿قوله او لا تذكروا ما يوجب التفرق﴾ فالنهى حينئذ عما يكون سببا للتفرق بطريق اطلاق المسبب وارادة السبب ﴿قوله مشفين﴾ اى مشرفين فان الاشفاء على الشيء والاشراف عليه بمعنى وهو الوصول الى طرفه وشفا الشيء طرفه وحرفه وهو مقصور من ذوات الواو يثنى بالواو نحو شفوين ويكتب بالالف ويجمع على اشفاء ويستعمل مضافا الى اعلى الشيء والى اسفله فمن الاول شفا جرف ومن الثاني هذه الآية واشفى على كذا اى قاربه ومنه اشفى المريض على البرء ﴿قوله فانقذكم منها﴾ اى خلصكم ونجاكم بدين الاسلام يقال انقذته واستنقذته اى خلصته ﴿قوله مثل ذلك التبيين﴾ يعنى ان الكاف في موضع النصب على انه صفة مصدر محذوف اى يبين الله لكم تبيينا مثل ذلك التبيين ﴿قوله ارادة ثباتكم على الهدى﴾ لما امتنع حقيقة الترجي في حقه تعالى وجب ان يحمل لعل على المعنى المجازي ولما كان بين الارادة والترجي علاقة المشابهة كان حمل اللفظ على معنى الارادة صحيحا في هذا المقام لان الخطاب للمؤمنين الثابتين على الهدى فيكون ثباتهم على الهدى بخلق الله وارادته فانه قد ذهب اهل الحق الى ان الحوادث باسرها من افعال العباد وغيرها من الطاعة والمعصية والكفر والايمان واقع بخلقه وايجاده وارادته

ومشيئته ولايجرى فى ملكه الا مايشاء ويريد لاكما زعمت المعتزلة من ان جميع الافعال الصادرة منه تعالى واقعة بارادته واماافعال العبادفانه تعالى يريدمنهم ماامرهم به ويكره منهم مانهاهم عنه من الكفر والعصيان فهما عندهم ليسا بارادته تعالى فقدثبت ان حمل اللفظ على معنى الارادة صحيح فحمل عليه نقل الامام عن الجبائى انه قال الآية تدل على انه تعالى يريد منهم الاهتداء ثم قال اجاب الواحدى عنه فى البسيط فقال بل المعنى لتكونوا على رجاء هدايته ثم قال واقول هذا الجواب ضعيف لانه على هذا التقدير يلزم ان يريد الله تعالى منهم ذلك الرجاء ومن المعلوم انه على مذهبنا قدلا يريد الله تعالى منهم ذلك الرجاء ثم قال والجواب الصحيح ان كلمة لعل للترجى والمعنى انافعلنا فعلا يشبه فعل من يترجى ذلك انتهى كلامه ولايخفى ان هذا البحث ساقط من اصله على تقرير المصنف وعلى ما اوضحنا مراده والله اعلم ﴿قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير الآية﴾ ذكر الامام فى انتظام هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما عاب اهل الكتاب فى الآية المتقدمة بشيئين كفرهم حيث قال يا اهل الكتاب لم تكفرون وسعيهم فى ايقاع الغير فى الكفر حيث قال يااهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله من آمن انتقل الى خطاب المؤمنين فحذرهم من طاعة الكفار ثم امرهم بمجامع الخير واصول البر فأمر اوّلا بالتقوى والايمان فقال اتقوا الله حق تقاته ولاتموتنّ الاوانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرّقوا ثم امر ثانيا بالسعى فى ايمان الغير وطاعته فقال ولتكن منكم امّة يدعون الى الخير وهذا ترتيب حسن اى ولتوجد منكم على ان كان تامّة وامّة فاعلها ويدعون جملة فى محل الرفع صفة لأمّة ومنكم متعلق بتكن على انها تبعيضية ويجوز ان يكون منكم متعلقا بمحذوف على انه حال من امة لانه لو تأخر عنها لكان صفة لها فلما قدّم امتنعت الوصفية فتعين كونه حالا ويجوز ان تكون من للبيان لان التبيين وان تأخر لفظا فهو مقدّم رتبة واستدل المصنف على كونها للتبعيض بقوله لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية وهو انما يستلزم الدعوى لو كانت فروض الكفاية واجبة على بعض غير معين من المكلفين فانّ كونه من فروض الكفاية حينئذ يستلزم كون من تبعيضية وكون الفعل مطلوبا من بعض غير معين واما اذا كانت واجبة على الكل كما صرّح به نفسه حيث قال ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا اثموا جميعا فكونه من فروض الكفاية لايستلزم كونها تبعيضية بل الظاهر انها حينئذ للتبيين كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان لم يرد بعض الاوثان بل اراد فاجتنبوا الاوثان وكما فى قولهم لفلان من اولاده جند وللامير من غلمانه عسكر يريدون جميع اولاده وغلمانه لابعضهم وكذاهنا فالمعنى كونوا امة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع كونه من فروض الكفاية اذا كان مطلوبا من الكل كيف يكون فاستدلال المصنف محل تأمل ويمكن ان يقال مبنى الاستدلال كون ماهو من فروض الكفاية واجبا على بعض غير معين ومبنى آخر كلامه على مذهب آخر وهو المختار قال بعض العلماء كلمة من هنا ليست للتبعيض لوجهين الاوّل انه تعالى اوجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل الامّة حيث قال كنتم خير امّة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وكذا ذم الله تعالى من ترك ذلك بقوله كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وروى عن عكرمة ان ابن عباس رضى الله عنهما قال له قد أعيانى ان اعلم مافعل بمن امسك عن الوعظ فقلت انا اعلمك ذلك اقرأ قوله تعالى انجينا الذين ينهون عن السوء فقال اصبت فاستدل ابن عباس بهذه الآية على انه تعالى اهلك من عمل السوء ومن لم ينه عنه وانجى من لم يعمله فجعل والله اعلم الممسكين عن نهى الظالمين مع الظالمين فى العذاب والوجه الثانى ماورد فى الاحاديث من وجوبه على كل مكلف منها ماروى عن ابى سعيد رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول * من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان * وعن حذيفة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه * وسلم لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر اوليوشكنّ الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلايستجاب لكم * وقال بعضهم انها للتبعيض والقائلون بهذا القول اختلفوا على قولين احدهما انهم قالوا ان فى القوم من لايقدر على الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر كالمرضى والعاجزين فلا وجه لكون الفعل مطلوبا من الكل والثانى ان هذا التكليف مختص بالعلماء ويدل عليه وجهان الاوّل ان هذه الآية مشتملة على الامر بثلاثة اشياء الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومعلوم ان هذه الاشياء مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر فان الجاهل ربما دعا الى الباطل وامر بالمنكر ونهى عن المعروف وربما عرف الحكم

(ولتكن منكم امّة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية

الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا أثموا جيعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ماهو فرض كفاية اوللتبيين بمعنى وكونوا امّة يأمرون بالمعروف كقوله تعالى كنتم خيرامّة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى مافيه صلاح دينىّ اودنيوىّ وعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله (واولئك هم المفلحون) المخصوصون بكمال الفلاح روى انه عليه الصلاة والسلام سئل من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب مايؤمر به والنهى عن المنكر واجب كله لان جميع ماأنكره الشرع حرام والاظهر ان العاصى يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر (ولاتكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا) كاليهود والنصارى اختلفوا فى التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ماعرفت (من بعدما جاءهم البينات) الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهى فيه مخصوص بالتفرّق فى الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتى رحمة ولقوله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فأصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد (واولئك لهم عذاب عظيم) وعيد للذين تفرّقوا وتهديد على التشبه بهم (يوم تبيض وجوه وتسودّ وجوه) نصب بما فى لهم من معنى الفعل اوباضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك (فاما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم) على ارادة القول اى فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون اواهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه اوجميع الكفار كفروا بعدما اقرّوا به حين اشهدهم على انفسهم اوتمكنوا من الايمان بالنظر فى الدلائل والآيات (فذوقوا العذاب) امر اهانة (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم او جزآء لكفركم

فى مذهبه وجهله فى مذهب صاحبه فينهاه من غيروجه وقديغلظ فى موضع اللين ويلين فى موضع الغلظ وينكر على من لايزيده انكاره الاتماديا فثبت ان هذا التكليف متوجه الى العلماء ولاشك انهم بعض الامّة والثانى انه قد انعقد الاجماع على انه فرض كفاية بمعنى انه متى قام به البعض سقط عن الباقين واذا كان كذلك كان المعنى ليقم بذلك بعضكم وكان هذا فى الحقيقة ايجابا على البعض لاعلى الكل **قوله** كالعلم بالاحكام فان المعروف مااستحسنه الشرع والعقل سوآء كان واجبا اومندوبا والمنكر مااستقبحه الشرع والعقل والامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان مندوبا فمندوب واما النهى عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب ولابدّ للمحتسب من العلم بهذه الاحكام ويميز بعضها من بعض وليس جميع الامّة متساوية فى العلم بمراتب الاحتساب مثل كونه واجبا عليه اومندوبا ولا فى العلم بكيفية اقامة تلك المراتب فانه ينبغى للمحتسب ان يبتدئ بالاسهل الاخف فان لم ينفع ترقى الى الاصعب الاغلظ ولا فى نفس التمكن فان منهم من يتمكن من القيام بها بلسانه فقط ومنهم من يتمكن بلسانه ويده ومنهم من يتمكن بقلبه فقط **قوله** والنهى عن المنكر واجب كله قال النحرير التفتازانى فيه نظر اذ المكروه منكر يندب تركه ولايجب والالكان حراما **قوله** كاليهود والنصارى ظاهر كلامه يشعر بان التفرّق والاختلاف بمعنى واحد وانما ذكرا معا تأكيدا لاحدهما بالآخر والمراد تفرّقهم فى امر الديانة بعدولهم عما نهج الله لهم واوضح لهم الرسل فأبدعوا لانفسهم اديانا مختلفة على حسب اهوآئهم فقالت اليهود الدين الحق اليهودية وقالت النصارى بل هو النصرانية وقال كل واحد من الفريقين لن يدخل الجنة الامن كان على ديننا واختلفوا فى الانبياء ايضا فكذب اليهود عيسى ومحمدا عليهما الصلاة والسلام وكذب النصارى محمدا صلى الله عليه وسلم وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وان النار لن تمسهم الا ايامامعدودة وقال بعضهم تفرّقوا واختلفوا معناهما مختلف ثم اختلفوا فقيل تفرّقوا بالعداوة وعدم الالفة والاجتماع واختلفوا بسبب اختلافهم فى الاديان وقيل تفرّقوا بسبب استخراج التأويلات الفاسدة من نصوص كتابهم ثم اختلفوا بان حاول كل واحد منهم نصرة قوله ومذهبه وقيل تفرّقوا بأبدانهم بأن كان كل واحد من اولئك الاحبار رئيسا فى بلد ثم اختلفوا حتى صار كل واحد منهم يدّعى انه على الحق وان صاحبه على الباطل ووجه ارتباط هذه الآية بماقبلها انه تعالى امر هذه الامّة بان يكونوا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر وذلك لايتم الا اذا كان الآمر بالمعروف قادرا على تنفيذ هذا التكليف على الظلمة والمتغلبين ولاتحصل هذه القدرة الا اذا حصلت الالفة والمحبة بين اهل الحق والدين فلاجرم حذرهم الله من التفرقة والاختلاف لكيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف **قوله** وبياض الوجه وسواده كنايتان يعنى ان البياض مجاز عن الفرح والسرور وان السواد مجاز عن الكآبة والحزن والغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودّا وقيل لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه ابيض وجهه اى استبشر وتهلل وجهه ويقال لمن وصل اليه مكروه اسودّ وجهه واغبرّ لونه وتبدلت صورته فمعنى الآية ان المؤمن يرد يوم القيامة على ماقدّمت يداه فان كان ذلك من الحسنات ابيض وجهه يعنى استبشر بنعم الله تعالى وفضله واذا رأى الكافر اعماله القبيحة اسودّ وجهه اى اشتدّ حزنه وغمه وقيل بياض الوجه وسواده حقيقتان فانهما يحصلان فى وجوه المؤمنين والكافرين حقيقة لانه متى امكن حمل اللفظ على معناه الحقيق ولم يوجد دليل يوجب صرفه عنه وجب المصير اليه قيل والحكمة فى ظهورهما فى الوجه حقيقة ان السعيد يفرح بان يعلم قومه انه من اهل السعادة قال تعالى مخبرا عنهم قال ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين والشقى يغتم بعكس ذلك **قوله** اى فيقال لهم اضمر الفاء مع القول المضمر لانه جواب اما والاستفهام فى قوله أكفرتم لاجواب له لانه استفهام على طريق التوبيخ والتعجب وقوله فذوقوا العذاب جواب شرط محذوف اى ان كفرتم بعد ما تبين لكم الحق فذوقوا واختلف المفسرون فى الذين كفروا بعد الايمان من هم فقيل هم المرتدّون لقوله بعد ايمانهم والظاهر ان المراد بهم اهل الكتاب بناء على ان الآيات انما نزلت فى حقهم وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه وقيل المراد بهم جميع الكفار وقت استخراج الذرية من صلب آدم وايضا انهم لما تمكنوا من الايمان بالنظر والتفكر فيما نصبه الله تعالى من الدلائل الدالة على التوحيد والنبوّة نزلوا منزلة من آمن فجعلوا مؤمنين على طريقة قوله من قتل قتيلا فله سلبه وقال الحسن هم المنافقون آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم **قوله** او جزآء على ان الباء للمقابلة وعلى الاوّل للسببية

وكلمة ما على التقدير بن مصدرية لا موصولة لاحتياجها الى العائد وعدم صحة تقديره ﴿قوله وكان حق الترتيب﴾
يعني انه قدّم ذكر الذين ابيضت وجوههم في التقسيم على الذين اسودّت وجوههم وعكس هذا الترتيب في تفصيل
احوالهم ومآلهم وجعل الكلام من اللف والنشر الغير المرتب تنبيها على ان ارادة الرحمة اكثر من ارادة الغضب
وايضا قد استحسن الفصحاء والشعراء ان يكون مطلع الكلام ومقطعه شيأ يسرّ الطبع ويشرح الصدر فلذلك
ابتدأ بذكر اهل الثواب وختم بذكرهم ﴿قوله تعالى تلك آيات الله نتلوها عليك﴾ تلك مبتدأ وآيات الله
خبره ونتلوها جملة حالية من قبيل هذا بعلي شيخا وقيل آيات الله بدل من تلك ونتلوها جملة واقعة خبر المبتدأ
وبالحق حال من فاعل نتلوها او من مفعوله وهي مؤكدة لانه تعالى لا ينزلها الا على هذه الصفة وتلك اشارة الى
الآيات المتقدمة المتضمنة تعذيب الكفار وتنعيم الابرار وقيل ان الله تعالى وعده بان ينزل عليه كتابا مشتملا على
ما لابدّ منه في الدين فلما انزل عليه هذه الآيات قال تلك الآيات الموعودة آيات الله التي نتلوها عليك واللام في قوله
للعالمين زائدة لا تعلق لها بشيء زيدت في مفعول المصدر وهو ظلما والفاعل محذوف وهو ضمير الباري تعالى والتقدير
وما الله يريد ان يظلم العالمين فزيدت اللام تقوية للعامل لكونه فرعا في العمل كما في قوله تعالى فعال لما يريد * اعلم ان الله
تعالى انما يعذب من يعذبه باستحقاق ولا يعاقبه بلا جرم ولا يزيد في عقاب المجرم على قدر استحقاقه ولا ينقص من
ثواب المحسن شيأ مما وعده بمقابلة عمله وظلما نكرة في سياق النفي فيعم جميع انواع الظلم والعالمين جمع محلى باللام فيفيد
العموم ايضا فالمعنى ما يريد شيأ من الظلم لاحد من خلقه كيف والظلم وضع الشيء في غير موضعه والتصرّف في ملك
الغير وهو تعالى انما يتصرّف في ملك نفسه ووضع الشيء في غير موضعه قد يكون بمنع حق المستحق منه وقد يكون
بفعل ما يمنع منه ولا ينبغي له ان يفعله وكل ذلك لا يتصوّر في حقه تعالى فيستحيل تصوّر الظلم من الله تعالى فانه لا حق
عليه لاحد فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله بل هو المالك على الاطلاق يفعل ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد
بحكمته فكل ما جاء منه فهو محض حكمة وعدل * لا يقال انه تعالى قد مدح نفسه بعدم كونه مريدا للظلم ولو
استحال صدور الظلم منه تعالى لما كان وصفه تعالى بذلك مدحا لنفسه فانه يمدح الملك بانه لا يظلم رعيته ولا يمدح
اضعف رعاياه بانه لا يظلم على الملك لانا نقول لا نسلم ان المدح بالشيء يقتضي امكانه في حق من مدح به الا ترى انه تعالى
يمدح بقوله لا تأخذه سنة ولا نوم وبقوله وهو يطعم ولا يطعم ولم يلزم من ذلك جواز النوم والاكل عليه فكذا هنا
﴿قوله دل على خيريتهم فيما مضى﴾ اي ولم يدل على انهم بقوا الآن عليها * وتقرير الجواب ان كان انما تدل
على مجرّد وجود الشيء الماضي ولا دلالة لها على الدوام ولا على الانقطاع وتحمل على كل واحد منهما بحسب معاونة
المقام بدلالة القرائن فقولك كان زيد قائما محمول على الانقطاع وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما محمول على الدوام
ثم اختلفت عبارات المفسرين في تصوير كون كان للدلالة على وجود الشيء على صفة في الزمان الماضي فمنهم من قال
في تصوير المعنى كنتم في علم الله ومنهم من قال كنتم في الامم الذين كانوا قبلكم مذكورين بانكم خير امّة فالآية حينئذ
نظير قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا الى قوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل
والظاهر ان قوله اخرجت للناس في محل الجرّ على انه صفة لامّة وان قوله تأمرون يحتمل ان يكون خبرا ثانيا لكنتم
ويحتمل ان يكون حالا وان يكون جملة مستأنفة بين بها كونهم خير امّة قيل السبب في كونهم خير الامم هذه
الخصال الحميدة والمقصود بيان علة تلك الخيرية كقولك زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم لان ذكر الحكم مقرونا
بالوصف المناسب له يشعر بالعلية فههنا لما ذكر عقيب الخيرية امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر علم ان تلك الخيرية
معللة بهذا السبب * فان قيل هذه الخصال الثلاث وهي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله كيف تكون
علة لخيرية هذه الامة على سائر الامم مع كونها حاصلة في سائر الامم ايضا * فالجواب ما قاله القفال تفضيلهم على الامم
الذين كانوا قبلهم انما حصل لاجل انهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآكد الوجوه وهو القتال
لان الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد واقواها ما يكون بالقتال لانه القاء النفس في خطر القتل وآكد
المعروفات الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوّة وانكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد في الدين تحملا لاعظم
المضارّ لغرض ايصال الغير الى اعظم المنافع وتخليصه من اعظم المضارّ فوجب ان يكون الجهاد اقوى العبادات
ولما كان امر الجهاد في شرعنا اقوى منه في سائر الشرائع لاجرم صار ذلك موجبا لفضل هذه الامة على سائر الامم
ثم قال القفال وفائدة القتال على الدين لا ينكرها منصف لان اكثر الناس يحبون اديانهم بسبب الالفة والعادة

﴿واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله﴾
يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك
بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق
عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا
برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم
ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام
ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم (هم فيها
خالدون) اخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد
كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها
خالدون (تلك آيات الله) الواردة في وعده
ووعيده (نتلوها عليك بالحق) ملتبسة
بالحق لا شبهة فيها (وما الله يريد ظلما للعالمين)
اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء
فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه
المالك على الاطلاق كما قال (ولله ما في
السموات وما في الارض والى الله ترجع
الامور) فيجازي كلا بما وعده واوعد
(كنتم خير امّة) دل على خيريتهم فيما مضى
ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله تعالى وكان
الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في
اللوح المحفوظ او فيما بين الامم المتقدمين
(اخرجت للناس) اي اظهرت لهم
(تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)
استئناف بين به كونهم خير امّة او خبر ثان
لكنتم

ولا يتأملون فى الدلائل التى تورد عليهم فاذا اكره على الدخول فى الدين بالتخويف بالقتل دخل فيه ثم لا يزال يضعف فى قلبه ما كان من حب الباطل ولا يزال يقوى فى قلبه حب الدين الحق الى ان ينتقل من الباطل الى الحق ومن استحقاق العذاب الدآئم الى استحقاق الثواب الدآئم ﴿ قوله وانما اخره ﴾ اى أخر الايمان بالله فى الذكر عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع ان حق الايمان بالله ان يقدم على كل الطاعات لان شيأ منها لا يقبل بدون الايمان وتقرير الجواب ان الايمان مع انه اصل الخيرات واساس الطاعات أخر فى الذكر اشعارا بانه لا مدخل له فى خيرية هذه الامة على سائر الامم لكونه قدرا مشتركا بين الكل وانما ذكر مقرونا باسباب خيريتهم لانه ما لم يوجد الايمان لم يصر شئ من الطاعات مؤثرا فى صفة الخيرية فثبت ان الموجب لهذه الخيرية هو كونهم آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر وان ايمانهم بالله هو الذى حملهم على ذلك السبب وهو شرط لتأثيره ﴿ قوله ايمانا كما ينبغى ﴾ فانهم وان آمنوا بالله وببعض كتبه ورسله الا ان هذا المقدار من الايمان لا يعتد به ولا ينجى من الخلود فى النار بل لا بد من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ومن جملته الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴿ قوله وهذه الجملة والتى بعدها ﴾ اولاهما قوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون واخراهما لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون والاستطراد ان يكون المتكلم فى فن من الكلام فيسنح له فن آخر يناسبه كما اذا كنت فى حكاية زيد وبيان انه يفعل كذا وكذا ثم سنح لك ان تقول وعلى ذكره فانه رجل كريم شأنه كذا وكذا فانه لا شك ان قولك وعلى ذكره فانه كيت وكيت مذكور استطرادا عدلت الى ذكر اوصافه وانت فى صدد بيان افعاله فكذا الحال فى الآية الكريمة فان الكلام مسوق لبيان ان اهل الكتاب لو آمنوا وامروا بالمعروف كما امروا لكان خيرا لهم وهاتان الجملتان لا ارتباط لهما بذلك فلا وجه للعطف ولم يعطف الاستطراد الثانى على الاول لتباعد ما بينهما من حيث المعنى اى من حيث ان كل واحد منهما نوع آخر من الكلام ﴿ قوله تعالى الا اذى ﴾ استثناء مفرغ مما يعم طرق الاضرار كأنه قيل لن يضروكم بشئ من طرق الاضرار الا بمباشرة ما لا ترضون به بل تتأذون منه من التكلم بكلام سوء كالطعن فى بعض الانبياء وقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله وثالث ثلاثة وكاخفائهم بعض ما فى التوراة او الانجيل مما يدل على حقية نبيكم ودينكم وكتخويف ضعفة المسلمين ويحتمل ان يكون الاستثناء منقطعا اى لن يضروكم بان يغلبوا على انفسكم واهليكم واموالكم لكن بكلمة اذى والاذى مصدر يقال اذى به بالكسر اذى واذاة واذية ويطلق على ما يؤذيك وقوله تعالى فى المحيض قل هو اذى اى شئ يستقذر كأنه يؤذى من يقربه نفرة وكراهة ﴿ قوله ثم اخبر ﴾ اتى بكلمة ثم للتنبيه على ان قوله ثم لا تنصرون ليس معطوفا على جزآء الشرط وداخلا فى عداد الجزآء بل هو منفصل ومتباعد عنه غير مقيد بقيده فانه تعالى اخبر ابتدآء بانهم بعدما انهزموا وولوا ادبارهم عن حيز المقاتلة لا يجدون النصرة بعد ذلك قط بل يبقون فى الذلة والمهانة ابدا دآئما ﴿ قوله على ان ثم للتراخى فى المرتبة ﴾ اشارة الى ان ثم على قرآءة ثم لا ينصرون بنون الرفع للتراخى الزمانى كما اشار اليه ايضا بقوله تكون عاقبتهم العجز والخذلان وجعل الامام كلمة ثم لعطف الاخبار على الاخبار وجعل فائدة العطف بثم الدلالة على كون الاخبار الثانى متراخيا عن الاخبار الاول فى المرتبة حيث قال الذى عطف عليه ثم لا ينصرون هو جملة الشرط والجزآء كأنه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون وانما ذكر لفظ ثم لافادة معنى التراخى فى المرتبة لان الاخبار بتغليظ الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليهم الادبار انتهى كلامه * والمصنف جعلها لعطف الخبر على الخبر ولا شك ان مضمون الخبر الثانى متراخ بالزمان عن مضمون الخبر الاول واما على قرآءة ثم لا ينصروا عطفا على يولوا فلا مجال لحملها على التراخى الزمانى لكون كل واحد من تولية الظهر والخذلان واقعا فى وقت المقاتلة وقوله الادبار مفعول ثان ليولوكم لانه يتعدى بالتضعيف الى مفعول آخر والمعنى يجعلون ظهورهم لكم ﴿ قوله فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم ﴾ اشارة الى ترجيح قرآءة الرفع لان عدم منصوريتهم على قرآءة الجزم يكون مقيدا بمقاتلتهم المسلمين لان المعطوف على جواب الشرط يجب ان يكون مقيدا بما قيد به نفس الجواب واما على قرآءة الرفع فلا يكون مقيدا بها ولا يخفى انه لا وجه لكونه مقيدا لانهم غير منصورين قاتلوا ام لم يقاتلوا فتكون قرآءة الرفع ارجح واوفق بالمقام ﴿ قوله وهذه الآية من المغيبات ﴾ اى المشتملة على الاخبار عن الغيوب المتعددة وصفت الآية بوصف مدلولها ومن تلك المغيبات كون المؤمنين آمنين من ضررهم ومنها انهم لو قاتلوا المسلمين لانهزموا ومنها انهم لا يحصل لهم

(وتؤمنون بالله) يتضمن الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضى كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك (ولو آمن اهل الكتاب) ايمانا كما ينبغى (لكان خيرا) لكان الايمان خيرا (لهم) مما هم عليه (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام واصحابه (واكثرهم الفاسقون) المتمردون فى الكفر وهذه الجملة والتى بعدها واردتان على سبيل الاستطراد (لن يضروكم الا اذى) ضررا يسيرا كطعن وتهديد (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) ينهزموا ولا يضروكم بقتل وأسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدائرة عليهم ثم اخبر بانه تكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخى فى المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التى وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر

قوة وشوكة بعد الانهزام وتولية الادبار وكل هذه الاخبار وقعت كما اخبر الله تعالى عنه فان اليهود لم يقاتلوا الا انهزموا وما عزموا على محاربة وطلب رياسة الا خذلوا وكل ذلك اخبار عن الغيب على وجه صدقه الواقع فيكون معجزا فان قيل هب ان ما وقع من امر اليهود موافق لمدلول هذه الآية لكن ما وقع من حال النصارى غير موافق له فاوجه صحة هذه الآية المصدرة بقوله ولو آمن اهل الكتاب * اجيب بان اللام فى الكتاب للعهد الخارجى والمعهود اليهود عمدوا الى من آمن منهم وهم عبد الله بن سلام واصحابه رضى الله عنهم فآذوهم فنزلت هذه الآية ﴿قوله تعالى ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا﴾ اى فى اى مكان واى زمان وجدوا فى دار الاسلام الزموا الذل بحيث صار كشئ يضرب على الشئ فيحيط به وقوله اينما اداة شرط وثقفوا فى محل الجزم بها وجواب الشرط محذوف اى اينما ثقفوا غلبوا وذلوا بدلالة قوله ضربت عليهم الذلة عليه وعند من يجوز تقديم جواب الشرط عليه يكون نفس ضربت هو الجواب قيل المراد بهذا الذل ان يحاربوا ويقتلوا ويؤسروا وتغنم اموالهم وتسبى ذراريهم وتملك اراضيهم وقيل المراد ضرب الجزية عليهم لانه يوجب الصغار والذلة وقيل المراد به انك لا ترى فيهم ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا وانما تراهم مستحقرين فى جميع البلاد ذليلين مهانين وقيل المراد به كونهم اذلاء فيما بين المسلمين المؤمنين بسبب كفرهم وتمسكهم بالدين المنسوخ بل بالطريقة المخترعة الباطلة فى نفسها والظاهر ابقاء الذل على عمومه اذ لا وجه لتخصيصه بلا مخصص ﴿قوله استثناء من اعم عام الاحوال﴾ اعلم ان المستثنى المفرغ يصح استثناؤه من جميع مقتضيات الفعل وهى اجناس مختلفة فاعله ومفعوله وما انتصب حالا من احدهما وما كان غرضا منه ومعنى قولهم مستثنى من اعم العام كونه مستثنى مما لا اعم منه فى الجنس الذى وقع منه الاسناد فقولك ما ضرب الا زيد استثناء من اعم عام جنس الفاعل اى ما ضرب احد الا زيد وقولك ما رأيت الا زيدا استثناء من اعم عام المفعول اى ما رأيت شيأ الا زيدا فانه الذى لا اعم منه فى جنس المرئى وقولك ما رأيته الا راكبا استثناء من اعم عام الاحوال اى ما رأيته فى حال من الاحوال الا فى حال كونى او كونه راكبا وقولك ما ضربته الا تأديبا مستثنى من اعم عام اغراضه اى ما ضربته لغرض من الاغراض المطلوبة الا لغرض التأديب والاضافة فى قولهم من اعم عام الاحوال مثل الاضافة فى حب رمان زيد حيث لا رمان له وانما له الحب المختص بالرمان وكذلك الاحوال ليس المقصود ان يكون لها عام يراد من ذلك العام ما هو اعم منه كما فى قولك خبز دقيق البر حتى يقصد اضافة العام الى الاحوال فاضافة اعم عام الى الاحوال كاضافة حب الرمان الى زيد من غير ان يقصد اضافة الرمان اليه ومثله ابن قيس الرقيات فان قيس وان اضيف الى الرقيات صورة الا انه ليس بمضاف اليهن حقيقة اذ لا ملابسة بين قيس وبينهن فى نفس الامر بل الملابس ليس هو الا ابن المختص بالاضافة الى قيس ورقية اسم امرأة ورقيات جمعها روى ان عبيد الله بن قيس تزوج عدة نسوة اسماؤهن كلهن رقية فنسب اليهن وقيل كانت له عدة جدات اسماؤهن كلهن رقية ويقال انه انما اضيف اليهن لانه كان تشبب بعدة نساء يسمين رقية وعلى التقادير فلفظ ابن مضاف الى قيس لافادة التقييد والتخصيص وقيس المقيد بالاضافة الى الرقيات ليس ملابسا لهن وكان المقصود فيما نحن فيه ان يقال اعم العام من جنس الاحوال الا انه قيل اعم عام الاحوال ومعنى الاول ما لا اعم منه من جنس الاحوال ومعنى الثانى ما يكون ازيد واكثر عموما من بين مخصوصات الاحوال بالنسبة الى غيره فان المستثنى المفرغ سوآء كان فاعلا او مفعولا او غيرهما اذا قيل انه مستثنى من اعم العام ليس المراد منه انه مستثنى من فاعل او مفعول هو اعم من غيره بل المراد انه مستثنى مما هو عام ليتناول جميع ما يندرج تحت جنس الفاعل او المفعول فهذا المراد لما لم يفهم من قولنا انه مستثنى من اعم الاحوال قيد الاعم بالاضافة الى العام واضيف هذا القيد الى الاحوال ليفيد كون المستثنى منه ما يعم الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال اى فى جميعها الا فى حالة واحدة وهى حالة كونهم ملتبسين بذمة الله تعالى اى بعهده وكون الذمة من الله عبارة عن كونها بامر الله وكونها من المسلمين عبارة عن كونها بمباشرتهم فانهم اذا اخذوا الذمة والامان من المؤمنين بقبولهم الجزية بامر الله تعالى واذنه رفع عنهم بعض ما وضع عليهم من الذلة بحيث تحقن دماؤهم وتمنع اهلوهم واموالهم عن الاغتنام والسبى ﴿قوله بذمة الله او كتابه﴾ استعير الحبل للعهد والكتاب من حيث ان كلا منهما سبب للنجاة والفوز بالامن * قال الامام فان قيل عطف قوله وحبل من الناس على حبل الله يقتضى المغايرة فما وجهها قلنا قال بعضهم حبل الله هو الاسلام وحبل الناس العهد والذمة ثم قال هذا بعيد لانه لو كان المراد

(ضربت عليهم الذلة) هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية (اينما ثقفوا) وجدوا (الا بحبل من الله وحبل من النـاس) استثناء من اعم عام الاحوال اى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله او كتابه الذى آتاهم وذمة المسلمين او بدينه الاسلام واتباع سبيل المؤمنين (وباؤا بغضب من الله) رجعوا به مستوجبين له

(وضربت عليهم المسكنة) فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقرآء ومساكين (ذلك) اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا (ذلك) اى الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون) بسبب عصيانهم واعتدآئهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدآئهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا (ليسوا سوآء) في المساوى والضمير لاهل الكتاب (من اهل الكتاب امة قائمة) استئناف لبيان نفي الاستوآء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لايصلونها لماروى انه عليه الصلاة والسلام أخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات) صفات أخر لامة وصفهم بخصائص ماكانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين في الليل مشركون بالله ملحدون بصفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات (واولئك من الصالحين) اى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه

ذلك لكان يقال اوحبل من الناس وقال آخرون المراد بكلا الحبلين الامان وانما ذكر تعالى الحبلين لان الامان المأخوذ من المؤمنين هو الامان المأخوذ باذن الله فالامان المأخوذ من المؤمنين وان وقع بمباشرة المؤمنين اياه وصح بهذا الاعتبار جعله صادرا منهم صح ايضا جعله صادرا من الله تعالى باعتبار وقوعه باذنه تعالى فكان الامان المأخوذ ذا مانين باعتبار تعدد منشأه * قال الامام وهذا ايضا ضعيف عندي ثم قال والذي عندي ان الامان الحاصل للذمي قسمان احدهما الذي نص عليه وهو الامان الحاصل باعطائه الجزية عن يد وقبوله اياها والثاني الامان الذي فوّض الى رأى الامام واجتهاده فيعطيهم الامان مجانا تارة وببدل زآئد او ناقص اخرى على حسب اجتهاده فالاوّل هو المسمى بحبل الله والثاني هو المسمى بحبل المؤمنين فالمراد بالذمتين في قول المصنف بذمة الله وذمة المسلمين الامان المأخوذ من المسلمين او فوّض الى رأى الامام فهذان الامانان ايضا واقعان بمباشرة المسلمين الا انهما متغايران بالاعتبار «قوله والبهود في غالب الامر فقرآء» اى امافي نفس الامر واما انهم يظهرون من انفسهم الفقر وان كانوا اغنياء موسرين في الواقع «قوله بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء» فان قيل كيف يكون قتل الانبياء سببا لذلة اليهود ومسكنتهم مع ان الذلة والمسكنة لم تلحقا بهم الابعد ظهور دولة الاسلام والذين قتلوا الانبياء بغير حق قد انقرضوا قبل زمان ظهور الاسلام والذين تحقق فيهم سبب الذلة والمسكنة لم تلحق بهم نفس الذلة والمسكنة والذين لحقت بهم الذلة والمسكنة لم يتحقق فيهم سببهما فكيف يصح ان يجعل قتل الانبياء سببا لهما اجاب الامام عنه بان هؤلاء المتأخرين وان كان لم يصدر عنهم قتل الانبياء لكنهم كانوا راضين بفعل اسلافهم مصوّبين لهم في تلك الافعال القبيحة وطالبين القتل لو ظفروا به فكانوا بذلك كأنهم فعلوه بانفسهم فتحقق سبب الذلة والمسكنة بهذا الاعتبار فترتب عليه معلوله «قوله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر» فان من توغل في المعاصي والذنوب واستمرّ عليها لاجرم تتزايد ظلمات المعاصي على قلبه حالا فحالا ويضعف نور الايمان في قلبه حالا فحالا ولم يزل الامر كذلك الى ان يبطل نور الايمان وتحصل ظلمة الكفر نعوذ بالله من ذلك واليه الاشارة بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون فقوله تعالى ذلك بما عصوا اشارة الى علة العلة ولهذا المعنى قال ارباب المعاملات من ابتلى بترك السنة وقع في ترك الفريضة ومن ابتلى بترك الفريضة وقع في استحقار الشريعة ومن ابتلى بذلك وقع في الكفر «قوله وقيل معناه الخ» اشارة الى ماذكر في الكشاف من ان ذلك في الموضعين اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اى ذلك المذكور كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وكائن ايضا بسبب عصيانهم الله واعتدآئهم في حدوده وليعلم ان الكفر وحده ليس سببا في استحقاق سخط الله وان سخط الله تعالى يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا والجمهور على ان الكافر مخاطب بالفروع «قوله والضمير لاهل الكتاب» يعني ان الضمير الذي هو اسم ليس راجع الى اهل الكتاب المذكورين بقوله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم وسوآء خبره اى ليس اهل الكتاب مستوين متعادلين في المساوى والقبائح فقوله ليسوا سوآء كلام تام يتم الوقف عليه وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستأنف لبيان عدم استوآئهم فهو تقرير لماتقدّم من قوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ولماقال من اهل الكتاب امة قائمة كان الكلام يقتضي ان يقال ومنهم امة مذمومة الا انه اضمر ذكر الامة المذمومة بناء على ان ذكر احد الضدين يغني عن ذكر الآخر فانك اذا قلت زيد وعمرو ليسا سوآء ثم قلت زيد فاضل فقد استغنيت به عن قولك وعمرو جاهل وقيل المذموم من جرى ذكره قبل هذه الآية فلا حاجة الى اضماره مرة اخرى وقيل ليسوا سوآء كلام غير تام لايجوز الوقف عليه بناء على ان الواو في ليسوا علامة جمع وليست ضميرا وان اسم ليس هو امة وقائمة صفتها ويتلون صفة اخرى وسوآء خبر ليس فالتركيب من قبيل اكلوني البراغيث والتقدير الذي يصح به المعنى على هذا القول ليسوا سوآء من اهل الكتاب امة قائمة موصوفة بما ذكر وامة مذمومة كافرة فلابد من تقدير الامة المذمومة حينئذ ولا يخفى ركاكة هذا القول وآناء الليل ساعاته واحدتها انى بفتح الهمزة والنون على وزن عصا وانى بكسر الهمزة وفتح النون على وزن معى وامعاء وانى بالكسر والسكون مثل نحى وانحاء وانى بالفتح والسكون مثل ظبى قيل كان التأنى مأخوذ منه لانه انتظار الساعات والاوقات «قوله ليكون ابين» اى ليكون التعبير المذكور اشدّ واتم في ابانة حقيقة التهجد فان تلاوة آيات الله آناء الليل مع السجود مفصل التهجد ولاشك ان المفصل ابين بالنسبة الى المجمل اما كونه ابلغ في المدح فلكون التعبير المذكور تصويرا للتهجد بتلاوة الآيات الالهية في وقت يكون تخصيصه

بالعبادة ناشئا من الاخلاص حال كون التلاوة مقرونة بهيئة الخضوع والاستكانة وهى صورة حسنة تجعل محلها محلا ممدوحا بها فان قوله وهم يسجدون جملة مستأنفة والمعنى انهم يقومون ويتلون تارة ويسجدون تارة اخرى ولا وجه لجعلها حالا من فاعل يتلون لان الامّة المذكورة من المسلمين لقوله وهم الذين اسلموا منهم والتلاوة فى حال السجود ليست بمشروعة فى شريعتنا قال صلى الله عليه وسلم «انى نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا» وصف الله تعالى الامّة القائمة وبين استقامتهم بقوله يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون واشار به الى كمال حالهم بحسب القوّة العملية ثم وصفهم بانهم يؤمنون بالله واليوم الآخر وهو افضل المعارف الحاصلة فى قلوبهم واشار به الى كمال حالهم بحسب القوّة النظرية ثم بالغ فى مدحهم حيث وصفهم بانهم لم يقنعوا بالاستكمال بحسب القوّتين العملية والنظرية بل سعوا فى تكميل الناقصين بارشادهم الى ما ينبغى وهو الامر بالمعروف وبمنعهم عما لا ينبغى وهو النهى عن المنكر ثم ترقى فى مدحهم حيث وصفهم بانهم لا يؤخرون شيأ مما هو خير لهم سوآء تعلق بكمالهم فى انفسهم او بتكميل غيرهم بل يبادرون اليه خوف الفوت وهو ليس من قبيل العجلة المذمومة فانها عبارة عن تقديم ما لا ينبغى تقديمه والمسارعة المذكورة هنا عبارة عن الرغبة فيما يتعلق بالدين بناء على ان من رغب فى الآخرة آثر الفور على التراخى وقيل معنى المسارعة فى الخيرات ان يعملوها غير متأوّلين قرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بياء الغيبة فيهما مراعاة لقوله تعالى من اهل الكتاب امّة قائمة يتلون ويؤمنون ويسجدون ويأمرون وينهون ويسارعون ولن يضيع لهم اجر ما يعملون والمقصود ان جهال اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الايمان قال تعالى بل فازوا بالدرجات العلى بسبب انقيادهم لحكم ربهم والمقصود مدحهم بما فعلوا ليزول عن قلبهم اثر كلام اولئك الجهال واما الباقون فقد قرأوا بتاء الخطاب فيهما خطابا لجميع المؤمنين ذكر افعال مؤمنى اهل الكتاب ثم قال وما تفعلوا معاشر المؤمنين الذين من جملتكم هؤلاء فلن تكفروه عم الخطاب ليكون حكم هذه الآية عاما بحسب اللفظ فى حق جميع المكلفين ونقل عن ابى عمرو انه كان يقرأ هذه الكلمة بالقرآءتين **قوله** سمى ذلك كفرانا اى سمى منع الثواب ونقصه كفرانا مع انه لا يجوز ان يضاف الكفران الى الله تعالى لانه ليس لأحد عليه تعالى نعمة حتى يكفرها نظرا الى انه تعالى سمى ايصال الجزآء والثواب شكرا حيث قال فان الله شاكر عليم وقال فاولئك كان سعيهم مشكورا فلما جعل الشكران مجازا عن توفية الثواب جعل الكفران مجازا عن منعه وقيل لان الكفر فى اللغة هو الستر فسمى منع الجزآء كفرا لانه بمنزلة الجحد والستر وقيل قوله فلن يكفروه تعريض بكفرانهم نعمته وانه تعالى لا يفعل مثل فعلهم وجيء به على لفظ المبنى للمفعول لامرين تنزيهه تعالى عن اسناد الكفران اليه كقوله تعالى وانا لا ندرى أشرّ اريد بمن فى الارض ام اراد بهم ربهم رشدا وليأتى به على لفظ الكبرياء والعظمة **قوله** وتعديته يعنى عدى فلن تكفروه الى مفعولين اوّلهما القائم مقام الفاعل وثانيهما الهاء فى يكفروه مع ان شكر وكفر لا يتعدّيان الا الى واحد يقال شكر النعمة وكفرها بناء على ان كفر ههنا ضمن معنى فعل يتعدّى الى مفعولين وهو حرم ومنع يقال حرمه الشيء يحرمه حرما وحرمة وحرمانا من باب ضرب فكأنه قيل فلن تحرموه ولن تمنعوا جزآءه **قوله** بشارة لهم يعنى انه تعالى عالم بجميع الكائنات الا انه تعالى قال عليم بالمتقين لتخصيص علمه بهم على تقواهم بوضع الظاهر موضع المضمر وللبشارة بنيلهم جزيل ثواب المتقين فان العليم كناية عن المثيب ثم انه تعالى لما وصف المؤمنين بالصفات الحسنة اتبعها بوعيد الكفار ليجمع بين الوعد والوعيد والترغيب والترهيب فقال ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم نزلت فى مشركى قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار وقيل نزلت فى ابى سفيان فانه انفق مالا كثيرا على المشركين يومى بدر واحد فى عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وقيل انها عامة فى جميع الكفار وذلك لان كلهم كانوا يتعززون بكثرة الاموال وكانوا يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه بالفقر ويقولون لو كان محمد على الحق لما تركه ربه فى الفقر والشدّة وخص الاموال والاولاد بالذكر لان انفع الجمادات هو المال وانفع الحيوانات هو الولد فالكافر اذا لم ينتفع بهما فى الآخرة البتة دل ذلك على عدم انتفاعه بسائر الاشياء بطريق الاولى **قوله** والشائع اطلاقه اى اطلاق الصرّ على الريح الباردة كما ان الشائع اطلاق الصرصر عليها فاذا كان الصرّ بمعنى الريح الباردة يكون المعنى كمثل ريح فيها ريح وكون الريح الباردة فى الريح لا معنى له فاشار الى توجيه المعنى بقوله فهو فى الاصل مصدر نعت به يعنى ان الصرّ كان فى الاصل مصدرا بمعنى البرد مطلقا ثم غلب استعماله فى الريح الباردة على توصيف الريح

(وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان قرأ حفص وحمزة والكسائى وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء (والله عليم بالمتقين) بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ) من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا (واولئك اصحاب النار) ملازموها (هم فيها خالدون مثل ما ينفقون) ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا (فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرّ) برد شديد والشائع اطلاقه للريح البارد كالصرصر فهو فى الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد

(اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم) بالكفر والمعاصي (فاهلكته) عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشدّ والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صرّ فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة مّا في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث (وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون) اى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتدّ بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكنّ اى ولكنّ انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشأن لانه لا يحذف الا في ضرورة الشعر كقوله

ولكنّ من يبصر جفونك يعشق (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار (من دونكم) من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اى بطانة كائنة من دونكم (لا يألونكم خبالا) اى لا يقصرون لكم في الفساد والألو التقصير واصله ان يعدّى بالحرف وعدّى الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص (ودوا ما عنتم) تمنوا عنتكم وهو شدّة الضرر والمشقة وما مصدرية (قد بدت البغضاء من افواههم) اى في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم (وما تخفي صدورهم اكبر) مما بدا لان بدوّه ليس عن روية واختيار (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) ما بين لكم

بالبرد مبالغة في برودتها كما استعمل العدل في الرجل العادل لذلك ثم وصفت الريح بقوله فيها صرّ باعتبار اصل معناه فكان المراد فيها برد ومعنى الشدّة مستفاد من تنكير صرّ واشار الى توجيه ثان بقوله او نعت وصف به البرد اى ويجوز ان يكون نعتا بمعنى البارد فوصف به البرد والموصوف محذوف والتقدير كمثل ريح فيها برد بارد بطريق اسناد المشتق الى المأخذ كما في جدّ جدّه وطريق الجمع بين كونه نعتا بمعنى البارد وشيوع اطلاقه للريح الباردة انه اما ان يكون مشتركا بين الريح الباردة وبين البارد مطلقا فاريد به ههنا المعنى الثاني واما ان يكون موضوعا بالغلبة للريح الباردة كالمرسن لانف مرسون ثم استعمل في البارد مطلقا ريحا كان او غيرها استعمال المرسن في الانف مطلقا ثم وصف به البرد كما ذكر ﴿قوله لان الاهلاك عن سخط اشدّ﴾ علة لمقدّر يفهم من تقييد الحرث بكونه لقوم ظلموا وتقدير الكلام لم يشبه ما انفقوا في ضياعه بمطلق الحرث الذي اهلكه البرد بل قيد الحرث بكونه لقوم ظلموا انفسهم ليدل على المبالغة لان الاهلاك عن سخط يكون اشدّ وابلغ وقوله وهو من التشبيه المركب وهو ما يكون وجهه منتزعا من متعدّد جواب عما يقال قد ذكرت ان المراد تشبيه ما انفقوا بحرث كفار والذي يفهم من الآية تشبيه ما انفقوا بالريح فكيف قيل ان المراد ذلك واجاب عنه بوجهين ﴿قوله وقرئ ولكنّ﴾ يعني ان العامة على تخفيف لكن وهي استدراكية وانفسهم مفعول مقدّم قدّم للاختصاص اى لم يقع وبال ظلمهم الا بانفسهم خاصة لا يتخطاهم وفي التقديم مراعاة للفواصل ايضا وقرأها بعضهم بشدّدة ووجهها ان يكون انفسهم في قرآءة التشديد ايضا مفعول يظلمون * فان قيل يحتمل ان يكون اسم لكنّ محذوفا على انه ضمير الشأن حذف للعلم به وتكون الجملة الفعلية بعدها خبرا لها * فالجواب ان حذف اسم هذه الكلمة لا يجوز الا في ضرورة الشعر كقول المتنبي

* وما كنت ممن يدخل العشق قلبه * ولكنّ من يبصر جفونك يعشق *

﴿قوله شبه ببطانة الثوب﴾ وهي جانبه الباطن وظهارته هي الجانب الظاهر منه والشعار هو الثوب الداخل سمي به لانه يلي شعر الجسد والدثار ما يلبس فوقه لما شرح الله تعالى احوال المؤمنين والكافرين نهى المؤمنين عن موالاتهم بحيث يظهرون لهم ما في قلوبهم من الاسرار وذكر علة النهي بقوله لا يألونكم خبالا ﴿قوله واصله ان يعدّى بالحرف﴾ ألا في الامر يألو الوا اذا قصر فيه واصل لا آلوك نصحا اى لا الوك في النصح الا انه عدى الى كلا مفعوليه الغير الصريحين بالذات على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصك والخبال الفساد واصله ما يلحق الحيوان من جنون فيورثه فسادا واضطرابا يقال منه خبله وخبّله بالتخفيف والتشديد فهو خابل ومخبول ومخبل وخبل لما كان ناقص العقل قال تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اى فسادا وضررا وفي الحديث * من شرب الخمر ثلاثا كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال ﴿قوله تمنوا عنتكم﴾ هي علة ثانية للنهي فتكون جملة مستأنفة كالتي قبلها والفرق بينها وبين ما سبق ان معناهما انهم لا يقصرون في فساد دينكم ودنياكم فان عجزوا عن ذلك فحب ذلك وتمنيه غير زائل عن قلوبهم والبغضاء مصدر كالسرّآء والضرّآء يقال منه بغض الرجل فهو بغيض كظرف فهو ظريف والافواه جمع فم واصله فوه فلامه هاء يدل عليه جمعه على افواه وتصغيره على فويه والنسبة اليه فوهي وهل وزنه فعل بكسر العين او فعل بفتح العين خلاف للنحويين ثم انهم حذفوا لامه تخفيفا وعينه حرف علة فابدلوها ميما لقربها منها في كونهما من الشفوية والمعنى قد ظهرت علامة العداوة في كلامهم الخارج من افواههم وهي العلة الثالثة للنهي ﴿قوله لان بدوّه ليس عن روية واختيار﴾ حتى يستر كأكبر ما في صدورهم بل شأنهم ان يضمروا ما في صدورهم من بغض المؤمنين ومع ذلك لا يملكون ضبط انفسهم وان تحرّوا ان يخفي البغض والعداوة فينفلت ما يعلم به بغضهم للمسلمين فيلزم ان يكون ما جرى على ألسنتهم اقل واصغر وما في صدورهم اكثر واكبر وفيه رمز الى ترجيح ما روى عن مجاهد من ان الآية نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهاهم الله تعالى بقوله لا تتخذوا بطانة من دونكم لا ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والجوار والرضاع ونحو ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية فعلى هذا معنى قوله قد بدت البغضاء من افواههم هو انهم يظهرون تكذيب نبيكم وكتابكم وينسبونكم الى الجهل والحمق وما في قوله وما تخفي صدورهم موصولة في محل الرفع بالابتدآء والعائد محذوف اى تخفيه واكبر خبره والمفضل عليه محذوف اى اكبر من الذي ابدوه بافواههم ثم بين الله تعالى ان اظهار هذه الاسرار للمؤمنين من نعم الله تعالى عليهم فقال قد بينا لكم

الآيات الآية وقيل المعنى قد بينا آياتهم لتعرفوهم بها ﴿**قوله** والجمل الاربع﴾ وهى قوله تعالى لا يألونكم خبالا وقوله ودّوا ما عنتم وقوله قد بدت البغضاء من افواههم وقوله قد بينا لكم الآيات واما قوله وما تخفى صدورهم فظاهر انه حال من فاعل بدت وليس من قبيل باقى الجمل ﴿**قوله** جاءت مستأنفات على التعليل﴾ على ان كل واحدة منها علة مستقلة للنهى عن اتخاذ البطانة وترك العاطف بينها للدلالة على استقلال كل واحدة فى قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ويحتمل ان يكون المراد انها جاءت مستأنفات على سبيل الترتيب بان تكون كل واحدة منها علة لما تقدّم عليها ولا تكون علة للنهى السابق كأنه قيل لم لا تتخذ بطانة * اجيب بانهم لا يقصرون فى افساد امركم فقيل ولم يفعلون ذلك فاجيب بانهم كانوا يودّون اضراركم فقيل ولم كانوا يودّون ذلك فاجيب بانهم يبغضونكم الا ان هذا الاحتمال يرد عليه ان قوله قد بينا لكم الآيات لا يصلح ان يكون علة لظهور بغضهم من افواههم ولكن يصلح ان يكون علة للنهى عن اتخاذهم بطانة على ان يكون المعنى لا تتخذوا بطانة من دونكم لانا قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين ومعاداة اعداء الله تعالى ﴿**قوله** ويجوز ان تكون الثلاث الاول صفات لبطانة﴾ كأنه قيل بطانة غير آليكم خبالا وادّة عنتكم بادية بغضاؤكم من افواههم اما الجملة الاخيرة وهى قوله قد بينا فكلام مستأنف لا يصلح صفة وهو ظاهر ﴿**قوله** اى انتم اولاء الخاطئون﴾ لما شهد منهم الخطأ فى الرأى المستلزم للغرّة والغفلة صدّر خطابهم بحرف التنبيه واشار اليهم بما يشار به الى المشاهد المحسوس ايقاظا لهم من سهوهم وغفلتهم واشعارا بانه ليس فيهم مما يعتنى بشأنه سوى ما شوهد من الاجساد والتماثيل المجرّدة عن الفضائل النفسانية والكمالات المعنوية تحقيرا لشأنهم وازدراء بحالهم فى موالاة منافق اهل الكتاب الذين بدت البغضاء فى كلامهم مع ان ما خفى فى صدورهم من شدّة البغض اكبر مما اظهروه بألسنتهم وقوله ها حرف تنبيه وانتم مبتدأ واولاء خبره وتحبونهم خبر بعد خبر او اولاء مبتدأ ثان وتحبونهم خبر الثانى والجملة خبر الاوّل ويجوز ان يكون اولاء بمعنى الذين وتحبونهم صلة له والموصول مع صلته خبر انتم ويجوز ان يكون انتم مبتدأ واولاء خبره وتحبونهم فى موضع النصب على انه حال من اسم الاشارة ويجوز ان يكون اولاء تحبونهم من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير على ان يكون تحبونهم مشتغلا عن اولاء بضميره ﴿**قوله** من اجله﴾ اشارة الى ان من بمعنى لام التعليل كما فى قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا فتكون متعلقة بعضوا وكذلك عليكم وعض الانامل عبارة عن شدّة الغيظ يقال فلان يعض انامله على فلان اذا بلغ الغضب منه غايته وعض الانامل لما كثر من الغضبان الذى فاته ما لا يقدر على ان يتداركه ويرى شيأ يكرهه ولا يقدر على ان يغيره صار ذلك كناية عن الغضب وان لم يكن هناك عض فانه اذا خلا بعضهم ببعض كانوا يظهرون اشدّ العداوة ونهاية الغيظ على المؤمنين من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وجعل الامام الواحدى لفظ عليكم متعلقا بالغيظ حيث فسر الآية بقوله اى عضوا الانامل من الغيظ عليكم وفيه تقديم وتأخير والله اعلم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بان يدوم غيظهم الى ان يموتوا فلو كان المأمور به الدعاء بان يموتوا بالغيظ لماتوا جميعا بدعائه صلى الله عليه وسلم بذلك * فان قيل الغيظ على قوّة الاسلام وازدياد اهله وائتلافهم واجتماع كلمتهم كفر فالدعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته يكون امرا بالاقامة على الكفر والثبات عليه وذلك غير جائز * والجواب ان دوام الغيظ وازدياده كناية عن تضاعف ما يوجب هذا الغيظ وهو نصر الاسلام وعزة اهله فسقط السؤال وايضا انه دعاء عليهم بالموت قبل بلوغ ما يتمنون ﴿**قوله** يحتمل ان يكون من المقول﴾ اى داخلا فى جملة المقول فالمعنى اخبروا بما يسرّونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقيل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرّونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيأ من اسراركم يخفى عليه وذات هنا تأنيث ذى بمعنى صاحب فحذف الموصول واقيمت صفته مقامه اى عليم بالمضمرات صاحبة الصدور وهى الخواطر القائمة بالقلب من الدواعى والصوارف الموجودة وجعلت صاحبة الصدور لملازمتها وحلولها فيها كما يقال اللبن ذو لبأ ﴿**قوله** وشمتوا﴾ على وزن علموا والشماتة الفرح ببلية العدوّ يقال شمت به بالكسر يشمت شماتة قيل المراد بالحسنة هنا النصر والظفر وبالسيئة الهزيمة والظاهر ان المراد جميع ما يسرّ به من منافع الدنيا على اختلاف انواعها وبالسيئة اضداد ذلك والمس اصله باليد سمى كل ما يصل الى الشئ ماسا على سبيل التشبيه فقيل مسه النصب والتعب قال تعالى وما مسنا من لغوب وقال اذا مسكم الضرّ فى البحر ﴿**قوله** وضمة الراء للاتباع﴾ فان لا يضرّكم بضم الضاد والراء المشددة وقرئ لا يضرّكم بفتح الياء وكسر الضاد وسكون الراء من ضاره يضيره ضيرا

(هاانتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم) اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطأهم فى موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل مضمر يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا (وتؤمنون بالكتاب كله) بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) نفاقا وتغريرا (واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوّة الاسلام واهله حتى يهلكوا به (ان الله عليم بذات الصدور) فيعلم ما فى صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اى وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعى اياك على اسرارهم فانى عليم بالاخفى من ضمائرهم (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) بيان لتناهى عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدّة والمس مستعار للاصابة (وان تصبروا) على عداوتهم او على مشاق التكاليف (وتتقوا) موالاتهم او ما حرّم الله جل جلاله عليكم (لا يضرّكم كيدهم شيأ) بفضل الله عز وجل وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجدّ فى الامر المتدرّب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مدّ وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره (ان الله بما تعملون) من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) اى محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اى بما يعملون فى عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه

(واذ غدوت) اى واذكر اذ غدوت (من اهلك) اى من حجرة عائشة رضى الله عنها (تبوّئ المؤمنين) تنزلهم اوتسوّى وتهيئ لهم ويؤيده القرآءة باللام (مقاعد للقتال) مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى فى مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك (والله سميع) لاقوالكم (عليم) بنياتكم روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثانى عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار الرسول عليه السلام اصحابه وقد دعا عبدالله ابن ابى بن سلول ولم يدعه من قبل فقال هو واكثر الانصار أقم يارسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدوّ الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشرّ مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام انى رأيت فى منامى بقرة مذبوحة حولى فاوّلتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فأوّلته هزيمة ورأيت كانى ادخلت يدى فى درع حصينة فأوّلتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدآئنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يارسول الله مارأيت فقال لاينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل فى عدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوّى صفهم وامّر عبدالله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورآئنا

اذا ضرّه والكيد المكر والاحتيال فى ايصال الضرر والمكروه وشيأ نصب على المصدر اى شيأ من الضرر وقوله تعالى بما يعملون متعلق بقوله محيط قدّم عليه للاهتمام ولانهم يقدّمون الاهم الذى هم بشأنه اعنى وليس المقصود منه بيان كونه تعالى عالما بل بيان ان جميع اعمالهم معلومة لله تعالى وهو مجازيهم عليها فلاجرم قدّم ذكر العمل

قوله اى واذكر اذ غدوت يعنى ان اذ منصوب انتصاب المفعول به لعامل مضمر وهو اذكر وقال المصنف فى قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة ان محل اذا واذا النصب على الظرفية ابدا واما قوله واذكر أخاعاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذ كان كذا لحذف الحادث واقيم الظرف مقامه فيكون التقدير هنا اذكر الحادث اذ غدوت فيكون انتصاب اذ على الظرفية والغدوّ الخروج اوّل النهار يقال غدا يغدو اى خرج غدوة وفى هذا دليل على جواز صلاة الجمعة قبل الزوال لان المفسرين اجمعوا على انه صلى الله عليه وسلم انما خرج بعد ان صلى الجمعة والمقصود من هذه القصة تقرير قوله وان تصبروا وتتقوا لايضرّكم كيدهم شيأ وان الكفار كانوا يوم احد ثلاثة آلاف والمسلمون كانوا ألفا او اقل ثم رجع عبدالله بن ابى بن سلول فى ثلثمائة من اصحابه فبقى الرسول صلى الله عليه وسلم مع سبعمائة فأعانهم الله تعالى حتى هزموا الكفار ثم لما خالفوا الرسول ولم يصبروا على القيام حيث اقامهم فيه ولم يتقوا عاقبة تلك المخالفة واشتغلوا بطلب الغنائم اشتدّ الامر عليهم وانهزموا ووقع ماوقع فمادلت القصة على ان سنة الله تعالى قد جرت على ان ينصرهم ويعينهم ويدفع عنهم ضرر الاعدآء وأذاهم ان صبروا واتقوا او بفعل خلاف ذلك ان لم يصبروا اظهر ان المقصود من ايرادها تقرير قوله وان تصبروا وتتقوا لايضرّكم كيدهم شيأ وفى انتظام الآية بما قبلها وجه آخر وهو ان الافات الواقع يوم احد انما حصل بسبب تخلف عبدالله بن ابى بن سلول المنافق وذلك يدل على عدم جواز اتخاذ المنافق بطانة فيكون تقريرا للنهى عنه **قوله اى تنزلهم** فيتعدّى الى مفعوليه بنفسه من غير اعتبار الحذف والايصال وان كان تبوّئ بمعنى تسوّى فهو يتعدّى الى الثانى بواسطة اللام فيكون مافى الآية مبنيا على الحذف والايصال ويؤيده قرآءة عبدالله تبوّئ للمؤمنين باللام الجارة والجملة حال مقدّرة من فاعل غدوت اى غدوت قاصدا تبوئة المؤمنين لان وقت الغدوّ ليس وقتا للتبوئة ويحتمل ان يكون مشارفه لان الزمان متسع ومقاعد جمع مقعد وهو اسم لمكان القعود عبر به عن الاماكن التى عين لكل واحد من الصحابة ان يثبت فيها اما بان يتسع فى استعمال المقعد لمجرّد المكان مع قطع النظر عن كونه مكان القعود كما فى قوله فى مقعد صدق واما لان كل مكان انما عين لصاحبه لان يقعد وينظر فيه الى ان يجئ العدوّ فيقوم عند الحاجة للمحاربة فسميت تلك الاماكن بالمقاعد لهذا الوجه وقوله للقتال متعلق بتبوّئ اى تهيئ لهم مواطن واماكن لاجل مقاتلة الكفار او متعلق بمحذوف هو صفة لمقاعد اى مقاعد كائنة ومهيئة للقتال ولا يجوز تعلقه بمقاعد وان كانت مشتقة لانها مكان والامكنة لاتعمل **قوله انضحوا عنا** النضح الدفع يقال هو ينضح عن فلان اى يذب عنه ويدفع ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اثبتوا فى هذا المقام واذا عاينوكم وولوكم الادبار فلاتطلبوا المدبرين ولاتخرجوا من هذا المقام كيلا تمكنوا من ان يأتونا من ورآئنا ثم اعتزل عبدالله وبقى المسلمون حتى هزموا المشركين فطمعوا ان تكون هذه الواقعة كواقعة بدر وطلبوا المدبرين وتركوا الموضع الذى امرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه ثم اشتغلوا بطلب الغنائم فلما خالفوا امره صلى الله عليه وسلم انهزموا ليعلموا ان ماوقع يوم بدر انما حصل ببركة صبرهم وطاعتهم لله ولرسوله فلما لم يصبروا على طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امرهم به ولم يتقوا عاقبة مخالفته تركهم الله تعالى مع عدوّهم فلم يقووا لهم حيث نزع الله الرعب من قلوب المشركين فكرّ عليهم المشركون وتفرّق العسكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة من الانصار ورجلان من قريش وقصد الكفار النبى صلى الله عليه وسلم فشجوا رأسه وكسروا رباعيته وثبت معه صلى الله عليه وسلم يومئذ طلحة ووقاه بيده فشلت اصبعاه وصار مجروحا فى اربعة وعشرين موضعا ولما اصيب صلى الله عليه بما اصابه من الشج وكسر الرباعية وغلب عليه الغشى احتمله ورجع به القهقرى وكلما ادركه واحد من المشركين كان يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقاتله حتى اوصله الى مكان فيه جملة من الصحابة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اوجب طلحة فوقعت الصيحة فى العسكر ان محمدا قد قتل وكان فى جملة من معه من الصحابة رجل من الانصار يكنى ابا سفيان فنادى الانصار وقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليه المهاجرون والانصار وكان قد قتل منهم سبعون وكثرت فيهم

الجراح فقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا ذب عن اخوانه وشدّ على المشركين بمن معه حتى كفهم على القتلى والجرحى واعانهم الله تعالى حتى هزموا الكفار وقوله تعالى والله سميع عليم معناه انه صلى الله عليه وسلم لما شاور اصحابه فى تلك الحرب وقال بعضهم أقم بالمدينة وقال آخرون اخرج اليهم وكان لكل احد غرض فى قوله فمن موافق ومن منافق قال تعالى انا سميع بما يقولون عليم بما يسرون ﴿قوله فى زهاء ألف رجل﴾ اى قدره والشوط اسم موضع قيل فى سبب اختزال ابن ابى بن سلول انه صلى الله عليه وسلم لما خالف رأيه شق ذلك عليه وكان من قدماء اهل المدينة وقال اطاع الولدان وعصانى ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوّه بكم وقد وعد أصحابه ان اعداءه اذا عاينوه انهزموا فاذا رايتم اعداءه انهزموا فصيروا الامر على خلاف ماقاله محمد صلى الله عليه وسلم فلما التقى الفريقان اعتزل عبدالله بالمنافقين وكان صلى الله عليه وسلم قد خرج فى ألف رجل وقيل فى تسعمائة وخمسين فلما بلغوا الشوط اختزل ابن ابىّ بثلث الناس ورجع فى ثلاثمائة وبقى سبعمائة فتبعهم ابو جابر السلمى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم قال الجوهرى نشدت الضالة انشدها طلبتها وانشدتها اى عرفتها ونشدت فلانا انشده اذا قلت له نشدتك الله اى سألتك فنشدا اى تذكراياه ﴿قوله والظاهر انه ما كانت عزيمة﴾ اختلفوا فى المراد من قوله اذ همت طائفتان منكم فمنهم من قال همّ كل من الطائفتين عزيمة وقصدا للرجوع عن النبى صلى الله عليه وسلم والاتباع لعبدالله بن ابىّ وقال المصنف ان همهما ليس بمعنى العزم والقصد المصمم وانما هو خطرة وحديث نفس لانه تعالى يقول والله وليهما وهو تعالى لايكون وليا لمن عزم على خذلان رسوله واتباع عدوّه ونصر المنافقين واما مجرّد خطور ذلك بالقلب فانه لايأبى ولاية الله تعالى فان النفس لاتخلو عند الشدّة من بعض الهلع والجزع فتذكرها ولاية الله تعالى وعصمته ينفى تلك الخطرة عنها ويحملها على الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال

❁ اقول لها اذا جاشت وجاشت ❁ مكانك تحمدى او تستريحى ❁

اى اخاطب نفسى على التجريد واقول لها اذا جاشت اى نهضت وقامت وجاشت اى اضطربت من خوف او غثت من حزن الرمى مكانك تحمدى بالظفر والغلبة او تستريحى بالقتل فعلى هذا يكون قوله والله وليهما معطوفا على جملة همت طائفتان اى انه تعالى اخبرهم بهمّ الطائفتين وبانه وليهما وعلى قوله ويجوز ان يراد والله ناصرهما يكون جملة حالية من ضمير تفشلا فيفيد التوبيخ بانهما يفشلان فى هذا الحال ولا يتوكلان على الله اى ما كان ينبغى ان يوجد منهما الفشل والجبن والحال انه تعالى ناصرهما * فان قيل كيف يحمل على التوبيخ والاستبعاد وهو يلزم لكون الهمّ بمعنى العزم والتصميم وهو لايليق بأمثالهم * قلنا لانسلم انه يلزم ذلك لان التوبيخ كما يتوجه على عازم المعصية يتوجه ايضا على من تردّد وخطر بباله عدم الثبات على ما امر به وعدم التوكل على الله والاعتماد على وعد رسوله بالنصرة والفتح ان صبروا وعلى متعلق بقوله فليتوكل قدم عليه للاختصاص ولتناسب رؤس الاى وقال ابو البقاء دخلت الفاء لمعنى الشرط والمعنى ان فشلوا فتوكلوا انتم اوان صعب الامر فتوكلوا ﴿قوله تذكير ببعض ماافادهم التوكل﴾ يعنى انه تعالى ذكرهم فى اثناء قصة احد نصرته اياهم فى غزوة بدر مع قلة عددهم وعددهم من الاسلحة والمراكب لانهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ستة وسبعون من المهاجرين وبقيتهم من الانصار وما كان فيهم الافرس واحد لمقداد بن الاسود وكان رضى الله عنه اول من قاتل على فرس والكفار معهم الاسلحة الكثيرة والعدّة الكاملة وكانت وقعة بدر يوم الاثنين صبيحة سبع عشرة من رمضان سنة اثنتين من الهجرة ومع هذا فقد سلط الله المسلمين على المشركين ببركة صبرهم وتوكلهم على الله تعالى فالآية تقرير لامر التوكل وتحريض عليه وتنبيه على ان العاقل يجب ان لايتوسل لتحصيل مطلوبه الابالتوكل على الله والاستعانة به والذلة بحسب رثاثة الحال وقلة المال لاتنافى العزة بالجنة وحسن العاقبة فى المآل كما قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴿قوله لعلكم تشكرون ما انعم به عليكم﴾ قال صاحب الكشاف فيه وجهان حاصل الوجه الاوّل ان النصرة تقتضى المقابلة بالتقوى شكرا وفيه ان ما بدا منهم كفران لنعمة بدر والثانى ان التقوى تستجلب النعمة المستجدة والنصرة الجديدة فعليكم بها واحذروا الفشل المنافى لها انتهى ﴿قوله فوضع الشكر موضع الانعام﴾ اى جعل الشكر كناية او مجازا عن نيل نعم اخرى فوجب الشكر ﴿قوله ظرف لنصركم﴾ فيكون الوعد بالامداد بثلاثة آلاف من الملائكة واقعا فى وقعة بدر وعلى تقدير ان يكون اذ همت بدلا اول من قوله اذ غدوت ويكون تقول بدلا ثانيا منه يكون الامداد المذكور

(اذ همت) متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت (طائفتان منكم) بنوا سلمة من الخزرج وبنوا حارثة من الأوس وكانا جناحى العسكر (ان تفشلا) ان تجبنا وتضعفا روى انه عليه السلام خرج فى زهاء ألف رجل ووعد لهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط اختزل ابن ابىّ فى ثلاثمائة رجل وقال غلام تقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال ابن ابىّ لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر انه ما كانت عزيمة لقوله تعالى (والله وليهما) اى عاصمهما من اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) اى فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر (ولقد نصركم الله ببدر) تذكير ببعض ماافادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به (وانتم اذلة) حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل تنبيها على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح (فاتقوا الله) فى الثبات (لعلكم تشكرون) ما انعم به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه (اذ تقول للمؤمنين) ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة

موعودا فی قصة احد وقد روی ذلك عن ابن عباس احتجاجا بقوله تعالی فی سورة الانفال اذ تستغیثون ربکم فاستجاب لکم انی ممدکم بألف من الملائکة فهو صریح فی انه تعالی مدّ الرسول صلی الله علیه وسلم یوم احد بألف من الملائکة * فان قیل کیف یلیق ان ماذکر فیه ثلاثة آلاف من الملائکة کان مشروطا بشرط ان یصبروا ویتقوا ثم انهم لم یصبروا عن الغنائم ولم یتقوا مخالفة الرسول صلی الله علیه وسلم فلما فات الشرط فات المشروط وهوانزال ثلاثة آلاف من الملائکة * اجیب بجوابین الاول ان وعدا رسول بذلك للمؤمنین الذین بوّأهم مقاعد للقتال وامرهم بالسکون والثبات فی تلك المقاعد یدل علی انه صلی الله علیه وسلم انما وعدهم بهذا الوعد بشرط ان یثبتوا فی تلك المقاعد فلما اهملوا هذا الشرط لاجرم لم یحصل المشروط والجواب الثانی لانسلم ان الملائکة مانزلت یوم احد فقد روی الواقدی عن مجاهد انه قال حضرت الملائکة یوم احد ولکنهم لم یقاتلوا وروی ایضا انه صلی الله علیه وسلم اعطی اللوآء مصعب بن عمیر فقتل مصعب فاخذه ملك فی صورته فقال صلی الله علیه وسلم * تقدم یامصعب * فقال الملك لست بمصعب فعرف صلی الله علیه وسلم انه ملك امربه * وعن ابن ابی وقاص قال کنت ارمی السهم یومئذ فیردّه علیّ رجل ابیض حسن الوجه وماکنت اعرفه فظننت انه ملك فنظم الآیة علی هذا التأویل انه تعالی ذکر فی قصة احد انه یجب ان یکون توکلکم علی الله لاعلی کثرة عددکم وعددکم ثم ایدذلك بقوله ولقد نصرکم الله ببدر وانتم اذلة فکذلك هو قادر علی مثل هذه النصرة فی سائر المواضع ثم بعد هذا اعاد الکلام الی قصة احد فقال اذتقول للمؤمنین ألن یکفیکم الاان اکثر المفسرین ذهبوا الی ان هذا الوعد کان یوم بدر لان قلة العدد والعدد کانت فی ذلك الیوم اکثر فکان الاحتیاج الی تقویة القلب فیه اشدّ وکانت تلك الواقعة اوّل مصادمة المسلمین مع اعدآء الدین وکانت سببا لارتفاع الاسلام الی یوم القیامة وقول الاوّلین انه صلی الله علیه وسلم امدّ یوم بدر بألف من الملائکة فالجواب عنه من وجهین الاوّل انه تعالی امدّ اصحاب الرسول صلی الله علیه وسلم بألف وزاد بألفین فصار زهاء ثلاثة آلاف ثم زاد ألفین آخرین فصاروا خمسة آلاف فکانه صلی الله علیه وسلم قال لهم الن یکفیکم ان یمدکم ربکم بألف من الملائکة فقالوا بلی ثم قال ألن یکفیکم ان یمدّکم بثلاثة آلاف فقالوا بلی ثم قال لهم ان تتقوا وتصبروا یمددکم ربکم بخمسة آلاف من الملائکة * والوجه الثانی فی الجواب ان اهل بدر انما امدّوا بألف فقط کما هو المذکور فی سورة الانفال ثم انه بلغهم ان بعض المشرکین یرید امداد قریش بعدد کثیر فخافوا وشق ذلك علیهم لقلة عددهم فوعدهم الله بان الکفار ان جاءهم مدد فانا امدّکم بثلاثة آلاف او بخمسة آلاف من الملائکة ثم ان ذلك المدد الاوّل لم یأت قریشا بل انصرفوا حین بلغهم هزیمة قریش فاستغنی عن امداد المسلمین بازیادة علی الالف والمصنف اشار الی ضعف الجواب الاوّل بقوله قیل امدّهم الله تعالی اولا یوم بدر بألف اذ یقتضی کون الامداد بثلاثة الاف واقعا فی یوم بدر وانهم قاتلوا الکفار مع ان الامداد النازل فیه الف من الملائکة کان بأحد بالنص قال الامام اجمع اهل التفسیر علی ان الله تعالی انزل الملائکة یوم بدر وانهم قاتلوا الکفار قال ابن عباس ومجاهد لم تقاتل الملائکة فی المعرکة الایوم بدر وفیماسوی ذلك یشهدون القتال ولایقاتلون ولایضربون وانمایکونون عددا ومددا وکان عددهم ومددهم بتقویة النفوس والقاء الرعب فی قلوب الکفرة واشعارهم المؤمنین بان النصرة لهم وان اتفق لاحد من المؤمنین ان یحتاج فی دفع عدوه واهلاکه الی من یعینه فی ذلك اعانه الملك فی مقصوده فان المکلف بالجهادهم المؤمنون وان مباشرة القتال انما تصدر منهم ومباشرة الملائکة للقتال انما هی علی طریق معاونة المؤمنین والافالملك الواحد یکفی لاهلاك الناس جمیعا وانکر ابوبکر الاصم مقاتلة الملائکة مع الکفار اشدّ الانکار وقال ان الملك الواحدیکفی فی اهلاك جمیع اهل الارض فایّ حاجة الی مقاتلة الناس مع الکفار عند حضور واحد منهم وایضا ایّ حاجة الی ان یبلغ عددهم الفا او ثلاثة آلاف اوخمسة آلاف ومثال هذه الشبه لاتلیق بمن ایقن انه تعالی قادر علی جمیع الممکنات یفعل مایشاء علی حسب ماتقتضیه حکمته ویعجز العقل عن ادراك کنه حکمته فالحکم لله العلی الکبیر ثم قیل العدد الناقص غیر داخل فی الزآئد بل کل واحد من الاعداد المذکورة معتبر فی نفسه لافی ضمن ماهو ازید منه وممدود الی الاعداد الباقیة فان حملنا الآیة علی واقعة بدر کان عدد الملائکة تسعة آلاف لانه تعالی ذکر الالف وذکر ثلاثة آلاف وذکر خمسة آلاف فالمجموع تسعة آلاف وان حملناها علی واقعة احد فلیس فیها ذکر الالف بل ذکر ثلاثة آلاف وذکر خمسة آلاف فالمجموع ثمانیة آلاف وقیل الناقص داخل فی الزآئد معتبر فی ضمنه فعلی هذا عددهم خمسة آلاف لانهم وعدوا بألف ثم ضم الیه ألفان فصار ثلاثة آلاف ثم ضم ألفان آخران فصاروا خمسة

(الن یکفیکم ان یمدکم ربکم بثلاثة آلاف من الملائکة منزلین) انکار ان لایکفیهم ذلك وانما جیئ بلن اشعارا بانهم کانوا کالآیسین من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدوّ وکثرتهم قیل امدّهم الله یوم بدر اوّلا بألف من الملائکة ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر منزلین بالتشدید للتکثیر او للتدریج (بلی) ایجاب لما بعد لن ای بلی یکفیکم

آلاف والمصنف اشار الى هذا القول بقولهم قيل امدّهم الله يوم بدر اوّلا بألف الخ ﴿قوله فاستعير للسرعة﴾
اى استعمل فيها مجازا لان فوران القدر وشدّة غليانها يتضمن مسارعة ما فيها للخروج ويمكن اعتبار المشابهة
بين المسارعة وغليان القدر استعارة اصطلاحية ثم اطلق على الزمان اليسير الذى يقع فيه الفعل الواقع على سبيل
السرعة والعجلة والريث هو الابطاء والتراخى يقال راث علىّ خبرك يريث ريثا اى ابطأ كما يقال خرج
من فوره اى من ساعته ومعنى الآية ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة فى حال اتيانهم لا يتأخر
نزولهم عن اتيانهم اى يعجل نصركم ويسهل فتحكم ان صبرتم واتقيتم ومن فى قوله من فورهم ومن ساعتهم
للابتداء اى مبتدئا من الحالة التى لا ابطأ فيها ولا تراخى ﴿قوله معلمين﴾ على ان التسويم من السمة او السومة
وكلاهما بمعنى العلامة التى يعرف بها الشئ * والمعنى انهم سوّموا انفسهم او سوّموا خيولهم بعلامات مخصوصة
او انه تعالى سوّمهم اى جعل عليهم او على خيولهم علامة ﴿قوله او مرسلين﴾ على ان يكون من التسويم
وهو ترك الماشية لترعى يقال ابل سائمة اى مرسلة فى المرعى فالملائكة مسوّمون اى مرسلون ارسلهم الله
تعالى لنصر نبيه والمؤمنين واهلاك المشركين كما تهلك الماشية النبات والحشيش وان قرئ مسوّمين
بكسر الواو يكون المعنى ان الملائكة ارسلت خيولهم على الكفار تقتلهم او انهم علموا انفسهم او خيولهم قال
ابن عباس كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد ارسلوها فى ظهورهم وقال الحسن كانوا مسوّمين بالصوف
فى نواصى الخيل واذنابها وروى انهم كانوا بعمائم بيض الا جبريل صلى الله عليه وسلم فانه كان بعمامة صفراء وروى
انهم كانوا على خيول بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم قال القرطبى ولعل الملائكة نزلوا على الخيل
البلق لموافقة فرس المقداد فانه كان ابلق اكراما للمقداد كما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام متعمما بعمامة
صفراء على مثال الزبير بن العوّام وروى الواحدى عن عباد بن عبدالله بن الزبير انه قال كانت على الزبير عمامة
صفراء فنزلت الملائكة عليه عمائم صفر وفيه دلالة على فضل الخيل البلق ﴿قوله تعالى الا بشرى لكم﴾ مستثنى
مفرّغ منصوب على انه مفعول للجعل والتقدير وماجعله الله لشئ من الاشياء الا للبشرى وشروط نصبه موجودة
وهى اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا سيق للعلة وقوله ولتطمئن معطوف على بشرى وجاء بلام التعليل
ولم ينصب لعدم شرط من شروط نصبه وهو اتحاد الفاعل لان فاعل الجعل هو الله تعالى وفاعل الاطمئنان
هو القلوب والمعنى وماجعله الله الا بشرى لحصول نصر الله وليدخل السرور فى قلوبكم ولتطمئن به قلوبكم
على اعانة الله تعالى ونصرته لكم كيلا تجبنوا عن المحاربة ﴿قوله من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر﴾
يعنى ان كثرة المقاتلة وزيادة عددهم ولحوق المدد بهم لا فائدة لها سوى كونها سببا لطمأنينة قلوب العوام فينبغى
للمؤمن ان لا يركن الى شئ من ذلك فان ترتب النصر عليه ليس الا بطريق جرى العادة وما النصر فى الحقيقة الا من
عندالله فيجب ان لا يتوكل المؤمن الا على الله الذى هو مسبب الاسباب ﴿قوله متعلق بنصركم﴾ اى على تقدير
ان يجعل قوله اذ تقول ظرفا لنصركم لا بدلا ثانيا من اذ غدوت لانه على تقدير كونه بدلا منه يكون القول المذكور
واقعا يوم احد منقطعا عن قصة بدر فيجعل ليقطع متعلقا بنصركم يستلزم الفصل بين العامل ومعموله بالاجنبى
واما على تعلقه بقوله وما النصر الا من عندالله فيصح على التقديرين وهو ظاهر والعامل هو النصر الذى انتقض
ماتعلق به من النفى بالا ولما كان المعلل بالقطع والكبت هو النصر المعهود الواقع بواسطة امداد الملائكة حمل اللام
فيه على العهد والمراد بالطرف ههنا الجماعة والطائفة وعبر عنها بالطرف للاشعار بان العذاب ليس على طريق
الاستئصال بل يكون سبيله الطرف اذ لا وصول الى الوسط الا بعد الاخذ من الطرف ويوافقه قوله تعالى قاتلوا
الذين يلونكم من الكفار وقوله اولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها والكبت صرع الشئ على وجهه يقال
كبته فانكبت ثم انه قد يذكر ويراد به الاخذ والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال وكل ذلك ذكره
المفسرون فى تفسير الكبت ويشترك الجميع فى اصابة المكروه ﴿قوله فينهزموا منقطعى الآمال﴾ فان الخيبة
لا تكون الا بعد التوقع واليأس يكون بعد التوقع وقبله فنقيض اليأس الرجاء ونقيض الخيبة الظفر ومن حمل
الآية على يوم احد وجعل قوله اذ تقول بدلا ثانيا من قوله اذ غدوت وجعل قوله ليقطع متعلقا بقوله وما النصر
يقول انه قد قطع طرف منهم وكبتوا حيث قتل منهم يومئذ ستة عشر وقيل ثمانية عشر وقتل صاحب لوائهم وكانت
النصرة للمسلمين الى ان خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قوله اعتراض﴾ يعنى ان قوله او يتوب

ثم وعدلهم الزيادة على الصبر والتقوى
حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال (ان تصبروا
وتتقوا ويأتوكم) اى المشركون (من فورهم
هذا) من ساعتهم هذه وهو فى الاصل
مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة
ثم اطلق للحال التى لا ريث فيها ولا تراخى
والمعنى ان يأتوكم فى الحال (يمدد ربكم
بخمسة آلاف من الملائكة) فى حال اتيانهم
بلا تراخ ولا تأخير (مسوّمين) معلمين
من التسويم الذى هو اظهار سيما الشئ
لقوله عليه الصلاة والسلام لاصحابه
تسوّموا فان الملائكة قد تسوّمت او
مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب
بكسر الواو (وماجعله الله) وماجعل
امدادكم بالملائكة (الا بشرى لكم) الا
بشارة لكم بالنصر (ولتطمئن قلوبكم به)
ولتسكن اليه من الخوف (وما النصر الا
من عندالله) لا من العدّة والعدد وهو
تنبيه على انه لا حاجة فى نصرهم الى مدد
وانما امدهم ووعدلهم به بشارة لهم وربطا
على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى
الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن
تأخر عنهم (العزيز) الذى لا يغالب فى
اقضيته (الحكيم) الذى ينصر ويخذل
بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة
والمصلحة (ليقطع طرفا من الذين كفروا)
متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام
فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض
واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل
سبعين وأسر سبعين من صناديدهم
(او يكبتهم) او يخزيهم والكبت شدّة
الغيظ او وهن يقع فى القلب وأو للتنويع
دون الترديد (فينقلبوا خائبين) فينهزموا
منقطعى الآمال (ليس لك من الامر شئ)
اعتراض

(او يتوب عليهم اويعذبهم) عطف على قوله اويكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصرّوا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اى ليس لك من امرهم اومن التوبة عليهم اومن تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء اوالتوبة عليهم اوتعذيبهم وان يكون او بمعنى الاان اى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسرّ به او يعذبهم فتشتفى منهم روى ان عتبة بن ابى وقاص شجه يوم احدوكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل همّ ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن (فانهم ظالمون) قداستحقوا التعذيب بظلمهم (ولله ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا فله الامر كله لالك (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) صريح فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له (والله غفور رحيم) لعباده فلاتبادر الى الدعاء عليهم (يا ايها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا اضعافا مضاعفة) لاتزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الوقع اذ كان الرجل منهم يربى الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثيروابن عامر ويعقوب مضعفة (واتقوا الله) فيمانهيتم عنه (لعلكم تفلحون) راجين الفلاح (واتقوا النار التى اعدت للكافرين) بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكافرين وبالعرض للعصاة (واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة ولعل وعسى فى امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ماجعل خبراله

منصوب بعطفه على الافعال المنصوبة قبله والتقدير ليقطع اويكبت اويتوب عليهم اويعذبهم وعلى هذا يكون قوله ليس لك من الامر شيء جملة معترضة وقعت بين المعطوف والمعطوف عليه ويحتمل ان يكون او يتوب منصوبا باضمار ان فيكون فى تأويل مصدر فيصح عطفه بذلك على الاسم المجرور قبله وهو الامر او على الاسم المرفوع قبله وهو شيء كأنه قيل على الاول ليس لك من الامر او من توبة الله تعالى عليهم او تعذيبه اياهم شيء وعلى الثانى كأنه قيل ليس لك من الامر شيء او توبة الله عليهم او تعذيبهم وايا ما كان فهو من عطف الخاص على العام ومعنى الآية على التقدير الاول ان امورهم كلها لله وليس لك من امرهم شيء ولا من توبتهم ولا من تعذيبهم وعلى التقدير الثانى ليس لك من امرهم شيء ولا توبتهم ولا تعذيبهم والفرق بين العطف على الامر والعطف على شيء ان الاول سلب توابع التوبة من القبول وتوابع التعذيب بالخلاص منه او عدم النجاة منه والثانى سلب نفس التوبة والتعذيب اى لاتقدر على ان تجبرهم على التوبة او تمنعهم عنها ولا ان تعذبهم او تعفو عنهم ويرد على هذا الفرق انه كيف يكون المراد على الثانى سلب نفس التوبة بالمعنى المذكور مع ان قوله تعالى او يتوب عليهم معناه ان يتوب عليهم فيكون المعنى ليس لك من امرهم شيء ولا ان يتوب عليهم ولا يعذبهم فكيف يصح قوله بمعنى انك لاتقدر تجبرهم على التوبة او تمنعهم عنها وكأنّ من قرّر الفرق على الوجه المذكور يريد بالتوبة ما هو سبب التوبة عليهم والا فالمذكور فى الآية هو ان يتوب الله عليهم لا نفس توبتهم قال الامام ظاهر الآية يدل على انها وردت للمنع من امر كان صلى الله عليه وسلم يريد ان يفعله وذلك الفعل ان كان بامر الله تعالى فكيف يمنعه منه وان كان بغير امره فكيف يكون صاحبه معصوما وقد ثبت عصمة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم * والجواب عنه من وجهين الاول ان المنع من الفعل لا يدل ان الممنوع منه كان مشتغلا به فانه تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم لئن اشركت ليحبطنّ عملك مع انه صلى الله عليه وسلم ما اشرك قط والفائدة فى منع من لم يشتغل بالممنوع منه انه لما حصل ما يوجب الغم الشديد كقتل حمزة وبعض المسلمين رضى الله عنهم اغتم رسول الله والظاهر ان مثل هذا الغم يحمل الانسان على ما لا ينبغى من القول والفعل فنص الله تعالى على المنع تقوية لعصمته وتأكيدا لطهارته والثانى انه صلى الله عليه وسلم اعلمهم ان يفعل لكنه كان ذلك من باب ترك الافضل والاولى فلاجرم ارشده الله تعالى الى اختياره الاولى ووجه ثالث وهو انه صلى الله عليه وسلم لما مال قلبه الى ان يدعو عليهم استأذن ربه فنزلت الآية بالنص على المنع فليس فى مثل هذا النهى ما يقدح فى عصمته صلى الله عليه وسلم ﴿قوله صريح فى نفى وجوب التعذيب﴾ حكم بان الامر كله لله والى انه تابع لمشيئته يفعل ما يشاء بحكم الهيته وقهره وقدرته فله ان يدخل الجنة جميع الكفار وان يدخل النار جميع الابرار لكنه لايفعل لالكونه واجبا عليه خلافا للمعتزلة واستشهدوا عليه بما روى عن الحسن انه قال يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واعيوا اهل السنة بانهم يتصامّون ويتعامون عن مثل هذه الدلائل فيخبطون خبط عشواء ويظلمون انفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير ومن العجائب انهم يجعلون ما يوافق هواهم من الروايات صحيحا بمنزلة النص القاطع وان لم يعرف لاسناده وجه صحة وما يخالفه افتراء وان كان من صحاح الاحاديث والآثار * فان قيل ثبت انه لا يغفر للكفار ولا يعذب الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام * قلنا مدلول الآية انه لو اراد فعله لفعل لانه الغنى المطلق الذى لا يسأل عما يفعل ولا اعتراض عليه لاحد وهذا القدر لا يقتضى انه يفعل او لا يفعل ﴿قوله لاتزيدوا زيادات مكررة﴾ كان الرجل فى الجاهلية اذا كان له على انسان مائة درهم مثلا الى اجل ولم يكن المديون واجدا لذلك المال قال زدنى فى المال حتى ازيدك فى الاجل وربما جعله مائتين ثم اذا حل الاجل الثانى فعل ذلك ثم الى آجال كثيرة فيأخذ بسبب تلك المائة اضعافها فهذا هو المراد بقوله تعالى اضعافا مضاعفة واضعافا جمع انتصب على انه حال من الهاء اى متضاعفا ولما كان جمع قلة والمقصود الكثرة وصفه بقوله مضاعفة وهى اسم مفعول لا مصدر ﴿قوله ولعل التخصيص بحسب الواقع﴾ اشارة الى ان الحال ليست لتقييد النهى بها بحيث تنتفى الحرمة عند انتفائها عند من يقول بالمفهوم بل لزيادة التوبيخ والتنبيه على انهم كانوا على هذه الطريقة الشنعاء البعيدة عما يقتضيه الانصاف ﴿قوله راجين الفلاح﴾ لما كانت كلمة لعل للترجى والاشفاق وهما لا يصلحان الا عند الجهل بالعاقبة وذلك على الله محال جعل الترجى راجعا الى العباد ﴿قوله دليل عزة التوصل﴾ خبر لعل اى من لوازم كونه مرجوّ الجوهرى عن

الشيء يعز عزا و عزازة اذا قل حتى لايكاد يوجد فهو عزيز اى قليل الوجود* قال الامام النار التى اعدّت للكافرين تكون بقدر كفرهم و ذلك ازيد مما يستحقه المسلم بفسقه فكيف قال و اتقوا النار التى اعدّت للكافرين ثم اجاب بان تقدير الآية اتقوا الجحد و تحريم الربا و الاقصيروا كافرين معذبين بعذاب الكفار و من قرأ و سارعوا بالواو عطفه على ماقبله من الجملة الامرية اى اطيعوا و سارعوا و من اسقط الواو استأنف الامر بذلك لبيان ان الاطاعة المذكورة تؤدّى الى المغفرة و تنكير مغفرة للتعظيم فيراد بها ماهو رأس الامور المؤدّية اليها و اساسها فلذلك قال ابن عباس الى الاسلام و روى عنه الى التوبة من الربا و سائر الذنوب * و قال على بن ابى طالب الى اداء الفرائض لان الامر مطلق فيعم كل المفروضات و قال عثمان بن عفان الى الاخلاص لانه المقصود من جميع العبادات و قيل الى الهجرة و قال سعيد ابن جبير انه التكبيرة الاولى و هو مروى عن انس و قيل انه الصلاة و قيل انه جميع الطاعات لان اللفظ عام فيتناول الكل و الاولى ان يحمل على اداء جميع الواجبات و التوبة عن جميع المحظورات لانها هى السبب الاوّل للمغفرة و يحمل المسارعة الى الجنة اى الى اداء جميع الطاعات المأمور بها المؤدّية الى الجنة و الثواب فان الغفران معناه ازالة العقاب و الجنة معناها حصول الثواب فامر بالمسارعة اليها للاشعار بانه لابدّ للمكلف من تحصيل الامرين **قوله** اى عرضها كعرضها قدّر المضاف لان نفس السموات و الارض لايكون عرضا للجنة و ذكر فى كون عرضها كعرضهما وجوها الاول ان سبع السموات و سبع الارضين بجمعها لو جعل سطحا واحدا مؤلفا من اجزاء لاتتجزأ لكان ذلك مثل عرض الجنة و هى فى غاية السعة لايعلم قدرها الا الله و الثانى ان الجنة التى يكون عرضها كعرضهما انما تكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير ملكا له فلابدّ و ان تكون الجنة المملوكة لكل واحد مقدارها هكذا و الثالث ماقاله ابو مسلم من ان الجنة لو عرضت بالسموات و الارض على سبيل البيع لكانت ثمنا للجنة تقول اذا بعت الشيء بشيء آخر عرضته عليه و عارضته به فصار العرض يوضع موضع المساواة بين الشيئين فى القدر و الرابع المبالغة فى وصف سعة الجنة و ذلك لانه لاشيء عندنا اعرض منهما **قوله** و ذكر العرض جواب عما يقال ان كان المقصود تحديد مقدار الجنة فذلك لايحصل بمجرّد تحديد عرضها فلم اقتصر على ذكر عرضها فاجاب بانه ليس المراد تعيين حدّها و لاحدّ عرضها بل المقصود من التمثيل المبالغة فى وصفها بالسعة لان الطول يكون اعظم من العرض فالذى يكون عرضه بهذه المثابة يكون طوله على حسب عرضه و نظيره قوله تعالى بطائنها من استبرق فانه تعالى ذكر البطانة للعلم بان البطانة تكون اقل حالا من الظاهرة فاذا كانت البطانة من استبرق و هو الديباج الثخين فاظنك بالظهارة **قوله** على ان الجنة مخلوقة و انها خارجة عن هذا العالم اما كونها مخلوقة فلقوله اعدّت بلفظ الماضى فانه يدل عليه و هذا الدليل يدل ايضا على ان تكون النار مخلوقة و اما كون الجنة خارجة عن هذا العالم فلان مايكون عرضه كعرض جميع هذا العالم لايكون داخلا فيه بل يجب كونه خارجا عنه روى ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قيل له انك تدعو الى جنة عرضها السموات و الارض اعدّت للمتقين فأين النار فقال صلى الله عليه و سلم سبحان الله و اين الليل اذا جاء النهار * و المعنى و الله اعلم اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب من العالم و الليل ضدّ ذلك الجانب فكذا الجنة فى جهة العلو و النار فى جهة السفل و سئل انس بن مالك عن الجنة أفى الارض هى ام فى السماء فقال و اى ارض و سماء تسع الجنة قيل فأين هى قال فوق السموات السبع تحت العرش **قوله** صفة مادحة اى من جملة ماسيق من صفات المدح ذلك الانفاق لانه اشق شيء على النفس و ادل على الاخلاص و لانه كان فى ذلك الوقت اعظم الاعمال الحاجة اليه فى مجاهدة العدوّ و موالاة فقراء المسلمين **قوله** حالتى الرخاء و الشدّة اى حالتى الرخاء و الفقر بحيث ينفقون فى كل حالة مايليق بها من قليل او كثير و روى عن بعض السلف انه ربما تصدّق ببصلة و عن عائشة رضى الله عنها انها تصدقت بحبة عنب **قوله** او حقه العظيم هو ان يطاع و لايعصى و على التقادير يكون من باب حذف المضاف و قيل المراد بهذا الذكر ذكر الله بالثناء و التعظيم و الاجلال لان من اراد ان يسأل الله تعالى فالواجب ان يقدّم على تلك المسألة الثناء على الله فههنا لما كان الاستغفار لاجل ذنوبهم وجب عليهم ان يثنوا على الله تعالى ثم يشتغلوا بالاستغفار بان يندموا على مامضى و يعزموا على ترك مثله فى المستقبل و اما مجرّد الاستغفار باللسان فلا اثر له فى ازالة الذنب و كذا ماهو خطأ اللسان من الاستغفار **قوله** استفهام بمعنى النفى و لذلك وقع بعده الاستثناء و الا الله بدل من الضمير المستكن فى يغفر العائد الى من الاستفهامية و قد تقدّم فى النحو انه يختار البدل فيما بعد الا فى كلام غير موجب و المستثنى منه مذكور مثل مافعلوه الا قليل منهم و التقدير لايغفر الذنوب احد الا الله

(و سارعوا) بادروا و أقبلوا (الى مغفرة من ربكم) الى مايستحق به المغفرة كالاسلام و التوبة و الاخلاص و قرأ نافع و ابن عامر سارعوا بلاواو (و جنة عرضها السموات و الارض) اى عرضها كعرضهما و ذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول و عن ابن عباس كسبع سموات و سبع ارضين لو وصل بعضها ببعض (اعدّت للمتقين) هيئت لهم و فيه دليل على ان الجنة مخلوقة و انها خارجة عن هذا العالم (الذين ينفقون) صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع (فى السرّاء و الضرّاء) فى حالتى الرخاء و الشدّة او الاحوال كلها اذ الانسان لايخلو عن مسرّة او مضرّة و المعنى لايخلون فى حال مّا بانفاق ماقدروا عليه من قليل او كثير (و الكاظمين الغيظ) الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها و شددت رأسها و عن النبى صلى الله عليه و سلم من كظم غيظا و هو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا و ايمانا (و العافين عن الناس) التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته و عن النبى عليه الصلاة و السلام ان هؤلاء فى امتى قليل الا من عصم الله و قد كانوا اكثيرا فى الامم التى مضت (و الله يحب المحسنين) يحتمل الجنس و يدخل تحته هؤلاء او العهد فتكون الاشارة اليهم (و الذين اذا فعلوا فاحشة) فعلة بالغة فى القبح كالزنى (او ظلموا انفسهم) بأن اذنبوا اى ذنب كان و قيل الفاحشة الكبيرة و ظلم النفس الصغيرة و لعل الفاحشة ماتعدّى و ظلم النفس ماليس كذلك (ذكروا الله) تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم (فاستغفروا لذنوبهم) بالندم و التوبة (و من يغفر الذنوب الا الله) استفهام بمعنى النفى معترض بين المعطوفين و المراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة و عموم المغفرة و الحث على الاستغفار و الوعد بقبول التوبة

(ولم يصرّوا على مافعلوا) ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله صلى الله عليه وسلم ما أصرّ من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرّة (وهم يعلمون) حال من يصرّوا اى ولم يصرّوا على قبيح فعلهم عالمين به (اولئك جزآؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) خبر للذين ان ابتدأت به وجلة مستأنفة مبينة لماقبلها ان عطفت على المتقين اوعلى الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزآء لهم ان لايدخلها المصرّون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزآء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاوّل يدل على ان مالهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة فى الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص عكار مد وفصل آية هؤلاء بقوله (ونعم اجر العاملين) لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض مافوّت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزآء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعنى المغفرة والجنات (قدخلت من قبلكم سنن) وقائع سنها الله فى الامم المكذبة كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل وقيل امم قال

ما عاين الناس من فضل كفضلكمو *
ولا رأوا مثله فى سالف السنن *

(فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) لتعتبروا بماترون من آثار هلاكهم (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) اشارة الى قوله قدخلت اومفهوم قوله فانظروا اى انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين اوالى مالخص من امر المتقين والتائبين وقوله قدخلت جملة معترضة للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن

تعالى فان المغفرة لاتطلب الامن الله تعالى القادر على عقاب العبد فى الدنيا والآخرة فكان هو القادر على ازالة ذلك العذاب **قوله** ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين فسر عدم الاصرار على الذنب بعدم الثبات عليه بان يبادر الى الاعتراف به والتوبة والاستغفار منه لماروى عن الحسن ان الثبات على اتيان العبد ذنبا عمدا اصرار حتى يتوب وعن السدى ان الاصرار السكون وترك الاستغفار واصل الاصرار الثبات على الشئ **قوله** حال من يصرّوا اى من فاعله ومفعول يعلمون محذوف للعلم به اى وهم يعلمون مافعلوه قبيحا محرّما عليهم فان من لايعلم قبح الفعل قديعذر فى ارتكابه واما العالم بالحرمة فلاعذرله **قوله** خبر للذين اى لقوله والذين اذافعلوا فاحشة ان ابتدأت به على تقدير ان يكون والذين مرفوعا بالابتداء واولئك مبتدأ ثانيا وجزآؤهم مبتدأ ثالثا ومغفرة خبر الثالث والثالث وخبره خبر الثانى والثانى وخبره خبر الاوّل واذافعلوا شرط جوابه ذكروا وقوله فاستغفروا عطف على الجواب والجملة الشرطية وجوابها صلة الموصول والمفعول الاوّل لاستغفروا محذوف اى استغفروا الله لاجل ذنوبهم واما اذاجعل والذين اذافعلوا معطوفا على قوله والذين ينفقون داخلا فى حكم اعرابه بان يكون صفة مادحة للمتقين اومدحا منصوبا اومرفوعا مثله وكان قوله والله يحب المحسنين جلة معترضة بين المتعاطفين فهذه الجملة حينئذ تكون مستأنفة مبينة لماقبلها والمعنى ان المطلوب بالتوبة امران احدهما العفو عن العقاب والثانى الثواب واليه الاشارة بقوله جنات تجرى من تحتها الانهار وقوله خالدين فيها حال من الضمير فى جزآؤهم لانه مفعول به فى المعنى لان المعنى يجزيهم الله جنات فى حال خلودهم فيها وهى حال مقدرة ثم بين ان ماحصل لهم من الغفران والجزآء اجر لهم وجزآء عليه حيث قال ونعم اجر العاملين بعد قوله جزآؤهم فانهما مترادفان **قوله** ولايلزم من اعداد الجنة الخ ردّ على صاحب الكشاف حيث قال وفى هذه الآيات بيان قاطع على ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرّون وان الجنة للمتقين والتائبين دون المصرّين ومن خالف ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه **قوله** وتنكير جنات على الاوّل اى على تقدير ان يكون قوله والذين اذافعلوا فاحشة غير معطوف على ماقبله يكون تنكير جنات للدلالة على ان مالهم من الجنات ليس مثل ماللمتقين المنفقين الكاظمين العافين بل مالهم ادون بالنسبة الى ماللمتقين واما ان جعل معطوفا على ماقبله يكون تنكيرها للتعظيم **قوله** وقائع سنها الله اى وضعها طريقة مسلكها على صفة الحكمة والمراد ان الله تعالى بين معاملاته فى الامم المذنبة بالهلاك والاستئصال بدليل قوله تعالى فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لماوعد الله تعالى على الطاعة والتوبة بالمغفرة والجنة اعقبه بذكر مايحملهم على فعل الطاعة والتوبة وهو تأمل احوال القرون الماضية ممن اعرض عن الطاعة والانابة وخالف الانبياء والرسل حرصا على الدنيا وطلب لذاتها فانهم قدانقرضوا جميعا ولم يبق من دنياهم اثر وبقى عليهم اللعن فى الدنيا والعقاب فى الآخرة فرغب الله تعالى هذه الامة المصدقين فى تأمل احوال هؤلاء الماضين ليصير ذلك داعيالهم الى الثبات على الطاعة والانابة والاعراض عن الاغترار بالحظوظ الفانية وفيه تسلية للمؤمنين فيما اصابهم يوم احد فان الكفار وان نالوا من المؤمنين بعض النيل لحكمة اقتضته فالعاقبة للمؤمنين قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ان الارض يرثها عبادى الصالحون ولوكانت النيلة كل مرّة للمؤمنين لصار الايمان ضروريا وهو خلاف ماتقتضيه الحكمة الالهية وقال مجاهد بل المراد سنن الله تعالى فى الكافرين والمؤمنين معا لافى الامم المكذبة فقط فان الدنيا لاتبقى مع المؤمنين ولامع الكافرين ولكن المؤمن بعد موته له الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى بخلاف الكافر فانه يبقى عليه اللعن فى الدنيا والعقاب فى العقبى **قوله** وقيل امم اى قيل المراد بالسنن الامم استشهادا بقوله

* ماعاين الناس من فضل كفضلكمو * ولا رأوا مثلكم فى سالف السنن *

ولادليل فيه على ذلك لاحتمال ان يكون معناه اهل السنن كما قال الزجاج فى تفسير هذه الآية المعنى اهل سنن فحذف المضاف قال ابو البقاء أتى بالفاء فى فسيروا لان المعنى على الشرط اى ان سلكتم فسيروا وقوله كيف كان خبر قدّم على المبتدأ وهو عاقبة المكذبين وهذا التقديم واجب لتضمنه معنى الاستفهام والجملة فى محل النصب بعد اسقاط الخافض اذالاصل انظر فى كذا وليس المراد بقوله فسيروا الامر بالسير لامحالة بل المقصود تعرّف احوالهم فان حصلت المعرفة بغير السير فلاسير ولعل اختيار لفظ سيروا مبنى على ان اثر المشاهدة اقوى من اثر السماع كما قيل ليس الخبر كالمعاينة **قوله** اشارة الى قوله قدخلت يعنى ان قوله قدخلت من قبلكم ان لم يكن جلة معترضة بين اسم

الاشارة والمشار اليه بل جيء به بعد الفراغ مما خص من امر المتقين والتائبين لبعث المكذبين على التوبة والتصديق فانه يكون قوله هذا اشارة اما الى قوله قدخلت فانه تعالى بين للمكذبين الحاضرين وقائعه التى سنها فى من سلف من المكذبين على ان يكون المراد بالناس المكذبين الذين خوطبوا بقوله قدخلت من قبلكم على طريق الالتفات من الخطاب الى الغيبة ويدل عليه قوله انه مع كونه بيانا للمكذبين الخ واما الى مفهوم قوله فانظروا وهو حثهم على النظر فى سوء عاقبة المكذبين الماضين وهذا الحث بيان للمكذبين الحاضرين سوء عاقبتهم لمشاركتهم الماضين فيه وهذا المشار اليه اى الحث على النظر مع كونه بيانا للمكذبين فهو هدى وموعظة للمتقين وعطف الهدى والوعظ على البيان يشعر بتغاير هذه المفهومات الثلاثة ووجه الفرق بينها ان البيان هو الدلالة على الحق ليتيقن بازالة ما فيه من الشبهة واما الهدى فهو مخصوص بالدلالة والارشاد الى طريق الدين القويم والصراط المستقيم ليدين به ويسلكه والموعظة هو الكلام الذى يفيد الزجر عما لا ينبغى فى الدين وان كان قوله هذا اشارة الى ما لخص من امر المتقين والتائبين والمصرّين تكون اللام فى الناس لتعريف الجنس وتكون جملة قوله قدخلت معترضة * واعلم ان قوله تعالى قدخلت من قبلكم سنن وقوله هذا بيان للناس كالمقدمة لقوله تعالى ولا تهنوا كأنه قال اذا بحثتم عن احوال القرون الماضية علمتم ان اهل الباطل وان اتفق لهم الصولة والدولة فمآل امرهم الى الضعف ومآل اهل الحق الى القوّة والعلوّ فلا ينبغى ان تصير صولة الكفار عليكم يوم احد سببا لضعف قلبكم ووهنكم وعجزكم بل يجب ان تقووا قلوبكم اعتقادا بان الاعتلاء سيجعل لكم والقوّة والدولة راجعة اليكم ﴿ قوله اولانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم ﴾ فانه قدقتل يوم احد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير رضى الله عنه وقدقتل يوم بدر من المشركين سبعون واسر سبعون والمناسب لما يدل عليه ما قبله من انكسار قلوب المؤمنين بسبب ما اصابهم فى ذلك اليوم من الوهن والحزن ان يحمل قوله وانتم الاعلون على تبشيرهم بما يقوّى قلوبهم من كون العاقبة لهم وانهم يظفرون بهم ويستولون عليهم آخرا لان الباطل يكون زهوقا وقال ابن عباس رضى الله عنهما انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب فاقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتعل علينا اللهم لاقوّة لنا الابك وتأهب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا حتى هزموهم فذلك قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ﴿ قوله متعلق بالنهى ﴾ يريد به ان جواب قوله ان كنتم مؤمنين محذوف لدلالة قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا عليه لا ان نفس هذا المذكور جواب له لان جواب الشرط لايتقدّم عليه عند البصريين ويقولون المذكور مقدّما دليل الجواب لانفسه والتقدير والمعنى ان كنتم مؤمنين لاتهنوا ولا تحزنوا بما اصابكم فان الله تعالى وعد بنصرة هذا الدين فان كنتم مؤمنين علمتم ان هذه الواقعة لابد من تداولها وان الدولة والاستيلاء على العدوّ للمسلمين وقيل المعنى ان كنتم مؤمنين مصدّقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة على المشركين فانتم الاعلون عليهم ﴿ قوله فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول ﴾ الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون قيل قتل نيف وسبعون رجلا من المشركين وقتل صاحب لوآئهم والجراحات كثرت فيهم وعقرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم فى اوّل النهار وقتل علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه طلحة بن ابى طلحة وهو كبش الفئة وهو يحمل لوآء قريش واخذ اللوآء من بعده عثمان بن ابى طلحة فقتله حمزة ثم اخذه ابو سعيد بن ابى طلحة فرماه سعد بن ابى وقاص بسهم فات مكانه واخذ اللوآء من بعده نافع بن طلحة فقتله وقتل منهم رجال آخرون وفرّق الله تعالى شملهم وانزل نصره قال الزبير بن العوّام فرأيت المشركين قدبدت اشرافهم ونساؤهم وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابى جهل وعلى مقدّمتهم سفيان بن امية وكانت هند امرأة ابى سفيان فى صواحباتها اخذن الدفوف حين حميت الحرب يضربن بها ويقلن

* نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * ان يقبلوا نعانق *

* اويدبروا نفارق * فراق كل وامق *

فلما نظرت الرماة الى القوم ورأوهم قد انكشفوا اقبلوا يريدون النهب والغنائم فطلبت ظهور المسلمين خيول المشركين وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار لما رأى تفرّق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرّق شملهم وكثر

(ولاتهنوا ولاتحزنوا) تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولاتحزنوا على من قتل منكم (وانتم الاعلون) وحالكم انكم اعلى منهم شأنا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم فى الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم فى النار اولانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون فى العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهى اى لاتهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضى قوّة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) قرأ حمزة والكسائى وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لاتضعفوا فانكم ترجون من الله مالا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم (وتلك الايام نداولها بين الناس) نصرّفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله

فيوم علينا ويوم لنا *
ويوم نساء ويوم نسرّ *

والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشئ بينهم فتداولوه

القتل فيهم بعد ذلك ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي * رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه
الكريم واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة فظن انه قتل
الرسول صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا او صرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل وكان الصارخ الشيطان فلما
فشا خبر قتله صلى الله عليه وسلم انهزم المسلمون فأصاب منهم القوم قال قتادة قتل من الصحابة سبعون رجلا ستة
وستون من الانصار واربعة من المهاجرين ولما شج ذلك الكافر وجه النبي صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته احتمله
طلحة بن عبيد الله ودافع عنه ابو بكر وعلي ونفر آخرون معهم ثم انه صلى الله عليه وسلم جعل ينادي ويقول الي عباد الله
حتى التجأت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هزيمتهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا خبرنا بقتلك
فاستولى الرعب على قلوبنا فولينا مدبرين فتوجه صلى الله عليه وسلم بمن معه من المسلمين نحو الجرحى والقتلى منهم
فدفعوا عنهم الاعداء فانصرف ابو سفيان يقول ان لنا عزى ولا عزى لكم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يجيبوا * الله مولانا ولا مولى لكم * وروى ان ابا سفيان صعد الجبل يوم احد وقال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين
ابن الخطاب فقال عمر رضي الله عنه هذا رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول
والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار معذبون فقال ان كان كما تزعمون فقد خبنا اذا وخسرنا
وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب وجاءت فاطمة رضي الله عنها ومعها قربة من ماء فسقت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعلت تغسل الدم عن وجهه وكان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشغولا بعلي وحمزة
رضي الله عنهما فاتى بعلي وعليه نيف وستون جراحة من ضربة وطعنة ورمية فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمسحها وهي تلتئم باذن الله تعالى كان لم تكن وجيء بحمزة مقتولا مبعوجا بطنه مجدوعا انفه فبكى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال * الشهداء زملوهم بكلومهم ودمائهم وقدموا اكثرهم قرآنا وصلى على حمزة سبعين صلاة وقال ان
حمزة لا بواكي له فبكى نساء المدينة اولا على حمزة ثم على القتلى وصار ذلك عادة الى هذا اليوم قال انس رضي الله
عنه فلم نجد لحمزة كفنا فدفناه بما عليه من الكساء فكلما غطينا رأسه انكشف رجلاه وكلما غطينا رجليه انكشف رأسه
فسترنا رجليه بالاذخر * فان قيل كيف قال قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين * اجيب بان المراد
المماثلة في مجرد الانهزام لا في كيفية عدد القتلى فقد انهزم المشركون يوم بدر كما انهزم المسلمون يوم احد وكذا انهزم
المشركون اولا يوم احد كما انهزم المسلمون بعد ان خالفوا امر الرسول ﴿ قوله والايام تحتمل الوصف والخبر ﴾
اي يجوز في الايام ان تكون خبر الثلاث وتداولها جملة حالية والعامل فيها معنى الاشارة اي اشير اليها حال كونها
مداولة ويجوز ان تكون الايام بدلا او عطف بيان او نعتا لاسم الاشارة والخبر هو جملة نداولها
﴿ قوله والقصد في امثاله ونقائضه ﴾ جواب عما يقال امثال هذه الآية تدل بظواهرها على ان يكون
علمه تعالى معللا بما يتوقف عليه ونقائضها تدل بظواهرها على ان علمه تعالى غير محيط بجميع المعلومات وكلاهما
بين الاستحالة فمن امثالها قوله تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقوله
ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا وقوله لنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم وقوله لنعلم من يتبع
الرسول وقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ومن نقائضها قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقد احتج الحكم بن هشام بهذه الآية على انه لا يعلم حدوث الحوادث الا عند
وقوعها واجاب المتكلمون عنه بان الدلائل العقلية دلت على انه تعالى يعلم الحوادث قبل وقوعها فثبت ان التغير
في العلم محال الا ان اطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان اي معلومه
وهذه قدرة فلان اي مقدوره وكل آية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم وما اشعر منها بنفي العلم فالمراد
نفي المعلوم على طريقة البرهان لان علمه تعالى بشيء من لوازم تحقق ذلك الشيء ولا شك ان عدم اللازم برهان
لعدم الملزوم فان وجه اللازم يكنى به عن تحقق الملزوم فلذلك فسر قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم بقوله
ولما تجاهدوا واشار الى جواب هذا الاشكال اولا بقوله وليتميز الثابتون على الايمان ومحصوله ان العلم مجاز
عن التميز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فالمعنى ليتميز الاخلاص من النفاق والمؤمن من الكافر
﴿ قوله وقيل معناه ﴾ اي قيل في الجواب عن كون الآية مستلزمة لحدوث علمه تعالى وتجدده ان معنى
الآية ليعلم الذين آمنوا موجودين كما علم قبل وجودهم انهم سيوجدون لان المجازاة تقع على الواقع دون المعلوم

والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها
تحتمل الخبر والحال والمراد باوقات النصر
والغلبة ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ﴾ عطف
على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت
وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير
واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح
ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره
وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على
حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه
ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات
المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل
معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم
بالشيء موجودا ﴿ ويتخذ منكم شهداء ﴾
ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد
او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف
منهم من الثبات والصبر على الشدائد

(والله لايحب الظالمين) الذين يضمرون خلاف مايظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لاينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين (وليمحص الله الذين آمنوا) ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت عليهم (ويمحق الكافرين) ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشئ قليلا قليلا (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) بل أحسبتم ومعناه الانكار (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ولما تجاهدوا وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون (ويعلم الصابرين) نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كأنه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون (ولقد كنتم تمنون الموت) اى الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا يوم احد على الخروج (من قبل ان تلقوه) من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتموه وانتم تنظرون) اى فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمنى الشهادة فان فى تمنيها تمنى غلبة الكفار (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل (أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روى انه لما رمى عبدالله بن قمئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبى عليه السلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه السلام يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون

الذى لم يوجد ولايلزم منه تجدد علم الله تعالى وحدوثه ولا كون ذاته تعالى محلا للحوادث لان التغير والحدوث انما هو فى تعلق العلم لا فى نفسه فان صفات البارى تعالى منها اضافات لاوجود لها فى الاعيان كتعلق العلم والقدرة والارادة فان هذه التعلقات اضافات محضة لاوجود لها فى الاعيان وهى مبدلة متغيرة فتغيرها لايستلزم تغير العلم والقدرة والارادة وقيل فى الجواب ان فى الآية تقدير مضاف اى ليعلم اولياء الله ونسب علمهم الى نفسه تفخيما لشأنهم والظاهر ان من فى قوله تعالى ويتخذ منكم متعلقة بالايجاد ويحتمل ان تتعلق بمحذوف على انه حال من شهداء لانه فى الاصل صفة له اى ويتخذ شهداء كائنين منكم يشهدون على الناس بما صدر منهم من الذنوب والمعاصى فان كون الانسان صالحا للشهادة حالة عظيمة لاتثبت له مالم يكن منزها عن الرذائل ومحلى بالفضائل ﴿ قوله الذين يضمرون الخ ﴾ يعنى ان الظالمين مقابل لقوله الذين آمنوا فيكون المعنى والله لايحب من ليس ثابتا على الايمان ومن ليس ثابتا يتناول كل واحد من المنافقين والكفار المجاهرين وكلمة او للتنويع ﴿ قوله وهو اعتراض ﴾ اى بين بعض التعليل وبعض وفائدة الاعتراض التنبيه على انه تعالى انما يديل الكفار على المؤمنين لما ذكر من الفوائد لا لانه يحبهم ﴿ قوله بل أحسبتم ﴾ اشارة الى ان ام منقطعة اضرب عن بيان ماهو السبب الاصلى لمداولته اوقات النصر والغلبة الى خطاب الذين انهزموا يوم احد وانكار حسبانهم اى لاينبغى لكم ان تحسبوا دخول الجنة كما دخل الذين قتلوا وبذلوا مهجتهم وثبتوا على الم الجراح والضرب من غير ان تسلكوا طريقتهم وتصبروا صبرهم ﴿ قوله ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل ﴾ فيدل على نفى الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل جعل نفى العلم كناية عن نفى المعلوم اى أحسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يقع منكم مجاهدة لان كل معلوم يقتضى علما من الله تعالى فاذا نفى العلم نفى المعلوم لامحالة وقدمرّ ان القصد فى امثال ذلك من اثبات علمه ونفيه الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان ﴿ قوله نصب باضمار ان على ان الواو للجمع ﴾ كما فى قولك لاتأكل السمك وتشرب اللبن اى لاتجمع بينهما والمعنى ههنا احسبتم ان تدخلوا الجنة وماجمعتم بين المجاهدة والصبر وقيل فتحة الميم هى فتحة التقاء الساكنين والفعل مجزوم فلما وقع بعده ساكن آخر احتيج الى تحريكه واختيرت الفتحة لكونها اخف ﴿ قوله على ان الواو للحال ﴾ اورد عليه ان واو الحال لاتدخل المضارع فلايقال جاء زيد ويضحك بل يقال جاء زيد يضحك لان المضارع واقع موقع اسم الفاعل فكما لايجوز جاء زيد وضاحكا كذلك لايجوز جاء زيد ويضحك الا ان يؤوّل بان يجعل المضارع خبر مبتدأ محذوف اى وهو يعلم الصابرين فحينئذ يصح جعل الواو حالية واجيب بان قوله لاتدخل على المضارع ليس على اطلاقه بل يقال على المضارع المثبت او المنفى بلا لانها تدخل على المضارع المنفى بلم ولما ومعنى الآية ان دخول الجنة وترك المصابرة على الجهاد مما لايجتمعان ﴿ قوله اى فقد رأيتموه معاينين ﴾ اشارة الى ان رأيتم بمعنى ابصرتم متعدى الى واحد وان جملة قوله وانتم تنظرون حالية مؤكدة جئ بها لدفع مايحتمل الرؤية من المجاز او الاشتراك بين رؤية البصر ورؤية القلب وقوله فقد رأيتموه يعنى اسبابه من السيوف والأسنة ﴿ قوله تعالى وما محمد الا رسول ﴾ كلمة ما فيه نافية ولاعمل لها مطلقا اى على لغة الحجازيين والتميميين لان التميميين لايعملونها البتة والحجازيون يعملونها بشروط منها ان لاينتقض النفى بالا فانه حينئذ يزول السبب الذى عملت لاجله وهو شبهها بليس فى نفى الحال فيكون مبتدأ ورسول خبره ومحمد هو المستغرق لجميع المحامد لان الحمد لايستوجبه الا الكامل والتحميد فوق الحمد فلا يستحقه الا المستولى على الاكلية اكرم الله تعالى نبيه بوصفين مشتقين من اسمه جل جلاله محمد واحمد وفيه قال حسان بن ثابت رضى الله عنه * ألم تر ان الله ارسل عبده * ببرهانه والله اعلى وامجد * وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد * وصرّح صاحب المفتاح بان القصر فيه قصر افراد اخراجا لحالهم لاعلى مقتضى الظاهر بتنزيل اعظامهم اهلاكه منزلة استبعادهم اياه وانكارهم حتى انهم اعتقدوا فيه وصفين الرسالة والتبرئ من الهلاك وفيه بعد من جهة عدم اعتباره الوصف اى قد خلت من قبله الرسل حتى كأنه لم يجعل وصفا بل ابتداء كلام لبيان انه ليس مبرأ من الهلاك فردّ عليهم بانه رسول كسائر الرسل سيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم والفاء فى قوله أفان مات للسببية فانها تفيد تعليق الجملة الشرطية اعنى مضمون الجزاء مع اعتبار تقييد الشرط بالجملة السابقة وترتيبها عليها وتوسط الهمزة لانكار ذلك اى لاينبغى ان تجعلوا خلو الرسول قبلكم سببا لانقلابكم

بل يجب ان تجعلوا خلوه سببا للتمسك بدينه كما هو حكم سائر الانبياء مع ان انقلابكم على اعقابكم عكس لموجب القضية فى الحقيقة وهى كونه رسولا يخلو كما خلت الرسل كذا حققه النحرير المحقق رحمه الله ولم يرض المصنف به بل جعل الفاء لمجرد التعقيب وجعل الهمزة لانكار ارتدادهم بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به فان قوله بعد علمهم معنى الفاء وعبر عما صدر عن الصحابة رضى الله عنهم من الفرار والانهزام واهمال رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك محافظته ونصرته بالانقلاب على الاعقاب والارتداد على وجه التغليظ بهم واستعظام ذلك منهم اذ من المعلوم ان احدا من المسلمين ما ارتد فى ذلك اليوم ﴿قوله بل يضر نفسه﴾ الحصر مستفاد من تقييد الفعل بالمفعول ورجوع النفى الى القيد لا الى اصل الفعل فيكون المعنى انه بارتداده قد صدر عنه ضرر ولكن ذلك الضرر ليس بالنسبة الى الله عز وجل لتعاليه عن الضرر ومعلوم انه ليس بالنسبة الى غير نفسه فتعين انه ليس الا بالنسبة الى نفسه ﴿قوله وما كان لنفس ان تموت﴾ قوله ان تموت فى محل الرفع اسما لكان ولنفس خبر مقدم فيتعلق بمحذوف والا باذن الله حال من الضمير لتموت فيتعلق بمحذوف وهو استثناء مفرغ والتقدير وما كان لها ان تموت فى حال ما الا فى حال كونها مأذونا لها والباء للمصاحبة ولما كان ظاهر الآية يدل على ان الموت فعل اختيارى للنفس الا انها انما تفعله اذا اذن لها فيه وليس كذلك لان الموت ليس بمقدور لها عقلا فضلا عن ان يتوقف على الاستئذان والاذن ذكر المصنف فى توجيه الآية وجهين الاول انه مجاز عن المشيئة نظرا الى كونه من لوازمها فاذا لم يكن الاذن على حقيقته لم يلزم ان يكون الموت من الافعال الصادرة من النفس واسناد الفعل الى فاعله انما يستلزم قيامه به لا صدوره منه والثانى ان الموت لا يكون الا بقبض ملك الموت الروح وقبضه لا يكون الا باذن الله فيكون موت الانسان باذن الله له بل لملك الموت وفى الآية حجة على المعتزلة فى جعل المقتول مقطوعا عليه اجله لا ميتا بموته لانه تعالى بين ان انقطاع عمر المرء موقت بوقت معلوم لكن الذى قتل فاجله بالقتل والذى مات حتف انفه فأجله ذلك فانما جعل اجل كل احد بما علم انه يكون انقضاء عمره به فان كان موتا فيموت وان كان قتلا فيقتل وما علم الله تعالى انقضاء عمره وموته بالقتل لا يكون موته حتف انفه لانه متحقق قتله ولا يكون المقتول ميتا قبل اجله كما قال المعتزلة فان قالوا يجب على مقتضى قولكم ان من ذبح شاة غيره بغير امره ان لا يضمن قيمتها لانه جعل النفع لصاحبها لانه لو لم يقتلها لكانت تموت وكان فى ذلك تلف مال فكان الذبح احسانا من القاتل فى حق المالك وكذلك من قتل غيره يلزم عليه ان لا يجب عليه القصاص ولا يذم على ذلك لانه لو لم يفعل يموت وبسبب قتله ذلك ينال الثواب لكون السيف محاقا للذنوب فنقول هذا تلبيس لان ما علم الله ان يموت بالقتل والذبح لا يكون موته حتف انفه وما كتب فى اللوح المحفوظ ان خروج روحه بسبب القتل يكون به لا محالة ولا يكون بدونه كيلا يؤدى الى القول بتغير علم الله وحكمه لكن هو منهى عن ذبح شاة الغير بلا امره وعن قتل الآدمى المعصوم فانه يؤاخذ ويلام بارتكابه ما نهى عنه وعلى المكلف مراعاة ظاهر الامر والنهى دون اعتبار حقيقة الحكم والمعلوم الا ترى ان المؤمن يعاقب بارتكاب سائر المعاصى وان علم الله تعالى منه ذلك وكتب فى اللوح المحفوظ انه يوجد منه لا محالة ولا يمكن للعاصى الخروج عن ذلك لما فيه من تغيير الحكم لكن لما نهى عن ذلك وكان متمكنا من الانتهاء بالقدرة على ذلك من حيث الاسباب نظرا الى الظاهر دون الباطن يؤاخذ بارتكابه فكذا ما هنا مثله والمراد بالكتاب المؤجل الكتاب المشتمل على الآجال ويقال انه اللوح المحفوظ كما ورد فى الاخبار انه تعالى قال للقلم اكتب فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة * واعلم ان جميع الحوادث لا بد وان تكون معلومة لله تعالى وجميع حوادث اهل العالم من الخلق والرزق والسعادة والشقاوة لابد وان تكون مكتوبة فى اللوح المحفوظ فلو وقعت بخلاف علم الله تعالى لانقلب علمه جهلا ولانقلب ذلك الكتاب كذبا وكل ذلك محال واذا كان الامر كذلك ثبت ان الكل بقضاء الله تعالى وقدره ﴿قوله وصارت بمعنى كم﴾ اى الخبرية فان اى بعد ان ركب بكاف التشبيه حدث فيه معنى التكثير ونظيره فى افادة معنى التكثير بعد التركيب كذا فى قولهم عندى كذا درهما والاصل كاف التشبيه وذا الذى هو اسم الاشارة فلما ركبا احدث فيهما معنى التكثير فكم الخبرية وكذا وكائن كلها بمعنى واحد وكان حق الكلمة على هذا ان يوقف عليها بغير نون لان التنوين محذوف حال الوقف الا ان الصحابة رضى الله عنهم كتبوها كائن بالتنوين فمن ثمة وقف عليها جمهور القراء بالنون اتباعا لرسم المصحف وقرأ ابن كثير وكائن بالف بعد الكاف بعدها همزة مكسورة بعدها نون ساكنة على وزن كاعن وقرأ الباقون كأين مشددا بوزن كعين وهى لغة قريش ومن اللغة الاولى

وقال بعضهم ليت ابن ابى يأخذ لنا امانا من ابى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) بارتداده بل يضر نفسه (وسيجزى الله الشاكرين) على نعمة الاسلام بالثبات عليه كأنس واضرابه (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) الا بمشيئته تعالى او باذنه لملك الموت عليه السلام فى قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتأخير الاجل (كتابا) مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) صفة له اى موقتا لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) اى من ثوابها (وسنجزى الشاكرين) الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ عن الجهاد (وكأين) اصله اى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت فى الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملى فى لعمرى فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائى

قول جرير

٭ وكائن بالاباطح من صديق ٭ يرانى لواصبت هو المصابا ٭

قيل هذه اللغة اصلها كأين كقرآءة الجمهور على انها مركبة من كاف التشبيه واىّ الاستفهامية الا ان الكلمة دخلها القلب بناء على انها صارت بالتركيب كلمة واحدة قدمت الياء المشددة على الهمزة فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية لثقلها بالحركة والتضعيف كما قالوا فى ايما ثم قلبت الياء الساكنة الاولى ألفا فصار كائن ﴿قوله من نبى بيان له﴾ اى مميز لكأين لانها مثل كم الخبرية الا ان الكثير الغالب فى مميز كأين ان يكون مجرورا بمن ولم يجئ فى التنزيل الا كذا نحو وكأين من قرية اهلكناها وكأين من قرية امليت لها واما جر مميزها فممتنع لان آخرها تنوين ولا يثبت مع الاضافة ﴿قوله علماء اتقياء﴾ سواء كان الربى بفتح الرآء او كسرها او ضمها منسوبا الى الرب بالاشتغال الى مايؤدى الى مرضاته وبالاتقاء عما يجلب سخطه وفتح الرآء هو القياس والضم والكسر من تغييرات النسب فان العرب اذا نسبت شيأ الى شئ غيرت حركته كما قالوا بصرى فى النسبة الى بصرة ودهرى فى النسبة الى الدهر وقيل لاتغيير فيه لانه منسوب الى الربة وهى الجماعة المتألفة ﴿قوله للمبالغة﴾ الجارّ فيه متعلق بقوله منسوب فان بناء النسبة قد يكون للمبالغة فالربىّ بمعنى الجماعة المتكثرة قرأ ابن مسعود وابورجاء والحسن وعكرمة ربيون بضم الرآء وهى لغة تميم والباقون بالكسر وهى اللغة الفاشية العالية وفى الوسيط الربيون الجماعة الكثيرة الواحد ربىّ وهو قول جمع من المفسرين وفى الصحاح الربىّ واحد الربين وهم الالوف من الناس وقيل الربىّ الفرقة وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم ان الربى جموع كثيرة وقال ابن مسعود الربيون الالوف وقال الضحاك الربة الواحدة الف وقال الكلبى الربة الواحدة عشرة آلاف وقال الحسن لا اعلم علما فيها وقيل الاربيون الولاة والأئمة والربيون الرعية والاتباع ﴿قوله ويؤيد الاول﴾ وهو ان يكون القائم مقام فاعل قتل هو ربيون انه قرأ قتل بالتشديد قال ابن جنى يتعين ان يسند الفعل فى قرآءة التشديد الى الظاهر اعنى ربيون لان الواحد لايقتل اذ التقتيل للتكثير ولا تكثير فى الواحد وفى تعيين ماذكره نظر اذ يجوز ان يكون قتل المشدد مسندا الى ضمير النبى لانه وان كان مفردا بحسب اللفظ فانه فى معنى الجماعة حيث وقع مميزا لكأين الدالة على كثرة مميزها فلذلك قال النحرير التفتازانى المحقق فى وجه الثانية لان التكثير مناسب بجمعية الفاعل ويؤيده ايضا ماروى ابن جبير وهو قوله ماسمعنا بنبى قتل فى القتال فانّ قتل على بناء المجهول ان كان مسندا الى ضمير النبى وكان قوله معه ربيون حالا من ذلك الضمير او صفة ثانية لنبى يكون المعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ماوهنوا فى دينهم بل استمرّوا على جهاد عدوّهم ونصرة دينهم فينبغى ان يكون حالكم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم هذا وان كان مسندا الى الظاهر وهو ربيون يكون المعنى وكأين من نبى قتل من كان معه وبقى على دينه ربيون كثير فما ضعفوا اى الباقون ولا استكانوا بقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوّهم فينبغى لكم ان تكونوا كذلك ويؤيد هذه القرآءة ان المقصود توبيخ المنهزمين الذين انقلبوا على اعقابهم عند سماع ماارجف به الصارخ بقوله أفان مات او قتل انقلبتم على عقابكم فالمناسب لهذا المقصود ان يكون المذكور قتل سائر الانبياء لاقتالهم ومن قرأ قاتل فالمعنى وكم من نبى قاتل العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قرح فما وهنوا لان الذى اصابهم انما هو فى سبيل الله وطاعته واقامة دينه فما بالكم لاتقتدون بهم وتفعلون مثل فعلهم ﴿قوله وهذا تعريض بما اصابهم﴾ اى من الفتور وانكسار الحدة فى الحرب والضعف والاستعانة بالكفار حيث ارادوا الاستعانة بالمنافق عبد الله بن ابىّ فى طلب الامان من ابى سفيان ويحتمل ان يفسر الوهن باستيلاء الخوف ويفسر الضعف بان يضعف ايمانهم بان تقع الشكوك والشبهات فى قلوبهم والاستكانة بالانتقال من دينهم الى دين عدوّهم ذكر فى استكانوا احتمالين الاول ان يكون اصله استكن على انه افتعل من السكون اشبعت فتحة الكاف فتولد منها الف كقوله ٭ اعوذ بالله من العقراب ٭ الشائلات عقد الاذناب ٭ يريد العقرب الشائلة اى الرافعة ﴿قوله تعالى وما كان قولهم الا ان قالوا﴾ الجمهور على نصب قولهم خبرا مقدما والاسم أن وما فى حيزها تقديره وما كان قولهم الا قولهم هذا الدعاء اى دأبهم وديدنهم وقرأ ابن كثير وعاصم فى رواية عنهما برفع قولهم على انه اسم كان والخبر أن وما فى حيزها لانه اعرف من المضاف الى المضمر قالوا لانها تشبه المضمر من حيث انها تضمر ولا توصف ولا يوصف بها وقولهم مضاف الى مضمر فهو فى رتبة العلم فهو اقل تعريفا وعلله المصنف بقوله لدلالته على جهة النسبة لان الفعل يدل صريحا على انه مسند الى الفاعل ومنسوب اليه بخلاف المضمر المضاف

(من نبىّ) بيان له (قاتل معه ربيون كثير) ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربىّ منسوب الى الربة وهى الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبى ومعه ربيون حال منه ويؤيد الاوّل انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر (فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله) فما فتروا ولم تنكسر حدتهم لما اصابهم من قتل النبى او بعضهم (وما ضعفوا) عن العدوّ او فى الدين (وما استكانوا) وما خضعوا للعدوّ واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به مايريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان تكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه الصلاة والسلام (والله يحب الصابرين) فينصرهم ويعظم قدرهم (وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) اى وما كان قولهم مع ثباتهم وقوّتهم فى الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت فى مواطن الحرب والنصر على العدوّ ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان أن قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث

(فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) فآتاهم الله بسبب الاستغفار والالتجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر فى الدنيا والجنة والنعيم فى الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتدّ به عنده (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردّوكم) اى الى الكفر (على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين) نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابى سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردّوكم الى دينهم وقيل عام فى مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجرّ الى موافقتهم (بل الله مولاكم) ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم (وهو خير الناصرين) فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) يريد ماقذف فى قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فألقى الله الرعب فى قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائى ويعقوب بالضم على الاصل فى كل القرآن (بما اشركوا بالله) بسبب اشراكهم به (مالم ينزّل به سلطانا) اى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزّل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر * واصل السلطنة القوّة ومنه السليط لقوّة اشتعاله والسلاطة لحدّة اللسان (ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) اى مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل (ولقد صدقكم الله وعده) اى وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما أقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم (اذ تحسونهم باذنه) تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه

فانه يحتمل ان تكون اضافته ونسبته الى الفاعل او الى المفعول مع قطع النظر عن الدلائل الخارجية ومعنى الآية وما كان قولهم عند قتل نبيهم الا هذا الدعاء فقدّموا فيه التوبة وطلب مغفرة ذنوبهم الصغائر واسرافهم فيها لانه تعالى لما ضمن النصرة للمؤمنين فلما تحصل النصرة وظهر امارات استيلاء الاعداء حملوا ذلك على تقصيرهم فى طاعة ربهم بارتكاب الذنوب مطلقا ثم خصوا الكبائر الذنوب بالذكر حيث عبروا عن ذنوبهم بقولهم واسرافنا فى امرنا ولاشك ان الاسراف فى الذنب والافراط فيه كبيرة ويحتمل ان يكون الذنب والافراط واحدا ويكون المقصود من ذكرهما معا المبالغة فى الاعتراف بالذنب وفى اضافة سوء الذنب الى انفسهم ثم انهم لما فرغوا من التوبة والاستغفار سألوا ربهم ان يثبت اقدامهم بازالة الخوف عن قلوبهم وازالة الخواطر الفاسدة عن صدورهم ثم سألوا بعد ذلك ان ينصرهم على عدوّهم بما يوجب انهزامهم بان يوجد الرعب فى قلوبهم او ينزّل عليهم امورا سماوية او ارضية او نحو ذلك مدحهم اوّلا بترك مالا ينبغى وقت المحاربة وثانيا باتصافهم بما ينبغى ويحسن فيه لتقتدى بهم هذه الامة فيهما ﴿قوله وخص ثوابها بالحسن﴾ قال القفال يحتمل ان يكون الحسن بمعنى الحسن كما فى قوله تعالى وقولوا للناس حسنا اى قولا حسنا والغرض فى امثاله المبالغة لأن الاشياء الحسنة لكونها عظيمة فى امر الحسن صارت كأنها نفس الحسن كما يقال فلان عدل وكرم اذا كان فى غاية العدل ونهاية الكرم فلذا خصه الله تعالى بأنه حسن من جنس الثواب ولم يصف ثواب الدنيا بذلك لكثرة تعلقها وامتزاجها بالمشاق والآلام وكونها منقطعة زائلة ﴿قوله تعالى بل الله مولاكم﴾ مبتدأ وخبر وان نصب لفظ الجلالة بفعل مضمر يدل عليه الشرط الاوّل يكون مولاكم صفة ولما كان محصول ماقبل كلمة بل النهى عن اطاعة الذين كفروا مع بيان علته وضح مناسبة عطف الجملة الامرية ووجه عطفها عليه وان كان مابعد بل جملة اسمية تكون معطوفة على قوله يردّوكم على اعقابكم لانه فى معنى انهم ليسوا بناصريكم من حيث انهم لايعينونكم ويردّونكم والمعنى تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا جهل لانهم عاجزون مسخرون فالعاقل انما يطلب النصرة من الله تعالى لانه هو الذى ينصركم على العدوّ ويدفع عنكم كيده ثم يحكم الله وهو خير الناصرين ولو لم يكن المراد بقوله مولاكم الناصر لم يحسن اتباع هذا القول به ثم وعدهم خذلان اعدآئهم بقوله سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب والتفت من الغيبة فى قوله وهو خير الناصرين الى التكلم للتنبيه على مايلقيه تعالى وقدّم المجرور على المفعول به اهتماما بذكر المحل بالنسبة الى ذكر الحال والرعب الخوف الذى يحصل قيل هذا الوعد مخصوص بيوم احد لان الآيات المتقدمة انما وردت فى تلك الواقعة والقائلون بهذا ذكروا فى كيفية القاء الرعب فى قلوب المشركين وجهين الاوّل ان الكفار لما هزموا المسلمين اوقع الله الرعب فى قلوبهم فتركوهم وفرّوا منهم من غير سبب حتى ان ابا سفيان صعد الجبل وقال اين ابن ابى كبشة اين ابن ابى قحافة اين ابن الخطاب فاجابه عمر رضى الله عنه بقوله هذا رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر ودارت بينهم كلمات وماتجاسر ابو سفيان على النزول من الجبل والذهاب اليهم بل اقتصر على قوله يوم بيوم والايام دول والحرب سجال وانصرف الى مكة والثانى ان الكفار لما ذهبوا الى مكة وساروا ماشاء الله ندموا وقالوا ماصنعنا شيأ قتلنا اكثرهم حتى لم يبق منهم الا اليسير تركناهم ارجعوا حتى نستأصلهم بالكلية فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب فى قلوب الكافرين وهذا انما يقتضى وقوع هذه الخيفة فى قلوبهم من بعض الوجوه وذهب جماعة من المفسرين الى انه مخصوص باوائل الواقعة والجمهور على اسكان العين من الرعب وقرئ بضمها فقيل هما لغتان وقيل الاصل الضم وخفف ﴿قوله اى وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر﴾ يريد ان هذا الوعد هو ماذكر الله تعالى فى قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة ولما كان النصر الموعود مشروطا بالصبر والتقوى كان تحققه على حسب تحقق شرطه فحين اتوا ببعض ذلك الشرط لاجرم وفى الله بالمشروط واعطاهم النصرة ولما تركوا بعض الشروط لاجرم فاتهم المشروط ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة وقد اصابهم ما اصابهم باحد قال ناس من الصحابة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله عز وجل النصر فانزل الله هذه الآية وفعل الصدق يتعدى الى مفعولين الى احدهما بنفسه والى الآخر بواسطة فى وقد تحذف كما فى هذه الآية والتقدير صدقكم فى وعده يقال صدقته فى الحديث وصدقته الحديث واذ تحسونهم معمول لصدقكم والتقدير صدقكم فى وعده فى ذلك الوقت وهو وقت حسهم اى قتلهم قال الليث الحس القتل فمعنى تحسونهم تقتلونهم قتلا كبيرا قال اصحاب الاشتقاق

حسه اذاقتله لان ابطال حسه يكون بالقتل كما يقال بطنه اذا اصاب بطنه ورأسه اذا اصاب رأسه وقوله باذنه اى ملتبسين بمشيئته على انه حال من فاعل تحسونهم ﴿قوله او ملتم الى الغنيمة﴾ قيل الفشل اما مستعمل فى اصل معناه وهو الضعف او هو مجاز عن الحرص المسبب عنه ﴿قوله تعالى وعصيتم من بعدما اراكم ماتحبون﴾ قيد العصيان بما بعده تنبيها على عظم المعصية لانهم لما شاهدوا ان الله اكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم ان يمتنعوا عن المعصية وقوله تعالى ثم صرفكم عطف على ماقبله وهو ولقد صدقكم الله والجملتان من قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة اعتراض بين المتعاطفين وقال ابو البقاء ثم صرفكم معطوف على الفعل المحذوف يعنى الذى قدره جوابا لقوله اذا فشلتم ولا حاجة اليه ﴿قوله ليبتليكم على المصائب﴾ اشارة الى ان المراد بالبلية المدلول عليها بقوله ليبتليكم هو الصبر والتكليف وفى التيسير قيل هو ابتلاء بلية امر الله بالصبر عليها ووعد الثواب عليه والواو فى قوله ويمتحن بمعنى او التى لمنع الخلو والمعنى او انه تعالى صرف وجوهكم عنهم بالهزيمة ليظهر من علم انه يصير عاصيا فان الابتلاء ممن يعلم عواقب الامور هو اظهار ماعلم على ماعلم وممن يجوز عليه الجهل تحصيل العلم لنفسه والظاهر ان الواو على اصل معناها على ان اعمال المشترك فى جميع مفهوماته الغير المتضايفة جائز عند الامام الشافعى ﴿قوله تعالى ثم صرفكم﴾ دليل على ان افعال العباد طاعة كانت او معصية انما هى بخلق الله تعالى اضاف الصرف الى نفسه مع ان الانصراف عن العدو فعلهم لكونه فرارا من الزحف وهو من كبائر المعصية وكيف لا والحال انهم خالفوا صريح نص الرسول صلى الله عليه وسلم وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام المسلمين وقتل جمع كثير من اكابرهم ومن المعلوم ان ذلك كله من الكبائر الا انه تعالى عفا عنها تفضلا لان ظاهر الآية يدل على انه تعالى عفا عنهم من غير توبة لان التوبة غير مذكورة فصار هذا دليلا على انه تعالى قد يعفو عن اصحاب الكبائر على غير زعم المعتزلة وقوله والله ذو فضل على المؤمنين يدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن وقول المصنف ولما علم من ندمهم ليس المراد به ان التوبة شرط للعفو بل لبيان محاذيته لها بدلالة حالهم ﴿قوله متعلق بصرفكم او بيبتليكم﴾ فيكون مابينهما اعتراضا ويحتمل ان يتعلق بعفا نظرا الى قربه اى عفا عنكم اذ تصعدون هاربين لان عفوه تعالى لا بد ان يتعلق بامر اقترفوه وذلك الامر هو مابينه بقوله اذ تصعدون وجوز ابو البقاء ان يكون ظرفا لعصيتم او تنازعتم او فشلتم وعلى تقدير كونه ظرفا لمقدر يكون ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله وقرآءة العامة تصعدون بضم التاء وكسر العين وقرأ الحسن تصعدون بفتح التاء والعين من صعد على الجبل اى رقى والاصعاد مطلق الذهاب فى الارض على وجه الابعاد فيها والصعود الانتقال من اسفل الى اعلى وقرئ تصعدون فحذفت احدى التاءين اى ترقون فى الجبل قال بعض المفسرين وكلتا القرآءتين صواب اذ كان بعض المنهزمين يومئذ مصعدا وبعضهم صاعدا قال ابو معاذ النحوى كل شئ له اعلى واسفل مثل الوادى يقال فيه اصعد اذا انحدر من اعلاه الى اسفله واذا ارتفع كالمرتقى على السلم يقال فيه صعد ﴿قوله فى اخراكم﴾ اى من ورآئكم يقال جئت فى آخر الناس وفى اخراهم كما يقال فى اولهم وفى اولاهم والمعنى انه صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل انه كان يدعوهم الى المحاربة مع القوم ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم من صبروا حتسب فله الجنة ﴿قوله فجازاكم الله﴾ على ان المراد من الثواب معناه اللغوى وهو كل مايعود الى الفاعل من جزآء فعله سواء كان خيرا او شرا الا انه اختص لفظ الثواب بحسب العرف بالخير وقوله غما متصلا بغم اشارة الى انه ليس المراد من قوله غما بغم غمين اثنين وانما المراد مواصلة الغموم وكثرتها قال الحسن جعلكم مغمومين يوم احد فى مقابلة ماجعلتموهم مغمومين يوم بدر لاجل ان يسهل امر الدنيا فى اعينكم فلا تحزنوا بفواتها ولا تفرحوا باقبالها وقوله لتتمرنوا الخ قدره ليصح تعليل المجازاة بالغموم المتضاعفة اذ لا يصح بانتفاء ذلك ﴿قوله فآساكم فى الاغتمام﴾ اى اقتدى بكم فيه يقال آسيته مؤاساة اى جعلته اسوتى وقدوتى والمعنى ان الصحابة رحمهم الله تعالى لما رأوا ان الرسول صلى الله عليه وسلم شج وجهه وكسرت رباعيته وقتل عمه اغتموا لاجله ثم لما رأى انهم عصوا ربهم بطلب الغنيمة ثم بقوا محرومين منها وقتلت اقاربهم اغتم لاجلهم والتثريب التعيير والاستقصاء فى اللوم ﴿قوله انزل الله عليكم الامن﴾ اعلم ان الذين كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم احد فريقان احدهما الذين كانوا جازمين بانه صلى الله عليه وسلم نبى حق وكانوا قد سمعوا منه صلى الله عليه وسلم ان الله ينصر هذا الدين ويظهره على سائر الاديان فكانوا قاطعين بان هذه الواقعة لا تؤدى الى الاستئصال فلا جرم كانوا آمنين فبلغ ذلك الامن الى حيث غشيهم النعاس لقوة وثوقهم بالله

فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال اخرون لانخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم فى نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله (عصيتم من بعدما اراكم ماتحبون) من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم (منكم من يريد الدنيا) وهم التاركون المركز للغنيمة (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الثابتون محافظة على امر الرسول (ثم صرفكم عنهم) ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم (ليبتليكم) على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها (ولقد عفا عنكم) تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة (والله ذو فضل على المؤمنين) يتفضل عليهم بالعفو او فى الاحوال كلها سوآء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة (اذ تصعدون) متعلق بصرفكم او بيبتليكم او بمقدر كاذكروا الاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة (ولا تلوون على احد) ولا يقف أحد لأحد ولا ينتظره (والرسول يدعوكم) كان يقول الىّ عباد الله الىّ عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة (فى اخراكم) فى ساقتكم او جماعتكم الاخرى (فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما اصابكم) عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر فى الشدآئد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على مافاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير فى فأثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اى فآساكم فى الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على مافاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة (والله خبير بما تعملون) عالم باعمالكم وبما قصدتم بها (ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا) انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابى طلحة غشينا النعاس فى المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو

(يغشى طائفة منكم) اى النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا (وطائفة) هم المنافقون (قد اهمتهم انفسهم) اوقعتهم انفسهم
فى الهموم اوما يهمهم الاهم انفسهم وطلب خلاصها (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف
على وجه البيان لماقبله وغير الحق نصب على المصدر اى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية و اهلها (يقولون) اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون (هل لنا من الامر من شئ) هل لنا مما امر الله ووعده من النصر والظفر نصيب وقيل اخبر ابن ابى بقتل بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا او تصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شئ اوهل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ (قل ان الامر كله لله) اى الغلبة الحقيقية لله واوليائه فان حزب الله هم الغالبون اذ القضاء له يفعل مايشاء ويحكم مايريد وهو اعتراض وقرأ ابوعمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتدآء (يخفون فى انفسهم مالا يبدون لك) حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصرة مبطنين الانكار والتكذيب (يقولون) اى فى انفسهم واذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان (لو كان لنا من الامر شئ) كما وعد محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه اولو كان لنا اختيار وتدبير لم يبرح كما كان رأى ابن ابى وغيره (ماقتلنا ههنا) ماغلبنا ولماقتل من قتل منا فى هذه المعركة (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفعهم الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامر ودبره فى سابق قضائه لامعقب لحكمه (وليبتلى الله مافى صدوركم) وليمتحن الله مافى صدوركم ويظهر سرآئرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اى وفعل ذلك ليبتلى اوعطف على محذوف اى لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء اوعلى قوله لكيلا تحزنوا (وليمحص مافى قلوبكم) وليكشفه ويميزه اويخلصه من الوساوس (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على

(بما)

تعالى وفراغهم من الدنيا فلذلك سلوا من الخوف والاضطراب حتى غشيهم النعاس والفريق الثانى وهم المنافقون الذين كانوا شاكين فى نبوته صلى الله عليه وسلم وماحضر والا لطلب الغنيمة فهؤلاء اشتد خوفهم وذكر فى اعراب الامنة اربعة اوجه الاول انها مفعول انزل ونعاسا بدل اشتمال لان كلا من الامنة والنعاس يشتمل على الآخر والثانى انها حال من نعاس لانها فى الاصل صفة نعاسا فلما تقدمت انتصبت حالا والثالث انها مفعول له وفيه نظر لاختلال شرط نصبه وهو اتحاد الفاعل فان فاعل انزل غير فاعل الامنة والرابع انها حال من المخاطبين فى عليكم وفيه حينئذ تأويلان احدهما حذف المضاف اى ذوى امنة وثانيهما كونه جمع آمن نحو بررة وكفرة فى جمع بار وكافر **قوله تعالى وطائفة** مبتدأ حذف خبره اى ومنكم طائفة وجاز الابتدآء بالنكرة لتقدم الحكم وتخصصها بالوصف والجملة فى محل النصب على انها حال من مفعول يغشى والجملتان بعد طائفة صفتان لها اويكون يظنون حالا من مفعول اهمتهم اوصفة اخرى لطائفة **قوله اوقعتهم انفسهم فى الهموم اومايهمهم الاهم انفسهم** يقال اهمه الشئ اى اقلقه واحزنه واهمه الامر اذا كان مهما معتنى بشأنه فالاول من الاول والثانى من الثانى والحصر مستفاد من المقام لان من كان مهتما بنفسه مشتغلا بشأنه كما فى مثل تلك الحالة الفظيعة لايلتفت الى غيره **قوله على وجه البيان لماقبله** فان من ظن بالله غير الظن الحق الذى يجب ان يظن به بان يظن كونه عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات مثلا فانه لايثق بقول النبى صلى الله عليه وسلم انه تعالى يقويهم وينصرهم فلاجرم اهمته نفسه **قوله وقيل اخبر ابن ابى** يعنى ان عبدالله بن ابى لما شاوره النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الواقعة اشار اليه بان لايخرج من المدينة ثم ان الصحابة رضى الله عنهم ألحوا عليه صلى الله عليه وسلم فى ان يخرج اليهم فلم يزالوا يلحون عليه حتى دخل فلبس لامته وتقلد سيفه واخذ رمحه وألقى القوس على ظهره فخرج اليهم تام السلاح فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا على ماقالوا فاعتذروا اليه يقولون افعل مابدالك لاينبغى لك ان تفعل بماقلنا والوحى ينزل عليك فقال لاينبغى لنبى ان يلبس لامته فينزعها قبل ان يقاتل ولما خالف صلى الله عليه وسلم رأى عبدالله بن ابى غضب ابن ابى من ذلك فقال عصانى واطاع الولدان ورجع مع قومه الى المدينة ثم لما بلغه كثرة القتلى فى بنى الخزرج قال هل لنا من الامر من شئ يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يقبل قولى حين اشرت اليه بعدم الخروج من المدينة فليس امرى بطاع **قوله كله بالرفع على الابتدآء** ولله خبران كقولك ان مال زيد كله فضة **قوله اولو كان لنا اختيار** يعنون انهم اخرجوا كرها ولو كان الامر بيدهم لم يخرجوا وكان اكثر القتلى يومئذ من الانصار ولم يقتل من المهاجرين الا اليسير **قوله اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل** يعنى ان الحذر لايدفع القدر والتدبير لايقاوم التقدير فالذى علم الله منه انه يقتل ويصرع فى هذه المصارع وقدر ذلك فى حقه لابد وان يقتل فيها البتة والا لانقلب علمه جهلا فهؤلاء الذين اهمتهم انفسهم لو قعدوا فى بيوتهم لبرز من بينهم من كتب الله عليه ان يقتل الى مصرعه الذى قتل فيه حتى تتحقق قدرة الله وعلمه **قوله وليمتحن الله مافى صدوركم** قد مر مرارا ان الامتحان اذا اسند الى من يعلم العواقب يكون بمعنى اظهار مافى علمه حسبما علمه نقل الامام الواحدى ان الزجاج فسره بقوله اى ليميز مافى صدوركم وليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة تقع على علمه مشاهدة ثم قال وتقدير الآية وليبتلى الله مافى صدوركم فعل مافعل يوم احد كما قال المصنف وهو علة فعل محذوف **قوله او لمصالح جمة** اشارة الى النكتة فى العطف على علة محذوفة الايذان بان العلة فيه غير واحدة وقوله وليكشفه ويميزه مبنى على مانقله الامام ابو منصور عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الابتلاء والتمحيص واحد وقد فسر الابتلاء بقوله هو الاظهار كقوله يوم تبلى السرآئر اى تبدى وتظهر وذلك بوجهين تظهر بالجزآء مرة واخرى بالكتاب فيعلم الخلق من كانت سريرته حسنة بالجزآء وكذلك اذا كانت سيئة ويعلمون كذلك بالكتاب **قوله اويخلصه من الوساوس** قال قتادة اى ليطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه فى القاء الامنة وصرف العدو واعلان المنافقين وذكر الامام فى تمحيص مافى القلوب وجهين الاول ان هذه الواقعة تمحص قلوبكم عن الوساوس والشبهات والثانى انها تصير كفارة لذنوبكم فتمحصكم عن تبعات المعاصى والسيئات وفسر المصنف مافى الصدور بالسرآئر المخفية فيها من الاخلاص والنفاق وهما مخفيان فى القلب الا ان القلوب لما كانت مستقرة فى الصدور لقوله تعالى القلوب التى فى الصدور كانت سرآئر القلوب سرآئر الصدور بواسطة القلوب ولما عبر عن الاظهار والكشف تارة بالابتلاء وتارة بالتمحيص عبر عن السرآئر المخفية فى الانسان تارة بما فى الصدور وتارة

بما فى القلوب تعنتا فى العبارة وقصدا لمزيد الكشف والبيان وان اريد بما فى القلوب مايتناول العقائد والنيات الصحيحة والفاسدة والوسواس والشكوك والشبهات الزآئغة يكون اختلاف عبارتى مافى الصدور ومافى القلوب للتنبيه على اختلاف ماتعلق بهما وان التعلق بما فى الصدور هو الاظهار للخلق والتعلق بما فى القلوب هو تطهير مافيها من الامور الصحيحة المقبولة عمافيها من الامور الفاسدة كالشكوك والشبهات ونحو ذلك من الضمائر الفاسدة

قوله انما كان السبب فى انهزامهم الخ اختار فى معنى الآية ان يكون المراد بالزلل الذى تضمنه قوله تعالى استزلهم هو الذنوب المقتضية الى التولى والانهزام وهى الذنوب التى عبر عنها بقوله تعالى ببعض ماكسبوا فانه اذا قيل استزل بكذا جاز ان يكون الزلل المطلوب مدخول الباء وان يكون غيره والزلل المطلوب ههنا هو مدخول الباء والشيطان لما دعاهم اليه فاطاعوه فيما دعاهم وقعوا فيه ولم يبق لهم استحقاق التأييد الاهم فمنعوا التأييد المذكور وقوة القلب فتولوا وانهزموا فالجار والمجرور اى ببعض ماكسبوا فى موضع البيان والتقرير لذلك كأنه قيل دعاهم الى الزلل وأوقعهم فيه بان اطاعوه واقترفوا الذنوب بمخالفة النبى صلى الله عليه وسلم فى امره بالثبات فى المركز والحرص على الغنيمة

قوله وقيل استزلال الشيطان توليهم فى العبارة توسع لان الاستزلال هو طلب الزلل والايقاع فيه لانفس الزلل والمراد ان الزلل الذى تضمنه استزلهم هو نفس توليهم وانهزامهم فرارا من الوصف الذى امر المؤمنون بالثبات عليه والمراد ببعض ماكسبوا الذنوب السابقة وليس معنى كونها سببا للانهزام جرّها اليه بل زعمهم انما تولوا لان الشيطان ازلهم فى حالة القتال بمقارفة الذنوب التى تقدّمت لهم فكرهوا لقاء الله تعالى معها واخروا الجهاد لاصلاح حالهم وهذا خاطر خطر بالهم فكانوا مخطئين فيه

قوله وكان حقه اذلقوله قالوا يعنى ان اذا ظرف لمايستقبل والعامل فيها قالوا وهو ماض فيلزم ان يكون المستقبل من وقت المسافرة ظرفا للقول الماضى ولا وجه له قال النحرير المحقق حكاية الحال الماضية ان تقدّر نفسك كأنك موجود فى ذلك الزمان الماضى او تقدّر ذلك الزمان كأنه موجود الآن وهذا كقولك قالوا ذلك حين يضربون الا انك جئت بلفظ المضارع استحضارا لصورة ضربهم فى الارض ثم قال واعترض بان حكاية الحال انماتكون بعد موتهم فكيف يقيد ذلك بالضرب الواقع حال حياتهم ثم قال واجيب بان اذا ضربوا فى معنى الاستمرار كما فى واذا لقوا الذين آمنوا فيفيد الاستحضار نظرا الى الاستمرار وبان قالوا لاخوانهم فى موضع جزآء الشرط من جهة المعنى اذا لتقدير لاتكونوا كالذين كفروا واذا ضرب اخوانهم فى الارض فماتوا اوكانوا غزا فقتلوا قالوا لوكانوا عندنا ما ماتوا وماقتلوا فالضرب والقول كلاهما فى معنى الاستقبال وتفريع الموت والقتل انما هو باعتبار الجزء الاخير وهو ماتوا وقتلوا فانه وان لم يذكر لفظا فهو مراد معنى لدلالة قوله ماماتوا وماقتلوا عليه والمعتبر المقارنة عرفا كما فى قوله تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وكقولك اذا طلع هلال المحرّم اتيتك فى منتصفه

قوله كعاف وعفى من عفا الاثر اذا اندرس قال الشاعر عفاه كل اسحم منهمر ثم لما كان هذا الجمع قليلا سيما فى اسم الفاعل المشتق من الناقص اورد له نظيرا قال الشاعر

۞ ومغبرّة الآفاق خافية الصوى ۞ لهاقلب عفى الحياض اواجن ۞

الافاق الجوانب والصوى الاعلام من الحجارة الواحدة صوة والقلب جمع قليب وهى البئر القديمة والعفى الدارسات والاواجن جمع آجنة يصف منازل درست حياضها واجن ماؤها

قوله وهو يدل الخ يعنى ان ذكر اخوانهم بطريق الغيبة حيث لم يقل لوكنتم عندنا ماتم وماقتلتم يدل على ذلك وعلى ان قوله لاخوانهم بمعنى لاجلهم وفيهم وليست اللام فيه صلة القول بل هى لام التعليل

قوله على ان اللام لام العاقبة وليست لام العلة والغرض لانهم لم يقولوه لذلك وانما قالوه لتثبيط المؤمنين عن الجهاد والمعنى انهم قالوا ذلك لغرض من اغراضهم فكان عاقبة ذلك القول ومصيره الى الحسرة وهى اشدّ الندامة قيل فى وجه كون تكلم هذا الكلام حسرة فى قلوبهم انهم يقولون ذلك لغرض من الاغراض الصالحة فيسمعه اقارب ذلك المقتول فتزيد الحسرة فى قلوبهم زاعمين ان من مات اوقتل منهم انمامات اوقتل بسبب تقصيرهم فى منع هؤلاء من السفر والغزو ومن اعتقد ذلك لاشك انه تزداد حسرته وتلهفه واما المسلم الذى يعتقد ان الموت والحياة لايكون الا بتقدير الله وقضائه فلاتحصل فى قلبه هذه الحسرة وقيل ان المنافقين اذا ألقوا مثل هذه الشبهات على اقوياء المسلمين ولم يلتفتوا

(ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ماكسبوا) يعنى ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب فى انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فأطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة ومخالفة النبى صلى الله عليه وسلم فمنعوا التأييد وقوّة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدّمت لهم فان المعاصى يجرّ بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لايعاجل فى عقوبة المذنب كى يتوب (ياايها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا) يعنى المنافقين (وقالوا لاخوانهم) لاجلهم وفيهم ومعنى اخوّتهم اتفاقهم فى النسب او المذهب (اذا ضربوا فى الارض) اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية (اوكانوا غزى) جمع غاز كعاف وعفى (لوكانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا) مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به (ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها فى ليكون لهم عدوّا وحزنا او لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة فى قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى مادل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى مادل عليه النهى اى لاتكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فان مخالفتهم ومضادّتهم ممايغمهم (والله يحيى ويميت) ردّ لقولهم اى هو المؤثر فى الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون بصير) تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على انه وعيد للذين كفروا

اليهم بضيع سعيهم ويبطل كيدهم فتحصل الحسرة فى قلوبهم بذلك وقيل ان هذه الحسرة انما تحصل لهم يوم القيامة حين يرون رفع درجات المسلمين المجاهدين واختصاصهم بمزيد الكرامات واختصاص هؤلاء المنافقين بمزيد الحزن واللعن وسوء العذاب واللام فى قوله تعالى ولئن قتلتم هى الموطئة للقسم المحذوف وجوابه قوله لمغفرة وحذف جواب الشرط لسدّ جواب القسم مسدّه لكونه دالا عليه ومن ضم الميم فى متم يقول انه من مات يموت مت مثل قال يقول قلت ومن كسرها يقول انه من مات يمات مت مثل هاب يهاب هبت وخاف يخاف خفت والاصل موت بكسر العين كخوف واللام فى لمغفرة لام الابتداء وتنكيرها للايذان بان اقل شئ مماذكر خير من الدنيا ومافيها ونظيره قوله تعالى ورضوان من الله اكبر وذكر الرحمة ليس تكريرا للمغفرة لان المغفرة مرتبة على الرحمة فيرحم اعم من يغفر ولان المغفرة هى التجاوز عن السيئات والرحمة هى التفضل بالمثوبات ونظم الآية يؤيد هذا الاخير فان قوله لمغفرة اشارة الى من عبده خوفا من عقابه وقوله ورحمة اشارة الى من عبده لطلب ثوابه وقوله لالى الله تحشرون اشارة الى من عبده تحقيقا لعبوديته وعملا بمقتضى الوهيته لا رغبة فى ثوابه ولا رهبة من عقابه وهذا اعلى المقامات ﴿ قوله ومامزيدة ﴾ كما فى قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وعما قليل وجند ماهنالك ومما خطاياهم فان العرب قد تزيد فى الكلام مايستغنى عنه قال تعالى فلما ان جاء البشير فزادان للتأكيد واللين الرفق والمعنى فبرحمة من الله لنت لهم اى سهلت لهم اخلاقك وكثر احتمالك ولم تسرع اليهم فيما كان منهم يوم احد فان القتال حمل بهذه الآية على واقعة احد فكأنه قال فبرحمة من الله لنت لهم يوم احد حين عادوا اليك بعد الانهزام وكان ذلك مما يطمع العدوّ فيك وفيهم ثم ان اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من حقوق الله تعالى فاما اذا ادّى الى ذلك فلا يجوز قال تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال للمؤمنين فى اقامة حدّ الزنى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله فهذه الآية دلت على ان رحمة الله هى المؤثرة فى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما بالامّة فظهر ان لا رحمة الا رحمة الله تعالى ويقرّر ذلك وجوه منها انه تعالى لولا ألقى فى قلب عبده داعية الخير والرحمة واللطف لم يفعل شيأ من ذلك فاذا ألقى فى قلبه هذه الداعية فعل هذه الافعال ومنها ان كل رحيم سوى الله تعالى فانه يستفيد برحمته عوضا اما هربا من العقاب او طلبا للثواب او طلبا للذكر الجميل فان فرضنا صورة خالية من هذه الامور كان السبب فى رحمتها الرقة الجنسية فان من رأى حيوانا فى الالم رق قلبه وتألم بسبب مشاهدته اياه فى الالم فخلصه من ذلك الالم لرقة قلبه فلو لم يوجد شئ من هذه الاغراض لم يرحم البتة واما الحق تعالى فهو الذى يرحم غيره لا لغرض من هذه الاغراض فلا رحمة الا الله تعالى ﴿ قوله وهو ربطه على جأشه ﴾ اى ربط الله تعالى على قلب النبى صلى الله عليه وسلم وهو عبارة عن جعله اياه بحيث يحتمل المكروه ولا يتضرّر يقال فلان رابط الجأش اى شديد القلب كأنه يربط نفسه عن الفرار بشجاعته وانما جعل الرفق ولين الجانب مسببا عن ربط الجأش لان من ملك نفسه عند الغضب كان كامل الشجاعة حيث يكسر سورة الغضب الموجب لغلظة القلب فلا جرم يحصل الرفق واللين قال الواحدى الفظ الغليظ الجافى يقال فظ يفظ فظاظة فهو فظ اصله فظظ واتفقوا على ان كل ما نزل فيه وحى من عند الله لم يجز للرسول صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامّة لانه اذا جاء النص بطل الرأى وقال الكلبى واكثر العلماء على ان المشاورة انما هى فى الحروب قال لان الالف واللام فى لفظ الامر ليسا للاستغراق الكلى بناء على ان ما نزل فيه الوحى لا يجوز فيه المشاورة فوجب ان يكون التعريف للعهد والمعهود السابق فى هذه الآية امر الحرب ﴿ قوله تعالى فاذا عزمت ﴾ اى اذا اردت امضاء ما اشاروا به عليك وقد وطنت نفسك عليه فتوكل على الله لا على مشاورتهم والتوكل تفويض الامر الى الله والاعتماد على كفايته قيل من التوكل ان لا تطلب لنفسك ناصرا غير الله تعالى ولا لرزقك خازنا غيره ولا لعملك مشاهدا غيره * قال الامام دلت الآية على انه ليس التوكل ان يهمل الانسان نفسه كما يقول بعض الجهال والا لكان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل بل هو ان يراعى الانسان الاعمال الظاهرة ولكن لا يعوّل بقلبه عليها بل يعوّل على عصمة الحق والجمهور على فتح التاء من عزمت خطابا له صلى الله عليه وسلم وقرأ عكرمة وجعفر الصادق وجابر بن زيد بضم التاء على انه تعالى قال له صلى الله عليه وسلم اذا عزمت انا فتوكل علىّ * قال الامام وهذا ضعيف من وجهين الاوّل انه لا يجوز وصفه تعالى بالعزم فيجب ان يقال العزم ههنا بمعنى الايجاب والالزام والمعنى وشاورهم فى الامر فاذا عزمت على شئ

(ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم) اى متم فى سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائى بكسر الميم من مات يمات (لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون) جواب القسم وهو سادّ مسدّ الجزاء والمعنى ان السفر والغزاء ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك فى سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء (ولئن متم او قتلتم) على اىّ وجه اتفق هلاككم (لالى الله تحشرون) لالى معبودكم الذى توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لامحالة تحشرون فيوفى جزاءكم ويعظم ثوابكم (فبما رحمة من الله لنت لهم) اى فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه (ولو كنت فظا) سيئ الخلق جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك (فاعف عنهم) فيما يختص بك (واستغفر لهم) فيما لله (وشاورهم فى الامر) اى فى امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامّة (فاذا عزمت) فاذا وطنت نفسك على شئ بعد الشورى (فتوكل على الله) فى امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اى فاذا عزمت لك على شئ وعينته لك فتوكل علىّ ولا تشاور فيه احدا (ان الله يحب المتوكلين) فينصرهم ويهديهم الى الصلاح

(ان ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا احد يغلبكم (وان يخذلكم) كما خذلكم يوم احد (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على مايستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به (وما كان لنبي ان يغل) وما صح لنبي ان يخون فى الغنائم فان النبوة تنافى الخيانة يقال غل شيأ من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه فى خفية والمراد منه اما برآءة الرسول عليه السلام عما اتهم به اذ روى ان قطيفة حمرآء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيأ فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة فى النهى للرسول صلى الله عليه وسلم على ما روى انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى ما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يأت بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث او بما احتمل من وباله واثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) تعطى جزآء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى (وهم لا يظلمون) فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد فى عقاب عاصيهم (أفمن اتبع رضوان الله) بالطاعة (كمن باء) رجع (بسخط من الله) بسبب المعاصى (ومأواه جهنم وبئس المصير) الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع (هم درجات عند الله) شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب او هم ذووا درجات (والله بصير بما يعملون) عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها

فارشدتك اليه فتوكل على ولا تشاور بعد ذلك احدا والثانى ان القرآءة التى لم يقرأ بها احد من الصحابة لم يجز الحاقها بالقرآن ﴿ قوله اومن بعد الله تعالى ﴾ فالضمير على الوجهين لله مع ارتكاب حذف المضاف فى الوجه الاول دون الثانى ﴿ قوله وتحريض على مايستحق به النصر ﴾ وقد بين الله تعالى فيما تقدم أن من اتقى معاصى الله وصبر على رعاية ما كلف به نصره الله حيث قال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فلما بين فى هذه الآية أن من نصره الله فلا غالب له فهذا المطلب الذى هو مطمع كل طائع لما شرط بملازمة الطاعة والاتقاء عن المعصية ثبت كون المقصود من هذه الآية التحريض على الطاعة والتحذير من المعصية ﴿ قوله فليخصوه بالتوكل عليه ﴾ هذا الحصر مستفاد من تقديم الجار ووضع المؤمنون موضع الضمير للاشعار بأن صفة الايمان من الصفات المقتضية لتخصيصه تعالى بالتوكل عليه فان الايمان يتضمن التصديق بصفات الله تعالى وآياته وانه هو الذى يتولى امور العباد * واعلم انه تعالى لما بالغ فى الحث على الجهاد اتبعه بذكر مايتعلق به وهو الغلول الذى هو اخذ شئ من مال الغنيمة خفية وخيانة يقال غل شيأ من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه فى خفية قال صلى الله عليه وسلم * من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة يحمله على عنقه * وقال صلى الله عليه وسلم هدايا الولاة غلول والخيانة لكونها سبب العار فى الدنيا والنار فى العقبى تنافى منصب النبوة التى هى اعلى المناصب الانسانية ﴿ قوله او ظن به الرماة ﴾ قال الكلبى ومقاتل هذه الآية نزلت فى غنائم احد حين ترك الرماة المركز طلب الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم * ظننتم أن أغل فلا اقسم * فنزلت ولم يقسم غنائم بدر فى احدى الروايتين وفى اخرى انه صلى الله عليه وسلم قسمها بالسوية بعد ان جعلت له صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله بعث طلائع ﴾ طليعة الجيش من يبعث ليطلع طلع العدو اى حقيقة امرهم كالجاسوس فغنم صلى الله عليه وسلم بعد بعث هؤلاء الطلائع اى حصلت غنائم بعد بعثهم فقسمها صلى الله عليه وسلم على من معه ولم يعط الطلائع فنزلت يعنى وما كان لنبى ان يعطى قوما ولا يعطى آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية فهو عليه السلام لم يأخذ لنفسه شيأ من المغنم على وجه الغلول بل لم يقع منه صلى الله عليه وسلم حرمان بعض الغزاة الا انه سمى ذلك غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر فهذه التسمية مبالغة ثانية فى النهى المذكور وقد ثبت اصل المبالغة بقوله تعالى وما كان لنبى فانه ابلغ من ان يقال لا يخص قوما بالاعطاء مع حرمان آخرين ومن قرأ يغل بناء المفعول جعله من اغل رباعيا وفيه وجهان احدهما ان يكون من اغله اذا نسبه الى الغلول كقولهم اكذبه اذا نسبه الى الكذب فهو نفى فى معنى النهى اى لا ينسبه احد الى الغلول وثانيهما ان يكون من اغله اى وجده غالا كقولهم احمدته وابخلته اى وجدته محمودا وبخيلا فهو راجع الى قرآءة يغل بفتح الياء وبضم الغين لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا ﴿ قوله تعالى يأت بما غل ﴾ يجوز ان يراد انه يأتى بالشئ الذى غله بعينه يحمله على عنقه ويجوز ان يراد انه يأتى بما احتمل من وباله وتبعته واثمه ﴿ قوله وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب ﴾ على ان يكون معطوفا على قوله يأت بما غل مترتبا عليه فى التحقق مع اشتراك كل واحد منهما فى كونه جواب قوله ومن يغلل الا انه عدل عن هذا الاسلوب وبين ان كل كاسب لا بد ان يجازى سوآء كان غالا او غيره لما ذكر من الفائدة ثم انه تعالى لما بين انه لا بد ان يجازى كل كاسب بين ان جزآء المطيع لا يماثل جزآء العاصى فقال أفمن اتبع رضوان الله الآية الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف والتقدير أمن اتبع فاتبع رضوان الله وقوله تعالى هم درجات عند الله جملة سمية اما من قبيل التشبيه البليغ فالمعنى هم فى اتباع الرضوان وقسمهم فى تفاوت الجزآء على كسبهم مثل الدرجات فى تفاوتها واما على حذف المضاف اى ذووا درجات واصحاب منازل ورتب فى الثواب والعقاب وقوله عند الله متعلق بدرجات باعتبار تضمنها معنى الفضل كانه قيل هم متفاضلون عند الله اى فى حكمه وعلمه وقضائه كما يقال هذه المسئلة عند الامام الشافعى كذا وعند ابى حنيفة كذا وضميرهم راجع الى من فى قوله افمن اتبع رضوان الله لانه فى معنى الجمع ويجوز ان يرجع الى باء فى قوله كمن باء بسخط من الله والى مجموعهما لان كل واحد من اهل الثواب والعقاب وكذا مجموعهما درجات على حسب اعمالهم ولفظ الدرجات يؤيد الاول لان الغالب فى العرف استعمال الدرجات فى اهل الثواب والدركات فى اهل العقاب ويؤيده ايضا انه اضاف هذه الدرجات الى نفسه وانما يضيف الى نفسه ما كان من قبيل الثواب والرحمة قال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة ويؤيد ايضا رجوعه الى من باء بسخط كونه

اقرب و ذهب اليه الحسن حيث قال المراد به ان اهل النار متفاوتون في العذاب لقوله تعالى و لكل درجات مما
عملوا وقال صلى الله عليه وسلم * ان منها ضحضاحا وغمرا وانا ارجو ان يكون ابو طالب في ضحضاحها * وقال صلى الله
عليه وسلم * ان اقل اهل النار عذابا له نعلان من نار يغلي من حرهما دماغه ينادي يارب هل يعذب احد عذابي * ويؤيد
رجوعه الى الكل ان مراتب الخلق في المعاصي و الطاعات متفاوتة فوجب ان تتفاوت مراتبهم في درجات العقاب
و الثواب لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وروى عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال يعني أن من اتبع رضوانه ومن باء بسخط منه مختلفا المنازل عند الله فلمن اتبع رضوانه الكرامة ولمن
باء بسخطه المهانة و العذاب ومثله روى عن الكلبي وتوفية جزاء كل عامل على حسب عمله لما توقفت على العلم
بتفاصيل جميع الاعمال قال تعالى والله بصير بما يعملون تأكيدا لما ذكره من انه تعالى يعطي كل نفس جزاء
ما كسبت تاما وافيا ثم انه تعالى لما بين خطأ من نسبه الى الغلول والخيانة بين منته عليهم ببعثته صلى الله عليه وسلم
حيث قال لقد من الله على المؤمنين الآية وهو جواب قسم محذوف كانه يقول انا لا اكتفي في حقه بان ابين براءته
من الغلول والخيانة لكني اقول ان وجوده فيكم من اعظم نعمي عليكم فانه يزكيكم من الطريق الباطلة ويعلمكم
العلوم النافعة لكم في دينكم ودنياكم فاي عاقل يخطر بباله ان ينسب مثل هذا الانسان الكريم الى الخيانة فانه نشأ
فيما بينكم ولم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة والدعوة الى الله تعالى والاعراض عن الدنيا فمن يجوز كونه
الآن غالا خائنا والمنان في صفة الله تعالى المعطي ابتداء من غير ان يطلب عوضا فقوله تعالى لقد من الله على المؤمنين
الآية اي انعم عليهم واحسن اليهم ببعثة هذا الرسول فيهم من حيث انه يدعوهم الى ما يخلصهم من عقاب الله
ويوصلهم الى ثواب عظيم ونعيم مقيم قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لاسيما اذا كان المراد بالمؤمنين من
آمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم من قومه لكون بعثته فيهم غاية الاحسان في حقهم من حيث انه صلى الله
عليه وسلم جاء شرفا لهم وفخرا وذلك لان الافتخار بابراهيم كان مشتركا بين اليهود والنصارى والعرب ثم كان
لليهود ما يفتخرون به خاصة وهو موسى صلى الله عليه وسلم والتوراة وكان للنصارى ايضا ما يفتخرون به خاصة
وهو عيسى صلى الله عليه وسلم والانجيل ولم يكن للعرب ما يقابل مالهم من سبب الافتخار فلما بعث الله تعالى محمدا
صلى الله عليه وسلم من العرب حائزا لجميع الخصال الحميدة والاخلاق المرضية وانزل عليه القرآن العظيم الفائق
على جميع الكتب السماوية صار شرف العرب بذلك اتم واكمل بالنسبة الى سائر الامم حتى صار القرآن شرفا له
صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك فهذا وجه
الفائدة في قوله من انفسهم وايضا انه صلى الله عليه وسلم لما ولد فيهم ونشأ فيما بينهم ولم يشاهدوا منه من اول عمره
الى آخره الا الصدق والامانة والعفاف وعدم الميل الى الدنيا والتحلي بمكارم الاخلاق ومحاسن العادات ثم ادعى
النبوة والرسالة التي يكون الكذب فيها اقبح وجوه الكذب كان ايمانهم به اسهل بالنسبة الى ايمان من لم يطلع على
احواله فكان نعمته ببعثته صلى الله عليه وسلم في حقهم اتم واعظم فلذلك خصهم بكونه منعما عليهم بالنعمة العامة
لجميع الامة **قوله** وقرئ لمن من الله بلام الابتداء الداخلة على من الجارة ومن الله مصدر مجرورها
والجار والمجرور في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وهو منه او بعثه وحذف المبتدأ لوجود القرينة وهي
اما قوله لمن من الله او قوله بعث **قوله** من نسبهم روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان قوله
تعالى من انفسهم يريد به ان نسبه منهم على انه من ولد اسماعيل صلى الله عليه وسلم كما انهم من ولده **قوله** والمعنى
ان الشأن ظاهره يدل على ان المخففة عاملة واسمها مضمر وهو خلاف ما عليه النحاة من أن ان المخففة انما
تعمل في الظاهر على غير الافصح ولا عمل لها في المضمر ولا يقدر لها اسم مضمر البتة بل تهمل وتلغى بالتخفيف
والظاهر أن مراده تفسير المعنى لا توجيه الاعراب حيث لم يصرح بان اسمها محذوف بل قال والمعنى هذه الجملة
اما استئنافية لا محل لها من الاعراب او في محل النصب على انها حال من المفعول في يعلمهم وهو الاظهر اوردها بيانا
لما يتكامل به النعم السابقة لان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها اعظم وقدرها اجل واعلى **قوله** الهمزة
للتقرير والتقريع اي على قولهم لو كان رسولا من عند الله لما انهزم عسكره من الكفار يوم احد وادى ذلك
الى أن قالوا أنى هذا اي من اين هذه المغلوبية للمشركين فكيف صاروا منصورين علينا مع شركهم وكفرهم بالله
ونحن ننصر رسول الله ودين الاسلام وهو استفهام على سبيل الانكار فاجاب الله تعالى عنه بقوله قل هو من عند

(لقد من الله على المؤمنين) انعم على من آمن
مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه
وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة
انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر
مبتدأ محذوف مثل منه او بعثه (اذ بعث
فيهم رسولا من انفسهم) من نسبهم جنسهم
عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا
واقفين على حاله في الصدق والامانة
مفتخرين به وقرئ من أنفسهم اي من اشرفهم
لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل
العرب وبطونهم (يتلو عليهم آياته) اي
القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي
(ويزكيهم) يطهر من دنس الطباع وسوء
الاعتقاد والاعمال (ويعلمهم الكتاب
والحكمة) القرآن والسنة (وان كانوا من
قبل لفي ضلال مبين) ان هي المخففة من المثقلة
واللام هي الفارقة والمعنى ان الشأن كانوا
من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم في
ضلال ظاهر (أولما أصابتكم مصيبة قد
أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) الهمزة للتقرير
والتقريع والواو عاطفة للجملة على ما سبق
من قصة احد او على محذوف مثل أفعلتم كذا
وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اي
حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم
يوم احد

انفسكم اى هذا الانهزام انما حصل بشؤم عصيانكم حيث خالفتم الامر بترك الخروج وايضا اخترتم الخروج من المدينة وهو صلى الله عليه وسلم لايريد الخروج منها وروى عن علىّ رضى الله عنه انه قال جاء جبريل صلى الله عليه وسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال ان الله كره ماصنع قومك من اخذهم الفدآء من الاسارى وقد امرك أن تخيرهم بين ان يقدّموا الاسارى فيضربوا اعناقهم وبين ان يأخذوا الفدآء على ان يقتل منهم عدّتهم فذكر صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يارسول الله عشائرنا واخواننا لابل فدآءهم فنتقوى به على قتال عدوّنا ونرضى بان يستشهد مناعدّتهم فقتل منهم يوم احد سبعون رجلا عدد اسارى يوم بدر فهذا معنى قوله قل هو من عند انفسكم اى بأخذكم الفدآء واختياركم القتل والواو لعطف مابعدها من الجملة على الجملة السابقة من قصة احد وهى قوله ولقد صدقكم الله وعده ودخل حرف الاستفهام على واو العطف لان له صدر الكلام ومذهب الزمخشرى فى مثل هذا العطف ان يقدّر جملة يعطف مابعد حرف العطف عليها وهو ماذكره المصنف بقوله او على محذوف ولما ظرف بمعنى حين منصوب بقلتم واصابتكم فى محل الجرّ باضافة لما اليه وتقدير الكلام أقلتم حين اصابتكم ﴿قوله والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر﴾ اشارة الى ان قوله قد اصبتم فى موضع الحال من فاعل قلتم فان فعل الجملة الحالية اذا كان ماضيا لفظا او معنى يجوز فيه الواو وتركه كقوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم بدون الواو وفى محل الرفع على انه صفة لمصيبة ﴿قوله فهو كائن بقضائه﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد من الاذن قضاء الله تعالى بذلك وحكمه وقيل الاذن هنا عبارة عن تخلية الله تعالى الكفار وعدم منعهم عن المسلمين سميت التخلية اذنا لكونها من لوازمه فان الاذن فى الشئ ان تخلى بين المأذون ومراده فلا تمنعه عنه فلما كانت التخلية من لوازم الاذن اطلق لفظ الاذن عليها مجازا وقيل فبأذن الله اى بعلمه كقوله تعالى وأذان من الله اى اعلام وطعن الواحدى فيه فقال الآية تسلية للمؤمنين مما اصابهم ولا تحصل التسلية بكون الانهزام واقعا بعلمه تعالى اذ علمه عام فى جميع المعلومات ﴿قوله وليتميز﴾ اشارة الى مامرّ من ان معنى وليعلم الله كذا اى ليتميز ويظهر للناس ماكان فى علمه فذكر فى الآية الاولى ان الذى اصابهم كان من عند انفسهم وذكر فى هذه الآية أن له وجها آخر وهو ان يميز المؤمن من المنافق والظاهر ان قوله وليعلم المؤمنين معطوف على معنى قوله فبأذن الله عطف سبب على مسبب فمتعلق اللام بما تعلق به الباء ﴿قوله اوكلام مبتدأ﴾ اى جملة مستأنفة اخبر الله تعالى انهم مأمورون اما بالقتال واما بالدفع اى تكثير سواد المسلمين دفعا عن انفسهم واموالهم من غير توقع ثواب الآخرة ﴿قوله تعالى هم الى آخره﴾ هم مبتدأ واقرب خبره وهو افعل التفضيل من القرب الذى هو ضدّ البعد ويتعدّى بثلاثة حروف اللام والى ومن تقول قربت لك واليك ومنك فاذا قلت زيد اقرب من العلم من عمرو فمن الاولى هى المعدية لاصل معنى القرب والثانية هى الجارة للمفضول بعد افعل وقد عدى اقرب ههنا باللام فان كل واحد من قوله للكفر وللايمان متعلق به * فان قيل لايتعلق حرفا جرّ متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد الا اذا كان احدهما معطوفا على الآخر او بدلا منه فكيف تعلقت اللامان هنا بأقرب فالجواب ان هذا خاص بأفعل التفضيل لانه فى قوّة عاملين لدلالته على معنيين اصل الفعل وزيادته فيعمل فى كل واحد منهما عملا غير الآخر فتقديره يزيد قربهم الى الكفر على قربهم للايمان وقوله يومئذ متعلق باقرب وكذا منهم ومن هذه الجارة للمفضول بعد افعل وليست المعدية لاصل الفعل ومعنى كون قربهم الى الكفر ازيد يومئذ من قربهم الى الايمان انهم كانوا قبل ذلك الوقت كاتمين للنفاق فكانوا فى الظاهر ابعد من الكفر فلما ظهر منهم ماكانوا يكتمونه صاروا اقرب للكفر فان كل واحد من انخزالهم برجوعهم عن معاونة المسلمين وكلامهم المحكى عنهم يدل على انهم ليسوا من المسلمين ﴿قوله واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير﴾ فان الكلام وان كان يطلق على مايكون باللسان وغيره الا أن القول لايطلق الا على مايكون باللسان والفم فذكر الافواه بعده تأكيد كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه وتصوير لحقيقة القول بصورة فرده الصادر عن آلته التى هى الفم وهذه الجملة اما مستأنفة لامحل لها من الاعراب واما فى موضع النصب على انها حال من الضمير فى اقرب اى قربوا للكفر قائلين هذه المقالة ﴿قوله فانه يعلمه مفصلا﴾ بيان لوجه كون احد العالمين اعلم من الآخر بالنسبة اليه ﴿قوله على جوده لضنّ بالماء حاتم﴾ بجرّ حاتم على انه بدل من الهاء فى جوده وابدال الظاهر من المضمر لايجوز الا من ضمير الغائب واوّل البيت

والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر (قل هو من عند انفسكم) اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علىّ رضى الله تعالى عنه باختياركم الفدآء يوم بدر (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم (وما اصابكم يوم التقى الجمعان) جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد (فبأذن الله) فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء (وقيل لهم) عطف على نافقوا داخل فى الصلة اوكلام مبتدأ (تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا) تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدوّ ويكسر همته (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) لو نعلم مايصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ماانتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم فيه وانما قالوه دغلا واستهزآء (هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان) لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اوّل امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين (يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم) يظهرون خلاف مايضمرون لاتواطئ قلوبهم ألسنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير (والله اعلم بما يكتمون) من النفاق ومايخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بأمارات (الذين قالوا) رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جرّ بدلا من الضمير فى بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضنّ بالماء حاتم

* على حالة لوأن فى القوم حاتما * على جوده لضنّ بالماء حاتم *

وقوافى القصيدة مجرورة فلابدّ من جرّ حاتم ولا وجه لجرّه سوى كونه بدلا من الضمير المجرور فى قوله على جوده وقوله على جوده حال من حاتم فيكون ضنّ مسندا الى ضمير حاتما ﴿ قوله من اقاربهم او من جنسهم ﴾ يعنى أن المراد من هذه الاخوّة اما المشاركة فى النسب او المشاركة فى الدار او فى عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم او فى الدين والمذهب ﴿ قوله مقدّر بقد ﴾ على انه حال من فاعل قالوا ومجىء الماضى حالا بالواو وقد او بأحدهما او بدونهما كله ثابت فى لسان العرب ﴿ قوله تعالى قل فادرأوا عن انفسكم الموت ﴾ جواب لقولهم لو اطاعونا ماقتلوا * فان قيل كيف يستدل به على بطلان قولهم مع ظهور الفرق بين الاحتراز عن القتل والاحتراز عن الموت فان الاوّل ممكن بخلاف الثانى * فالجواب ان هذا الدليل مبنى على ان جميع مايجرى فى العالم لايقع الا بقضاء الله تعالى وقدره فانه حينئذ لايبقى فرق بين القتل وبين الموت فيصح الاستدلال والالزام لان من زعم انه يقدر على دفع ماكتب عليه من القتل يلزمه ان يقدر على دفع سائر ماكتب عليه من اسباب الموت واللازم باطل فالملزوم مثله ﴿ قوله والمفعول الاوّل محذوف ﴾ اى على تقدير ان يقرأ يحسبنّ بالياء ولم يسند الى ضمير الرسول ولا الى ضمير من يصلح للحسبان بل اسند الى الذين قتلوا يكون مفعوله الاوّل محذوفا والتقدير ولايحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله انفسهم امواتا واما اذا اسند الى الضمير فقوله الذين حينئذ يكون مفعولا اوّلا وامواتا مفعولا ثانيا * فان قيل كيف جاز حذف الاوّل * فالجواب انه فى الاصل مبتدأ ويجوز حذف المبتدأ عند قيام قرينة تدل عليه كما حذف فى قوله بل احياء اى بل هم احياء ﴿ قوله ذوو ازلفى منه ﴾ يعنى أن العندية المكانية مستحيلة فتعين حملها على انهم يقربون منه تعالى قرب التكريم والتعظيم وقيل عند ربهم اى فى حكمه على منوال قولهم هذه المسألة عند الامام الشافعى كذا وعند غيره كذا وقوله عند ربهم يحتمل ان يكون خبرا ثانيا كقوله احياء وان يكون ظرفا لاحياء لان المعنى يحيون عند ربهم وان يكون صفة لاحياء وان يكون حالا من الضمير المستكن فيه وقوله يرزقون اما خبر ثالث او ثان ان لم يجعل الظرف خبرا واما صفة لاحياء واما حال من الضمير فى احياء اى يحيون مرزوقين واما حال من الضمير المستكنّ فى الظرف والعامل فيه فى الحقيقة هو العامل فى الظرف فظاهر الآية يدل على ان هؤلاء المقتولين وان فارقت ارواحهم اجسادهم الا انهم احياء فى الحال فانه تعالى حكم عليهم بانهم احياء والمتبادر منه انهم احياء حال نزول الآية فالقول بان المعنى انهم سيصيرون احياء فى الآخرة عدول عن الظاهر بلا دليل وايضا انه تعالى قال فى حق اهل العذاب النار يعرضون عليها غدوّا وعشيا فدل ذلك على انهم احياء قبل قيام القيامة لاجل التعذيب واذا كان اهل العذاب احياء قبل قيام القيامة لاجل التعذيب فيكون اهل الثواب احياء قبله لاجل الاحسان والاثابة بالاولى لان جانب الرحمة والفضل والاحسان ارجح من جانب العذاب والعقوبة ثم القائلون بان الشهدآء احياء فى الحال اختلفوا فمنهم من اثبت الحياة للروح ومنهم من اثبتها للبدن ولابدّ هنا من تقديم مقدّمة ليتضح بها المقام وينكشف مايتطرّق من ظلمات الاوهام وهى ان الانسان المخصوص ليس عبارة عن مجموع هذه البنية المخصوصة بل هو شئ مغاير لها لان اجزاء هذه البنية آئلة الى الانحلال والتبدّل والتغير والانسان المخصوص شئ واحد باق من اوّل عمره الى آخره والباقى مغاير للمتبدّل فثبت ان الانسان مغاير لهذا البدن المخصوص ثم بعد هذا يحتمل ان يكون جسما مخصوصا ساريا فى هذه الجثة سريان النار فى الفحم والدهن فى السمسم وماء الورد فى الورد ويحتمل ان يكون جوهرا قائما بنفسه ليس بجسم ولاحال فى الجسم وعلى كلا المذهبين لايبعد ان يفضل ذلك الشئ حيا عند موت البدن فيثاب ويعذب على حسب اعماله والدلائل العقلية والنقلية الدالة على بقاء النفوس بعد موت الاجساد كثيرة متعاضدة فوجب المصير اليها وبها تزول الشبهات الواردة على القول بثبوت العين كما فى هذه الآية وعلى القول بعذاب القبر كما فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا واذا قيل ان النفوس تموت بموت الابدان قلنا انه تعالى اماتها ثم اعاد الحياة فيها كما يدل عليه ماورد فى بعض الاخبار روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفة الشهدآء * ان ارواحهم فى اجواف طيور خضر وانها تردانهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح فى الجنة حيث شاءت وتأوى الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما رأوا طيب مطعمهم ومسكنهم ومشربهم قالوا ياليت قومنا يعلمون مانحن فيه من النعيم وماصنع الله بنا

(لاخوانهم) اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم (وقعدوا) حال مقدّر بقد اى قالوا قاعدين عن القتال (لواطاعونا) فى القعود (ماقتلوا) كما لم نقتل وقرأ هشام ماقتلوا بالتشديد فى التاء (قل فادرأوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن عن الموت فان اسباب الموت كثيرة وكما أن القتال يكون سببا للهلاك والقعود يكون سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس (ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا) نزلت فى شهدآء احد وقيل فى شهدآء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاوّل محذوف لانه فى الاصل مبتدأ جاز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين (بل احياء) اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على معنى بل احسبهم احياء (عند ربهم) ذووا زلفى منه (يرزقون) من الجنة وهو تأكيد لكونهم احياء

كي يرغبوا في الجهاد فقال الله تعالى انا مخبر عنكم ومبلغ اخوانكم ففرحوا بذلك فاستبشروا فانزل الله هذه الآية وقال جابر بن عبدالله الانصاري رضي الله عنه قتل ابي يوم احد وترك لي بنات فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ابشرك يا جابر * قلت بلى يا رسول الله قال * ان اباك اصيب باحد فاحياه الله تعالى وكلمه شفاها اي مقابلا ومواجها فقال يا عبدالله سلني ماشئت فقال اسألك ان تعيدني الى الدنيا فاقتل فيك ثانيا فقال يا عبدالله قد قضيت ان لا اعيد الى الدنيا خليقة قبضتها قال يارب فمن يبلغ قومي ما انا فيه من الكرامة قال الله تعالى انا * فانزل الله تعالى هذه الآية والذين اثبتوا هذه الحياة للاجساد اختلفوا فقال بعضهم ان الله يصعد اجساد هؤلاء الشهدآء الى السموات والى قناديل تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات والكرامات اليها وبعض الناس اورد عليه وطعن فيه فقال انا نرى اجساد هؤلاء الشهدآء قد تأكلها السباع ونرى ايضا اجسادهم تبقى اياما الى ان تتفسخ وتنفصل اعضاؤها فعود الحياة اليها مستبعد وان جوّزنا كونها حية عاقلة متنعمة لزم القول بالسفسطة وقيل القول بانهم احياء ليس المراد به انهم احياء حقيقة بل هو مجاز عن حسن عاقبتهم فان الميت اذا كان عظيم المنزلة في الدين وكانت عاقبته يوم القيامة الى السعادة والكرامة صح ان يقال انه حيّ وليس بميت كما يقال في الجاهل الذي لا ينفع نفسه ولا غيره انه ميت وكما يقال للبليد انه حمار وللمؤذي انه سبع ﴿قوله ويستبشرون﴾ معطوف على قوله فرحين عطف الفعل على الاسم لكون الفعل في تأويل الاسم كأنه قيل فرحين ومستبشرين ونظيره قوله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي وهم يستبشرون فتكون الجملة الاسمية حالا من الضمير المستكنّ في فرحين او من العائد المحذوف من آتاهم ولا يجوز ان يكون يستبشرون حالا لان المضارع المثبت لا يقع حالا يقع مع الواو ويجوز ان تكون هذه الجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها من الاعراب وبناء استفعل هنا ليس للطلب بل هو بمعنى المجرّد نحو استغنى الله وقد سمع بشر الرجل بكسر العين فيكون استبشر بمعناه وقيل هو مطاوع ابشر نحو اراحه فاستراح فان البشرى حصلت لهم بتبشير الله تعالى واليه اشار صاحب الكشاف بقوله بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به والمصنف فسره بقوله يسرّون بالبشارة اي يفرحون بأن بشروا بحسن حال من تركوا خلفهم والخوف يكون بسبب توقع المكروه النازل في المستقبل والحزن يكون بسبب فوات المنافع التي كانت موجودة في الماضي فبين الله سبحانه انه لا خوف عليهم بما سيأتيهم من احوال يوم القيامة واهوالها ولا حزن لهم بما فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ينزل على الشهدآء صحف مكتوب فيها اسماء من يلحق بهم ممن استشهدوا بعدهم فبذلك يستبشرون اي يفرحون وقيل يستبشرون اي يطلبون البشارة من الله لاخوانهم الذين فارقوهم على دينهم من المؤمنين ولاقربائهم بما نالوا من الكرامة والفضل والنعم التي اعطاهم الله تعالى اياها بسبب الشهادة ليعلموا بكرامتهم عند الله ويعظموا درجة الشهادة فيبعثهم ذلك على الجهاد الذي هو سبب ذلك والاستبشار يذكر ويراد به الفرح ويذكر ويراد به البشارة وذلك كقوله ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي الآية ﴿قوله وليعلق به ماهو بيان لقوله ان لا خوف﴾ فان الخوف غم يلحق الانسان مما توقعه من المكروه والحزن غم يلحقه من فوات منافع او حصول مضار فذكر النعمة والفضل بيان لقوله ولا هم يحزنون على الواقع ومن كان متقلبا في النعمة والفضل كيف يحزن على ما وقع وقوله وان الله لا يضيع اجر المؤمنين بيان لنفي الخوف لانه يتعلق بالمتوقع فذكر ان اعمالهم مشكورة لا تضيع اجورها بيان انه لا يلحقهم الغم مما يتوقع فيكون الاستبشار الثاني ايضا بحال اخوانهم حتى يكون ماذكر من احوالهم ثانيا مغايرا لما ذكر من احوالهم اوّلا ولا يلزم منه ان يكون يستبشرون المذكور ثانيا تأكيدا لما ذكر اوّلا ﴿قوله ويجوز ان يكون الاوّل بحال اخوانهم﴾ لما تقرر ان ضمير عليهم ويحزنون راجع الى الذين لم يلحقوا بهم والمعنى يستبشرون بان الذين لم يلحقوا بهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهذا الاستبشار بحال انفسهم فيكون استئنافا لبيان فرحهم بحال انفسهم بعد بيان فرحهم بحال اخوانهم فلذلك لم يعطف وترك العاطف على الوجه الاوّل بناء على كونه تأكيدا ليستبشرون الاوّل حيث قصد به بيان متعلق الاستبشار الاوّل فان قيل أليس قد ذكر فرحهم باحوال انفسهم بقوله فرحين بما آتاهم الله من فضله والفرح الاستبشار فيلزم التكرار فالجواب منع ان الفرح عين الاستبشار بناء على ان الاستبشار الحاصل بالبشارة يجوز ان يحصل بالفرح للشهدآء من وجهين فرح بما آتاهم الله من فضله في الحال وفرح بان يبشروا بما سيجعل لهم في الآخرة من السعادة العظمى

(فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة (ويستبشرون) ويسرّون بالبشارة (بالذين لم يلحقوا بهم) اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم (من خلفهم) اي الذين من خلفهم زمانا أو رتبة (ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال ارواح الشهدآء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن تمنّى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح (يستبشرون) كرّره للتأكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف ويجوز ان يكون الاوّل بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم (بنعمة من الله) ثوابا لاعمالهم (وفضل) زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم

(وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائى بالكسر على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح) صفة للمؤمنين او نصب على المدح اومبتدأ خبره (للذين احسنوا منهم واتقوا اجرعظيم) بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روى ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج فى طلبه وقال لا يخرجنّ معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج عليه الصلاة والسلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لايفوتهم الاجر وألقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت (الذين قال لهم الناس) يعنى الركب الذين استقبلهم من عبد قيس اونعيم بن مسعود الاشجعى واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد اولانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) يعنى ابا سفيان واصحابه روى انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج فى اهل مكة حتى نزل بمرّ الظهران فانزل الله الرعب فى قلبه وبداله ان يرجع فمرّ به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احدا لاشريد أفترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لأخرجنّ ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا هم يقولون حسبنا الله (فزادهم ايمانا) الضمير المستكنّ للقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم تجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج (وقالوا حسبنا الله) محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لايستفيد بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجل حسبك (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فانقلبوا) فرجعوا من بدر (بنعمة من الله) عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه (وفضل) ربح فى التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا (لم يمسسهم سوء) من جراحة وكيد عدوّ (واتبعوا رضوان الله) الذى هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجرأة على العدوّ وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه

والكرامة العليا ﴿ قوله عطف على فضل ﴾ والتقدير يستبشرون بنعمة الله وفضله وبان الله لايضيع اجر المؤمنين ووقع الظاهر موقع المضمر ايذانا بان الثواب الواصل الى الشهداء ليس مخصوصا بهم بل بكل مؤمن يستحق شيأ من الاجر والثواب وانه تعالى يوصل اليه الثواب الموعود على عمله ولايضيعه ﴿ قوله على انه استئناف معترض ﴾ يرد عليه ان الاعتراض هو ان يؤتى فى اثناء كلام او بين كلامين متصلين معنى بجملة او اكثر لا محل لها من الاعراب لنكتة سوى دفع الايهام فهو بيان التتميم لانه انما يكون بفضلة والفضلة لا بد لها من اعراب وبيان التكميل لانه انما يكون لدفع ايهام خلاف المقصود وما نحن فيه ليس من هذا القبيل لانه لم يقع فى اثناء كلام ولا بين كلامين متصلين معنى فجعله اعتراضا مبنى على مذهب من جوّز وقوع الاعتراض آخر جملة لايليها جملة متصلة بها اما بان لاتلى الجملة جملة اخرى اصلا فيكون الاعتراض فى آخر الكلام اوتليها جملة اخرى غير متصلة بها معنى فالاعتراض على هذا المذهب ان يؤتى فى اثناء الكلام او فى آخره او بين كلامين متصلين او غير متصلين بجملة او اكثر لامحل لها من الاعراب وقد جرى صاحب الكشاف على هذا المذهب فى مواضع منها هذا الموضع ﴿ قوله تعالى الذين استجابوا لله ﴾ اى اجابوا واطاعوا فيما امروا به ونهوا عنه كما فى قوله تعالى فليستجيبوا لى ﴿ قوله بجملته ﴾ اشارة الى انه جملة اسمية قدم الخبر فيها على المبتدأ وهو اجر عظيم ﴿ قوله ومن للبيان ﴾ يعنى ان كلمة من فى قوله تعالى للذين احسنوا منهم ليست للتبعيض لان الذين استجابوا لله والرسول كلهم قد احسنوا لا بعضهم بل هى لبيان الجنس ومحصل المعنى حينئذ الذين استجابوا لله والرسول لهم اجر عظيم الا انهم وصفوا بوصفى الاحسان والتقوى مدحا لهم وتعليلا لعظم اجرهم بحسن افعالهم والاحسان يدخل تحته الاتيان بجميع المأمورات والتقوى يدخل تحتها الانتهاء عن جميع المنهيات والمكلف عند هذين الامرين يستحق الثواب العظيم * قال الامام مدح الله المؤمنين على غزوتين تعرف احداهما بغزوة حمزة والاخرى بغزوة حمراء الاسد وهى المرادة من هذه الآية فهذه الغزوة وقعت عقيب غزوة احد وغزوة بدر الصغرى وقعت بعدها بسنة فانه قد روى عن ابن عباس قال لما عزم ابو سفيان على ان ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى نلتقى بها ان شئت قال صلى الله عليه وسلم * ان شاء الله فلما حضر الاجل خرج ابو سفيان مع قومه حتى نزل بمرّ الظهران فألقى الله الرعب فى قلبه فهيأله ان يرجع فلقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم انى واعدت محمدا ان نلتقى بموسم بدر الا ان هذا العام عام جدب ولا يصلح لنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى ان ارجع ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جرأة فاذهب الى المدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الابل فجاء نعيم المدينة فوجد المسلمين يتجهزون فقال ماهذا بالرأى اتوكم فى دياركم وقتلوا اكثيرا منكم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم احد فاثر هذا الكلام فى قلوب قوم منهم فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال * والذى نفس محمد بيده لأخرجنّ اليهم وحدى * ثم خرج صلى الله عليه وسلم ومعه نحو من سبعين رجلا فذهبوا الى ان وصلوا الى بدر الصغرى وكانت موضع سوق لبنى كنانة يجتمعون فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه هنالك احدا من المشركين واتوا السوق وكان معهم نفقات وتجارات فباعوا واشتروا أدما وزبيبا وربحوا واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فعير اهل مكة جيشه وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق وهذا وجه اتصال بدر الصغرى بغزوة احد واما اتصال غزوة حمراء الاسد بها فهو ماذكره المصنف بقوله روى ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء وهو بالمد موضع بين مكة والمدينة ﴿ قوله الا من حضر يومنا ﴾ اى وقعتنا والعرب تسمى الوقائع اياما قال تعالى وذكرهم بايام الله ﴿ قوله فتحاملوا ﴾ اى حملوا المشقة على انفسهم ﴿ قوله فلم يفلت ﴾ اى لم يتخلص يقال افلت الشئ وتفلت وانفلت اذا تخلص فلتة اى فجاءة والشريد الفارّ النافر البعيد ﴿ قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ﴾ عطف على قوله فزادهم ايمانا وحسب بمعنى اسم الفاعل وهو محسب بمعنى كافى ولذلك كانت اضافته غير محضة لان اضافة اسم الفاعل الى معموله لاتفيد التعريف والفاء فى قوله تعالى فانقلبوا فصيحة والمعنى خرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه كقوله تعالى فاضرب بعصاك الحجر فانفلق اى فضرب فانفلق وقوله بنعمة متعلق بمحذوف على انه حال من ضمير انقلبوا اى انقلبوا ملتبسين بنعمة وملابسين لها وكذا لم يمسسهم سوء حال من فاعل انقلبوا اى سالمين من السوء واتبعوا عطف على انقلبوا ﴿ قوله والشيطان خبر ذلكم ﴾ لان كلمة انّ صارت مكفوفة عن العمل بما الكافة فذلكم مبتدأ والشيطان خبره ويخوّف اولياءه جملة مستأنفة جئ بها

بيانا لتثبيطه ويحتمل ان يكون الشيطان صفة اسم الاشارة ويخوّف هو الخبر حينئذ ويحتمل ان يكون ذلكم الشيطان مبتدأ وخبرا ويخوّف اولياءه حال بدليل وقوع الحال الصريحة في مثل هذا التركيب نحو قوله تعالى هذا بعلي شيخا فتلك بيوتهم خاوية وعلى التقادير جعل المثبط شيطانا على التشبيه البليغ وعلى تقدير ان يكون المعنى انما ذلكم القول الصادر من المثبط قول الشيطان حقيقة ويكون المجاز في الاسناد حيث اضيف قول المثبط الى ابليس لكونه سببا حاملا له على ذلك القول ﴿قوله يخوّف اولياءه القاعدين﴾ لما اوهم ظاهر النظم انه تعالى جعل المؤمنين اولياءه لان الذين سماهم الله تعالى بالشيطان انما قصدوا تخويف المؤمنين فلما قيل الشيطان يخوّف اولياءه توهم ذلك دفع التوهم بتفسير الآية على وجه لا يرد ذلك التوهم ولا بدّ ان يعلم اوّلا انّ خاف بدون التضعيف يتعدّى الى واحد وبالتضعيف يتعدّى الى اثنين يقال خاف زيد القتال ويجوز حذف مفعوليه او احدهما اقتصارا واختصارا فالمصنف رحمه الله تعالى اشار اوّلا الى ان اولياءه هو المفعول الاوّل ومفعوله الثاني محذوف والتقدير يخوّف اولياءه المنافقين غلبة المشركين وقهرهم ليقعدوا عن قتالهم فالمراد باولياء الشيطان حينئذ هم المنافقون ومن في قلوبهم مرض ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج والمعنى ان تخويفه بالكفار انما تعلق بالمنافقين الذين هم اولياؤه واما انتم فاولياء الله وحزبه الغالبون لا يتعلق بكم تخويفه فالمضمر المنصوب في قوله فلا تخافوهم للناس الثاني الذين هم ابو سفيان واصحابه لا للاولياء الذين اثّر فيهم تخويف الشيطان فخافوا ولم يخرجوا الى قتال المشركين اذ لا معنى للنهي عن الخوف منهم ثم اشار بقوله او يخوّفكم اولياءه الى ان المحذوف هو المفعول الاوّل كما تقول اعطيت المال تريد اعطيت فلانا المال فالمراد باوليائه على هذا الكفار الذين ذكروا بقوله ان الناس قد جمعوا لكم ولا بدّ من حذف مضاف اي قهر اوليائه لان الذوات لا يخاف منها فعلى هذا ضمير فلا تخافوهم للاولياء لان الشيطان يخوّف المؤمنين منهم فنهى الله تعالى عن ان يخافوا منهم وجواب قوله ان كنتم مؤمنين محذوف وماقبله دليل عليه عند البصريين وهو من باب الهاب الحمية والتهكم على امتثال الامر اذ لا وجه لحمله على الشك والتشكيك ﴿قوله يقعون فيه سريعا﴾ يريد أنّ يسارعون كان حقه ان يتعدّى بالى لكن قيل يسارعون فيه على انه ضمّن معنى الوقوع وقرئ يسرعون من اسرع وقرآءة الجماعة ابلغ لان الذي يسارع غيره اشدّ اجتهادا من الذي يسرع وحده وقرآءة نافع يحزنك بضم حرف المضارعة من أحزن رباعيا والباقون بفتح الياء من حزنه ثلاثيا وفعل وافعل هنا بمعنى يقال حزن الرجل بالكسر فاذا ارادوا تعديته عدوّه بالفتحة والمسارعون في الكفر هم المنافقون الذين يسارعون الى ما ابطنوه من الكفر مظاهرة للكفار وقيل ان قوما من الكفار اسلموا ثم ارتدّوا خوفا من قريش فوقع الغم في قلبه صلى الله عليه وسلم بذلك من حيث انه فات بارتدادهم شيء مما هو المقصود بالبعثة وهو اهتدآء الضالين وكثرة سواد المؤمنين وقد انضم اليه خوف انهم بسبب ردّتهم يضرّونه ويعينون عليه فنهاه الله تعالى عن أن يحزن باحتمال اضرارهم اياه وعرّفه صلى الله عليه وسلم ان وجود ايمانهم كعدمه في أن عزة الاسلام والمسلمين لا تتغير بتغير احوالهم ﴿قوله والمعنى لا يحزنك خوف ان يضرّوك﴾ جواب عما يقال ان الحزن على كفر الكافر ومعصية العاصي من جملة الطاعة فلما كان المنهي عنه حزنه صلى الله عليه وسلم باحتمال اضرارهم اياه صلى الله عليه وسلم بان يزاحموه في اظهار دينه وتقرير شريعته عند القيام بما هو مقتضى نبوّته سقط ما توهم من كونه نهيا عن الطاعات ﴿قوله يحتمل المفعول﴾ فيكون منصوبا على اسقاط الخافض اي لن يضرّوه بشيء ويحتمل المصدر اي لن يضرّوه شيأ من المضرّات والمراد بقوله لن يضرّوا الله شيأ انهم لن يضرّوا النبيّ صلى الله عليه وسلم واصحابه عبر عن هذا المعنى باضرار الله للدلالة على منزلتهم عند الله وان الاضرار بهم في حكم الاضرار به تعالى ﴿قوله وهو يدل على تمادي طغيانهم﴾ يعني ان الآية نزلت في قوم خاصين علم الله سبحانه وتعالى انهم لا يؤمنون ودلت على ان جميع الحوادث من الخير والشرّ والكفر والايمان انما هو بخلق الله تعالى بارادته ومشيئته لا كما زعمت المعتزلة من انه تعالى يريد الايمان والطاعة لكل كافر وعاصي ففي الآية ابطال لما ذهبوا اليه لانه تعالى اخبر انه اراد ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولو كان اراد لهم الايمان والطاعة لكان اراد لهم الحظ في الآخرة بارادة الايمان والطاعة لان كل واحد منهما ينال به الحظ في الآخرة وقد نص الله تعالى على انه اراد حرمانهم من نصيب الآخرة وذلك يستلزم انه تعالى اراد منهم ان لا يؤمنوا جميعا وانما اراد الايمان ممن علم منهم وجود الايمان وارادته عدم ايمانهم

ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس (يخوّف اولياءه) القاعدين عن الخروج مع الرسول او يخوّفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه (فلا تخافوهم) الضمير للناس الثاني على الاوّل والى الاولياء على الثاني (وخافون) من مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدّوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضرّوك ويعينوا عليك لقوله (انهم لن يضرّوا الله شيأ) اي لن يضرّوا اولياء الله شيأ بمسارعتهم في الكفر وانما يضرّون بها انفسهم وشيأ يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاي حيث وقع ما خلا قوله في الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاي فيه والباقون كذلك في الكل (يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة) نصيبا من الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الآخرة (ولهم عذاب عظيم) من الحرمان عن الثواب (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضرّوا الله شيأ ولهم عذاب اليم) تكرير للتأكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتدّ من الاعراب

مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون و المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل و لا تحسبن الذين كفروا
اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم اوولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم

وما مصدرية وكان حقها ان تفصل فى الخط
ولكنها وقعت متصلة فى الامام فاتبع وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائى
ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع
ما فى حيزه مفعول وفتح سينه فى جميع
القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء
الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم
من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى
كيف شاء (انما نملى لهم ليزدادوا اثما)
استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما
كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام
العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر
الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا
يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد
الاثم بل للتوبة والدخول فى الايمان وانما
نملى لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم
خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم
(ولهم عذاب مهين) على هذا يجوز
أن يكون حالا من الواو اى ليزدادوا اثما
معدا لهم عذاب مهين (ما كان الله ليذر
المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث
من الطيب) الخطاب لعامة المخلصين
والمنافقين فى عصره والمعنى لا يترككم
مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى
يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه
باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التى لا يصبر
عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون
منكم كبذل الاموال والانفس فى سبيل الله
ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم
وقرأ حمزة والكسائى حتى يميز هنا وفى
الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء
وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم
وسكون الياء (وما كان الله ليطلعكم على
الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء)
وما كان الله ليؤتى احدكم علم الغيب فيطلع
على ما فى القلوب من كفر وايمان ولكنه
يجتبى لرسالته من يشاء فيوحى اليه ويخبره
ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها
(فآمنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص
او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب
وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله
ولا يقولون الا ما اوحى اليهم روى ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر منا فنزلت وعن السدى انه
عليه السلام قال عرضت على امتى واعلمت من يؤمن بى ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت

تابعة ومتفرعة على علمه تعالى بتمادى طغيانهم وسوء اختيارهم ﴿قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا﴾ قرأ الجمهور يحسبن بياء الغيبة وحمزة بتاء الخطاب لما ذكر الله تعالى أن من قتل من المؤمنين فى سبيل الله احياء يرزقون فرحين مستبشرين واثنى عليهم وعلى من بقى منهم بما هو اللائق بهم ذكر فى تسليتهم ايضا ان بقاء من لم يقتل من الكفار يوم احد ليس خيرا لهم وانما امهلوا ليزدادوا اثما فى الدنيا والعذاب المذل فى الآخرة ﴿قوله لان التعويل على البدل﴾ والمبدل منه فى حكم الساقط ولما كان المقصود هو البدل صار كأنه لم يقع الاقتصار على احدهما لان البدل كاف فى تمام الكلام لكون انّ المفتوحة مع الاسم والخبر صالحة للوقوع موقع المفعولين اما باعتبار حصول المقصود اعنى تعلق افعال القلوب بالنسبة بين المبتدأ والخبر واما باعتبار الحذف اى لا تحسبن خيرية الاسلام ثابتة واستشهد لكون المفتوحة واقعة موقع المفعول بقوله تعالى ام تحسب أن اكثرهم يسمعون ﴿قوله او المفعول الثانى﴾ عطف على قوله بدل منه ولا بد على هذا التقدير من حذف مضاف اما من الاول واما من الثانى كما ذكره لان انما نملى لهم فى تأويل المصدر يعنى من المعانى وقد تقرر ان المفعول الثانى فى هذا الباب صادق على الاول متحد معه فى المعنى ﴿قوله وكان حقها ان تفصل فى الخط﴾ لان ما عدا ما الكافة سواء كانت مصدرية او موصولة تكتب منفصلة والمراد بالامام مصحف عثمان رضى الله عنه فانه امام المصاحف يجب اقتداء جميع المصاحف به ﴿قوله وان مع ما فى حيزه مفعول﴾ اى ساد مسد المفعولين والطول هو الحبل الذى يطول للدابة فترعى فيه ﴿قوله تعالى انما نملى لهم﴾ جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء زيادة فى الاثم وهى لا تتعلق الا بالارادة فهو مريد لها كما انه مريد لاسبابها المؤدية اليها فصح القول بان اللام فى قوله ليزدادوا لام الارادة او ما بالهم ظنوه خيرا فقيل انما نملى لهم ليزدادوا اثما وان هنا مكفوفة بما ولذلك كتبت متصلة على الاصل ﴿قوله واللام لام الارادة﴾ اى عند اهل السنة القائلين بانه تعالى فاعل الخير والشر فان الاملاء هو اطالة العمر وهى لا شك انها من افعاله تعالى وانها ليست بخير لهم لانهم يتوسلون بها الى ازدياد الاثم والطغيان كما انه خالق لتلك المآثم ايضا وليست لام العلة لان افعاله تعالى ليست معللة بالاغراض والمعتزلة لما قالوا انه تعالى ما يريد بعباده الا ما هو الخير لهم ولا يريد منهم الكفر والمعاصى أبوا ان يجعلوها لام الارادة فقالوا انها لام العاقبة فانه تعالى انما خلقهم واملى لهم ليطيعوه الا انهم لم يجعلوا ذلك وسيلة الى الطاعة بل كان مؤداه الضلالة والغواية فكأنه تعالى فعل ذلك لاجل الضلالة ومثلها يسمى لام العاقبة ﴿قوله وقرئ انما بالفتح﴾ اى انما الثانية بفتح الهمزة وانما الاولى بكسرها فيكون قوله الذين فاعل يحسبن بالياء وانما المفتوحة مفعوله ويكون قوله ولهم عذاب مهين حالا من واو ليزدادوا واللام فى قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين تسمى لام الجحود وينصب بعدها المضارع باضمار ان ولا يجوز اظهارها والفرق بينها وبين لام كى ان هذه شرطها على المشهور ان تكون بعد كون منفى ومنهم من شرط مضى الكون ومنهم من لا يشترط الكون وخبر كان هنا وفى نظائرها محذوف وهذه اللام متعلقة بذلك الخبر المحذوف مقوية لتعديته لضعفه والتقدير وما كان الله مريدا لان يذر فان ان يذر مفعول مريدا والمعنى ما كان الله مريدا ان يذر المؤمنين وقال الكوفيون ان اللام زائدة لتأكيد النفى وان الفعل بعدها هو خبر كان واللام عندهم هى العاملة عمل النصب فى الفعل بنفسها لا باضمار ان والتقدير عندهم ما كان الله يذر المؤمنين وهذه الآية لبيان الحكمة فيما وقع من وقعة احد من القتل والهزيمة ثم دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الخروج الى جانب العدو وما كان لهم من الحاجات ثم دعاهم مرة اخرى الى بدر الصغرى فاخبر سبحانه وتعالى ان الحكمة الالهية اقتضت ان يميز الخبيث من الطيب ثم بين ان ذلك التميز لا يجوز ان يحصل بان يطلعكم الله تعالى على غيبه فيقول ان فلانا منافق وفلانا مؤمن وفلانا من اهل الجنة وفلانا من اهل النار فان سنة الله جارية على ان لا يطلع عوام الناس على غيبه بل لا سبيل لكم الى معرفة ذلك التميز الا بالامتحانات مثل ما وقع فى وقعة احد من المحن والافادة ومعرفة ذلك على سبيل الاطلاع على الغيب انما هى من خواص الانبياء كما قال تعالى ولكن الله يجتبى الآية ثم انه تعالى لما بين انه حكيم لا يفعل ما يفعله من المحنة والمنحة الا حسبما تقتضيه الحكمة وان ما وقع فى وقعة احد ليس لخلل فى نبوته صلى الله عليه وسلم كما زعمه المنافقون وطعنوا بذلك فى نبوته صلى الله عليه وسلم وقالوا لو كان نبيا لما اصابه هذه الحوادث المكروهة فرع عليه فآمنوا بالله ورسله ولم يقل ورسوله للايماء الى طريق اثبات نبوة جميع الانبياء واحد وهو تصديق الله

(اياهم)

اياهم بخلق المعجزات وخوارق العادات فى ايديهم فمن لم يؤمن بواحد منهم لم يؤمن بالجميع ومن اقرّ بنبوّة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوّة الجميع ولما امرهم بالايمان بالجميع ذكر عقيبه ما وعده من الثواب فقال تعالى وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ﴿قوله ليتطابق مفعولاه﴾ اى فى صدق كل واحد منهما على الآخر وصحة حمله عليه فان خيرية البخل قبل ذكر مايدل عليه فيه نظر لان الدلالة على المحذوف قد تكون متقدمة وتكون متأخرة وليس هذا من باب الاضمار فى شئ ليشترط فيه تقدّم مايدل على ذلك المضمر ولفظ هو توسط بين مفعولى تحسبن ولا محل له من الاعراب والا لوجب ان يكون اما مبتدأ او بدلا او تأكيدا والاوّل منتف لنصب مابعده وهو خيرا وكذلك الثانى لان البدل يجب ان يوافق ماقبله فى الاعراب فكان ينبغى ان يقال اياه لاهو وكذلك الثالث لان المضمر لايؤكد المظهر والمفعول هنا اسم مظهر ولكنه حذف لما ذكر من ان التقدير لاتحسبن بخل الذين وحذف البخل لدلالة يبخلون عليه هذا على قرآءة حمزة بالتاء الفوقية واما على قرآءة الباقين بالياء التحتية فيجوز ان يكون الفعل وهو يحسبن مسندا الى ضمير غائب ويكون عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم اوعن حاسب ما ويجوز ان يكون مسندا الى الذين فان كان مسندا الى الذين فالمفعول الاوّل محذوف لدلالة يبخلون عليه كأنه قيل ولايحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم وهو فصل كما مرّ والبخل عبارة عن الامتناع عن ادآء الواجب والامتناع عن التطوع لايكون بخلا ولذلك قرن به الوعيد والذم والواجب كثير كالانفاق على النفس والاقارب الذين تلزمه مؤونتهم والزكاة وعلى الغير حال المخمصة وفى حال الجهاد عند الاحتياج الى التقوية بالمال ووجه مناسبة الآية بماقبلها انه سبحانه وتعالى حرّض المؤمنين على بذل النفس فى الجهاد اوّلا ثم حرّضهم على بذل المال فيه وبين وعيد من يبخل به ﴿قوله بيان لذلك﴾ اى لكون البخل شرّا لهم ﴿قوله سيلزمون وبال مابخلوا به﴾ اشارة الى ان تطويقهم بمابخلوا به ليس على حقيقته اذلا طوق ثمة بل هو من قبيل الاستعارة التمثيلية شبه لزوم وبال البخل واثمه بهم بلزوم طوق نحو الحمامة بها فى عدم زوال كل واحد منهما عن صاحبه فعبر عن لزوم الوبال بهم بالتطوّق واشتق منه يطوّقون كما يقال منة فلان طوق فى رقبة فلان وقيل هو على حقيقته وانهم يطوّقون حية اوطوقا من نار استدلالا بالحديث فانه يدل على ان ما بخلوا به من الاموال يصير حيات يطوّقون بها والشجاع ضرب من الحيات ويقال له الاشجع ايضا عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من آتاه الله مالا فلم يؤدّ زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولايحسبن الذين يبخلون» وفى رواية «الامثل له يوم القيامة شجاعا اقرع يفرّ منه وهو يتبعه حتى يطوّقه فى عنقه» وفى رواية «يجعل مابخل به من الزكاة حية يطوّقها فى عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك» والاقرع الذى لم يبق على رأسه شعر لكبره وطول عمره والنهش بالشين المعجمة لسع الحية وبالمهملة بم لسع الحية وغيرها من نحو العقرب والكلب والقرن جانب الرأس والزبيبتان النكتتان السودا وان فوق عينيه ﴿قوله تعالى ولله ميراث السموات والارض﴾ ماتوارثه اهلها سواء كان فى عرف الشرع مالا او غيرمال كالولاية والاحوال التى تنتقل من واحد الى آخر ولعل فى اهل السماء ايضا مثل ذلك والمعنى انه يفنى اهلهما ويفنى مافيهما من الاموال والاملاك ولامالك له الاالله فاجرى هذا المعنى مجرى الوراثة فى عادة الخلق وليس بميراث فى الحقيقة لان المملوك بالوراثة هو ماينتقل الى الوارث بعد مالم يكن ملكاله والله سبحانه وتعالى مالك السموات والارض ومافيهما فكانت الاموال عارية عند اربابها ﴿قوله فنحاص بن عازورآء﴾ كان من علماء اليهود ودخل ابو بكر رضى الله عنه ذات يوم بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا من اليهود قد اجتمعوا فقال له ابو بكر رضى الله عنه يافنحاص اتق الله واسلم والله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة فآمن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص ياابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض من اموالنا على ان يعطى قرضه ايانا مع الفضل والربا ومايستقرض الا الفقير من الغنى ولوكان غنيا لما استقرض منا ولما اعطى الربا ايانا فغضب ابو بكر رضى الله عنه وضرب وجهه ضربة شديدة فآل الامر الى ان ينزل الله تعالى هذه الآية تصديقا لابى بكر رضى الله عنه ووجه ارتباطها بما قبلها انه تعالى لما امر المؤمنين فى الآيات المتقدمة بالجهاد وبذل الانفس والاموال فى سبيل الله وقعت جهلة الكفرة فى شبهة وقالوا انه تعالى لوطلب الانفاق منا فى اظهار دينه ونصر نبيه لكان فى نفسه فقيرا عاجزا فان الاستعانة

(وان تؤمنوا) حق الايمان (وتتقوا) النفاق (فلكم اجر عظيم) لايقادر قدره (ولاتحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) القرآآت فيه على ما سبق ومن قرأ بالتاء قدّر مضافا ليتطابق مفعولاه اى ولاتحسبنّ بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاوّل محذوفا لدلالة يبخلون عليه اى ولا يحسبنّ البخلاء بخلهم هو خيرا لهم (بل هو) اى البخل (شرّ لهم) لاستجلاب العقاب عليهم (سيطوّقون مابخلوا به يوم القيامة) بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال مابخلوا به لزم الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام مامن رجل لايؤدّى زكاة ماله الاجعل الله له شجاعا فى عنقه يوم القيامة (ولله ميراث السموات والارض) وله مافيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولاينفقونه فى سبيله اوانه يرث منهم مايمسكونه ولا ينفقون فى سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة (والله بما يعملون) من المنع والاعطاء (خبير) فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى بالتاء على الالتفات وهو ابلغ فى الوعيد (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وروى انه عليه الصلاة والسلام كتب مع ابى بكر رضى الله تعالى عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازورآء ان الله فقير حتى سأل القرض فلطمه ابو بكر رضى الله عنه على وجهه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك

فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ماقاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعدّ لهم العقاب عليه (سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق) اى سنكتبه فى صحائف الكتبة او سنحفظه فى علمنا ولا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله او استهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اوّل جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء (ونقول ذوقوا عذاب الحريق) اى وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات فى الوعيد والذوق ادراك

الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ من البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال (ذلك) اشارة الى العذاب (بما قدّمت ايديكم) من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدى عن الانفس لان اكثر اعمالها بهنّ (وأن الله ليس بظلام للعبيد) عطف على ماقدّمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسيئ (الذين قالوا) هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهودا (ان الله عهد الينا) امرنا فى التوراة واوصانا (ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) بان لانؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التى كانت لانبياء بنى اسرآئيل وهو ان يقرّب بقربان فيقوم النبيّ فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اى تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع فى ذلك (قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات أخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فمالهم لم يؤمنوا بمن جاء به فى معجزات أخر واجترأوا على قتله (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشئ اذا حبسته والكتاب فى عرف القرآن مايتضمن الشرآئع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامّة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات (كل نفس ذآئقة الموت) وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذآئقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله * ولاذاكر الله الاقليلا (وانما توفون اجوركم) تعطون جزآء اعمالكم خيرا كان اوشرّا تاما وافيا (يوم القيامة) يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة اوحفرة من حفر النار (اى)

بمال غيره تستلزم ذلك ومن المعلوم ان هذا اللازم مستحيل فى حقه تعالى فكذا الملزوم الذى هو ان يطلب المال من عبيده وقصدوا بايراد هذه الشبهة تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اسناد هذا الطلب اليه تعالى وذلك يستلزم تكذيبه فى دعوى النبوّة فأوعدهم الله تعالى على ايراد هذه الشبهة ولم يذكر جواب شبهتهم لكونه معلوما من مواضع أخر من القرآن من جملتها قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ومنها قوله تعالى الم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون فانه يفعل مايشاء ويحكم مايريد فلا يبعد ان يأمر عباده ببذل الاموال مع كونه اغنى الاغنياء وقادرا على جميع المقدورات لحكمة تعود الينا ﴿قوله والمعنى انه لم يخف عليه﴾ اى ان معنى سماع الله قولهم علمه تعالى بمقالهم كما ان معنى كونه تعالى بصيرا علمه تعالى بالمبصرات ومعلوم انه تعالى سميع عالم بالمسموعات والمقصود من ذكره بيان انه تعالى اعدّلهم عذابا يناسبهم على طريق الكناية ﴿قوله اى سنكتبه فى صحائف الكتبة﴾ اى سنأمر الحفظة بالكتابة ليقرّوا ذلك فى جملة اعمالهم القبيحة فعلى هذا تكون الكتبة حقيقة والتجوّز انما يكون فى الاسناد وعلى قوله سنحفظه تكون الكتبة استعارة والاسناد على حقيقته وعلى كل تقدير هو تأكيد لماذكر اوّلا بطريق الكناية ﴿قوله وفيه تنبيه﴾ اى فى ضم انهم قتلوا الانبياء الى وصفهم الله تعالى بالفقر بيان ان جهلهم ليس مقصورا على هذا بل لهم جهالات وجرآئم أخر لاتستبعد معها هذه الجريمة ﴿قوله وفيه مبالغات فى الوعيد﴾ حيث ذكره اوّلا بالكناية ثم اكده بقوله سنكتب معبرا عن نفسه بنون العظمة وامرهم امر الاهانة والتحقير بقوله ذوقوا وعبر عن الاحتراق بالذوق تهكما واستهزآء ووصف العذاب بالحريق الذى هو صيغة المبالغة ﴿قوله عطف على ماقدّمت﴾ والمعنى ذلك العذاب بما كسبتم من المعاصى وبان الله ليس بظلام للعبيد فيعاقب بلاجرم عدّ تعذيب من لم يستحق العذاب ظلما بالغا اقصى غاية الظلم ونفاه عن نفسه فنفيه سبب للعذاب باعتبار كونه تسبب عن تقديمهم المعاصى وايضا التسوية بين المحسن والمطيع نهاية الظلم فنفاه عن نفسه فكان انتفاؤه سببا لتعذيب المسيئ ﴿قوله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا﴾ فى محل الجرّ اما على انه صفة لقوله الذين قالوا ان الله فقير أو بدل منه واما على انه صفة للعبيد اى ليس بظلام للعبيد الذين قالوا كذا وكذا ويحتمل ان يكون فى محل الرفع او النصب على القطع باضمار المبتدأ اى هم الذين او باضمار فعل مناسب للمقام نحو اذم الذين او اعنى الذين ﴿قوله وهو ان يقرب بقربان﴾ اى بما يتقرب به الى الله من اعمال البرّ وهو فى اصل مصدر مثل الكفران والرجحان والخسران سمى به نفس المتقرّب به قال عطاء كانت بنوا اسرآئيل يذبحون لله فيأخذون القرابين فيضعونها وسط البيت والسقف مكشوف فيقوم النبى فى البيت ويناجى ربه وبنوا اسرآئيل خارجون واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء لادخان لها دوىّ حين تنزل من السماء فتأكل تلك القرابين وتحرقها فيكون ذلك علامة القبول واذا لم تقبل تبق على حالها قال السدى هذا الشرط فى التوراة ولكنه مع شرط آخر وذلك انه تعالى قال فى التوراة ان من جاءكم يزعم انه رسول الله فلاتصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار وكانت هذه العادة باقية الى مبعث المسيح فلما بعث الله المسيح ارتفعت والمصنف لم يرض بكون ما ادّعاه اليهود مذكورا فى التوراة حتى يحتاج الى ماذكره السدى من الاستدراك وجعل ذلك من مفترياتهم واباطيلهم ويدل عليه ان ذلك لوكان حقا لكانت معجزات كل الانبياء هذا القربان ومعلوم انه ما كان الامر كذلك فان معجزات موسى كانت اشياء سوى هذا القربان ﴿قوله وعد ووعيد للمصدق والمكذب﴾ من حيث انه كناية عن ان سوى هذه الدار دار اخرى يميز فيها المحسن من المسيئ ويستوفى كل واحد مايليق به فى الجزآء وفيه تأكيد للتسلية المذكورة قيل لانه من ايقن بحسن عاقبة اعوانه وسوء عاقبة اعدآئه يزول عن قلبه الهموم والاحزان ويتسلى بذلك قرأ الجمهور ذآئقة الموت بالاضافة اللفظية لانها اضافة اسم الفاعل الى مفعوله وقرأ اليزيدى ذآئقة الموت بالتنوين ونصب الموت وقرأ الاعمش بعدم التنوين ونصب الموت وذلك على حذف التنوين لالتقاء الساكنين وارادته كقرآءة من قرأ قل هو الله احد بحذف التنوين من احد وكقول ابى الاسود الدؤلى

فذكرته ثم عاتبته * عتابا رقيقا وقولا جميلا
فألفيته غير مستعتب * ولا ذاكر الله الاقليلا

(فمن زحزح عن النار) بعد عنها والزحزحة ... في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (وادخل الجنة فقد فاز) بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه (وما الحياة الدنيا) اى لذاتها وزخارفها (الا متاع الغرور) شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار (لتبلونّ) والله لتختبرنّ (فى اموالكم) بتكليف الانفاق وما يصيبها من الآفات (وأنفسكم) بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخالف والامراض والمتاعب (ولتسمعنّ من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا) من هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فى الدين واغرآء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها (وان تصبروا) على ذلك (وتتقوا) مخالفة امر الله (فان ذلك) يعنى الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور التى يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اى امر به وبالغ فيه والعزم فى الاصل ثبات الرأى على الشئ نحو امضائه (واذ أخذ الله) اى اذكر وقت اخذه (ميثاق الذين اوتوا الكتاب) يريد به العلماء (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذى ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب (فنبذوه) اى الميثاق (ورآء ظهورهم) فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ ورآء الظهر مثل فى ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينه وألقاه بين عينيه (واشتروا به) واخذوا بدله (ثمنا قليلا) من حطام الدنيا واعراضها (فبئس ما يشترون) يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله ألجم بلجام من نار وعن علىّ رضى الله تعالى عنه ما أخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا

اى ذكرته المودة التى كانت بيننا وعاتبته عتابا بالرفق واللين فاوجدته طالب رضاى بان يرجع عن قبيح فعله ولا ذاكر بالجرّ عطفا على مستعتب ولا زائدة وحذف التنوين من ذاكر لانهم يحذفون التنوين عند ملاقاة الساكن اما للخفة واما هربا من التقاء الساكنين ونصب الله دليل على تقدير التنوين ولو كان مضافا لكان مجرورا يقال استعتبته فأعتبنى اى استرضيته فأرضانى **قوله** صلى الله عليه وسلم ويؤتى الى الناس اى يفعل بهم يقال آتى اليه اى فعل به **قوله** يدلس به على المستام التدليس فى البيع كتمان عيب فى السلعة عن المشترى والمدالسة كالمخادعة والدلس بالتحريك الظلمة والمدلس كأنه يأتيك بالسلعة فى الظلام والمستام هو الذى يريد الشرى والسوم ارادة الشرى تقول منه سمته سوما واستام علىّ وتساومنا **قوله** ويغرّ اى يوقع فى الغرّة وهى الغفلة يقال رجل غرّ بالكسر وغرير اى غير مجرّب **قوله** متاع بلاغ اى تبليغ الى الآخرة وايصال اليها والبلاغ اسم للتبليغ كالكلام اسم للتكليم **قوله** والله لتختبرنّ اى ان لتبلونّ جواب قسم محذوف والواو المضمومة فيه واو الضمير والواو التى هى لام الفعل حذفت لالتقاء الساكنين فان اصله لتبلووننّ حذفت النون الاولى التى للرفع لاجل نون التوكيد وقلبت الواو الاولى الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فالتقى ساكنان الالف وواو الضمير فحذفت الالف فضمت واو الضمير دلالة على المحذوف ولا يجوز قلب مثل هذه الواو همزة لطروّ حركتها ولذلك لم تقلب ألفا وان تحرّكت وانفتح واو الضمير للدلالة عليها ومعنى الابتلاء الاختبار وطلب المعرفة اذا اسند اليه تعالى يكون معناه معاملته تعالى مع العبد معاملة المختبر فيكون لتبلونّ استعارة تبعية **قوله** حتى لا يرهقهم نزولها اى حتى لا يعسر عليهم يقال لا ترهقنى لا ارهقك الله اى لا تعسرنى لا اعسرك الله **قوله** من معزومات الامور العزم مصدر قولك عزمت على كذا عزما وعزيمة اذا اردت فعله ارادة صادقة وقصدا مصمما فالمصنف اوّل المصدر بالمفعول وجمعه لاضافته الى الامور اى من الامور المعزوم عليها والعازم اما ان يكون هو العبد اى من الامور التى يجب على العبد عزمها واما ان يكون هو الله اى من الامور التى عزم الله عليها اى فرضه علينا وبالغ فى ايجابه قال الواحدى كان هذا قبل نزول آية السيف وقال القفال الذى عندى ان هذا ليس بمنسوخ والظاهر انها نزلت عقيب قصة احد * والمعنى انهم امروا بالصبر على ما يؤذون به الرسول صلى الله عليه وسلم من تحريف الاقوال بينهم واستعمال مداراتهم فى كثير من الاحوال والامر بالقتال لا ينافى الامر بالمصابرة على هذا الوجه * قال الامام واعلم ان قول الواحدى ضعيف والقول ما قاله القفال وهذا على تقدير ان يكون المراد بقوله تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمصابرة على الابتلاء فى النفس والمال والمصابرة على تحمل الاذى وترك المعارضة والمقابلة * ويحتمل ان يكون المراد منه الصبر على مجاهدة الكفار ومنابذتهم والانكار عليهم وامروا بالصبر على المشاق والجرى على نهج ابى بكر رضى الله عنه فى الانكار على اليهود والاتقاء على المداهنة مع الكفار والسكوت عن اظهار الانكار وعلى كل تقدير فالصبر عبارة عن احتمال المكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغى وانتظام قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب بما قبله انه تعالى لما حكى عنهم الطعن فى نبوته صلى الله عليه وسلم واجاب عن ذلك ذكر فى هذه الآية ما يفيد التعجب من حالهم كأنه قيل كيف يليق بكم الطعن فى نبوته وكتبكم ناطقة بانه يجب عليكم بيان الدلائل الدالة على صحة دينه وصدق نبوته ورسالته وايضا انه تعالى لما اوجب عليه صلى الله عليه وسلم احتمال الاذى من اهل الكتاب وكان من جملة اذاهم كتمانهم ما فى التوراة من الدلائل الدالة على نبوته وكانوا يحرّفونها ويذكرون لها تأويلات فاسدة بين الله تعالى ان هذا الكتاب من تلك الجملة التى يجب الصبر عليها **قوله** حكاية لمخاطبتهم يعنى من قرأ لتبيننه ولا تكتمونه بتاء الخطاب فيهما جعله حكاية للخطاب الواقع فى وقت اخذ الميثاق اى وقال لهم لتبيننه ونظير هذه الآية قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بنى اسرآئيل لا تعبدون الا الله بالتاء والياء * فان قيل البيان يضادّ الكتمان فلما امر بالبيان كان الامر به نهيا عن الكتمان فما الفائدة فى ذكر النهى عن الكتمان * فالجواب ان المراد من البيان ذكر الآيات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم من التوراة والانجيل والمراد من النهى عن الكتمان ان يلقوا فيها التأويلات الفاسدة والشبهات وظاهر الآية وان دل على نزولها فى حق اليهود والنصارى الذين كانوا يخفون الحق ليتوسلوا بذلك الى وجدان شئ من الدنيا الا ان حكمها يعم من كتم من المسلمين احكام القرآن الذى هو اشرف الكتب واهله اشرف اهل الكتب واليه اشار المصنف بايراد الحديث والاثر وكان قتادة يقول طوبى لعالم ناطق

(لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له
وللمؤمنين و المفعول الاوّل الذين يفرحون و الثانى بمفازة و قوله فلا تحسبنهم تأكيد و المعنى لا تحسبنّ الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس
وكتم الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
من الوفاء بالميثاق و اظهار الحق و الاخبار
بالصدق بمفازة منجاة من العذاب اى فائزين
بالنجاة منه وقرأ ابن كثير و ابو عمرو بالياء وفتح
الباء فى الاوّل و ضمها فى الثانى على ان الذين
فاعل و مفعولا لا يحسبن محذوفان يدل عليهما
مفعولا مؤكده وكأنه قيل ولا يحسبن الذين
يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة
او المفعول الاوّل محذوف وقوله فلا تحسبنهم
تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاوّل
(ولهم عذاب اليم) بكفرهم وتدليسهم روى
انه عليه السلام سأل اليهود عن شئ مما
فى التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيها و اروه
انهم قد صدقوه و فرحوا بما فعلوا فنزلت
وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الغزو ثم
اعتذروا بانهم رأوا المصلحة فى التخلف
واستحمدوا به وقيل نزلت فى المنافقين فانهم
يفرحون بمنافقتهم و يستحمدون الى المسلمين
بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة
(ولله ملك السموات والارض) فهو يملك
امرهم (والله على كل شئ قدير) فيقدر
على عقابهم وقيل هو ردّ لقولهم ان الله فقير
(ان فى خلق السموات و الارض و اختلاف
الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) لدلائل
واضحة على وجود الصانع و وحدته وكمال
علمه وقدرته لذوى العقول المجلوّة الخالصة
عن شوائب الحس والوهم كما سبق فى سورة
البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة
فى هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير
وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون
فى ذات الشئ كتغير الليل و النهار او جزئه
كتغير العناصر بتبدل صورها والخارج
عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبى
صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر
فيها (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم) اى يذكرون الله دائما على الحالات
كلها قائمين وقاعدين و مضطجعين وعنه
عليه الصلاة والسلام من احب ان يرتع
فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه
يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم
لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران ابن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك تومئ ايماء فهو حجة للشافعى (يستلق)

ولمستمع واع هذا علم علما فبذله و هذا سمع خيرا فوعاه ﴿قوله الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم﴾ قرأ الكوفيون
بتاء الخطاب وفتح الباء فى الفعلين معا وقرأ ابن كثير و ابو عمرو بياء الغيبة فى الاوّل و تاء الخطاب فى الثانى وفتح الباء
فيهما وقرئ شاذا بتاء الخطاب و ضم الباء فيهما معا وقرئ ايضا بياء الغيبة فيهما وفتح الباء فيهما ايضا و الفعلان على قرآءة
الكوفيين مسندان الى ضمير المخاطب و هو اما الرسول صلى الله عليه وسلم او كل من يصلح للخطاب و قد ذكر المصنف
بيان المفعولين على قرآءة ابن كثير وابى عمرو ويكون الفعل الاوّل مسندا الى الموصول و الثانى مسندا
الى ضميره ويكون كلا مفعولى الفعل الاوّل محذوفين اختصارا لدلالة مفعولى الفعل الثانى عليهما تقديره لا يحسبن
الفارحون انفسهم فائزين او يكون المفعول الاوّل محذوفا و الثانى هو نفس بمفازة و يكون قوله فلا تحسبنهم تأكيدا
للفعل وفاعله الاوّل وكون الفاعل والمفعول ضميرين لشئ واحد من خصائص باب ظننت ﴿قوله فهو يملك امرهم﴾
اى تعذيبهم بما فعلوا اشار به الى ان قوله ولله ملك السموات والارض معطوف على ما قبله كأنه قيل
لا تظنن الفرحين ينجون من العذاب فان الله تعالى مالك كل شئ فهم فى قبضته فلا ينجون من عذابه يأخذهم
متى شاء والله على كل شئ قدير فكيف يرجو النجاة من كان معذبه هذا المالك القادر وقيل ليس هذا معطوفا على ما قبله
بل هو احتجاج على الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ورد لمقالتهم ﴿قوله لدلائل واضحة على وجود الصانع﴾
اشارة الى ان الآية فى معرض الاستدلال على قوله لله ملك السموات * واعلم ان الله تعالى ذكر فى سورة البقرة
ثمانية انواع من الدلائل حيث قال ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى
تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة
وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون واقتصر فى هذه السورة على ثلاثة
انواع منها وترك الخمسة الباقية منها و جعل فاصلة هذه الآية قوله لآيات لاولى الالباب وجعل الفاصلة هناك قوله
لقوم يعقلون واللب خالص العقل فان العقل له ظاهر وله لب ففى اوّل الامر يكون عقلا وفى حال كماله ونهاية امره
يكون لبا وفى اوّل امره وان احتاج الى الدلائل وتظاهر بعضها ببعض لكنه فى حال كماله لا يحتاج الى تكثير
الادلة بل يكتفى بخلاصة الدلائل وزبدتها فان الدلائل مع كثرتها غاية الكثرة منحصرة فى ثلاثة انواع لانها اما سماوية
او ارضية او مركبة منهما فأشار الى الاوّل بقوله ان فى خلق السموات والى الثانى بقوله والارض والى المركبة
بقوله واختلاف الليل والنهار لان تحققه بسبب دوران الشمس على الارض ووجه دلالتهما على ما ذكر من الوحدانية
وكمال العلم والقدرة انه تعالى جعل منافع السماء مع بعدها من الارض متصلة بمنافع الارض حتى لا تقوم منافع هذه
الا بمنافع الاخرى فصيرهما بحسب اتصال المنافع كالمتصلين مع بعد ما بينهما ولو كان لكل واحدة منهما منافع
على حدة لمنعت كل واحدة منهما منافع ملكها عن الاخرى فدل اتصال المنافع على اتحاد الصانع والمالك لان الاشياء
المخلوقة على تضادّ من الطبائع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة لما جعلت مع اختلافها وتضادّها كالاشكال
والامثال فى حق اتصال بعضها ببعض دل ذلك على ان منشئها واحد كامل العلم عظيم القدرة وخلق هذه الاشياء
لمجرّد الافناء عبث لا يليق بشأن من كان فى العلم والقدرة بهذه المثابة فلابدّ ان يكون خلق السموات والارض
لحكمة وتلك الحكمة لا ترجع الى نفسهما اذ لا منفعة لهما فى الخلق بكون خلقهما لانفسهما فتعين ان يكون
خلقهما لمنفعة البشر ليستدلوا بهما على وجود الصانع وجلاله وجماله ويستعينوا بهما على مصالح معادهم
ومعاشهم ويستكملوا بحسب قوّتهم النظرية والعملية ويتوسلوا بتلك الاشكال الى نيل سعادة الآخرة
ثم لما فرغ من ذكر آيات الربوبية شرع فى بيان العبودية ولما كان الانسان مركبا من النفس والبدن
كانت العبودية بحسب النفس وبحسب البدن فأشار الى عبودية البدن بقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم فان ذلك لا يتم الا باستعمال الجوارح والاعضاء واشار الى عبودية القلب والروح بقوله ويتفكرون
فى خلق السموات والارض وانما خصص التفكر بالخلق لقوله صلى الله عليه وسلم * تفكروا فى الخلق ولا تفكروا
فى الخالق * وانما نهى عن التفكر فى الخالق لان معرفة حقيقته المخصوصة غير ممكنة للبشر فلا فائدة لهم فى التفكر
فى ذات الخالق ثم شرع فى تعليم الدعاء تنبيها على ان الدعاء انما يجدى ويستحق الاجابة اذا كان بعد تقديم
الوسيلة وهى اقامة وظائف العبودية من الذكر والفكر فانظر الى هذا الترتيب ما احسنه ﴿قوله مستقبلا
بمقاديم بدنه﴾ اى بما كان فى جانب امامه من اعضاء بدنه على هيئة استقبال الميت فى اللحد وعند ابى حنيفة

يستلقى المريض على قفاه ورجلاه الى الكعبة واجاب عن الآية بان المراد بقوله وعلى جنوبهم كونهم ساقطين على الارض على اىّ وجه كان ولا دلالة فيها على الاضطجاع فحمل على الاستلقاء لانه المروىّ عن ابن عمر حيث قال فان لم تستطع فعلى قفاك وهذا الخلاف فى الوجوب وفى حق من يقدر على كل واحد من الامرين اعنى الاضطجاع والاستلقاء واما اذا لم يقدر الاعلى احدهما فهو المتعين وفاقا ﴿قوله لانه المخصوص بالقلب﴾ الذى هو افضل ما فى الانسان فيكون ما صدر عنه من العبادة افضل العبادات لان التفكر الذى هو سبب معرفة الله تعالى هو المقصود من الخلق قال تعالى وما خلقت الجنّ والانس الا ليعبدون اى ليعرفون وما سوى التفكر والمعرفة مقصود بالتبع ولاشك ان المقصود الاصلى افضل واشرف مما قصد تبعا وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتجذب للقلب الخشية كما يجذب الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لاتفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له فى كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك بالتفكر فى امر الله تعالى الذى هو عمل القلب لان احدا لايقدر ان يعمل بجوارحه فى اليوم مثل ما عمل فيه جميع اهل الارض ﴿قوله على شرف علم الاصول﴾ اى اصول الدين وهو علم الكلام الباحث عن ذات الله تعالى وصفاته الذى هو شأن اهل الاستدلال بالآثار على وجود مؤثرها ومغير احوالها ﴿قوله اى يتفكرون قائلين﴾ اشارة الى ان الجملة القولية حال من فاعل يتفكرون ﴿قوله وهذا اشارة الى المتفكر فيه﴾ يعنى ان هذا بلفظ التذكير يقتضى ان يكون المشار اليه مذكرا فان كان الخلق بمعناه لايجوز ان يكون هذا اشارة اليه ولا معنى لان يقال ما خلقت الخلق بمعنى المصدر ولا يجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض والا لقيل ما خلقت هذه بلفظ التأنيث فينبغى ان يكون اشارة الى المتفكر فيه الذى هو مدلول الكلام اى الذى تفكروا فى خلقه من نفس السموات والارض وما فيهما من العجائب ويجوز ان يكون اشارة الى الخلق على تقدير ان يكون بمعنى المخلوق كأنه قيل ويتفكرون فى مخلوق السموات والارض على طريق اضافة العام الى الخاص كما اشار اليه المصنف بقوله على انه اريد به المخلوق من السموات بمن البيانية ويجوز ان يشار به الى السموات والارض باعتبار كونهما فى تأويل المخلوق وقوله باطلا منصوب على انه صفة مصدر محذوف اى ما خلقته خلقا باطلا ومعنى بطلانه كونه عبثا ضائعا خاليا عن الحكمة ويحتمل ان يكون حالا من المفعول به وهذا وسبحانك اعتراض للتنزيه عن العبث وان يخلق شيأ من غير حكمة ﴿قوله وفائدة الفاء الخ﴾ يعنى ان الفاء للدلالة على ان ما بعدها وهو الاستعاذة مرتب على ما ذكر قبلها وهو اعترافهم بالعلم بما لاجله خلقت السموات والارض وهو ان نستدل بها على معرفتك بما يليق بشأنك الاعلى معرفة تحثنا على ملازمة طاعتك والاجتناب عن معصيتك وبالاخلال بما يجب عليهم من النظر والاستدلال المذكور فان الكلام الخبرى اذا القى لمن هو عالم بفائدة الخبر ولازمها فلابدّ ان يكون ذلك الالقاء مقصودا والمقصود المناسب لهذا المقام هو الاعتراف المذكور والاستغفار عما اعترف به من التقصير فى الجرى على مقتضى العلم وكلمة من فى قوله تعالى من تدخل النار شرطية وهى مفعول مقدم واجب التقديم لان لها صدر الكلام وتدخل مجزوم بها وفقد اخزيته جوابها والجملة الشرطية فى محل الرفع على انها خبر انك يقال خزيته واخزيته ثلاثيا ورباعيا والاكثر الرباعى وخزى الرجل يخزى خزيا اذا افتضح وخزاية اذا استحيى فالفعل واحد وانما تميز بالمصدر والاخزآء يحتمل ان يكون من خزى بمعنى افتضح او من خزى بمعنى استحيى فعلى الاوّل يكون بمعنى الاهانة والتفضيح وعلى الثانى يكون بمعنى ان يعمل به عملا يخجله ويستحيى منه فخزى المؤمنين استحياؤهم فى دخول النار من سائر اهل الاديان الى ان يخرجوا منها وخزى الكافرين افتضاحهم فيها بما يلحقهم من العذاب الدائم الذى لا يموتون فيها بسببه ولايبعد ايضا ان يستحيوا ممن كانوا يدعون عندهم انهم على الحق وهم على الباطل والاخزآء باىّ معنى كان لما كان لزومه وترتبه على ادخال النار واضحا مستغنيا عن البيان كان تعليقه عليه خاليا عن الفائدة ما دام محمولا على اطلاقه فلذلك حمله على اخص الخاص ليفيد حيث قال اى فقد اخزيته غاية الاخزآء ونظيره فى حمل الجزآء المطلق على اخص الخاص ليفيد قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اى ادرك من المرعى ما ليس مثله مرعى والصمان جبل كثير المرعى ونظيره ايضا قولهم من سبق فلانا فقد سبق اى بالغ فى السبق ﴿قوله وفيه اشعار بان العذاب الروحانى افظع﴾ وذلك لان المستفاد منه وهو الادخال فى النار يشتمل على العذاب الجسمانى وهو ظاهر وعلى العذاب الروحانى وهو عذاب الفضاحة والخجالة بين اهل المحشر

(ويتفكرون فى خلق السموات والارض) استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لاعبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله (ربنا ما خلقت هذا باطلا) على ارادة القول اى يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما فى معنى المخلوق* والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية فى جوارك (سبحانك) تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض (فقنا عذاب النار) للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هى الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته) اى فقد اخزيته غاية الاخزآء وهو نظير قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك* والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدّة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحانى افظع

ولم يتعرض فى مقام تهويل المستعاذ منه الا لما اشتمل عليه من العذاب الروحانى ولولا انه اهول وافظع من الجسمانى لما خص بان يتعرض له * قال الامام احتج حكماء الاسلام بهذه الآية على ان العذاب الروحانى اشد واقوى من العذاب الجسمانى قالوا لان الآية دالة على تهديد من فى النار بالخزى والخزى عبارة عن التخجيل والاهانة وهو عذاب روحانى فلولا ان العذاب الروحانى اقوى من العذاب الجسمانى لما حسن تهديد من عذب بالنار بعذاب الخزى والخجالة ﴿قوله للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم فى الخلاص منها﴾ كون الظلم سببا لانقطاع النصرة ظاهر لما اشتهر من ان المعلق بالوصف معلل به واما كونه سببا لادخالهم النار فبنى على ان التعبير عن الذوات بالظالمين يتضمن تعليق ما اثبت لهم من الاحكام بوصف الظلم والنصرة من النار تكون على وجهين الاول النصرة بالمنع من دخولها ابتداء والثانى النصرة فى الخروج منها بعد الدخول لان قوله تعالى وما للظالمين من انصار انما ينفى افراد الناصرين ولا تعرض فيه لشئ من الاوقات فيدل على انتفائهم فى عامة الاوقات قبل الدخول للمنع من دخولها وبعد الدخول للخروج منها والمعتزلة تمسكوا فى نفى الشفاعة للفساق بهذه الآية قالوا ان الشفاعة نوع نصرة ونفى جنس النصرة يقتضى نفى جميع انواعها واجاب المصنف عنه بمنع كون الشفاعة نوعا من النصرة حتى يكون نفى الناصر مستلزما لنفى الشفيع وذلك لان النصرة هى الدفع بطريق القهر والغلبة والشفاعة هى الدفع بطريق اللين والمسألة فنفى احدهما لا يدل على نفى الآخر ولهذا لم يكن نفيهما معا فى نحو قوله تعالى لا تنفعها شفاعة ولاهم ينصرون تكرارا فلا تصلح الآية متمسكا لنفاة الشفاعة ﴿قوله اوقع الفعل على المسمع﴾ يعنى ان فعل السماع لابد ان يتعلق بالمسموع ولا يتعلق بالذوات الا اذا وصفت بما يدل على المسموع فحينئذ يحذف المسموع اكتفاء بدلالة الصفة عليه * واعلم ان فعل السماع ان ذكر بعده ما يصح ان يسمع نحو سمعت كلامك او قرآءتك فهو حينئذ يتعدى الى مفعول واحد بالاتفاق واما ان ذكر بعده ما لا يصح سماعه بان كان من قبيل الذوات والاعيان فحينئذ لا يصح الاقتصار عليه وحده بل لابد من ذكر شئ يسمع نحو سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم بكذا وللنحويين فى هذه الصورة قولان احدهما ان يتعدى حينئذ ايضا الى مفعول واحد والجملة الواقعة بعد المنصوب فى محل النصب على انها صفة للمنصوب قبلها وعلى قول الفارسى تكون فى محل النصب على انها مفعول ثان لسمعنا وفى ايقاع الفعل على المسمع مبالغة فى تحقيق السماع لان تعيين القائل وتوصيفه بما يدل على المسموع حالة زائدة مبنية على ادعاء ان القائل المتيقن بكونه قائلا لذلك المسموع كأنه نفس ذلك المسموع وليست هذه الحالة فى ايقاع الفعل على نفس المسموع فاختار المصنف وصاحب الكشاف قول الجمهور ﴿قوله وفى تنكير المنادى واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه﴾ كون التنكير مفيدا للتعظيم شائع وكذا كون ابهام الشئ ثم تفسيره مفيدا لتعظيم ذلك الشئ مسلم مقبول لكن كون اطلاق فعل النداء وعدم تقييده بما يتعلق بالمنادى له ثم تقييده بذلك مفيدا لذلك محل بحث لان الاطلاق والتقييد المذكورين تعظيم المنادى له لانه الذى ابهم ثم فسر غاية ما فى الباب ان تعظيم المنادى له يستتبع تعظيم المنادى وتعظيم النداء المتعلق به ضرورة ان شرف المتعلق يستلزم شرف ما تعلق به ولعل مراد المصنف بقوله اطلاق المنادى ثم تقييده يفيد تعظيم شأن المنادى انه يفيد ذلك بواسطة كونه مفيدا لتعظيم شأن المنادى له لانه يفيد ذلك بالذات ﴿قوله والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم﴾ فانه ينادى ويدعو الى الايمان حقيقة قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة وداعيا الى الله باذنه وقيل المراد بالمنادى هو القرآن لا الرسول عليه السلام لان كل احد لم يلق الرسول والصفات المذكورة انما هى من صفات اولى الالباب من المؤمنين لا ممن شاهد الرسول وسمع نداءه فقط بخلاف القرآن فان كل واحد من اولى الالباب من المؤمنين سمعه وفهم مدلوله فان القرآن لاشتماله على بيان ما هو الحق فى كل باب بحيث كان من تأمله يصل به الى الحق اذا وفقه الله تعالى لذلك صار كأنه يدعو الى نفسه وينادى بما فيه واطلاق النطق على الدلالة شائع كثير وما اسند اليه من النداء وان كان مجازا عن الدلالة والارشاد الا انه مجاز متعارف ﴿قوله ونحوهما﴾ كالعود والايحاء والهداية قال تعالى ثم يعودون لما نهوا عنه ثم يعودون لما قالوا بان ربك اوحى لها الحمد لله الذى هدانا لهذا عدى الجميع باللام نظرا الى تحقق معنى الاختصاص وان جاز تعديتها بالى نظرا الى تحقق معنى الانتهاء فكل واحد من اللام والى فى موضعه ولا حاجة الى جعل احدهما بمعنى الآخر ﴿قوله اى بان آمنوا﴾ على ان تكون ان مصدرية على حذف الباء اى ينادى الى الايمان بايراد لفظ يدل على

(وما للظالمين من انصار) اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم فى الخلاص منها ولايلزم من نفى النصرة نفى الشفاعة لان النصرة دفع بقهر (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان) اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست فى ايقاعه على نفس المسموع وفى تنكير المنادى واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص (ان آمنوا بربكم فآمنا) اى بان آمنوا فامتثلنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) كبائرنا فانها ذات تبعة (وكفر عنا سيئاتنا) صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر

طلب الايمان وهو صيغة الامر فلايرد ان يقال لوكانت مصدرية كان المعنى للايمان بالايمان وهو تكرار ﴿قوله معدودين فى زمرتهم﴾ بدل من قوله مخصوصين بصحبتهم اتبعه به لبيان ان ليس المراد من التوفى مع الابرار حقيقة المعية فى التوفى لان ذلك محال ضرورة ان توفيهم انما هو على سبيل التعاقب لا المعية بل المراد ان يكونوا معدودين فى جملتهم منخرطين فى سلكهم على سبيل الكناية والحاصل انه ليس المراد من المعية المعية الزمانية بل المراد المعية فى الاتصاف بصفة الابرار حال التوفى ﴿قوله اى ماوعدتنا على تصديق رسلك﴾ بتقدير المضاف وحذفه اعتمادا على القرينة وهى كون الآية مذكورة عقب ذكر المنادى وهو الرسول وعقيب قوله آمنا وهو التصديق وعلى هذا تكون كلمة على متعلقة بقوله وعدتنا كما فى قولك وعدالله الجنة على الطاعة ﴿قوله لما اظهر امتثاله لما امر به﴾ بيان للقرينة الدالة على التقدير المذكور ﴿قوله لاخوفا من اخلاف الوعد﴾ جواب عما يقال الخلف فى وعدالله تعالى محال فكيف طلبوا ماعلموا انه واقع لامحالة وتقرير ماذكر من الاجوبة ظاهر وقولهم ماوعدتنا اشارة الى انهم انما طلبوا منافع الآخرة ومثوباتها بحكم الوعد لابحكم الاستحقاق وقوله او تعبدا عطف على قوله مخافة ﴿قوله ويجوز ان يعلق على محذوف﴾ اى منصوب على انه حال من مفعول آتنا وهو منزلا اومحمولا فان الرسل يحملون جميع ماأوحى اليهم قال تعالى فانما عليه ماحمل ويجوز ان يتعلق على بآتنا على تقدير مضاف محذوف اى آتنا اياه على ألسنة رسلك وهو حسن من حيث المعنى ﴿قوله بان تعصمنا عمايقتضيه﴾ اشارة الى دفع مايتوهم من انه لاحاجة الى قوله ولا تخزنا بعد قوله آتنا ماوعدتنا لانه متى حصل الثواب لزم اندفاع العقاب لامحالة ولوطلب ترك العقاب اوّلا ثم طلب الثواب لاستقام الكلام وحاصل الدفع ان المطلوب اوّلا هو ثواب الايمان وتصديق الرسل والمطلوب ثانيا هو العصمة من المعاصى بعد التحلى بحلية الايمان والميعاد اسم مصدر بمعنى الوعد قال جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه مما يخاف واعطاه ماأراد قيل وكيف ذلك قال اقرأوا الذين يذكرون الله قياما وقعودا الى قوله انك لاتخلف الميعاد ﴿قوله وهو اخص من اجاب﴾ فان اجاب معناه اعطى الجواب وهو قديكون بتحصيل المطلوب وبدونه واستجاب انما يقال عند تحصيل المطلوب ويعدّى بنفسه فيقال استجابه قال الشاعر

* وداع دعايا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

قال الحسن مازالوا يقولون ربنا ربنا حتى استجاب لهم ﴿قوله عمل عامل﴾ وهو ماحكى عنهم من المواظبة على ذكر الله تعالى فى جميع حالاتهم والتفكر فى مصنوعاته استدلالا واعتبارا والثناء على الله بالاعتراف بربوبيته وتنزيهه عن العبث وخلق الباطل والاشتغال بالدعاء وجعل هذه الاعمال سببا للاستجابة يدل على ان استجابة الدعاء مشروطة بهذه الامور فلما كان حصول هذه الشرائط عزيزا لاجرم كان الشخص الذى يكون مجاب الدعاء عزيزا ﴿قوله بيان عامل﴾ يعنى ان من لبيان الجنس بين جنس العامل والتقدير الذى هو ذكر اوانثى ﴿قوله اولفرط الاتصال﴾ على ان لاتكون من للابتداء كما فى الوجه الاوّل بل تكون اتصالية قال القفال هذا من قولهم فلان منى اى على خلقى وسيرتى قال تعالى فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى * قال الامام فيه وجوه احسنها ان يقال من بمعنى الكاف اى بعضكم كبعض فى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وحكى قول القفال ﴿قوله وهى جملة معترضة﴾ يعنى ان قوله بعضكم من بعض جملة استئنافية من مبتدأ وخبر جيئ بها لبيان شركة النساء مع الرجل فى الثواب الذى وعدالله به عباده العاملين ومعنى كونها معترضة انه جيئ بها بين قوله عمل عامل وبين مافصل به عمل العامل من قوله فالذين هاجروا فانه تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم ﴿قوله فنزلت﴾ اى نزل قوله انى لااضيع عمل عامل منكم من ذكر اوانثى بعضكم من بعض اى كما انكم من اصل واحد وان بعضكم مأخوذ من بعض فكذلك انتم فى ثواب العمل يثاب النسوان العاملة كما يثاب الرجل العامل وبالعكس وقوله فالذين هاجروا الخ تفصيل وبيان لوجه كونها معترضة ﴿قوله فالذين هاجروا﴾ مبتدأ وقوله لأكفرن جواب قسم محذوف تقديره والله لأكفرنّ وهذا القسم وجوابه خبر لهذا المبتدأ اخبر به عمن جمع بين الصفات المذكورة التى هى المهاجرة والاخراج من الاوطان والتأذى فى سبيل الله والقتال والمقتولية ﴿قوله بالعكس﴾ يعنى انه قرئ وقتلوا وقاتلوا على بناء الاوّل للمفعول والثانى للفاعل ولما ورد على هذه القرآءة ان يقال اذا قتلوا كيف يتصوّر ان يقاتلوا وقد تقدّم ان قوله لأكفرنّ خبر عن الذين جمعوا بين الاوصاف الواقعة صلة

(وتوفنا مع الابرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين فى زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاءالله ومن احب لقاءالله احب الله لقاءه والابرار جمع بر أوبار كأرباب واصحاب (ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك) اى ماوعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سأل ماوعد عليه لاخوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لايكون من الموعودين لسوء عاقبة اوقصور فى الامتثال اوتعبدا او استكانة ويجوز ان يعلق على بمحذوف تقديره ماوعدتنا منزلا على رسلك اومحمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك (ولاتخزنا يوم القيامة) بان تعصمنا عمايقتضيه (انك لاتخلف الميعاد) باثابة المؤمن واجابة الداعى وعن ابن عباس رضى الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة فى الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلوّ شأنها وفى الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف (فاستجاب لهم ربهم) الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدّى بنفسه وباللام (انى لااضيع عمل عامل منكم) اى بأنى لااضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول (من ذكر اوانثى) بيان عامل (بعضكم من بعض) لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر اولانهما من اصل واحد اولفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق فى الدين وهى جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روى ان ام سلمة قالت يارسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولايذكر النساء فنزلت (فالذين هاجروا) الى آخرها تفصيل لأعمال العمال وما اعدّ لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك اوالاوطان والشعائر للدين (واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى) بسبب ايمانهم بالله ومن اجله (وقاتلوا) الكفار (وقتلوا) فى الجهاد وقرأ حمزة والكسائى بالعكس لان الواو لاتوجب ترتيبا

والثانى افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير (لأكفرن عنهم سيئاتهم) لأمحونها (ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عندالله) اى أثيبهم بذلك اثابة من عندالله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد (والله عنده حسن الثواب) على الطاعات قادر عليه (لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) الخطاب للنبى عليه السلام والمراد امته او تثبيته على ما كان كقوله ولاتطع المكذبين او لكل احد والنهى فى المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لاتنظر الى

ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولاتغتر بظاهر ماترى من تبسطهم فى مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روى ان بعض المسلمين كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف اى ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته او فى جنب ما اعدّ الله للمؤمنين قال عليه الصلاة والسلام ما الدنيا فى الآخرة الامثل مايجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) اى مامهدوا لأنفسهم (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عندالله) النزل والنزل مايعدّ للنازل من شراب وطعام وصلة قال ابو السعد الضبى

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا *

وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيه الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا (وما عندالله) لكثرته ودوامه (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله) نزلت فى ابن سلام واصحابه وقيل فى اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف (وما انزل اليكم) من القرءآن (وما انزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى (لايشترون بآيات الله ثمناً قليلا) كما يفعله المحرّفون من احبارهم (اولئك لهم اجرهم عند ربهم) ما خص بهم من الاجر ووعدوه فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين (ان الله سريع الحساب) لعلمه بالاعمال ومايستوجبه من الجزآء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزآء (ياايها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعات ومايصيبكم من الشدآئد (وصابروا) وغالبوا اعدآء الله بالصبر على شدآئد الحرب او اعدى عدوّكم فى الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته (ورابطوا) ابدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه عليه السلام من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لايفطر ولاينفتل عن صلاته الا لحاجة (واتقوا الله لعلكم تفلحون)

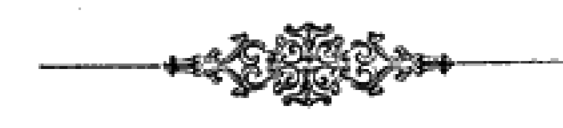
(صلى)

للموصول اجاب عنه بوجهين الاول ان الواو لاتوجب ترتيبا فيجوز ان يكون المقتول هو القاتل **قوله والثانى افضل** اى كونهم قاتلين افضل من كونهم مقتولين للكفار لانه صلى الله عليه وسلم قتل كافرا يوم احد ولم يستشهد ففى قرآءته رعاية الترقى من الادنى الى الاعلى والثانى ان المراد قتل بعضهم وقاتل آخرون ولم يضعفوا بان قتل اصحابهم **قوله اثيبهم بذلك** اشارة الى ان ثوابا منصوب على انه مصدر مؤكد بمعنى اثابة لان قوله لأكفرن عنهم ولأدخلنهم فى معنى لأثيبنهم فوضع ثوابا موضع اثابة فان الثواب فى الاصل اسم لما يثاب به كالعطاء اسم لما يعطى الا انه قديوضع موضع المصدر وقوله من عندالله صفة له قصد بتوصيفه بها تعظيم شأنه فان السلطان العظيم الشأن اذا البسك خلعة من عنده دل ذلك على كون الخلعة فى غاية الشرف وكذا ذلك الثواب فى غاية الشرف لقوله والله عنده حسن الثواب **قوله والمراد امته** قال قتادة رضى الله عنه والله ماغرّ نبى قط حتى قبضه الله تعالى فالغرور مصدر قولك غررت الرجل بما يستحسنه فى الظاهر ثم يجده عند التفتيش على خلاف مايحبه والنهى فى معنى المخاطب لان المعنى لاتغتر بتقلبهم لان نفس التقلب لما كان سببا لاغترار المخاطب بناء على ان التقلب لوغرّه لاغترّ به نزل السبب منزلة المسبب فورد النهى عن السبب والمراد النهى عن المسبب وهو الاغترار مجازا او كناية والمقصود المبالغة فى النهى عن الاغترار **قوله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الآخرة** اى ماتقدير الدنيا واعتبارها فى جنب الآخرة وبالاضافة اليها وقوله فى الآخرة حال عاملها التقدير المقدّر مضافا الى الدنيا وقوله الامثل مايجعل اى مثل جعل شبه تقديرها بجعل الاصبع فى اليم والحديث ينص على ان المراد بقلة الدنيا قلتها بالنسبة الى نعيم الآخرة والمتاع اسم لمايتمتع به **قوله وكنا اذا الجبار** الجبار السلطان الممتنع عن قبول النصيحة وضافنا اى نزل بنا ضيفا وفيه تهكم والباء فى بالجيش للتعدية او المصاحبة والقنا الرماح والمرهفات السيوف المحدّدة والمعنى اذا جعل الجيش ضيفالنا او اذا صار مع الجيش ضيفالنا قريناهم بالرماح والسيوف **قوله وانتصابه** اى وانتصاب نزلا على انه حال من جنات لانها تخصصت لوصف قرأ الجمهور بتخفيف لكن فيكون الموصول فى محل الرفع بالابتدآء ووجه الاستدراك انه سبحانه وتعالى لما وصف الكفار بقلة نفع تقلبهم فى البلاد لاجل التجارة جاز ان يتوهم متوهم ان قلة النفع من لوازم التقلب من حيث هو استدرك ان المتقين وان تقلبوا واصابوا ما اصابه الكفار اولم يصيبوا لهم مثوبات لايقادر قدرها **قوله فى اصحمة** بالصاد والحاء المهملتين اسم علم لملك من ملوك الحبش وكان نصرانيا اسلم قبل الفتح ومات قبله ايضا والنجاشى بفتح النون وتخفيف الجيم وبالشين المعجمة لقب ملك الحبشة روى انه لما مات نعاه جبريل عليه الصلاة والسلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه * اخرجوا فصلوا على اخ لكم بغير ارضكم * فقالوا من هو قال * النجاشى فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فأبصر سرير النجاشى وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج حبشى نصرانى لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله تعالى هذه الآية والعلج هو القوى الغليظ من الكفار وقد يستعمل فى كل كافر من غير العرب والحنفية لايرون الصلاة على الغائب ويقولون سبب صلاة الجنازة حضور ميت مسلم فان صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصر سرير النجاشى فلا يصلح الحديث حجة للامام الشافعى رحمه الله عليه فى تجويزه الصلاة على الغائب لانه لم يكن غائبا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم وان لم يصح ذلك تكون الصلاة على النجاشى رحمه الله عليه مكرمة له مخصوصة ألا ترى انه لم يصل على غيره من المؤمنين الغيب **قوله وانما دخلت اللام على الاسم** اى على اسم ان فى قوله لمن يؤمن مع ان النحاة منعوا دخول لام الابتدآء عليه بناء على انتفاء المانع من دخولها عليه وهو توالى حرفى التأكيد ولما توسط الخبر بين ان واسمها انتفى المانع من دخولها عليه فدخلت لذلك **قوله تعالى خاشعين لله** اى لاجل الله وقوله تعالى لايشترون اما حال ثانية من فاعل يؤمن او من الضمير المستكنّ فى قوله خاشعين اى خاشعين غير مشترين **قوله ما خص بهم من الاجر** اختصاص الاجر بهم مستفاد من اضافته اليهم **قوله اواعدى عدوّكم** عطف على اعدآء الله والمراد به النفس الامارة بالسوء **قوله رحمه الله تعالى عليه وتخصيصه** جواب عما يقال مامعنى الامر بالمصابرة مع انها نوع خاص من الصبر فتكون مأمورا بها ايضا وتقريره انه من قبيل عطف الخاص على العام لشدته وصعوبته وكونه اكمل وافضل من الصبر على ماسواه كما عطف جبريل على الملائكة لعظمته والمرابطة من الربط وهو الشد والعدل بالفتح المثل من غير الجنس وبالكسر المثل من الجنس **قوله**

صلى الله عليه وسلم الاحاجة ﴾ متعلق بالفعلين وتعدد الامان بحسب تعدد اجزآء الزمان و المسافة والله اعلم
❁ الى هنا تم ما كتب على سورة آل عمران بحمد الله الملك المنان ❁

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطى بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

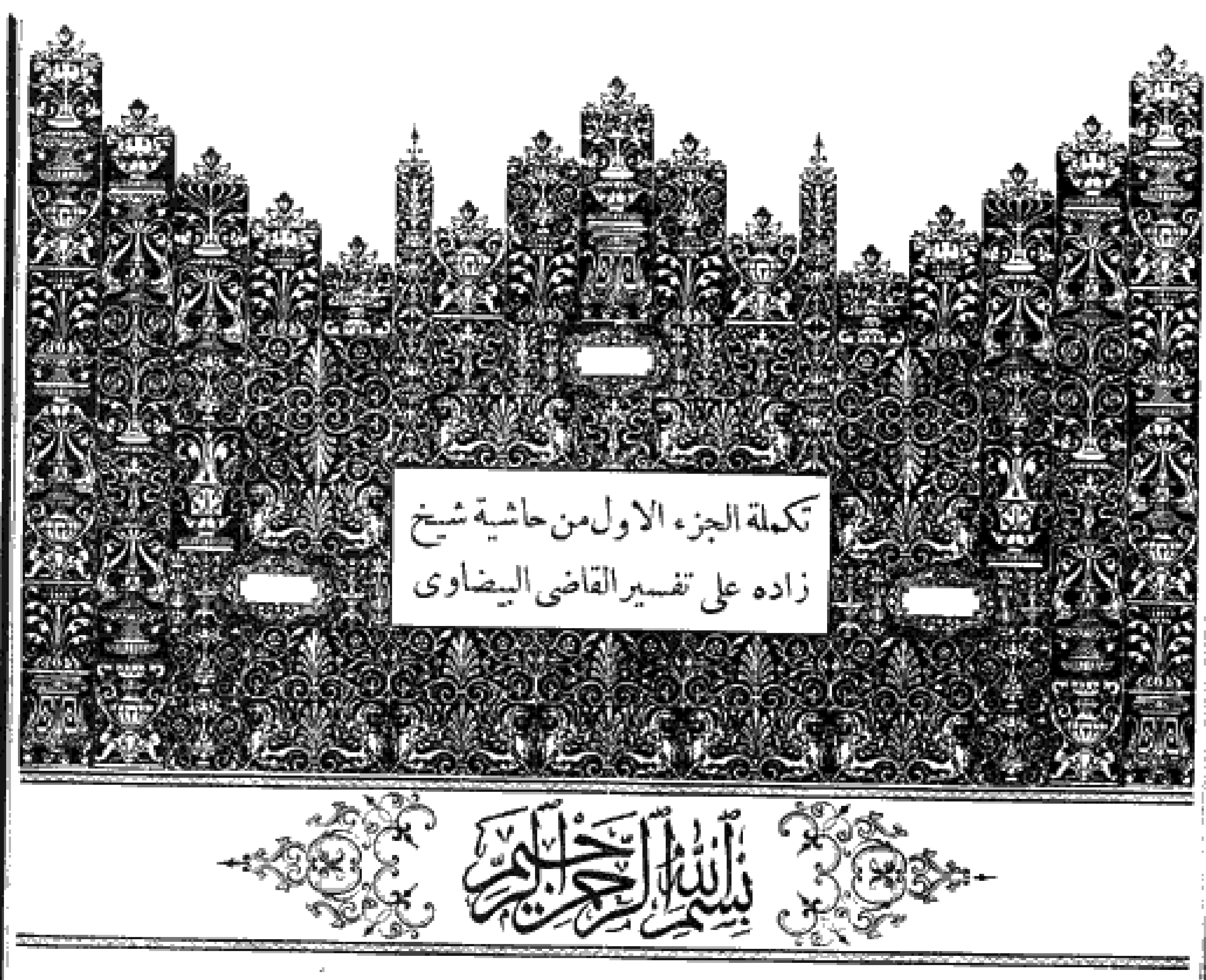
قد طبع هذا الجزؤ الاول المنتهى بآخر سورة آل عمران * من حاشية شيخ زاده على القاضى البيضاوى اسكنه الله فى الجنان * باكمل تصحيح واتم ترتيب فى المطبعة العثمانية * صانها الله تعالى عن الآفات والبلية
لثمان خلون من ذى الحجة الشريفة * سنة خمس وثلاثمائة بعد الالف * من
هجرة من له السعادة والشرف * صلى الله عليه وعلى آله واصحابه
ماهبت الرياح * ولاح الفلاح



تمت الجلد الاول

﴿ طبع فى المطبعة النفيسة العثمانية لازالت شرفها الى يوم القيامة ﴾

١٣٠٥



سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قوله تعالى اتقوا ربكم اعلم ان الله تعالى افتتح هذه السورة الكريمة بالامر بتقوى الله الذى هو خالقنا على كيفية بديعة وهى انه تعالى خلق نفسا واحدة من تراب اولا ثم خلق من بعض اضلاعها زوجها ونشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بنين وبنات لا تحصى ثم ذكر سائر التكاليف المذكورة فى هذه السورة من التعطف على الاولاد والنساء والايتام والرأفة بهم وايصال حقوقهم وحفظ اموالهم وبهذا المعنى ختمت السورة وهو قوله يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وذكر فى اثناء هذه السورة انواعا اخر من التكاليف وهى الامر بالطهارة والصلاة وقتال المشركين وغيرها والسر فيه والله اعلم ان هذه التكاليف شاقة تستثقل الطباع لها والنفوس لاتقيد بها مالم يحمل عليها حامل وذلك الحامل هو تقوى الاله القادر على كل شئ فان تقوى الله عز وجل هو الحامل على اتيان كل خير واجتناب كل شر فلذلك افتتح بالامر بالتقوى ورتب عليه سائر التكاليف **قوله** اى خلقكم من شخص واحد لا بان جعل ذلك الشخص مادة الخلق كما فى قوله تعالى خلقكم من طين بل المراد بخلقهم منه جعله اصلا يتفرع منه الفروع ويتشعب منه الشعب وليس المراد من الناس ما يتناول نوع الانسان وجميع افراده من آدم وحوآء وفروعهما لئلا يلزم ان يكون متفرعا من نفسه ويكون خلق الزوج وبث الرجال والنساء داخلين فى قوله خلقكم من نفس واحدة فيكون ذكرهما بعده تكرارا بل المراد منه ما يتناول اولاد آدم من الذكور والاناث على سبيل تغليب الموجودين على الماضين والآتين فلا يكون قوله وخلق منها زوجها تكرارا سوآء جعل معطوفا على خلقكم او على محذوف بل جيء به دفعا لما يتوهم من انه كيف يصح ان يحكى عنهم بانهم مخلوقون من نفس واحدة مع كونهم مخلوقين من نفس آدم وحوآء وتقريرا لخلقهم من نفس واحدة فان زوجها لما خلق منها صح ان يقال لمن يتفرع منهما انهم مخلوقون من نفس واحدة فكان قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيانا لكيفية تولدهم منهما * روى ان الله لما خلق آدم ألقى عليه النوم ثم خلق حوآء من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما استيقظ مال اليها وألفها لانها مخلوقة من جزء من اجزآئه قال عليه الصلاة والسلام * ان المرأة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها وان تركتها وبها عوج استمتعت بها * وقيل ان حوآء لم تخلق من آدم وانما خلقت من طينة فضلت من

(سورة النساء مائة وخمس وسبعون آية مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا ايها الناس) خطاب بنى آدم (اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) هى آدم (وخلق منها زوجها) عطف على خلقكم اى خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حوآء من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة

طينته و ان قوله تعالى وخلق منها زوجها فيه تقدير مضاف اى وخلق من جنسها زوجها واختاره ابومسلم الاصفهاني وجعله كقوله تعالى والله خلق لكم من انفسكم ازواجا وقوله اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم وقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم قال القاضي والقول الاول اقوى لقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة اذ لوكانت حوآء مخلوقة لامن آدم لكان الناس مخلوقين من نفسين لانفس واحدة واجيب بان كلمة من لابتدآء الغاية فلما كان ابتداء التخليق والايجاد وقع بآدم صح ان يقال خلقكم من نفس واحدة ﴿قوله اذ الحكمة تقتضى ان يكنّ اكثر﴾ اى لم يصرّح بتوصيف النساء بالكثرة لكون كثرتهنّ معلومة باقتضاء الحكمة اياها فانه تعالى خلقهن لتكثير الاولاد وتفريقهم في اقطار البلاد ومن اراد تكثير الغلة يكثر المزارع ويجعلها اكثر من الحارث واجاب عنه الامام بقوله السبب فيه والله اعلم ان شهرة الرجال اتم وكانت كثرتهم اظهر واعرف فلاجرم خصوا بوصف الكثرة فهذا كالتنبيه على ان اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج والبروز واللائق بحال النسوان الاختباء والخمول ويمكن حمل عبارة المصنف على ما افاد الامام ﴿قوله وذكر كثيرا﴾ يعني ان كثيرا صفة رجالا والجموع تعامل معاملة الاناث ولم يؤنث صفته حملا على المعنى لان رجالا بمعنى عددا وجمع او جنس كما ذكر الفعل المسند الى جمع المؤنث في قوله وقال نسوة ﴿قوله وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة﴾ وهي خلقه تعالى اياهم على تفاوت اشكالهم واخلاقهم من نفس واحدة ومعنى الترتيب مستفاد من تعليق الامر بالتقوى على توصيفه تعالى بالوصف المذكور فانه يشعر بعلية الوصف لذلك الحكم وهو الامر بالتقوى فلابدّ من المناسبة بين الوصف المذكور والحكم وتلك المناسبة ان الوصف المذكور لدلالته على كمال القدرة وتمام النعمة التي هي نعمة الايجاد والتخليق يوجب التقوى اى الاتقاء عما يؤثم فعله او تركه وايضا الامر بالتقوى ذكر تمهيدا لما ذكر بعده من الاحسان الى النسوان والايتام ونحوهما وكون الخلق باسرهم مخلوقين من نفس واحدة له اثر عظيم في هذا المعنى فذكر الوصف المذكور ليصير ذلك سببا لزيادة شفقة الخلق بعضهم على بعض ويتم بذلك امر كون الامر بالتقوى تمهيدا لما بعده فان الخلق باسرهم لما خلقوا من نفس واحدة كان بينهم مواصلة وقرابة توجب مزيد المحبة والملاطفة لاسيما اذا كانت بينهم مشاركة في المنزل او كان بعضهم عاجزا عن القيام بمصالح نفسه كالايتام والضعفاء قرأ الكوفيون قوله تعالى تساءلون بتخفيف السين على حذف احدى التاءين تخفيفا والاصل تتساءلون وقرأ الباقون بالتشديد على ادغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الهمس ولهذا تبدل من السين فيقال ست والاصل سدس والتساؤل بالله وبالرحم هو مثل ان تقول لمن تلتمس منه قضاء حقك عليه او نواله او معونته ونصرته استعطافا له فيما تلتمس منه اسألك بالله وبالرحم وقد جرت عادة العرب على انه يستعطف الرجل غيره بالله وبالرحم وربما يفرد الرحم بالذكر فيقال اسألك بالرحم والتساؤل يجوز ان يكون بمعنى المشاركة في السؤال وان يكون بمعنى فعل ويدل عليه قرآءة عبد الله تسألون من سأل الثلاثي واختاره المصنف حيث قال اى يسأل بعضكم بعضا ودلت الآية على جواز المسئلة بالله وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام * من سألكم بالله اعطوه * وعن البرآء بن عازب قال امرنا رسول الله عليه الصلاة والسلام بسبع منها ابرار القسم اى بقضاء حاجة من سألك بالله وقرأ الجمهور والارحام بنصب الميم وفيه وجهان احدهما انه معطوف على محل الجار والمجرور في به كقولك مررت بزيد وعمرا ويؤيده قرآءة ابن مسعود تساءلون به وبالارحام والثاني انه معطوف على لفظ الجلالة اى اتقوا الله والارحام اى لاتقطعوها وقدّر بعضهم مضافا اى وقطع الارحام ففي الآية دلالة على تحريم قطيعة الرحم ووجوب صلتها عن عبد الرحمن بن عوف انه سمع رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول * قال الله سبحانه وتعالى انى خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته * وعن ابى هريرة قال قال عليه الصلاة والسلام * مامن شئ اطيع الله فيه اعجل ثوابا من صلة الرحم ومامن عمل عصى الله به اعجل عقوبة من البغى واليمين الفاجرة * وعن انس بن مالك قال عليه الصلاة والسلام * ان الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما المحذور والمكروه * وقال عليه الصلاة والسلام * افضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح * قيل الكاشح العدوّ فثبت بدلالة الكتاب وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها ثم ان اصحاب ابى حنيفة بنوا على هذا الاصل مسألتين احداهما ان الرجل اذا ملك ذارحم محرم منه عتق عليه مثل الاخ والاخت والعمة والخالة لانه لو بقى الملك حل الاستخدام بالاجماع لكن الاستخدام ايحاش يوجب قطيعة الرحم وذلك حرام بناء على هذا الاصل فوجب ان لايبقى الملك وثانيتهما ان الهبة لذى الرحم المحرم لايجوز الرجوع

(وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى ان يكنّ اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها اولان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبنى جنسه على مادلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث (واتقوا الله الذى تساءلون به) اى يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بطرحها (والارحام) بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا اوعلى الله اى اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولاتقطعوها

فيما لان ذلك الرجوع ايحاش يوجب قطيعة الرحم فوجب ان لايجوز ﴿ قوله وهو ضعيف ﴾ لانه عطف الظاهر على المضمر المجرور من غير اعادة الجار وهو لايجوز عند البصريين فلابدّ للعطف من اعادة الخافض لانهم لم يستحسنوا عطف الظاهر على الضمير المرفوع من غير تأكيده بمنفصل فلم يقولوا اذهب وزيد بل قالوا اذهب انت وزيد لئلا يلزم العطف على ماهو بمنزلة الجزء من الكلمة وهو الضمير المرفوع المتصل والضمير المجرور اقوى اتصالا بالجار من المرفوع المتصل اذ المرفوع المتصل قد ينفصل والضمير المجرور لاينفصل البتة فاذا لم يجز العطف على الضمير المرفوع لكونه كبعض الكلمة فلأن لايجوز العطف على المضمر المجرور مع انه لاينفصل البتة اولى * واجيب عنه بانه جرّه احد القرآء السبعة والظاهر انه لم يأت بهذه القرآءة من عند نفسه بل رواها عن النبي عليه الصلاة والسلام وذلك يوجب القطع بصحة هذه القرآءة ولاالتفات الى اقيسة النحاة عند تحقق السماع وقد ورد ذلك فى الشعر وانشد فى ذلك سيبويه امام العربية قول الشاعر

❁ فاليوم قد صرت تهجونا وتشتمنا ❁ فاذهب فمابك والايام من عجب ❁

واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما وصى عامة المكلفين بالتقوى المستلزمة الانقياد لتكاليف الله تعالى والاجتناب عن مساخطه شرع بعد ذلك فى تفصيل اقسام التكاليف فابتدأ بما يتعلق باموال اليتامى وامر الاوصياء والاولياء بان يعطوهم اموالهم اذا بلغوا واسم اليتيم بحسب اصل اللغة يتناول الصغير والكبير لاستوآء معنى الانفراد عن الآباء فى الكل الا انه بحسب العرف يختص بالصغير وقول قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه يتيم ابى طالب اما على ارادة معناه الاصلى اللغوى واما على حكاية الحال التى كان عليها حين كان صغيرا ناشئا فى حجر عمه وقوله عليه الصلاة والسلام لايتم بعد الحلم تعليم للشريعة لاتعليم اللغة يعنى ان اليتيم اذا احتلم فانه لايجرى عليه احكام الصغار ﴿ قوله اما على انه لما جرى مجرى الاسماء الخ ﴾ جواب عما يقال ان يتيم فعيل وفعيل فى الصفة لايجمع على فعالى عند اهل اللغة بل يجمع على فعال نحو كريم وكرام وفعلاء نحو كريم وكرماء وشهيد وشهداء وفعل نحو نذير ونذر وقبيل وقبل وفعلى نحو مريض ومرضى وجريح وجرحى وافعلة نحو قفيز واقفزة وفعلان نحو قفيز وقفزان وافعلاء نحو نبى وانبياء وافعال نحو شريف واشراف فكيف جمع يتيم على يتامى واجاب عنه بوجهين الاوّل ان يتيما وان كان فعيلا فى الصفة الا انه اجرى مجرى الاسماء كصاحب وفارس ولهذا قلما يذكر معه الموصوف وفعيل اذا كان اسما يجمع على فعائل قياسا مطردا نحو افيل وافائل وفى الصحاح الافائل والافائل صغار الابل بنات المخاض ونحوها وواحدها افيل والانثى افيلة وفعيل فى الصفة وان كان يجمع ايضا على فعائل الا انه قليل نادر فلما كان يتيم جاريا مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قدم الميم على الياء فصار يتامى بكسر الميم ثم ابدلت الكسرة فتحة والياء ألفا فصار يتامى ويؤيد هذا الجواب ورود الجمع على الاصل فى قول الشاعر

❁ أأطلال حسنى بالبراق اليتائم ❁ سلام على احجاركنّ القدائم ❁

وحسنى علم امرأة والبراق جمع برقة وهى المكان الذى فيه حجارة سود وبيض والجواب الثانى ان اليتيم فعيل من باب الآفات والاوجاع وكل فعيل من هذا الباب قياس جمعه ان يجيء على فعلى كربض ومرضى وجريح وجرحى وقتيل وقتلى وجريب وجربى واسير واسرى فجمع يتيم على يتمى ثم يتمى على يتامى كما جمع اسير على اسرى ثم جمع اسرى على اسارى فيمن فتح الهمزة ﴿ قوله والاشتقاق ﴾ اى اشتقاق اليتيم من اليتم بمعنى الانفراد يقتضى جواز اطلاقه على الصغار والكبار لعدم الفرق بينهما فى معنى الانفراد عن الآباء لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ فورد أن يقال لما كان اسم اليتيم مختصا بالصغير لزم ان يكون الاوصياء والاولياء مأمورين بدفع اموال الايتام اليهم ماداموا ايتاما صغارا وذا لايجوز فى الشرع واذا صار كبيرا بحيث اونس منه الرشد وجاز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فكيف قال وآتوا اليتامى اموالهم فاجاب عنه بوجهين الاوّل ان المراد باليتامى الذين بلغوا وكبروا وسماهم الله يتامى اما على مقتضى الاشتقاق واصل اللغة واما على الاتساع لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال ذلك عنهم فى ذلك الوقت كقوله تعالى فالقى السحرة ساجدين اى الذين كانوا سحرة قبل السجود والنكتة فى اختيار طريق التجوز الحث على تعجيل الدفع اوّل بلوغهم الى حدّ النكاح بان بلغوا مبلغ الرجال والنساء فان آنستم وابصرتم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والوجه الثانى من الجواب ان المراد باليتامى الصغار والمعنى وآتوا اليتامى اى الذين هم يتامى فى الحال اموالهم بعد زوال صفة اليتم عنهم فان لفظ آتوا امر والامر يحتمل الحال والمستقبل والمراد هنا الثانى

وقرأ حمزة بالجرّ عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول ألا من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا مطلعا (وآتوا اليتامى اموالهم) اى اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذى مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرّة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضى وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده فى الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اوّل بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا اولغير البلغ والحكم مقيد وكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاوّل ماروى ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير

﴿قوله ولاتستبدلوا الحرام﴾ وهو مال اليتيم بالحلال وهو مالهم الذى ابيح لهم جعله تفعل بمعنى استفعل وهو كثير نحو تعجل بمعنى استعجل وتأخر بمعنى استأخر يقال تبدّل الشئ بغيره اذا اخذه مكان غيره فان التبدل يتعدى الى المأخوذ بنفسه والى المتروك بواسطة الباء بخلاف التبديل فانه يتعدى الى المتروك بنفسه والى المأخوذ بواسطة الباء كما اشار اليه المصنف بقوله وهذا تبديل وليس بتبدّل يعنى ان اعطاء المفعول بالذات وتركه واخذ المفعول بالواسطة بدله هو التبديل لاالتبدّل وذلك لان معنى التبديل التغيير فاذا قيل بدّل الشئ بغيره يكون معناه غيرالشئ بغيره بان ترك الشئ واخذ غيره فالباء لاتدخل فى التبديل الاعلى المأخوذ واما التبدّل والاستبدال جميعا بمعنى اخذالشئ مكان الغير وبدلا منه فالباء لاتدخل الاعلى المتروك وذكر للاستبدال ثلاثة اوجه الاوّل اكل اموالهم الحرام بدل ما ابيح لهم من اموالهم على ان يكون المراد من الخبيث والطيب الاموال والثانى استبدال الامر الخبيث بالامر الطيب على ان يكون الخبيث والطيب من صفات الافعال واختزال الشئ اقتطاعه واقتطافه لنفسه والثالث اخذ النفيس من اموال اليتيم واعطاء الخسيس مكانه روى ان اولياء اليتامى كانوا يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردئ كأخذ الشاة السمينة من ماله وجعل المهزولة مكانها واخذ الدرهم الجيد وجعل الزيف مكانه ثم يقولون شاة بشاة ودرهم بدرهم فنهوا عن ذلك ولم يرض المصنف رحمه الله بهذا الوجه حيث قال وهذا تبديل وليس بتبدّل لان الطيب فى هذا الوجه هو المأخوذ وهو مدخول الباء والباء فى التبدّل لاتدخل الاعلى المتروك بخلاف التبديل وقيل الاستبدال المنهى عنه هو ان يكرم صديقه بان يعطيه شاة سمينة من مال اليتيم ويأخذ لليتيم شاة عجفاء اوبان يكون فى ذمة صديقه شاة سمينة لليتيم فيأخذ منه شاة عجفاء مكان السمينة مكارمة له فيتحقق على هذا معنى التبدّل ﴿قوله مضمومة الى اموالكم﴾ اشارة الى ان كلمة الى متعلقة بمحذوف منصوب على انه حال من مفعول لاتأكلوا نهى فى الآية المتقدمة عن اكل مال اليتيم وحده لما مرّ من ان المراد بالخبيث اموال اليتامى فانها خبيثة فى حق الاولياء فقدنهاهم عن اكل اموال اليتامى بدل اكل اموال انفسهم ثم نهاهم عن ضم مال اليتامى الى اموال انفسهم فى الانفاق وان لايفرّقوا بين اموال اليتامى واموالهم قلة مبالاة وتسوية بين المالين فى حل الانتفاع بهما ﴿قوله اى لاتنفقوهما معا﴾ اشارة الى ان المراد بالاكل المنهى عنه مطلق التصرّف المهلك للمال وعبر عنه بالاكل لكونه معظم مايقع التصرّف لاجله وقرينة المجاز ان منفعة المال غير منحصرة فى الاكل وجميع وجوه الانتفاع بمال اليتيم حرام فلذلك حمل اللفظ على مايتناول الجميع وخص الاموال بمازاد على مقدار اجرة السعى والقيام بمصالح امواله فان للوصى ان يأخذ من مال اليتيم بقدر اجرة عمله كما قال به جماعة تمسكا بماروى انه جاء رجل الى ابن عباس رضى الله عنهما فقال ان لى يتيما وان له ابلاأفأشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغى ضالة ابله وتهنأجرباها وتلوط حوضها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غيرمضرّ بنسل ولاناهك فى الحلب وقرأ الجمهور حوبا بضم الحاء وقرأ الحسن بفتحها نحوقولا وبعضهم حابابالالف نحوقالا والكل لغات فى المصدر والفتح لغة تميم ﴿قوله تعالى وان خفتم ان لاتقسطوا﴾ قرأ الجمهور بضم التاء من اقسط اذاعدل فتكون لاعلى هذه القرآءة نافية غيرزائدة والمعنى ان خفتم عدم الاقساط اى العدل وقرأ ابراهيم النخعى ويحيى بن وثاب بفتح التاء من قسط بمعنى جار فاذا قيل اقسط تكون الهمزة للسلب اى ازال القسط وهو الجور وكلمة لاعلى هذا تكون زآئدة والايفسد المعنى كما فى قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وحكى عن الزجاج ان قسط الثلاثى يستعمل مثل اقسط الرباعى فعلى هذاتكون كلمة لاغيرزآئدة كما فى القرآءة المشهورة الاان التفرقة بين الثلاثى والرباعى هى المعروفة لغة يقال قسط الرجل يقسط قسوطا اذا جاروا قسط اذا عدل قال تعالى واماالقاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقال تعالى وأقسطوا ان الله يحب المقسطين روى ان الحجاج لما احضر سعيد بن جبير قال له ماتقول فىّ قال قاسط عادل فاعجب الحاضرين قال الحجاج ويلكم لم تفهموا منه انه جعلنى جائرا كافرا الم تسمعوا قوله تعالى واماالقاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقوله تعالى وان خفتم شرط وقوله فانكحوا جزآؤه وذكر لتعلق الجزآء بالشرط المذكور ثلاثة اوجه الاوّل ان الرجل منهم كان يتزوّج اليتيمة التى فى ولايته فلما نزلت الآية المتضمنة للوعيد على اكل مال اليتيم تحرّجوا من ذلك فقيل لهم ان خفتم من نكاح النساء اليتامى والقيام بحقوقهنّ فانكحوا ماطاب لكم من غيرهنّ اى ممن كان لها من يدرأ عنها ويدفع عنها سوء معاملة الزوج معها والوجه الثانى انه لما نزلت الآية المتقدمة

(ولاتتبدّلوا الخبيث بالطيب) ولاتستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذى هو حفظها وقيل ولاتأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدّل (ولاتأكلوا اموالهم الى اموالكم) ولاتأكلوها مضمومة الى اموالكم اى لاتنفقوهما معا ولاتسوّوا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف (انه) الضمير للاكل (كان حوبا كبيرا) ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا

متضمنة ما فى اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء من ان يلحق بهم الحوب الكبير بترك الاقساط فى حقوق اليتامى فتحرّجوا من ولايتهم ومع ذلك كانوا يتزوّجون نساء كثيرة وربما كان تحت رجل واحد منهم عشر من الازواج او اكثر فلا يقوم بحقوقهنّ ولا يعدل بينهنّ فقيل لهم ان خفتم ترك العدل فى حقوق اليتامى فتحرّجتم من ولايتهم فخافوا ايضا من الجور فى حقوق النساء وترك العدل بينهن وقللوا عدد المنكوحات لان تكثيره يؤدّى الى الجور فان من تحرّج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب ذنبا آخر غير مبال به فكأنه غير متحرّج من الذنب الاوّل اذلاتنفع التوبة من ذنب مع ارتكاب مثله والوجه الثالث ماذكر بقوله وقيل كانوا يتحرّجون الخ يعنى انهم كانوا لايتحرّجون من الزنى ولما نزلت الآية المتقدمة تحرّجوا من ولاية اليتامى فقيل لهم ان خفتم فى حق اليتامى فكونوا خائفين من الزنى فانكحوا ماحل لكم من النساء ولاتحوموا حول المحرّمات قال عكرمة فى كيفية تعلق هذا الجزآء بالشرط المذكور انه كان الرجل عنده النسوة ويكون عنده الايتام فاذا انفق ماله على النسوة وصار محتاجا اخذ فى انفاق اموال اليتامى عليهنّ فقال تعالى وان خفتم ان لاتقسطوا فى اموال اليتامى عند كثرة الزوجات فقد حرم عليكم نكاح اكثر من اربع زوجات ليزول هذا الخوف فان خفتم فى الاربع فثلاث وان خفتم فى الثلاث فاثنتان وان خفتم فيهما فواحدة خوّف الله تعالى من تكثير المنكوحات لتأديته غالبا الى تعدّى اولياء اليتيم فى حفظ ماله لاحتياجهم الى الانفاق الكثير عند التزوّج بالعدد الكثير ﴿قوله وانما عبر عنهنّ بما﴾ يعنى ان حق ما ان تستعمل فى غير ذوى العقول كما ان حق من ان يستعمل فى ذوى العقول واستعمل كلمة ما هنا وفى الجوارى المملوكة بناء على انها لم يرد بها الذوات المملوكة بل اريد الوصف فقوله ماطاب اريد به الطيب بمعنى الملذ او الحلال وهو صادق على العاقل وغيره وفى شرح الرضى وما فى الغالب لما لم يعلم وتستعمل ايضا فى الغالب فى صفات العالم نحو زيد ماهو وماهذا الرجل فهو سؤال عن صفته والجواب عالم او نحو ذلك وقول فرعون ومارب العالمين يجوز ان يكون سؤالا عن الوصف ولهذا قال موسى عليه الصلاة والسلام رب السموات والارض ويجوز ان يكون سؤالا عن الماهية ويكون موسى عليه الصلاة والسلام اجابه ببيان الاوصاف دون بيان الماهية تنبيها لفرعون على انه تعالى لايعرف الابالاوصاف ولاتعرف ماهيته البشر وقال بعضهم عبر عنهنّ بما تنزيلا لهنّ منزلة غير العقلاء لنقصان عقلهنّ كقوله تعالى الاعلى ازواجهم او ماملكت ايمانهم وقال بعضهم كل واحد من كلمتى ما ومن تستعمل موضع الاخرى قال تعالى والسماء ومابناها وقال ولا انتم عابدون مااعبد وقال فمنهم من يمشى على بطنه قال الامام الواحدى وصاحب الكشاف ماطاب لكم اى ماحل لكم من النساء لان منهنّ من يحرم نكاحها وهى الانواع المذكورة فى قوله تعالى حرّمت عليكم امهاتكم وبناتكم الخ واعترض الامام الرازى بان قوله تعالى فانكحوا امر اباحة فلو كان المراد بماطاب لكم ماحل لكم لكانت الآية بمنزلة ان يقال ابحنا لكم نكاح من يكون نكاحها مباحا لكم وذلك يخرج الآية من الفائدة وايضا تصير الآية مجملة على ذلك التقدير لان اسباب الحل والاباحة لم تبين فى هذه الآية فصارت مجملة لامحالة واذا حملنا الطيب على ماتستلذه النفس ويميل اليه القلب كانت الآية عامة دخلها التخصيص وقد ثبت فى اصول الفقه انه متى وقع التعارض بين الاجمال والتخصيص كان رفع الاجمال اولى لان العام المخصوص حجة فى غير محل التخصيص والمجمل لايكون حجة اصلا واجيب عنه بان المبين تحريمه فى قوله حرّمت عليكم امهاتكم الآية ان كان مقدّم النزول فلا اجمال لان المعنى فانكحوا مابين لكم حله ولكن مقيدا بالعدد المخصوص فليس فى قوّة ابيح المباح لافادة الزيادة ولا اجمال ولاتخصيص لان الموصول جار مجرى المعرف باللام والحمل على العهد فى مثله هو الوجه والا فالاجمال المؤخر بيانه اولى من التخصيص بغير المقارن لان تأخير بيان المجمل جائز عند الفريقين وتأخير بيان التخصيص غير جائز عند اكثر الحنفية ثم ان الظاهر ان ما فى ماطاب موصولة اسمية منصوبة المحل على انها مفعول فانكحوا ومن النساء بيان الجنس المبهم فى ما ومثنى منصوب على الحال من فاعل طاب ﴿قوله معدولة عن اعداد مكرّرة﴾ فان قولك انكح مثنى بمنزلة قولك انكح ثنتين ثنتين وكذا الباقى وكل واحدة من هذه الصيغ الثلاث معدولة عن صيغة اخرى من لفظ عدد مكرّر ولايراد بتكرير المعدول عنه التأكيد وانما يراد به تكرير العدد كقولك علمته الحساب بابابابا فقد تحقق العدد فى هذه الالفاظ وهى ايضا اوصاف لانها احوال من فاعل طاب والحال هيئة وصفة لذى الحال فمنعت الصرف للعدل والصفة وهو مذهب سيبويه رحمه الله واختلف فى ان هذه

(وان خفتم ان لاتقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء) اى ان خفتم ان لاتعدلوا فى يتامى النساء اذا تزوّجتم بهنّ فتزوّجوا ماطاب لكم من غيرهنّ اذا كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوّجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهنّ عدد ولايقدر على القيام بحقوقهنّ او ان خفتم ان لاتعدلوا فى حقوق اليتامى فتحرّجتم منها فخافوا ايضا ان لاتعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرّج من الذنب ينبغى ان يتحرّج من الذنوب كلها على ماروى انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرّجوا من ولايتهم وماكانوا يتحرّجون من تكثير النساء واضاعتهنّ فنزلت وقيل كانوا يتحرّجون من ولاية اليتامى ولايتحرّجون من الزنى فقيل لهم ان خفتم ان لاتعدلوا فى امر اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ماحل لكم وانما عبر عنهنّ بما ذهابا الى الصفة او اجرآء لهنّ مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهنّ ونظيره او ماملكت ايمانهم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لامزيدة اى ان خفتم ان تجوروا (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن اعداد مكرّرة هى ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهى غير منصرفة للعدل والصفة

الالفاظ المعدولة هل يجوز فيها القياس او يقتصر فيها على السماع فذهب البصريون الى انه لا يجوز فيها القياس وذهب الكوفيون وابو اسحق الى جوازه والمسموع من ذلك احد عشر لفظا أحاد وموحد وثناء ومثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع ومخمس ولم يسمع خماس وعشار ومعشر ﴿قوله فانها بنيت صفات﴾ جواب عما يقال كيف اعتبر الوصفية مؤثرة في منع صرف هذه الالفاظ المعدولة مع انتفاء شرط تأثير الوصف في منع الصرف وهو كون الوصفية اصلية ووصفية هذه الالفاظ ليست اصلية لان اصولها انما وضعت للعدد ولا وصفية فيها ولهذا صرف اربع في قولك مررت بنسوة اربع لعروض الوصفية والوصفية لما لم تكن معتبرة في المعدول عنه لم تكن الوصفية فيه اصلية فكيف كانت مؤثرة * وتقرير الجواب ان الوصفية فيه اصلية بناء على ان المراد بكون وصفية الكلمة اصلية كونها موضوعة للدلالة على الذات باعتبار المعنى القائم بها وهذه الالفاظ كذلك فانها حين ما عدلت عن اصولها لم تبق الاصفة وعدم كون اصولها موضوعة على الوصفية لا يضر كون وصفيتها اصلية ﴿قوله وقيل لتكرير العدل﴾ اى من حيث انها معدولة باعتبارين باعتبار الصيغة بناء على انها اخرجت عن اوزانها الاصلية الى اوزان اخر وباعتبار التكرير بناء على ان التكرير الكائن في اصولها ترك وعدل عنه الى التوحيد فكما انها معدولة عن نفس صيغ اصولها فهي ايضا معدولة عن تكرر تلك الصيغ فتكرر العدل فيها ولعل المصنف رحمه الله انما لم يرض بهذا الوجه نظرا الى ان العدل عبارة عن تغيير الصيغة والعدول عن التكرير ليس من قبيل المعتبر في منع الصرف اذ لا تغير فيه للصيغة ويمكن ان يجاب عنه بان العدول عن التكرار الى التوحد تغيير للصيغة نظرا الى المعدول عنه وهو صيغة المجموع والمعدول هو الصيغة المتوحدة ﴿قوله متفقين فيه ومختلفين﴾ حال من فاعل ان ينكح وهو الضمير الراجع الى ناكح واتفاق الناكحين في الاعداد المذكورة ان ينكحوا ثنتين ثنتين او ثلاثا ثلاثا او اربعا اربعا واختلافهم فيها ان ينكح بعضهم ثنتين ثنتين وبعضهم ثلاثا ثلاثا وبعضهم اربعا اربعا كما اذا خوطب الجمع الكثير وقيل لهم اقسموا هذه البدرة وهي عشرة آلاف درهم درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة فانه اذن لهم بان يجعلوها اقساما يكون كل قسم منها درهمين او ثلاثة وان يأخذ كل واحد منهم لنفسه قسما منها ﴿قوله ولو افردت﴾ قسيم لقوله ومعناها ذكرا و لا معنى هذه الالفاظ المعدولة عن الاعداد المكررة ثم ذكر المعنى على تقدير ان يذكر الاعداد المذكورة غير مكررة بان قيل فانكحوا ماطاب لكم ثنتين وثلاثا واربعا وهو ان يخاطب الجميع ويباح الجمع لهم على سبيل الاجمال لا على سبيل التوزيع والتفصيل بان يجمعوا بين هذه الاعداد المذكورة في اباحة الاخذ باى واحدة منها وكذا لو قيل اقسموا هذه البدرة درهمين وثلاثة لصار المعنى تجويز الجمع بان يأخذ من العددين المذكورين ماشاء واصل الاباحة مستفاد من الامر والجمع بين الاعداد المذكورة مستفاد من الواو والفرق بين تكرير العدد وافراده حتى يكون الحكم على الاول ان يباح للجميع ان يجمع بين الاعداد المذكورة على سبيل التوزيع والتفصيل وعلى الثاني ان يباح لهم الجمع بينها بدون التوزيع ان تكرير العدد يستلزم مقابلة الجمع بالجمع دون افراده ﴿قوله ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد﴾ لان او تفيد الاذن في واحدة من هذه الاعداد لا في كل واحدة منها فلو جاء بكلمة او لاقتضى النظم ان لا يجوز النكاح الا على واحدة هذه الاعداد وان لا يجوز لهم ان يجمعوا بين الاعداد المذكورة بمعنى ان ينكح بعضهم ثنتين وبعضهم ثلاثا وبعضهم اربعا فلما ذكر حرف الواو افاد انه يجوز لكل طائفة ان تختار ماشاءت من الاعداد المذكورة وذهب قوم الى انه يجوز للرجل ان يتزوج تسع نسوة استدلالا بهذه الآية وقال ان الواو للجمع المطلق فقوله مثنى وثلاث ورباع يفيد حل المجموع وهو التسع بل الحق انه ثمانى عشرة لان قوله مثنى ليس عبارة عن اثنين فقط بل عن اثنين اثنين وكذا القول في بقية الالفاظ المعدولة وبما ثبت بالتواتر من انه عليه الصلاة والسلام مات عن تسع نسوة ثم انه سبحانه قد امرنا تاسيا واقل مراتب الامر الاباحة وقد اجتمعت الامة من فقهاء الامصار على انه لا يجوز لاحد ان يتزوج اكثر من اربع نسوة على ان الزيادة على الاربع من خصائص النبي عليه الصلاة والسلام ومخالف هذا الاجماع من اهل البدعة فلا عبرة بمخالفته ثم ان اكثر الفقهاء ذهبوا الى ان قوله تعالى فانكحوا ماطاب لكم لا يتناول العبيد وذلك لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طابت له امرأة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك بدليل انه لا يتمكن من النكاح الا باذن مولاه لقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ فقوله لا يقدر على شئ ينفي كونه مستقلا بالنكاح ولان قوله تعالى بعد هذه الآية فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم مختص بالاحرار فتكون هذه

فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ماشاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد

الآية مختصة بهم بناء على ان الخطابات الواردة فى هذه الآية وردت متوالية على نسق واحد واختصاص بعضها بالاحرار يدل على ان الكل كذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام «ايما عبد تزوج بغير اذن مولاه فهو رد» فلما حمل الناس على ان الناس المستقلين بالتصرفات كانت الآية مختصة بالاحرار فلا يحل للعبيد ان يتزوجوا بالاربع وقال الامام مالك رحمه الله يحل لهم التزوج بالاربع تمسكا بظاهر هذه الآية ﴿قوله فاختاروا او فانكحوا واحدة﴾ الجمهور على نصب فواحدة باضمار فعل ثم ان كان الفعل المقدر فاختاروا تكون كلمة او لعطف ماذكر بعدها على قوله فواحدة وان كان فانكحوا تكون او لعطف فعل مقدر على فاختاروا المقدر ويكون التقدير فانكحوا واحدة وطأوا ماملكت ايمانكم على طريق حذف المعطوف وابقاء العاطف كما فى علفتها تبنا وماء باردا اى وسقيتها ماء واحتيج الى تقدير المعطوف حينئذ لان المملوكات بملك اليمين لايتعلق بهن عقد النكاح الا ان يراد بالنكاح الناصب للمعطوف عليه عقد التزويج وبناصب ماملكت الوطء فيلزم استعمال المشترك فى معنييه والجمع بين الحقيقة والمجاز وكلاهما لايخلو عن تكلف ﴿قوله والعدد من السرارى﴾ هو مبنى على ان ماملكت عام يتناول الاماء من غير حصر فى مرتبة والسرارى جمع سرية وهى الامة التى بوأها مولاها بيتا وهى فعلية منسوبة الى السر وهو الجماع او الاخفاء لان الانسان كثيرا مايسرها ويسترها عن حرته وضمت سين السر فى النسبة اليه لان الابنية قدتغير فى النسبة خاصة كما قالوا فى النسبة الى الدهر دهرى والى الارض السهلة سهلى والتسرى اتخاذ الامة سرية وقوله تعالى ذلك مبتدأ وادنى خبره وهو افعل تفضيل من دنا يدنو بمعنى قرب وافعل التفضيل يجرى مجرى فعله فى التعدية فالذى يتعدى به فعله تعدى به هو ايضا ودنا يتعدى بالى واللام ومن تقول دنوت اليه وله ومنه فيجوز ان يتعدى ادنى ايضا باحد هذه الحروف ويقال فى تقديره ادنى الى ان لاتعولوا وادنى لان لاتعولوا وادنى من ان لا تعولوا واختار المصنف رحمه الله الثالث حيث فسره بقوله اقرب من ان لاتميلوا فحذف كلمة من لدلالة الكلام عليه فقوله تعالى ان لاتعولوا فى محل النصب او الجر على الخلاف المشهور فى محل ان بعد حرف الجر قال الامام المختار عند اكثر المفسرين ان قوله سبحانه وتعالى ان لا تعولوا معناه لاتجوروا ولا تميلوا وروى ذلك مرفوعا روت عائشة رضى الله عنها انه عليه الصلاة والسلام قال فى تفسير قوله تعالى ان لاتعولوا ان لاتجوروا وفى رواية اخرى لاتميلوا قال الواحدى كلا اللفظين مروى واصل العول الميل ويدل عليه تتبع موارد استعماله ثم اختص بحسب العرف بالميل الى الجور والظلم قال الفراء عال الرجل عولا اذا مال وجار وفى الوسيط ذلك اى نكاح الاربع على قلة العدد اقرب الى العدل وابعد من الظلم ونقل عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال ذلك ادنى ان لاتعولوا معناه ذلك ادنى ان لاتكثر عيالكم وطعن ابو بكر الرازى والزجاج والجرجانى صاحب النظم على الامام الشافعى وقالوا ماذكره الامام الشافعى رحمه الله فى معنى لاتعيلوا لامعنى لاتعولوا فان مادة عال بمعنى كثر عياله من ذوات الياء يقال عال يعيل واما عال بمعنى جار فهو من ذوات الواو يقال عال يعول فاختلف المادتان فتفسير تعولوا بماهو تفسير لتعيلوا خطأ فى اللغة ويقال ايضا اعال يعيل اعالة اذا كثر عياله ولا يستعمل عال يعول فى هذا المعنى ولم يفرق الامام الشافعى بين عال واعال ووجه المصنف رحمه الله كلام الامام الشافعى بحمله على معنى لايتجه عليه الطعن المذكور وجعله من باب الكناية وهى ذكر اللازم وارادة الملزوم كقوله فلان طويل النجاد وكثير الرماد والمراد بيان انه طويل القامة وكثير الضيافة لكن عبر عنهما بما يلزمهما فان طول القامة لاينفك عن طول النجاد وكذا كثرة الضيافة لاتنفك عن كثرة الرماد وكذا الحال فيما نحن فيه فان المقصود ان يقال ذلك التقليل او اختيار الواحدة او التسرى اقرب الى ان لايكثر عيالكم لكن عبر عن كثرة العيال بما يلزمها وهو تحمل مؤنة العيال فان من كثر عياله يلزمه ان يعولهم ويمونهم اى يتحمل مؤنهم ويتعب فى القيام بمصالحهم ورعاية حقوقهم يقال عال الرجل عياله اى مانهم ومنه ابدأ بنفسك ثم بمن تعول اى تمونه وتلى عليه فقول الامام الشافعى رحمه الله معناه ان لاتكثر عيالكم ليس المراد ان ذلك معناه المطابقى بل المراد ان ذلك معناه الكنائى المنفهم بعلاقة اللزوم الكائن بينه وبين اللفظ الذى عبر به عنه وهى طريقة مشهورة معتبرة عند علماء البيان والبلغاء من اهل اللسان والكلام الصادر من امثال الامام الشافعى وهو علم من اعلام الدين وأئمة الشرع ورؤس المجتهدين وان توجه على ظاهره شئ من المقال لكن يجب ان يوجه بما يندفع به عنه مقالة الجهال فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال لاتظنن بكلمة خرجت من فى اخيك سوأ وانت تجد لها فى الخير محملا صحيحا وقرأ طاووس

(فان خفتم ان لاتعدلوا) بين هذه الاعداد ايضا (فواحدة) فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة (او ماملكت ايمانكم) سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السرارى لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن (ذلك) اى التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسرى (ادنى ان لاتعولوا) اقرب من ان لاتميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لايكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قرآءة أن لاتعيلوا من أعال الرجل اذا كثر عياله

ان لاتعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القرآءة تعضد تفسير الامام الشافعي من حيث المعنى الذى قصده
﴿قوله ولعل المراد بالعيال﴾ جواب عما يقال على تفسير الامام الشافعي من ان التسرّي كيف يكون اقرب
الى ان لا يكثر عيال الرجال وفي السراري ما في الحرآئر من التأدية الى كثرة العيال فكيف يقل عيال من يتسرّى
بالنسبة الى عيال من يتزوّج * واجاب عنه بوجهين الاوّل ان تفسير الامام الشافعي بذلك يحتمل ان يكون مبنيا على
كون لفظ ذلك اشارة الى تقليل عدد المنكوحات وعدم ازديادهنّ على اربع او الى اختيار الواحدة منهنّ فيكون
المراد بالعيال الازواج دون السراري والاولاد والوجه الثاني سلمنا ان لفظ ذلك اشارة الى التسرّي وان للتسرّي
ان يجمع من السراري اىّ عدد شاء بلا خلاف فيه فلا يراد بالعيال الموطوآت بملك اليمين فيتعين ان يراد بها
الاولاد الا انا لانسلم ان التسري كالتزوّج في ان كلا منهما يكثر معه العيال والاولاد فان المولى له يعزل عن امته بغير
اذنها فلا يكون التسرّي كالتزوّج في التأدية الى كثرة الاولاد ﴿قوله سبحانه وتعالى صدقاتهنّ﴾ بفتح الصاد وضم
الدال مفعول ثان وهو جمع صدقة بوزن سمرة وهي المهر وهذه هي القرآءة المشهورة وهي لغة الحجاز وقرآءة
صدقاتهنّ بفتح الصاد واسكان الدال تخفيف القرآءة المشهورة كقولهم في عضد عضد وقرأ قتادة صدقاتهنّ بضم
الصاد واسكان الدال جمع صدقة على وزن غرفة وقرأ مجاهد وابن ابى عبلة بضمهما جمع صدقة وهي تثقيل
ساكنة الدال للاتباع ولم يذكرها المصنف وقرأ ابن وثاب والنخعي صدقتهنّ بضمهما مع الافراد والنحلة
بكسر النون والنحل بضمها مصدر قولك نحلت المرأة مهرها انحلها اى اعطيتها اياه عن طيب نفس من غير
مطالبة والايتاء الاعطاء اما بالالتزام واما بالتسليم ويجوز ان يكونا جميعا مرادين على معنى سلّموا ذلك اليهنّ اذا
عقدتم وسلّموا ذلك اليهنّ اذا التزمتم * عن عقبة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول * ان
احق الشروط ان يوفى ما استحللتم به الفروج * وعن صهيب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اصدق امرأة صداقا وهو مجمع على ان لا يوفيها اياه ثم مات ولم يعطها اياه لقى الله عزّ وجلّ زانيا * كذا في الوسيط
اعتبر المصنف في مفهوم النحلة مجموع امرين الاوّل ان تكون العطية عن طيب انفس الازواج من غير مطالبة منهنّ
ولا مخاصمة ومحاكمة والثاني ان لا تكون مقرونة بتوقع عوض فما لا يكون كذلك لا يكون نحلة ﴿قوله ومن
فسرها بالفريضة ونحوها﴾ فان قتادة وابن جريج وابن زيد فسروا النحلة بالفريضة قال الواحدي في الوسيط النحلة
معناها في اللغة الديانة والملة والشرعة يقال فلان ينتحل كذا اذا كان يتدين به ونحلته كذا اى دينه ولهذا قال
ابن عباس وابن جريج وابن زيد في قوله نحلة اى فريضة وقال ابن عرفة نحلة اى دينا اى تدينوا بذلك فقد شرعه
الله كذلك وما هو دين من الله وشريعة يكون فريضة والمصنف انكر كون معنى الفريضة معتبرا في مفهوم النحلة
وجعله مستفادا من مفهوم الآية وهو انه سبحانه وتعالى امر الازواج باعطاء مهور النساء من غير مطالبة منهنّ
ولا مخاصمة ولا يخفى انه يستفاد منه ان يكون الاعطاء على الوجه المذكور فريضة ﴿قوله لانها في معنى الايتاء﴾
كأنه قيل آتوهنّ ايتاء او انحلوهنّ نحلة وعلى تقدير انتصابها حالا من فاعل آتوا يكون نحلة مصدرا بمعنى
الفاعل اى ناحلين طيبين النفوس بالاعطاء وان كان حالا من المفعول الثاني وهو صدقاتهنّ يكون بمعنى المفعول
اى منحولة معطاة عن طيب الانفس فالصدقات على هذا عطية لهنّ من قبل الازواج لان الزوج لا يملك بدل المهر
شيأ لان البضع في ملك المرأة بعد النكاح وليس بازآئه بدل وانما الذى يستحقه الزوج منها بعد النكاح هو
الاستباحة لا الملك وقيل ان الله جعل منافع النكاح من قضاء الشهوة والتولد مشتركا بين الزوجين ثم امر الزوج بان
يوفي مهر المرأة وكان ذلك عطية لها من الله تعالى ابتدآء ﴿قوله وقيل ديانة﴾ عطف على قوله عطية فانتصابها
على هذا اما على انها مفعول له او حال من الصدقات اى حال كونها دينا من الله تعالى وشريعة وفريضة ﴿قوله
والخطاب للازواج﴾ اختاره لانه لا ذكر للاولياء هنا وقيل للاولياء لان العادة كانت في الجاهلية ان لا تعطى النساء
من مهورهنّ شيأ ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له بنت هنيئا لك النافجة اى المعظمة لمالك لانك تأخذ مهرها فتضمه
الى مالك فينتفج اى يكثر ويزداد يقال نفج ثدى المرأة قميصها ينفجه اى رفعه ورجل نفاج اذا كان صاحب فخر وكبر
قال ابن الاعرابي النافجة ما يأخذه الرجل من الحلوان اذا زوّج بنته فنهى الله تعالى عن ذلك وامر بدفع الحق الى
اهله ﴿قوله الضمير للصداق﴾ يعنى ان ضمير منه يعود على الصداق المدلول عليه بقوله صدقاتهنّ لان الصدقات
في معنى الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهنّ كان المقصود حاصلا ولا يختل المعنى ﴿قوله او يجرى﴾ عطف

ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد
الاولاد فلأن التسرّي مظنة قلة الولد
بالاضافة الى التزوّج لجواز العزل فيه
كتزوّج الواحدة بالاضافة الى تزوّج الاربع
(وآتوا النساء صدقاتهنّ) مهورهنّ وقرئ
بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف
وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة
كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل
صدقة كظلمة في ظلمة (نحلة) اى عطية يقال
نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب
نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة
ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع
اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء
او الحال من الواو او الصدقات اى آتوهنّ
صدقاتهنّ ناحلين او منحولة وقيل المعنى
نحلة من الله وتفضلا منه عليهنّ فتكون حالا
من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل
فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال
من الصدقات اى دينا من الله تعالى شرعه
والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم
كانوا يأخذون مهور موالياتهم (فان طبن
لكم عن شئ منه نفسا) الضمير للصداق
حملا على المعنى او يجرى مجرى اسم الاشارة
كقول رؤبة * كأنه في الجلد توليع البهق *
اذ سئل فقال اردت كأنّ ذلك

على قوله للصداق اى او هو للصدقات الا انه افرد مع تعدد المرجوع اليه اجرآء له مجرى اسم الاشارة فانه قد يشار به مفردا مذكرا الى اشياء متعددة كما فى قوله تعالى قل أأنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر شهوات متعددة قبله وروى انه لما قال رؤبة ۞ فيها خطوط من سواد وبلق ۞ كأنه فى الجلد توليع البهق ۞ قيل له ان كان الضمير فى قولك كأنه عائدا الى الخطوط كان يجب ان تقول كانها وان عاد الى السواد والبلق كان يجب ان تقول كأنهما فاجاب بانى اردت كان ذلك فجعله راجعا الى الخطوط اجرآء له مجرى اسم الاشارة ﴿قوله وقيل للايتاء﴾ المدلول عليه بآتوا فالمعنى فان اعرضن لاجلكم عن شئ من ايتائكم اياهن طيبات النفوس بذلك فان حرفى الجر فى قوله لكم عن شئ متعلقان بالفعل قبلهما مضمنا معنى الاعراض والتجافى وقوله منه فى محل الجر على انه صفة لشئ متعلق بمحذوف اى عن شئ كائن منه ومال المصنف الى ان كلمة من فيه للتبعيض حيث قال وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب وقال ابن عطية ومن لبيان الجنس هنا ولذلك يجوز للمرأة ان تهب المهر كله ولو كانت للتبعيض لما جاز ذلك وفى كلام المصنف اشارة الى ضعف دليله والطيب فعل النفس الا انه لما اسند اليهن احتيج الى ذكر النفس تمييزا او بيانا للجنس المراد منهن ﴿قوله فخذوه وأنفقوه﴾ اشارة الى ان المراد بالاكل ههنا مطلق الانتفاع والانفاق على اى وجه كان تعبيرا عن الشئ باشهر افراده واظهرها والى ان قوله هنيئا مريئا عبارة عن التحليل والمبالغة فى الاباحة وازالة التبعة ثم اشار الى انهما صفتان بمعنى واحد وهو السائغ بلا غائلة وان فرق البعض بينهما بان الهنئ مايلذه الآكل والمرئ ما يحمد عاقبته وذكر لانتصابهما ثلاثة اوجه الاول انهما منصوبان انتصاب المصدر القائم مقام فعله المحذوف كما فى سقيالك كأنه قيل هناءة ومرآءة على الدعاء بمعنى هنأ ومرأ والثانى انهما منصوبان على انهما صفتا مصدر محذوف للفعل المذكور اى فكلوه هنيئا مريئا على الاسناد المجازى اذ الهنئ حقيقة هو المأكول لا الآكل والثالث انهما حالان من الهاء فى فكلوه والمعنى كلوه وهو هنئ مرئ ﴿قوله وهو الملائم﴾ لما اختلف فى ان قوله تعالى ولاتؤتوا السفهاء هل هو نهى مختص بالاولياء عن ايتاء من لارشد لهم من اليتامى الذين تحت ولايتهم اموالهم او هو خطاب عام لكل احد بان لايعطى ما اعطاه الله تعالى من اسباب معيشته امرأته وبنيه وان كانوا اصحاب رشد وعقل فيكونون هم الذين يقومون عليه فينظر الى ما فى ايديهم فى مهماته ومصالحه بل ينبغى له ان يمسك ماله ويصلحه ويكون هو الذى ينفق عليهم فى كسوتهم ورزقهم وسائر مؤنهم رجح القول الاول بانه الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة فانها كلها متعلقة باحوال اليتامى وعلى القول الثانى يكون المراد بالسفهاء النساء والاولاد الايتام ومما يرجح القول الاول ان ظاهر النهى التحريم واجمعوا على انه لايحرم عليه ان يهب من اولاده الصغار ومن النسوان ماشاء من ماله واجمعوا على انه يحرم على الولى ان يدفع الى السفهاء اموالهم وانه تعالى قال فى آخر الآية وقولوا لهم قولا معروفا وهذه الوصية بالايتام انسب لان المرء مشفق بطبعه على اولاده فلا يقول لهم الا المعروف وانما يحتاج الى هذه الوصية مع الايتام الاجانب الا ان اضافة الاموال اليهم على القول الثانى تكون حقيقة وعلى القول الاول تكون الاموال للسفهاء لا للاولياء فاضافتها الى الاولياء لا لانهم مالكوها بل من حيث انهم ملكوا التصرف فيها وكونها فى ولايتهم ويكفى فى حسن الاضافة ادنى ملابسة وسبب ﴿قوله وانما سماهم سفهاء﴾ جواب عما يقال السفهاء على القول الثانى عبارة عن النساء والاولاد وان لم يكونوا سفهاء فى نفس الامر فلم سماهم سفهاء ويرجح القول الثانى قوله تعالى التى جعل الله لكم قياما لان قيام كل احد انما هو مال نفسه لا مال اليتيم الذى تحت ولايته فتوصيف الاموال بانها قيام للمخاطبين يرجح القول بعموم الخطاب ويكون اضافة الاموال حقيقة وعلى القول الاول يكون المراد بالاموال اموال اليتامى وتلك الاموال لما اتحدت مع الاموال التى جعلها الله تعالى سبب قيام المخاطبين بالجنس صح ان يحكم عليها بانها سبب قيام المخاطبين كما صح ان يقال البقر متحد مع الغنم فى الحيوانية والقيام مصدر قام واصله قوام ابدلت الواو ياء لما ذكر فى الصرف والقيم مصدر بمعنى القيام وليس مقصورا منه عند الكسائى قيل انه مقصور منه حذف الف قيام تخفيفا كما قال صيم فى صيام ومخيط فى مخياط والقوام اما مصدر قاوم نحو لاوذ لواذا صحت الواو فى المصدر كما صحت فى الفعل او انه اسم لما يقوم به الشئ وليس بمصدر كقولهم هذا من ملاك الامر اى ما يملك به واختار المصنف هذا الوجه ﴿قوله واجعلوها مكانا﴾ اشارة الى ان كلمة فى للظرفية لا بمعنى من التبعيضية فليس المعنى امر الاولياء بان يجعلوا بعض اموال اليتامى رزقا لهم بل المعنى امرهم بان يجعلوا تلك الاموال مكان رزقهم بان

(يتجروا)

وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافى والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب (فكلوه هنيئا مريئا) فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنئ والمرئ صفتان من هنأ الطعام ومرأ اذا ساغ من غير غص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنئ ما يلذه الانسان والمرئ ما تحمد عاقبته روى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيأ مما ساق اليها فنزلت (ولاتؤتوا السفهاء اموالكم) نهى للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف الاموال الى الاولياء لانها فى تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهى لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله تعالى من المال فيعطى امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله (التى جعل الله لكم قياما) اى تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التى من جنس ما جعل الله لكم قياما وسمى ما به القيام قياما للمبالغة قرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو مايقام به (وارزقوهم فيها واكسوهم) واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها مايحتاجون اليه

يتجروا فيها فيجعلوا رزقهم من الارباح لامن اصول المال لئلا يفنيها الانفاق فلما كانت الاموال ظروفا للارباح كانت ظروفا لرزق الايتام ايضا وفى الوسيط وانما قال فيها ولم يقل منها لانه اراد اجعلوا لهم فيها رزقا كأنه اوجب لهم ذلك فى المال وماذكره لايكون وجها للعدول عن كلمة من الا بان يريد به ماذكره المصنف فليتأمل

﴿ **قوله** عدة جميلة ﴾ مثل ان يقول ربحت فى سفرى هذا فعلت بك ماانت اهله وان غنمت فى غزاتى هذه جعلت لك حظا او قسمة والقول المعروف ان يعرّف الولى الصبى ان المال ماله وهو خازن له وانه اذا زال صباه وحصل له حسن التدبير فى ماله ردّ المال اليه وان يعظه وينصحه ويحثه على اداء الصلوات وتعلم احكام الدين ويرغبه فى ترك التبذير والاسراف ويعرّفه ان عاقبة التبذير الاحتياج الى الخلق ونحو ذلك مما حسنه الشرع والعقل من الكلام

﴿ **قوله** اختبروهم قبل البلوغ ﴾ لان قوله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح يدل على ان البلوغ غاية الابتلاء فلابدّ ان يكون الابتلاء مقدما على البلوغ فان حتى هذه حرف غاية دخلت على الجملة الشرطية وجوابها والمعنى ابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد فهى حرف ابتداء دخلت على الجملة الشرطية كالتى دخلت على سائر الجمل كما فى قوله

* فما زالت القتلى تمج دماءها * بدجلة حتى ماء دجلة اشكل *

اى احمر يقال دم اشكل اذا كان فيه حمرة يخالطها بياض وتمج اى تلقى وتدفع واذا الواقعة بعد حتى متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء جوابا للشرط الاوّل الذى هو اذا بلغوا النكاح فالفاء فى فان آنستم فاء جواب اذا وفى قوله فادفعوا فاء جواب ان فالله تعالى لما امر قبل هذه الآية بدفع مال اليتيم اليه حيث قال وآتوا اليتامى اموالهم بين بهذه الآية متى تؤتوهم اموالهم فشرط فى دفع اموالهم اليهم شرطين احدهما بلوغ النكاح والثانى ايناس الرشد ومعرفته فيهم فان قوله آنستم منهم رشدا اى عرفتم وقيل اى رأيتم واصل الايناس فى اللغة الابصار ومنه قوله تعالى آنس من جانب الطور نارا واما الرشد فمعلوم انه ليس المراد الرشد الذى لاتعلق له بصلاح ماله بل لابدّ وان يكون هذا مرادا وهو ان يعلم انه مصلح لماله حتى لايقع منه اسراف ولايكون بحيث يقدر الغير على خديعته ثم اختلفوا فى انه هل يضم اليه الصلاح فى الدين فعند الامام الشافعى لابدّ منه وعند ابى حنيفة هو غير معتبر فى الرشد الذى هو شرط لدفع المال اليه والصلاح فى الدين هو ان يكون مجتنبا عن الفواحش والمعاصى التى تسقط العدالة والصلاح فى امر المال ان لايكون مبذرا والتبذير هو ان ينفق ماله فيما لايكون فيه محمدة دنيوية ولا مثوبة اخروية ولايحسن التصرّف فيغبن فى البيوع

﴿ **قوله** بان يكل اليه مقدمات العقد ﴾ هذا عند الامام الشافعى فان تصرّف الصبى العاقل المميز عنده سواء اذن له الولى فى ذلك اولم يأذن لايجوز لانه سبحانه وتعالى انما امر بدفع المال اليه بعد بلوغه وايناس الرشد منه فلما لم يجز دفع المال اليه حال صغره وجب ان لايصح تصرفه حال الصغر بل المراد بالابتلاء اختبار عقله وابتلاء حاله فى انه هل له فهم وعقل يعرف به المصالح والمفاسد اولا وذلك لايستلزم الاذن فى التصرّف بل يحصل بان يبيع الولى ويشترى بحضور الصبى ثم يستكشف منه احوال ذلك البيع والشراء ومافيهما من المصالح والمفاسد ويحصل ايضا بان يكل اليه مقدمات البيع والشراء بان يدفع اليه شيأ ليبيع او يشترى فاذا باعه الصبى او اشترى به حصل به اختبار عقله وهذا القدر لايدل على صحة ذلك العقد بل يجوز ان يتوقف صحته على ان يتم الولى ذلك العقد وقال ابو حنيفة تصح تصرفاته باذن الولى احتجاجا بهذه الآية فان قوله تعالى وابتلوا اليتامى الآية امر باختبار حالهم قبل بلوغهم وهذا الاختبار لايحصل الا بان يأذن له الولى فى البيع والشراء بعد ان يدفع اليه مايتصرّف فيه

﴿ **قوله** وهو دليل على انه لايدفع اليهم مالم يؤنس منهم الرشد ﴾ قال الامام اتفقوا على انه اذا بلغ غير رشيد فانه لايدفع اليه المال ثم عند ابى حنيفة لايدفع اليه مال حتى يبلغ خمسا وعشرين سنة فاذا بلغ ذلك دفع اليه ماله على كل حال وانما اعتبر هذا السنّ لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسنّ ثمانى عشرة سنة فاذا زاد عليها سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير احوال الانسان لقوله عليه الصلاة والسلام * مروهم بالصلاة لسبع * فعند ذلك تمت المدة التى يمكن فيها حصول تغير الاحوال فعندها يدفع اليه ماله اونس منه الرشد اولم يونس وقال الامام الشافعى لايدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد وهو قول ابى يوسف ومحمد رحمهم الله

﴿ **قوله** مسرفين ومبادرين كبرهم ﴾ اشارة الى ان اسرافا وبدارا منصوب بان على انهما مصدر ان وقعا موقع الحال والبدار مصدر بادر مبادرة بمعنى سارع مسارعة

(وقولوا لهم قولا معروفا) عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ماعرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ماانكره احدهما لقبحه (وابتلوا اليتامى) اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح الدين والتهدى الى ضبط المال وحسن التصرّف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابى حنيفة بان يدفع اليه مايتصرّف فيه (حتى اذا بلغوا النكاح) حتى اذا بلغوا حدّ البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام اذا استكمل المولود خمس عشر سنة كتب ماله وماعليه واقيمت عليه الحدود وثمانى عشرة عند ابى حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده (فان آنستم منهم رشدا) فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم (فادفعوا اليهم اموالهم) من غير تأخير عن حدّ البلوغ ونظم الآية ان ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لايدفع اليهم مالم يؤنس منهم الرشد وقال ابوحنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد (ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا) مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم

والمفاعلة يجوز ان تكون من اثنين على الاصل بمعنى ان الولى يبادر اليتيم الى اخذ ماله واليتيم يبادر الى الكبر ويجوز ان تكون من واحد على ان يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافر وطارق وان قوله ان يكبروا فى موضع النصب على انه مفعول به لقوله بدارا كما فى قوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما اى لاتأكلوها وانتم تبادرون بلوغهم واستحقاقهم لان يأخذوا منكم اموالهم يقال بادرت مجئ زيد اى فعلته قبل مجيئه والمعنى لاتأكلوها قبل بلوغهم واستردادهم منكم اموالهم وقوله ان يكبروا بفتح الباء من باب علم يقال كبر الرجل يكبر كبرا اى أسنّ وكبر بالضم يكبر اى عظم وقوله او لاسرافكم ومبادرتكم اشارة الى ان وجه انتصابهما كونهما مفعولا لهما اى لاجل الاسراف والبدار والاكل اسرافا عبارة عن الاكل بغير حق وقوله تعالى ولاتأكلوها ليس معطوفا على قوله فادفعوا بل هو جملة مستأنفة لان قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا جملة شرطية مترتبة على بلوغ اليتامى حدّ النكاح فيكون دفع اموالهم اليهم متأخرا عن بلوغهم فعطف قوله ولاتأكلوا مبادرين كبرهم يستلزم ان يكون الاكل مترتبا على بلوغهم متأخرا عنه ايضا وقوله وبدارا ان يكبروا يستلزم ان يكون الاكل ايضا سابقا على مايترتب عليه وهو محال

قوله فليستعفف من اكلها اى فليمتنع عنه والعفة الامتناع عما لايحل قال الواحدى استعف عن الشئ وعف عنه اذا امتنع عنه وقال الزمخشرى استعف ابلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة والآية صريحة فى ان ولى الصبى اذا كان غنيا بماله غير مضطر الى مال اليتيم لايحل له ان يأكل من مال اليتيم واما من كان فقيرا محتاجا الى ماله فله ان يأكل منه بالمعروف فانه اذا تعهده وسعى فى القيام بمصالحه فله ان يأكل منه قوتا مقدرا محتاطا فى تقديره على وجه الاجرة فان قوله تعالى ولاتأكلوها اسرافا وبدارا يشعر بان له ان يأكل بقدر الحاجة ايضا قياسا على الساعى فانه يضرب له سهم من الصدقات بقدر عمله فكذا هنا روى عن ابن عباس ان ولى اليتيم قال له أفأشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغى ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضرّ بنسل ولاناهك فى الحلب

قوله غير متأثل مالا التأثل اتخاذ اصل المال اى ليس له من ماله الاتناول القوت لااتخاذ رأس المال وقيل الاكل بالمعروف ان يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضى ما استقرضه روى ان عمر بن الخطاب كتب الى عمار وعبد الله بن مسعود وعثمان بن ضيف سلام عليكم امابعد فانى قد رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله بن مسعود وربعها لعثمان الاوانى نزلت نفسى واياكم من مال الله بمنزلة ولى اليتيم فمن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وقيل القول بالاستقراض مختص باصول الاموال من الذهب والفضة وغيرهما واما التناول من ألبان المواشى واستخدام العبيد وركوب الدواب فيباح له اذا كان غير مضرّ بالمال تمسكا بقوله سبحانه وتعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فأشهدوا عليهم فحكم فى الاموال بدفعها اليهم

قوله فانه انفى للتهمة اى عن نفسه اى لئلا يتهم الناس الاولياء والاوصياء انهم خانوا فى اموال اليتامى واضاعوها وازالة التهمة عن نفسه مندوب لكل احد قال عليه الصلاة والسلام * اتقوا مواقع التهم * وقال عليه الصلاة والسلام * من وجد لقطة فليشهد ذوى عدل ولايكتم * فامر بالاشهاد لتظهر امانته وتزول التهمة عنه والامر بالاشهاد ليس للوجوب بل هو امر ارشاد الى ماهو الاحوط والاولى واختلفوا فى ان الوصى اذا ادّعى بعد بلوغ اليتيم انه دفع المال اليه هل يصدّق اولا وكذلك لو ادّعى انه انفق عليه فى صغره هل يصدّق اولا قال الامام مالك والامام الشافعى رضى الله عنهما لايصدّق استدلالا بهذه الآية فان الامر بالاشهاد يدل على وجوبه وعلى ان دعواه لاتقبل الابالبينة وقال ابو حنيفة رضى الله عنه واصحابه يصدّق لانه يقبل قوله لامتنع الناس من قبول الوصايا فيقع الخلل فى هذا المهم العظيم الاان الاستشهاد اولى لانه اذا لم يشهد فادّعى عليه يتوجه اليمين اليه فان حلف يتهم بالحلف الكاذب وان نكل يجب الضمان عليه وكلاهما محذور ولو اقام البينة على انه دفع المال اليه تخلص من كل واحد من المحذورين

قوله تعالى وكفى بالله حسيبا كفى فعل والمجرور بالباء فاعله كما فى هذه الآية وفى مضارعه ايضا نحو قوله تعالى اولم يكف بربك وكفى متعدّ الى واحد وهو محذوف هنا تقديره وكفاكم الله وانتصاب حسيبا اما على انه تمييز او على انه حال نقل عن ابن الانبارى والازهرى رحمهما الله انهما قالا يحتمل ان يكون الحسيب بمعنى المحاسب وان يكون بمعنى الكافى فمن الاوّل قولهم للرجل حسيبه الله ومعناه محاسبه الله على مايفعل من الظلم ومن الثانى قولهم حسيبك الله اى كافيك وهذا وعيد لولى اليتيم واعلام له بان الله تعالى يعلم باطنه كما يعلم ظاهره لئلا ينوى او يعمل

(ومن كان غنيا فليستعفف) من اكلها (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولى له حق فى مال الصبى وعنه عليه الصلاة والسلام ان رجلا قال له ان فى حجرى يتيما أفآكل من ماله قال كل بالمعروف غير متأثل مالا ولاواق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهى للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى (فاذا دفعتم اليهم اموالهم فأشهدوا عليهم) بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد للخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لايصدّق فى دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابى حنيفة (وكفى بالله حسيبا) محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولاتجاوزوا ما حدّ لكم

(نصيبا مفروضا) نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روى ان اوس بن الصامت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابناء عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيأ فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى تبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم وهو دليل على جواز تأخر البيان عن وقت الخطاب (واذا حضر القسمة اولو القربى) ممن لا يرث (واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) فاعطوهم شيأ من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف فى نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة (وقولوا لهم قولا معروفا) وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم) امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه فى امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا فى الوصية ولو بما فى حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده (فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا)

فى مال اليتيم ما لا يحل سواء فسرنا الحسيب بالمحاسب او بالكافى واختار المصنف كونه بمعنى المحاسب كما لا يخفى ﴿قوله تعالى مما ترك﴾ فى محل الرفع على انه صفة للمرفوع قبله اى نصيب كائن او مستقر مما ترك ﴿قوله بدل مما ترك﴾ اى من ما الاخيرة فى مما ترك باعادة حرف الجر فى البدل والضمير فى منه عائد على ما الاخيرة وهذا البدل مراد ايضا فى الجملة الاولى حذف للدلالة عليه ﴿قوله نصب على انه مصدر مؤكد﴾ الظاهر انه من قبيل التأكيد لغيره لان الجملة التى كانت كالنائبة عن ناصبه لها محتمل غير مضمون ناصبه ومن حيث دلالتها عليه جعل المصدر مضمونا لتلك الجملة ومؤكدا لها وهو المراد بقوله انه مصدر مؤكد لانه واقع موقع المصدر للفعل المدلول عليه بالجملة المتقدمة اذ التقدير اعطوهم عطاء مفروضا او انهم يستحقونه استحقاقا مفروضا ومقطوعا به ﴿قوله اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب﴾ يعنى ان العامل فى الحال هو معنى الاستقرار والثبوت الذى تعلق به الجار والمجرور فى قوله تعالى للرجال نصيب فقوله نصيب مبتدأ وللرجال خبره والمنوى فيه هو ذو الحال ﴿قوله ان اوس بن الصامت﴾ قيل الصحيح اوس بن ثابت كما ذكره الامام رحمه الله وهو اخو حسان بن ثابت المادح استشهد بأحد واما اوس بن الصامت اخو عبادة فانه استشهد فى خلافة عثمان رضى الله عنه وام كحة بالحاء المهملة وضم الكاف كنية زوجته وقوله فزوى اى جمع وضم الى نفسه ثم ان الراوى رحمه الله شك فى ان ابنى عمه هل هما الاولان اعنى سويدا وعرفطة او الآخران قتادة وعرفجة وقوله ويذب عن الحوزة اى يدفع عن من هو فى ناحيته من اهله وعشائره والنساء والاطفال ليسوا بهذه المثابة فلا نورثهما فشكت بان قالت ان الوصيين ما دفعا شيأ الىّ ولا الى بنات اوس وانا امرأته وليس عندى ما انفق عليهن وهن فى حجرى لا يطعمن ولا يسقين فقال عليه الصلاة والسلام ارجعي الى بيتك حتى انظر ما يحدث الله تعالى فى امرك فنزلت هذه الآية ودلت على ان للذكور من اولاد الميت واقربائه نصيبا مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء كذلك نصيب لكنه سبحانه وتعالى لم يبين المقدار فى هذه الآية فأرسل عليه الصلاة والسلام الى الوصيين وقال لا تفرقا من مال اوس شيأ فان الله سبحانه وتعالى جعل لبناته نصيبا مما ترك ابوهن الا انه سبحانه وتعالى لم يبين كم هو فاصبرا حتى انظر ما ينزل فيهن فأنزل الله تعالى يوصيكم الله فى اولادكم وانزل فرض الزوجة فارسل عليه الصلاة والسلام اليهما ان ادفعا الى ام كحة الثمن مما ترك والى البنات الثلثين ولكما ما بقى من المال ولعل الحكمة فى انزال الحكم اولا على الاجمال ثم تفصيل ما اجمل من نصيب الرجال والنساء ان القوم كانت لهم عادة فى توريث الكبار دون الصغار ودون النساء فكان فيما انزل تغيير لتلك العادة الجاهلية والنقل عن العادة المألوفة مما يشق على النفس ويثقل على الطبع فلا جرم سلك فى تغيير تلك العادة سبيل التدريج اذ لو غيرها دفعة لعظم وقعها على النفوس فذكر الله سبحانه وتعالى هذا المجمل اولا ثم اردفه بالتفصيل ليسهل قبوله ﴿قوله فاعطوهم شيأ من المقسوم﴾ صح هذا التفسير سواء جعل ضمير منه لما ترك او لمال المقسوم الذى دل عليه القسمة التزاما لان المراد بالقسمة قسمة المال المتروك بين الورثة ﴿قوله تعالى وقولوا لهم قولا معروفا﴾ فان الذين لا يرثون من الاقارب وكذا الايتام والمساكين من الاجانب اذا حضروا وقت القسمة فان تركوا محرومين بالكلية ثقل عليهم ذلك فلا جرم امر الله سبحانه وتعالى امر ندب بتطييب قلوبهم بان يدفع اليهم شئ من المال المقسوم ويلطف لهم القول ويقال لهم خذوا هذا الحقير القليل بارك الله لكم فيه ويستقل الدافع لهم ما اعطاهم ولا يتبع عطيته المن والاذى بالقول ﴿قوله ولو بما فى حيزه﴾ اى بجوابه الذى هو قوله سبحانه وتعالى خافوا عليهم اذ التقدير لو تركوا لخافوا ويجوز حذف اللام فى جواب لو ﴿قوله حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا الخ﴾ جعل الترك بمعنى مشارفة ان يخلف ويترك لانه لو ابقى على ظاهره لزم ان يكون الخوف بعد الموت ولا معنى له فان تركهم ذرية خلفهم عبارة عن الموت وقد اجيب عن هذا الشرط بقوله سبحانه وتعالى خافوا عليهم والجواب مرتب على الشرط فيلزم ان يكون خوفهم على من خلفهم بعد موتهم وهو محال فجعل الترك بمعنى مشارفته لئلا يلزم ذلك المحذور ﴿قوله وفى ترتيب الامر عليه﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى جعل الجملة الشرطية صلة ورتب الامر بالخشية عليها للاشارة الى ان المقصود بالامر الترغيب فى الخشية من ضياع اولاد غيرهم والى العلة فى ذلك وهى ان كل من كان شأنه ودأبه الخشية على ذرية نفسه من الضياع لضعفها وانفرادها عن من يلى عليها ويكسب لاجلها لا بد له من ان يخشى من ضياع اولاد غيره لاجل ضعفهم وانفرادهم عمن يقوم بكفاياتهم عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن العبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه * فمن لا يرضى لاولاد نفسه بضياعهم بسبب الجوع والعرى

وحسن الادب او للمريض مايصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضرى القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا فى الوصية مالايؤدى الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما) ظالمين او على وجه الظلم (انما يأكلون فى بطونهم) ملء بطونهم (نارا) مايجرّ الى النار ويؤول اليها وعن ابى بردة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا (وسيصلون سعيرا) سيدخلون نارا واى نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرّها وصليته شويته واصليته وصليته ألقيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا ألهبتها (يوصيكم الله) يأمركم ويعهد اليكم (فى اولادكم) فى شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) اى يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية فقد اشتركا فى الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به (فان كنّ نساء) اى ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهنّ ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تأويل المولودات (فوق اثنتين) خبر ثان او صفة نساء اى نساء زائدات على اثنتين (فلهنّ ثلثا ماترك) المتوفى منكم ويدل عليه المعنى (وان كانت واحدة فلها النصف) اى وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف فى الثنتين فقال ابن عباس رضى الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم مافوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد ردّ ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرىّ ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين أمس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك (ولابويه) ولابوى الميت (لكل واحد منهما) بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا (السدس مما ترك ان كان له) اى للميت (ولد) ذكر او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفريضة ومابقى من ذوى الفروض ايضا بالعصوبة (فان لم يكن له ولد وورثه ابواه) فحسب (اكثر) (فلامه الثلث) وانما مما ترك لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقى للاب وكأنه قال فلهما ماترك اثلاثا وعلى

لبقائهم بغير مال ولا كاسب فكيف يرضى بذلك فى حق اولاد غيره ﴿ قوله ظالمين او على وجه الظلم ﴾ يريد ان انتصاب ظلما يجوز ان يكون على انه حال من يأكلون وان يكون على التميز وقوله تعالى انما يأكلون هذه الجملة فى محل الرفع على انها خبر ان وجاز وقوع خبر ان جملة مصدرة بان لكونها مكفوفة بما ﴿ قوله ملء بطونهم ﴾ فسر فى بطونهم بملء بطونهم اخذا من استعمال العرب فانه يقال اكل فلان فى بطنه اذا اكل ملء بطنه واذا قصدوا الاخبار عن اكلهم فى بعض البطن صرّحوا بذكر لفظ البعض وقالوا اكل فى بعض بطنه قال

* كلوا فى بعض بطنكمو تعفوا * فان زمانكم زمن خميص *

واليه ينظر قوله عليه الصلاة والسلام *المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة امعاء* والبطن اسم لجميع الامعاء وما احتوى عليه وخرج به الجواب عمايقال الاكل لايكون الا فى البطن فما فائدة قوله يأكلون فى بطونهم ﴿ قوله مايجرّ الى النار ﴾ فيكون النار مجازا على طريق اطلاق المسبب وارادة السبب ويكون يأكلون محمولا على الحال ﴿ قوله وعن ابى بردة الخ ﴾ عطف من حيث المعنى على قوله مايجرّ الى النار فان اكل النار على هذه الرواية يكون محمولا على الحقيقة على معنى ان بطونهم اوعية للنار حقيقة بان يخلق الله سبحانه لهم نارا يأكلونها فى بطونهم يوم القيامة ويكون يأكلون محمولا على الاستقبال * والتأجج تلهب النار ﴿ قوله وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه ﴾ جواب عما يقال ان الآية نازلة لبيان استحقاق الاناث الميراث كالذكور فالمناسب لسبب النزول الاهتمام بحالهنّ والتنصيص على بيان حظهنّ فهلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى مثل نصف حظ الذكر * وتقرير الجواب ان الآية لما كانت نازلة لتفصيل قوله سبحانه وتعالى يوصيكم الله فى اولادكم كانت نازلة لتفصيل نصيب كل واحد من ذكور الاولاد واناثهم وايضا لما نزلت انكارا لعادتهم فى توريث الذكر كل التركة وحرمان الاناث بالكلية وكان كل واحد من عدم توريث الاناث وتوريث الذكور كل المال منكرا كان المقصود بيان نصيب كل واحد من الفريقين على وجه يتضمن انكار عادتهم القبيحة فجيء بعبارة تدل على نصيب كل واحد منهما الا انه ذكر حظ الذكر على وجه التنصيص والتصريح به واكتفى فى بيان حظ الانثى بانفهامه من سوق الكلام وبدلالة الكلام عليه بالالتزام لامرين الاوّل القصد الى بيان فضل الذكر على الانثى والثانى التنبيه على انه يكفى لقضاء حق فضله على الانثى تضعيف نصيبه على نصيبها وحرمانها بالكلية افراط فى تفضيله وتفريط فى حقها مع اشتراكهما فى جهة الاتصال بالميت وهى الجزئية والاجتماع فى صلبه والتولد من نطفته ﴿ قوله والمعنى للذكر منهم ﴾ يعنى ان هذه الجملة لما وقعت تفصيلا لما قبلها وجب اشتمالها على الضمير العائد منها الى قوله اولادكم فقال انه محذوف للعلم به كما فى قوله السمن منوان بدرهم ﴿ قوله وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس ﴾ لانه لو قيل لابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل لابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما بالتسوية وبخلافها ﴿ قوله والتفصيل ﴾ عطف على قوله التنصيص فانه لو قيل ولكل واحد من ابويه السدس لحصل التنصيص المذكور فما الفائدة فى ذكر قوله ولابويه اوّلا ثم ابدال قوله لكل واحد منهما منه ثانيا فاجاب عنه بان الابدال فيه تفصيل بعد الاجمال ففيه ذكر الشيء مرّتين مرّة على الاجمال ومرّة على التفصيل فيكون آكد واوقع فى النفس فقوله السدس مبتدأ ولابويه خبر مقدّم وقوله لكل واحد منهما بدل من لابويه ﴿ قوله ان كان له اى للميت ولد ذكرا او انثى ﴾ لايخفى ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فان كان مع الابوين ولد ذكر واحدا كان او اكثر فههنا لكل واحد من الابوين السدس بالفرض والباقى للولد الذكر بالتعصيب وان كان مع الابوين بنتان او اكثر كان لكل واحد من الابوين ايضا السدس وللبنتين فصاعدا الثلثان بالفرض وان كان مع الابوين بنت واحدة فلها النصف ولكل واحد من الابوين السدس بالفرض فالمسئلة من ستة نصفها ثلاثة فهى للبنت وسدسها واحد فهو للام وسدسها الآخر للاب بالفرض وبقى سدس آخر فهو ايضا للاب بحكم التعصيب ﴿ قوله وورثه ابواه فحسب ﴾ نفى ان يكون معهما وارث آخر سواهما لان ظاهر قوله وورثه ابواه يشعر بانه لاوارث له سواهما واذا كان كذلك كان مجموع المال لهما واذا كان نصيب الام منه هو الثلث وجب ان يكون الباقى وهو الثلثان للاب فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين كما فى حق الاولاد ﴿ قوله وعلى هذا ﴾ اى وعلى تقدير ان يكون المال بينهما اثلاثا ثلثه للام وثلثاه للاب كان ينبغى ان يكون فرض الام فيما اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين ثلث مابقى من فرض احدهما حتى يكون ماورثاه اثلاثا بينهما كما ذهب اليه

اكثر الصحابة رضى الله عنهم حيث قالوا ان الزوج يأخذ نصيبه ثم يدفع ثلث مابقى الى الام ويدفع الباقى الى الاب وقال ابن عباس يأخذ الزوج فرضه وتأخذ الام ثلث الكل ويأخذ الاب مابقى وقال لااجد فى كتاب الله سبحانه وتعالى ثلث مابقى وعن ابن سيرين انه وافق ابن عباس فى الزوجة والابوين وخالفه فى الزوج والابوين لانه يفضى الى ان يكون للانثى اكثر من حظ الذكر واما فى الزوجة فلا يفضى الى ذلك ﴿قوله باطلاقه﴾ اى حيث لم يقيد كون الاخوة حاجبة للام بكونهم يأخذون السدس الذى حجبوا عنه الام فدل ذلك على ان حجبهم للام ليس مشروطا بتوريثهم مع الاب بل انهم يحجبونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب ﴿قوله والجمهور على ان الخ﴾ اى اتفقوا على ان الاخت الواحدة لا تحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا ايضا على ان الاخوة الثلاثة يحجبون واختلفوا فى الاخوين فالاكثرون من الصحابة رضى الله عنهم على القول باثبات الحجب كما فى الثلاثة وقال ابن عباس لا يحجبان كما فى حق الواحدة حجة ابن عباس ان الآية دالة على ان هذا الحجب مشروط بوجود الاخوة ولفظ الاخوة جمع واقل الجمع ثلاثة كما ثبت فى اصول الفقه فاذا لم توجد الثلاثة لم يحصل الشرط فوجب ان لا يحصل المشروط وهو الحجب روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لعثمان رضى الله تعالى عنه لم صار اخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال تعالى وان كان له اخوة والاخوان فى لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان لا استطيع ان ارد قضاء قضى به من قبلى وامضى فى الامصار وقال الجمهور رأينا ان الله تعالى نزل الاثنتين من النساء بمنزلة الثلاث فى باب الميراث فوجب ان يكون الاختان حاجبتين للام من الثلث الى السدس واذا كان كذلك وجب ان يحجب الاخوان ايضا فيكون لفظ الاخوة متناولا لكل عدد ممن له اخوة سواء كانوا ذكورا او اناثا او بعضهم ذكورا وبعضهم اناثا ويكون هذا من باب التغليب ﴿قوله من بعد ماكان من وصية﴾ اى من تنفيذ وصية الميت وقضاء دينه فهو على تقدير المضاف بدلالة المقام ﴿قوله وانما قال بأو التى للاباحة﴾ اى للتسوية وعدم اختلاف الحكم بتعلقه بالامرين جميعا او باحدهما ولما كان المقصود ههنا بيان النسبة بينهما فى الوجوب والتقدم على القسمة بين الورثة اختير كلمة او على الواو * فان قلت جعل او فى الخبر للاباحة مخالف لما ذكر من ان او فى الخبر للشك وفى الامر للتخيير او للاباحة * اجيب بان الخبر هنا بمعنى الامر المتقدم فى قوله يوصيكم الله اى يأمركم ويعهد اليكم فكان من قبيل قولك جالس الحسن او ابن سيرين فان معناه ان كل واحد منهما اهل لان يجالس فان جالست الحسن فانت مصيب او ابن سيرين فانت مصيب وان جمعتهما فانت مصيب بخلاف مالو قيل بالواو فانه يقتضى ان تجالسهما معا فان جالست واحدا منهما دون الآخر فقد خالفت الامر فكذا ههنا لو قال من بعد وصية يوصى بها ودين لوجب فى كل مال ان يحصل الامران ومعلوم انه ليس كذلك فذكر بلفظ او ليكون المعنى ان كان احدهما فهو مقدم على الميراث وكذا ان كان كلاهما ﴿قوله وقدم الوصية﴾ اى قدم ذكرها فى النظم مع كونها مؤخرة عن قضاء الدين فى الحكم بعثا على تنفيذها وترغيبا فى اخراج المال الموصى به الى الموصى له فانها لما كانت شبيهة بالميراث فى كونها مأخوذة بلا عوض كان تنفيذها شاقا على الورثة فاحتيج الى تحريكهم وترغيبهم فى تنفيذها ﴿قوله تعالى آباؤكم وابناؤكم﴾ مبتدأ ولاتدرون وما فى حيزه فى محل الرفع خبر له وايهم اسم استفهام مرفوع على الابتداء واقرب خبره والجملة من هذا المبتدأ وخبره فى محل نصب بتدرون لانها من افعال القلوب فعلقها اسم الاستفهام عن ان تعمل فى لفظه لان اسم الاستفهام لا يعمل فيه ماقبله فالجملة سادة مسد المفعولين ولا حاجة الى اعتبار الحذف ثم هذه الجملة اعنى قوله آباؤكم وابناؤكم لاتدرون لا محل لها من الاعراب لانها جملة اعتراضية لوقوعها بين قصة المواريث وليس المراد بالاعتراض هنا ماهو المصطلح عند النحويين لانهم لا يعنون بالاعتراض فى اصطلاحهم الا ماكان بين شيئين متلازمين كالاعتراض الواقع بين المبتدأ وخبره والشرط والجزاء والقسم وجوابه والصلة والموصول لها واختار المصنف كونه اعتراضا مؤكدا لامر القسمة او لتنفيذ الوصية وتوجيه الاول انه تعالى بين انصباء الاولاد فى قوله يوصيكم الله فى اولادكم وانصباء الابوين فى قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس فقد عين لكل واحد من الآباء والابناء انصباء مختلفة والعقول لا تهتدى الى كمية تلك التقديرات فان الانسان ربما يخطر بباله ان القسمة لو وقعت على غير هذا الوجه كانت له انفع واصلح كما هو المتعارف عند اهل الجاهلية فانهم كانوا يورثون الرجال الاقوياء ولا يورثون النساء والصبيان لضعفهم فانكر الله تعالى عليهم فيما خطر ببالهم من هذا القبيل وقال انكم تعلمون ان عقولكم لا تحيط

كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها فى الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع (فان كان له اخوة فلأمه السدس) باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم يأخذون السدس الذى حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار الثلث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا يحجب الام من الثلث مادون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائى فلإمه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التى قبلها (من بعد وصية يوصى بها او دين) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ماكان من وصية او دين وانما قال باو التى للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان فى الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة فى الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد (آباؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا) اى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم فى عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما اوصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر فى الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته او من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية

(فريضة من الله) مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم لانه فى معنى يأمركم ويفرض عليكم (ان الله كان عليما) بالمصالح والرتب (حكيما)

فيما قضى وقدّر (ولكم نصف ماترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) اى ولد وارث من بطنها اومن صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم (من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين) فرض للرجل بحق الزواج ضعف ماللمرأة كما فى النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا فى الجهة والقرب ولايستثنى منه الأولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع والثمن (وان كان رجل) اى الميت (يورث) اى يورث منه من ورث صفة رجل (كلالة) خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس له بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعانى الثلاثة وعلى الاوّل خبر او حال وعلى الثانى مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى

فآليت لاارثى لها من كلالة * ولامن حفى حتى الاقى محمدا *

فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كلالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذى كلالة كقولك فلان من قرابتى (او امرأة) عطف على رجل (وله) اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه (اخ او اخت) اى من الام ويدل عليه قراءة ابى وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر فى آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لايليق باولاد الام وان ماقدر ههنا فرض الام فناسب ان يكون لاولادها (فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) سوّى بين الذكر والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة

بمصالحكم فاتركوا تقدير المواريث بالمقادير التى تستحسنها عقولكم وكونوا مطيعين لامر الله تعالى فى هذه التقديرات التى قدّرها فانه العالم بمغيبات الامور وعواقبها ووجه الحكمة فيما دبره وقدّره وهو العليم الحكيم وجعل النفع فى قوله اقرب لكم نفعا اعم من نفع الدنيا ونفع الآخرة وانتفاع بعضهم ببعض فى الدنيا كانتفاعه بالانفاق عليه والتربية له والذب عنه وانتفاعهم فى الآخرة هو انتفاع بعضهم بشفاعة البعض كما اشار اليه بقوله روى ان احد المتوالدين الخ وتوجيه كونه اعتراضا مؤكدا لامر تنفيذ الوصية ماشار اليه بقوله اومن مورثيكم عطفا على قوله ممن يرثكم فانه سبحانه لما ذكر امر تنفيذ الوصية ووجوب تقديمه على قسمة المواريث اكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وابناؤكم اى الذين يموتون قبلكم لاتدرون من انفع لكم منهم امن اوصى منهم ام من لم يوص يعنى ان من اوصى ببعض ماله فعرّضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا لان عرض الدنيا وان كان قريبا عاجلا فى الصورة الا انه فان وثواب الآخرة خير وابقى فهو بالاعتناء بشأنه اولى واحرى وقوله تعالى نفعا منصوب على التمييز من اقرب وهو منقول من الفاعلية فان الاصل ابهم اقرب لكم نفعه وفريضة مصدر مؤكد لفعل محذوف من لفظها اى فرض الله ذلك فريضة اومؤكد لمضمون الجملة السابقة وهى قوله يوصيكم الله الآية لان معناه فرض الله عليكم ذلك فريضة واعلم انه تعالى اورد اقسام الورثة فى هذه الآيات على احسن الترتيبات وذلك ان الوارث اما ان يتصل بالميت بنفسه من غير واسطة او يتصل به بواسطة غيره والاوّل قسمان لان سبب الاتصال ان كان هو النسب فهو القسم الاوّل وان كان هو الزوجية فهو القسم الثانى فثبت ان اقسام الورثة ثلاثة اشرفها واعلاها مااتصل بالميت بغير واسطة من جهة النسب وذلك هو قرابة الولاد ويدخل فيها قرابة الاولاد والوالدين وهو القسم الاوّل من اقسام الورثة والقسم الثانى منها من اتصل به ابتداء من جهة الزوجية وهذا القسم متأخر فى الشرف عن القسم الاوّل لان اتصال الاوّل بالميت ذاتى واتصال الثانى به عرضى والذاتى اشرف من العرضى وهذا القسم هو المراد بقوله تعالى ولكم نصف ماترك ازواجكم الآية والقسم الثالث من اتصل بالميت بواسطة الغير وهو المسمى بالكلالة وهذا القسم متأخر عن القسمين الاوّلين لانه قد يعرض له السقوط بالكلية بخلاف القسمين الاوّلين وهم الاولاد والآباء والازواج فانهم لايسقطون بحال والله تعالى قدّم من الورثة من اتصل بنفسه من جهة النسب لانه اعلاهم ثم بذكر السبب الذى لايسقط بحال لانه دون الاوّل وهو الازواج ثم ذكر القسم الثالث بعدهما لانه دونهما ولما جعل نصيب الذكر مثل حظ الانثيين فى الوارث الذاتى كذلك جعل حظ الرجل ضعف المرأة ﴿قوله اى ولد وارث﴾ احتراز عن الولد المحروم كالكافر والقاتل والرقيق فانه لايحجب عند غير ابن مسعود لاحجب حرمان ولاحجب نقصان لانه لما جعل فى حكم استحقاق الارث كالميت ينبغى ان يجعل كذلك فى حكم الحجب ايضا والولد المضاف الى الزوجة كما يعم الذكر والانثى يعم ولدها من زوجها الذى يرثها او من غيره يعم ايضا من ولدته بنفسها والولد المولود من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفلوا فيكون كل واحد من هذه الاولاد حاجبا للزوج من النصف الى الربع ﴿قوله اى يورث منه﴾ يريد ان كان ناقصة ورجل اسمها ويورث على بناء المفعول من ورث الثلاثى فى محل الرفع على انه صفة لرجل وورث الثلاثى يتعدّى الى مفعولين الى الاوّل منهما بمن يقال ورثت من زيد ماله وقد تحذف كلمة من فيقال ورثت زيدا ماله اى من زيد وما فى الآية الكريمة من هذا القبيل اذ التقدير يورث منه وكلالة خبر كان ويحتمل ان يكون يورث فى محل النصب على انه خبر كان وكلالة حالا من الضمير فيه وكل واحد من الاحتمالين مبنى على ان تكون الكلالة عبارة عن الميت الذى لم يخلف ولدا ولا والدا وهو قول جمهور اهل اللغة وكثير من الصحابة ﴿قوله او مفعول له﴾ عطف على قوله حال وهو مبنى على ان تكون الكلالة اسما للقرابة من غير جهة الولد والوالد والمعنى يورث الرجل لاجل الكلالة ﴿قوله ويجوز ان يكون الرجل الوارث﴾ عطف على قوله اى الميت الخ فيكون يورث المبنى للمفعول من اورث الرباعى المبنى للمفعول وتكون الكلالة عبارة عن الوارث الذى لايكون ولدا ولا والدا كما روى عن جابر رضى الله عنه انه قال له عليه الصلاة والسلام يارسول الله انى رجل لايرثنى الا كلالة واراد به انه ليس له ولد ولا والد ﴿قوله اى من الام﴾ اجمع المفسرون ههنا على ان المراد من الاخ والاخت الاخ والاخت من الام استدلالا بما قرأ به بعض الصحابة رضى الله عنهم وبانه سبحانه وتعالى قال فى آخر هذه السورة قل الله يفتيكم فى الكلالة فاثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال وههنا اثبت للاخوة الثلث ولكل واحد منهما

السدس فوجب ان يكون المراد من الاخوة والاخوات من الام فقط وهناك الاخوة والاخوات من الابوين اومن الاب وبان ماقدرههنا لكل واحد منهما ولاكثر من ذلك وهو السدس والثلث هوفرض الام فالمناسب ان يكون ذلك لاولاد الام لالبنى الاعمام والعمات ﴿قوله ومفهوم الآية انهم لايرثون ذلك مع الام والجدة﴾ بناء على ان وجود الام والجدة يمنع كون المورث كلالة كما يمنع من ذلك وجود البنت وبنت الابن فيلزم ان لايرث اولادالام مع وجود الام والجدة كما لايرثون مع وجود البنت وبنت الابن لكنهم يرثون مع الام والجدة بالاتفاق فانتقض مفهوم الآية بهذه الصورة فوجب ان يقال قدخص عموم مفهوم الآية بماعدا تلك الصورة بالاجماع ﴿قوله تعالى اودين﴾ اى اومن بعد دين يوصى به اى يقربه فان الوصية بالدين عبارة عن الاقرار به ثم بين طرق الاضرار بالورثة بسبب الوصية بقوله بالزيادة على الثلث وهوظاهر والطريق الثانى ان يوصى بالثلث او بما دونه لالوجه الله تعالى بل يكون قصده بذلك تنقيص مايعود الى الورثة فهو ايضا من طرق الاضرار بالورثة بسبب الوصية ومن طرقه ايضاان يبيع شيأ بثمن رخيص اويشترى شيأ بثمن غال تنقيصا لحظ الورثة ومن طرق الاضرار بهم الاقرار بالدين بان يقربدين لايلزمه روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال «من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة» ﴿قوله وهو حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القرآءة﴾ وهى قرآءة يوصى على بناء الفاعل وفيه ضمير يعود على الرجل فى قوله وان كان رجل فقوله المذكور صفة يوصى وقوله والمدلول عليه عطف على المذكور يعنى ان ذا الحال فى قرآءة من قرأ على بناء المفعول هو ضمير يوصى المبنى للفاعل الذى دل عليه يوصى المبنى للمفعول لانه لماقيل يوصى بهاعلم ان ثمه موصيا فانتصب غير مضار حالا من فاعل ذلك الفعل المدلول عليه كما ارتفع رجال فى قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على قرآءة من قرأ يسبح على بناء المفعول فانه لماقال يسبح علم ان ثمه مسبحا فاضمر يسبح لدلالة المذكور عليه فارتفع رجال على انه فاعل لذلك المضمر المدلول عليه بقوله يسبح ومنه قوله * ليبك يزيد ضارع * اى يبكيه ضارع ﴿قوله وصية من الله مصدر مؤكد﴾ اى يوصيكم الله بذلك وصية اومنصوب على انه مفعول به لقوله مضار والمضارة وان كانت لاتتعدى ولاتتعلق بوصية الله حقيقة بل انماتتعلق بالورثة لكنه سبحانه وتعالى لماوصى بامر الورثة على وفق الحكمة والمصلحة كانت المضارة المتعلقة بهم كأنها متعلقة بوصية الله تعالى الواقعة فى حقهم فعديت اليها على سبيل المجاز فى التعلق مبالغة فى الزجر عنها ويؤيده قرآءة الحسن غير مضار وصية باضافة اسم الفاعل اليها مجازا والاصل غير مضار فى وصية واقعة من الله فاتسع فى امر التعدية حيث عدى بنفسه من غير واسطة لما ذكرنا من المبالغة كما قيل ياسارق الليلة باضافة اسم الفاعل الى ظرفه مجازا واتساعا والاصل ياسارقا فى الليلة ﴿قوله اى لاتضار وصية من الله﴾ يعنى ان قوله وصية من الله على تقدير ان يكون مفعول مضار يحتمل ان يكون المعنى غير مضار للوصية التى شرعها الله تعالى وندب عباده اليها وهى الوصية بالثلث او بمادونه لابمازاد عليه ويحتمل ان يكون المعنى غير مضار وصية الله تعالى بالاولاد اى فى شأن الورثة مطلقا بان يعطى كل ذى حق حقه والاضرار بهم اضرار بوصية الله سبحانه وتعالى فى حقهم فالاضرار بوصية الله على المعنى الاول جعل الوصية بالتبرعات على غير الوجه الذى شرعت عليه وعلى المعنى الثانى عدم رعاية ماأوصى به الله تعالى فى حق الورثة من ايصال حقوقهم اليهم اما بالاسراف فى الوصية او بالاقرار بدين لايلزمه فالباء فى قوله بالاولاد بمعنى فى والمراد بالاولاد الورثة مطلقا بطريق التعبير عن الكل باشهر افراده كما عبر عن مطلق الانتفاع بالمال باكله والمعنى وصية الله تعالى فى الورثة اى فى شأن ميراثهم فان قيل ماالحكمة فى انه سبحانه وتعالى ختم الآية الاولى بقوله فريضة من الله وختم هذه الآية بقوله وصية من الله فالجواب ان لفظ الفرض اقوى وآكد من لفظ الوصية فختم شرح ميراث الاولاد بذكر الفريضة وختم شرح ميراث الكلالة بالوصية ليدل بذلك على ان الكل وان كان واجب الرعاية الا ان رعاية حال الاولاد اولى واقوى ﴿قوله كالحدود المحدودة﴾ اى كالنهايات المضروبة المعينة التى تنتهى الاشياء عندها ولاتتجاوز عنها الى غيرها سميت شرآئع الله تعالى حدودا تشبيها لها بالحدود المتعارفة من حيث ان المكلف لايجوزله ان يتجاوزها الى غيرها كما لايتجاوز فى الاشياء عن حدودها وتميز كل شئ بحده فكذا تميز الحلال والحرام والطاعة والمعصية بالشرآئع المبينة ﴿قوله لانهما جريا على غير من هما له﴾ معنى قولهم جرت الصفة على غير من هى له ان الصفة خبر عن الشئ وصفة له اوحال منه وهى ليست فعلاله بل هى فعل الغير كقولك زيد عمرو ضاربه هو وجاء فى

ومفهوم الآية انهم لايرثون ذلك مع الام والجدة كما لايرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع (من بعد وصية يوصى بها اودين غير مضار) اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القرابة والاقرار بدين لايلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القرآءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول فى قرآءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم (وصية من الله) مصدر مؤكد اومنصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى لاتضار وصية من الله وهو الثلث فمادونه بالزيادة اووصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب (والله عليم) بالمضار وغيره (حليم) لايعاجل بعقوبته (تلك) اشارة الى الاحكام التى تقدمت فى امر اليتامى والوصايا والمواريث (حدود الله) شرآئعه التى هى كالحدود المحدودة التى لايجوز مجاوزتها (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) توحيد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ ابن عامر ونافع ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا والالوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هماله

زيد راكبا غلامه فضاربه جرى على المبتدأ الثانى خبرا عنه وهو فعل المبتدأ ثم هنا اصلان احدهما ان تكون الصفة فعلا ثابتا لماجرت عليه والثانى استكنان الضمير فيها لانه اخصر وباب الاضمار للاختصار فاذاقلت زيد عمرو ضاربه فهذا الكلام يحتمل معنيين احدهما ان يكون الضرب فعلا لعمرو ويكون زيد هو المضروب ويضاف ضارب الى ضمير زيد والآخر أن يكون الضرب فعلا لزيد ويكون المضرب هو عمرو ويضاف ضارب الى ضمير عمرو فاذا ارادوا المعنى الاوّل قالوا زيد عمرو ضاربه من غير ابراز الضمير لان الصفة لما كانت فعلا لماجرت عليه كما هو الاصل فيها اعطيت ماهو الاصل فيها وهو استكنان الضمير وان ارادوا المعنى الثانى قالوا زيد عمرو ضاربه هو لان الصفة لماعدل بها عماهو الاصل فيها حيث لم تكن فعلا لماجرت عليه عدل بها عن حكمها الاصلى وهو الاستكنان وابرز الضمير ليكون امارة للعدول عن اصلها اذاتقرّر هذا ظهر لك ان كل واحد من خالدين وخالدا لوكان صفة لجنات لوجب ابراز الضمير بان يقال خالدين هم وخالدا هو فيها **﴿قوله تعالى واللاتى﴾** جمع التى على غير قياس وقيل هى صيغة موضوعة للجمع جعل سبحانه وتعالى مايثبت به الزنى من الشهادة شهادة اربعة من رجال المسلمين تغليظا على المدّعى وسترا على العباد وقيل انما كان الشهود فى الزنى خاصة اربعة ليقوم نصاب الشهادة كاملا على كل واحد من الزانيين كسائر الحقوق اذهو حق يوجد من كل واحد منهما وفيه مالايخفى من الضعف ولعل حكمة حبس الزوانى الى ان يمتن ان المرأة انما تقع فى الزنى بسبب خروجها وبروزها للرجال فاذاحبست فى البيت فقد تحصنت عن السبب الذى ارتكبت الزنى بسببه فلا تقدر على الزنى فتكون العفة عن الزنى عادة مستمرّة لها **﴿قوله حتى يستوفى ارواحهنّ الموت﴾** جواب عما يقال معنى التوفى الامانة فيكون قوله حتى يتوفاهنّ الموت بمنزلة ان يقال حتى يميتهنّ الموت ولامعنى له* واجاب عنه اوّلا بان المراد حتى يأخذهنّ الموت ويستوفى ارواحهنّ من قولهم توفيت مالى على فلان اى استوفيته بمعنى قبضته وفى الصحاح استوفيته وتوفيته بمعنى وثانيا بان الكلام على تقدير المضاف اى حتى يتوفاهنّ ملائكة الموت كما فى قوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها اى حتى تضع اصحاب الحرب قال ابومسلم المراد بقوله واللاتى يأتين الفاحشة السحاقات وحدّهنّ الحبس الى الموت والسحاقة هى المرأة التى تستمتع بالمرأة الاخرى والمراد بقوله واللذان يأتيانها منكم اهل اللواطة وحدّها الاذى بالقول والفعل والمراد بما فى سورة النور من قوله تعالى الزانية والزانى الآية ماوقع بين الرجل والمرأة من الزنى وحدّه فى البكر الجلد وفى المحصن الرجم ويدل على ذلك وجوه احدها ان قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم مخصوص بالنسوان وقوله واللذان يأتيانهـا منكم مخصوص بالرجال لان قوله واللذان تثنية المذكر*فان قيل لم لايجوز ان يكون المراد من قوله واللذان الذكر والانثى الاانه غلب الذكر*فالجواب انه لوكان المراد ذلك لماافرد ذكر النساء من قبل فلماافرد ذكرهنّ اوّلا ثم ذكر بعده واللذان يأتيانها منكم سقط ذلك الاحتمال وثانيها انه على هذا التقدير لايحتاج الى التزام النسخ فى شئ من الآيات بل يكون حكم كل واحدة منها مقرّرا على حاله وعلى ماذكرتم يلزم النسخ فى هاتين الآيتين والنسخ خلاف الاصل وثالثها انه لوكان كل واحد من قوله واللاتى يأتين الفاحشة ومن قوله واللذان يأتيانها منكم واردا فى الزنى يلزمه ان يذكر الشئ الواحد فى الموضع الواحد مرّتين وانه تكرير لاوجه له وقال ابومسلم ويدل على صحة ماذكرنا قوله عليه الصلاة والسلام *اذااتى الرجل الرجل فهما زانيان واذا اتت المرأة المرأة فهما زانيتان *وقال ايضا لقد قال بهذا القول مجاهد وهو من اكابر المفسرين ولئن سلمنا انه لم يقل به احد من المفسرين المتقدمين فنقول قد ثبت فى اصول الفقه ان استنباط تأويل جديد فى الآية لم يذكره المتقدمون جائز وروى عن مجاهد انه قال وجه التكرير ان الاولى وردت فى عقوبة النساء وهذه الآية وردت فى عقوبة الرجال وخص الحبس فى البيت بالمرأة وخص الايذآء بالرجال لان المرأة انما تقع فى الزنى بسبب الخروج والبروز للرجال فاذاحبست فى البيت انقطعت عنها مادّة هذه المعصية واما الرجل فلايمكن حبسه فى البيت لانه يحتاج الى الخروج لاصلاح معاشه ومهماته واكتساب قوت عياله فعوقب بمايليق بحاله **﴿قوله اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله﴾** اشارة الى ان كلمة انما هى ان المكفوفة بما وان التوبة مرفوعة على الابتدآء وعلى الله خبره وان كلمة على الدالة على الوجوب مستعارة لتأكيد الوعد وعدم وقوع الخلف فيه تشبيها لتقرّر انجاز الموعود بمقتضى فضله وكرمه بوجود عليه فقوله على الله على تقدير كونه خبرا يكون للذين متعلقا بمحذوف على انه حال من الضمير فى الظرف وهو على الله اى هى على الله كائنة للذين لما اخبر الله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة ان اللذين يأتيان الفاحشة اذا تابا

(واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم) اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنى لزيادة قبحها وشناعتها (فاستشهدوا عليهنّ اربعة منكم) فاطلبوا ممن قذفهنّ اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهنّ (فان شهدوا فامسكوهنّ فى البيوت) فاحبسوهنّ فى البيوت واجعلوها سجنا عليهنّ (حتى يتوفاهنّ الموت) حتى يستوفى ارواحهنّ الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهنّ فى اوآئل الاسلام فنسخ بالحدّ ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهنّ بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهنّ ماجرى بسبب الخروج والتعرّض للرجال ولم يذكر الحدّ استغناء بقوله الزانية والزانى (او يجعل الله لهنّ سبيلا) كتعين الحدّ المخلص عن الحبس او النكاح المغنى عن السفاح (واللذان يأتيانها منكم) يعنى الزانية والزانى وقرأ ابن كثير بتشديد النون وتمكين مدّ الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين (فآذوهما) بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعريب والجلد (فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما) فاقطعوا عنهما الايذآء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر (ان الله كان توابا رحيما) علة الامر بالاعراض او ترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى فى السحاقات وهذه فى اللواطين والزانية والزانى فى الزناة (انما التوبة على الله) اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته

واصلحا زال عنهما الايذاء واخبرانه سبحانه وتعالى تواب رحيم ذكرهنا وعده بقبول التوبة ممن ابتدأ التوبة من زمان قريب من زمان معصيته وبادر بالاستغفار مجانبا عن الاصرار وهذا المعنى على تقدير ان من فى قوله من قريب لابتدآء الغاية فى الزمان ولم يلتفت المصنف اليه وجعلها للتبعيض فان مابين زمان وجود المعصية وزمان حضور الموت لاشك انه زمان قليل فمن تاب فى اىّ جزء من اجزآء هذا الزمان فهو تائب بعض زمان قريب ومن اخر التوبة الى وقت انقضاء اجزآء هذا الزمان فهو مصرّ على الذنب غير تائب عنه وان تاب وندم اشدّ الندامة ﴿ قوله ملتبسين بها سفها ﴾ اشارة الى ان بجهالة متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من فاعل يعملون ومعنى الباء فيه المصاحبة اى ملتبسين بجهالة اى مصاحبين لها والى ان ليس المراد بالجهالة عدم العلم بان ماعمله ذنب لان الذين يعملون السوء من غير ان يعلموا انه ذنب لايستحقون العقاب فلا حاجة لهم الى التوبة لان الخطأ مرفوع عن هذه الامة بل المراد بالجهالة السفه وخفة العقل سمى السفيه الذى يرتكب المعصية مع العلم بانها معصية جاهلا تنزيلا له منزلة الجاهل لانه لو جرى على مقتضى علمه بالحساب الجزآء واثابة المطيع وعقاب العاصى لما اقدم على المعصية فلما ارتكبها لسفهه وخفة عقله صار كأنه لاعلم له فسمى جاهلا عن قتادة انه قال اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل ما عصى به الله فهو جهالة وكل من عصى الله فهو جاهل قال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام أصب اليهنّ واكن من الجاهلين وقال هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون وقال لنوح عليه الصلاة والسلام انى اعظك ان تكون من الجاهلين وقال موسى لبنى اسرآئيل حين قالوا له اتتخذنا هزؤا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ﴿ قوله او قبل ان يشرب فى قلوبهم حبه ﴾ اى حب السوء قال الامام القشيرى قوله تعالى ثم يتوبون من قريب على لسان اهل العلم قبل الموت وعلى لسان اهل المعاملة قبل ان تتعوّد النفس ذلك فتصير كالطبيعة قال قائلهم

قلت للنفس ان اردت رجوعا ❊ فارجعى قبل ان يسدّ الطريق

فسر المصنف رحمه الله الزمان القريب بامرين ماقبل ان ينزل بهم سلطان الموت وقهره وماقبل ان يروقه السوء ويتزين له ﴿ قوله وعد بالوفاء بما وعد به ﴾ دفع لما يتوهم من كون قوله تعالى فاولئك يتوب الله عليهم تكريرا لقوله انما التوبة على الله وتقريره انه سبحانه وتعالى كتب على نفسه ووعد بنفس قبول التوبة ثم وعد بهذه الآية الوفاء بما وعد به اوّلا فالاوّل انشاء الوعد بنفس القبول والثانى وعد بانجازه فلا تكرار وهو سبحانه وتعالى اذا وعد بشئ لابدّ ان ينجز وعده لان الخلف فى وعده محال ولما كان ذلك تشبيها بالواجب صح اطلاق كلمة على فان معنى الوجوب ههنا عند اهل السنة ان عادة الله جارية بقبول التوبة بحيث استمرت ولم تقبل التغيير فلهذا صوّر بصورة الوجوب وعبر عنه بعلى ﴿ قوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت ﴾ حتى حرف ابتدآء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها اى ليست التوبة لقوم يعملون السيئات وغاية عملهم اذا حضرهم قالوا كيت وكيت ودلت الآية على ان من حضره الموت وشاهد أهواله لاتقبل توبته ونظيرها قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقال المحققون قرب الموت لايمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاهوال التى عندها يحصل العلم بالله تعالى على سبيل الاضطرار وقوله تعالى الذين فى قوله ولا الذين يموتون مجرور المحل عطفا على قوله للذين يعملون اى ليست التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء ولما ورد ان يقال من مات على ماعاش عليه من الكفر من غير توبة لم يتحقق منه التوبة اصلا فكيف سوّى بينه وبين من سوّف التوبة الى حضور الموت والتائب لايسوّى بغير التائب اجاب عنه بان معنى التسوية المبالغة فى عدم الاعتداد بتوبة من سوّفها الى حضور الموت لا التسوية بين التوبتين وعدم قبولهما واشار فى اثناء الجواب الى ان المراد بالذين يعملون السيئات مايعم الفريقين من فساق اهل القبلة ومن الكفار وعطف عليه القول المذكور بعده ﴿ قوله وقال انا احق بها ﴾ اى من اوليائها ومن نفسها فلا يمكنها ان تتزوّج غير ذلك العصبة ويكون امر نكاحها اليه ان شاء صيرها لنفسه وان شاء زوجها غيره فعلى هذا القول لايرث العصبة من الميت عين امرأته وانما يرث ولاية امر نكاحها ودلالة الآية على النهى عن ذلك مبنى على ان يكون تقديرها ان ترثوا امر نكاحها وان تكونوا احق بها من نفسها ومن سائر الناس وعلى القول الثانى لايحل ان يرث العصبة نكاح امرأة الميت فيأخذ عينها على سبيل الارث كما يرث اعيان امواله نقل عن المفسرين ان هذه الآية نزلت فى اهل المدينة لانهم كانوا فى الجاهلية وفى اوّل الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها او قريبه من

(للذين يعملون السوء بجهالة) ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته (ثم يتوبون من قريب) من زمان قريب اى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل توبة عبده مالم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى يتوبون فى اىّ جزء من الزمان القريب الذى هو ماقبل ان ينزل بهم سلطان الموت او تزين السوء (فاولئك يتوب الله عليهم) وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله (وكان الله عليما) فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة (حكيما) والحكيم لايعاقب التائب (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار) سوّى بين من سوّف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار (اولئك اعتدنا لهم عذابا أليما) تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعدّ لهم لايعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدّة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء (يا ايها الذين آمنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها) كان الرجل اذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوّجها بصداقها الاوّل وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لايحل لكم ان تأخذوهنّ على سبيل الارث فتتزوّجوهنّ كارهات لذلك اومكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائى كرها بالضم فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح مايكره عليه

عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة او على خبائها وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصار احق بها من سائر الناس
ومن نفسها فان شاء تزوّجها من غير صداق الا الصداق الاوّل الذى اصدقها الميت وان شاء زوّجها من انسان آخر
واخذ صداقها ولم يعطها منه شيأ وان شاء عضلها وحبسها مع سوء العشرة ومنعها من الازواج يضارّها لتفتدى
منه بما ورثت من الميت او تموت فيرثها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل ان يلقى عليها ولىّ زوجها ثوبه فهى احق
بنفسها فكانوا على هذا الى ان نزلت هذه الآية ونهوا عن تلك العادة فقتضى هذه العادة ان يرث ولى الميت نكاح
امرأته فنهوا عن ذلك وربما يشعر ان تكون زوجة الرجل عجوزا ولها مال ونفسه تتوق الى الشابة فيكره فراق العجوز
لمالها فيمسكها ولا يقربها حتى تفتدى منه بمالها او تموت فيرث منها فنزلت الآية فامر الزوج ان يطلقها ان كره
صحبتها ولا يمسكها كرها حتى تموت فيرث منها مالها وهى كارهة الامساك على الوجه المذكور فالوراثة على هذا
القول وراثة اموالهنّ لا وراثة اعيانهنّ ونكاحهنّ فقوله تعالى ان ترثوا النساء فى محل الرفع على انه فاعل يحل
اى لا يحل لكم ارث النساء والنساء فيه وجهان احدهما انه المفعول الاوّل والمفعول الثانى محذوف والتقدير ان
ترثوا من النساء المال وكرها مصدر منصوب على انه حال من النساء اى ترثوهنّ كارهات او مكرهات والباء فى قوله
ببعض اما للتعدية المرادفة لهمزتها اى لتذهبوا بما آتيتموهنّ واما للمصاحبة فيكون الجار والمجرور فى محل النصب
على الحال ويتعلق بمحذوف اى لتذهبوا مصحوبين ﴿قوله اى اتأخذونه باهتين وآثمين﴾ على ان يكون بهتانا
واثما مصدرين فى موضع الحال من فاعل اتأخذونه وان انتصبا على انهما مفعول لهما يكون المعنى اتأخذونه
لبهتانكم اياهنّ واثمكم فيكون متعلق الانكار فى الحقيقة هو جعلهما علتين للاخذ وان لم يكونا غرضين فان
المفعول له لا يجب ان يكون غرضا مطلوبا من الفعل كما فى قولك قعدت عن الحرب جبنا والبهتان الكذب على الغير
مواجهة مكابرة على وجه يحيره واصله من بهت الرجل اذا تحير قال تعالى فبهت الذى كفر اى تحير فالبهتان كذب
يحير الانسان لعظمه ثم استعمل لفظ البهتان فى كل فعل باطل يتحير من بطلانه وفى الكشاف البهتان ان تستقبل
الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريئ منه فانه يبهت عند ذلك اى يتحير قال المفسرون دلت الآية على جواز المغالاة
فى المهر روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قام خطيبا فقال على المنبر الا لا تغالوا فى مهور نسائكم فلو كانت
مكرمة فى الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصدق امرأة من نسائه اكثر
من اثنتى عشرة اوقية * فقامت اليه امرأة فقالت له يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم
احداهنّ قنطارا فقال عمر كل الناس افقه منك يا عمر حتى النساء ورجع عن ذلك ثم قال لاصحابه تسمعوننى اقول مثل
هذا فلا تنكرونه علىّ حتى تردّ علىّ امرأة ليست من اعلم النساء * ثم قال الامام وعندى ان الآية لا دلالة فيها على
جواز المغالاة لان قوله تعالى وآتيتم احداهنّ قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ لا يدل على جواز ايتاء القنطار كما ان قوله
تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لا يدل على حصول الآلهة والحاصل انه لا يلزم من جعل الشئ شرطا لشئ
آخر كون ذلك الشرط فى نفسه جائز الوقوع قال عليه الصلاة والسلام * من قتل له قتيل فهو بين خيرتين ولم يلزم
جواز القتل وقد يقول الرجل لو كان الاله جسما لكان محدثا وهذا حق لا يلزم منه ان تكون قضية الاله جسم حقا
انتهى كلامه وليس المراد من الايتاء فى قوله وآتيتم احداهنّ الايتاء حسا بل ما يعمه ويعم الايتاء حكما لان من سمى
صداقا فى عقد النكاح والتزم ايتاءه اياها فانه قد آتاها ذلك المسمى فى حكم الله تعالى * ثم اعلم ان سوء العشرة
ان كان من قبل الزوجة حل اخذ بدل الخلع لقوله تعالى ولا تعضلوهنّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ الا ان
يأتين بفاحشة وان كان من قبل الزوج كره له ان يأخذ من مهرها شيأ لانه نهى فى هذه الآية عن الاخذ ثم انه ان
خالف النهى واخذ شيأ منه ملكه كما ان البيع وقت النداء منهى عنه ثم انه يفيد الملك وكيف فى قوله تعالى وكيف
تأخذونه كلمة تعجب كأنه تعالى يقول يعجبا منكم من اىّ وجه ولاىّ حال تأخذون ذلك وهذا كقوله تعالى كيف
تكفرون بالله ﴿قوله والحال انه وصل اليها بالملامسة﴾ الفضاء السعة يقال افضى فلان اذا ذهب الى فضاء اى
ناحية سعة قال الليث افضى فلان الى فلان اى وصل اليه واصله انه صار الى فضائه وفرجته وقال غيره اصل الافضاء
الوصول الى الشئ من غير واسطة وللمفسرين فى هذا الافضاء المذكور فى هذه الآية قولان احدهما ان الافضاء
ههنا كناية عن الجماع فانه سبحانه وتعالى نزه كتابه عن كل ما يستبشع سماعا فسماه سرّا فى آية وافضاء فى آية اخرى
ومسا فى آية ثالثة قال ابن عباس والسدّى ومجاهد وهو اختيار الزجاج وذهب اليه الامام الشافعى وقال الخلوة

(ولا تعضلوهنّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ)
عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفى اى
ولا تمنعوهنّ من التزوّج واصل العضل
التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها
وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون
النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهنّ
او يختلعن بمهورهنّ وقيل تم الكلام بقوله
كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل
(الا ان يأتين بفاحشة مبينة) كالنشوز
وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء
من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا
تعضلوهنّ للافتداء الا وقت ان يأتين
بفاحشة او لا تعضلوهنّ لعلة الا لان يأتين
بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر مبينة هنا
وفى الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون
بكسرها فيهنّ (وعاشروهنّ بالمعروف)
بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول
(فان كرهتموهنّ فعسى ان تكرهوا شيأ
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) اى فلا تفارقوهنّ
لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح
دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه
وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى
الى الخير وعسى فى الاصل علة الجزاء فاقيم
مقامه والمعنى فان كرهتموهنّ فاصبروا عليهنّ
فعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم
(وان اردتم استبدال زوج مكان زوج)
تطليق امرأة وتزوّج اخرى (وآتيتم
احداهنّ) اى احدى الزوجات جمع الضمير
لانه اراد بالزوج الجنس (قنطارا) مالا كثيرا
(فلا تأخذوا منه شيأ) اى من القنطار
(اتأخذونه بهتانا واثما مبينا) استفهام
انكار وتوبيخ اى اتأخذونه باهتين وآثمين
ويحتمل النصب على العلة كما فى قولك قعدت
عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم
واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا
اراد جديدة بهت التى تحته بفاحشة حتى
يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى
تزوّج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب
الذى يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل فى
الفعل الباطل ولذلك فسرها هنا بالظلم
(وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى
بعض) انكار لاسترداد المهر والحال انه
وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرّر المهر

(الصحيحة)

(واخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة اوما اوثق الله عليهم فى شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان اوما اشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله (ولا تنكحوا مانكح آباؤكم) ولاتنكحوا التى نكحها آباؤكم وانماذكر مادون من لانه اريد به الصفة وقيل مامصدرية على ارادة المفعول من المصدر (من النساء) بيان مانكح على الوجهين (الا ما قدسلف) استثناء من المعنى اللازم للنهى فكأنه قيل تستحقون العقاب بنكاح مانكح آباؤكم الا ماقدسلف او من اللفظ للمبالغة فى التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غيران سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * والمعنى ولاتنكحوا حلائل آبائكم الا ماقد سلف الا ما امكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قدسلف فانه لامؤاخذة عليه لانه مقرر (انه كان فاحشة ومقتا) علة للنهى اى ان نكاحهن كان فاحشة عندالله مارخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوى المروآت ولذلك سمى ولد الرجل من زوجة ابيه المقتى (وساء سبيلا) سبيل من يراه ويفعله

الصحيحة لاتؤكد المهر فمن طلق امرأته قبل المسيس فله ان يرجع فى نصف المهر وان خلا بها وثانيهما ان المراد بالافضاء المذكور هنا هو الخلوة وان لم يجامعها قال الكلبى الافضاء ان يكون معها فى لحاف واحد جامعها اولم يجامعها وهذا اختيار الفراء ومذهب ابى حنيفة فان الخلوة معها فى الانكحة الصحيحة تقرر المهر لما روى عن ثوبان انه قال قال عليه الصلاة والسلام * من كشف خمار امرأة ونظر اليها وجب الصداق * وقال عمر وعلى اذا اغلق بابا وارخى سترا وجب عليه الصداق وعليها العدة واختار المصنف الافضاء ههنا بمعنى الوصول والملامسة بالجماع كما هو مذهب الامام الشافعى ﴿ قوله وهو حق الصحبة ﴾ يعنى ان المراد باخذهن الميثاق من ازواجهن منهم مايقتضى العهد بالقيام على مقتضى الالفة والمودة المتفرعتين على افضائهم اليهن والعهد المذكور من حقوق هذا الافضاء وتوابعه فلما اخذن منهم الافضاء والمصاحبة صرن كأنهن اخذن منهم مايتبع ذلك الافضاء ويستحق بسببه وهو ماذكر من العهد الوثيق كأنه قيل واخذن منكم ميثاقا غليظا بافضاء بعضكم الى بعض فوصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج ﴿ قوله اوما اوثق الله عليهم فى شأنهن ﴾ فان الولى لما قال عند العقد انكحك على مافى الكتاب الله تعالى من امساك بمعروف او تسريح باحسان فقبل الزوج ايجاب الولى على الوجه المذكور فقد اخذ الولى ميثاقا فى حقها صارت كأنها اخذت منه الميثاق بنفسها ﴿ قوله لانه اريد به الصفة ﴾ يعنى ليس المراد بمانكح آباؤكم خصوصية ذات المرأة حتى يجب ان يعبر عنها بمن بل المراد وصف كونها منكوحة الاب وقدتقرر ان كلة مايعبربها عن صفة من يعقل ﴿ قوله فكأنه قيل تستحقون العقاب بنكاح مانكح آباؤكم الا ماقدسلف ﴾ اى الا نكاح قدوقع منكم قبل نزول آية التحريم فعلى هذا المعنى يكون انتظام الآية بماقبلها انه لما نزل قوله تعالى لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها قالوا تركناهذا لانرثهن كرها لكن نخطبهن فننكحهن برضاهن فنزلت هذه الآية فنهوا عن ذلك ايضا قالوا كنا نفعل ذلك فكيف حال ماكان منا قبل فبين الله سبحانه وتعالى انه لا اثم عليهم بما فعلوا قبل ذلك لوقوعه قبل نزول ماحرمه ﴿ قوله اومن اللفظ ﴾ اى هو استثناء متصل من قوله مانكح آباؤكم ولما ورد ان يقال استثناء ماقدسلف من النساء مما نكح الآباء يدل على جواز نكاح من سلف ومضى ونكاح من مضى محال فامعنى تجويزه * اجاب عنه بانه ليس المقصود من الاستثناء تجويز نكاح من سبق من النساء بل المقصود المبالغة فى النهى عن نكاح منكوحة الاب فانه اذا انحصر من جاز نكاحه مما نكح الآباء فيمن سلف منهن ولم يجز نكاح غيرهن ومن المعلوم ان نكاحهن غير ممكن فقد ثبت حرمة نكاحهن مطلقا على ابلغ وجه ونظيره استثناء قوله * غير ان سيوفهم بهن فلول * من العيب للمبالغة فى النفى فان معنى ان سيوفهم بهن فلول هو الشجاعة واستثناء الشجاعة من العيب لابد ان يكون على تقدير كونها عيبا فيكون وجود العيب فيهم لايكون الا على تقدير ان تكون الشجاعة عيبا لكن هذا محال وما لا يثبت الا على تقدير محال يكون محالا فوجود العيب فيهم محال فهذا الطريق ابلغ فى نفى العيب عنهم من ان يقال لاعيب فيهم بدون الاستثناء ﴿ قوله وقيل الاستثناء منقطع ﴾ لان المستثنى منه هو النكاح الذى يتعلق فى المستقبل بمنكوحة الآباء ولايدخل فيه النكاح الذى تعلق بها فى الماضى حتى يكون استثناؤه منه متصلا ومعنى استثناء النكاح الواقع فى الماضى من النكاح المنهى عنه انه لا مؤاخذة عليه كما يؤاخذ على النكاح المنهى عنه لانه مقرر لانه عليه الصلاة والسلام ماأقر احدا على نكاح امرأة ابيه وان كان واقعا فيما مضى من زمن الجاهلية ﴿ قوله اى ان نكاحهن ﴾ اشارة الى ان ضميرانه يعود على النكاح المفهوم من قوله ولاتنكحوا وصف الله تعالى هذا النكاح بامور ثلاثة الاول انه فاحشة عندالله اى فى حكمه وقضائه وذلك ان زوجة الاب شبه الام فنكاحها يشبه نكاح الام الذى هو من افحش الفواحش فلاجرم كان مايشبهه فاحشة والثانى انه مقت اى ممقوت مبغض اشد البغض عند ذوى المروآت فان نكاح من اشبه الام ومباشرته يبغضه ويستقبحه كل من له مروءة قيل سئل ابن الاعرابى عن نكاح المقت قال هو ان يتزوج الرجل امرأة ابيه اذا طلقها اومات عنها كان ذلك قبل النهى عنه منكرا فى قلوبهم ممقوتا عندهم والمقت هو البغض المقرون بالاستحقار فهو اخص منه وهو من الله سبحانه وتعالى فى حق العبد يدل على غاية الخزى والخسار وكانت العرب اذا تزوج الرجل بامرأة ابيه فأولدها يقولون للولد مقتى اى منسوب الى نكاح المقت ويقال له ايضا مقيت لكونه ممقوتا مبغضا محتقرا والثالث قوله وساء سبيلا وفى ساء ضمير مبهم يفسره مابعده وهو سبيلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره ساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله لان مايكون

فاحشة عندالله ومقتا عند ذوى المروآت يكون من اقبح السبل ﴿قوله ليس المراد تحريم ذاتهن﴾ لان التحريم لايتعلق بالعين وانما يتعلق بفعل من افعال المكلف والمراد بذلك الفعل ههنا هو النكاح والقرينة المعينة له كونه اظهر المقاصد المقصودة من النساء فلا وجه لما ذهب اليه الكرخى من ان هذه الآية مجملة لانه سبحانه وتعالى اضاف التحريم فيها الى البنات والامهات والحل والحرمة ونحوهما اذا اضيفت الى الاعيان فالمراد تحليل الفعل المطلوب منها وتحريمه وذلك الفعل غير مذكور فى الآية وليس بعض الافعال اولى من بعض لاضافة التحريم اليه فصارت الآية مجملة من هذا الوجه وذلك لان التحريم وان اضيف الى الاعيان ظاهرا الا ان المراد تحريم نكاحهن لما ذكر من الدلائل الثلاث ﴿قوله وامرها﴾ مبتدأ وعلى قياس النسب خبره وباعتبار المرضعة خبرثان اى وامر الرضاعة كائن على قياس النسب متحقق باعتبار المرضعة وزوجها الذى انزل لبنها بسببه فكما ان الام نسبا هى صاحبة اللبن والاب نسبا هو الذى كان منه لبن الرضاعة كذلك الام والاب من الرضاعة الا ان الحرمة غير مقصورة عليهن لقوله عليه الصلاة والسلام *يحرم من الرضاع مايحرم من النسب* وانما عرفنا ان الامر كذلك بدلالة هذه الآيات وذلك لانه سبحانه وتعالى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا فقد نبه بذلك على ان الرضاع جار مجرى النسب لانه سبحانه وتعالى حرم بسبب النسب* سبعا * اثنتان منها هما المنتسبتان بطريق الولادة وهما الامهات والبنات وخمس منها بطريق الاخوة وهى الاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت *ثم انه سبحانه وتعالى لما شرع بعد ذلك فى احوال الرضاع ذكر من كل واحد من هذين القسمين صورة واحدة تنبيها بها على الباقى فذكر من قسم قرابة الولادة الامهات ومن قسم قرابة الاخوة الاخوات ونبه بذكرهذين المثالين من هذين القسمين على ان الحال فى *باب الرضاع كما هو فى باب النسب ثم انه عليه الصلاة والسلام اكد هذا البيان بصريح قوله *يحرم من الرضاع مايحرم من النسب* فصار صريح الحديث مطابقا لمفهوم الآية فقول المصنف رحمه الله وامرها على قياس النسب اختصار لخلاصة كلام الامام حيث قال ام الانسان من الرضاع هى التى ارضعته وكذلك كل امرأة انتسبت الى تلك المرضعة بالامومة من جهة النسب او من جهة الرضاع وكذا القول فى الاب رضاعا فان الحال فيه كما فى الام واذا عرفت الام والاب فقد عرفت النسب ايضا بذلك الطريق واما الاخوات فثلاث الاولى اختك لابيك وامك وهى الصغيرة الاجنبية التى ارضعتها امك بلبن ابيك سواء ارضعتها معك او مع ولد قبلك او بعدك والثانية اختك لابيك دون امك وهى التى ارضعتها غير امك بلبن ابيك والثالثة اختك لامك دون ابيك وهى التى ارضعتها امك بلبن رجل آخر واذا عرفت ذلك سهل عليك معرفة العمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت ﴿قوله واستثناء اخت ابن الرجل﴾ قال فى الكشاف قالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا فى مسئلتين احداهما انه لايجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع فى النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود فى الرضاع والثانية انه لايجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز فى الرضاع لان المانع فى النسب وطئ الاب اياها وهذا المعنى غير موجود فى الرضاع انتهى كلامه فقوله لان المانع فى النسب وطؤه امها لان كون اخت الابن اختا له لام بان تكون الاخت بنت موطوءته من رجل آخر فلا يكون بينه وبين اخت ابنه حرمة النسب بل حرمة المصاهرة فلا يصح الاستثناء فاذا ارتضع ابنه من امرأة لها بنت من اجنبى كانت البنت المذكورة اختا لابنه من الرضاع ولا تحرم عليه تلك البنت اذ لانسب بينهما ولا مصاهرة وقوله لان المانع فى النسب وطئ الاب اياها فان الرجل اذا كان له اخت لاب لا من امه بل من امرأة اخرى تكون تلك المرأة موطوءة اب ذلك الرجل وابنتها ربيبة له فلا يجوز للرجل ان يتزوجها لذلك لا لاجل ان بينهما حرمة من جهة النسب واذا ارتضعت اخت الرجل من امرأة كانت تلك المرأة ام اخت ذلك الرجل من الرضاع ولا تحرم هى عليه لفقدان ماهو المحرم فى النسب وهى كونها موطوءة الاب ولا يصح استثناؤه لان الحرمة فى النسب للمصاهرة لاللنسب ﴿قوله تعالى فى حجوركم﴾ جمع حجر بفتح الحاء وكسرها وهو مقدم اثواب الانسان ثم استعمل لفظ الحجر فى الحفظ والتربية كما فى هذه الآية فان المراد بقوله فى حجوركم فى تربيتكم وحفظكم يقال فلان فى حجر فلان اذا كان فى حفظه وتربيته والسبب فى هذه الاستعارة ان كل من ربى طفلا جعله فى حجره فبهذه الملابسة استعمل الحجر فى التربية كما يقال فلان فى حضانة فلان واصله من الحضن الذى هو الابط وقال ابو عبيدة فى حجوركم اى فى بيوتكم وقوله تعالى من نسائكم يحتمل ان يكون حالا من ربائبكم اى وربائبكم كائنات من نسائكم وان يكون حالا من الضمير المستكن فى قوله فى حجوركم لانه لما وقع صلة يحمل

(ضميرا)

(حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت) ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم مايقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ماقبله ومابعده فى النكاح وامهاتكم يعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم يتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكر اولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى (وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذى رد عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع مايحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما من النسب بالمصاهرة دون النسب (وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) ذكر اولا محرمات النسب ثم محرمات الرضاعة لان لهما لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج

ضميرا اى اللاتى استقررن فى حجوركم كائنات من نسائكم والمعنى ان الربيبة الكائنة من المرأة المدخول بها محرّمة على الرجل وحلال له اذا لم تكن من المدخول بها واللاتى الاولى بصلتها صفة لربائبكم ومن تمام صلتها قوله من نسائكم اللاتى دخلتم بهنّ فكأنه اختار كونه حالا من المستكن فى قوله فى حجوركم لظهور كونه داخلا فى حيز الصلة حينئذ وكون الصفة مقيدة للفظ الموصوف عبارة عن كونها تابعة للفظ من حيث الاعراب مطابقة له فى الاحكام اللفظية وكونها مقيدة لحكمه عبارة عن كون الحكم مشروطا بتحقق مضمون الصفة المقيدة فان حكم الربائب وهو الحرمة مشروط بكونهنّ بنات النسوة المدخول بهنّ وان لم يكن مشروطا بكونهنّ فى حجور الازواج وتربيتهنّ فان قوله سبحانه وتعالى اللاتى فى حجوركم لامفهوم له بل هو مذكور بناء على ماهو الغالب من احوالهنّ والذكره فائدة ذكرها المصنف رحمه الله بقوله وفائدة قوله فى حجوركم الخ وقوله بالاجماع متعلق بقوله مقيدة فان العلماء رضى الله عنهم قد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مطلق غير مقيد بكونهنّ فى حجور الازواج وتربيتهم وبكونهنّ امهات النساء المدخول بهنّ وعلى ان تحريم الربائب مقيد بكونهنّ من النساء المدخول بهنّ كما صرح به فى الكشاف ﴿قوله والكلمة الواحدة لاتحمل على معنيين﴾ لاسيما اذا كانا متنافيين كما فى هذا الموضع فان معنى البيانية يقتضى اتحاد الثانى بالاوّل والابتدائية توجب حصول الثانى من الاوّل وبينهما تناف وبالجملة انهما معنيان مختلفان واللفظ المشترك لايصح ان يستعمل فى معنييه ﴿قوله الا اذا جعلتها للاتصال﴾ فان كلمة من قد تستعمل فى معنى اتصال الشئ بالشئ فحينئذ يصح ان يجعل من نسائكم متعلقا بالامهات والربائب جميعا حالا منهما لكون الاتصال بالنساء قدرا مشتركا بين الامهات والربائب فان امهات النساء متصلات بالنساء بكونهنّ امهاتهنّ وكذا الربائب متصلات بالنساء اللاتى هنّ امهاتهنّ بكونهنّ بناتهنّ ﴿قوله لكن الرسول الخ﴾ استدراك من قوله الا اذا جعلتها للاتصال فانه لما كان مظنة ان يتوهم انه يجوز تعليق قوله من نسائكم بالامهات والربائب جميعا بناء على جعل كلمة من للاتصال دفع ذلك الوهم بان جعلها للاتصال وان كان صحيحا بحسب اللغة لكن لايصح حملها على الاتصال فى هذا المقام وجعل ذلك الحمل ذريعة الى تعليقها بالامهات والربائب جميعا لانه عليه الصلاة والسلام فرّق بين الامهات والربائب حيث جعل نكاح البنات محرّما لنكاح الامهات ولم يجعل نكاح الامهات محرّما لنكاح البنات بل شرط فى حرمة البنات وطئ الامهات ﴿قوله ولا يجوز ان يكون الموصول الثانى﴾ اى لايجوز ان يكون قوله اللاتى دخلتم بهنّ صفة للنساء المجرورة بالاضافة كما انه صفة النساء المجرورة بمن لان اختلاف عاملى الموصوف يستلزم توارد العاملين على معمول واحد وهو الصفة ﴿قوله روى عن على انه جعله شرطا﴾ اى روى عنه ان كون الربائب فى حجور الازواج شرط لحرمة النكاح وقال سائر العلماء وطئ الام يحرّم نكاح البنت سواء كانت فى تربية الزوج ام لا وانما ذكر كونها فى حجر الزوج بناء على كونه اغلب الاحوال لا لكونه شرطا فى التحريم ﴿قوله اى دخلتم معهنّ الستر﴾ اشارة الى ان الباء للتعدية وقد ذكر صاحب الكشاف فى الفرق بين تعدية ذهب بالباء وبينها بالهمزة انه اذا عدّى بالباء يكون المعنى الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما الاذهاب فانه كالازالة ﴿قوله ويؤثر ماليس بزنى﴾ لما جعل الدخول بالامّ الذى هو شرط تحريم الربيبة كناية عن جماعها وكان الجماع اسما لمطلق الوطئ سواء كان بطريق النكاح او السفاح دل ذلك على ان الزنى بالام يوجب حرمة البنت وقد ذهب الامام الشافعى الى ان الزنى لايوجب حرمة المصاهرة فلذلك استثنى المصنف رحمه الله من الدخول المحرّم الدخول على وجه الزنى وخص الدخول بما ليس بزنى والزنى عند الحنفية يوجب حرمة المصاهرة اى تثبت به حرمات اربع تحريم المزنية على آباء الواطئ وان علوا وعلى اولاده وان سفلوا ويحرم على الواطئ امهاتها وان علون وبناتها وان سفلن ﴿قوله دفعا للقياس﴾ اى لقياس الربائب على امهات النساء فى كون الربائب محرّمة على الاطلاق مثلهنّ ﴿قوله لحلها﴾ اى لكونها حلالا فالحليلة فعيلة مشتقة من لفظ الحلال بمعنى المحللة ﴿قوله او لحلولها﴾ فهى فعيلة بمعنى فاعلة من الحلول لانها تحل مع زوجها حيث كان ﴿قوله احتراز عن المتبنى﴾ فان حليلته ليست بحرام على من تبناه لما ثبت انه عليه الصلاة والسلام تزوّج زينب بنت جحش وهى بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب جدّ النبىّ عليه الصلاة والسلام فكانت زينب بنت عمته عليه الصلاة والسلام وكان زوجها زيد ابن حارثة وكان زيد تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون انه تزوّج امرأة ابنه فانزل الله سبحانه وتعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم وقال فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج

والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمى به لانه يربه كما يرب ولده فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتى بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لاتحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله
فانى لست منك ولست منى *
على معنى ان امهات النساء وبناتهنّ متصلات بهنّ لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال فى رجل تزوّج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها انه لابأس ان يتزوّج ابنتها ولايحل له ان يتزوّج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روى عن على رضى الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما ولايجوز ان يكون الموصول الثانى صفة للنساءين لان عامليهما مختلف وفائدة قوله فى حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهنّ وهنّ فى احتضانكم او بصدده قوى الشبه بينها وبين اولادكم فصارت احقاء بان تجروها مجراهم لاتقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على رضى الله تعالى عنه انه جعله شرطا والامهات والربائب تمتا ولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهنّ اى دخلتم معهنّ الستر وهى كناية عن الجماع ويؤثر فى حرمة المصاهرة ماليس بزنى كالوطئ بشبهة او ملك يمين وعن ابى حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) تصريح بعد اشعار دفعا للقياس (وحلائل ابنائكم) زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج (الذين من اصلابكم) احتراز عن المتبنى لاعن ابناء الولد

ادعيائهم وفى الوسيط كان المتبنى فى صدر الاسلام بمنزلة الابن وليس احترازا عن ابناء الولد فان حلائلهم محرّمات على اجدادهم لتناول الابناء اياهم كما يتناول الآباء آباء الآباء وان علوا ﴿قوله فى موضع الرفع عطفا على المحرّمات﴾ والتقدير حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم والجمع بين الاختين وقدمرّ ان ليس المراد تحريم ذواتهنّ بل تحريم نكاحهنّ فيكون المعنى حرّم عليكم نكاحهنّ والجمع بين الاختين نكاحا واما الجمع بينهما فى ملك اليمين بان يملك كل واحدة منهما ملك يمين فانه جائز اتفاقا واما الجمع بينهما فى ملك اليمين وطئا واستمتاعا فقد روى صاحب الكشاف اختلاف اميرى المؤمنين عثمان وعلىّ فيه بان قالا حرّمتهما آية وهى هذه واحلتهما آية وهى قوله سبحانه وتعالى فان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة او ماملكت ايمانكم فانه يقتضى مصاحبة الامة من غير تفرقة بين الواحدة وما فوقها والاختين وغيرهما فكأنه قيل ان خفتم ذلك فاختاروا الاماء بالغات مابلغن ولزم من ضرورة العموم حل الجمع بينهما وطئا واستمتاعا فرجح علىّ رضى الله عنه التحريم وعثمان رضى الله عنه التحليل روى الامام مالك فى الموطأ عن قبيصة بن ذؤيب ان رجلا سأل عثمان رضى الله عنه عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال احلتهما آية وحرمتهما آية فاما انا فلا احب ان امنع ذلك فخرج من عنده فلقى رجلا من الصحابة رضى الله عنهم فسأله عنه فقال اما انا فلو كان لى من الامر شئ ثم اجد احدا فعل ذلك الاجعلته نكالا قال ابن شهاب اراه على بن ابى طالب رضى الله عنه جعل المصنف رحمه الله قول من رجح التحريم اظهر لامرين الاوّل ان حكم آية التحريم مختص بالاختين وحكم آية التحليل عام لكل مملوكة والاصل عند الشافعية فيما اذا تعارض الخاص والعام ان يحمل العام على الخاص بان يجعل الخاص مخصصا له مطلقا اى سوآء علم تاريخ نزولهما او لم يعلم فلما خص ماملكت ايمانكم بغير الاختين كان حكم الاختين باقيا على الحرمة سالما عن المعارضة وهو قول علىّ رضى الله عنه وقول المصنف رحمه الله والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح يشعر بان قوله آنفا المراد بتحريم المحرّمات المعدودة تحريم نكاحهنّ ليس كما ينبغى بل ينبغى ان يجعل المحرّم هو الاستمتاع مطلقا اى سوآء كان فى النكاح او فى ملك اليمين وما يعم النكاح والاستمتاع بملك اليمين ويؤيد ذلك مانقله عن اميرى المؤمنين رضى الله عنهما حيث صرحا بان حرمة الوطئ بملك اليمين ايضا مدلول الآية والمذهب المشهور عند الفقهاء انه لايجوز الجمع بين امتين اختين فى ملك اليمين وطئا حقيقة او حكما فاذا وطئ احدى امتيه حرّمت الثانية ولاتزول هذه الحرمة مالم يزل ملكه عن الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة او تزويج وصورة الجمع بينهما وطئا حكما انه اذا ملك اخت منكوحته لم يطأ المملوكة او كان له امة قد وطئها فتزوج اختها جاز النكاح لصدوره من اهله ولايطأ الامة لان المنكوحة موطوءة حكما ولايطأ المنكوحة حتى يحرم عليه الامة فاذا حرّمها وطئ المنكوحة وان لم يكن وطئ المملوكة وطئ المنكوحة وحرّمت المملوكة حتى يفارق المنكوحة ﴿قوله او منقطع﴾ لان المنهى عنه هو الجمع بينهما فى المستقبل وما سلف منه ليس من جنس مانهى عنه فلا يدخل تحته فيكون الاستثناء منقطعا ويكون المعنى لكن اى لاتجمعوا بين الاختين لكن ما وقع من ذلك فى زمن الجاهلية فمعفوّ بدليل قوله سبحانه وتعالى ان الله كان غفورا رحيما قيل كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرّمات المذكورة فى هذه الآية كلها الا اثنين منها احداهما نكاح امرأة الاب والثانية الجمع بين الاختين الاترى انه سبحانه وتعالى قال ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الا ماقد سلف وان تجمعوا بين الاختين الا ماقد سلف ولم يذكر فى سائر المحرّمات الا ماقد سلف وقيل معناه الا ما كان من يعقوب عليه الصلاة والسلام فانه جمع بين ليا ام يهودا وراحيل ام يوسف عليه الصلاة والسلام وكانتا اختين ﴿قوله ذوات الازواج﴾ فسر المحصنات به لان الاحصان ورد فى القرءآن بازآء اربعة معان الاوّل التزوّج كما فى هذه الآية والثانى العفة كما فى قوله سبحانه وتعالى محصنات غير مسافحات وفى قوله والتى احصنت فرجها اى اعفته والثالث الحرية كما فى قوله تعالى والذين يرمون المحصنات اى الحرآئر لانه لو قذف غير الحرّة لم يجلد ثمانين وفى قوله سبحانه وتعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما فى قوله سبحانه وتعالى فاذا احصنّ قيل فى تفسيره اذا اسلمن ولايليق بهذا المقام غير معنى التزوّج لانه عطف المحصنات على المحرّمات فلابدّ ان يكون الاحصان سببا للحرمة ومعلوم ان الحرّية والعفاف والاسلام لاتأثير لها فى الحرمة بخلاف التزوّج فان المرأة المزوّجة محرّمة على الغير ﴿قوله والنكاح مرتفع بالسبى﴾ وان لم يتحقق بين الزوجين تباين الدارين بان سبيا معا هذا عند الامام الشافعى رحمه الله واما عند ابى حنيفة رضى الله عنه فلا مدخل للسبى فى ارتفاع النكاح وانما يرتفع

(وان تجمعوا بين الاختين) فى موضع الرفع عطفا على المحرّمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرّمات المعدودة كما هى محرّمة فى النكاح فهى محرّمة فى ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلىّ رضى الله تعالى عنهما حرّمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ماملكت ايمانكم فرجح علىّ كرّم الله وجهه التحريم وعثمان رضى الله عنه التحليل وقول علىّ اظهر لان آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام مااجتمع الحلال والحرام الاغلب الحرام (الا ماقد سلف) استثناء من لازم المعنى او منقطع معناه لكن ماقد سلف مغفور لقوله (ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء) ذوات الازواج احصنهنّ التزوج او الازواج وقرأ الكسائى بكسر الصاد فى جميع القرءآن غير هذا الحرف لانهنّ احصنّ فروجهنّ (الا ماملكت ايمانكم) يريد ماملكت ايمانهم من اللاتى سبين ولهنّ ازواج كفار فهنّ حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول ابى سعيد اصبنا سبيا يوم اوطاس ولهنّ ازواج فكرهنا ان نقع عليهنّ فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهنّ واياه عنى الفرزدق بقوله

وذات حليل انكحتها رماحنا * حلال لمن يبنى بها لم تطلق *

وقال ابو حنيفة لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولاتحل للسابى واطلاق الآية والحديث حجة عليه

بتباين الدارين لا بالسبي وقد اتفقوا على انه اذا سبي احد الزوجين قبل الآخر واخرج الى دار الاسلام وقعت الفرقة بينهما اما اذا سبيا معا فقال الامام الشافعي ههنا تزول الزوجة وتحل للمالك بعد ان يستبرئها بوضع الحمل ان كانت حاملا من زوجها او بالحيض ان لم تكن حاملا وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا تزول اذا سبيا معا وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام بعث يوم حنين جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن وتحرجوا فانزل الله تعالى هذه الآية وقوله تعالى من النساء في محل النصب على انه حال من المحصنات وفائدة قوله تعالى من النساء ان المحصنات قد تقع على الانفس فقوله من النساء يرفع ذلك الاحتمال ﴿قوله مصدر مؤكد﴾ اى لفعل مقدر من لفظه اى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا ويحتمل ان يكون مؤكدا لمضمون الجملة المتقدمة قبله وهى قوله حرمت عليكم الآية وعن الكسائى ومن تابعه انه منصوب بعليكم على الاغراء والتقدير عليكم كتاب الله اى الزموه كقوله عليكم انفسكم واجازوا تقديم المنصوب فى باب الاغراء مستدلين بهذه الآية ﴿قوله والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها﴾ قال عليه الصلاة والسلام * لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها * ومن المحرمات المخصوصة من عموم قوله واحل لكم ماوراء ذلكم المطلقة ثلاثا ونكاح المعتدة ومن كان متزوجا بحرة لم يجز له ان يتزوج بامة وتحريم الخامسة وتحريم الملاعنة لقوله عليه الصلاة والسلام * المتلاعنان لا يجتمعان ابدا * ﴿قوله ارادة ان تبتغوا﴾ لما شرط فى حذف اللام من المفعول له ان يتحد الفاعل فى العامل والمفعول له ولم يتحقق الاتحاد المذكور الا بتقدير الارادة قدرها وذلك لان فاعل الفعل المعلل وهو قوله تعالى واحل لكم هو الله تعالى وفاعل قوله ان تبتغوا هو ضمير المخاطبين وهما مختلفان فلما قدر الارادة اتفقا وقوله محصنين حال من فاعل تبتغوا وغير مسافحين حال ثانية ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى محصنين ومفعول محصنين ومسافحين محذوف اى محصنين فروجكم غير مسافحين الزوانى والمسافح الزانى من السفح وهو صب المنى وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحينى وماذينى من المذى فان الزانى لا غرض له الا قضاء الشهوة وصب الماء * وفى الكشاف فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكأنه قيل ان تخرجوا اموالكم انتهى كلامه وانما كان اجود لان القصد حينئذ يتعلق بنفس الفعل وهو الابتغاء بالاموال وصرفها واخراجها فى وجوه المطالب وصرف المال فيها يتناول اعطاء مهور الحرائر واثمان السرارى والانفاق فى كفايتهن وغير ذلك من التصرفات وهذا العموم والتناول لا يحصل على تقدير ان يقصد بيان تعلق الفعل بالمفعول المقدر ﴿قوله او بدل﴾ عطف على قوله مفعول له فان قرئ احل على بناء الفاعل يكون ماوراء ذلك منصوب المحل على المفعولية فكذا ان تبتغوا على انه بدل منه وان قرئ على البناء للمفعول يكون ماوراء ذلك فى محل الرفع لقيامه مقام الفاعل فكذا ان تبتغوا فى محل الرفع بدلا منه ﴿قوله واحتج به الحنفية على ان المهر لابد وان يكون مالا﴾ حتى لو تزوجها على تعليم سورة من القرآن لم يكن ذلك مهرا ولها مهر مثلها ولو تزوجها على خدمة سنة فان كان حرا فلها مهر مثلها وان كان عبدا فلها خدمة سنة ووجه احتجاجهم بهذه الآية انه سبحانه وتعالى جعل طريق حصول الحل الابتغاء بالمال والمال اسم للاعيان لا للمنافع وايضا قال آتوهن اجورهن والايتاء صفة للاعيان لا للمنافع ﴿قوله ولا حجة فيه﴾ لان محصول الآية بين لكم ماحرم عليكم وما احل لكم من النساء ارادة ان يكون صرفكم لاموالكم فى حال كونكم محصنين وهو انما يدل على ان الابتغاء بالمال وصرفه جائز وليس فيه بيان ان الابتغاء بغير المال جائز ام لا ﴿قوله فما استمتعتم﴾ اشارة الى ان كلمة ماسواء كانت شرطية او موصولة عبارة عن النساء المستمتع بهن بناء على ارادة الوصف او على تنزيلهن منزلة غير ذوى العقول او على انها قد تستعمل فى اولى العلم كما حكى ابو زيد سبحان ما سخركن لنا وسبحان ما سبح الرعد بحمده وقال سبحانه وتعالى وما ملكت ايمانكم وان كان الغالب فيها ان تكون لما لا يعلم وتستعمل ايضا فى الغالب فى صفات العالم كما يقال فى السؤال عن صفة زيد ماهو وماهذا الرجل وعلى التقديرين هى فى محل الرفع بالابتداء وقوله تعالى فآتوهن خبرها والضمير المنصوب فيه هو العائد من هذه الجملة الى المبتدأ فقد روعى لفظ ما تارة فافرد ضميره فى قوله به ومعناه اخرى فجمع فى قوله منهن وفآتوهن والمعنى اى طائفة من النساء استمتعتم بها فآتوهن او الطائفة التى استمتعتم بها من النساء فآتوهن ومن فى منهن على هذا للتبعيض او البيان والجار والمجرور على الاول حال من الهاء فى به اى حال كونه بعض النساء المنكوحة والاستمتاع فى اللغة الانتفاع

(كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد اى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل (واحل لكم) عطف على الفعل المضمر الذى نصب كتاب وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت (ماوراء ذلكم) ماسوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما فى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها (ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين) مفعول له والمعنى احل لكم ماوراء ذلك ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف فى مهورهن او اثمانهن فى حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا فكأنه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لابد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنى من السفح وهو صب المنى فانه الغرض منه

(فما استمتعتم به منهنّ) فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهنّ من جماع اوعقدعليهنّ (فآتوهنّ اجورهنّ) مهورهنّ فان المهر فى مقابلة الاستمتاع (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة اوصفة مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا اومصدر مؤكد (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به بعد الفريضة) فيما يزاد على المسمى اويحط عنه بالتراضى اوفيما تراضيا به من نفقة اومقام اوفراق وقيل نزلت الآية فى المتعة التى كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت لما روى انه عليه الصلاة والسلام اباحها ثم اصبح يقول ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا ان الله حرّم ذلك الى يوم القيامة وهى النكاح الموقت بوقت معلوم سمى بها اذ الغرض منه مجرّد الاستمتاع بالمرأة وتمتعها بماتعطى وجوّزها ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثم رجع عنه (ان الله كان عليما) بالمصالح (حكيما) فيما شرع من الاحكام (ومن لم يستطع منكم طولا) غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة (ان ينكح المحصنات المؤمنات) فى موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى نكاح المحصنات اومن لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحرآئر لقوله (فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات) يعنى الاماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعى رضى الله تعالى عنه فى تحريم نكاح الامة على من ملك مايجعله صداق حرّة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واوّل ابو حنيفة رحمه الله تعالى طول المحصنات بان يملك فراشهنّ على ان النكاح هو الوطئ وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه فى المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوّز نكاح الامة لمن قدر على الحرّة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور فى نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج

وكل ما انتفع به فهومتاع يقال استمتع الرجل بولده ويقال لمن مات فى زمن شبابه لم يتمتع بشبابه **قوله** اوفما استمتعتم به الخ على ان كلمة ماعبارة عن وجه من وجوه التمتع بالمنكوحات وذلك وجهان عند الامام الشافعى الجماع وعقد النكاح عليهنّ وثلاثة اوجه عند الحنفية فان الخلوة الصحيحة ايضا تقرّر المهر عندهم خلافا للامام الشافعى فان استمتع منهنّ بالجماع فلابدّ من ايقاع المهر تاما كاملا وكذا ان استمتع بالخلوة الصحيحة على مذهب ابى حنيفة رحمه الله واما العقد فهو ايضا من موجباب المهر لكنه ينصف بالطلاق قبل الدخول وكلمة من فى منهنّ لابتدآء الغاية **قوله** فان المهر فى مقابلة الاستمتاع علة لتسمية المهر اجرا فان الاجر فى اصطلاح اهل الشرع اسم لماهو بدل المنفعة لابدل العين فانه يقال لما يقابل منفعة الدار والدابة اجر ولما يقابل الاعيان ثمن والمعقود عليه فى عقدالنكاح هوحل الاستمتاع بالمرأة اومنفعة بضعها لاعين المرأة فلذلك سمى اجرا لاثمنا **قوله** اومصدر مؤكد اى لعامله المحذوف اى فرض الله فريضة **قوله** فيمايزاد على المسمى الخ من ذهب الى ان قوله تعالى فما استمتعتم به منهنّ نزل لبيان حكم النكاح الصحيح وهوقول اكثر العلماء لالاباحة نكاح المتعة قال المراد بقوله ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به انه اذا كان المهرمقدرا بقدرمعلوم معين لاحرج فى ان تحط المرأة عنه شيأ منه اوتبرئ ذمة الزوج منه بالكلية ولا فى ان يزيد الزوج على ذلك القدر المسمى برضاه فتلك الزيادة تلتحق بالصداق عندابى حنيفة رضى الله عنه وتثبت فى ذمة الزوج ان دخل بها اومات عنها واما اذا طلقها قبل الدخول بطلت الزيادة ولا تستحق المرأة الانصف ماسمى فى العقد وقال الامام الشافعى لاتلتحق الزيادة بالصداق بل هى بمنزلة الهبة فان قبضتها ملكتها بالقبض وان لم تقبضها بطلت ولايلزم من عدم كون الزيادة ملحقة باصل صداق المرأة عدم جوازها برضى الزوج وان كان حكمها حكم الهبة واما من جعل الآية المتقدمة نازلة لبيان حكم المتعة فانهم قالوا المراد من هذه الآية انه اذا انقضى زمن المتعة لم يبق للرجل على المرأة سبيل البتة فان قال لها زيدينى فى الايام وازيدك فى الاجرة تكون بالخيار ان شاءت فعلت وان شاءت لم تفعل فهذا هوالمراد من قوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة اى من بعدالمقدار المذكور اوّلا من الاجرة والاجل وصورة نكاح المتعة ان يقول الرجل لامرأة متعينى نفسك على عشرة دراهم مثلا فى مدّة معلومة فتقول متعتك نفسى ولابدّ فيه من ذكر لفظ التمتع واتفقوا على ان النكاح بهذه الصورة كان مباحا ثم نسخ وصورة النكاح الموقت ان يتزوّج الرجل امرأة بلفظ النكاح اومايقوم مقامه الى مدّة معلومة وهو فى حكم المتعة فى البطلان لان توقيت النكاح لم يثبت فى الشريعة ومالم يكن مشروعا فهوباطل ولذلك لم يفرّق المصنف بينهما **قوله** غنى واعتلاء اشارة الى ان طولا نصب على انه مفعول يستطع وان ينكح معمول المصدر المنوّن وهو طولا لانه مصدر طلت الشئ اذا نلته والتقدير ومن لم يستطع ان يعتلى وينال نكاح الحرائر فلينكح مما ملكت ايمانكم ومن فى قوله ومن لم يستطع شرطية وقوله فمما ملكت جواب الشرط وهو الظاهر ويحتمل ان تكون من موصولة اخبرعنها بالجملة المصدرة بالفاء ومنكم فى محل النصب على انه حال من فاعل يستطع **قوله** واوّل ابوحنيفة فالمعنى على تأويله من لم يستطع منكم وطئ حرّة وعلى هذا التقدير كل من ليس تحته حرّة فانه يجوزله التزوّج بالامة سوآء قدر على التزوّج بالحرّة اولم يقدر واما اذا كان عنده حرّة فلايجوزله نكاح الامة ولم يرخص فى نكاح الامة مطلقا لان الولد يتبع الام فى الحرّية والرق فيصيرالولد رقيقا قال عمر رضى الله تعالى عنه ايما حرّ تزوّج بامة فقدارق نصفه يعنى يصيرولده رقيقا وقال سعيد بن جبير مانكاح الامة الاقريب من الزنى قال سبحانه وتعالى وان تصبروا خيرلكم اى وان تصبروا عن نكاح الاماء وايضا انّ حق المولى عليها اعظم من حق الزوج فلاتخلص للزوج كخلوص الحرة وربما يحتاج الزوج اليها جدّا ولايجداليها سبيلا لحبس سيدها اياها وايضا ان الامة قدتعوّدت الخروج والبروز ومخالطة الرجال فتغلب الوقاحة عليها وربما تعوّدت الفجور فلايصار اليهنّ بلاضرورة والفرق بين الحرّة الفقيرة والامة انه قدجرت العادة على تخفيف مهور الاماء ونفقتهن عن مؤنة الحرآئر الفقيرات وان الاماء مشغولة بخدمة السيد فلايخلصن لازواجهنّ بخلاف الحرآئر **قوله** كما حمل عليه فى قوله المحصنات المؤمنات فان اكثر العلماء على ان ذكر الايمان فى الحرآئر ليس لتقييد جواز نكاح الامة بعدم الاقتدار على طول الحرّة المؤمنة بل هو للارشاد الى ماهو افضل واولى ثم ان اصحاب الامام الشافعى اتفقوا على ان صفة الايمان فى قوله تعالى من فتياتكم المؤمنات ذكرت لتقييد جواز نكاح الامة بكونها مؤمنة ولم يجوّزوا نكاح الامة الكتابية واختلفوا فيما وقع صفة للمحصنات

فنهم من حمله ايضا على التقييد كما ذكره المصنف و جعله الاكثرون للارشاد الى ما هو الافضل **قوله سبحانه وتعالى والله اعلم بايمانكم** جملة اسمية جيئ بها بعد قوله من فتياتكم المؤمنات لتفيد ان الايمان الظاهرى كاف فى نكاح الامة ولا يشترط فى ذلك ان يعلم ايمانها حقيقة علما يقينيا فان ذلك لا يطلع عليه احد الا الله سبحانه وتعالى جلت قدرته قال الزجاج اعملوا فيما بينكم بظاهر الايمان والله اعلم بالسرآئر وقوله بعضكم من بعض ايضا جملة اسمية جيئ بها تأنيسا لنكاح الاماء كما تقدم والعرب كانوا يفتخرون بالانساب فاخبر الله سبحانه وتعالى ان ذلك لا يلتفت اليه لان الايمان اعظم الفضائل فاذا حصل الاشتراك فيه فلا يلتفت الى ما ورآء ذلك فلا ينبغى للحر ان يترفع عن نكاح الامة عند الحاجة لان بعضهم من جنس بعض فى النسب والدين وما احسن قول امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه

الناس من جهة التمثيل اكفاء * ابوهم آدم والام حوآء

قوله واعتبار اذنهم مطلقا فانهم اتفقوا على ان اذن الارباب شرط فى جواز نكاح الاماء استدلالا بهذه الآية فان قوله سبحانه وتعالى فانكحوهن بأذن اهلهن يقتضى كون الاذن شرطا فى جواز النكاح وبان الامة ملك السيد وبعد التزوج يتعطل عليه اكثر منافعها فوجب ان لا يجوز ذلك بأذن السيد ومعنى كون ذلك الاذن مطلقا عدم تقييده بانه لا بد معه من اعتبار شرط آخر وهو ان يكون المولى هو المباشر لعقد النكاح بعبارته كما ذهب اليه الامام الشافعى رضى الله عنه وانه لا عبارة للنساء فى عقد النكاح فلا يجوز للمرأة ان تزوج امتها بل لا بد لها من ان توكل غيرها فى تزويج امتها وذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن احتجاجا بقوله تعالى فانكحوهن فان قوله فانكحوهن صريح فى ان عقد النكاح واقع بينهم وبينهن ولما قال بعده بأذن اهلهن ولم يقل بعقد اهلهن دل ذلك على ان الشرط هو اذن اهلهن مطلقا وان اذن السيد ورضاه كاف فى جواز العقد سوآء انضمت عبارة السيد الى اذنه ورضاه او لم تنضم وقول المصنف واعتبار اذنهم مطلقا جواب عن هذا الاحتجاج * وتقريره ان الآية انما تدل على رضى المولى لا بد منه فى جواز نكاح الامة واما انه كاف فيه فليس فى الآية دليل عليه فكيف يستدل بها على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن مع انه عليه الصلاة والسلام قال العاهر هى التى تنكح نفسها * فقد ثبت بهذا الحديث انه لا عبارة لها فى نكاح نفسها فوجب ان لا يكون لها عبارة فى نكاح مملوكتها ضرورة انه لا قائل بالفرق * ولما ورد على ظاهر قوله تعالى وآتوهن ان المهر عوض عن منفعة البضع وهى مملوكة للسيد كنفس الامة فيكون السيد هو المستحق لقبض المهر لا هى فكيف قيل وآتوهن * اجاب عنه المصنف بوجهين الاول ان التقدير آتوهن بأذن اهلهن فحذف من الثانى لدلالة الاول عليه كما فى قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اى والذاكرات الله الثانى ان التقدير آتوا مواليهن وعن بعض اصحاب الامام مالك رحمهم الله ان الامة هى المستحقة لقبض مهرها استدلالا بهذه الآية **قوله تعالى بالمعروف** يحتمل ان يتعلق بآتوهن اى آتوهن مهورهن بالمعروف ويحتمل ان يكون حالا من اجورهن اى ملتبسات بالمعروف بأن تكون غير ممطولة والمهر سوآء كان مهر المثل او المسمى فى العقد وان كان امرا معهودا مقدرا لكن يتصور ان يكون ايتاؤه على خلاف العادة الجميلة والوجه الغير المعروف بأن يكون ايتاؤه ملتبسا بالمطل والتأخير عن وقت المطالبة فلذلك قيد ايتاءه بقوله بالمعروف وقوله محصنات غير مسافحات حالان من مفعول فآتوهن ومحصنات على هذا بمعنى مزوجات وقيل محصنات حال من مفعول فانكحوهن ومحصنات على هذا بمعنى عفائف او مسلمات والمعنى فانكحوهن حال كونهن محصنات لا حال سفاحهن واتخاذهن الاخدان وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم فاذا احصن بضم الهمزة وكسر الصاد على البناء للمفعول والباقون بفتحهما على البناء للفاعل فعنى القرآءة الاولى فاذا احصن بالتزويج والمحصن لهن هو المولى او الزوج ومعنى الثانية أحصن فروجهن او ازواجهن والفاء فى فان اتين فاء جواب اذا وفعليهن فاء جواب ان والشرط الثانى وجوابه مرتب على وجود الاول وقوله من العذاب متعلق بمحذوف لانه حال من الضمير المستكن فى صلة ما وهى قوله على المحصنات **قوله وانه لا رجم لان الرجم لا يتنصف** ويلزم منه ان يكون المراد بالمحصنات فى قوله نصف ما على المحصنات الحرآئر الابكار لا الحرآئر المتزوجات لان الواجب على الحرآئر المتزوجات على الزنى هو الرجم وقيد النصف لما كان مانعا عن حمل العذاب على الرجم تعين ان المراد به الجلد وهو انما يجب فى زنى الحرآئر اذا لم يكن متزوجات فثبت به ان المراد

(والله اعلم بايمانكم) فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم فى الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده (بعضكم من بعض) انتم وارقاؤكم متناسبون لنسبكم من آدم ودينكم الاسلام (فانكحوهن بأذن اهلهن) يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية (وآتوهن اجورهن) اى ادوا اليهن مهورهن بأذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك رضى الله عنه المهر للامة ذهابا الى الظاهر (بالمعروف) بغير مطل واضرار ونقصان (محصنات) عفائف (غير مسافحات) غير مجاهرات بالسفاح (ولا متخذات اخدان) اخلاء فى السر (فاذا احصن) بالتزويج قرأ ابو بكر وحمزة والكسائى بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد (فان اتين بفاحشة) زنى (فعليهن نصف ما على المحصنات) يعنى الحرآئر (من العذاب) من الحد كقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف

(ذلك) اى نكاح الاماء (لمن خشى العنت منكم) لمن خاف الوقوع فى الزنى وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر و[لا ضرر] اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحدّ وهذا شرط آخر لنكاح الاماء (وان تصبروا خيرلكم) اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خيرلكم قال عليه الصلاة والسلام الحرآئر صلاح البيت والاماء هلاكه (والله غفور) لمن لم يصبر (رحيم) بان رخص له (يريدالله ليبين لكم) ماتعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفى عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما فى قول قيس بن سعد

اردت لكيما يعلم الناس انه * سراويل قيس والوفود شهود *

وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريدالحق لاجله (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) مناهج من تقدّمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقتهم (ويتوب عليكم) ويغفرلكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم (والله عليم) بها (حكيم) فى وضعها (والله يريد ان يتوب عليكم) كرّره للتأكيد والمبالغة (ويريد الذين يتبعون الشهوات) يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطى لماسوّغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له فى الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت (ان تميلوا) عن الحق (ميلا) بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرّمات (عظيما) بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها (يريد الله ان يخفف عنكم) فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثمان آيات فى سورة النساء هى خيرلهذه الامة مماطلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وان الله لا يغفر ان يشرك به وان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا يجز به ومايفعل الله بعذابكم (ياايها الذين آمنوا لاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار (الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) (عن)

بالمحصنات الحرآئر الابكار الا انه يرد ان يقال نصف ما على الحرآئر الابكار بسبب زناهن خمسون جلدة وهذا القدر من الجلد واجب فى زنى الامة سوآء كانت محصنة بالتزويج او لم تكن فانهم اتفقوا على ان حدّ الامة اذا لم تكن متزوّجة نصف حدّ الحرّة وهو خمسون جلدة وظاهر الآية يقتضى ان يكون وجوب القدر المذكور على الامة معلقا على زناها بعد الاحصان والتزويج لا على مجرّد صدور الزنى وقد اجمعوا على ان ذلك القدر يجب عليها بمجرّد زناها وان لم تتزوّج والجواب ان قوله فاذا احصن ليس المراد منه جعل هذه الاحصان شرطا لتنصيف ما على الحرآئر الابكار بل المراد بيان ان حدّها لا يغلظ بالاحصان كما يغلظ على الحرآئر وان حدّها بعد الاحصان انما هو خمسون جلدة فاذا ثبت تخفيف حدّها لمكان الرق عند وجود ما يوجب التغليظ فتخفيفه عند انعدام مايوجب التغليظ اولى فالمقصود من تعليق التنصيف على الاحصان بيان ان حدّها قبل الاحصان لا يزيد على خمسين جلدة كما يزيد عليه حدّ الحرآئر ﴿قوله وقيل المراد به﴾ اى بالعنت الحدّ والمعنى ان نكاح الامة يصح لمن عشقها بحيث يخشى ان يواقعها فيحدّ فيتزوّجها وهذا شرط آخر لنكاح الاماء فالشرط الاوّل عدم القدرة على نكاح الحرّة والثانى كون الامة مؤمنة والثالث خوف العنت على تقدير الامتناع عن نكاحها ﴿قوله وليبين مفعول يريد﴾ يعنى ان اصل الكلام يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت فى لا اباك لتأكيد اضافة الاب كذا فى الكشاف حيث جعل اللام زآئدة وان مضمرة بعدها وجعل التبيين مفعول الارادة وذهب البصريون الى ان مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تحريم ماحرّم وتحليل ما حلل وتشريع ما تقدّم لاجل ان يبين لكم ما كلفكم به من الاحكام فالتبيين وماعطف عليه ليس متعلق الارادة لان متعلقها محذوف قيل قوله سبحانه وتعالى ليبين لكم ويهديكم معناهما واحد واشار المصنف الى مابينهما من الفرق وان قوله ليبين لكم بمعنى ليميز الحلال من الحرام والحسن من القبيح وقوله ويهديكم سنن الذين من قبلكم معناه ان الذى بين لكم تحليله وتحريمه فى الآيات المتقدّمة من النساء وغيرهنّ كان حكم مناهج من تقدّمكم وشرآئع من قبلكم على معنى ان جميع ما ذكر فى الآيات المتقدّمة من الشرآئع والاحكام مطابق لجميع الشرآئع والملل المتقدّمة وان من قبلكم متعبدون بهذه الاحكام بعينها ويحتمل ان يكون المراد تشبيه هذه الاحكام بتكاليف من قبلنا فى كونها على وفق المصلحة فان الشرآئع وان اختلفت فى نفسها الا انها متفقة فى كونها على وفق المصالح والحكم والتباعد عما يؤدّى الى فساد المعاش والمعاد ﴿قوله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ اى يريد ان يفعل فيما بينهم ذلك وان لم يكن فعله ذلك على سبيل الاستغراق ﴿قوله او يرشدكم﴾ اى ويجوز ان يكون ارادة التوبة عبارة عن ان يفعل بهم مايؤدّى الى توبتهم وقبولها منهم كأنه قيل ويريد ان يقبل توبتكم بان تعملوا على وفق ما بين لكم من الحلال والحرام بايثار المصالح ومحاسن الاعمال والاجتناب عن المفاسد والقبائح فان قبول التوبة فرع التوبة التى هى الرجوع عن المعصية الى الطاعة كأنه قيل يريد الله ان يبين ذلك لتتوسلوا به الى مغفرة ذنوبكم فهو سبحانه وتعالى اراد قبول توبة عباده بان اراد ان يبين لهم مايسعدهم مما يشقيهم ولو اراد ان يقبل توبتهم ابتدآء لكان الكل تائبين لان كل ما اراده الله تعالى لابدّ ان يحصل لامحالة فاذا اراد ان يتوب علينا وجب ان تحصل التوبة لكلنا ومعلوم انه ليس كذلك فوجب ان يفسر قوله سبحانه وتعالى ويتوب عليكم باحد المعنيين ﴿قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا﴾ فى معرض الدليل لتخفيف تكليفه فالاقرب حينئذ ان يحمل هذا الضعف على كثرة الدواعى الى اتباع الشهوة واللذة لا على ضعف الخلقة لان من قوّى الله تعالى داعيته الى الخير والطاعة فهو فى حكم القوىّ وان كان ضعيف الخلقة ثم انه سبحانه وتعالى لما ذكر ابتغاء النكاح بالاموال وامر بايفاء المهور والنفقات بين بعد ذلك كيفية التصرّف فى الاموال فقال لا تأكلوا اموالكم بينكم اكلا ملتبسا بطريق غير مباح فى الشرع وخص الاكل بالذكر مع ان جميع التصرّفات الملابسة بما لم يبحه الشرع حرام لكون الاكل المقصود الاعظم من الاموال فعبر عن مطلق المقاصد المتعلقة بالاموال باسم اشهر افرادها واهمها ﴿قوله استثناء منقطع﴾ سوآء قرئ بنصب تجارة او برفعها اذ لم يسبق لفظا او تقديرا مفرد يصح استثناء وقوع التجارة منه فان ماسبق ذكره هو الاموال المأكولة بالباطل والتجارة الصادرة عن تراضى ليست مندرجة فيها حتى تستثنى منها ولما كان الا فى الاستثناء المنقطع بمعنى لكن ليدل على انه كلام مستأنف منقطع عما قبله وجب ان يكون مابعد الاستثناء مخالفا لما قبله نفيا واثباتا وما قبل هذا الاستثناء نهى لاجرم قدّر مابعده عدم نهى اوامر اماعدم النهى فقوله لكن كون تجارة

تجارة (ولا تقتلوا انفسكم) بالبخع كما تفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ماروى ان عمرو بن العاص تاوله فى التيمم خوف البرد فلم ينكر عليه

النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب مايؤدّى الى قتلها او باقتراف مايذلها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالانفس من كان

من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع فى التوصية بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفى فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله (ان الله كان بكم رحيما) اى امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بنى اسرآئيل بقتل الانفس ونهاكم عنه (ومن يفعل ذلك) اشارة الى القتل او ماسبق من المحرّمات (عدوانا وظلما) افراطا فى التجاوز عن الحلق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدّى على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب (فسوف نصليه نارا) ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب الصلى (وكان ذلك على الله يسيرا) لا عسر فيه ولا صارف عنه (ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) كبائر الذنوب التى نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس (نكفر عنكم سيئاتكم) نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف فى الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدّا او صرّح بالوعيد فيه وقيل ماعلم حرمته بقاطع وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عنّ له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه فى كثير من خطراته التى

عن تراض غير منهىّ عنه واما الامر فقوله او اقصدوا كون تجارة عن تراض وكون تجارة عن تراض عبارة عن معاوضة المال بالمال وكل عقد معاوضة تجارة على اىّ وجه كان العوض وقوله تعالى بالباطل اخرج منها كل عوض لايباح اخذه شرعا كالربا وسائر العقود الفاسدة والوجوه التى يحل بها تناول مال الغير كثيرة كالهبة والصدقة والارث والوصية والمهر وارش الجنايات واجابة دعوة من دعاك الى طعام والتجارة من بينها اكثر وقوعا واوفق بذوى المروءآت فلذلك خصت بالذكر من بينها وان اريد بالتجارة انتقال المال من يد الى يد مطلقا سوآء كان انتقاله بطريق المعاوضة ام لا فحينئذ تكون متناولة لجميع الوجوه المذكورة لا مختصة ببعضها حتى يحتاج فى تخصيصها بالذكر الى الاعتذار وقرأ الكوفيون تجارة نصبا على ان تكون ناقصة واسمها مستتر فيها مبهم يفسره الظاهر وهو تجارة اى الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض كقوله * اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا * اى اذا كان اليوم يوما ويجوز ان يكون اسمها المستتر فيها راجعا الى الجهة المدلول عليها بقوله تعالى بالباطل اى الا ان تكون جهة الاكل تجارة ﴿قوله بالبخع﴾ فى الصحاح بخع نفسه بخعا اى قتلها غما انتهى اى قتل نفسه تأسفا وحزنا على الشئ الفائت كأنه قيل لاتقتلوا انفسكم بالتحزن على مافات عنكم من فضائل الابرار وان كان ذلك لقصد الرياضة وتقوية جانب الروحانية فان الرياضة انما تنفع وتفيد تقوية جانب الروحانية اذا كانت على قانون الشرع فما يروى عن جهلة الهند من حبس النفس اياما كثيرة على قصد الرياضة ومخالفة الهوى بحيث يؤدى ذلك الى هلاكهم فما هو الا جهالة محضة يهلكون انفسهم بلا فائدة ﴿قوله ويؤيده ماروى ان عمرو بن العاص﴾ روى عنه رضى الله عنه انه قال احتلمت فى ليلة باردة وانا فى غزوة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك فتيممت ثم صليت باصحابى الصبح فذكرت ذلك للنبى عليه الصلاة والسلام فقال لى ياعمرو صليت باصحابك وانت جنب فاخبرته بالذى منعنى من الاغتسال فقلت انى سمعت الله يقول ولاتقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيأ ووجه كونه مؤيدا لذلك ان عمروا رضى الله عنه قد حمل هذه الآية على معنى لاتباشروا مايخاف منه ان يؤدّى الى هلاك انفسكم ولم ينكر عليه النبى عليه الصلاة والسلام فى ذلك ﴿قوله او بارتكاب مايؤدّى الى قتلها﴾ كالزنى بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة بغير حق والردّة فان من ارتكب واحدا منها فكأنه قتل نفسه فلما كان الانسان ملجأ الى ان لايقتل نفسه لتحقق الصارف الشرعى والطبيعى لم يكن للنهى عن قتل نفسه كبير فائدة فلذلك حمل النهى عنه على النهى عن ارتكاب سببه ﴿قوله او باقتراف مايذلها ويرديها﴾ من المعاصى والركون الى اللذات العاجلة فان اقترافها وان لم يؤدّ الى القتل الحسى فانه يؤدّى الى القتل الحقيقى للنفس ﴿قوله وقيل﴾ ذهب اكثر المفسرين الى ان معنى الآية لايقتل بعضكم بعضا كما ان قوله سبحانه وتعالى لاتأكلوا اموالكم معناه لايأكل بعضكم مال بعض وقوله تعالى ولاتلمزوا انفسكم معناه لايعب بعضكم بعضا وانما قال انفسكم لقوله عليه الصلاة والسلام * المؤمنون كنفس واحدة * لان اهل دين واحد كنفس واحدة ﴿قوله استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس﴾ اى ارادة بقائهم واستكمالهم وريث مصدر راث يريث يقال راث علىّ خبرك ريثا اى ابطأ وتأخر ﴿قوله اشارة الى القتل﴾ لانه اقرب المذكورات وقيل انه اشارة الى قتل النفس المحرّمة واكل المال بالباطل لانهما مذكوران فى آية واحدة وقيل انه اشارة الى مانهى عنه من اوّل السورة الى هذا الموضع وقوله سبحانه وتعالى عدوانا وظلما حالان من فاعل يفعل اى من يفعله متعدّيا وظالما وفائدة التقييد به الاحتراز عن قتل البعض بالبعض كالقود واخذ المال بحق كالدية ونحوها وقرأ الجمهور نصليه بضم نون المعظم نفسه من اصلى وقرئ يصليه بياء الغيبة على اسناد الفعل الى ضمير البارى تعالى او الى ضمير عائد الى ما اشير اليه بلفظ ذلك وهو القتل على طريق اسناد الفعل الى السبب ونكر نارا للتعظيم ﴿قوله الجنة﴾ على ان يكون المدخل بضم الميم اسم مكان من ادخل الرباعى منصوبا على انه مفعول به لقوله ندخلكم او ظرف له وقوله او ادخالا على ان يكون مدخلا مصدرا ميميا والمدخل فيه على هذا يكون محذوفا اى وندخلكم الجنة ادخالا ذا كرامة على ان كريما من قبيل تامر ولابن واما قرآءة نافع فتحتاج الى تأويل وذلك لان مفتوح الميم انما هو من الثلاثى والفعل السابق رباعى فقيل انه منصوب بفعل مقدّر مطاوع لهذا الفعل السابق والتقدير ندخلكم فتدخلون مدخلا بنصب مدخلا على المصدرية او المكانية وقيل هو مصدر على حذف الزوآئد نحو انبتكم من الارض نباتا على احد القولين ﴿قوله فلعل عدمه خير﴾ يدل على ان الغبطة كالحسد منهى عنها كما ذهب اليه المحققون وقالوا لايجوز للانسان ان يقول اللهم اعطنى دارا مثل دار فلان

والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى التحاسد
والتعادي معربة عن عدم الرضى بما قسم الله له
وانه تشهى لحصول الشئ له من غير طلب
وهو مذموم لان تمنى مالم يقدر له معارضة
لحكمة القدر وتمنى ما قدر له بكسب بطالة
وتضييع حظ وتمنى ما قدر له بغير كسب ضائع
ومحال (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء
نصيب مما اكتسبن) بيان لذلك اى لكل
من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب
ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل
لا بالحسد والتمنى كما قال عليه الصلاة والسلام
ليس الايمان بالتمنى وقيل المراد نصيب الميراث
وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه
وجعل ما قسم الله لكل منهم على حسب
ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص
كالمكتسب له (واسألوا الله من فضله) اى لا
تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه
التى لا تنفد وهو يدل على ان المنهى هو الحسد
او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه
ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير والكسائى
وسلوا الله من فضله وسلهم فسل الذين
وشبهه اذا كان امرا مواجها به وقبل السين
واو او فاء بغير همز وحمزة فى الوقف على
اصله والباقون بالهمز (ان الله كان بكل شئ
عليما) فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل
عن علم وتبيان روى ان ام سلمة قالت
يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا
نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت (ولكل
جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون)
اى ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحوزونها
ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل
ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة
موالى لانه فى معنى الوراث وفى ترك ضمير
كل والوالدان والاقربون استئناف مفسر
للموالى وفيه خروج الاولاد فان الاقربون
لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل
قوم جعلناهم موالى حظ مما ترك الوالدان
والاقربون على ان جعلنا موالى صفة كل
والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة
من مبتدأ وخبر

وزوجة مثل زوجة فلان بل ينبغى ان يقول اللهم اعطنى ما يكون صلاحا لى فى دينى ودنياى ومعادى ومعاشى وروى
عن الحسن انه قال لا تمن احد المال فلعل هلاكه فى ذلك المال كما كان فى حق ثعلبة وهذا هو المراد من قوله سبحانه
وتعالى فى هذه الآية واسألوا الله من فضله وخص المنهى عنه من التمنى بتمنى ما لغيره من الامور الدنيوية لان تمنى
ماله من الاعمال الصالحة حسن لقوله عليه الصلاة والسلام * وددت ان احيى ثم اقتل * فانه تمنى مثل ما كان للشهداء
من الشهادة وثوابها ولقوله عليه الصلاة والسلام * لا حسد الا فى اثنين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل
وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار * فقوله لا حسد اى لا غبطة اعظم وافضل من
الغبطة فى هذين الامرين فعلى هذا تقدير الآية لا تتمنوا مثل ما فضل الله به غيركم لان تمنى عين ما فضل الله به غيرك
ليس ذريعة الى الحسد بل هو الحسد بعينه لان من طلب عين ما حصل لغيره من الفضل الالهى فهو طالب لزواله
عن ذلك الغير اذ لا يمكن حصوله له الا بعد الزوال عن الغير وتمنى ما للغير قدر مشترك بين الحسد والغبطة والمصنف
رحمه الله حمله على الغبطة لان النهى عنها يستلزم النهى عن الحسد من غير عكس والفرق بينهما ان الانسان اذا شاهد
غيره مفضلا عليه بفضائل ووجد نفسه خاليا عن جملتها او عن اكثرها فحينئذ يتألم قلبه فيعرض له حينئذ حالتان
احداهما ان يتمنى زوال تلك الفضائل عنه والاخرى ان يتمنى حصول مثلها لنفسه فالاول هو الحسد المذموم
والثانى هو الغبطة ﴿قوله معارضة لحكمة القدر﴾ فان حكمة القدر ان اقتضت عدم حصول ذلك الشئ له وتمنى
هو حصوله له فقد ادعى استحقاقه لحصوله له وان ذلك الحصول مما تقتضيه الحكمة وفيه شائبة انكار لحكمة
القدر بادعاء ما يعارضها وينفيها وان تمنى حصول ما قدر له بكسب من غير ان يباشر طريق اكتسابه فقد آثر
طريق البطالة المستلزمة لضياع حظه المقدر له بشرط مباشرة اسباب حصوله وان تمنى حصول ما قدر له بغير
كسب مما لا مدخل فيه لقدرة العبد واكتسابه نحو الذكاء التام والحدس الكامل واعتدال المزاج وسلامة
القوى والاعضاء وتناسبها ونحو ذلك فقد اتى شيأ ضائعا لا طائل تحته وامرا مستحيلا صدوره من العاقل فقد ثبت
ان تمنى فضائل الغير باقسامه الثلاثة مذموم مستلزم لارتكاب الامر القبيح فلذلك نهى عنه قال الامام
القاشانى فى تأويلاته الكمالات الانسانية مترتبة على الاستعدادات الازلية فان كل استعداد ازلى يقتضى
بهويته كمالا وسعادة تناسبه وحصول ذلك الكمال الخاص بغيره محال ولذلك ذكر طلبه بلفظ التمنى الذى هو طلب
ما يمتنع حصوله لامتناع سببه ﴿قوله بيان لذلك﴾ اى بيان لكون ما يقتضى المنع من التمنى الذى هو تشهى حصول
الشئ له من غير طلب وكسب هو كونه مذموما نهى اولا عن تمنى ما فضل الله به احدا من خلقه على حسب طلبه
واكتسابه من غير ان يكتسبه ويسعى فى حصوله ثم قرر انه سبحانه وتعالى انما افضل من فضل من الرجال والنساء
بسبب اكتسابه لا بمجرد تشهيه وتمنيه ﴿قوله وقيل المراد نصيب الميراث﴾ وهو تخصيص للعام بقرينة سبب
النزول وهو لا يصلح قرينة له لان خصوص المورد لا ينافى عموم الحكم فلذلك ضعفه بقوله وقيل فعلى هذا القول يكون
المعنى لا تقولوا ليتنا كنا رجالا فيتوفر نصيبنا من المغنم والميراث فان لكل صنف من صنفى الرجال والنساء نصيبا
مما اكتسبه اى استحقه على حسب حاله من الذكورة والانوثة فلا يورث احد بما زاد على حقه ولا ينقص منه شئ سمى
حقه بحسب حاله مكتسبا له تشبيها له بالمكتسب من حيث اقتضاء حاله اياه * فان قيل فعلى هذا يكون معنى الآية
للرجال نصيب مما قسم لهم واستحقوه على حسب حالهم والحال ان لهم جميع ما قسم لهم لا بعضا منه * فالجواب
ان من ههنا ليست للتبعيض بل هى بيانية اى للرجال النصيب المقسوم لهم ﴿قوله بما يقربه ويسوقه اليكم﴾ اى من
الاعمال الصالحة ولسان الاستعداد الذى ما دعاء به احد الا اجاب كما قال سبحانه وتعالى ادعونى استجب لكم فعلى
هذا لا يكون المنهى هو الحسد وحده ﴿قوله ولكل تركة﴾ اشارة الى ان كلمة كل اذا ذكرت غير مضافة وغير
معرفة باللام لابد ان يقدر فى الكلام شئ تضاف اليه وهو فى الآية لفظ تركة فقوله ولكل متعلق بجعل ومما ترك صفة
مبينة لكل والوالدان فاعل ترك وفيه فصل بين الصفة والموصوف بجملة جعلنا موالى وجاز ذلك لكون الفاصل ليس
باجنبى عن الموصوف بل هو عامل فيه كقوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض ففاطر صفة لله
وقد فصل بينهما باتخذ العامل فى غير المضاف الى الموصوف فهذا اولى لان جملة العامل فيه عامل فى نفس الموصوف فعلى
هذا يكون جملة قوله ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان جملة فعلية ﴿قوله او ولكل ميت مع قوله او ولكل
قوم الخ﴾ مبنى على ان يكون ما قدر مضافا اليه لفظ كل من قبيل الانسان لا من قبيل المال المتروك وذلك

(الانسان)

الانسان على الاوّل ميت وعلى الثاني ورثة الميت وعلى الوجه الاوّل من هذين الوجهين تكون الجملة فعلية ايضا
وعلى الثاني تكون اسمية والمعنى على الاوّل وجعلنا لكل ميت ورّاثا مما تركه ذلك الميت وهؤلاء الورّاث هم
الوالدان والاقربون على ان موالي مفعول اوّل لجعل بمعنى صيّر ولكل ميت مفعوله الثاني قدّم على عامله ومما ترك
متعلق بموالي لما فيه من معنى الوراثة وفي ترك ضمير مستتر يعود على كل وههنا تم الكلام وقوله الوالدان خبر
مبتدأ محذوف والجملة استئناف جيئ بها لبيان الموالي كأنه قيل من الموالي الذين يرثون الميت فاجيب بقوله الوالدان
اى هم الوالدان والمعنى على الثاني من الوجهين ولكل قوم جعلناهم ورّاثا نصيب مما تركه الوالدان والاقربون
فقوله ولكل قوم جعلنا هم موالي خبر مبتدأ محذوف وقوله جعلنا موالي صفة لكل بحذف العائد الى كل
والمبتدأ المحذوف هو متعلق قوله مما ترك ﴿قوله موالي الموالاة﴾ اختار ان المراد بقوله سبحانه وتعالى
والذين عاقدت ايمانكم الموالي الذين عقدوا عقد الموالاة ثم ذكر احتمال ان يراد بهم الازواج اى الزوج والزوجة
ونظيره انه سبحانه وتعالى لما بين ميراث الولد والوالدين ذكر معهم ميراث الزوج والزوجة والمعاقدة والمحالفة
واختار قرآءة عاقدت لدلالة صيغة المفاعلة على جريان العقد والعهد من الجانبين والايمان جمع يمين بمعنى اليد
اليمنى او القسم والمعاقدة في الحقيقة فعل العاقدين والحالفين الا انها اسندت الى الايمان لانهم كانوا عند المعاقدة
يأخذ بعضهم بيد بعض على قصد التزام الوفاء والتمسك بالعهد فصار بذلك كأن العقد صدر من الايدي فحسن اسناده
اليها وان كان اليمين بمعنى القسم كان على وجه الاسناد المجازي لكون الحلف يؤكد العقد والمعاهدة فصار الحلف
كأنه هو العاقد والتقدير والذين عاقدتهم ايمانكم وحذف العائد الى الموصول لما تقرر ان العائد المفعول يحذف
كثيرا ﴿قوله كان الحليف﴾ وهو فعيل بمعنى فاعل نحو اكيل وشريب والآية منسوخة في حق من له وارث
قريب وغير منسوخة في حق من لا وارث له وصورة الموالاة عند ابي حنيفة ان يسلم رجل من اهل الحرب فيقول
للذي اسلم في يديه واليتك على اني ان مت فميراثي لك وان جنيت فعقلي عليك وعلى عاقلتك فقبل الآخر منه فاذا
جنى المولى الاسفل فعقله على عاقلة المولى الاعلى ولا يرث الاسفل منه ويرث الاعلى من الاسفل ان لم يكن للاسفل وارث
غيره ﴿قوله اومنصوب بمضمر﴾ اى على الاشتغال وهو ارجح من حيث ان ما بعده طلب فلا يصح وقوعه خبرا
﴿قوله اومعطوف على الوالدين﴾ فيكون في محل الرفع على انه فاعل ترك والمعنى وجعلنا لكل مال مما ترك
الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم موالي وورثة فآتوهم نصيبهم اى فآتوا الموالي والورثة نصيبهم والمعنى
لاتدفعوا المال الى الحليف بل الى الموالي والورّاث وعلى هذا التقدير فلا نسخ في الآية اذ لا دلالة فيها على الدفع الى
الحليف حينئذ حتى يحكم بالنسخ ﴿قوله بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم﴾ اى احكمتها ايمانكم فحذف المفعول
ثم المضاف اليه لان حذفهما معا لم ينقل عن الفصحاء بخلاف الحذف على التدريج فان حذف المفعول وحده شائع وكذا
حذف ما يقوم مقامه كما حذف في القرآءة الاولى فانه قد مرّ ان التقدير فيها والذين عاقدتهم ايمانكم ﴿قوله يقومون
عليهنّ قيام الولاة على الرعية﴾ مستفاد من صيغة القوّام فانه اسم لمن يكون مبالغا في القيام بالامر مسلطا عليه
نافذ الحكم في حقه ليصير كأنه امير عليه والقوّام والقيم بمعنى واحد والقوّام ابلغ وهو القيم بالمصالح والتدبير
والاهتمام بالحفظ ﴿قوله بسبب تفضيله﴾ اشارة الى ان الباء سببية وما مصدرية ﴿قوله والامامة﴾
يعم الامامة الكبرى والصغرى التي هي الامامة في الصلاة ﴿قوله والولاية﴾ فلا يلي امر النكاح الا العصبات
النسبية على ترتيبهم في الارث يعني ان الابعد منهم محجوب بالاقرب وان لم يوجد احد ممن هو عصبة نسبية فالولي
هو المعتق وان لم يوجد عصبة نسبية ولا سببية كمولى العتاقة فولاية التزويج للام ثم للاخت لاب وام ثم لاب ثم
للاخ او للاخت لام ثم لاولادهم ثم للعمات ثم للاخوال ثم للخالات ثم لبنات الاعمام وبالجملة فالولاية لا تثبت للانثى
الا عند فقدان العصبة ﴿قوله واقامة الشعائر﴾ كالاذان والاقامة والخطبة ﴿قوله والشهادة﴾ فلا
شهادة للنساء في الحدود والقصاص بالاتفاق وفي الانكحة عند الامام الشافعي رحمه الله تعالى ﴿قوله ونحوها﴾
كصلاة العيدين والخسوف والكسوف وكتكبير التشريق عند ابي حنيفة رحمه الله وقوله تعالى على النساء وقوله
بما فضل الله وقوله وبما انفقوا متعلق بقوله قوّامون وقوله من اموالهم متعلق بانفقوا او بمحذوف على انه حال من
الضمير المحذوف العائد الى ما اى بما انفقوه كائنا من اموالهم على ان تكون ما موصولة لا مصدرية ولا يحسن كونها
موصولة في قوله بما فضل الله لان العائد حينئذ يكون ضميرا مجرورا فلا بدّ بعد حذف المجرور من حذف

(والذين عاقدت ايمانكم) موالي الموالاة
كان الحليف يرث السدس من مال حليفه
فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض وعن ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه
لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على
ان تعاقلا وتوارثا صح وورث او الازواج
على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن
معنى الشرط وخبره (فآتوهم نصيبهم)
او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك
زيدا فاضربه او معطوف على الوالدين
وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة
المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ
الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم
ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف
اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القرآءة
الاخرى (ان الله كان على كل شئ شهيدا)
تهديد على منع نصيبهم (الرجال قوّامون
على النساء) يقومون عليهنّ قيام الولاة
على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبيّ
وكسبيّ فقال (بما فضل الله بعضهم على
بعض) بسبب تفضيله تعالى الرجال على
النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد
القوّة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا
بالنبوّة والامامة والولاية واقامة الشعائر
والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد
والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم
في الميراث والاستبداد بالفراق (وبما انفقوا
من اموالهم) في نكاحهنّ كالمهر والنفقة
روى ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار
نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن
ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه
فنزلت فقال اردنا امرا والله اراد امرا
والذي اراد الله خير

الجار ايضا اذ لايبقى حرف جار مع حذف المجرور و انما يحسن حذف المجرور اذا كان الجار متعينا كما فى قوله سبحانه وتعالى انسجد لما تأمرنا اى لما تأمرنا به و قوله فاصدع بما تؤمر اى تؤمر به اى باظهاره و الجار فيما نحن فيه ليس بمتعين لان فعل التفضيل قد يعدى بغير الباء فلذلك لم يتعرض المصنف لاحتمال كونها موصولة ﴿قوله تعالى فالصالحات﴾ مبتدأ وقوله قانتات حافظات خبران له و للغيب متعلق بحافظات و اشار المصنف رحمه الله الى انه لابد هنا من تقدير المضاف حيث قال لمواجب الغيب والمواجب جمع موجب فالمعنى حافظات لما يوجبه غيبة الزوج وهو ان تحفظ نفسها من الزنى لئلا يلحق الزوج الغائب عار الفضيحة بسبب زناها ولئلا يلحق به الولد المتكون من نطفة غيره و تحفظ ماله عن الضياع ﴿قوله تعالى قانتات اى مطيعات﴾ و الطاعة عام فى طاعة الله و طاعة الازواج و الصالحات جمع محلى باللام فيحمل على الاستغراق فيدل على ان كل امرأة صالحة لابد ان تكون مطيعة لله تعالى دائما ولزوجها كذلك و ان تكون عند غيبة الزوج حافظة لموجب الغيبة و ظاهر الآية اخبار والمراد الامر فعلم منه ان المرأة لاتكون صالحة الا اذا كانت مطيعة لله تعالى ولزوجها حال حضوره و حافظة لحق الزوج وحرمته حال غيبته ﴿قوله وقيل لاسرارهم﴾ يعنى قيل المراد بالغيب الغائب وهو ما غاب عن الناس من اسرار الرجال وهو على الوجه الاول بمعنى الغيبة على ان الغيب خلاف الشهادة كما اشار اليه بقوله فى غيبة الازواج ﴿قوله بحفظ الله اياهن﴾ اشارة الى ان ما فى قوله بما حفظ الله مصدرية وان المفعول محذوف للعلم به و طريق حفظ الله سبحانه و تعالى اياهن ان يوفقهن لحفظ موجب غيبة الزوج و ان يرضين بذلك حيث وعدهن بالثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة ﴿قوله او بالذى﴾ اشارة الى احتمال ان تكون ما موصولة بمعنى الذى و يكون العائد اليها محذوفا و المعنى ان عليهن ان يحفظن حقوق الزوج فى مقابلة ما حفظ الله تعالى حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل بينهن وامساكهن بالمعروف واعطائهن اجورهن فالباء فى قوله بما حفظ الله بمنزلة الباء فى قولك هذا بذلك اى فى مقابلة ذلك ﴿قوله وقرئ﴾ اى ان الجمهور على رفع الجلالة من حفظ الله و التقدير والمعنى ما ذكر من الوجهين وقرئ بنصب الجلالة فيكون ما بمعنى الذى وفى حفظ ضمير يعود على ما فلابد من حذف مضاف نحو حق الله و طاعة الله او دينه لان الذات القدسية لايحفظها احد و المعنى حافظات لموجب غيبة الزوج بالامر الذى يحفظ حق الله وهو التعفف و التحصن و الشفقة على الرجال و النصيحة لهم فان المرأة لو لم يثبت فيها هذه الخصال لما حفظت موجب الغيب ولما اطاعت زوجها بصيانة عرضه وحفظ منزله وامواله ﴿قوله عصيانهن﴾ يعنى ان نشوز المرأة عبارة عن عصيانها ومخالفتها زوجها من قولهم نشز الشئ اذا ارتفع يقال نشز الرجل ينشز و ينشز اذا كان قاعدا فنهض قائما ومنه قوله تعالى اذا قيل انشزوا فانشزوا اى ارتفعوا الى حرب او امر من اوامر الله تعالى و قيل النشوز كراهية كل واحد من الزوجين صاحبه فالله تعالى قسم النساء قسمين و وصف الصالحات منهن بانهن قانتات حافظات للغيب ثم ذكر بعده غير الصالحات فقال واللاتى تخافون نشوزهن والخوف عبارة عن حالة تحصل فى القلب عند ظن حدوث امر مكروه فى المستقبل قال الامام الشافعى رحمه الله دلالة النشوز قد تكون قولا و قد تكون فعلا فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها و تخضع له بالقول اذا خاطبها ثم تغيرت والفعل مثل ان كانت تقوم اليه اذا دخل عليها و كانت تسارع الى امره و تبادر الى فراشه باستبشار اذا التمسها ثم انها تغيرت عن كل ذلك فهذه امارات دالة على نشوزها و عصيانها يظن الزوج بها نشوزها و بمشاهدة مقدمات هذه الاحوال يحصل له خوف نشوزها قال الامام الشافعى رحمه الله يعظهن اى يخوفهن من الله تعالى بان يقول لها اتقى الله فان لى عليك حقا وارجعى عما انت عليه واعلمى ان طاعتى فرض عليك ونحو ذلك ولايضربها فى حالة الوعظ لجواز ان يكون لها فى ذلك كفاية فان اصرت على نشوزها فعند ذلك يهجرها فى المضجع وفى ضمنه الامتناع عن كلامها قال ابن عباس يهجرها بان يوليها ظهره فى الفراش ولايكلمها وقال غيره يعتزل عنها الى فراش آخر ومنهم من حمل المضاجع على البيوت التى يبيتن فيها اى لاتشاركوهن فى البيتوتة فى بيوتهن ومنهم من جعل الهجران فى المضاجع كناية عن ترك الجماع لان اضافة الهجران الى المضاجع تفيد ذلك قال الامام الشافعى رضى الله عنه لايزيد فى هجره الكلام على ثلاث واذا هجرها فى المضجع وفى ضمنه السكوت عنها فان كانت تحب الزوج شق ذلك عليها وان كانت تبغضه وافقها ذلك الهجران فيكون دليلا على كمال النشوز فعند ذلك يضربها ضربا غير مبرح وغير شائن يورثها شينا او عيبا فى بدنها و اختار المصنف رحمه الله ان حكم هذه الآية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ

(فالصالحات قانتات) مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج (حافظات للغيب) لمواجب الغيب اى يحفظن فى غيبة الازواج ما يجب حفظه فى النفس والمال وعنه عليه الصلاة والسلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك فى مالك ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم (بما حفظ الله) بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذى حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذى حفظ حق الله اوطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال (واللاتى تخافون نشوزهن) عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز (فعظوهن واهجروهن فى المضاجع) فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لاتباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اى لاتبايتوهن (واضربوهن) يعنى ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغى ان يدرج فيها

وان دل على الجمع الاان فحوى الآية يدل على الترتيب قال علي رضي الله عنه يعظها بلسانه فان انتهت فلاسبيل له عليها وان ابت هجر ها في المضجع وان اصرت على الاباء ضربها وان لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين وقيل هذا الترتيب مرعي عند خوف النشوز واما عند تحقق النشوز فلا بأس في الجمع بين الكل بان يعظها ويهجرها ويضربها قال الامام الشافعي اما الضرب فباح وتركه افضل روى عنه عليه الصلاة والسلام انه رأى ابامسعود قد رفع الصوت على غلام ليضربه به فصاح ابامسعود الله اقدر عليك منك عليه فرمى السوط واعتق الغلام وروى عن عمر بن الخطاب انه قال كنا معشر قريش تملك رجالنا نساءهم فقدمنا المدينة فوجدنا نساءهم تملك رجالهم فاختلطت نساؤنا بنسائهم فذئرن على ازواجهن اى نشزن واجترأن فاتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت له ذئرت النساء على ازواجهن فأذن في ضربهن فطاف بحجر نساء النبي عليه الصلاة والسلام جمع من النسوان كلهن يشكون ازواجهن فقال عليه الصلاة والسلام * قد طاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة كلهن يشكون ازواجهن ولاتجدون اولئك خياركم * معناه ان الذين ضربوا ازواجهم ليسوا خيرا ممن لم يضربوا فاحتج الامام الشافعي رضي الله عنه بهذا الحديث على ان الاولى ترك الضرب واذا ضربها يجب ان يقتصر فيه على قدر الكفاية ويدل عليه انه سبحانه وتعالى ابتدأ بالوعظ ثم ترقى منه الى الهجران في المضاجع ثم ترقى منه الى الضرب وذلك تنبيه يجري مجرى التصريح في ايذائهن فان حصل الغرض بالطريق الاخف وجب الاكتفاء به ولم يجز الاقدام على الطريق الاثقل **قوله** فانه اقدر عليكم اشارة الى ان علوه سبحانه وتعالى ليس بعلو الجهة وان كبرياءه ليس بكبر الجثة بل هو علي كبير بكمال قدرته ونفاذ مشيئته في كل الممكنات وان المقصود من ذكر هاتين الصفتين تهديد الازواج على ظلم النسوان والمعنى لاتغتروا بكونكم اعلى يدا وارفع قدرا منهن وكونهن اضعف عن دفع ظلمكم والعجز عن الانتصاف منكم فالله عز شأنه علي قاهر كبير قادر ينتصف لهن منكم فلاتظلموهن او انه تعالى علي كبير من ان يظلم احدا في شئ من احكامه فنهيه سبحانه اياكم عن ان تبغوا عليهن سبيلا ليس فيه ظلمكم ونقص شئ من حقكم عليهن ثم انه سبحانه وتعالى لماذكر ان المرأة ان ظهر منها دلائل نشوزها فللزوج ان يعظها ثم يهجرها ثم يضربها بين انها ان اصرت على النشوز بعد الضرب فليخبر الحكام حكمين عدلين احدهما من اقارب الزوج واهله والآخر من اقارب المرأة واهلها وليبعث حكم الزوج اليه وحكم المرأة اليها ليخلو كل واحد منهما بصاحبه ويستكشف منه حقيقة الحال ويقول قريب الزوج له اخبرني مافي نفسك اتهواها وتريد بقاء مصاحبتك معها حتى اعلم بمرادك وان ماوقع بينكما من الخلاف هل جاء من قبلك وسبب نشوزك او جاء من قبلها وبنشوزها ويقول ولي المرأة لها مثل ذلك اى مثل ماقال ولي الزوج له وايهما قال لااهوى صاحبي وفرق بينه وبيني فاعطه من مالي ماأراد وما نشأت ظهران النشوز كان من قبله وايهما قال اني احب صاحبي فأرضه مني باى طريق امكن ظهران النشوز ليس من قبله فاي حكم تعين عنده من الناشز والراغب والظالم والمظلوم فانه يعظ الناشز والظالم ويحمله على العدل ورعاية مقتضى المروءة فان قبل فبها والايخرج من عنده ويجتمع بالحكم الآخر ليتفقا على ان النشوز ممن وقع فاذا ظهر لهما ان النشوز من ايهما وقع يقبلان عليه بالعظة والزجر والنهى فان اصلحا بينهما فبها والاقبينا الحال للحاكم ليفعل ماهو الصواب من ايقاع طلاق او خلع واختلف في انه هل يجوز للحكمين تنفيذ امر يلزم الزوجين بدون اذنهما مثل ان يطلق حكم الرجل اويفتدى حكم المرأة بشئ من مالها قال ابوحنيفة لايجوز وقال غيره يجوز سمى الخلاف شقاقا لان كل واحد من المخالفين يريد بصاحبه مايشق عليه اولان كل واحد منهما يصير في شق الآخر بالمخالفة والمباعدة والمعاداة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله وان خفتم اى علمتم شقاق بينهما قال وهذا بخلاف قوله سبحانه وتعالى واللاتي تخافون نشوزهن فان ذلك محمول على الظن والفرق بين الموضعين انه في الابتداء يظهر له امارات النشوز فعند ذلك يحصل الخوف لاالعلم واما بعد الوعظ والهجر والضرب لما اصرت على النشوز فقد حصل العلم بكونها ناشزة فوجب ان يحمل الخوف ههنا على العلم وقال الزجاج القول بان خفتم ههنا بمعنى ايقنتم خطأ فانا لو علمنا الشقاق على الحقيقة لم نحتج الى بعث الحكم واجاب سائر المفسرين عن طعن الزجاج بان وجود الشقاق وان كان معلوما الا انا لانعلم ان ذلك الشقاق صدر عن هذا اوعن ذلك فالحاجة الى الحكمين لمعرفة هذا المعنى * قال الامام ويمكن ان يقال وجود الشقاق في الحال معلوم ومثل هذا لايحصل منه خوف انما الخوف في انه هل يبقى ذلك الشقاق اولا والفائدة في بعث الحكمين ليست ازالة الشقاق الثابت في الحال فان ذلك محال بل الفائدة ازالة الشقاق

(فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ماكان منهن كأن لم يكن فان التائب من الذنب كمن لاذنب له (ان الله كان عليا كبيرا) فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه تعالى ويكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه (وان خفتم شقاق بينهما) خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجرى مايدل عليهما

واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله ياسارق الليلة او الفاعل كقوله نهارك صائم (فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها) فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسيطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين اولتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه (ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه (ان الله كان عليما خبيرا) بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ) صنما او غيره او شيأ من الاشراك جليا او خفيا (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بهما احسانا (وبذي القربى) وبصاحب القرابة (واليتامى والمساكين والجار ذي القربى) الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه (والجار الجنب) البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب (والصاحب بالجنب) الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة (وابن السبيل) المسافر او الضيف (وما ملكت ايمانكم) العبيد والاماء

في المستقبل ﴿قوله واضافة الشقاق الى الظرف﴾ فان الشقاق مضاف الى بين ومعناها الظرفية والاصل شقاقا بينهما لكن اتسع فيه فاضيف الحدث الى ظرفه واضافة المصدر الى الظرف جائزة لحصوله فيه والمضاف اليه باق على ظرفيته نحو يعجبني صوم يوم عرفة ومكر الليل وياسارق الليلة الا انه اجري مجرى المفعول به فاضيف المصدر اليه على طريق اضافته الى المفعول به ويحتمل ان يجري الظرف مجرى الفاعل كما في قولك نهاره صائم فيجعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين فحينئذ يخرج عن الظرفية ويصير كسائر الاسماء ﴿قوله صنما او غيره﴾ على ان يكون انتصاب شيأ على انه مفعول به لقوله لا تشركوا ومابعده على انه مفعول مطلق لما امر بالعبادة بقوله واعبدوا الله امر بالاخلاص في العبادة بقوله ولا تشركوا به شيأ لان من يعبد مع الله غيره كان مشركا ولا يكون مخلصا ثم الشرك جلي وخفي فالجلي الكفر والخفي الرياء فلذلك قيل من تطهر تبردا او صام اصلاحا لمعدته ونوى مع ذلك التقرب لا يقبل منه ذلك لانه مزج نية التقرب بنية دنيوية وكذا اذا احس الامام بداخل وهو راكع فاطال ركوعه ليدرك الداخل فسدت صلاته لان ركوعه خرج عن كونه خالصا لله تعالى بانتظاره والعبادة عبارة عن كل فعل وترك يؤتى به لمجرد امر الله تعالى بذلك فيدخل فيها جميع اعمال القلوب وجميع اعمال الجوارح فلا معنى لتخصيص ذلك بالتوحيد كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قوله سبحانه وتعالى اعبدوا الله اي وحدوه وقيل العبودية ترك الاختيار وملازمة الذلة والافتقار وقيل العبودية اربعة اشياء الوفاء بالعهود والحفظ للحدود والرضى بالموجود والصبر عن المفقود ﴿قوله واحسنوا بهما احسانا﴾ اشارة الى ان العامل محذوف كما في قوله فضرب الرقاب اي فاضربوها ضربا وفعل الاحسان يتعدى بكلمة الى وبالباء ايضا يقال احسنت بفلان والى فلان والاحسان اليهما هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى في تحصيل مطالبهما والانفاق عليهما بقدر القدرة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجلا اراد الجهاد فقال له النبي عليه الصلاة والسلام * ابواك اذنا لك قال لا قال * فارجع فاستأذنهما فان اذنا لك فجاهد والا فبرهما * ثم انه سبحانه وتعالى لما امر ببر الوالدين امر بعده بصلة من بينهما قرابة الرحم والوالدان وان كانا من الاقارب لكن تميز قرابة الولادة عن قرابة الرحم والفرق بين هذه الآية وبين آية سورة البقرة وهي قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى الآية حيث اعيدت كلمة الباء ههنا دونها ان هذه الآية نزلت لتكليف هذه الامة فكان الاعتناء بها اكثر واعادة الباء تدل على زيادة تأكيد فناسب ذلك ههنا بخلاف آية البقرة فانها نزلت حكاية لاحوال بني اسرائيل ﴿قوله الذي قرب جواره﴾ فيكون الجار الجنب هو الذي بعد جواره ويؤيد هذا التفسير ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يارسول الله ان لي جارين فبأيهما ابدأ قال * فبأقربهما منك بابا * قال الواحدي الجنب نعت على وزن فعل واصله من الجنابة ضد القرابة وهو البعيد يقال رجل جنب اذا كان غريبا متباعدا عن اهله ورجل اجنبي وهو البعيد منك في القرابة قال الله تعالى واجنبني اي بعدني عن ابي هريرة رضي الله عنه قيل يارسول الله فلانة تصوم النهار وتصلي الليل وفي لسانها شيء يؤذي جيرانها اي هي سليطة عليهم فقال عليه الصلاة والسلام * لا خير فيها هي في النار * وقال عليه الصلاة والسلام * والذي نفس محمد بيده لا يؤدي حق الجار الا من رحمه الله وقليل ماهم اتدرون ما حق الجار ان افتقر اغنيته وان استقرض اقرضته وان اصابه خير هنأته وان اصابه شر عزيته وان مرض عدته وان مات شيعت جنازته * وقال عليه الصلاة والسلام * مازال جبريل عليه الصلاة والسلام يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه * ﴿قوله تعالى بالجنب﴾ متعلق بمحذوف على انه حال من الصاحب سواء جعلت الباء بمعنى في او على بابها والصاحب الملابس بجنبك هو الذي صحبك ادنى صحبة في امر حسن ولو كان بالقعود الى جنبك في المسجد او في مجلس العلم او غير ذلك يثبت بذلك حق الجوار فعليك ان تراعي ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وذلك الحق يتفاوت بتفاوت ما وقع من المصاحبة حتى يكون في حكم حق القرابة كما قالوا الصحبة عشرين يوما قرابة ﴿قوله العبيد والاماء﴾ منهم من حمل كلمة ما ملكت ايمانكم على كل حيوان مملوك للانسان وقال الاحسان الى كل بما يليق به طاعة عظيمة ابقاء للفظ على اصل عمومه والمصنف رحمه الله حمله على العبيد والاماء لكونهما المتفهمين منه عرفا قال الامام الاحسان الى المماليك طاعة عظيمة روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان النبي عليه الصلاة والسلام قال * من ابتاع شيأ من الخدم فلم يوافق شيمته فليبعه وليشتر من يوافق شيمته فان للناس شيما ولا تعذبوا عباد الله * وروي عن ام سلمة انه كان آخر كلامه في مرض موته

ان من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل فى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم (والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس) عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق لا على ما ينبغى من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء فى القبح واستجلاب الذم اومبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان له قرينا (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة وقيل المنافقون (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان فى النار (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم) اى وما الذى عليهم او اىّ تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق فى سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ على خلاف ماهو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعوّ الى امر لاضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدّم الايمان ههنا وأخره فى الآية الاخرى لان القصد بذكره الى التحضيض ههنا والتعليل ثمة (وكان الله بهم عليما) وعيد لهم (ان الله لا يظلم مثقال ذرّة) لا ينقص من الاجر ولا يزيد فى العقاب اصغر شئ كالذرة وهى النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفى ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه (وان تك حسنة) وان يكن مثقال الذرّة حسنة وانث الضمير لتأنيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة (يضاعفها) يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى (ويؤت من لدنه) ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد فى مقابلة العمل (اجرا عظيما) عطاء

عليه الصلاة والسلام الصلاة وما ملكت ايمانكم وروى ان رجلا بالمدينة كان يضرب عبده فيقول العبد اعوذ بالله فسمعه الرسول والسيد كان يزيد ضربا فطلع رسول الله فقال اعوذ برسول الله فتركه فقال عليه الصلاة والسلام الله عز وجل احق ان يجار عائذه * فقال سيده يا رسول الله انه حرّ لوجه الله فقال عليه الصلاة والسلام * والذى نفس محمد بيده لو لم تقلها للفح وجهك سفع النار * واعلم ان الاحسان اليهم من وجوه احدها ان لا يكلفهم ما لا طاقة لهم به وثانيها ان لا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة لينة حسنة وثالثها ان يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال * هم اخوانكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن جعل الله اخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فليعنه عليه ﴿ قوله متكبرا ﴾ فان المختال اسم فاعل من اختال يختال اى تكبر واعجب بنفسه وألفه عن ياء لقولهم الخيلاء والمخيلة قال عليه الصلاة والسلام * لا ينظر الله تعالى يوم القيامة الى من جرّ ثوبه خيلاء * والفخور صيغة مبالغة وهو الذى يعدّ مناقب نفسه ومحاسنه كبرا وتطاولا ﴿ قوله الغنى والعلم ﴾ لان البخل بما آتاهم الله كما يتناول البخل بالمال يتناول البخل بالعلم ايضا فيمكن ابقاؤه على عمومه لان الكل مذموم ومن نزلت الآية فى حقهم موصوفون بالبخل بهما معا فانها نزلت فى طائفة من اليهود الذين جمعوا بين الاختيال والتفاخر والبخل بالمال وكتمان ما انزل الله فى كتابهم من صفة محمد عليه الصلاة والسلام فوجب ابقاء اللفظ على عمومه وقيل المراد منه البخل بالمال لكونه مذكورا فى صدد رعاية الحقوق المالية فان الاحسان الى الوالدين وذوى القربى واليتامى والمساكين وغيرهم مما ذكر قبله انما يكون بالمال فينبغى ان يكون الذم متعلقا بالمعرضين عن بذل الاحسان وهم الباخلون بالاموال وقوله سبحانه وتعالى من فضله يجوز ان يتعلق بآتاهم او بمحذوف على انه حال من كلمة ما او من العائد عليها وقوله رئاء الناس مصدر مضاف الى المفعول منصوب على انه مفعول له او على انه مصدر واقع موقع الحال اى مرائين ﴿ قوله عطف على الذين يبخلون ﴾ وقد مرّ انه اما فى محل النصب على انه بدل من قوله من كان او بتقدير اعنى واما فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف فيكون قوله والذين ينفقون تابعا له فى هذه الوجوه ﴿ قوله اومبتدأ خبره محذوف ﴾ اى قرينهم الشيطان ﴿ قوله اى وما الذى عليهم ﴾ على ان تكون ما وحدها اسم استفهام انكارى ويكون ذا بمعنى الذى وما بعده صلته والمجموع خبر ما وقوله او اىّ تبعة على ان يكون ماذا اسما واحدا بمعنى اىّ شئ وما بعده خبره وعلى التقديرين الاستفهام بمعنى الانكار ﴿ قوله وانما قدّم الايمان ﴾ اى على الانفاق مع انه اخر عن الانفاق فى قوله تعالى والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لان المقصود بذكر الايمان ههنا التحضيض عليه فينبغى ان يقدّم وأخر ذكره هنالك لان عدم ايمانهم ذكر هنالك تعليلا لعدم انفاقهم وحق التعليل ان يؤخر عن الحكم المعلل ﴿ قوله اصغر شئ ﴾ اذ المراد من الآية بيان انه سبحانه وتعالى لا يظلمهم لا قليلا ولا كثيرا وذكر الذرة لكونها اصغر ما يتعارفه الناس ﴿ قوله والمثقال مفعال من الثقل ﴾ يقال هذا على مثقال ذاك اى على وزنه ومعنى مثقال ذرّة ما يكون وزنه وزن الذرة وهو منصوب على انه صفة مصدر محذوف اى لا يظلم احدا ظلما وزن ذرّة فحذف المفعول والمصدر واقيم نعته مقامه ﴿ قوله وفى ذكره ايماء ﴾ جواب عما يتوهم من ان المقام يأبى عن ذكر المثقال فيه بناء على ان المقصود من تقدير الظلم المنفى بقدر الذرة ووزنها بيان انه سبحانه وتعالى لا يظلم اصلا والنفى رأسا كيف يليق ان يضاف اليه المثقال المأخوذ من الثقل * وتقرير الجواب انه انما ذكر ايماء الى ان الظلم وان صغر قدره عظيم جزاؤه وثقل وباله فان صغر قدر الظلم لا ينافى ثقله عقوبة ﴿ قوله وان يكن مثقال الذرة حسنة ﴾ يريد ان انتصاب حسنة على انها خبر كان الناقصة وان اسمها مستترفيها عائد على مثقال واصل تك يكون اسكنت النون للجزم فاجتمع ساكنان الواو والنون فسقطت الواو فصار يكن ثم حذفوا النون تخفيفا لكثرة الاستعمال وتشبيها لها بالواو فى غنتها وسكونها فكما تحذف الواو المتطرفة للجزم فكذا تحذف نون يكن تخفيفا تشبيها لها بها ﴿ قوله تعالى من لدنه ﴾ متعلق بيؤت ومن للابتداء مجازا وهو متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من اجرا فانه صفة نكرة فى الاصل قدّم عليها فانتصب حالا ولدن بمعنى عند ﴿ قوله فكيف حال هؤلاء الكفرة ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى فكيف فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وهو قوله حال هؤلاء واذا ظرف لمضمون هذه الجملة الاسمية كأنه قيل صعب عليهم الامر واشتدّ الحال اذا جئنا وذكر صاحب الكشاف فى تقرير الآية فكيف يصنع هؤلاء الكفرة فيكون كيف فى محل النصب بالفعل المحذوف اما على تشبيهه بالحال كما ذهب اليه

(اذا جئنا من كل امة بشهيد) يعنى نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل فى الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشأن (وجئنابك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا) تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الارض) بيان لحالهم حينئذ اى يودّ الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة فى ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوّى بهم الارض كالموتى اولم يبعثوا اولم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء (ولا يكتمون الله حديثا) ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودّون ان تسوّى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذروى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتدّ الامر عليهم فيتمنون ان تسوّى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوّى على ان اصله تتسوّى فادغمت التاء فى السين وحمزة والكسائى تسوّى على حذف التاء الثانية يقال سوّيته فتسوّى (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) اى لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنبهوا وتعلموا ما تقولون فى صلاتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلى بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلاة مواضعها وهى المساجد

سيبويه او على تشبيهه بالظرف كما هو مذهب الاخفش وذلك الفعل هو العامل فى الظرف ﴿قوله تعالى وجئنابك﴾ اى احضرناك الظاهر ان هذه الجملة فى محل الجر عطفا على جئنا الاولى اى كيف يصنعون فى وقت المجيئين وقوله تعالى على هؤلاء متعلق بشهيدا وشهيدا حال من الكاف فى بك واختار المصنف رحمه الله ان يكون هؤلاء اشارة الى الانبياء الذين يشهد كل واحد منهم على امته حيث قال تشهد على صدق هؤلاء الشهداء فيكون على بمعنى اللام وجاء التفسير بها رعاية لصورة النظم ويجوز ان يكون بمعناها ومطلق الشهادة يتعدّى بعلى فيقال اشهدته على كذا فشهد عليه اى صار شاهدا عليه ﴿قوله اى يودّ الذين جمعوا﴾ على ان يكون قوله وعصوا الرسول جملة معطوفة على كفروا داخلة فى صلة الموصول المذكور فيجب ان يحمل عصيان الرسول على المعاصى المغايرة للكفر لان العطف يقتضى المغايرة فعلى هذا تكون الآية دالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام وانهم كما يعاقبون يوم القيامة على الكفر يعاقبون ايضا على تلك المعاصى لانه لو لم يكن كذلك لما كان لهذا العصيان فى هذا الموضع وجه ﴿قوله او الكفرة والعصاة﴾ على ان يكون وعصوا الرسول صلة لموصول آخر فيكون اهل التمنى طائفتين وقيل الواو حالية والجملة فى محل النصب على الحال من فاعل كفروا باضمار قد اى كفروا وقد عصوا ﴿قوله ان يدفنوا﴾ اشارة الى ان لو مصدرية فهى مع ما فى حيزها فى محل النصب على انه مفعول يودّ وليست بشرطية حتى تستدعى جوابا اذكر فى شرح الرضى ان كلمة لو فى قوله تعالى يودّوا لو انهم بادون بمعنى ان المصدرية وليست بشرطية لمجيئها بعد فعل دال على معنى التمنى وقيل مفعول يودّ محذوف مدلول عليه بقوله تعالى لو تسوّى بهم الارض اى يودّ الذين كفروا تسوية الارض بهم وان لو شرطية وجوابها محذوف اى لسرّوا بذلك وفى تقرير المصنف اشارة الى ان تسوية الارض بهم كناية عن دفنهم والباء للملابسة اى ان تسوّى الارض ملتبسة بهم وقيل للسببية اى بسبب دفنهم وقيل انها بمعنى على كما فى قوله تعالى ومنهم من ان تأمنه بدينار اى على دينار ﴿قوله وقيل الواو للحال﴾ عطف على المفهوم مما سبق حيث فهم منه ان الواو لعطف جملة ولا يكتمون على جملة قوله يودّ الذين وقصد بالعطف التسجيل عليهم بشدّة الامر فى ذلك اليوم حيث لم يقدروا على الكتمان بشهادة الجوارح ﴿قوله اذ روى﴾ علة لكون التمنى فى تلك الحال فانهم لما جحدوا حديث شركهم ادّى ذلك الى ان ختم على افواههم وتكلمت جوارحهم بتكذيبهم فافتضحوا بذلك فتمنوا ان تسوّى بهم الارض ولم يكذبوا ﴿قوله لا تقوموا اليها﴾ اشارة الى ان قرب الصلاة مجاز عن قصدها والتوجه اليها لتعذر ارادة حقيقة القرب لان القرب الحقيقى بين الشيئين عبارة عن مجاورة احدهما للآخر وقلة ما بينهما من البعد وذلك انما يتصوّر اذا كان كل واحد منهما متحيزا بالذات ولا يتصوّر فيما بين المكلف وبين نحو الصلاة والزنى والفواحش ونحوها فلا بدّ من حمله على المعنى المجازى ﴿قوله من نحو نوم او خمر﴾ ذهب الجمهور من الصحابة والتابعين رضى الله تعالى عنهم الى ان المراد من لفظ سكارى فى الآية السكر من الخمر وهو نقيض الصحو وقال الضحاك ليس المراد منه سكر الخمر انما المراد منه سكر النوم فان لفظ السكر يستعمل فى سكر النوم ايضا بناء على ان السكر بالضم مأخوذ من سكر الماء وهو سدّ مجراه يقال سكر يسكر سكرا مثل بطر يبطر بطرا والاسم السكر بالضم والسكر بالفتح مصدر سكرت النهر اسكره سكرا اذا سددته والسكر بالكسر العزم فلما كان السكر فى اصل اللغة عبارة عن سدّ الطريق سمى السكر من الشراب سكرا لما فيه من انسداد طريق المعرفة بغلبة السرور وانسداد مجارى الروح المنبسط الى الحواس الظاهرة بغلبة بخار الشراب عليها وهذا الانسداد موجود فى السكر من النوم ايضا فان مجارى الروح الحيوانى تمتلئ عند النوم من الابخرة الغليظة فتنسدّ تلك المجارى بها فلا ينفذ الروح الباصر والسامع الى ظاهر البدن فلما كان كل واحد من سكر الشراب وسكر النوم من محتملات لفظ السكر ولم يقم دليل يخصه باحدهما ابقاه المصنف على عمومه ولم يخصه باحدهما بل عمّ السكر بكل ما يشغل القلب عن العلم بما يقول فى صلاته وما جاوزه به حيث قال من نحو نوم او خمر ﴿قوله صنع مأدبة﴾ وهى اسم للطعام الذى يدعى اليه اكراما يقال ادب القوم يأدبهم بالكسر ادبا اذا دعاهم الى الطعام والآدب الداعى اليه ﴿قوله حتى ثملوا﴾ اى سكروا يقال ثمل الرجل بالكسر ثملا اذا اخذه الشراب فهو ثمل اى نشوان ﴿قوله وقيل اراد بالصلاة مواضعها﴾ عطف على المفهوم من قوله لا تقوموا اليها فانه يفهم منه ان المراد بالصلاة فى هذه الآية نفس الصلاة لا مواضعها وان المعنى لا تصلوا اذا كنتم سكارى ثم ان طريق ارادة المسجد من الصلاة اما حمل الكلام على حذف المضاف اى لا تقربوا موضع الصلاة والحذف اعتمادا على دلالة القرينة على المحذوف شائع

والقرينة ههنا قوله ولاتقربوا الصلاة فان قرب نفس الصلاة حقيقة لايتصوّر فلابدّ من حمله على المعنى المجازى بخلاف قرب المسجد حقيقة فانه يصح ويتصوّر والحقيقة اولى من المجاز واما جعل الصلاة من باب اطلاق اسم الحال على المحل * قال الامام بعد ذكر ان المراد بالصلاة اما المسجد او نفس الصلاة واعلم ان الفائدة فى هذا الخلاف تظهر فى حكم شرعى وهو انه على التقدير الاوّل يكون المعنى لاتقربوا المسجد وانتم سكارى ولاجنبا الاعابرى سبيل وعلى هذا الوجه يكون الاستثناء بالاستمصلا على انه لايجوز للجنب العبور فى المسجد مطلقا كما ذهب اليه الامام الشافعى واما على القول الثانى فيكون المعنى لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى ولاجنبا الاعابرى سبيل وعلى هذا الوجه يكون المعنى ولاتقربوها حال كونكم جنبا الامسافرين عاجزين عن الماء فلكم حينئذ ان تصلوا بالتيمم فيكون هذا الاستثناء دليلا على انه يجوز للجنب الاقدام على الصلاة عند العجز عن الماء ﴿قوله وليس المراد منه نهى السكران﴾ جواب عن استدلال بعضهم بهذه الآية على جواز التكليف بما لايطاق حيث قال انه تعالى قال لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى وهذه جملة حالية من فاعل لاتقربوا فكانه تعالى قال للسكران لاتصل وانت سكران وهذا تكليف للسكران الذى لايعلم مايقول وهو فى حكم المجنون وقد كلف ونهى مع انه لاطاقة له على فهم الخطاب والجواب منع انه خطاب للسكران بل هو خطاب للذين آمنوا ونهى لهم عن الشراب المؤدّى الى السكر المخل بالفهم حال وجوب الصلاة عليهم ونظيره قوله سبحانه وتعالى ولاتموتن الا وانتم مسلمون فهو ليس نهيا عن الموت وانما هو امر بالمداومة على الاسلام حتى يأتيهم الموت وهم فى تلك الحال وكلمة حتى فى قوله حتى تعلموا جارة بمعنى الى متعلقة بفعل النهى والفعل بعدها منصوب باضمار ان ﴿قوله يستوى فيه المذكر والمؤنث﴾ جواب عما يقال كيف يصح عطفه على الحال قبله وعطف المفرد على الجملة لكونها فى تأويل المفرد مع ان ذا الحال ضمير الجمع فى قوله لاتقربوا واعيدت كلمة لا فى قوله ولاجنبا تنبيها على ان الصلاة منهىّ عنها فى كل واحد من الحالين المذكورين على انفراده وان النهى عنها مع ملابسة الحالين آكد واولى ثم ان النهى ليس عن ملابسة نفس الصلاة فانها عبادة فلا ينهى عنها بل هو نهى عن اكتساب السكر الذى يعجز به المكلف عن اداء الصلاة على الوجه الصحيح وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام * لاصلاة للعبد الآبق ولا للمرأة الناشزة * ليس فيه النهى عن نفس الصلاة بل النهى فيه انما هو عن الاباق والنشوز وذلك لان الاباق والنشوز والسكر ليست بالتى تعمل فى اسقاط الفرض والجنب مشتق من الجنابة وهى البعد وسمى الرجل الذى يجب عليه الغسل جنبا لبعده عن الصلاة والمساجد وتلاوة القرآن ﴿قوله استثناء من اعم الاحوال﴾ فهو استثناء مفرّغ والمستثنى منصوب على الحالية ثم ان حمل لفظ الصلاة على نفس الصلاة يكون المراد بعابر السبيل المسافر والمعنى لاتقربوا الصلاة فى حال الجنابة الاومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهى حال السفر فحينئذ يجوز لكم ان تصلوا جنبا بشرط ان لاتجدوا الماء وتيمموا وهذا الشرط يفهم من ذكر التيمم لمن لايجد الماء ﴿قوله او صفة لقوله جنبا﴾ والا بمعنى غير وظهر الاعراب فيما بعدها كأنه قيل لاتقربوها جنبا غير عابرى سبيل اى جنبا مقيمين غير معذورين وهذا معنى واضح على تفسير العبور بالسفر لا بالعبور فى المسجد ﴿قوله وفيه دليل﴾ اى على تقدير ان يكون الاستثناء مفرّغا وان يكون المعنى لاتقربوا الصلاة فى حال الجنابة مطلقا الا فى حال السفر فانه يجوز لكم ان تصلوا جنبا فى حال السفر بالتيمم فهذا المعنى يدل على ان التيمم طهارة ضرورية لاترفع الحدث السابق وليس طهارة مطلقة كما ذهب اليه الحنفية رضى الله عنهم ولما كان محصول الآية جواز قربان الصلاة للجنب فى حال كونه مسافرا متيمما دل ذلك على ان التيمم لايرفع الحدث والله اعلم ﴿قوله الا اذا كان فيه الماء او الطريق﴾ فان طريق الماء اذا كان فى المسجد ولا ممرّ الى الماء سوى ذلك الطريق يجوز للجنب المرور فى المسجد كما له ذلك اذا كان الماء فى المسجد ولا ممرّ الى الماء سوى ذلك المسجد وعند الشافعى يجوز له عبور المسجد على الاطلاق قيل ان نفرا من الانصار كانت ابوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة فيريدون الماء ولايجدون ممرّا الا فى المسجد فرخص لهم وروى انه عليه الصلاة والسلام لم يأذن لاحد ان يجلس فى المسجد او يمرّ فيه وهو جنب الا لعلىّ رضى الله عنه لان بيته كان فى المسجد وقال عليه الصلاة والسلام * وجهوا هذه البيوت عن المسجد فانى لا احل المسجد لحائض ولا جنب * وقوله تعالى او على سفر فى محل النصب عطفا على خبر كان وهو قوله مرضى وكذلك قوله او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء وفيه دليل على جواز ان يكون خبر كان فعلا ماضيا من غير قد وادّعاء حذفها تكلف لاحاجة اليه والمسافر اذا عدم الماء فانه يصلى بالتيمم ولا اعادة عليه لقوله عليه الصلاة والسلام * ان الصعيد الطيب وضوء المسلم

وليس المراد منه نهى السكران عن قربان الصلاة وانما المراد منه النهى عن الافراط فى الشرب والسكر من السكر وهو السدّ وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى اومفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة الجماعة (ولاجنبا) عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة فى موضع النصب على الحال والجنب الذى اصابه الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجرى مجرى المصدر (الاعابرى سبيل) متعلق بقوله ولاجنبا استثناء من اعم الاحوال اى ولاتقربوا الصلاة جنبا فى عامة الاحوال الا فى السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم اوصفة لقوله جنبا اى جنبا غير عابرى سبيل وفيه دليل على ان التيمم لايرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابرى سبيل بالمجتازين فيها وجوّز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى رضى الله عنه وقال ابوحنيفة رضى الله تعالى عنه لايجوز له المرور فى المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق

ما لم يجد الماء فاذا وجد الماء فليمس بشرته ﴿ قوله وفى الآية تنبيه ﴾ وذلك لانه سبحانه وتعالى نهى المؤمنين عن قربان الصلاة حال السكر والصلاة لكونها عبادة لا ينهى عنها بل المنهى عنه فى الحقيقة هو السكر المانع عن العلم بما يقوله المصلى فى مناجاة ربه وذلك كما يكون من النوم والخمر يكون من غيرهما ايضا كما اشار اليه المصنف بقوله من نحو نوم او خمر فان نوم الغفلة يماثل النوم المتعارف وكذا خمور الهوى ومحبة الدنيا تماثل الخمر المشهور فى ان كل واحد منهما يشغل القلب عن فهم ما يقوله المصلى فى صلاته وعن حضور قلبه مع كل ما يفعله من هيئات التذلل والخضوع ونهاهم ايضا عن قربانها فى حال كونهم جنبا وبعداء عن الحق بشدة ميل النفس الى مباشرة لذاتها وشهواتها وحظوظها الا عابرى سبيل اى مارين طريقا من طرق تمتعها بقدر الضرورة والمصلحة كعبور طريق الاغتذاء بالمطعم والمشرب لسد الرمق وحفظ القوة او طريق الاكتساب لدفع الحر والبرد وستر العورة او طريق المباشرة لحفظ النسل لا منجذبين اليها بالكلية لمجرد الهوى فينطبع فيكم هيئات يعسر زوالها او يتعذر وكل ما نهى عنه فينبغى للمصلى ان يتحرز عنه ويزكى نفسه عما يجب تطهيرها عنه كما قال سبحانه وتعالى حتى تغتسلوا اى حتى تطهروا عن تلك الهيئة الحاصلة من الانجذاب الى الامور الطبيعية والهيئات الدنية بماء التوبة والاستغفار ﴿ قوله مرضا يخاف معه من استعمال الماء ﴾ اى يخاف التلف او زيادة المرض وقوله فاحدث يريد ان المجئ من الغائط كناية عن الحدث لان نفس المجئ من المطمئن من الارض لا يوجب الطهارة وسمى الحدث غائطا تسمية للشئ باسم مكانه لانهم كانوا قبل اتخاذ الكنف فى البيوت يأتون الغائط اى المطمئن من الارض احتجابا عن اعين الناس ﴿ قوله او ماسستم بشرتهن ببشرتكم ﴾ اختار ان المراد بالملامسة ههنا التقاء البشرتين سوآء كان جماعا او غيره فتجب الطهارة على من افضى بشئ من بدنه الى عضو من اعضاء المرأة وضعف قول من قال انها كناية عن الجماع لان اللفظ يكون حقيقة على الاول مجازا على الثانى وحمل الآية على الحقيقة اولى والفاء فى قوله فلم تجدوا ماء عطفت ما بعدها على الشرط وقوله فتيمموا جواب الشرط وضمير تيمموا لكل من تقدم من مريض ومسافر ومتغوط وملامس وفيه تغليب الخطاب على الغيبة لان قوله كنتم او لامستم خطاب وقوله او جاء احد غيبة غلب الخطاب فى كنتم وما بعده على الغيبة فى قوله او جاء احد وما احسن الاتيان هنا بالغيبة لانه كناية عما يستحيى منه فلم يخاطبهم به وهذا من محاسن الكلام ﴿ قوله ووجه هذا التقسيم ﴾ يعنى ان ظاهر النظم يدل على ان يكون المرض والسفر من الاسباب الموجبة للطهارة كالحدث الواقع بخروج ما خرج من احد السبيلين وبملامسة النساء وليس كذلك بل المرض والسفر من الاسباب المرخصة لا من الاسباب الموجبة للطهارة الا ان ما يوجب الطهارة لما كان منحصرا فى الحدث الاصغر والجنابة وكان اغلب الاحوال المقتضية لترخص من اتصف بهما بالتيمم منحصرا فى المرض والسفر كان الظاهر ان يقال وان كنتم جنبا مرضى او مسافرين او كنتم محدثين مرضى او مسافرين الا ان الجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله المقتضية لترخصه بالتيمم والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسباب ما يحدث له بالذات وما يحدث بالعرض اى ما لا يكون سببا للحدث لذاته بل لكونه مظنة لخروج المذى الذى هو سبب للحدث بالذات وقوله وبيان العذر مجملا عطف على قوله بتفصيل حال الجنب فان عدم وجدان الماء بمعنى عدم التمكن من استعماله عذر رخص التيمم وعدم التمكن من استعمال الماء مجمل حيث لم يبين ان سببه هو المرض او السفر واستغنى ببيان هذا المجمل عن التفصيل ﴿ قوله فتعمدوا شيأ من وجه الارض طاهرا ﴾ يعنى ان التيمم بمعنى القصد والتعمد وان الصعيد هو وجه الارض ترابا او غيره سمى صعيدا لكونه صاعدا ظاهرا وان الطيب بمعنى الطاهر سوآء كان منبتا او لا حتى لو فرضنا صخرا لا تراب عليه فضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافيا لظاهر الآية هذا عند ابى حنيفة وقال الامام الشافعى لابد من تراب يلتصق بيده لان هذه الآية ههنا مطلقة الا انها فى سورة المائدة مقيدة وهى قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعيض ومسح بعض الصعيد لا يتأتى فى الصخر الذى لا تراب عليه فان قلت كلمة من لابتدآء الغاية اجيب بان احدا من العرب لا يفهم من قول القائل مسحت برأسه من الدهن او من الماء او من التراب الا معنى التبعيض والاذعان للحق احق من المرآء ولما ذكره الواحدى من انه سبحانه وتعالى اوجب فى هذه الآية كون الصعيد طيبا والارض الطيبة هى التى تنبت بدليل قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته الآية فوجب فى التى لا تنبت ان لا تكون طيبة وان لا يجوز التيمم بها بل لا يجوز الا بالتراب فقط ﴿ قوله فلذلك يسر الامر عليكم ﴾ وجه دلالة الآية على هذا المعنى ان من كان عادته ان يعفو عن المذنبين فبأن

(حتى تغتسلوا) غاية النهى عن القربان حال الجنابة وفى الآية تنبيه على ان المصلى ينبغى له ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكى نفسه عما يجب تطهيرها عنه (وان كنتم مرضى) مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه (او على سفر) لا تجدونه فيه (او جاء احد منكم من الغائط) فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط الموضع المطمئن من الارض (او لامستم النساء) او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعى على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائى ههنا وفى المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة (فلم تجدوا ماء) فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحالة المقتضية له فى غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسباب ما يحدث له بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل احوال الجنب وبيان العذر مجملا وكأنه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء (فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم) اى فتعمدوا شيأ من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به اجزأه وقال اصحابنا لابد ان يعلق باليد شئ من التراب لقوله تعالى فى المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من بعضه وجعل من لابتدآء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روى انه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على المراد ههنا وايديكم الى المرافق (ان الله كان عفوا غفورا) فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم

(رخص)

رخص للعاجزين كان اولى ثم انه سبحانه وتعالى لما ذكر انواع التكاليف من اوّل السورة الى هنا ذكر اقاصيص المتقدمين لان الانتقال من نوع من العلوم الى نوع آخر مما ينشط الخاطر ويقوّى القريحة فقال ألم تر الى الذين اى ألم تنظر اليهم اوالم ينته علمك اليهم والعلم اليقينى لما شابه الرؤية والمشاهدة عيانا جاز ان تجعل الرؤية استعارة عن مثل هذا العلم ولفظ ألم تر كلمة تعجيب من امر بلغ المخاطب فتخرج مخرج التذكير اولم يبلغه فتخرج مخرج التعليم وتنكير نصيبا للتقليل والظاهر ان قوله تعالى من الكتاب فى محل النصب على انه صفة نصيبا فيتعلق بمحذوف وان قوله يشترون الضلالة حال من واو اوتوا والمشترى به محذوف اى بالهدى كما صرّح به فى مواضع ﴿قوله يختارونها على الهدى او يستبدلونها به﴾ لما كان الاشتراء حقيقة فى بذل الثمن لتحصيل مايطلب من الاعيان وكان كل واحد من العوضين من قبيل الاعيان الا ان المتروك المبذول عين لايطلب لعينه والمأخوذ عين مطلوب لعينه تعذر ان يراد بالاشتراء ههنا معناه الحقيقى فلابدّ ان يحمل على معنى مجازى وقد شاع استعمال لفظ الاشتراء فى الاعراض عما فى يده محصلا به غيره سواء كان من المعانى او من الاعيان كما قيل فى حق جبلة ابن الايهم كما اشترى المسلم اذ تنصرا * فانه كان رجلا نصرانيا فاسلم ثم ارتدّ الى النصرانية ولحق بالشام مرتدا فقيل له انه اشترى النصرانية بالاسلام الذى حصله ثم اعرض عنه واستبدل النصرانية به وشاع ايضا ان يتسع فى الاشتراء بهذا المعنى المجازى ويستعمل فى الرغبة عن الشئ طمعا فى غيره وان لم يكن الشئ المرغوب عنه حاصلا فى يده والاشتراء بهذا المعنى مجاز فى الدرجة الثانية على طريق استعمال المقيد فى المطلق وقول المصنف يختارونها على الهدى اشارة الى ان الاشتراء مجاز فى الدرجة الثانية وقوله او يستبدلونها به اشارة الى انه مستعار لمايشبه معناه الاصلى فانهم لما تمكنوا من الهدى والاذعان لنبوّته عليه الصلاة والسلام كان ذلك كأنه فى ايديهم وكانوا كأنهم على هدى فاذا تركوه الى الضلالة فقد استبدلوها به ويحتمل ان يحصل لهم الهدى ثم يعرضون عنه محصلين للضلالة بدله بان يكونوا ممن قال تعالى فى حقهم فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ﴿قوله تعالى ويريدون﴾ بياء الغيبة عطف على يشترون لبيان انهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولاحالة اسوأ واقبح منه ولما بين الله تعالى شدّة عداوتهم للمسلمين بين انه ولىّ المسلمين وناصرهم ومن كان الله له وليا وناصرا لم يضره عداوة الخلق * فان قيل ولاية الله تعالى لعبده عبارة عن نصرته له فذكر النصير بعد ذكر الولى تكرار * فالجواب ان الولى هو المتصرّف فى شئ والمتصرّف فى الشئ لايجب ان يكون ناصرا له فلا تكرار ﴿قوله فانه يحتملهم وغيرهم﴾ يعنى ان الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعم اليهود والنصارى فبين بقوله من الذين هادوا ان المراد بهم ههنا اليهود والجمل الثلاث المتعاطفة وهى قوله والله اعلم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا اجمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض ﴿قوله او بيان لاعدائكم﴾ فيكون مابينهما ايضا اعتراضا ﴿قوله او صلة لنصيرا﴾ اى متعلق به فان هذه المادة تتعدى بمن قال تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا فمن ينصرنا من بأس الله او بان يجعل من بمعنى على او يضمن النصر معنى المنع اى منعناه من القوم الذين كذبوا او كفى بالله مانعا بنصره من الذين هادوا او يضمن معنى الحفظ ﴿قوله او خبر محذوف﴾ اى ويجوز ان يكون الذين هادوا خبر مبتدأ محذوف وقوله يحرّفون جملة فى محل الرفع على انها صفة لذلك المبتدأ المحذوف وحذف الموصوف بعد من التبعيضية جائز وان كانت الصفة فعلا كقولهم منا ظعن ومنا اقام اى منا فريق ظعن ومثله قوله

* وما الدهر الا تارتان فمنهما * اموت واخرى ابتغى العيش اكدح *

اى فمنهما تارة اموت فيها وان كان من الذين هادوا بيانا او صلة نصيرا يكون قوله يحرّفون الكلم استئنافا لبيان اشترائهم الضلالة كأنه قيل كيف يشترون الضلالة فاجيب بان قيل يحرّفون الكلم ويكون مابعده عطفا عليه ﴿قوله بازالته عنها واثبات غيره فيها﴾ فانه كان فى التوراة من صفته عليه الصلاة والسلام اسمر ربعة فغيروه الى آدم طوال وآدم بمعنى اسمر والطوال بالضم مفرد بمعنى الطويل وبالكسر جمع طويل وكذا حرّفوا الرجم ووضعوا الجلد بدله وقيل المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ عن معناه الحق الى المعنى الباطل بوجه الحيل اللفظية كما يفعله اهل البدع فى زماننا بالآيات المخالفة لمذهبهم وذكر الضمير فى مواضعه حملا على الكلم لانها جنس وقال الواحدى هذا جمع حروفه اقل من حروف واحده وكل جمع يكون كذلك فانه يجوز تذكيره وقال غيره يمكن ان يقال كون هذا الجمع مؤنثا ليس امرا حقيقيا بل هو امر لفظى فكان التذكير والتأنيث فيه جائزا ﴿قوله اى مدعوّا عليك بلا سمعت﴾ اى انهم عبروا عنه بقولهم غير مسمع بناء على

(ألم تر الى الذين اوتوا) من رؤية البصر اى ألم تنظر اليهم او القلب وعدّى بالى لتضمن معنى الانتهاء (نصيبا من الكتاب) حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود (يشترون الضلالة) يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يأخذون الرشى ويحرّفون التوراة (ويريدون ان تضلوا) ايها المؤمنون (السبيل) سبيل الحق (والله اعلم) منكم (باعدائكم) وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وبما يريدون بكم فاحذروهم (وكفى بالله وليا) يلى امركم (وكفى بالله نصيرا) يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد فى فاعل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال الاضافى (من الذين هادوا) بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم ومابينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته (يحرّفون الكلم عن مواضعه) اى من الذين هادوا قوم يحرّفون الكلم اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على مايشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) امرك (واسمع غير مسمع) اى مدعوّا عليك بلا سمعت لصمم اوموت

او اسمع غير مجاب الى ماتدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا (وراعنا) انظرنا نكلمك اونفهم كلامك (ليا بألسنتهم) فتلا بها وصرفا للكلام الى مايشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى مايضمرون من السب والتحقير نفاقا (وطعنا فى الدين) استهزاء به وسخرية (ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا) ولو ثبت قولهم هذا مكان ماقالوه (لكان خيرا لهم واقوم) لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو فى مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعها موقعه (ولكن لعنهم الله بكفرهم) ولكن خذلهم الله وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) اى الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله

* قليل التشكى للمهم يصيبه *

او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون (يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها) من قبل ان نمحو عنهم تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعنى الاقفاء اوننكسها الى ورائها فى الدنيا او فى الآخرة

ان يكون غير مسمع حالا من المخاطب وان يكون المراد بغير مسمع اى مدعوا عليك بلا سمعت انهم تصوروا دعاءهم وهو قولهم لا سمعت دعوة مستجابة فزعموا انهم لما قالوا بطريق الدعاء لا سمعت كأنه صار فى الحال غير مسمع فلذلك قالوا غير مسمع بدل ان يقال مدعوا عليك بلا سمعت قال صاحب الكشاف قولهم اسمع غير مسمع قول ذو وجهين يحتمل المدح والذم اما احتمال الذم فمن وجوه احدها ان المراد اسمع مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيب دعوتهم عليه لم يسمع فكأنه اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة وثانيها ان المراد اسمع غير مجاب الى ماتدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيأ وثالثها ان المراد اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا الوجه الاخير ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اى اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه وتنبو عنه فيكون غير مسمع على الوجه الاول جاريا مجرى اللازم وعلى الوجه الثانى والثالث قدرله مفعوله وهو جوابا او كلاما وعلى جميع الوجوه يكون غير مسمع حالا من المنوى فى اسمع الا انه على الوجه الاخير يجوز ان يكون منصوبا على انه مفعول به لقوله اسمع ثم قال ويحتمل المدح اى اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه والمصنف ذكر هذه الوجوه على الترتيب المذكور فى الكشاف وقوله تعالى ليا وطعنا مفعول له اى يقولون ذلك فتلا بألسنتهم اى مايشبه السب فان قولهم راعنا وان كان امرا من المراعاة التى هى حفظ الغير لمصلحته الا انه يشبه بالكلمة العبرانية التى كانوا يتسابون بها وهى راعنا ويجوز ان يكونا مصدرين فى موضع الحال اى يقولون ذلك لاوين وطاعنين والذى يفتلونه بألسنتهم اما الكلام الحق فيفتلونه بها الى الباطل واما ما يضمرونه من السب والشتيمة فيفتلونه بها الى مايظهرونه من الدعاء والتوقير نفاقا ﴿قوله ولو ثبت قولهم هذا﴾ اشارة الى ان كلمة ان الواقعة بعد لو مع مافى حيزها فى تأويل المفرد لكونها فاعلا لفعل محذوف فقولك لو انك قائم فى تأويل لو وقع قيامك ولذلك يجب فتح ان الواقعة بعدها والى ان اسم كان فى قوله لكان خيرا لهم يرجع الى قوله انهم قالوا لكونه فى تأويل المصدر ﴿قوله الا ايمانا قليلا﴾ يريد ان قليلا منصوب على انه صفة مصدر محذوف فانهم لما آمنوا بالتوحيد وببعض الآيات والرسل وكفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام وشريعته كان ايمانهم قليلا لا يعتد به ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما فى قوله * قليل التشكى للمهم يصيبه * اى عديم التشكى فاستعمل القليل واريد به العدم فكذا معنى الآية الا ايمانا معدوما فهو استثناء للايمان المعدوم على تقدير المحال وهو ان الايمان المعدوم ايمان وذلك ابلغ فى نفى الايمان منهم والاستثناء على هذا الوجه وعلى الوجه الاول مفرغ من المصدر المحذوف وعلى الوجه الاخير الذى اشار اليه بقوله او الا قليلا منهم فالاستثناء متصل من فاعل يؤمنون فالقلة على هذا صفة لمن آمن منهم لا للايمان ﴿قوله من قبل ان نمحو﴾ فان الطمس المحو يقال طمسته فطمس اى درس يتعدى ولا يتعدى يقال طمس الطريق يطمس وطمسته انا ومحو تخطيطها ونقشها عبارة عن محو مافيها من عين وسمع وشعر وفم وانف وحاجب وجعلها كخف البعير او حافر الفرس فان الوجه انما يتميز عن سائر الاعضاء بما فيه من المحاسن فاذا ازيلت عنه تلك المحاسن كان ذلك طمسا للوجه فان الوجه اذا جعل على هيئة القفا كان ذلك تشويها فظيعا للخلقة الحسنة ومثلة وفضيحة عظيمة توجب الغم والحسرة الشديدة هذا على تقدير ان يراد رد الوجوه على ادبارها جعلها على هيئة القفا فى كونه عديم المحاسن والحواس ويحتمل ان يراد به رد الوجوه الى ناحية القفا ورد القفا الى ناحية القدام وصاحب الكشاف جعل الفاء فى قوله فنردها على الاحتمال الاول للسببية وعلى الاحتمال الثانى للتعقيب ومعنى السببية على الاول انما يظهر على تقدير ان يراد بالطمس ارادة الطمس لان طمس الوجوه وردها على هيئة الادبار واحد بحسب الوجود وان اختلفا مفهوما فلا سبيل الى السببية الا على ذلك التقدير لان السببية انما هى فيما بين الموجودين لا المفهومين فحينئذ يكون كقوله اهلكناها فجاءها بأسنا كذا قيل والظاهر ان الفاء على الاول للتعقيب فان التعقيب يكون على وجهين الاول ان يكون مضمون مابعد الفاء عقيب مضمون الجملة التى قبلها فى الزمان نحو قام زيد فقعد عمرو والثانى ان يكون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ماقبلها فى الذكر كما فى قوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين فان ذكر ذم الشئ اومدحه يصح بعد جرى ذكره ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل على المجمل فان موضع ذكر التفصيل بعد الاجمال كقولك اجبته فقلت لبيك قال تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا فان تبييت البأس تفصيل للاهلاك المجمل وكذا الحال فيما نحن فيه فان رد الوجوه على

(هيئة)

بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمى الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع و ردها
من الهداية الى الضلالة (او نلعنهم كما لعنا اصحـاب السبت) او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت اى نمسخهم مثل مسخهم او نلعنهم على لسانك كالعناهم على لسـان داود والضمير لاصحـاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريدبها الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاوّل يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة فى الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة فى الدنيـا قال انه بعد مترقب اوكان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة (وكان امر الله) بايقاع شئ او وعيده او ما حكم به وقضـاه (مفعولا) نافذا اوكائنـا فيقع لامحـالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا (ان الله لايغفر ان يشرك به) لانه بت الحكم على خلود عذابه اولان الذنب لاينمحى عنه اثره فلا يستعدّ للعفو بخلاف غيره (ويغفر مادون ذلك) اى مادون الشرك صغيرا كان اوكبيرا (لمن يشاء) تفضلا عليه واحسانا وعلقه المعتزلة بالفعلين على معنى ان الله لايغفر الشرك لمن يشـاء وهو من لم يتب و يغفر مادون ذلك لمن يشـاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافى وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هى حجة عليهم فهى حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد فى النار (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) ارتكب ما يستحقر دونه من الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق (الم تر الى الذين يزكون انفسهم) يعنى اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لاقالوا والله مانحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفى معناهم من زكى نفسه واثنى عليها (بل الله يزكى من يشاء) تنبيه على ان تزكيته هى معتدبها
دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوى عليه الانسان من حسن وقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية
نفى ما يستقبح فعلا او قولا (ولا يظلمون) بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق (فتيلا) ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذى فى شق النواة يضرب به المثل

هيئة الادبار تفصيل للطمس المجمل والفرق بين الاحتمالين انما هو بان العذاب على الاحتمال الاوّل واحد بالذات وعلى الثانى متعدّد وقع احدهما عقيب الآخر بلامهلة ولاتراخ بان طمست وجوههم اوّلا وردّت على ادبارها بعده ﴿ **قوله** ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها الخ ﴾ اشارة الى ماقيل من ان هذا الوعيد قد لحق اليهود ومضى واوّل ذلك باجلاء بنى النضير وقريظة الى الشام فرد الله وجوههم على ادبارهم حتى عادوا الى اذرعات واريحا من ارض الشام كما جاؤا منها قديما وطمس الوجوه على هذا التأويل يحتمل معنيين احدهما تقبيح صورهم يقال طمس الله وجهه اى قبحه والثانى ازالة آثارهم من بلاد العرب ومحو احوالهم عنه باجلائهم الى اذرعات الشام فطمس الوجوه وتغييرها سوآء كان ذلك التغيير بتقبيحها او بردها الى حيث جاءت منه مستعمل فى معنى مجازى ﴿ **قوله** ويقرب منه قول من قال ﴾ لاشتراكهما فى ان المراد بالطمس القلب والتغيير والفرق ان الوجوه على هذا القول بمعنى رؤسائهم ووجهائهم والمعنى من قبل ان نغير احوالهم ووجهائهم بان نعمى ابصارهم عن الاعتبار الخ ﴿ **قوله** او نخزيهم بالمسخ ﴾ على ان لايكون المراد باللعن المتعارف بل يراد به المسخ كما نقل ذلك عن مقاتل وغيره حيث قالوا المراد باللعن مسخهم قردة وخنازير وقال اكثر المحققين الاظهر حمل الآية على اللعن المتعارف الا يرى الى قوله سبحانه وتعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير فجمع الله بين اللعن وبين مسخهم قردة وخنازير ﴿ **قوله** والضمير ﴾ اى الضمير فى قوله نلعنهم يرجع الى الوجوه ان اريد بها الوجهاء والرؤساء او الى اصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم والتنوين بدل من الاضافة او الى المنادى وهم الذين اوتوا الكتاب على طريق الالتفات من الخطاب الى الغيبة فان الاوّل خطاب مشافهة والثانى صورة المغايبة ﴿ **قوله** وعطفه على الطمس ﴾ بمعنى محو تخطيط صورة الوجه يدل على ان اللعن ههنا ليس بمعنى مسخ الصورة والاليق للعطف وجه ﴿ **قوله** ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة قال ﴾ اى قال لابدّ من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة فهو بعد مترقب فيهم او انه مشروط بعدم الايمان وقد آمن منهم طائفة كعبد الله بن سلام واصحابه رضى الله تعالى عنهم ففات المشروط لفوات الشرط روى انه لما سمع الآية اتى رسول الله عليه الصلاة والسلام قبل ان يأتى اهله واسلم وقال يارسول الله ماكنت ارى ان اصل اليك حتى يتحوّل وجهى فى قفاى ﴿ **قوله** تعالى وكان امر الله ﴾ اى ما امر به فان المصدر قد يطلق على المفعول به كما يقال هذا الدرهم ضرب الامير اى مضروبه فلو امر احدا من المدبرات بايقاع شئ كانزال العذاب على احد ينزل ذلك العذاب لامحالة فانهم لايعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون ﴿ **قوله** وعلقه المعتزلة بالفعلين ﴾ وانما احتاجوا الى ذلك لان كل واحد من الشرك والكبائر يجب ان يغفر بعد التوبة ويجب ان لايغفر بدون التوبة فلا فرق بينهما بان يغفر احدهما دون الآخر عندهم فاشكل عليهم الفرق بينهما بان قيل فى احدهما لايغفر وفى الآخر يغفر وهذا الاشكال لايتجه عند اهل السنة فان المعتزلة شرطوا التوبة فى غفران الكبائر بخلاف اهل السنة فانهم لم يشترطوا ذلك فصح ان يفرق بينهما بان يقال انه تعالى لايغفر الشرك بغير توبة ويغفر مادونه بغير توبة لمن يشاء وتقرير تأويلهم ان قوله تعالى لمن يشاء متعلق بالجملتين فاذا علق بقوله لايغفر ان يشرك به يكون معنـاه لمن يشـاء ان لايغفر له لان مفعول المشيئة محذوف لدلالة الكلام السابق عليه ومن يشاء الله ان لايغفر له هو غير التائب لان من تاب يجب ان يغفر له وقد افادت مشيئته عدم غفرانه انه ماتاب واذا علق بقوله يغفر مادون ذلك كان معناه لمن يشاء ان يغفر له ومن يشاء ان يغفر له هو التائب فانه ان لم يتب لم يغفر له بناء على ماذهبوا اليه من ان وعيد اهل الكبائر غير منقطع * روى ان الآية نزلت فى وحشى بن حرب واصحابه وذلك انه لما قتل حمزة رضى الله عنه كان قد جعل له على قتله ان يعتق فلم يوف له بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على الذى صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك تقول وانت بمكة والذين لايدعون مع الله الها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق الآية وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التى حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزل الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرأوا كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لانعمل عملا صالحا فنزل ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا اليه انا نخاف ان لانكون من اهل مشيئته تعالى فنزل قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله الآية فبعث بها اليهم فدخلوا فى الاسلام ورجعوا الى النبى عليه الصلاة والسـلام فقبل منهم ثم قال

(الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عندالله مما يدعو اليه محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف وجمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ماعبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لاخير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره (ويقولون للذين كفروا) لاجلهم ودينهم (هؤلاء) اشارة اليهم (اهدى من الذين آمنوا سبيلا) اقوم دينا وارشد طريقا (اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يمنع عنه العذاب بشفاعة او غيرها (ام لهم نصيب من الملك) ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم (فاذا لايؤتون الناس نقيرا) اى لوكان لهم نصيب من الملك فاذا لايؤتون احدا مايوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا فقراء اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية

او وحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلحق بالشام وكان بها الى ان مات **قوله** نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام الخ﴾ اعلم انه تعالى حكى عن اليهود نوعا آخر من المكر وهو انهم يفضلون عباد الاوثان على المؤمنين ولاشك انهم كانوا عالمين بان ذلك باطل وكان اقدامهم على هذا القول محض العناد والتعصب روى ان ابن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة الرسول عليه الصلاة والسلام وكان ذلك بعد واقعة احد وقد جرى قبل ذلك بين اليهود وبينه عليه الصلاة والسلام عهد على انهم ان لم يكونوا في نصرته عليه الصلاة والسلام وتقوية دينه لايكونوا عليه منضمين الى اعدائه ومن يحاربه معه ونقضوا العهد بفعلهم هذا فنزل كعب على ابي سفيان فأحسن مثواه ونزل اليهود دور قريش فقال اهل مكة انكم اهل كتاب مثل محمد فانتم اقرب اليه منكم الينا فلا نأمن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لآلهتنا وآمنوا بها حتى تطمئن قلوبنا اليكم ففعلوا فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت وهما الصنمان ثم قال كعب لاهل مكة ليجيئ منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجتهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لانعلم فأينا اهدى طريقا انحن ام محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم ودينه فقال ابو سفيان نحن نذبح للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا فنزلت هذه الآية وقوله تعالى يؤمنون حال من الذين او من واو اوتوا وبالجبت متعلق به ويقولون عطف عليه وللذين متعلق بيقولون ويجوز ان يكون قوله يؤمنون مستأنفا كأنه قيل الاتعجب من حال الذين اوتوا نصيبا من الكتاب فقيل وماحالهم فقيل يؤمنون ويقولون وكان ينبغي لمن اوتي نصيبا من الكتاب ان لايفعل شيأ من ذلك **قوله** ام منقطعة﴾ كأنه لما تم الكلام الاول قال بل ألهم نصيب من الملك كان اليهود يقولون نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب ويزعمون ان الملك يعود اليهم في آخر الزمان ويخرج فيه من يجدد ملكهم ودولتهم ويدعو الناس الى دينهم فكذبهم الله تعالى في هذه الآية ثم ان الملك على ثلاثة اقسام ملك على الظواهر فقط وهذا هو ملك الملوك وملك على البواطن فقط وهو ملك العلماء وملك على الظواهر والبواطن وهو ملك الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولانصيب لليهود في شئ من هذه الاقسام فانه سبحانه وتعالى وصف اليهود في الآية المتقدمة بالجهل الشديد وهو اعتقادهم ان عبدة الاوثان افضل من عباد الله سبحانه وتعالى ووصفهم في هذه الآية بالبخل والحسد وهما يشتركان في ان صاحبهما يريد منع النعمة عن الغير فالبخيل يمنع نعمة نفسه عن الغير والحاسد يريد ان يمنع نعمة الله تعالى عن عباده فهما اقبح الاخلاق الذميمة لان مدار الاسلام امران تعظيم امر الله تعالى والشفقة على عباد الله تعالى وكل واحد من هذين الخلقين ينافي كل واحد منهما فمن اجتمع فيه هذه الخصال الذميمة الجهل والبخل والحسد لايكون له نصيب من شئ من اقسام الملك فان الجاهل لايكون له ملك على البواطن وهو ظاهر والبخيل والحاسد لايكون له ملك على الظواهر لان الانقياد للغير امر مكروه لذاته لايتحمله الانسان الا اذا تضمن منفعة زائدة على مافيه من المذلة وتلك المنفعة مايصل اليه من آثار جود الملك وبره واحسانه فكلما كان جود الملك اكثر كان انقياد الناس اتم واوفر فلذلك قيل *بالبر يستعبد الحر* وقيل * اذا الملك لم يكن ذا هبة * فدعه فدولته ذاهبة * فثبت ان الملك والبخل لايجتمعان **قوله** وهو النقرة في ظهر النواة﴾ قد ضرب العرب المثل في القلة والحقارة بثلاثة اشياء في النواة وهي الفتيل والنقير والقطمير فالفتيل خيط رقيق في شق النواة والنقير هي النقرة التي في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة والقطمير هو القشر الرقيق فوقها **قوله** ويجوز ان يكون المعنى الخ﴾ ذكر او لان معنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك بمعنى انه لانصيب لهم منه لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم حرمانهم بسبب انهم لو اوتوا نصيبا منه لما آتوا الناس اقل قليل منه ومن حق من اوتي الملك ان يؤثر الغير بشئ منه وهم ليسوا كذلك وعلى هذا فالفاء في فاذا للسببية والجزائية لشرط محذوف وهو ان جعل لهم نصيب والمصنف قدر الشرط المحذوف بقوله اى لوكان لهم نصيب من الملك وليس بجيد لان الفاء لاتقع في جواب لو سيما مع اذا والمضارع ثم جوز ان تكون الفاء عاطفة لدخولها على الجملة التي قبلها ويكون معنى الهمزة انكار مجموع المعطوف والمعطوف عليه بمعنى انه لاينبغي ان يكون هذا وهو انهم قد اوتوا نصيبا منه ووقع منهم عقيبه البخل باقل قليل منه وفائدة اذا زيادة الانكار

رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم
وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما
شر الرذآئل فكانّ بينهما تجاذبا وتلازما
(على ما آتاهم الله من فضله) يعني النبوّة
والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي
الموعود منهم (فقد آتينا آل ابراهيم) الذين هم
اسلاف محمد وابناء عمه (الكتاب والحكمة)
النبوّة (وآتيناهم ملكا عظيما) فلا يبعد
ان يؤتيهم الله مثل ما آتاهم (فمنهم) فمن اليهود
(من آمن به) بمحمد صلى الله عليه وسلم او بما
ذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من
صدّ عنه) اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل
معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر
ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن
كفر هؤلاء امرك (وكفى بجهنم سعيرا) نارا
مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة
فقد كفاهم ما اعدّ لهم من سعير جهنم
(ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا)
كالبيان والتقرير لذلك (كلما نضجت جلودهم
بدّلناهم جلودا غيرها) بان يعاد ذلك الجلد
بعينه على صورة اخرى كقولك بدّلت الخاتم
قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود
احساسه للعذاب كما قال (ليذوقوا العذاب)
اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد
آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية
المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور
(ان الله كان عزيزا) لا يمتنع عليه ما يريده
(حكيما) يعاقب على وفق حكمته
(والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا)
قدّم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين
ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين
بالعرض (لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم
ظلا ظليلا) فينانا لا جوب فيه ودآئما لا تنسخه
الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدآئمة
والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده
كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم
(ان الله يأمركم ان تؤدّوا الامانات الى اهلها)
خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت
يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما
اغلق باب الكعبة وأبى ان يدفع المفتاح
ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى عليّ
كرم الله وجهه يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضي الله عنه ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة

والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب الذي هو سبب الاعطاء سببا للمنع قال ابو بكر الاصم رحمه الله كانوا اصحاب بساتين واموال وقصور مشيدة وكانوا في عزة ومنعة على ما عليه احوال الملك ومع هذا كانوا يبخلون على الفقرآء باقل القليل فنزلت هذه الآية وقوله على الكناية اشارة الى ان كونهم قد اوتوا نصيبا من الملك غير مذكور صريحا بل هو منفهم من جهة الانكار الى مجموع الجملتين ﴿قوله لا للتشريك مفرد﴾ في محل الجرّ على انه صفة للواو والفاء وعدم كونهما لعطف المفرد اما لكونهما لعطف الجملة او لكون الفاء جزآئية لا عاطفة قال سيبويه اذا في عوامل الافعال بمنزلة ظن في عوامل الاسماء وتقريره ان الظنّ اذا وقع في اوّل الكلام نصب لا غير كقولك اظنّ زيدا قائما وان وقع في الوسط جاز الغاؤه واعماله كقولك زيد اظنّ قائم وان شئت قلت زيدا اظنّ قائما وان تأخر فالاحسن الغاؤه تقول زيد منطلق ظننت والسبب فيما ذكرناه ان افعال القلوب ضعيفة في العمل لانها لا تؤثر في مفعولاتها فاذا تقدمت دل تقدّمها في الذكر على شدّة العناية بها فتقوى على العمل واذا تأخرت دل ذلك على عدم العناية فتلغى وان توسطت فحينئذ لا تكون في محل العناية من كل الوجوه ولا في محل الاهمال فالاعمال والالغاء جائزان وكلمة اذا على هذا الترتيب ايضا فان تقدّمت نصبت الفعل تقول اذا اكرمك وان توسطت او تأخرت جاز الالغاء تقول انا اذا اكرمك وانا اكرمك اذا فتلغيها في هاتين الحالتين اذا عرفت هذه المقدّمة فنقول كلمة اذا في هذه الآية لما وقعت بين الفاء والفعل جاز ان تقدّر متوسطة فتلغى وهكذا سبيلها مع الواو كقوله تعالى واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا وقرأ ابن مسعود فاذا لا يؤتوا على اعمال اذا عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قرآءة العامة ﴿قوله وابناء عمه﴾ فانه سبحانه وتعالى آتى بني اسرآئيل الكتاب والنبوّة وكانوا من آل ابراهيم عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا اولاد اسحق بن ابراهيم ومحمد عليه الصلاة والسلام وعليهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم فلما كان اسماعيل عليه الصلاة والسلام ابا لنبينا عليه الصلاة والسلام كان اسحق عليه الصلاة والسلام عمه وكان بنوا اسرآئيل ابناء عمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام وقال مجاهد الملك العظيم النبوّة لان الملك لمن له الامر والطاعة والانبياء عليهم الصلاة والسلام لهم الامر والطاعة ﴿قوله تعالى كلما نضجت جلودهم﴾ ظرف زمان والعامل فيه بدّلناهم والجملة في محل النصب على الحال من الضمير المنصوب في نصليهم روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال تبدّل جلود الكافر في ساعة مائة مرّة كلما اكلتها النار واحرقتها قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وهو سبحانه وتعالى قادر على ان يبقي ابدانهم مصونة عن النضج مع ايصال الالم الشديد اليها من غير تبديل لها بل هو قادر على ان يوصل الى ابدانهم آلاما عظيمة من غير ان يدخلهم النار الا انه تعالى ادخلهم النار واحرقت النار جلودهم وبدّلهم الله تعالى جلودا غير الجلود المحرقة لحكمة لا يعلمها الا هو ولا يسأل عما يفعل ﴿قوله لا يمتنع عليه ما يريده﴾ فان العزيز هو القادر الغالب على جميع الممكنات والحكيم هو الذي لا يفعل الا الصواب وما تقتضيه الحكمة ومن هذا شانه ليس بعجيب منه مع كونه كريما رحيما ان يعذب الشخص الضعيف بالنار الشديدة ابد الآباد لاقتضاء الحكمة اياه فان نظام العالم لا يبقى الا بتهديد العصاة والتهديد لا بدّ ان يكون مقرونا بالتحقيق صونا للكلام * فان قيل اذا احترقت الجلود العاصية وخلق الله جلودا اخرى وعذبها كان هذا تعذيبا لمن لم يعص وهو غير جائز * فالجواب ان المعاد في كل مرّة هو الجلد الاوّل بعينه وانما قال غيرها لتبدّل صفته كما تقول صغت من خاتمي خاتما غيره فان الخاتم الثاني هو الاوّل الا ان الصياغة والصفة قد تبدّلت وهو قول المصنف رحمه الله بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى اي غير صورة الجلد المحترقة قال ابن عباس رضي الله عنهما يبدّلون جلودا بيضا كأمثال القراطيس وهناك جواب آخر وهو ان اصل الجلد لا يفنى بالاحتراق بل تتبدّل به عوارضه ثم يبدّل الله تعالى تلك العوارض التي هي اثر الاحتراق الى الحالة الاولى وجواب ثالث وهو انا سلمنا ان الجلود العاصية قد فنيت بالاحتراق وانه سبحانه وتعالى يخلق مكانها جلودا غيرها ذاتا الا انا لا نسلم انه يلزم منه تعذيب غير العاصي بناء على ان المعذب هو الانسان المستور بالجلد لان الجلد امر زآئد على ذاته آلة لادراكه فلا محذور ﴿قوله فينانا﴾ اي كثير الافنان متصلا منبسطا والجوبة الفرجة والجمع جوب بمعنى الفرج ﴿قوله خطاب يعم المكلفين والامانات﴾ يعني ان نزول الآية في قضية ردّ المفتاح الى عثمان بن طلحة لا يقتضي ان يكون حكمها مخصوصا بتلك القضية بل يتناول حكمها جميع الامانات فان معاملة الانسان اما ان تكون مع ربه او مع عباده او مع نفسه ولا بدّ من رعاية الامانة في جميع هذه

الاقسام الثلاثة اما رعاية الامانة مع الرب سبحانه وتعالى فهي بان يفعل جميع المأمورات ويترك جميع المنهيات فان جميع ما كلف به الانسان من الله تعالى امانة عند المكلف يجب عليه ان يؤديها الى صاحبها وهذا بحر لا ساحل له واما رعاية الامانة مع عباد الله من اولاده وزوجته ومماليكه وجيرانه واصحابه وعامة الخلق فبأن يحفظ حقوقهم ولا يخونهم في شيء منها ورعايتها مع نفسه فبأن لا يختار لنفسه الا ما هو الاصلح والانفع لها في الدين والدنيا وبأن يحفظها عما يضرها في العقبى فلهذا قال عليه الصلاة والسلام * كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته * فقوله تعالى يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها يدخل فيها الكل وقد عظم الله سبحانه وتعالى امر الامانة في مواضع كثيرة من كتابه فقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان وقال تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقال تعالى لا تخونوا اماناتكم وقال عليه الصلاة والسلام * لا ايمان لمن لا امانة له * والامانة في الاصل مصدر سمي به المفعول ولذلك جمع وقصة عثمان بن طلحة من بني عبد الدار انه كان سادن الكعبة فلما دخل النبي عليه الصلاة والسلام مكة يوم الفتح اغلق عثمان الكعبة وصعد السطح فطلب عليه الصلاة والسلام المفتاح فقيل انه مع عثمان فطلب منه فأبى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى ركعتين فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت هذه فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان اكرهتني وآذيتني ثم جئت برفق فقال لقد انزل الله تعالى في شأنك قرآنا وقرأ الآية عليه فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام واخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيامة ﴿**قوله** اي وان تحكموا بالانصاف﴾ اشارة الى ان قوله ان تحكموا معطوف على ان تؤدوا اي يأمركم بتأدية الامانات وبالحكم بالعدل فيكون قد فصل بين حرف العطف والمعطوف بالظرف فيكون اذا حكمتم منصوبا بيأمركم على الظرفية اي كما ان تحكموا منصوب به على المفعولية * فان قيل كيف يجوز ان يكون الظرف معمولا لقوله يأمركم والحال ان الامر ليس واقعا وقت الحكم * اجيب بان كونه معمولا ليأمركم لا يستلزم وقوع اصل الامر فيه بل يكفي في كونه معمولا له ان يكون تعلقه بالحكام واقعا فيه ولا يجوز ان يكون الظرف معمولا لان تحكموا وان كان المعنى عليه صحيحا لان ان مع الفعل موصول حرفي وما في حيز الموصول لا يتقدم عليه عند البصريين واما الكوفيون فيجيزون ذلك ومنه هذه الآية عندهم ويجوز ان يقال ان الظرف معمول لفعل محذوف تقديره ويأمركم ان تحكموا اذا حكمتم وان تحكموا المذكور مفسر لذلك المحذوف فلا موضع للمذكور لكونه مفسرا للمحذوف والمحذوف مفعول لقوله يأمركم المحذوف فيكون النظم من قبيل علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها ماء باردا من حيث ان كل واحد منهما حذف منه المعطوف مع بقاء العاطف وقوله بالعدل يجوز ان يكون مفعولا به غير صريح لقوله ان تحكموا ومتعلقا به فتكون الباء للتعدية وان يكون حالا من فاعل تحكموا فتكون الباء للمصاحبة متعلقة بمحذوف اي ملتبسين بالعدل مصاحبين له والمعنيان متقاربان ﴿**قوله** من ينفذ عليه امركم﴾ اي مع قطع النظر عن رضى الخصمين بحكمكم وذلك بان يكون الحاكم مولى من قبل السلطان لا بان يكون محكما برضى الخصمين بحكمه فان حكمه وان كان نافذا في حقهما الا انه لا ينفذ الا برضاهما بحكمه ﴿**قوله** ولان الحكم الخ﴾ تعليل لقوله الخطاب لهم قدم عليه ﴿**قوله** اي نعم شيأ يعظكم به﴾ على ان تكون كلمة ما منصوبة موصوفة بيعظكم فان فاعل نعم قد يكون ضميرا مبهما مميزا بنكرة منصوبة نحو نعم رجلا زيد ومميز الكلمة ما فانها نكرة موصوفة بالجملة التي بعدها وقعت تمييزا للضمير في نعم او هي اسم موصول بمعنى الذي مرفوع المحل على انه فاعل نعم وصلتها قوله يعظكم به * فان قلت قد تقرر ان فاعل نعم اذا كان مظهرا لا بد ان يكون محلى بلام الجنس او مضافا اليه فكيف جاز ان تقع ما الموصولة فاعله * اجيب بانها لما كانت بمعنى الذي كانت بحسب المعنى وصفا للمعرف بلام الجنس واليه اشار بقوله او نعم الشيء الذي يعظكم به ﴿**قوله** وامراء السرية﴾ السرية طائفة من العسكر يبلغ اقصاها اربعمائة سموا بذلك لانهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم مأخوذ من الشيء السري وهو النفيس ويدل على دخول امراء السرية في اولي الامر قوله عليه الصلاة والسلام * من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني

﴿ واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ﴾ اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ﴿ ان الله نعما يعظكم به ﴾ اي نعم شيأ يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات ﴿ ان الله كان سميعا بصيرا ﴾ باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات ﴿ يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ﴾ يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية

(ومن)

امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ماداموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردّوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم (فان تنازعتم) انتم واولوا الامر منكم (فى شئ) من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاوّل اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤوس الاان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات (فردّوه) فراجعوا فيه (الى الله) الى كتابه (والرسول) بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب ردّ المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان ردّ المختلف الى المنصوص عليه انمايكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالردّ اليهما على وجه القياس (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يوجب ذلك (ذلك) اى الردّ (خير) لكم (واحسن تأويلا) عاقبة او احسن تأويلا من تأويلكم بلا ردّ (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت)

ومن بعص اميرى فقد عصانى * **قوله** امر الناس بطاعتهم ﴾ اى بطاعة الولاة بعدما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وبان يحكموا بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم انما هو ماداموا على الحق وجه التنبيه ان الحكم اذا تعلق بالموصوف بصفة يكون تعلقه به مقدرا بقدر اتصافه بتلك الصفة ويلزم منه ان يكون وجوب طاعة الولاة مقدّرا بقدر كونهم عدولا * روى ان بعض الولاة قال لبعض العلماء أليستم امرتم بطاعتنا فى قوله تعالى واولى الامر منكم قال أليستم نزع عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم فى شئ فردّوه الى الله والرسول اى نزعت الولاية عنكم ان خالفتم الحق ووقع التنازع بينكم وبين المؤمنين فى الحق كأنه قيل اطيعوا اولى الامر منكم ان لم تنازعوهم فى شئ من الحق فان تنازعتم فلا طاعة الا لله ولرسوله قال علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه حق الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدّى الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا ﴿ **قوله** وقيل علماء الشرع ﴾ اختار الامام ان المراد باولى الامر اهل الاجماع وهم العلماء الذين يمكنهم استنباط احكام الله من نصوص الكتاب والسنة وهم الذين يسمون باهل العقد والحل فى كتب اصول الفقه حيث قال قوله تعالى واولى الامر منكم يدل عندنا على ان اجماع الامّة حجة والدليل على ذلك ان الله تعالى امر بطاعة اولى الامر ومن امر الله تعالى بطاعته لابدّ ان يكون معصوما من الخطأ لانه اذا لم يكن معصوما من الخطأ وامر الله تعالى بمتابعته لكان ذلك امرا بفعل ذلك الخطأ والخطأ منهى عنه فلا يكون مأمورا به فظهر بهذا ان اولى الامر المذكور فى هذه الآية لابدّ ان يكون معصوما من الخطأ وذلك المعصوم اما ان يكون مجموع الامّة او بعض الامّة لاجائز ان يكون بعض الامة لان الامر بطاعتهم مشروط بمعرفتهم والقدرة على الاستفادة منهم ونحن عاجزون عن معرفتهم وعن الوصول اليهم واستفادة العلم والدين منهم فوجب ان يكون المراد من اولى الامر مجموع الامة اى مجموع اهل الحل والعقد من الولاة وذلك يوجب القطع بان اجماع الامة حجة هذا خلاصة كلامه فى تقرير الدليل على ما ادّعاه وقوله تعالى منكم فى محل النصب على انه حال من اولى الامر متعلق بمحذوف اى واولى الامر كائنين منكم ومن تبعيضية اذ لاشك ان الامراء والسلاطين بعض الامّة وكذا العلماء المجتهدون ﴿ **قوله** واجيب بان ردّ المختلف الى المنصوص عليه الخ ﴾ قال الامام اعلم ان قوله تعالى فان تنازعتم فى شئ فردّوه الى الله والرسول يدل عندنا على ان القياس حجة والذى يدل على ذلك ان قوله فان تنازعتم اى اختلفتم فيما حكمه منصوص او فيما حكمه غير منصوص فردّوه الى احد هذه الثلاثة والاوّل باطل لان وجوب المراجعة الى احد الثلاثة فيما ثبت حكمه به قد فهم من قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فعلى تقدير ان يكون المراد به المعنى الاوّل يكون قوله فان تنازعتم فى شئ فردّوه الى الله والرسول اعادة لعين ما مضى وهو غير جائز واذا بطل الاحتمال الاوّل تعين الثانى وهو ان المراد ان تنازعتم فى شئ حكمه غير مذكور فى الكتاب والسنة والاجماع واذا كان كذلك لم يكن المراد من قوله فردّوه الى الله والرسول طلب حكمه من نصوص الكتاب والسنة فوجب ان يكون المراد ردّ حكمه الى الاحكام المنصوصة فى الوقائع المشابهة له وذلك هو القياس فثبت ان الآية دالة على الامر بالقياس كما انها دالة على وجوب المراجعة الى الكتاب والسنة والاجماع وقد تقرّر عند الفقهاء ان اصول الشريعة اربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس وهذه الآية مشتملة على تقرير هذه الاصول الاربعة بهذا الترتيب اما الكتاب والسنة فقد وقعت الاشارة اليهما بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول والى الاجماع بقوله واولى الامر منكم والى القياس بما بعده ﴿ **قوله** تعالى ان كنتم تؤمنون ﴾ شرط حذف جوابه اعتمادا على دلالة ما قبله عليه وجعل ما قبله جوابا له يبطل صدارة الشرط وهذا الوعيد يحتمل ان يكون مخصوصا بقوله فردّوه ويحتمل ان يكون عائدا الى قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وظاهر قوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر يقتضى ان من لم يطع الله والرسول لايكون مؤمنا فيخرج المذنب عن الايمان لكنه محمول على التهديد ﴿ **قوله** عاقبة ﴾ فان التأويل قد ورد فى القرآن بمعنى المآل والعاقبة كما فى هذه الآية وفى قوله هل ينظرون الا تأويله اى عاقبته وفى قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله اى عاقبته * قال الامام التأويل عبارة عما اليه مآل الشئ ومرجعه وعاقبته ثم انه تعالى لما اوجب فى الآية الاولى وعلى جميع المكلفين ان يطيعوا الله ويطيعوا الرسول ذكر فى هذه الآية ان المنافقين والذين فى قلوبهم مرض لايطيعون الرسول ولا يرضون بحكمه وانما يريدون حكم غيره فقال الم تر الى الذين يزعمون الآية والزعم بفتح الزاى وضمها مصدر زعم وهو فعل يقترن به اعتقاد ظنّى وزعم يكون بمعنى ظنّ فيتعدى الى اثنين كما فى

عن ابن عبـاس رضى الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق بقضائه وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضى الله عنه للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرآئيل ان عمر قد فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفى معناه من يحكم بالبـاطل و يؤثر لاجـله فسمى بذلك لفرط طغيانه او للتشبيه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال (وقد امروا ان يكفروا به و يريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا) وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله تعـالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول) وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) هو مصدر او اسم للمصدر الذى هو الصدّ والفرق بينه و بين السدّ انه غير محسوس والسدّ محسوس ويصدّون فى موضع الحـال (فكيف تكون حالهم (اذا اصابتهم مصيبة) كقتل عمر المنافق او النقمة من الله تعالى (بما قدمت ايديهم) من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك (ثم جاؤك) حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدّون وما بينهما اعتراض (يحلفون بالله) حال (ان اردنا الا احسانا وتوفيقا) ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخـالفتك وقيـل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنـا و يوفق بينه و بين خصمه (اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب (فأعرض عنهم) اى عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم او عن قبول معذرتهم (وعظهم) بلسـانك وكفهم عما هم عليه (وقل لهم فى انفسهم) اى فى معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح فى السر انجع (قولا بليغا) يبلغ منهم و يؤثر فيهم امره بالتجافى عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام

هذه الآية وان مع ما فى حيزها سادّ مسدّ مفعوليها وقد يكون بمعنى كفل فيتعدّى الى واحد ومنه وانا به زعيم وقوله تعالى يريدون حال من فاعل يزعمون لا من الذين يزعمون وقوله تعالى وقد امروا حال من فاعل يريدون فهما حالان متداخلان ﴿قوله حتى برد﴾ اى مات سمى الموت بردا لان الانسان اذا مات برد ﴿قوله فسمى بذلك لفرط طغيانه﴾ اى سمى الله تعالى كعبا طاغوتا لكمال طغيانه * الجوهرى الطاغوت الكاهن والشيطان وكل رأس فى الضلال وهو قد يكون واحدا كما فى هذه الآية وقد يكون جمعا كما فى قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم فالطاغوت على الوجه الاوّل حقيقة كانه قيل سمى طاغوتا لكونه رأسا فى الضلال وعلى قوله او للتشبيه بالشيطان فالتسمية باسمه تكون مجازا مستعارا من الشيطان وعلى الوجه الثالث يكون الطاغوت مستعملا فى اصل معناه والمجاز انما هو فى جعله متحاكما اليه فان المتحاكم اليه حقيقة هو كعب بن الاشرف الا انه جعل الشيطان متحاكما اليه لكونه سببا حاملا على التحاكم الى كعب فعلى هذا فى قوله فسمى به نوع تسامح ثم انه تعالى لما بين رغبتهم فى التحاكم الى الطاغوت بين نفرتهم عن التحاكم الى الرسول فقال واذا قيل لهم تعالوا ﴿قوله اعتباطا﴾ من الغبطة وهى ان تمنى مثل حال صاحب الكرامة من غير ان تريد زوالها عنه يقال غبطته بما نال اغبطه غبطا فاغتبط هو مثل حبسته فاحتبس ومنعته فامتنع والمعنى انهم حذفوا لام الفعل من تعاليت لمجرد تشهيهم الحذف والتخفيف لا لعلة وسبب يدعو اليه فقالوا فى تعالى يتعالى تعال محذوفا منه الياء فجرى مجرى الفاظ المضارعة التى لا يكون فى آخرها ياء فاذا اخذ منه الامر يكون جمع المذكر بضم ما قبل واو الضمير وامر الواحدة المخاطبة بكسر ما قبل الياء نحو قومى وقوموا ﴿قوله تعالى يصدّون عنك﴾ اى يعرضون عنك وذكر المصدر للتأكيد والمبالغة كانه قيل صدودا اىّ صدود واختلف فى لفظ صدود قال بعضهم انه اسم مصدر والمصدر انما هو الصدّ وقال آخرون انه مصدر كالصدّ يقال صدّ صدّا وصدودا وقيل فعل الصدّ يستعمل لازما ومتعديا يقـال صدّ هو بنفسه وصدّه غيره قال تعالى فصدّوهم عن السبيل وقال بعضهم الصدود مصدر صدّ اللازم والصدّ مصدر صدّ المتعدّى والفعل ههنا لازم فلذلك جاء مصدره على فعول لان فعولا غالبا لازم وكونه مصدرا للمتعدّى نادر نحو لزمه لزوما وفتنه فتونا هذا وفيه نظر اذ لقائل ان يقول هو ههنا متعدّ غاية ما فى الباب انه حذف مفعوله والمعنى يصدّون غيرهم او المتحاكين عنك صدودا ﴿قوله ويصدّون فى موضع الحال﴾ مبنى على ان يكون رأيت من رؤية البصر لانها ان كانت من رؤية القلب بمعنى علمت يكون قوله يصدّون فى محل النصب على انه مفعول ثان لرأيت ﴿قوله فكيف تكون حالهم﴾ اشارة الى ان قوله فكيف فى محل النصب بفعل مضمر نحو كيف تراهم وكيف يصنعون او يحتالون وقيل انه فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى فكيف صفتهم فى وقت اصابة المصيبة اياهم وعلى التقديرين كلمة اذا معمولة لذلك المقدر بعد كيف ﴿قوله وقيل على يصدّون﴾ والمعنى انهم فى اوّل الامر يصدّون عنك ثم بعد ذلك يجيئونك ويحلفون بالله كذبا انهم ما ارادوا بذلك التحاكم الا الاحسان والتوفيق وما بينهما اعتراض فان شرط الاعتراض ان يكون له تعلق بذلك الكلام من بعض الوجوه كما فى قوله

* ان الثمانين وبلغتها * قد احوجت سمعى الى ترجمان *

فقوله وبلغتها كلام اجنبىّ وقع فى البين لكنه متعلق بذلك الكلام من حيث انه دعاء للمخاطب وتلطف فى القول معه وكذلك الآية فان اوّل الآية وآخرها فى شرح قبائح المنافقين وكيدهم ومكرهم فانه تعالى حكى عنهم انهم يتحاكمون الى الطاغوت مع انهم امروا بالكفر به ويصدّون عن الرسول مع انهم امروا بطاعته ويحلفون بالله كذبا وذكر فى اثناء شرح تلك القبائح ما يدل على شدة الامر عليهم بسبب هذه الاعمال القبيحة فى الدنيا والآخرة ﴿قوله يحلفون بالله حال﴾ اى من فاعل جاؤك وان نافية واحسانا مفعول به لانه استثناء مفرّغ من المفعول به والمعنى ما اردنا بالتحاكم الى غير الرسول شيأ من الاشياء الا ان يحسن الى صاحبنا بالحكم والعدل والتوفيق بينه وبين خصمه ﴿قوله او عن قبول معذرتهم﴾ فان من لا يقبل عذر غيره ويستمرّ على سخطه قد يوصف بانه معرض عنه غير ملتفت اليه ﴿قوله وكفهم عما هم عليه﴾ اى ازجرهم عن النفاق والمكر والكذب وخوّفهم بعقاب الله تعالى فى الآخرة ﴿قوله اى فى معنى انفسهم﴾ اى فى شأن انفسهم وفى حقها او خاليا بهم ليس معهم غيرهم وعلى التقديرين يكون قوله فى انفسهم متعلقا بقوله قل لهم ﴿قوله يبلغ منهم﴾ على ان بليغا من البلوغ والوصول والقول انما يبلغ اليهم ويؤثر فيهم بان يكون مخوّفا لهم من عقاب الله تعالى مثل ان يقال لهم ان ما فى قلوبكم من النفاق والكيد معلوم

لله تعالى ولافرق بينكم وبين الكفار المجاهرين فى الاستمرار على الكفر وانما رفع عنكم السيف لانكم اظهرتم الايمان فطهروا انفسكم من هذه الخصائل القبيحة وانقادوا لله تعالى ظاهرا وباطنا واطيعوه فى جميع ما كلفكم به قلبا وقالبا والا فكيف تأمنون من ان ينزل الله بكم ما ازله فى حق من جاهر بالكفر من القتل بالسيف وسبى الاموال والاولاد ﴿قوله وتعليق الظرف﴾ اى الجار والمجرور وهو قوله فى انفسهم بقوله بليغا على معنى قل لهم قولا مؤثرا فى قلوبهم يغتمون منه اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان ظهر منهم النفاق وبدت طلائعه ووجه ضعف هذا الاحتمال ان فيه تقديم معمول الصفة على الموصوف وانه لا يجوز عند البصريين فلا يجوز ان يقال جاء زيدا رجل يضرب لانه لا يتقدم المعمول الاحيث يجوز تقديم معمول الصفة والعامل ههنا لا يجوز تقديمه لان الصفة لا تتقدم على الموصوف والكوفيون يجيزون تقديم معمول الصفة على الموصوف وقول البصريين انه لا يتقدم المعمول الاحيث يتقدم العامل فيه بحث لانا وجدنا هذه القاعدة منخرمة فى قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فاليتيم معمول لتقهر والسائل معمول لتنهر وقد تقدما على لا الناهية والعامل فيهما لا يجوز تقديمه عليهما اذ المجزوم لا يتقدم على جازمه فقد تقدم المعمول حيث لا يتقدم العامل والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مدلوله المقصود به سمى بليغا لبلوغه كنه المقصود ودلالته عليه واللام فى قوله تعالى الا ليطاع لام كى والفعل بعدها منصوب باضمار ان والاستثناء مفرغ من المفعول له والتقدير وما ارسلنا من رسول لشئ من الاشياء الا للطاعة وباذن الله متعلق بيطاع والباء للسببية والمراد بالاذن الامر والتكليف فانه تعالى قد امر المبعوث اليهم بان يطيعوه حيث قال اطيعوا الرسول وهذا الامر والتكليف سبب موجب لاطاعتهم اياه ﴿قوله بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت﴾ اختار ان الآية نزلت فيمن تقدم ذكره من المنافقين وهم الذين ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت والفرار من التحاكم الى الرسول وذكر الامام وجها ثانيا فى سبب نزولها وهو ان قوما من المنافقين اتفقوا على كيد فى حق الرسول عليه الصلاة والسلام ثم دخلوا عليه لاجل ذلك الغرض فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام واخبره بذلك فقال عليه الصلاة والسلام ان قوما دخلوا على يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله حتى أستغفر لهم فلم يقوموا فقال قوموا فلم يفعلوا فقال عليه الصلاة والسلام قم يا فلان قم يا فلان حتى عد اثنى عشر رجلا منهم فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله عز وجل من ظلم انفسنا فاستغفر لنا فقال الآن اخرجوا اما كنت فى بدء الامر اقرب الى الاستغفار وكان الله اقرب الى الاجابة اخرجوا عنى ﴿قوله لعلموه﴾ يريد ان وجد هنا يحتمل ان يكون بمعنى علم فيتعدى الى مفعولين ثانيهما توابا وان يكون بمعنى صادف فيتعدى الى واحد وتوابا حال واما رحيما فيحتمل ان يكون حالا من ضمير توابا وان يكون بدلا من توابا ﴿قوله لا لتظاهر لا فى قوله لا يؤمنون﴾ المظاهرة المعاونة اى لا يجوز ان تكون كلمة لا فى فلا وربك لتأكيد النفى فى لا يؤمنون وتقويته بل لتأكيد معنى القسم لانها كما جاءت فى النفى جاءت فى الاثبات كما فى قوله تعالى لا قسم بهذا البلد الى قوله لقد خلقنا الانسان فى كبد اذ هو مثبت وكذا قوله انه لقول رسول كريم فلو كانت لمظاهرة النفى لما جاءت فى الاثبات وفيه بحث لجواز ان تكون الاولى ردا الكلام تقدمها اى ليس الامر كما يزعمون من انهم آمنوا بما انزل اليك وهم يخالفون حكمك ثم استأنف قسما بعد ذلك فعلى هذا يكون الوقف على لا تاما ﴿قوله فيما اختلف بينهم﴾ فى الصحاح شجر بين القوم اذا اختلف الامر بينهم وتشاجر القوم اى تنازعوا والمشاجرة المنازعة وقال الامام شجر الامر يشجر شجورا اذا اختلف واختلط وشاجره اذا نازعه وذلك لتداخل كلام بعضهم فى بعض عند المنازعة كما يتداخل بعض اغصان الشجر فى بعض ﴿قوله مما حكمت به او من حكمك﴾ الاول على ان تكون ما موصولة بمعنى الذى ويكون العائد محذوفا والثانى على ان تكون مصدرية ﴿قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم الآية﴾ متصل بما تقدم من امر المنافقين وترغيب لهم فى الاخلاص وترك النفاق والمعنى انا لو شددنا التكليف على الناس نحو ان نأمرهم بان يقتلوا انفسهم بطريق التوبة كما امرنا بنى اسرائيل بذلك او بان يخرجوا من ديارهم كما امرنا بنى اسرائيل بالخروج من مصر وكتبنا على المنافقين ان يخرجوا من ديارهم لصعب ذلك عليهم ولما فعله الا الاقلون وحينئذ يظهر كفرهم وعنادهم فلم نفعل ذلك رحمة منا على عبادنا وما كتبنا عليهم الا الطاعة للرسول والرضى بحكمه وهو امر سهل فليقبلوه بالاخلاص وليتركوا التمرد والعناد حتى ينالوا خير الدارين قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد الضمير فى قوله

وتعليق الظرف بليغا على معنى بليغا فى انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مدلوله المقصود به (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) بسبب اذنه فى طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكأنه احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت (جاؤك) بالتوبة تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به (فاستغفروا الله) لذنوبهم بالتوبة والاخلاص (واستغفر لهم الرسول) واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب ولم يقل واستغفرت لهم لان القياس يقتضى هذا لقوله جاؤك تفخيما لشأنه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع فى كبائر الذنوب (لوجدوا الله توابا رحيما) لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه (فلا وربك) اى فوربك ولا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر لا فى قوله (لا يؤمنون) لانها تزاد ايضا فى الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت) ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك فى ضيق من امره (ويسلموا تسليما) وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم (ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم) تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرآئيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا فى معنى امرنا (او اخرجوا من دياركم) خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل

بكسرهما على الاصل و الباقون بضمهما اجرآءلهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل (مافعلوه الاقليل منهم) الاناس قليل و هم المخلصون لما بين ان ايمانهم لايتم الابان يسلموا
حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم و الضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدرى الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب

على الاستثناء او على الافعلا قليلا (ولوانهم فعلوا مايوعظون به) من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاوعته طوعا ورغبة (لكان خيرالهم) فى عاجلهم وآجلهم (واشد تثبيتا) فى دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفى الشك اوتثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا مما نزلت فى شأن المنافق واليهودى وقيل انها والتى قبلها نزلتا فى حاطب بن ابى بلتعة خاصم زبيرا فى شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه الصلاة والسلام اسق يازبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه الصلاة والسلام اسق يازبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك (واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ومايكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزآء (ولهديناهم صراطا مستقيما) يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال النبى صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم) مزيد ترغيب فى الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا (من النبيين والصديقين والشهدآء والصالحين) بيان للذين او حال منه او من ضمير عليهم قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لايتأخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ماهى عليها ثم الشهدآء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين فى مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشئ قريبا وهم الانبياء (مرافقة)

ولو انا كتبنا عليهم عائد الى المنافقين اى لو كتبنا على هؤلاء المنافقين القتل والخروج عن الوطن مافعله الا القليل رياء وسمعة وحينئذ يصعب عليهم الامر وينكشف كفرهم فاذا لم نفعل بهم ذلك بل كلفناهم بالاشياء السهلة فليتركوا النفاق وليقبلوا الايمان على سبيل الاخلاص وهذا القول اختيار ابى بكر الاصم وابى بكر القفال وقيل المعنى لو كتب الله على الناس ماذكر لم يفعل الاقليل منهم وعلى هذا القول يدخل فيه المؤمن والمنافق واما الضمير فى قوله ولوانهم فعلوا مايوعظون به فهو مختص بالمنافقين ولايبعد ان يكون اول الآية عاما وآخرها خاصا وعلى هذا التقدير يجب ان يكون المراد بالقليل المؤمن واختار المصنف هذا القول بدليل قوله الاناس قليل وهم المخلصون ﴿قوله والباقون بضمهما﴾ يعنى ان ابن عامر والكسائى وابن كثير ونافعا قرأوا ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم بضم نون ان وضم واو او بنقل ضمة اقتلوا وضمة اخرجوا اليهما واجرائهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعلين وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما لالتقاء الساكنين وكون الكسرة اصلا فى تحريك الساكن وقرأ ابو عمرو بكسر النون وضم الواو وقال الزجاج لست اعرف لفصل ابى عمرو بين هذين الحرفين خاصية الا ان يكون رواية وقال غيره اما كسر النون فلأن الكسر هو الاصل فى تحريك الساكن لالتقاء الساكنين واما ضم الواو فلأن الضمة فى الواو احسن لانها تشبه واو الضمير فى نحو اشتروا الضلالة ولا تنسوا الفضل ﴿قوله والضمير﴾ اى المنصوب فى قوله مافعلوه للمكتوب المدلول عليه بقوله كتبنا وذلك المكتوب هو احد الامرين وهو القتل او الخروج او لاحد مصدرى المفعولين اى مافعلوا القتل او مافعلوا الخروج قال الامام الكناية فى قوله مافعلوه عائد الى القتل والخروج معا وذلك لان الفعل جنس واحد وان اختلفت ضروبه ﴿قوله وقرأ ابن عامر بالنصب﴾ اى قرأ الاقليلا منصوبا وكذا هو فى مصاحف اهل الشام ومصحف انس بن مالك وقرأ الباقون قليل بالرفع فانه قد تقرر فى النحو انه يجوز نصب المستثنى ويختار ابداله من المستثنى منه فيما بعد الا فى كلام غير موجب اذا كان المستثنى منه مذكورا نحو ماجاءنى القوم الازيد والا زيدا برفعه ونصبه فالرفع على البدل والنصب على الاستثناء لكن البدل اولى من النصب قال ابو على الفارسى الرفع اقيس فان معنى ماجاءنى احد الازيد وماجاءنى الازيد واحد فلما اتفقوا فى قولهم ماجاءنى الا زيد على الرفع وجب ان يكون قولهم ماجاءنى احد الا زيد بمنزلته واما من نصب على اصل الاستثناء فقد قاس على الموجب فان قولك ماجاءنى احد كلام تام كما ان قولك جاءنى القوم كلام تام فلما كان المستثنى منصوبا فى الموجب كان كذا فى غيره والجامع كون المستثنى فضلة جاءت بعد تمام الكلام اوجعله صفة لمصدر محذوف تقديره الا فعلا قليلا ومن رفعه فقد جعله بدلا من واو فعلوه واسم كان فى قوله تعالى لكان خيرا لهم ضمير راجع الى الفعل المفهوم من قوله ولو انهم فعلوا اى لكان فعل مايوعظون به خيرالهم وتثبيتا تمييز لأشد والمعنى ولكان فعله آكد لعزآئمهم على الثبات على الدين وترك التذبذب لان الطاعة تدعو الى امثالها والواقع منها فى وقت يدعو الى المواظبة عليه ﴿قوله فى شراج من الحرة﴾ الشراج سيل الماء من الحرة الى السهل والحرة ارض ذات حجارة سود وكان ارض زبير ينتهى اليها الماء اولا ثم الى ارض حاطب بن ابى بلتعة والحكم فيه ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادى فهو اولى باول الماء وحقه تمام السقى فالرسول عليه الصلاة والسلام امر اولا الزبير بان يسقى ارضه على وجه المسامحة والمعدلة ولخصمه فلما اساء خصمه الادب ولم يعرف حق ماامر به الرسول من المسامحة لاجله امره النبى عليه الصلاة والسلام ثانيا باستيفاء حقه على التمام والكمال وحمل خصمه على مر الحق والجدر للارض كالجدار للدار ﴿قوله لان اذا جواب﴾ علة الاحتياج الى تقدير السؤال فان كونه جوابا يحوج الى تقدير شئ ﴿قوله يصلون بسلوكه جناب القدس﴾ اشارة الى ان المراد بالصراط المستقيم هو الطريق من عرصة القيامة الى الجنة وان الحمل عليه اولى من حمله على الدين الحق كما فى قوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وذلك لانه تعالى ذكره بعد ذكر الثواب والاجر والدين الحق متقدم عليهما والصراط الذى هو الطريق من عرصة القيامة الى الجنة انما يحتاج اليه بعد استحقاق الاجر بسلوك طريق الدين فكان حمل لفظ الصراط فى هذا الموضع على هذا المعنى اولى ﴿قوله مزيد ترغيب فى الطاعة﴾ فانه تعالى امر بطاعة الله وطاعة رسول الله بقوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول ثم زيف طريقة المنافقين ثم اعاد الامر بطاعة الرسول بقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع ورغب فى تلك الطاعة بايتاء الاجر العظيم وهداية الصراط المستقيم بسببها ثم اكد ذلك الترغيب بان وعد عليها

(وحسن اولئك رفيقا) فى معنى التعجب ورفيقا نصب على التميز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق اولانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روى ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال مابى من وجع غير انى اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لانى عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت (ذلك) مبتدأ اشارة الى ماللمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم (الفضل) صفته (من الله) خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة (وكفى بالله عليما) بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله (يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم) تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل مايحذر به كالحزم والسلاح (فانفروا) فاخرجوا الى الجهاد (ثبات) جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه (او انفروا جميعا) مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت فى الحرب لكن يقتضى اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات (وان منكم لمن ليبطئن) الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او يبطئون غيرهم كما بطئ ابن ابى اناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه مااستكن فى ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن (فان اصابتكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال) اى المبطئ (قد انعم الله علىّ اذ لم اكن معهم شهيدا) حاضرا فى تلك الغزاة فيصيبنى ما اصابهم (ولئن اصابكم فضل من الله) كفتح وغنيمة (ليقولن) اكده تنبيها على فرط تحسره وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من (كأن لم يكن بينكم وبينه مودة) اعتراض بين الفعل ومفعوله

مرافقة أكرم الخلائق وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون والصديق مبالغة الصادق كالفسير والفسيق وهو الذى لم يدع شيأ اظهره بلسانه الا حققه بقلبه وعمله وهذه صفة السابقين الى متابعة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهم افاضل اصحابهم رضوان الله عليهم اجمعين والشهيد من قام بشهادة الحق والعمل به الى ان قتل فى سبيل الله والصالح من خلص من كل فساد وليس المراد بكون من اطاع الله واطاع الرسول مع هؤلاء الكرام ان يكون للكل درجة واحدة لان هذا يقتضى التسوية بين الفاضل والمفضول فى الدرجة وهو لا يجوز فلابد ان يكون معناه ان الارواح الناقصة اذا استكملت علائقها مع الارواح الكاملة فى الدنيا بسبب الحب الشديد ثم فارقت هذا العالم ووصلت الى عالم الآخرة بقيت تلك العلائق الروحانية هناك فيجزون الجنة ويكونون معهم فيها ويكرمون بنعيمها ويستمتعون فيها برؤية هؤلاء الكرام وزيارتهم والحضور معهم وكون الكرام فى اعلى عليين لا يمنع من ذلك بل تكون تلك العلاقة المتأكدة سببا لاقتدارهم على التلاقى والزيارة فمعيتهم تكون بهذا الطريق والله اعلم وقوله تعالى من النبيين حال من الموصول او من الضمير المجرور فى عليهم وعلى التقديرين يكون بيانا له متعلقا بمحذوف اى كائنين منهم وروى فى سبب نزول هذه الآية ان رجلا من الانصار جاء النبى عليه الصلاة والسلام فقال لأنت احب الىّ من نفسى واهلى ومالى وولدى ولولا انى آتيك فأراك لظننت انى سأموت وبكى فقال عليه الصلاة والسلام *مايبكيك* قال ذكرت انك ستموت ونموت فترفع مع الانبياء ونحن ان دخلنا الجنة كنا دونك فلم يخبره النبى عليه الصلاة والسلام بشئ فانزل الله تعالى هذه الآية فقال له عليه الصلاة والسلام *أبشر* وقال مقاتل بعد ذكر هذه القصة انه لما توفى النبى عليه الصلاة والسلام أتاه آت وهو فى حديقة له فاخبره بموت النبى عليه الصلاة والسلام فقال اللهم أعمنى فلا ارى شيأ بعد حبيبى حتى القى حبيبى فعمى مكانه رضى الله عنه ﴿قوله كالحزم﴾ وهو ضبط الرجل امره واخذه بالثقة وهو فى معنى السلاح من حيث انه سبب للاتقاء والحذر ونحو اخذ حذره على ان يكون الحذر بمعنى التيقظ والاحتراز من الخوف من قبيل الاستعارة بالكناية حيث شبه الحذر فى النفس بالسلاح وآلة الاحتراز والوقاية وجعل ايقاع الاخذ عليه دليلا وقرينة فيكون استعارة تخييلية كاثبات الاظفار للمنية لما امر الله تعالى بطاعة الله وطاعة رسوله وكان الجهاد اشق الطاعات واعظم مايحصل به تقوية الدين وظهوره على الاديان كلها خصه بالذكر من بين وجوه الطاعات وامر المؤمنين ان لا يقتحموا على عدوهم بالغفلة والجهالة من احوالهم حتى يتجسسوا ماعندهم ويعلموا كيف يردون عليهم فان ذلك اقرب الى نيل مقصودهم من الجهاد ﴿قوله ثبات﴾ منصوب على انه حال من فاعل انفروا وكذا جميعا والثبات جماعات متفرقة واحدتها ثبة واصل ثبة ثبى والهاء عوض عن لام الفعل المحذوفة لالتقاء الساكنين قال ابو على يقال ثبيت الرجل اى مدحته وجمعت محاسنه ويقال نفر القوم ينفرون نفرا ونفيرا اذا نهضوا لقتال عدوهم وخرجوا للحرب واستنفر الامام الناس لجهاد العدو فنفروا ينفرون اذا حثهم على السفر ودعاهم اليه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام *اذا استنفرتم فانفروا* والنفر اسم للقوم الذين ينفرون خيرهم الله تعالى بين ان يقاتلوا جميعا وبين ان يقاتل بعضهم دون بعض بان يبعث الامام سرية بعد سرية فدل ذلك على ان الجهاد ليس من فروض الاعيان ﴿قوله كوكبة واحدة﴾ مصدر مجتمعين على غير لفظه لكونه بمعنى الجماعة العظيمة وفى الصحاح كوكبة الشئ معظمه ويحتمل ان يكون حالا من ضمير مجتمعين ﴿قوله من بطأ بمعنى ابطأ﴾ فتكون التبطئة عن الجهاد بمعنى التأخر عنه تقول العرب ماابطأ بك عنا اى ما اخرك يقال بطؤ بطئا وبطأ تبطئة وابطأ ابطاء بمعنى واحد قال عليه الصلاة والسلام *من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه* ﴿قوله للفصل بالخبر﴾ فان قوله منكم خبر مقدم لان واسمها لمن دخلت اللام على الاسم لان الخبر لما توسط بين ان واسمها لم يلزم توالى حرفين بمعنى واحد واختار المصنف ان تكون من موصولة ويكون يبطئن جواب قسم محذوف وتكون الجملتان اعنى القسم وجوابه صلة لمن ويحتمل ان تكون من موصولة ويكون القسم مع جوابه صلة لها والتقدير وان منكم للذى او لفريقا والله ليبطئن اى ليتأخرن عن الغزو او ليبطئن غيره عنه ﴿قوله تعالى اذ لم اكن﴾ ظرف ناصبه انعم الله ﴿قوله وقرئ بضم اللام﴾ يعنى ان الجمهور على فتح اللام لان الفعل مسند الى ضمير من مبنى على الفتح لاجل نون التأكيد ومن قرأ بضمها فقد اسند الفعل الى ضمير من ايضا لكن جمع الضمير حملا على المعنى لان من فى معنى الجماعة لظهور ان المعنى منكم الجماعة التى تبطئ لا الفرد فقول المصنف اعادة للضمير اى ارجاعا له الى معنى من ﴿قوله اعتراض بين الفعل ومفعوله﴾ فان نظم التنزيل لو كان هكذا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن ياليتنى

وهو (يا ليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما) للتنبيه على ضعف عقيدتهم و ان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم و بينه و انما يريدان يكون معكم لمجرّد المال او حال من الضمير فى ليقولنّ اوداخل فى المقول اى يقول المبطئ لمن بطئه من المنافقين و ضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم و بين محمد مودّة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز ياليتنى كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذلا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودّة والمنادى فى ياليتنى محذوف اى ياقوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمنى وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز فى ذلك الوقت او العطف على كنت (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) اى الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم فى طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما) وعدله الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علىّ اذلم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغى ان يثبت فى المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة اوالدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين (ومالكم) مبتدأ وخبر (لا تقاتلون فى سبيل الله) حال والعامل فيها ما فى الظرف من معنى الفعل (والمستضعفين) عطف على اسم الله اى وفى سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدوّ او على سبيل بحذف المضاف اى وفى خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدى الكفار اعظمها واخصها (من الرجال والنساء والولدان) بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة بصدّ المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة فى الحث وتنبيها على تناهى ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم فى الدعاء حتى يشاركوا فى استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد

كنت معهم فافوز فوزا عظيما لكان النظم مستقيما الا انه وقع قوله كان لم يكن بينكم وبينه مودّة فى البين اعتراضا فلا محل له من الإعراب * قال الامام هذا الاعتراض هنا فى غاية الحسن لانه تعالى حكى عن هذا المنافق انه اذا وقعت للمسلمين نكبة اظهر السرور الشديد بسبب انه كان متخلفا عنهم ولو فازوا بغنيمة ودولة اظهر الغم الشديد بسبب فوات تلك الغنيمة عنه ومثل هذه المعاملة لا يقدم الانسان عليها الا فى حق الاجنبى العدوّ لان من احب انسانا فرح عند فرحه وحزن عند حزنه واذا قلب هذه القضية فذلك اظهار للعداوة واذا عرفت هذه المقدّمة فنقول انه تعالى حكى عن هذا المنافق سروره وقت نكبة المسلمين ثم اراد ان يحكى حزنه عند دولة المسلمين بسبب انه فاته الغنيمة فقبل ان يذكر هذا الكلام بتمامه ألقى فى البين قوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودّة قصدا للتعجب كأنه قال انظروا الى ما يقول هذا المنافق كأنه ليس بينكم ايها المؤمنون وبينه مودة ولا مخالطة اصلا ادخل هذا الكلام فى البين ثم حكى عنه مقوله ﴿قوله او حال﴾ اى ليقولنّ ذلك مشبها بمن لم يكن بينكم وبينه مودّة ﴿قوله او داخل فى المقول﴾ بان حكى الله تعالى بقوله ليقولنّ جملتين جملة التشبيه وجملة التمنى فيكون الضمير فى بينه لرسول الله عليه الصلاة والسلام ﴿قوله وقيل انه متصل بالجملة الاولى﴾ وهى قوله فان اصابتكم مصيبة وقعت معترضة بين هذه الجملة الشرطية وبين جملة القسم وهى قوله ولئن اصابكم فضل من الله ليقولنّ فأخرت الجملة المعترض بها اعنى قوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودّة والبينية التوسط ونقل هذا القول عن الزجاج وردّه الراغب الاصفهانى بانه مستقبح لانه لا يفصل بين بعض الجملة وبعض ما يتعلق بها بجملة اخرى وقيل هذا القول من الزجاج كأنه تفسير معنى لا توجيه اعراب ﴿قوله وكأن مخففة من الثقيلة﴾ وعملها باق عند البصريين وزعم الكوفيون انها لا تعمل مخففة كما لا تعمل لكن مخففة عند الجمهور واعمالها عند البصريين غالبا فى ضمير الشأن وهو واجب الحذف ولا تعمل عندهم فى ضمير غيره ولا فى اسم ظاهر الا فى ضرورة كقوله

❊ ووجه مشرق النحر ❊ كأن ثدييه حقان ❊

والجملة المنفية بعدها فى محل الرفع خبرا لها ﴿قوله وقيل يا اطلق للتنبيه﴾ قال الفارسى كلمة يا لمجرّد التنبيه فلا يقدّر منادى محذوف ولذلك باشرت الحرف وقيل انها حرف نداء والمنادى محذوف وهذا الخلاف جار فيها اذا باشرت حرفا او فعلا كقراءة الكسائى الا يا اسجدوا ولا يفعل ذلك الا يا خاصة دون سائر حروف النداء لانها ام الباب وقد كثرت مباشرتها لليت دون سائر الحروف ﴿قوله اى الذين يبيعونها﴾ لما كان الشراء بمعنى الاشتراء وهو بذل الثمن واخذ المبيع والباء فيه انما تدخل على المبذول وقوله الذين يشرون الحياة فاعل لقوله فليقاتل والظاهر ان المأمور بالقتال هم المؤمنون المخلصون وهم لا يبذلون الآخرة اختيارا للحياة فسر الشراء بالبيع وهو يتعدى الى المتروك بنفسه والى المأخوذ بالباء والمخلصون يبيعون الحياة ويأخذون الآخرة وقوله فليقاتل جواب شرط محذوف والتقدير ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون وان كان الشراء بمعنى الاشتراء يكون المأمور بالقتال هم المبطئون الذين يختارون الحياة الدنيا على الآخرة ﴿قوله ومالكم مبتدأ وخبر﴾ يعنى ان ما مبتدأ ولكم خبره اى اى شئ استقر لكم ولا تقاتلون حال اى مالكم غير مقاتلين والعامل فى هذه الحال الاستقرار المقدّر ﴿قوله مستذلين﴾ حال من فاعل بقوا اى فيها والحال انهم يلقون من كفار مكة اذى شديدا قال ابن عباس كنت انا وامى من المستضعفين من النساء والولدان وهو يدل على ان الولدان بمعنى الصبيان على انه جمع ولد وقيل الولدان جمع وليد فيكون المراد بهم العبيد والاماء لان العبد والامة قد يقال لهما الوليد والوليدة وجمعهما الولدان والولائد الا انه ههنا غلب الذكور ويكون المراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر ﴿قوله وانما ذكر الولدان﴾ اى مع ان الصبيان لم يبلغوا حدّا ن يستذلوا ويمتحنوا مبالغة فى الحث على قتال المشركين بالتنبيه على تناهى ظلمهم حيث بلغ اذاهم الصبيان ارغاما لابائهم وامهاتهم ولان المستضعفين كانوا يشركون اولادهم الصغار فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما وردت السنة باخراجهم فى الاستسقاء فقول المصنف وان دعوتهم عطف على قوله مبالغة والتقدير ولان دعوتهم وقوله تعالى الذين يقولون فى موضع الجرّ على انه صفة اما للمستضعفين واما للرجال ومن بعدهم وغلب المذكر على المؤنث حكى الله تعالى عنهم انهم كانوا يدعون ويقولون ربنا اخرجنا الآية فلما شارك الولدان المستضعفين فى هذا الدعاء ذكروا معهم وان لم يدخلوا فى عدادهم فى كونهم

المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي و ناصر ففتح مكة على يد نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعزاء اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير مااسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ماعمل فيه (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) فيما يصلون به الى الله (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) فيما يبلغ بهم الى الشيطان (فقاتلوا اولياء الشيطان) لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لايؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم) اي عن القتال (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) واشتغلوا بما امرتم به (فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ ومنهم صفته ويخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه (او اشد خشية) عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب مابعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب) استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ماتفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم (قل متاع الدنيا قليل) سريع التقضي (والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من اجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة (اينما تكونوا يدرككم الموت) قرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله

مستضعفين ﴿قوله ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد﴾ فانه عليه الصلاة والسلام لما فتح مكة جعل عتابا اميرا لهم وكان شأنه انه ينصف الضعيف من القوي والذليل من العزيز ﴿قوله وتذكيره﴾ يعني ان الظاهر ان يقال الظالمة اهلها لكونه صفة للقرية ﴿قوله وقع موقع المصدر﴾ يعني انه صفة مصدر محذوف والتقدير يخشون الناس خشية كخشية الله وان وقع موقع الحال من فاعل يخشون يكون المعنى يخشون الناس مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية من اهل خشية الله فيكون اشد معطوفا على ماوقع موقع الحال وهو قوله كخشية الله وان جعلته واقعا موقع المصدر لايكون اشد معطوفا عليه لان عطفه عليه حينئذ يستلزم ان يكون اشد صفة للمصدر ايضا وان يكون المعنى يخشون الناس خشية اشد خشية من خشية الله فيلزم ان يكون للخشية خشية وان يكون افعل التفضيل المنصوب مابعده من جنس مابعده وذا لايجوز بل يجب ان يكون فاعلا لما بعده فيكون اشد خشية عبارة عن الخاشي حالا منه وانما يكون عبارة عن الخشية اذا اضيف الى الخشية وقيل اشد خشية منصوب على التمييز عن اسم التفضيل وهو قديكون نفس ماانتصب عنه لامتعلقا له كما في قوله تعالى فالله خير حافظا فهو والجر سواء نحو خير حافظ وخير حافظا فالله هو الحافظ في الوجهين فالخشية ههنا تكون نفس الموصوف ولايلزم ان يكون للخشية خشية ﴿قوله بل هو معطوف على اسم الله﴾ اي على تقدير ان يكون كخشية الله صفة مصدر محذوف يكون اشد معطوفا على اسم الله ويكون المعنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او مثل خشية من هو اشد من جهة كونه مخشيا منه فيكون قول المصنف او كخشية في قوله او كخشية اشد مضافا الى اشد وقوله خشية منه تمييز اشد بمعنى مخشيا منه ولما لم يكن ذلك متحققا في الخارج قال على الفرض ﴿قوله اللهم الا ان يجعل الخشية الخ﴾ استثناء من قوله وان جعلته مصدرا فلا اي فلا يكون اشد معطوفا على قوله كخشية الله حينئذ في حال من الاحوال الا في حال ان يجعل الخشية خاشية بل صارت خشية خشيتهم اشد من خشية الله فلا شك ان هذا ابلغ في توصيف خشيتهم بالشدة لانه اذا كان خشية خشيتهم اشد تكون خشيتهم اشد بطريق الاولى ﴿قوله استزادة في مدة الكف﴾ يعني ان قولهم هذا ليس اعتراضا على الله وكراهة لامر الله بالقتال لانه لايليق بالمؤمن بل لكون البشر مجبولا على حب الحياة والخوف والفزع من الممات قيل انه سؤال طلب حكمة وليس اعتراضا ومعارضة بدليل انهم لم يوبخوا على هذا السؤال بل اجيبوا على لسان نبيهم عليه الصلاة والسلام بان التمتع بالحياة في الدنيا قليل سينقضي عن قريب بخلاف الحياة في العقبى فان حياة الشهداء ابدية يرزقون بنعيم الجنة فيها ابدا فلا تؤثروا الفاني على الباقي روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال * والله ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع * مع ان نعم الدنيا مشوبة بالهوى والمكاره ونعم الآخرة صافية من الكدورات * ثم قال ولا تظلمون فتيلا اي لاينقصون من ثواب اعمالهم قدر فتيل النواة وهو الخيط الرقيق الذي يكون في شق نواة التمر وقد يقال المراد ههنا مايفتل بين الاصبعين من الوسخ ثم يلقى لحقارته ﴿قوله قرئ بالرفع﴾ يعني ان الجمهور على جزم يدرك لانه جواب الشرط فان اين اسم شرط يجزم فعلين وما زائدة على سبيل الجواز للتأكيد فيلزم ان يكون كل واحد من تكونوا ويدرككم مجزوما على الشرط وجوابه والمعنى اينما تكونوا من الامكنة يدرككم الموت اي لاخلاص لكم من الموت فالموت على الوجه الذي يستعقب السعادة الابدية اولى من الموت الذي لايكون على هذا الوجه والمقصود من هذا الكلام تبكيت من حكى عنهم انهم يخشون الناس اشد خشية ويقولون لولا اخرتنا الى اجل قريب وقرئ يدرككم بالرفع بناء على انه ليس بجواب لان الشرط والجزاء اذا كانا مضارعين فهما مجزومان لاغير فلما رفع قيل في توجيهه انه حذف الفاء منه على انه جملة اسمية محذوفة المبتدأ فيكون مثل قول القائل الله يشكرها في حذف الفاء من الجملة الاسمية وآخر البيت * والشر بالشر عند الله سيان * وفي رواية مثلان يعني من يفعل خيرا يشكره الله ويجازيه ولو فعل شرا فعل به مثله ﴿قوله او على انه كلام مبتدأ﴾ ذكر الزمخشري هذا الوجه من عند نفسه وقال في تفسيره اي لاتنقصون شيأ مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدأ بقوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا انتهى كلامه ولايخفى ان جعل اينما تكونوا متصلا بقوله لاتظلمون لايخلو عن بعد لان الظلم قدنفي بعد قوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فالمتبادر من هذا الاسلوب ان يكون المراد نفي الظلم في الآخرة بنقص الثواب اوزيادة العقاب لابنقص

ما كتب من الآجال في الدنيا وايضا جعل انما متعلقا بقوله ولا تظلمون يبطل صدارة الشرط فان اسماء الشرط
لها صدر الكلام فلا يتقدم عاملها فان ورد مثل اضرب زيدا متى جاء قدّر له عامل يدل عليه اضرب المتقدم
﴿ **قوله** في قصور او حصون مرتفعة ﴾ لما كان البرج مأخوذا من البرج وهو الظهور جاز اطلاقه على
كل واحد من القصور والقلاع المرتفعة لتحقق معنى الظهور فيه ويقال شاد بناءه واشاده وشيّده اذا رفعه او اذا
طلاه وصبغه بالشيد وهو الجص والجمهور على مشيدة بفتح الياء المشددة وقرئ مشيّدة بكسرها ومشيدة
على وزن مبيعة روى صاحب التيسير عن مجاهد انه قال في هذه الآية كان فيمن قبلكم امرأة وكان لها اجير
فولدت جارية فقالت لاجيرها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل ما ولدت هذه المرأة قال
جارية قال اما ان هذه الجارية لا تموت حتى تزني بمائة ويتزوّجها اجيرها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الاجير
في نفسه فانا لا اريد هذه بعد ان تفجر بمائة لاقتلنها فاخذ شفرة فدخل فشق بطن الصبية وخرج على عقبه وركب
البحر وخيط بطن الصبية فبرئت وشبت فكانت تزني فأتت ساحلا من سواحل البحر فاقامت عليه تزني ولبث
الرجل ماشاء الله ثم قدم ذلك الساحل وله مال كثير فقال لامرأة من اهل الساحل اطلبي لي امرأة من القرية
ازوّجها فقالت ههنا امرأة من اجمل النساء ولكنها تفجر فقال ائتيني بها فأتتها فقالت اني قد تركت الفجور
ولكن ان اراد تزوّجته فتزوّجها الرجل فوقعت منه موقعا حسنا فبينما هو يوما عندها اذا اخبرها بامره فقالت
انا تلك الجارية فأرته الشق الذي في بطنها وقالت قد كنت الفجر فما ادري بمائة او اقل او اكثر قال فان الرجل
قال لي يكون موتها بالعنكبوت قال فبنى لها برجا بالصحراء وشيده فبينما هي يوما في ذلك البرج اذ عنكبوت في السقف
فقالت هذا يقتلني لا يقتله احد غيري فحرّكته فسقط فأتت فوضعت ابهام رجلها عليه فشدخته وساح سمه بين
ظفرها ولحم الاصبع فاسودّت رجلها فماتت وفي ذلك نزلت هذه الآية وهي اينما تكونوا يدرككم الموت ﴿ **قوله**
وهما المراد في الآية ﴾ لاتفاق المفسرين على ان هذه الآية نزلت في الخصب والجدب روى ان اليهود تشاءمت
برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انقصت ثمارنا وغلت اسعارنا منذ قدم علينا هو واصحابه فنزلت ردّا عليهم
وايضا الحسنة التي يراد بها الخير والطاعة لا يقال فيها اصابني وانما يقال اصبتها وليس في كلام العرب اصابت فلانا
حسنة على معنى عمل خيرا وكذلك اصابته سيئة على معنى عمل معصية انما يقولون اصاب فلان سيئة اذا عملها
واكتسبها وكذا اصاب حسنة اي عمل خيرا فلو كان المراد بهما الطاعة والمعصية لقيل ان اصبتم حسنة او سيئة
ولما دل الدليل على ان كل ماسوى الله تعالى مستند اليه وكان ذلك الدليل في غاية الظهور قال الله تعالى فما
لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا كلاما بليغا منزلا لتحقيق الحق وابطال الباطل على ان التنكير للتعظيم
او حديثا ما على ان التنكير للابهام والتعميم هذا على ان يكون الحديث بمعنى الكلام والخبر ويحتمل ان يكون
الحديث بمعنى الحادث من حوادث الزمان * قال النحرير المحقق رحمه الله لما نسبوا النعمة الى الله تعالى والبلية الى
النبي عليه الصلاة والسلام ردّ الله عليهم بانّ الكل من عند الله لا فاعل لهما سواه ولا واسطة في البلايا سوى انفسهم
دون النبي عليه الصلاة والسلام على مازعموا فتمام الردّ عند قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ثم قال وبهذا
يندفع ما يقال انهم لم يجعلوا النبي عليه الصلاة والسلام فاعلا للبلايا بل واسطة كما في قوله تعالى يطيروا بموسى
ومن معه ولهذا قالوا ان هي الا بشؤمك فلا يكون جعل المبدأ الفاعل هو الله وحده ردّا لمقالهم ﴿ **قوله** رضي الله
عنها وصب ﴾ اي مرض ونصب اي تعب والشوكة تطلق على ما يدق ويصلب رأسه من النبات وعلى المرة من شاكه
اي اصابه الشوك والمراد ههنا الثاني لانها لو ارادت النبات لقالت يشاك بها ولانها جعلتها غاية للمعاني وعطفت
عليها المعنى وهو انقطاع شسع نعله والشسع واحد شسوع النعل التي تشدّ الى زمامها ﴿ **قوله** لا حجة فيهما لنا
وللمعتزلة ﴾ لان النزاع بيننا وبينهم انما هو في افعال العباد وقد تقرّر ان الحسنة والسيئة في كل واحدة من الآيتين
ليستا بمعنى الطاعة والمعصية حتى نستدل باسناد الكل اليه تعالى على مذهبنا وتستدل المعتزلة باسناد السيئة الى
العبد على مذهبهم روى الامام عن ابي علي الجبائي انه قال قد ثبت ان لفظ السيئة تارة يقع على الذنب والمعصية ثم
انه تعالى اضاف السيئة الى نفسه في الآية الاولى بقوله قل كل من عند الله واضافها في هذه الآية الى العبد بقوله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك فلا بدّ من التوفيق بين هاتين الآيتين وازالة التناقض عنهما ولما كانت السيئة
بمعنى البلاء مضافة الى الله وجب ان تكون السيئة بمعنى المعصية مضافة الى العبد حتى يزول التناقض * فان قيل

(ولو كنتم في بروج مشيدة) في قصور
او حصون مرتفعة والبروج في الاصل
بيوت على اطراف القصر من تبرّجت
المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة بكسر الياء
وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة
شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه
(وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك)
كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة
والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما
المراد في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب
نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط
اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك
كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة
نقصت ثمارها وغلت اسعارها (قل كل
من عند الله) اي يقبض ويبسط حسب
ارادته (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون
حديثا) يوعظون به وهو القرآن فانهم
لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل
من عند الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم
او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها
فيعلموا ان القابض والباسط هو الله تعالى
(ما اصابك) يا انسان (من حسنة) من نعمة
(فمن الله) اي تفضلا منه فان كل ما يفعله
الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود
فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه
السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله
تعالى قيل ولا انت قال ولا انا (وما
اصابك من سيئة) من بلية (فمن نفسك)
لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو
لا ينافي قوله تعالى كل من عند الله فان الكل
منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان
وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت
عائشة رضي الله تعالى عنها ما من مسلم
يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة
يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب
وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة
فيهما لنا وللمعتزلة

(وارسلناك للناس رسولا) حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اى رسولا للناس جميعا كقوله
تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز
نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فيّ
زور كلام (وكفى بالله شهيدا) على رسالتك
بنصب المعجزات (من يطع الرسول فقد
اطاع الله) لانه عليه الصلاة والسلام
فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روى انه
عليه الصلاة والسلام قال من احبنى فقد
احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال
المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى
عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى ربا فنزلت (ومن تولى)
عن طاعته (فما ارسلناك عليهم حفيظا)
تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما
عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال
من الكاف (ويقولون) اذا امرتهم بامر
(طاعة) اى امرنا طاعة او منا طاعة
واصلها النصب على المصدر ورفعها
للدلالة على الثبات (فاذا برزوا من عندك)
خرجوا (بيت طائفة منهم غير الذى تقول)
اى زوّرت خلاف ماقلت لها وماقالت لك
من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما
من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من
بيت الشعر او البيت المبنىّ لانه يسوّى
ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة
بالادغام لقربهما فى المخرج (والله يكتب
ما يبيتون) يثبته فى صحائفهم للمجازاة
او فى جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم
(فاعرض عنهم) قلل المبالاة بهم او تجاف
عنهم (وتوكل على الله) فى الامور كلها
سيما فى شأنهم (وكفى بالله وكيلا) يكفيك
معرّتهم وينتقم لك منهم (افلا يتدبرون
القرءآن) يتأملون فى معانيه ويتبصرون
بما فيه واصل التدبر النظر فى ادبار الشئ
(ولو كان من عند غير الله) اى ولو كان
من كلام البشر كما تزعم الكفار (لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا) من تناقض المعنى وتفاوت
النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا
وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل
ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع
دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه
دون بعض على ما دل عليه الاستقرآء
لنقصان القوة البشرية

فلم ذا فصل الله بين الحسنة والسيئة فى هذه الآية فاضاف الحسنة التى هى الطاعة الى نفسه دون السيئة وكلتاهما فعل العبد عندكم * قلنا لان الحسنة وان كانت من فعل العبد الا انه انما وصل اليها بتسهيله والطافه فصحت الاضافة اليه واما السيئة التى هى من فعل العبد فهى غير مضافة الى الله تعالى لا بانه تعالى فعلها ولا بانه ارادها ولا بانه رغب فيها فلا جرم انقطعت اضافة هذه السيئة اليه تعالى من جميع الوجوه ثم قال هذا منتهى كلام الرجل فى هذا الموضع ولما حمل المصنف الحسنة والسيئة على النعمة والبلية وهما ليستا من افعال العباد ثبت انه لا حجة فى الآيتين لنا ولا للمعتزلة ﴿قوله حال قصد بها التأكيد﴾ يعنى ان قوله رسولا حال مؤكدة والحال المؤكدة كما تجيئ بعد الجملة الاسمية تجيئ بعد الفعلية ايضا كقوله تعالى ولا تعثوا فى الارض مفسدين وقوله ثم وليتم مدبرين وقولهم جيئ جائيا وقم قائما الا ان كونه حالا مؤكدة موقوف على ان يجعل اللام متعلقا بارسلنا واما ان جعل متعلقا برسولا قدّم عليه للاختصاص فالمقصود من الحال حينئذ تعميم رسالته لكافة الناس لان تعريف الناس للاستغراق واشار اليه بقوله اى رسولا للناس جميعا بتقديم متعلق الجار عليه ويجوز ان يكون انتصاب رسولا على انه مصدر مؤكد بمعنى ارسال ومن مجيئ رسول مصدرا قوله

* لقد كذب الواشون مافهت عندهم * بشرّ ولا ارسلتهم برسول *

اى بارسال بمعنى رسالة وعلى التقادير فالمقصود من الجملة تقريرا لحكم السابق وتحقيقه لان معناها ليس لك الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت وما قصرت ﴿قوله وهو حال من الكاف﴾ يعنى ان قوله حفيظا حال من كاف ارسلناك وعليهم متعلق بحفيظا ﴿قوله اى امرنا طاعة﴾ على ان يكون طاعة مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿قوله او منا طاعة﴾ على ان يكون طاعة مبتدأ حذف خبره وعلى التقديرين فهى جملة اسمية وكان اصلها اطعناك طاعة كما يقول المطيع المنقاد سمعا وطاعة ﴿قوله اى زوّرت﴾ تزوير الكلام تحسينه وتزيينه وتقويمه وقوله خلاف ماقلت لها وماقالت لك اشارة الى ان الضمير فى تقول يحتمل ان يكون ضمير خطاب للنبى عليه الصلاة والسلام اى غير الذى تقول يا محمد وان يكون ضمير غيبة للطائفة اى تقول هى وعلى كلا التقديرين العائد الى الموصول محذوف قال الزجاج كل امر تفكروا فيه كثيرا وتأملوا فى مصالحه ومفاسده كثيرا قيل هذا امر مبيت قال تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول واشتقاقه اما من البيتوتة او من البيت سمى الفكر المستقصى مبيتا على اشتقاقه من البيتوتة لان اصلح الاوقات للتفكر ان يجلس الانسان فى بيته بالليل اذ هناك يكون الخاطر اصفى والشواغل اقل فلما كان غالب الافكار التى يستقصى فيه الانسان واقعا فى الليل سمى الفكر المستقصى مبيتا واما تسميته مبيتا على اشتقاقه من البيت فللتشبيه به من حيث انه يسوّى ويدبر فان بناء فعل قد يكون للنسبة نحو بدّعه اى نسبه الى البدعة وفى التشبيه معنى نسبة المشبه الى المشبه به ﴿قوله او تجاف عنهم﴾ اى لا تهتك سترهم ولا تفضحهم ولا تذكرهم باسمائهم وما امر الله بستر امر المنافقين الا ليستقيم امر الاسلام ﴿قوله يكفيك معرّتهم﴾ اى مضرّتهم وشدّتهم يقال عرّه اى اساءه ثم انه تعالى لما حكى عن المنافقين ما يتفرّع على عدم اعتقادهم لصحة النبوّة وصدقه عليه الصلاة والسلام فى دعوى الرسالة امرهم بتدبير ما يدل على صدقه عليه الصلاة والسلام فى دعوى الرسالة فان قوله تعالى أفلا يتدبرون استفهام بمعنى الامر كقوله أفلا يتوبون الى الله ثم ان العلماء قالوا القرءآن يدل على صدقه عليه الصلاة والسلام من ثلاثة اوجه احدها اطراد ألفاظه فى الفصاحة وثانيها اشتماله على الاخبار عن الغيوب والثالث سلامته من الاختلاف وذكروا فى سبب سلامته منه ثلاثة اوجه الاوّل قال ابو بكر الاصم ان هؤلاء المنافقين كانوا يتواطئون فى السرّ على انواع كثيرة من المكر والكيد والله تعالى كان يطلع الرسول عليه الصلاة والسلام على تلك الاحوال حالا فحالا ويخبره عنها على سبيل التفصيل وما كانوا يجدون فى كل ذلك الا الصدق والمطابقة لما كانوا عليه فاطراد صدقه عليه الصلاة والسلام وعدم وجود الاختلاف فيه دليل على انه كلام الله تعالى انزله على رسوله وانه صادق فى دعوى الرسالة والثانى هو الذى ذهب اليه اكثر المتكلمين من ان القرءآن كتاب كبير مشتمل على انواع كثيرة من العلوم فلو كان ذلك من عند غير الله تعالى لوجد فيه انواع من الكلمات المتناقضة لان الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك ولما لم يوجد فيه ذلك علمنا انه ليس من عند غير الله * فان قيل أليس قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة كالمناقض لقوله لا تدركه الابصار وآيات الجبر كالمناقضة لآيات القدر وقوله فوربك لنسألنهم اجمعين كالمناقض لقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جانّ وقوله فاذا هى

(واذا جاءهم امر من الامن اوالخوف) مما يوجب الامن اوالخوف (اذاعوا به) افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول بما اوحى اليه من وعد بالظفر اوتخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم جزمهم فكانت اذا عتهم مفسدة والباء مزيدة اولتضمن الاذاعة معنى التحدث (ولو ردوه) ولو ردوا ذلك الخبر (الى الرسول والى اولى الامر منهم) الى رأيه ورأى كبار الصحابة البصرآء بالامور او الامرآء (لعلمه) على اى وجه يذكره (الذين يستنبطونه منهم) يستخرجون تدابيره بتجاربهم وافكارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم حتى يسمعوه منهم ويعرفوا انه هل يذاع اولا يذاع لعلم ذلك هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اى يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما تحفر (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بارسال الرسول وانزال الكتاب (لاتبعتم الشيطان) بالكفر والضلال (الا قليلا) الاقليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه من متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور (فقاتل فى سبيل الله) ان تبطوا وتركوك وحدك (لاتكلف الانفسك) الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روى انه عليه الصلاة والسلام دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج عليه السلام ومامعه الاسبعون لم يلو على احد وقرئ لاتكلف بالجزم ولاتكلف بالنون على بناء الفاعل اى لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لانكلف احدا الانفسك لقوله (وحرض المؤمنين) على القتال اذ ما عليك فى شأنهم الا التحريض (عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا) يعنى قريشا وقد فعل بان ألقى فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا (والله اشد بأسا) من قريش (واشد تنكيلا) تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه

(ويحتمل)

ثعبان مبين كالمناقض لقوله كأنها جان * قلنا الامناقضة بين شئ منها عند المتدبرين والوجه الثالث فى ان القرآن سالم من الاختلاف كما ذكره ابو مسلم الاصفهانى من ان المراد منه الاختلاف فى مرتبة الفصاحة فان من تتبع ألفاظ القرآن من اوله الى آخره لا يجد فيه لفظا ركيكا بل يجد امر الفصاحة فيه على نهج واحد ومن المعلوم ان الانسان وان كان فى غاية البلاغة ونهاية الفصاحة اذا كتب كتابا طويلا لابد ان يوجد التفاوت فى كلامه ولما لم يكن القرآن كذلك علمنا انه معجز من عند الله «**قوله** للتنبيه على ان اختلاف ماسبق من الاحكام» اى احكام الآيات الناسخة والمنسوخة ليس لتناقض فى الحكم لان كل حكم مختص بزمان غير زمان الحكم الآخر اقتضت الحكمة والمصلحة ذلك الحكم فى ذلك الزمان لاختلاف الاحوال بحسب اختلاف الازمنة وذلك كالطبيب اذا عالج فى زمان بعلاج ثم خالف ذلك العلاج فى زمان آخر الى علاج آخر لاختلاف احوال المريض فى الزمانين لايكون ذلك مناقضة من الطبيب فى العلاج وانما يكون مناقضة اذا اختلف علاجه مع اتحاد حال المريض وزمانه «**قوله** اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله» فسر مجيئ الامر اليهم اولا ببلوغ خبر السرايا اليهم وانهم قد غلبوا وفسره ثانيا باطلاعهم على ما بالرسول من الأمن او الخوف من قبل الاعدآء بان اوحى اليه ذلك ثم فسره ثالثا بسماع اراجيف المنافقين حيث قال وقيل كانوا يسمعون الخ وفسر رد الخبر الذى وصل اليهم من احوال السرايا او الخبر الذى اخبر عليه الصلاة والسلام به بترك التعرض له وجعله بمنزلة غير المسموع وتفويض امره الى رأى الرسول ورأى كبار اصحابه او رأى امرآء السرايا او كبار اصحابه او اولو الامر على معنى انهم البصرآء بالامور وان لم يكن لهم امر على الناس والامرآء اولو الامر على الناس مع كونهم بصرآء بالامور وفسر علم المستنبطين منهم وهم الرسول واولوا الامر بمعرفتهم على اى وجه يذكرونه بسبب كونهم اهل التجربة واصحاب الانظار الصحيحة ومن فى قوله يستنبطونه منهم اما تبعيضية واما بيانية تحديدية وفسر رد المسموع من اراجيف المنافقين الى الرسول والى اولى الامر بتركه موقوفا الى السماع منهم والتعرف بانه هل هو مما يذاع اولا وفسر علم الضعفاء الذين يستنبطون علمه من الرسول واولى الامر بمعرفة ماينبغى فى ذلك الامر من الاذاعة وعدمها ومن على هذا ابتدائية فظهر من هذا التقرير ان الذين يستنبطون على الوجهين الاولين المذكورين قبل قوله وقيل هم الرسول واولوا الامر وعلى الوجه المذكور بقوله وقيل هم ضعفة المسلين * قال الامام الاستنباط فى اللغة الاستخراج يقال استنبط الفقيه اذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه واصله من النبط وهو الماء الذى يخرج من البئر اول ماتحفر يقال انبط الحافر اذا بلغ الماء وسمى القوم الذين ينزلون بالبطائح بين العراقين نبطا لاستنباطهم الماء من الارض «**قوله** بارسال الرسول وانزال الكتاب الخ» فسر فضل الله ورحمته بالارسال والانزال لانه لوحمل على اطلاقه يلزم وقوع القليل من الايمان وعدم اتباع الشيطان لابفضل الله ورحمته لان لولا لانتفاء الشئ لوجود غيره فهو يدل على ان اتباع الشيطان منتف لوجود فضل الله تعالى فاذا استثنى منه القليل من عدم الاتباع يكون ذلك القليل واقعا لا بفضل الله ورحمته ومعلوم انه ليس كذلك ولما فسره بما ذكر كان اللازم ان يكون القليل من اتباع الشيطان منتفيا لابارسال الرسول وانزال الكتاب وهو كذلك فان من خصه تعالى بعقل راجح وقلب غير متكدر بالانهماك فى اتباع الشهوات لا يتبع الشيطان ولايكفر بالله وان فرض عدم انزال القرآن وبعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كزيد بن عمرو وورقة بن نوفل وغيرهما ممن كان على دين المسيح قبل بعثته عليه الصلاة والسلام «**قوله** او الا اتباعا قليلا» اشار اولا بقوله الاقليلا منكم الى ان الاقليلا مستثنى من فاعل اتبعتم وان المعنى لاتبعتم الشيطان الاقليلا منكم فانه لايتبع الشيطان على تقدير عدم الارسال والانزال واشار ههنا الى انه يحتمل ان يكون مستثنى من المصدر المدلول عليه بقوله لاتبعتم والمعنى او قع منكم يا جماعة بنى آدم جميع افراد الاتباع الاقليلا منه لايقع كاتباع اصحاب العقول الراجحة ونقل الامام عن ابى مسلم انه قال المراد بفضل الله ورحمته فى هذه الآية هو نصرته عليه الصلاة والسلام ومعونته والمعنى انه لولا حصول النصرة والظفر على سبيل التتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا القليل منكم وهم اهل البصائر النافذة والنيات القوية والعزآئم المتمكنة من افاضل المؤمنين الذين يعلمون انه ليس من شرط كون الدين حقا حصول الدولة فى الدنيا ولاتواتر الفتح والظفر يدل على كونه حقا ولاتواتر الانهزام يدل على كونه باطلا لكن مدار الامر فى كونه حقا وباطلا على الدليل ثم قال وهذا احسن الوجوه واقربها الى التحقيق «**قوله** ان تبطوا وتركوك وحدك» اشارة الى ان الفاء فى قوله تعالى فقاتل جزآئية والجملة جواب شرط مقدر

ويحتمل ان تكون عاطفة لهذه الجملة على جملة قوله فليقاتل فى سبيل الله للامر بالجهاد فى الآيات المتقدمة ورغب فيه وذكر قلة رغبة المنافقين فى الجهاد عاد الى الامر بالجهاد فامر نبيه عليه الصلاة والسلام ان يتقدم الى الجهاد بنفسه وان لم يوافقه احد وقوله لاتكلف الا نفسك اما حال من فاعل فقاتل اى فقاتل غير مكلف الا نفسك وحدها واما مستأنف اخبر تعالى اياه انه لايكلف غير نفسه وتكلف بتاء الخطاب ورفع الفعل مبنيا للمفعول ونفسك منصوب على انه المفعول الثانى وقرأ عبدالله بن عمر رضى الله عنهما لاتكلف بضم التاء وفتح اللام والجزم على انه نهى فحينئذ تكون الجملة مستأنفة ولايجوز ان تكون حالا والمعنى لاتدع جهاد العدو ولو وحدك فان الله تعالى وعدك النصر روى انه عليه الصلاة والسلام واعد ابا سفيان بعد حراب احد موسم بدر الصغرى فى ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكره بعضهم فانزل الله تعالى فقاتل فى سبيل الله الآية فخرج عليه الصلاة والسلام فى سبعين راكبا فكفاهم الله القتال ووجه اتصال قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة الآية بماقبلها ان النبى عليه الصلاة والسلام لما حرّض المؤمنين على القتال وكان ربما لايجد بعضهم اهبة فيشفع له غيره الى من يعينه عليه او ربما يشفع بعض المنافقين لواحد له اهبة فى التخلف عنه فتلك شفاعة حسنة وهذه سيئة والشفاعة والشفعة مأخوذتان من الشفع خلاف الوتر والشفيع صاحب الشفعة وصاحب الشفاعة وصاحب الشفعة يجعل ملك نفسه شفعا بملك المشترى وصاحب الشفاعة يجعل نفسه شفعا بصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسألة فيها والكفل الحظ والنصيب قاله ابو عبيدة والفرآء وجميع اهل اللغة * فان قلت فلم قال فى الحسنة نصيب وفى السيئة كفل * اجيب بان النصيب يقال فيما يقل ويكثر والكفل لايقال الا فى المثل فاشير باختيار لفظ الكفل فى جانب السيئة الى ماقال من جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها واليه اشار المصنف بقوله مساو لها فى القدر ﴿ قوله وكنت على اساءته مقيتا ﴾ اى مقتدرا لان معنى الحفظ غير ملائم ههنا ﴿ قوله فقال وعليك ﴾ اى وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فتكون من ردّ المثل وقول الرجل نقصتنى اى الفضل الذى حييت به الآخرين فعلى هذا لايتوجه قوله فاين ماقال الله وتلا الآية لان ردّ المثل عمل بالآية ولو قدر وعليك السلام لم يلائم قوله فرددت عليك مثله الا ان يجعل تقدير الكلام فاين ردّ الاحسن المذكور فى الآية وانتظام الآية بماقبلها والله اعلم انه تعالى لما امر المؤمنين بالجهاد لزمهم المجاوزة الى دار الحرب ومايقاربها فربما يلاقون رجلا يسلم عليهم فلا يلتفتون الى سلامه ويقتلونه وربما ظهر انه كان مسلما فامرهم الله تعالى بان من يسلم عليهم او يكرمهم فانهم يقابلونه بمثل ذلك الاكرام او ازيد فان كان كافرا لم يضرّ المسلم مقابلة ذلك الكافر بنوع من الاكرام وان كان مسلما فقتله ففيه اعظم المضارّ والمفاسد فحاصل الكلام ان السلام تحية اهل الاسلام فمن سلم عليكم فعاملوا معه على حسب مايدل عليه ظاهر حاله وهو الاسلام ولاتقتلوه فهذه الآية من قبيل قوله تعالى فى هذه السورة بعد آيات ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا والتحية تفعلة من حيى يحيى تحية والاصل تحيية فادغمت الياء فى الياء والعرب تؤثر التفعلة على التفعيل فى ذوات الاربع من معتل اللام نحو توصية وتسمية وتصلية بجيم وتزكية وتغطية واصل الجمع على وزن تفعيل بياءين ياء التفعيل وياء لام الفعل فحذفت احدى الياءين وعوّضت عنها تاء التأنيث والتحية مأخوذة من الحياة يقال حياه اذا دعا له بالحياة ودوامها ثم جعل دعاء تحية لان الدعاء بالخير لايخلو شئ منه عن الدعاء بنفس الحياة او بما هو السبب المؤدى الى قوتها وكمالها او بما هو الغاية المطلوبة منها ثم خص فى عرف الشرع بدعاء مخصوص وهو الدعاء بالسلامة من الآفات فاذا قال الانسان لغيره السلام عليك فقد دعا فى حقه بالسلامة منها ويتضمن الوعد بسلامة ذلك الغير وامانه منه كأنه قال انت سليم منى فاجعلنى سليما منك فلهذا كانت العرب اذا سلم بعضهم على بعض فان ردّوا عليهم السلام امنوا من شرهم وان لم يردّوا عليهم السلام لم يأمنوا شرهم وكانت تحية العرب قبل الاسلام حياك الله اى اطال حياتك ويقول بعضهم الف سنة وقيل تحية النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع وتحية المجوس الانحناء وتحية العرب قولهم حياك الله وتحية المسلمين ان يقولوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهذه اشرف واتم من ان يقال حياك الله لان الحى اذا كان سليما كان حيا لامحالة وليس اذا كان حيا كان سليما وقدّم السلام على الرحمة لتقدّم السلامة من الآفات على المنافع والبركات فقول المصلى التحيات لله معناه السلامة من الآفات لله تعالى وحده لما مرّ من ان التحية جعلت اسما للسلامة فى عرف الشرع ومنتهى الامر فى السلام ان يقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لكونه مستجمعا للمطالب باسرها ولهذا اقتصر على هذا القدر فى التشهد

(من يشفع شفاعة حسنة) راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضررا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها الدعاء لمسلم قال صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك (يكن له نصيب منها) وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها (ومن يشفع شفاعة سيئة) يريد بها محرّما (يكن له كفل منها) نصيب من وزرها مساو لها فى القدر (وكان الله على كل شئ مقيتا) مقتدرا من اقات على الشئ اذا قدر قال

وذى ضغن كففت الضغن عنه * وكنت على اساءته مقيتا * او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوّى البدن ويحفظه (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها اوردّوها) الجمهور على انه فى السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهى النهاية واما بردّ مثله لما روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فأين ماقال الله تعالى وتلا الآية فقال انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضارّ وحصول المنافع وثباتها

﴿قوله ومنه﴾ اى ولاجل كون قوله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تمام التحية والسلام مستجمعا الاقسام المطالب قيل كذا وجعل القول المذكورة تمام السلام روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال * من قال السلام عليكم كتب له عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتب له عشرون حسنة ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة * وقوله تعالى او ردّوها اى ردّوا امثلها لان ردّعينها محال لحذف المضاف نحو واسأل القرية والمبتدئ بالسلام ان شاء يقول السلام عليكم وان شاء يقول سلام عليكم لان كل واحد من التعريف والتنكير ورد فى ألفاظ القرآن قال الله تعالى والسلام على من اتبع الهدى وسلام على عباده الذين اصطفى لكن التنكير اكثر والكل جائز واما التحليل من الصلاة فلابدّ فيه من الالف واللام بالاتفاق وقال عليه الصلاة والسلام * السنة ان يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر والقائم على القاعد * والسنة الجهر بالسلام لقوله عليه السلام * افشوا السلام * وعن ابى حنيفة لايجهر بالرد يعنى الجهر الكثير وعن النبى عليه الصلاة والسلام * اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم * اى وعليكم ماقلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروى لاتبتدئ اليهودى بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولاتقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبى انه قال لنصرانى سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال أليس فى رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء ان يبدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروى ذلك عن النخعى وعن ابى حنيفة لاتبدأه بسلام فى كتاب ولاغيره وعن ابى يوسف لاتسلم عليهم ولاتصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولابأس بالدعاء له بمايصلحه فى دنياه كل ذلك من الكشاف وقال ابو يوسف من قال لآخر أقرئ فلانا منى السلام وجب عليه ان يفعل والسنة اذا التقى الرجلان المبادرة بالسلام وان يقول المسلم السلام عليكم ويقصد بلفظ الجمع ذلك الرجل والملكين فانهما يردّان السلام ومن سلم عليه الملك فقد سلم من عذاب الله ﴿قوله وهذا الوجوب﴾ اشارة الى ان قوله تعالى فحيوا باحسن منها اوردّوها يدل على وجوب الجواب بمعنى ان الرد على الوجه المذكور فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين والاولى للكل ان يجيبوا ثم ان الرد على الفور واجب فان أخره حتى انقضى الوقت واجاب بعد فوات الوقت كان ابتداء سلام لاجوابا واذا ورد سلام فى كتاب فجوابه واجب بالكتاب للآية ﴿قوله فلا يردّ فى الخطبة﴾ لان الرد فى تلك الحال يخل بالاستماع الواجب ولا فى حال تلاوة القرآن لان تالى كتاب الله تعالى متوجه اليه مصغى الى كلامه بالتدبر والحضور وردّ السلام يخل بهذا المطلوب وكذا حال رواية الحديث وحال الاذان والاقامة ومن دخل الحمام ورأى الناس متزرين يسلم عليهم وان لم يكونوا متزرين لايسلم عليهم لانه لايسلم على المشتغل بمعصية ولا على لاعب النرد ومطير الحمام والمغنى قال القرطبى لايسلم على النساء الشابات الاجانب خوف الفتنة من مكالمتهن بنزغة شيطان اوخائنة اعين واما السلام على المحارم والعجائز فحسن ﴿قوله ثم استعمل للحكم﴾ اشارة الى ماقيل التحية الملك وقول المصلى التحيات لله معناه ان الالفاظ التى تدل على الملك ويكنى بها عنه لله والحكم والملك بمعنى فقولهم حياك الله معناه ملكك الله وجعلك صاحب حكم ونفاذ قول ﴿قوله واوجب الثواب﴾ عطف على القول الاوّل وهو ان المراد بالتحية العطية والمتهب من يقبل الهبة والاتهاب قبول الهبة والمراد بالمتهب ههنا الموهوب له سوآء قبل الهبة اولا ﴿قوله يحاسبكم﴾ اى يجازيكم على ان الحسيب بمعنى المحاسب على العمل كالاكيل والشريب والجليس بمعنى المؤاكل والمشارب والمجالس اى انه تعالى كان على كل شئ من ردّ السلام بمثله او باحسن منه محاسبا مجازيا وقيل الحسيب بمعنى الكافى وقيل بمعنى الحفيظ ﴿قوله اى الله والله﴾ اشارة الى ان قوله ليجمعنكم جواب قسم محذوف وكل لام بعدها نون مشدّدة فهى لام القسم وعلى تقدير كون الله لااله الاهو جملة اسمية يكون القسم المقدر مع جوابه اما فى محل الرفع على انه خبر ثان لقوله الله او هى جملة مستأنفة لامحل لها من الاعراب وقوله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة فى الصحاح حشرت الناس احشرهم بالضم والكسر حشرا اذا جمعتهم ولاشك ان معنى الجمع فى ليجمعنكم اظهر منه فى ليحشرنكم فيكون تفسيره به تفسيرا بالاخفى بحسب الظاهر الا ان مقصود المصنف بيان جواز ان تكون كلمة الى فى قوله الى يوم القيامة لانتهاء الغاية كما هو اصل معناها وذلك بان يجعل الجمع فى حكم الحشر والحشر يعدّى بالى كما فى قوله تعالى الى ربهم يحشرون بخلاف الجمع فانه لايعدّى بالى الابتأويل والفرق بين الجمع والحشر ان الحشر جمع فيه معنى السوق والاضطرار

ومنه قيل او للترديد بين ان يحيى المسلم ببعض التحية وبين ان يحيى بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يردّ فى الخطبة وقرآءة القرآن وفى الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية فى الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعى رضى الله تعالى عنه (ان الله كان على كل شئ حسيبا) يحاسبكم على التحية وغيرها (الله لااله الاهو) مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر (ليجمعنكم الى يوم القيامة) اى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة

كما تقول حشرت القوم الى موضع كذا وهذا المعنى غير ملحوظ فى الجمع فلذلك عدّى احدهما بالى دون الآخر والمراد بالجمع المذكور ههنا الجمع الذى فيه معنى السوق والاضطرار فعدّى تعديتهما كأنه قيل ليسوقنكم وليضطرنكم الى يوم القيامة والحاصل ان الجمع لتضمنه معنى الحشر عدّى هو ايضا بالى ﴿قوله او مفضين اليه﴾ اشارة الى ان كلمة الى على بابها ايضا والى انه عدّى الجمع بها بناء على تضمنه معنى الافضاء اى ليجمعنكم مفضين الى حساب يوم القيامة ﴿قوله اوفى يوم القيامة﴾ على ان يكون الى بمعنى فى والقيامة بمعنى القيام كالطلابة والطلاب قالوا دخلت التاء فيه للمبالغة كعلامة ونسابة لشدة مايقع فيه من الهول وسمى بذلك لقيام الناس فيه للحساب وقيل لقيام الناس من قبورهم ولاريب فيه فى محل النصب اماعلى انه حال من يوم وضمير فيه حينئذ يرجع اليه او على انه صفة مصدر محذوف دل عليه ليجمعنكم اى جمعا لاريب فيه وضمير فيه حينئذ يرجع اليه ﴿قوله فمالكم تفرّقتم فى امر المنافقين فئتين﴾ يعنى ان مالكم مبتدأ وخبر وفئتين حال من الضمير المجرور فى لكم والعامل فيها الاستقرار الذى تعلق به لكم وفى المنافقين متعلق بمعنى فئتين فانه فى قوة قولك تفترقون فى امر المنافقين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والمعنى اى شئ كائن لكم او مستقرّ لكم تفرّقتم فى امر المنافقين فرقتين او مالكم مختلفين فى امرهم ﴿قوله لاجتوآء المدينة﴾ اى لكراهة هوآئها يقال اجتويت البلد اى كرهت الاقامة به لعدم كون هوآئه موافقالى وقوله تعالى والله اركسهم جملة اسمية منصوبة المحل على انها حال من المنافقين اى والحال انه تعالى ردّهم الى الكفر واحكامه من الذل والصغار والسبى والقتل والاركاس الردّ والرجع ومنه الركس للرجيع قال عليه الصلاة والسلام فى الروثة * لاتأتى بها للاستنجاء انها ركس * قال امية بن ابى الصلت فأركسوا فى جحيم النار لأنهم كانوا عصاة وقالوا الافك والزور اى ردّوا يقال ركست الشئ واركسته لغتان اذا رددته وقلبت آخره على اوّله وقال الزجاج تأويل اركسهم نكسهم وردّهم الى حكم الكفار بما كسبوا اى بما اظهروا من الارتداد وقال الراغب الركس والنكس قلب الشئ على رأسه اوردّ اوّله على آخره والمركوس المنكوس ﴿قوله تمنوا ان تكفروا ككفرهم﴾ اشارة الى ان لو فى الآية مصدرية كلفظ ما فى قوله كما كفروا فتكون لو ومابعدها فى تأويل المصدر المنصوب على انه مفعول ودّوا فلاجواب والتقدير ودّوا كفركم الكائن مثل كفرهم وقوله تعالى سواء خبر تكونون ولم يجمع لانه فى الاصل مصدر واقع موقع اسم الفاعل بمعنى مستوين وقوله فتكونون سوآء عطف على تكفرون والتقدير ودّوا كفركم وكونكم مستوين معهم فى الضلال ﴿قوله ولو نصب على جواب التمنى لجاز﴾ قيل عليه الفعل انما ينصب على جواب التمنى اذا كان معنى التمنى مستفادا من الحرف نحو ليت ولم يسمع من العرب النصب فى جواب التمنى المفهوم من لفظ الفعل والتمنى ههنا منفهم من فعل الودادة فلا ينصب المضارع فى جوابه والجواب عنه ان المصنف لم يرد بالتمنى ماهو المفهوم من فعل الودادة بل المراد به ماهو المفهوم من لفظ لو المشعرة بالتمنى وقدجاء النصب فى جوابها كما فى قوله تعالى لو ان لنا كرة فنكون ﴿قوله فلا توالوهم حتى يؤمنوا﴾ المصرّح به فى نظم الآية ان تكون الهجرة غاية للنهى عن موالاة الكفار الا ان الهجرة فى سبيل الله لما لم تتحقق بدون الايمان جعله المصنف غاية للنهى وجعل المهاجرة من دلائل الايمان ومحققاته ولاعبرة لمجرّد الهجرة بدون الايمان ثم ان المحققين قالوا الهجرة فى سبيل الله عبارة عن الهجرة عن ترك منهياته وفعل مأموراته والآية عامة فى الهجرة عن الكل وقيد الهجرة بكونها فى سبيل الله لانها ربما كانت لغرض من اغراض الدنيا فلاتكون معتبرة والهجرة انواع منها الهجرة الى المدينة لنصرة رسول الله عليه الصلاة والسلام فى اظهار دينه ونشر شرآئعه وفى الغزوات وكانت هذه الهجرة واجبة فى اوّل الاسلام الى ان فتحت مكة حتى قال عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة * لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية * اى لكن الباقى من الهجرة عن الاوطان مجاهدة الكفار ونصرة الدين صابرا محتسبا من غير ان يشوب هجرتها بشئ من اغراض الدنيا وقال عليه الصلاة والسلام * المهاجر من هاجر مانهى الله عنه * وهاتان الهجرتان اعنى الهجرة للجهاد والهجرة عن المحرّمات ثابتتان الآن والهجرة المذكورة فى الآية ان اراد بها الهجرة الى المدينة يكون مدلول الآية ان الكفار لايكون بيننا وبينهم موالاة وان اسلموا الابعد ان يهاجروا كما قال مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وقال عليه الصلاة والسلام * انا برئ من كل مسلم اقام بين اظهر المشركين * وهذا الحكم قد نسخ بعد فتح مكة وانما كان ثابتا حين كانت الهجرة واجبة مفروضة وان اريد بها الهجرة لاجل الجهاد والهجرة عن المحرّمات يكون مدلول الآية الانتهاء عن موالاة الفسقة والعصاة والهجرة عنهم وعن

او مفضين اليه او فى يوم القيامة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهى قيام الناس من القبور او للحساب (لاريب فيه) فى اليوم او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر (ومن اصدق من الله حديثا) انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لايتطرّق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال (فمالكم فى المنافقين) فمالكم تفرّقتم فى امر المنافقين (فئتين) اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتوآء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم وقيل نزلت فى المتخلفين يوم احد او فى قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتوآء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك مالك قائما وفى المنافقين حال من فئتين اى متفرّقين فيهم او من الضمير اى فمالكم متفرّقين فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين (والله اركسهم بما كسبوا) ردّهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس ردّ الشئ مقلوبا (أتريدون ان تهدوا من اضل الله) ان تجعلوه من المهتدين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الهدى (ودّوا لو تكفرون كما كفروا) تمنوا ان تكفروا ككفرهم (فتكونون سوآء) فتكونون معهم سوآء فى الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمنى لجاز (فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله) فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هى لله ورسوله لالاغراض الدنيا وسبيل الله ماامر بسلوكه

رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل هم الاسلميون فانه عليه الصلاة والسلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله وقيل بنو ابكر بن زيد مناة (او جاؤكم) عطف على الصلة اى والذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او أتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكأنه قال الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاوّل اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف (حصرت صدورهم) حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض (ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم) اى عن ان اولان او كراهة ان يقاتلوكم (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) بان قوّى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم (فلقاتلوكم) ولم يكفوا عنكم (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) فان لم يتعرّضوا لكم (وألقوا اليكم السلم) الاستسلام والانقياد (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) فما اذن لكم فى اخذهم وقتلهم (ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم) هم اسد وغطفان وقيل بنوا عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا (كلما ردّوا الى الفتنة) دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين (اركسوا فيها) عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب (فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم) ونبذوا اليكم العهد (ويكفوا ايديهم) عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم فان مجرّد الكف لا يوجب نفى التعرّض (واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة فى التعرّض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم فى قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح لمؤمن وليس من شأنه (ان يقتل مؤمنا) بغير حق (الا خطأ) فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اى لا يقتله فى شئ من الاحوال الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اى الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزآؤه مايذكر والخطأ ما لا يضامّه القصد الى الفعل او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او ما لا يقصد به محظور كرمى المسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت فى عياش ابن ابى ربيعة اخى ابى جهل من الام لقى حارث بن زيد فى طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة) اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة او التحرير الاعتاق والحرّ كالعتيق الكريم من الشئ ومنه حرّ الوجه لاكرم موضع منه سمى به لان الكرم فى الاحرار واللؤم فى العبيد والرقبة عبربها (اما)

مصاحبتهم والمكالمة معهم ليرجعوا عماهم عليه تأديبا لهم كما فعله عليه الصلاة والسلام مع كعب وصاحبيه ﴿قوله اى جانبوهم رأسا﴾ المجانبة الكلية مستفادة من تكرير النهى عن الاتخاذ وتنكير المفعول وزيادة ولا نصيرا ﴿قوله عطف على الصلة الى قوله او على صفة قوم﴾ اعلم ان قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم جملة فعلية وقد تقدمها جملتان احداهما صفة لقوم وهى قوله بينكم وبينهم ميثاق والاخرى صلة وهى قوله يصلون الى قوم فتلك الجملة يجوز ان تكون معطوفة على الصلة وان تكون معطوفة على الصفة فلو عطفت على الصفة يكون معنى الاستثناء الا الذين يصلون الى المعاهدين والا الذين يصلون الى تاركى القتال وان عطفت على الصلة يكون المعنى الا الذين يصلون الى المعاهدين والا الذين لا يقاتلون والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فانه تقرر ان احد سببى حرمة الاخذ والقتل هو الكف عن القتال حيث جعل الكف عن القتال شرطا وجعل قوله فما جعل الله لكم عليهم سبيلا جزآءله والجزآء مسبب عن الشرط فيكون الكف عن القتال سببا لعدم التعرّض لهم والمناسب لهذا المعنى ان يجعل قوله او جاؤكم معطوفا على الصلة لان هذه الجملة على تقدير كونها معطوفة على الصلة يكون احد السببين الاتصال بالمعاهدين والسبب الآخر الكف عن القتال بخلاف ما اذا جعلت تلك الجملة معطوفة على الصفة فان احد السببين حينئذ يكون الاتصال بالمعاهدين والسبب الآخر الاتصال بالكافين لا نفس الكف عن القتال فينبغى ان تكون معطوفة على الصلة ليكون قوله فان اعتزلوكم الخ تقرير الكون الكف عن القتال سببا لترك التعرّض لهم ﴿قوله وقرئ بغير العاطف﴾ يعنى ان الجمهور قرأوا او جاؤكم باثبات كلمة او وقرئ جاؤكم بغير العاطف اتباعا لمصحف ابىّ فيكون بيانا ليصلون او صفة لقوم بعد صفة او استئنافا وذكر فى الكشاف وجها رابعا وهو ان يكون جاؤكم بدلا من يصلون ولم يتعرّض له المصنف لان الثانى ليس عين الاوّل ولا بعضه ولا مشتملا عليه ﴿قوله وقيل صفة محذوف﴾ اى قيل حصرت صفة لحال محذوفة وتقديره او جاؤكم قوما حصرت صدورهم او رجالا حصرت صدورهم فتكون الجملة فى محل النصب على انها صفة لموصوف منصوب على انه حال الا انه حذف الموصوف واقيم صفته مقامه ﴿قوله وهم بنو مدلج﴾ وهم كانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم حينئذ فضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذى بينكم ولانه تعالى قذف الرعب فى قلوبهم وضاقت صدورهم عن قتال قومهم لكونهم على دينهم نهى الله تعالى عن قتل هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد للمؤمنين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم فى حقن الدم ﴿قوله بان قوّى قلوبهم﴾ يعنى ان ضيق صدورهم عن قتالكم انما هو بسبب ان قذف الله الرعب فى قلوبهم ولو شاء لم يقذفه لكنه تعالى منّ عليكم بذلك ﴿قوله فما اذن لكم فى اخذهم وقتلهم﴾ اى على انقيادهم لكم وعدم تعرّضهم قال بعضهم هذه الآية منسوخة بآية القتال والسيف وهى قوله تعالى اقتلوا المشركين وقال آخرون انها ليست منسوخة وقال اذا حملنا الآية على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة ﴿قوله فانه على عرضته﴾ اى فان المؤمن مجبول على ان يكون عرضة للخطأ ومحلا لان يعرض له الخطأ كثيرا وفى الصحاح يقال جعلت فلانا عرضة لكذا اى نصبته له فقوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اى نصبا وقوله فانه على عرضته بعد قوله وليس من شأنه ان يقتل مؤمنا بغير حق اشارة الى ان الاستثناء من النفى اثبات وان المثبت انما هو ان يوجد من المؤمن القتل خطأ لا ان يجوز ذلك منه شرعا ومجرّد الوقوع لا يستلزم الجواز فان قتل المؤمن ابتدآء لا يجوز فى الشرع اصلا لانه لو جاز فى حال الخطأ لما وجبت الكفارة ولا الدية ولما وجبت التوبة منه باعطاء الكفارة فان اعطاءها توبة لقوله تعالى توبة من الله وللاشارة الى هذا المعنى لم يكتف المصنف بقوله وما صح له بل عطف عليه قوله وليس من شأنه تفسيرا للمراد بقوله ما صح فانه لو اكتفى به وقال ما صح ذلك الا حال الخطأ لأوهم كلامه ان القتل حال الخطأ صحيح مشروع بناء على قاعدة ان الاستثناء من النفى اثبات ولما عطف عليه قوله وليس من شأنه ذلك ظهر ان المراد بقوله ما صح له ما لاق بحاله ﴿قوله وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع﴾ عطف على قوله ونصبه على الحال الخ فانه فى قوّة ان يقال والاستثناء متصل من اعم عام الاحوال او العلل او المصادر ومن حمله على الانقطاع زعم ان حمله على الاتصال يدل على جواز القتل خطأ وان للمؤمن ذلك وليس كذلك ﴿قوله لا يضامّه﴾ اى لا ينضم اليه ﴿قوله فعليه﴾ اى فعليه تحرير الخ على ان يكون تحرير مبتدأ خبره محذوف وقوله او فواجبه تحرير على ان يكون خبر مبتدأ محذوف والفاء فى قوله فتحرير فاء جواب الشرط ثم ان القتل على ثلاثة اقسام عند الامام الشافعى عمد وخطأ وشبه عمد

اما العمد فهو ان يقصد قتله بالسبب الذي يعلم افضاءه الى الموت سوآء كان جارحا كالسلاح ونحوه اولم يكن كالمثقل واما الخطأ فضربان احدهما ان يقصد رمي المشرك او الطائر فيصيب مسلما والثاني أن يقتل مسلما بان يظنه مشركا بان كان عليه شئ من شعار الكفار الاوّل خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد واما شبه العمد فهو ان يضربه ضربا خفيفا لايقتل غالبا فيموت منه وهذا خطأ في القتل عمد في الضرب ﴿قوله محكوم باسلامها﴾ بان كان احد ابويها مسلما فان كان المراد بالرقبة المؤمنة عند الفقهاء كل رقبة يحكم باسلامها سوآء تحققت فيهما فروع الايمان وثمراته بان صلت وصامت ام لم تحقق وقال ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي لاتجزي الارقبة قد صلت وصامت لان الايمان اما التصديق واما العمل واما المجموع والكل فائت عن الصبي فلايكون مؤمنا فوجب ان لايجزي واحتج الفقهاء بان قوله من قتل مؤمنا خطأ يدخل فيه الصغير والكبير فكذا قوله فتحرير رقبة مؤمنة وجب ان يدخل فيه الصغير ﴿قوله يقتسمونها كسائر المواريث﴾ لافرق بين هذه الدية وبين سائر التركة في انه يقضي منها الدين وتنفذ منها الوصية ويقسم الباقي بين الورثة كما يقسم سائر التركة ﴿قوله وهي على العاقلة﴾ فان ظاهر قوله تعالى فتحرير رقبة يدل على ان تجب الدية على القاتل لانه هو المذكور قبل هذا الايجاب ولان هذه الجناية انما صدرت من القاتل والمنقول ان يجب الضمان على المتلف ولانه قد انعقد الاجماع على ان التحرير انما يجب على الجاني فكذا الدية يجب ان تكون واجبة عليه ايضا ضرورة انهما اوجبا بلفظ واحد الا انه عليه الصلاة والسلام بين ان الدية في الخطأ تكون على العاقلة وهم الاخوة وبنوا الاخوة والاعمام وبنوا الاعمام واصل يصدّقوا يتصدّقوا فادغمت التاء في الصاد ﴿قوله سمي العفو﴾ يعني ان معنى التصدّق ههنا العفو لان ذلك اسقاط الحق واسقاط الحق يسمى عفوا ﴿قوله وهو متعلق بعليه﴾ يعني ان قوله الا ان يصدّقوا استثناء متصل من العموم المنفهم من اطلاق كلمة عليه المقدّرة عند قوله ودية مسلمة لاعند قوله فتحرير رقبة لان تحرير الرقبة حق الله تعالى فلايسقط بعفو الاولياء واسقاطهم والمعنى فعليه دية في كل حال اومسلمة الى اهله في كل حال الا في حال تصدّقهم بها عليه ﴿قوله او زمانه﴾ على ان يكون الا ان يصدّقوا في محل النصب على الظرفية بان تكون ان المصدرية مع ما بعدها قائمة مقام الزمان كما يقوم المصدر الصريح وما المصدرية مقامه فيقال آتيك خفوق النجم وصياح الديك اي زمان خفوقه وصياحه ويقال اجلس مادام زيد جالسا اي زمان جلوسه فكذا يجوز ان يقوم ان وما بعدها مقام ظرف الزمان اورد عليه ان النحاة نصوا على عدم قيام ان وما بعدها مقام الظرف وقالوا ان ذلك مختص بما المصدرية فلا يقال آتيك ان يصيح الديك اي وقت صياحه ﴿قوله او الاهل﴾ يعني ان كونه متعلقا بمسلمة يحتمل وجهين الاوّل ما اشار اليه بقوله او يسلمها الى اهله الاحال تصدّقهم والثاني ان يكون حالا من اهله والمعنى الا متصدّقين وقوله او الظرف اي او على الظرف عطف على قوله على الحال ﴿قوله او في تضاعيفهم﴾ عطف على قوله من قوم كفار محاربين والفرق بينهما ان المقتول الكائن من الكفار هو منهم من حيث كونه من سكان دارهم بان اسلم في دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم فلاقصاص فيه ولادية بل فيه الكفارة لاغير وليس المراد بكون المقتول منهم ان يكون ذانسب منهم لانعقاد الاجماع على ان المسلم الساكن في دار الاسلام وجميع اقاربه كفار اذا قتله مسلم خطأ وجبت الدية في قتله والمقتول الذي يكون في تضاعيف اهل الحرب هو المسلم الذي اتى قومه وهم مشركون واختلط بهم فرماه احد من جيش المسلمين فقتله خطأ بناء على ظن كونه كافرا مثلهم فعند الامام الشافعي لايجب القصاص ولا الدية على عاقلته بناء على ان المقتول اسقط حق نفسه باختلاطه باهل الحرب وعندنا تجب الدية على قاتله لان قوله فان كان من قوم عدوّ لكم لايتناوله لان ذلك المقتول لايقال له انه منهم وانما يقال له انه فيهم ﴿قوله فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله﴾ اي يجب على قاتله تحرير رقبة وليس على عاقلة القاتل ولاعليه شئ من الدية لاهل المقتول لوجهين الاوّل ان اهل المقتول كفار فلا يرثونه والثاني تباين داري القاتل والمقتول وهو من جملة موانع التوارث وايضا لواوجبنا الدية في قتل المسلم الساكن في دار الحرب لاحتاج من يريد غزو دار الحرب الى ان يبحث عن كل واحد هل هو من المسلمين اولا وذلك مما يصعب ويشق فيفضي ذلك الى احتراز الناس عن الغزو فسقطت الدية عن قاتله لانه هو الذي اهدر دم نفسه بسبب اختياره السكنى في دار الحرب واما الكفارة فانها حق الله تعالى الواجب على من قتل مؤمنا مواظبا على عبادة الله وهذا السبب الموجب للكفارة قد تحقق فيمن قتل ذلك المسلم فوجب عليه ان يحرّر رقبة مؤمنة لان الرقيق لايمكنه المواظبة على عبادة الله تعالى

(مؤمنة) محكوم باسلامها وان كانت صغيرة (ودية مسلمة الى اهله) مؤدّاة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني ان اورّث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله (الا ان يصدّقوا) يتصدّقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدّقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف (فان كان من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) اي ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون

(وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة) اى وان كان من قوم كفرة معاهدين اواهل الذمة فحكمه حكم المسلم فى وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا اوكان له وارث مسلم (فمن لم يجد) رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها (فصيام شهرين متتابعين) فعليه اوفالواجب عليه صيام شهرين (توبة) نصب على المفعول له اى شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اى وتاب عليكم توبة اوحال بحذف مضاف اى فعليه صيام شهرين ذاتوبة (من الله) صفتها (وكان الله عليما) بحاله (حكيما) فيما امر فى شأنه (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزآؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدله عذابا عظيما) لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضى الله عنهما لاتقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل فى مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا اوالمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لايدوم عذابهم

فاذا اعتقه فقد اقامه مقام ذلك المقتول فى المواظبة على العبادات ﴿ قوله فحكمه حكم المسلم ﴾ اشارة الى ان المقتول ههنا هو المعاهد لا المسلم بناء على ان المتبادر من كون المقتول من القوم المعاهدين ان يكون معاهدا مثلهم كائنا على دينهم ومذهبهم وقال بعض المفسرين المراد من المقتول الكائن من اهل الميثاق هو المسلم الكائن من سكان دارهم الداخل فيما بينهم لان ترتيب نظم التنزيل يدل على انه تعالى ذكر اوّلا حال المسلم القاتل خطأ ثم ذكر من قسمى المسلم المقتول خطأ من كان من اهل الحرب على معنى ان يكون من سكان دراهم او داخلا فى تضاعيفهم ثم ذكر القسم الثانى منه وهو من كان من اهل الميثاق والعهد بمعنى كونه من سكان دارهم ويؤيد هذا القول ان لفظ كان فى قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق لابدّ ان يسند الى شئ جرى ذكره فيما تقدم والذى جرى ذكره سابقا هو المؤمن المقتول خطأ فوجب حمل اللفظ عليه ثم اشار المصنف بقوله ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا الى صحة كل واحد من الاحتمالين واعتبر انه يكون للمسلم المقتول وارث مسلم ليصح تسليم ديته الى اهله فان ورثة المقتول المسلم اذا كانوا كفارا لاتسلم ديته اليهم لامتناع التوارث بين المسلمين والكفار وفيه ماعرفت من البحث الذى ذكرناه وهو انه لايلزم من عدم كون اقاربه من اهله ان لايكون له اهل اصلا فان المسلمين بعضهم اولياء بعض ﴿ قوله ولا ما يتوصل به اليها ﴾ وهو ما يصلح ان يكون ثمنا للرقبة فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وسائر حوائجه الضرورية من المسكن ونحوه وايجاب التتابع من صيام الشهرين يدل على ان المكفر بالصوم لو افطر يوما فى خلال الشهرين او نوى صوما آخر فعليه الاستئناف الا ان يكون الفطر لحيض او نفاس او نحوهما مما لا يمكن الاحتراز عنه فانه لا ينقطع التتابع به ﴿ قوله اى شرع ذلك له توبة ﴾ احتيج الى تقدير العامل لان الصيام لايصلح ان يكون عاملا فيه لاختلاف شرط من شروط نصب المفعول له لان فاعل الصيام غير فاعل التوبة والمعنى شرع لمن يقتل خطأ ان يتوب اليه تعالى بالتحرير او بدله ليقبل الله توبته ويجعل ذنبه كأن لم يكن * فان قيل قتل الخطأ لا يكون معصية فما معنى قوله توبة من الله * اجيب عنه بوجوه الاوّل ان فيه نوعا من التقصير فان الظاهر انه لو بالغ فى الاحتياط لما صدر عنه ذلك فقوله توبة من الله على انه كان مقصرا فى ترك الاحتياط والثانى ان معنى قوله تعالى توبة من الله تخفيفا من الله بطريق اطلاق اسم الملزوم على اللازم فان التخفيف من لوازم التوبة بناء على انه تعالى اذا تاب على المذنب فقد خفف عنه وقد خفف الله تعالى عن القاتل الذى عجز عن تحرير الرقبة حين اذن له فى اقامة الصوم مقام الاعتاق والثالث ان المؤمن اذا اتفق له مثل هذا الخطأ فانه يندم ويتمنى ان لايقع منه ذلك فسمى الله تعالى ذلك الندم وذلك التمنى توبة ﴿ قوله عليما بحاله ﴾ اى بانه لم يقصد القتل ولم يتعمد فيه وحكيما فيما حكم به عليه حيث لم يعاقبه بعقوبة المتعمد قال اهل السنة افعال الله تعالى غير معللة برعاية المصالح ومعنى كونه حكيما كونه تعالى عالما بعواقب الامور وقالت المعتزلة هذه الآية تبطل هذا القول لانه تعالى عطف الحكيم على العليم فلو كان الحكيم هو العليم لكان عطفا للشئ على نفسه وهو محال * والجواب ان كل موضع من القرآن ورد فيه لفظ الحكيم معطوفا على العليم كان المراد من الحكيم كونه محكما فى افعاله والاحكام والاتقان عائدان الى كيفية الفعل ﴿ قوله والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب ﴾ اى بمن قتل ظلما وعدوانا فان القتل عمدا اذا وقع بحق كما فى القصاص او تاب عنه القاتل لا يتعلق به هذا الوعيد وكلمة من فى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا وان كانت للعموم والاستغراق لوقوعها فى معرض الشرط الا ان هذا العموم لما خص بهاتين الصورتين فنحن نخصصه بما لم يتعلق به عفو الله تعالى بفضله ورحمته فان دليل العفو قائم وهو قوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومقصود المصنف من هذا الكلام الجواب عن استدلال الوعيدية بهذه الآية على تخليد عصاة المسلمين فى النار ثم ان جمهور العلماء قالوا توبة من قتل المسلم عمدا بغير حق مقبولة واستدلوا عليه بثلاثة اوجه الوجه الاوّل ان الكفر اعظم من هذا القتل فاذا قبلت توبة الكافر فتوبة هذا القاتل اولى بالقبول والوجه الثانى انه تعالى قال فى آخر سورة الفرقان والذين لايدعون مع الله الها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا واذا كانت توبة الآتى بالقتل العمد مع سائر الكبائر المذكورة فى هذه الآية مقبولة فلأن تكون توبة الآتى بالقتل العمد وحده مقبولة اولى والوجه الثالث انه تعالى قال ويغفر مادون ذلك فانه وعد بالعفو عن كل ماسوى الكفر بدون التوبة فان يعفو عنه بعد التوبة اولى ﴿ قوله وجد اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ﴾ وكان مسلما فاتى رسول الله عليه الصلاة والسلام

فذكر له ذلك فارسل عليه الصلاة و السلام معه رسولا من بنى فهر وقال له ائت بنى النجار واقرئهم عنى السلام وقل لهم ان رسول الله يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن ضبابة ان تدفعوه الى مقيس بن ضبابة فيقتص منه و ان لم تعلموا له قاتلا فادفعوا اليه ديته فبلغ الفهرى رسالة رسول الله عليه الصلاة و السلام اليهم فقالوا سمعا و طاعة لله ولرسوله والله لانعلم له قاتلا ولكنا نؤدى ديته فأعطوه مائة من الابل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة فبينماهما فى الطريق اذا الشيطان وسوس اليه فالقى اليه حمية الجاهلية وقال لنفسه اى شئ صنعته تقبل دية اخيك فتكون عليك مسبة اى عارا اقتل هذا الفهرى الذى معك فتكون نفس بنفس وتبقى الدية فضلة لى فقتل الفهرى ثم ركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا فنزل فيه قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزآؤه جهنم خالدا فيها بكفره و ارتداده عن الاسلام ولما نزلت الآية فى كافر قتل مؤمنا سقط استدلال الوعيدية بها على خلود العصاة فى النار ﴿قوله سافرتم﴾ من قول العرب ضربت فى الارض اذا سرت لتجارة او غزو او نحوهما ﴿قوله فاطلبوا بيان الامر﴾ اشارة الى ان بناء التفعل فى تبين بمعنى استفعل الدال على الطلب مثل تعطى بمعنى استعطى امر المجاهدين بان لايستعجلوا فى قتل من لقيهم فى الغزو بل يتأملوا ليعلموا حقيقة الحال قيل نزلت الآية فى مرداس بن نهيك رجل من اهل فدك وكان قد اسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان عليه الصلاة و السلام بعث سرية الى قومه فلما وصلت السرية اليهم هربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما وصلوا فدك كبروا وكبر مرداس معهم وكان فى سفح جبل ومعه غنمه فنزل اليهم وقال لااله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد وساق غنمه فاخبروا رسول الله عليه الصلاة و السلام بذلك فوجد وجدا شديدا * وقال قتلتموه ارادة ما معه * وقال لاسامة قتلته وهو يقول لا اله الا الله فقال انما قالها تعوذا فقال عليه الصلاة و السلام * هلا شققت عن قلبه * وامره برد الاغنام وتحرير رقبة مؤمنة فنزلت الآية وقوله تعالى تبتغون فى محل النصب على انه حال من فاعل لاتقولوا اى لاتقولوا ذلك مبتغين عرض الدنيا وهو ما يتمتع به فيها من المال نقدا كان او غيره قليلا كان او كثيرا يقال الدنيا عرض حاضر * يأكل منها البر والفاجر * وتسميته عرضا تنبيه على كونه سريع الفناء قريب الانقضاء وقوله فعند الله مغانم كثيرة تنبيه على ان ثواب الله تعالى موصوف بالدوام والبقاء ﴿قوله فلاتتهافتوا﴾ اى لاتتساقطوا من قولهم تهافت الفراش اى تساقط وفدك اسم قرية بخيبر والعاقول الغار وقال سعيد بن المسيب خرج المقداد بن الاسود فى سرية فمر برجل فى غنيمة له فقال انى مسلم فقتله المقداد واخذ غنيمته فذكر ذلك النبى عليه الصلاة و السلام فقال قتلته وهو مسلم فقال له المقداد ود لو فر باهله وماله فنزلت الآية ﴿قوله وفيه دليل على صحة ايمان المكره﴾ اى فيما ذكره من قوله تعالى ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا وفى عدم قبوله عليه الصلاة و السلام عذر المقداد لتوافقهما فى النهى عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له باخذ ماله واهله وقتل نفسه وفيه ايضا دليل على ان المجتهد قد يخطئ لان كل واحد من اسامة والمقداد قد اخطأ وان خطأه قد كان مغتفرا حيث لم يقتص منه ﴿قوله لانه لم يقصد به قوم باعيانهم﴾ جواب عما يقال كيف جاز كونه صفة للقاعدين والقاعدون معرفة وكلمة غير لاتتعرف بالاضافة ولايجوز اختلاف الصفة والموصوف تعريفا وتنكيرا * وتقرير الجواب انه ليس المراد بالقاعدين حصة معينة من جنس المتقاعد عن الحرب بان يكون اللام فيه لتعريف العهد الخارجى ولا جميع افراد ذلك الجنس بان تكون اللام فيه للاستغراق لان بعض القاعدين يساوى المجاهدين فى الاجر والثواب وهم اصحاب الاعذار الذين ما حبسهم عن الغزو الا العذر روى عنه عليه الصلاة و السلام انه لما رجع من غزوة تبوك ودنا من المدينة قال ان فى المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه * قالوا يارسول الله وهم بالمدينة قال * نعم وهم بالمدينة حبسهم حابس العذر وهؤلاء هم الذين صحت نياتهم وتعلقت قلوبهم بالجهاد وانما منعهم عن الجهاد الضرر * وكل عاهة من المرض والعمى والزمانة ونحوها ضرر قال عليه الصلاة و السلام * اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدى ما كان يعمله فى الصحة الى ان يبرأ * وقال المفسرون قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان من صار هرما كتب الله له اجر عمله قبل هرمه غير منقوص وقالوا فى تفسير قوله عليه الصلاة و السلام * نية المؤمن خير من عمله * ان المؤمن ينوى الايمان والعمل الصالح لو عاش ابدا فحصل له ثواب تلك النية ابدا وشرط مساواة اجر العامل والمتقاعد عنه ما ذكره الله تعالى فى سورة التوبة وهو قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله اذا نصحوا لله ورسوله فثبت ان اللام فى القاعدين ليست للاستغراق ولا لتعريف

(ياايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله) سافرتم وذهبتم الى الغزو (فتبينوا) فاطلبوا بيان الامر وثباته ولاتعجلوا فيه (ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام) لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اى الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا (لست مؤمنا) وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اى مبذولا له الامان (تبتغون عرض الحياة الدنيا) تطلبون ماله الذى هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير فى تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت (فعند الله مغانم) لكم (كثيرة) تغنيكم عن قتل امثاله لماله (كذلك كنتم من قبل) اى اول ما دخلتم فى الاسلام تفوهتم بكلمتى الشهادة فحصنتم بها دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم (فمن الله عليكم) بالاشتهار بالايمان والاستقامة فى الدين (فتبينوا) وافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل الله بكم ولاتبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) عالما به وبالغرض منه فلاتتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه روى ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا به وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت فى المقداد مر برجل فى غنيمة فأراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله اسامة وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر (لايستوى القاعدون) عن الحرب (من المؤمنين) فى موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذى فيه (غير اولى الضرر) بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه

وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال اوالاستثناء وقرئ بالجرّ على انه صفة للمؤمنين اوبدل منه وعن زيد بن ثابت

انها نزلت ولم يكن فيها غير اولى الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلسه الوحى فوقعت فخذه على فخذى فخشيت ان ترضها ثم سرّى عنه فقال اكتب لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر (والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم) اى لامساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير مابينهما من التفاوت ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وأنفة عن انحطاط منزلته (فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة) جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اى بدرجة اوعلى المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرّة منه اوالحال بمعنى ذوى درجة (وكلا) من القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب (وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما) نصب على المصدر لان فضل بمعنى أجر اوالمفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كأنه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما (درجات منه ومغفرة ورحمة) كل واحد منهـا بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال منها تقدّمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرّر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاوّل ماخوّلهم فى الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانى ماجعل لهم فى الآخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم فى الجنة وقيل القاعدون الاوّل هم الاضرّاء والقاعدون الثانى هم الذين اذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاوّلون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله

عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (وكان الله غفورا) لماعسى ان يفرط منهم (رحيما) بما وعدلهم (وفضل)

الحقيقة ايضا لان نفس الماهية ليست بمأجورة حتى يقال ان ماهية القاعد لاتساوى ماهية المجاهد فتعين ان اللام فيه لتعريف العهد الذهنى والمعرّف بهذا التعريف شبه النكرة فيوصف كما توصف النكرة الاترى ان اللئيم وصف بالجملة الفعلية فى قوله

* ولقد امرّ على اللئيم يسبنى * فمضيت ثمة قلت لايعنينى *

ويمكن ان يقال فى الجواب عنه ان غير قد تتعرّف اذا وقعت بين ضدّين كما فى قولك عليك بالحركة غير السكون وجعله بدلا لايحوج الى مثل هذا التكليف فيكون اظهر من جعله صفة ﴿قوله وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال﴾ اى من القاعدون والمعنى لايستوى القاعدون فى حال كونهم اصحاء غير اولى الضرر اوالاستثناء من القاعدون والمعنى لايستوى القاعدون الا اولى الضرر ﴿قوله ان ترضها﴾ اى تكسرها ثم سرّى عنه اى كشف وازيل عنه ماعرضه من برحاء الوحى وشدّته ﴿قوله موضحة لمانفى الاستواء فيه﴾ يحتمل ان يكون زيادة درجة احدهما على درجة الآخر وبنقصانها فبين الله تعالى بهذه الجملة ان انتفاء استوائهما انما هو بانه تعالى فضل المجاهدين ﴿قوله ووقع موقع المرّة﴾ عطف على قوله تضمن يعنى ان درجة لتضمنه معنى التفضيل ووقوعه موقع المرّة من التفضيل كان بمنزلة ان يقال فضلهم تفضيلة وفائدة التنكير فيه التفخيم فصح كونه منصوبا على المصدرية ويجوز كونه منصوبا على انه حال من المجاهدين اى حال كونهم ذوى درجة ﴿قوله تعالى وكلا﴾ مفعول اوّل لوعد مقدّم عليه والحسنى مفعوله الثانى ﴿قوله لحسن عقيدتهم﴾ لان المراد من القاعدين هم الذين قعدوا عن الجهاد حال كونهم مؤمنين غير اولى الضرر استغناء عنهم بغيرهم ومن شأن المؤمن ان يحسن عقيدته ويخلص نيته قال الفقهاء وهذا يدل على ان الجهاد فرض كفاية وليس مفروضا على كل احد بعينه لانه تعالى وعد القاعدين عنه الحسنى كما وعد المجاهدين ولو كان الجهاد واجبا على كل احد على التعيين لما كان القاعد اهلا لوعد الله تعالى اياه الحسنى ﴿قوله تقدّمت عليها لانها نكرة﴾ فان ذا الحال اذا كان نكرة صرفة وجب تقدّم الحال عليه كما فى قوله *لعزة موحشا طلل قديم* فان قيل هذه القاعدة مخصوصة بموضع تكون الحال المتقدّمة بحيث لواخرت عن ذى الحال كانت صفة له فلما تقدّمت عليه امتنع كونها صفة له لامتناع تقدّم الصفة على الموصوف فتنصب حالا منه وقوله تعالى اجرا لواخر عن درجات لم يجز ان يكون نعتا لها لعدم المطابقة بينهما لان درجات جمع واجرا مفرد* قلنا لانسلم ان اجرا لواخر عن درجات لم يجز كونه صفة لها وماذكر من وجوب المطابقة بين الصفة والموصوف انما هو اذا لم تكن الصفة مصدرا واجرا هنا مصدر والاصح ان يفرد ويذكر مطلقا ﴿قوله كرّر تفضيل المجاهدين الخ﴾ بيان لفائدة ذكر قوله وفضل الله بعد قوله فضل الله ومعنى الآية على هذا انه تعالى حكم اوّلا بعدم الاستواء بين المجاهدين والقاعدين بغير ضرر ولم يعين صريحا ان الفاضل منهما من هو وان مابه التفاضل ماهو فبين ذلك صريحا على سبيل الاستئناف حيث قال فضل الله المجاهدين بدرجة فيلزم ان يكون القاعدون فى هذه الجملة الاستئنافية مقيدين بماقيدوا به سابقا وهو كونهم من المؤمنين غير اولى الضرر ثم كرّر الحكم بتفضيلهم على القاعدين بلاضرر وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا حيث ذكر جهة تفضيلهم اجمالا بقوله اجرا عظيما ثم فصل بقوله درجات منه ومغفرة ورحمة تعظيما لامر الجهاد وترغيبا فيه ﴿قوله وقيل الاوّل﴾ يعنى ليس الثانى تكريرا للاوّل بل هو من تتمة الاوّل من حيث انه بيان مابه التفاضل وايضاحه انما حصل بالمجموع ثم اختلف فى بيان كونه من تتمة الاوّل فقال بعضهم ان الدرجة ماخوّلهم الله فى الدنيا والدرجات ماخوّلهم الله فى العقبى وقال بعضهم كلاهما ماحصل لهم فى العقبى فالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم فى الجنة روى ابوهريرة انه عليه الصلاة والسلام قال* ان فى الجنة مائة درجة اعدّها الله للمجاهدين فى سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والارض* وقيل المجاهدون مفضلون على القاعدين بسبعين درجة مابين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا ﴿قوله وقيل القاعدون الاوّل هم الاضرّاء﴾ جمع ضرير كالاصحاء جمع صحيح والمجاهدون فضلوا عليهم بدرجة واحدة وفضلوا على من اذن لهم فى التخلف بدرجات وقيل المذكور اوّلا من المجاهدين هم الذين جاهدوا باموالهم وانفسهم فقط والمذكور ثانيا منهم المجاهدون على الاطلاق يعنى فى عمل الظاهر وهو الجهاد بالنفس والمال وفى عمل القلب بصرفه عن الالتفات الى غير الله والاستغراق فى طاعة الله ولما كانت هذه المجاهدة اعظم انواع الجهاد واشرفه فضل صاحبها على القاعدين بدرجات

[ن] التبليغها فيتوفونها (ظالمي انفسهم) في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا

ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة (قالوا) اى الملائكة توبيخا لهم (فيم كنتم) اى فى اىّ شئ كنتم من أمر دينكم (قالوا كنامستضعفين فى الارض) اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة اوعن اظهار الدين واعلاء كلمته (قالوا) اى الملائكة تكذيبا لهم اوتبكيتا (ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة (فاولئك مأواهم جهنم) لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر انّ والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قداوالخبر قالوا والعائد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة التى قبلها مستنتجة منها (وساءت مصيرا) مصيرهم اى جهنم وفى الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لايتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فرّ بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثناء منقطع لعدم دخولهم فى الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة فى الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوّامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت (لا يستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا) صفة للمستضعفين اذلا توقيت فيه او حال منه او من المستكنّ فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتدآء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل (فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم) ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطرّ من حقه ان

لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه (وكان الله عفوّا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا) متحوّلا من الرغام وهو التراب وقيل

[ل] يقال راغم قومه يسلوكه اى يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام (وسعة) فى الرزق واظهار الدين

وفضل المجاهدون الاوّلون عليهم بدرجة والله اعلم ﴿قوله يحتمل الماضى﴾ ولم تلحق علامة التأنيث للفعل فان التأنيث غير حقيقى ويدل على كونه فعلا ماضيا قرآءة توفتهم بتاء التأنيث فيكون اخبارا عن احوال قوم معينين انقرضوا ومضوا ويحتمل ان يكون مضارعا حذفت احدى التاءين منه والاصل تتوفاهم وعلى هذا تكون الآية عامة فى حق كل من كان بهذه الصفة والظاهر ان لفظ المضارع ههنا على حكاية الحال الماضية وقصد الاستحضار بشهادة كون خبر انّ فعلا ماضيا وهو قالوا والعائد من جملة الخبر الى الاسم محذوف اى قالوا لهم فقوله ظالمى انفسهم بمعنى الحال والاضافة لفظية فصح وقوعه حالا معمولا للمضارع الوارد على حكاية الحال قال جمهور المفسرين المراد بتوفى الملائكة اياهم قبض ارواحهم عند الموت والملك الذى فوّض اليه هذا العمل هو ملك الموت وله اعوان من الملائكة واسناد التوفى الى الله تعالى فى قوله الله يتوفى الانفس وفى قوله هو الذى يحييكم ثم يميتكم مبنى على ان خالق الموت هو الله تعالى وضمير انفسهم فى قوله ان الله يتوفى الملائكة انفسهم راجع الى الذين والمرفوع فى فيتوفونها راجع الى الملائكة والمنصوب الى انفسهم وكانوا ظالمى انفسهم باقامتهم فى دار الشرك وترك الهجرة عنها حين كانت الهجرة واجبة فانه تعالى لم يكن يقبل الاسلام باقامتهم بعد هجرة النبى عليه الصلاة والسلام الى المدينة الا بالهجرة اليهام نسخ ذلك بعد فتح مكة لقوله عليه الصلاة والسلام «لا هجرة بعد الفتح» قال تعالى فيمن آمن وترك الهجرة الذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا روى ان هؤلاء الذين تركوا الهجرة قعدوا بمكة الى وقعة بدر فاخرجهم المشركون فى تلك الوقعة مع انفسهم ليقاتلوا المسلمين امالانهم لم يعلموا باسلامهم او علموا فأكرهوهم على موافقتهم فلما خرجوا معهم ورأوا شوكة الكفار وضعف المسلمين ارتابوا فقالوا غرّ هؤلاء دينهم فارتدوا وقاتلوا اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام فانزل الله الملائكة مددا للمسلمين فقتلوا هؤلاء القوم بان ضربوا وجوههم وادبارهم وقالوا لهم فيم كنتم اى فى اىّ الفريقين كنتم أفى المسلمين ام فى المشركين سؤال توبيخ وتقريع فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين وقالوا كنا مستضعفين عاجزين فى الارض اى ارض مكة فلم يقبل الملائكة منهم هذا العذر بل ردّوه عليهم بقولهم ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعنى انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى ارض يمكنكم رعاية شرآئع دينكم فيها فاقمتم بين الكفار مع القدرة على مفارقتهم وقوله تعالى ألم تكن استفهام بمعنى التوبيخ وقوله فتهاجروا منصوب على جواب الاستفهام ﴿قوله مستنتجة منها﴾ اى مما قبلها وهى الجملة الدالة على انه لا عذر لهم فى ذلك اصلا وكون جهنم مأواهم نتيجة له عطفت عليه عطف جملة على اخرى ﴿قوله مصيرهم اى جهنم﴾ بيان للمخصوص بالذم المحذوف فانه قد يحذف للعلم به وفاعل ساءت مضمر مفسر مميز بالنكرة التى هى مصيرا ﴿قوله لعدم دخولهم فى الموصول وضميره﴾ فى قوله مأواهم جهنم فان المتوفين ظالمى انفسهم اما كفار اوعصاة بتركهم الهجرة مع القدرة عليها وهؤلاء المستضعفون ليسوا بقادرين عليها فلم يدخلوا فيهم فكان الاستثناء منقطعا ﴿قوله وذكر الولدان﴾ اشارة الى جواب ما يقال المستثنى المنقطع وان لم يكن داخلا فى المستثنى منه لكن لا بدّ ان يتوهم دخوله فى حكم المستثنى منه ومن المعلوم انه لا يتوهم دخول الاطفال فى الحكم السابق وهو كون مأواهم جهنم فكيف ذكروا فى عداد المستثنى * وتقرير الجواب نعم ان الامر كما قلت الا ان الولدان ذكروا فى عداد المستثنى للمبالغة فى امر التحذير عن ترك الهجرة والولدان جمع وليد وقد يطلق لفظ الولدان على الذكور والاناث تغليبا ﴿قوله اذ لا توقيت فيه﴾ اعتذار عن وصف المعرّف باللام بالجملة التى هى فى حكم النكرة بان التعريف فيه ليس للاشارة الى الحصة المعينة ولا الى نفس الحقيقة من حيث هى ولا من حيث تحققها فى ضمن جميع افرادها بل من حيث تحققها فى ضمن بعض الافراد فتكون فى حكم النكرة ﴿قوله ذكر بكلمة الاطماع﴾ وان كان الاطماع الوارد منه تعالى بمنزلة الايجاب من حيث ان الكريم اذا اطمع انجز المطموع الا ان اللفظ الدال على الاطماع يؤذن بما ذكره ﴿قوله متحوّلا﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما انه فسر مراغما بقوله متحوّلا يتحوّل اليه وقال الجوهرى المراغم المذهب والمهرب ثم نقل عن الفرآء انه قال المراغم المضرب والمذهب فى الارض والرغام بالفتح التراب يقال ارغم الله انفه اى ألصقه بالرغام والمراغمة المغاضبة يقال راغم فلان قومه اذا نابذهم وخرج عنهم والمراغم موضع المراغمة والمفارقة عن القوم على رغم انوفهم ولما كانت الانف من جملة الاعضاء فى غاية العزة والتراب فى غاية الذلة جعل قولهم رغم انفه كناية عن الذلة وسميت المفارقة عن القوم بغضا لهم بالمراغمة لان من يهاجر قومه يراغمهم لانه يجد فى البلد الذى هاجر اليه من النعمة والخير ما يكون سببا لرغم انف اعدائه الذين كانوا معه فى

(ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله
وألحق بالحجاز فاستريحا (فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما) الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله تعالى كثبوت الامر الواجب والآية الكريمة نزلت فى جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على مابايع عليه رسولك فمات (واذا ضربتم فى الارض) سافرتم (فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) بتنصيف ركعاتها ونفى الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم أتم فى السفروان عائشة رضى الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يارسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت ياعائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضى الله عنها اوّل مافرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرّت فى السفر وزيدت فى الحضر وظاهرهما يخالف الآية الكريمة فان صحا فالاوّل مؤوّل بانه كالتام فى الصحة والاجزاء والثانى لاينفى جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بانهم ألفوا الاربع فكانت مظنة لأن يخطر ببالهم ان ركعتى السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفى الجناح فيه لتطيب به نفوسهم

بلدته الاصلية فانه اذا استقام حاله فى تلك البلدة الاجنبية ووصل خبره الى اهل بلدته نجلوا من سوء معاملتهم معه ورغمت انوفهم بذلك ﴿قوله وقرئ يدركه بالرفع﴾ الجمهور على الجزم عطفا على الشرط قبله ومن رفع الفعل قدر مبتدأ اى ثم هو يدركه الموت فعطف جملة اسمية على فعلية قبلها وهى الجملة الشرطية المركبة من الفعل المجزوم وفاعله وقرأ الحسن البصرى بالنصب بناء على اضمار ان بعد ثم كاضمارها بعد الفاء فى قوله

سأترك منزلى لبنى تميم ❁ وألحق بالحجاز فأستريحا

وهو خلاف ماشتهر بين النحاة من ان النصب باضمار ان انما يقع بعد الاحرف الستة وهى حتى ولام كى ولام الجحود والفاء والواو وأو وكلمة ثم ليست من تلك الاحرف كما ان نصب استريحا فى البيت مخالف له ايضا فانهم صرحوا بان النصب بعد الفاء مشروط بشرطين احدهما السببية والثانى ان يكون قبلها امر اونهى او استفهام اونفى اوتمنى اوعرض وليس قبل الفاء فى البيت المذكور واحد من هذه الاشياء الستة وانما نصب الفعل فى البيت بناء على ضرورة الشعر ﴿قوله نزلت فى جندب بن ضمرة﴾ روى انه لما سمع قوله تعالى الا المستضعفين من الرجال الآية قال والله ماانا فيمن استثنى الله عز وجل انى لأجد حيلة ولى من المال مايبلغنى المدينة وابعد منها وانى لأهتدى الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة أخرجونى منها الى المدينة فخرج به بنوه يحملونه على سرير وكان شيخا كبيرا لا يستطيع ان يركب الراحلة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت الخ والتنعيم موضع قريب من مكة فلما بلغ خبره اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام قالوا لو أتى المدينة كان اتم اجرا فأنزل الله فيه هذه الآية ومن هذا قالوا المؤمن اذا قصد طاعة ثم اعجزه العذر عن اتمامها كتب الله له ثواب تمام تلك الطاعة ﴿قوله بتنصيف ركعاتها﴾ اى ركعات الصلاة التى تكون فى الحضر اربع ركعات فانها تصلى فى السفر ركعتين فالقصر انما يدخل فى صلاة الظهر والعصر والعشاء واما صلاتا المغرب والصبح فلا يدخلهما القصر وهو احتراز عما روى ابن عباس وطاوس من ان المراد بالقصر ادخال التخفيف فى كيفيات اداء الركعات وهو ان يكتفى فى الصلاة بالايماء والاشارة بدل الركوع والسجود وان يجوز المشى حال الصلاة وان تجوز مع تلطخ الثوب بالدم والتخفيف على الوجه المذكور يجوز فى الصلاة التى يأتى بها حال شدة التحام القتال وتفسير القصر بهذا المعنى ضعيف ذكر وجه ضعفه فى موضعه ﴿قوله ونفى الحرج فيه يدل على جوازه﴾ اشارة الى مااستدل به الامام الشافعى على مذهبه فانه ذهب الى ان القصر رخصة فان شاء المكلف اتم وان شاء اكتفى على القصر وقال ابو حنيفة القصر واجب فان صلى المسافر اربعا ولم يقعد على رأس الركعتين فسدت صلاته لاتصال النافلة بها قبل كمال اركانها وان قعد فى آخر الركعة الثانية قدر التشهد اجزأته الاخريان نافلة ويصير مسيئا بتأخير السلام واستدل الامام الشافعى على ما ذهب اليه بقوله تعالى لاجناح عليكم ان تقصروا من الصلاة فان هذا اللفظ لايستعمل فى ايجاب الشئ بعينه وانما يستعمل فى رفع التكليف به فان هذا اللفظ لا يذهب منه وهم احد الى ان يكون المراد منه اوجبت عليكم القصر وحرّمت عليكم الاتمام وجعلته مفسدا للصلاة وبانه عليه الصلاة والسلام اتم فى السفر وبقوله عليه الصلاة والسلام لعائشة «احسنت فى كل واحدة بما فعلت» ومما استدل به ابو حنيفة رحمه الله ماروى عن يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب فيم اقتصار الناس الصلاة اليوم وانما قال الله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا بمعنى يقتلكم كما فى قوله تعالى على خوف من فرعون وملئه ان يفتنهم اى يقتلهم وقد ذهب ذلك الخوف اليوم فقال عمر عجبت مما عجبت منه فذكرت ذلك لرسول الله عليه الصلاة والسلام فقال «صدقة تصدّق بها الله عليكم فاقبلوا صدقته» معناه فاعتقدوه واعملوا به قال ابو حنيفة المراد بتصدّق الله تعالى بالقصر علينا اسقاط الاتمام عن ذمتنا والاسقاط لايحتاج الى القبول ولا يرتد بالرد خصوصا من الله تعالى فانه مفترض الطاعات ومشرّع الاحكام وليس لنا الا التدين بما شرّع والعمل بما حكم ﴿قوله وظاهرهما يخالف الآية﴾ لان قصر الصلاة بمعنى تقليل ركعاتها يقتضى ان يكون اوّل مافرضت اكثر من ركعتين وهو يخالف ماروى عن عائشة وعمر رضى الله عنهما ﴿قوله والثانى لاينفى جواز الزيادة﴾ فان قول عائشة رضى الله عنها انما يدل على ان الزيادة على الركعتين ليست بفرض فى حق المسافر وظاهر انه لاينفى جوازها فى حقه وقال صاحب الكشاف فى رفع مخالفة الآية لقولهما ليس المراد من قصر الصلاة نقص شئ من اركانها المفروضة حتى يكون القول بان اصل الفرض انما هو ركعتان فقط منافيا فيه بل المراد بقصرها الاتيان باصل الفرض على الوجه الذى يظن

(ألفوا)

القوم انه نقص بناء على الفهم باتيان الاربع فالمصنف عدّ هذا الوجه تكلفا مستغنى عنه بما ذكره ﴿قوله واقل سفر تقصر فيه اربعة برد﴾ هو جمع بريد كل بريد اربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة اميال باميال هاشم جدّ رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو الذى قدّر اميال البادية كل ميل اثنى عشر الف قدم وهى اربعة آلاف خطوة فان كل ثلاثة اقدام خطوة * واعلم ان السلف اجمعوا على ان اقل السفر مقدّر ويدل عليه اختلاف الروايات فى تقديره فانه روى عن عمر انه قال يقصر فى كل يوم وعن ابن عباس انه قال اذا زاد السفر على يوم وليلة قصر وقال انس بن مالك يقصر فى خمسة فراسخ وقال الحسن يقصر فى مسيرة ليلتين وقال ابو حنيفة يقصر فى مسيرة ثلاثة ايام ولياليهنّ الايام للمشى والليالى للاستراحة وروى الحسن بن زياد عن ابى حنيفة اذا سافر الى موضع يكون مسيرة يومين واكثر اليوم الثالث جاز القصر وهكذا روى عن ابى يوسف ومحمد وقال الامام مالك والامام الشافعى اقل سفر يقصر فيه اربعة برد فاختلاف الناس فى تقدير اقل السفر يدل على انعقاد الاجماع على ان الحكم غير مربوط بمطلق السفر كما زعمه داود واهل الظاهر بناء على انه تعالى علق قوله فلا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة على قوله واذا ضربتم فى الارض والضرب فى الارض عبارة عن مطلق السفر قليلا كان او كثيرا ومتى حصل مطلق السفر وجب ان يترتب عليه الجزاء وهو القصر ﴿قوله عند سيبويه﴾ فانه لا يقول بجواز زيادة من فى الاثبات ويقول انها فى الآيات تبعيضية خلافا للاخفش فانه لا يشترط فى زيادتها شيأ ﴿قوله شرطية الخ﴾ ردّ لما ذهب اليه داود واهل الظاهر من ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف واحتجوا عليه بانه تعالى اثبت هذا الحكم مشروطا بالخوف حيث قال لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة ان خفتم والمشروط بالشئ عدم عند عدم ذلك الشرط فوجب ان لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز دفع هذا الشرط بخبر من اخبار الآحاد لانه يقتضى نسخ القرآن بخبر الواحد وهو لا يجوز هذا ما قال اهل الظاهر فى الاحتجاج على ما ذهبوا اليه * وتقرير جواب المصنف عنه ان التقييد بالشرط انما يدل على نفى الحكم عند عدمه اذا لم يكن للتقييد فائدة اخرى وقد وقع التقييد بالخوف فى الآية لوقوعه فى اكثر اسفار النبى عليه الصلاة والسلام فان الغالب فى اسفاره عليه الصلاة والسلام ان لا تخلو عن خوف العدوّ ومتى كان للتقييد فائدة اخرى غير نفى الحكم عند عدم القيد لا يكون التقييد دليلا على انتفاء الحكم عند عدم القيد اتفاقا وهذا الجواب مبنى على القول بالمفهوم واما عندنا فالامر ظاهر لان التقييد بالشرط مثلا لا يدل على نفى الحكم عند عدمه بل على مجرّد ثبوته عند ثبوت الشرط فقوله تعالى ان خفتم انما يدل على جواز القصر حال حصول الخوف فالآية ساكتة عن حال الأمن لا تعرّض فيها لحال الأمن نفيا او اثباتا فاثبات جواز القصر حال الأمن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القرآن وهو غير ممتنع وانما الممتنع اثبات حكم بخبر الواحد على خلاف ما دل عليه القرآن ونحن لا نقول به ﴿قوله وقد تظاهرت السنن﴾ منها ما روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قصر فى السفر من غير خوف ومنها ما قرّر من انه عليه الصلاة والسلام قرّر لعائشة رضى الله عنها ما فعلت من القصر وقال لها * احسنت * ومنها قوله عليه الصلاة والسلام لعمر * صدقة تصدّق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته * ﴿قوله تعلق بمفهومه من خص الخ﴾ فان ابا يوسف والحسن بن زياد قالا صلاة الخوف خاصة بالرسول عليه الصلاة والسلام ولا تجوز لغيره احتجاجا بقوله تعالى واذا كنت فيهم فانه يدل على ان اقامة الصلاة على الوجه المذكور مشروطة بكونه عليه الصلاة والسلام فيهم لان كلمة اذا تفيد الاشتراط وقوله لفضل الجماعة متعلق بقوله تعلق يعنى انه اعتبر مفهوم الشرط مع انه لا يقول بان التعليق بالشرط يوجب انتفاء الحكم عند عدم الشرط بناء على ان الجماعة المعهودة وهم الذين يصلون خلفه عليه الصلاة والسلام افضل ثوابا بالنسبة الى الجماعة الذين يصلون خلف غيره ذهب الجمهور الى ان صلاة الخوف ثابتة مشروعة فى حق كل الامّة غايته انه تعالى علم رسوله عليه الصلاة والسلام كيفية اداء الصلاة حال الخوف لتقتدى به الامّة الا ترى ان قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم لم يوجب كونه عليه الصلاة والسلام مخصوصا به دون غيره من الامّة بعده فكذا صلاة الخوف روى عن ابن عباس وجابر رضى الله عنهم ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا على ان لا كانوا اكبوا عليهم وقالوا قد كانوا على حال لو كنا اصبنا منهم غرّة فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هى احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنى صلاة العصر فاذا قاموا فيها فشدّوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه الآيات بين الاولى والعصر فعلمه كيفية اداء صلاة الخوف

واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابى حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف اى شيأ من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش (ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوّا مبينا) شرطية باعتبار الغالب فى ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر فى قوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا فى حال الأمن وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرّض بما يكره (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول صلى الله عليه وسلم كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نوّاب عنه فيكون حضورهم كحضوره (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الاخرى تجاه العدوّ (وليأخذوا اسلحتهم) اى المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم (فاذا سجدوا) يعنى المصلين (فليكونوا) اى غير المصلين (من ورائكم) يحرسونكم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ومن يصلى معه فغلب المخاطب على الغائب

بطن النخل و ان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة و ينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين و يذهبوا الى وجه العدوّ و تأتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم و يسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه و تقف بازآء العدوّ وتأتي الاخرى فتصلي معه ركعة و تتم صلاتها ثم تعود الى وجه العدوّ وتأتي الاولى فتؤدّي الركعة الثانية بغير قرآءة و تتم صلاتها (وليأخذوا حذرهم و اسلحتهم) جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه و بين الاسلحة في وجوب الاخذ و نظيره قوله تعالى و الذين تبوّأوا الدار و الايمان (ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم و أمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيشدّون عليكم شدّة واحدة وهو بيان

مالاجله امروا باخذ السلاح (ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم) رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب (خذوا حذركم) امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدوّ (ان الله أعدّ للكافرين عذابا مهينا) وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم ليقوّى قلوبهم و ليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوّهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ و التدبر فيتوكلوا على الله (فاذا قضيتم الصلاة) اديتم و فرغتم منها (فاذكروا الله قياما وقعودا و على جنوبكم) فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او اذا اردتم أدآء الصلاة واشتدّ الخوف فأدّوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين و على جنوبكم مثخنين (فاذا اطمأننتم) سكنت قلوبكم من الخوف (فأقيموا الصلاة) فعدّلوها واحفظوا اركانها و شرآئطها وأتوا بها تامّة (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) فرضا محدود الاوقات لايجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلاة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة لايصلي المحارب حتى يطمئن (ولاتهنوا) ولاتضعفوا (في ابتغاء القوم) في طلب الكفار بالقتال (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال دآئر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين و استحقاق الثواب مالا يرجو عدوّهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولاتهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي من الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى (وكان الله عليما) باعمالكم وضمائركم (حكيما) فيما يأمر و ينهى (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس) نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنوا ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل (بما أراك الله) بما عرّفك الله و اوحى به اليك و ليس من الرؤية بمعنى العلم

(الرؤية)

﴿قوله ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرّتين﴾ بان يصلي الامام بالطائفة الاولى ركعتين و تسلم ثم تذهب تلك الطائفة الى وجه العدوّ وتأتي الطائفة الاخرى فيصلي الامام بهم مرّة اخرى ركعتين وهذا قول الحسن البصري و انما جعل الادآء على هذه الكيفية مدلول ظاهر الآية لان الصلاة المدلول عليها بقوله فليصلوا معك مطلقة فحقها ان تنصرف الى الكامل منها و الكيفية التي ذكرها بقوله فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة الخ ذهب الامام الشافعي اليها ﴿قوله ثم تذهب هذه﴾ اي اذا رفع الامام رأسه من السجدة الثانية تذهب الطائفة الاولى و تقف بازآء العدوّ و تأتي الاخرى فتصلي مع الامام ويتم الامام صلاته بان يتشهد ويسلم ولاتتم الاخرى صلاتها بل تعود الى وجه العدوّ وتأتي الاولى و تؤدّي الركعة الثانية بغير قرآءة لانهم لاحقون و اللاحق في حكم المقتدي فلايقرأ و تتم صلاتها بالتسليم بعد التشهد و تأتي الاخرى فتؤدّي الركعة الثانية بقرآءة لانهم مسبوقون و المسبوق في قضاء مافاته منفرد فيقرأ ﴿قوله جعل الحذر﴾ وهو التحذر و التيقظ اشارة الى جواب سؤال مقدّر وهو ان الحذر من قبيل المعاني فكيف يتعلق به الاخذ الذي لايتعلق الا بما هو من قبيل الاعيان كالسلاح * وتقرير الجواب انه من قبيل الاستعارة بالكناية بان شبه الحذر بآلة يستعملها الغازي وجعل تعلق الاخذ به دليلا على هذا التشبيه المضمر في النفس فيكون استعارة تخييلية كما شبه الايمان بالمستقرّ على سبيل الاستعارة بالكناية وجعل تعلق التبوّء به دليلا على ذلك التشبيه المضمر على سبيل التخييل قال الامام الواحدي رحمه الله في قوله تعالى وليأخذوا حذرهم الخائف في الصلاة ان يجعل بعض فكره في غير الصلاة ﴿قوله اديتم و فرغتم منها﴾ ظهر منه ان القضاء يستعمل فيما فعل في وقته ومنه قوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم و المصنف حمل الذكر على مايعم الصلاة و غيرها من العبادات التي لايكون الحامل عليها الا ذكر الله وطلب مرضاته واشار بقوله مسايفين و مرامين و مثخنين الى ان قوله تعالى قياما و مابعده حال من فاعل اذكروا اي قائمين وقاعدين و مضطجعين على جنوبكم بان يغلب عليكم الضعف من الجراحة يقال اثخنه الجرح اذا ضعف بسببه وحمل الصلاة قياما على ادآئها في حال المسايفة و المقارعة بالرماح والصلاة قعودا على ادآئها في حال مراماة السهام والصلاة على الجنوب على ادآئها في حال السقوط على الارض مجروحين وذلك مبني على ماذهب اليه الامام الشافعي من ايجاب الصلاة على المحارب مسايفا كان او مقارعا او مراميا اذا حضر وقتها ثم ايجاب قضائها حال الاطمئنان و من حمل الذكر على مايعم الذكر باللسان و الصلاة من الحنفية فله ان يقول في تفسير الآية فداوموا على ذكر الله في جميع الاحوال و اذا اردتم ادآء الصلاة فصلوا قائمين حال الصحة و القدرة على القيام و قاعدين حال المرض و العجز عن القيام و مضطجعين على الجنوب حال العجز عن القعود ﴿قوله والآية نزلت في بدر الصغرى﴾ قد سبق في اواخر سورة آل عمران ان اباسفيان نادى عند انصرافه من احد يامحمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة و السلام * ان شاء الله * فلما كان القابل ألقى الله الرعب في قلبه فندم على ماقال فبعث نعيم بن مسعود ليخوّف المؤمنين من الخروج الى بدر فلما اتى نعيم المدينة وجد المؤمنين يتجهزون للخروج فقال لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فتثبط المؤمنون فقال عليه الصلاة و السلام * لأخرجنّ ولو لم يخرج معي احد * فخرج في سبعين راكبا فانزل الله تعالى هذه الآية ارشادا لمن تلا عليهم ﴿قوله فسألوه ان يجادل﴾ اي يجادل اليهوديّ ليدفع فضيحة البهتان عن صاحبهم طعمة وقالوا له عليه الصلاة و السلام ان لم تفعل برئ اليهودي وهو السارق و لم يظهر له عليه الصلاة و السلام مايوجب القدح في شهادتهم بناء على كون كل واحد من الشاهد و المشهود له من المسلمين ظاهرا فلذلك مال طبعه الى نصرة الخائن و الذب عنه الا انه لم يحكم بذلك بل توقف و انتظر الوحي فنزلت الآية ناهية عنه ومنبهة على ان طعمة وشهوده كاذبون وان اليهودي برئ من ذلك الجرم و لما صدر عنه عليه الصلاة و السلام الميل اليهم بذلك الحكم الذي لو وقع لكان خطأ في نفسه امر الله تعالى اياه عليه الصلاة و السلام بان يستغفر لهذا القدر و ان كان معذورا فيه عند الله بناء على ان حسنات الابرار سيئات المقرّبين ويحتمل ان يكون المراد واستغفر لاولئك الذين يريدون ان يذبوا عن طعمة ويريدون ان يظهروا برآءته من السرقة ﴿قوله والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل﴾ ولم يتعدّ في الآية الا الى مفعولين احدهما كاف الخطاب والثاني مقدّر تقديره بما اراكه الله وليس منقولا بالهمزة من رأيت التي يراد بها رؤية البصر لان وجه الحكم في الحادثة لايرى بالبصر ولما لم يكن منقولا منها ولا من الذي يتعدى الى مفعولين تعين انه منقول من رأيت بمعنى الاعتقاد وسميت المعرفة المذكورة رؤية لكونها جارية مجرى

فانهم شاركوه فى الاثم حين شهدوا على برآئته وخاصموا عنه (ان الله لايحب من كان خوّانا) مبالغا فى الخيانة مصرّا عليها (اثيما) منهمكا فيه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتدّ ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله (يستخفون من الناس) يستترون منهم حياء وخوفا (ولايستخفون من الله) وهو احق بان يستحيي ويخاف منه (وهو معهم) لايخفى عليه سرّهم فلاطريق معه الاترك مايستقبحه ويؤاخذ عليه (اذيبيتون) يدبرون ويزوّرون (مالايرضى من القول) من رمى البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور ﴿﴾ (وكان الله بمايعملون محيطا) لايفوت عنه شئ (هاانتم هؤلاء) مبتدأ وخبر (جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا) جملة مبينة لوقوع اولا خبرا او صلة عند من يجعله موصولا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا) محاميا يحميهم من عذاب الله (ومن يعمل سوأ) قبيحا يسوء به غيره (او يظلم نفسه) بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء مادون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة (ثم يستغفر الله) بالتوبة (يجد الله غفورا) لذنوبه (رحيما) متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) فلا يتعدّاه وباله لقوله وان اسأتم فلها (وكان الله عليما حكيما) فهو عالم بفعله حاكم فى مجازاته (ومن يكسب خطيئة) صغيرة او مالاعمد فيه (او اثما) كبيرة او ماكان عن عمد (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او (فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) بسبب رمى البرئ وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوّى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر (ولولا فضل الله عليك ورحمته) باعلام ماهم عليه بالوحى والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لهمت طائفة منهم) من بنى ظفر (ان يضلوك) عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفى همهم بل الى نفى تأثيره فيه (ومايضلون الاانفسهم) لانه مازالك عن الحق وعاد وباله عليهم (ومايضرّونك من شئ) فان الله عصمك وماخطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لاميلا فى الحكم ومن شئ فى موضع النصب على المصدر اى شيأ من الضرّ (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم) من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام (وكان فضل الله عليك عظيما) اذلافضل اعظم من النبوّة (لاخير فى كثير من نجواهم) من متناجيهم كقوله تعالى واذهم نجوى اومن تناجيهم فقوله (الامن امر بصدقة اومعروف) على حذف مضاف اى الانجوى من امر اوعلى الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففى نجواه الخير والمعروف كل مايستحسنه الشرع ولاينكره العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوّع وسائر مافسر به (او اصلاح بين الناس) او اصلاح ذات بين (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما) بنى الكلام على الامر ورتب الجزآء على الفعل ليدل على انه لمادخل الآمر فى زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم فان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله تعالى لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة مافات فى جنبه من اعراض الدنيا وقرأ حمزة وابو عمرو يؤتيه بالياء

الرؤية فى القوة والظهور والخلوص من وجوه الريب وكان عمر رضى الله عنه يقول لايقولنّ احد قضيت بما ارانى الله تعالى فان الله تعالى لم يجعل ذلك الا لنبيه عليه الصلاة والسلام واما الواحد منا فرؤيته تكون ظنا لا معرفة بل منزلة منزلة الرؤية ﴿قوله يخونونها﴾ يريد ان الاختيان والخيانة بمعنى يقال خانه واختانه والمراد بالخائنين طعمة وقومه فانه روى ان قومه علموا ان تلك السرقة عمل طعمة بناء على انه كان سارقا فى الجاهلية لكنهم بيتوا القول ليلهم واتفقوا على ان يشهدوا بالسرقة على اليهودى دفعا عن طعمة عقوبة السرقة فلذلك وصفهم الله تعالى جميعا بالخيانة حيث قال ولا تكن للخائنين خصيما وقال ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ﴿قوله فان وبال خيانتهم يعود عليها﴾ جواب عما يقال لم قال تعالى لطعمة ولمن ذب عنه انهم يختانون انفسهم مع انهم يخونون غيرهم اجاب عنه اوّلا بان خيانة حق الغير ظاهرا خيانة لنفسه فى الحقيقة لان ضرر تلك الخيانة يعود على نفسه ولاشك ان اضرار النفس خيانة لها وتعرّض لحقها فعبر بخيانة النفس عن خيانة الغير مجازا باعتبار المآل وثانيا بان قوله يختانون انفسهم استعارة تبعية حيث شبهت المعصية بالخيانة للنفس فاستعير لها اسم الخيانة ثم اشتق من الخيانة بمعنى المعصية لفظ يختانون انفسهم فمعنى الآية لاتجادل عن الذين يعصون ﴿قوله روى ان طعمة الخ﴾ جواب عما يقال كل واحد من لفظ خوّان واثيم صيغة مبالغة فيدل على تكرّر وقوع الفعل من طعمة مع ان الصادر منه خيانة واحدة واثم واحد * وتقرير الجواب انه تعالى عبر عنه بالخوّان الاثيم بناء على علمه بان ذلك الرجل فى طبعه خيانة كثيرة واثم كثير فاطلق عليه لفظ المبالغة لكون طبعه الخبيث مائلا الى تكثير كل واحد من الفعلين ﴿قوله تعالى اذيبيتون﴾ ظرف منصوب بالعامل فى الظرف الواقع خبرا وهو معهم فان طعمة وقومه بيتوا ودبروا قولا لايرضاه الله وهو قول طعمة أرمى اليهودى بانه سارق الدرع وأحلف انى لم أسرقها فتقبل يمينى لانى على دينهم ولاتقبل يمين اليهودى وقول قومه نشهد زورا لدفع شين السرقة وعقوبتها عن من هو واحد منا ﴿قوله مبتدأ وخبر﴾ والهاء فى كل واحد منهما للتنبيه والجملة الفعلية التى بعد هذه الجملة مبينة لوقوع هؤلاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك والخطاب مع قوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه بسبب انهم كانوا فى الظاهر من المسلمين والمعنى هبوا أنكم تخاصمون عن طعمة وعن قومه فى الدنيا فمن يخاصم عنهم فى الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه ﴿قوله ووحد الضمير﴾ اى ضمير به لرجوعه الى احد المذكورين الدال عليه كلمة او فكأنه قيل ثم يرم باحد المذكورين وسمى رمى البرئ بهتانا لكون البرئ متحيرا عند سماعه لعظمه فى الكذب يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم والفصيح منهما بهت على بناء مالم يسم فاعله ويقال بهته بهتا وبهتانا اذا قال عنه مالم يقله او نسب اليه مالم يفعله روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال الغيبة ذكرك اخاك بما يكره * فقيل ارأيت ان كان فى اخى مااقول قال ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ﴿قوله ولذلك سوّى بينهما﴾ اى ولكون المقصود بيان حكم رمى البرئ بما اقترفه سوى بين الخطيئة الصغيرة او مالاعمد فيه والكبيرة ﴿قوله من متناجيهم﴾ على ان يكون النجوى بمعنى القوم الذى يتناجون اطلاقا للمصدر على من وقع منه مدلوله مجازا نحو رجل عدل كما فى قوله تعالى واذهم نجوى وقد يكون مصدرا بمعنى التناجى والمناجاة المسارّة وهو فى اللغة سرّ بين اثنين قال الزجاج النجوى ماينفرد به اثنان او اكثر قال مجاهد هذه الآية عامة فى حق جميع الناس غير مختصة بقوم طعمة وان نزلت فى تناجى قوم السارق لتخليصه ﴿قوله او اصلاح ذات بين﴾ اى ماوقع بين اثنين او اكثر من العداوة والفساد وقد حث عليه الصلاة والسلام على ذلك بقوله لابى ايوب الانصارى رضى الله عنه * ألا ادلك على صدقة هى خير لك من حمر النعم * قال نعم يارسول الله قال * ان تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرّب بينهم اذا تباعدوا * والمعنى لاخير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا ما كان من اعمال الخير ثم انه تعالى ذكر من اعمال الخير ثلاثة انواع الامر بالصدقة والامر بالمعروف والاصلاح بين الناس وتخصيص هذه الثلاثة بالذكر لان عمل الخير فى حق الغير منحصر فى نوعين الاوّل ايصال المنفعة اليه والثانى دفع المضرّة عنه واشار الى الثانى بقوله او اصلاح بين الناس والى الاوّل بقوله او معروف الا انه خص من جملة المعروف الصدقة وقدّم الامر بها وعطف عليه الامر بالمعروف عطف العام على الخاص اهتماما وتعظيما لشأنها ومما يدل على عموم المعروف لكل مايستحسن شرعا من الصدقة وغيرها ماروت ام حبيبة رضى الله عنها ان النبى عليه الصلاة والسلام قال * كلام ابن آدم كله عليه لاله الا ماكان من امر بمعروف او نهى عن منكر او ذكر الله * وهذا الحديث قريب من

(ومن يشاقق الرسول) يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين فى شق غير شق الآخر (من بعد ماتبين له الهدى) ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات (ويتبع غير سبيل المؤمنين) غير ماهم عليه من اعتقاد اوعمل (نوله ماتولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلى بينه و بين ما اختاره (ونصله جهنم) ندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه (وساءت مصيرا) جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثانى باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها اولم يضم واذاكان اتباع غيرسبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه فى مرصاد الافهام الى مبادى الاحكام (ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) كرره للتأكيد اولقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم اشرك بالله شيا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى جرآءة وما توهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب فاترى حالى عندالله تعالى فنزلت (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر فى الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افترآء وهو دعوى التبنى على الله عز وجل

الآية اشد القرب * فان قيل كيف يطابق قوله تعالى ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله لقوله اولا الامن امر بصدقة الى آخره مع ان الاول كلام فى حق الآمر بالفعل والثانى كلام فى حق الفاعل وكان المناسب للاول ان يبين حكم الاول ويقول ومن يأمر بذلك * فالجواب ان الغرض الاصلى من استثناء الامر التحريض على فعل الخير كأنه قيل لاخير فيما يفعله الانسان الا فى هذه الافعال ثم بين وجه كونه خيرا ببيان ثواب فاعلها ويحتمل ان يراد بالفعل الامر بما ذكر من الافعال لان الامر من جهة الافعال والى هذا السؤال والجواب اشار بقوله بنى الكلام على الامر الى آخره ﴿ قوله والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع ﴾ روى ان الامام الشافعى رضى الله عنه سئل عن آية من كتاب الله تعالى تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتى وجد هذه الآية وتقرير الاستدلال ان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المؤمنين واجبا بيان المقدمة الاولى انه تعالى ألحق من يشاقق الرسول بمن يتبع غير سبيل المؤمنين ومشاقة الرسول وحدها موجبة لهذا الوعيد فلولم يكن اتباع غير سبيل المؤمنين موجبا لذلك الوعيد لكان ضمه الى المشاقة ضما لما لا اثر له فى الوعيد الى ماهو مستقل باقتضاء ذلك الوعيد وانه غير جائز فثبت ان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام موجب له واذا كان اتباع غير سبيل المؤمنين حراما لزم ان يكون اتباع سبيلهم واجبا وذلك لان عدم اتباع سبيل المؤمنين يصدق عليه انه اتباع لغير سبيل المؤمنين واذا كان اتباع غير سبيل المؤمنين حراما لزم ان يكون عدم اتباع سبيل المؤمنين حراما واذا كان عدم اتباع سبيلهم حراما كان اتباع سبيلهم واجبا وذلك لانه لاخروج عن طرفى النقيض * فان قيل لانسلم ان عدم اتباع سبيل المؤمنين يصدق عليه انه اتباع لغير سبيل المؤمنين فانه لايمتنع ان لايتبع سبيل المؤمنين ولا غير سبيل المؤمنين اجيب عن هذا السؤال بان المتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير فاذا كان من شأن غير المؤمنين ان لايتبع سبيل المؤمنين فكل من لم يتبع سبيل المؤمنين فقد اتى بمثل فعل غير المؤمنين فوجب كونه متبعا لهم وللقائل ان يقول ان الاتباع ليس عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير والا لزم ان يقال الانبياء والملائكة عليهم السلام لايتبعون لآحاد الخلق مع انهم يوحدون الله تعالى كما ان كل واحد من آحاد الامة يوحد الله ومعلوم ان ذلك لايقال بل الاتباع عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير لاجل انه فعل لذلك الغير واذا كان كذلك فمن ترك متابعة سبيل المؤمنين لاجل انه لم يجد دليلا على وجوب متابعتهم فلاجرم لم يتبعهم فهذا الشخص لايكون متبعا لغير سبيل المؤمنين فهذا سؤال قوى على هذا الدليل الى هنا كلام الامام ووجه انتظام هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما فرغ من قصة الطائفة التى جادلت عن طعمة بين ان تناجيهم فى ازلال رسول الله عليه الصلاة والسلام عن القضاء الحق كان لاخير فيه ونبه على ان الخير ليس الا فى فعل الخيرات واجرآئها على ماهو سبيل المؤمنين ثم رتب الوعيد على مخالفة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين ﴿ قوله كرره للتأكيد ﴾ يعنى ان هذه الآية قد ذكرت فى هذه السورة مرة والفائدة فى تكرارها التأكيد فان هذه الآية لدلالتها على عفو ذنوب المؤمنين ومغفرتها من آيات الوعد فلما اعاده فى سورة واحدة بلفظ واحد فقد اكد ماوعده فى حقهم ثم انه تعالى مااعاد آية من آيات الوعد باللفظ الواحد مرتين وقد اعاد هذه الآية بهذا اللفظ فى سورة واحدة فدل ذلك على انه تعالى خص جانبى الوعد والرحمة بمزيد التأكيد وذلك يقتضى ترجيح الوعد على الوعيد والفائدة الثانية فى تكرارها ان الآيات المتقدمة انما نزلت فى سارق الدرع وقوله ومن يشاقق الرسول الخ الآية انما نزلت فى ارتداده لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه تعالى لما بين ان سارق الدرع هو طعمة حكم رسول الله عليه الصلاة والسلام على طعمة بالقطع فخاف على نفسه الفضيحة فهرب الى مكة ولحق بالمشركين فنزل قوله تعالى ومن يشاقق الرسول الآية فهذه الآية انما يحسن اتصالها بما قبلها لوكان المراد ذلك السارق واعلم انه لولم يرتد عن الاسلام لماصار محروما من رحمة الله وغفرانه لكنه لما ارتد واشرك بالله صار محروما منها قطعا لموته على الشرك ثم انه تعالى بين الفرق بين الشرك وغيره حتى صار ماسوى الشرك مغفورا سوآء حصلت التوبة اولم تحصل ولم يكن الشرك مغفورا الابالتوبة عنه بيان ان ضلال المشرك ضلال بعيد بخلاف ضلال غير المشرك فلذلك صار المشرك محروما من المغفرة ولم يصر غير المشرك محروما منها وختم الآية المتقدمة بقوله ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما وختم هذه الآية بقوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا لما ذكره من ان شأن اهل الكتاب وان كان التوحيد الا انهم يشركون بالله تعالى بقولهم المسيح ابن الله وقولهم عزير ابن الله وهذه الآية انما نزلت فى شأن

(ان يدعون من دونه الا اناثا) يعنى اللات والعزى ومنات ونحوها كان لكل حى صنم يعبدونه ويسمونه انثى بنى فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها كما قال

وما ذكر فان يسمن فانثى *
* شديد الأزم ليس له ضروس

فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمى قرادا فاذا كبر سمى حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهى جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد وأسد وأثنا بهما على قلب الواو لضمتها همزة (وان يدعون) وان يعبدون بعبادتها (الا شيطانا مريدا) لانه الذى امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته فى ذلك عبادة له والمارد والمريد الذى لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتى تناثر ورقها (لعنه الله) صفة ثانية للشيطان (وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) عطف عليه اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال فى الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافى الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغى ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهى افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك فى الضلال لا يعلق بشئ من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثانى انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه فى غاية العداوة والسعى فى اهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادة والمفروض المقطوع اى نصيبا قدر لى وفرض من قولهم فرض له فى العطاء

(ولأضلنهم) عن الحق (ولأمنينهم) الامانى الباطلة كطول الحياة وان لابعث ولا عقاب (ولآمرنهم فليبتكن اذان الانعام) يشقونها لتحريم

قوم مشركين لا كتاب لهم ولا علم عندهم فناسب وصفهم بالضلال ثم انه تعالى بين كون ضلالهم ضلالا بعيدا فقال ان يدعون من دونه الا اناثا الآية وكلمة ان ههنا بمعنى النفى كما فى قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويدعون بمعنى يعبدون لان من عبد شيأ فانه يدعوه عند احتياجه اليه قيل المراد بالاناث الاوثان وسميت اصنامهم اناثا لانهم كانوا يصورونها بصورة الاناث ويلبسونها انواع الحلل التى تتزين بها النساء ويسمونها غالبا باسماء المؤنثات نحو اللات والعزى ومنات والشئ قد يسمى انثى لتأنيث اسمه كما فى قول الشاعر

* وما ذكر فان يسمن فانثى * شديد الأزم ليس له ضروس *

والأزم الملازمة فانه جعل القراد انثى لتأنيث اسمه وهو حلمة الجوهرى الحلمة رأس الثدى والحلمة القراد العظيم **قوله اولانها كانت جمادات** عطف على قوله لتأنيث اسمائها اى سميت الاصنام اناثا لكونها جمادات لا روح لها قال مقاتل وقتادة والضحاك الا اناثا اى امواتا لا روح فيها والجماد يدعى انثى تشبيها له بها من حيث انه منفعل غير فاعل **قوله وقيل المراد الملائكة** عطف على قوله يعنى اللات فان من المشركين من يعبد الملائكة ويقول الملائكة بنات الله قال الله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى مع اعترافهم بان اناث كل شئ اخسه وارذله **قوله كرباب وربى** الربى على فعلى الشاة التى وضعت حديثا وجمعها رباب بالضم والمصدر رباب بالكسر وهو قرب العهد بالولادة تقول شاة ربى واعنز رباب كذا فى الصحاح وقول المصنف يدل على ان ربى تجمع على رباب بكسر الراء كما تجمع على رباب بالضم **قوله وانثا** اى بضم الهمزة والنون جمع انيث والانيث من الرجال المخنث الضعيف **قوله ووثنا بالتخفيف والتثقيل** اى بضم الواو ثم الثاء اما ساكن خفيف واما مضموم مثقل وكلاهما جمع وثن نحو اسد واسد **قوله واثنا بهما** اى بضم الهمزة وتخفيف الثاء او تثقيلها اصله وثن قلبت الواو همزة لضمها ضما لازما كما قلبت فى اجوه اصله وجوه واقتت اصله وقتت **قوله واصل التركيب للملاسة** وهى ضد الخشونة والصرح الممرد الذى لا يعلوه غبار والذى لا يعلق بخير املس منه فالمريد فعيل من مرد اى تجرد للشر والشجرة المرداء متجردة عن اوراقها والغلام الامرد متجرد الوجه عن الشعر والمارد والمريد بمعنى قيل كان فى كل واحد من تلك الاوثان شيطان يترا أى للسدنة والكهنة يكلمهم وقال الزجاج المراد بالشيطان ههنا ابليس بشهادة قوله تعالى بعد هذه الآية لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا وهو قول ابليس ولا يبعد ان الذى يترا أى للسدنة هو ابليس **قوله جامعا بين لعنة الله وهذا القول** فان الواو الواقعة بين الصفات انما تفيد مجرد الجمعية والنصيب المفروض لابليس كل من اطاعه فيما زين له من المعاصى والضلالة ووسوس ودعاه الى الباطل ولو كان له شئ من الضلالة سوى الدعاء اليها لاضل جميع الخلق كما قال عليه الصلاة والسلام فى حقه * خلق ابليس مزينا وليس له من الضلالة شئ * يعنى انه يزين للناس الباطل وركوب الشهوات ولا يخلق لهم الضلالة ثم انه يمنى الانسان بان يخيل له ادراك ما يتمناه من المال وطول العمر وقيل يمنيه اى يوهمه انه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وقيل بان يوهمه انه ينال فى الآخرة حظا وافرا من فضل الله ورحمته والبتك القطع والشق يقال بتكه اى قطعه وينقل الى بناء التفعيل للتكثير واجمع المفسرون على ان المراد به ههنا قطع آذان البحائر والسوائب والانعام الابل والبقر والغنم اى لأحملنهم على ان يقطعوا آذان هذه الاشياء ويحرموها على انفسهم بجعلها للاصنام وتسميتها بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا وكان اهل الجاهلية اذا أنتجت ناقة احدهم خمسة ابطن وكان آخرها ذكرا بحروا اذنها اى منعوا من ركوبها وحملها وذبحها ولم تطرد عن ماء ولا تمنع من مرعى واذا لقيها احد لم يركبها وقيل كانوا يفعلون ذلك بها اذا ولدت سبعة ابطن والسائبة المخلاة تذهب حيث شاءت وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة او يقول ان قدم غائبى من سفر او ان وصلت الى وطنى او ان ولدت امرأتى ذكرا او نحو ذلك فناقتى سائبة فكانت كالبحيرة وكذا من كثر ماله سيب واحدة منها شكرا وكانت لا ينتفع منها بشئ ولا تمنع من ماء ومرعى الى ان تموت فيشترك فى اكلها الرجال والنساء والوصيلة هى من الغنم اذا ولدت سبعة ابطن فان كان الولد السابع ذكرا ذبحوه لآلهتهم وكان طعمة للرجال دون النساء وان كان انثى كانوا يستعملونها وكانت بمنزلة سائر الغنم وان كان ذكرا وانثى قالوا ان الاخت وصلت اخاها فلا يذبحون اخاها من اجلها وجرت مجرى السائبة وكانت المنفعة للرجال دون النساء فهى فعيلة بمعنى فاعلة والحامى هو البعير الذى ولد ولده ولد ولده وقيل هو الفحل من الابل اذا ركب ولد ولده قالوا انه قد حمى ظهره فيهمل ولا يركب ولا يمنع عن الماء والمرعى واذا مات يأكله الرجال

و النساء و حذف ما تعلق به الامر فى قوله و لآمرنهم و الاحسن ان يقدّر المحذوف من جنس الملفوظ اى لآمرنهم بالتبتيك و لآمرنهم بالتغيير و هذه اللامات كلها للقسم ﴿قوله فقئ عين الحامى﴾ كانت العرب اذا بلغت ابل احدهم ألفا عوّروا عين فحلها و الفقئ القلع و الحامى الفحل الذى طال مكثه عندهم و الوشم ان يغرز الجلد بابرة ثم يحشى بكحل او نيلنج و هو دخان الشحم يعالج به الوشم حتى يخضرّ و الوشر ان تحدد المرأة اسنانها و ترققها تشبها بالشواب ﴿قوله و نحو ذلك﴾ كالتنمص و هو نتف شعر الوجه يقال تنمصت المرأة اذا تزينت بنتف شعر وجهها و حاجبها و جبينها و النامصة المرأة التى تزين النساء بالنمص و المنمص و المنماص المنقاش و قد لعن الله النامصة و المتنمصة و الواصلة و المستوصلة و الواشمة و المستوشمة و الواشرة و المستوشرة و الواصلة هى التى تصل الشعر و المستوصلة هى التى يفعل بها ذلك و يدخل فى التنمص نتف شعر العانة فان السنة حلق العانة و نتف الابط و السحق لكونه عبارة عن تشبيه الانثى بالذكر من قبيل تغيير خلق الله تعالى عن وجهه صفة و كذا التخنث لما فيه من تشبيه الذكر بالانثى و كذا اللواطة لما فيها من اقامة ما خلق لدفع الفضلات مقام موضع الحراثة و كذا عبادة الشمس و القمر و الكواكب و الحجارة فان عبادتها و ان لم تكن تغييرا لصورها لكنها تغيير لصفتها فان شيأ منها لم يخلق لان يعبد من دون الله و انما خلق لينتفع به العباد على الوجه الذى خلق لاجله و كذا الكفر بالله عز و جل و عصيانه فانه ايضا تغيير خلق الله تعالى عن وجهه صفة فانه تعالى فطر الخلق على استعمال التحلى بحلية الايمان و الطاعة و من كفر بالله و عصاه فقد ابطل ذلك الاستعمال و غير فطرة الله تعالى صفة و يؤيده قوله عليه السلام * كل مولود يولد على فطرة الاسلام فأبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه * و كذا استعمال الجوارح فى غير ما خلقت هى لاجله تغيير لها عن وجهها صفة ﴿قوله الجمل الاربع﴾ و هى قوله لاتخذنّ من عبادك نصيبا مفروضا و قوله و لاضلنهم و لامنينهم و لآمرنهم كل واحدة منها مقول للشيطان فلا يخلو من ان قالها بلسانه او فعلها ﴿قوله ما لا ينجزه و ما لا ينالون﴾ اشارة الى ان المفعول الثانى للوعد و التمنية محذوف للعلم به و هو ما لا ينجزه نحو طول العمر و العاقبة و نيل لذآئذ الدنيا من الجاه و المال و قضاء شهوات النفس و ما لا ينالون نحو لا بعث و لا حساب و لا جزآء و نيل المثوبات الاخروية من غير عمل ﴿قوله و هو اظهار النفع فيما فيه الضرر﴾ يعنى ان الغرور مصدر غرّه يغرّه بمعنى خدعه فيكون معناه اظهار ما يستحسن ظاهره و يحصل الندم عند انكشاف حقيقة الحال فيه و غرورا فى الآية منصوب على انه مفعول له اى ما يعدهم لشئ الا لاجل ان يغرّهم او على انه صفة مصدر محذوف اى الا وعدا ذا غرور او على انه مصدر على غير لفظ الفعل لانّ يعدهم فى قوة يغرّهم بوعده فان الشيطان يزين لهم المعاصى و اتباع الشهوات و يوهمهم التمكن من التوبة بناء على طول العمر و العاقبة فمن اغترّ بوعده و فتح باب اتباع الحظوظ العاجلة و اللذآئذ الفانية استحكم فيه خصلتان الحرص و طول الامل و من اشتد حرصه على الشئ لم يتأت له ان يصل اليه الا بمعصية الله و ايذآء خلق الله و لا يبالى بشئ منهما و لا يتركهما طوعا و رغبة و من اطال امله نسى الآخرة و استغرق فى طلب الدنيا و تحصيل طيباتها فلا يكاد يؤثر فيه الزواجر و المواعظ فيصير قلبه كالحجارة او اشدّ قسوة و من فطره الله تعالى مستعدّا لادراك الحق و قبوله و اتباعه فاغترّ بوعد الشيطان و اطاعه فقد غير فطرة قلبه و استحق سخط ربه و أليم عذابه فظهر ان ما وعده الشيطان و ألقاه اليه و ان كان ظاهره مستحسنا لذيذا الا ان عاقبته ضرر عظيم و هذا معنى الغرور * و اعلم ان العمدة فى اغوآء الشيطان ان يزين له زخارف الدنيا و يلقى الامانى فى قلب الانسان مثل ان يلقى فى قلبه انه سيطول عمره و ينال من الدنيا امله و مقصوده و يستولى على اعدآئه و سيحصل له ما تيسر لارباب المناصب و الاموال و كل ذلك غرور لانه ربما لا يطول عمره و ان طال فربما لا ينال امله و مطلوبه و ان طال عمره و وجد مطلوبه على احسن الوجوه فلابدّ ان يفارقه بالموت فيقع فى اعظم انواع الغم و الحسرة فان تعلق القلب بالمحبوب كلما كان اشدّ و اقوى كانت مفارقته اعظم تأثيرا فى حصول الغم و الحسرة فنبه سبحانه و تعالى على ان الشيطان انما يعد و يمنى لاجل ان يغرّ الانسان و يخدعه و يفوّت عنه اعز المطالب و انفع المآرب فالعاقل من لا يتبع وساوس الشيطان و لا يبتغى الا رضى الرحمن بالتمسك بكتابه العظيم و سنة رسوله الكريم و العمل بهما ليفوز فوزا عظيما و كفى بذلك نصيحة و قوله اولئك مبتدأ و مأواهم مبتدأ ثان و جهنم خبره و الجملة خبر الاوّل و قوله عنها متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من محيصا لانه فى الاصل نكرة فلما قدّم عليها انتصب حالا و لا يجوز ان يتعلق بيجدون لانه لا يتعدّى بعن و لا بقوله محيصا لانه اما اسم مكان و هو لا يعمل مطلقا و اما مصدر

(و لآمرنهم فليغيرنّ خلق الله) عن وجهه صورة او صفة و يندرج فيه ما قيل من فقئ عين الحامى و خصاء العبيد و الوشم و الوشر و اللواط و السحق و نحو ذلك و عبادة الشمس و القمر و تغيير فطرة الله التى هى الاسلام و استعمال الجوارح و القوى فيما لا يعود على النفس كمالا و لا يوجب لها من الله زلفى و عموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا فى خصاء البهائم للحاجة و الجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا (و من يتخذ الشيطان وليا من دون الله) بايثاره ما يدعوه اليه على ما امره الله به و مجاوزته عن طاعة الله الى طاعته (فقد خسر خسرانا مبينا) اذ ضيع رأس ماله و بدّل مكانه من الجنة بمكانه من النار (يعدهم) ما لا ينجزه (و يمنيهم) ما لا ينالون (و ما يعدهم الشيطان الا غرورا) و هو اظهار النفع فيما فيه الضرر و هذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه (اولئك مأواهم جهنم و لا يجدون عنها محيصا) معدلا و مهربا من حاص يحيص اذا مال عن حق و عنها حال منه و ليس صلة له لانه اسم مكان و ان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله

(والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا) اى وعده وعدا وحق

ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التى قبله وعد والثانى مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره مابعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر (ومن اصدق من الله قيلا) جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة فى توكيده ترغيبا للعباد فى تحصيله (ليس بأمانيكم ولا امانى اهل الكتاب) اى ليس ما وعد الله من الثواب ينال بأمانيكم ايها المسلمون ولا بأمانى اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل روى ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اى ليس الامر بامانى المشركين وهو قولهم لاجنة ولا نار او قولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا امانى اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال (من يعمل سوأ يجز به) عاجلا وآجلا لما روى انها لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يارسول الله قال هو ذاك (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره فى دفع العذاب عنه (ومن يعمل من الصالحات) بعضها وشيأ منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها (من ذكر او انثى) فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان او من الصالحات اى كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فيه (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) بنقص شئ من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد عقاب العاصي

والمصدر لا يتقدم عليه معموله ﴿قوله فالاول مؤكد لنفسه﴾ لان الجملة التى تؤكد بالمصدر ان لم يكن لها محتمل غير المصدر الذى يؤكدها تكون نفس المصدر من حيث المعنى فيقال للمصدر مؤكد لنفسه كقولك له على الف درهم اعترافا فان مضمونه له على الف هو الاعتراف ولا محتمل له غير الاعتراف فيكون اعترافا تأكيدا لنفسه وكذا مضمون قوله تعالى والذين آمنوا سندخلهم جنات هو الوعد لان الوعد عبارة عن الاخبار بايصال المنفعة قبل وقوعها فيكون وعد الله تأكيدا لمضمون هذه الجملة ومضمونها يحتمل ان يكون حقا وان يكون باطلا لان الخبر من حيث انه خبر يحتمل الصدق والكذب فكان حقا تأكيدا لغيره كما فى قولك زيد قائم حقا يحتمل غير الحق ﴿قوله مؤكدة بليغة﴾ يعنى ان هذه الجملة الاستفهامية تأكيد ثالث بليغ اما انه تأكيد فلدلالته على حقية مقاله وصدقه فى جميع اخباره واما انه بليغ فلأن تصدير الكلام بمن الاستفهامية يدل على انكار ان يكون احد اصدق منه تعالى وانه تعالى اصدق من كل قائل ونبه على ان وعد الله تعالى اولى بالقبول وان وعد الشيطان تخييل محض ممتنع الوصول وفائدة هذه التأكيدات اظهار الفرق بين الوعدين وقيلا نصب على التمييز والقيل والقال مصدران كالقول ﴿قوله ليس ما وعد الله﴾ يريد ان ليس من الافعال الناقصة فلابد له من اسم يسند هو اليه ولما لم يذكر صريحا علم انه ضمير مستتر فيه وذكر فى مرجع ذلك الضمير احتمالين الاول انه الوعد المتقدم ذكره فى قوله وعد الله والثانى انه الايمان المفهوم من قوله والذين آمنوا وقوله ايها المسلمون بيان لكون خطاب امانيكم للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به واهل الكتاب وان كانوا يؤمنون به تعالى الا انهم لما ذكروا بالعطف على من ذكر بضمير الخطاب علم ان المراد بضمير الخطاب غير اهل الكتاب ممن آمن بالله تعالى فتعين انهم هم المسلمون فانهم لما تمنوا ان يغفرلهم جميع ذنوبهم من الصغائر والكبائر وتمنى اهل الكتاب ان لا يعذبهم الله ولا يدخلهم النار الا اياما معدودة لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فلا يعذبنا وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى خاطب الله تعالى المسلمين بان ما وعده الله من الثواب لا ينال بمجرد تمنيه بل هو منوط بالايمان والعمل الصالح وبأن الشأن ان من يعمل سوأ يجز به ﴿قوله ولكن ما وقر﴾ اى ما ثبت واستقر من الوقار وقيل وقر هنا بمعنى أثر من قولهم وقر فى الصخرة اذا أثر فيها ﴿قوله ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوأ يجز به﴾ يعنى انه جملة مستأنفة مؤكدة لحكم الجملة قبلها روى عن ابن عباس انه قال لما نزلت هذه الآية شقت على المؤمنين مشقة عظيمة قالوا يارسول الله وايّنا لم يعمل سوأ غيرك فكيف الجزاء فقال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة فمن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده اعشاره وقال الحسن هذه الآية نزلت فى الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغيرة والكبيرة والمؤمن يجزى باحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ثم قرأ ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا الآية ومما يدل على نزولها فى حق الكافر انه تعالى قال بعد هذه الآية ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة والمؤمن الذى اطاع سبعين سنة ثم شرب قطرة من الخمر لا يخرج عن كونه مؤمنا للدلائل الدالة على ان صاحب الكبيرة مؤمن فاذا لم يخرج به عن الايمان صدق عليه انه مؤمن قد عمل الصالحات فوجب القطع بانه يدخل الجنة بحكم هذه الآية فلما كان المؤمن الذى يكون صاحب كبيرة من اهل الجنة وجب ان يكون قوله من يعمل سوأ يجز به مخصوصا باهل الكفر على تقدير ان يكون الجزاء المذكور بقوله يجز به واصلا الى المسيئ يوم القيامة واما اذا وصل اليه فى دار الدنيا فلا اشكال قرأ الجمهور قوله تعالى ولا يجد له مجزوما بالعطف على جواب الشرط واستدل المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة فاجيبوا بوجهين احدهما مامرّ من ان هذه الآية فى حق الكفار والثانى ان شفاعة الانبياء والملائكة انما تكون باذن الله واذا كان كذلك فلا ولى لاحد ولا نصير الا الله سبحانه وتعالى ﴿قوله لا اعتداد به دونه فيه﴾ اى لا اعتداد بالعمل دون الايمان فى استدعاء الثواب المذكور ﴿قوله واذا لم ينقص ثواب المطيع الخ﴾ جواب عما يقال لم خص عمال الصالحات بانهم لا يظلمون مع ان غيرهم كذلك كما قال وما ربك بظلام للعبيد وما الله يريد ظلما للعباد وتقرير الجواب انه تعالى اقتصر على ذكر انه لا يظلم الصالحين بنقص استغناء بذكره عن ذكر انه لا يظلم المسيئين بازدياد عقابهم لدلالة الاول عليه فان الثواب فضل والعقاب عدل وكون المجازى ارحم الراحمين اذا كان مانعا من نقص ما هو من قبيل الفضل فبالحرى ان يكون مانعا من ترك العدل بازدياد العقاب ﴿قوله وفى هذا الاستفهام تنبيه على ان

لان المجازى ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويدخلون الجنة هنا وفى غافر ومريم

بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء (ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله) اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له فى السجود وفى هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ماتبلغه القوة البشرية (وهو محسن) آت بالحسنات تارك للسيئات (واتبع ملة ابراهيم) الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها (حنيفا) مائلا عن سائر الاديان الى دين الاسلام وهو حال من المتبع او من الملة او ابراهيم (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما لشأنه وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق فى الرمل فانهما يترافقان فى الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان فى الخصال والجملة استئناف جيئ بها للترغيب فى اتباع ملته صلى الله عليه وسلم والايذان بانه نهاية فى الحسن وغاية كمال البشر روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر فى ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا مااصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت من خليلك المصرى فقال بل هو من عند خليلى الله عزوجل فسماه الله خليلا (ولله مافى السموات ومافى الارض) خلقا وملكا يختار منهما من يشاء ومايشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال (وكان الله بكل شئ محيطا) احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها (ويستفتونك فى النساء) فى ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانا كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة (توريث)

ذلك منتهى ماتبلغه القوة البشرية ﴾ وذلك لان دين الاسلام مبنى على امرين الاعتقاد والعمل فالله تعالى اشار الى الاول بقوله اسلم وجهه لله والوجه لكونه احسن اعضاء الانسان عبر به عن نفسه فكأنه قيل ليس احد احسن دينا ممن عرف ربه واقر بربوبيته واخلص نفسه فى عبوديتها لربه بأن لا ينقاد ولا يخضع لغيره ولا يتعلق قلبه بشئ من الاشياء الا ابتغاء لوجه ربه واشار الى الثانى بقوله وهو محسن اى فى الانقياد لربه بأن يكون آتيا بجميع مايكلفه به على وجه الاذلال والخشوع كما قال عليه الصلاة والسلام * الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك * ومن تأمل فى هذه الجملة الاستفهامية على اختصارها أيقن باحتوائها على منتهى مايبلغ اليه القوة البشرية فى جميع المقاصد المتعلقة بالدين فالله سبحانه لما ذكر فى الآية المتقدمة ان الفوز بالجنة والسعادة الابدية منوط بالاشتغال بالاعمال الصالحة حال كونه مؤمنا بقلبه أتى على هذه الطريقة فى هذه الآية وشهد بكونها فى غاية الحسن والكمال ذكر انها هى الطريقة التى كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام عليها وقد اتفق اهل الاديان جميعا من اهل الكتاب وغيرهم على صحة طريقة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فان شرع ابراهيم مقبول عند الكل فان العرب لا يفتخرون بشئ كافتخارهم بالانتساب الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام واما اليهود والنصارى فلا شك فى كونهم مفتخرين به واذا ثبت هذا لزم ان يكون شرع محمد عليه الصلاة والسلام مقبولا عند الكل وملة ابراهيم داخلة فى ملتنا وفى ملتنا زيادة على ملة ابراهيم فمن اتبع ملة الاسلام فقد اتبع ملة ابراهيم وقد اشتهر ان الملة والدين متحدان بالذات ﴿ قوله روى ﴾ وروى ايضا فى سبب كون ابراهيم عليه الصلاة والسلام ملقبا بهذا اللقب الشريف انه هبط عليه ملك فى صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجى فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذكره مرة اخرى فقال لا اذكره مجانا فقال لك مالى كله فذكره الملك بصوت اشجى من الاول فقال اذكره مرة ثالثة ولك اولادى فقال الملك ابشر فانى ملك لا احتاج الى مالك وولدك وانما كان المقصود امتحانك فلما بذل المال والاولاد على سماع ذكر الله تعالى لاجرم اتخذه الله خليلا وروى ايضا ان جبريل والملائكة لما دخلوا على ابراهيم فى صورة غلمان حسان الوجوه ظن الخليل انهم اضيافه فذبح عجلا سمينا وقربه اليهم وقال كلوا على شرط ان تسموا الله فى اوله وتحمدوه فى آخره فقال جبريل انت خليل الله فنزل هذا الوصف قال بعض النصارى لما جاز اطلاق اسم الخليل على انسان معين على سبيل الاعزاز والتشريف فلم لا يجوز اطلاق الابن فى حق عيسى على سبيل الاعزاز والتشريف * والجواب ان كونه خليلا عبارة عن المحبة المفرطة وذلك لا يقتضى الجنسية واما الابن فانه مشعر بالجنسية وجل الاله عن مجانسة الممكنات ومشابهة المحدثات ثم كونه عليه الصلاة والسلام خليل الله لما اوهم الجنسية والمشابهة ازال الله تعالى هذا الوهم بقوله ولله مافى السموات ومافى الارض الآية فان من كان شأنه هذا كيف يعقل ان يجانسه احد ويتخذ خليلا لاحتياجه اليه فى شئ من الامور كما تكون خلة الآدميين لذلك وانما اتخذه خليلا بمحض الفضل والاحسان والكرم على حسب تعلق ارادته ومشيئته فالجملة مستأنفة لدفع هذا الوهم الناشئ من قوله واتخذ الله ابراهيم خليلا والمصنف اشار بقوله يختار منهما من يشاء ومايشاء الى انها مستأنفة متصلة به بوجه آخر وهو كونه جوابا لما يقال لم خص الله تعالى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالخلة وله عباد مكرمون غيره وعطف عليه قوله وقيل هو متصل بذكر العمال بقوله وعملوا الصالحات وبقوله ومن يعمل من الصالحات الآية وبين ان وجه اتصاله به امران الاول تقرير وجوب طاعته من اهل السموات والارض فان موجد الكائنات باسرها يكون ملكا مطاعا على الاطلاق فيجب على كل عاقل طاعته والثانى تقرير كمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال فان اثابة اهل الطاعة وعقاب العصاة وان توقف على احاطة علمه بتفاصيل الاعمال وكمال قدرته على المجازاة على حسب الاعمال الصالحة والسيئة الا ان من قدر على ايجاد جميع الكائنات من الاعيان والاعراض كيف يتوهم فى حقه ان لا يحيط علمه بتفاصيل الاعمال وان لا يقدر على المجازاة على حسبها ﴿ قوله احاطة علم وقدرة ﴾ دل بقوله لله مافى السموات ومافى الارض على احاطة قدرته بكل مافى السموات والارض ثم افاد بقوله وكان الله بكل شئ محيطا ان كل واحد من علمه وقدرته محيط بجميع مايكون داخلا فيهما ومايكون خارجا عنهما ومغاير لهما مما لا نهاية له من المقدورات الخارجة عن هذه السموات والارضين ﴿ قوله فى ميراثهن ﴾ يريد ان الاستفتاء لا يقع عن ذوات النساء وانما يقع عن حالة من احوالهن وتلك الحالة لما لم تكن مذكورة فى الآية وجب المصير فى تعيين المراد الى اتباع القرينة والقرينة ههنا سبب النزول والمعنى يطلبون منك الفتوى فى حق

فيكون الافتاء مسندا الى الله تعالى والى مافى القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغنانى زيد وعطاؤه

او استئناف معترض لتعظيم المتلوّ عليهم على ان ماتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ماتلى عليكم او يخفض على القسم كأنه قيل اقسم بماتلى عليكم فى الكتاب ولايجوز عطفه على المجرور فى فيهنّ لاختلاله لفظا ومعنى (فى يتامى النساء) صلة يتلى ان عطف الموصول على ماقبله اى يتلى عليكم فى شأنهنّ والافبدل من فيهنّ او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهنّ بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم فى زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه وقرئ ييامى بياءين على انه ايامى فقلبت همزته ياء (اللاتى لاتؤتونهنّ ماكتب لهنّ) اى فرض لهنّ من الميراث (وترغبون ان تنكحوهنّ) فى ان تنكحوهنّ اوعن ان تنكحوهنّ فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهنّ ان كنّ جميلات ويأكلون مالهنّ والا كانوا يعضلونهنّ طمعا فى ميراثهنّ والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذلا يلزم من الرغبة فى نكاحها جريان العقد فى صغرها (والمستضعفين من الولدان) عطف على يتامى النساء والعرب ماكانوا يورّثونهم كما لايورّثون النساء (وان تقوموا لليتامى بالقسط) ايضا عطف عليه اى ويفتيكم او ماتلى فى ان تقوموا هذا اذا جعلت فى يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبها عطفا على موضع فيهنّ ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اى يأمركم ان تقوموا وهو خطاب للأئمة فى ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم اوللقوّام بالنصفة فى شأنهم (وماتفعلوا من خير فان الله كان به عليما) وعدلن آثر الخير فى ذلك (وان امرأة خافت من بعلها) توقعت منه لما ظهرلها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر (نشوزا) تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها (اواعراضا) بان يقل مجالستها ومحادثتها

(فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا) ان تصالحا بان يحط له بعض المهر او القسم اوتهب له شيأ تستميله به

لا (١٠)

توريث النساء ﴿قوله وساغ للفصل﴾ اى جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير تأكيده بمنفصل للفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالمفعول وبالجار والمجرور مع ان الفصل باحدهما كاف كأنه قيل يفتيكم الله وكلامه كما يقال اعجبنى زيد وكرمه واغنانى زيد وعطاؤه فان المسند اليه بالحقيقة شئ واحد فى الجميع وهو المعطوف عليه الا انه عطف عليه شئ من الاحوال للدلالة على ان الفعل انما قام بذلك الفاعل باعتبار اتصافه بتلك الحالة ﴿قوله او استئناف معترض﴾ اى بين البدل والمبدل منه فان قوله فى يتامى النساء بدل من فيهنّ وفائدة الاخبار بان المتلوّ الذى هو من القرآن مثبت فى اللوح تعظيم المتلوّ ورفع شأنه كقوله تعالى وانه فى ام الكتاب لدينا لعلىّ حكيم ﴿قوله لاختلاله لفظا ومعنى﴾ امامن حيث اللفظ فلانه عطف على المضمر المجرور من غير اعادة الجار وهو رأى الكوفيين وامامن حيث المعنى فلأن قوله فيهنّ معناه فى حقهنّ فلو كان ماتلى معطوفا عليه لكان المعنى يفتيكم فى حق توريث النساء وفى حق ماتلى عليكم وليس بسديد ﴿قوله صلة يتلى﴾ كما ان فى الكتاب متعلق به ايضا * فان قيل كيف يجوز تعلق حرفى جر بلفظ واحد ومعنى واحد بعامل واحد * فالجواب ان معناهما مختلف لان الاولى للظرفية على بابها والثانية بمعنى الباء السببية كما تقول جئتك فى يوم الجمعة فى امر زيد ﴿قوله والافبدل﴾ اى وان لم يعطف الموصول على ماقبله بان جعل مبتدأ وفى الكتاب خبره يكون قوله فى يتامى النساء بدلا من فيهنّ بدل البعض من الكل باعادة الخافض على تقدير ان يكون الخافض فى الموضعين بمعنى واحد وهو الظرفية اويكون صلة اخرى ليفتيكم على تقدير ان تكون الاولى للظرفية والثانية بمعنى باء السببية كيلا يتعلق حرفا جر بلفظ واحد ومعنى واحد بعامل واحد ﴿قوله وقرئ ييامى بياءين﴾ اى من تحت والجمهور على ان يتامى جمع يتيمة وان قرئ ييامى يكون اصله ايامى جمع ايم على وزن فيعل فابدلت همزة ايامى ياء فان الهمزة كما تبدل من الياء فيقال قطع الله أده يريدون يده فكذلك تبدل الياء من الهمزة فيقال ييامى فى جمع ايم جمع التكسير على ايايم كسيد وسيايد ثم قلبت اللام الى موضع العين والعين الى موضع اللام فصار ايامى ثم ابدلت كسرة الميم فتحة للتخفيف فصار ايامى فقلبت الياء الاخيرة الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها فصار ايامى ﴿قوله فى ان تنكحوهنّ او عن﴾ يعنى ان قوله تعالى ان تنكحوهنّ محمول على حذف حرف الجرّ فقيل ذلك الحرف هى كلمة فى اى ترغبون فى نكاحهنّ لجمالهنّ ومالهنّ وقيل هى كلمة عن اى ترغبون عن نكاحهنّ لقبحهنّ وفقرهنّ فان كانت اليتيمة جميلة موسرة رغب وليها فى تزويجها والا رغب عنها * فان قيل قد ذكر النحاة ان حرف الجرّ يجوز حذفه مع ان وان شائعا مطردا بشرط أمن اللبس اى بشرط ان يكون الحرف متعينا نحو عجبت ان تقوم اى من ان تقوم واما اذا التبس المراد بان لايكون الحرف متعينا فلايجوز حذفه والآية من هذا القبيل * فالجواب ان كل واحد من المعنيين صالح للارادة ههنا ويدل عليه ماذكر فى سبب النزول فصار كل واحد من الحرفين مرادا على سبيل البدل بحسب اقتضاء المقام وشهادة الحال ﴿قوله والواو يحتمل الحال﴾ اى من فاعل تؤتونهنّ اى لاتؤتونهنّ واللاتى ترغبون ان تنكحوهنّ ويحتمل العطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية اى اللاتى لاتؤتونهنّ واللاتى ترغبون ان تنكحوهنّ ويحتمل العطف على الفعل المنفى بلا اى لاتؤتونهنّ ولاترغبون ﴿قوله وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة﴾ يعنى ان الحنفية احتجوا بهذه الآية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة ولاحجة لهم فيها لاحتمال ان يكون المراد وترغبون ان تنكحوهنّ باذنهنّ اذا بلغن ولانه ليس فى الآية اكثر من ذكر رغبة الاولياء فى نكاح اليتيمة ولايدل ذلك على الجواز ﴿قوله توقعت منه لما ظهر لها من المخايل﴾ قولية كانت مثل ان يقول الرجل لامرأته انك دميمة او قبيحة وانا اريد ان اتزوج شابة جميلة او فعلية مثل ان يعرض عنها ويعبس فى وجهها ويترك قربانها ويسئ عشرتها ﴿قوله وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر﴾ لا بنفس الظاهر لاشتغاله عنها ولايجوز رفعها بالابتداء لان اداة الشرط لايليها الا الفعل عند جمهور البصريين والتقدير وان خافت امرأة ونحوه وان احد من المشركين استجارك وان امرؤ هلك وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ونشوز كل واحد من الزوجين كراهته صاحبه وترفعه عليه لعدم رضاه من النشز وهو ماارتفع من الارض والنشوز لاستلزامه الترفع والتعدّى والاطالة يستلزم الاعراض من غير عكس لان الاعراض يتحقق بمجرد تقليل المحادثة والمؤانسة لا لبعض الاسباب كطعن سنّ ودمامة وتعلق القلب باخرى قال الامام المراد بالنشوز اظهار الخشونة فى القول او الفعل او فيهما والمراد بالاعراض السكوت عن الخير والشر والمداعاة والايذاء ﴿قوله ان تصالحا﴾ يريد ان يصالحا بتشديد الصاد

وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه اوعلى المصدر كما في القرآءة الاولى والمفعول بينهما اوهو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح (والصلح خير) من الفرقة وسوء العشرة اومن الخصومة ولايجوز ان يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعـتراض وكذا قوله (وأحضرت الانفس الشح) ولذلك اغتفر عدم تجانسها والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلاتكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولاالرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ماينبغي اذا كرهها او احب غيرها (وان تحسنوا) في العشرة (وتتقوا) النشوز والاعراض ونقص الحق (فان الله كان بما تعلمون) من الاحسان والخصومة (خبيرا) عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) لان العدل ان لايقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك (ولو حرصتم) على تحري ذلك وبالغتم فيه (فلا تميلوا كل الميل) بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان مالايدرك كله لايترك كله (فتذروها كالمعلقة) التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل (وان تصلحوا) ما كنتم تفسدون من امورهن (وتتقوا) فيما يستقبل من الزمان (فان الله كان غفورا رحيما) يغفر لكم مامضى من ميلكم

بعدها الف اصله يتصالحا فابدلت التاء صادا وادغمت للتخفيف وهي قرآءة الكوفيين من السبعة قيل نزلت الآية في ام المؤمنين سودة بنت زمعة حين اراد النبي عليه السلام ان يطلقها فالتمست ان يمسكها ويجعل نوبتها لعائشة رضي الله عنها لما عرفت مكان عائشة من قلبه عليه السلام فاجازه النبي عليه السلام ولم يطلقها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابي السائب كانت له زوجة له منها اولاد وكانت قبيحة فهم بطلاقها فقالت لاتطلقني دعني حتى اشتغل بمصالح اولادي واقسم لي في كل شهر ليالي قليلة فقال الزوج ان كان الامر كذلك فهو اصلح لي وروي عن عائشة رضي الله عنها انها نزلت في امرأة كانت عند رجل واراد الرجل ان يستبدل بها غيرها فقالت امسكني وتزوج بغيري وانت في حل من النفقة والقسم ﴿قوله وعلى هذا﴾ اي على قرآءة الكوفيين جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به على ان يكون الصلح اسما للشئ المصالح عليه كالعطاء بمعنى المعطى والنبات بمعنى المنبت وعلى قرآءة يصالحا لايجوز كونه مفعولا به لان التصالح لايتعدى الى المفعول به بل يكون منصوبا على المصدرية لكونه مصدرا وانما موقع تصالحا على حذف الزوائد وبعضهم يعبر عنه باسم المصدر كالنبات والعطاء وان جعل صلحا منصوبا على المصدرية في قرآءة الكوفيين ففي المفعول به على هذا وجهان احدهما انه بينهما اتسع في الظرف فجعل مفعولا به وثانيهما انه محذوف وبينهما ظرف او حال من صلحا فانه صفة له في الاصل اي لاجناح عليهما ان يصلحا حالهما اصلاحا حال كونه واقعا بينهما ﴿قوله وقرئ يصلحا﴾ اي بتشديد الصاد من غير الف بعدها اصله يصطلحا على وزن يفتعلا فقلبت تاء افتعل طاء لما تقرر في الصرف من ان تاء الافتعال يجب قلبها طاء اذا وقعت بعد الاحرف الاربعة ثم ابدلت الطاء صادا لما تقرر في الصرف فادغمت الصاد في الصاد فصار يصلحا ﴿قوله خير من الفرقة وسوء العشرة﴾ اشارة الى ان تعريف الصلح للاشارة الى المعهود السابق وهو الصلح الواقع بين الزوجين والى ان الخير اسم تفضيل والمفضل عليه محذوف ويجوز ان لايراد به التفضيل بل يراد انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور ﴿قوله وهو اعتراض وكذا مابعده﴾ عن ابي حيان انه قال لعل وجه الاعتراض ان قوله تعالى وان يتفرقا معطوف على قوله فلاجناح فجاءت الجملتان بينهما اعتراضا وفيه نظر فان بعد هاتين الجملتين جملا اخر فكان حق العبارة حينئذ ان يقال ان تلك الجمل باسرها اعتراض وان لايخص والصلح خير واحضرت الانفس بذلك بل المراد انهما معترضتان بين قوله وان امرأة وقوله وان تحسنوا فانهما شرطان متعاطفان بدليل ماذكر في تفسير الشرط الثاني فانه ذكر كونه معطوفا على الاول ﴿قوله ومعنى احضار الانفس الشح﴾ اشارة الى ان احضر يتعدى الى مفعولين اقيم اولهما وهو الانفس مقام الفاعل وانتصب الآخر فان حضر يتعدى الى مفعول واحد يقال حضر زيد الطعام فيتعدى بالهمزة الى مفعول ثان فيقال احضرته الطعام واحضر الله الانفس الشح فلما بني للمفعول اقيم مفعوله الاول مقام الفاعل وكان المعنى جبلت الانفس على الشح فكانت بحيث لاتنفك عنه والشح البخل مع حرص فهو اخص من البخل وقيل الشح اقبح البخل تقول شححت بالكسر تشح بالفتح من باب علم وشححت تشح وتشح من بابي نصر وضرب نقل عن القرطبي انه قال هذه الآية اخبار بأن الشح حاصل في كل احد وان الانسان لابد وان يشح بحكم خلقته وجبلته حتى يحمل صاحبه على مايكره والمراد به ههنا حرص كل احد من الزوجين بماله على صاحبه وحق المرأة على الزوج المهر والنفقة والقسم فانها تقدر على طلب هذه الثلاثة من الزوج شاء او ابى ثم انها تشح ببذل شئ من هذه الحقوق لزوجها وكذا يشح ولايسمح بأن يجامعها ويقضي عمره معها بحسن المعاشرة مع دمامة وجهها وكبر سنها وعدم حصول اللذة بمجالستها فقوله وان تحسنوا خطاب للازواج والمعنى وان تحسنوا بامساككهن بالمعروف وحسن المعاشرة مع عدم موافقتهن لطباعكم وتتقوا ظلمهن بالنشوز والاعراض فالله تعالى يثيبكم عليه وقيل انه خطاب لغير الازواج والمعنى وان تحسنوا في الصلح بينهما وتتقوا الميل الى واحد منهما الخ روي ان رجلا من ادم بني آدم كانت له امرأة من اجلهن فنظرت اليه يوما فقالت الحمد لله فقال زوجها مالك فقالت حمدت الله على اني وانك من اهل الجنة لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله بالجنة الصابرين والشاكرين ﴿قوله تعالى كل الميل﴾ نصب على المصدرية لان لفظ كل في حكم مايضاف اليه ان اضيف الى مصدر كان مصدرا وان اضيف الى ظرف او نحوه كان كذلك وقوله فتذروها اما منصوب باضمار ان في جواب النهي او مجزوم عطفا على الفعل قبله اي فلاتذروها فعلى الوجه الاول يكون النهي عن الجمع بينهما وعلى الثاني يكون عن كل واحد على حدة وهو ابلغ وقوله كالمعلقة حال من هاء فتذروها فيتعلق بمحذوف والمعلقة هي المرأة التي لاتكون

قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او بأوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص (واياكم) عطف على الذين (ان اتقوا الله) بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية فى معنى القول (وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض) على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله (وكان الله غنيا) عن الخلق وعبادتهم (حميدا) فى ذاته حمد اولم يحمد (ولله ما فى السموات وما فى الارض) ذكره

ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا (وكفى بالله وكيلا) راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك (ان يشأ يذهبكم ايها الناس) يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب (ويأت بآخرين) ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس (وكان الله على ذلك) من الاعدام والايجاد (قديرا) بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يجاهد للغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فماله يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله فى الآخرة ما هى فى جنبه كلاشئ او فعند الله ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه الآية (وكان الله سميعا بصيرا) عارفا بالاغراض فيجازى كلا بحسب قصده (يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط) مواظبين على العدل مجتهدين فى اقامته (شهداء لله) بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال (ولو على انفسكم) ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره (او الوالدين والاقربين) ولو كانت على والديكم واقاربكم (ان يكن) اى المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له (غنيا او فقيرا) فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما (فالله اولى بهما) بالغنى والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير فى بهما راجع لما دل عليه المذكور وهو جنسا الغنى والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل (وان تلووا) ألسنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل قرأ نافع وابن كثير وابو بكر وابو عمرو وعاصم والكسائى باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فأديتموها (او تعرضوا) عن ادائها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم عليه (يا ايها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين او المنافقين او لمؤمنى اهل الكتاب

ايما فتزوج ولا ذات بعل يحسن عشرتها كالشئ المعلق الذى لا يكون فى الارض ولا فى السماء ﴿قوله بدل﴾ بان يغنى الله المرأة بزوج آخر والزوج بامرأة اخرى ﴿قوله او سلو﴾ مصدر سلوت عنه اى زالت حرارة محبته من قلبى وانكشف عنى هم عشقه ﴿قوله بان اتقوا الله﴾ على ان تكون ان مصدرية على حذف حرف الجر يقال وصيتك ان افعل كذا كما يقال امرتك ان ائت زيدا قال الله تعالى وامرت ان اكون اول من اسلم وقال انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة ووجه كونها مفسرة ظاهر لوقوعها بعد ما هو فى معنى القول ﴿قوله على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم﴾ فيكون الفعل المقدر معطوفا على قوله وصينا كقوله علفتها تبنا وماء باردا فى ابقاء العاطف وحذف المعطوف واحتيج الى تقدير القول اذ لا يجوز كون الجملة الشرطية داخلة فى حيز الوصية بان تكون معطوفة على قوله اتقوا لان الجملة الشرطية لا يصح ان تقع بعد ان المصدرية ولا المفسرة فلا يصح عطفها على ما وقع بعد احداهما فقول صاحب الكشاف وقوله تعالى وان تكفروا فان لله عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الخ لا يخلو عن تدافع لان تقدير القول مع جعل الشرطية معطوفة على اتقوا متنافيان فلا بد له من توجيه ﴿قوله ذكره ثالثا الخ﴾ يعنى انه وان كان من حيث اللفظ والصورة تكرارا الا ان كل واحد منها له معنى فى موقعه غير معنى الآخر فان الاول متصل بقوله وكان الله واسعا حكيما ذكر بعده للتنبيه على كمال سعته وكونه متقنا فى افعاله واحكامه والثانى ذكر جزاء للشرط المذكور قبله وهو قوله وان تكفروا لبيان ان ضرر كفرهم لا يتعداهم وانه تعالى منزه عن ان يتضرر بكفر عباده وان ينتفع بشكرهم والثالث متصل بقوله وكان الله غنيا حميدا مقرر لمضمونه ﴿قوله وما بينهما تقرير لذلك﴾ فان قوله وكان الله واسعا حكيما تقرير له وقوله ولقد وصينا الآية تقرير لكونه حكيما متقنا فى افعاله واحكامه فيكون فى تتمة ما ذكر تقريرا لمضمون قوله يغنى الله كلا من سعته ﴿قوله ويوجد قوما آخرين﴾ اى من الانس بقرينة عطف ما بعده عليه والحاصل ان قوله آخرين صفة لموصوف محذوف وذلك الموصوف من جنس المذكور قبله اى بناس آخرين ان جعل الخطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب او من غير الجنس المذكور قبله ان كان الخطاب والوعيد لجميع بنى آدم تقبيحا لاهل الطاعة منهم وتهديد العصاة كأنه قيل ايها الناس لازموا طاعة ربكم فانكم ان عصيتموه فانه قادر على اعدامكم بالكلية وايجاد قوم من غير جنسكم يعبدونه ولا يعصونه قط ﴿قوله عارفا بالاغراض﴾ اى يعرف من كلامهم ما يدل على انهم ما يطلبون من الجهاد سوى الغنيمة ومن افعالهم ما يدل على انهم لا يسعون فى الجهاد الا عند توقع الفوز بالغنيمة ﴿قوله او حال﴾ اى من الضمير المستكن فى قوامين فان قيل هذا الوجه يستلزم ان يكون الامر بكونهم قوامين بالعدل مقيدا بحال الشهادة وهم مأمورون بذلك مطلقا فالجواب ان المراد بالعدل حال الشهادة العدل فى ادائها بان يؤديها سالما من الميل الى احد الخصمين ولا يؤديها الا لمجرد اظهار الحق واحيائه ﴿قوله والا لوحد﴾ اى لو كان ضمير بهما راجعا الى الغنى والفقير المذكورين لوجب ان يوحد لان احد الشيئين اذا عطف على الآخر بكلمة او كان حق الضمير الراجع الى المذكور ان يوحد لرجوعه الى احدهما تقول زيد او عمرو اكرمته ولو قلت اكرمتهما لم يجز فلما ثنى الضمير فى الآية قيل فى توجيهه انه ليس براجع الى غنيا او فقيرا المذكورين بل الى جنس الغنى وجنس الفقير المدلول عليهما بقوله غنيا او فقيرا اذ لا شك ان غنيا يدل على جنس الغنى وفقيرا يدل على جنس الفقير ومعنى ان الله اولى بجنس الغنى والفقير انه اولى بجميع الاغنياء والفقراء ويدل عليه قراءة ابى فالله اولى بهم اى بالاغنياء والفقراء ﴿قوله لأن تعدلوا﴾ بحذف لام العلة علل اتباع الهوى بالعدول عن الحق تنبيها على ان اتباع الحق لا يجامع اتباع الهوى لانهما متنافيان وان اتباع احدهما لا يتأتى الا بمخالفة الآخر ﴿قوله او كراهة ان تعدلوا﴾ على ان تعدلوا فى محل النصب على انه مفعول له للفعل المنهى عنه ﴿قوله تعالى وان تلووا﴾ بلام ساكنة وواوين بعدها ولامها مضمومة من لوى يلوى ليا وهى قراءة من عدا حمزة وابن عامر فانهما قرأ انلوا بلام مضمومة بعدها واو ساكنة من الولاية اصله توليوا حذفت الواو الاولى كما فى تعدوا ثم سلبت ضمة الياء استثقالا لها على الياء فحذفت الياء لاجتماع الساكنين ثم ضمت اللام لاجل واو الضمير فصار تلوا وولاية الشئ عبارة عن الاقبال عليه والاشتغال به وعدم الاعراض عنه والمعنى وان تقبلوا على الشهادة بالحق او تعرضوا عنها فالله تعالى يجازيكم على حسب عملكم ﴿قوله خطاب للمسلمين﴾ لما كان ظاهر الآية مشعرا بكونها امرا بتحصيل الحاصل ولا شك انه محال فسر الآية بوجوه يندفع ذلك الوهم بكل تفسير منها الاول ان الخطاب

للمسلمين لان لفظ الذين آمنوا عند الاطلاق لايتناول غير المسلمين ومعنى امرهم بالايمان ان يدوموا ويثبتوا عليه كأنه قيل ياايها الذين آمنوا فى الماضى والحاضر آمنوا فى المستقبل ونظيره قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله مع انه كان عالما بذلك والثانى ان الخطاب للمنافقين والمعنى ياايها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب والثالث ان الخطاب لمؤمنى اهل الكتاب ومعنى امرهم بالايمان ان يؤمنوا بجميع مايجب الايمان به من الكتب والرسل ولا يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه قرأ نافع والكوفيون والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل على بناء نزل وانزل للفاعل وهو الله عز وجل وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو على بنائهما للمفعول والقائم مقام الفاعل ضمير الكتاب ﴿قوله والثانى الجنس﴾ اى من حيث تحققه فى ضمن جميع افراد الكتب السماوية على طريق التعميم بعد التخصيص كأنه قيل آمنوا بالقرآن وبجميع الكتب الالهية ﴿قوله اى ومن يكفر بشئ من ذلك﴾ لماذكرت الامور الخمسة الواقعة بعد قوله ومن يكفر متعاطفة بالواو كان لمتوهم ان يقول الضلال البعيد انما هو لمن يكفر بجميع هذه الامور والكفر ببعضها دون بعض لايوجب الضلال اشار المصنف الى دفع هذا الوهم بان جعل كلمة الواو بمعنى او للدلالة على احد الشيئين او الاشياء وذلك لان الكفر ضدّ الايمان فيتحقق عند انقطاع الايمان ولاشك ان الايمان انما يتحقق بالتصديق بجميع مايجب الايمان به ومتى لم يصدّق المكلف بشئ من ذلك ينسلب عنه الايمان فيكون كافرا ضالا عن المقصد ضلالا بعيدا ﴿قوله اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر﴾ يعنى ان المراد بقوله لم يكن الله ليغفر لهم استبعاد ان يصدر منهم ماهو شرط المغفرة بناء على ان تكرّر الكفر منهم بعد الايمان مرّات يدل على انه لاوقع للايمان فى قلوبهم اذ لو كان للايمان وقع فى قلوبهم لماتركوه بادنى سبب ومن كان كذلك فالظاهر انه لايؤمن ايمانا صحيحا ومعلوم ان ذنب الكفر لايغفر مادام على الكفر كما ان الفاسق الذى يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع فانه لايكاد يرجى منه الثبات على التوبة والغالب انه يموت على الفسق فكذا من تكرّر منه الارتداد واصرّ على كفره فان الظاهر من حاله انه يموت كافرا فكيف يغفر له ﴿قوله لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم﴾ فان اكثر اهل العلم على قبول توبة الكافر وان تكرّر منه الارتداد وروى عن على رضى الله عنه انه لاتقبل توبته بل يجب ان يقتل لقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم ﴿قوله وخبر كان فى امثال ذلك﴾ المراد بامثاله كل منفى واقع بعد لام الجحود وهى لام ينتصب الفعل بعدها باضمار ان فينسبك منها ومن الفعل المنصوب بها مصدر مجرّ بهذه اللام المتعلقة بالخبر المحذوف لكان والتقدير لم يكن الله مريدا لمغفرتهم وتقرير قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم وما كان الله مريدا لاضاعة ايمانكم اى عملكم والفرق بين لام كى ولام الجحود ان شرط لام الجحود ان يتقدمها كون منفى وشرط بعضهم مع ذلك ان يكون ذلك الكون المنفى ماضيا وهذا الشرط غير معتبر فى لام كى وهذا الذى ذكرناه هو قول البصريين وقال الكوفيون هذه اللام مع مابعدها فى محل النصب على انها خبر كان ولا يقدر لكان خبر محذوف والفعل المنصوب بعد هذه اللام منصوب بنفس هذه اللام لاباضمار ان وفائدة اللام تأكيد لصوق خبر كان باسمها والبصريون ايضا يقولون الكلام مع هذه اللام آكد وابلغ منه بدونها فان قولك ما كان زيد ليقوم معناه نفى ارادة القيام بخلاف قولك ما كان زيد يقوم فان معناه نفى نفس القيام مع عدم التعرّض لارادته ولاشك ان نفى ارادة الفعل ابلغ فى الدلالة على انتفائه من نفى نفس الفعل بدون التعرّض لارادته ﴿قوله وقرأ غير عاصم نزل﴾ اى قرأ الجمهور نزل مبنيا للمفعول والقائم مقام الفاعل هو ان مع مافى حيزها وقرأ عاصم ويعقوب نزل مبنيا للفاعل وهو الضمير المستتر فيه الراجع الى لفظ الجلالة وان مع مافى حيزها فى محل النصب على انه مفعول به لنزّل قال المفسرون ان مشركى مكة كانوا يخوضون فى ذكر القرآن ويستهزئون به فى مجالسهم فانزل الله تعالى فى سورة الانعام وهى مكية واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مافعله المشركون بمكة وكان المنافقون يقعدون معهم ويوافقونهم على ذلك الكلام الباطل فقال تعالى مخاطبا لهم وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلاتقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وان هذه هى المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن لان ان المخففة لاتعمل فى غير ضمير الشأن الا فى ضرورة الشعر كقوله

فلو انك فى يوم الرخاء سألتنى ۞ طلاقك لم ابخل وانت صديق

او آمنوا به بقلوبكم كما امنتم بلسانكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاوّل القرآن والثانى الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذى نزل والذى انزل بفتح الهمزة والزاى والباقون بضم النون وكسر الزاى (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) اى ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) عن المقصد بحيث لايكاد يعود الى طريقه (ان الذين آمنوا) يعنى اليهود آمنوا بموسى (ثم كفروا) حين عبدوا العجل (ثم آمنوا) بعد عوده اليهم (ثم كفروا) بعيسى (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم او قوما تكرّر منهم الارتداد ثم اصرّوا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغىّ (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) اذ يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان فى امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم (بشر المنافقين بانّ لهم عذابا اليما) يدل على ان الآية فى المنافقين وهم قد آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرّة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر موضع أنذرتهكم بهم (الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) فى محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين اوهم الذين (أيبتغون عندهم العزة) أيتعززون بموالاتهم (فان العزة لله جميعا) لايتعزز الا من اعزه فقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولايؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم (وقد نزل عليكم فى الكتاب) يعنى القرآن وقرأ غير عاصم نزل والقائم مقام فاعله (ان اذا سمعتم آيات الله) وهى المخففة

والمعنى انه اذا سمعتم (يكفر بها ويستهزأ بها) حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجوّ ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها (انكم اذا مثلهم) في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفران رضيتم بذلك اولان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبنيّ كقوله مثل ما انكم تنطقون (الذين يتربصون بكم) ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره (فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم) مظاهرين لكم فأسهموا لنا فيما غنمتم (وان كان للكافرين نصيب) من الحرب فانها سجال (قالوا ألم نستحوذ عليكم) اى قالوا للكفرة ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل (ونمنعكم من المؤمنين) بأن خذلناهم بتخييل ماضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فأشركونا فيما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوى سريع الزوال (فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لاينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضيّ العدة

وقوله يكفر بها في محل النصب على انه حال من الآيات وبها في محل الرفع لقيامه مقام الفاعل وكذلك مافي قوله ويستهزأ بها والاصل يكفر بها احد فلما حذف الفاعل قام الجار والمجرور مقامه وحتى غاية للهزء والمعنى انه يجوز مجالستهم عند خوضهم في غير الكفر والاستهزاء وفعل السماع وان وقع على الآيات ظاهرا الا ان المسموع في الحقيقة هي الحال المتعلقة بها وهي حال كونها مكفورا بها ومستهزأ بها ﴿قوله حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي الخ﴾ يعني ان الشرط قيد الحكم المدلول عليه بالجزاء وان ماوقع شرطا في الحقيقة هو كون من يجالسه المنهيّ عن المجالسة هازئا معاندا غير مرجوّ اى غير مخوف منه فان الرجاء قد يستعمل بمعنى الخوف كما في قوله تعالى مالكم لاترجون لله وقارا اى لاتخافون عظمة الله وقوله غير مرجوّ اصله غير مرجوّ منه حذف صلته كما حذف صلة المشترك فيه والمستتر في من يجالسه ضمير المنهيّ عنه والبارز ضمير من ﴿قوله ويؤيده الغاية﴾ اى يؤيد كون المجيء بهما لتقييد النهي بذلك قوله حتى يخوضوا في حديث غيره فانه كما مرّ غاية للنهي فانّ حرمة المجالسة لولم تكن مشروطة بكون من يجالسه هازئا معاندا لما كانت منتهية بانتهائه ﴿قوله المدلول عليهم بقوله يكفر بها﴾ فان الفعل وان بني للمفعول الا انه لابدّ له من فاعل يقوم به فكان الفاعل في حكم المذكور فجاز عود الضمير اليه ﴿قوله مثلهم في الاثم﴾ اى ليس المراد بالمماثلة المماثلة من كل وجه فان من قعد مع الخائضين في القرآن لايكفر بمجرد القعود معهم بل يكون مرتكبا للمعصية بخلاف الخائضين فانهم كفروا والمؤمن العاصي لايماثل الكافر في الكفر الا اذا رضي بالكفر وانما يماثله في الاثم ومن رضي بكفر نفسه فهو كافر بالاتفاق واما الراضي بكفر غيره فقد اختلفوا في كفره والصحيح لايكفر فان صاحب الكشاف نقل عن مشايخ ماوراء النهر انهم قالوا الرضى بكفر الغير مع استقباح نفس الكفر لايكون كفرا قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا وانما الرضى بالكفر مع استحسان الكفر كفر وان كان ضمير انكم للمنافقين وضمير مثلهم لاحبار اليهود تكون المماثلة بينهم في الكفر ﴿قوله واذا ملغاة﴾ فانها انما تنصب الفعل الواقع بعدها اذا لم يعتمد مابعدها على ماقبلها اى اذا لم يكن مابعدها من تمام ماقبلها وذلك في ثلاثة مواضع بالاستقراء الاوّل ان يكون مابعدها خبرا لما قبلها نحو اني اذا اكرمك والثاني ان يكون مابعدها جزاء للشرط الذي قبل اذا نحو ان تأتني اذا اكرمك والثالث ان يكون مابعدها جوابا للقسم الذي قبل اذا نحو والله اذا لأخرجن وههنا لما وقع مابعد اذا خبرا لما قبلها كانت اذا في موضع الالغاء فلذلك لم يذكر الفعل بعدها ﴿قوله وافراد مثلهم﴾ جواب عما يقال ان المثل قد اخبر به عن الجمع فلم يطابقه كما طابق في قوله ثم لايكونوا امثالكم وفي قوله وحور عين كامثال اللؤلؤ *وتقرير الجواب انه انما افرد لاجل انه قصد المصدر ههنا كأنه قيل انّ عصيانكم اذا مثل عصيانهم وهذا الجواب مشكل في قوله تعالى أنؤمن لبشرين مثلنا لان تقدير المصدر فيه عسر وتكلف فيصار فيه الى الجواب الذي ذكره بقوله او للاستغناء بالاضافة الى الجمع ﴿قوله وقرئ بالفتح﴾ فان الجمهور على رفع اللام في مثلهم لكونه خبر ان وقرئ شاذا بفتح اللام على انه خبر ايضا وانما فتح لاضافته الى غير متمكن كما فتح كذلك في قوله تعالى انه لحق مثل ما انكم تنطقون ﴿قوله ينتظرون وقوع امر بكم﴾ فسر التربص بالانتظار وقدّر الباء متعلقا محذوفا ونكر امرا ليتناول الخير والشرّ ويظهر وجه الفاء التفصيلية في قوله فان كان لكم فتح والمراد بالفتح والنصيب الظفر والغلبة ﴿قوله او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح الخ﴾ وهذا الوجه ضعيف لنبوّ المعنى عنه ولاستلزامه زيادة الفاء في غير محلها لان هذا الموصول غير ظاهر الشبه باسم الشرط ﴿قوله فابقينا عليكم﴾ اى ترحمنا وفي الصحاح ابقيت على فلان اذا ارعيت عليه ورحمته وفيه ايضا ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته ﴿قوله تعالى فالله يحكم بينكم﴾ اى بين المؤمنين والمنافقين بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد انه أخر عقاب المنافقين الى الموت ويوم القيامة ووضع عنهم السيف في الدنيا ﴿قوله حينئذ﴾ اى حين اذ قامت القيامة سئل عليّ رضي الله عنه عن معنى هذه الآية مع ان الكافرين يقاتلون المؤمنين ويظهرون عليهم احيانا فاجاب رضي الله عنه بأن معنى هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين في يوم القيامة على المؤمنين سبيلا قيل في بيانه ان الله تعالى يظهر ثمرة ايمان المؤمن ويصدّق موعدهم ولايشاركهم الكفار في شيء من اللذات كما شاركوهم اليوم حتى يعلوا الحق معهم دونهم اذ لو شاركوهم في شيء منها لقالوا للمؤمنين ماانفعكم ايمانكم وطاعتكم شيأ لانا اشتركنا واستوينا معكم في ثواب الآخرة وعلى تقدير ان يكون المعنى سبيلا في الدنيا يريد بالسبيل

كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان (يرآؤون الناس) ليخالوهم مؤمنين والمرآآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرآئي يرى من يرآئيه عمله وهو يريه استحسانه (ولا يذكرون الله الا قليلا) اذا المرآئي لايفعل الا بحضرة من يرآئيه وهو اقل احواله اولان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فانهم لايذكرون فيها غير التكبير والتسليم (مذبذبين بين ذلك) حال من واو يرآؤون كقوله ولا يذكرون اى يرآؤونهم غير ذاكرين مذبذبين اوواو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مردّدين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهى جعل الشئ مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة فى دبة وتارة فى دبة وهى الطريقة (لاالى هؤلاء ولاالى هؤلاء) لامنسوبين الى المؤمنين ولاالى الكافرين اولاصائرين الى احد الفريقين بالكلية (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين) فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلا تتشبهوا بهم (أتريدون ان تجعلوا الله عليكم سلطانا مبينا) حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق اوسلطانا يسلط عليكم عقابه (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) وهى الطبقة التى فى قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة لانهم ضموا الى الكفر استهزآء بالاسلام وخداعا للمسلين واما قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدّث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الرآء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك (ولن تجد لهم نصيرا) يخرجهم منه (الا الذين تابوا) عن النفاق (واصلحوا) ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم فى حال النفاق (واعتصموا بالله) وثقوا به او تمسكوا بدينه (واخلصوا دينهم لله) لايريدون بطاعتهم غير وجهه (فاولئك مع المؤمنين) ومن عدادهم فى الدارين (والشكر)

الحجة ويكون المعنى حجة المسلين غالبة على حجة الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة واستدل الامام الشافعى رحمه الله بهذه الآية على مسائل منها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم واحرزه بدار الحرب لم يملكه ومنها ان الكافر ليس له ان يشترى عبدا مسلما ومنها ان المسلم لايقتل بالذمى وتمسك فيها بهذه الآية ﴿قوله سبق الكلام فيه﴾ وهو قوله الخدع ان توهم غيرك خلاف ماتخفيه من المكروه لتنزله عما فيه او عما هو فيه او عما هو بصدده وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه تعالى لايخفى عليه خافية فلا يصلح ان يتعلق به الخدع كما انهم لايصلحون لان يكونوا خادعين له تعالى بل المراد اما مخادعة اوليائه وهم المؤمنون على حذف المضاف فاضاف خداعهم الى نفسه تشريفا لهم اولان صورة صنيعهم مع المؤمنين اظهار الايمان واستبطان الكفر وصورة صنع الله معهم باجرآء احكام المسلين وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله تعالى فى اخفاء مقالهم واجرآء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المخادعين وقوله تعالى وهو خادعهم اى مجازيهم على خديعتهم بالعقاب سمى جزآء الخدع خدعا على سبيل المشاكلة وقال ابن عباس انهم يعطون نورا يوم القيامة كالمؤمنين فيمضى المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين يدل عليه قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لايبصرون وقوله تعالى واذا قاموا عطف على خبر ان أخبر عنهم بهذه الصفات الذميمة وكسالى نصب على الحال من ضمير قاموا الواقع جوابا والجمهور على ضم الكاف وهى لغة اهل الحجاز جمع كسلان كسكارى جمع سكران وقرئ بفتحها وهى لغة تميم واسد ﴿قوله تعالى يرآؤون الناس﴾ اما حال من الضمير المستتر فى كسالى أو جملة مستأنفة اخبر عنهم بذلك وقال ابو البقاء انه بدل من كسالى فيكون حالا من فاعل قاموا وفيه نظر لان الثانى ليس نفس الاوّل ولا بعضه ولا مشتملا عليه فكيف يكون بدلا منه ﴿قوله والمرآآة مفاعلة بمعنى التفعيل﴾ يقال رآآى الناس بمعنى رأى كما يقال ناعم بمعنى نعم وفانق بمعنى فنق الجوهرى تفنق الرجل اذا تنعم وفنقه غيره تفنيقا وفانه بمعنى اى نعمه ﴿قوله اوسلطانا يسلط﴾ يعنى ان السلطان كما يكون بمعنى الحجة يكون بمعنى الوالى ايضا على ان يكون كل واحد من قوله لله وعليكم حالا من سلطانا لانه صفة له فى الاصل قدّم عليه اويكون لله هو الحال وعليكم متعلقا بالجعل والمعنى أتريدون ان تجعلوا سلطانا كائنا عليكم واليا امر عقابكم مختصا بالله مخلوقا له منقادا لامره ويحتمل ان يكون السلطان بمعنى الوالى واقعا موقع التسلط والاستيلاء وكل واحد من حجة الله وتسلطه على خلقه وان كان ثابتا له فى عموم الاحوال من غير جعل جاعل الا انه تعالى لما نهى عن امر واوعد عليه فاذا فعله العبد فكأنه الزم نفسه حجة الله عليه فى ذلك واثبت له تسلطا على قهره وعقابه بناء على انه تعالى اخبر فى مواضع من كتابه انه لايعذب الا من عصاه ﴿قوله واما قوله عليه الصلاة والسلام الخ﴾ جواب عما يقال كل واحد ممن كذب فى حديثه واخلف وعده وخان فيما ائتمن عليه منافق بحكم هذا الحديث وليس بكافر فضلا عن ان يكون اخبث الكفرة ومستحقا لاسفل الدرك ﴿قوله لانها متداركة﴾ يعنى ان الدرك مأخوذ من المداركة وهى المتابعة وطبقات النار متتابعة فلذلك سميت دركات وفى الصحاح ان دركات النار منازل اهلها والنار دركات والجنة درجات والقعر الآخر درك ودرك والمصنف رجح التحريك لجمعه على ادراك كجمل واجمال وفرس وافراس ولو سكنت الرآء لجمع على ادرك نحو كلب واكلب وفلس وافلس ﴿قوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا الآية﴾ شرط فى ازالة العقاب عن المنافقين امورا اربعة الاوّل التوبة عما ارتكبوه من القبائح والثانى اصلاح العمل واتيان ماحسنه الشرع من افعال القلوب والجوارح والثالث الاعتصام بالله بان يكون الغرض من ترك القبائح وفعل الحسنات طلب مرضاة الله ورحمته والرابع ان تكون تلك الامور المذكورة خالصة لوجه الله اى لايخطر باله فى شئ من ذلك غرض غير ابتغاء مرضاة الله ولا يكون هذا الغرض ممزوجا بغرض آخر ﴿قوله أيتشفى به غيظا الخ﴾ اشارة الى ان ما استفهامية فى محل النصب بيفعل قدمت عليه لاقتضاء الاستفهام صدر الكلام والباء سببية متعلقة بيفعل والاستفهام هنا بمعنى النفى اى لايفعل بعذاب المؤمن الشاكر شيأ من تشفى الغيظ وجلب النفع ودفع الضرّ لان كل ذلك محال فى حقه تعالى لانه تعالى غنى لذاته عن الحاجات منزه عن جلب المنفعة ودفع المضرّة والمقصود منه حمل المكلفين على الايمان وفعل الطاعات وترك المنكرات فكأنه قيل اذا اتيتم الحسنات وتركتم المنكرات فكيف يليق بكرمه ان يعذبكم وجواب ان شكرتم محذوف لدلالة ماقبله عليه اى ان شكرتم وآمنتم فايفعل بعذابكم والشكر ضدّ الكفر والكفر ستر النعمة

من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اى ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله (وكان الله سميعا) لكلام المظلوم (عليما) بالظالم (ان تبدوا خيرا) طاعة وبرّا (او تخفوه) او تفعلوه سرّا (او تعفوا عن سوء) لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابدآء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله (فان الله كان عفوّا قديرا) اى يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له فى الانتصار حملا على مكارم الاخلاق (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرّقوا بين الله ورسله) بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم (ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله لا يتم الا بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل فى الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال (اولئك هم الكافرون) هم الكاملون فى الكفر لا عبرة بايمانهم هذا (حقا) مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اى يقينا محققا (وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين احد منهم) اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضى متعددا لعمومه من حيث انه وقع فى سياق النفى (اولئك سوف نؤتيهم اجورهم) الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب (وكان الله غفورا) لما فرط منهم (رحيما) عليهم بتضعيف حسناتهم (يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) نزلت فى احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محرّرا بخط سماوى على الواح كما كانت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله (فقد سألوا موسى اكبر من ذلك) جواب شرط مقدّر اى ان استكبرت ما سألوه منك

والشكر اظهارها قدّم الشكر على الايمان مع ان الايمان مقدّم على سائر الطاعات ولا بقاء للشكر مع عدم الايمان اما لان الواو لا توجب الترتيب او لان الارتقاء الى درجة الايمان بالله ووحدانيته انما يحصل بمشاهدة ما افاضه من نعمه الحاصلة له والخارجة عنه فان الانسان اذا نظر الى نعمة اصل الوجود وما يتفرّع عليه من المواهب والعطايا يعترف بحق من انعم بذلك عليه ويخضع له خضوعا تاما الا انه يلاحظ المنعم فى هذه المرتبة على الاجمال ولا يترقى الى تعيين المنعم والايمان به بخصوصه الا بعد امعان النظر فى الدلائل الدالة على ثبوت الصانع ووحدانيته فلما كان الشكر المجمل مقدّما على الايمان به تعالى فى الوجود قدّم عليه فى الذكر ﴿قوله مثيبا﴾ يعنى ان الشكر اذا اسند الى الله تعالى يكون بمعنى الاثابة وتضعيف الجزآء الواقع بمقابلة شكر العبد وسمى جزآء الشكر شكرا على سبيل الاستعارة فان شكر العبد عبارة عن صرف نعمة الله تعالى لما خلقت لاجله واثابة الله تعالى اياه بمقابلة شكره مشابهة للشكر من حيث كونها فعلا واقعا بمقابلة الجميل فسميت باسمه ﴿قوله الا جهر من ظلم﴾ اشارة الى ان قوله تعالى الا من ظلم مستثنى متصل من الجهر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وبالسوء متعلق بالجهر ومن القول حال من السوء كأنه قيل لا يحب الله ان يجهر احد فى حق غيره بالسوء من القول الا جهر المظلوم فان المظلوم له ان يجهر ويرفع صوته بالدعاء على من ظلمه ويذكره بما فيه من السوء تظلما منه مثل ان يذكر انه سرق متاعى او غصبه منى قال مجاهد الا ان يجهر بظلم ظالمه ولو شتمه احد ابتدآء فله ان يرد على شاتمه قيل فى وجه انتظام الآية بما قبلها انه تعالى لما هتك ستر المنافقين وكشف قبائحهم وكان هتك الستر غير لائق بالكريم الرحيم ذكر تعالى ما يجرى مجرى العذر من ذلك فقال تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم يعنى انه تعالى لا يحب اظهار الفضائح والقبائح الا فى حق ظالم عظم ضرره وكثر كيده ومكره فعند ذلك يجوز اظهار فضائحه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام اذكروا الفاسق بما فيه كى يحذره الناس وهؤلاء المنافقون قد كثر كيدهم ومكرهم وظلمهم فى حق المسلمين وعظم ضررهم فلذلك ذكر الله فضائحهم وكشف اسرارهم ﴿قوله روى ان رجلا ضاف قوما﴾ اى اتاهم ضيفا وقيل نزلت الآية فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه فان رجلا شتمه فسكت مرارا ثم ردّ عليه فقام النبى عليه الصلاة والسلام فقال ابو بكر شتمنى وانت جالس فلما رددت عليه قمت قال عليه الصلاة والسلام ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اجلس عند مجيء الشيطان قرأ الجمهور الا من ظلم على بناء المفعول وقرئ على بناء الفاعل ايضا فتكون الجملة فى محل النصب على اصل الاستثناء المنقطع وانما قلنا ان الاستثناء منقطع عما قبله لان قولنا لا يحب الله ان يجهر احد بالسوء من القول كلام تام وقولنا لكن من ظلم فدعوه فانه يجهر بالسوء من القول ظلما واعتداء ويفعل ما لا يحبه الله منقطع عنه ليس فيه اخراج شيء عن حكم المتعدّد المذكور قبله وانما سمى مستثنى لكونه مذكورا بعد الا ﴿قوله تشبيب له﴾ اى تمهيد وتوطئة لذكر ما قصد بيان انه احب وافضل وتشبيب القصيدة تزيينها بما تقدم على التخلص الى المدح من التغزل والوصف بالحسن والجمال فان الشاعر يزين قصيدته بذكر اوصاف الممدوح ووجوه محاسنه وشمائله ثم يتخلص منه الى ما هو الغرض من المدح ﴿قوله بعد ما رخص له فى الانتصار﴾ حيث جوّز الجهر بالسوء من القول واذن فيه وجعله محبوبا حيث استثناه من قوله لا يحب وانما حث عليه لكونه احب وافضل ثم انه تعالى لما تكلم على طريقة المنافقين اخذ يتكلم على مذاهب اليهود والنصارى ومناقضاتهم فقال ان الذين يكفرون بالله ورسله الآية فان اليهود والنصارى قد كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وزاد اليهود الكفر بعيسى عليه الصلاة والسلام والانجيل ولزم من ذلك كفرهم بالله اذ لا يصح الايمان به تعالى مع تكذيب احد من رسله وكذا لا يصح الايمان برسول مع الكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام لانه ما من نبى الا وقد امر قومه بالايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام وبجميع الانبياء فمن كفر ببعض منهم فقد كفر بالكل ﴿قوله مؤكد لغيره﴾ لان مضمون الجملة التى قبله من حيث كونها خبرا يحتمل غير الحق فيجب اضمار عامل مؤكد وهو غير الجملة المؤكدة به والتقدير حق ذلك حقا وهكذا كل مصدر مؤكد لغيره ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بذكر وعد المؤمنين فقال والذين آمنوا بالله الآية قرأ الجمهور سوف نؤتيهم بنون العظمة على الالتفات من الغيبة الى التكلم ليوافق قوله واعتدنا وقرأ حفص عن عاصم بالياء واعاد الضمير على اسم الله تعالى فى قوله والذين آمنوا بالله ﴿قوله وتصديره بسوف لتأكيد الوعد﴾ اى الموعود الذى هو الايتاء ووجه كون سوف مفيد التأكيد ان صيغة يفعل موضوعة

(فقالوا أرنا الله جهرة) عيانا اى أرناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له (فأخذتهم الصاعقة) نار جاءت من السماء فأهلكتهم (بظلمهم) بسبب ظلمهم و هو تعنتهم و سؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لايقتضى امتناع الرؤية مطلقا (ثم اتخذوا العجل من بعدما جاءتهم البينات) هذه الجناية الثانية التى اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة اذ لم تأتهم بعد (فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليقبلوه (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) على لسان موسى والطور مطل عليهم (وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت) على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى وحين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به فى زمن داود وقرأ ورش عن نافع لاتعدّوا على ان اصله لاتعتدوا فادغمت التاء فى الدال وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان (واخذنا منهم ميثاقا غليظا) على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا (فبما نقضهم ميثاقهم) اى فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم مافعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان تعلق بحرّمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وماعطف عليه الى قوله فبظلم لابما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لايؤمنون لانه ردّ لقولهم قلوبنا غلف فتكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل فى جاره (وكفرهم بآيات الله) بالقرآن او بما فى كتابهم (وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف) اوعية للعلوم أو فى أكنة مما تدعونا اليه (بل طبع الله عليها بكفرهم) فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر فى الآيات والتذكر فى المواعظ (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم كعبدالله بن سلام

للاستقبال كالحال فدخول حرف الاستقبال عليها لايكون الا لتأكيد اثبات مضمونها ﴿قوله عيانا﴾ الجهرة حقيقة فى ظهور الصوت لحاسة السمع ثم استعيرت لظهور المرئىّ لحاسة البصر ونصبها على المصدر لان المعاينة نوع من الرؤية او حال من الفاعل بمعنى مجاهرين او المفعول بمعنى معاينا ﴿قوله بسبب ميثاقهم ليقبلوه﴾ يعنى ان الباء سببية متعلقة بالرفع وان القوم لما امتنعوا عن قبول شرائع التوراة رفع الله فوقهم الجبل حتى قبلوها وان المعنى ورفعنا فوقهم الطور لاجل ان يعطوا الميثاق لقبول الدين ﴿قوله والطور مطل عليهم﴾ بالطاء المهملة اى مشرف يقال اطل عليه اى اشرف بطلاله اى شخصه يقال حيى الله طلالك وطلاليك بمعنى اى شخصك ﴿قوله وقرأ ورش عن نافع لاتعدّوا﴾ بفتح العين وتشديد الدال اصله لاتعتدوا للاجماع بان قوله تعالى اعتدوا منكم فى السبت من الاعتداء وهو افتعال من العداوة فلما ادغمت تاء الافتعال فى الدال نقلت حركتها الى العين واحترز بورش عن قالون فانه روى عن نافع لاتعدّوا ساكنة العين مشدّدة الدال من الاعتداء ايضا فان كان المراد من السكون المحض فهو شئ لايراه النحويون لانه جمع بين ساكنين على غير حدّهما وان اريد به الاختلاس واخفاء فتحة العين فهو ايضا لايخلو عن بعد لان الفتحة الخفيفة ضعيفة فى نفسها فلا ينبغى ان تخفى لتزداد ضعفا فلذلك لم يذكر المصنف هذه القرآءة قرأ الجمهور لاتعدوا بسكون العين وتخفيف الدال من عدا يعدو مثل غزا يغزو والاصل لاتعدووا بواوين الاولى لام الكلمة والثانية ضمير الفاعل ثم صار بالاعلال على وزن لاتفعوا ومعناه لاتعتدوا ولاتظلموا باصطياد الحيتان يوم السبت يقال عدا يعدو عدوا وعدوا وعدوانا اى ظلم وجاوز الحدّ ومنه قوله تعالى فيسبوا الله عدوا بغير علم والميثاق تغليظ العهد المؤكد عليه غاية التأكيد ﴿قوله وما مزيدة﴾ اى بين الجار والمجرور للتأكيد اى لتحقيق مافعل بهم من اللعن والغضب وضرب الذلة والمسكنة عليهم وغير ذلك من وجوه العقاب الذى لم يكن الا بسبب نقضهم العهد وماعطف عليه فالنقض مصدر مضاف الى فاعله وميثاقهم مفعوله ﴿قوله ويجوز ان يتعلق بحرّمنا﴾ فى قوله فبظلم من الذين هادوا حرّمنا وعلى هذا يلزم ان يتعلق حرفا جرّ متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد وذلك لايجوز الا مع العطف والبدل وذلك لان قوله فبظلم متعلق بحرّمنا ايضا والباء فيه وفى قوله فبما نقضهم متحدان لفظا ومعنى واجابوا عنه بان قوله فبظلم متعلق بحرّمنا ايضا بدل من قوله فبما نقضهم باعادة الجار فورد عليه فاء العطف لان البدل تابع بنفسه من غير توسط حرف عطف * واجيب عنه بانه لما طال الكلام بين البدل والمبدل منه اعيد الفاء للطول ولا يخفى ان الوجه الاوّل اولى لطول الفصل بين البدل والمبدل منه فيكون قوله فبظلم بدلا من قوله فبما نقضهم وهو بعيد غاية البعد وايضا الذنوب المذكورة من كفرهم بالله ونقض الميثاق وقتل الانبياء وانكار التكليف بقولهم قلوبنا غلف ذنوب عظيمة والذنوب العظيمة انما يحسن ان يفرّع عليها عقوبة عظيمة وتحريم بعض المأكولات عقوبة خفيفة فلا يحسن تعليقها بتلك الذنوب العظيمة ﴿قوله لانه ردّ لقولهم قلوبنا غلف﴾ يعنى لو تعلقت الباء بمحذوف مدلول عليه بقوله بل طبع الله عليها لكان بل طبع الله متعلقا بذلك المحذوف معطوفا عليه لان بل حرف عطف يستدعى معطوفا عليه ولكان تقدير الكلام ومعناه فبما نقضهم ميثاقهم وبكذا وكذا لايؤمنون بل طبع الله عليها بنفس كفرهم فكيف اذا انضم اليه النقض والقتل لكن ليس الامر كذلك لانه متعلق بقولهم قلوبنا غلف ردّا له وانكارا كما صرّح به فى سورة البقرة بقوله وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا مايؤمنون ولو كان عطفا على المحذوف الذى تعلق به الباء لم يكن ردّا لقولهم فيختل المعنى المقصود من الكلام حيث صرف الكلام عن كونه انكارا لقولهم الى بيان ان سبب الطبع هو نفس كفرهم لامجموع الامور المذكورة وهذا تفصيل ماشار اليه المصنف بقوله فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل فى جاره ﴿قوله اوعية للعلوم﴾ على ان يكون غلف جمع غلاف والاصل غلف بضم الغين واللام مثل كتب وكتاب ثم خففت بتسكين اللام والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلوم فلا حاجة بنا الى علم سوى ماعندنا فكذبوا الانبياء بهذا القول وقوله او فى اكنة مبنى على ان يكون غلفا جمع اغلف وهو المتغطى بالغلاف وهو الغطاء والمعنى على هذا انهم قالوا قلوبنا فى اغطية فهى لاتفقه ماتقولون ونظيره قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ﴿قوله الا قليلا منهم﴾ على ان يكون الا قليلا استثناء من فاعل لايؤمنون فلا بدّ ان يلاحظ الفاعل بمجرّد كونه كافرا مع قطع النظر عن كونه مطبوع القلب لان من طبع الله على قلبه وختم لايقع منه الايمان ابدا لانه لايعى وعظا ولا يوفق لخير قال الامام فى السنة فلا يؤمنون الا قليلا يعنى ممن كذب الرسل لاممن طبع على قلبه لان من طبع على قلبه لايؤمن ابدا

واراد بالقليل عبد الله بن سلام واصحابه رضي الله عنهم ﴿قوله اوايمانا قليلا﴾ وهو ايمانهم بموسى عليه الصلاة والسلام والتوراة وهو مبني على ان يكون الاقليلا صفة مصدر محذوف ﴿قوله لانه من اسباب الطبع﴾ اى لا يلزم من عطفه عليه عطف الشئ على نفسه لان الكفر المعطوف عليه كفرهم بمحمد عليه الصلاة والسلام والثاني كفرهم بعيسى عليه الصلاة والسلام وكل واحد منهما من اسباب الطبع فعطف بعض كفرهم على بعض وان كان معطوفا على قوله فبما نقضهم يكون كل واحد من الامور المتعاطفة من اسباب الفعل المحذوف لامن اسباب الطبع ويكون قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما يتبع قوله وقولهم قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ﴿قوله ويجوز ان يعطف مجموع هذا وماعطف عليه على مجموع ماقبله﴾ مماذكر قبل حرف الاضراب كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عليه الصلاة والسلام عاقبناهم اولعناهم وفعلنا مافعلنا ﴿قوله اى بزعمهم﴾ اشارة الى جواب مايقال من انهم كيف قالوا في حق عيسى عليه الصلاة والسلام انه رسول الله مع انهم على عداوته وصدد قتله ﴿قوله استئنافا من الله بمدحه﴾ مع قطع النظر عن توصيفه بخلاف ماوصفوه به تنزيها له عما كانوا يذكرونه به ﴿قوله روى ان رهطا من اليهود سبوه﴾ بان قالوا هو الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم * فقال اللهم انت ربي وانا من روحك خرجت وبكلمتك خلقتني ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم فالعن من سبني وسب امي * فاستجاب الله تعالى دعاءه ومسخ الذين سبوه وسبوا امه قردة وخنازير فلما رأى ذلك يهودا رئيس اليهود واميرهم فزع لذلك وخاف دعوته ايضا فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه الصلاة والسلام فبعث الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبره بانه يرفعه الى السماء الخ ﴿قوله وقيل﴾ اى قيل كان الرجل الذى ألقى عليه شبه عيسى رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى فألقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى وقال مقاتل ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون رقيبا عليه يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاء الملك فاخذ بضبعيه ورفعه الى السماء وألقى الله عز وجل على الرقيب شبه عيسى فلما رأته اليهود ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه وكان يقول لهم انى لست بعيسى انا فلان ابن فلان فلم يصدقوه وقتلوه ﴿قوله وتبجحهم به﴾ هو تفعل من البجح وهو الفرح يقال بجح بالشئ بكسر الجيم اى فرح به وبجح به بالفتح لغة ضعيفة فيه وبجحته انا تبجيحا فتبجح اى فرحته ففرح ولاشك ان التراضي بمثل هذا المنكر والفرح به في غاية القباحة ومستوجب لنهاية المذمة بخلاف مجرد قولهم قتلنا فلانا بناء على ظنهم ان المقتول هذا الفلان ﴿قوله ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول﴾ على ان المقتول مشبه به والقائلين انا قتلنا المسيح هو المشبه لهم لانهم الذين وقع التشبيه لاجلهم واسناد الفعل المبني للمفعول الى الجار والمجرور كثير شائع في كلامهم نحو خيل اليه ولبس عليه ﴿قوله اوفي الامر﴾ عطف على قوله بين عيسى والمقتول وقوله على قول من قال لم يقتل احد اى احد بشبه المسيح وليس المراد انه لم يقتل احد اصلا لان وقوع التشبيه في امر قتل المسيح وان لم يقتض وقوع قتل مايشبهه لكنه يقتضي وقوع قتل مايشبه قتله وذلك انما يكون بان يقتل احد فيرجف بانه هو المسيح قال الامام الرازي في تفسيره قال كثير من المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله الى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا فقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس انه هو المسيح والناس ماكانوا يعرفون المسيح الا بالاسم لانه كان قليل المخالطة مع الناس فبهذا الطريق اندفع مايقال اذا جاز ذلك جاز ان يقال ان الله تعالى يلقي شبه زيد على عمرو وعند ذلك لايبقى الطلاق والنكاح والملك موثوقا به ثم قال لايقال ان النصارى ينقلون عن اسلافهم انهم شاهدوه مقتولا لانا نقول ان تواتر النصارى ينتهي الى اقوام قليلين لايبعد اتفاقهم على الكذب انتهى كلامه ﴿قوله فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا﴾ قال السدي ان اليهود حبسوا عيسى مع عشرة من الحواريين في بيت فدخل عليه رجل من اليهود ليخرجه فيقتله فألقى الله تعالى عليه شبه عيسى فذلك اختلافهم فيه ﴿قوله وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا﴾ فان اليهود لما قتلوا الشخص المشبه بعيسى كان الشبه قد ألقى على وجهه ولم يلق عليه شبه جسد عيسى فلما قتلوه ونظروا الى بدنه قالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره ﴿قوله وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت﴾ اى قيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى * قال قوم منهم انه ماقتل وما صلب بل رفعه الله الى

او ايمانا قليلا اذلا عبرة به لنقصانه (وبكفرهم) بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وماعطف عليه على مجموع ماقبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعني نسبتها الى الزنى (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) اى بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه اووضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم) روى ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فألقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقتل وقيل دخل طيطايوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده وألقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فأخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التى لاتستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله تعالى بمادل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لابقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم قتيلا (وان الذين اختلفوا فيه) في شأن عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت

(لفى شك منه) لفى تردد والشك كما يطلق على مالا يرجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى مايقابل العلم ولذلك اكده بقوله (مالهم به من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع اى ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس جزما كان اوغيره فيتصل الاستثناء (وماقتلوه يقينا) قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ماعلموه يقينا كقول الشاعر

كذاك يخبر عنها العالمات بها * وقد قتلت بعلمى ذلكم يقينا *

من قولهم قتلت الشئ علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه (بل رفعه الله اليه) رد وانكار لقتله واثبات لرفعه (وكان الله عزيزا) لايغلب على مايريده (حكيما) فيما دبر لعيسى لايعبث (وان من اهل الكتاب الاليؤمنن به قبل موته) اى ومامن اهل الكتاب احد الاليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لأحد ويعود اليه الضمير الثانى والاول لعيسى والمعنى مامن اليهود والنصارى احد الاليؤمنن بان عيسى عبدالله ورسوله قبل ان يموت ولوحين ان تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك انه قرئ الاليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان أحدا فى معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روى انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الاليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ويلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا) اى فبأى ظلم منهم (حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) يعنى ماذكره فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) ناسا كثيرا او صدا كثيرا (واخذهم الربا وقد نهوا عنه) كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهى على التحريم (واكلهم اموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (وأعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) دون من تاب وآمن

السماء واتفق قوم منهم على ان اليهود قتلوه وهم كبار فرق النصارى ثم انهم افترقوا مع اتفاقهم عليه ثلاث فرق النسطورية والملكانية واليعقوبية اما النسطورية فقد زعموا ان المسيح صلب من جهة ناسوته اى جسمه وهيكله المحسوس لامن جهة لاهوته اى نفسه وروحه واكثر الحكماء يختارون مايقرب من هذا القول قالوا لانه ثبت ان الانسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو اما جسم لطيف فى هذا البدن او جوهر روحانى مجرد فى ذاته وهو مدبر فى هذا البدن والقتل انما ورد على هذا الهيكل واما النفس التى هى فى الحقيقة عيسى فالقتل ماورد عليها * لايقال كل انسان كذلك فاالوجه فى هذا التخصيص * لانانقول ان نفسه كانت قدسية علوية سماوية شديدة الاشراق بالانوار الالهية عظيمة القرب من ارواح الملائكة والنفس متى كانت كذلك لم يعظم تألمها بسبب القتل وتخريب البدن ثم انها بعد الانفصال عن ظلمة البدن تتخلص الى سمو السموات وانوار عالم الجلال فتعظم بهجتها وسعادتها وسعاوتها هناك ومعلوم ان هذه الاحوال غير حاصلة لكل الناس وانما تحصل لاشخاص قليلين من مبدأ خلق آدم الى قيام القيامة فهذا هو الفائدة فى تخصيص عيسى عليه الصلاة والسلام بهذه الحالة واما الملكانية فانهم قالوا القتل والصلب وصل الى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة وقال اليعقوبية القتل والصلب وقعا بالمسيح الذى هو جوهر متولد من جوهر فهذا شرح مذاهب النصارى فى هذا الباب وهو المراد بقوله ان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ﴿قوله لفى تردد﴾ جواب عما يقال كيف جعلوا شاكين ظانين مع ان الشك والظن لايجتمعان لان ادراك النسبة مع الشك فيها لايترجح فيه احد الجانبين على الآخر وادراكها بطريق ترجح احدهما ظن ولاشك ان الرجحان وعدمه لايجتمعان والفرق بين التردد الذى هو عدم الجزم وبين مايقابل العلم ان الثانى اعم لانه كما يتناول الشك المصطلح والظن يتناول الجهل ايضا وهو الاعتقاد الغير المطابق ولايتناوله التردد وجعل الاستثناء منقطعا لان اتباع الظن ليس من جنس العلم ﴿قوله قتلا يقينا﴾ على ان يكون يقينا نعت مصدر محذوف وقوله او متيقنين على ان يكون حالا من فاعل قتلوه ﴿قوله وقيل معناه ماعلموه يقينا﴾ اى ماعلموا امر عيسى عليه الصلاة والسلام على جهة التيقن فيكون انتصاب يقينا فى النظم على انه مصدر من معنى قوله ماقتلوه فان معناه ماتيقنوه وماعلموه يقينا وقد يطلق على العلم بالشئ على وجه اليقين والاحاطة به اسم القتل فيقال قتلت الشئ علما ونحرته علما اذا بلغ علمك به الى اقصى مايمكن العلم به ووجه المجاز فيه ان قتل الشئ انما يكون بقهره والاستيلاء عليه فشبه العلم بالشئ على الوجه المذكور بقتله لاستلزامه نوع القهر والغلبة عليه وقوله تعالى بل رفعه الله اليه قال الحسن البصرى الى السماء التى هى محل كرامة الله تعالى ومقر ملائكته ولايجرى فيها حكم احد سواه فكان رفعه الى ذلك الموضع رفعا اليه تعالى لانه رفع عن ان يجرى عليه حكم العباد ومن هذا القبيل قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله وكانت الهجرة الى المدينة وقوله انى ذاهب الى ربى اى الى موضع لايمنعنى احد من عبادة ربى ﴿قوله لايغلب على مايريده﴾ فعزة الله تعالى عبارة عن كمال قدرته فان رفع عيسى عليه الصلاة والسلام الى السموات وان كان متعذرا بالنسبة الى قدرة البشر لكنه سهل بالنسبة الى قدرة الله تعالى لايغلبه احد ﴿قوله ليؤمنن جملة قسمية﴾ فيه مسامحة لانها جواب القسم والجملة القسمية محذوفة والتقدير ليس من اهل الكتاب احد موصوف بصفة الايمان يقال فى حقه والله ليؤمنن به لان الجملة القسمية انشائية والجملة الانشائية لاتقع صفة الا بالتأويل ثم انه تعالى لما ذكر قبائح اليهود وكمال عداوتهم لعيسى عليه الصلاة والسلام بين انه لايخرج احد منهم من الدنيا الا بعدما يؤمن به * فان قلت انا نرى اكثر اليهود يموتون ولايؤمنون بعيسى * والجواب عنه ماروى عن شهر بن حوشب انه قال قال الحجاج بن يوسف ماقرأت هذه الآية الا وفى نفسى منها شئ فانى اضرب عنق اليهودى والنصرانى ولااسمع منه ذلك فقلت ان اليهودى اذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبدالله ورسوله وتقول للنصرانى اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيقول آمنت انه عبدالله فاهل الكتاب يؤمنون به ولوكان ايمانهم به حين لاينفعهم ذلك الايمان فاستوى الحجاج جالسا وقال عمن نقلت هذا فقلت حدثنى به محمد بن الحنفية فاخذ ينكت فى الارض بقضيب ثم قال لقد اخذتها من عين صافية وان كان كل واحد من ضمير به وموته لعيسى فلا اشكال لان اهل الكتاب الذين يكونون موجودين فى زمان نزوله عليه الصلاة والسلام لابد وان يؤمنوا به ﴿قوله ناسا كثيرا﴾ على ان كثيرا مفعول به وعلى قوله صدا كثيرا يكون

(لكن الراسخون فى العلم منهم) كعبدالله بن سلام واصحابه (والمؤمنون) اى منهم او من المهاجرين والانصار (يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك) خبر المبتدا (والمقيمين الصلاة) نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او على الضمير فى يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم (والمؤتون الزكاة) رفعه لاحد الاوجه المذكورة (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية (اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما) على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده) جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره فى الوحى كسائر الانبياء (واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان) خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقون اشرف الانبياء ومشاهيرهم (وآتينا داود زبورا) قرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور (ورسلا) نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره (قد قصصناهم عليك من قبل) اى من قبل هذه السورة او اليوم (ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) وهو منتهى مراتب الوحى خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم (رسلا مبشرين ومنذرين) نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة (وكان الله عزيزا) لا يغلب فيما يريده (حكيما) فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبى بنوع من الوحى والاعجاز (لكن الله يشهد) استدراك عن مفهوم ما قبله فكأنه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره (بما انزل عليك) من القرآن المعجز الدال على نبوتك روى انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت (انزله بعلمه) انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها

انتصابه على المصدرية ﴿قوله نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك﴾ فان اولئك ان جعل خبرا للراسخين لا يجوز كون المقيمين منصوبا على المدح لان النصب على المدح انما يكون بعد تمام الكلام لا فى اثنائه واما اذا تم الكلام بقوله يؤمنون بما انزل اليك فحينئذ يجوز نصبه على المدح فانك اذا قلت مررت بزيد الكريم فلك ان تجر الكريم بكونه صفة زيد ولك ان تنصبه على تقدير اعنى وان شئت رفعته على تقدير هو الكريم ويسمى مثله مرفوعا على المدح فاذا قلت جاءنى قومك المطعمين فى المحل والمعينون فى الشدائد يكون التقدير جاءنى قومك اعنى المطعمين فى المحل وهم المعينون فى الشدائد فكذا الآية فان تقديرها اعنى المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة ولقائل ان يمنع عدم جواز الاعتراض بالمدح بين المبتدأ والخبر ويطلب الدليل على امتناعه ﴿قوله او عطف على ما انزل اليك﴾ فلا يكون منصوبا بل يكون مجرورا بعطفه على المجرور قبله وعلى هذا يكون قوله والمؤتون معطوفا على قوله والمؤمنون وعبر عن الانبياء بالمقيمين الصلاة لانه لم يخل شرع احد منهم من الصلاة قال تعالى فى سورة الانبياء بعد ان ذكر عددا منهم واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة ﴿قوله رفعه لاحد الاوجه المذكورة﴾ وهو كونه مرفوعا على المدح او على العطف على الراسخون او على الضمير فى يؤمنون وان لم يؤكد بمنفصل لوجود الفصل بينهما او على المقيمين على تقدير كونه مرفوعا بالابتداء ﴿قوله وهو جمع زبر بمعنى مزبور﴾ يعنى ان زبرا فى الاصل مصدر زبره بمعنى كتبه فيكون الزبر بمعنى الكتابة ثم جعل اسما للمفعول كما قالوا نسج اليمن بمعنى منسوجه ثم جمع على زبور كفلس وفلوس وشهر وشهور كما يطلق الكتاب الذى هو مصدر على المكتوب ثم يجمع على كتب وقيل انه جمع زبور بفتح الزاى لكنه على حذف الزوائد يعنى حذف الواو منه فصار زبرا على وزن فلس فجمع على زبور كفلس وفلوس ولا بأس به فان ترخيم التصغير جائز فكذلك التكبير ﴿قوله وهو منتهى مراتب الوحى﴾ حيث كان على وجه الخطاب من غير واسطة وتأكيد كلم بالمصدر يدل على انه عليه الصلاة والسلام سمع كلام الله حقيقة لا كما يقول القدرية من ان الله تعالى خلق كلاما فى محل فسمع موسى عليه الصلاة والسلام ذلك الكلام لان ذلك لا يكون كلام الله القائم به والافعال المجازية لا تؤكد بذكر المصادر فلا يقال اراد الحائط ان يسقط ارادة ﴿قوله ويكون رسلا موطئا﴾ والحال الموطئة ما لا تكون مقصودة لنفسها وانما المقصود صفتها الا ترى ان الرجولية مفهومة من قولك مررت بزيد رجلا صالحا وليست بمقصودة وانما المقصود الصلاحية ﴿قوله والآخر حال﴾ اى ما لا يكون خبرا من قوله على الله او للناس يكون حالا فان كان الخبر هو على الله يكون للناس حالا وان كان الخبر للناس يكون على الله حالا ولا يجوز ان يتعلق على الله بحجة وان كان المعنى عليه لان معمول المصدر لا يتقدم عليه ﴿قوله واحتج عليهم الخ﴾ وجه الاحتجاج ان كل واحد من هؤلاء الانبياء نبى ولم يأت واحد منهم بكتاب نزل جملة واحدة ولا بكتاب محرر بخط سماوى ولا بكتاب يعاينه اهل ذلك العصر حين ينزل ولا بكتاب نزل الى كل واحد منهم بعينه يدعوه الى تصديق نبيه فعلم بذلك ان ثبوت النبوة لا يتوقف على اتيان الكتاب على الوجه الموصوف وحاصل كلام المصنف ان الجملة الاستدراكية لا يبتدأ بها فلا بد من جملة متقدمة تكون هذه الجملة مستدركة عنها وتلك الجملة لم تذكر صريحا فهى ما يفهم من سؤالهم على وجه التعنت ان ينزل عليهم ما وصفوه من الكتاب فهو بمنزلة قولهم لا نشهد بان الله تعالى بعثك الينا رسولا حتى ينزل ما سألناه فقال تعالى انهم لا يشهدون بصدقك فى دعوى الرسالة لكن الله يشهد بما انزل اليك ان جحدوه وكذبوك فان انزال هذا القرآن البالغ فى الفصاحة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته واتيان ما يدانيه شهادة له عليه بنبوته وصدقه فى دعوى الرسالة وجعل انزال هذا القرآن المعجز شهادة منه تعالى بصدق نبيه لان الشاهد هو المبين لما شهد به والله تعالى لما بين بواسطة انزاله صدق نبيه فقد شهد شهادة مغنية عن شهادة اهل الكتاب بذلك ثم انه تعالى بين صفة ذلك الانزال بقوله انزله ملتبسا بعلم تام وحكمة بالغة والمقصود وصف القرآن بغاية الحسن ونهاية الكمال كما يقال فى الرجل المشهور بكمال الفضل والعلم اذا صنف كتابا واستقصى فى تجويده صنفه بكمال علمه يعنى انه اتخذ جملة علومه وسيلة الى تصنيف هذا الكتاب فيدل ذلك على وصف ذلك التصنيف بغاية الجودة والحسن فكذا هنا وقوله بعلمه حال من الفاعل اى انزله حال كون المنزل ملتبسا بعلمه الذى من جملة متعلقاته تأليف الكتاب المنزل على نظم يعجز عنه كل بليغ ومن جملة معلوماته ايضا حال من يستعد للنبوة فقوله او بحال من يستعد معطوف على قوله بتأليفه او من المفعول اى انزل الكتاب حال كونه ملتبسا بالعلم الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم

(والملائكة يشهدون) ايضا بنبوّتك وفيه تنبيه على انهم يودّون ان يعلموا صحة دعوى النبوّة على وجه يستغنى عن النظر والتأمّل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوّتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها (وكفى بالله شهيدا) اى وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوّتك عن الاستشهاد بغيره (ان الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا) لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق فى الضلال وابعد من الانقلاع عنه (ان الذين كفروا وظلموا) محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوّته او الناس بصدّهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او بأعم من ذلك وعليه الآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا) لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد فى النار وخالدين حال مقدّرة (وكان ذلك على الله يسيرا) لا يعسر عليه ولا يستعظمه (يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) لما قرّر امر النبوّة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الردّ (فآمنوا خيرا لكم) اى ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لابدّ منه ولانه يؤدّى الى حذف الشرط وجوابه (وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض) يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم لا يتضرّر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما فى السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه (وكان الله عليما) باحوالهم (حكيما) فيما دبر لهم

قوله وفيه تنبيه على انهم يودّون ان يعلموا لان علمهم ليس مقتضى ذواتهم كما ان وجودهم ليس كذلك بل جميع ما لهم من الفضائل انما يحصل لهم بان افاض الله تعالى ذلك عليهم من غير نظر وتأمل فانه تعالى لما بعثه رسولا الى خلقه وايده بالمعجزات تمثل شعاع العلم بذلك فى مرء آتهم المجلوّة عن الكدورات الطبيعية فشهادة الملائكة بذلك عبارة عن علمهم به بطريق الشهود والعيان الا انه عبر عنه بالشهادة تنبيها على ما ذكره ووجه التنبيه ان الشهادة انما تكون فى حق من يتوقف علمه على البيان هذا ما خطر بخاطرى الفاتر والله اعلم **قوله** اى وكفى بما اقام من الحجج مبنى على ان شهيدا تمييز فى معنى الفاعل وان شهادته تعالى عبارة عن بيانه باقامة الحجة فكأنه تعالى قال يا محمد ان كذبك هؤلاء اليهود فلا تبال بهم فان الله تعالى وهو اله العالمين يصدّقك فى دعواك وملائكة السموات ايضا يصدّقونك فى ذلك ومن صدّقه رب العالمين وملائكة العرش والكرسىّ والسموات السبع اجمعون لا ينبغى له ان يلتفت الى تكذيب اخس الناس وهو هؤلاء اليهود **قوله** لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال فان اليهود الذين تقدّم ذكرهم لم يكتفوا بان كفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن بل ضموا اليه صدّ غيرهم عن سبيل الله بالقاء الشبهات فى قلوبهم نحو قولهم لو كان رسولا لاتى بكتابه دفعة من السماء كما نزلت التوراة على موسى كذلك وقولهم ان الله تعالى ذكر فى التوراة ان شريعة موسى لا تتبدّل ولا تنتسخ الى يوم القيامة وقولهم ان الانبياء لا يكونون الا من ولد هرون وداود وغير ذلك **قوله** وعليه الآية تدل اى على ان يحمل الظلم على ما هو اعم من ذلك تدل الآية على ان الكفار مخاطبون بما يتفرّع صحته على الايمان من العبادات كالصوم والصلاة ونحوهما فان الله تعالى بين اوّلا ان ضلال من كفر منهم وصدّ غيره عن سبيل الله ضلال بعيد عن المقصد ثم بين وعيد من كفر وسلك سبيل الظلم مطلقا ومات عليه حيث حكم عليه بانه مخلد فى النار ولما رتب الوعيد المذكور على مجموع الكفر ومطلق الظلم علم ان مطلق الظلم له مدخل فى استحقاق العذاب وهو المراد من كون الكفار مخاطبين بالفروع فان الائمة الشافعية والحنفية قد اتفقوا على ان الكفار ليسوا مكلفين باتيان فروع الايمان كالصوم والصلاة حال كفرهم كما اتفقوا على ان لا قضاء عليهم بعد الايمان وعلى انهم يؤاخذون بترك اعتقاد الوجوب فى حق العبادات وانما الخلاف فى انهم هل يعذبون بترك العبادات كما يعذبون بترك الاصول اولا فاختار الشافعية الاوّل والحنفية الثانى وقالوا قوله تعالى ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين معناه لم نك ممن يعتقد بوجوبها **قوله** لجرى حكمه السابق مستفاد من قوله لم يكن وقوله من مات على كفره اشارة الى ان قوله تعالى ان الذين كفروا وصدّوا اذا لم يحمل على المعهود السابق بل حمل على الاستغراق فلابدّ ان يضمر فى الآية الموت على الكفر وعدم التوبة عنه لما تقرّر من ان الدلائل الدالة على ان من تاب على الكفر فانه يغفر له جميع سيئاته السابقة **قوله** لا يعسر عليه اى ليس المراد من كون ايصال الالم اليه شيأ بعد شئ الى غير النهاية يسيرا عليه قلة التعب والمؤنة فيه بل المراد ان ذلك لا يصعب عليه كما يصعب على غيره **قوله** تعالى بالحق متعلق بمحذوف والباء للحال اى جاءكم الرسول ملتبسا بالحق وهو القرآن المعجز الذى شهد اعجازه على حقيته او بالدعوة الى عبادة الله تعالى وحده والاعراض عما سواه فان العقل السليم يشهد على انه الحق ويجوز ان يتعلق بنفس جاءكم اى جاءكم بسبب اقامة الحق والدعوة اليه دعا الله تعالى كافة الناس الى الايمان به عليه الصلاة والسلام والزم الحجة عليهم بكون مجيئه عليه الصلاة والسلام بالحق ووعد الخير لاهل الاجابة واوعد اهل الردّ بان ضررهم لا يتعداهم وقوله من ربكم متعلق بجاء اى جاء من عند الله وانه مبعوث مرسل غير متقوّل ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الحق **قوله** اى ايمانا خيرا لكم على ان خيرا صفة مصدر محذوف وفائدة التقييد بالصفة الاحتراز عن الايمان باللسان او التأكيد او الثناء على الايمان **قوله** او ائتوا امرا خيرا لكم على انه منصوب بفعل مضمر مدلول عليه بقوله آمنوا فانه تعالى لما امرهم بالايمان فهم منه انه يريد اخراجهم من امر وادخالهم فيما هو خير منه وهذا القول ينسب الى الخليل وسيبويه والقول الاوّل الى الفرآء وذهب الكسائى وابو عبيدة الى ان خيرا منصوب على انه خبر كان المضمرة والتقدير يكن الايمان خيرا لكم ولم يرض به المصنف بناء على ما ذهب اليه البصريون من انه لا يجوز حذف كان مع اسمها من غير ضرورة وايد ضعفه من هذا الوجه بان كان المقدرة مع اسمها جواب شرط محذوف فيلزم حذف الشرط مع جوابه فان التقدير ان تؤمنوا يكن الايمان خيرا لكم فحذف الشرط وهو ان تؤمنوا وجوابه وهو يكن الايمان وابقى معمول الجواب وهو خيرا ويمكن دفع ما ذكره للتأييد بانه

لاحاجة لنا فى جزم يكن المقدّر الى اضمار شرط صناعى وان كان المعنى عليه لانه يكفى فى جزمه وقوعه جوابا للامر قبله وهو قوله فآمنوا فانك اذا قلت زرنى اكرمك يكون قولك اكرمك مجزوما لوقوعه جوابا للامر من غير ان يقدّر شرط صناعى ﴿قوله تعالى الا الحق﴾ استثناء مفرّغ وفى نصبه وجهان احدهما انه مفعول به لانه يصح ان يتعلق به القول نحو قلت خطبة وثانيهما انه نعت مصدر محذوف اى الا القول الحق وهو قريب فى المعنى من الاوّل وقوله المسيح مبتدأ بعد انّ المكفوفة بما وعيسى بدل منه او عطف بيان وابن مريم صفته ورسول الله خبر المبتدأ وكلمته عطف عليه وألقاها فى موضع الحال باضمار قد وعاملها معنى كلمة لانها فى معنى المكوّن بالكلمة من غير أب فكأنه قيل ومكوّنه ومبتدعه قد ألقاه الى مريم وذو الحال هو الضمير المستتر فى كلمته الراجع الى عيسى لانه لتضمنه معنى المشتق نحو المكوّن والمنشأ والمبتدع استتر فيه الضمير فانه عليه الصلاة والسلام وجد بكلمة الله وامره من غير واسطة أب ولا نطفة لقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن ﴿قوله وروح﴾ عطف على كلمته ومنه صفة روح ومن لابتدآء الغاية واشار المصنف اليه بقوله وذو روح صدر بلا واسطة الاب والنطفة وليست تبعيضية لاستحالة التجزّى على الله تعالى حكى ان بعض النصارى ناظر بعض اكابر المسلمين وقال فى كتاب الله مايشهد بان عيسى جزؤ من الله تعالى وتلا وروح منه فعارضه المسلم بقوله وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا منه وقال يلزم عليه ان تكون تلك الاشياء جزأ من الله تعالى وهو محال بالاتفاق فانقطع كلام النصرانى واسلم قيل معنى كونه عليه الصلاة والسلام روحا انه ذو روح صادر منه تعالى كسائر ذوى الارواح الا انه تعالى اضاف روحه الى نفسه تشريفا وقيل المراد بالروح هو الذى نفخه جبريل عليه الصلاة والسلام فى درع مريم فحملت بأذن الله تعالى من ذلك النفخ سمى النفخ روحا لانه كان ريحا تخرج من الروح واضاف تعالى نفخة جبريل الى نفسه حيث قال وروح منه بناء على ان ذلك النفخ الواقع من جبريل كان بأذن الله تعالى وامره فهو منه وعن ابىّ بن كعب انه قال ان الله تعالى لما اخرج الارواح من ظهر آدم اخذ الميثاق عليها ثم ردّها الى ملك عنده روح عيسى الى ان اراد خلقه ثم ارسل ذلك الروح الى مريم فدخل فى فيها فكان منه عيسى والنصارى لما قالوا فى حق عيسى عليه السلام ان لاهوتيته اى آلهيته من جهة الاب وناسوتيته اى انسانيته من جهة الام قرّر تعالى قولهم بناسوتيته من جهة الام حيث وصفه ببنوّته لمريم وقصره على الرسالة ردّا عليهم قولهم انه ابن الله فهو من باب القصر الافرادى ثم قال فآمنوا بالله ورسله اى فآمنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه آلها ﴿قوله اى الآلهة ثلاثة الى قوله او الله ثلاثة﴾ يعنى ان فرق النصارى مع اتفاقهم على القول بالتثليث حكى عنهم مذهبان الاوّل انهم قالوا آلهتنا ثلاثة الله وصاحبته وابنه ويدل على ذهابهم اليه قوله تعالى لعيسى ءأنت قلت للناس اتخذونى وامى آلهين والثانى مما حكى عنهم انهم يقولون انه تعالى جوهر واحد مركب من ثلاثة اقانيم والاصح ان مذهبهم هو الاوّل واليه اشار المصنف بقوله ان صح انهم يقولون الخ وماذهبوا اليه من التثليث بأىّ معنى كان باطل منهىّ عنه بقوله تعالى ولا تقولوا ثلاثة ﴿قوله نصبه لما سبق﴾ اى من الوجوه المذكورة فى خيرا فى قوله فآمنوا خيرا لكم اى انتهاء خيرا لكم او ائتوا خيرا لكم من القول بالتثليث وقيل يكن الانتهاء خيرا لكم ﴿قوله فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرّق اليه فناء﴾ فأن التوالد انما هو لحفظ النوع عن الانقراض فلذلك لم تتوالد الملائكة ولا اهل الجنان فمن كان نشأته وتكوّنه للبقاء اذا لم يكن له ولد مع كونه حادثا ذا امثال فبالأولى ان لا يتخذ الله تعالى ولدا وهو ازلىّ ابدىّ منزه عن الامثال والاشباه ثم انه تعالى فى كل موضع نزه نفسه عن الولد نبه على ان جميع مافى السموات والارض مختص به خلقا وملكا للاشارة الى ان من زعم المبطلون انه ابن الله وصاحبه مملوك ومخلوق له لكونه من جملة مافى السموات ومافى الارض فلا تتصور المجانسة والمماثلة بين الخالق والمخلوق والمالك والمملوك فكيف يعقل مع هذا توهم كونه له ولدا وزوجة ثم قال تعالى وكفى بالله وكيلا اى مفوّضا اليه القيام بتدبير ملكه فلا حاجة معه الى القول باثبات اله آخر ولا الى القول باثبات صاحبة له وولد وهو اشارة الى مايذكره المتكلمون من انه سبحانه لما كان عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات كان كافيا فى الالهية فلو فرضنا الها آخر معه لكان معطلا لا فائدة فيه وذلك نقص والناقص لا يكون آلها ﴿قوله لن يأنف﴾ يقال أنف من الشئ يأنف اذا ترفع وتعظم من ان يتصف به فان الاستنكاف استفعال من النكف وهو الانفة والترفع والمعنى ان من يزعمون انه آله لن يأنف من ان يكون عبد الله تعالى ولا ينجى عنه صفة عبودية الله تعالى ﴿قوله وجوابه ان الآية للرد على عبدة

الله وكلمته ألقاها الى مريم) اوصلها اليها وحصلها فيها (وروح منه) وذو روح صدر منه لابتوسط مايجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل سمى روحا لانه كان يحيى الاموات او القلوب (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) اى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى ءأنت قلت للناس اتخذونى وامى آلهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة (انتهوا) عن التثليث (خيرا لكم) نصبه لما سبق (انما الله اله واحد) اى واحد بالذات لاتعدد فيه بوجه ما (سبحانه ان يكون له ولد) اى اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرّق اليه فناء (له مافى السموات وما فى الارض) ملكا وخلقا لايماثله شئ من ذلك فيتخذه ولدا (وكفى بالله وكيلا) تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف فى ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه (لن يستنكف المسيح) لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته بأصبعك كى لايرى اثره عليك (ان يكون عبدالله) من ان يكون عبداله فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية غيره روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحبكم قالوا عيسى عليه السلام قال عليه السلام واىّ شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدالله قالوا بلى فنزلت (ولا الملائكة المقرّبون) عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد قول النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف اعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لايخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقرّبين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لايستلزم

﴿المسيح والملائكة﴾ يعنى ان هذا ليس لتفضيل الملائكة على البشر بل هو للرد على النصارى قالوا المسيح ابن الله ومشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله فردّ الله على الفريقين بقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدالله وهذا ردّ على النصارى وردّ على مشركى العرب بقوله ولا الملائكة المقرّبون فلا دلالة للآية على تفضيل الملائكة ﴿قوله تفصيل للمجازاة العامة الى قوله او لمجازاتهم﴾ جواب اعمايقال ان هذا التفصيل لايطابق المفصل لان التفصيل وهو قوله فاما الذين آمنوا واما الذين استنكفوا اشتمل على ذكر فريق المستنكفين وغيرهم والمفصل اى المجمل الذى فصل وهو المذكور بقوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا انما اشتمل على ذكر فريق المستنكفين والتفصيل المذكور لايطابق هذا المجمل واجاب عنه بوجهين الاوّل انا لانسلم ان هذا المجمل لاتعرّض فيه لغير المستنكفين بل هو مدلول عليه بفحوى ذلك المجمل لان حشر المجرمين انما يكون يوم حشر عامّة المكلفين للمجازاة فذكر حشرهم يدل على حشر الجميع لها مجملا ففصل امر مجازاة الجميع بذلك فطابق التفصيل المفصل بهذا الاعتبار والثانى ان ماذكرت انما يرد ان لوكان المقصود تفصيل حال الفريقين وليس كذلك بل المقصود تفصيل عذاب فريق المستنكفين الى نوعين احدهما التعذيب بنار الجحيم والآخر بنار الحسرة على عدم الاطلاع على كرامة اضدادهم ومثوبات اعمالهم ﴿قوله وبالنور القرآن﴾ سمى نورا لكونه سببا لوقوع نور الايمان فى القلب ولانه يتبين به الاحكام كما يتبين بالنور الاعيان ﴿قوله وقيل البرهان الدين﴾ فان الدين الحق لابتنائه على البراهين القاطعة صار كأنه هو البرهان وسمى عليه الصلاة والسلام برهانا لان حرفته اقامة البرهان على تحقيق الحق وابطال الباطل وسمى القرآن برهانا لكونه من حيث اعجازه برهانا على صدق مبلغه فى دعوى الرسالة وعلى التقادير يكون المراد بالنور القرآن ايضا غايته انه سمى برهانا ونورا باعتبارين وقوله من ربكم يجوز ان يتعلق بمحذوف هو صفة لبرهان اى برهان كائن من ربكم وان يتعلق بنفس جاء ﴿قوله تعالى واعتصموا به﴾ اى امتنعوا به عن اتباع النفس الامّارة بالسوء وتسويلات الشيطان ﴿قوله تعالى صراطا مستقيما﴾ مفعول ثان ليهدى لانه يتعدّى الى مفعولين بنفسه كما يتعدّى الى الثانى بالى يقال هديته الطريق وهديته الى الطريق ويكون اليه حالا منه متقدّما عليه ولو أخر عنه كان صفة له والمعنى ويهديهم صراط الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى العقبى مؤدّيا ومنتهيا اليه تعالى وعلى تقدير ان يكون ضمير اليه للموعود يكون المعنى ويهديهم صراط الاسلام والطاعة فى الدنيا مؤدّيا الى الموعود ﴿قوله اى فى الكلالة﴾ اشارة الى ان قوله تعالى يستفتونك ويفتيكم تنازعا فى لفظ الكلالة واعمل فيه الثانى على مااختاره البصريون فانهم ذهبوا الى ان التنازع ان كان فى الفاعلية نحو ضربنى واكرمنى زيد يعمل الفعل الثانى ويضمر فاعل الاوّل فيه بناء على ان حذف الفاعل اشنع من الاضمار قبل الذكر وان كان التنازع فى المفعولية كما فى هذه الآية وفى قوله تعالى هاؤم اقرأوا كتابيه وقوله آتونى افرغ عليه قطرا يعمل الثانى ايضا ويحذف مفعول الاوّل لانه فضلة فيحذف حذرا من الاضمار قبل الذكر فان ذلك وان كان مغتفرا فى الفاعل لكنه غير مغتفر فى المفعول فيصار الى الحذف الا ان يتعذر حذفه بأن يكون احد مفعولى باب علمت مع ذكر مفعوله الآخر فحينئذ يجب اظهاره لانه لما تعذر الحذف وتعذر الاضمار ايضا لكونه اضمارا قبل الذكر فى المفعول لا فى الفاعل تعين الاظهار ﴿قوله فقال انى كلالة﴾ اى لايخلفنى ولد ولا والد فان الكلالة عند جمهور اهل اللغة وكثير من الصحابة عبارة عن من لايخلف ولدا ولا والدا وقد تجعل الكلالة اسما للقرابة من غير جهة الوالد والولد من حيث انها لم تكن من جهة احدهما بل كانت حالة ضعيفة وقد تطلق الكلالة ايضا على الوارث الذى لايكون ولدا ولا والدا كما روى عن جابر رضى الله عنه انه قال عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مريض لااعقل فتوضأ وصب علىّ من وضوئه فعقلت فقلت يارسول الله لمن الميراث وانما يرثنى كلالة فنزلت فعلى هذه الرواية تكون الكلالة اسما لمن عدا الولد والوالد من الورثة وعلى مارواه المصنف تكون اسما للمورّث الذى مات ولا يرثه احد من الوالدين ولا احد من الاولاد وقيل الله تعالى انزل فى الكلالة آيتين احداهما فى الشتاء وهى التى فى اوّل هذه السورة والاخرى فى الصيف وهى هذه الآية ولهذا تسمى هذه الآية آية الصيف ﴿قوله وهى آخر مانزل فى الاحكام﴾ وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى انه بعد مانزلت سورة النصر عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم عاما ونزلت بعدها براءة وهى آخر سورة نزلت كاملة فعاش النبى بعدها ستة اشهر ثم نزل فى طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم

(فى)

(فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولايجدون لهم من دون الله وليا ولانصيرا) تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكأنه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة (ياايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا) عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اى جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين اورسول الله او القرآن (فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه) فى ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لاقضاء لحق واجب (وفضل) احسان زائد عليه (ويهديهم اليه) الى الله وقيل الى الموعود (صراطا مستقيما) هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة (يستفتونك) اى فى الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روى ان جابر بن عبدالله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف اصنع فى مالى فنزلت وهى آخر مانزل فى الاحكام (قل الله يفتيكم فى الكلالة) سبق تفسيرها فى اوّل السورة

في الكلالة وقيل نزلت وهو عليه الصلاة والسلام يتجهز لحجة الوداع فسميت آية الصيف لانها نزلت في الصيف
ثم نزل وهو عليه الصلاة والسلام واقف بعرفات اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا فعاش بعدها احدا وثمانين يوما ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدا
وعشرين يوما والله اعلم ﴿ قوله لانه جعل اخوها عصبة ﴾ حيث قيل وهو يرثها من غير ان يقدر له سهم
فدل ذلك على ان الاخ يستغرق ميراث الاخت ان لم يكن للاخت ولد ذكرا كان او انثى ويحوز مابقي من فرض
البنت ان كان للاخت ولد انثى وعلى التقديرين يرث الاخ اخته بطريق العصوبة ولا تعصيب لاولاد الام اذ ليس
لهم الاحوال ثلاث السدس للواحد والثلث للاثنين فصاعدا او السقوط بالولد وولد الابن وبالاب والجد
﴿ قوله غير ابن عباس ﴾ فانه يجعل البنت حاجبة للاخت ويحكم فيما اذا اجتمعت بنت واخت بان النصف
للبنت ولا شيء للاخت تمسكا بهذه الآية فانها جعلت الولد حاجبا للاخت ولفظ الولد يتناول الذكر والانثى وايضا
الآية في توريث الكلالة والمورث الذي خلف بنتا لا يكون كلالة فتوريث الاخت مع البنت مخالف لهذه من وجهين
ونحن نقول قوله عليه الصلاة والسلام * اجعلوا الاخوات مع البنات عصبة * صريح في استحقاقهن مع البنات
فلابد ان يقال انتفاء الولد في الآية مطلقا ليس شرطا لنفس استحقاق الاخت حتى يحكم بسقوطها مع الولد بل
هو شرط لاستحقاقها النصف وانها مع الابن لا تستحق شيأ ومع البنت لا تستحق النصف بل تستحق مابقي من فرض
البنات نصفا كان او ثلثا فثبت ان لفظ الولد باق على ظاهر عمومه فان الانتفاء شرط لاستحقاق الاخت النصف
﴿ قوله ان كان الامر بالعكس ﴾ اي كان الهالك اخت المرء لا نفسه ﴿ قوله وكذا مفهوم قوله ﴾
عطف على قوله السنة يعني ان بني الاعمام وبني العمات كما يسقطون بالولد بنص هذه الآية يسقطون ايضا بالاب
بالاتفاق وبالجد عند ابي حنيفة استدلالا بالسنة وبدلالة مفهوم هذه الآية على تقدير ان تفسر الكلالة بالوارث
فان الفتيا انما وقع في الكلالة من ليس له والد ولا ولد ومن كان له احدهما لا يكون كلالة فكان هذا قرينة على
ان المراد ليس له والد ولا ولد ﴿ قوله وتثنيته محمولة على المعنى ﴾ جواب عما يقال ضمير كانتا لما كان راجعا
الى من يرث بالاخوة المدلول عليه بما سبق من قوله وله اخت فلها نصف ماترك فاوجه تثنيته * ومحصول الجواب ان
ضمير من يثنى ليدل على ان مدلوله مثنى كما انث ضمير من في قولهم من كانت امك ليدل على ان مدلوله مؤنث
﴿ قوله وفائدة الاخبار عنه باثنتين ﴾ جواب عما يقال ان الخبر لابد ان يفيد مالا يفيده المبتدأ والا لكان
الاخبار به عنه لغوا فلذلك لا يقال سيد الجارية مالكها ولا شك ان الف كانتا تدل على تثنية مرجعها فما الفائدة
في الاخبار عنها بانها اثنتان * وتقرير الجواب ان الفائدة فيه التنبيه على ان الحكم المعلق بهذا الشرط مرتب على مجرد
العدد من غير اعتبار وصف زائدة من اوصاف من يرث بالاخوة وهذا الجواب غير واضح لان الف كانتا تدل على ان
الحكم المعلق بهذا الشرط مرتب على مجرد تثنية الذات فينتفي السؤال بأن الخبر لم يفد غير ما افاده المبتدأ الا انه فرق
بين مجرد تثنية الذات وبين كون الحكم مرتبا عليها وفائدة الاخبار التنبيه على الثاني وكذا الكلام في مرجع
ضمير كانوا ووجه كونه جمعا مع رجوع الى ضمير من وفائدة الاخبار عنه بالجمع وقوله تعالى فلهما الثلثان مما ترك
يدل على ان الاخت المذكورة في هذه الآية ليست هي الاخت لام روي ان الصديق رضي الله عنه قال في خطبة
ان الآية التي انزلها الله في سورة النساء لبيان الفرائض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة
من الام والآية التي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات لاب وام او لاب والآية التي ختم بها سورة الانفال نزلت
في اولي الارحام لبيان ان بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ﴿ قوله يبين لكم ضلالكم ﴾ على ان ان تضلوا
مفعول يبين الله لكم وقوله او يبين لكم الحق والصواب اي في امر توريث الكلالة كراهة ان تضلوا في امر توريثها
وقوله وقيل لئلا تضلوا لحذف لا بعد ان وحذف اللام الجارة قبل ان ومثله قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا اي لئلا تزولا وحديث ابن عمر رضي الله عنهما وهو لا يدعون احدكم على ولده ان يوافق من الله اجابة اي لئلا
يوافق وكونه مفعولا له على حذف المضاف راجح على هذا الوجه لان حذف المضاف اشنع من حذف لا النافية
﴿ قوله واعطي من الاجر ﴾ عطف على قوله فكانما وقوله واعطي من الاجر كمن اشترى اي مثل اجر من
اشترى عبدا يؤول الى التحرير اي اشتراه بنية الاعتاق
* سورة المائدة مدنية كلها الا قوله تعالى * اليوم اكملت لكم دينكم * الى قوله غفور رحيم فانها نزلت بعرفات

(ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها
نصف ماترك) ارتفع امرؤ بفعل يفسره
الظاهر وليس له ولد صفة اوحال من المستكن
في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف
والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب
لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون
عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان
ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما لكنها لا ترث
النصف (وهو يرثها) اي والمرء يرث اخته
ان كان الامر بالعكس (ان لم يكن لها ولد)
ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع
مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب
الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة
بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد
دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا
مفهوم قوله قل الله يفتيكم في الكلالة ان
فسرت بالميت (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان
مما ترك) الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة
على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه
على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر
والكبر وغيرهما (وان كانوا اخوة رجالا
ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) اصله وان
كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر
(يبين الله لكم ان تضلوا) اي يبين لكم
ضلالكم الذي من شأنكم اذا خليتم
وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه
او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان
تضلوا وقيل لئلا تضلوا لحذف لا وهو قول
الكوفيين (والله بكل شيء عليم) فهو عالم
بمصالح العباد في المحيا والممات * عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء
فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث
ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا
وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى
من الذين يتجاوز عنهم

عشية فى عام حجة الوداع روى عنه عليه الصلاة و السلام قال * ان سورة المائدة كانت من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها و حرموا حرامها * لما ذكر الله تعالى قبائح اهل الكتاب و ذكر منها نقضهم ميثاقهم و عهود الله التى الزمهم اياها فى السورة المتقدمة امر المؤمنين فى اول هذه السورة بالوفاء بالعهود التى تتناول عهد الله تعالى مع عباده وهى اوامره و نواهيه و عهود العباد مع الله تعالى وهى الايمان و النذور و العهود الجارية بين بعض الناس مع بعضهم فى المعاملات الواقعة بينهم فقال ياايها الذين امنوا اوفوا بالعقود

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله و كذلك الايفاء ﴾ يعنى ان الوفاء و الايفاء بمعنى و هو القيام بمقتضى العهد يقال و فى بالعهد وفاء و اوفى به ايفاء اذا اتى ماعهد به و لم يغدر و النقل الى باب الافعال لايفيد شيأ سوى المبالغة و العقد هو العهد الموثق اى المحكم فالعقد او كد العهود و احكمها شبهت العزيمة الموثقة بعقد الحبل بالحبل و شدّه بحيث يعسر الانفصال فانهم لما شبهوا العهد بالحبل شبهوا الموثق به بالحبل المعقود و المشدود بشئ و اطلق اسم المشبه به و هو العقد بمعنى المعقود و المشدود و اريد العهد الموثق فهو مستعار من عقد الحبل و شدّه بشئ و استشهد على كون العقد بمعنى العهد بقول الحطيئة فى مدح قومه

* قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدّوا العناج و شدّوا فوقه الكربا *

العناج كالكتاب فى الدلو مايشدّ فى اسفلها ثم يشدّ الى العراقى فيكون عونا لها و للاوزام فاذا انقطعت الاوزام امسكها العناج فان للدلو اوزاما توضع على رأسها خشبتان كالصليب و يشدّ اطرافهما بالسيور فالخشبتان عرقوتان و تلك السيور اوزام ثم يجعل حبل فى اسفل الدلو الى العراقى و يشدّ ذلك حتى لوانقطعت الاوزام قام ذلك الحبل الكبير مقامها و ذلك الحبل هو الكرب فالكرب فى اعلى الدلو و العناج فى اسفلها ثم يجعل فى الكرب الحبل الكبير الذى ينزح الماء به و مقصود الشاعر المبالغة فى وصف قومه بالوفاء للعهد استعار للعهد عقد الحبل ثم رشحها بشدّ العناج و شدّ الكرب لانهما للتوثيق و الاحتياط من الطرفين الاسفل و الاعلى و بعد البيت قوله

* قوم هم الانف و الاذناب غيرهموا * و من يسوّى بأنف الناقة الذنبا *

و القوم الممدوحون بنوا أنف الناقة و سموا بأنف الناقة لان اباهم الاكبر و هو جعفر بن قريع قد نحر ابوه جزورا فقسمها بين نسائه فبعثت جعفرا امه و قد قسمت الجزور و لم يبق الارأسها فقال له شأنك به فادخل يده فى انفها و جعل يجرها فلقب به و كانوا يستنكفون من هذا اللقب و يعدونه لقبا شنيعا غاية الشناعة الى ان ابرزه الحطيئة فى صورة المدح و كال الرياسة فصاروا بعد ذلك يفتخرون به ﴿ قوله و لعل المراد بالعقود ﴾ لما فسر العقد بالعهد الموثق و الالزام المؤكد و كان لفظ العقود جمعا محلى باللام و هو يفيد العموم تناول الانواع الثلاثة لان عقود النوع الاول ماعهد به الله تعالى و الزمه على عباده من الايمان و الطاعة بامتثال الاوامر و الاجتناب عن المعاصى و المنكرات و الثانى ماالزمه الانسان على نفسه بالنذر و اليمين و الثالث عقود الناس و معاملاتهم الشرعية مثل البيوع و الاجارات فلما كان لفظ العقود بعمومه متناولا لجميع بقية الانواع لم يبق وجه لتخصيصه ببعض العهود دون بعض ثم ان الله تعالى امر المؤمنين بأن يوفوا جميع ماأوجب الله تعالى عليهم من التكليف على سبيل التفصيل فبدأ بذكر مايحل و يحرم من المعلومات فقال عزمن قائل احلت لكم بهيمة الانعام فان تحريم ماحرّم الله و احلال ماأحله من جملة وجوه الوفاء بعهده المؤكد بالدلائل على وجوب قبول ماوصى به و فيه اشارة الى بطلان تحريم اهل الجاهلية على انفسهم بعض الانعام كالبحيرة و السائبة و الحامى و الى بطلان قول الثنوية الذين لايرون ذبح الحيوانات و اكلها و يقولون انه ايلام لاتعقل و اكلها ناشئ من القسوة و قلة الرحمة فاخبر الله تعالى ان الحكم لله خلق كل نوع من الحيوانات لمنفعة راجعة الى عباده كالركوب و الحراثة و الانتفاع بلحومها و ألبانها و أشعارها و اصوافها و لايستحلون شيأ منها الاباذن الله تعالى و اباحته قال تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا فلا يحرم شئ منه مالم يقم دليل حرمته ﴿ قوله و البهيمة كل حى لايميز ﴾ من قولهم استبهم الامر على فلان اذا اشكل و لم يدر طريق الوصول اليه فسمى الحى الذى لايعقل بهيمة لاستبهام الامور عليه و كونها مبهمة بالنسبة اليه ثم غلب على ذوات الاربع من حيوانات البر و البحر و الانعام هى الابل و البقر و الضأن و المعز و الذكر من كل واحد من هذه الانواع الاربعة زوج بانثاه و انثاه زوج بذكرها فكان مجموع هذه الانواع ثمانية بهذا الاعتبار من الضأن

(سورة المائدة مدنية و هى مائة و ثلاث و عشرون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) الوفاء هو القيام بمقتضى العهد و كذلك الايفاء و العقد العهد الموثق قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدّوا العناج و شدّوا فوقه الكربا *

و اصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال و لعل المراد بالعقود مايعم العقود التى عقدها الله تعالى على عباده و الزمها اياهم من التكاليف و مايعقدون بينهم من عقود الامانات و المعاملات و نحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب و الندب (احلت لكم بهيمة الانعام) تفصيل للعقود و البهيمة كل حىّ لايميز و قيل كل ذات اربع و اضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز و معناه البهيمة من الانعام و هى الازواج الثمانية

اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين و من البقر اثنين فالبهيمة سوآء فسرت بحي لا يميز او بذات القوآئم الاربع تكون من الانعام لا تتناول غير الانواع الاربعة من ذوات الاربع والعام قد يضاف الى الخاص للتخصيص و البيان نحو ثوب خز فان الثوب اسم جنس يتناول جميع انواع الثياب و الخز نوع منه اضيف اليه جنس الثوب لبيان ان المراد منه نوع مخصوص منه واضافة البهيمة الى الانعام من هذا القبيل حيث اضيف العام الى الخاص لتخصيص العام و بيان المراد منه و مثلها تسمى اضافة بيانية مقدرة بمن البيانية فانها قد تكون بيانية كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان اى الذى هو الاوثان ﴿قوله والحق بها الظباء و بقر الوحش﴾ يعنى انهما ليستا من الازواج الثمانية فلا تتناولهما بهيمة الانعام الا ان حكم الاحلال يتناولهما الحاقا لهما ببهيمة الانعام لمشابهتهما اياها فى الاجترار و عدم الانياب والاجترار ان يجر العلف من جوفه و يخرجه الى حلقه ليتم مضغه فيبلعه ﴿قوله وقيل هما المراد بالبهيمة و نحوهما﴾ عطف على قوله والحق بها الظباء اختار ان المقصود من الآية بيان حل الازواج الثمانية حل ما يماثلها بطريق القياس ثم نقل ما قيل من ان المراد ببهيمة الانعام ما يماثل الانعام من الحيوانات الوحشية و المقصود بيان حلها واضافتها الى الانعام حل ما يماثلها واذا ثبت حل ما يماثلها بطريق القياس عليها ثبت حل نفسها بطريق الاولى و يؤيد هذا الاحتمال قوله بهيمة الانعام بالاضافة لانه لو كان المراد بالمضاف والمضاف اليه شيأ واحدا وكانت الاضافة بيانية لكفى ان يقال احلت لكم الانعام اذ لا تظهر الفائدة فى سلوك طريق الاضافة الا ان يقال الفائدة كون التفصيل بعد الاجمال و التفسير بعد الابهام اوقع فى النفس و أدخل فى البيان ﴿قوله الا محرم ما يتلى عليكم او الا ما يتلى عليكم تحريمه﴾ لما كان ما يتلى هو الالفاظ القرآنية لم يصح استثناؤه من بهيمة الانعام الا بتقدير المضاف او الفاعل فقدر المضاف اولا حيث قال الا محرم ما يتلى عليكم اى الا الذى حرمه المتلو من القرآن و هو الميتة و الدم الى قوله و ما ذبح على النصب ثم قدر الفاعل حيث قال او الا ما يتلى عليكم تحريمه و على التقديرين يكون قوله الا ما يتلى استثناء متصلا من قوله بهيمة الانعام منصوب المحل لوقوعه فى كلام موجب كأنه قيل احلت لكم بهيمة الانعام الا الميتة و التاء فيها للنقل اى لتكون علامة لنقلها من الوصفية الى الاسمية و عدم احتياجها الى ذكر الموصوف و يستوى المذكر والمؤنث فى مثلها وقيل التاء فيها للتأنيث لكونها صفات لموصوف مؤنث كالبهيمة ﴿قوله غير محلى الصيد حال من الضمير فى لكم﴾ فيه انه يلزم منه تقييدا حلال بهيمة الانعام لهم بحال كونهم غير محلى الصيد و هم حرم اذ يصير المعنى انى احللت لكم بهيمة الانعام فى حال عدم احلالكم الصيد وانتم محرمون و لا تظهر الفائدة فى هذا التقييد اذ الظاهر ان احلال الله لكم اياها غير مقيد بحال عدم احلال الصيد فى حال الاحرام ﴿قوله وقيل من واو اوفوا﴾ والمعنى اوفوا بالعقود فى حال عدم احلالكم الصيد و انتم محرمون و لم يرض به المصنف لاستلزامه الفصل بين الحال و صاحبها بجملة اجنبية و ايضا يلزم تقييد الامر بايفاء العقود بهذه الحال و اذا اعتبرنا مفهومه يصير المعنى اذا انتفت هذه الحال فلا توفوا بالعقود وليس الامر كذلك فانهم مأمورون بالايفاء على كل حال ﴿قوله و قيل استثناء﴾ اى من بهيمة الانعام و التقدير الا ما يتلى عليكم آية تحريمه الا الصيد و انتم محرمون و هو تعسف لان استعمال غير فى الاستثناء قليل و الحمل على القليل النادر مع جواز الوجه الشائع تعسف لا يحمل عليه الكلام البليغ مع ان اداة الاستثناء دخلت على احلال الصيد لا على الصيد الذى صيد حال الاحرام و لا يخفى ان استثناء احلال الصيد من البهيمة تعسف ظاهر * قال الامام واعلم انه تعالى لما ذكر قوله احلت لكم بهيمة الانعام واقتضى احلالها لهم على على جميع الوجوه بين الله تعالى باستثناء ما يتلى علينا آية تحريمه ان البهيمة ان كانت ميتة او موقوذة الى آخره فهى محرمة و النوع الثانى من الاستثناء هو قوله تعالى غير محلى الصيد و انتم حرم فانه تعالى لما احل بهيمة الانعام ذكر الفرق بين صيدها و بين غير صيدها و بين لنا ان ما كان منها صيدا فانه حلال فى الاحلال دون الاحرام وما لم يكن صيدا فانه حلال فى الحالين نقل عن القرطبى انه قال هذه الآية على قصر ألفاظها تتضمن خمسة احكام الاول الوفاء بالعقود و الثانى تحليل بهيمة الانعام و الثالث استثناء ما يتلى علينا آية تحريمه بعد ذكر الحكم الثالث و الرابع استثناء حال الاحرام فيما يصاد والخامس ما تقتضيه الآية من اباحة الصيد لمن ليس بمحرم * وحكى ان اصحاب الكندى من الفلاسفة قالوا له ايها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن فقال نعم اعمل لكم مثل بعضه فاحتجب اياما ثم خرج فقال والله ما اقدر و لا يطيق هذا احد انى فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرت فاذا هو قد نطق بالزام الوفاء ونهى عن النكث و حلل تحليلا عاما ثم استثنى استثناء بعد استثناء ثم اخبر عن قدرته و حكمته

والحق بها الظباء و بقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام فى الاجترار و عدم الانياب واضافتها الى الانعام للابسة التشبيه (الا ما يتلى عليكم) الا محرم ما يتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه (غير محلى الصيد) حال من الضمير فى لكم وقيل من واو أوفوا و قيل استثناء وفيه تعسف

في سطرين ولا يقدر احد ان يأتي بهذا الا في اجلاد وكل ذلك يدل على انهم جعلوا قوله غير محلي الصيد وقوله الا ما يتلى عليكم مستثنيين من شئ واحد وهو بهيمة الانعام ﴿قوله والصيد يحتمل المصدر والمفعول﴾ فانه في الاصل مصدر صاد يصيد يطلق على المصيد من الحيوان الممتنع المتوحش كما يطلق ضرب الامير على مضروبه من الدراهم والدنانير والصيد المذكور في الآية يحتمل الامرين فان كان باقيا على مصدريته يكون المعنى غير محلي الاصطياد وانتم محرمون وان كان واقعا موقع المفعول يكون المعنى غير المحلين الشئ المصيد وانتم محرمون وقوله تعالى حرم جمع حرام بمعنى محرم يقال احرم فلان اذا دخل الحرم او في الاحرام ﴿قوله وانتم حرم حال﴾ اي من الضمير في قوله محلي وجعله حالا من نفس محلي يستلزم وقوع الحال من المضاف اليه في غير المواضع المستثناة ﴿قوله يعني مناسك الحج﴾ وهي العبادات المتعلقة به ومواقفه يقال نسك لله نسكا ومنسكا اذا ذبح لوجهه وقد تسمى الذبيحة نسكا ثم قيل لكل عبادة نسك ومنه قوله تعالى ان صلاتي ونسكي والشعائر جمع شعيرة بمعنى مشعرة اي معلمة على انها فعيلة بمعنى مفعلة من الشعار وهو العلامة واشعار الهدي اعلامه بما يعلم به انه هدي والمسنون في اشعار الهدايا ان يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل منها الدم فيكون ذلك علامة انها هدي وان صاحبها محرم يريد الحج والعمرة لله فالشعائر على هذا بمعنى الهدايا المشعرة كما في قوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وفي هذه الآية ليست بمعنى الهدايا المشعرة لانه ذكر شعائر الله ثم عطف عليها الهدايا والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه بل المراد به مناسك الحج واعماله وقد روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد ﴿قوله لانها علامات الحج﴾ ناظر الى قوله سمي به اعمال الحج وقوله واعلام النسك اي دلائل النسك ومعالمه ناظر الى قوله ومواقفه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المشركين كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا ويعظمون الشعائر وينحرون البدن فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فانزل الله تعالى لا تحلوا شعائر الله اي لا تقطعوا اعمال من يحج بيت الله ويقف مواقف الحج باقامة ما شرع في كل موقف منها فشعائر الله تعالى على هذا شئ خاص من جملة التكاليف الدينية وهو التكاليف المتعلقة بالحج وقيل شعائر الله تعالى عامة في جميع التكاليف غير مخصوصة بشئ بعينه ويقرب منه قول الحسن شعائر دين الله فمعنى قوله لا تحلوا شعائر الله لا تحلوا بشئ من شرائع الله وفرائضه التي حدها لعباده واوجبها عليهم ﴿قوله تعالى ولا الشهر الحرام﴾ الشهر الحرام اسم جنس يجوز ان يراد به جميع الاشهر الحرم وهي اربعة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ويجوز ان يراد بها رجب وحده لانه اكمل هذه الاشهر الاربعة في هذه الصفة ﴿قوله جمع هدية﴾ بتسكين الدال كما في جدية وهي بسكون الدال شئ يحشى تحت دفتي السرج وهما جديتان يقال له بالتركي ايرم والهدي كل ما اهدي الى بيت الله من ناقة او بقرة او شاة ﴿قوله وعطفها على الهدي للاختصاص﴾ يعني انه من قبيل عطف الخاص على العام للدلالة على شرف الخاص وفضله كما عطف جبريل على الملائكة لذلك كأنه قيل ولا تحلوا ذوات القلائد منها خصوصا ومن هذا القبيل عطف الهدي على شعائر الله على تقدير ان يراد بها مناسك الحج واعماله ﴿قوله او القلائد انفسها﴾ عطف على قوله ذوات القلائد اي ويجوز ان لا يقدر المضاف بل يراد به نفس القلائد ويكون المقصود من النهي عن التعرض للقلائد المبالغة في النهي عن التعرض لنفس الهدي والمعنى لا تحلوا قلائده فضلا عن ان تحلوا نفسه ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن فانه اذا نهي عن اظهار نفس الزينة كان اظهار مواضع الزينة منهيا عنه بطريق الاولى والقلائد جمع قلادة وهي ما يشد في عنق البعير وغيره ليكون علامة لكونه هديا ﴿قوله قاصدين لزيارته﴾ والمعنى ولا تحلوا قوما آمين اي قاصدين زيارة البيت الحرام ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي لا تحلوا قتال قوم آمين او اذى قوم آمين وقوله البيت الحرام منصوب على انه مفعول آمين وقوله يبتغون حال من المنوي في آمين اي حال كونهم مبتغين فضلا ولا يجوز ان تكون هذه الجملة صفة لآمين لان اسم الفاعل متى وصف بطل عمله على الاصح فلما عمل في هذه الآية علمنا انه ليس بموصوف وفائدة قوله تعالى ولا آمين البيت تقييد النهي المذكور بحال كون الآمين قصدهم زيارة البيت وتعظيمه ﴿قوله وقيل معناه الى آخره﴾ عطف على ان يثيبهم ويرضى عنهم فسر الفضل والرضوان اولا بان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وابتغاؤهما انما يليق بالمسلم فكان معنى الآية ولا تخيفوا من يقصد بيت الله تعالى من المسلمين ولا تأخذوا الهدي اذا كانوا مسلمين ويدل عليه ايضا اول الآية وهو قوله لا تحلوا شعائر الله فان شعائر الله انما تليق بنسك المسلمين وطاعتهم لا بنسك الكفار ولا شك ان الآية على

والصيد يحتمل المصدر والمفعول (وانتم حرم) حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم (ان الله يحكم ما يريد) من تحليل وتحريم (يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده (ولا الشهر الحرام) بالقتال فيه او بالنسيء (ولا الهدي) ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج (ولا القلائد) اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له (ولا آمين البيت الحرام) قاصدين لزيارته (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين

هذا المعنى غير منسوخة ثم فسر الفضل بما يطلبه الكفار من التجارة الواقعة فى ايام الموسم وفسر الرضوان بما يطلبونه من رضوان الله تعالى عنهم وان كانوا لاينالونه فان الكافر وان كان لاينال الفضل والرضوان لكنه يظن ان ينال كل واحد منهما ويطلبهما منه ويجوز ان يوصف بابتغائهما بناء على ظنه وزعمه كقوله تعالى وانظر الى آلهك اى ماتظنه آلهالك وايد هذا التفسير بما روى من ان الآية نزلت عام القضية اى تمام قضاء العمرة التى احصر عليه الصلاة والسلام عنها فى العام السابق فى حجاج اليمامة روى ان الحطيم بن ضبيعة اتى النبى صلى الله عليه وسلم من اليمامة الى المدينة فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام فلم يسلم فلما خرج من عنده مرّ بسرح اهل المدينة فساقها وانتهى الى اليمامة ثم خرج من هناك نحو مكة وقد قلد مانهب من سرح المدينة واهداه الى الكعبة ومعه تجارة عظيمة فهمّ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا اليه ويغيروا على امواله فنزل قوله تعالى ولاآمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا فالمعنى لاتحلوها باباحتها والاغارة عليها فعلى هذا تكون الآية منسوخة لأن قوله تعالى لاتحلوا شعائر الله ولاالشهر الحرام يقتضى حرمة القتال فى الشهر الحرام وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولاآمين البيت الحرام يقتضى حرمة منع المشركين عن المسجد الحرام وذلك منسوخ بقوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهو قول كثير من المفسرين حتى قال الشعبى لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الآية ﴿قوله ولايلزم من ارادة الاباحة ههنا﴾ يعنى ان ظاهر الامر افادة الوجوب سوآء وجد بعد الحظر كورود قوله واذا حللتم فاصطادوا بعد قوله لاتقتلوا الصيد وانتم حرم اورده ابتدآء فكان القياس ان يكون قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا لايفيد الوجوب بدليل منفصل وهو ان الآية المحرّمة للاصطياد انما دلت على حرمته بسبب كون الاحرام مانعا عنه ولما كانت حرمة الاصطياد معللة بالاحرام وجب ان تنتهى الحرمة بانتهاء علتها لان الحكم المبنى على علته يرتفع بارتفاع علته فحل الاصطياد ومباحيته لمن حل من احرامه لايستفاد من صيغة الامر بل يستفاد من انتهاء العلة المحرّمة وهى الاحرام فالآية ليس فيها دلالة على ان الامر بعد الحظر للاباحة ﴿قوله اى لايحملنكم ولايكسبنكم﴾ يعنى ان جرم يستعمل بمعنى حمل يقال جرمه على كذا اى حمله عليه ويستعمل ايضا بمعنى كسب يقال فلان جارم اى كاسب والشنآن بفتح النون الاولى وسكونها مصدر شنئ بمعنى ابغض وعادى حكى عن ابى علىّ انه قال من زعم ان فعلان اذا سكنت عينه لم يكن مصدرا فقد اخطأ الا ان فعلان بسكون العين قليل فى المصادر كليان وكثير فى الصفات نحو سكران وفعلان بالفتح قليل فى الصفات نحو عدوان بمعنى شديد العدو وكثير فى المصادر نحو غليان ونزوان والمصنف جعل شنآن بالتحريك مصدرا حيث فسره بشدّة البغض بناء على ان فعلان بالتحريك قليل فى الصفات واضافته الى قوم يحتمل ان يكون من اضافة المصدر الى مفعوله والمعنى لايحملنكم بغضكم لقوم على الايذآء والانتقام ويحتمل ان يكون من اضافته الى الفاعل على معنى لايحملنكم بغض قوم اياكم والاوّل اظهر فى المعنى ولهذا قدّمه المصنف فى الذكر وجوّز ان يكون شنآن بالسكون مصدرا كليان اصله لويان يقال لواه بدينه ليانا اى مطله مطلا وقدّم هذا الاحتمال لكون معنى المصدر أليق بهذا المقام وان كان فعلان بالسكون قليلا فى المصادر وجوّز ايضا ان يكون نعتا بمعنى بغيض على معنى لايجرمنكم بغيض قوم اى مبغضهم على ان يكون البغيض فعيلا بمعنى الفاعل واضافته بيانية اى البغيض من بينهم وليس مضافا الى الفاعل ولا الى المفعول ﴿قوله لأن صدوكم﴾ بحذف لام العلة فان صدّ المشركين اياهم يصلح علة لشنآنهم اياهم ﴿قوله فانه يعدّى الى واحد والى اثنين ككسب﴾ قال صاحب الكشاف جرم يجرى مجرى كسب فى تعديته الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا واجرمته ذنبا على نقل المتعدّى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قرآءة عبد الله ولايجرمنكم بضم الياء واوّل المفعولين على القرآءتين ضمير المخاطبين والثانى ان تعتدوا والمعنى ولايكسبنكم بغض قوم لان صدّوكم الاعتدآء ولايحملنكم عليه وقوله تعالى ولايجرمنكم الآية معطوف على قوله لاتحلوا شعائر الله الى قوله ولاآمين البيت الحرام اى ولايحملنكم عداوتكم لقوم لاجل انهم صدّوكم عن المسجد الحرام على ان تعتدوا على حجاج اليمامة فتستحلوا منهم محرّما بالتعرض لهديهم وتمنعوهم عن المسجد الحرام ﴿قوله ولحم الخنزير﴾ حرّم اكله من حيث ان الغذآء يصير جزأ من جوهر المغتذى ولابدّ ان يحصل للمغتذى اخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا فى الغذآء والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة فى المشتهيات فحرّم اكله على الانسان

(واذا حللتم فاصطادوا) اذن فى الاصطياد بعد زوال الاحرام ولايلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتى بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدّا وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل (ولايجرمنكم) اى لايحملنكم او لايكسبنكم (شنآن قوم) شدّة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان فى النعت اكثر كعطشان وسكران (أن صدّوكم عن المسجد الحرام) لأن صدّوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو بكر بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لايجرمنكم (أن تعتدوا) بالانتقام ثانى مفعولى يجرمنكم فانه يعدّى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدّى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين (وتعاونوا على البرّ والتقوى) على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى (ولاتعاونوا على الاثم والعدوان) للتشفى والانتقام (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) فانتقامه اشدّ (حرّمت عليكم الميتة) بيان مايتلى عليكم والميتة مافارقه الروح من غير تذكية (والدم) اى الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه فى الامعاء ويشوونها (ولحم الخنزير

لئلا يتكيف بتلك الكيفية ومن جملة خبائث الخنزير انه عديم الغيرة فانه يرى الذكر من الخنازير ينزو على الانثى له ولا يتعرض له لعدم غيرته فأكل لحمه يورث عدم الغيرة والاهلال رفع الصوت ومنه يقال أهل فلان بالحج اذا لبى ومنه استهلال الصبي وهو صراخه اذا ولد وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى فحرّم الله تعالى ذلك بقوله وما اهل لغير الله به اى وما ذكر عليه غير اسم الله ﴿قوله التى ماتت بالخنق﴾ الخنق والاختناق احتباس النفس بسبب انعصار الحلق وأكل المنخنقة حرام سوآء حصل اختناقها بفعل اولا لانها من جنس الميتة من حيث انها ماتت من غير تذكية وكذا الموقوذة وهي التى ضربت الى ان ماتت بسبب الضرب وهي فى معنى المنخنقة لانها ماتت ولم يسل دمها فحرّم الله تعالى هذه الاشياء كلها على المؤمنين ثم استثنى فقال الا ماذكيتم يعنى الا ما ادركتم ذكاته من هذه الاشياء المحرّمة فذبحتموه قبل ان يموت فلا بأس بأكله والمتردية من تردّى اى سقط ويطلق على الواقع فى الردى وهو الهلاك قال الله تعالى ومايغنى عنه ماله اذا تردّى اى هلك بأن القى فى النار ﴿قوله والتاء فيها للنقل﴾ يعنى ان التاء فى هذه الكلمات الاربع المنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة لنقلها من الوصفية الى الاسمية فان الصفات اذا لم تذكر موصوفاتها ولم تكن جارية عليها تغلب عليها الاسمية فلحقتها التاء لتدل على غلبة الاسمية عليها وعدم احتياجها الى الموصوف وكل مالحقته هذه التاء يستوى فيه المذكر والمؤنث ويحتمل ان تكون باقية على وصفيتها ويكون لحوق التاء بها لكونها صفات لموصوفات مؤنثة وهي البهيمة كانه قيل حرّمت عليكم البهيمة الميتة والمنخنقة ﴿قوله اى وما اكل منه السبع﴾ اشارة الى ان ماموصولة بمعنى الذى والجملة الفعلية صلتها وأنّ عائدها محذوف ولو قدر وما اكله السبع لتم امر العائد لكن يبقى معه خلل آخر وهو ان ما اكله السبع قليلا كان او كثيرا لايتعلق به حكم شرعى من الحل والحرمة ونحوهما وانما الحكم لما بقى منه فلابدّ ان يجعل التقدير هكذا وما اكل منه السبع او ما اكل بعضه فات والسبع اسم يقع على ماله ناب ويعدو على الانسان والدواب ويفترسهما كالاسد ويخفف السبع فيقال سبع وسبعة ﴿قوله من ذلك﴾ بيان لقوله تعالى الا ماذكيتم اى حرّمت عليكم هذه المحرّمات من البهائم كالمنخنقة وماذكر بعدها الاماادركتم ذكاتها قبل موتها فلايكون الاستثناء مختصا بقوله وما اكل السبع بل يكون متناولا لجميع ماتقدم من المذكورات وقوله وقيل الاستثناء مخصوص عطف على قوله من ذلك ﴿قوله والذكاة فى الشرع بقطع الحلقوم والمريئ﴾ فان قطعهما اقل مايطلق عليه اسم ذكاة فى الشرع فى الحيوان المقدور عليه وكمال الذكاة ان يقطع معهما الودجان والحلقوم الحلق وهو مجرى النفس والمريئ على وزن الفعيل اسم لما اتصل بالحلقوم وهو الذى يجرى فيه الطعام والشراب والودج عرق العنق وهما ودجان فى جانبى العنق ﴿قوله النصب واحد الانصاب﴾ يعنى ان النصب مفرد ويجمع على انصاب مثل عنق واعناق وهو الشيء المنصوب المغاير للاصنام فان الاصنام احجار مصوّرة منقوشة بخلاف الانصاب فانها احجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للاصنام ويضعون اللحوم عليها ﴿قوله وقيل هي الاصنام﴾ لم يرض به لان قوله وما ذبح على النصب معطوف على قوله ما اهل لغير الله به وذلك هو ماذبح على اسم الاصنام ومن احق المعطوف ان يكون مغايرا للمعطوف عليه ﴿قوله ضربوا ثلاثة اقداح﴾ وهو جمع قدح بالكسر وهو السهم قبل ان يراش ويركب نصله ﴿قوله والثالث غفل﴾ اى ليس عليه كتابة يقال ارض غفل اى لاعلم بها ولا اثر عمارة ودابة غفل اى لاسمة عليها ورجل غفل اى لم يجرّب الامور ﴿قوله اجالوها ثانيا﴾ اى اعادوا العمل المذكور مرّة اخرى واجالة الشيء تحريكه والازلام جمع زلم مثل قلم واقلام فالزلم هو القدح والازلام الاقداح فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ماقسم من الخير والشرّ بواسطة ضرب الاقداح وقيل معنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة كيفية قسمة الجزور باقداح الميسر وهي عشرة اقداح الفذ ثم التوأم ثم الرقيب ثم الحلس ثم النافس ثم المسبل ثم المعلى وهذه الاقداح السبعة لها انصباء من جزور ينحرونها ويقسمونها على العادة المعلومة بينهم والثلاثة الاخر لانصيب لها وهو السفيح والمنيح والوغد كان اهل الجاهلية يجمعون عشرة انفس ويشترون جزورا ويجعلون لحمه ثمانية وعشرين جزأ ويجعلون لكل واحد من صاحب الازلام نصيبا معلوما فللفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة اسهم وللحلس اربعة اسهم وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة ويجعلون الازلام فى خريطة ويضعونها على يد رجل ثم يجعل ذلك الرجل يحرّكها فيخرج باسم كل رجل قدحا منها ومن خرج له قدح من ارباب الانصباء يحمله الى الفقرآء ولايأكل منه شيأ ويفتخرون بذلك ويذمّون من لم يدخل فيه

(وماأهل لغير الله به) اى رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه (والمنخنقة) التى ماتت بالخنق (والموقوذة) المضروبة بنحو خشب اوحجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته (والمتردّية) التى تردّت من علو اوفى بئر فماتت (والنطيحة) التى نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء فيها للنقل (وما اكل السبع) اى وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل (الا ماذكيتم) الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرّة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة فى الشرع بقطع الحلقوم والمريئ بمحدّد (وما ذبح على النصب) النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدّون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام اوعلى اصلها بتقدير وماذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب (وان تستقسموا بالازلام) اى وحرّم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ماقسم لهم دون مالم يقسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد

(ويسمونه)

ويسمونه البرم يعنى اللئيم ﴿ قوله وكونه ﴾ اى وكون الاستقسام بمعنى طلب معرفة ماقسم لهم وتميز مالم يقسم لهم بالازلام فسقا من حيث انه توصل الى علم الغيب بغيرالله تعالى و المنجمين بخلاف استعلام الخير بالاستخارة بالقرآن و بصلاة الاستخارة ودعائها فانه استعلام بالطريق المشروع فان طلب ماقسم له من الخير ليس منهيا عنه مطلقا بل المنهى عنه هو الاستقسام بالازلام على ان الاستخارة ليست عبارة عن استعلام الغيب بل هى عبارة عن استدعاء الخير ونيله بالتضرع الى علام الغيوب ولايعتقد صاحبها كونها طريقا الى علم الغيب وانما يعتقد كونها طريقا الى نيل الخير واصابته واما كون استقسام الخير بالاقداح فسقا فلكونه محرما منهيا عنه بقوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل فان تعليق الملك بالخطر قار وهولايوجب الملك اشار المصنف اليه بقوله او الميسر المحرم فانه معطوف على الاستقسام المجرور بكلمة الى اى ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى الميسر واشار بتوصيفه بالمحرم الى وجه كونه فسقا وليس المراد بالاستقسام المجرور الاستقسام بالمعنى الاعم المتناول لطلب ماقسم لهم بالازلام و استقسام الجزور بالاقداح بل المراد الاستقسام بالمعنى الاخص. ﴿ قوله اوالى تناول ماحرم عليهم ﴾ مماتلى آية تحريمه من الميتة و الدم وماعطف عليهما من المحرمات عطف على قوله الى الاستقسام اى ويحتمل ان يكون قوله ذلكم اشارة الى المحرمات المذكورة جميعا واشار بزيادة لفظ التناول الى ان الاحكام الشرعية انما تتعلق بالافعال دون الاعيان فيكون الفسق فى الحقيقة هو تناول هذه المحرمات لاانفسها ﴿ قوله من ابطاله ﴾ قدر المضاف اذلا معنى لليأس من نفس الدين و الظاهر ان الابطال مصدر مضاف الى المفعول اى من ابطالكم اياه بارتدادكم ورجوعكم عنه فان الفاعل المحذوف هم المسلمون وقوله او من ان يغلبوكم عليه على ان يكون فاعل الابطال الكفرة قيل نزلت الآية لما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى حجة الوداع فحينئذ يئس اهل مكة من ان يرتد المسلمون راجعين الى دينهم والمعنى انه لاحاجة بكم بعداليوم الى مداهنة الكفرة لانكم الآن صرتم بحيث لايطمع احد من اعدآئكم فى تغيير امركم فلا تخشوهم ان يظهروا على دينكم واخشونى فى مخالفة امرى ﴿ قوله وأخلصوا الخشية لى ﴾ مستفاد من ورود الامر بخشيته تعالى بعدالنهى عن خشية الكفار فانه لمانهى عن خشيتهم وامر بخشيته كان خلاصة الكلام الامر باخلاص الخشية له تعالى وان لايخشى الامنه ﴿ قوله وهو ان تناولها فسوق ﴾ يعنى ان الاعتراض الواقع بينهما بيان ان تناول تلك المحرمات فسق وقوله تعالى اليوم يئس الذين الآية له مدخل فى ايجاب التجنب عن تلك المحرمات لانه تحريض على التمسك بما شرع لهم من تحريم تناول بعض مايعتاد الكفرة تناوله كأنه قال لاتخافوا المشركين فى مخالفتكم اياهم فى الشرآئع والاديان فانى انعمت عليكم بالدولة القاهرة والقوة الباهرة وصاروا مقهورين لكم منقادين لامركم ذليلين وحصل لهم اليأس من ان يصيروا قاهرين لكم مستولين عليكم ولماصار الامر كذلك وجب عليكم ان تقبلوا على طاعة الله تعالى و العمل بشرآئعه بتحليل مااحله الله تعالى لكم وتحريم ماحرمه عليكم وان لاتخافوا من مخالفتكم الكفار والجملة اعتراض ثم ذكر بعدها بعض مايتصل بذكر المحرمات فقال فمن اضطر فى مخمصة يعنى انها وان كانت محرمة الاانها فى حالة الاضطرار تباح قدر ماتندفع به الضرورة والمخمصة خلاء البطن من الطعام جوعا والخمص ضمور البطن و التصاق جلده بالظهر فلذلك فسر رحمه الله المخمصة بالمجاعة والمعنى فمن دعته الضرورة من مجاعة الى تناول شئ من هذه المحرمات فليتناوله غيرمائل لاثم بان يتجاوز فى اكله عن حد الرخصة وهو ان يأكل منه قدر مايسد به الرمق فان اكله الى حد الشبع تلذذا أثم فظهر من هذا التقرير ان جواب من محذوف اى فليتناول مما حرم وقوله غيرمتجانف حال من فاعله اى غيرمائل فان الجنف فى اللغة الميل قال تعالى فمن خاف من موص جنفا اى ميلا وقوله تعالى فان الله غفور رحيم تعليل للجواب المقدر ويحتمل ان يكون تقدير الكلام فمن اضطر الى تناول المحرمات فتناول غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم ﴿ قوله لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة ﴾ جواب عما يقال مفعول يسأل لابد ان يكون مفردا يقال سألته المال و الطعام فكيف اوقع على الجملة فى الآية فان قوله ماذا احل فى حيز مفعول يسألونك وهو جملة * وتقرير الجواب انه اوقع على الجملة لتضمنه معنى القول كأنه قيل يقولون لك ماذا احل لهم كأنهم لما تلى عليهم ماحرم عليهم من الخبائث سألوا عما احل لهم فقيل لهم احل لكم الطيبات من المطاعم والتى لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه اولم يدل نص ولاقياس على تحريمه وتقييد ما احل بكونه من الطيبات يدل بمفهومه على حرمة مستخبثات العرب ﴿ قوله وقد سبق الكلام فى ماذا ﴾ وهو

(ذلكم فسق) اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافترآء على الله ان اريد بربى الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ماحرم عليهم (اليوم) لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمن الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع (يئس الذين كفروا من دينكم) اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث او غيره او من ان يغلبوكم عليه (فلا تخشوهم) ان يظهروا عليكم (واخشونى) وأخلصوا الخشية لى (اليوم اكملت لكم دينكم) بالنصر و الاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرآئع وقوانين الاجتهاد (واتممت عليكم نعمتى) بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية (ورضيت لكم الاسلام) اخترته لكم (دينا) من بين الاديان وهو الدين عندالله لاغير (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات ومابينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات (فى مخمصة) مجاعة (غيرمتجانف لاثم) غيرمائل له ومنحرف اليه بأن يأكلها تلذذا او متجاوزا حد الرخصة كقوله غيرباغ ولا عاد (فان الله غفور رحيم) لايؤاخذه بأكله (يسألونك ماذا احل لهم) لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام فى ماذا

جواز ان تكون كلمة ما للاستفهام ويكون ذا بمعنى الذى وما بعده صلته والمعنى ما الذى احل لهم فما مبتدأ والموصول مع صلته خبره وجواز ان يكون ماذا اسما واحدا بمعنى اى شئ ويحكم على موضعه بحسب مايقتضيه العامل وههنا فى محل الرفع على الابتدآء ﴿قوله وانما قال لهم ولم يقل لنا﴾ لما وجه كون مفعول يسألون جلة بتضمن السؤال معنى القول فكأنه قيل يقولون لك ماذا احل لهم ورد ان يقال ولما كانت الجملة محكية عنهم ومقولا لهم لزم ان تكون الحكاية الواقعة فى القرآن مخالفة للواقع لان هذه العبارة ليست مقولا لهم فان مايقولونه هو ماذا احل لنا فحكاية كلامهم تقتضى ان يقال لنا لتطابق الحكاية المحكى * فأجاب عنه بانه انما قال لهم نظرا الى كون يسألونك بلفظ الغيبة فانه لما عبر عن القائلين بضمير الغيبة حيث قيل يسألونك وكانوا غيبا بالنسبة الى المخاطب ناسب ذلك ان يعبر عنهم بضمير الغيبة فى حكاية كلامهم ولو قيل يسألونك ماذا احل لنا لجاز ايضا على ان يكون حكاية لكلامهم بعبارة انفسهم ﴿قوله مالم تستخبثه الطباع السليمة﴾ لان الطيب فى لغة العرب ماهو مستلذ مشتهى والحلال المأذون فيه سمى ايضا طيبا تشبيهاله بماهو مستلذ من حيث ان كل واحد منهما خال من المضرة ولا يمكن ان يكون المراد بالطيبات ههنا المحللات والالصار تقدير الآية قل احل لكم المحللات وهذا معنى ركيك خال عن الفائدة فوجب ان يحمل الطيبات على المستلذات المشتهيات وقيد الطباع بالسليمة لان المعتبر فى الاستطابة والاستلذاذ استطابة اهل المروءة والاخلاق الجميلة والطباع السليمة فان اهل البادية واجلاف الناس يستطيبون اكل جميع الحيوانات بل اكل الجيف ﴿قوله اومالم يدل نص ولاقياس على حرمته﴾ عطف على قوله مالم تستخبثه الطباع السليمة اى اومالم يستخبثه الشارع ولا قياس المجتهد بل بقى داخلا فى عموم قوله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا فعموم الآية قد خص بقوله تعالى حرمت عليكم الخبائث وغيره من الادلة الشرعية القائمة على حرمة بعض مافى الارض وان حمل الطيبات فى هذه الآية على المستلذات يجب تخصيصها ايضا بتلك الادلة ﴿قوله عطف على الطيبات﴾ والمعنى واحل لكم صيد ماعلمتموه على حذف المضاف الى الموصول وهو الصيد بمعنى المصيد وان جعلت ماشرطية يكون فى محل الرفع بالابتدآء لا بالعطف على الطيبات وخبره محذوف وهو فكلوا فتكون الواو حينئذ لعطف الجملة ومن الجوارح حال امامن الموصول اومن العائد المحذوف وهو جمع جارحة بمعنى كاسبة قال ويعلم ماجرحتم بالنهار وجوارح الانسان اعضاؤه التى يكسب بها ويحتمل ان يكون من الجرح بمعنى تفريق الاتصال فان الجوارح تجرح الصيد غالبا والمراد بالجوارح فى الآية كل مايكسب الصيد على اهله من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب ومن سباع الطير كالبازى والصقر والشاهين والعقاب ونحوها مما يقبل التعليم فان صيد جميعها حلال ﴿قوله تعالى مكلبين﴾ حال من فاعل علمتم وتعلمونهن حال ثانية اواستئناف والتكليب تعليم الجوارح الاصطياد وتأديبها بحيث لاتأكل ماصادته بل تمسكه لمن ارسلها وهو فى اللغة جعل الشئ كلبا والكلب كلب بنفسه لايجعل المعلم فوجب ان يفسر التكليب بجعل الكلب كلبا كاملا وذلك انما يكون بتأديبه وتضريته على الاصطياد لصاحبه بان يمسك له ولا يأكله فلذلك فسر المكلب بمؤدب الجوارح ومضريها وهو يحتمل ان يكون من باب الافعال والتفعيل واضرآء الجوارح وتضريتها يطلق على تعويدها بالصيد وعلى اغرآئها به يقال ضرى الكلب يضرى ضراوة اى تعود واضراه صاحبه اى عوده واضراه به ايضا اى اغراه وكذلك التضرية كذا فى الصحاح الا ان تفسير التكليب بتأديب الجوارح سوآء كانت من سباع البهائم او الطيور مبنى على تغليب الكلب على باقى السباع لكون الكلب اكثر الصيد وكون التأديب اكثر فيه اولان كل سبع يسمى كلبا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حق عتبة بن ابى لهب حين اراد سفر الشام وظهر منه تمرد وطغيان استحق به ان يدعو عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله * اللهم سلط عليه كلبا من كلابك * فأكله السبع فى طريق الشام فلما استجاب الله تعالى دعاءه بان سلط عليه الاسد علم ان كل سبع من سباع البهائم يسمى كلبا ﴿قوله وفائدتها المبالغة فى التعليم﴾ اى فائدة هذه الحال مع انه قد استغنى عنها بقوله تعالى علمتم المبالغة فى التعليم لان التعليم اعم من التكليب كأنه قيل علمتم حال كونكم ماهرين حاذقين فى تعليم الجوارح وفيه تنبيه على ان كل من يأخذ علما ينبغى ان يأخذه ممن هو متبحر فى ذلك العلم غواص فى بحار ألطافه وحقائقه وكم من آخذ عن غير متبحر ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله وقوله اومما علمكم ان تعلموه عطف على قوله مما علمكم الله من الحيل وقوله ان تعلموه مفعول ثان لقوله علمكم والضمير المنصوب فى تعلموه عائد الى ما ومفعوله الثانى محذوف والتقدير

وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ فى امثاله والمسئول ماحل لهم من المطاعم كأنهم لماتلى عليهم ماحرم عليهم سألوا عما احل لهم (قل احل لكم الطيبات) مالم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب اومالم يدل نص ولا قياس على حرمته (وماعلمتم من الجوارح) عطف على الطيبات ان جعلت ماموصولة على تقدير وصيد ماعلمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير (مكلبين) معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون اكثر فيه اثرا اولان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة فى التعليم (تعلمونهن) حال ثانية او استئناف (مما علمكم الله) من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذى هو منحة منه اومما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وان ينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه

(فكلوا مما امسكن عليكم) وهو مالم تأكل منه لقوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا (واذكروا اسم الله عليه) الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن عليكم بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته (واتقوا الله) في محرماته (ان الله سريع الحساب) فيؤاخذكم بما جل ودق (اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) يتناول الذبائح وغيرها وهم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله تعالى عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الاشرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم (وطعامكم حل لهم) فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك

مما علمكم الله ان تعلموه الكلاب وقوله من اتباع الصيد بيان ما في مما علمكم الله ذكر اولا ما يتعلق باحوال المخاطبين من كيفية التعليم للكلب ولطائف الحيل في ذلك الباب وذلك بالالهام او بتمكينه من القوى التي هي ثمرة ما منحه الله تعالى من العقل ونبه ثانيا بما يتعلق بامور الكلاب في باب الاصطياد وهي الامور التي علمنا الله تعالى اياها في تعليم الكلاب من اتباع الصيد وارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساكه الصيد لصاحبه ونحو ذلك من احوال الكلاب التي يتوقف عليها حل الصيد وعلمنا الله تعالى ذلك بنص الشارع وبيانه فعلى الاول تكون الحال الثانية اعني قوله تعلمونهن بمنزلة التفسير والتفصيل للحال الاولى اعني قوله مكلبين وعلى الثاني تكون قيدا زائدا والحاصل ان تعليم الكلب يتوقف على العلم بكيفية التكليب ولطائف الحيل وحل صيده والاول يتعلق بالالهام والعقل والثاني يتعلق بالشرع فقوله تعالى مما علمكم الله يمكن ان يحمل على احدهما لان كل واحد من الالهام والشرع من الله تعالى واختار المصنف هذا الاحتمال حيث عطف الثاني على الاول بكلمة او فقال او مما علمكم ان تعلموه الكلاب والحمل عليهما جميعا اولى والكلب المعلم ما وجد فيه ثلاثة اشياء اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر واذا اخذ الصيد امسكه لصاحبه ولا يأكل منه فاذا تكرر ذلك منه مرارا واقلها ان يوجد منه ذلك ثلاث مرات كان الكلب معلما يحل قتله اذا جرح بارسال صاحبه قال الامام اذا كان الكلب معلما ثم صاد صيدا وجرحه وقتله وادركه الصائد ميتا فهو حلال لان جرح الجارحة بمنزلة الذبح وكذا الحكم في سائر الجوارح المعلمة وكذا السهم والرمح واذا صاده كلب لجثم عليه وقتل بالغم من غير جرح قال بعضهم لا يجوز اكله لانه ميتة وقال آخرون يحل لدخوله تحت قوله تعالى فكلوا مما امسكن عليكم هذا كله اذا لم يأكل منه فان اكل منه فقد اختلف فيه العلماء قال بعضهم انه لا يحل وهو اظهر قولي الشافعي قالوا لانه امسك الصيد على نفسه والآية دلت على انه انما يحل اذا امسك على صاحبه ويدل ايضا ما روي انه عليه الصلاة والسلام قال لعدي بن حاتم * اذا ارسلت كلبك فاذكر اسم الله تعالى فان ادركته لم يقتل فاذبح واذكر اسم الله عليه وان ادركته وقد قتل ولم يأكل فكل فقد امسك عليك وان وجدته قد اكل فلا تطعم منه شيأ فانما امسك على نفسه * وقال آخرون انه يحل وهو القول الثاني للشافعي واختلفوا في البازي اذا اكل قال بعض العلماء انه لا فرق بينه وبين الكلب فاذا اكل شيأ من الصيد لم يؤكل ذلك الصيد وقال آخرون ومنهم ابو حنيفة رحمه الله يؤكل ما بقي من جوارح الطير ولا يؤكل ما بقي من الكلب والفرق انه يمكن ان يؤدب الكلب على الاكل بالضرب ولا يمكن ان يؤدب الطير على الاكل ﴿قوله وهو مالم تأكل منه﴾ يعني ان كلمة من في قوله تعالى مما امسكن عليكم تبعيضية والمراد بعض ما امسكن مالم تأكل الجوارح منه فان ما اكلت منه لا يؤكل لقوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم * وان وجدته قد اكل فلا تطعم منه شيأ * وعلى في قوله تعالى مما امسكن عليكم بمعنى اللام اي مما امسكن لكم لا لانفسهن او على اصل معناها فتتعلق بمحذوف اي امسكن حال كونهن مستقرات على شأنكم ومصلحتكم لا على مقتضى طبيعتهن وجبلتهن ﴿قوله تعالى اليوم احل لكم الطيبات﴾ كرر بيان احلال الطيبات للتأكيد وقيل الاول لبيان الحكم والثاني ذكر امتنانا وتذكيرا لمزيد فضله ﴿قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبائح وغيرها﴾ لعموم اللفظ للجميع وانتفاء التخصص وقيل المراد به ذبائحهم لان سائر الاطعمة لا يختص حلها بملة دون ملة فلا حاجة الى بيان حكمها ﴿قوله وهم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى﴾ فيحل لنا ذبائحهم وان ذبحوا على غير اسم الله تعالى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال لو ذبح نصراني على اسم المسيح لا تحل لنا ذبيحته وذهب اكثر العلماء الى انها تحل سئل الشعبي وعطاء عن النصراني يذبح باسم المسيح فأجابا بأن ذبيحته حلال لنا بناء على انه تعالى قد احل لنا ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون ﴿قوله فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم﴾ لما ورد على ظاهر قوله تعالى وطعامكم حل لهم ان الكفار لا يدينون بديننا ولا يتمسكون بشريعتنا فما الفائدة في ان بين الله تعالى لهم كون طعامنا حلالا لهم اشار المصنف الى جوابه بهذا القول * وتقريره ان قوله تعالى وطعامكم حل لهم ليس المقصود منه بيان ما شرع لهم حتى يلزم كونه خاليا عن الفائدة من حيث انهم لا يصدقون نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يعتقدون حقية كتابنا وحقية ما فيه من الاحكام بل المقصود منه بيان ما شرع لنا في حقهم من انه لا بأس علينا في ان نطعمهم ونعاملهم معاملة تفيد لهم ان يملكوا طعامنا فقوله تعالى وطعامكم حل لهم من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللازم فان حل الطعام المختص بنا لهم يستلزم ان يحل لنا تمليك طعامنا اياهم وان نطعمهم ذلك الطعام بالبيع او الهبة او الاباحة فان حل

طعامنا لهم يستلزم ان يحل لنا ان نملكهم طعامنا بأحد اسباب الملك والمخاطب انما هو المسلمون لا الكفار فسقط السؤال * قال الامام محيي السنة فى تفسير قوله تعالى وطعامكم حل لهم فان قيل كيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا من اهل الشرع قال الزجاج معناه حلال لكم ان تطعموهم فيكون خطاب الحل مع المسلمين الى هنا كلامه بعبارته ﴿ **قوله** اى الحرآئر العفائف ﴾ فسر المحصنات من النساء سوآء كن من المؤمنات اومن الكتابيات بالحرآئر العفائف عن الزنى فان اعتبر مفهوم القيد لزم ان لا يصح نكاح الاماء سوآء كن فاجرات او عفائف وان لا يصح نكاح العفائف سوآء كن حرآئر او اماء مع انه يصح نكاحهن عندنا بخلاف الشافعى فانه لا يصح نكاح الامة الكتابية عنده فوجب ان لا يعتبر مفهوم القيد لان من قال بحجة المفهوم انما يقول بها اذا لم يكن للقيد فائدة اخرى سوى الدلالة على انتفاء الحكم عند انتفاء القيد وله فى الآية فائدة سواها وهى البعث على ماهو الاولى ﴿ **قوله** مسرين به ﴾ قيل الزنى ضربان السفاح وهو الزنى على سبيل الاعلان واتخاذ الخدن وهو الزنى فى السر والله تعالى حرمهما فى هذه الآية واباح التمتع بالمرأة بجهة الاحصان وهو التزوج فان اهل الجاهلية كانوا يعيرون من يزنى فى العلانية ولا يعيرون من يزنى سرا فحرم الله تعالى كل واحد من زنى السر والعلانية ﴿ **قوله** يريد بالايمان شرآئع الاسلام ﴾ على ان يكون الايمان بمعنى المؤمن به فان المصدر قد يستعمل بمعنى المفعول به فمن انكر شيأ مما شرعه الله تعالى من الاحكام وامتنع عنه فهو كافر بالاجماع وقد حبط جميع ما تقرب الى الله تعالى به وضاع ثوابه وبهذا قال علماء مذهبنا ان الرجل اذا صلى وارتد والعياذ بالله تعالى ثم اسلم فى وقت تلك الصلاة وجب عليه اعادة تلك الصلاة ولو كان حج حجة الاسلام فعليه ان يعيد الحج لانه قد بطل ما فعله قبل ارتداده ﴿ **قوله** اذا اردتم القيام ﴾ جعل القيام المنتهى الى الصلاة مجازا عن ارادتها على طريق ذكر المسبب وارادة السبب وهو الارادة ههنا اذ لو حمل القيام المذكور على حقيقته لوجب ان يكون القيام المذكور مقدما على الوضوء من حيث انه جعل شرطا لوجوب الوضوء والشرط مقدم على المشروط ولا وجه لتقدمه على الوضوء لاستلزامه اداء الصلاة بغير وضوء لانه لو تخلل الوضوء بين القيام المذكور والصلاة لكان القيام قياما منتهيا الى الوضوء لا الى الصلاة واما اذا جعل القيام مجازا عن سببه الذى هو الارادة كان اللازم تقدم الارادة على الوضوء والامر كذلك مع ان فى سلوك طريق المجاز ايجازا وتنبيها على ان من اراد العبادة ينبغى ان يبادر بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة ووجه التنبيه انه لما عبر بالفعل عن ارادته دل ذلك على انهما بشدة اتصال احدهما بالآخر كانهما كشئ واحد وصح ان يعبر عن كل واحد منهما بما يعبر به عن الآخر ﴿ **قوله** او اذا قصدتم الصلاة ﴾ عطف على قوله اذا اردتم القيام اى ويحتمل ان يكون القيام الى الصلاة مجازا عن قصد الصلاة وارادتها على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان قصد الصلاة من لوازم القيام متوجها الى الصلاة فقيل اذا قمتم متوجهين الى الصلاة واريد اذا قصدتم الصلاة ﴿ **قوله** وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة ﴾ لان عنوان الذين آمنوا يتناول كل مؤمن محدثا كان او غير محدث وقد جعل قيامهم للصلاة موجبا للوضوء ووجوبه على كل قائم الى الصلاة خلاف الاجماع المؤيد بالحديث فقيل فى التوفيق بين النص والاجماع ان قوله تعالى الذين آمنوا مطلق يتناول المحدثين منهم وغير المحدثين لكن المراد منهم المحدثون خاصة بقرينة آية التيمم فان التيمم بدل الوضوء وقد اشترط الحدث فى وجوبه على من لم يجد الماء حيث قيل اوجاء احد منكم من الغائط اولا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا واشتراط الحدث فى البدل قرينة دالة على اشتراطه فى الاصل لان البدل لا يخالف المبدل منه فى الشروط والاسباب ﴿ **قوله** وقيل الامر فيه للندب ﴾ يعنى ان مخالفة الاجماع انما تلزم ان لو كان الامر للوجوب وذلك ليس بلازم لجواز ان يكون للندب بناء على كون الخطاب لغير المحدثين ممن قام الى الصلاة فان الوضوء مندوب له لقوله عليه الصلاة والسلام * من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات * وان كان فرضا على من قام الى الصلاة وهو محدث وضعفه المصنف لما فيه من المخالفة لقول الاصوليين من ان الامر المطلق للايجاب واطباق العلماء على أن وجوب الوضوء على من قام الى الصلاة مستفاد من هذه الآية مع ما فيه من تخصيص الخطاب بغير المحدثين من غير دليل ضرورة انه لا ندب بالنسبة الى المحدث فالوجه ان يحمل المطلق على المقيد بقرينة آية التيمم ﴿ **قوله** لقوله عليه الصلاة والسلام المائدة من آخر القرآن نزولا ﴾ فانه يدل على ان هذه السورة كلها ثابتة لا نسخ فيها وايضا القرآن لا ينسخ الا بالقرآن او بالسنة المتواترة ولم يوجد شئ

(منهما)

(والمحصنات من المؤمنات) اى الحرآئر العفائف وتخصيصهن بعث على ماهو الاولى (والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات (اذا آتيتموهن اجورهن) مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتأكيد وجوبها والحث على ماهو الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها (محصنين) اعفاء بالنكاح (غير مسافحين) غير مجاهرين بالزنى (ولا متخذى اخدان) مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين) يريد بالايمان شرآئع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغى ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلاة لان التوجه الى الشئ والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى انه عليه الصلاة والسلام صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضى الله تعالى عنه صنعت شيأ لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها (فاغسلوا وجوهكم) أمروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق

منهما فالقول بأن هذه الآية منسوخة ضعيف و المرافق جمع مرفق وهو مجتمع طرفي الساعد و العضد وسمي مرفقا لانه الذي يرتفق اي يتكأ عليه من اليد وفيه لغتان فتح الميم مع كسر الفاء وعكس ذلك و اللغة الفصيحة هي الاولى ﴿قوله اومتعلقة بمحذوف﴾ عطف على قوله بمعنى مع فيكون داخلا في حيز القول و على التقديرين يجب غسل المرفق اما على الاوّل فظاهر و اما على الثاني فلأن المعنى حينئذ حال كون الايدي منضمة الى المرافق في حكم الغسل و لوكان الامر على ماقيل لم يبق لتحديد غسل الايدي بالمرافق مزيد فائدة لان اليد اسم لجملة مابين الابط و رؤوس الاصابع كما ان الرجل اسم لجملة ماتحت الورك الى رؤوس اصابع الرجل فلم يبق لتحديد غسل اليد بالمرفق مزيد فائدة لكون دخول المرفقين في المغسول منفهما بمجرّد تعليق الغسل بالايدي و ان لم يذكر التحديد و انما قال مزيد فائدة لان ذكره لايخلو عن الفائدة بالكلية لكون التحديد بالمرافق مفيدا لاخراج ماورآءها عن الحكم و ان لم يكن مفيدا لتبليغ الحكم اليها ﴿قوله وقيل الى تفيد الغاية مطلقا﴾ اي تدل على كون مجرورها نهاية للحكم مطلقا اي مع قطع النظر عن دخولها في الحكم و عن خروجها عنه و لما لم يوجد في الآية مايدل على دخولها في الحكم ولا على خروجها عنه وكانت الايدي متناولة للمرافق الى الابط قلنا بدخولها في الحكم احتياطا وكانت كلمة الغاية لاسقاط ماورآءها عن الحكم لا لتبليغ حكم الغسل اليها فيجب غسلها خلافا لزفر و مالك فانهما قالا غاية الحكم يجب ان ينتهي الحكم عندها و الا لم تكن غاية له فينتهي حكم الغسل عند المرافق و لايجب غسلها لان الغاية لاتدخل كما ان الليل في حكم الصوم لايدخل في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل ولم يدخل حال اليسار في حكم الانظار وهو الامهال في قوله تعالى و ان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فان من له الحق يمهل المديون الى زمان اليسار فاذا وجد فيه اليسار ينتهي الانظار فيعود حق المطالبة و الالكان من عليه الحق منظرا في حالتي الاعسار و اليسار وهو غير جائز فيجب ان ينتهي الانظار بوجود اليسار و لاتدخل الغاية في حكم الانظار و اشار المصنف رحمه الله تعالى الى جوابهما بقوله لكن لما لم تميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها في حكم الغسل احتياطا وتقريره ان ماذكراه من ان مقتضى الغاية ان تكون خارجة عن الحكم و الا لم تكن غاية له كلام حق لكن القطع بخروج الغاية بمقطع معين محسوس كتميز الليل عن النهار و اليسار عن الاعسار و فيما نحن فيه ليس الامر كذلك لان ملتقى جانبي الساعد و العضد ليس له مقطع معين حسا حتى يحكم بانتهاء حكم الغسل عنده فان ايجاب الغسل الى جزء ليس اولى من ايجابه الى جزء آخر فوجب القول بايجاب غسل المرفق كله احتياطا ﴿قوله الباء مزيدة﴾ لانها لو اسقطت لم يختل اصل المعنى و ان كان اثباتها مفيدا لتأكيد تعلق الفعل بمفعوله فان زيادتها في المفعول كثير شائع كما في قوله سبحانه وتعالى و لاتلقوا بايديكم الى التهلكة و قولهم نرجو بالخير روى عن سيبويه انه قال مسحت رأسه و برأسه بمعنى واحد و عن الفرآء تقول العرب خذ الخطام و بالخطام ﴿قوله وقيل للتبعيض﴾ عطف على قوله زآئدة فاستشهد على انها ليست زآئدة بل للتبعيض بان العرب يفرّقون بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ويقولون الاوّل يستدعي استيعاب المنديل بالمسح بان تمسحه بجميع اجزائه بخلاف الثاني فانه يصدق بان تمسحه بامرار يدك على بعض اجزآئه ولو لم تكن الباء للتبعيض لكانا بمعنى واحد و لم يكن بينهما فرق و بين وجه الفرق بينهما بأن الباء تدل على تضمن الفعل معنى الالصاق و الصاق المسح بالرأس مثلا لايقتضي الاستيعاب لان ماسح بعض الرأس مثلا يصدق ان يقال له انه ألصق المسح بالرأس كما يصدق ان يقال ذلك لمن استوعب رأسه بالمسح بخلاف مالو قيل و امسحوا رؤوسكم فانه يقتضي استيعابها بالمسح كما يقتضي قوله فاغسلوا وجوهكم استيعاب الوجه بالغسل ويرد عليه قوله تعالى في آية التيمم فامسحوا بوجوهكم لان التيمم خلف عن الوضوء و الخلف لايخالف الاصل في الاحكام الا انه تلطف بترك حكم الرأس و الرجلين تخفيفا ﴿قوله نصبه نافع﴾ اي و من وافقه عطفا على وجوهكم وهذا في المغسولات و لما عطف الارجل عليها لزم ان يكون حكمها حكم الغسل قيل عليه عطف الارجل على الوجوه يستلزم الفصل بين المتعاطفين بجملة غير اعتراضية وهو قبيح لما اشتهر بين النحاة من ان الفصل بين المتعاطفين قبيح و اقبح مايكون ذلك ان يكون الفصل بجملة غير اعتراضية الا ان ابا البقاء خالف هذا المشهور حيث قال هو معطوف على الوجوه ثم قال و ذلك جائز في العربية بلا خلاف وجعل السنة الواردة بغسل الرجلين مقوّية لنصبه بالعطف على الوجوه ومجرّد قرآءة النصب لا تستلزم كون الرجل من المغسولات لجواز ان يكون النصب بالعطف على محل المجرور ويكون حكم المسح عليها منسوخا بالسنة وذلك

الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى و يزدكم قوّة الى قوّتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق لمعنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا (وامسحوا برؤوسكم) الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمن الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤوسكم وذلك لايقتضي الاستيعاب بخلاف مالو قيل وامسحوا رؤوسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فأوجب الشافعي رضي الله تعالى عنه اقل مايقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رضي الله تعالى عنه مسح ربع الرأس لانه عليه الصلاة و السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رضي الله عنه مسح كله اخذا بالاحتياط (وارجلكم الى الكعبين) نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة

لان الرؤوس فى قوله تعالى وامسحوا برؤوسكم فى محل النصب على انه مفعول به غير صريح لقوله وامسحوا وان كانت مجرورة بالباء لفظا فالتقدير وامسحوا رؤوسكم واذا عطف الارجل على الرؤوس جاز فيه النصب عطفا على محل الرؤوس والجرّ عطفا على لفظه فعلى هذا تكون الارجل من الممسوحات الا انه نسخ حكم المسح بالسنة المشهورة وعمل الصحابة رضى الله تعالى عنهم قال عطاء والله ما علمت احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لأن يقطعا احب الىّ من ان امسح على القدمين ﴿قوله وقول اكثر الائمة والتحديد﴾ كل واحد منهما مرفوع بالعطف على السنة اى ويؤيده ايضا تحديد الرجلين بقوله تعالى الى الكعبين فانه يدل على ان حكم الارجل الغسل دون المسح لان المسح لم يضرب له غاية فى الشريعة وانما جاء التحديد فى المغسول ﴿قوله وجرّه الباقون على الجوار﴾ لا لبيان كونه من الممسوحات كالرأس وانما جيئ بصورة الجرّ رعاية للتناسب اللفظى كما يصرف غير المنصرف لذلك فى مثل سلاسلا واغلالا والعطف بالجر لا يوجب الاشتراك فى الحكم كما فى قوله تعالى وحور عين بالجرّ الجوارى بعد قوله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق الى قوله وحور عين فانه ليس المعنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بحور عين بل المعنى ويطوف عليهم حور عين الا انه جيئ به على صورة العطف على قوله بأكواب واباريق ليناسب ما فى جواره ومنه جرّ أليم فى قوله تعالى عذاب يوم أليم مع ان حقه الرفع بناء على انه صفة عذاب ومنه قولهم هذا جحر ضب خرب بجرّ خرب مع انه صفة جحر لا ضب وهذا ماء شنّ بارد بجرّ بارد مع انه صفة ماء وكان حقهما الرفع لكنهما ذكرا مجرورين للتناسب ﴿قوله وفائدته﴾ اى فائدة جرّها بعطفها على الرؤوس مع كونها غير ممسوحة التنبيه على انها وان كانت من المغسولات الا انه ينبغى ان يقتصد فى صب الماء عليها وتغسل غسلا قريبا من المسح ووجه الحاجة الى التنبيه ان الارجل من بين الاعضاء المغسولات مظنة الاسراف فى صب الماء عليها من حيث انها تغسل بصب الماء عليها فعطفت على الممسوح للتنبيه على ذلك حتى يجتنب المتوضئ عن اسراف الماء فانه حرام منهىّ عنه ﴿قوله وفى الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى وجوب الترتيب﴾ اختلف العلماء فى وجوب الترتيب بين وظائف الوضوء وهو ان يأتى بها على الترتيب فى الآية فذهب مالك والشافعى واحمد رحمهم الله تعالى الى وجوبه وذهب جماعة منهم ابو حنيفة الى انه ليس بواجب فاحتج الشافعى رحمه الله تعالى بهذه الآية على مذهبه من وجوه الاوّل ان قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم يقتضى وجوب الابتداء بغسل الوجه لان الفاء للتعقيب واذا وجب الترتيب فى هذا المغسول وجب فى غيره اذ لا قائل بالفرق فان قيل فاء التعقيب انما تقتضى ان يقع مجموع هذه الافعال الاربعة عقيب القيام الى الصلاة كأنه قيل اذا قمتم الى الصلاة فأتوا بمجموع هذه الافعال قلنا فاء التعقيب وان اوجبت مجموع المذكورات عقيب القيام اليها الا ان وجوب وقوع هذا المجموع عقيب القيام اليها لا ينافى تقديم وجوب غسل الوجه على سائر الافعال فانها لما دخلت على غسل الوجه اصالة وابتداء ودخلت على سائر الافعال تبعا لدخولها على غسل الوجه كان وقوع هذا المجموع عقيب القيام اليها مقيدا برعاية الترتيب فيما بين الافعال والوجه الثانى من وجوه احتجاج الشافعى بهذه الآية انه تعالى لما بدأ فى ذكر وظائف الوضوء بغسل الوجه وجب علينا الامتثال بامره تعالى وان نبدأ بغسل الوجه لقوله تعالى فاستقم كما امرت ولقوله عليه الصلاة والسلام * ابدأوا بما بدأ الله به * وهذا الخبر وان ورد فى قضية الصفا والمروة الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والوجه الثالث منها انه سبحانه وتعالى اورد وظائف الوضوء على ترتيب خاص وهو ذكر الممسوح فى اثناء المغسولات وهذا الترتيب مخالف للترتيب الذى يقتضيه العقل فان المعقول ان يبدأ بذكر وظيفة الرأس نازلا الى القدم او يبدأ بذكر وظيفة القدم صاعدا الى الرأس او يبدأ بذكر وظائف المغسولات ثم بذكر وظيفة المسح وان لا يتخلل ذكر وظيفة المسح فى خلال ذكر وظائف المغسولات لان قطع النظر عن النظر غير معقول والترتيب الذى يقتضيه العقل لا يعدل عنه بلا حكمة فلما عدل عنه فى الآية علمنا انه كما تجب انفس تلك الوظائف تجب مراعاة الترتيب بينها على الوجه الذى ورد النص عليه ﴿قوله تعالى فاطهروا﴾ اصله فتطهروا فادغمت تاء التفعل فى الطاء لقرب مخرجهما واجتلبت همزة الوصل ليكمن الابتداء فقيل اطهروا وهذا التطهر عبارة عن الاغتسال قال الله تعالى فى موضع آخر ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا والجنابة لها سببان نزول المنى لقوله عليه الصلاة والسلام * انما الماء من الماء * والتقاء الختانين لقوله عليه الصلاة والسلام * اذا التقى الختانان فقد وجب الغسل * اى وان لم ينزل وختان الرجل هو الموضع

وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحدّ وجرّه الباقون على الجوار ونظيره كثير فى القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجرّ فى قرآءة حمزة والكسائى وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب فى ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغى ان يقتصد فى صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفى الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة (وان كنتم جنبا فاطهروا) فاغتسلوا

(الذى)

الذي يقطع منه القلفة وختان المرأة هو الموضع الذي يقطع منه جلدة رقيقة قائمة في الطرف الاعلى من فرج المرأة مثل عرف الديك وقطع هذه الجلدة هو ختانها فاذا غابت الحشفة حاذى ختانه ختانها فيجب الغسل لما ذكر الله تعالى كيفية الطهارة الصغرى من الحدث الاصغر ذكر بعدها كيفية الطهارة الكبرى من الحدث الاكبر وهو الجنابة فقال تعالى فاطهروا فان بناء التفعل للتكلف والاهتمام وهو يكون باستيعاب ظاهر جميع البدن بالغسل ﴿قوله تعالى فلم تجدوا ماء﴾ معطوف على الشرط السابق فقوله فتيمموا جوابه والمراد من عدم وجدان الماء عدم التمكن من استعماله لان ما لا يتمكن من استعماله كالمفقود والتيمم القصد والصعيد وجه الارض فعيل بمعنى فاعل والطيب الطاهر ﴿قوله اى ما يريد الامر بالطهارة﴾ اى من الاحداث المانعة من الصلاة كالتوضئ والاغتسال والتيمم لاجل التضييق عليكم يعني ان مفعول الارادة محذوف وان لام العلة متعلقة به ثم اشار الى ان المفعول المحذوف اما الامر بمطلق الطهارة سواء كان بالتوضئ او الاغتسال او التيمم واما الامر بالتيمم بخصوصه بشهادة ذكر الارادة متصلا بذكر الامر بالتيمم اى ما يريد بالامر المذكور تضييقا عليكم ولكن يريده لينظفكم وينقيكم من النجاسة الحكمية الحاصلة بخروج النجس من مخرجه فان الحدث والجنابة لا يوجبان نجاسة حقيقية اذا غسل موضع اصابة النجس فالطهارة انما تنظف من النجاسة الحكمية ﴿قوله فان الوضوء تكفير للذنوب﴾ عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأ العبد المسلم او المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء او مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب * ﴿قوله بعزائمه﴾ العزيمة ما شرع اصالة والرخصة ما شرع بناء على الاعذار ﴿قوله اصل وبدل﴾ الاصل ما يكون بالماء والبدل ما يكون بالصعيد وما يكون بالماء اثنان مستوعب وهو الغسل وغير مستوعب وهو الوضوء ثم الوضوء باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وهو غسل اليدين والرجلين حيث ذكر كل واحد منهما بكلمة الغاية وهي تفيد التحديد وغير محدود وهو غسل الوجه ومسح الرأس فان شيأ منهما لم يذكر بكلمة الغاية وآلة كل واحدة من الطهارتين مائع وهو الماء وجامد وهو الصعيد وموجب تلك الطهارتين حدث اصغر او اكبر ﴿قوله ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره﴾ اشارة الى وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها فانه تعالى لما امر بانواع الطهارة على حسب اختلاف الاحوال وعلل الامر بها بقوله انما كان ذلك ليطهركم وليتم نعمته عليكم لكي تشكروا اردف ذلك بما يذكر المنعم ويوجب عليهم شكر نعمه فان عظم النعمة وكمالها يوجب على المنعم عليه الاشتغال بخدمة المنعم والانقياد لأوامره ونواهيه ثم عطف على هذا السبب الموجب للشكر والانقياد للتكليف قوله وميثاقه الذي واثقكم به اى عاقدكم عقدا وثيقا * فان قيل قوله اذكروا نعمة الله يشعر بسبق النسيان وكيف يعقل من المسلم نسيانها مع اشتغاله باقامة وظائف الاسلام على التوالي والدوام * قلنا المواظبة على الشيء تنزله منزلة الامر الطبيعي فلا تكون عبادتهم ذكرا ولذلك احتيج الى الامر بالذكر ﴿قوله اخذه على المسلمين حين بايعهم النبي صلى الله عليه وسلم﴾ فانه تعالى اخذ عهد المسلمين بالسمع والطاعة في جميع الاحوال حين بايعهم النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا جعل الله تعالى المواثقة الجارية بينه عليه الصلاة والسلام وبين المسلمين جارية بين نفسه وبين المسلمين حيث اضاف الميثاق الى نفسه وقال وميثاقه الذي واثقكم به اى عاقدكم به عقدا وثيقا بناء على ان من بايع الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث انه رسول من الله تعالى فهو في الحقيقة بايع الله تعالى كما قال تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ويحتمل ان يكون المراد بالميثاق المذكور ههنا المواثقة الجارية بينه عليه الصلاة والسلام وبين الصحابة رضي الله تعالى عنهم في الحديبية وتسمى بيعة الرضوان من حيث انه نزل في حقها قوله سبحانه وتعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ﴿قوله تعالى كونوا قوامين لله﴾ معنى القيام لله ان يقوم لوجه الله تعالى وطلب مرضاته بالحق في كل ما يلزم القيام به من الامر بالمعروف والعمل به والنهي عن المنكر والتجنب عنه واظهار مقتضى العبودية وتعظيم شأن الربوبية وقوله شهداء خبر بعد خبر او حال من المنوي في قوامين بمعنى شاهدين بالعدل غير عادلين عن الحق في شهادتكم طلبا لرضى اقاربكم واهل ودكم او سخطا على من يعاديكم ويخالفكم بان تؤدوا شهادتكم لاحياء حق كل ذي حق من المعادي والصديق ابتغاء لوجه الله تعالى ﴿قوله على ترك العدل فيهم﴾

(وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه) سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) اى ما يريد الامر بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم (ولكن يريد ليطهركم) لينظفكم او ليطهركم من الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة (وليتم) ليتم بشرعه ما هو مطهر لابدانكم ومكفر لذنوبكم (نعمته عليكم) في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب فالمستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتيهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره (وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا) يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان (واتقوا الله) في انساء نعمه ونقض ميثاقه (ان الله عليم بذات الصدور) اى بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا) عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم

(اعدلوا هو اقرب للتقوى) اى العدل اقرب للتقوى صرّح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى اذا كان هذا العدل مع الكفار فاظنك بالعدل مع المؤمنين (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت فى المشركين وهذه فى اليهود اولمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة فى اطفاء نائرة الغيظ (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم) انما حذف ثانى مفعولى وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة فى موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكأنه قال وعدهم هذا القول (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) روى ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فردّ الله كيدهم بان انزل صلاة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ماروى انه عليه الصلاة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمرى يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو ابن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فأخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرّق الناس عنه فجاء اعرابى فسلّ سيفه فقال من يمنعك منى فقال الله فأسقطه جبريل من يده فأخذه الرسول صلى الله عليه وقال من يمنعك منى فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت (اذ همّ قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه (فكف ايديهم عنكم) منعها ان تمدّ اليكم وردّ مضرّتها عنكم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فانه الكافى لايصال الخير ودفع الشرّ (ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرآئيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روى ان بنى اسرآئيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالسير الى اريحاء ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فانى ناصركم وامر موسى ان يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فأخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا اجراما عظيمة وبأسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوقنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف (وقال الله انى معكم) بالنصرة (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم) اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير (واقرضتم الله قرضا حسنا) بالانفاق فى سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول

اشارة الى ان قوله على ان لا تعدلوا اى فيهم فحذف فيهم للعلم به عدّى جرم هنا بكلمة على لكونه بمعنى حمل كما صرح به الكسائى وثعلب ولم يصرح به فى الآية المتقدمة وهى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اما لان جرم فيها بمعنى كسب كما ذهب اليه ابو عبيد والفرآء واما على اسقاط حرف الخفض ونزعه وهى كلمة على وظهورها فى هذه الآية يرجح تقديرها فى الآية السابقة نهى الشنآن عن حمله المسلمين على ترك العدل فى حق المشركين والمقصود نهى المسلمين عن الجور بسبب بغضهم للمشركين فجعل نهى الشنآن عبارة عن نهى المسلمين ﴿قوله وبين انه مقتضى الهوى﴾ عطف على قوله نهاهم عن الجور وبيان كون الجور مقتضى الهوى مستفاد من التصريح بكون الحامل عليه البغض والشنآن وجعل العدل اقرب للتقوى لانه اذا حصل العدل حصلت التقوى عما يؤثم الموجبة لكل كرامة لكونها رأس الخصال الحميدة المستتبعة لكل خير ﴿قوله وفاء بحق الدعوة﴾ فان الدعوة الى الحق انما تتم وتكمل بوعد متبعيه ووعيد معانديه والترغيب فى اتباعه والترهيب من الاعراض عنه ﴿قوله وفيه مزيد وعد للمؤمنين﴾ لان الوعيد اللاحق باعدآئهم مما يشفى صدورهم ويذهب ما كان يجدونه من اذاهم فان الانسان يفرح بان تهدّد اعدآؤه ﴿قوله بعسفان﴾ هو موضع على مرحلتين من مكة قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه الى صلاة الظهر مجتمعين فى غزوة ذى الحجاز فلما صلوا ندم المشركون على عدم اكبابهم على المسلمين مرة وهم فى الصلاة وهموا الى آخره ثم انه تعالى لما امر فى الآية المتقدمة بان يذكروا نعمة الله تعالى وميثاقه الذى واثقهم به ذكر بعده اخذ الميثاق من بنى اسرآئيل لكنهم نقضوه وتركوا الوفاء به فقال تعالى فى حقهم فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم فكأنه قيل فلا تكونوا مثلهم فى نقض العهد فتصيروا امثالهم فيما نزل بهم فقال تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرآئيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا ﴿قوله تعالى منهم﴾ يجوز ان يتعلق ببعثنا وان يتعلق بمحذوف على انه حال من اثنى عشر لانه فى الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله سبحانه وتعالى فنقبوا فى البلاد وسمى بذلك لانه يفتش عن احوال القوم واسرارهم يقال نقب على القوم ينقب نقابة مثل كتب يكتب كتابة اى شاهد القوم وتعرف احوالهم وحملهم على العمل بما امروا به فالنقيب هو الامين الكفيل على قومه امر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام بأن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة للامر عليهم فاختار موسى منهم النقباء واخذ الميثاق على بنى اسرآئيل بأن يطيعوهم فيما امروهم به ويكون النقباء لهم امناء بذلك فسار بهم فلما دنا الى ارض كنعان بعث النقباء ليتجسسوا الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم بما رأوا فلقيهم رجل من الجبابرة يقال له عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله ويروى ان الماء علا على مافى الارض من جبل فى طوفان نوح عليه الصلاة والسلام وما جاوز ركبتى عوج ابن عنق وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى اهلكه الله تعالى على يد موسى عليه الصلاة والسلام وذلك انه جاء وقوّر صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى عليه السلام وكان فرسخا فى فرسخ وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله تعالى الهدهد فقوّر الصخرة بمنقاره فوقعت فى عنقه فصرعته فأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله وكانت ام عنق من بنات آدم عليه السلام وكان مجلسه جريبا من الارض فلما لقى عوج النقباء وعلى رأسه حزمة من الحطب اخذ الاثنى عشر نقيبا وجعلهم فى الحزمة وانطلق بهم الى امرأته وقال انظرى الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وجرّهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلى فقالت امرأته لابل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك فرجع النقباء الى قومهم فكانوا يتحدثون فى الطريق بما يخبرون به قومهم وقال بعضهم ياقوم انكم ان اخبرتم بنى اسرآئيل بما رأيتم من حال القوم ارتدوا عن نبىّ الله ولكن اكتموا خبر القوم عنهم واخبروا موسى وهرون فيريان رأيهما فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انهم نكثوا العهد وجعل كل واحد ينبئ عن حالهم ويخبرهم بما رأى الا الرجلين كالب بن يوقنا ويوشع بن نون وكان كالب من سبط افرائيم بن يوسف عليهما السلام وهما اللذان قال الله تعالى حكاية عنهما قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما الآية ﴿قوله اى نصرتموهم وقويتموهم﴾ التعزير التوقير والتعزير ايضا النصر باللسان والسيف قال عطاء يريد وقرتموهم وقال السدى نصرتموهم بالسيف وقال مقاتل اعنتموهم كذا فى الوسيط ﴿قوله بالانفاق فى سبيل الخير﴾ من التقربات المندوبة

(لأكفرن عنكم سيئاتكم) جواب القسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك) بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم (منكم فقد ضل سوآء السبيل) ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين (يحرفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله تعالى والافترآء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا وافيا (مما ذكروا به) من التوراة او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم لما روى ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) خيانة منهم او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم (الا قليلا منهم) لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل استثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية (فاعف عنهم واصفح) ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف (ان الله يحب المحسنين) تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم) اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره

المتعلقة بالمال لان ما كان من قبيل الواجبات ذكره بقوله تعالى وآتيتم الزكاة وهي عبارة عن اخراج القدر الواجب من النصاب المالي وقرضا يحتمل ان يكون منصوبا على المصدرية لانه اسم مصدر بمعنى الاقراض اقيم مقام المصدر كأنه قيل واقرضتم الله اقراضا حسنا ومثله قوله سبحانه وتعالى وانبتها نباتا حسنا اي انباتا وقوله فتقبلها ربها بقبول حسن اي بتقبل ويحتمل ان يكون منصوبا على انه مفعول به بان يكون القرض اسما للمال المقروض واللام في قوله تعالى لئن اقمتم الصلاة هي الموطئة للقسم والقسم معها محذوف وقد تقرر انه اذا اجتمع الشرط والقسم يحذف جواب المتأخر منهما لدلالة عليه وقد تم الكلام عند قوله سبحانه وتعالى وقال الله اني معكم اي بالعلم والقدرة فأسمع كلامكم وارى افعالكم واعلم ضمائركم وهذه مقدمة مفيدة في الترغيب والترهيب ثم ابتدأ بعدها بجملة شرطية محصلها ان امتثالم امري نصرتكم ﴿قوله بعد ذلك الشرط المؤكد﴾ اي بالقسم فالشرط المذكور قوله تعالى لئن اقمتم الصلاة والوعد قوله لأكفرن وليس المراد بالشرط الشرط النحوي لظهور ان ليس المعنى من كفر وارتد بعد اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والايمان بالرسل بل المعنى من كفر بعد ما شرطت هذا الشرط ووعدت هذا الوعد وانعمت هذا الانعام ولا خفاء في ان الضلال بعد هذا اقبح واشنع ولا حاجة الى حمل الكفر على الارتداد خاصة بل يتناول البقاء على الكفر بعد هذا الاخبار والاعلام بمضمون الشرطية ﴿قوله بخلاف من كفر قبل ذلك﴾ اشارة الى جواب ما يقال كيف قيل ومن كفر بعد ذلك فقد ضل سوآء السبيل مع ان من كفر قبل ذلك ايضا قد ضل سوآء السبيل * وتقرير الجواب ان من كفر قبله بالنسبة اليه كأنه ليس بضال فان الكفر انما يعظم قبحه لعظم النعمة المكفرة فلما زاد الكفر زاد قبح الكفر وما في قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم صلة مؤكدة فانها قد تكون زآئدة كافة عن العمل كما في قولك انما زيد منطلق وغير كافة كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وقوله فبما نقضهم ميثاقهم والمعنى فبنقضهم ميثاقهم ووجه كونها مؤكدة للكلام انه يتمكن معنى الكلام ومحواه في النفس من جهة وجودها قال قتادة انهم كذبوا الرسل بعد موسى وقتلوا الانبياء وغيروا كتاب الله تعالى وضيعوا فرآئضه وقيل انهم كتموا صفة محمد عليه الصلاة والسلام وقيل نقضوه بمجموع هذه الامور ﴿قوله قاسية﴾ من القسوة وهي غلظة القلب وشدته وجرقاس اي صلب ودرهم قسي اي زيف فضته صلبة رديئة ليست بلينة وجمعه قسيان مثل صبي وصبيان كذا في الصحاح ﴿قوله اما مبالغة القاسية﴾ يعني يجوز ان تكون قسية بمعنى قاسية الا ان القسي ابلغ من القاسي كالقدير ابلغ من القادر والعليم من العالم والشهيد من الشاهد فيكون لفظ قسية لفظا عربيا مشتقا من القسوة وانث لتأويل الجماعة وقال الفارسي انها ليست من ألفاظ العرب في الاصل وان هذه كلمة معربة اعجمية يعني انها مأخوذة من قولهم درهم قسي اي مغشوش شبهت قلوبهم في كونها غير صافية عن الكدر بالدراهم المغشوشة الغير الخالصة الا ان صاحب الكشاف قال القسي مشتق من القسو لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش منهما فيه يبس وصلابة للغش الذي يكون فيه فتكون هذه اللفظة عربية كالعليم والعالم وفي الحواشي السعدية قول الزمخشري وهو من القسو اشارة الى انه ليس بمعرب فارسي وهو الرديء من الدراهم على ما نقل عن الاصمعي والمصنف رحمه الله تعالى اختار قول الزمخشري وحاصل الكلام ان كل واحد من قسية وقاسية مشتق من القسو بمعنى الشدة والصلابة وان القاسية الشديدة الصلبة بخلاف القسية فانها يحتمل ان تكون بمعنى القاسية وابلغ منها وان تكون بمعنى الرديئة المكدرة وقوله سبحانه وتعالى يحرفون الكلم اي يغيرون صفة محمد عليه الصلاة والسلام وآية الرجم ﴿قوله تعالى ونسوا حظا مما ذكروا به﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما تركوا نصيبا مما امروا به في كتابهم من اتباع سيد المرسلين والايمان به ﴿قوله خيانة منهم﴾ على ان الخائنة مصدر كالعافية واللاغية قال الله تعالى لا تسمع فيها لاغية اي لغوا ويؤيد هذا الوجه قرآءة الاعمش على خيانة او فرقة خائنة على انه اسم الفاعل والتاء فيها للتأنيث بان يقدر لها موصوف مؤنث نحو فرقة او طائفة ﴿قوله او خائن﴾ على ان يكون اسم فاعل وتكون التاء للمبالغة كما في رواية وعلامة ونسابة اي على شخص خائن غاية الخيانة وكانت خيانتهم نقضهم الميثاق ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله بالسم وغيره ﴿قوله اي واخذنا من النصارى﴾ يعني ان قوله ومن الذين متعلق بقوله اخذنا ميثاقهم والجملة معطوفة على قوله تعالى اخذ الله ميثاق بني اسرآئيل اشار اليه بقوله كما اخذنا ممن قبلهم وعلى قوله وقيل تقديره يكون من الذين قالوا انا نصارى خبر مبتدأ محذوف حذف المبتدأ واقيم صفته مقامه ﴿قوله وانما قال قالوا انا نصارى﴾ يعني الظاهر ان يقال ومن النصارى اخذنا ميثاقهم وعدل عنه الى قوله

من الذين قالوا انا نصارى ...

ومن الذين قالوا انا نصارى ايماء الى انهم ليسوا انصارى بمعنى كونهم انصار الله تعالى وانصار دينه بل انهم نصارى بتسميتهم انفسهم بهذا الاسم وادعائهم نصرة الله تعالى حيث قالوا لعيسى عليه السلام نحن انصار الله ثم انهم غيروا دين الله تعالى وصاروا افرقا نسطورية ويعقوبية وملكانية زعمت النسطورية ان عيسى ابن الله تعالى وزعمت اليعقوبية ان الله تعالى هو المسيح بن مريم وزعمت الملكانية ان الله ثالث ثلاثة فكانوا انصار الشياطين ولم يكونوا انصار الله وقدامرهم عيسى عليه الصلاة والسلام بذلك حيث قال لهم كونوا انصار الله وقوله تعالى اخذنا ميثاقهم قال مقاتل اخذ الميثاق على اهل الانجيل كما اخذه على اهل التوراة ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويتبعوه وهو مكتوب عندهم في الانجيل فنسوا حظا مما ذكروا به اى مما امروا به من الايمان وبيان نعته وذلك حظ عظيم فانهم الاقليلا منهم وهم الذين آمنوا به واتبعوه منهم **قوله تعالى فأغرينا** اى فألصقنا وألزمنا العداوة من غرى بالشئ اذا لزمه ولصق به واغراه غيره وبينهم ظرف لاغرينا او حال من العداوة فيتعلق بمحذوف قيل الذى ألقى العداوة بين النصارى رجل يقال له بولس كان بينه وبين النصارى قتال كثير قتل منهم خلقا كثيرا فاراد ان يحتال بحيلة تقع بها العداوة والبغضاء بينهم فيتقاتلون ويتحاربون بها الى يوم القيامة فغاب عنهم زمانا طويلا ثم جاءهم وجعل نفسه اعور وقال لهم اتعرفوننى قالوا انت الذى قتلت منا وفعلت مافعلت قال قدفعلت ذلك كله الا ان الله سبحانه وتعالى قدوفقنى للتوبة والندامة والرجوع الى الحق بسبب انى رأيت عيسى عليه الصلاة والسلام فى المنام نزل من السماء فلطم وجهى لطمة فقأبها احدى عينى وقال اى شئ تريد من قومى اما تستحيى من الله اماتخاف من عقابه فخررت ساجدا لله تعالى بين يديه وتبت على يديه وعلمنى شرآئع دينه وامرنى ان ألحق بكم واكون بين ظهرانيكم واعلمكم شرآئع دينكم كما علمنى عيسى فى المنام فقبلوه واتخذوا له غرفة فصعد تلك الغرفة وفتح كوة الى الناس فى الحائط وكان يتعبد فى الغرفة وربما كانوا يجتمعون اليه ويسألونه ويجيبهم من تلك الكوة وربما يقول لهم قولا كان فى الظاهر منكرا فينكرون عليه القول فيفسره تفسيرا يعجبهم فانقادوا له كلهم وكانوا يقبلون قوله فى جميع مايأمرهم به فقال يوما من الايام اجتمعوا عندى وقد حضرنى علم ابثه لكم فاجتمعوا فقال لهم أليس الله تعالى خلق هذه الاشياء فى الدنيا لمنفعة ابن آدم فقالوا نعم فقال فلم تحرمون على انفسكم من بينها الخمر والخنزير وقد خلق لكم مافى الارض جميعا فأخذوا قوله فاستحلوا الخمر والخنزير فلما مضى على ذلك ايام دعاهم وقال حضرنى علم اسمعوا ذلك منى وانتفعوا به قالوا ماهو فقال لهم من اين تطلع الشمس من نواحى الافق قالوا تطلع من قبل المشرق فقال ومن اى ناحية يطلع القمر والنجوم فقالوا من قبل المشرق فقال ومن يرسلهم من قبل المشرق قالوا الله تعالى فقال فاعلموا انه تعالى من قبل المشرق فاذا صليتم له فصلوا اليه فحوّل صلاتهم الى المشرق فلما مضى على ذلك ايام دعا بطائفة منهم وامرهم ان يدخلوا عليه فى الغرفة وقال لهم جاءنى عيسى عليه السلام الليلة فقال لى رضيت عنك لاجل علمك وتعليمك قومى فمسح بيده على عينى فبرئت فاعلموا انى اريد ان اجعل نفسى الليلة قربانا لاجل عيسى وقد حضرنى علم اريد ان اخبركم فى السر لتحفظوه عنى وتدعوا الناس اليه ثم قال هل يستطيع احد ان يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص الا الله تعالى فقالوا نعم قال ان عيسى فعل هذه الاشياء فاعلموا انه هو الله فخرجوا من عنده ثم دعا بطائفة ثانية فاخبرهم ان عيسى ابنه ثم دعا بطائفة اخرى واخبرهم ان الله ثالث ثلاثة وقال لكل واحدة من تلك الطوائف انى اريد ان اجعل نفسى قربانا لعيسى عليه السلام الليلة ثم خرج فى بعض الليلة وغاب عنهم فأصبحوا ولم يجدوه فى موضعه فقالوا انه قد التحق بعيسى فجعل كل فريق يدعو الناس الى ماسمعه من اللعين وكفر به الآخران فوقع بينهما القتال فاقتتلوا وبقيت العداوة بينهم الى يوم القيامة وهم ثلاث فرق النسطورية قالوا المسيح ابن الله والملكانية قالوا ان الله ثالث ثلاثة المسيح وامّه والله الثالث واليعقوبية قالوا ان الله هو المسيح لعنهم الله تعالى ثم انه تعالى لما حكى عن اليهود والنصارى نقضهم العهد وتركهم ماامروا به دعاهم بعد ذلك الى الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام فقال ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم **قوله لكم** حال رسولنا وقوله مما متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا وما موصولة وتخفون صلتها والعائد محذوف اى من الذى كنتم تخفونه ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد المحذوف ويعفو عطف على يبين اى جاءكم من رسولنا حال كونه مبينا ومظهرا كثيرا مما كنتم تخفون وعافيا عن كثير فلا يتعرض له ولا يؤاخذكم به لانه لاحاجة له الى اظهاره من حيث انه لايتعلق به ومع ذلك لما اخبرهم باسرار مافى كتابهم كان ذلك اخبارا عن

(فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا) فألزمنا من غرى بالشئ اذا لصق به (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) بين فرق النصارى ومنهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) بالجزاء والعقاب (ياأهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس (قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة وبشارة عيسى باحمد صلى الله عليه وسلم فى الانجيل (ويعفو عن كثير) مما تخفونه لايخبر به اذا لم يضطر اليه فى امر دينى او من كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه

وسلم (يهدي به الله) وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما كواحد في الحكم (من اتبع رضوانه) من اتبع رضاه بالايمان منهم (سبل السلام) طرق السلامة من العذاب اوسبل الله (ويخرجهم من الظلمات الى النور) من انواع الكفر الى الاسلام (باذنه) بارادته اوبتوفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم) طريق هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لامحالة (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لااله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم (قل فمن يملك من الله شيأ) فمن يمنع من قدرته وارادته شيأ (ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا) احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية (ولله ملك السموات والارض ومابينهما يخلق مايشاء والله على كل شئ قدير) ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق مابينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه امامن ذكر وحده كحوآء اومن انثى وحدها كعيسى اومنهما كسائر الناس (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه) اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون اومقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) اى فان صح مازعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لايفعل مايوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة (بل انتم بشر ممن خلق) ممن خلقه الله تعالى (يغفر لمن يشاء) وهم من آمن به وبرسله (ويعذب من يشاء) وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لامزية لكم عليه (ولله ملك السموات والارض ومابينهما) كلها سوآء في كونه خلقا وملكاله (واليه المصير) فيجازى المحسن باحسانه والمسيء باساءته (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم) اى الدين وحذف لظهوره

الغيب فيكون معجزا ومع ذلك اذا علموا كونه عليه الصلاة والسلام عالما بكل مايخفونه يصير ذلك داعيا لهم الى ترك الاخفاء كي لايفتضحوا ﴿ قوله يعني القرآن ﴾ يعني ان النور والكتاب المبين متحدان بالذات وعطف احدهما على الآخر من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف بهما وهو القرآن وصف بالنور تشبيها له بالنور الكاشف للاعيان المحجوبة بالظلمة الحسية وقد وصف بالكتاب المبين لكونه كتابا بين الاعجاز على ان المبين من ابان لامن بان وعلى ماقيل يكون العطف من قبيل عطف الذات على الذات بناء على ان النور المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم سمي نورا تشبيها له بالنور من حيث انه يميز به الهدى عن الضلال والحق عن الباطل وعلى الاول يكون توحيد ضمير به ظاهرا لان المراد بهما واحد وهو القرآن وعلى الثاني وحد نظرا الى اتحادهما حكما من حيث ان المقصود بهما اظهار الحق وتبيينه والدعوة اليه ﴿ قوله اوسبل الله ﴾ على ان يكون السلام من اسماء الله لان السلام هو السالم المنزه عن النقائص وسبيل الله هو دين الاسلام ﴿ قوله اوبتوفيقه ﴾ اى بتيسيره وجعل حالهم موافقا لما يحبه ويرضاه لان الاذن هو الاطلاق ورفع الحرج فيجوز ان يعبر عن التيسير بالتوفيق وتنكير نور وكتاب وصراط للتعظيم ﴿ قوله زعموا ان فيه لاهوتا ﴾ اى الوهية من حيث انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر العالم ﴿ قوله تعالى ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم الخ ﴾ عطف امه ومن في الارض على المسيح مع انه يكفي في الاحتجاج على فساد قولهم الاقتصار على ذكر المسيح للدلالة على انه عبد مخلوق من جنسهم للاتفاق بينه وبينهم في البشرية فيجوز عليه مايجوز عليهم ﴿ قوله اشياع ابنيه عزير والمسيح ﴾ جواب عما يقال من ان اليهود والنصارى لايقولون انهم ابناء الله وانما قالوا ذلك في عيسى عليه السلام وعزير فكيف يصح ان يحكى عنهم ذلك * وتقرير الجواب ان اليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله ثم زعموا انهم اشياع عزير والمسيح واصحابهما والمختصون بشخص يطلق عليهم مايطلق على ذلك الشخص ويوصفون بوصفه كما ان اقارب الملك اذا اخذوا احدا قد يقولون نحن ملوك الارض وكما قال مؤمن آل فرعون مخاطبا لهم ياقوم لكم الملك اليوم وكان الملك لفرعون لالهم فجعلهم ملوكا لاختصاصهم به وكما قيل لاصحاب ابي خبيب الخبيبون قال الشاعر * قدني من نصر الخبيبين قدي * على رواية الخبيبين بلفظ الجمع وخبيب اسم رجل وهو خبيب بن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم وكان عبد الله يكنى بابي خبيب ومن روى الخبيبين بلفظ التثنية فانه يريد بهما عبد الله بن الزبير وابنه وقيل يريد بهما عبد الله واخاه مصعبا ومن رواه بلفظ الجمع يريد بهم الثلاثة المذكورة وقال ابن السكيت يريد اباخبيب ومن كان على رأيه وقول المصنف كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون مبني على قول ابن السكيت * فان قيل التمثيل به انما يطابق تسمية اشياع ابناء الله ان لو تسمى ابن الزبير خبيبا ثم اطلق على اشياعه مااطلق عليه وليس كذلك لان ما اطلق على ابن الزبير هو ابو خبيب لاخبيب فاطلاق الخبيبين على اشياع ابن الزبير ليس من قبيل تسمية اشياع شخص بما اطلق على ذلك الشخص * فالجواب عنه ان تسمية اشياع ابي الخبيب بالخبيبين يصلح شاهدا ومؤيدا لصحة تسمية اشياع ابناء الله بابناء الله ثم اشار المصنف رحمه الله الى جواب آخر بقوله اومقربون عنده يعني ان الاشكال انما يتوجه على تقدير ان يريدوا بذلك حقيقة البنوة ولم يريدوا ذلك بل مرادهم بالبنوة مايلزمها من القربة والعناية ومزيد الرحمة فلما جاز ان يقال الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلا بهذا المعنى زعموا جواز ان يقال انه تعالى اتخذ اليهود ابناء والمعنى تخصيصهم بمزيد العناية والشفقة والمحبة فلذلك قالوا نحن ابناء الله على ارادة هذا المعنى وقيل في الجواب ان كلامهم محمول على حذف المضاف والتقدير نحن ابناء رسل الله واضافوا اليه سبحانه وتعالى ماهو مضاف في الحقيقة الى رسله ونظيره قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ﴿ قوله وحذف لظهوره ﴾ لدلالة الرسول عليه فان كل احد يعلم ان الرسول انما يرسل لتعليم دين الله وشرآئعه ﴿ قوله اوما كتمتم ﴾ اى عطف على الدين حذف لدلالة ماقبله عليه والاولى ان لايقدر مفعول يبين وينزل منزلة اللازم اى يبذل لهم البيان ليدل على العموم كما حذف المفعول لذلك في قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام اى كل احد وزمان الفترة مايقع بين رسولين وكان بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة وثمان وخمسون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بني اسرآئيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان العبسي لكن لم يكونوا مرسلين وبين موسى وعيسى عليهما السلام اربعة آلاف واربعمائة وثلاث وتسعون سنة والف نبي وكانوا على شريعة موسى عليه السلام ومعنى الآية هو الامتنان عليهم بان

الرسول بعث اليهم حين انطماس آثار الوحي وهم احوج مايكون اليه لازالة العذر والزام الحجة فيعدّونه نعمة ورحمة **قوله** او بين عطف على قوله جاءكم اي ويحتمل ان يكون قوله على فترة متعلقا بقوله بين على انه حال من الضمير فيه اي يبين لكم حال كونه على فترة من الرسل اي فتور امرهم **قوله** فيقدر على الارسال تترى اي واحدا بعد واحد بان يفصل بعثة احد الرسولين عن انقضاء الآخر بزمان يسير بعد ان كان الارسال على سبيل التتابع والتوالي قال الله سبحانه وتعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى واصلها وترى من الوتر وهو الفرد والمواترة المتابعة مع انفصال التابع من المتبوع بزمان ولاتكون المواترة بين الاشياء الا اذا وقعت بينهما فترة والا فهي متداركة ومتواصلة ومتواترة الصوم ان تصوم يوما وتفطر يوما او يومين وتأتي به متواترا من غير مواصلة روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قوله تعالى على فترة من الرسل بمعنى على انقطاع من الانبياء يقال فتر الشئ يفتر فتورا اذا سكنت حدته وصارت اقل مما كانت عليه وسميت المدة بين الانبياء فترة لفتور الدواعي في العمل بتلك الشرائع وبعثة نبينا صلى الله عليه وسلم بعد انقطاع الرسل عليهم الصلاة والسلام اذ كانت بعثتهم متواترة بعضها في اثر بعض الى وقت ان رفع الله تعالى عيسى عليه السلام **قوله** تعالى واذ قال موسى لقومه الواو فيه للعطف وهو متصل بقوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرآئيل اخبر الله تعالى اوّلا انه اخذ ميثاق بني اسرآئيل وميثاق الذين قالوا انا نصارى وان كل واحد منهم نقض الميثاق ونسي حظا مما ذكر به وانه تعالى عاقبهم في الدنيا بما يستحقونه واوعدهم به في الآخرة ثم عطف على هذه القصة ان موسى عليه السلام ذكر قومه نعم الله تعالى عليهم من حيث انه تعالى جعل الانبياء منهم على عهد موسى بن عمران وهم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام من قومه وانطلقوا معه الى الجبل وانه تعالى لم يبعث في امّة مابعث في بني اسرآئيل من الانبياء ورغبهم في شكر تلك النعم وطاعة المنعم فيما امر به من جهاد الجبارين ومن جملة ماانعم الله تعالى على قوم موسى انه تعالى جعل منهم او فيهم ملوكا وقد ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم وقيل في تفسير جعلهم ملوكا انه تعالى جعلهم احرارا يملكون انفسهم بعدما كانوا في ايدي القبط بمنزلة اهل الجزية فينا فلا يغلبهم على انفسهم غالب وقيل من كان مستقلا بامر نفسه ومعيشته ولايحتاج في مصالحه الى احد فهو ملك وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * كان بنوا اسرآئيل اذا كان لاحد منهم خادم وامرأة ودابة كتب ملكا * وروي ان رجلا قال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ألسنا من فقرآء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوي اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال فأنت من الاغنياء قال فانّ لي خادما قال فانت من الملوك **قوله** ونحوها مما آتاهم كاهلاك عدوّهم من غير ان يكون لهم مدخل في ذلك وايراثهم املاكهم من الديار والاموال واخراج المياه العذبة الكافية لهم ولدوابهم من الحجر الصغير **قوله** وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم لما دل ظاهر قوله تعالى مالم يؤت احدا من العالمين على ان قوم موسى يفضلون على كل واحد من آحاد العالمين وليسوا كذلك وجه الكلام اوّلا بان خصص عموم قوله تعالى مالم يؤت احدا من العالمين بما انعم الله تعالى به عليهم مما اوتوا خاصة من بين العالمين كاهلاك عدوّهم بفلق البحر وماافاض الله تعالى عليهم من فنون فضله وصنوف نعمائه الخارجة عن العدد والاحصاء كتظليل الغمام واطعامهم طعام الملوك وسقيهم الماء الزلال الخارج من حجر صغير يابس وغير ذلك ولايلزم من تخصيص تلك النعم المختصة بهم تفضيلهم على سائر طوآئف العالم لجواز ان يختص غيرهم بافضل مما اوتوا ووجهه ثانيا بأن خصص عموم العالمين بعالمي زمانهم لئلا يلزم تفضيلهم على العالمين جميعا والحاصل ان قوله مالم يؤت احدا من العالمين يتناول جميع مالم يؤته غيرهم كما يتناول بعضه وكذا العالمين عام يتناول جميع العالم كما يتناول من في زمانهم من العالم والمصنف اختار التخصيص في جانب مالم يؤت واجرى العالمين على عمومه لان ابقاء عموم مالم يؤت على حاله وتخصيص العالمين يستلزم ان يكون قوم موسى عليه الصلاة والسلام مفضلين على اهل زمانهم بان يؤتوا جميع الفضائل التي لم تؤت اهل زمانهم وليس الامر كذلك بل هم متميزون عن غيرهم بان مااوتوه يختص بهم لم يعطه غيرهم من آحاد العالمين **قوله** سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء يعني ان معنى المقدسة المطهرة وتلك الارض طهرت من الشرك وجعلت مسكنا وقرارا للانبياء عليهم الصلاة والسلام نقل الامام هذا المعنى عن المفسرين ثم قال وفيه نظر لان تلك الارض التي امرهم موسى عليه السلام بدخولها ماكانت مقدسة عن الشرك وماكانت مقرّا للانبياء عليهم الصلاة والسلام حين قال لهم ادخلوا

(على فترة من الرسل) متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بيين حال من الضمير فيه (ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير) كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به (فقد جاءكم بشير ونذير) متعلق بمحذوف اي لاتعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بني اسرآئيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج مايكون اليه (واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء) فأرشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امّة مابعث في بني اسرآئيل من الانبياء (وجعلكم ملوكا) اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهمّوا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فأنقذهم وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا (وآتاكم مالم يؤت احدا من العالمين) من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسلوى ونحوها مما آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم (ياقوم ادخلوا الارض المقدّسة) ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وماحوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردنّ وقيل الشام

الارض المقدّسة والاقرب ان يقال سميت مقدّسة لكونها مطهرة من الآفات ثم قال ويمكن ان يجاب بانها كذلك فيما قيل وعن الكلبي ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما صعد جبل لبنان قال الله سبحانه وتعالى له انظر فما ادركه بصرك فهو مقدّس وهو ميراث لذرّيتك ولما وعدها الله تعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام ميراثا لولده فسر قوله تعالى كتب الله لكم بأن قال قسمها وسماها لكم * ولما ورد ان يقال كيف يصح هذا التفسير وقد روى انهم لما لم يجيبوا الى دخول القرية وجهاد الجبابرة بقوا فى التيه اربعين سنة قال الله تعالى فانها محرّمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض وماتوا فيه فكيف كانت مكتوبة لهم * اشار المصنف رحمه الله تعالى الى جوابه بقوله ولكن ان آمنتم واطعتم يعني ان هذا الوعد كان مقيدا بشرط الاجابة والاطاعة ولما خالفوا الشرط حرموها واجيب ايضا بان الخطاب كان لبني اسرآئيل وقد وقع الفتح على ايدى اولاد هؤلاء وانهم دخلوا فتحقق الوعد وكونه حراما لبعضهم لاينافى كونها مكتوبة لهم فانه قد روى ان موسى عليه الصلاة والسلام ويوشع بن نون وكالب بن يوقنا كانوا فى التيه وخرجوا منه باولاد من مات فى التيه وقاتلوا الجبابرة وغلبوهم ودخلوا بلادهم ﴿قوله ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة﴾ قيل لما دخل النقباء ارض الجبابرة يتجسسون احوال تلك الديار واهلها اختلفوا فيها اربعين يوما فرأوا اهلها كالبهم اجسام عظام هائلة حتى كان طول احدهم ثمانين ذراعا وقيل اربعمائة ذراع ثم انصرف اولئك النقباء الى موسى عليه السلام فاخبروه بمارأوا فامرهم موسى بان يكتموا مارأوه فلم يقبل قوله الارجلان منهم وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فانهما سهلا الامر وقالا هى ارض طيبة كثيرة النعمة والاقوام وان كانوا عظماء الا ان قلوبهم ضعيفة واما العشرة الباقية فقد اوقعوا الجبن فى قلوب الناس حتى اظهروا الامتناع عن غزوهم وقالوا لموسى انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا اناههنا قاعدون فدعا عليهم موسى عليه السلام فعاقبهم الله تعالى بأن ابقاهم فى التيه اربعين سنة وكانت غيبة النقباء اربعين يوما فعوقبوا فى التيه اربعين سنة ومات اولئك العصاة فى التيه واهلك النقباء العشرة بعقوبة عظيمة وقيل ان موسى عليه السلام كان حيا وخرج من التيه ومعه يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وقاتل الجبابرة وغلبوهم ودخلوا تلك البلاد وقيل لم يخرج من التيه احد ممن دخله بل ماتوا بأسرهم فى هذه الاربعين سنة ولم يبق الاذراريهم ويوشع وكالب ﴿قوله خاسرين ثواب الدارين﴾ اى تخسرون ماوعد لكم فى الدنيا من الاستيلاء على بلادهم وفى العقبى من ثواب الآخرة ﴿قوله الجزم على العطف﴾ اى لا ترتدّوا على ادباركم فلا تنقلبوا خاسرين ﴿قوله من جبره على الامر بمعنى اجبره﴾ اى اكرهه يقال اجبرته عليه اى اكرهته عليه والجبار الذى يقتل على الغضب كذا فى الصحاح قال الفرآء لم اسمع فعالا من افعل الا فى حرفين وهما جبار من اجبر ودراك من أدرك وقيل جبار مأخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لاتصل اليها الايدى ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل والقوم كانوا فى غاية القوّة وعظم الاجسام فسموا جبارين بهذا المعنى ﴿قوله اى يخافون الله تعالى﴾ اختار انّ المفعول المقدّر هو اسم الله تعالى على ماروى انّ ابن مسعود قرأ يخافون الله وقوله تعالى من الذين فى محل الرفع على انه صفة رجلان وصفهما بمخافة الله تعالى لكونهما من قوم موسى نبي الله لامن الجبابرة فان يوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف بن يعقوب كان فتى موسى ووصيه بعد موته وكالب بن يوقنا من سبط يهودا بن يعقوب كان ختن موسى على اخته مريم بنت عمران فثبت انهما رجلان من الذين يخافون الله تعالى فى مخالفة امره ﴿قوله وقيل كانا رجلين من الجبابرة﴾ اى قيل ليس المراد بالرجلين كالب ويوشع بل هما رجلان كانا من الجبابرة فاسلما وتبعا موسى انعم الله تعالى عليهما بان وفقهما للايمان ﴿قوله فعلى هذا﴾ اى فعلى تقدير ان يكون الرجلان من الجبابرة فى الاصل يكون الضمير المرفوع فى يخافون راجعا الى الموصول والتقدير وقال رجلان من الذين يخافهم بنوا اسرآئيل وهم الجبارون فان بنى اسرآئيل خافوا منهم وقالوا لاطاقة لنا بالقتال معهم فاذهب انت وربك فقاتلا اناههنا قاعدون والظاهر انه يجوز ان يكون التقدير على هذا القول قال رجلان من الذين يخافون الله الا ان التقدير الذى ذكره المصنف هو الانسب على هذا القول وايد قول هذا القائل بقرآءة من قرأ من الذين يخافون على بناء المفعول اى قال رجلان من المخوفين الذين يخافهم بنوا اسرآئيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فقالا هذا القول لقوم موسى تشجيعا لهم على قتالهم لما بينهما من العداوة الدينية ﴿قوله وعلى المعنى الاوّل﴾ اى على ان يكون

(التى كتب الله لكم) قسمها لكم او كتب فى اللوح انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ماعصوا فانها محرّمة عليهم (ولا ترتدّوا على أدباركم) ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدّوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله تعالى (فتنقلبوا خاسرين) ثواب الدارين ويجوز فى فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب (قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين) متغلبين لاتتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذى يجبر الناس على مايريده (وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون) اذ لاطاقة لنا بهم (قال رجلان) كالب ويوشع (من الذين يخافون) اى يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وسارا الى موسى فعلى هذا الواو لبنى اسرآئيل والراجع الى الموصول محذوف اى من الذين يخافهم بنوا اسرآئيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اى المخوفين وعلى المعنى الاوّل يكون هذا من الاخافة اى من الذين يخوّفون من الله بالتذكير او يخوّفهم الوعيد

(انعم الله عليهما) بالايمان و التثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض (ادخلوا عليهم الباب) باب قريتهم اى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من الاصحار (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لتعسر الكرّ عليهم فى المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لاقلوب فيها و يجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم اوبما علما من عادته تعالى فى نصرة رسله وماعهدا من صنيعه لموسى فى قهر اعدآئه (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) اى مؤمنين به ومصدّقين لوعده (قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا) نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد (ماداموا فيها) بدل من ابدا بدل البعض (فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك بعينك (قال رب انى لااملك الا نفسى واخى) قاله شكوى بثه وحزنه الى الله تعالى لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق بهما لما كابد من تلوّن قومه و يجوز ان يراد باخى من يواخينى فى الدين فيدخلان فيه و يحتمل نصبه عطفا على نفسى او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير فى لااملك او على محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير فى نفسى (فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين) بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا و بينهم وتخليصنا من صحبتهم

رجلان عبارة عن كالب ويوشع الاسرآئيليين يكون يخافون من الاخافة لان بنى اسرآئيل تعلق بهم الاخافة من الله تعالى بالتذكير والوعظ و بوعيد الله تعالى بعقاب العصاة ولايكون مجهولا بخلاف الثانى والالكان المعنى انهما من المخوفين وليس كذلك للقطع بأن المخوفين هم الجبارون والخائفون هم بنوا اسرآئيل والحاصل ان قرآءة الضم انما تؤيد قول هذا القائل وهو ان يكون الرجلان من الجبارين على تقدير ان يكون يخافون بضم الياء مجهولا بخلاف الثانى واما على تقدير كونه ليس مجهولا من باب الاخافة فلا ترجح هذه القرآءة ان يكون الرجلان من الجبارين للقطع بأن بنى اسرآئيل يخوّفون من الله تعالى بالوعظ والتذكير اذ يخوّفهم الوعيد الوارد فى حق من عصى وخالف امر الله تعالى ﴿قوله او اعتراض﴾ وقع بين قال ومقوله مدحا لهما ودلالة على صحة قولهما وكونه حقيقا بالقبول ﴿قوله باغتوهم﴾ اى ادخلوا عليهم بغتة اى فجاءة من المباغتة وهى المفاجأة يقال بغته اى فجأه والمضاغطة المزاحمة يقال ضغطه يضغطه ضغطا اى زحمه الى حائط ونحوه ومنه ضغطة القبر * والاصحار الدخول فى الصحرآء يقال اصحر القوم اذا دخلوا فى الصحرآء نحو اصبح القوم * والكرّ الجملة الواقعة من المحارب حال المحاربة والمكرّ بالفتح موضع المحاربة قال الامام قوله ادخلوا عليهم الباب مبالغة فى العدة بالنصر والظفر كأنه قال متى دخلتم باب بلدهم انهزموا ولايبقى منهم نافخ نار ولاساكن دار فلاتخافوهم ثم قال انما جزم هذان الرجلان فى قولهما لهم فاذا دخلتموه فانكم غالبون لانهما كانا جازمين بنبوة موسى فلما اخبرهم بأن الله تعالى قال ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم قطعا بأن النصرة لهم وان الغلبة من جانبهم ولذلك ختما بقولهما وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين يعنى لما وعدكم الله تعالى النصر فلاينبغى ان تصيروا خائفين من شدّة قوّتهم وعظم اجسامهم بل توكلوا عليه فى حصول النصر لكم ان كنتم مؤمنين بوجود الاله القادر ومؤمنين بصحة نبوّة موسى عليه السلام ﴿قوله ويجوز ان يكون علمهما بذلك﴾ اى بكونهم غالبين على الجبابرة بدخولهم باب بلدهم وهو عطف من حيث المعنى على قوله لتعسر الكرّ عليهم كأنه قيل علما ذلك بالفراسة وباخبار موسى عليه الصلاة والسلام ﴿قوله بدل من ابدا بدل البعض﴾ لان الأبد يعم الزمان المستقبل كله ومدّة دوام الجبارين فيها بعض منه ﴿قوله قالوا ذلك استهانة بالله تعالى ورسوله﴾ فان من استعمل فى حقه التحيز والذهاب والمجيء ونحو ذلك من خواص الجسمية لايسند اليه الذهاب والمقاتلة الابطريق الاستهانة به ولذا لايسند مثل ذلك الى سيد القوم ورئيسهم الا بذلك الطريق ويحتمل ان يقولوا ذلك بناء على كونهم من المجسمة فلذلك جوّزوا حقيقة الذهاب والقتال فى حقه تعالى الا ان المصنف لم يلتفت اليه لبعد مثل هذا الجهل ممن آمن بنبي وصاحبه سنين متطاولة ولما كانت الاستهانة بالله تعالى ورسوله جهالة عظيمة ايضا قيل تقدير الكلام اذهب انت وربك يعينك على ان يكون لفظ ربك مبتدأ حذف خبره والواو للحال من فاعل اذهب الا ان المصنف لم يرض به لكونه تعسفا يأبى عنه نظم الكلام ﴿قوله قاله شكوى بثه﴾ اى قال شكاية من حاله الى الله تعالى والشكوى مصدر قولك شكوت فلانا اذا اخبرت عنه بسوء فعله بك والبث وان استعمل بمعنى النشر والاظهار الا انه ههنا بمعنى الحال قال الجوهرى البث الحال والحزن يقال ابثثتك اى اظهرت لك بثى عن الكلبى انه قال لما قالوا اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون غضب موسى عليه السلام وكان رجلا حديدا فقال انى لااملك الانفسى واخى اى لااملك الاطاعتهما ولم يطعنى الااياهما * ولماوردان يقال كيف يصح هذا الحصر مع ان الرجلين المذكورين اطاعاه ولم يظهر منهما مخالفة امره * اجاب عنه بقوله والرجلان المذكوران الى آخره كأنه قال لاأثق بطاعة احد غير نفسى واخى ﴿قوله ويحتمل نصبه﴾ ذكر فى اعراب اخى ثلاثة اوجه النصب والرفع والجر اما النصب فعلى وجهين الاوّل العطف على نفسى اى لااملك الانفسى والااخى والثانى العطف على اسم انّ ويكون خبره محذوفا لدلالة خبر المعطوف عليه على خبره اى وان اخى لايملك الانفسه واما الرفع فعلى وجهين ايضا الاوّل عطفه على الضمير المستكنّ فى لااملك والتقدير ولايملك اخى الانفسه وجاز ذلك للفصل بقوله الانفسى والثانى عطفه على محل انّ مع اسمها فانّ انّ المكسورة لما لم تغير معنى الجملة كان اسمها المنصوب فى محل الرفع على الابتدآء لان فائدة المكسورة ليست الا للتأكيد فكانت بالنسبة الى اصل المعنى فى حكم المعدوم فجاز العطف على محل اسمها بالرفع كقول الشاعر

* ومن يك امسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب *

(اى)

اى وقيار ايضا غريب وخبر ان وان كان مؤخرا لفظا لكنه مقدم تقديرا فلذلك جاز العطف على انّ مع اسمها فانّ تقدّم الخبر شرط فى مثل هذا العطف لئلا يلزم توارد عاملين على معمول واحد فكما يجوز العطف على المبتدأ بالرفع نحو زيد قائم وعمرو فكذا يجوز العطف على محل ان بالرفع تقول ان زيدا قائم وعمرو والمفتوحة لما كانت مع خبرها فى تأويل اسم مفرد مرفوع او مجرور اومنصوب وتغير بها معنى الجملة وكان اسمها كبعض حروف الكلمة لم يجز العطف على محل اسمها ويشترط فى جواز العطف على محل المكسورة تقدّم الخبر لفظا او تقديرا خلافا للكوفيين وقد تقدّم الخبر فى الآية لفظا فجاز العطف على اسم ان بلا خلاف واختلفت عبارة النحاة فى هذا قال بعضهم ومنهم ابن الحاجب جاز العطف على محل اسم المكسورة وقال آخرون جاز العطف على محل انّ مع اسمها كما قال المصنف ولعل مبنى العبارة الاولى وهو انّ محل الاعراب هو الاسم الذى تعتور عليه المعانى المختلفة وذلك الاسم هو اسم ان وحده لانه هو الذى فى محل الرفع على الابتداء وان كان منصوبا لفظا بتسلط العامل عليه ومبنى العبارة الثانية ان المرفوع على الابتداء لو كان اسم ان وحده لوجب ان يكون مجرّدا عن العوامل اللفظية وذلك الاسم ليس مجرّدا عنها فلم يصح ان يقال له انه مرفوع المحل على الابتداء فيكون المرفوع على الابتداء هو انّ مع اسمها واما جرّه فبالعطف على ياء المتكلم فى نفسى فانه مجرور باضافة النفس اليه اى لااملك الا نفسى ونفس اخى والضمير المجرور لايعطف عليه عند البصريين الا ان اعيد الخافض نحو مررت بكر وبزيد فلذلك قال المصنف وجرّه عند الكوفيين فانهم يجوّزون العطف عليه من غير اعادة الجار وقوله بيننا ظرف لقوله فافرق وكان من حقها ان لاتتكرر فى المعطوف فانه يقال المال بين زيد وعمرو ولا يقال وبين عمرو ولكنها كرّرت فى الآية للاحتياج الى اعادة الخافض فى العطف على الضمير المجرور وهو يؤيد مذهب البصريين **قوله** لايدخلونها لم يقل لايدخلوها على صورة النهى اشارة الى ان المراد بالتحريم تحريم المنع لاتحريم التعبد والتكليف ثم ذكر ان اربعين سنة فيه وجهان اظهرهما انه منصوب بمحرّمة ظرفا لها ويؤيده ماروى انه بعد انقضاء اربعين دخلوها فيكون التحريم مقيدا بهذه المدّة ويكون قوله يتيهون كلاما مستأنفا غير مقيد بمدّة اوحالا من الضمير فى عليهم والوجه الثانى انه منصوب بقوله يتيهون قيد له فيكون التحريم مطلقا ويحتمل ان يكون مؤبدا وان يكون منقطعا والتيه الحيرة ومنه ارض تيهاء يتحير فيها سالكها ولا يهتدى فيها الى السبيل واختلفوا فى مقدار ارض التيه فقيل ستة فراسخ وكان القوم ستمائة الف فارس فكان لكل مائة الف منهم فرسخ مسيرة نصف يوم على ان الفرسخ اربعة اميال والميل ثلاثة آلاف ذراع اواربعة آلاف ذراع وقيل كان التيه ستة فراسخ عرضا فى اثنى عشر فرسخا طولا * قال الامام فان قيل كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم فى هذا المقدار الصغير من المفازة اربعين سنة بحيث لا يتصوّر لاحدهم ان يجد طريقا الى الخروج منها ولو انهم وضعوا اعينهم على حركة الفلك لخرجوا منها ولو كانوا فى البحر العظيم فكيف فى المفازة الصغيرة واجاب عنه بوجهين الاوّل انّ انخراق العادة فى زمن الانبياء عليهم الصلاة والسلام غير مستبعد اذ لو فتحنا باب الاستبعاد لزم الطعن فى جميع المعجزات وهو باطل والثانى انا اذا فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد فقد زال السؤال لاحتمال ان الله تعالى حرّم عليهم الرجوع الى اوطانهم وامرهم بالمكث فى تلك المفازة اربعين سنة فى المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم من المخالفة والعصيان **قوله** وكان الغمام يظلهم الى آخره ان قيل هذه المذكورات نعم جليلة وكان حبسهم فى التيه عقوبة ومحنة فكيف يجتمعان * قلنا عقوبة الدنيا تجامع النعمة ولاتنافيها لجواز ان يكون العبد فى نعمة من وجه وفى محنة من وجه آخر وانما يتنافيان ان لو كانت الدنيا دار الجزاء على الحقيقة وليست كذلك **قوله** والاكثر على يعنى ان الناس اختلفوا فى ان موسى وهرون هل بقيا مع القوم فى التيه اولا فقال بعضهم انهما ماكانا فيه استدلالا بأنه عليه السلام دعا ان يفرق بينه وبين اولئك الفاسقين ودعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستجابة وهى تدل على انهما ماكانا معهم فى التيه وبأن فيه عذاب من عصى وتمرّد والانبياء معصومون من العصيان صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فلا يعذبون والصحيح انهما كانا فيه مع القوم الا انه تعالى سهل عليهما ذلك كما سهل على ابراهيم النار فجعلها عليه بردا وسلاما ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فى انهما هل ماتا فيه او خرجا منه فقال بعضهم ان هرون مات فيه ثم موسى بعده بسنة وبقى كالب بن يوقنا ختن موسى ويوشع بن نون فتاه ووصيه بعد موته وهو الذى فتح الارض المقدّسة وقيل انه ملك كل الشام بعد ذلك وقال آخرون بل بقى موسى بعد ذلك وخرج من التيه وحارب الجبابرة

(قال فانها) فانّ الارض المقدسة (محرّمة عليهم) لايدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم (اربعين سنة يتيهون فى الارض) عامل الظرف اما محرّمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التى كتب الله لكم ويؤيد ذلك ماروى ان موسى عليه الصلاة والسلام سار بعده بمن بقى من بنى اسرآئيل ففتح اريحاء واقام بها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض فى التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبى وان الله تعالى امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبنى اسرآئيل واما يتيهون اى يسيرون فيها متحيرين لايرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدّسة احد ممن قال لن ندخلها بل هلكوا فى التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روى انهم لبثوا اربعين سنة فى ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المنّ والسلوى وماؤهم من الحجر الذى يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم فى التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة فى درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحاء بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع

آدم) قابيل وهابيل اوحى الله تعالى الى آدم ان يزوّج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوّجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل مافعل وقيل لم يرد بهما ابنى آدم لصلبه وانهما رجلان من بنى اسرآئيل ولذلك قال كتبنا على بنى اسرآئيل (بالحق) صفة مصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير فى اتل او من نبأ اى ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاوّلين (اذقرّبا قربانا) ظرف للنبأ او حال منه او بدل على حذف المضاف اى واتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت و القربان اسم مايتقرّب به الى الله تعالى من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم مايحلى اى يعطى وهو فى الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرّب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرّب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرّب جملا سمينا (فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر) لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى أخس ما عنده (قال لأقتلنك) توعده بالقتل لفرط الحسد على تقبل قربانه ولذلك (قال انما يتقبل الله من المتقين) فى جوابه اى انما أوتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغى ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد فى تحصيل مابه صار المحسود محظوظا لا فى ازالة حظه فان ذلك مما يضرّه ولا ينفعه وان الطاعة لاتقبل الا من مؤمن متق (لئن بسطت الىّ يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لأقتلك انى اخاف الله رب العالمين) قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرّج عن قتله واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يبح بعد او تحرّيا لما هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبدالله المقتول ولاتكن عبدالله القاتل وانما قال ما انا بباسط فى جواب لئن بسطت للتبرى عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفى بالباء

وفتح اريحاء وكان يوشع على مقدمته فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى واقام فيها ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى اليه ولايعلم قبره الا الله تعالى قيل هذا اصح الاقاويل لاتفاق العلماء على ان عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام ﴿ قوله خاطب به موسى عليه السلام لما ندم على الدعاء عليهم ﴾ فانهم لما ابوا عن جهاد الجبابرة وعصوا نبيهم دعا عليهم فقال رب انى لااملك الانفسى واخى ولااثق بطاعة غير نابل أتوهم منهم الفسق والخروج عن الطاعة فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اى اخرجنا من عدادهم وميز بيننا وبينهم فى امر المجازاة على اعمالنا وديانتنا وأثبنا بطاعتنا فانا مطيعون لك وعاقبهم على امر مخالفتهم وعصيانهم فعاقبهم الله تعالى بأن حرّم عليهم دخول الارض المقدّسة وجعلهم متحيرين فى التيه اربعين سنة فلما تطاولت وامتدّت مدة احتباسهم فى التيه اربعين سنة بسبب دعائه عليهم ندم موسى عليه السلام على مادعا عليهم فخاطبه الله تعالى بقوله فلاتأس على القوم الفاسقين اى لاتحزن عليهم بما اصابهم لانهم احقاء بذلك بسبب فسقهم وامتناعهم عن جهاد الجبارين وعصيان نبيهم ويجوز ان يكون الخطاب لسيد المرسلين اى ولاتحزن على قوم شأنهم المعاصى ومخالفة الرسل ثم انه تعالى لما ذكر قبائح المشركين واهل الكتاب المبنية على حسدهم رسولهم صلى الله على نبينا وعليه وسلم من حيث انه خصصه بالرسالة من بينهم وجعله هدى للناس يهديهم الى الحق والى طريق مستقيم امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يتلو عليهم او على اهل الكتاب او على الناس كافة نبأ ابنى آدم وما وقع من ان احدهما قتل الآخر حسدا على قبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه وبين به ان الحسد وقع به فى سوء العاقبة والمقصود منه التحذير عن الحسد فقال تعالى واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذقرّبا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين والقربان اسم لما يتقرّب به الى الله تعالى من ذبيحة او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى اى يعطى ﴿ قوله بالحق ﴾ وهو اما صفة مصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق والصدق او حال من المفعول اى نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاوّلين وبالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان اليهود والنصارى كانوا يحسدونه عليه الصلاة والسلام فبين لهم سوء عاقبته او من الفاعل اى اتل عليهم ملتبسا بالصدق وانت محق صادق ﴿ قوله اذقرّبا قربانا ظرف للنبأ ﴾ اى اتل عليهم قصتهم فى ذلك الوقت او حال من النبأ اى نبأهما حال وقوعه فى ذلك الوقت او بدل على حذف مضاف اى اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت روى ان آدم عليه السلام غشى حوآء فى الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت فيها بقابيل وتوأمته اقليما ولم تجد حين ولدتهما ماتجده النساء من الطلق ﴿ قوله وقيل ﴾ عطف على قوله ولذلك لم يثن اى لم يثن لان تقديره اذ قرّب كل واحد منهما قربانا ﴿ قوله توعده بالقتل لفرط الحسد على تقبل قربانه ﴾ بيان لارتباط قول قابيل لهابيل لاقتلنك بقوله تعالى فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر على وجه كون قول هابيل انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقول قابيل لاقتلنك وذلك ان قابيل كأنه قال لاخيه هابيل لاقتلنك حسدا على تقبل قربانك وعدم قبول قربانى فصح لهابيل ان يجيب بأن يقول له انما اوتيت من قبل نفسك حيث تعرّيت عن لباس التقوى لامن قبلى فلم تقتلنى ومالك لاتجهد نفسك ولا تحملها على تقوى الله تعالى التى هى السبب لقبول العمل ﴿ قوله قيل كان هابيل اقوى منه ﴾ اى من قابيل واقدر على دفعه عن نفسه الا انه لم يبسط يديه ولم يدفعه عن نفسه خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت فلذلك انقاد لاخيه ولم يدفعه عن نفسه ومقصود المصنف من ايراد هذا القول دفع مايقال لم لم يدفع المقتول القاتل عن نفسه مع الدفع عن النفس واجب وهب انه ليس بواجب فلا اقل من انه ليس بحرام فلم قال انى اخاف الله رب العالمين ﴿ قوله او تحرّيا لما هو الافضل ﴾ وهو الصبر والاستسلام مع القدرة على الدفع فانه افضل لقوله عليه الصلاة والسلام لمحمد بن مسلمة «ألق كمك على وجهك وكن عبدالله المظلوم ولاتكن عبدالله الظالم» وهو معطوف على قوله خوفا من الله تعالى فهذا على تقدير ان يكون استسلامه للقاتل وعدم التعرّض لدفعه لتحرّى ماهو الافضل والاوّل بمعنى الخوف من معصيته ومخالفة حكمه والمراد ببسط اليد مدّها والتحرّج التأثم وعدّ مدّ اليد دفعا عن نفسه ذنبا موجبا للتحرّز عنه ﴿ قوله وانما قال ما انا بباسط يدى ﴾ جواب عما يقال لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزآء بلفظ اسم الفاعل حيث قال لئن بسطت ما انا بباسط وتقرير الجواب ان جواب القسم السادّ مسدّ جواب الشرط لو جاء فعلا وقيل لاابسط يدى اليك لكان المعنى انى لاافعل هذا الفعل الشنيع فى الحال او فيما سيأتى من الزمان وليس هذا المعنى بمراد بل المراد بيان انه

لايلابس ذلك الفعل على سبيل الاستمرار والدوام فلذلك اوثر لفظ اسم الفاعل على لفظ اسم الفعل فكأنه قيل لست ممن يوصف ببسط اليد اليك بالقتل قط وهذا ابلغ من نفى الفعل فيه بل مانسبه الى نفسه فى بعض الازمنة ولهذا اكد نفيه بالقسم اوّلا وبزيادة الباء فى جواب القسم ثانيا فانّ اللام فى قوله لئن بسطت موطئة للقسم وقوله ماانا باسط جواب القسم سادّ مسدّ جواب الشرط ﴿قوله والمعنى انما أستسلم لك﴾ اى امتنع من معارضتك خوفا من الله تعالى فى مخالفة حكم اوخوفا من انتقاص اجر بترك الاولى وارادة كونك حامل الاثمين جميعا اثم مباشرتك ببسط يدك الىّ لتقتلنى واثم تسببك لان ابسط اليك يدى لقتلك لو بسطت يدى اليك لقتلك لاستحالة ان تحمل نفس اثم شخص آخر بقوله تعالى ولاتزر وازرة وزر اخرى والحديث المذكور نظير الآية فى الدلالة على كون شخص واحد حامل الاثمين اثم المباشرة واثم كونه سببا لاثم شخص آخر فانّ البادىٔ بالسب حامل لاثم سبه بالمباشرة واثم تسببه لسب صاحبه اياه فان السب من حيث كونه هتكا للعرض اثم سوآء وقع ابتدآء او على سبيل المكافاة مأذونا فيه معفوّا عنه بقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم ﴿قوله عليه الصلاة والسلام المستبان ماقالا فعلى البادىٔ مالم يعتد المظلوم﴾ ما فى قوله مالم مصدرية قائمة مقام المدّة التى هى ظرف متعلق الجار والمجرور والمعنى انه على البادىٔ مدّة عدم تجاوزه عن حدّ المكافأة والمماثلة والاعتدآء التجاوز عن الحدّ فقد حكم عليه الصلاة والسلام بأن البادىٔ عليه اثم سبه بالمباشرة وسب صاحبه لكون البادىٔ سببا لسبه الا ان ماعلى البادىٔ بالسب ليس عين اثم صاحبه لقوله تعالى ولاتزر وازرة وزر اخرى وانما عليه وزر تسببه لما اكتسبه صاحبه ﴿قوله وقيل معنى باثمى الى آخره﴾ عطف على قوله واثمك ببسط يدك الىّ ﴿قوله ولعله لم يرد﴾ اى هابيل حين قال اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار معصية اخيه قابيل وشقاوته جواب عما يقال كما لايجوز للانسان ان يريد من نفسه ان يعصى الله تعالى ويستحق عذابه فكذلك لايجوز ان يريد ذلك من غيره لاسيما من اخيه فكيف جاز له ان يقول انى اريد ان تبوء باثمى واثمك وتقرير الجواب ان هابيل لم يرد معصية اخيه وانما اراد عصمة نفسه منها وذلك لان هابيل لما رأى ان اخاه صمم عزمه على قتله ولاحظ انه لايخلوا ما ان يكون فارغا عن حال اخيه يفعل به ماشاء او يقتل هو اخاه ابتدآء بمجرّد ظنه ان اخاه على صدد قتله وكل واحد من الامرين معصية كبيرة فلما رأى ان هذه المعصية واقعة لامحالة امامن نفسه او من اخيه قال انى اريد ان تبوء بالاثم المتوقع منى ومنك فالمقصود بالذات ان لاتقع تلك المعصية من نفسه لا ان تقع من اخيه ولو سلم انه ارادها من اخيه فلانسلم انّ ارادة ذلك فى هذه الحالة على هذا الشرط معصية وحرام بل هى عين الطاعة ومحض التقوى واجاب عنه ثانيا بجواز ان يكون المراد انى اريد ان تبوء بعقوبة قتلى ولاشك انه يجوز للمظلوم ان يريد من الله تعالى عذاب ظالمه ﴿قوله فسهلته له﴾ اى جعلت له نفسه قتل اخيه شيأ سهلا وامرا هينا مع ان قتل النفس بغير ان حق لاسيما قتل الاخ صعب ينكره الشرع القويم والعقل السليم والطبع المستقيم يقال طاع له اى صار طائعا منقادا ويعدّى بالتضعيف ﴿قوله على انه فاعل بمعنى فعل﴾ ولايكون للمشاركة اويكون للمشاركة على معنى انه لما اراد قتل اخيه كأنه دعا نفسه الى الاقدام عليه وهى تأبى ذلك وتشمئز منه الى ان غلب على النفس فطاوعت له واجابته وله متعلق بطوّعت على القرآءتين زيدت اللام لتقوية الارتباط وان كان الكلام يتم بدونها ﴿قوله دينا ودنيا﴾ امادينا فظاهر وامادنيا فلانه اسخط والده وبقى مذموما الى يوم القيامة روى انه لماقتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسودّ جسدك ومكث آدم عليه السلام بعده مائة سنة لم يضحك قط ﴿قوله والجملة ثانى مفعولى يرى﴾ اى سادّة مسدّه لان الجملة الاستفهامية معلقة للرؤية البصرية فهى فى محل المفعول الثانى سادّة مسدّه لان رأى البصرية قبل تعديتها بالهمزة متعدية الى مفعول واحد وبالهمزة صارت متعدية الى اثنين ﴿قوله والمعنى ياويلتى﴾ يعنى انّ ياويلتا بالالف اصله بياء الاضافة فابدلت الياء ألفا وهى شائعة فى المنادى المضاف الى ياء المتكلم والندآء وان كان اصله لمن يتأتى منه الاقبال وهم العقلاء الا ان العرب تجوّز فتنادى مالايعقل لاظهار التحسر ومثله ياحسرة على العباد وياحسرتا على ما فرّطت فى جنب الله واللغة الفصيحة فى عجز يعجز كونها من باب ضرب يضرب واستعماله من باب علم شاذ ﴿قوله فأوارى﴾ بنصب الياء عطف على اكون المنصوبة بأن المصدرية اى اعجزت عن كونى شبيها بالغراب فموار يا وقيل انه منصوب لانه جواب الاستفهام فى قوله اعجزت على طريق قوله تعالى فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ورد عليه ان من شرط مانصب على جواب الاستفهام كون الاوّل سببا للثانى وليس

ببسط يدك الى وخوة المستبان ماقالا فعلى البادى مالم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمى باثم قتلى وباثمك الذى لم يتقبل لاجله قربانك وكلاهما فى موضع الحال اى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لامحالة واقعا فاريد ان يكون لك لالى فالمراد بالذات ان لايكون له لاان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصى جائزة (فطوّعت له نفسه قتل اخيه) فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كأنه دعاها الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله (فقتله فأصبح من الخاسرين) دينا ودنيا اذبقى مدّة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حرآء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة اخيه) روى انه لما قتله تحير فى امره ولم يدرك مايصنع به اذكان اوّل ميت من بنى آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه فى الحفرة والضمير فى ليرى لله تعالى اوللغراب وكيف حال من الضمير فى يوارى والجملة ثانى مفعولى يرى والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى (قال ياويلتا) كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى ياويلتى احضرى فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة (أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة اخى) لااهتدى الى مثل مااهتدى اليه وقوله فاوارى عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذليس المعنى ان عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فأنا اوارى او على تسكين المنصوب تخفيفا (فأصبح من النادمين) على قتله لما كابد فيه من التحير فى امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ماقيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبرى ابويه منه اذ روى انه لما قتله اسودّ جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ماكنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسودّ جسدك وتبرّأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لايضحك

وعدم الظفر بما فعله من اجله (من اجل ذلك كتبنا على على بني اسرآئيل) بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شراً اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جرّاك فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدآئية متعلقة بكتبنا اي ابتدآء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك (انه من قتل نفسا بغير نفس) اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (او فساد في الارض) او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق (فكأنما قتل الناس جميعا) من حيث انه هتك حرمة الدماء وسنّ القتل وجرّأ الناس عليه أو من حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سوآء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم (ومن احياها فكأنما احيى الناس جميعا) اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ترهيبا من التعرّض لها وترغيبا في المحاماة عليها (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون) اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر (انما جزآء الذين يحاربون الله ورسوله) اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر (ويسعون في الارض فسادا) اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون في الارض فسادا (ان يقتلوا) اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل (او يصلبوا) اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت (او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف) تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا

(اتفاقهم)

العجز سببا للمواراة ولا معنى لان يقال او عجزت لو اريت وقرئ فاواري بسكون الياء اما على الرفع اي انا اواري واما على التسكين في موضع النصب تخفيفا وهربا من توالي الحركات وهي معيبة ﴿ قوله وعدم الظفر بما فعله لاجله ﴾ وهو تزوج اخته اقليما ﴿ قوله بسببه قضينا عليهم ﴾ اي بسبب ما ذكرنا من قتل قابيل اخاه هابيل وما ترتب على قتله من انواع الشدآئد والمكاره التي اشير اليها بقوله فأصبح من الخاسرين فانه يندرج في اجمال خسارته جميع الفضائل الدينية والدنيوية وجميع السعادات الاخروية حيث اسودّ وجهه وتبرأ منه آدم وذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يأمن ممن يراه كائنا من كان حتى قتله احد اولاده ولما كانت قصة قابيل وهابيل مشتملة على هذه المكاره مؤدية اليها حسن ان يقال من اجل ذلك اي كون القتل على سبيل العدوان مؤديا الى تلك المفاسد قضينا على بني اسرآئيل ان قتل نفس واحدة على سبيل العدوان معادل لقتل الناس جميعا واحياءها بأن يكون سببا لبقاء حياتها بالعفو عن الجاني وعدم الاقتصاص منهم او بمنع القاتل ان يقتل من اراد قتله او بتخليص من توجه اليه سبب من اسباب الهلاك من غرق او حرق او غير ذلك معادل لاحياء الناس جميعا وقتل النفس وان كان بغير حق حراما في جميع الاديان الا ان بني اسرآئيل خصوا بمزيد التشديد والتغليظ حيث جعل قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعا لبلوغهم في قساوة القلب والاباء عن طاعة الله تعالى الى اقصى المراتب حتى استحلوا قتل الانبياء كزكريا ويحيى وهموا بقتل عيسى وكلمة من في قوله تعالى من اجل ذلك لابتدآء الغاية متعلقة بكتبنا اي ابتدأنا الكتب وأنشأناه من اجل ذلك واجل بفتح الهمزة وسكون الجيم في الاصل مصدر اجل عليهم شرّا يأجل اجلا اي جناه واوجبه وانا فعلت من اجلك كذا اي جنيت فعله واوجبته فاذا قلت انا آجله فكأنك قلت انا جانيه وكاسبه استعمل في تعليل الجنايات اي في تعليل جناية المتكلم وتعديه في حق المخاطب يقال فعلته من اجلك اي بسبب جنيه لك وكسبه كما في من جرواك فعلت كذا اي من اجلك من جروت اي جنيت وهي فعلى من جر يجر كدعوى من دعا يدعو والمعنى انك فعلت فعلا وجرّ ذلك الى فعل ما فعلته بأن كان سببا له ﴿ قوله وبهذا ﴾ اي بقوله تعالى ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات الآية اتصلت قصة ابني آدم بما قبلها من قبائح بني اسرآئيل ثم انه تعالى لما شدّد الامر على من قتل النفس بغير حق شرع في بيان جزآء من يحارب المسلمين وان محاربتهم محاربة مع الله تعالى ورسوله تعظيما لهم كما ورد في الحديث القدسي «ان من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة» فكما ان تعظيم حزب الله تعالى واوليائه تعظيم له تعالى حكما فكذا اهانتهم ومحاربتهم في حكم اهانته تعالى ومحاربته فسر محاربة الله تعالى ومحاربة رسوله صلى الله عليه وسلم بمحاربة اوليائه لتعذر حمل الكلام على ظاهره ضرورة ان محاربة الله تعالى غير متصوّرة ومحاربة رسوله غير ممكنة في نفسها الا ان قطاع الطريق لا يحاربونه تقول حربه حربا مثل طلبه طلبا اذا اخذ ماله وتركه بلا شئ وحرب الرجل ماله اي سلبه فهو محروب وحريب ﴿ قوله وقيل المكابرة باللصوصية ﴾ عطف على قوله قطع الطريق والفرق بينهما ان قطع الطريق انما يكون من قوم يجتمعون ولهم منعة اي قوّة وشوكة تمنعهم ممن اراد بهم سوأ بسبب ما يكون بينهم من التظاهر والتعاون والاقتدار على دفع من يتصدّى لهم بالسوء ويتعرّضون لدماء المسلمين واموالهم وازواجهم وامائهم وهذه القوّة والمنعة غير معتبرة في اللصوصية التي هي السرقة وان كان اللص مكابرا او مجاهرا في اخذ المال والنهب والغارة والقوم الموصوفون بهذه القوّة والمنعة اذا اجتمعوا في الصحرآء فهم قطاع الطريق بالاتفاق فيعاقبون كالقطاع وقوله تعالى انما جزآء الذين مبتدأ وقوله تعالى ان يقتلوا مع ما عطف عليه خبره وقوله تعالى فسادا منصوب اما على انه مفعول له اي يحاربون ويسعون لاجل الفساد واما على انه مصدر وقع موقع الحال اي ويسعون في الارض مفسدين اي ذوي فساد وجعلوا نفس الفساد مبالغة او على انه مصدر من غير لفظ الفعل لوجود الاتحاد بحسب المعنى بينهما كأن سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون في الارض فسادا فهو اسم مصدر قائم مقام الافساد واصل السعي المشي السريع ثم غلب في الاجتهاد في الامر اي امر كان والتفعيل في قوله تعالى ان يقتلوا او يصلبوا لتكثير الفعلين نظرا الى كثرة تعلقهما ﴿ قوله اي يصلبوا مع القتل ﴾ يعني انهم ان جمعوا بين القتل واخذ المال يقتلوا قصاصا ويصلبوا عليه ثم يصلبوا على وجه النكال والعبرة من غير ان يقطع شئ من ايديهم وارجلهم وهذا هو الظاهر من مذهب الشافعي قال صاحب الكشاف ان جمعوا بين القتل والاخذ فابو حنيفة ومحمد يصلب حيا ويطعن حتى يموت وقيل يصلب ثلاثة ايام حيا ثم ينزل فيقتل وقيل يصلب حيا ويترك الى ان يموت مصلوبا ﴿ قوله وللفقهاء خلاف الى اخره ﴾ يعني ان الائمة الشافعية بعد

اتفاقهم على انه لابدّ من الجمع بين القتل والصلب فى حق من قتل واخذ المال اختلفوا فى كيفية الصلب فمنهم من ذهب الى انه يقتل ويصلى عليه ثم يصلب ومنهم من ذهب الى انه يصلب حيا ثم يشك برمح حتى يموت ﴿ قوله واو فى الآية على هذا ﴾ اى على ماذكر فى تفسيرها للتفصيل اى لتنويع الجناية الصادرة عن القطاع اى نفصل لكم كل واحد منها من الاكتفاء بقتلهم ان قتلوا فقط ومن صلبهم مع القتل ان قتلوا واخذوا المال ومن قطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال ولم يقتلوا ومن نفيهم من الارض ان خوّفوا ابناء السبيل ولم يقتلوا احدا ولم يأخذوا مالا وهذا التفصيل موافق للقياس لان القتل عمدا بغير حق يوجب القصاص فغلظ ذلك فى قاطع الطريق حيث وجب قتله حدّا ولم يسقط ذلك بعفو الولى وأخذ المال حكمه القطع اذا وقع من غير قاطع الطريق فغلظ ذلك فى قاطع الطريق حيث وجب قطع طرفيه وان جمعوا بين القتل واخذ المال جمع فى حقهم بين القتل والصلب لان صلبه فى ممرّ الناس سبب لاشتهار عقوبته فيصير ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل تلك المعصية واما ان اقتصر على مجرّد اخافة المارّ فقد خفف الشرع عقوبته وهى النفى من الارض واختلف فى تفسير النفى فقيل ان الامام يفتش حاله فى ذهابه ومسيره ففى اىّ بلد يوجد ينفيه منه ولا يمكنه من القرار فى بلد وقال ابو حنيفة النفى من الارض هو الحبس لان المحبوس بسبب حبسه ولزومه من الارض بمكان واحد كلزوم الاموات فى قبورهم كأنه منفى عن الارض بالكلية * قال بعض من حبس فى مكان ضيق وطال مكثه فيه

* خرجنا عن الدنيا وعن وصل اهلها * فلسنا من الاحيا ولسنا من الموتى *
* اذا جاءنا السجان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا *

﴿ قوله تعالى ذلك ﴾ اشارة الى الجزاء المذكور وهو مبتدأ وخزى خبره ولهم متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من المنوى فى خزى ﴿ قوله استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ﴾ يعنى انه تعالى بين ان جزاء المحاربين هذه الاربعة ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ثم استثنى منهم الذين تابوا قبل القدرة عليهم فوجب ان تسقط العقوبات المذكورة عمن تاب قبل القدرة عليه فلا يطالب بشئ مما اصابه قبل القدرة عليه لا مال ولا دم الا اذا وجد عنده مال بعينه علم صاحبه فانه يردّ على صاحبه هكذا حكم على بن ابى طالب رضى الله عنه فى حارثة بن بدر وقد خرج محاربا ومفسدا فى الارض ثم تاب واصلح قبل ان يقدر عليه فسئل على رضى الله تعالى عنه عن حكمه فقال تقبل توبته ولا نطالبه بشئ من الحقوق وكتب له كتاب الامان الا ان ما سقط بالتوبة قبل القدرة عليه هو ما يتعلق بحقوق الله تعالى واما ما يتعلق منها بحقوق الادميين فانه لا يسقط بهذه التوبة فان قطاع الطريق ان قتلوا انسانا ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قتلهم حدّا وكان ولى الدم على حقه من القصاص والعفو وان اخذوا مالا ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وكان حق صاحب المال باقيا فى ماله يجب عليهم ردّه واما اذا تاب بعد القدرة عليه فمفهوم الآية ان التوبة لا تنفعه وبقاء الحدّ عليه فى الدنيا كما يضمن حقوق العباد وان سقط عنه العذاب الاليم فى الآخرة والمراد بحق الله تعالى ما يرجع نفعه الى كافة الخلق على سبيل العموم فانه تعالى منزه عن ان ينتفع او يتضرّر وبحق العبد ما ينتفع به العبد بنفسه على الخصوص مثال الاوّل الحدود فان حدّ الزنى شرع لصيانة انساب الناس جميعا وحدّ القذف شرع لصيانة اعراض الناس وكذلك حدّ الشرب والحاصل ان دار العقبى وان كانت هى دار الجزاء لكن الله تعالى شرع بعض الاجزية فى دار الدنيا ليخلو العالم عن الفساد وتنتظم مصالح العباد الى يوم التناد ﴿ قوله لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة عليه وبعدها ﴾ فان المشرك المحارب لو آمن بعد القدرة عليه فلا سبيل عليه بشئ من الحدود ولا يطالب بشئ مما اصاب فى حال الكفر من دم او مال كما لو تاب قبل القدرة عليه قال الزجاج جعل الله تعالى التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التى وجبت عليهم فى حال كفرهم ليكون ذلك ادعى الى الدخول فى الايمان واما المسلم المحارب اذا تاب قبل القدرة عليه فقال السدّى كالكافر اذا آمن لا يطلب بشئ الا اذا وجد عنده مال شخص بعينه فانه يردّ الى صاحبه وقدمر ان عليا رضى الله تعالى عنه حكم بذلك فى حارثة بن بدر وكتب له كتاب الامان ولم يطالبه بشئ من الحقوق وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه المسلم المحارب اذا تاب قبل القدرة سقط عنه العقوبة التى اوجبت حق الله تعالى ولا يسقط ما كان من حقوق العباد وان كان قد قتل فى قطع الطريق سقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل وبقى عليه القصاص للولىّ ان شاء عفا

(او ينفوا من الارض) او ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يمكنون من القرار فى موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفى بالحبس وأو فى الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق (ذلك لهم خزى فى الدنيا) ذل وفضيحة (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم (الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى (فاعلموا ان الله غفور رحيم) اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحدّ وان اسقطت العذاب وان الآية فى قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها

(يا أيها الذين امنوا اتقوا الله و ابتغوا اليه الوسيلة) اى ماتتوصلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة (وجاهدوا فى سبيله) بمحاربة اعدائه الظاهرة و الباطنة (لعلكم تفلحون) بالوصول الى الله تعالى والفوز بكرامته (ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض) من صنوف الاموال (جميعا ومثله معه ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لانفسهم (من عذاب يوم القيامة) و اللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما فى الارض و توحيد الضمير فى به و المذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة فى نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو فى و مثله بمعنى مع (ماتقبل منهم) جواب لو ولو بما فى حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العقاب لهم وانه لاسبيل لهم الى الخلاص منه (ولهم عذاب اليم) تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله (يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق و السارقة اى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى و الذى سرق والتى سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار فى امثاله لان الانشاء لايقع خبرا الا باضمار و تأويل و السرقة اخذ مال الغير فى خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز و المأخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه الصلاة والسلام القطع فى ربع دينار فصاعدا و للعلماء خلاف فى ذلك لأحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه فى شرح المصابيح والمراد بالايدى الايمان ويؤيده قراءة ابن عباس ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم تمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه الصلاة والسلام اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه

عنه وان شاء استوفاه وان كان قد اخذ المال سقط عنه القطع وان كان جمع بينهما سقط عنه تحتم القتل و الصلب ويجب ضمان المال واما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شئ من الحقوق ثم انه تعالى لما شرح قبائح اليهود وخروجهم عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله امر المؤمنين بأن يكونوا على خلاف ماهم عليه فقال ياايها الذين آمنوا اتقوا الله الى آخره اى اتقوا عقابه بطاعته وابتغوا اليه ماتتوسلون به اليه اى ماتتقربون وتتصلون به الى ثوابه وطاعته فى جميع ما امر به ونهى عنه على ان الوسيلة الفضل و القربة من وسل الله اذا تقرب اليه ﴿قوله تعالى اليه﴾ متعلق بالوسيلة لانها بمعنى المتوسل به وليست بمصدر حتى يمتنع ان يتقدم معمولها عليها ويحتمل ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الوسيلة اى ابتغوا الوسيلة موصلة الى ثوابه ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بلزوم طاعته والاتقاء لعذابه وعقابه بين ان الكافرين لاسبيل لهم الى الخلاص من عذاب يوم القيامة البتة تنشيطا لهم على لزوم الطاعة وترهيبا عن التوانى فيها فقال ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه الآية فانه صريح فى ان الكافر لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها يوم القيامة ثم فدى بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء وانهم خالدون فى النار لايخرجون منها وهو المقصود تمثيل لزوم العذاب لهم وانه لاسبيل لهم الى الخلاص منه واللام فى قوله تعالى ليفتدوا به متعلق بفعل مقدر يستدعيه كلمة لو لان حرف الشرط يستدعى الفعل لفظا او تقديرا والتقدير لو ثبت ان لهم ما فى الارض جميعا وما بعد كلمة لو فاعل لذلك الفعل المحذوف فلذلك فتح همزة ان لوقوعها فى موضع المفرد لوجوب كون الفاعل مفردا وقوله ما فى الارض اسم ان و لهم خبرها قدم على الاسم وجميعا تأكيد له او حال منه ومثله منصوب بالعطف على اسم ان وهو ما الموصولة ومعه ظرف واقع موقع الحال من مثله وكون مثله منصوبا على انه مفعول معه لايخلو عن بعد لان الواو فى قوله ومثله حينئذ تكون بمعنى مع ويكون نظم الكلام حينئذ فى قوة ان يقال مع مثل ما فى الارض مع ما فى الارض ولا يخفى ما فى هذا النظم من الركاكة وقوله عوان بين ذلك اى نصف بين البكر والفارض افرد لفظ ذلك مع كونه اشارة الى شيئين فاجرى لفظ به مجراه ووحد ضميره مع رجوعه الى شيئين ﴿قوله او لان الواو فى ومثله بمعنى مع﴾ فيكون قوله معه تأكيدا وحينئذ يرجع ضمير به الى شئ واحد وهو ما فى الارض مقارنا بمثله او المجموع ﴿قوله والجملة تمثيل﴾ اى تصوير للزوم العذاب لهم بايراد حكم يفهم منه ذلك فان مضمون القضية الشرطية يدل على لزومه لهم وحمل التمثيل على التمثيل الاصطلاحى وهو الاستعارة التمثيلية المبنية على تشبيه حالهم فى امتناع تخلصهم من عذاب الله تعالى بحال من يملك امثال ما فى الارض ويحاول ان يفتدى بها من العذاب فلايقبل منه ولا يتخلص من العذاب لايخلو عن التكلف ثم انه تعالى لما ذكر حكم قطاع الطريق شرع فى بيان حكم السارق فقال والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وهما جملتان عند سيبويه الاولى خبرية حذف فيها خبر المبتدأ على ان قوله السارق مبتدأ والسارقة عطف عليه والخبر محذوف اى حكم السارق والسارقة ثابت فيما يتلى عليكم والجملة الثانية امرية وهى قوله فاقطعوا ايديهما جيئ بها بيانا لذلك الحكم المقدر وصدرت هذه الجملة بالفاء لتدل على كون تلك الجملة مرتبطة بما قبلها غير اجنبية عنه بل جيئ بها بيانا له وجملة واحدة عند المبرد على ان قوله السارق مبتدأ وقوله فاقطعوا ايديهما خبره دخلت الفاء فى الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط لان الالف واللام فيه موصولة والمعنى الذى سرق والتى سرقت فاقطعوا واختار سيبويه ان يكون الخبر محذوفا هربا من وقوع الجملة الانشائية خبرا فان الانشاء لايقع خبرا الا باضمار وتأويل ﴿قوله اذا كانت من حرز﴾ وهو الموضع الحصين الذى يمنع من تعرض لما فيه ﴿قوله وللعلماء خلاف فى ذلك﴾ اى فى تقدير نصاب السرقة ربع دينار ولا يقطع بسرقة ما هو اقل منه لحديث عائشة وهو قولها رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقطع يد السارق الا فى ربع دينار فلا يقطع الا اذا سرق ربع دينار فصاعدا او ما يبلغ قيمته ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون المراد بالايدى الايمان ساغ وضع الجمع موضع المثنى وذلك لان الموضع موضع التثنية للعلم بأنه لايقطع لكل واحد من السارق والسارقة الا يد واحدة فيكون المقطوع فيهما يدين فقط وقد وضع لفظ الايدى موضع المثنى وقد شرط النحاة فى وضع الجمع موضع المثنى ان يكون الجزء المضاف الى كله جزأ مفردا من الكل نحو قلوبكما ورؤس الكبشين لان الامن من الالتباس انما يتحقق بهذا الشرط فلو قلت فقأت اعينهما وانت تريد عينيهما وغسلت ايديهما وانت تريد يديهما لم يجز للالتباس فلو لم يكن المراد بالايدى الايمان لما جاز وضعه موضع المثنى للالتباس لان اليد ليست جزأ مفردا من الشخص فاذا اضيف

لفظ الايدى الى ضمير التثنية لم يعلم ان المأمور به ان يقطع من كل واحد منهما يد واحدة او يدان بخلاف ما اذا كان المراد بالايدى الايمان فان يمين الانسان جزء مفرد منه فاذا اضيف الايمان الى ضمير التثنية يعلم ان المأمور به ان يقطع من كل واحد منهما يمينه فيجوز ان يوضع الجمع موضع المثنى فاذا اضيف الجزء المفرد الى المثنى جاز افراد المضاف وتثنيته وجمعه بأن يقال قطعت رأس الكبشين ورأسا الكبشين ورؤس الكبشين وقطعت يمين السارقين ويمينا هما وايمانهما كل ذلك لتعيين المراد منه وأمن اللبس ومن اختار افراد المضاف نظر الى خفة المفرد ومن اختار التثنية اعتبر انطباق الدال والمدلول ومن طلب الجمع هرب من ثقل توالى لفظ التثنية وعليه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما بجمع المضاف وتثنية المضاف اليه هربا من توالى لفظ التثنية ﴿**قوله** او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا﴾ اذ كل واحد منهما مفعول مطلق من غير لفظ الفعل لتوافقهما من حيث المعنى لان القطع نوع من النكال كانه قيل جازوهما بقطع الايدى ونكلوا بهما نكالا وهو العذاب الذى يكون عبرة لغيره ﴿**قوله** اما القطع فلا يسقط بها﴾ يعنى ان قوله فان الله غفور رحيم انما تعلق بحق الله تعالى * اما ما كان من حقوق الآدميين فانه لا يسقط بالتوبة والقطع فيه حق المسروق منه فلا يسقط بالتوبة فقطع قضاء لحق المسروق منه * روى عن مجاهد انه قال قطع يد السارق توبة اذا قطعت فقد حصلت التوبة والصحيح ان القطع جزاء على الجناية لقوله تعالى جزاء بما كسبا نكالا من الله فلابد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على مامضى والعزم على تركه فى المستقبل ﴿**قوله** اى صنيع الذين﴾ قدر المضاف لان الذوات مع قطع النظر عن العوارض والاوصاف لاتورث الحزن ولا الفرح والمسارعة فى الشئ عبارة عن الوقوع فيه سريعا متى وجد فرصة الوقوع فيه وفسر الوقوع فى الكفر سريعا باظهاره اذا وجدوا منه فرصة لان كفر المنافق ثابت فيه وانما المسارعة الى اظهاره ثم ذلك انما يكون بظهور آثار الكفر منه لا باخباره عن كفره جهارا والا لم يكن منافقا ﴿**قوله** تعالى من الذين قالوا آمنا﴾ يجوز ان يكون حالا اما من الذين يسارعون او من فاعل يسارعون اى حال كونهم بعض الذين قالوا آمنا وان يكون بيانا لجنس الموصول الاول ومن الذين هادوا عطف عليه فيكون حالا او بيانا مثله ﴿**قوله** والباء﴾ اى فى قوله بافواههم متعلقة بقالوا لا بآمنا والا لوجب ان يقال بافواهنا لان آمنا منصوب بقالوا ومحكى عنهم والحكاية يجب ان تطابق المحكى وانما قال قالوا آمنا بافواههم مع ان القول لا يكون الا بالفم واللسان للاشارة الى ان ألسنتهم ليست معبرة عما فى قلوبهم وان ما يجرون على ألسنتهم لا يجاوز افواههم وانما نطقوا به غير معتقدين بقلوبهم وقوله تعالى ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية جيئ بها للتصريح بما اشار اليه بقوله بافواههم ويحتمل كونها معطوفة على الجملة قبلها فتكون الصلة مجموع الجملتين والواو فيه على الاول حالية وعلى الثانى عاطفة ﴿**قوله** سماعون للكذب خبر مبتدأ محذوف﴾ فحينئذ يتم الكلام عند قوله ومن الذين هادوا وتقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من المنافقين ومن اليهود ثم بعد ذلك وصف الكل بكونهم سماعين وعلى الثانى يتم الكلام عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال ومن الذين هادوا سماعون للكذب ﴿**قوله** واللام فى للكذب اما مزيدة للتأكيد﴾ اى لتأكيد تعلق العامل بمعموله وتقوية عمله فان الكذب مفعول سماعون فقوى الفرع فى العمل بزيادة اللام كما فى قوله تعالى فعال لما يريد ﴿**قوله** او لتضمين السماع معنى القبول﴾ فان السماع قد يستعمل ويراد منه القبول كما لا تسمع من فلان والمراد لا تقبل منه ومنه سمع الله لمن حمده اى قبل منه حمده والكذب الذى يقبلونه هو ما يقوله رؤساؤهم من الاكاذيب فى دين الله تعالى وفى تحريف التوراة وفى الطعن فى نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿**قوله** او للعلة﴾ اى ويجوز ان تكون اللام فى قوله للكذب لام كى لافادة التعليل فيكون مفعول سماعون محذوفا اى يسمعون كلامك لكى يكذبوا عليك بالزيادة والنقص والتبديل فان منهم من يسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يخرج من عنده ويقول سمعت منه كذا وكذا ولم يسمع ذلك منه ﴿**قوله** تعالى سماعون لقوم آخرين﴾ يعنى انهم عيون وجواسيس لقوم آخرين والمعنى انهم يحضرون مجلسك لا ليهتدوا او تعظوا بكلامك بل لينقلوا كلامك الى قوم لم يحضروا مجلسك ويبلغوا اليهم اخبارك وهم يهود خيبر وبنوا قريظة والنضير ﴿**قوله** والمعنى على الوجهين﴾ اى معنى قوله تعالى سماعون لقوم اخرين على الوجهين المذكورين وهما ان تكون اللام فى قوله لقوم صلة سماعون ويكون السماع بمعنى القبول وان تكون للعلة على معنى سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم

(جزاء بما كسبا نكالا من الله) منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا (والله عزيز حكيم فمن تاب) من السراق (من بعد ظلمه) اى سرقته (وأصلح) امره بالتفصى من التبعات والعزم على ان لا يعود اليها (فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم) يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام او لكل احد (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير) قدم التعذيب على المغفرة آتيا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو فى الدنيا (يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) اى صنيع الذين يقعون فى الكفر سريعا اى فى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) اى من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل الحال والعطف (ومن الذين هادوا) عطف على من الذين قالوا (سماعون للكذب) خبر محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اى ومن اليهود قوم سماعون واللام فى الكذب اما مزيدة للتأكيد او لتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما تفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) اى لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين اى مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى مكرر للتأكيد اى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين

(يحرفون الكلم من بعد مواضعه) اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استئناف لا موضع له او فى موضع الرفع خبر لمحذوف اى هم يحرفون وكذلك (يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه) اى ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به (وان لم تؤتوه) بل أفتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) اى احذروا قبول ما أفتاكم به روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فأمرهم بالرجم فأبوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد (ومن يرد الله فتنته) ضلالته او فضيحته (فلن تملك له من الله شيأ) فلن تستطيع له من الله شيأ فى دفعها (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة (لهم فى الدنيا خزى) هوان بالجزية والخوف من المؤمنين (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو الخلود فى النار والضمير للذين هادوا ان استأنفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين (سماعون للكذب) كرره للتأكيد (اكالون للسحت) اى الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر (فان جاؤك فاحكم بينهم او أعرض عنهم) تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعى والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم عنهم والآية ليست فى اهل الذمة وعند ابى حنيفة يجب مطلقا (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) بأن يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) اى بالعدل الذى امر الله به (ان الله يحب المقسطين) فيحفظهم ويعظم شأنهم (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه فى الكتاب الذى هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله تعالى فى زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلامهم لفظا كموماة ودوداة (ثم يتولون من بعد ذلك) ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجيب (وما اولئك بالمؤمنين) بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه (انا انزلنا التوراة فيها هدى) يهدى الى الحق (ونور) يكشف ما اشتبه من الاحكام (يحكم بها النبيون) يعنى انبياء بنى اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به (الذين اسلموا) صفة اجريت على النبيين مدحا لهم (وصف) ... بان شأن المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم

ويجوز ان تكون اللام فى قوله لقوم صلة الكذب والمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين لم يأتوك وقوله لم يأتوك فى محل الجر على انه صفة لقوم **﴿قوله اما لفظا واما معنى﴾** تفصيل لامالتهم الكلم عن مواضعه التى وضعه الله تعالى فيها او امالته لفظا تكون على وجهين الاول اهماله واسقاطه من الكتاب كما اهملوا آية الرجم ووضعوا موضعها آية الجلد وتحميم وجهه وهو تسويد الوجه بالحممة والثانى تغيير وضعه وكلمة من فى قوله ومن يرد الله فتنته شرطية وقوله تعالى فلن تملك جوابه وشيأ مفعول به او مصدر اى شيأ من الملك وقوله من الله متعلق بتملك او حال من شيأ لانه فى الاصل صفة فلما قدم عليه انتصب حالا والمعنى ومن يرد الله تعالى كفره وضلاله فلن يقدر احد على دفع ذلك عنه وكيف يقدر والحال ان الله سبحانه وتعالى لم يرد ان يطهر قلوبهم لعلمه منهم اختيار الكفر استدل بها اهل السنة والجماعة على ان الله تعالى لا يريد اسلام الكافر منه وتطهير قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الآية من اشد الآيات على نفى القدرة **﴿قوله تعالى لهم فى الدنيا خزى﴾** خزى المنافقين هو الفضيحة وهتك الستر باظهار نفاقهم وخوفهم من القتل وخزى اليهود هو ضرب الجزية عليهم وفضيحتهم بظهور كذبهم فى كتمان نص الله تعالى بايجاب الرجم على من زنى وهو محصن **﴿قوله كرره للتأكيد﴾** اى ان نزل فى حق المنافقين ويحتمل ان يكون مكررا بناء على كونه من اوصاف بنى اسرائيل **﴿قوله ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم﴾** لان الله تعالى خير النبى صلى الله عليه وسلم فى الحكم بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليه ان شاء حكم وان شاء ترك فلو وجب على القاضى ان يحكم بينهم بحكم الاسلام لزم ان يكون هذا التخيير منسوخا بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله **﴿قوله بالقسط اى بالعدل﴾** تقول منه اقسط الرجل فهو مقسط والقسوط الجور والعدول عن الحق تقول منه قسط يقسط قسوطا قال تعالى واما القاسطون الآية وقال ههنا يحب المقسطين اى العادلين والواو فى قوله تعالى وعندهم التوراة للحال والتوراة مبتدأ والظرف خبره والجملة فى محل نصب على انها حال من فاعل يحكمونك كما ان قوله وكيف يحكمونك حال منه ايضا فهما حالان مترادفان وقوله فيها خبر مقدم وحكم الله مبتدأ مؤخر والجملة حال من الضمير المستتر فى الخبر لان التوراة ان جعلت مبتدأ لا يجوز انتصاب الحال من المبتدأ واجاز المصنف ارتفاع التوراة على انه فاعل الظرف لاعتماده على ذى الحال لان الظرف وحده حينئذ يكون حالا من فاعل يحكمونك ولما كان التوراة فاعلا للظرف جاز ان يكون فيها حكم الله حالا منه بخلاف ما اذا جعلت مبتدأ لا ينتصب منه الحال بل يكون حالا من الضمير المستكن فى الظرف **﴿قوله وتأنيثها﴾** اى تأنيث التوراة حيث انث الضمير الراجع فى قوله فيها حكم الله مع ان التوراة ليست من الالفاظ العربية فلا تكون التاء فيها للتأنيث مبنى على كون التوراة على صورة المؤنث بالتاء على ألفاظ العربية كموماة ودوداة الموماة المفازة والدوداة ارجوحة الصبيان وهى الخشبة التى يترجح بها الصبيان الجوهرى ترجحت الارجوحة بالصبى اى مالت **﴿قوله داخل فى حكم التعجيب﴾** فان تحكيمهم من لا يؤمنون برسالته والحال ان الحكم منصوص عليه فى كتابهم وهم يعلمون ذلك كما انه عجيب فكذا تحكيمهم اياه ثم اعراضهم عن حكمه وعدم قبولهم اياه مع علمهم بأن ما حكم به هو حكمه تعالى المنصوص عليه فى كتابهم طالبين بذلك ان يحكم بما يعلمون انه غير ما حكم الله تعالى به طلبا للرخصة ايضا فانه امر عجيب فظهر بذلك جهلهم وعنادهم من وجوه احدها عدولهم عن حكم كتابهم وثانيها رجوعهم الى حكم كانوا يعتقدون انه باطل مخالف لحكم الله تعالى والثالث اعراضهم عن حكم النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما حكموه فبين الله تعالى جهلهم من هذه الوجوه كيلا يظن فى حقهم انهم اهل كتاب الله تعالى ومن المتمسكين به **﴿قوله يعنى انبياء بنى اسرائيل﴾** تعريف الاضافة فيه ليس للعموم والاستغراق لان عيسى عليه السلام من انبياء بنى اسرائيل وهو لا يحكم بالتوراة بل للعهد الخارجى والمعهود موسى عليه السلام ومن جاء بعده الى ان جاء عيسى عليه السلام وبينهما ألف نبى ويقال اربعة آلاف نبى ويقال اكثر من ذلك **﴿قوله صفة اجريت على النبيين مدحا لهم﴾** جواب عما يقال كل نبى لا بد وان يكون مسلما منقادا لامر الله تعالى فما الفائدة فى توصيف الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوله الذين اسلموا وتقرير الجواب ظاهر واعترض عنه بأن النبوة اعظم من الاسلام فكيف يمدح نبى بأنه رجل مسلم مع الفرق بين ان يقال انه رجل مسلم ونبى فتوصيف من عبر عنه بعنوان النبى بالاسلام تنزل من الاعلى الى الادنى وطريق المدح هو ان يترقى من الادنى الى الاعلى فلا يكون اجراء صفة الاسلام على النبيين مدحا لهم والجواب انها صفة اجريت على طريق المدح لهم دون التخصيص والتوضيح بما

وصف به الانبياء لان صفات الاشراف اشراف الاوصاف فان قوله اجريت على النبيين مدحا لهم وان دل على ان المقصود من اجراء تلك الصفة عليهم مدحهم بها لكن المراد ليس ذلك بل المراد انها اجريت عليهم على طريق مدحهم بها قصدا لمدح من اتصف بها من المسلمين من حيث اتصافهم بما وصف به الانبياء وهو الاسلام وتعريضا باليهود باشعار انهم ليسوا من دين النبيين فى شئ وانهم بعدوا عن ملة الانبياء كلهم ووجه التعريض انه تعالى لما وصف النبيين بقوله الذين اسلموا وقال فى حقهم انهم يحكمون بالتوراة لاجل الذين هادوا فيما بينهم قابل اليهود بالذين اسلموا فاشعر ذلك ان اليهود بمعزل عن الاسلام والانقياد لامر الله تعالى فكان قوله الذين اسلموا للذين هادوا كالبيان للتعريض بهم بانهم لا يهتدون بهدى الانبياء ولا يتدينون بدينهم **قوله** اى يحكمون بها فى تحاكمهم اى فى ترافع الخصمين اليهم اشار الى ان ليس المراد بحكمهم لليهود انهم يحكمون لهم لا عليهم بل اللام فيه لمجرد الاختصاص اى يحكمون بها فيما بين الخصمين **قوله** وهو يدل على ان النبيون انبياؤهم ترجيح لكون المراد بالانبياء انبياء بنى اسرائيل الى عيسى عليه السلام لا لجميع من بعث قبل عيسى عليه السلام **قوله** تعالى والربانيون عطف على النبيون والربانى المتأله العارف بالله تعالى المخلص وجهه لله تعالى وقيل الربانيون العلماء والحكماء والاحبار فقهاء اليهود وعلماؤهم فقوله زهادهم تفسير للربانيين وقوله وعلماؤهم تفسير للاحبار وهم من اولاد هرون لان الحبورة كانت فيهم خاصة وفى الصحاح الحبر والحبرة واحد احبار اليهود وبالكسر افصح لانه يجمع على افعال دون فعول ويقال للعالم حبر بالكسر باعتبار توسله الى تحصيل العلوم بالحبر الذى يكتب به ويقال حبر بالفتح لكونه عالما بتحبير الكلام وتحسينه كأنه مصدر قولك حبرته حبرا اذا حسنته **قوله** بسبب امر الله تعالى اياهم بأن يحفظوا كتابه بين به ان الفاعل الذى اقيم ضمير المرفوع مقامه هو البارى تعالى وان ضمير استحفظوا راجع الى النبيين والربانيين والاحبار اى بما استحفظ لهم الله تعالى كتابه وكلفهم حفظه وان كلمة ما موصولة اسمية بمعنى الذى والعائد محذوف اى بما استحفظوه وكلمة من لبيان الجنس المبهم بقوله ما وان حفظ كتاب الله تعالى يكون على وجهين الاوّل ان يحفظ فلا ينسى والثانى ان يحفظ فلا تضيع احكامه بالتحريف والتغيير وان المراد به ههنا الحفظ بالمعنى الثانى الذى يستلزم الحفظ بالمعنى الاوّل فانه تعالى قد اخذ على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معا احدهما ان يحفظوه فى صدورهم ويدرسوه بألسنتهم والثانى ان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرائعه والمعنى انهم يحكمون جميعا باحكام التوراة بسبب التوراة المستحفظة عندهم التى كانوا عليها شهداء والمقصود منه ان حكمهم بسبب استحفاظ التوراة وكونهم عليها شهداء والغرض من بيان هذه السببية بيان ان ليس الباء فى قوله تعالى بما استحفظوا مثلها فى قوله يحكم بها لئلا يلزم تعلق حرفى جرّ بمعنى واحد بفعل واحد بل الاولى صلة يحكم كما فى قولك حكمت بكذا وهذه سببية وان كانتا داخلتين على شئ واحد بالذات وهو كتاب الله تعالى **قوله** رقباء على ان يكون شهداء من الشهود الذى هو الحضور وقوله او شهداء يبينون ما يخفى منه على ان يكون من الشهادة والبيان والمداهنة المصانعة والملاينة وكذا الادهان يقال ادهن فى الامر اى لان فيه وداري ثم انه تعالى لما قرّر ان النبيين والربانيين والاحبار كانوا قائمين بامضاء احكام التوراة من غير مبالاة ومداهنة مع احد خاطب اليهود الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنعهم من التحريف والتغيير فقال تعالى فلا تخشوا الناس الآية هكذا قال الامام فى ربطه بما قبله والظاهر ما قاله المصنف من انه نهى للحكام ان يخشوا غير الله تعالى وان الخطاب لهم لا لليهود الحاضرين ثم ان الاقدام على التحريف لما لم يكن الا لدفع ضرر او لجلب نفع وكان دفع الضرر اشدّ واقوى فى كونه حاملا على الاقدام على التحريف قدّم النهى عن التحريف بناء على خشية ظلم الناس واردفه بالنهى عنه بناء على طمع الثمن القليل فقال ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا اى كما نهيتكم عن تغيير احكامى لاجل الخوف من الناس فكذلك انهاكم عن تغييرها لاجل طمع الجاه والمال فان متاع الدنيا قليل ولما منعهم عن الامرين هدّدهم بالوعيد الشديد فقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاؤلئك هم الكافرون وهذا تهديد لليهود فى اقدامهم على تحريف حكم الله تعالى فى حدّ الزانى المحصن فانهم لما انكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه فى التوراة وقالوا انه غير واجب فهم كافرون على الاطلاق بموسى وبمحمد عليهما الصلاة والسلام والقرآن العظيم وبما عليه سائر الانبياء والمرسلين وقالت الخوارج كل من عصى الله تعالى فهو كافر واحتجوا عليه بهذه وقالوا انها نص فى ان كل من حكم بغير ما انزل الله فهو كافر وكل من اذنب وعصى فقد حكم بغير ما انزل الله فوجب ان يكون كافرا والمصنف اشار الى جوابهم بتقييد قوله

(الذين هادوا) متعلق بأنزل او بيحكم اى يحكمون بها فى تحاكمهم وهو يدل على ان النبيون انبياؤهم (والربانيون والاحبار) زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون (بما استحفظوا من كتاب الله) بسبب امر الله اياهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين (وكانوا عليه شهداء) رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا (فلا تخشوا الناس واخشونى) نهى للحكام ان يخشوا غير الله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير و(لا تشتروا بآياتى) ولا تستبدلوا باحكامى التى انزلتها (ثمنا قليلا) هو الرشوة والجاه (ومن لم يحكم بما انزل الله) مستهينا به منكراله (فاؤلئك هم الكافرون) لاستهانتهم به وتمرّدهم بأن حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم بخلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه فى المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون فى اليهود والفاسقون فى النصارى

(وكتبنا عليهم) وفرضنا على اليهود (فيها) في التوراة (ان النفس بالنفس) اي ان النفس تقتل بالنفس (والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن) رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقرآءة تقعان على الجمل كالقول او جمل مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور في فيها حال مبينة للمعنى (والجروح قصاص) اي ذات قصاص وقرأه الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل (فمن تصدق) من المستحقين (به) بالقصاص اي فمن عفا عنه (فهو) فالتصدق (كفارة له) للمتصدق فيكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شئ (ومن لم يحكم بما انزل الله) من القصاص وغيره (فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم) اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون (بعيسى بن مريم) مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء (مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل) وقرئ بفتح الهمزة (فيه هدى ونور) في موضع النصب بالحال (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) عطف عليه وكذا قوله (وهدى وموعظة للمتقين) ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه) عليه في قرآءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم بما انزل الله وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله امرتك بأن قم اي وامرنا بأن ليحكم

ومن لم يحكم بما انزل الله بقوله مستهينا به منكرا له وظالم باعتبار حال اخرى ملائمة لصفة الظلم وهي القاء نفسه في العقاب الدائم الشديد بالحكم على خلاف ما انزل الله تعالى وهو ظلم عظيم على النفس وفاسق باعتبار خروجه عن طاعة الله تعالى وهذا كما يقال من اطاع الله فهو البر ومن اطاع الله فهو المؤمن ومن اطاع الله فهو المتقي فان كلا من هذه الصفات الثلاث حاصلة لموصوف واحد باعتبار احوال مختلفة منضمة الى الاطاعة ﴿قوله رفعها الكسائي﴾ اي قرأ قوله تعالى والعين وما عطف عليه بالرفع وقرأ نافع وحمزة وعاصم بنصب الجميع وقرأ ابو عمرو وابن كثير وابن عامر بالنصب ما عدا الجروح واما قوله والجروح فانهم يرفعونها فقط واما قرآءة الكسائي فالمصنف رحمه الله تعالى ذكر لها ثلاثة اوجه الوجه الاول ان تكون الواو عاطفة جملة اسمية على جملة قوله تعالى ان النفس بالنفس لكن من حيث المعنى لا من حيث اللفظ فان معنى كتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس كتبنا عليهم النفس بالنفس فان الجملة تقع مفعولا للكتابة كما تقع مفعولا للقرآءة والقول فيقال كتبت الحمد لله وقرأت قل هو الله احد فلما كانت الجملة الملفوظة في معنى النفس بالنفس جاز عطف جملة العين بالعين عليها باعتبار معناها ولم يجعل لفظ العين معطوفا على محل اسم ان لما تقرر في النحو انه لا يجوز العطف على محل اسم ان المفتوحة والوجه الثاني ان تكون الواو عاطفة جملة اسمية على جملة قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس فتكون الجملة المعطوفة ابتداء تشريع وبيان حكم جديد غير مندرج فيما كتب في التوراة فالواو على هذا ليست لتشريك مدخولها مع الجملة الواقعة موقع مفعول كتبنا فيها بل لتشريك مضمون مدخولها مع مضمون الجملة الفعلية التي قبلها في التحقق والوقوع كما هو الاصل في العطف على الجملة التي لا محل لها من الاعراب وعبر المصنف عن هذا المعنى بكون مدخولها جملة مستأنفة على معنى انها غير معطوفة على الجملة الواقعة في حيز كتبنا وكونها مستأنفة بهذا المعنى لا ينافي كونها معطوفة على الجملة الفعلية ﴿قوله وانما ساغ﴾ جواب عما يقال كيف العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير فصل بين المتعاطفين ولا تأكيد بمنفصل ولا فصل بينهما بكلمة لا بعد حرف الواو كما في قوله تعالى ما اشركنا نحن ولا آباؤنا وهو لا يجوز عند البصريين * وتقرير الجواب انه لم يتوسط ما يفصل بين الضمير المرفوع والضمير المستكن لفظا الا انه متوسط بينهما في الاصل فان الاصل مأخوذة بالنفس والعين الى آخره فقوله والعين معطوف على المستكن في مأخوذة وقد توسط الظرف اعني بالنفس بين ذلك المستكن وبين ما عطف عليه والجار والمجرور المتوسط بينهما في محل النصب على الحال المبينة للمعنى اذ المرفوع ههنا مرفوع بالفاعلية لفظا عطفا على الفاعل المستتر ﴿قوله وقيل للجاني﴾ فان صاحبه اذا تجاوز عنه سقط عنه ما لزمه في الدنيا والآخرة واما اجر العافي فعلى الله تعالى قال الله تعالى فمن عفا واصلح فأجره على الله وقال صلى الله عليه وسلم *من اصيب في جسده كفر الله تعالى عنه بقدره من ذنوبه *اي من عفا عن جراحة من جنى عليه ولم يطلب القصاص بذلك يكفر الله تعالى من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعته ﴿قوله فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال﴾ يجوز ان يكون فيه وحده حالا من الانجيل وهدى فاعل له لان الظرف لما اعتمد على ذي الحال رفع الفاعل ويجوز ان يكون فيه خبرا مقدما وهدى مبتدأ مؤخر او تكون الجملة حالا من الانجيل ويكون قوله ومصدقا لما بين يديه عطفا على محل فيه هدى منصوبا على الحالية ويكون قوله هدى وموعظة منصوبين على الحالية منه بالعطف على الحال قبلهما اي ذا هدى وموعظة او هاديا وواعظا او جعل نفس الهدى والموعظة مبالغة ﴿قوله ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف او تعليقا به﴾ الاول على تقدير كونهما معمولين لآتينا المذكور فانه لابد ان يكونا معطوفين على علة مقدرة تقدير الكلام آتيناه الانجيل حال كونه كذا وكذا ارشادا وهدى وموعظة واحتيج الى تقدير المعطوف عليه حينئذ لئلا يلزم توسط الواو بين الفعل المعلل وعلته فانه لا يجوز ان يقال ضربته حال كونه مفسدا وتأديبا والثاني على تقدير كونهما معمولين لآتينا المحذوف لان كونهما معمولين لآتينا المذكور يستلزم توسط الواو بين المفعول له وعامله وانه غير جائز فلابد ان يكونا علتين متعلقتين بمقدر ﴿قوله وعطف وليحكم﴾ مرفوع معطوف على قوله نصبهما على المفعول له عطفا على علة محذوفة وعطف قوله تعالى وليحكم على ذلك المحذوف في قرآءة حمزة فانه يكسر اللام وينصب الفعل بعدها باضمار ان بعد لام كي والمعنى وآتيناه الانجيل للارشاد والهدى والموعظة وللحكم بما فيه وقرأ الجمهور وليحكم بسكون اللام وجزم الفعل بعدها على انها لام الامر اسكنت تشبيها لها بكتف فان الكتف اصلها بالكسر ﴿قوله وعلى الاول﴾ وهو ان يكونا حالين معطوفين

عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحمله على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف الظاهر (وانزلنا اليك الكتاب بالحق) اى القرآن (مصدقا لمابين يديه من الكتاب) من جنس الكتب المنزلة فان اللام الاولى للعهد والثانية للجنس (ومهيمنا عليه) ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اى هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ فى كل عصر (فاحكم بينهم بما انزل الله) اى بما انزل الله اليك (ولاتتبع اهوآءهم عماجاءك من الحق) بالانحراف عنه الى مايشتهونه فعن صلة للاتتبع لتضمنه معنى لاتنحرف او حال من فاعله اى لاتتبع اهوآءهم مائلا عماجاءك (لكل جعلنا منكم) ايها الناس (شرعة) شريعة وهى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ماهو سبب الحياة الابدية وقرئ بفتح الشين (ومنهاجا) وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرآئع المتقدمة (ولوشاء الله لجعلكم امة واحدة) جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لوشاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لوشاء الله اجتماعكم على الاسلام لأجبركم عليه (ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) من الشرآئع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون فى العمل (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم (الى الله مرجعكم جميعا) استئناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بالجزآء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر (وان احكم بينهم بما انزل الله) عطف على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اى انزلناه بالحق وبأن احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم (ولاتتبع اهوآءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ماانزل الله اليك) اى ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اى احذرهم فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فان تولوا) عن الحكم المنزل وارادوا غيره (فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعنى ذنب التولى عن حكم الله تعالى فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى التنكير ونظيره قول لبيد * او يرتبط بعض النفوس حمامها (وان كثيرا من الناس لفاسقون) لمتمردون فى الكفر ومعتدون فيه (أفحكم الجاهلية يبغون) الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى قوله تعالى أهذا الذى بعث الله رسولا واستضعف ذلك فى غير الشعر وقرئ أفحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحاكم الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون

على مصدقا يكون قوله وليحكم على قرآءة حمزة متعلقا بمحذوف دل عليه اللفظ كانه قيل وليحكم آتيناه ذلك ﴿قوله والآية تدل الى آخره﴾ رد لماقيل من ان عيسى عليه الصلاة والسلام متعبد بما فى التوراة من الاحكام وليس له شريعة مستقلة ناسخة لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام بناء على ان الانجيل مواعظ وزواجر وليس فيه من الاحكام الاقليل ووجه الرد ظاهر لان قوله تعالى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه يدل بظاهره على ان اهل الانجيل مكلفون بما فيه من الاحكام لابما فى التوراة كما يدل عليه قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فيلزم ان تكون التوراة منسوخة ببعث عيسى عليه السلام وان له شريعة مستقلة ومن قال انه مكلف بما فى التوراة وليس له شريعة مستقلة ذهب الى ان معنى قوله تعالى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة وذلك تعسف وحمل للآية على خلاف ظاهرها ﴿قوله تعالى بالحق﴾ حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق والصدق او صفة مصدر محذوف اى انزالا ملتبسا بالحق لم ننزله عبثا ﴿قوله من جنس الكتب المنزلة﴾ على ان اللام فى الكتاب للجنس او بمعنى الاستغراق على ان يكون القرآن مستثنى منه بدليل العقل كما ان ذاته تعالى مستثنى من عموم الشئ فى قوله تعالى ان الله على كل شئ قدير فانه شئ بمعنى شائى كما ان ماسواه شئ بمعنى مشيئ الوجود قال

* فسم الله شيأ لا كأشيا * وذاتا عن جهات الست خالى *

﴿قوله او حال من فاعله﴾ اى عن صلة لمحذوف او هى حال من تتبع ﴿قوله وهى الطريقة الى الماء﴾ سميت شرعة وشريعة لشروع الناس فيها لدى الحاجة سمى ماشرع الله تعالى لعباده من وظائف الدين واحكامه شريعة تشبيها بالطريقة الى الماء الذى هو سبب الحياة الحيوانية والمنهاج الطريق الواضح يقال نهج الامر وانهج لغتان بمعنى وضح ﴿قوله فابتدروها﴾ اى بادروا الى الاعمال الصالحة حيثما امرتم بها انتهازا للفرصة واغتناما لها والنهزة الفرصة وانتهزها اى اغتنمها والحيازة الاحاطة ﴿قوله اى انزلنا اليك الكتاب والحكم﴾ على ان ان المصدرية دخلت على الامر دخولها على سائر الافعال فكانه قيل وانزلنا اليك الامر بالحكم بما انزل الله تعالى * قال الامام اعاد ذكر الامر بالحكم بعد ذكره فى الآية الاولى وهى قوله تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله لوجهين احدهما التأكيد والثانى ماشار اليه المصنف بمارواه فى سبب النزول ﴿قوله وان بصلته بدل من هم﴾ اى من مفعول احذرهم كانه قيل احذر فتنتهم باضافة الفتنة الى فاعلها والفتنة ههنا بمعنى الامالة عن الحق والايقاع فى الباطل اشار اليه المصنف بقوله ان يضلوك ويصرفوك عنه قال ابو عبيد كل من صرف عن الحق الى الباطل واميل عن القصد فقد فتن فاستدل العلماء بهذه الآية على ان الخطأ والنسيان جائز على الرسل لانه تعالى قال فاحذرهم ان يفتنوك عن بعض ماانزل الله اليك والتعمد فى مثل هذا غير جائز على الرسل فلم يبق الا الخطأ والنسيان والظاهر ان المراد تقوية همته وعزيمته على الثبات على الحكم بالحق والامتثال لامر الله تعالى من غير ان يكون الميل عنه متوهما فى حقه ﴿قوله وفيه دلالة﴾ اى فى سلوك طريق الابهام حيث عبر عن ذنب التولى ببعض ذنوبهم دلالة على تعظيم ذلك الذنب كما يدل على تعظيم التعبير عن المعنى المراد بالاسم المنكر كما فى قوله * له حاجب من كل امر يشينه * اى حاجب عظيم ونظيره قوله * او يرتبط بعض النفوس حمامها * اراد ببعض النفوس نفسه فعظمها بالابهام واول البيت

* اولم تكن تدرى نوار بانني * وصال عقد حبائل جذامها *

* تراك امكنة اذا لم ارضها * او يرتبط بعض النفوس حمامها *

نوار اسم امرأة حذف منه حرف النداء اى يانوار والحبائل جمع حبالة وهى مايصاد به وعقد الحبائل عبارة عن عقد المحبة يقول انها الم تدر يانوار انى وصال عقد من اراد محبتى قطاع من يقطع وصلتى وانى جوال الفيافى تراك امكنة اذا لم يكن بمجموع الامرين الرضى بها او الموت فيها جميعا واما اذا حصل احدهما فلا ترك وهذا المعنى يستفاد من كون يرتبط مجزوما معطوفا على المجزوم قبله فينسحب حكم النفى على الامرين جميعا والمعنى اذا لم ارضها ولم امت فيها ومعنى الآية فان اعرضوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم ان اعراضهم ذلك لاجل ان الله تعالى يريد ان يجعل لهم العقوبة فى الآخرة فدلت الآية على ان جميع افعال العباد من الطاعة والمعصية بارادة الله تعالى لايريد ان يصيبهم ببعض ذنوبهم الا وقد اراد ذنوبهم ﴿قوله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون﴾ قرآءة

او من قول الله تعالى شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم (يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتدّ من العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنوا مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول في تلك الليلة فسرّ

المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنوا حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك * فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله تعالى عنه بجند المسلمين وقتله الوحشي قاتل حمزة وبنوا اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي خلافة ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنوا سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنوا يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنوا بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قيل هم اهل اليمن لما روي انه عليه الصلاة والسلام اشار الى ابي موسى الاشعري وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب بيده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه (اذلة على المؤمنين) عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمن معنى العطف والحنوّ او للتنبيه على انهم مع علوّ طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة (اعزة على الكافرين) شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال (يجاهدون في سبيل الله) صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة (ولا يخافون لومة لائم) عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيأ يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرّة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان (ذلك) اشارة الى ماتقدم من الاوصاف (فضل الله يؤتيه من يشاء) يمنحه ويوفق له (والله واسع) كثير الفضل (عليم) بمن هو اهله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم الله ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى الاسم .

فيكون محله النصب على انه مقول قول المؤمنين على انه اخبار منهم بحبط اعمالهم او على انها جملة مستأنفة اخبر الله تعالى عنهم بذلك ﴿ قوله وفيه معنى التعجب ﴾ فان كان قوله حبطت اعمالهم من جملة قول المؤمنين يكون التعجب على حقيقته وان كان من قول الله تعالى شهادة لهم بحبوط اعمالهم يكون التعجب من سوء حالهم وهي ذهاب مااظهروه من الايمان وبطلان كل خير عملوه حيث لم يحصل لهم شيء من ثمرته لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿ قوله وفي امرة عمر رضي الله تعالى عنه ﴾ عطف على قوله في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وارتدّ من العرب في زمن امارة عمر رضي الله عنه جبلة بن الايهم وذلك ان جبلة اسلم على يد عمر رضي الله تعالى عنه وكان يطوف ذات يوم وهو يجرّ رداءه فوطئ رجل طرف ردآئه فغضب جبلة فلطمه فهشم انفه فتظلم الرجل الى عمر رضي الله تعالى عنه فقضى له بالقصاص عليه الا ان يعفو عنه فقال انا اشتريها بألف فأبى الرجل فلم يزل يجزل في العطاء الى ان بلغ عشرة آلاف فأبى الرجل الا القصاص فاستنظره عمر فهرب الى الروم وارتدّ والعياذ بالله تعالى وكان من ملوك غسان وروي ان جبلة ندم على مافعله من غير اقلاع وانشد

* تنصرت بعد الحق عارا للطمة *	ولم يك فيها لو صبرت لها ضرر *
* وادركني فيها لجاج حمية *	فبعت لها العين الصحيحة بالعور *
* فياليت امي لم تلدني وليتني *	صبرت على القول الذي قاله عمر *

﴿ قوله عاطفين عليهم متذللين لهم ﴾ يعني ليس المراد من توصيفهم بكونهم اذلة على المؤمنين بيان انهم مهانون محقرون في اعين المؤمنين بل بيان انهم على علوّ طبقتهم وفضلهم مخفضون متواضعون للمؤمنين والحنوّ الانعطاف والتواضع * الجوهري حنوت العود عطفته وحنيت لغة فيه وحنوت عليه اي عطفت عليه يقال حنت المرأة على اولادها تحنو حنوا اذا عطفت عليهم واقامت ولم تتزوّج بعد ابيهم ﴿ قوله واستعماله مع على ﴾ مع ان الاصل ان يستعمل اذلة مع اللام بناء على تضمينه معنى الحنوّ والعطف والمعنى عاطفين على المؤمنين خافضين لهم اجنحتهم او للمشاكلة فانه لما وقع في صحبة اعزة عدّي تعديته وهي تستعمل بعلى دون اللام ﴿ قوله وقرئ بالنصب ﴾ اي قرئ كل واحد من اذلة واعزة بالنصب على انه حال من قوم وجاز ذلك مع كون قوم نكرة وحق ذي الحال ان يكون معرفة وان كان نكرة وجب تقديم الحال عليه كما في قوله * لعزة موحشا طلل قديم * لانه ليس نكرة محضة لتخصصه بالوصف وهو قوله يحبهم ويحبونه وعلى قرآءة الجرّ يكون كل واحد منهما صفة لقوم بعد وصفه بقوله يحبهم ويحبونه ﴿ قوله او حال ﴾ اي ويجوز ان يكون قوله ولا يخافون حالا من فاعل يجاهدون سوآء جعل صفة لقوم او حالا من فاعل اعزة فيكون من قبيل الاحوال المتداخلة والمعنى يجاهدون وحالهم في المجاهدة غير حال المنافقين وهي خوفهم ملامة اوليائهم من اليهود وفيه بحث لان النحاة قد نصوا على ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في انه لا يجوز ان يباشره واو الحال فلا يقال جاءني زيد ويركب وقوله لا يخافون مضارع منفي بلا فكيف جاز وقوعه حالا بالواو الا ان يقال القول بأن المضارع المنفي بلا كالمثبت غير مجمع عليه ﴿ قوله وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ﴾ كأنه قيل لا يخافون شيأ من اللومات الواقعة من اي لائم كان فالمبالغة الاولى انتفاء الخوف من جميع اللومات والثانية انتفاء الخوف من جميع اللوّام كل ذلك مبنيّ على ان النكرة في سياق النفي تفيد العموم وقوله ذلك اشارة الى ماتقدم من الاوصاف وهي التي وصف بها القوم من المحبة والعزة والمجاهدة في سبيل الله تعالى وانتفاء خوف اللومات من كل احد فاسم الاشارة يجوز ان يشار به الى اكثر من واحد وهو على لفظ الافراد كما في قوله تعالى عوان بين ذلك فانه اشير الى البكر والفارض ﴿ قوله وانما قال وليكم ﴾ يعني ان قوله تعالى انما وليكم الله جملة اسمية وقوله ورسوله والذين آمنوا معطوفان على الخبر فقد اخبر عن المبتدأ بالجماعة فالظاهر ان يعبر عن المبتدأ بلفظ اولياؤكم لكونه عبارة عن الجماعة لكن عبر عنه بلفظ وليكم للتنبيه على ان الولاية لله تعالى بطريق الاصالة حيث قال انما وليكم الله ثم نظم في سلك اثبات الولاية له تعالى اثباتها لرسوله وللمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام دلالة على التفاوت بينهم بالاصالة والتبعية وههنا وجه آخر لم يلتفت المصنف اليه لكونه في جنب ماذكره من الوجه بمنزلة العبث وهو ان الولي لكونه على وزن فعيل يطلق على الواحد ومافوقه مذكرا كان او مؤنثا بلفظ واحد فيقال هو صديق وهم صديق وهي او هن صديق ﴿ قوله فانه جرى مجرى الاسم ﴾ جواب عما يقال كيف يجوز ان يوصف

او بدل منه ويجوز رفعه ونصبه على المدح (وهم راكعون) متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وهي نزلت في علي رضي الله تعالى عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيها والظاهر ماذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيئ بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيتدرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكاة (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) ومن يتخذهم اولياء (فان حزب الله هم الغالبون) اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء) نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزؤا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قرآءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق رأسا سوآء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين (واتقوا الله) بترك المناهي (ان كنتم مؤمنين) لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده (واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزؤا ولعبا) اي اتخذوا الصلاة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة روى ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررها في البيت (ومن)

الموصول الاول بالثاني مع ان قولنا الذي وضع وصلة الى وصف المعارف وبالجملة الوصف لا يوصف * وتقرير الجواب نعم ان الامر كذلك الا ان الوصف نزل منزلة الاسم فجاز ان يوصف بالصفة وتوضيح هذا الجواب يتوقف على معرفة الفرق بين الاسم والصفة * واعلم ان المراد بالاسم ههنا ليس مايقابل الفعل بل المراد مايقابل الصفة فان الاسم بالمعنى الاول ينقسم الى الاسم والصفة فان الاسم بالمعنى الاول ان كان موضوعا لذات معينة سوآء وضع لها من غير اعتبار معنى من المعاني المتعلقة كالفرس والعلم اووضع لها باعتبار معنى كذلك كالرجل الموضوع للانسان مع معنى الذكورة وكالاحمر اذا جعل علما لشخص فيه حمرة وكاسماء الزمان والمكان والآلة والامام والكتاب فهو الاسم المقابل للصفة وان كان موضوعا لذات مبهمة مع معنى معين كالضارب والمضروب والحسن والاحمر الغير العلم فهو الصفة والمراد بالذات ههنا المستقل بالمفهومية سوآء كان قائما بنفسه كالفرس او بغيره كالعلم وبالمعنى ما لا يكون كذلك لاشتماله على نسبة ما وبالذات المعينة مااعتبر فيها تعين ما بحيث لايصدق على جميع الذوات بل على بعضها وبالمبهمة خلافها فيصدق على الجميع وبهذا ظهر ان الموصولات من قبيل الصفات لكونها موضوعات لذوات مبهمة باعتبار معان معينة وهي مضمون الصلات الا ان الموصول الاول في الآية نزل منزلة الاسم لذات معينة باعتبار معنى يقوم بها وهو صفة الايمان كالرجل الموضوع للانسان مع الذكورة والاحمر الموضوع لشخص فيه حمرة فلذلك جاز وصفه بالموصول الثاني ﴿ **قوله** متخشعون في صلاتهم وزكاتهم ﴾ يريد ان قوله تعالى وهم راكعون حال من فاعل يقيمون ويؤتون معا والمراد بالركوع هو الخشوع والخضوع اي يصلون ويزكون اي يجمعون بينهما وهم منقادون خاضعون لجميع اوامر الله تعالى ونواهيه ﴿ **قوله** والظاهر ماذكرناه ﴾ اي من كون الركوع بمعنى الخضوع لا بمعنى الركوع الذي هو من اركان الصلاة وان الولي هو المحب حيث قال في تفسير قوله تعالى لاتتخذوهم اولياء اي لاتعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب ﴿ **قوله** اي فانهم الغالبون ﴾ يعني ان من الشرطية في محل الرفع بالابتدآء وقوله فان حزب الله هم الغالبون جملة واقعة موقع خبر المبتدأ ولم يذكر العائد لان المراد بحزب الله تعالى هو نفس المبتدأ فيكون من باب تكرير المبتدأ وبه يحصل ارتباط الخبر بالمبتدأ لكن وضع الظاهر موضع الضمير لما ذكره من الفوآئد ﴿ **قوله** وتنويها ﴾ تفعيل من ناه الشيئ ينوه اي ارتفع ونوهته تنويها اذا رفعته ونوهت باسمه اذا رفعت ذكره ولا شك ان اضافة الحزب الى الله تعالى تشريف عظيم لهم كما ان اضافته الى الشيطان نهاية التحقير وحزبه امره اي اصابه ثم انه تعالى لما نهى عن موالاة اليهود والنصارى في الآية الاولى نهى ايضا عن موالاة الكفار جميعا فقال يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤا ولعبا فقوله الذين اتخذوا دينكم مفعول اول لقوله لاتتخذوا ومفعوله الثاني هو قوله تعالى اولياء ودينكم مفعول اول لقوله اتخذوا ومفعوله الثاني هو هزؤا وقوله من الذين بيان للموصول الاول او حال منه ومن قبلكم متعلق بأوتوا وقوله والكفار مجرور عطفا على الموصول المجرور في قرآءة ابي عمرو والكسائي ويعقوب ومنصوب في قرآءة الباقين عطفا على الموصول الاول اي لاتتخذوا المستهزئين ولا الكفار اولياء والمعنى على قرآءتهما انه تعالى نهاهم ان يتخذوا المستهزئين اولياء وبين انهم صنفان اهل الكتاب وعبدة الاصنام والاوثان فان اسم الكفار غالب في عبدة الاوثان كما ان اهل الكتاب غالب في اليهود والنصارى ﴿ **قوله** والكفار وان عم ﴾ جواب عما يقال كيف عطف الكفار على اهل الكتاب مع ان العطف يقتضي التغاير والتمايز بين المتعاطفين ولا تغاير بين الكفار واهل الكتاب كما صرح به قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولما كان الكفار متناولا لاهل الكتاب وغيرهم كيف صح جعله قسيما لاهل الكتاب وعطفه عليهم * وتقرير الجواب نعم ان الامر كذلك الا ان كفر المشركين لما كان اعظم حسن تخصيصهم بالكفار بسبب توغلهم في الكفر ﴿ **قوله** وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده ﴾ ضعفه لان تقدير متعلق الايمان لا حاجة اليه في تعليل الامر بالتقوى ﴿ **قوله** او المناداة ﴾ على ان يكون ضمير اتخذوها راجعا الى مصدر ناديتم ولا حاجة الى هذا التكلف مع ذكر مايصح ان يرجع اليه الضمير صريحا بخلاف قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى الا ان المصنف ذكر هذا الاحتمال لكونه مؤيدا بقصة النصراني ﴿ **قوله** وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة ﴾ يعني ان ثبوت الاذان ليس بالمنام وحده بل هو ثابت بنص هذه الآية فان المعنى اذا دعوتم الناس الى الصلاة بالاذان والندآء هو رفع الصوت قال المفسرون كان المؤذنون اذا اذنوا للصلاة تضاحكت اليهود فيما بينهم وتعاهدوا سفها ومجانة استهزآء بالصلاة وتحقيرا لاهلها وتنفيرا للناس عنها

بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل) الايمان بالكتب المنزلة كلها (وان اكثركم فاسقون) عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اى ماتنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا فى الايمان وانتم خارجون منه اوكان الاصل واعتقاد أن اكثركم فاسقون فحذف المضاف اوعلى ما اى وماتنقمون منا الاالايمان بالله وبما انزل وبأن اكثركم فاسقون اوعلى علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الاان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم اونصب باضمار فعل يدل عليه تنقمون اى ولاتنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتدآء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم على الانصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام لانعلم دينا شرا من دينكم (قل هل انبئكم بشرّ من ذلك) اى من ذلك المنقوم (مثوبة عند الله) جزآء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشرّ فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع * ونصبها على من بشرّ (من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) بدل من بشرّ على حذف مضاف اى بشرّ من اهل ذلك من لعنه الله او بشرّ من ذلك دين من لعنه الله اوخبر محذوف اى هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد كظرف بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت اوعبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ عبد الطاغوت بالجرّ عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وقيل كل من اطاعوه فى معصية الله تعالى (اولئك) اى الملعونون (شرّ مكانا) جعل مكانهم شرّا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا (واضل عن سوآء السبيل) قصد الطريق المتوسط بين غلوّ النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلال (واذا جاؤكم قالوا آمنا) نزلت فى يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اوفى عامّة المنافقين (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) اى يخرجون من عندك كما دخلوا لايؤثر فيهم ماسمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لمافيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ولذلك قال (والله اعلم بما كانوا يكتمون) اى من الكفر وفيه وعيد لهم

(١٦)

ومن الدواعى اليها ﴿قوله والآية خطاب﴾ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال عليه الصلاة والسلام * اومن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لانفرّق بين احد منهم ونحن له مسلمون * فلما سمعوا ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوّته وقالوا والله لانعلم اهل دين اقل حظا منكم فى الدنيا والآخرة ولادينا شرّا من دينكم فانزل الله تعالى هذه الآية قل يااهل الكتاب هل تنقمون منا الآية ﴿قوله اى من ذلك المنقوم﴾ اى الذى كرهتموه منا وهو ايماننا بماذكر لماجحد اليهود نبوّته عليه الصلاة والسلام وقالوا ماقالوه قال تعالى قل يامحمد لليهود هل انبئكم بشرّ من ذلك الخ ﴿قوله فوضعت ههنا موضعها﴾ اى وضعت المثوبة ههنا موضع العقوبة على طريق التهكم كما اطلقت التحية على الضرب الوجيع فى قول الشاعر * تحية بينهم ضرب وجيع * على طريق التهكم وكما اطلق التبشير على الانذار فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم الا ان مافى الآيتين استعارة تهكمية ومافى الشعر ليس استعارة لوجود طرفى التشبيه وقوله من لعنه الله بدل من بشرّ اوخبر عن ضميره ولابدّ من تقدير مضاف قبل قوله ذلك اوقبل قوله من لعنه الله والتقدير على الاوّل قل هل أنبئكم بشرّ من اهل ذلك الدين المنقوم من لعنه الله وعلى الثانى هل انبئكم بشرّ من ذلك الدين دين من لعنه الله اماالاحتياج الى تقدير المضاف على تقدير كونه خبرا عن ضمير بشرّ فظاهر اذ لولم يقدّر المضاف وقيل هو من لعنه الله اى ذلك الدين المنقوم من لعنه الله تعالى لكان معنى فاسدا لاستلزامه حمل الذات على المعنى واما الاحتياج اليه على تقدير كونه بدلا فلئلا يلزم وقوع بدل الغلط فى افصح الكلام وهو عيب فى الكلام الفصيح فكيف يقع فى الافصح لان الملعونين ليسوا نفس ماهو شرّ من الدين المنقوم ولابعضا منه ولا اشتمال بينهما فتعين ان يكون بدل غلط ﴿قوله عطفه على القردة﴾ خبر قوله ومن قرأ ثم ذكر قرآءة اخرى وهى عبد الطاغوت بجرّ عبد واضافته الى الطاغوت ووجه جرّه كونه معطوفا على قوله من لعنه الله على تقدير كونه بدلا من بشرّ ولم يجعله بدلا من بشرّ لان البدل يكون مقصودا بالنسبة ولاوجه له ههنا ﴿قوله والمراد من الطاغوت العجل﴾ فان الطاغوت اسم لكل من يطاع فى معصية الله تعالى فيطلق على الشيطان والكاهن وكل ماعبد من دون الله تعالى ﴿قوله جعل مكانهم شرّا﴾ فان قوله اولئك مبتدأ وشرّ خبره ومكانا منصوب على التمييز وهو فاعل فى المعنى واسند الشرّ الى مكانهم والمقصود اسناده الى انفسهم ولما كانت شرارة المكان من لوازم شرارة اهله كان اثبات الشرارة لمكان الشئ كناية عن اثباتها لنفس ذلك الشئ بطريق الكناية وهو ابلغ من ذكره صريحا ويجوز ان يكون الاسناد مجازيا على طريق ذكر المحل وارادة الحال كما فى جرى النهر وحينئذ لايكون كناية ﴿قوله والجملتان حالان من فاعل قالوا﴾ اى اذا جاؤكم قالوا آمنا وحالهم انهم ملتبسون بالكفر حال دخولهم وحال خروجهم وقوله وهم مبتدأ وقد خرجوا خبر والجملة حال عطفت على الحال قبلها فالواو فى الاولى حالية وفى الثانية عاطفة وجاءت الاولى فعلية والثانية اسمية تنبيها على فرط تهالكم فى الكفر فانهم كانهم ملتبسين بالكفر حال دخولهم لكونهم منافقين الا انهم لمارأوا من حسن سمته وهيئته وحسن معاملته معهم فى ارشاده اياهم الى ماهو الانفع لهم حالا ومآلا كان مقتضى العقل والانصاف ان يخرجوا مؤمنين لكنهم لم يتأثروا بشئ من ذلك ولم ينتفعوا فأكد الله تعالى كفرهم بان اورد الجملة الثانية اسمية خبرها فعلية ليتكرر الاسناد فيها ويتقوى الحكم بذلك وذكر لقد فائدتين الاولى ان مضمون الجملة الحالية يجب ان يكون مقارنا لمضمون عاملها بحسب الزمان ولذلك اوجبوا فيما اذا كان الفعل فى الجملة الحالية ماضيا لفظا ان تكون الجملة مصدّرة بكلمة قد ليقرب مضمونها من زمان وقوع عاملها ظاهرة اومقدّرة لان الحال قيد لعاملها فاذا عبر عنها بلفظ الماضى كان مدلول الكلام وقوع مضمونها قبل وقوع مضمون عاملها فيختل المراد والفائدة الثانية الدلالة على انه عليه الصلاة والسلام كان يظن ويتوقع منهم النفاق حالتى الدخول والخروج لكون امارة النفاق لائحة عليهم وينتظر لأن يظهر الله تعالى نفاقهم ويخبر بذلك عنهم تفضيحا لهم فان كلمة قد كما تفيد تقريب الماضى من الحال تفيد ايضا كون المخاطب متوقعا منتظرا لأن يخبر بوقوع مضمون الجملة المتوقعة فانك تقول قد خرج الامير لجماعة يتوقعون وينتظرون خروجه ﴿قوله ولذلك قال﴾ اى ولكونه عليه الصلاة والسلام

كان يظن منهم ذلك قال تعالى والله اعلم بصيغة التفضيل **قوله اى الحرام** يعنى ان الاثم عبارة عن المعصية
كذبا كان او غيره فلا وجه لتخصيصه بالكذب لانه تخصيص بلا مخصص الا ان من فسره بالكذب استدل عليه بقوله
تعالى عن قولهم الاثم فان لفظ القول فيه مصدر مضاف الى فاعله والاثم مفعول فيكون الاثم مقولا لهم والمقول
المقالات المؤثمة وهو قولهم آمنا وليسوا بمؤمنين فانه كذب **قوله الظلم او مجاوزة الحدّ فى المعاصى**
عطف كل واحد منهما على الاثم بمعنى الحرام من قبيل التخصيص بعد التعميم لزيادة التوبيخ **قوله وقيل الاثم
ما يختص بهم** ضعفه ولم يرض به لكونه تخصيصا بلا مخصص **قوله لبئس شيأ عملوه** اشارة الى
ان فاعل بئس الشئ شيأ عملوه **قوله ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون** يعنى انه تعالى ذم مرتكب الاثم
والمعصية بقوله لبئس ما كانوا يعملون وذم العلماء التاركين للنهى عنه بقوله لبئس ما كانوا يصنعون للدلالة على ان
العلماء التاركين للنهى عنه اسوأ حالا واشدّ ذنبا بالنسبة الى من يرتكبه وذلك لان الصنع اقوى من العمل فان العمل
انما يسمى صناعة اذا صار مستقرّا راسخا متمكنا فجعل ذنب العاملين ذنبا غير راسخ حيث عبر عنه بالعمل وجعل ذنب
العلماء التاركين للنهى عن المنكر ذنبا راسخا متمكنا فيهم حيث عبر عن ذلك الترك بالصنع والامر فى الحقيقة كذلك
لان المعصية مرض الروح وعلاجه الذى يدفعه عن المكلف انما هو علمه بكبريائه وعظمة جلاله وعزته ومن
حصل له هذا العلم ولم يرتدع عن المعصية ولم ينه العصاة عن ارتكابها كان كالمريض الذى عولج بالادوية المزيلة
لآثار المرض ولم يحصل له البرء والشفاء بذلك ولاشك ان مثل هذا المريض يكون شديدا صعبا لايكاد يزول
وكذا العالم بالله وبصفات جلاله وعظمته اذا لم يغير ما رآه من المنكر ولم ينه عنه كان مريض روحه قويا شديدا
حيث لم يزل مرضه بالعلاج ولم ينتفع به فلذلك كان ذم تاركى النهى عن المنكر ابلغ من ذم مرتكبه حيث عبر عن
ذنب المرتكب بالعمل وعن ذنب تارك النهى بالصنع لان العمل للانسان انما يسمى صنعا اذا وقع بعد تدرب وهو
الاعتياد وتروّى وهو التفكر من الروية وتحرّى اجادة اى قصد جعله ذلك العمل جيدا * عن الحسن انه قال
الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء اهل التوراة وقال غيره كلاهما علماء اليهود وفقهاؤهم لكونهما
مذكورين متصلين بذكر احوال اليهود **قوله وقيل معناه انه فقير كقولهم ان الله فقير ونحن اغنياء**
قالوا ذلك حين نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وقالوا لولا انه فقير لما استقرض من عباده
قوله دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدى حقيقة جواب عما قيل قد مر ان قول
اليهود مغلولة مجاز اما عن البخل والامساك واما عن الفقر وقلة ذات اليد فاوجه الطباق بينه وبين قوله تعالى فى
قولهم غلت ايديهم ولعنوا ولابدّ من تحقق الطباق بينهما والا تنافر الكلام وزال عن سننه والطباق من الصنائع
البديعية والمحسنات المعنوية وهى عبارة عن الجمع بين المتضادّين اى المعنيين المتقابلين فى الجملة كما فى قوله تعالى
وتحسبهم ايقاظا وهم رقود وقوله تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وقوله او من كان ميتا فأحييناه وللطباق
ضروب ووجوه كثيرة فصلت فى علم البديع * وتقرير الجواب ان الطباق بينهما متحقق سوآء جعلوا غل اليد مجازا
عن البخل او عن الفقر والعدم وذلك لانهم لما قالوا يد الله مغلولة بأحد المعنيين دعا الله تعالى عليهم بقوله غلت ايديهم
ولعنوا ولذلك كانوا ابخل الناس من خلق الله وانكدهم فانهم وان جمعوا اموالا عظيمة تراهم بخلاء لئاما خلوا
عن الكرم والمروءة لشدّة حرصهم على الدنيا فان الغنى لايكون بكثرة العرض وانما الغنى غنى القلب علمنا الله ان
ندعو عليهم بهذا وتقول فى حقهم امسكت ايديهم عن الخيرات او صاروا فقرآء اذلاء ملعونين بان مسخهم الله قردة
وخنازير وضرب عليهم الذلة والمسكنة فى الدنيا وجعلهم مخلدين فى نار جهنم فى العقبى فتحققت المطابقة بينه وبين
قولهم يد الله مغلولة من حيث اللفظ والمعنى لامن حيث اللفظ فقط سوآء جعل غل الله مجازا عن البخل او عن الفقر
والعدم وذلك بخلاف قول الشاعر * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا * فان المطابقة فيه ليست الا من حيث اللفظ اذلا
مطابقة بين الطبخ والخياطة من حيث المعنى وان كان قوله تعالى غلت ايديهم معناه شدّ ايديهم الى اعناقهم حقيقة
بان يغلوا اسارى فى الدنيا ويسحبوا فى العقبى الى النار تكون المطابقة بينهما من حيث اللفظ لمطابقة بين الغل الحقيقى
المذكور فى قولهم يد الله مغلولة لفظا وهو ظاهر ومن حيث ملاحظة المعنى الاصلى اى اصل المجاز وهو الحقيقة
فان الغل المذكور فى الدعاء وان كان محمولا على الغل الحقيقى ولامطابقة بينه وبين الغل المجازى المذكور فى
قول اليهود الا ان بينهما مطابقة من حيث كون المعنى الحقيقى ملحوظا فى قولهم يد الله مغلولة غاية ما فى الباب

(وترى كثيرا منهم) اى من اليهود او المنافقين
(يسارعون فى الاثم) اى الحرام وقيل
الكذب لقوله تعالى عن قولهم الاثم
(والعدوان) الظلم او مجاوزة الحدّ فى
المعاصى وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان
ما يتعدّى الى غيرهم (واكلهم السحت) اى
الحرام خصه بالذكر للمبالغة (لبئس ما كانوا
يعملون) لبئس شيأ عملوه (لولا ينهاهم
الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم
السحت) تحضيض لعلمائهم على النهى عن
ذلك فان لولا اذا دخل على الماضى افاد
التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد
التحضيض (لبئس ما كانوا يصنعون) ابلغ
من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان
الصنع عمل الانسان بعد تدرّب فيه وتروّ
وتحرّى اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان
ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان
النفس تلتذبها وتميل اليها ولا كذلك ترك
الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم
(وقالت اليهود يد الله مغلولة) اى هو ممسك
يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل
والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل
او بسط ولذلك يستعمل حيث لايتصوّر ذلك
كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل * شكرت نداه
تلاعه ووهاده * ونظيره من المجازات المركبة
شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير كقوله
تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
ونحن اغنياء (غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا)
دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة
او بغل الايدى حقيقة يغلون اسارى فى الدنيا
ويسحبون الى النار فى الآخرة فتكون
المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل
كقولك سبنى سب الله دابره

ان لايكون بناء على تحقيق الصارف عن ارادته ونظيره قولك سبنى سب الله دابره فان السب المذكور فى الدعاء هو السب الحقيق وهو القطع والسب المذكور قبله سب مجازى وهو الشتم فانه يسمى سب القطع المودة فتحصل المطابقة بين السب الحقيق المذكور فى الدعاء والسب المجازى المذكور قبله من حيث اللفظ ومن حيث كون المعنى الاصلى ملحوظا فى السب المجازى لاتنافر بين الكلامين بل هما متطابقان ثم ان اليهود لما وصفوا الله بالبخل حيث قالوا يد الله مغلولة اجيبوا بان قيل بل يداه مبسوطتان على معنى انه ليس الامر على ما وصفتموه من البخل بل هو جار على سبيل الكمال فان من اعطى بيد واحدة يوصف بالجواد فكيف من اعطى باليدين ﴿قوله وتنبيها على منح الدنيا والآخرة﴾ اى تنبيها على ان يكون المراد بيد الله نعمته فانه ورد فى القرآن آيات دالة على ثبوت اليد لله تعالى ذكر اليد فى بعضها بلا عدد كما فى قوله تعالى يد الله فوق ايديهم وفى بعضها ذكر اليدين كما فى هذه الآية وفى قوله تعالى لابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدىّ وفى بعضها ذكر الايدى بلفظ الجمع كما فى قوله اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهى من المتشابهات والمؤمنون فريقان الفريق الاوّل ذهبوا الى ان القرآن لما دل على ثبوت اليد لله تعالى آمنا به على مراد الله تعالى ولم نقطع ان المراد باليد ماهو بل نفوّض معرفة المراد منها الى الله تعالى مع القطع بأن يد الله ليست عبارة عن العضو الجسمانى لقيام البراهين القاطعة على استحالة ذلك فى حقه تعالى وهذه طريقة السلف فانهم يقفون على قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله ثم يبتدئون بقوله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا والفريق الثانى وهم المتكلمون قالوا اليد تذكر فى اللغة على وجوه احدها الجارحة الجسمانية وثانيها النعمة تقول فلان له علىّ يد اشكره عليها وثالثها القوّة قال الله تعالى اولى الايدى والابصار فسروه بذوى القوّة والعقول ورابعها الملك يقال هذا الامر فى يد فلان اى فى ملكه قال الله تعالى بيده عقدة النكاح اى يملك ذلك وخامسها العناية والاختصاص قال الله تعالى لما خلقت بيدىّ والمراد تخصيص آدم عليه السلام بهذا التشريف فانه تعالى هو الخالق لجميع المخلوقات الا انه خلق آدم على الوجه الخارق لعادة الله تعالى دلالة على كمال قدرته وحكمته ثم قالوا اليد فى حقه تعالى يمتنع ان تكون عبارة عن العضو الجسمانى فيقطع بأن ليس المراد به ذلك بخلاف المعانى الباقية فأن كل واحد منها يصح ان يراد بلفظ اليد فى حقه تعالى على حسب اقتضاء المقام ومناسبته ﴿قوله ولا يجوز جعله﴾ اى لا يجوز جعل قوله تعالى ينفق كيف يشاء حالا من الهاء فى يداه لوجهين احدهما انه فصل بينه وبين الهاء بقوله مبسوطتان وثانيهما ان الهاء مضاف اليه ولا ينصب الحال من المضاف اليه ويرد على الاوّل ان توسط الخبر بين الحال وذى الحال لا يمنع ان يكون ما بعد الخبر حالا مما قبله كما فى قوله تعالى هذا بعلى شيخا اذا قلنا ان شيخا حال من اسم الاشارة وقد توسط الخبر بينهما وعلى الثانى ان مجئ الحال من المضاف اليه جائز بل واقع كما فى قوله تعالى ملة ابراهيم حنيفا فان حنيفا حال من المضاف اليه ولا يجوز ان يكون حالا من اليدين اذ ليس فيه ضمير يعود اليهما ويرد عليه ان عدم كون الضمير مذكورا صريحا لا يمنع ان يكون حالا منهما لجواز ان يكون مقدرا ويكون تقدير الكلام ينفق بهما كيف يشاء نعم مجئ الحال من المبتدأ مختلف فيه بين العلماء والمشهور عدم جوازه ﴿قوله ولا من ضميرهما﴾ اى لا يجوز جعله حالا من الضمير المستكنّ فى قوله مبسوطتان لعدم ما يعود اليه فيه ويرد عليه ايضا ان العائد وان لم يكن مذكورا صريحا لكن جاز تقديره اى ينفق بهما غاية ما فى الباب ان يكون حذف العائد فى مثله قليلا والمصنف لما لم يجوّز هذه الاحتمالات ظهر ان المختار عنده ان يكون قوله ينفق كيف يشاء جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ﴿قوله واشرك فيه الآخرون﴾ جواب عما يرد من ان قائل تلك المقالة الحمقاء هو فنحاص وهو ان تلك المقالة اذا كان قائلها فنحاص اليهودى كيف يصح قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة باسنادها الى اليهود جميعا ونظيره قوله تعالى فعقروا الناقة اسند عقرها الى الجميع مع ان العاقر واحد منهم لكون الآخرين راضين بفعله ﴿قوله تعالى كثيرا﴾ مفعول اوّل ليزيدنّ وما فى قوله ما انزل موصولة اسمية فى محل الرفع على انه فاعل قوله ليزيدنّ وقوله منهم صفة لكثيرا فتتعلق بمحذوف وقوله طغيانا وكفرا مفعول ثان ليزيدنّ ثم انه تعالى لما بالغ فى وصفهم بالتمرّد والعناد حيث قال ان ما انزل اليك هدى للناس وبينات يزيدهم كفرا بنبوّتك مع كون ما انزل اليك من اوضح الدلائل وقد عادوك عليها لاجل الحسد وحب الجاه والمال وترجيح الحظوظ العاجلة الفانية على السعادات الآجلة الباقية بين انه تعالى فرّق شملهم وحرّم عليهم سعادة الدنيا ايضا بأن جعلهم طوائف مختلفة لا تتفق كلمتهم ولا يقع بينهم تعاضد وتوافق كلما ارادوا محاربة عدوّ غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من

(بل يداه مبسوطتان) ثنى اليد مبالغة فى الردّ ونفى البخل عنه تعالى واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخىّ من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام (ينفق كيف يشاء) تأكيد لذلك اى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق فى ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت فى فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله (وليزيدنّ كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا مما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم

(كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله) كلما ارادوا حرب الرسول صلى الله عليه وسلم واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا (ويسعون في الارض فسادا) اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم (والله لا يحب المفسدين) فلا يجازيهم الا شرا (ولو ان اهل الكتاب آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم بما جاء به (واتقوا) ما عددنا من معاصيهم ونحوه (لكفرنا عنهم سيئاتهم) التي عملوها ولم نؤاخذهم بها (ولأدخلناهم جنات النعيم) وجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ماقبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة مالم يسلم (ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل) باذاعة ما فيهما من نعت محمد عليه الصلاة والسلام والقيام باحكامهما (وما انزل اليهم من ربهم) يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن (لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) لوسع عليهم ارزاقهم بأن يفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين (منهم امة مقتصدة) عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته (وكثير منهم ساء ما يعملون) اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه او الافراط في العداوة (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك) جميع ما انزل اليك غير مراقب احد ولا خائف مكروها (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما امرتك (فما بلغت رسالته) فما اديت شيأ منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكأنك ما بلغت شيأ منها كقوله فكأنما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء (والله يعصمك من الناس) عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فأوحى الله تعالى الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه (قل يا اهل الكتاب لستم على شيء) اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيأ لانه باطل (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم) ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان بمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين) فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم

الله فقال والقينا بينهم العداوة والبغضاء الآية قيل العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض وقد يبغض من ليس بعدو ﴿قوله فسلط عليهم المجوس﴾ حتى اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس اي كانوا اذلاء بحيث كان المجوس مسلطين عليهم حاكمين فيهم ثم انه تعالى لما بالغ في ذم اهل الكتاب وتهجين طريقهم بين انهم لو آمنوا بسيد المرسلين واتقوا المعاصي باجتناب المنكرات وملازمة الطاعات لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم اي لظفروا بسعادة الآخرة فان سعادتها منحصرة في نوعين احدهما النجاة من العذاب وهو المراد بقوله لكفرنا عنهم سيئاتهم والثاني الظفر بالمسرات وهو المراد بقوله ولادخلناهم جنات النعيم اي لظفروا * فان قيل علق الظفر بسعادة الآخرة في هذه الآية على مجموع الايمان والتقوى وقد اتفقت الامة على ان الايمان وحده يجب ماقبله حتى ان من آمن ومات عقيبه يكفر عنه سيئاته الماضية فلا يؤاخذ بشيء منها ويدخل الجنة مع المؤمنين فما وجه الجمع بين هذه الآية واجماع الامة * اجيب عنه بأن الميت المذكور وان مات عقيب الايمان فهو جامع بين الايمان والتقوى حيث اتقى المعاصي واتى بما وجب عليه من الطاعات التي ادرك وقتها فان الايمان المكفر هو الايمان الذي يباشره المكلف لغرض التقوى والطاعة لا لغرض آخر من الاغراض العاجلة كايمان المنافقين والمصنف اشار الى هذا الجواب بقوله وان الاسلام يجب ماقبله بدل قوله والايمان يجب فانه يدل على ان الايمان المنجي هو الايمان المقرون بالتقوى والاستسلام لاحكام الشريعة * روي عن الحسن البصري انه اجتمع مع الفرزدق في جنازة فقال له الحسن ما اعددت لهذا المقام قال شهادة ان لا اله الا الله منذ كذا كذا سنة واشعر ان الايمان المجرد عن التقوى يؤدي الى الظفر بسعادة الآخرة فقال الحسن هذا العمود واين الاطناب شبه الاسلام بالخيمة المضروبة وجعل عمودها كلمة الشهادة التي هي اصل الدين وشبه اجتناب المعاصي والمواظبة على الطاعة بالاطناب وكما ان الخيمة لا ينتفع بها بمجرد عمودها بدون الاطناب فكذا الاقرار باللسان لا ينجي بدون التقوى والطاعة فان تركها معصية تورث قساوة القلب وتؤدي الى زوال اصل الايمان ﴿قوله او يكثر ثمرة الاشجار﴾ فانهم يبتدئون اكل ثمار الاشجار من فوقهم كما يبتدئون اكل غلة الزروع من تحتهم ويحتمل ان يكون المأكول من الجانبين ثمار الاشجار يأكلون ما عليها من فوقهم وما تساقط منها على ارض من تحتهم واليانعة النضيجة يقال اينع الثمر اذا نضج ﴿قوله لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان الصلاة﴾ قيل عليه قياس عدم تبليغ بعض المنزل بترك بعض اركان الصلاة محل بحث لان الصلاة عبادة واحدة اعتبرها الشارع امرا واحدا مركبا من امور مخصوصة فيلزم من انتفاء ركن واحد من الاركان انتفاء الكل وليس الامر كذلك في جملة التبليغات اذ ليس لها وحدة في اعتبار الشارع حتى يقال انتفاء الجزء يستلزم انتفاء الكل ويكون كتمان بعضها تضييعا لما ادى منها فلم يكن اداؤه مؤديا الى امتثال امره والظاهر ان السؤال ساقط والقياس صحيح لان المكلف باداء الصلاة مأمور بتحصيل صورة الصلاة وهي لا تحصل الا باداء جميع اركانها فاذا ترك ركنا من اركانها لم يكن اداء الاركان الباقية معتبرا حيث لم يكن اداؤها مؤديا الى حصول صورة الصلاة فكذا المكلف بتبليغ الرسالة مأمور بتبليغ جميع المرسل به وان لم يبلغ شيأ منه لا يكون ممتثلا لأمر المرسل فلا يعتبر تبليغ الباقي حيث لم يحصل به الامتثال لامر المرسل فيكون المأمور بالتبليغ بترك شيء من التبليغات بمنزلة من لم يبلغ شيأ اصلا من حيث انه خالف امر المرسل وبهذا التوجيه سقط ما يتوهم من اتحاد الشرط والجزاء في قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته فانه في قوة ان يقال فان لم تفعل لم تفعل او وان لم تبلغ لم تبلغ وذلك لان تقدير الكلام فان لم تبلغ جميعه فما اديت رسالته ﴿قوله عدة وضمان من الله بعصمة روحه﴾ اشارة الى وجه الجمع بين هذه الآية وبين ما روي انه عليه الصلاة والسلام قد شج وجهه وكسرت رباعيته يوم احد واطعم شاة مسمومة واوذي من جهة الناس بضروب من الاذى فلما قيل المراد بعصمته عصمته من القتل بايدي الناس ومما يمنعه من القيام بمقتضى الرسالة حصل التوفيق بينهما وفيه تنبيه على انه عليه الصلاة والسلام يجب ان يتحمل في تبليغ الرسالة من انواع البلايا اشد من تكليف سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل في وجه التوفيق ان هذه الآية نزلت بعدما شج رأسه يوم احد لان سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن ﴿قوله عليه الصلاة والسلام فضقت بها ذرعا﴾ يقال ضقت بالامر ذرعا اذا لم تطقه ولم تقو عليه واصل الذرع انما هو بسط اليد فكأنك تريد ان تقول مددت اليه يدي فلم تنله ﴿قوله كان عليه الصلاة والسلام يحرس﴾ اي يحرسه حارس ويقوم بحفظه ممن يقصده بسوء * روي انه عليه الصلاة والسلام كان يحرسه

(سعد)

سعد وحذيفة حتى نزلت هذه الآية ﴿ **قوله** والصابئون رفع ﴾ اتفقوا على ان والصابئون مرفوع بالواو والنون وهو كذلك فى مصاحف الامصار والظاهر ان يقال والصابئين بالنصب عطفا على اسم انّ وهى قرآءة ابىّ ابن كعب وابن مسعود وابن كثير ووجه قرآءة الجمهور كونه مرفوعا على الابتدآء فيكون خبره محذوفا لدلالة خبر انّ عليه وهو قوله من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون فتكون الجملة المتوسطة بين اسم ان وخبرها متأخرة فى النية عما فى حيز انّ لانها لو لم تكن متأخرة فى النية لزم الفصل بين اسم ان وخبرها بالاجنبىّ لان الجملة المعطوفة اجنبية بالنسبة الى اجزآء الجملة المعطوفة عليها فحقها ان يؤتى بها بعد تمام الجملة المعطوفة فكأنه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله اليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والصابئون كذلك وجلة والصابئون كذلك معطوفة على جلة قوله ان الذين آمنوا الخ ولم يعطف الصابئون على من قبلهم بل جعل مع الخبر المحذوف جلة مستقلة اتى بها فى خلال الجملة الاولى على نية التأخير للدلالة على ان الصابئين مع كونهم اشدّ الفرق المذكورة ضلالا اذا قبلت توبتهم وكفرت ذنوبهم على تقدير الايمان الصحيح والعمل الصالح فقبول توبة باقى الفرق اولى واحرى والعطف على محل اسم ان لا يفيد هذا المعنى واورد البيتين نظير الآية من حيث ان المذكور بعد اسم ان فى كل واحد منهما مرفوع على الابتدآء وخبره محذوف والجملة توسطت بين اسم انّ وخبرها على نية التأخير وتقدير البيت الاوّل * ومن يك امسى بالمدينة رحله * فانه بها لغريب وقيار بها كذلك ولا وجه لان يجعل قوله لغريب خبر قيار ويكون المحذوف خبر انّ لانه يلزم من ذلك دخول لام الابتدآء فى خبر المبتدأ بغير ضرورة وهو قليل لايقع الا فى ضرورة الشعر وتقدير البيت الثانى والا فاعلموا انا بغاة مابقينا فى شقاق وانتم كذلك اى يبغى بعضنا على بعض ولا ترتفع الخصومة بيننا مابقينا فى شقاق ﴿ **قوله** وهو كاعتراض ﴾ اى هذا المرفوع اجزآء جلة انّ جار مجرى الاعتراض من حيث انه جملة مذكورة فى اثناء الكلام لقصد التأكيد اما فى الآية فلأن قبول التوبة للصابئ وهو متوغل فى الضلال يؤكد قبول التوبة من غير المتوغل فيه واما فى البيت الاوّل فلان تأثير الغربة فى فرس الشاعر المسمى بقيار وهو بهيمة يؤكد تأثيرها فى نفس الشاعر وهو آدمىّ عاقل واما فى البيت الثانى فلأن الجملة المعترضة قد يؤتى بها لتأكيد اصل الكلام الذى وقع الاعتراض فى اثنائه كما فى الآية والبيت الاوّل وقد يؤتى بها لتأكيد مضمون نفسها والبيت الثانى من قبيل الثانى فانه اتى فيه بما جرى مجرى الاعتراض قبل مجيئ خبر الجملة الاولى تنبيها على ان المخاطبين اوغل وأشدّ بغيا بالنسبة الى قوم الشاعر حيث عاجل بذكر بغى المخاطبين قبل الحكم ببغى قومه حذرا من الحكم ببغى قومه قبل الحكم ببغى المخاطبين مع كونهم اوغل فى البغى واشدّ بالنسبة الى قومه وانما قال وهو كاعتراض ولم يجعله اعتراضا حقيقة لكونه مصدرا بحرف العطف وماهو اعتراض حقيقة لايعطف على ماقبله الا انه قدّم على موضعه مع بقائه على حقيقة العطف ليفيد مايفيده الاعتراض ﴿ **قوله** ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ﴾ اى مرفوعا معطوفا على قوله والصابئون ويكون جلة من آمن بالله الخ خبرا للصابئين وما عطف عليه ويكون خبر انّ محذوفا لدلالة مابعده عليه كما فى قوله

* نحن بما عندنا وانت بما * عندك راض والرأى مختلف *

فان قوله راض خبر انت ولو كان خبر نحن لقيل راضون وخبر نحن محذوف لدلالة خبر انت عليه والتقدير نحن بما عندنا رضوان كما انت راض بما عندك واختار المصنف الاحتمال الاوّل وهو ان يكون والنصارى معطوفا على اسم ان ويكون جلة من آمن بالله خبر انّ ويكون خبر المبتدأ محذوفا لدلالة خبر انّ عليه لوجهين الاوّل ان الكلام سيق لبيان حال اهل الكتاب لان الآيات السابقة واللاحقة نازلة فى حقهم وهو يقتضى ان يكون الخبر المذكور لهم لا لقوله والصابئون ولهذا جعل النصارى عطفا على الذين هادوا لا على الصابئين والثانى ان تقديم ماهو فى نية التأخير فيه فائدة وهى الاهتمام ببيان ان الصابئين مع توغلهم فى الضلال تقبل توبتهم حتى يعلم انه تعالى يقبل توبة جميع من تاب من ذنبه اىّ ذنب كان ﴿ **قوله** ولايجوز عطفه على محل ان واسمها ﴾ لم يقل على محل اسم انّ كما وقع فى عبارة بعض المعربين لان اسم انّ وحده منصوب بأن ليس له فى هذا التركيب محل من الاعراب البتّة غايته انه كان قبل دخول العامل مرفوعا بالابتدآء فلذلك اتفق اكثر المعربين على ان قالوا فى هذا المقام معطوف على محل

(ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) سبق تفسيره فى سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية فيه التأخير عما فى حيز انّ والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله

فانى وقيار بها لغريب * وقوله * والا فاعلموا انا وانتم * بغاة مابقينا فى شقاق * اى فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر انّ مقدر دل عليه مابعده كقوله

نحن بما عندنا وانت بما * عند راض والرأى مختلف * ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا

وقيل انّ بمعنى نعم و مابعدها فى موضع الرفع بالابتدآء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كاجوّز بالياء جوّز بالواو (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) فى محل الرفع بالابتدآء وخبره (فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) والجملة خبر انّ او خبر المبتدأ كامرّ والراجع محذوف اي من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وماعطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة ألفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولاعقلا (لقد اخذنا ميثاق بنى اسرآئيل وارسلنا اليهم رسلا) ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم (كلما جاءهم رسول بمالاتهوى انفسهم) بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسلا منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جيئ بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الآى (وحسبوا ان لاتكون فتنة) اى وحسب بنوا اسرآئيل ان لايصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب ان لاتكون بالرفع على ان أن هى المخففة من الثقيلة واصله أنه لاتكون فتنة فخففت انّ وحذف ضمير الشأن وادخال فعل الحسبان عليها وهى للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم

ان واسمها فكأنهم جعلوا الحرف مع اسمه جميعا بمنزلة اسم مفرد هو المبتدأ فجعلوا له محلا من الاعراب يعنى قوله تعالى والصابئون مرفوع على الابتدآء لانه لايجوز ارتفاعه بالعطف على محل ان واسمها والعامل فى محلهما هو الابتدآء لانه وجب ان يكون الابتدآء هو العامل فى الخبر ايضا فلو رفعت قوله والصابئون بالابتدآء وقد رفعت الخبر بأن لرفعته بعاملين مختلفين وهو لايجوز ولايجوز ايضا عطفه على الضمير المرفوع المستتر فى هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يستلزم كون الصابئين هودا لكونهم معطوفين على فاعل هادوا والمعطوف على الفاعل فاعل فى المعنى فكأنه قيل والذين هادوا والصابئون ومن المعلوم ان الصابئين خارجون عن الاديان كلها **قوله** وقيل انّ بمعنى نعم اى ليست من العوامل بل هى حرف جواب كنعم فيكون مابعدها مرفوعا على الابتدآء وما بعد المبتدأ مرفوعا بالعطف على المبتدأ وقوله من آمن بالله خبر الجميع فلايلزم توارد العاملين على معمول واحد ولم يرض المصنف بهذا التوجيه لان كلمة انّ بمعنى نعم قول مرجوح قال به بعض النحويين وجعل من ذلك قوله تعالى انّ هذان لساحران وجعل منه ايضا قول عبدالله بن الزبير انّ وصاحبها جوابا لمن قال لعن الله ناقة حملتنى اليك اى نعم وصاحبها واجيب بأن اسم انّ وخبرها محذوفان فى قول ابن الزبير فلما حذف اسم ان بقى ماعطف عليه دليلا عليه والتقدير انها وصاحبها ملعونان ولو سلم كونها بمعنى نعم فى الجملة فلانسلم صحة ذلك ههنا لانها لم يتقدمها شئ تكون انّ جوابا له ونعم لاتقع ابتدآء كلام وانما تقع جوابا لسؤال مقدم تصديقا له **قوله** وقيل الصابئون منصوب بالفتحة اى عطفا على اسم ان وعلامته النصب للنون وهو معرب بالحركة كالزيتون وقال ابو البقاء فان قيل انما اجاز ذلك ابو على مع الياء لامع الواو واجيب بأن غيره قد اجاز ذلك مطلقا اى سوآء كان بالياء او بالواو **قوله** او خبر المبتدأ كامرّ اى ويحتمل ان تكون الجملة خبر المبتدأ مع ماعطف عليه وهو قوله والنصارى كامرّ فى قوله ومن آمن خبرهما **قوله** او النصب على البدل اى او هو فى محل النصب على البدلية فعلى هذا يكون قوله فلاخوف خبر انّ لاخبر المبتدأ وعلى التقديرين اى سوآء كان من آمن مرفوعا على الابتدآء او منصوبا على البدلية يكون العائد من هذه الجملة على من محذوفا **قوله** وقرئ والصابئين اى بالياء والنون بدل قرآءة الجمهور بالواو والنون ووجهها ظاهر وهو العطف على اسم ان وان كانت مخالفة لرسم المصحف وقرئ والصابيون بياء خالصة بعد الباء المكسورة بقلب الهمزة ياء **قوله** جواب الشرط جعل كلما من أدوات الشرط وجعل قوله كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسول بحذف العائد منها الى الموصوف وجعل قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط ولم يلتفت الى ماذكره صاحب الكشاف من انه لايصلح ان يكون جوابا لهذا الشرط لان الرسول الواحد لايكون فريقين ولان المقام ليس يستدعى تقدم مفعولى الفعلين لان المقصود تقبيح حال بنى اسرآئيل من حيث فعلا التكذيب والقتل منهم لامن حيث تعلق الفعلين بالمفعول فيكون تقديم المفعول خاليا عن الفائدة كما فى قولك ان اكرمت اخى اخاك اكرمت ووجه عدم التفاته الى الاول ان لفظ رسول وان دل على الوحدة الا ان قوله كلما جاءهم يدل على الكثرة فجاز جعله فريقين ولم يلتفت الى الثانى ايضا لكون قوله فيكون تقديم المفعول خاليا عن الفائدة ممنوعا لجواز ان يكون تقديمه للاهتمام ببيان كون كل واحد ممن كذبوه وممن قتلوه من الرسل فريقا وجماعة متكثرة منهم ليس بواحد ولا اثنين **قوله** وقيل الجواب محذوف ذهب صاحب الكشاف الى ان جواب الشرط محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه اى عادوه وحاربوه وقوله فريقا كذبوا الخ كلام مستأنف وقع جوابا لمن قال كيف فعلوا برسلهم وكيف ناصبوهم ولعل المصنف لم يرض به بناء على ان توجيه الكلام بارتكاب الحذف لايصار اليه من غير ضرورة ولاضرورة تدعو اليه فى الآية لما ذكره من الوجه الصحيح وهذه الآية متعلقة باول السورة وهو قوله تعالى ياايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود ولما اوجب على المؤمنين الوفاء بالعهد وفصل العهود الى ههنا شرع الآن فى معايب بنى اسرآئيل وشدة تمردهم على الوفاء بعهدالله تعالى فقال لقد اخذنا ميثاق بنى اسرآئيل الآية **قوله** وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب ان لاتكون بالرفع اى برفع النون والباقون بنصبها فمن رفعها جعل كلمة ان مخففة من الثقيلة وجعل اسمها ضمير الشأن المحذوف والتقدير وحسبوا انه لاتكون فتنة على ان كلمة لا نافية وتكون تامة وفتنة فاعلها والجملة الفعلية المنفية خبر انّ ومفسرة لضمير الشأن فعلى هذا يكون الحسبان بمعنى العلم واليقين لا الظن والطمع لانّ ان المخففة من الثقيلة لكونها للتأكيد والتحقيق كالثقيلة لاتقع الا بعد فعل يدل على

التحقيق والثبات نحو العلم واليقين والتبيين كما ان أن الناصبة للفعل المضارع لاتقع الا بعد افعال الشك والتردد واما الافعال التي تحتمل الشك واليقين فانه يجوز ان تقع بعدها ان الناصبة دون المخففة من الثقيلة ويرفع مابعدها وان جعلت للشك تجعل ناصبة وينصب مابعدها والآية الكريمة من هذا الباب فمن رفع الفعل بعدها جعل فعل الحسبان لليقين لكون القوم جازمين بانهم لايقعون بسبب ذلك التكذيب والقتل في الفتنة والعذاب ومن جعل فعل الحسبان على ظاهره وقال ان القوم كانوا يكذبون ويقتلون خوفا من زوال الجاه وتفرق الاتباع وكانوا يعتقدون ان مافعلوه من التكذيب والقتل خطأ ومعصية فلا يأمنون من ان تصيبهم فتنة بسبب ذلك لكنهم يظنون انه يندفع عنهم مااستحقوا من العذاب بسبب شرف اسلافهم ﴿قوله وان او ان بما في حيزها﴾ يعني ان ان الناصبة او ان المخففة بما في حيزها جملة قامت مقام مفعولي حسبوا اي حسبوا الفتنة غير نازلة بهم عند جمهور البصريين وقال ابو الحسن قائمة مقام المفعول الاول والمفعول الثاني محذوف والتقدير حسبوا عدم الفتنة كائنا او حاصلا ﴿قوله فعموا عن الدين﴾ عطفه بالفاء على حسبوا للدلالة على ان الحسبان المؤدي الى تكذيب الرسل وقتلهم كان سببا قريبا لرين قلوبهم وعدم ابصارهم الحق وقبح ماصنعوا وعدم استماع المواعظ والزواجر عما ارتكبوه من المعاصي عبر عن جهلهم بالحق وكفرهم به بالعمى والصمم لكونه ابلغ في الدلالة على بعدهم من الحق وعدم قبولهم اياه بوجه تما ﴿قوله تعالى ثم عموا وصموا﴾ دل على ان عماهم عن الحق وعدم ابصارهم اياه وصممهم عن استماع الزواجر عما فعلوه صدر عنهم مرة بعد اخرى الا انه تعالى ابهم كيفية ذلك وبيان تينك المرتين فاللائق بالمكلف ان يتكلم بما يتعلق به ويبهم ماابهم الله تعالى الا ان قوله كما فعلوا حين عبدوا العجل يدل على ان المعنى انهم عموا وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عنه فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم بالتعنت حيث طلبوا رؤية الله جهرة واعتدوا في السبت والله اعلم والظاهر ان المراد بالعمى والصمم المعطوفين على الاولين بكلمة ثم عماهم وصممهم عما جاء به سيد المرسلين وقوله وقرئ بالضم فيهما اي قرئ بضم العين والصاد في عموا وصموا وتشديد الميم في عموا على ان يكون عم وصم الثلاثيان متعديين نحو عميته وصممته بمعنى رميته وضربته بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وهو رمح قصير والجمع النيازك وكما يقال ركبته اذا ضربته بركبتك فكذا يقال عماه الله وصمه اي ضربه بالعمى والصمم الا انه لغة قليلة واللغة الشائعة ان يكون عمي وصم الثلاثيان لازمين واذا عديتهما ادخلت عليهما همزة التعدية فيقال اعماه واصمه ﴿قوله يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم﴾ اشارة الى ان قوله حرم استعارة تبعية للمنع لان التحليل والتحريم انما يتعلق بافعال العباد وماهو في وسعهم ونفس الجنة ودخولها ليس في وسع العبد حتى يتعلق به حقيقة التحريم ﴿قوله ومافي الوجود﴾ اشارة الى ان من آله مبتدأ خبره محذوف وهو في الوجود والا اله بدل من محل اله المجرور بمن الاستغراقية لان محله رفع بالابتداء ومن زائدة في المبتدأ لوجود الشرطين وهما كون الكلام غير موجب وتنكير ماجرته والتقدير وما اله في الوجود الا اله بالوحدانية ﴿قوله اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر﴾ على ان تكون كلمة من للتبعيض فيكون التعريف في قوله الذين كفروا للعهد والمعهود الحصة الباقية على الكفر من طائفة النصارى احترازا عمن تاب منهم عن النصرانية ﴿قوله او ليمسن الذين كفروا من النصارى﴾ على ان تكون من للبيان كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان ووضع الذين كفروا مقام المضمر ثم فسر هذا المظهر بقوله منهم لان من للبيان تنبيها على انهم بلغوا في الكفر الى حيث صاروا مشاهير في الكفر حتى امكن ان يعرف اهل الكفر بهم وعلى كل تقدير فقوله منهم في موضع الحال اما من الذين او من ضمير الفاعل في كفروا وقوله تعالى ليمسن جواب قسم محذوف وجواب الشرط محذوف لدلالة هذا عليه والتقدير والله ان لم ينتهوا ليمسن وقد تقرر ان الشرط والقسم متى اجتمعا اجيب سابقهما وههنا لما اجيب القسم دل على انه مقدم في التقدير لانه لو قدر مؤخرا عن الشرط لاجيب الشرط دون القسم ﴿قوله تكريرا للشهادة على كفرهم﴾ شهد عليه اولا بقوله لقد كفر الذين قالوا الآية وهذا على ان يكون كلمة من للبيان وقوله وتنبيها على ان تكون للتبعيض أخره ليفرع عليه قوله فلذلك اي وللتنبيه المذكور والهمزة في قوله تعالى أفلا يتوبون الى الله فيها تعجيب على اصرارهم وتحضيض على التوبة والظاهر ان الفاء ههنا لاتستدعي تقديم المعطوف على المعطوف عليه بل هي عاطفة على ماسبق من تقرير كفرهم والتهديد عليه كما اشار اليه المصنف بقوله بعد هذا التقرير والتهديد فان هذا المعنى مستفاد من الفاء العاطفة الدالة على التعقيب وتخللت الهمزة بين المعطوف والمعطوف

واللغة الفاشية أعمى وأصم (كثير منهم) بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف اي العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم وفق اعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم (انه من يشرك بالله) اي في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال (فقد حرم الله عليه الجنة) يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين (ومأواه النار) فانها المعدة للمشركين (وما للظالمين من انصار) اي ومالهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى عليه السلام وان يكون من كلام الله تعالى نبه به على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فاظنك بغيره (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) اي احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وماسبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد (وما من اله الا اله واحد) ومافي الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشرك ومن مزيدة للاستغراق (وان لم ينتهوا عما يقولون) وان لم يوحدوا (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه فلذلك عقبه بقوله (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) اي أفلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد (والله غفور رحيم) يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم

وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب (وامه صديقة) كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء (كانا يأكلان الطعام) ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما ألوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما فى مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافى الربوبية ويقتضى ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعى الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) يعنى

ان عيسى وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع (والله هو السميع العليم) بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر (قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق) اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة (ولا تتبعوا اهوآء قوم قد ضلوا من قبل) يعنى اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فى شريعتهم (وأضلوا كثيرا) شايعهم على بدعهم وضلالهم (وضلوا عن سوآء السبيل) عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع (لعن الذين كفروا من بنى اسرآئيل على لسان داود وعيسى بن مريم) اى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم داود فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم واعتدآئهم ما حرم عليهم (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له اولا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع (لبئس ما كانوا يفعلون) تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم (ترى كثيرا منهم) من اهل الكتاب (يتولون الذين كفروا) يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين (لبئس ما قدمت لهم انفسهم) اى لبئس شيأ قدموا ليردوا عليه يوم القيامة (أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون) هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود فى العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيأ ذلك لانه كسبهم السخط والخلود (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى) يعنى نبيهم وان كانت الآية فى المنافقين فالمراد نبينا عليه السلام (وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء) اذ الايمان يمنع ذلك (ولكن كثيرا منهم فاسقون) خارجون عن دينهم او مستمرون فى نفاقهم (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم فى اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم (ولتجدن اقربهم مودة للذين ... (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون)

(قوله) عليه لقصد التعجيب ﴿قوله يلازمن الصدق﴾ اى صدق الافعال والاقوال فى المعاملة مع الخلق وصدق الافعال والاقوال فى المعاملة مع الخالق لا يصدر منهن ما يكذب دعوى العبودية والطاعة فان من كان مجتهدا فى اقامة وظائف العبودية وملازمة الانابة والطاعة يسمى صديقا ﴿قوله وانما قال ما﴾ اى قال ما فى حق من يعقل مع ان اصله ان يطلق على غير العاقل نظرا الى ما هو عليه فى ذاته فانه عليه الصلاة والسلام فى اول احواله لا يوصف بعقل ولا بشئ من الفضائل فكيف يكون آلها ﴿قوله توطية﴾ علة للنظر الى ما هو عليه فى ذاته وقوله وتنبيها عطف عليه اى تنبيها على انه من جنس ما لا يعقل فتكون حقيقة ما لا يعقل حقيقة مشتركة بين عيسى وغيره وانه عليه الصلاة والسلام واحد من آحاد تلك الحقيقة ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية لان من كان له حقيقة يشارك بها غيره لابد ان يكون له ما يتميز به عن غيره فيتركب عما به الاشتراك وما به الامتياز والتركيب ينافى الالوهية لما ذكر ما تخيل كل واحد من اليهود والنصارى على حدة وذكر بطلانه وفساده خاطب بمجموع الفريقين بقوله يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم اى لا تتجاوزوا الحد والغلو نقيض التقصير ﴿قوله غلوا باطلا﴾ اشارة الى ان قوله غير الحق نعت لمصدر محذوف اى لا تغلوا فى دينكم غلوا غير الحق اى غلوا باطلا ويحتمل ان يكون حالا من دينكم اى لا تغلوا فيه وهو مغاير للحق ﴿قوله وقيل الخطاب للنصارى خاصة﴾ عطف من حيث المعنى ﴿قوله اى لا ينهى بعضهم بعضا﴾ على ان يكون التناهى تفاعلا من النهى وقوله او لا ينتهون على ان يكون بمعنى الانتهاء يقال انتهى عن الامر وتناهى عن الامر اذا امتنع عنه وكف * ولما ورد ان يقال ما معنى وصف المنكر بقوله فعلوه ولا يكون النهى بعد الفعل * اجاب عنه بثلاثة اوجه والكل ظاهر ﴿قوله اى لبئس شيأ﴾ على ان ما نكرة تميز لفاعل بئس وقدمت لهم صفتها وان سخط الله هو المخصوص بالذم بتقدير المضاف اى موجب سخط الله لان نفس السخط المضاف الى البارى عز وجل لا يقال له انه المخصوص بالذم انما المخصوص بالذم هو الاسباب الموجبة له ﴿قوله او علة الذم﴾ يعنى ان هناك لام العلة مقدرة وتلك اللام متعلقة بجملة الذم والمعنى ان ما قدمت لهم انفسهم مذموم لسخط الله تعالى اياهم بذلك وكونه سببا له وكاسبالهم اياه والمخصوص بالذم حينئذ محذوف اى بئس شيأ قدموه عملهم او صنعهم ويحتمل ان يكون ان سخط الله فى محل الرفع على انه بدل من المخصوص بالذم المحذوف على ان تكون كلمة ما اسما تاما بنفسه مستغنيا عن الصلة والصفة ويكون معرفة مرفوع المحل على انه فاعل فعل الذم والمخصوص بالذم محذوف وقدمت لهم انفسهم جملة فى محل الرفع على انها صفة له والتقدير والله لبئس الشئ شئ قدمت لهم انفسهم وقوله ان سخط الله عليهم بدل من الشئ المحذوف وهذا مذهب سيبويه فى مثله وتعليل كون النصارى اقرب مودة للذين آمنوا بقلة حرصهم على الدنيا يدل على ان كون اليهود والمشركين اشد عداوة لهم انما هو لشدة حرصهم على الدنيا قال الله تعالى فى حق اليهود ولتجدنهم احرص الناس على حياة والمشركون المنكرون للمعاد قريب من اليهود فى الحرص الذى هو معدن الاخلاق الذميمة فان من كان حريصا على الدنيا طرح دينه فى طلب الدنيا واقدم على كل محظور ومنكر بسبب طلب الدنيا فلا جرم تشتد عداوته مع كل من نال جاها او مالا واما النصارى فانهم فى اكثر الامر معرضون عن الدنيا مقبلون على العبادة وترك طلب الرياسة والتكبر والترفع وكل من كان كذلك فانه لا يحسد الناس ولا يؤذيهم بل يكون لين العريكة فى طلب الحق سهل الانقياد له فهذا هو مدار الفرق بين الفريقين وهو المراد بقوله تعالى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ومن المعلوم ان كفر النصارى اغلظ من كفر اليهود ومع ذلك لما لم يشتد حرصهم على طلب الدنيا بل كان فى قلبهم شئ من الميل الى الآخرة شرفهم الله تعالى بقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى واما اليهود فمع ان كفرهم اخف من كفر النصارى طردهم الله وخصهم بمزيد اللعنة وما ذاك الا بسبب حرصهم على الدنيا ويؤيد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام * حب الدنيا رأس كل خطيئة * وقوله تعالى وانهم لا يستكبرون معطوف على ان المجرورة بالباء فى قوله بأن منهم اى ذلك بما تقدم وبأنهم لا يستكبرون والقس تتبع الشئ وطلبه والقس ايضا رئيس من رؤساء النصارى فى الدين والعلم قال قطرب القسيس العالم بلغة الروم والرهبان جمع راهب مثل فارس وفرسان وراكب وركبان واصله من الرهبة بمعنى المخافة او من الترهب وهو التعبد مع الرهبة فى موضعه * روى عن عروة بن الزبير انه قال ضيعت النصارى الانجيل وأدخلوا فيه ما ليس منه وبقى واحد من علمائهم على الدين والحق وكان اسمه قسيسا فمن كان على دينه فهو قسيس

من الاولى للابتدآء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف اذا عرفوا كله (يقولون ربنا آمنا) بذلك او بمحمد (فاكتبنا مع الشاهدين) من الذين شهدوا بأنه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهدآء على الامم يوم القيامة (وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع فى الانخراط مع الصالحين والدخول فى مداخلهم اوجواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما فى اللام من معنى الفعل اى اى شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين اوبكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن (فأثابهم الله بما قالوا) اى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اى معتقده (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزآء المحسنين) الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان فى الامور والآيات الاربع روى انها نزلت فى النجاشى واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر ابن ابى طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فأمر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت فى ثلاثين اوسبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم فى معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب (يا ايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم) اى ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهى عن الافراط فى ذلك والاعتدآء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال (ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين) ويجوز ان يراد به ولاتعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ فى انذارهم فرقوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لايناموا على الفرش ولايأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى فنزلت (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) اى كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما رزقكم الله حالا منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان تكون مفعولا لكلوا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لولم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زآئدة (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) هو مايبدر من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعى وقيل

﴿قوله فوضع موضع الامتلاء﴾ جواب عما يقال كيف اسند الفيض والانصباب الى العين والحال ان الفائض انما هو دموع الاعين لاانفسها واجاب عنه بوجهين الاول ان المراد امتلاء اعينهم الا انه وضع الفيضان والسيلان موضع الامتلاء على طريق وضع المسبب موضع السبب للمبالغة فى السببية حتى كأن الامتلاء عين الفيضان فلذلك عبر عنه به والثانى ان اسناد الفيض الى الاعين اسناد مجازى كما فى جرى النهر وسال الميزاب للمبالغة فى وصفهم بالبكاء اى تراهم يبكون حتى يظن ان اعينهم تفيض اى تسيل بانفسها ومن الدمع متعلق بتفيض ومن لابتدآء الغاية والمعنى تفيض من كثرة الدمع والرؤية فى قوله ترى بصرية وتفيض حال من المفعول **﴿قوله من الاولى للابتدآء﴾** اى كلمة من فى قوله مما عرفوا للابتدآء متعلق بمحذوف على انه حال من الدمع اى فى حال كونه ناشئا ومبتدأ من معرفة الحق وكائن من اجله وسببه ولايجوز ان تكون متعلقة بتفيض لئلا يلزم تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد فان من فى من الدمع لابتدآء الغاية كما مر ومن فى من الحق لبيان الموصول فى قوله مما عرفوا ويحتمل ان تكون للتبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم واثر فيهم فكيف اذا عرفوا كله **﴿قوله تعالى يقولون﴾** مستأنف لامحل له اخبر الله تعالى عنهم انهم يقولون هذه المقالة الحسنة وتمام مقالتهم قوله وما لنا لانؤمن الآية على انه استفهام انكار وكلمة ما استفهامية فى محل الرفع على الابتدآء ولنا خبره اى اى شئ استقر لنا غير مؤمنين وقوله لانؤمن جملة حالية معمولة للاستقرار الذى تضمنه قوله لنا وقوله وما جاءنا فى محل الجر عطفا على الجلالة اى بالله وبما جاءنا وعلى هذا فقوله من الحق فيه احتمالان احدهما انه حال من فاعل جاءنا متعلق بمحذوف اى جاءنا فى حال كونه من جنس الحق والثانى ان تكون من لابتدآء الغاية متعلقة بجاءنا ويكون المراد بالحق البارى تعالى **﴿قوله اى عن اعتقاد﴾** جواب عما يقال ظاهر قوله بما قالوا يقتضى انهم استحقوا الثواب بمجرد القول وذلك غير ممكن لان مجرد القول لايفيد الثواب فاجاب بان المراد القول الصادر عن اعتقاد بدليل قوله مما عرفوا من الحق الا ان فى تقديره نوع تدافع لان قوله اى معتقده يشعر بان القول مجاز عن المذهب والمعتقد وان كان المقصود حاصلا على كلا التقديرين وهو بيان ان الاثابة ليست بمجرد القول **﴿قوله والاعتدآء عما حده الله بجعل الحلال حراما﴾** فسر الاعتدآء بوجهين الاول التجاوز والاعراض عن تحديد الله تعالى وتبيينه بان ينصب من عند نفسه حدا على حده بتحريم الحلال مثلا والثانى التجاوز عما احله الله تعالى الى ما حرمه كأنه قيل لما احل لكم الطيبات اكتفوا بها ولاتعتدوها الى ما حرم عليكم من الاسراف ونحوه فان الاسراف تجاوز الى الحرام كتناول المحرمات وعلى التقديرين يكون الاعتدآء بمعنى المجاوزة وقد يستعمل بمعنى الظلم ولما كان مناسبة قوله ولاتعتدوا لقوله لاتحرموا ظاهرة على التفسير الاول سكت عن التصريح بمناسبته له على التفسير الاول وصرح بها على التفسير الثانى حيث قال فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل فان تحريم الحلال وتحليل الحرام تجاوز عما حده الله وهو القصد بينهما بتحليل الحلال وتحريم الحرام **﴿قوله فرقوا﴾** اى رقت قلوبهم عند استماع كلامه عليه الصلاة والسلام • والودك دسم اللحم يقال دجاجة وديكة اى سمينة والمسوح جمع مسح وهو البلاس والجب القطع والمذاكير جمع ذكر بمعنى العضو على خلاف القياس كأنهم قصدوا الفرق بين الذكر بمعنى العضو وبين ما هو خلاف الانثى فجمعوا الاول على المذاكير والثانى على الذكور **﴿قوله اى كلوا ما احل لكم﴾** ذكر لانتصاب حلالا ثلاثة اوجه الاول ان يكون مفعول كلوا اى كلوا اشيأ حلالا وعلى هذا الوجه يكون مما رزقكم الله اما حالا من المفعول متعلقا بمحذوف وتكون من فيه تبعيضية او ظرفا لغوا لكلوا متعلقا به وتكون من فيه ابتدآئية اى ابتدئوا اكلكم الحلال من الذى رزقكم الله والثانى ان يكون مما رزقكم مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة مصدر محذوف اى اكلا حلالا وفيه تجوز لان الشائع المتبادر الى الفهم وصف المأكول دون الاكل ولما لم يسم الحرام رزقا عند المعتزلة احتج عليهم بانه لولم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زآئدة **﴿قوله تعالى واتقوا الله﴾** تأكيد للوصية بما امر به فان قوله تعالى كلوا حلالا وان كان المراد به ههنا الاباحة والتحليل الا انه انما اباح اكل الحلال فيفيد تحريم ضده فأكد التحريم المستفاد منه بقوله واتقوا الله وزاده تأكيدا بقوله الذى انتم به مؤمنون فان الايمان به يوجب التقوى بالانتهاء عما نهى عنه وعدم التجاوز عما حده **﴿قوله وفى أيمانكم صلة يؤاخذكم﴾** كان باللغو صلة له اى لايؤاخذكم فى حق ايمانكم بسبب ما كان لغوا منها بان لايتعلق بها حكم دنيوى ولا اخروى **﴿قوله او حال منه﴾** اى من اللغو فلا يتعلق بشئ منهما بل يتعلق

(ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ماعقدتم فحذف للعلم به قرأ حمزة والكسائى وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر فى رواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل (فكفارته) فكفارة نكثه اى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذى هو خير (اطعام عشرة مساكين من اوسط ماتطعمون اهليكم) من اقصده فى النوع او القدر وهو مدّ لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ماتطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها فى الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع اهل كالليالى فى جمع ليل والاراضى فى جمع ارض وقيل جمع اهلاة (اوكسوتهم) عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة فى قدوة اوكأسوتهم بمعنى اوكمثل ماتطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف فى محل الرفع وتقديره اواطعامهم كأسوتهم (اوتحرير رقبة) او اعتاق انسان وشرط الشافعى فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى أو ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف فى التعيين

بمحذوف اى كائنا فى ايمانكم ﴿قوله بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية﴾ اى بقصد اليمين ونيته يقال عقد فلان اليمين واعقده اذا اكده واحكمه قرأ حمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم عقدتم بتخفيف القاف بدون الف بين العين والقاف وابن ذكوان عن ابن عامر عاقدتم على وزن فاعلتم والباقون عقدتم بتشديد القاف فاما التخفيف فهو الاصل واما التشديد فيحتمل وجهين احدهما انه للتكثير كما فى قوله وغلقت الابواب لان المخاطب به جماعة والفعل يتكثر بكثرة الفاعل كما يتكثر بكثرة المتعلق والثانى انه بمعنى المخفف نحو قدر وقدّر ﴿قوله اى الفعلة﴾ اشارة الى ان الكفارة تأنيث الكفار وانث لتأنيث موصوفها وهى الفعلة فان التقدير الفعلة الكفارة اى الستارة لاثمه وقوله فكفارة نكثه اشارة الى ان ضمير كفارته راجع الى تعقيد الايمان بناء على ان ما فى قوله بما عقدتم مصدرية والتقدير ولكن يؤاخذكم بتعقيدكم الايمان وتذكير الضمير يمنع من رجوعه الى اليمين المدلول عليها بلفظ الايمان لان اليمين مؤنثة وارجاعه اليها لكونها بمعنى الحلف تكلف على تكلف فلابدّ من اعتبار الحذف ههنا كما اعتبر فى قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فان تقديره كما مرّ ولكن يؤاخذكم به اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف وقت المؤاخذة على الاوّل والمضاف على الثانى لان كون المحذوف مرادا معلوم عندهم لانهم اجمعوا على انه لايجب التكفير بنفس اليمين مالم يحنث فيها واختلفوا فى جوازه قبل الحنث فاجازه الامام الشافعى رحمه الله بالمال واصحابنا لم يجيزوا ذلك لا بالمال ولا بالصوم نص عليه فى التيسير ﴿قوله من اقصده﴾ اى من اقربه الى التوسط بين الاسراف والتقتير يقال قصد فى الامر واقتصد فيه اذا لم يجاوز الحدّ ورضى بالتوسط فان بعض الناس يسرف فى اطعام اهله وبعضهم يقتر فيه والمعتبر هو التوسط بينهما قيل الاوسط الخبز والخل والاعلى الخبز والعسل والادنى الخبز البحت وهو مجزئ ﴿قوله فى النوع او القدر﴾ فيطعم مابين الجيد والردئ وبين الاسراف والتقتير وبين المرّة والثلاث بأن يطعمهم مرّتين ﴿قوله ومحله النصب﴾ اى محل قوله من اوسط ماتطعمون النصب على انه صفة للمفعول الثانى المحذوف لقوله اطعام ومفعوله الاوّل عشرة وما موصولة اسمية والعائد محذوف والتقدير فكفارته ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط الذى تطعمونه اهليكم اى من فى عيالكم من الزوجة والاولاد والخدم ﴿قوله او الرفع على البدل من اطعام﴾ او على انه خبر مبتدأ محذوف لدلالة ماقبله عليه تقديره اطعامهم فتتم الجملة الاولى عند مساكين او على انه صفة اطعام اى اطعام كائن من اوسطه ﴿قوله واهلون كارضون﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان الاهل اسم والاسم لايجمع جمع السلامة بالواو والنون الا عند اجتماع ثلاثة شروط وهى كونه مذكرا وعلما وعاقلا نحو زيدون والاهل ليس بعلم فكيف جمع على اهلين ﴿قوله وهو جمع اهل﴾ الظاهر انه اراد الجمع اللغوى لما ذكر صاحب الكشاف من ان الاهالى اسم جمع لاهل كالليالى فى جمع ليل والاراضى فى جمع ارض وهو اسم جمع فى المعنى وليس جمعا صناعيا اصطلاحيا ﴿قوله اوكاسوتهم﴾ وقرئ اوكأسوتهم بحرف الجر الداخل على لفظ اسوة والكاف فى قوله بمعنى او كمثل ماتطعمون زائدة يدل عليها عبارة الكشاف وهى بمعنى او مثل ماتطعمون اهليكم ولفظ المثل فيه مرفوع عطفا على محل من اوسط فانه مرفوع المحل على البدلية كما مرّ فالكاف فى هذه القرآءة بمعنى المثل والاسوة بمعنى الشئ الذى يقتدى به من طعام الاهل كالكسوة بمعنى المكسوّ به من اللباس والمعنى فكفارته من اوسط ماتطعمون اهليكم او مثل ماتطعمونهم ﴿قوله تواسون بينهم وبينهم﴾ اى تشاركون وتساوون بين اهليكم وبين المساكين ﴿قوله وتقديره او اطعامهم كاسوتهم﴾ زاد لفظ الاطعام بيانا للموصوف المثل المدلول عليه بالكاف وعلى هذه القرآءة تكون الآية ساكتة عن التعرّض للكسوة مع ان العلماء بأسرهم قد اتفقوا على انها احدى الخصال الثلاث المعتبرة فى كفارة اليمين فينبغى لصاحب هذه القرآءة ان يقول استفيدت الكسوة من السنة وهو بعيد ﴿قوله قياسا على كفارة القتل﴾ لان الله تعالى قيد الرقبة فيها بالايمان واطلقها ههنا وفى كفارة الظهار والجماع فى نهار رمضان والمطلق يحمل على المقيد كما ان الله تعالى قيد الشهادة بالعدالة فى موضع فقال وأشهدوا ذوى عدل منكم واطلق فى موضع آخر حيث قال واستشهدوا شهيدين من رجالكم لان العدالة شرط فى جميعها حملا للمطلق على المقيد كذلك ههنا وعند الحنفية يجوز اعتاق الرقبة الكافرة فى جميع الكفارات الا فى كفارة القتل ويقولون المطلق انما يحمل على المقيد اذا اتحدت الحادثة التى ورد فيها ﴿قوله ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف فى التعيين﴾ وهو المذهب المختار فى الواجب المخير فان المختار ان الواجب احد الامور لا على التعين لا ما ينسب الى بعض المعتزلة من

ن الواجب الجميع ويسقط بواحد منه وعند البعض الواجب واحد معين عندالله وهو مايفعله المكلف فيختلف
النسبة الى المكلفين وعندالبعض الواجب واحدمعين لايختلف ولكنه يسقط به وبالآخر والواجب فى كفارة اليمين
حدالامور الثلاثةعلى التخيير فأن عجز عنهاجميعا فالواجب شئ آخر وهو الصوم ومعنى الواجب المخير انه لايجب
عليه الاتيان بكل واحدمن هذه الامور الثلاثة ولايجوز له تركهاجميعا ومتى اتى بواحد منهافأنه يخرج عن العهدة
اذااجتمعت هذه القيود فذالك هو الواجب المخير ﴿قوله فمن لم يجد واحدامنها﴾ قال الامام الشافعى رحمه الله
ذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل مايطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن
عنده هذا القدر جازله الصيام وعند ابى حنيفة رحمه الله يجوز له الصيام اذا كان عنده من المال مالا يجب فيه
زكاة فيجعل من لازكاة عليه عادما واختلفوا فى وجوب التتابع فى هذا الصيام فذهب جماعة الى انه لايجب
التتابع فيه ان شاء تابع وان شاء فرّق والتتابع افضل وهو احد قولى الامام الشافعى وذهب جماعة الى وجوب
التتابع فيه قياسا على كفارة القتل والظهار وهو قول الثورى وابى حنيفة رحمه الله وعليه تدل قرآءة ابن مسعود
صيام ثلاثة ايام متتابعات ﴿قوله او بأن تبرّوا فيها﴾ والمعنى احفظوها عن الحنث ولاتحنثوا فيها مااستطعتم
لم يفت بها خير واما ان عجز عن البرّ او رأى غير المحلوف عليه خيرا له فحينئذ يجب ان يحنث ويكفر لقوله عليه الصلاة
السلام * من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت بالذى هو خير ثم ليكفر عن يمينه * والكاف فى قوله كذلك
نصوب على أنه صفة مصدر محذوف اى بين الله آياته تبيينا مثل ذلك التبيين وقيل انه حال من ضمير ذلك المصدر
﴿قوله فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج﴾ فان طريق الشكر انما هو التمسك بقواعد الشرع والعمل
بمقتضاها وذلك انما يسهل بمثل هذا التبيين ﴿قوله والازلام سبق تفسيرها﴾ الازلام سهام مكتوب على
عضها امرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى يطلبون بها علم ماقسم لهم من الخير والشرّ قال المفسرون كان اهل
الجاهلية اذا اراد احدهم سفرا او غزوا او تجارة او غير ذلك طلب علم انه خير او شرّ من الازلام وهى قداح كانت
ى الكعبة عند سدنة البيت مكتوب على بعضها امرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى وبعضها غفل لاكتابة عليه
لاعلامة فان خرج السهم الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى يجتنبون عنه وان خرج الغفل اجالها ثانيا فمعنى
لاستقسام بالازلام طلب معرفة ماقسم لهم دون مالم يقسم لهم ﴿قوله قذر﴾ يعنى الرجس هو الشئ
القبيح القذر الذى يعافه اى يكرهه وينفر عنه العقل السليم يقال رجس الرجل ورجس اذا عمل عملا قبيحا قال
لزجاج هو اسم لكل مااستقذر من الاعيان الكريهة والاعمال القبيحة وذهب الاكثرون الى ان الرجس بمعنى
النجس الا ان النجس يقال فى المستقذر طبعا والرجس اكثر مايقال فى المستقذر عقلا ولهذا قال المصنف تعاف
عنه العقول ﴿قوله وافراده﴾ حيث لم يقل ارجاس مع ان المخبر عنه جمع والاخبار عن الجمع بالمفرد غير
معقول اما لانه ليس خبرا عن الجمع بل هو خبر عن الخمر وحدها وحذف خبر المعطوفات لدلالة هذا الخبر عليه فيكون
الخبر على نية التقديم والمعطوفات مع خبرها جملة معطوفة على الجملة الاولى او هو خبر لمضاف محذوف كأنه
قيل انما تعاطى هذه الاشياء رجس ويؤيد هذا الاحتمال قوله تعالى من عمل الشيطان فأنه فى محل الرفع على
انه صفة الرجس ولولا تقدير المضاف فى المبتدأ لماصح الاخبار عنه وعما عطف عليه بأنه رجس كائن من عمل
الشيطان فان تلك الاشياء فى انفسها ليست من قبيل الاعمال وانما العمل تناولها وتعاطيها وهو شرب الخمر
القمار بالميسر وعبادة الاصنام والاستقسام بالازلام وتعاطى هذه الاشياء وان كان عمل الانسان الا انه اسند
الى الشيطان اسنادا مجازيا لكونه مزينا له وسببا حاملا له عليه ﴿قوله الضمير للرجس﴾ كأنه جواب عما
يختلج بالخاطر من ان الضمير المفرد كيف يصح ان يرجع الى ماسبق وهى امور متعددة * وتقرير الجواب انه راجع الى
الرجس الذى اخبر به عن تعاطى الامور المذكورة فكان المعنى فاجتنبوا الرجس الذى هو تعاطى تلك الامور
وهو راجع الى الامور السابقة باعتبار تأويلها بما ذكر او الى التعاطى المقدّر على انه مضاف الى الامور المذكورة
صدّرت الجملة بانما لانها تفيد قصر هذه المذكورات على صفة كونها رجسا كائنا من عمل الشيطان على
طريق قصر الموصوف على الصفة كأنه قيل ليس لها من الصفات الا كونها رجسا من عمل الشيطان ﴿قوله
وقرنهما بالاصنام﴾ فان مقارنة ذكر تعاطى الخمر والميسر بعبادة الاصنام تدل على تقاربهما فلذلك قال عليه الصلاة
والسلام * شارب الخمر كعابد الوثن * شبهه به لاشتراكهما فى ارتكاب المحرّم ﴿قوله وسماهما رجسا﴾ فانه يدل

(فمن لم يجد) واحدامنها (فصيام ثلاثة ايام)
فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة فيه
التتابع لانه قرئ "ثلاثة ايام متتابعات والشواذ
ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم
تروسنة (ذلك) اى المذكور (كفارة
ايمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا
ايمانكم) بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل
امر او بان تبرّوا فيها مااستطعتم ولم يفت
بها خير او بأن تكفروها اذا حنثتم
(كذلك) اى مثل ذلك البيان (يبين الله
لكم آياته) اعلام شرائعه (لعلكم
تشكرون) نعمة التعليم او نعمه الواجب
شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج
منه (ياايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر
والانصاب) اى الاصنام التى نصبت للعبادة
(والازلام) سبق تفسيرها فى اوّل
السورة (رجس) قذر تعاف عنه العقول
وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات
محذوف او لمضاف محذوف كأنه قال
انما تعاطى الخمر والميسر (من عمل الشيطان)
لانه مسبب عن تسويله وتزيينه (فاجتنبوه)
الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطى
(لعلكم تفلحون) لكى تفلحوا بالاجتناب
عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر
فى هذه الآية بأن صدّر الجملة بانما وقرنهما
بالاصنام والازلام وسماهما رجسا

وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شرّ بحت اوغالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرّر ذلك بأن بين مافيهما من المفاسد الدينية والدنيوية المقتضية للتحريم فقال تعالى ﴿ انمـا يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة ﴾ وانما خصهما باعادة الذكر وشرح مافيهما من الوبال تنبيها على انهمـا المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهمـا فى الحرمة والشرارة لقوله عليه الاسلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصادّ عنها كالصادّ عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ماتقدّم من انواع الصوارف فقـال ﴿ فهـل انتم منتهون ﴾ ايذانا بأن الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت ﴿ واطيعوا الله واطيعوا الرسول ﴾ فيما امرا به ﴿ واحذروا ﴾ مانهيـا عنه اومخالفتهما ﴿ فان توليتم فاعلموا انمـا على رسولنا البلاغ المبين ﴾ اى فاعلموا انكم لم تضرّوا الرسول عليه السلام بتوليكم فأنما عليه البلاغ وقد أدّى وانما ضررتم به انفسكم

على كونهما نجسين مستقذرين عقلا ﴿ قوله وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شرّ بحت اوغالب ﴾ لان الشيطان كافر عصى ربه تمرّدا واستكبارا عن امتثال امره فيكون عمله شرّا محضا اويكون غالب عمله الشرّ فلما جعل تعاطى الخمر والميسر من عمل الشيطان كان ذلك شهادة على كونه شرّا محضا ﴿ قوله وامر بالاجتناب ﴾ الامر بالاجتناب عن عين الشئ ابلغ فى تحريمه بالنسبة الى الامر بالاجتناب عن الانتفاع به فكم من شئ يحرم الانتفاع به مع كون عينه امرا مرغوبا فيه ﴿ قوله وجعله ﴾ اى وجعل الاجتناب من عينهما سببا يرجى منه الفلاح وذلك يدل على ان عدم الاجتناب سبب يؤدّى الى الردى والهلاك ﴿ قوله ثم قرّر ذلك ﴾ عطف على قوله اكد تحريم الخمر والميسر ﴿ قوله تعالى فى الخمر ﴾ متعلق بقوله يوقع وكلمة فى هنا لافادة معنى السببية كما فى قوله عليه الصلاة والسلام * دخلت امرأة النار فى هرة * اى بسبب ايذآئها فمعنى الآية انه يريد ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر اى بسبب شربها ووقوع العداوة بين الفسقة بسبب شرب الخمر مبنى على ان الظاهر فيمن شرب الخمر ان يشربها مع جماعة حتى يستأنس بهم ويفرح بالمكالمة معهم ويؤيد ما كان بينهم من المودّة والالفة الا ان ذلك ينقلب فى الاغلب الى ضدّ ذلك لان الخمر يزيل العقل واذا زال العقل استولت الشهوة والغضب من غير مدافعة العقل وعند استيلائهما تحصل المنـازعة بين اهل المجلس من الاحباب وتلك المنـازعة ربما قادت الى القتل والضرب والمشافهة بالفحش من القول وذلك يورث العداوة والبغضاء فالشيطان يسوّل لهم اوّلا ان الاجتماع على الشرب يؤكد الالفة والمحبة وينقلب الامر بالآخرة فتحصل غاية العداوة والبغضاء واما وقوع العداوة والبغضاء بين القوم بسبب الميسر فلان الشيطان يسوّل لهم ابتدآء انه وسيلة الى التوسعة على الفقرآء المحتاجين والدخول فى عداد اصحاب المروءة والكرم الا انه ربما يؤدّى بالآخرة الى ضياع ماله بالكلية فان صار مغلوبا فى القمار مرة دعاه ذلك الى اللجاج فيه على رجاء انه ربما صار غالبا فيه ويتفق انه لا يحصل له ذلك فيعاود فيه الى ان لا يبقى له شئ من ماله فيبقى فقيرا مسكينا فيصير بسبب ذلك من اعدى الاعدآء لاولئك الذين غلبوا عليه فظهر بما ذكر ان الخمر والميسر سببان عظيمان لوقوع العداوة والبغضاء بين الناس ولاشك ان شدّة العداوة والبغضاء من اقبح المفاسد الدنيوية المنافية لصلاح العالم واما كون تعاطيهما مؤدّيا الى المفاسد الدينية فلانهما يصدّان متعاطيهما عن ذكر الله وعن الصلاة فان شرب الخمر يورث الطرب واللذة الجسمانية والنفس اذا استغرقت فى اللذة الجسمانية غفلت عن ذكر الله وعن الصلاة وكذا من قامر بالميسر ان كان غالبا صار استغراقه فى لذة الغلبة يورث الغفلة عن العبادة وان صار مغلوبا صارت شدّة اهتمامه بان يحتال بحيلة يصير بها غالبا مانعا من ان يخطر بباله شئ سواه ﴿ قوله وانما خصهما باعادة الذكر ﴾ جواب عما يقال من انه تعالى امر اوّلا بالاجتناب عن الامور الاربعة جميعا ثم اقتصر على ذكر مايوجب الاجتناب عن الخمر والميسر فقط فما الحكمة فى ذلك * وتقرير الجواب ان الآية نزلت لنهى المؤمنين عما ألفوه من تعاطى الخمر والميسر وليس من شأنهم عبادة الاصنام والاستقسام بالازلام وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر تأكيدا لقبح الخمر والميسر واظهارا لان هذه الاربعة متقاربة فى القبح والمفسدة فلما كان المقصود من الآية نهى المؤمنين عن تناول الخمر والميسر لاجرم افردهما بالذكر فى آخر الآية واقتصر على بيان مايوجب الاجتناب عنهما ولم يتعرّض لذكر الانصاب والازلام ثانيا اذ ليسا مقصودين بالامر بالاجتناب عنهما حتى يبين مايوجب ذلك الاجتناب ﴿ قوله وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم ﴾ جواب عما يقال لم عطفت الصلاة على ذكر الله تعالى مع اندراجها فيه لان المراد بذكر الله العبادة مطلقا اى عبادة كانت وسميت ذكر الله لكونها مسببة عن ذكر الله لان العابد انما يلابس العبادة تقرّبا الى الله تعالى وابتغاء لمرضاته وهربا من سخطه وعقابه ومن كان مريدا الصدّ الناس عن العبادة مطلقا كان مريدا لصدّهم عن الصلاة بخصوصها فما الفائدة فى عطف الصلاة على ذكر الله تعالى بافرادها * والجواب ان افرادها وعطفها على ذكر الله على طريق عطف الخاص على العام اظهار لشرفها ﴿ قوله ثم اعاد الحث على الانتهاء ﴾ عطف على قوله ثم قرّر ذلك اى حرمة الخمر والميسر فان تقرير حرمتهما بمنزلة الحث على الانتهاء عنهما وكون الحث المذكور مرتبا على ماتقدّم من الصوارف عن تعاطيهما مستفاد من الفاء السببية فانها تدل على ان هذه الامور اللازمة لهما توجب الانتهاء عنهما فاذا تليت عليكم تلك الامور فهل انتم مع استماع هذه الصوارف منتهون ام انتم ثابتون على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا لغاية الغفلة وقلة الفكرة وقيل لما كان الناس مولعين بشرب الخمر لكونه جالبا للسرور مزيلا للغموم لم يحرّمها الله قطعا بمرّة واحدة بل حرّمها

على سبيل التدريج واوّل مانزل فى شانها قوله تعالى فى سورة البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس حيث يتجرون فيها بيعا وشرآء وفيها شئ من المنافع البدنية فلما نزلت هذه الآية ترك بعض الناس شربها وقالوا لاحاجة لنا فيما فيه اثم كبير وقال بعضهم نأخذ منفعتها ونترك اثمها فنزلت لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى فتركها بعضهم وقالوا لاحاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة وشربها بعضهم فى غير اوقات الصلاة حتى نزلت هذه الآية فصارت حراما عليهم قطعا وقالوا انتهينا يارب عن شربها وذلك فى سنة ثلاث من الهجرة وروى ان الصحابة قالوا لما نزلت الآية بتحريم الخمر يارسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزل قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا اثنى الله عليهم ومدحهم بالتقوى والاحسان كأنه قيل انهم آمنوا واتقوا ماحرّم عليهم من مستلذات المطاعم ومشتهياتها وثبتوا على الايمان وازدادوا يقينا ثم اتقوا ماحرّم عليهم بعد ذلك كالخمر واتقوا المكروهات كالفضول وآمنوا بتحريمه ثم استمرّوا على التقوى وتحرّوا احسن الاعمال وافضلها اواحسنوا الى الناس وواسوهم بما رزقهم الله من الطيبات لما شرط الله تعالى لانتفاء الجناح عمن طعم مستلذات المطاعم حصول التقوى والايمان فيه مرّتين وفى المرّة الثالثة حصول التقوى والاحسان اتجه ان يقال ما الحكمة فى تكرير اشتراط التقوى والايمان فيه وعطف احد المكرّرين على الآخر بكلمة ثم الدالة على التراخى ولا تراخى بين الشئ وبعضه فاجيب عنه بأن التكرير المذكور للتأكيد ويجوز ان يتخلل حرف العطف بين ما كرّر للتأكيد كما فى قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون واختار المصنف انه للتأسيس دون التأكيد وقدّر المتعلقات المتغايرة ليحصل اختلاف المعانى فحمل قوله تعالى اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات على الاتقاء عن المحرّمات التى حرّمت قبل نزول آية تحريم الخمر والثبات على الايمان والاعمال الصالحة وحمل قوله ثم اتقوا واحسنوا على الاستمرار والثبات على الاتقاء عن جميع المعاصى المحرّمة مطلقا وثم للتراخى فى الزمن لان الاتقاء عما حرّم بنزول هذه الآية وكذا الثبات على الاتقاء عن جميع المعاصى المحرّمة مطلقا متراخ عن اصل الاتقاء ويحتمل ان يكون المراد بكلمة ثم التراخى فى الرتبة لان الثبات على الشئ فوق احداثه كما قيل

❁ لكل الى جنب العلى حركات ❁ ولكن عزيز فى الرجال ثبات ❁

وقوله فيما طعموا اى فى شربهم الخمر واكلهم الميسر غلب المطعوم على المشروب لما مرّ من ان الآية نزلت جوابا لقول الصحابة فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر والطعام فيما يؤكل مضغا والشراب فيما يبتلع بدون المضغ فالطعم خلاف الشرب ويحتمل ان يكون الطعم فى قوله فيما طعموا من الطعم المتناول للاكل والشرب كما فى قوله تعالى ومن لم يطعمه فأنه منى بعد قوله ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فأنه منى جعل الطعم بمعنى الشرب * فان قيل قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا يدل على ان الجناح انما ينتفى عن المؤمن الذى طعم مباحا بشرط ان آمن واتقى المعصية وعمل صالحا ومن المعلوم ان انتفاء الجناح عن المؤمن ليس مشروطا بشئ من الايمان والتقوى والاحسان وانما الجناح فى ترك شئ من تلك المذكورات لافى تناول المباح عند انتفاء شئ منها فما الوجه فى تقييد انتفاء الجناح عمن تناوله بقوله اذا ما اتقوا وآمنوا * اجيب عنه بان قوله تعالى اذا ما اتقوا وآمنوا الخ لم يذكر لتقييد نفى الجناح عنهم بتحقق هذه الاوصاف فيهم بل المقصود منه توصيفهم بتلك الاوصاف السنية مدحا لهم وثناء عليهم فالصحابة الذين قالوا كيف بأخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر تم جوابهم بقوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا من المباحات لانهم طعموها قبل ان حرّمت وماذكر بعده انما ذكر لمجرّد المدح والثناء عليهم ويدل عليه ختم الكلام بقوله والله يحب المحسنين فأن تلك الاوصاف لو ذكرت لاشتراط نفى الجناح عنهم باتصافهم بها لما كان لختم الكلام بذلك وجه ﴿قوله ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة﴾ ماقبل زمان تحريم الخمر وزمان تحريمها ومابعد تحريمها اوزمان الشباب وزمان الكهولة وزمان الشيوخة اوزمان ابتداء الايمان وزمان الوفاة ومابينهما ﴿قوله او باعتبار الحالات﴾ بينها المصنف بقوله استعمال الانسان التقوى والايمان فان الانسان له ثلاث احوال حالة مع نفسه وحالة مع الناس وحالة مع الله تعالى وينبغى ان يلازم التقوى والايمان فى كل واحدة من هذه الاحوال بأن يباشرهما فى كل واحدة من هذه الاحوال ويحتمل ان يكون قوله

(ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) ممالم يحرّم عليهم لقوله (اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) اى اتقوا المحرّم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة (ثم اتقوا) ماحرّم عليهم بعد كالخمر (وآمنوا) بتحريمه (ثم اتقوا) ثم استمرّوا وثبتوا على اتقاء المعاصى (وأحسنوا) وتحرّوا اعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يارسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرار باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدّل الايمان بالاحسان فى الكرّة الثالثة اشارة الى ماقاله عليه الصلاة والسلام فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى اوباعتبار مايتقى فانه ينبغى ان يترك المحرّمات توقيا من العقاب والشبهات تحرّزا عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة (والله يحب المحسنين) فلا يؤاخذهم بشئ وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا

استعمال الانسان التقوى عطف بيان لاعتبار الاوقات والحالات جميعا والمعنى استعمال الانسان التقوى والايمان فى حال خلوته مع نفسه وفى حال اجتماعه مع الناس وفى حال اشتغاله بعبادة ربه وفى زمان خلوته وزمان اجتماعه مع الناس ووقت معاملته مع خالقه وقوله ولذلك اى ولكون استعمال التقوى والايمان مما لابد منه فيما بينهم وبين الله تعالى بدل الايمان بالاحسان اشارة الى ماقاله عليه الصلاة والسلام فى تفسيره وهو قوله * الاحسان ان تعبدالله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك * فكأنه قيل ثم اتقوا واحسنوا فيما بينهم وبين الله تعالى بأن عبدوه بكمال الخشوع والتواضع وقوله او باعتبار المراتب وهى مرتبة كونه مؤمنا بالايمان التقليدى ثم اليقينى العلمى ثم العيانى ويترتب عليه العمل الصالح فى المراتب الثلاث او مرتبة دخوله فى الايمان ومرتبة توفيه عليه وفيما بين المرتبتين او مرتبة شبابه وكهولته وشيوخته وقوله او باعتبار مايتقى اى مايتقى منه وهو ثلاثة امور المحرمات والشبهات وبعض المباحات فأنه يتقى من المحرمات توقيا من العقاب ومن الشبهات تحفظا للنفس من الوقوع فى الحرام ومن بعض المباحات اى من محقراتها صونا للنفس عن الخسة والدناءة ومن نفائسها صونا للنفس عن دنس اتباع الشهوات الطبيعية وعلى كل واحد من هذه الاحتمالات يكون التكرير للتأسيس لا للتأكيد وكلمة اذا فى قوله تعالى اذا مااتقوا ظرف منصوب بما يفهم من الجملة السابقة وهى جملة ليس مع ما فى حيزها والتقدير لا يأثمون ولا يؤاخذون وقت اتقائهم ويجوز ان لاتكون ظرفا محضا بل يكون فيه معنى الشرط ويكون جوابه محذوفا او مقدما على اختلاف البصريين والكوفيين

قوله تعالى ليبلونكم اى ليختبرن ايكم هو المطيع لربه المتبع لرضوانه وايكم المائل لشهوته والمغلوب لطبيعته والمعنى ليعاملنكم معاملة المختبر ابتلاهم الله بالصيد يوم الحديبية وهم محرمون للعمرة فانه عليه الصلاة والسلام كان معتمرا حينئذ مع اصحابه فكثر الصيد فيها حتى كان يغشاهم فى رحالهم فيتمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم فنهوا عن صيده ابتلاء واختبارا حتى يتميز المطيع من العاصى امتحن الله هذه الامة بصيد البر كما امتحن اصحاب السبت بصيد البحر وهو صيد السمك فى البحر واللام فى ليبلونكم لام جواب قسم محذوف اى والله ليبلونكم وتجب اللام واحدى النونين فى مثل هذا الجواب وقوله بشئ متعلق بقوله ليبلونكم اى ليختبرنكم بتحريم شئ وقوله من الصيد فى محل الجر صفة لشئ فيتعلق بمحذوف ومعنى التقليل والتبعيض فى قوله بشئ من الصيد التنبيه على ان التكليف بالامتناع عنه ليس كالابتلاء ببذل الارواح والاموال بل هو ابتلاء سهل لاصعوبة فيه ولامشقة فانه تعالى لم يحرم صيد الحلال ولاصيد الحل ولاصيد البحر والصيد ههنا ليس بمعنى المصدر بل هو بمعنى المصيد كضرب الامير ويدل عليه قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم فان الحدث لايوصف بأنه تناله الايدى والرماح وانمايوصف به الاعيان وقوله تناله فى محل الجر على انه صفة ثانية لشئ والصيد وان كان اسما للمتوحش الممتنع بقوائمه او بجناحه الا ان كثرة الصيد قدتؤدى الا ان ينال منه بالايدى والرماح **قوله** ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر جعل العلم مجازا عن تميز المعلوم وظهوره على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب لتعذر حمله على اصل معناه من حيث ان علمه تعالى مقتضى ذاته تعالى فيمتنع عليه التجدد والتغير كما يمتنع ذلك على نفس ذاته واللام فى قوله تعالى ليعلم لام كى متعلقة بقوله ليبلونكم اى ليبلونكم بذلك ليتميز الخائف من عقابه مما لايخاف منه وجعل الخوف من الله بمعنى الخوف من عقابه حال كون ذلك العقاب ملتبسا بالغيبة اى حال كونه غائبا منتظر وقوعه فى الآخرة **قوله** او تعلق العلم عطف على قوله وقوع المعلوم وظهوره فان علم الله وان كان ازليا ابديا يجوز عليه التجدد والتغير باعتبار تعلقاته بتجدد المعلومات وحدوثها فيكون العلم مجازا عن تعلقه بالمعلوم على طريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم اى ليتعلق علمه تعالى بوجود الخائف من عقابه كما تعلق به قبل وجوده بأنه سيوجد ليثيبه على عمله حسب علمه فى حقه **قوله** فالوعيد لاحق به وهو عذاب الآخرة والتعزير فى الدنيا فانه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذا العذاب هو ان يضرب ظهره وبطنه ضربا وجيعا وينزع ثيابه فان اسم العذاب قديطلق على الضرب كما فى قوله تعالى فى حق جلد الزانيين وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ثم ان الصيد اسم لكل ممتنع متوحش فى اصل خلقته من الحيوانات سواء كان مأكول اللحم اولم يكن وهذا عند ابى حنيفة رحمه الله والمحرم اذا قتل سبعا لايؤكل لحمه ضمن قيمة شاة عنده وقال زفر يجب قيمته بالغة مابلغت وذلك لأن السبع صيد محرم فيدخل تحت قوله لاتقتلوا الصيد وانتم

(يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم) نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بأيديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير فى بشئ للتنبيه على انه ليس من العظائم التى تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ماهو اشد منه (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لايخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم (فمن اعتدى بعد ذلك) بعد ذلك الابتلاء بالصيد (فله عذاب اليم) فالوعيد لاحق به فان من لايملك جاشه فى مثل ذلك ولا يراعى حكم الله فيه فكيف به فيماتكون النفس أميل اليه واحرص عليه

حرم و يدل عليه قول امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه

✻ صيد الملوك ارانب وثعالب ✻ واذا ركبت فصيدي الابطال ✻

وهو جمع بطل و هو الشجاع وقال الامام الشافعي رحمه الله الصيد اسم مايؤكل لحمه فلا يجب الضمان عنده بقتل السبع ﴿قوله كرداح وردح﴾ الرداح والرجاح بمعنى وهي الضخمة الثقيلة امرأة كانت او كتيبة او جفنة وقيل الرداح المرأة الثقيلة الاوراك وكتيبة رداح اي ثقيلة السير لكثرتها والرداح الجفنة العظيمة والجمع ردح والرجاح المرأة العظيمة العجز والجمع رجح كقذال وقذل وقيل قوله تعالى وانتم حرم معناه وانتم داخلون في الحرم وقيل وانتم حرم يتناول كلا الامرين اعني من كان حراما محرما و من كان داخل الحرم فعلى مااختاره المصنف وهو ان يكون الحرم جمع محرم يكون مدلول الآية ان المحرم ليس له ان يتعرض للصيد مادام محرما لا بالسلاح ولا بالجوارح من الكلاب والطيور سوآء كان الصيد صيد الحل او صيد الحرم بخلاف الحلال فان له ان يتصيد في الحل فقط اي في ايّ موضع اتفق من الحل ﴿قوله للتعميم﴾ فانه لو قيل لاتذبحوا الصيد ولا تذكوه لكان المنهي عنه ازهاق الروح بطريق مخصوص وهو الذبح فقيل لاتقتلوا الصيد ليعم حكم النهي ازهاق الروح بايّ طريق كان ﴿قوله ويؤيده﴾ اي يؤيد كون المراد بالصيد مايؤكل لحمه كما ذهب اليه الامام الشافعي ووجه التأييد انه عليه الصلاة والسلام حرّم قتل صيد حرم مكة حيث قال * ولا ينفر صيدها * ثم انه عليه الصلاة والسلام لما حكم بقتل هؤلاء الخمس التي لايؤكل لحمها فهم منه انها ليست بصيد دفعا لتعارض الحديثين ﴿قوله مع مافيه﴾ اي مافي الحديث من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ ووجه التنبيه ان هذا الحديث رواه الامام هكذا خمس فواسق لاجناح على من يقتلهن في الحل والحرم الحدأة الخ فانه عليه الصلاة والسلام وصفها بكونها فواسق ثم حكم بأنه لايمنع من جواز قتلها الاحرام ولا الحرم ومن المعلوم تقييد الحكم بالوصف المناسب للعلية يشعر كون ذلك الوصف علة للحكم فيلزم منه ان يكون كونها فواسق علة لحل قتلها ولا معنى لكونها فواسق الا لكونها مؤذية فلما ثبت ان صفة الفسق والايذآء علة لجواز قتل الحيوان ثبت دلالة الحديث على جواز قتل كل مؤذ ذو صفة الفسق وان لم يكن مصرّحا بها في رواية المصنف الا انها منفهمة من تخصيص هذه المؤذيات بالذكر قال صاحب الكافي وان قتل سبعا لايؤكل لحمه يجب عليه الجزآء وقال الامام الشافعي رحمه الله لاشئ عليه لانه عليه الصلاة والسلام انما استثنى هذه الخمس لانها خلقت مؤذية بطبعها وكل ما كان طبعه الايذآء صار كالخمس المستثنيات ﴿قوله واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني﴾ اي كما ذهب اليه الحنفية او لايلحق بهما بل يجعل كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب كما ذهب اليه الامام الشافعي فان المحرم اذا ذبح صيدا فذبيحته ميتة لايحل اكلها عندنا وقال الامام الشافعي لايحل للمحرم الذابح وتحل لغيره كما تحل ذبيحة الغاصب حتى لمالكها ولمن اذن له المالك لا لغيرهم والفرق بين ذبح الغاصب وذبح المحرم الصيد كون ذبح الغاصب ذبحا شرعيا يفيد حل المذبوح ولا يعتبر ذبح المحرم اصلا بل يجعل المذبوح ملحقا بالميتة وذلك ان النهي عن الذبح ان كان لمعنى في الذابح كالاحرام او في المذبوح مثل كونه خنزيرا كان ذلك النهي نهيا لمعنى في عين الفعل فكان مانعا من ان يكون المنهي عنه مشروعا مفيدا للحل وان كان النهي عن الذبح مثلا لمعنى ثالث وهو المالك ههنا كان النهي لمعنى في غيره ومثل هذا النهي لايمنع كون المنهي عنه في نفسه مشروعا معتبرا مفيدا للحل فلما لم يكن نفس ذبح الغاصب حراما لعينه بل كانت حرمته لصيانة حق المالك بدليل ان تلك الحرمة تزول باذن المالك وان كان حراما محضا في حق غيرهم حتى لو اضطر المسلم الى اكل الحرام وتمكن من اكل الميتة واكل مال الغير كان عليه ان يأكل الميتة لا مال الغير كما صرّح به في المحيط ووجه ظاهر جعل الامام الشافعي ذبح المحرم حراما لغيره وجعل نهيه عن الذبح لمعنى في غيره كالنهي عن الصلاة في الارض المغصوبة فلم يلغ حكم الذبح ولم تلحق ذبيحته بالميتة خلافا للحنفية ومنكم في قوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا حال من فاعل قتله اي قتله كائنا منكم اي من المؤمنين ولعل المقصود من التقييد بالحال توبيخ المؤمن على عدم جريه على مقتضى ايمانه وقوله متعمدا حال ايضا من فاعل قتله على رأي من يجوّز تعدّد الحال من شئ واحد ومن لم يجوّزه جعل كلمة من للبيان حتى لايتعدّد الحال ومعنى كون القتل حال التعمد أن يقتله وهو ذاكر لاحرامه عالم بان ذلك القتل حرام عليه ﴿قوله والاكثر على ان ذكره﴾ اي ذكر قوله متعمدا ليس لتقييد وجوب الجزآء بكون القاتل متعمدا للقتل لان قتل المتعمد والمخطئ سوآء في الايجاب عند اكثر العلماء وانما ذكره ليرتب عليه الوعيد بقوله ليذوق وبال امره ومن عاد

(ياايها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وانتم حرم) اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم واراد بالصيد مايؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب والفأرة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع مافيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثنيّ او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب (ومن قتله منكم متعمدا) ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قبل مايقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزآء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عنّ لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت

فينتقم الله منه اى يكافئه عقوبة بما صنع فان وبال القتل المترتب على هتك حرمة الاحرام الانتقام وهو مكافاة من تعمد المعصية قبل فلما اختص الوبال والانتقام بمن تعمد ولا وبال ولا انتقام على المحرم فى قتل الصيد خطأ قيد القتل بقوله متعمدا لايدل على سقوط الضمان عند انتفاء القيد وذلك لانه تعالى حرم على المحرم قتل صيد البر لاجل احرامه فلما كانت حرمة فعله مبنية على هتك حرمة الاحرام لم يسقط الضمان بالخطأ والجهل كما فى حلقه حال الاحرام وكما فى اتلاف مال المسلمين فانه لما ثبتت حرمته لحق المالك كان اتلاف العامد والخاطئ سوآء فى ايجاب الضمان وقال سعيد بن جبير لاتجب كفارة الصيد بقتله خطأ وهو قول داود لان نص الكتاب انما اوجب الجزآء بقتله عمدا فوجب ان لايجب شئ عند انتفاء التعمد وذهب عامة الفقهاء الى ان المخطئ فى قتل الصيد الحق بالمتعمد فى وجوب الجزآء بالسنة وقالوا ان التنصيص بقيد متعمدا لايدل على انتفاء الحكم عند انتفاء القيد بالاتفاق اما عند الحنفية فلعدم قولهم بالمفهوم واما عند الشافعية فلان المفهوم انما يثبت اذا لم يكن للتقييد فائدة اخرى وفائدة التقييد ههنا تفريع العامد بهتكه حرمة الاحرام عامدا وان يفرع عليه قوله ليذوق وبال امره وقوله ومن عاد فينتقم الله منه فانهما لايترتبان على قتل الصيد خطأ وكان القياس ان لايجب الضمان على من قتل الصيد خطأ وهو محرم الا ان القتل خطأ ألحق بالتعمد للتغليظ والاشعار بان قتل المحرم فى عظم الجناية وغلظها بحيث يستوى فيه العمد والخطأ وقوله ولان الآية نزلت فيمن تعمد وجه ثان لذكر العمد فى الآية وهو كونه سببا لنزول الآية ﴿ قوله برفع الجزآء ﴾ اى ان الكوفيين وهم عاصم وحمزة والكسائى قرأوا فجزآء مرفوعا منونا على انه مبتدأ حذف خبره اى فعليه جزآء او خبر مبتدأ محذوف اى فواجبه جزآء وقوله مثل على التقدير بن صفة لجزآء اى فعليه جزآء مماثل للمقتول فى القيمة عند ابى حنيفة وفى الخلقة والصورة عند الامام الشافعى والجملة جواب الشرط ان كانت كلمة من فى قوله من قتله شرطية والفاء جواب الشرط فان كانت موصولة تكون الجملة المصدرة بالفاء فى محل الرفع على الخبرية وتكون الفاء زآئدة لتضمن المبتدأ معنى الشرط ﴿ قوله وعليه لايتعلق الخ ﴾ اى وعلى تقدير ان يكون جزآء مرفوعا منونا لايجوز ان يتعلق قوله من النعم بنفس جزآء لانه مصدر موصوف لايعمل ولان المصدر المنون بمنزلة الموصول وان معموله من تمام صلته وقد تقرر ان الموصول لايوصف الا بعد تمام صلته لئلا يلزم الفصل بينهما باجنبى فلما امتنع كونه معمولا لنفس جزآء تعين كونه متعلقا بمحذوف اى فعليه جزآء كائن من جنس النعم ﴿ قوله وقرأ الباقون ﴾ اى ماعدا الكوفيين من السبعة فجزآء مثل برفع جزآء غير منون بل مضافا الى مثل على طريق اضافة المصدر الى المفعول فيكون مثل المقتول خلقة او قيمة عوضا عنه وان جعلت الاضافة بمعنى من يكون لفظ المثل مقحما اذ مثل المقتول ليس معوضا عنه بل هو نفس العوض والجزاء لان المثل ليس بمقتول حتى يجب على القاتل جزآؤه بل يجب عليه جزآء عين ماقتله فيكون لفظ المثل مقحما كما فى قولك انا اكرم مثلك وانت تريد انا اكرمك على ان يكون اكرام مثل المخاطب كناية عن اكرام نفس المخاطب فكذلك ههنا يكون وجوب جزآء مثل المقتول كناية عن وجوب جزآء نفس المقتول ﴿ قوله والمعنى ﴾ اى ان معنى الآية سوآء قرئت كما قرأها الكوفيون برفع جزآء منونا ورفع مثل على انه صفة له اوكما قرأها الباقون باضافة المصدر الى مفعوله فعليه ان يجزى مثل ماقتل ﴿ قوله وقرئ بنصبهما ﴾ على ان جزآء مصدر فعله المحذوف ومثل صفته ثم ان كلمة من فى قوله ومن قتله ان كانت شرطية يكون الفعل المحذوف مع مافى حيزه جواب الشرط ويكون التقدير فليجز جزآء وان كانت موصولة اسمية تكون الجملة المصدرة بالفاء جملة اسمية مرفوعة المحل على انها خبر المبتدأ ويكون التقدير فعليه ان يجزى جزآء مماثل ماقتل ﴿ قوله وفجزآؤه مثل ماقتل ﴾ اى وقرئ برفع جزآء مضافا الى ضمير من قتله ورفع مثل على انه خبرله ﴿ قوله وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند الامام مالك والامام الشافعى ﴾ احتجاجا بقوله تعالى هديا بالغ الكعبة ومعلوم ان قيمة المقتول ليس هديا يبلغ الكعبة وانما الهدى ماماثل المقتول صورة والقول بأن الجزآء هو القيمة التى يشترى بها الهدى مخالف لظاهر النص بغير دليل وبان مشاهير الصحابة قد حكموا فى جزآء الصيد بالمثل من النعم صورة فحكموا فى النعامة ببدنة وفى حمار الوحش ببقرة وفى الضبع بكبش وفى الغزال بعنز وهى الانثى من المعز وفى الظبى بشاة وفى الارنب بجفرة وفى رواية بعناق وفى الضب بسخلة وهى ولد المعز ذكرا كان او انثى وفى اليربوع بجفرة وذلك يدل على انهم لم يعتبروا المماثلة فى القيمة بل فى الصورة والظبى هو الغزال الكبير والغزال هو الانثى واليربوع هو الفارة الكبيرة تكون فى الصحرا والجفرة الانثى من اولاد المعز المنفصلة عن امها والذكر منها

(فجزاء مثل ماقتل من النعم) برفع الجزاء والمثل قرأه الكوفيون ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزآء مماثل ماقتل من النعم وعليه لايتعلق الجار بجزآء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصله له فلا يوصف ما لايتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما فى قولهم مثلى لايقول كذا والمعنى فعليه ان يجزى مثل ماقتل وقرئ فجزآء مثل ماقتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزى جزاء مماثل ماقتل وفجزآؤه مثل ماقتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعى

جفر والعناق الانثى من اولاد المعز اذا قربت من تمام الحول واحتج ابو حنيفة رحمه الله بانه لا نزاع فى ان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل صورة فانه يضمن بالقيمة فكان المراد بالمثل فى هذه الصورة هو القيمة فوجب ان يكون المراد فى سائر الصور كذلك لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على المعنى الواحد ﴿قوله وقال يقوّم الصيد﴾ يعنى ان ابا حنيفة رحمه الله لما اوجب قيمة المقتول لا مثله صورة قوّم الصيد بقيمته فى المكان الذى قتل فيه الصيد ثم خير القاتل فقال ان شاء صرف تلك القيمة الى شئ من النعم وان شاء صرفها الى الطعام وتصدّق به لكل مسكين نصف صاع من برّ او صاع من غيره وان شاء صام عن كل نصف صاع من البرّ يوما وعن صاع من غيره يوما خلافا للامام الشافعى فانه اوجب المثل صورة وقال القاتل مخير بين ثلاثة اشياء ان شاء ذبح المثل من النعم فى الحرم وتصدّق به على مساكين الحرم وان شاء يقوّم المثل بالدارهم ويشترى بها طعاما فيتصدّق به على مساكين الحرم لكل مسكين مدّ من طعام وان شاء صام عن كل مدّ يوما ﴿قوله والفظ الاوّل اوفق﴾ اى لفظ الآية وهو قوله تعالى فجزآء مثل ماقتل من النعم اوفق لما ذكر من الامور الثلاثة على تقدير ان تبلغ قيمة الصيد المقتول ثمن الهدى وهو ان يشترى بتلك القيمة طعاما فيتصدّق به على مساكين الحرم لان المماثلة بين المقتول وبين الهدى والطعام اكثر من المماثلة بينه وبين الصوم ﴿قوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم﴾ اى من اهل ملتكم ودينكم صفة جزآء بعد وصفه بقوله مثل ماقتل اى فعليه جزآء يحكم به فقيهان عدلان يعينان ان اى شئ من النعم اشبه بالمقتول ويحكمان بأنه هو المماثل له دون غيره وهذا على تقدير ان يراد بالمماثلة المماثلة صورة وخلقة وان كان المراد بها المماثلة من جهة القيمة كما قال به الحنيفية يكون المعنى فعليه جزآء يحكم به عدلان ذوا بصيرة فى معرفة قيم الاشياء وتقويمها ويحتمل ان يكون فى محل النصب على الحالية ثم ان كان تقدير الكلام فعليه جزآء مماثل تكون جملة يحكم به ذوا عدل صفة جزآء ولا يجوز كونه حالا من قوله فجزآء لانه مبتدأ وان كان تقدير الكلام فواجبه جزآء مماثل على ان اسم الفاعل مع فاعله خبر من فى قوله من قتله منكم متعمدا فحينئذ تكون الجملة حالا من قوله جزآء لانه مخصص بالصفة لم يكن نكرة محضة فجاز ان يتأخر الحال عنه وان قرئ فجزآء مثل ماقتل باضافة جزآء الى مثل جاز ان تكون الجملة حالا من جزآء مع تأخرها عنه لان جزآء وان كان نكرة الا انه تخصص بالاضافة الى مثل فجاز ان يتأخر عنه ماوقع حالا منه وانما قلنا ان الجزآء المضاف الى المثل نكرة لان لفظ مثل لا يتعرّف بالاضافة الى المعرفة فلا تعرّف لفظ جزآء باضافته اليه ﴿قوله وكان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة فى الخلقة والهيئة اليهما﴾ جواب عما تمسك به الحنفية فى اعتبار المماثلة فى القيمة دون الهيئة وهو ان المحتاج الى النظر والاجتهاد هو معرفة قيمة المقتول وتعيين القدر المماثل لقيمته بخلاف معرفة مايماثل المقتول صورة فأن المماثلة الصورية تعرف بالمشاهدة ولا يحتاج فى معرفتها الى النظر والاجتهاد * وتقرير الجواب ان المقتول قد يشابه انواعا شتى من النعم من وجوه مختلفة فتعيين مايماثل المقتول من تلك الانواع والحكم بأنه المماثل له دون غيره مع ان المقتول يماثل كل واحد منها من وجه يحتاج الى النظر ويدل على صحة هذا الجواب ماروى ان اعرابيا جاء الى ابى بكر رضى الله عنه فقال انى اصبت من الصيد كذا وكذا فما جزآؤه فسأل ابو بكر ابىّ بن كعب رضى الله عنه فقال الاعرابى انا آتيك اسألك وانت تسأل غيرك فقال ابو بكر وماانكرت من ذلك وقد قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبى فاذا اتفقنا على شئ امرناك به ﴿قوله هديا حال من الهاء فى به﴾ اى حال مقدرة اى يحكم به عدلان حال كونه مقدرا انه هدى وهو يؤيد كون المراد بالجزآء المماثل مايماثل المقتول صورة لان اسم الهدى لا يطلق على القيمة عرفا ﴿قوله او بدل من مثل باعتبار محله﴾ على ان يكون مجرورا باضافة المصدر اليه فانه حينئذ يكون فى محل النصب على انه مفعول المصدر ﴿قوله لان اضافته لفظية﴾ علة لجواز ان توصف النكرة بالمضاف الى المعرفة فان اضافة اسم الفاعل الى مفعوله اضافة لفظية لاتفيد تعريفا للمضاف فجاز ان يكون المضاف صفة للنكرة كما فى قوله تعالى هذا عارض ممطرنا وبالغ اسم فاعل اضيف الى مفعوله والاصل بالغا الكعبة اضيف الى مفعوله ليحصل التخفيف بحذف التنوين ﴿قوله والمعنى﴾ اى معنى قوله تعالى او كفارة طعام مساكين عند الامام الشافعى او ان يكفر باطعام مايساوى قيمة الهدى من غالب قوت البلد فانه لما اوجب على من قتل الصيد محرما مايماثل المقتول صورة من النعم جعل معنى التخيير المستفاد من كلمة او كون القاتل مخيرا بين ان يذبح ذلك المماثل فى الحرم وبين ان يقوّم ذلك المماثل بالدراهم ويشترى بها طعاما يساوى قيمة ذلك المماثل من النعم ويطعمه

والقيمة عند ابى حنيفة وقال يقوّم الصيد حيث صيد فان بلغت القيمة ثمن هدى تخير بين ان يهدى ماقيمته قيمته وبين ان يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من برّ او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاوّل اوفق (يحكم به ذوا عدل منكم) صفة جزآء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره فى خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدّر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة فى الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام (هديا) حال من الهاء فى به او من جزآء وان نوّن لتخصصه بالصفة او بدل من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه (بالغ الكعبة) وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدّق به ثم وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدّق به حيث شاء (او كفارة) عطف على جزآء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف (طعام مساكين) عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اى هى طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعى او ان يكفر باطعام مساكين مايساوى قيمة الهدى من غالب قوت البلد فيعطى كل مسكين مدّا

مساكين الحرم ﴿قوله او ماساواه من الصوم﴾ اى او فعليه مايساوى ذلك الطعام من الصوم على ان يكون
قوله او عدل ذلك معطوفا على قوله فجزآء ويكون عدل الشئ بمعنى مايساويه ويكون ذلك اشارة الى الطعام
ويكون صياما تمييزا على طريق قولك عدله عسلا والمعنى او قدر ذلك الطعام صياما والعدل فى الاصل مصدر بمعنى
تعديل الشئ اطلق للمفعول وهو ماعدل بالشئ ﴿قوله ثقل فعله او الثقل الشديد على مخالفة امر الله تعالى﴾
يعنى ان المراد بالامر فى قوله تعالى وبال امره اما فعل قاتل الصيد وهو محرم وهو هتكه حرمة الاحرام او امر الله
تعالى على حذف المضاف اى وبال مخالفة امر الله تعالى وكانه اخذ معنى الشدة من اضافة الوبال الى امر الله
تعالى فان بطشه لمن عصاه وخالف امره شديد ﴿قوله فهو ينتقم الله منه﴾ قدر المبتدأ لان كلمة من فى قوله
تعالى ومن عاد شرطية وقوله فينتقم جزآء الشرط والجملة الفعلية الجزآئية لاتحتاج فى ارتباطها بالشرط الى الفاء
الجزآئية فلو قيل من يكرمنى فاكرمه لكانت الفاء لغوا ضائعا بخلاف الجملة الاسمية فانها لاتقع جزآء الامصدرة
بالفاء فقدر المبتدأ فى الآية لئلا تصير الفاء الجزآئية لغوا ﴿قوله وليس فيه مايمنع الكفارة عن العائد﴾ يعنى ان
من عاد الى قتل الصيد محرما بعد ما حكم عليه بالجزآء وادى جزآء فى المرة الاولى لزمه جزآء آخر عند الجمهور لان
الحكم يتكرر بتكرر علته ومع ذلك يتوجه عليه الوعيد بقوله ينتقم الله منه فى الآخرة والاقتصار على هذا الوعيد
فى نظم التنزيل لايدل على عدم لزوم الجزآء فى المرة الثانية لجواز ان يكون الانتقام بايجاب الكفارة عليه فى كل مرة
كما ذهب اليه عامة العلماء ﴿قوله ماصيد منه مما لايعيش الا فى الماء﴾ يعنى ان الصيد هنا بمعنى المصيد وان
المراد بالبحر الماء مطلقا سوآء كان بحرا متعارفا او نهرا وان اضافة الصيد الى البحر للاختصاص ومعنى اختصاصه
به ان لايعيش الا فى الماء ومايعيش فى البر والبحر كالبط والاوز والسلحفاة ونحوها لايسمى صيد البحر فيجب الجزآء
على قاتله وكل مالايعيش الا فى الماء يحل اكله عند الامام الشافعى لقوله عليه الصلاة والسلام فى البحر «هو الطهور
ماؤه الحل ميتته» ولعموم هذه الآية فان معناها احل لكم ان تصيدوه وان تطعموه وعند ابى حنيفة رحمه الله لايحل
منه الا السمك وحده فان اكله حلال سوآء صيد حيا او وجد ميتا لان السمك له اصناف مختلفة بحسب اختلاف
صوره ومنه مايقال له حية الماء لكونه على شكل الحية يحل اكله بالاتفاق ﴿قوله تعالى وطعامه﴾ معطوف
على صيد البحر والضمير للبحر فلا بد ان يكون طعام البحر مغايرا لصيده لان العطف يقتضى تغاير المعطوفين فاشار
المصنف الى وجه المغايرة بينهما بأن المراد بصيد البحر ماصيد بالحيلة وهو حى وبطعامه ماقذفه البحر الى الساحل
او نضب عنه الماء اى غار فى الارض بأن شربته الارض وبقى هو فى ارض يابسة فأخذ من غير حيلة فى اخذه
ومنهم من احل الطافى من السمك بناء على تفسير طعام البحر بهذا التفسير ولا يستقيم ذلك على قول ابى حنيفة لان
ماأخذ من غير حيلة انما يحل عنده اذا مات بسبب كالوقوع على حجر وانحسار الماء عنه وهو حى عملا بالاحاديث
الواردة فى تحريم الطافى ﴿قوله وقيل﴾ اى فى وجه التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه أن صيد البحر بمعنى
الاصطياد وان ضمير طعامه للصيد بمعنى المصيد على طريقة الاستخدام ومعنى طعام المصيد اطعامه على ان يكون
الطعام اسم مصدر كالنبات بمعنى الانبات فحينئذ يقدر له مفعول اى اطعامكم اياه انفسكم ولا شك ان الاصطياد
فى البحر مغاير لأكل المصيد فيصح العطف بهذا الوجه ايضا الا ان فيه نوع تكلف فلذلك ضعفه المصنف ﴿قوله
فعلى الاول﴾ اى على ان يكون الصيد بمعنى المصيد يحرم على المحرم ماصاده غيره محرما كان او حلالا لدخوله تحت
عموم قوله وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما وان كان الصيد بمعنى الاصطياد يكون ماحرم على المحرم هو ان يصطاد
صيد البر بنفسه فلايحرم عليه ماصاده الحلال مالم يكن للمحرم مدخل فيه فتكون هذه الآية تأكيدا وتقريرا
لما سبق فى هذه السورة من قوله تعالى غير محلى الصيد وانتم حرم الى قوله فاذا حللتم فاصطادوا ومن قوله لاتقتلوا
الصيد وانتم حرم فالمناسب ان يكون الصيد فى هذه الآية بمعنى الاصطياد وهو قوله تعالى وحرم عليكم صيد
البر مادمتم حرما واما ماصاده الحلال فللمحرم ان يأكل منه اذا لم يكن له مدخل فى اصطياده لقوله عليه الصلاة
والسلام «صيد البر حلال لكم مالم تصيدوه او يصد لكم» وروى ان اباقتادة رأى حمارا وحشيا ومعه اصحاب له محرمون
وهو غير محرم فاستوى على فرسه فسأل اصحابه ان يناولوه رمحه فأبوا فأخذه ثم شد على الحمار فقتله فأكل منه
بعض اصحاب رسول الله وأبى بعضهم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال عليه الصلاة والسلام
كل ما بقى منه «وهو يدل على اباحة مااصطاده الحلال للمحرم عند انعدام الاثارة والاعانة وهذا يدل على

(او عدل ذلك صياما) او ماساواه
من الصوم فيصوم عن اطعام كل مسكين
يوما وهو فى الاصل مصدر اطلق للمفعول
وقرئ بكسر العين وهو ماعدل بالشئ
فى المقدار كعدلى الحمل وذلك اشارة الى
الطعام وصياما تمييز للعدل (ليذوق
وبال امره) متعلق بمحذوف اى فعليه
الجزآء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله
وسوء عاقبة هتكه حرمة الاحرام او الثقل
الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل
الثقل ومنه الطعام الوبيل (عفا الله عما
سلف) من قتل الصيد محرما فى الجاهلية
او قبل التحريم او فى هذه المرة (ومن عاد)
الى مثل هذا (فينتقم الله منه) فهو ينتقم الله
منه وليس فيه مايمنع الكفارة عن العائد
كما حكى عن ابن عباس وشريح (والله
عزيز ذو انتقام) ممن اصر على عصيانه
(احل لكم صيد البحر) ماصيد منه مما
لايعيش الا فى الماء وهو حلال كله لقوله
عليه السلام فى البحر هو الطهور ماؤه
الحل ميتته وقال ابو حنيفة لايحل منه
الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل
نظيره فى البر (وطعامه) ماقذفه او نضب
عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله
(متاعا لكم) تمتيعا لكم نصب على الغرض
(وللسيارة) اى ولسيارتكم يتزودونه
قديدا (وحرم عليكم صيد البر) اى ماصيد
فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على
المحرم ايضا ماصاده الحلال وان لم يكن له
فيه مدخل والجمهور على حله لقوله
عليه السلام لحم الصيد حلال لكم مالم
تصطادوه او يصد لكم (مادمتم حرما)
اى محرمين

جواز تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد ﴿ **قوله** وقرئ بكسر الدال ﴾ اى قرئ مادمتم بكسر الدال من دام يدام مثل خاف يخاف من باب علم وهى لغة فى دام يدوم مثل مات يموت ومات يمات وما فى قوله مادمتم مصدرية ظرفية ولا تستعمل الا ظرفا كما يستعمل المصدر ظرفا والمعنى حرّم عليكم صيد البرّ مدّة دوامكم محرمين ﴿ **قوله** صيرها ﴾ يعنى ان جعل ههنا بمعنى صير فيتعدّى الى مفعولين اوّلهما الكعبة والثانى قياما ومن قال انه بمعنى خلق جعله متعديا الى واحد وهو الكعبة وجعل قياما منصوبا على الحال والعرب تسمى كل بيت مربع كعبة تشبيها له بكعب الرجل الذى عند ملتقى الساق والقدم فى كونه على هيئته فى التربيع وقيل سميت كعبة لارتفاعها عن الارض واصلها من الخروج والارتفاع وسمى الكعب كعبا لنتوئه وخروجه عن جانبى القدم ومنه قيل للجارية اذا قاربت البلوغ وخرج ثديها انها تكعبت اى صارت كاعبا والتكعب نهود الثدى قال الله تعالى وكواعب اترابا والكعبة المعظمة لما ارتفع ذكرها فى الدنيا واشتهر امرها فى العالم سميت بهذا الاسم وكذلك يقال لمن عظم شأنه وارتفع قدره فلان علا كعبه فقول المصنف لتكعبه يجوز ان يكون بمعنى لتربعه وان يكون بمعنى لارتفاعه ﴿ **قوله** انتعاشا لهم ﴾ اى ارتفاعا لهم من الضعف يقال نعشه الله نعشا اى رفعه وانتعش العاثر اذا نهض من عثرته ﴿ **قوله** يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ﴾ استئناف لبيان كونه سببا لانتعاشهم فى امر معاشهم وقوله ويتوجه اليه الحجاج والعمار بيان لكونه سببا لانتعاشهم فى امر معادهم فان مافى البيت من المناسك العظيمة والطاعات الشريفة سبب لحط الخطيئات وارتفاع الدرجات ونيل الكرامات واصل قياما قواما لانه من قام يقوم فقلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها والقيام مايستقيم به الامر ويصلح به الحال مثل الكعبة فانها سبب لقوام مصالح الناس كما بين عن عطاء بن ابى رباح انه قال لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا اى ينزل عليهم العذاب فيهلكون جميعا ﴿ **قوله** او مايقوم به أمر دينهم ودنياهم ﴾ يعنى ان البيت الحرام سبب للقيام والانتعاش لان القائم المتقوّى على الاوّل هم الذين يزورون فانهم يتقوّون بسبب البيت فى امر معاشهم ومعادهم وعلى الثانى هو الامور المتعلقة بامر دينهم ودنياهم وقوام الشئ وقيامه مايقوم به شأنه وينتظم به ﴿ **قوله** اعل عينه ﴾ جواب عما يقال لو كان مصدرا كالشبع لصح واوه كما صح واو حول وعول فان حروف العلة انما تعل اذا كانت فى فعل او فى اسم على وزن فعل وقيم ليس منهما * وتقرير الجواب انه قد يعل حرف العلة فيما لايكون فعلا ولا اسما على وزن فعل تبعا كما اعل واو ديار تبعا لواحده وهو دار فانه اسم على وزن فعل فأعل ثم اعل جمعه تبعا له واعل قيام تبعا لفعله وهو قام فكذا اعل قيم تبعا لفعله وقيما فى هذه القرآءة منصوب على المصدرية سوآء كان جعل بمعنى خلق او بمعنى صير وكان البيت الحرام مفعوله الثانى والكعبة الاوّل اى خلق الله الكعبة تقوم قيما فالجملة الفعلية حال من مفعول جعل وقيما منصوب على المصدرية ولا يصح ان يكون قيما مفعولا ثانيا لجعل اذ لم يرد استعمال قيما بمعنى مايقوم به الشئ ويصلح به حاله والقيم بمعنى المصدر لا يصح حمله على البيت فلا يكون مفعولا ثانيا ﴿ **قوله** او الحال ﴾ اى ويحتمل ان يكون قيما فى هذه القرآءة منصوبا على الحالية على ان يكون بمعنى قائما للناس ﴿ **قوله** تعالى والشهر الحرام والهدى والقلائد ﴾ عطف على الكعبة فيكون المفعول الثانى لجعل بمعنى صير او الحال محذوفا لدلالة ماقبله عليه اى وجعل هذه الثلاثة قياما لهم كالكعبة وقد ذكر كون الكعبة قياما للناس يصلح بسببها امر دينهم ودنياهم اما كون الشهر الحرام سببا له فهو ان العرب كان يتعرّض بعضهم لبعض بالقتل والغارة فى سائر الاشهر فاذا دخل الشهر الحرام زال الخوف وقدموا على الحج والتجارات آمنين على انفسهم واموالهم فكان سببا لاكتساب منافع الدين والدنيا ومصالح المعاش والمعاد وكذا الهدى وهو مايهدى الى البيت ويذبح هناك ويفرّق لحمه بين فقرآء الحرم فانه نسك وقوام لمعيشة الفقرآء فكان سببا لقيام امر الدين والدنيا وكذا القلائد اى ذوات القلائد من الهدى خصوصا فانه من قبيل التخصيص بعد التعميم اظهارا لشرف الخاص فان الثواب بها والحج معها اظهر فان من قصد البيت فى غير الشهر الحرام ومعه هدى قلده لم يتعرّض له احد حتى ان احد العرب كان يلق الهدى مقلدا وهو يموت جوعا ولم يتعرّض له البتة ولا يتعرّض له صاحبه ايضا وكل ذلك انما كان لان الله اوقع فى قلوبهم تعظيم البيت الحرام فان الشهر الحرام الذى يؤدّى فيه الحج وكذا الهدى والقلائد انما صارت سببا لقوام امر الدين والدنيا لكونها وصلة الى زيارة البيت وتعظيمه وذلك ادل دليل على عظمة البيت وشرفه ﴿ **قوله** وقيل الجنس ﴾ اى قيل المراد بالشهر الحرام هو الاشهر الاربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرّم على طريق

وقرئ بكسر الدال من دام يدام (واتقوا الله الذى اليه تحشرون جعل الله الكعبة) صيرها وانما سمى البيت كعبة لتكعبه (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثانى (قياما للناس) انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعلت فى فعله ونصبه على المصدر او الحال (والشهر الحرام والهدى والقلائد) سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذى يؤدّى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس

اطلاق اسم الجنس و ارادة جميع افراده و لم يرض به لعدم مناسبته لهذا المقام ﴿ قوله تعالى ذلك ﴾ فى محل النصب على انه مفعول فعل مقدر يدل عليه السياق اى شرع الله ذلك و بين *لام العلة فى قوله تعالى لتعلموا متعلق بذلك الفعل المقدر و تعلموا منصوب باضمار ان بعد لام كى و الوجه فى كون جعل البيت الحرام قياما لمصالح الدين و الدنيا مؤديا الى علمنا بأن الله يعلم مافى السموات و مافى الارض او فى كون ماذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام بترك الصيد و غيره مؤديا الى علمنا بذلك انا قد علمنا بسبب ان بين الله ذلك ان وجه الحكم فى شرع ماشرعه من الاحكام المتعلقة بالاحرام و مناسك العبادات و مواقيتها انه تعالى لما علم فى الازل ان مقتضى طبائع العرب الحرص الشديد على القتل و الغارة و علم ان هذه الحالة لو دامت بهم لعجزوا عن تحصيل مايحتاجون اليه فى معاشهم و ادى ذلك الى فنائهم و انقراضهم بالكلية دبر فى ذلك تدبيرا لطيفا و هو انه تعالى ألقى فى قلوبهم تعظيم البيت و تعظيم مناسكه فصار ذلك سببا لحصول الامن فى البلد الحرام و فى الشهر الحرام و قدروا بذلك على تحصيل مايحتاجون اليه فى ذلك الزمان و فى ذلك البلد فاستقامت بذلك مصالح معاشهم و هذا التدبير لايمكن الا اذا كان الله تعالى عالما فى الازل بجميع المعلومات من الكليات و الجزئيات و كان بكل شئ عليما و من البين ان اتقان الفعل و احكامه و كونه على وفق المصالح و مقتضى الحكم دليل واضح على كمال علم الفاعل و اى فعل يكون اتقن و احكم من القاء تعظيم الكعبة فى قلوب العرب و جعله سببا لدفع المضار قبل وقوعها و جلب المنافع المرتبة على ماشرع من الاحكام المتعلقة بها فعلمنا بذلك ان صانع العالم عالم بجميع المعلومات *ثم انه تعالى لما ذكر انواع رحمته لعباده بجعله البيت الحرام و الشهر الحرام و الهدى و البدن ذوات القلائد خاصة سببا لقوام مصالح الناس فى امر دينهم و دنياهم ذكر بعده شدة العقاب لمن استحل المحارم و هتك حرمتها و كونه غفورا رحيما لمن تاب و اناب لان الايمان لايتم الا بالخوف و الرجاء قال عليه الصلاة و السلام *لو وزن خوف المؤمن و رجاؤه لاعتدلا و قال عليه الصلاة و السلام *لو يعلم المؤمن ماعند الله من العقوبة ماطمع فى الجنة أحد و لو يعلم الكافر ماعند الله من الرحمة ماقنط من جنته احد *ثم ان امر الثواب و العقاب لما توقف على التكليف و بعث الرسول و تبليغه الى عباد الله تعالى ماامروا به و مانهوا عنه و بيانه لهم مايكون سببا لنجاتهم من عقابه و فوزهم برحمته و ثوابه بين انه قد ارسل رسولا و انه ليس مكلفا الا بتبليغ ماارسل به اليكم و ليس عليه ان يحملكم على الطاعة جبرا و يمنعكم عن المعصية كرها و قد بلغ ماارسل به و لم يقصر فى شئ مما كلف به عليه الصلاة و السلام و لم يبق الا الانابة من اطاعه و عقاب من عصاه و نحن نعلم ماتبدونه من الطاعة و تكتمونه من المعصية او نعلم جميع مااسررتموه و مااعلنتموه من الطاعة و المعصية فيجازيكم عليه ان خيرا فخير و ان شرا فشر *ثم انه تعالى لما اشار بالآيات السابقة الى الجميع اجمالا من الاشخاص و الاعمال و الاموال جيد و ردئ و خبيث و طيب نفى المساواة بينها فقال قل لايستوى الخبيث و الطيب و رغب به فى صالح العمل و حلال المال و نبه على ان المشرك الخبيث لايساوى المؤمن الطيب فى العاقبة و المآل و ان العاقبة للمتقين قال السدى معنى الآية لايستوى المشرك و المؤمن بل يميز بينهما بأن يعاقب الخبيث و يثاب الطيب و ان قل الطيب و كثر الخبيث و قال الكلبى و عطاء اى لايستوى الحلال و الحرام ﴿ قوله تعالى و لو اعجبك كثرة الخبيث ﴾ قرر ان اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال و زينة الدنيا و مطمح نظرهم الكثرة دون الجودة و الامر بالعكس و جواب لو فى قوله تعالى و لو اعجبك محذوف اى و لو اعجبك كثرة الخبيث لما استوى مع الطيب و ان قل و معنى الاعجاب السرور بما يتعجب به يقال اعجبنى امر كذا اى سرنى ﴿ قوله و هما كمقدمتين ينتجان مايمنع السؤال ﴾ كأنه قيل لاتسألوا عن اشياء ان تسألوا عنها فى زمان نزول الوحى تظهر لكم و ان تظهر لكم تغمكم و العاقل لايسأل عما يغمه فيلزم من مجموع المقدمتين انهم ان سألوا عن تلك الاشياء ساءتهم فيلزمهم ان لايسألوا و توصيف الاشياء بتلك الشرطية و ماعطف عليها دل على أن النهى ليس عن السؤال مطلقا بل عن اشياء موصوفة بأن يكون السؤال عنها مؤديا الى اغتمامهم بأن يكلفهم الله تعالى بسبب سؤالهم تكاليف صعبة شديدة ﴿ قوله و اشياء اسم جمع كطرفاء ﴾ فهو مفرد اللفظ مجموع المعنى و ليس جمع شئ لان لفظ فعل و ماكان على وزنه لايجمع على فعلاء و انما يجمع فى القلة على افعل كبحر و ابحر و فى الكثرة على فعول نحو قلب و قلوب و اصل اشياء شيئاء بهمزتين الاولى منهما لام الكلمة و الثانية ألف التأنيث كهمزة فعلاء فقلبت لامه قلب مكان بأن قدمت الهمزة على فاء الكلمة و هى الشين فقالوا اشياء فوزنه فى الاصل فعلاء فصار بالقلب لفعاء فظهر بهذا سبب عدم انصرافه فى القرآن حيث نصب فى موضع الجر فانه فى الاصل كان على وزن

(ذلك) اشارة الى الجعل او الى ماذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام و غيره (لتعلموا ان الله يعلم مافى السموات و مافى الارض) فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها و جلب المنافع المرتبة عليها دليل على حكمة الشارع و كمال علمه (و ان الله بكل شئ عليم) تعميم بعد تخصيص و مبالغة بعد اطلاق (اعلموا ان الله شديد العقاب و ان الله غفور رحيم) وعيد و وعد لمن انتهك محارمه و لمن حافظ عليها او لمن اصر عليه و لمن انقلع عنه (ماعلى الرسول الا البلاغ) تشديد فى ايجاب القيام بما امر اى الرسول اتى بما امر به من التبليغ و لم يبق لكم عذر فى التفريط (و الله يعلم ماتبدون و ماتكتمون) من تصديق و تكذيب و فعل و عزيمة (قل لايستوى الخبيث و الطيب) حكم عام فى نفى المساواة عند الله بين الردئ من الاشخاص و الاعمال و الاموال و جيدها رغب به فى صالح العمل و حلال المال (و لو اعجبك كثرة الخبيث) فان العبرة بالرداءة و الجودة دون القلة و الكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير و الخطاب لكل معتبر و لذلك قال (فاتقوا الله ياأولى الالباب) اى فاتقوه فى تحرى الخبيث و ان كثر و آثروا الطيب و ان قل (لعلكم تفلحون) راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه و ان كانوا مشركين (ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم و ان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) الشرطية و ما عطف عليها صفتان لاشياء و المعنى لاتسألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم و ان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم و هما كمقدمتين ينتجان مايمنع السؤال و هو انه مما يغمكم و العاقل لايفعل مايغمه و اشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء

فعلاء مثل حمرآء لم ينصرف كما لا تنصرف حمرآء ﴿قوله وقيل افعلاء﴾ عطف بالمعنى على قوله و اشياء اسم جمع اى و قيل انه ليس اسم جمع لشئ بل هو جمع له حقيقة بناء على ان اصل شئ اماشيئ على و زن فيعل من شاء فخفف فصار شئ وفيعل يجمع على افعلاء كما يجمع هين ولين على اهوناء و أليناء فكذا جمع شيئ على اشيئاء الا انه لما خفف شيئ كما خفف هين ولين بياء واحدة ساكنة فكذا خفف اشيئاء ايضا بأن قلبوا الهمزة الاولى التى هى لام الكلمة ياء لانكسار ماقبلها وحذفوا الياء التى هى عين الكلمة تخفيفا فصار اشياء فوزنه الآن أفلاء و اختار المصنف حذف الهمزة الاولى التى هى لام الكلمة فيكون و زنه الآن افعاء فمنع الصرف لاجل ألف التأنيث هذا على ان اصل شئ بالتخفيف شيئ بالتشديد على وزن فيعل و يحتمل ان اصله شيئ على وزن فعيل كصديق فجمع على اشيئاء كصديق واصدقاء و نصيب و انصباء فخفف كما ذكرنا فصار اشياء و قيل اشياء جمع شئ كبيت و ابيات وفوج وافواج و يرده منع صرف اشياء مع ان الجموع التى على افعال تستعمل منصرفة كأبناء و اسماء و الحاصل ان اشياء اما اسم جمع على وزن فعلاء اصله شيئاء فخفف بقلب المكان فصار اشياء واختار المصنف هذا وهو قول الخليل وسيبويه اوهو جمع شئ المخفف من شيئ على وزن فيعل او شيئ على وزن فعيل وعلى التقديرين اصله اشيئاء اوهو جمع شئ على وزن بيت وابيات ﴿قوله اواستئناف﴾ فلا محل له من الاعراب وهو معطوف على قوله صفة اخرى وضمير عنها على كونه استئنافا للمسألة المدلول عليها بقوله لاتسألوا وذلك الضمير على كونه صفة اخرى لاشياء راجع الى الاشياء ﴿قوله غضبان من كثرة مايسألون عنه عما لايعنيهم﴾ اى مما لا يتعلق بأمر دينهم فلا يكون من علوم النبوة مثل قولهم من ابى و قولهم ضلت ناقتى فأين هى ومتى تمطر السماء ﴿قوله الضمير للمسألة﴾ جواب عما يقال فعل المسألة لايتعدى الى المفعول به بنفسه بل يتعدى اليه بكلمة عن فكيف قيل سألها ولم يقل سأل عنها كما قال اولا لاتسألوا عن اشياء * وتقرير الجواب ان ضمير سألها ليس راجعا الى الاشياء التى يسألون عنها و عن احوالها بل الى مسألتهم عن تلك الاشياء فيكون الضمير فى موضع المصدر او المفعول به بالواسطة كما فى قوله تعالى لاتسألوا عن اشياء فيلزم ان يعدى بكلمة عن فيحمل على الحذف والايصال كما اشار اليه المصنف بقوله او لاشياء بحذف الجار لابدون الواسطة كما فى سألته درهما بمعنى طلبته منه لانهم لم يسألوا تلك وانما سألوا عنها و عن حالها فسقط مايقال من ان السؤال عدى فى الآية بالجار وههنا لم يعد بالجار لان السؤال ههنا طلب عين الشئ نحو سألته درهما بمعنى طلبته منه والسؤال فى الآية سؤال عن حال الشئ وكيفيته ﴿قوله رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية﴾ اشار به الى ارتباط هذه الآية بما قبلها فانه تعالى نهى قبلها عن ان يسألوا عن حكم سكت الله عنه ومنع بهذه الآية وانكر التزام مالم يكلفوا بالتزامه بناء على زعم انه تعالى شرع ذلك واوجبه عليهم افترآء عليه تعالى حيث قال ماجعل الله من بحيرة الآية اى ماشرع ذلك ولا امر بالبحيرة وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ماحرموا و بنسبتهم ذلك التحريم الى الله يفترون على الله الكذب و يحتمل ان يكون الجعل بمعنى التصيير كما فى قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ويكون مفعوله الثانى محذوفا اى ماصير الله بحيرة مشروعة ﴿قوله اذا نتجت الناقة﴾ على بناء مالم يسم فاعله يقال نتجت الناقة تنتج نتاجا اى نتجها اهلها نتجا اى ولى اهلها نتاجها حتى وضعت فأهلها ناتج والناتج للبهائم بمنزلة القابلة للنساء والاصل نتجها اهلها ولذا على ان ضمير الناقة مفعول اول و ولدا مفعول ثان واذابنى للمفعول قيل نتجت ولدا باسناد الفعل الى مفعوله الاول وترك الثانى منصوبا فأهلها تصيرها واضعة لولدها وكانت هى مصيرة واضعة الولد ذكر الله فى هذه الآية اربعة اشياء اولها البحيرة وهى فعيلة بمعنى المفعولة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقته اذاشق اذنها وسيبها للصنم بأن يمتنع من ركوبها ومن ان يحمل عليها حملا و من نحرها وجز وبرها فلا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى واذا لقيها العيى لم يركبها وثانيها السائبة وهى فاعلة من قولهم ساب الماء يسيب سيبا اذا جرى على وجه الارض سميت الناقة التى قال صاحبها فى حقها ان شفى مريضى او قدم غائبى فناقتى سائبة سائبة لانها تسيب حيث شاءت وثالثها الوصيلة وهى فعيلة بمعنى فاعلة سميت الانثى من ولد الشاة اذا ولدت مع الذكر فى بطن واحد وصيلة من حيث انها وصلت اخاها وتركا معا فى الغنم حيين ولم يذبح الذكر لاجل آلهتهم من اجلها فانه لو انفرد الذكر لكان محرما على اهله بزعمهم بل تذبحه سدنة الاصنام وخدامها لها فتبقى الانثى منفردة عنده ولا تصل به فلما ولدا فى بطن واحد و صلت الانثى بأخيها وبقيا حيين وكانا لاهلها فسميت وصيلة فالمعنى ماجعل الله انثى تحلل ذكرا محرما على اهله عند انفراده عن الانثى باجتماعها معه فى الولادة الا ان قول المصنف اذا

وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشئ على ان اصله شئ كهين او شيئ كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه (عفا الله عنها) صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذروى انها لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك أكل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ما تركتكم فنزلت او استئناف اى عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها (والله غفور حليم) لايعاجلكم بعقوبة مايفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة مايسألون عنه مما لايعنيهم فقال لا اسأل عن شئ الا اجبت فقال رجل اين انا فقال فى النار وقال آخر من ابى فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت (قدسألها قوم) الضمير للمسألة التى دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار (من قبلكم) متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لايكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها (ثم اصبحوا بها كافرين) اى بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا او جحدوا (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قدحمى ظهره

ومعنى ماجعل ماشرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة (ولكنّ الذين كفروا يفترون على الله الكذب) بتحريم ذلك ونسبته اليه (واكثرهم لايعقلون) اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرّم او الامر من النهى ولكنهم يقلدون

كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به (واذا قيل لهم تعالوا الى ماانزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا) بيان لقصور عقلهم وانهماكهم فى التقليد وان لاسندلهم سواه (اولو كان آباؤهم لايعلمون شيأ ولا يهتدون) الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اى أحسبهم ماوجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتدآء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لايعرف الا بالحجة فلا يكفى التقليد (ياايها الذين آمنوا عليكم انفسكم) اى احفظوها والزموا صلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتدآء (لايضرّكم من ضل اذا اهتديتم) لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتدآء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضرّكم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لايضيركم والجزم على الجواب او النهى لكنه ضمت الرآء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الرآء المدغمة وتنصره قرآءة من قرأ لايضرّكم بالفتح ولايضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لايؤاخذ بذنب غيره (يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم) اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد فى الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم (اذا حضر احدكم الموت) اذا شارفه وظهرت امارته وهو ظرف للشهادة (حين الوصية) بدل منه وفى ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغى ان لايتهاون فيه او ظرف حضر (اثنان) فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف (ذوا عدل منكم) اى من اقاربكم او من المسلمين وهما (عدلان)

ولدت الشاة الخ يخالف ماقال محيي السنة فى المعالم واما الوصيلة فمن الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه فأكل منه الرجال والنساء وان كان انثى تركوها فى الغنم وان كان ذكرا وانثى استحيوا الذكر من اجل الانثى وقالوا وصلت اخاها ولم يذبحوه وكان لبن الانثى حراما على النساء وان مات منها شئ يأكله الرجال والنساء جميعا ولعل المصنف لم ينقله لعدم الرضى به ورابعها الحامى وهو اسم فاعل من حمى يحمى اى منع يقال حماه يحميه اذا حفظه ومنعه من ان يلحق به سوء فانهم زعموا ان الفحل اذا انتجت من صلبه عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من ماء ولا مرعى ويترك كالسائبة وقيل هو الفحل الذى يضرب فى ابل صاحبه عشر سنين فيحمى ظهره وذكر فى تفسير هذه الاشياء اقوال كثيرة وقد اخترنا مااختار المصنف منها ﴿قوله ومعنى ماجعل ماشرع ووضع﴾ يعنى ان جعل قد يستعمل بمعنى خلق كما فى قوله تعالى وجعل الظلمات وبمعنى صير كما فى قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ولايصح ان يكون جعل فى هذه الآية بمعنى خلق لان الله تعالى هو الذى خلق الاشياء كلها ولا بمعنى صير لان صير لابدّ له من مفعول ثان وهو ليس بمذكور فى الآية بل بمعنى سنّ وشرع اى ماسنّ الله ولاشرع شيأ من هذه الاشياء ﴿قوله تعالى واذا قيل لهم﴾ اى لهؤلاء المشركين الذين من عند انفسهم حرّموا هؤلاء الانعام تعالوا الى ماانزل الله فى القرآن من تحليل ماحرّمتم على انفسكم ﴿قوله حسبنا﴾ مبتدأ وماوجدنا خبره وحسبنا فى الاصل مصدر استعمل بمعنى اسم الفاعل اى كافينا الذى وجدنا عليه آباءنا ﴿قوله لانكار الفعل على هذه الحال﴾ اى لانكار كفاية قول آبائهم بحرمتها فى الاعتقاد حال كون آبائهم جهالا ضلالا ومن المعلوم انه لايصح الاقتدآء بالجاهل الضال ولا الاعتماد على قوله والتقليد له كأنه قيل ايكفيهم وجد ان آبائهم على هذا المقال والحال انهم جهال ضلال لايعلمون شيأ ولا يهتدون ﴿قوله والمعنى﴾ اى ومعنى الانكار المستفاد من الهمزة ان صحة الاقتدآء بالشخص بمجرّد ظنّ انه عالم مهتد لاتكفى فلا يكفى فى اعتقاد حرمة هذه الانعام ان يجدوا آباءهم قائلين بحرمتها الا ان يثبت عندهم بالبرهان القاطع كونهم علماء مهتدين ودونه خرط القتاد فلما زعم المشركون ان يصح لهم الاقتدآء بآبائهم والتقليد لهم انكر زعمهم هذا بأن قال ان آباءهم جهال ضلال ولا يصح الاقتدآء بمن هذا شأنه وانما يصح الاقتدآء بمن علم بالبرهان انه عالم مهتد والحاصل ان قول من حسن ظنه اذا لم يكن قوله مبنيا على الحجة والدليل لايفيد ﴿قوله سفهت اباك﴾ اى نسبته الى السفه حيث زعمت فى حقه انه كان على خلاف ماينبغى وتركت طريقته وكانوا يلومونه على اسلامه بهذا القول فنزلت حثا للمسلمين على تقويهم بحسب قوتهم النظرية والعملية ﴿قوله ولايضرّكم يحتمل الرفع﴾ على قرآءة الجمهور لايضركم بضم الرآء المشددة على انه كلام مستأنف سيق للاخبار بذلك ويؤيده قرآءة من قرأ لايضيركم بضم الرآء من ضار يضير ضيرا بمعنى ضرّ فان الفعل فى هذه القرآءة ليس بمجزوم والا لقيل لايضركم بسكون الرآء وسقوط الياء كما فى لم يبع ﴿قوله والجزم﴾ عطف على الرفع اى ويحتمل ان يكون لايضرّكم مجزوما اما على انه جواب الامر فى عليكم واما على انه نهى مستأنف غير متعلق بالامر قبله واصله على التقديرين لايضرركم فنقلت ضمة الرآء الاولى الى الضاد قبلها لقصد ادغامها فى الرآء الثانية فاجتمع ساكنان فحرّكت الرآء الثانية بالضم اتباعا لضمة الضاد فادغمت الاولى فيها فصار لايضرّكم ﴿قوله وتنصره﴾ اى وتنصر كون لايضرّكم بضم الرآء المشددة مجزوما قرآءة من قرأ لايضركم بتحريك الرآء الثانية بالفتحة دفعا لاجتماع الساكنين وخفة الفتحة وقرآءة من قرأ لايضركم بضم الضاد وكسرها مع سكون الرآء الاوّل مبنى على انه من ضار يضور ضورا مثل صان يصون صونا والثانى على انه من ضار يضير مثل باع يبيع وكلاهما لغتان بمعنى ضرّ يضرّ ﴿قوله وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم﴾ اى على انه مفعول لمحذوف وفاعله قوله اثنان اى ليقم اثنان شهادة وليؤدياها كما تحملاها ﴿قوله وفى ابداله تنبيه على ان الوصية مماينبغى ان لايتهاون فيه﴾ لانه لما جعل زمان حضور الموت زمان الوصية دل ذلك على انه ينبغى ان يوقع الوصية فى زمان حضور الموت لدلالته على ان الوصية كالموت وعدم التخلف عن ذلك الزمان فان ذلك الزمان كما انه لابدّ من ان يقع فيه الموت لابدّ من ان تقع فيه الوصية ﴿قوله وهما صفتان﴾ اى قوله ذوا عدل وقوله منكم كل واحد منهما صفة لاثنان اى اثنان صاحبا عدل كائنان منكم وقوله تعالى او آخران معطوف على اثنان وقوله من غيركم صفة لآخران فان كان منكم بمعنى عدلان من اقاربكم المسلمين يكون قوله او آخران من غيركم بمعنى او عدلان آخران من اجانبكم المسلمين وان كان منكم بمعنى

عدلان من اهل دينكم يكون قوله او آخران من غيركم بمعنى او عدلان آخران من غير اهل دينكم والذمى وان لم يكن عدلا فى باب الدين والاعتقاد فهو عدل من حيث احترازه من الكذب والاجتناب عما حرّم عليه فى دينه فان قبول الشهادة لايتوقف على العدالة فى امر الدين والاعتقاد للاجماع على قبول شهادة اهل الاهوآء والبدع مع انهم ليسوا عدولا فى مذاهبهم عندنا ولما كانوا عدولا من حيث احترازهم عن الكذب وعن محظورات مذاهبهم قبلنا شهادتهم فجاز ان تقبل شهادة اهل الذمة فى ابتدآء الاسلام لعدالتهم بهذا المعنى ثم نسخ هذا الحكم عند انتفاء الضرورة بكثرة المسلمين وانتم فى قوله تعالى ان أنتم مرفوع على انه فاعل فعل محذوف يفسره قوله ضربتم كلفظ احد فى قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك وليس بمرفوع على الابتدآء لان ان الشرطية لاتدخل على المبتدأ عند البصريين وهذا الشرط يحتمل ان يكون قيدا لاصل الشهادة وان يكون قيدا لاشهاد آخرين من غيركم والمعنى على الاوّل فيما امرتم به ان يشهد فيما بينكم اذا حضر احدكم الموت اثنان ذوا عدل منكم اومن غيركم ان سافرتم فى الارض وعلى الثانى ان يشهد عدلان من غير اهل دينكم ان كنتم على سفر وقاربتم الاجل والمصنف رجح الاحتمال الثانى حيث قال جواب قوله تعالى ان أنتم محذوف يدل عليه قوله اوآخران من غيركم وذلك انمايكون جوابا من حيث المعنى لانه لايتقدّم على الشرط عند البصريين ولوتقدّم عليه يكون جواب الشرط محذوفا ويكون ماتقدّم عليه دليل الجواب وفيمانحن فيه قدتقدّم على الشرط شيئان ان يشهد المحتضر اثنان ذوا عدل وجوازشهادة ذميين عدلين فالمصنف جعل دليل الجواب المحذوف قوله تعالى اوآخران من غيركم فيكون الشرط المذكورقيدا لقوله اوآخران من غيركم وجعل الشرط مع جوابه المحذوف اعتراضا بين الموصوف وصفته التى هى قوله تحبسونهما للدلالة على ان شهادة الذميين العدلين انما تجوز اذاتعذر اشهاد عدلين من المسلمين بان يكون المستشهد مسافرا قارب الموت ﴿قوله او استئناف﴾ عطف على قوله صفة لآخران ﴿قوله مقسم عليه﴾ يعنى ان قوله لانشترى جواب القسم اى يحلفان بالله قائلين لانشترى به ثمنا اى لانستبدل بالحلف او باسم الله تعالى عرضا يسيرا من الدنيا وقوله ان ارتبتم شرط وجوابه محذوف تقديره ان ارتبتم فى صدقهما وامانتهما فحلفوهما وقوله لانشترى ليس هو فى نفسه محلوفا عليه بل المحلوف عليه حقيقة هو مثل قوله انا صادق فى شهادتى لم ازد فيها شيأ مما تحملته ولم انقص منها شيأ ايضا وانى امين فى امر الوصاية ما كتمت وما ضيعت شيأ مما سلم الىّ من المال الا ان الحالف قديقدّم مثل هذا الكلام على ذكر ما هو المحلوف عليه حقيقة تأكيدا لحلفه وقد يقول له القاضى اتق الله ولاتحلف كاذبا تشترى به ثمنا قليلا فان اليمين الفاجرة تبق الديار بلاقع فيقول الحالف معاذالله ان اكون كذلك لااستبدل بالحلف او باسم الله فى التحريف للشهادة ثمنا قليلا جعل قوله ان ارتبتم مع جوابه المحذوف اعتراضا بين القسم وجوابه للدلالة على انهما يحلفان ان ارتاب الوارث فى صدقهما وامانتهما وقوله تعالى ولانكتم الظاهر انه معطوف على قوله لانشترى فيكون جواب القسم ايضا وشهادة الله منصوب على انه مفعول به اضيف الى الله تعالى لانه هو الآمر بها وبحفظها وعدم كتمها وتضييعها ﴿قوله وعن الشعبى﴾ اى روى عنه انه قرأ شهادة منصوبة منوّنة على انه مفعول به وآلله بمدّ الالف التى للاستفهام دخلت على لفظ المقسم به تقرير النفس الحالف على الحلف به وهو عوض عن حرف القسم المقدّر فان الاصل فيقسمان بالله لانكتم شهادة بالله حذف حرف القسم وعوضت عنه الف الاستفهام ﴿قوله فان اطلع يقال﴾ يقال عثر عليه يعثر عثرا وعثورا اى اطلع عليه وعثر فى مشيه او منطقه او رأيه يعثر عثرة اى زل وسقط فرّقوا بين مصدريهما فان العثرة هى الزلة والعثور هو الاطلاع ﴿قوله فشاهدان آخران﴾ مرفوع على انه صفة مبتدأ محذوف ويقومان خبره ويجوز الابتدآء بالنكرة لتخصصها بالصفة وقوله من الذين استحق صفة المبتدأ وجاز الفصل بين الصفة وموصوفها بالخبر بناء على ان الفاء الجزآئية ازالت كون الخبر اجنبيا من الموصوف بناء على انها جعلت كون مضمون الجملة الجزآئية لازما للعثور على خيانتهما وكذبهما فى يمينهما فالمعنى فان عثر على ان الاثنين الكائنين منكم اومن غيركم استحقا اى استوجبا اثما بسبب خيانتهما وايمانهما الكاذبة فآخران من اوليـاء الميت يقومان مقامهما فقوله من الذين استحق قرآءة الجمهور بضم التاء على بناء المجهول والمعنى من الورثة الذين جنى عليهم فان الاولين لما جنيا واستحقا اثما بسبب جنايتهما على الورثة كانت الورثة مجنيا عليهم متضرّرين بجناية الاولين والاوليان تثنية الاولى بمعنى الاحق والاقرب الى الميت نسبا وهو خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف كان سائلا قال من

(ان انتم ضربتم فى الارض) اى سافرتم فيها (فأصابتكم مصيبة الموت) اى قاربتم الاجل (تحبسونهما) تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغى ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما فى السفر فمن غيركم او استئناف كأنه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما (من بعد الصلاة) صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اىّ صلاة كانت (فيقسمان بالله ان ارتبتم) اى ارتاب الوارث منكم (لانشترى به ثمنا) مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لانستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اى لانحلف بالله كاذبين بالطمع (ولوكان ذاقربى) ولوكان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اى لانشترى (ولانكتم شهادة الله) اى الشهادة التى امرنا باقامتها وعن الشعبى انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمدّ على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغيره كقولهم الله لأفعلنّ (انا اذا لمن الآثمين) اى ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها (فان عثر) فان اطلع (على انهما استحقا اثما) اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف (فآخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) من الذين جنى عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو (الاوليان) الاوليان الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر مبتدأ محذوف اى هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير فى يقومان

والاوّلان واعرابه اعراب الاوليان (فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما) اصدق منهما واولى بان تقبل (وما اعتدينا) وماتجاوزنا فيها الحق (انا اذا لمن الظالمين) الواضعين الباطل موضع الحق اوالظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا ارادالوصية ينبغى ان يشهد عدلين من ذوى نسبه اودينه على وصيته او يوصى اليهما احتياطا فان لم يجدهمابأن كان فى سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق مايقولان بالتغليظ فى الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لايحلف الشاهد ولايعارض يمينه يمين الوارث وثابت ان كانا وصيين وردّ اليمين الى الورثة امالظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصىّ باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روى ان تميما الدارىّ وعدىّ بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدوّن مامعه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بأن يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فوجد اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ياايها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء فى ايديهما فأتاهما بنواسهم فى ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقرّ به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة (ذلك) اى الحكم الذى تقدم اوتحليف الشاهد (ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها) على نحو ماتحملوها من غير تحريف وخيانة فيها (اويخافوا ان تردّ ايمان بعد ايمانهم) ان تردّ اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانماجمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم (واتقوا الله واسمعوا) ماتوصون به سمع اجابة (والله لايهدى القوم الفاسقين) اى ان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لايهدى القوم الفاسقين اى لايهديهم

(بوجه)

الآخران فقيل هما الاوليان ويحتمل ان يكون آخران مبتدأ والاوليان خبره ويقومان مقامهما صفة آخران وقوله من الذين اماصفة بعد صفة اوحال من فاعل يقومان وهذا الاحتمال ذكره المصنف بقوله اوخبر آخران اومبتدأ خبره آخران قدّم عليه والتقدير فالاوليان بأمر الميت آخران يقومان مقام الوصيين اللذين استحقا اثما بعدم جريهما على مقتضى الوصاية فيكون التركيب من قبيل تميمىّ اناثم ذكر احتمال ان يكون الاوليان بدلا من آخران اومن الضمير الذى فى يقومان وهذه الوجوه كلها مبنية على قرآءة الجمهور استحق بضم التاء على بناء المجهول واما اذاقرئ على بناء الفاعل وهى قرآءة حفص فالاوليان مرفوع على انه فاعل استحق ومفعوله محذوف قال صاحب الكشاف فى بيان معنى هذه القرآءة من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بها كذب الكاذبين فان قوله الاوليان فاعل استحق ومن بين حال منهما وبالشهادة متعلق بهما اى الاحقان بالشهادة وان يجردوهما مفعول استحق فالمفعول محذوف من لفظ القرآن كأنهما لماصارا اولى بالشهادة منهم استحقا ان يجردوهما للشهادة ﴿قوله وقرأ حمزة ويعقوب وابوبكر عن عاصم الاوّلين﴾ على انه جمع اوّل مقابل آخر جمع المذكر السالم وهم من الذين قرأوا استحق على بناء المجهول لما مرّ من ان من عدا حفصا قرأ كذلك وعلى هذه القرآءة يكون الاوّلين مجرورا على انه صفة لقوله الذين استحق عليهم ومعنى اوّليتهم تقدّمهم على الاجانب فى الشهادة لانهم اعلم باحوال الميت فيكونون احق بالشهادة لعلمهم بالاحوال المتعلقة به ﴿قوله والاوّلان﴾ اى قرأ الحسن البصرى استحق مبينا للفاعل عليهم الاولان مرفوعا على انه فاعل استحق وهو تثنية اوّل فيكون اعرابه كاعراب الاوليان فى قرآءة حفص ﴿قوله ولعل تخصيص العدد الخ﴾ جواب عمايقال من ان ماذكرت وان دل على انه ينبغى ان يحمل الاثنان على الوصيين الاان عندنا ماينفى ذلك وهو انه تعالى ذكر العدد والعدد شرط فى قبول الشهادة دون صحة الايصاء فانه يصح الايصاء الى واحد بالاجماع فلوكان المراد بالاثنان الوصيين لكان ذكر العدد لغوا فينبغى ان يكون المراد بهما الشاهدين دون الوصيين ﴿قوله اى الحكم الذى تقدم﴾ يعنى ان قوله تعالى ذلك اشارة الى ماتقدم ذكره من الاحكام بتفاصيلها وخلاصة ماذكر من التفاصيل ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغى ان يشهد على وصيته اثنين من اقاربه واهل دينه اومن غيرهم ان كان فى سفر بشرط ان يكونا عدلين وان يوصى اليهما احتياطا مع جواز الايصاء الى شخص ثم ان وقع ارتياب فى امانتهما اقسما على عدم الخيانة بالتغليظ فى الوقت فان حلفا يخلى سبيلهما وان ظهرت خيانتهما بعد الحلف اقسم اخران من اولياء الميت وفيه تحليف الشاهدين وهو خلاف القاعدة الفقهية فيلزم القول بنسخ الحكمين وهو بعيد لما اشتهر ان سورة المائدة ليس فيها منسوخ وقيل ذلك اشارة الى تحليف الشاهدين وقيل الى حبسهما بعد الصلاة تغليظا ليمينهما وقوله ادنى ان يأتوا خبر وقوله اويخافوا عطف على ان يأتوا بمعنى ماتقدم ذكره من الاحكام ادنى اى اقرب الى اتيان الشهدآء بالشهادة على ماينبغى اوالى خوفهم من ردّ اليمين الى غيرهم كالورثة فى هذه الحادثة على تقدير ان يأتوا بالشهادة لاعلى وجهها فيظهر كذبهما ويفتضحا بذلك بين الناس ﴿قوله وانماجمع الضمير﴾ اى فى يأتوا اويخافوا مع ان الكلام فى اثنين من الشهود والاوصياء لانه ابتدآء كلام ذكر لبيان الحكمة فى شرعية الحكم على التفصيل المذكور فى حق جميع الاوصياء اوالشهود ولم يذكر متعلق التقوى فى قوله تعالى واتقوا الله ليذهب وهم المخاطبين الى كل مايصلح ان يأمر به فى هذا المقام كأنه قيل واتقوا الله فى شهادتكم ولاتحرّفوها وفى ايمانكم فلا تحلفوا ايمانا كاذبة وفى اماناتكم وبالجملة اتقوا الله فى جميع ماكلفكم الله به بامتثال جميع ماامرتم به والاجتناب عن جميع مانهيتم عنه واسمعوا ماتوعظون به سماع قبول واجابة وأوعد من لايسمع الموعظة بانه لايهديه الى طريق الجنة ولايهديه الى الجنة فيما ذهب اليه حسبما يشتهيه ﴿قوله ظرف له﴾ اى لقوله لايهدى اى لايهديهم الى الجنة اوالى الجنة يوم القيامة ﴿قوله وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال﴾ كأنه قيل واتقوا يوم يجمعهم ولم يرض بهذا الوجه لانه لابدّ لبدل الاشتمال من اشتمال البدل على المبدل منه اومن اشتمال المبدل منه على البدل اومن اشتمال عاملهما بأن يتعلق بالتابع على حسب تعلقه بالمتبوع ومن المعلوم انه لااشتمال بينه تعالى وبين الزمان كاشتمال الظرف بالمظروف ولايتعلق الاتقاء بذاته تعالى كتعلقه بيوم الحساب فلايظهر وجه الاشتمال ههنا الابان يتكلف ويقال بينهما الملابسة بغير الكلية والجزئية بطريق اشتمال المبدل منه على البدل لاكاشتمال الظرف على المظروف بل بمعنى انه ينتقل الذهن اليه فى الجملة ويقتضيه

بوجه اجمالي مثلا اذا قيل اتقوا الله يتبادر الذهن الى انه من اي امر من اموره و اي يوم من ايام افعاله يجب الاتقاء أهو يوم يجمع الرسل و الامم ام غير ذلك ﴿قوله وهذا السؤال﴾ جواب عما يقال لا يخفى على كل احد انه تعالى علام الغيوب فاوجه سؤاله للرسل بقوله ماذا اجبتم واي فائدة فيه * واجاب عنه بأن الفائدة فيه توبيخ قوم الرسل وتبكيتهم لانه تعالى لما جمع الرسل مع اممهم المكذبين وقال لهم ماذا اجبتم اي اجابكم هؤلاء الامم حين دعوتموهم الى توحيد الله تعالى و طاعته ذكرهم بسوء معاملتهم مع الرسل و انه ليس لهم عذر في مخالفتهم فيستولى عليهم من الدهشة و الحيرة ما يقطع قلوبهم ونظيره قوله تعالى و اذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت فان المقصود من سؤال الموءودة توبيخ الوآئد و تبكيته ﴿قوله وهو على طريقة و نادى اصحاب الجنة الخ﴾ جواب عما يرد على كون قوله تعالى اذ قال بدلا من قوله تعالى يوم يجمع وهو ان يجمع زمان استقبالي و قوله اذ قال ماض لان كلمة اذ ظرف للماضي * وتلخيص الجواب انه عبر عن الآتي بلفظ الماضي للدلالة على ان ماسيأتي يكون محقق الوقوع بمنزلة الواقع كما في قوله تعالى و نادى اصحاب الجنة وقوله أتى امر الله عبر عما سيقع بلفظ الماضي للدلالة على قرب القيامة بحيث كأنها قد قامت ﴿قوله والمعنى﴾ اي المعنى على ابدال الظرف من الاول و جعلهما ظرفين لقوله تعالى لا يهدي القوم الفاسقين بيان انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبهم بعضهم وسموهم سحرة وغلا بعضهم وجاوز حد التصديق الى ان اتخذهم آلهة كما قال بعض بني اسرآئيل فيما اظهر الله تعالى على يد عيسى من البينات هذا سحر مبين و بعضهم اتخذه و امه آلهين وكأنه قيل ان الله لا يهدي من فسق و خرج عن طاعة الله يوم يقع كذا و كذا ﴿قوله او نصب باضمار اذكر﴾ عطف على قوله بدل من يوم يجمع ﴿قوله قويتك﴾ على ان التأييد مأخوذ من الايد وهو القوة و قوله اذ ايدتك ظرف لنعمتي و المعنى اذكر اذ أنعمت عليك و على امك في وقت تأييدي اياك او حال منه اي اذكر نعمتي واقعة او كائنة في ذلك الوقت قرأ الجمهور ايدتك بتشديد الياء من باب التفعيل و قرئ آيدتك على وزن افعلتك وكلاهما مأخوذ من الايد ﴿قوله ويؤيده﴾ اي يؤيد كون المراد بروح القدس الكلام ذكر قوله تعالى تكلم الناس في معرض الكلام لبيان الجملة السابقة ﴿قوله والمعنى تكلمهم في الطفولة و الكهولة على سواء﴾ اي من غير ان يوجد تفاوت بين كلامه طفلا صبيا و كلامه كهلا نبيا في كونه صادرا عن كمال العقل و موافقا لكلام الانبياء و الحكماء فانه عليه السلام تكلم حال كونه في المهد بقوله اني عبد الله آتاني الكتاب و جعلني نبيا و جعلني مباركا اينما كنت و اوصاني بالصلاة و الزكاة مادمت حيا الآية و تكلم كهلا حال ما اوحي اليه من احكام الوحي و النبوة ومقصود المصنف من هذا الكلام الاشارة الى جواب ما يقال انك قد ذكرت ان معنى الآية توبيخ من كذب عيسى عليه السلام و غلا في تعظيمه بأن عدد عليه نعمه من الآيات و المعجزات التي توجب الايمان به ومن جملة تلك النعم المعدودة ما ذكره بقوله تكلم الناس في المهد و كهلا و لاشك ان تكلمه في المهد من المعجزات الباهرة و اما تكلمه في حال كونه بالغا سن الكهولة فليس من المعجزات فما الفائدة في ذكره في مقام تعدد الآيات * وتقرير الجواب انه ليس المقصود بيان ان تكلمه في سن الكهولة من المعجزات بل المقصود بيان ان تكلمه في الحالين على سنن واحد من غير ان يتفاوت كلامه في الوقتين من الآيات العظام يقال للصبي طفل من حين ولادته وسقوطه من بطن امه الى ان يحتلم و الكهل من الرجال من جاوز الثلاثين و وخطه الشيب ﴿قوله وبه استدل على انه سينزل﴾ فانه عليه السلام لما رفع الى السماء قبل ان تكهل كان قوله تعالى و كهلا دليلا على انه عليه السلام سينزل من السماء في آخر الزمان و يكلم الناس بعد نزوله و هو ضعيف لانه عليه السلام ارسل حين بلغ سن الكهولة و بلغ رسالته و هو كهل لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ارسله الله تعالى و هو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه ﴿قوله تعالى و اذ علمتك الكتاب﴾ مصدر بمعنى الكتابة و الخط وقيل بمعنى المكتوب و هو جنس الكتب المنزلة و ذكر التوراة و الانجيل بعد ذكر جنس الكتب المنزلة و عطفهما عليها للاشارة الى فضلهما كما عطف جبريل و ميكائيل على الملائكة لذلك و الحكمة قيل المراد بها العلم و الفهم لمعاني الكتب المنزلة و اسرارها و قيل المراد بها استكمال النفس بالعلم بها او بالعمل بمقتضاها و قيل هي الحكم الصواب و الكاف في قوله كهيئة الطير اسم بمعنى مثل في محل النصب على انه صفة للمعمول المحذوف لقوله تخلق بمعنى تسوي و تصور اي و اذ تسوي و تصور هيئة مثل هيئة الطير قيل ان الناس قالوا على وجه التعنت اخلق لنا خفاشا و اجعل فيه روحا ان كنت صادقا في مقالتك فأخذ طينا و سوى منه هيئة خفاش ثم نفخ فيه فاذا هو يطير

(فيقول) اي للرسل (ماذا اجبتم) اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد ولذلك (قالوا لا علم لنا) اي لا علم لنا بما كنت تعلمه (انك انت علام الغيوب) فتعلم ما نعلمه مما اجابونا واظهروا لنا و ما لا نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا و انما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع (اذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك و على والدتك) بدل من يوم يجمع وهو على طريقة و نادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر (اذ ايدتك) قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك (بروح القدس) بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حياة ابدية وتطهر من الآثام ويؤيده قوله (تكلم الناس في المهد وكهلا) اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة على سوآء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان يتكهل (و اذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني) سبق تفسيره في سورة آل عمران

وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر (واذ كففت بني اسرآئيل عنك) يعني اليهود حين هموا بقتله (اذ جئتهم بالبينات) ظرف لكففت (فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) اي ماهذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام (واذ أوحيت الى الحواريين) اي امرتهم على ألسنة رسلي (ان آمنوا بي وبرسولي) يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة (قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) مخلصون (اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم) منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم (هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء) لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ماتقتضيه الحكمة والارادة لا على ماتقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك اومن ماده اذا اعطاه كأنها تميد من تقدم اليها ونظيره قولهم شجرة مطعمة (قال اتقوا الله) من امثال هذا السؤال (ان كنتم مؤمنين) بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعائكم الايمان (قالوا نريد ان نأكل منها) تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها (وتطمئن قلوبنا) بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته (ونعلم ان قد صدقتنا) في ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا (ونكون عليها من الشاهدين) اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر (قال عيسى بن مريم) لما رأى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك أو انهم لا يقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها (اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا) اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر (لاولنا وآخرنا) بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لأولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة (وآية) عطف على عيدا (منك) صفة لها اي آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي (وارزقنا) المائدة او الشكر عليها (وانت خير الرازقين) اي خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض (قال الله اني منزلها عليكم) اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد (فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا) اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة (لا اعذبه) الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به مايعذب به على حذف حرف الجر (احدا من العالمين) اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين (صدقك)

بين السماء والارض وكانت التسوية والنفخ بكسب عيسى عليه السلام والخلق من الله تعالى قيل انما طلبوا منه خلق الخفاش لانه اعجب المخلوقات من حيث انه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور وله ضرع يخرج منه اللبن ويضحك كما يضحك الانسان ويحيض كما تحيض المرأة ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما يرى في ساعتين بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة قبل ان يسفر جدا فلما رأوا منه ذلك قالوا ان هذا الا سحر مبين والضمير المجرور في قوله تعالى فتنفخ فيها راجع الى الكاف التي هي صفة للهيئة المخلوقة لعيسى لا الى الهيئة التي اضيف اليها الكاف لانها ليست من خلقه ولا من نفخه في شيء وكذا الضمير المستتر في قوله فتكون ﴿قوله كالباقر﴾ فانه يحتمل الافراد والجمع قال الجوهري الباقر جماعة البقر مع رعاتها ﴿قوله ظرف لكففت﴾ اي واذكر ايضا نعمتي عليك اذ منعت وصرفت عنك اليهود الذين هموا بقتلك اذ جئتهم بالدلائل الواضحة قيل المراد بالبينات هذه البينات التي تقدم ذكرها فيكون تعريف البينات للعهد الخارجي ﴿قوله امرتهم على ألسنة رسلي﴾ دفع لما يقال من ان الوحي انما يكون الى الانبياء والحواريون ليسوا انبياء وذهب أكثر المفسرين الى ان الايحاء ههنا بمعنى الالهام والمعنى اذ ألهمتهم وقذفت في قلوبهم كما في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اي الهمناها لانها ليست ممن يوحى اليه حقيقة اذ لم يعرف نبي قط انثى والظاهر ان كلمة ان ههنا مفسرة لانها وردت بعدما هو بمعنى القول لان جعلها مصدرية يحتاج الى تكلف بأن يحمل تقدير الكلام واذ اوحيت الى الحواريين الامر بالايمان فأجابوا بانشاء الايمان والاشهاد بانهم مسلمون قدم الايمان على الاسلام لان الايمان صفة القلب والاسلام عبارة عن الانقياد الظاهري والايمان بالقلب اصل ولا يعتبر الانقياد الظاهري الا به فلذلك قدموا الايمان عليه والمصنف حمل الاسلام على الاخلاص وهو اوجه لانه لا يحسن ان يقال آمنا واشهد بأننا منقادون في الظاهر ﴿قوله فيكون تنبيها﴾ اي على تقدير كون قوله تعالى اذ قال الحواريون ظرفا لقوله تعالى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون يكون الكلام تنبيها على انه لا منافاة بين ادعاء الحواريين الاخلاص وبين ان يقولوا مايدل على كونهم شاكين مترددين في قدرة الله تعالى لان ادعاء الايمان والاخلاص فيه لا يستلزم تحققه واستحكامه في قلوبهم حتى ينافي ذلك الادعاء ان يصدر عنهم مايدل على كونهم مترددين في قدرة الله تعالى والحاصل انه لما توهم المخالفة والمنافاة بين قولهم آمنا واشهد بأننا مسلمون وبين قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا الآية بناء على ان من آمن بالله القادر على كل شيء وبرسوله الصادق الامين كيف يصح منه ان يقول مايدل على كونه شاكا في قدرته من قولهم هل يستطيع ربك وقولهم ونعلم ان قد صدقتنا فانه انما يدل على كونهم لم يكمل ايمانهم بعد ويدل عليه ايضا قول عيسى لهم اتقوا الله ان كنتم مؤمنين فانه ايضا يدل على انه لم يكمل ايمانهم بعد وكل ذلك ينافي قولهم آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اشار الى انه لا منافاة بينهما بناء على ان ماقالوه اولا انما يدل على ادعاء الايمان والاخلاص وذلك لا يستلزم تحقق الايمان واستحكامه في قلوبهم فيجوز ان يصدر عنهم مع ذلك مايدل على عدم استحكام الايمان في قلوبهم فانه تعالى ماوصفهم بالايمان المستحكم بل حكى عنهم ادعاء ذلك ثم حكى عنهم مايدل على كونهم شاكين في قدرته تعالى قرأ الجمهور هل يستطيع بياء الغيبة ورفع ربك على الفاعلية وقرأ الكسائي تستطيع بتاء الخطاب لعيسى ونصب ربك على تقدير المضاف اي هل تستطيع سؤال ربك من غير ان يصرفك عنه صارف فعلى هذه القرآءة لا يلزم كون الحواريين شاكين في قدرة الله تعالى مع قولهم آمنا بالله واشهد باننا مسلمون ﴿قوله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام﴾ فان لم يكن عليه طعام لا يسمى مائدة وانما يقال له خوان كما لا يقال كأس الا وفيها خمر والا فهي قدح ولا يقال ذنوب او سجل الا وفيه ماء والا فهو دلو ولا يقال جراب الا وهو مدبوغ والا فهو اهاب ﴿قوله من ماد الماء يميد اذا تحرك﴾ ومنه قوله تعالى وجعلنا فيها رواسي ان تميد بهم فكأنها تميد بما عليها من الطعام او كأنها تميد بالآكلين او من ماده اذا اعطاه فهي مائدة اي معطية ﴿قوله تمهيد عذر﴾ وذلك انهم لما طلبوا ذلك قال لهم عيسى عليه السلام قد اظهرت من المعجزات مافيه كفاية للمستدلين فاتقوا الله في طلب معجزة اخرى فأجابوا بأن قالوا انا لا نطلب هذه المائدة لمجرد ان تكون معجزة بل لمجموع امور كثيرة احدها ان نريد ان نأكل منها اكل تبرك بحيث يشفى بسببها مرضانا ويتقوى بها ضعفاؤنا ويستغني بها فقرآؤنا وقيل مرادهم اكل احتياج لانهم قالوا ذلك في زمن المجاعة والقحط وثانيها انا وان علمنا قدرة الله تعالى بالدليل ولكنا اذا شهدنا نزول هذه المائدة ازداد اليقين وقويت الطمأنينة وثالثها انا وان علمنا بسائر المعجزات

اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ماخلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله تعالى بقدرته كلوا ماسألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا ياروح الله لو أريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال ياسمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقرآء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيئ طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقرآء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لانريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذآء الروح كما ان الاطعمة غذآء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا الوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال وألحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ماهو اعلى من مقامه لعله لايحتمله ولايستقر له فيضل به ضلالا بعيدا (واذ قال الله ياعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله) يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله عز وجل وكأنه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله تعالى (قال سبحانك) اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك (مايكون لي ان اقول ماليس لي بحق) ماينبغي لي ان اقول قولا لايحق لي ان اقوله (ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك) تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ماتخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات (انك انت علام الغيوب) تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه (ماقلت لهم الا ماامرتني به) تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم مايدل عليه (ان اعبدوا الله ربي وربكم) عطف بيان للضمير في به اوبدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولايجوز ابداله من ماامرتني به فان المصدر لايكون مفعول القول ولا ان تكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لايقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لايفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكان ما امرتهم الا مثل ماامرتني به ان اعبدوا الله

صدقك ولكن اذا شهدنا هذه المعجزة ازداد اليقين وتأكدت الطمأنينة ورابعها ان جميع تلك المعجزات التي اوردتها كانت معجزات ارضية وهذه معجزة سماوية وهي اعجب واعظم فاذا شاهدناها كنا عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرآئيل او نكون من الشاهدين لله تعالى بكمال القدرة ولك بالنبوة ﴿قوله اي يكون يوم نزولها عيدا﴾ باقيا لنا كاعياد اهل كل شريعة تعظيما لذلك اليوم واسند قوله تكون الى ضمير المائدة لكونها سببا لكون يوم نزولها عيدا لهم وقيل معناه تكون طعاما يعود الينا مرة بعد اخرى فالاسناد على هذا حقيق فمعنى قوله لاولنا وآخرنا على هذا القول الاولون وهم الحاضرون والآخرون اي الذين يأتون من بعد وما ذلك الا بكون نفس المائدة تعود اليهم مرة بعد اخرى او بكونها طعاما يبقى بينهم دآئما ﴿قوله اي تعذيبا﴾ على ان عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب كنباتا في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واجاز ابو البقاء ان يكون انتصابه على انه مفعول به على السعة اي على ان يجعل الحدث مفعولا به مبالغة فان المنصوب على التشبيه بالمفعول به ثلاثة انواع عند النحاة المصدر والظرف المتسع فيهما ومعمول الصفة المشبهة اما المصدر فكما تقدم واما الظرف فهو يوم الجمعة صمته ومنه قوله ويوما شهدناه سليمى اي شهدنا فيه ﴿قوله الضمير للمصدر او العذاب﴾ يعني انه راجع الى قوله عذابا على ان يكون اسم مصدر بمعنى التعذيب كأنه قيل فاني اعذبه تعذيبا لا اعذب ذلك التعذيب احدا فالجملة في محل النصب على انه صفة لعذاب فالعذاب بمعنى التعذيب على طريق الاستخدام ﴿قوله ثم طارت المائدة﴾ يعني انها نزلت يوما واحدا فأكل من اكل منها ثم طارت ولم تنزل بعد ذلك اليوم ويدل عليه عطف قوله وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا اي تنزل يوما ولا تنزل يوما ﴿قوله وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة﴾ عطف على قوله روي انها نزلت سفرة يعني روي عن مجاهد والحسن انها لم تنزل بناء على انه تعالى لما اوعدهم على كفرهم بعد نزولها خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لانريدها فلم تنزل وقوله تعالى اني منزلها عليكم معناه ان سألتم ولم يسألوا ﴿قوله يريد به توبيخ الكفرة﴾ بأن عدد الله تعالى على عيسى عليه السلام نعمه يوم يجمع بينه وبين الكفرة ليقر بذلك كله ويتبين بطلان النصارى في مخالفتهم اياه عليه السلام فتكون هذه الآية توبيخا لهم بوجه آخر وولي حرف الاستفهام المبتدأ لانه لو قيل أقلت لكان المستفهم عنه وقوع الفعل نفسه وهو معلوم الوقوع ولا وجه للاستفهام عن وقوعه بل المستفهم عنه انما هو نسبة الفعل الى قائله ليتبين ان عيسى عليه السلام برئ من ذلك القول وان الكفرة هم الذين اتخذوه وامه الهين من دون الله من عند انفسهم متوغلين في تعظيمه وبه يظهر ان المراد بالآية تقريع الكفرة وتوبيخهم على اشراكهم به تعالى من هو مقر ومفتخر بعبوديته وقوله تعالى اتخذوني بمعنى صيروني فيتعدى الى اثنين ثانيهما الهين ومن دون الله ان كان صفة لالهين يتعلق بمحذوف والظاهر انه صفة اتخذوني او متعلق به على ان يكون حالا من فاعله والمعنى صيروني وامي الهين اي معبودين متجاوزين عن الوهية الله ومعبوديته ويظهر بهذا التقرير وجه التنبيه المذكور لان العبادة عبارة عن غاية التذلل ومن اثبت لمعبوده شريكا في العبادة لايكون متذللا له غاية التذلل ﴿قوله او القصور﴾ لان الدون في اللغة يقتضي فوق فان قيل فلان دون فلان فقد وصف بانه ادنى منه درجة مع دنوه منه فان كان دون في الآية بمعنى الدناءة مع الدنو يكون معنى الاستفهام نفي التوصل بعبادتهما وعبادته تعالى واداء حق الوهيته لان من اعطى حق الله غيره كيف راعى حقه ﴿قوله وليس من شرط البدل الخ﴾ جواب عما يقال كيف يصح جعله بدلا من الهاء في به ومن لوازم البدل جواز اقامته مقام المبدل منه وهي لاتجوز ههنا لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء في به لقلت الا ماامرتني بأن اعبدوا الله وهذا التركيب لايجوز عند النحاة لاستلزام كون جملة الصلة خالية عما يعود منها الى الموصول * وتقرير الجواب ان شرط البدل كونه مقصودا بالنسبة لاجواز طرح المتبوع وان يحل التابع محله مطلقا فلا محذور ﴿قوله او خبر مضمرا ومفعوله﴾ اي ويجوز ان يكون قوله ان اعبدوا الله في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف راجع الى الموصول والتقدير هو ان اعبدوا الله وان يكون في محل النصب على انه مفعول فعل محذوف فسر به ذلك المأمور به والتقدير اعني بذلك المأمور به ان اعبدوا الله ﴿قوله ولايجوز ابداله من ما﴾ اي من ما في ماامرتني به لان المعنى يكون حينئذ ماقلت لهم الا ان اعبدوا الله اي ماقلت لهم الا عبادته والعبادة لاتقال لان المقول لايكون الا جملة محكية بالقول ﴿قوله ولا ان تكون ان مفسرة﴾ لان ان المفسرة لابد لها من مفسر وهو منتف ههنا لان المذكور قبلها في الآية شيئان فعل القول وفعل

(وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم) اى رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه اومشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان (فلما توفيتنى) بالرفع الى السماء لقوله انى متوفيك ورافعك والتوفى اخذ الشئ وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها

(كنت انت الرقيب عليهم) المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات (وانت على كل شئ شهيد) مطلع عليه مراقب له (ان تعذبهم فانهم عبادك) اى ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك (وان تغفرلهم فانك انت العزيز الحكيم) فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوىّ على الثواب والعقاب الذى لايثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقرّ وقع خبرا والمعنى هذا الذى مرّ من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بنى على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) بيان النفع (لله ملك السموات والارض وما فيهنّ وهو على كل شئ قدير) تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم فى المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهنّ تغليبا للعقلاء وقال وما فيهنّ اتباعا لهم غير اولى العقل فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة لهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودىّ ونصرانىّ يتنفس فى الدنيا

سورة الانعام مكية غيرست آيات اوثلاث آيات من قوله قل تعالوا وهى مائة وخمس وستون آية ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الحمد لله الذى

الامر ولا وجه لان يفسر شئ منهما بان المفسرة اما فعل القول فلأنه تحكى بعده الجمل ولا يتوسط بينه وبين محكيه حرف تفسير واما فعل الامر فانه مسند الى ضمير الله تعالى فلو فسرته باعبدوا الله ربى وربكم لم يستقم لان الله تعالى لايقول اعبدوا الله ربى وربكم فلايصح ان تكون كلمة ان فى الآية مفسرة الا ان يؤوّل قول عيسى بأمره ويكون المعنى ماامرتهم الامثل ماامرتنى به ان اعبدوا الله فبهذا التأويل يصح ان يكون قوله ان اعبدوا الله مفسرا لفعل القول المسند الى عيسى وان لم يصح كونه تفسيرا للامر المسند اليه تعالى ﴿ قوله وقرأ نافع يوم بالنصب ﴾ اى بنصب يوم بغير تنوين على انه ظرف لغو لقال وخبر هذا محذوف لدلالة الظرف عليه كانه قيل قال الله لعيسى وقت انتفاع الصادقين بصدقهم هذا جزاء صدقك فى الدنيا حيث لم تقل لهم فى الدنيا الا ماامرت به وما يحق لك ان تقوله ويحتمل ان يكون قوله يوم ينفع منصوبا على انه ظرف مستقرّ وقع خبرا لقوله هذا والتقدير هذا الذى ذكر من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع ﴿ قوله وقيل انه خبر ﴾ اى قيل فى توجيه قرآءة نافع ان قوله هذا مبتدأ ويوم خبره كما فى قرآءة الجمهور الا انه بنى يوم على الفتح لاضافته الى الفعل فان الجملة الفعلية مبنية وان كان الفعل فيها معربا مضارعا على ماذهب اليه الكوفيون واستدلوا عليه بهذه الآية واما البصريون فلايجيزون بناء الظرف الا اذا صدرت الجملة المضاف اليها بفعل ماض فيكون يوم منصوبا على الظرفية ﴿ قوله تغليبا للعقلاء ﴾ علة لان يقال ومن فيهنّ لا لنفيه وقوله اتباعا لهم غير اولى العقل علة لقوله وما فيهنّ يعنى ان المشهور ان تكون كلمة ما متناولة للاجناس كلها من العقلاء وغيرهم باعتبار تغليب غير العقلاء على العقلاء بخلاف كلمة من فان المشهور فيها ان تكون مختصة بالعقلاء وان اطلقت على ما يتناول العقلاء وغيرهم يكون اطلاقها على الجميع بطريق تغليب العقلاء على غيرهم وقد اورد فى الآية كلمة ما واطلقت على مايعم العقلاء وغيرهم بطريق تغليب غير العقلاء على العقلاء والظاهر ان تورد كلمة من وتطلق على الاجناس كلها بطريق تغليب العقلاء على غيرهم وانما اوثرت ما لان المقام مقام اظهار كذب النصارى وابطال زعمهم الباطل فيقتضى ان تلحق العقلاء بغيرهم ويدخل عيسى وامّه وغيرهما من العقلاء فى ملكه تعالى وتحت قدرته وقهره دخول الجوامد اللاتى هنّ بمعزل عن معنى الالوهية ومرتبة العبودية اهانة لهم وتنبيها على انهم من جنس الجوامد والبهائم العارية عن العلم والعقل ليظهر استحالة كونهم شركاء لله تعالى فى الالوهية والمعبودية فلذلك اوثرت كلمة ما واطلقت على الاجناس كلها بطريق تغليب غير العقلاء عليهم لاستدعاء المقام ذلك ﴿ قوله ولان مايطلق متناولا للاجناس كلها ﴾ عطف على قوله اتباعا لهم غير اولى العقل الذين هم فى غاية القصور عن معنى الربوبية قدمرّ ان الوجه الاوّل مبنى على ان تكون كلمة ما مختصة بغير العقلاء ولا تطلق على وجه العموم الا باعتبار التغليب بخلاف كلمة من فانها مختصة بالعقلاء ولا تطلق على وجه العموم الا بتغليب العقلاء على غيرهم وهذا الوجه مبنى على ماهو المختار من انه يصح ارادة العموم بكلمة ما من غير اعتبار التغليب بخلاف كلمة من فانه لايصح ارادة العموم الا بالتغليب ومايطلق على الاجناس كلها بدون اعتبار التغليب انسب بالمقام مما لايطلق عليها الا باعتبار ذلك فلذلك اوثرت كلمة ما على كلمة من وانما قلنا ان المقام مقام ارادة العموم لان المراد اثبات وحدانيته تعالى وابطال قول من زعم تعدد الآلهة ببيان ان جميع ما سواه من العلويات والسفليات مسخرون فى قبضة قدرته مقهورون منقادون لمشيئته وارادته فلايصلح شئ منها لان يكون شريكا له فى الالوهية سوآء فى ذلك عيسى او امّه اوغيرهما من مخلوقاته فظهر ان المقام مقام ارادة العموم

(سورة الانعام مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال ابن عباس رضى الله عنهما انها مكية نزلت بمكة جملة واحدة ليلا ومعها سبعون الف ملك ولهم زجل اى صوت بالتسبيح والتحميد حتى كادت الارض ترتج فقال النبى صلى الله عليه وسلم * سبحان ربى العظيم * وخرّ ساجدا وروى عنه عليه السلام مرفوعا * من قرأ سورة الانعام تصلى عليه اولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره * ثم دعا بالكتاب وامر بكتابتها وقال سعيد بن جبير لم ينزل من الوحى شئ الا ومع جبريل اربعة من الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وهو قوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا الا الانعام فانها نزلت ومعها سبعون الف ملك وقال كعب الاحبار فتحت التوراة بأوّل سورة الانعام الى قوله بربهم يعدلون وختمت بآخر سورة بنى اسرآئيل وهى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الى آخر السورة وقيل ختمت بآخر سورة هود ولله

غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وماربك بغافل عما يعملون وروى عنه عليه السلام مرفوعا انه قال * من قرأ ثلاث آيات من اول سورة الانعام الى قوله تكسبون حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين الف ملك يحفظونه وكتب له مثل اعمالهم الى يوم القيامة ونزل ملك من السماء السابعة معه مرزبة من حديد كلما اراد الشيطان ان يلقى فى قلبه شيأ من الشر ضربه بها وجعل بينه وبين الشيطان سبعون الف حجاب فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى له ابن آدم امش تحت ظلى وكل من ثمار جنتى واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فانت عبدى وانا ربك لاحساب عليك ولاعذاب * كذا رواه الامام الواحدى فى الوسيط وقال الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس نزلت سورة الانعام كلها بمكة الا قوله تعالى وماقدروا الله حق قدره الى آخر ثلاث آيات نزلت فى رد مقالة اليهود وقوله تعالى قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم الى قوله لعلكم تعقلون فهذه الست آيات مدنيات ﴿قوله اخبربانه تعالى حقيق بالحمد﴾ اى يختص جميع اقسامه وافراده به تعالى وذلك انه تعالى جعل الحمد المحلى بلام الجنس مبتدأ واخبرعنه باختصاصه لله تعالى واختصاص الجنس به يستلزم اختصاص جميع افراده به تعالى اذ لو ثبت شئ من افراد الحمد لغيره تعالى لزم ان يثبت له حقيقة الحمد فى ضمن ذلك الفرد * فان قيل أليس شكر المنعم واجبا مثل شكر الاستاذ على تعليمه وشكر السلطان على عدله وشكر المحسن على احسانه قال عليه الصلاة والسلام * من لم يشكر الناس لم يشكر الله * فالجواب ان الحمد والتعظيم المتعلق بالمنعم نظرا الى وصول النعمة من قبله هو فى الحقيقة راجع اليه تعالى لانه تعالى لولم يخلق نفس تلك النعمة ولم يحدث داعية الاحسان فى قلب المحسن لماقدر ذلك العبد على الاحسان والانعام وذلك لان صدور الاحسان من العبد يتوقف على داعية الاحسان فى قلب العبد وحصول تلك الداعية فى القلب ليس من العبد والالافتقر فى حصولها الى داعية اخرى ولزم التسلسل بل حصولها ليس الا من الله تعالى فظهر انه لامحسن فى الحقيقة الا الله ولامستحق للحمد فى الحقيقة الا هو ﴿قوله ونبه على انه المستحق له﴾ حيث اخبربان استحقاق حقيقة الحمد مختص بالله تعالى لايعادله فيه احد سواه كيف وانه تعالى هو المنفرد فى تربية عباده بخلق هذه النعم اسبابا لتكونهم وتعيشهم ولايعادله احد فى تربيتهم بخلق شئ منها وبه تم الاحتجاج على من يزعم المعادلة بينه وبين الاوثان ولامدخل فى هذا الاحتجاج لاسناد الحمد الى الحامد بأن يقول احمد الله مثلا فبهذا الوجه فضل الحمد لله على ان يقول احمد الله مع ان اسناد الحمد الى الحامد يشعر بانه قضى حق حمده تعالى ولاتفى بذلك طاقة احد لماروى من انه تعالى اوحى الى داود عليه السلام يأمره بالشكر فقال كيف اشكرك وشكرى لك لايحصل الابان توفقنى لشكرك وذلك التوفيق نعمة زآئدة وانها توجب الشكر ايضا وذلك يجر الى مالانهاية له ولاطاقة لى بفعل مالانهاية له فاوحى الله تعالى الى داود لماعرفت عجزك عن شكرى فقد شكرتنى فكان الحمد بان يقال الحمد لله لدلالته على انه تعالى هو المستحق للحمد وان عجز الحامدون عن قضاء حق حمده اتم واكمل من ان يقال احمد الله مثلا قال الامام قوله تعالى الحمد لله فيه قولان الاول ان المراد به احمد الله قالوا وانماجاء على صيغة الخبر لفوآئد احداها ان قوله يفيد تعليم اللفظ والمعنى ولوقال احمد الله لم يحصل مجموع هاتين الفائدتين وثانيتها انه يفيد انه تعالى مستحق للحمد سوآء حمده حامد اولم يحمده والثالثة ان المقصود منه ذكر الحجة فذكره بصيغة الخبر اولى والقول الثانى وهو قول الاكثرين ان المراد منه تعليم العباد استدلالا بانه تعالى قال فى اثناء سورة الفاتحة اياك نعبد واياك نستعين وهذا الكلام لايليق ذكره الابالعباد ﴿قوله وتقدم وجودها﴾ كمايدل عليه قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وهو قول قتادة واختاره المصنف ايضا فى تفسير قوله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا ثم استوى الى السماء حيث قال وثم لعله لتفاوت مابين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض لاللتراخى فى الوقت فانه يخالف ظاهر قوله والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق مافيها عن خلق السماء وتسويتها ﴿قوله والجعل فيه معنى التضمين﴾ اى جعل شئ فى ضمن شئ بأن يحصل منه او يصيره اياه او ينقل منه اليه وبالجملة فيه اعتبار شيئين وارتباط بينهما وفى الخلق معنى الايجاد بقدر وتسوية كذا فى الحواشى السعدية ولمالم يكن فى الخلق اعتبار شيئين وارتباط بينهما عبر عن احداث الاشياء القائمة بانفسها على سبيل الابداع بالخلق اذليس فى احداثها ملاحظة ارتباطها بشئ آخر اصلا بخلاف الامور القائمة بغيرها فان احداثها انما يكون بتحصيلها فى موضوعاتها * روى عن الضحاك انه قال هذه الآية نزلت تكذيبا للمجوس فى قولهم الله خالق النور والشيطان خالق الظلمات والمعنى ان الله واحد لاشريك له وهو الذى خلق

اخبربانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمدا أولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها (وجعل الظلمات والنور) انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمات بالجعل تنبيها على انهما لايقومان بأنفسهما كما زعمت الثنوية

السموات والارض وهو الذى خلق الظلمات والنور وفى التيسير انها ردّ على الثنوية فى اضافتهم خلق النور الى يزدان وخلق الظلمات الى اهرمن وبنوا على ذلك خلق كل خير وشر **قوله** لكثرة اسبابها — وسببها تخلل الجرم الكثيف بين النير والمحل المظلم وذلك التخلل يكثر بكثرة الاجرام المتخللة بخلاف النور فان سببه ليس الا النار والكواكب هذا على تقدير ان يراد بالنور الكيفية المحسوسة التى تدركها الباصرة اوّلا وبواسطتها تدرك سائر المبصرات وبالظلمة عدم النور فى الجسم الذى من شأنه قبول النور كما اختاره المصنف او الكيفية الوجودية المضادّة للنور على ماقيل استدلالا بقوله تعالى وجعل الظلمات والنور زعما ان الاعدام غير مخلوقة وفرّق المصنف بين الاعدام الصرفة واعدام الملكة واما على تقدير ان يراد بالنور الحق والهدى وبالظلمات الضلالات وانواع الباطل فالامر واضح فان الحق واحد ووجوه الضلال عن الحق مستكثرة متعدّدة **قوله** على معنى ان الله حقيق بالحمد على ماخلقه نعمة — الحمد وان لم يكن بمقابلة النعمة خاصة بل قد يكون على الفضائل الكمالية للمحمود الا ان المحمود فى الآية لما وصف بكونه خالقا لما ذكر من النعم نبه على ان الحمد فيها على النعمة دون مجرّد الاوصاف والافعال الكمالية ثم ان المصنف جعل الباء فى قوله تعالى بربهم على تقدير كون ثم الذين كفروا معطوفا على الحمد لله متعلقة بكفروا وقال فى تصوير المعنى ثم الذين كفروا به يعدلون اى يميلون عنه الى غيره وجعل يعدلون من العدول وعلى تقدير كونه معطوفا على خلق جعلها متعلقة بيعدلون وقال فى تصوير المعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان وجعل يعدلون من العدل بمعنى التسوية فيلزم ان يقال قدّم المعمول على العامل للاهتمام وتحقيق الاستبعاد وقيل عليه انه تخصيص من غير مخصص لتأتى التقديرين على كل واحد من الوجهين ووضع المظهر اعنى بربهم موضع المضمر لبيان موقع الاستبعاد وعلى تقدير ان يكون الباء متعلقة بكفروا يكون موقع الاستبعاد والانكار نفس الفعل وهو العدول **قوله** فانه المادّة الاولى — اى بالنسبة الى كل واحد من آحاد نوع الانسان كما هو المتبادر من قوله خلقكم فان الانسان مخلوق من المنى ومن دم الطمث وهما متولدان من دم العروق وذلك الدم يتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية او نباتية فان كانت حيوانية كان الحال فى تولد ذلك الحيوان كالحال فى كيفية تولد الانسان وان كانت نباتية فهى انما تتولد من الطين فثبت ان الطين هو المادّة الاولى للانسان وايضا لما انتهت سلسلة الآباء اليه كان مادّة اولى لهم من هذا الوجه ايضا غاية مافى الباب انه لا يكون مبدأ قريبا ومن الابتدائية فى قوله تعالى من طين لا تستلزم ذلك وان اريد بمبدئية الطين كونه مبدأ قريبا للمخلوق يقدّر المضاف فى قوله خلقكم روى انه تعالى بعث جبريل الى الارض ليأتيه بطائفة منها فقالت الارض انى اعوذ بالله منك ان تنقص منى فرجع جبريل ولم يأخذ شيأ قال يارب انها عاذت بك فبعث ميكائيل فاستعاذت كالمرّة الاولى فرجع فبعث اسرافيل فاستعاذت فرجع فبعث ملك الموت فعاذت منه بالله فقال وانا اعوذ بالله ان اخالفه فأخذ من وجه الارض فخلط الحمرآء والسودآء والبيضاء فلذلك اختلفت ألوان بنى آدم ثم عجنها بالماء العذب والمرّ والملح فلذلك اختلفت اخلاقهم فقال الله لملك الموت رحم جبريل وميكائيل واسرافيل الارض ولم ترحمها لا جرم اجعل ارواح من اخلق من هذا الطين بيدك **قوله تعالى** ثم قضى اجلا — اى قدّر مدّة فان لفظ القضاء قد يراد به الحكم والامر ومنه يقال للحاكم قاض قال تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وقد يراد به الاخبار والاعلام قال تعالى وقضينا الى بنى اسرآئيل فى الكتاب وقد يراد به اتمام الشئ فعلا كما فى قوله تعالى فقضاهنّ سبع سموات وقد يطلق القضاء على الارادة الازلية والعناية الآلهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر هو تعلق تلك الارادة بالاشياء فى اوقاتها والمراد بالقضاء فى قوله عليه الصلاة والسلام * لا يردّ القضاء الا الدعاء * مايخاف العبد منه من نزول المكروه وبالردّ تهوينه اى تسهيله عليه بحيث يتحمل ماينزل عليه من المكروه طبعا ويصير راضيا بقضاء الله تعالى والمناسب لهذا المقام ان يكون القضاء بمعنى الحكم والتقدير الازلى فتكون كلمة ثم فيه للترتيب فى الذكر ضرورة ان القضاء بالمعنى المذكور ليس متأخرا عن الخلق **قوله** اجل الموت — اى آخر مدّة الحياة واجل القيامة والبعث آخر مدّة الموت كما ان اجل النوم آخر مدة اعمال الحواس وتأثيرها فان الاجل عبارة عن الوقت المضروب لانقضاء المدّة واجل الانسان هو الوقت المضروب لانقضاء عمره واجل الدين محله لانقضاء التأخير فيه فقوله تعالى ثم قضى اجلا معناه انه تعالى خصص موت كل احد بوقت معين وذلك التخصيص عبارة عن تعلق مشيئته تعالى بايقاع ذلك الموت فى ذلك الوقت **قوله تعالى**

وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها اولان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضادّ النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ماخلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمدوا عليها ولا يكفروا او على قوله خلق على معنى انه خلق مالا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به مالا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاوّل متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اى يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثانى متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اى يسوّونها به (هو الذى خلقكم من طين) اى ابتدأ خلقكم منه فانه المادّة الاولى وان آدم الذى هو اصل البشر خلق منه او خلق أباكم فحذف المضاف (ثم قضى اجلا) اجل الموت

(واجل)

واجل مسمى ﴾ مبتدأ و عنده خبره و جاز الابتداء بالنكرة لتخصصها بالصفة كقوله ولعبد مؤمن خير و صريح هذه الآية يدل على حصول اجلين لكل انسان و اختلف المفسرون فى تفسيرهما قال بعضهم الاجل الاوّل من وقت الولادة الى الموت والاجل الثانى من وقت الموت الى البعث و هو البرزخ و روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لكل احد اجلان اجل من ابتداء الخلق الى الموت و اجل من الموت الى البعث فان كان برّا تقيا و صولا لارحمه زيدله من اجل البعث فى اجل العمر و ان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من اجل العمر فى اجل البعث فعلى هذا يكون الاجل بمعنى جميع المدّة و قيل الاجل الاوّل آجال الماضين من الخلق و الثانى آجال الباقين منهم و آجال من لم يأت بعد و خص هذا الاجل الثانى بكونه مسمى عنده لانهم لما ماتوا صارت آجالهم معلومة بخلاف آجال من بقى و آجال من لم يأت بعد فان تلك الآجال لايعلمها الا الله تعالى دون من مضى منهم و قيل هما واحد بمعنى جعل لاعماركم مدّة تنتهون اليها و قوله و اجل مسمى عنده يعنى و هو اجل مسمى عنده لايعلمه غيره و قال حكماء الاسلام ان لكل انسان اجلين احدهما الآجال الطبيعية و الثانى الآجال الاخترامية اما الآجال الطبيعية فهى التى لو بقى الشخص على طبيعته و مزاجه المختص به و لم تعترضه العوارض الخارجية و الآفات المهلكة لانتهت مدة بقائه الى ان تنحل رطوبته و تنطفئ حرارته الغريزيتان و اما الآجال الاخترامية فهى التى تحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق و الحرق و لدغ الحشرات و غيرها من الامور المنفصلة و معنى قوله مسمى عنده معلوم عنده و مذكور اسمه فى اللوح المحفوظ ﴿ قوله و اجل نكرة خصت بالصفة ﴾ جواب عما يقال المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره نحو فى الدار رجل فلم جاز تقديمه فى قوله تعالى و اجل مسمى عنده * و تقرير الجواب ان تقديم الظرف فى مثله انما يجب اذا لم يوجد مسوّغ آخر للابتداء بالنكرة و ههنا قد وجد مسوغ آخر و هو التوصيف فجاز الامران و بعد ما ذكر ما يجوّز تقديم المبتدأ اشار الى ان ههنا نكتة مرجحة لتقديمه فقال و الاستئناف به لتعظيمه يعنى انه لما قصد التفرقة بين الاجلين و قصد تعظيم الثانى استأنف به الكلام اى ابتدأ به اهتماما بشأنه فان تقديم الشئ و الاهتمام به من دلائل تعظيمه و كذا تنكيره و وصفه بانه مسمى و الاخبار عنه بانه عند الله كل ذلك من دلائل التعظيم ﴿ قوله و لانه المقصود بيانه ﴾ نكتة ثانية لترجيح التقديم فان الاصل فى المسند اليه ان يتقدم ذكره اذا انتفى ما يقتضى العدول عن هذا الاصل كما فى الجملة الفعلية فان كون المسند هو العامل فى المسند اليه اقتضى العدول عن تقديم المسند اليه لان مرتبة العامل قبل مرتبة المعمول ﴿ قوله الضمير لله و الله خبره ﴾ رد عليه ان يقال كون الضمير لله يستلزم ان يكون الكلام فى قوة ان يقال الله الله فيلزم ان يكون تركب الكلام من اسمين متحدين لفظا و معنى و لا يتصوّر بينهما نسبة اسنادية فكيف يتركب الكلام منهما كما يرد على كون قوله فى السموات و فى الارض متعلقا باسم الله ان اسم الله علم فلا يتعلق به حرف الجرّ لان حرف الجرّ موضوع لافضاء معنى الفعل الى الاسم فلا بدّ ان يكون مدخوله اسما و متعلقه اما فعل او شبه فعل و لما كان اسم الله علما لم يكن فيه معنى الفعل فكيف يتعلق به حرف الجرّ و كذا اله فى قوله تعالى و هو الذى فى السماء اله و فى الارض اله فانه و ان كان بمعنى المعبود كالكتاب بمعنى المكتوب الا انه اسم فلا يتعلق به حرف الجرّ و المصنف اشار الى دفعهما بقوله و المعنى هو المستحق للعبادة فيهما * و وجه الدفع ان اسم الله و ان كان علما الا انه يتضمن معنى وصفيا فيتعلق به الحرف و هو المعبودية كما يتضمن حاتم معنى الجواد و يتضمن اسد معنى الجرئ و نعامة معنى الجبان فيتعلق بها حرف الجرّ بهذا الاعتبار فيقال هو حاتم فى طى و قيل فى حق الحجاج

* اسد علىّ و فى الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر *

و باعتبار هذا المعنى الوصفى الضمنى صح كل واحد من الحمل و تعلق حرف الجرّ به ﴿ قوله او بقوله يعلم سرّكم ﴾ عطف على قوله باسم الله اى و يجوز ان يتم الكلام عند قوله و هو الله و يتعلق الظرف بقوله يعلم و المعنى انه تعالى يعلم فى السموات اسرار الملائكة و فى الارض يعلم اسرار الانس و الجن و لا يجوز كونه متعلقا بمفعول يعلم و هو سرّكم و جهركم اى يعلم سرّكم و جهركم فيهما لان معمول المصدر لا يتقدم عليه و هو قول المصنف و ليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم عليه ﴿ قوله و يكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما ﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يقال معنى الآية انه تعالى يعلم فيهما اسرار خلقه و انه يستلزم كونه تعالى مستقرا فيهما و هو تعالى منزه عن ان يحيط به الزمان و المكان ﴿ قوله او ظرف مستقرّ ﴾ عطف على قوله متعلق باسم الله اى و يجوز ان يكون اسم الله خبرا

(و اجل مسمى عنده) اجل القيامة و قيل الاوّل ما بين الخلق و الموت و الثانى ما بين الموت و البعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدّة يطلق لجملتها و قيل الاوّل النوم و الثانى الموت و قيل الاوّل لمن مضى و الثانى لمن بقى و لمن يأتى و اجل نكرة خصت بالصفة و لذلك استغنى عن تقديم الخبر و الاستئناف به لتعظيمه و لذلك نكر و وصف بانه مسمى اى مثبت معين لا يقبل التغيير و اخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم و لا قدرة و لانه المقصود بيانه (ثم انتم تمترون) استبعاد لامترائهم بعد ان ثبت انه خالقهم و خالق اصولهم و محييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد و جمعها و ابداع الحياة فيها و ابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد و احيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد و الثانية دليل البعث و الامتراء الشك و اصله المرى و هو استخراج اللبن من الضرع (و هو الله) الضمير لله و الله خبره (فى السموات و فى الارض) متعلق باسم الله و المعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله تعالى و هو الذى فى السماء اله و فى الارض اله او بقوله (يعلم سرّكم و جهركم) و الجملة خبر ثان او هى الخبر و الله بدل و يكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه و الصيد فيه او ظرف مستقرّ وقع خبرا

اوّلا لهو وفى السموات خبرا ثانيا له كأنه قيل انه الله وانه فى السموات وفى الارض لاعلى معنى انه تعالى فيهما حقيقة بل على معنى انه تعالى لما كان عالما بما فيهما كان كأنه فيهما فانه تعالى لما كان عالما بما فيهما شبهت حالة علمه بما فيهما بحالة كونه فيهما لان العالم اذا كان فى مكان كان عالما به وبما فيه فعبر عن حالة علمه بما فيهما بحالة كونه فيهما على طريق الاستعارة التمثيلية قيل المراد بالسرّ افعال القلوب وبالجهر افعال الجوارح فالافعال لاتخرج عن السرّ والجهر فيكون قوله تعالى ويعلم ماتكسبون تكرارا او من عطف الشئ على نفسه فيجب ان يحمل قوله تعالى ماتكسبون على مايستحقه الانسان على فعله من ثواب وعقاب والحاصل انه محمولا على المكتسب كما يقال هذا المال كسب فلان اى مكتسبه لان حمله على اصل معناه يستلزم المحذور المذكور فان الكسب فى الاصل هو الفعل المفضى الى اجتلاب نفع او دفع ضرّ ولهذا السبب لايوصف فعله تعالى بانه كسب لكونه تعالى منزّها عن جلب نفع او دفع ضرّ والمصنف حمل الكسب على معنى الفعل ودفع لزوم التكرار بقوله ولعله الخ ويمكن دفع ذلك بأن الافعال لها جهات مختلفة فهى من جهة سرّ وجهر ومن جهة اخرى خير وشرّ فهو تعالى بينها اوّلا من جهة كونها سرّا وجهرا ثم انه بينها من جهة كونها خيرا وشرّا تنبيها على انه انما يثيب ويعاقب على حسب الاستحقاق ومقتضى الحكمة * واعلم انه تعالى لما ابتدأ هذه السورة الكريمة بما يدل على وحدانيته ثم بين انه قضى اجل الموت واجل البعث والقيامة وثلث بما يقرّر هذين المطلوبين ثم ذكر مايتعلق بتقرير النبوّة فقال وماتأتيهم من آية من آيات ربهم الاكانوا عنها معرضين ذم المعرضين عن تأمل الدلائل تنبيها على وجوب التأمّل والتفكر فيها وبطلان الاكتفاء بالتقليد واتباع الهوى **قوله** ولذلك رتب عليه بالفاء اى ولكونه كاللازم لما قبله مرتبا عليه ترتب اللازم على ملزومه او لكونه كالدليل رتب عليه بالفاء السببية فانها كما تدخل على ماهو جزاء لازم لماقبله سواء تقدمت كلمة الشرط نحو ان لقيته فاكرمه او لم تتقدم نحو زيد فاضل فاكرمه تدخل ايضا على ماهو سبب لما قبلها فتكون بمعنى اللام السببية كما فى قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم وفى نحو قولك اكرم زيدا فانه فاضل فهذه الفاء تدخل على ماهو شرط فى المعنى كما ان الاولى تدخل على ماهو جزاء فى المعنى والمراد بالحق ههنا القرآن وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وصف الله تعالى كفار مكة بثلاثة اوصاف اوّلها كونهم معرضين عن التأمّل والتفكر فى الدلائل والآيات وثانيها كونهم مكذبين بها وهذا الوصف اقبح مما قبله لان المعرض عن الشئ قد لايكذب به بل قد يغفل عنه وثالثها كونهم مستهزئين بها وهو اقبح مما قبله لان المكذب بالشئ قد لايبلغ تكذيبه الى حدّ الاستهزاء فاذا بلغ الى هذا الحدّ فقد بلغ الغاية القصوى فى الانكار ثم انه تعالى لما ذكر قبائحهم من الاعراض والتكذيب والاستهزاء اتبعه بما يجرى مجرى الموعظة فوعظهم بالقرون الماضية والقرن الجماعة المقترنة من الناس لكونهم اهل عصر فيه نبيّ او فائق فى العلم وقيل القرن مدّة من الزمان قيل هى ثمانون سنة وقيل سبعون سنة وقيل ستون سنة وقيل اربعون سنة وقيل ثلاثون سنة وقيل مائة سنة قيل انه عليه الصلاة والسلام قال لبعض الصحابة * تعيش قرنا * فعاش مائة سنة فيكون معنى الآية على هذه الاقاويل من اهل قرن لان نفس الزمان لايتعلق به الاهلاك وهو مختار المصنف وكم فى الآية يجوز ان تكون استفهامية او خبرية وعلى كلا التقديرين فهى معلقة للرؤية عن العمل لان الخبرية تجرى مجرى الاستفهامية فى ذلك ولذلك اعطيت احكامها من وجوب التصدير وغيره والرؤية ههنا علمية ويضعف كونها بصرية وعلى كلا التقديرين فهى معلقة عن العمل لان البصرية تجرى مجراها فان كانت علمية تكون كم ومافى حيزها سادة مسدّ المفعولين وان كانت بصرية فمسدّ واحد وقوله مكناهم فى الارض فى موضع الجرّ على انه صفة لقرن وعاد ضمير الجمع اليه باعتبار معناه ومافى قوله مالم نمكن لكم يحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذى وهى حينئذ تكون صفة لموصوف محذوف والتقدير التمكين الذى لم نمكن لكم والعائد محذوف اى لم نمكنه لكم وردّ بان ما بمعنى الذى لاتكون صفة للمعرفة ويحتمل ان تكون نكرة صفة لمصدر محذوف تقديره تمكينا مالم نمكنه لكم وردّ بان النكرة التى تقع صفة لايجوز حذف موصوفها فلا يقال قمت ما وضربت ما وانت تريد قمت قياما ما وضربا ما وان تكون نكرة موصوفة بالجملة المنفية بعدها والعائد محذوف اى مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم وان تكون مفعولا به لمكناهم على المعنى لان معنى مكناهم اعطيناهم اى واعطيناهم مالم نعطكم **قوله** فان مبدأ المطر منها علة لجواز ان يراد بالسماء الفلك المحيط بهم كأنه ألقى ظله عليهم مع وصفها بالمدرار فان قوله مدرارا حال منها على اىّ معنى كانت فانّ كون السماء بمعنى المطر والسحاب مدرارا اى كثير الدرّ والصب ظاهر وانما الاشتباه فى كون

بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كأنه فيهما ويعلم سرّكم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لاتتقدم عليه (ويعلم ماتكسبون) من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر مايخفى ومايظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح (وماتأتيهم من آية من آيات ربهم) من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اى ومايظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن (الاكانوا عنها معرضين) تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) يعنى بالقرآن وهو كاللازم لما قبله كأنه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لايعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء (فسوف يأتيهم انباء ماكانوا به يستهزؤن) اى سيظهر لهم ماكانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم فى الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره (ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن) اى من اهل زمان والقرن مدّة اغلب اعمار الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق فى العلم قلت المدّة او كثرت واشتقاقه من قرنت (مكناهم فى الارض) جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى والآلات ماتمكنوا بها من انواع التصرف فيها (مالم نمكن لكم) مالم نجعل لكم فى السعة وطول المقام يااهل مكة او مالم نعطكم من القوّة والسعة فى المال والاستظهار بالعدد والاسباب (وارسلنا السماء عليهم) اى المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها

السماء بمعنى المظلة مدرارا فازال ذلك الاشتباه بان المطر ينزل من الفلك الى السحاب ومن السحاب الى الارض لكن بقي الاشتباه في ان الارسال كيف يتعلق بالمظلة ولعل المراد من ارسالها ارسال مطرها على حذف المضاف او على ان يجعل ارسال الماء منها متتابعا في اوقات الحاجات بمنزلة ارسال نفسها والمدرار مفعال وهو من ابنية مبالغة الفاعل كامرأة مذكار ومئناث واصله من درّ اللبن درورا وهو كثرة وروده على الحالب يقال سحاب مدرار اذا تتابع منه المطر في اوقات الاحتياج اليه * والمغزار مبالغة الغزير بمعنى الكثير يقال غزر الشئ بالضم يغزر فهو غزير مثل كثر لفظا ومعنى وغزرت الناقة ايضا كثر لبنها غزارة فهي غزيرة ومغزار ويستوى فيه المذكر والمؤنث وقوله وارسلنا السماء معطوف على قوله مكناهم في الارض على انه صفة ثانية لقرن وقوله وجعلنا الانهار تجرى صفة ثالثة لقرن معطوفة على الصفات السابقة والريف ارض فيها زرع وخصب يقال رافت الماشية اى رعت الريف ﴿ قوله فاهلكناهم بذنوبهم ﴾ حيث باعوا الدين بالدنيا وامتنعوا عن الايمان فعوقبوا بطريق الاستئصال مع انهم وجدوا منافع الدنيا اكثر مما وجده اهل مكة فلما اصرّوا على الكفر لم ينفعهم ماهم فيه من العز وكثرة العدد والبسطة في المال والجسم فلم لايعتبرون بحالهم وما جرى عليهم بشؤم معصيتهم ﴿ قوله يعمر بهم بلاده ﴾ اشارة الى فائدة ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم مع ان الكلام مسوق للزجر عن الكفر ﴿ قوله وتخصيص اللمس ﴾ يعني ان المراد ولو انزلنا عليك القرآن دفعة واحدة مكتوبا في صحيفة وعاينوه بأبصارهم وعلموه علم مشاهدة لنسبوه الى السحر من حيث ان شأنهم الاعراض عن الحجة والبرهان والانهماك في اتباع الشهوات والطغيان حتى لو أتاهم الدليل مدركا بالحس والعيان لما التفتوا اليه بل نبذوه ورآءهم ظهريا الا انه خص اللمس بالذكر من بين طرق الاحساس والمشاهدة لانهم لم يتأثروا بالادراك السمعي ولا الادراك الذوقي والادراك الشمي لايليق بالمقام فبقي الادراك البصري والادراك اللمسي واللمسي لكونه لايقبل التزاوير اقوى من البصري لانهم اذا رأوا المكتوب بأبصارهم لاحتمل ان يقولوا سكرت ابصارنا اى سدت من قولهم سكرت النهر اسكره سكرا اذا سددته ولان اللمس يتقدمه الابصار ويستلزمه من غير عكس فيكون ذكره في قوة ذكرهما معا فيكون اولى بالتخصيص بالذكر والعدول الى الظاهر في قوله تعالى لقال الذين كفروا بعد قوله فلمسوه بأيديهم للتسجيل عليهم بالكفر والعناد وقوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه ملك الظاهر انه جملة مستأنفة سيقت لبيان شبهة اخرى من شبه منكرى النبوّات والاخبار عنهم بفرط تعنتهم وتصلبهم في كفرهم وقيل يجوز ان تكون جملة معطوفة على جواب لو اى لو انزلنا عليك كتابا لقالوا كذا وكذا ولقالوا لولا انزل عليه ملك ولايخلو عن بعد لان قولهم لولا انزل ليس مرتبا على قوله ولو انزلنا ولولا هنا تحضيضية كدخولها على المضارع ولو دخلت على الماضي لكانت للتوبيخ على ترك الفعل فهي هنا بمعنى الامر حكى الله تعالى عنهم انهم طلبوا ملكا يرونه ليشهد له بالرسالة حتى روى ان بعض المشركين قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فانزل الله عزوجل قوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الآية فأجاب الله عن تعنتهم باقتراح انزال الكتاب في قرطاس يشاهدونه بأنا لو فعلنا ماذكروه لما اهتدوا به بل نسبوه الى السحر واجاب عن اقتراح نزول ملك يشهد بانه رسول الله بجوابين الاول انه لو انزلنا ملكا كما التمسوه لقضى الامر أى لتم امرهم وفرغ منه بانزال عذاب يستأصلهم لان انزال الملك على البشر آية باهرة فبتقدير انزال الملك على هؤلاء الكفار لايؤمنون كما قال تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله واذا لم يؤمنوا وجب اهلاكهم بعذاب الاستئصال فان سنة الله تعالى جرت على ان القوم اذا لم يؤمنوا عند نزول الآية الباهرة يهلكون على وجه الاستئصال وههنا لم ينزل الله عليهم ملكا لئلا يستحقوا هذا العذاب ومعنى ثم في قوله تعالى ثم لاينظرون بعد مابين الامرين من قضاء الامر وعدم الانظار وجعل عدم الانظار اشدّ من قضاء الامر لان مفاجأة الشدّة اشدّ من نفس الشدّة ﴿ قوله ان جعل الهاء ﴾ اى في قوله جعلناه للمطلوب وهو ان يكون الشاهد على نبوّته عليه الصلاة والسلام ملكا تكون هذه الآية جوابا ثانيا عن قولهم لولا انزل عليه ملك يعلمنا انه نبي واما ان جعل للرسول عليه الصلاة والسلام كما يدل عليه قوله تعالى لو شاء ربنا لانزل ملائكة وتعجبهم من ارسال البشر نبيا كما حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله وعجبوا ان جاءهم منذر منهم واخبر عنهم بانهم قالوا أبعث الله بشرا رسولا فحينئذ تكون هذه الاية جوابا عن اقتراح آخر لهم وهو ان يبعث الملك لانذار البشر زعما منهم ان الملك اكثر علما واشدّ مهابة وقدرة على تحصيل ماهو الحكمة من

(مدرارا) اى مغزارا (وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم) فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار (فاهلكناهم بذنوبهم) اى لم يغن ذلك عنهم شيأ (وانشأنا) واحدثنا (من بعدهم قرنا آخرين) بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر على ان يهلك من قبلهم كعاد وثمود وينشئ مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده يقدر ان يفعل ذلك بكم (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس) مكتوبا في ورق (فلمسوه بايديهم) فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لايقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لامانع وتقييده بالايدى لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء (لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا (وقالوا لولا انزل عليه ملك) هلا انزل معه ملك يعلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا (ولو انزلنا ملكا لقضى الامر) جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم (ثم لاينظرون) بعد نزوله طرفة عين (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون) جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لأنزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية الكلبي فان القوّة البشرية لاتقوى على رؤية الملك في صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوّتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا اى عليهم مايخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام وللبسنا بالتشديد للمبالغة

ارسال الرسول وان الحكيم اذا اراد تحصيل مهمّ فانما يستعين في تحصيله بمن هو اقدر على تحصيله والفرق بين
اللبس واللبس بفتح اللام وضمها ان اللبس بالضم مصدر قولك لبست الثوب ألبس من باب علم واللبس بالفتح مصدر
قولك لبست عليه الامر ألبس من باب ضرب يضرب اى خلطته وجعلته مشتبها عليه والمعنى انا لو مثلناه رجلا
لكنا جعلنا الامر مشتبها عليهم حيث يظنون حينئذ ان ذلك الملك بشر ويقولون أبعث الله بشرا رسولا ولو شاء
ربنا لانزل ملائكة * قرأ حمزة وعاصم وابو بكر بكسر الدال في قوله ولقد استهزئ على ما هو الاصل في التقاء
الساكنين والباقون بالضم على الاتباع ومثله فمن اضطرّ * وقوله برسل متعلق باستهزئ ومن قبلك صفة لرسل وحاق
بمعنى احاط وفاعله قوله ما كانوا وما موصولة اسمية والعائد الهاء في به وبه متعلق بيستهزؤن ويستهزؤن خبر لكان
ومنهم متعلق بسخروا وضمير منهم للرسل يقال سخرت منه وسخرت به بمعنى والسخرية الاستهزاء والتهكم الا ان الاستهزاء
لا يتعدى بمن فلا يقال استهزأت منه ﴿قوله حيث اهلكوا لاجله﴾ اشارة الى امرين الاول ان احاطة
استهزاء الرسل بهم كناية عن اهلاك استهزاء الرسل اياهم كما في قولك احاط بهم العدوّ والثاني ان اسناد الاحاطة
والاهلاك من قبيل الاسناد الى السبب والمعنى احاط الله بهم واهلكهم بسبب استهزائهم بالرسل ﴿قوله
او فنزل بهم وبال استهزائهم﴾ على ان تكون ما مصدرية ويقدر قبلها مضاف ثم انه تعالى لما سلى رسوله صلى
الله عليه وسلم بهذه الآية وحمله على ان يصبر على ما يرى من قومه حذر كفار مكة عذاب الامم الخالية فقال
لرسوله قل لهم لا تغتروا بما وصلتم اليه من الدنيا ولذاتها بل سيروا الى آخره ﴿قوله ثم انظروا﴾ عطف على
سيروا والعطف في مثل هذا الموضع لم يجئ في القرآن الا بالفاء وههنا جاء بثم فاحتيج الى بيان الفرق بينهما قال في
الكشاف فان قلت اىّ فرق بين قوله تعالى فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله
فانظروا فكأنه قال سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله قل سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه
اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين
الواجب والمباح انتهى كلامه يعني ان النظر اذا عطف على السير بالفاء يكون كل واحد منهما مطلوبا الا ان الاول
يكون مطلوبا لاجل الثاني واذا عطف بثم لا يكون بينهما ما يدل على السببية بل ما يدل على كون الثاني متراخيا
عن الاول ولا وجه لحمله على التراخي الزماني لان النظر في آثار الهالكين والاعتبار بحالهم واجب على الفور ليس
من حقه ان يتراخى عن السير فلذلك حمل على التراخي الرتبي بأن حمل الامر بالسير على الاباحة والامر بالنظر على
الوجوب وقيل يجوز ان يكونا واجبين وثم لتفاوت ما بين الواجبين كما في قولك توضأ ثم صل ويؤيد هذا الاحتمال ان
جعل السير ههنا سير اباحة وفي غيره سير ايجاب تحكم بلا دليل وان وجوب السير كوجوب الوضوء في ان كل واحد
منهما مفتاح لما بعده غير مقصود لذاته ﴿قوله سؤال تبكيت﴾ وهو الالزام والتوبيخ فان كفار مكة لما انكروا
التوحيد والبعث والنبوّة ذكر الله تعالى ما يدل على حقية هذه المطالب الثلاثة ويكون برهانا تحقيقيا لها ثم ذكر
ما يكون دليلا الزاميا عليها حيث امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يسألهم لمن ما في السموات والارض وهو سؤال
لم يسعهم ان يجيبوا عنه الا بأن يقرّوا ويعترفوا بأن جميع ذلك لله وذلك لان آثار الحدوث والامكان ظاهرة في جميع
الاجسام وصفاتها فكان الاعتراف بانها بأسرها لله وملك له ومحل تصرفه وقدرته لازما على كل عاقل لا سبيل له
الى انكاره اصلا والاعتراف بذلك يستلزم الاعتراف بوحدانية الصانع الحكيم القادر المختار بحكم برهان التمانع
والاعتراف به يستلزم الاعتراف بصحة الاعادة لان من قدر على الابتداء فهو اقدر على الاعادة لان من قدر على
ابداع السموات العلى والارضين السفلى وما بينهما من انواع الجواهر والاعراض التي لا تحصى أليس ذلك بقادر على
ان يحيي الموتى وكذا يستلزم الاعتراف بحقية بعثة الانبياء لان الصانع الحكيم لا يصدر عنه مثل هذه المصنوعات
العجيبة الشان الا لحكمة وعاقبة حميدة كما قال تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك وقال أفحسبتم انما خلقناكم
عبثا وانكم الينا لا ترجعون وذلك يستدعي ان يبتلي عباده ويكلفهم بأوامر ونواهي حتى يظهر المطيع من
العاصي ويجازي كل واحد منهم على حسب استحقاقه وهذا التكليف لا يكون الا بمبلغ يبلغ احكامه الى عباده
فدل ذلك على ان ارسال الرسل مما تقتضيه الحكمة فالاعتراف بأن ما في السموات والارض لله يستلزم الاعتراف
بحقية هذه المطالب الثلاثة فظهر بما قررناه ان السؤال المذكور سؤال تبكيت والزام بعد اقامة البرهان على المرام
فلزم منه ان يكون تصدّي السائل لأن يجيب بنفسه مع ان ظاهر السؤال يستدعي ان يكون مقصود السائل ان

(ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من
قومه (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به
يستهزؤن) فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن
به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال
استهزائهم (قل سيروا في الارض ثم انظروا
كيف كان عاقبة المكذبين) كيف اهلكهم الله
بعذاب الاستئصال كي تعتبروا والفرق بينه
وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان
السير ثمه لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك
قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها
وايجاب النظر في آثار الهالكين (قل لمن
ما في السموات والارض) خلقا وملكا وهو
سؤال تبكيت

يجيب غيره لأن يلجئ المسئول منه الى الاقرار بأن الكل لله كأنه يقول هل لكم سبيل الى عدم الاقرار بذلك مع كونه من الظهور بحيث لايقدر احد على انكاره فقول المصنف رحمه الله قل لله تقرير لهم معناه الجاؤهم الى الاقرار بذلك وان جاز ان يقال معناه تقرير للجواب لاجلهم فكأنه اجاب نيابة عنهم وفى تصدى السائل للجواب قبل ان يجيب غيره ايماء الى ان مثل هذا السؤال لكون جوابه متعينا ليس من حقه ان ينتظر جوابه بل حقه ان يبادر السائل الى الاعتراف بالجواب ثم انه تعالى لما حقق كمال الوهيته وقرر امر النبوة والمعاد اردفه بكمال رحمته واحسانه الى خلقه فقال كتب ربكم على نفسه الرحمة اى التزمها واوجبها تفضلا واحسانا لانه تعالى منزه عن ان يجب عليه شئ حقيقة عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى غلبت غضبى رواه مسلم بسنده **﴿قوله** استئناف وقسم**﴾** يعنى انه ابتداء كلام واللام فيه لام القسم كأنه قيل والله ليجمعنكم الى يوم القيامة الذى انكرتموه **﴿قوله** وقيل بدل**﴾** عطف على قوله استئناف وقسم والجملة القسمية على تقدير كونها مستأنفة لاتتعلق بما قبلها من حيث الاعراب وان تعلقت من حيث المعنى بخلاف ما اذا كانت بدلا من مفعول كتب فانها حينئذ تكون فى محل النصب وان كانت جملة الجواب لامحل لها من الاعراب ابدا والظاهر ان قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة الى قوله وله ماسكن فى الليل والنهار من تتمة ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوله لكفار مكة امر الله تعالى اياه اولا بأن يسألهم لمن مافى السموات والارض ثم امره بان يجيب بقوله لله الجاء لهم الى الاقرار بانه لله لالزام الحجة عليهم فى تحقيق المطالب الثلاثة وبان يتبع ذلك الجواب ببيان عموم رحمة الله تعالى لجميع خلقه فى الدارين اما فى حق من تاب وآمن بالرسل وقبل شرائعهم فبأن يدخله دار كرامته بالاعزاز والتكريم واما فى حق من عاند واصر على الكفر والتكذيب فبأن يدفع عنه عذاب الاستئصال ولايعاجله بالعقوبة فى الدنيا وبأن يخاطب كفار مكة بقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لايؤمنون والمعنى ان رحمة الله فى حق من خسر نفسه انما هى امهاله الى يوم القيامة لااهماله بل يحشره ويحاسبه على كل ما فعله من الكفر والتكذيب فهذه الجمل كلها داخلة فى حيز قل فى قوله تعالى قل لله ويدل على ماذكرنا كون قوله تعالى وله ماسكن فى الليل والنهار معطوفا على قوله لله ولاينافى ماذكرنا جعل قوله تعالى ليجمعنكم مستأنفا لامحل له من الاعراب لان المراد بكونه مستأنفا عدم دخوله فى حيز كتب ولاينافى ذلك دخوله فى حيز قل ولعل المصنف انما لم يرض بكونه بدلا من الرحمة لان الخطاب لكفار مكة والبعث انما يكون رحمة فى حقهم بشرط الايمان وهو غير مذكور فى الآية وتقديره لايخلو عن تكلف فلذلك رجح كونه مستأنفا والله اعلم **﴿قوله** والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم**﴾** وهذه الدلالة ظاهرة على تقدير ان يكون الذين خسروا انفسهم مبتدأ وقوله فهم لايؤمنون خبره لانه قد اشتهر ان المبتدأ اذا كان اسما موصولا صلته فعل يكون متضمنا لمعنى الشرط فيكون مضمون الصلة سببا لاتصاف المبتدأ بالخبر وكذا ان كان تقدير الكلام اعنى الذين خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا وعطف فهم لايؤمنون على الصلة اذلاشك ان تضييع ما هو بمنزلة رأس المال من الفطرة الاصلية والعقل السليم سبب لعدم الايمان **﴿قوله** من السكنى**﴾** وهو الاستقرار والتمكن يقال سكنت دارى واسكنتها غيرى سكنى لامن السكون الذى هو ضد الحركة وانما جعله من السكنى لان ماسكن فى الليل والنهار بهذا المعنى يعم جميع مافى الارض مما طلعت عليه الشمس وغربت بخلاف ماسكن بالمعنى الآخر فانه لايتناول المتحرك والذى من السكنى معناه وله ماحل فى الليل والنهار وهو وان كان يتعدى بنفسه ويقال سكنت بلدة كذا لكنه يتعدى بفى ايضا كما فى قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا وان كان سكن من السكون لابد من ارتكاب حذف المعطوف اعتمادا على دلالة المقام عليه والتقدير وله ماسكن وتحرك فى الليل والنهار وحذف المعطوف اعتمادا على شهادة المقام كثير فى كلام العرب ومنه قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر والمعنى تقيكم الحر والبرد قيل وجه انتظام الآية بما قبلها انه تعالى ذكر فى الآية الاولى السموات والارض اذلامكان سواهما وفى هذه الآية ذكر الليل والنهار اذلا زمان سواهما فالزمان والمكان ظرفان لجميع المحدثات فأخبر تعالى انه مالك للمكان والمكانيات ومالك للزمان والزمانيات **﴿قوله** فلذلك قدم واولى الهمزة**﴾** مع ان حق المعمول ان يتأخر عن عامله وحق الهمزة ان تلى الفعل وظاهر عبارته يوهم انه لايحصل الانكار لاتخاذ غير الله تعالى وليا على تقدير ان يؤخر المفعول مع انه لافرق بين ان يقال أغير الله اتخذ وليا وان يقال أأتخذ غير الله وليا فى الدلالة على ان المنكر

(قل لله) تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لايمكنهم ان يذكروا غيره (كتب على نفسه الرحمة) التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة مايعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر (ليجمعنكم الى يوم القيامة) استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنكم فى القبور مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم او فى يوم القيامة والى بمعنى فى وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم (لاريب فيه) فى اليوم او الجمع (الذين خسروا انفسهم) بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اى انتم الذين او على الابتداء والخبر (فهم لايؤمنون) والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان (وله) عطف على لله (ماسكن فى الليل والنهار) من السكنى وتعديته بفى كما فى قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى مااشتملا عليه او من السكون اى ماسكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر (وهو السميع) لكل مسموع (العليم) بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم (قل أغير الله اتخذ وليا) انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولى فلذلك قدم واولى الهمزة والمراد بالولى المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك

(فاطر السموات والارض) مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتانى اعرابيان يختصمان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وجرّه على الصفة لله فانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح (وهو يطعم ولا يطعم) يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاوّل على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ماهو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على ان الثانى من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط (قل انى امرت ان اكون اوّل من اسلم) لان النبى صلى الله عليه وسلم سابق امته فى الدين (ولا تكوننّ من المشركين) وقيل لى ولا تكوننّ ويجوز عطفه على قل (قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) مبالغة اخرى فى قطع اطماعهم وتعريض لهم بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة (من يصرف عنه يومئذ) اى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف (فقد رحمه) نجاه وانعم عليه (وذلك الفوز المبين) اى الصرف اوالرحمة (وان يمسسك الله بضرّ) ببلية كمرض وفقر (فلا كاشف له) فلا قادر على كشفه (الا هو وان يمسسك بخير) بنعمة كصحة وغنى (فهو على كل شئ قدير) فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا رادّ لفضله (وهو القاهر فوق عباده) تصوير لقهره وعلوّه بالغلبة والقدرة (وهو الحكيم) فى امره وتدبيره (الخبير) بالعباد وخفايا احوالهم (قل اىّ شئ اكبر شهادة) نزلت حين قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك انك رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة (قل الله) اى الله اكبر شهادة ثم ابتدأ (شهيد بينى وبينكم) اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شئ شهادة (قوله)

انما هو اتخاذ غير الله وليا لا نفس اتخاذ الولى فمعنى كلامه انه لما كان المقصود انكار اتخاذ غير الله وليا كان مناط الانكار هو غير الله فكان الاهتمام بذكره أتم فكان اولى بالتقديم فلذلك قدم المفعول واولى الهمزة **قوله مبدعهما** اى خالقهما ابتداء لا على مثال سبق **قوله فانه بمعنى الماضى** فلا يعمل حتى يكون مضافا الى معموله فتكون اضافته لفظية غير مفيدة للتعريف فيلزم وصف المعرفة بالنكرة بل اضافته محضة اى معنوية مفيدة للتعريف فجاز كونه صفة لاسم الله المجرور بغير ولا يضرّ الفصل بين الصفة والموصوف بقوله اتخذ وليا لان هذه الجملة الفعلية ليست باجنبية عن الموصوف اذ هى عاملة فى عامل الموصوف وقيل انه بدل من اسم الله ورجح هذا القول بان الفصل بين البدل والمبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل فكأنه لا فصل والقرآءة المشهورة هى يطعم على بناء الفاعل ولا يطعم على بناء المفعول وقرئ ولا يطعم بفتح الياء والعين والمعنى ولا يأكل وضمير هو على القرآءتين لله تعالى وقرئ بعكس الاوّل اى على بناء الاوّل للمفعول والثانى للفاعل على معنى وذلك الولى الذى هو غير الله يطعمه غيره وهو لا يطعم احدا لعجزه فيكون نازلا عن مرتبة الحيوانية وقرئ ببنائهما للفاعل اما على معنى وهو يطعم ولا يستطعم واما على معنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطى ويمنع ويقبض ويبسط **قوله وقيل لى لا تكوننّ** يعنى ان قوله ولا تكوننّ ليس معطوفا على ان اكون والا لوجب ان يقال ولا اكوننّ بل هو معطوف على امرت بتقدير وقيل لى لا تكوننّ وتلخيص المعنى امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وجاز عطفه على قل عطف النهى على الامر **قوله والمفعول به محذوف** يعنى اذا قرئ يصرف على بناء الفاعل يحتمل ان يكون مفعوله محذوفا والدلالة ما ذكر قبله عليه والتقدير من يصرف الله عنه الهول ويومئذ حينئذ منصوب على الظرفية ويحتمل ان يكون مذكورا وهو يومئذ فلا بد حينئذ من حذف مضاف اى من يصرف الله عنه هول يومئذ او عذاب يومئذ فقد رحمه وضمير يصرف على التقدير لله تعالى ويدل عليه قرآءة ابىّ بن كعب من يصرف الله باظهار الفاعل ولا يخفى عليك انه على تقدير ان يحذف المضاف من يومئذ يكون المفعول محذوفا فلا يكون قوله او يومئذ بحذف المضاف قسيما لقوله والمفعول به محذوف فلا يكون وجه الفرق بين الاحتمالين بحذف المفعول وعدمه بل بكون يومئذ على احد الاحتمالين ظرفا وعلى الآخر مضافا اليه **قوله تعالى وان يمسسك الله بضرّ الآية** دليل آخر على انه لا يجوز للعاقل ان يتخذ غير الله وليا والباء فى قوله بضرّ للتعدية **قوله فكان قادرا على حفظه وادامته** كأنه قادر على ازالته والمقصود بيان وجه ارتباط الجزاء بالشرط **قوله تصوير لقهره وعلوّه** جواب عما يقال قوله تعالى فوق عباده يوهم كونه تعالى فى جهة وهو تعالى منزه عنها فما المراد منه وتقرير الجواب انه استعارة تمثيلية بان صوّر قهره وعلوّ شأنه بالعلوّ الحسى فعبر عنه بالفوقية وقوله بالغلبة متعلق بالعلوّ لا بالتصوير او هما متعلقان بالقهر والعلوّ على طريق اللف والنشر والحاصل ان قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده عبارة عن كمال القدرة كما ان قوله وهو الحكيم الخبير عبارة عن كمال العلم **قوله والشئ يقع على كل موجود** لانه فى الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شائى تارة وحينئذ يتناول البارى تعالى كما فى هذه الآية وبمعنى مشئ اخرى اى ماشئ وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود يعنى انه لما كان المقصود اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بشهادة من يشهد بها امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسأل سؤال تبكيت اىّ شئ اكبر شهادة ثم امر ان يجيبهم بأن يقول الله اكبر شهادة على طريق الجائهم الى الاقرار بذلك فكان المناسب ان يضاف اكبر الى ما يعم كل موجود ليتحقق اعترافهم بان شهادة الله تعالى لا يعادلها شهادة فاذا اعترفوا بأن الله تعالى اكبر شهادة قال هو شهيد لى بالنبوة فلفظ الجلالة فى قوله قل الله مبتدأ حذف خبره وقوله شهيد بينى وبينكم خبر مبتدأ محذوف وقد صوّر المصنف تقديرهما فعلى هذا جواب اىّ شئ هو لفظ الجلالة مع خبره المحذوف واما على تقدير ان يكون الجلالة مبتدأ وشهيد خبرها فجواب اىّ حينئذ هو هذه الجملة كما صرح به المصنف الا ان يكون مراده بكونها جوابا انها دالة على الجواب لا انها هى الجواب حقيقة ويدل على ما ذكرنا انه علل كونه جوابا بقوله لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شئ شهادة فان الجواب اللائق لقوله اىّ شئ اكبر شهادة ليس الا الله تعالى وقد عدل عنه فى الجواب الى قوله الله شهيد بينى وبينكم ليدل على ان اكبر شئ شهادة شهيد له اى للرسول فان الله اكبر شهادة والله شهيد له وهما ينتجان ان الاكبر شهادة شهيد له وقوله واوحى الىّ هذا القرآن كأنه بيان لطريق شهادته تعالى على معنى انه تعالى شهيد لى بايحاء هذا القرآن المعجز فصدقنى فى دعوى الرسالة بانزاله علىّ وايحائه الىّ لانذركم به

﴿قوله او لأنذركم ايها الموجودون﴾ عطف على قوله اى لأنذركم به يا اهل مكة يعنى ان قوله لأنذركم خطاب لاهل مكة او للموجودين وقت نزول القرآن وعلى الاول يكون المراد بمن بلغ ماعدا اهل مكة من نوع الانسان اومن الثقلين وعلى الثانى يكون المراد به من يأتى بعد المعاصرين الى يوم القيامة ﴿قوله تقرير لهم﴾ اى الجاء الى الاقرار باشراكهم اذ لا سبيل لهم الى انكاره لاشتهارهم به والاستفهام فيه للانكار والتوبيخ والجمهور على تحقيق الهمزتين فى ءانكم وقرئ بتسهيل الثانية وبادخال الف الفصل بين الهمزة الاولى والهمزة المسهلة والظاهر ان هذه الجملة الاستفهامية فى محل النصب لكونها فى حيز القول على انه تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول اى شئ اكبر شهادة وان يقول ءانكم لتشهدون واخرى صفة لآلهة لان مالا يعقل يعامل جمعه معاملة الواحدة المؤنثة كقوله مآرب اخرى والاسماء الحسنى والظاهر ان كلة ما فى قوله تعالى انما هو اله واحد كافة لان عن عملها وهو مبتدأ واله خبره وواحد صفته وان احتمل ان تكون موصولة بمعنى الذى تكون منصوبة المحل على انها اسم ان ويكون قوله هو اله صلة وعائدا وقوله واحد خبران والتقدير ان الذى هو اله واحد انكر الله تعالى القول بالاشراك اولا بالاستفهام الانكارى ثم اكد ذلك واوجب القول بالتوحيد من ثلاثة اوجه اولها قوله تعالى قل لااشهد وثانيها قوله قل انما هو اله واحد بأداة الحصر والتصريح بلفظ واحد وثالثها قوله واننى برئ مما تشركون فانه صريح فى التبرئ من اثبات الشركاء فلذلك قال العلماء يستحب لمن اسلم ابتداء ان يأتى بالشهادتين ويتبرأ من كل دين سوى دين الاسلام ونص الامام الشافعى على استحباب ضم التبرئ الى الشهادتين لقوله تعالى واننى برئ مما تشركون عقيب التصريح بالتوحيد ﴿قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ لما انكر اليهود والنصارى دلالة التوراة والانجيل على نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حين سألهم كفار مكة عن ذلك وبين الله تعالى انه اكبر شهادة وان شهادته كافية فى صحة نبوته بين بهذه الآية انهم كذبوا فى قولهم انا لانجد فى كتابنا مايدل على نبوته وليس له عندنا ذكر ولا صفة حيث قال انهم يعرفونه بالنبوة والرسالة لانهم يجدونه فى كتبهم ﴿قوله تعالى كما يعرفون ابناءهم﴾ اى انهم ابناؤهم بسبب علمهم بحالهم المعينة لهم روى انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال عمر لعبدالله بن سلام رضى الله عنهما انزل الله تعالى هذه الآية على نبيه فكيف هذه المعرفة فقال ياعمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما اعرف ابنى ولأنا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم منى بابنى لانى لاادرى ماصنع النساء واشهد انه حق مرسل من الله تعالى ﴿قوله تعالى الذين خسروا انفسهم﴾ الظاهر انه مبتدأ وقوله فهم لايؤمنون خبره دخلت الفاء فى الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط فان تضييع المشركين واهل الكتاب مابه يكتسب الايمان وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم سبب لعدم الايمان فيترتب عليه عدم الايمان كما يترتب الجزاء على الشرط ﴿قوله منصوب بمضمر﴾ يعنى ان يوم ظرف لفعل مضمر يفسره مابعده اى ونحشرهم يوم نحشر المفترين على الله الكذب او يوم نحشر الناس كلهم فيدخل هؤلاء فيهم دخولا اوليا يكون كيت وكيت وحذف عامل الظرف ليكون ابلغ فى التخويف وقوله ثم نقول للذين من اقامة الظاهر مقام المضمر ان جعلنا الضمير المنصوب فى نحشرهم للمفترين اذ الاصل ثم نقول لهم وانما اظهر تصريحا بمنشأ التقريع والتبكيت واضافة الشركاء اليهم للدلالة على ان توهم الشركة مختص بهم ﴿قوله ولعله يحال بينهم﴾ يعنى ان الاستفهام على طريق التوبيخ لايقتضى غيبة الشركاء حين الاستفهام بل يجوز ان يكون التوبيخ حال حضور الشركاء ومشاهدة المشركين اياها بأن يقال لهم اين مارجوتم من منفعة شركائكم وشفعائكم لكن يحتمل ان يكون التوبيخ المذكور حال غيبة الشركاء بأن يحال بينهم وبين شركائهم حين ماعلقوا الرجاء بشفاعتهم ﴿قوله اى كفرهم﴾ اى محبة غير الله واتخاذه وليا يقال للمحب المتحير المدهوش مفتون ويقال لمن احب امرأة فتنته المرأة اى حيرته وادهشته روى عن الزجاج انه قال قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا فيه معنى لطيف وذلك ان الله تعالى بين ان المشركين مفتونون بشركهم متهالكون على حبه فأعلم بهذه الآية انه لم يكن افتتانهم بشركهم واقامتهم عليه الا ان تبرأوا منه وتباعدوا عنه وحلفوا انهم ما كانوا مشركين ومثاله ان ترى انسانا يحب انسانا مذموم الطريقة فاذا وقع فى محنة بسببه تبرأ منه فيقال له ماكان محبتك لفلان الا ان فررت منه اى ماكان عاقبتها الا الفرار منه فالمراد بالفتنة افتتانهم بالاوثان وكفرهم بسببها ويؤيد هذا المعنى ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لم تكن فتنتهم معناه شركهم فى الدنيا على حذف المضاف اى لم تكن عاقبة شركهم الا التبرئ والفرار منه ﴿قوله قرأ ابن

(واوحى الى هذا القرآن لأنذركم به) اى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة (ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين اى لأنذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لأنذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لايؤاخذ بها من لم تبلغه (ءانكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى) تقرير لهم مع انكار واستبعاد (قل لا أشهد) بما تشهدون (قل انما هو اله واحد) اى بل اشهد أن لا اله الا هو (واننى برئ مما تشركون) يعنى الاصنام (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة فى التوراة والانجيل (كما يعرفون ابناءهم) بحلاهم (الذين خسروا انفسهم) من اهل الكتاب والمشركين (فهم لايؤمنون) لتضييعهم ما به يكتسب الايمان (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عندالله (او كذب بآياته) كأن كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر أو وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم على النفس (انه) الضمير للشان (لايفلح الظالمون) فضلا عمن لا احد اظلم منه (ويوم نحشرهم جميعا) منصوب بمضمر تهويلا للامر (ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم) اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء (الذين كنتم تزعمون) اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم (ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا) اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص

كثيرلم تكن بالتاء من فوق وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ﴾ اى اسم كان ولذلك انث الفعل لاسناده الى مؤنث
والا ان قالوا خبركان وقرأ نافع ومن تبعه بتاء التأنيث ايضا ونصب فتنتهم على انها خبركان قدم على اسمها وهو
قوله الا ان قالوا وانث الفعل مع تذكير الفاعل لان قوله الا ان قالوا وان كان فى تأويل قولهم الا انه لما اخبر عنه
بمؤنث وهى الفتنة اكتسب تأنيثا من خبره فعومل معاملة المؤنث ﴿ **قوله** والباقون بالياء ﴾ اى المثناة من
تحت لاسناد الفعل الى مذكر وهو قوله الا ان قالوا ونصب فتنتهم على انها خبر مقدم والتقدير لم يكن فتنتهم الا قولهم
﴿ **قوله** يكذبون ويحلفون عليه ﴾ اى على انهم ما كانوا مشركين * ولما ورد ان يقال كيف يجوز لاهل
القيامة ان يفعلوا القبيح مع انهم يعرفون الله يومئذ بالاضطرار لا بالنظر والاستدلال والابصار موقف القيامة
دار تكليف وذلك باطل وتلك المعرفة تلجئهم الى الاقرار لعلمهم بأن ارتكاب القبيح لا ينفعهم اصلا * اجاب
عنه بانهم انما يفعلونه من فرط الحيرة والدهشة اعلم ان العلماء اختلفوا فى جواز الكذب على اهل القيامة فمنع
عنه ابو على الجبائى والقاضى وذهب الجمهور الى الجواز واستدلوا عليه بالآية فانهم حلفوا فى القيامة على انهم
ما كانوا مشركين وهو كذب واحتج المنكرون بأن حقائق الاشياء تنكشف يوم القيامة فاذا اطلع اهل
القيامة على الحقائق وعلى ان لا منفعة لهم فى الكذب استحال صدور الكذب عنهم واجابوا عن الآية بان المعنى
ما كنا مشركين فى اعتقادنا وظنوننا ذلك لان القوم كانوا يعتقدون فى انفسهم انهم موحدون متباعدون عن الشرك
ويقولون انما نعبد الاصنام ليقربونا الى الله زلفى ثم اعترضوا على انفسهم بانهم على هذا التقدير يكونون صادقين فيما
اخبروا فلم قال الله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم واجابوا بانه ليس يجب ان يكون المراد انهم كذبوا فى قولهم
والله ربنا ما كنا مشركين بل يجوز ان يكون المراد انظر كيف كذبوا على انفسهم فى دار الدنيا فى امور كانوا يخبرون
عنها كقولهم انهم على صواب وان ما هم عليه ليس بشرك والكذب يصح عليهم فى دار الدنيا وانما ينفى عنهم ذلك
فى دار الاخرة والمصنف اختار مذهب الجمهور واشار الى ان دليل المنكرين لا يستلزم دعواهم لجواز ان يطلع اهل
القيامة على الحقائق وعلى انه لا منفعة لهم فى الكذب وان يقولوا ذلك القول الكذب مع علمهم بانه لا ينفعهم بناء على
انهم لما عاينوا اهوال القيامة غلب عليهم الدهشة والحيرة فقالوا ذلك بناء على اختلاط عقولهم وجاز لاهل القيامة
ان يتكلموا بما يخالف ما اعتقدوه كقولهم ربنا اخرجنا منها مع انهم أيقنوا بالخلود ﴿ **قوله** وحمله ﴾ اى حمل قوله
تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بنظم الآية وذلك لان ما قبلها من قوله ويوم
نحشرهم الى قوله ما كنا مشركين وما بعدها وهو قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون فى احوال الآخرة
فصرف الوسط الى احوال الدنيا يوجب تفكيك نظم الآية ﴿ **قوله** ونظير ذلك ﴾ اى نظير قولهم يوم القيامة
ما كنا مشركين فى الدلالة على وقوع الكذب من اهل القيامة قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا الآية فانه تعالى قال
فى حق المنافقين ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون
يعنى تولوا اليهود وقالوا للمسلمين والله انا مسلمون وهو حلفهم على الكذب ثم قال بعده يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم وليس معناه الا انهم يحلفون لله تعالى فى الآخرة على انهم مسلمون كما يحلفون لكم
فى الدنيا فشبه كذبهم فى الآخرة بكذبهم فى الدنيا والجمهور على جر ربنا على الوصفية او البدلية او عطف البيان
﴿ **قوله** تعالى وضل عنهم ﴾ يحتمل ان يكون معطوفا على كذبوا فيكون داخلا فى حيز انظر وان يكون استئناف
اخبار فلا يكون داخلا فى حيز النظر وما فى قوله ما كانوا يفترون يجوز ان تكون مصدرية اى وضل عنهم افتراؤهم
وان تكون موصولة اسمية اى وضل عنهم الذى كانوا يفترونه وضل بمعنى ذهب وبطل فانهم يفترون فى حق الاصنام
انها شفعاؤهم عند الله تعالى فبطل ذلك بالكلية ﴿ **قوله** كراهة ان يفقهوه ﴾ اشارة الى ان أن يفقهوه فى موضع
النصب على انه مفعول له فلما حذفت الكراهة انتقل نصبها الى ان يفقهوه والوقر الصمم والثقل فى الاذن احتج اهل
السنة بهذه الآية على انه تعالى قد يصرف العبد عن الايمان ويمنعه عنه ضرورة ان القلب اذا جعل
فى الكنان لا ينفذ فيه الايمان والاذن اذا كانت مأوفة بآفة الصمم تعذر ان يتوسل بها الى استماع الدليل والبيان
وقال المعتزلة لا يمكن اجراء هذه الآية على ظاهرها والا كانت حجة للكفار على الرسول صلى الله عليه وسلم بأن
يقولوا لما حكم الله تعالى بانه منعنا من الايمان لزم ان نكون عاجزين عنه فكيف تدعونا اليه وتذمنا على تركه
ومن المعلوم انه لا وجه لتكليف العاجز ولا لذمه على ترك ما عجز عنه لان ختم القلب وجعله فى كنان وغشاوة تمنعه عن

قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء
وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو
وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم أن
قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت أمك
والباقون بالياء والنصب ﴿ والله ربنا
ما كنا مشركين ﴾ يكذبون ويحلفون عليه
مع علمهم بانه لا ينفعهم من فرط الحيرة والدهشة
كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا
بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند
انفسنا وهو لا يوافق قوله ﴿ انظر كيف
كذبوا على انفسهم ﴾ اى بنفى الشرك عنها
وحمله على كذبهم فى الدنيا فيه تعسف يخل
بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة
والكسائى ربنا بالنصب على النداء او المدح
﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ من الشركاء
﴿ ومنهم من يستمع اليك ﴾ حين تتلو القرآن
والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة
وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا
فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ
القرآن فقالوا للنضر ما يقول فقال والذى
جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك
لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم
﴿ وجعلنا على قلوبهم اكنة ﴾ أغطية جمع
كنان وهو ما يستر الشئ ﴿ ان يفقهوه ﴾
كراهة ان يفقهوه ﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾ يمنع
من استماعه وقدمر تحقيق ذلك فى اول
سورة البقرة

ادراك الحق وقبوله ترك لما هو الاصلح للعبد فلا يجوز اسناده اليه تعالى عندهم وأوّلوا نحو هذه الآية بوجوه منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك فى قلوبهم حتى صار ذلك الاعراض كالحالة الطبيعية لهم شبه بالوصف الجبلىّ فأعطى له حكم الحالة الجبلية وهو ان يسند اليه تعالى فاسند اليه وقيل تارة ختم الله وتارة طبع الله عليها بكفرهم وتارة وجعلنا على قلوبهم اكنة فكان اسناده اليه تعالى عبارة عن فرط تمكنه فى قلوبهم ونحن نقول القلوب لاتقبل حقيقة الختم والاكنة فالمراد بجعل القلوب فى اكنة وبجعلها مختومة ان يحدث فى نفوسهم هيئة تمرّنهم على استحباب الكفر والمعاصى واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم فى التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لاينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فيصيرون كأنهم صم مختوموا القلوب وليس احداث تلك الهيئة فى نفوسهم اجبارا لهم على الكفر والضلال بل هو عقوبة مترتبة على اختيارهم الكفر وانهماكهم فى التقليد واعراضهم عن اتباع الدليل والبرهان فتلك الهيئة من حيث ان الممكنات بأسرها مستندة اليه تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه تعالى ومن حيث انها مسببة عن سوء اختيارهم وتدبيرهم بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم استحقوا لان يذموا لها ويوبخوا عليها «قوله تعالى وان يروا كل آية» اى علامة تدل على وحدانية الله تعالى ونبوة رسوله صلى الله عليه وسلم لايؤمنوا بسببها او لايؤمنوا بكونها آية آلهية ويسمونها سحرا وافتراء واساطير «قوله بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك» اشارة الى ان حتى الابتدائية وان لم تكن عاملة الا انها تفيد معنى الغاية والمعنى حتى اذا جاؤك مجادلين يقولون ان هذا الا اساطير الاوّلين فوضع الذين كفروا موضع المضمر يشعر بأن مجيئهم على تلك الحالة كفر وعناد «قوله خرافات الاوّلين» واصل الخرفة بالضم مايجتنى من الفواكه من الشجر ثم جعل اسما لما يتلهى به من الاحاديث وقيل خرافة اسم رجل من خزاعة استهوته الجنّ فرجع الى قومه وكان يحدّثهم بالاباطيل وكانت العرب اذا سمعت مالا اصل له قالت حديث خرافة ثم كثر حتى قيل للاباطيل خرافات وروى عن صاحب الكشاف انه قال المسموع من العرب الخرّافات بالتشديد بدليل جمعه على خراريف «قوله ويجادلونك جواب» ظاهره يدل على ان حتى اذا كانت حرف جرّ تكون اذا شرطية كما اذا كانت ابتدائية وانت خبير بأن حتى اذا كانت جارة بمعنى الى تكون اذا اسما بمعنى الوقت لاظرفية ولاشرطية لان حرف الجرّ انما يدخل الاسم لافضاء معنى ماقبله من الفعل او شبهه اليه فلايكون له حينئذ جواب ويكون يجادلونك حالا كما اذا كانت حتى ابتدائية ويكون قوله الذين كفروا تفسيرا لمجادلتهم والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك بأن يقولوا ان هذا القرءآن الا اساطير الاوّلين نعم اذا كانت حتى ابتدائية يحتمل ان يكون يجادلونك جوابا ويقول الذين تفسيرا له فقوله ويجادلونك جواب محل بحث الا ان يراد به جواب لمن يقول كيف يفعلون عند مجيئك «قوله والاساطير الاباطيل جمع اسطورة» نحو ارجوحة واراجيح واحدوثة واحاديث «قوله او اسطار جمع سطر» بفتح الطاء نحو سبب واسباب واما سطر بسكونها فجمعه فى القلة على اسطر وفى الكثرة على سطور كفلس وافلس وفلوس وفى الصحاح الاساطير الاباطيل الواحد اسطورة بالضم واسطارة بالكسر والسطر الصف من الشئ يقال بنى سطرا وغرس سطرا والسطر الخط والكتابة وهو فى الاصل مصدر والسطر بالتحريك مثله والجمع اسطار مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير وفى الوسيط اساطير الاوّلين اى ماسطره الاوّلون اى كتبوه من احاديثهم وقيل هو جمع لاواحد له مثل عباديد وابابيل وشماطيط ومثله لا يسمى اسم جمع لان النحويين قد نصوا على انه اذا كان اللفظ على صيغة تختص بالجموع لم يسموه اسم جمع بل يقولون هو جمع وان كان لم يستعمل واحده «قوله والايمان به» بدل اشتمال من الرسول للاشارة الى ان النهى عن نفس الرسول لامعنى له اذ لابدّ ان يكون النهى عن فعل يتعلق به وذلك الفعل هو التصديق برسالته على الاوّل او التعرّض له بالايذآء وقصد الاضرار على الثانى وقوله وينأون اى يتباعدون عنه من النأى وهو البعد فان ابا طالب كان ينهى الناس عن التعرّض لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويمنعهم عن ايذآئه وينأى بنفسه عن الايمان حتى روى انه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا خذ شابا من اصبحنا وجها وادفع الينا محمدا فقال ابو طالب ما انصفتمونى أدفع اليكم ولدى لتقتلوه واربى ولدكم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم دعاه الى الايمان فقال لو لا ان يعيرنى قريش لأقررت به عينك ولكن اذب عنك ماحييت وقال فيه ابياتا

(وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم (حتى اذا جاؤك يجادلونك) اى بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو (يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاوّلين) فانّ جعل اصدق الحديث خرافات الاوّلين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجرّ ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصل السطر بمعنى الخط (وهم ينهون عنه) اى ينهون الناس عن القرءآن او الرسول والايمان به (وينأون عنه) بأنفسهم او ينهون عن التعرّض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابى طالب (وان يهلكون) ومايهلكون بذلك (الا انفسهم وما يشعرون) أنّ ضرره لا يتعدّاهم الى غيرهم

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ※ حتى اوسد فى التراب دفينا ※
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة ※ وابشر بذاك وقر منه عيونا ※
ودعوتنى وزعمت انك ناصحى ※ ولقد صدقت وكنت ثم امينا ※
وعرضت دينا قد علمت بانه ※ من خير اديان البرية دينا ※
لو لا الملامة او حذار مسبة ※ لوجدتنى سمحا بذاك مبينا ※

ثم انه تعالى لما بين ان الذين ينهون عنه وينأون عنه يهلكون انفسهم شرح كيفية ذلك الاهلاك فقال ولو ترى اذ وقفوا على النار وحذف الجواب فى مثل هذا الموضع ابلغ فى التخويف لان فكر السامع يذهب حينئذ الى انواع المكروه ولايدرى اى نوع منها يكون فيعظم خوفه بخلاف مالو اظهر فانه حينئذ يتعين المكروه ولايخطر بباله سواه قرأ الجمهور وقفوا ثلاثيا مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل ووقف يتعدى ولا يتعدى وفرق العرب بينهما بالمصدر يقال وقفته وقفا فوقف وقوفا كما يقال رجعته رجعا فرجع رجوعا روى عن الزجاج ان وقفوا على النار يحتمل ثلاثة اوجه الاول يجوز ان يكونوا قد وقفوا عندها وهم يعاينونها فهم موقوفون على ان يدخلوا النار والثانى يجوز ان يكونوا وقفوا عليها وهى تحتهم بمعنى انهم وقفوا فوق النار على الصراط وهو جسر فوق جهنم والثالث انهم عرفوا حقيقتها تعريفا من قولك وقفت فلانا على كلام فلان اى علمته معنى كلامه وعرفته اياه وفيه وجه رابع وهو ان يكون على بمعنى فى والمعنى انهم يكونون فى جوف النار وتكون النار محيطة بهم ويكون التعبير بكلمة على للاشعار بأن النار دركات وطبقات بعضها فوق بعض فيصح حينئذ معنى الاستعلاء مع كونها بمعنى فى ﴿قوله او يطلعون عليها﴾ من قولهم طلعت الجبل بالكسر اذا علوته ﴿قوله استئناف كلام منهم﴾ اعلم ان القراء اتفقوا على رفع نرد لكونه داخلا فى التمنى لامحالة وقرأ نافع وابو عمرو وابن كثير والكسائى ولانكذب ونكون برفع الفعلين وذكر المصنف لهذه القرآءة ثلاثة اوجه الاول ان التمنى تم عند قوله يالیتنا نرد واما قوله ولا نكذب الخ فانه خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة لاتعلق لها بماقبلها وليست بداخلة فى حيز التمنى اصلا على انه تعالى حكى عنهم امرين الاول انهم تمنوا الرجوع الى الدنيا والثانى انهم اخبروا عن انفسهم بانهم لايكذبون بايات ربهم وانهم يكونون من المؤمنين فتكون هذه الجملة مع ماعطف عليها فى محل النصب على انها مقول القول والتقدير فقالوا ياليتنا نرد وقالوا نحن لانكذب ونكون من المؤمنين على كل حال نرد الى الدنيا اولم نرد كقولهم دعنى ولااعود اى وانا لا اعود على كل حال تركتنى فيه اولم تتركنى والوجه الثانى ان يكون كل واحد من الفعلين معطوفا على نرد وداخلا فى التمنى على انه تعالى حكى عنهم انهم تمنوا ثلاثة اشياء الرد الى دار الدنيا وعدم تكذيبهم بايات ربهم وكونهم من المؤمنين والوجه الثالث ان تكون الواو واو الحال على ان يكون المضارع خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة الاسمية فى محل النصب على الحالية من مرفوع نرد والتقدير ياليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيكون تمنى الرد مقيدا بهاتين الحالتين فيكون كل واحد داخلا فى التمنى وهو المناسب بالمقام لان الكفار لما عاينوا الشدآئد المترتبة على تقصيراتهم الواقعة فى الدنيا تمنوا العود الى الدنيا لتدارك تلك التقصيرات وذلك التدارك لايحصل بمجرد العود الى الدنيا ولابمجرد الامرين عدم التكذيب والاتيان بالايمان بل انما يحصل بمجموع الامور الثلاثة فوجب ادخال كل واحد من الافعال الثلاثة فى التمنى الا ان المصنف قدم الوجه الاول لان الله تعالى كذبهم بقوله وانهم لكاذبون والمتمنى لايجوز تكذيبه اذالتمنى انشاء والانشاء لايحتمل الصدق والكذب وهذا الاشكال لماورد على الوجهين الاخيرين اشار المصنف الى جوابه بقوله وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ماتضمنه التمنى من الوعد فان قولهم ياليتنا نرد يتضمن الوعد بأنا لو رددنا الى الدنيا لآمنا وما كذبنا والتكذيب راجع الى هذا الخبر الضمنى ﴿قوله ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص﴾ عن عاصم باضمار ان بعد واو العطف الواقعة بعد التمنى نحو ليت لى مالا وانفق منه فان المتمنى مجموع الامرين حصول المال والانفاق معالان شرط اضمار ان بعد الواو ان يصح وقوع مع فى مكانها ﴿قوله اجراء لها مجرى الفاء﴾ علة لقوله نصبهما على الجواب اى على جواب التمنى ووجه التعليل ان وقوع الفاء السببية فى جواب الاشياء الستة امر معقول لان تلك الاشياء لدلالتها على مصدر غير محقق الوقوع وكون ذلك المصدر مؤديا الى حصول ماذكر بعد الفاء كان ماذكر قبل الفاء بمنزلة الشرط الذى هو غير محقق الوقوع وكان مابعد الفاء كجزآء ذلك الشرط فكان نصب الفعل بعد الفاء الواقعة عقيب تلك الاشياء على جهة كونه جوابا لها امرا معقولا بخلاف نصبه بعد

(ولو ترى اذ وقفوا على النار) جوابه محذوف اى ولو تراهم حين يقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا (فقالوا ياليتنا نرد) تمنيا للرجوع الى الدنيا (ولانكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين) استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود اى انا لا اعود تركتنى اولم تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم التمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثانى على الجواب

الواو فان الواو لا تذكر فى جواب الشرط حتى يجعل كون ماقبلها و مابعدها بمنزلة الشرط والجزآء باعثا لاتصاب الفعل بعدها على جهة الجوابية بل هى حرف عطف عطف بها الفعل المنصوب باضمار ان المصدرية فيكون المعطوف فى تأويل المصدر و المعطوف لابدّ له من معطوف عليه وليس قبلها فى الآية الافعل والاسم لايعطف على الفعل فلابد ان يجعل معطوفا على المصدر المتوهم المدلول عليه بالفعل المذكور قبلها والتقدير ياليت لنا ردّا وانتفاء تكذيب بايات ربنا وكونا من المؤمنين اى ليت لنا ردّا مع هذين الشيئين فتكون هذه الاشياء الثلاثة بقيد الاجتماع متمنى القوم وابن عامر اعتبر فى رفع ولانكذب مااعتبر من رفع الفعلين جميعا واعتبر فى نصب ونكون مااعتبر من نصب الفعلين ﴿قوله الاضراب عن ارادة الايمان﴾ يعنى ان كلمة بل ههنا ليست للانتقال من قصة الى اخرى بل هى لابطال كلام الكفرة اى ليس الامر كما قالوه من انهم لو ردّوا الى الدنيا لآمنوا يعنى ان التمنى الواقع منهم يوم القيامة ليس لاجل كونهم راغبين فى الايمان بل لاجل خوفهم من العقاب الذى شاهدوه وعاينوه فانهم لما قالوا ياليتنا نكون كذا فكأنهم قالوا ردنا لذلك فابطل الله تعالى هذا الكلام الضمنى لهم وهذا يدل على ان الرغبة فى الايمان والطاعة لاتنفع الا اذا كانت تلك الرغبة رغبة فيه لكونه ايمانا وطاعة واما الرغبة فيه لطلب الثواب والخوف من العقاب فغير مفيدة ﴿قوله ماكانوا يخفون من نفاقهم﴾ على ان يكون الضميران اعنى المجرور والمرفوع فى قوله تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون للمنافقين بناء على انهم هم الذين يخفون فى الدنيا ماهم عليه بخلاف المشركين واهل الكتاب من اليهود والنصارى فانهم لايخفون امرهم فى الدنيا حتى يقال فيهم بدالهم يوم القيامة مااخفوه فى الدنيا الا ان المراد بظهور مااخفوه لهم ظهور عقوبة مااخفوه لهم لان المنافقين وان اخفوا نفاقهم عن الخلق الا انه كان ظاهرا ومعلوما لهم فلا وجه لان يقال فى حقهم بل بدالهم مااخفوه وقوله او قبائح اعمالهم على ان يراد بالضميرين ماعدا المنافقين من المشركين واهل الكتاب فان المشركين يجحدون ويخفون شركهم فى بعض مواقف القيامة بقولهم والله ربنا ماكنا مشركين فينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر وكذا اهل الكتاب يخفون نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فبدالهم وبال ذلك وعقوبته ﴿قوله تعالى ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ فان قيل ان اهل القيامة قد عرفوا الله تعالى بالضرورة وشاهدوا العقاب فمع هذه الاحوال كيف يمكن ان يقال انهم يعودون الى الكفر والمعصية * اجيب بانه لاراد لما قضاه الله تعالى ولامبدّل لما حكم فمن جرى القضاء الازلى على شركه وغلبت عليه شقوته فلاجرم يصدر منه حكم ذلك القضاء ولاينفعه العلم الضرورى لسوء عاقبة فعله الاترى ان ابليس قد عاين ماعاين من آيات الله ثم عاند ﴿قوله عطف على لعادوا﴾ والحاصل ان قوله تعالى وقالوا اما داخل فى حيز لو فيكون معطوفا على ماذكر بعده او كلام مستأنف غير داخل فى حيز لو وهو على الاول امامعطوف على لعادوا والمعنى انهم لو ردّوا لكفروا ولقالوا اى ولأنكروا الحشر والنشر كما كانوا انكروه قبل معاينة القيامة اومعطوف على انهم لكاذبون على معنى وانهم لكاذبون فى كل شئ وهم الذين قالوا ان هى الاحياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم او على نهوا اى لعادوا لما نهوا عنه ولما قالوا ﴿قوله الضمير للحياة﴾ فان من الضمائر مايذكر مبهما ولايعلم مايرجع اليه الابذكر مابعده ﴿قوله مجاز عن الحبس للسؤال﴾ لتعذر حمل الكلام على ظاهره فان ظاهر الآية يدل على كونهم واقفين على الله تعالى كما يقف احدنا على الارض فيلزم الاستعلاء على ذات الله تعالى وانه محال باطل بالاتفاق فوجب تأويله اما بأن يجعل استعارة تمثيلية بأن يشبه حبس الله تعالى اياهم للسؤال والتوبيخ بايقاف السيد عبده بين يديه ليعاتبه ويقال فيه ان السيد اوقف عبده عليه تشبيها للوقوف بين يديه بالوقوف عليه فكذا الكلام فى الآية او بأن يحمل الكلام على حذف المضاف مثل وقفوا على حكم ربهم او جزآئه او بأن يجعل الوقوف بمعنى المعرفة كما يقول الرجل لغيره وقفت على كلامك اى عرفته وقد تمسك بعض المشبهة بهذه الآية على مذهبه بأن قال ظاهر الآية يدل على ان اهل القيامة يقفون عند ربهم بالقرب منه وانما يكون كذلك ان لو كان فى مكان تعالى عن ذلك علوا كبيرا وبهذه التأويلات سقط وجه التمسك ﴿قوله فذوقوا العذاب﴾ خص لفظ الذوق للاشارة الى ان مايجدونه من العذاب فى كل حال هو مايجده الذائق لكون مايجدون بعده اشدّ من الاوّل ﴿قوله غاية لكذبوا﴾ والمعنى انهم قد كذبوا الى ان ظهرت الساعة بغتة *فان قيل انما يكذبون الى ان يموتوا والجواب ان زمان الموت آخر زمان من ازمنة الدنيا واوّل زمان من ازمنة الآخرة فمن انتهى تكذيبه الى هذا الوقت صدق عليه انه كذب الى ان ظهرت الساعة بغتة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام * من مات فقد قامت قيامته

(بل بدالهم ماكانوا يخفون من قبل) الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ماكانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لاعزما على انهم لو ردّوا لآمنوا (ولو ردّوا) اى الى الدنيا بعد الوقوف والظهور (لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر والمعاصى (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا من انفسهم (وقالوا) عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ماقالوه فى الدنيا (ان هى الاحياتنا الدنيا) الضمير للحياة (ومانحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزآئه وعرّفوه حق التعريف (قال أليس هذا بالحق) كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث ومايتبعه من الثواب والعقاب (قالوا بلى وربنا) اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم او ببدله (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث ومايتبعه (حتى اذا جاءتهم الساعة) غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لاغاية له (بغتة) فجأة

قوله و نصبها على الحال ﴾ اى من فاعل جاءتهم اى جاءتهم الساعة باغتة مفاجئة و البغت و البغتة مفاجأة الشئ بسرعة من غير ان يشعر به الانسان حتى لو كان له شعور بمجيئه ثم جاءه بسرعة لا يقال فيه بغتة و الوقت الذى تقوم فيه القيامة يفجأ الناس فى ساعة لا يعلمها احد الا الله فلذلك سمى ساعة او لسرعة الحساب فيها على البارى تعالى و قول الناس ياحسرتنا مجاز لان الحسرة لا يتأتى منها الاقبال و انما المعنى على المبالغة فى شدة التحسر كأنهم نادوا الحسرة و قالوا ان كان لك وقت فهذا اوان حضورك و مثله ياويلتنا و المقصود التنبيه على خطأ المنادى حيث ترك ما احوجه تركه الى نداء هذه الاشياء و قوله على ما فرّطنا متعلق بالحسرة و ما مصدرية اى على تفريطنا و التفريط التقصير فى الشئ مع القدرة على فعله فانه تعالى لما بعث جوهر النفس الناطقة القدسية الى هذا العالم الجسمانى اعطاها هذه الآلات الجسمانية و القوة العاقلة لتتوسل باستعمالها الى تحصيل المعارف الحقية و الاخلاق الفاضلة التى تعظم منافعها بعد الموت و الذين انكروا البعث و القيامة لما استعملوا هذه الآلات و القوى العقلية و الفكرية فى تحصيل هذه اللذات الزآئلة و الشهوات المنقطعة ثم انتهوا الى آخر اعمارهم احتاجوا الى ما يكتسب بتلك القوى و الآلات من العقائد الحقة و الاعمال الصالحة حيث يجدون انفسهم خالية من جميع ذلك الربح و يجدون رأس المال ايضا قد ضاع بالكلية فيتحقق عندهم انهم قد خسروا خسرانا مبينا و يتحسرون على ذلك اشد التحسر بين الله تعالى بهذه الآية ان منكرى البعث و القيامة لهم حالتان عظيمتان الاولى الخسران المبين و التحسر عليه و الثانية حمل الاوزار العظيمة و الواو فى قوله و هم يحملون للحال و صاحب الحال الواو فى قالوا اى قالوا ياحسرتنا فى حالة حملهم اوزارهم و الاوزار جمع وزر كحمل و احمال و الوزر فى الاصل الثقل يقال وزرته اى حملته شيأ ثقيلا و منه وزير الملك لانه يتحمل آصار ما قلده الملك من مؤنة رعيته و حشمه **قوله** تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام ﴾ اى اثقالها يعنى ان الحمل من توابع الاعيان الكثيفة لا من عوارض المعانى و الاعراض فلا يوصف به العرض الا على سبيل التمثيل و التشبيه **قوله** اى و ما اعمالها ﴾ حمل الكلام على حذف المضاف لان نفس هذه الحياة لا وجه لذمها لان السعادات الاخروية لا تكتسب الا فيها بل متعلق المذمة ليس الا الاعمال التى تقصد لان ينتفع بها فى هذه الحياة فان ما يبتغى به وجه الله تعالى من الطاعات و ان كان يكتسب فى هذه الحياة الا انه لا يقصد لان ينتفع به فيها فهو من هذا الوجه ليس من اعمال الحياة و اللعب فعل لا حقيقة له و لا مقصد فيه و اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه و يهمه يقال لهوت بكذا و لهيت عن كذا اذا اشتغلت عنه بلهو شبه الاعمال المقصودة لاجل هذه الحياة بهما لان الانسان حال اشتغاله بهما و ان كان يلتذ بظاهر فعله الا انه عند اطلاعه على حقيقة الحال لا يقع الا فى الحسرة و الندامة فكذا اعمال هذه الحياة لا يترتب عليها الا الندامة و لما كان معظم غواية الجهال المنكرين للبعث حب الدنيا و الاغترار بزخارفها و الرغبة فى الالتذاذ بها نبه الله تعالى على خساستها و انعدام منفعتها و انه لا يميل الى الالتذاذ بطيباتها الا الجهال بحقائق الامور و اما المحققون فيعلمون ان كل هذه الطيبات لا يزينها الا النفس الامارة و الطبيعة الشيطانية و ليس لها فى نفس الامر حقيقة معتبرة **قوله** تعالى للذين يتقون ﴾ اى عن الكفر و كبائر المعصية تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب و لهو لانه لما خص خيرية الدار الآخرة بمن يعمل اعمال المتقين لزم منه ان ما ليس من اعمال المتقين لا يؤدى الى سعادة الآخرة فيكون من اعمال الدنيا و قد تقدم ان اعمال الدنيا لعب و لهو و لزم منه ان ما لا يكون من اعمال المتقين لعب و لهو و قرأ الجمهور و للدار الآخرة بلامين الاولى لام الابتدآء و الثانية لام التعريف فيكون لفظ الآخرة مرفوعا على انه صفة للدار و قرأ ابن عامر و لدار الآخرة بلام واحدة و هى لام الابتدآء و بجر الآخرة بالاضافة و البصريون يؤولون كل ما يتوهم كونه من قبيل اضافة الموصوف الى صفته مثل مسجد الجامع و بقلة الحمقاء بحمل الكلام على حذف الموصوف و اقامة الصفة مقامه و يزعمون ان الموصوف و الصفة متحدان بحسب الصدق فاضافة الموصوف اليها تستلزم اضافة الشئ الى نفسه و يقولون تقدير الآية على قرآءة ابن عامر و لدار الساعة الآخرة او و لدار الحياة الآخرة و مثله مسجد المكان الجامع و صلاة الساعة الاولى و مكان الجانب الغربى و ذهب الكوفيون الى انه اذا اختلف لفظ الصفة و الموصوف جازت اضافته اليها و خير يجوز ان يكون للتفضيل و حذف المفضل عليه للعلم به اى خير من الحياة الدنيا و يجوز ان يكون لمجرد الوصف بالخيرية كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا و اللام فى للذين للبيان كما فى هيت لك **قوله** معنى قد زيادة الفعل و كثرته ﴾ يعنى ان قد للتقليل و تجئ للتكثير ايضا كما فى الآية

و نصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجئ (قالوا ياحسرتنا) اى تعالى فهذا اوانك (على ما فرطنا) قصرنا (فيها) فى الحياة الدنيا اضمرت و ان لم يجر ذكرها للعلم بها او فى الساعة يعنى فى شأنها و الايمان بها (و هم يحملون اوزارهم على ظهورهم) تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام (ألا ساء ما يزرون) بئس شيأ يزرونه وزرهم (و ما الحياة الدنيا الا لعب و لهو) اى و ما اعمالها الا لعب و لهو تلهى الناس و تشغلهم عما يعقبه منفعة دآئمة و لذة حقيقية و هو جواب لقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا (و للدار الآخرة خير للذين يتقون) لدوامها و خلوص منافعها و لذاتها و قوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب و لهو و قرأ ابن عامر و لدار الآخرة (أفلا يعقلون) اى الامرين خير و قرأ نافع و ابن عامر و حفص عن عاصم و يعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين (قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون) معنى قد زيادة الفعل و كثرته كما فى قوله و لكنه قد يهلك المال نائله

للمناسبة بين الضدّين كما ان رب للتقليل وقد تجيء للتكثير كما فى قوله

❊ فان تمس مهجور الفناء فربما ❊ اقام به بعد الوفود وفود ❊

وبما تجيء قد فيه للتكثير قول الشاعر

❊ اخى ثقة لايتلف الخمر ماله ❊ ولكنه قد يهلك المال نائله ❊

❊ تراه اذا ما جئته متهللا ❊ كأنك تعطيه الذى انت سائله ❊

يريد ان جوده ذاتى ليس مما يحدث بالسكر وينقص بالصحو ﴿ قوله والهاء فى انه للشأن ﴾ والجملة بعده خبره مفسرة له وقوله انه ليحزنك سادّ مسدّ المفعولين فانها معلقة عن العمل وكسرت انّ لدخول اللام فى خبرها وقوله الذى يقولون فاعل يحزن وعائده محذوف اى الذى يقولونه من نسبتهم اياه عليه الصلاة والسلام الى مالايليق به مثل قولهم انه ساحر كذاب مفتر على الله ﴿ قوله فانهم لايكذبونك فى الحقيقة ﴾ اى وانما يكذبون الله اشار به الى دفع مايتوهم من التناقض بين قوله فانهم لايكذبونك وبين قوله ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون فان المراد بالآيات هو المعجزات الدالة على نبوّته عليه الصلاة والسلام وجحودها تكذيب له عليه الصلاة والسلام فيلزم انهم لايكذبونه ويكذبونه وهذا تناقض ظاهر فأشار المصنف الى وجه الجمع بينهما بأن التكذيب المنفىّ عنه عليه الصلاة والسلام هو ان يكون التكذيب المتعلق به ظاهرا راجعا اليه فى الحقيقة وليس كذلك بل هو راجع اليه تعالى من حيث انه تعالى صدّقه بخلق المعجزات على يده فمن كذبه فقد كذب الله تعالى والتكذيب المثبت هو ماتعلق به فى الظاهر ﴿ قوله او يكذبونها ﴾ يعنى ان الجحود اما على معناه وهو الانكار مع العلم او بمعنى التكذيب بقرينة ذكره فى مقابلة لايكذبونك ﴿ قوله تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ على تكذيب قومه اياه فانه تعالى لما ازال الحزن عن قلبه عليه الصلاة والسلام فى الآية الاولى بأن بين ان تكذيبهم يجرى مجرى تكذيب الله تعالى ذكر فى هذه الآية طريقا آخر فى ازالة الحزن عن قلبه بأن بين ان سائر الامم عاملوا انبياءهم بمثل هذه المعاملة وان اولئك صبروا على تكذيبهم حتى آتاهم الله النصر والظفر والفتح فوجب ان يقتدى بهم فى سلوك هذه الطريقة وقوله تعالى حتى اتاهم نصرنا متعلق بقوله فصبروا اى كان غاية صبرهم نصر الله اياهم والنصر الموعود للصابرين يحتمل ان يكون بطريق اظهار الحجج والبراهين ويحتمل ان يكون بطريق القهر والغلبة او باهلاك الاعدآء * روى ان بعض المشركين أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل فانا نصدق بك فأبى الله ان يأتيهم بها فأعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه فنزل قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم الآية وهذا شرط جوابه الشرطية الثانية وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فان استطعت ان تبتغى فافعل والنفق سرب فى الارض له مخلص الى مكان آخر ومنه نافقاء اليربوع فان اليربوع يخرق الارض الى القعر ثم يصعد من ذلك القعر الى وجه الارض من جانب آخر والمقصود من هذا الكلام ان يقطع الرسول عليه الصلاة والسلام طمعه عن ايمانهم وان لايتأذى بسبب اعراضهم عن الايمان واقبالهم على الكفر كذا فى الكبير وماذكره المصنف اولى ﴿ قوله ولكن لم تتعلق به مشيئته ﴾ وذلك لان جميع الحوادث مستندة اليه تعالى ابتدآء ولايجرى فى ملكه الا ما يشاء من الايمان والكفر والطاعة والمعصية فان قدرة العبد لكونها صالحة للضدّين غير كافية فى رجحان احد الطرفين فلابدّ من داعية ترجح احد المقدورين على الآخر وحصول تلك الداعية ليس من العبد والا وقع التسلسل فثبت ان خالق تلك الداعية هو الله تعالى وان مجموع الداعية مع القدرة يوجب الفعل ولزم منه ان يكون خالق مجموع تلك القدرة مع الداعية المستلزمة للكفر مثلا مريدا لذلك الكفر غير مريد للايمان فتطابق البرهان مع ظاهر القرآن والمعتزلة لما ذهبوا الى انه تعالى لايريد من المكلف الا الايمان والطاعة قالوا معنى الآية لو شاء الله ان يلجئهم الى الايمان لجمعهم عليه بأن يعلمهم انهم لو حاولوا غير الايمان لمنعهم منه فيمتنعون من فعل شئ غير الايمان اضطرارا لكنه تعالى ترك ذلك الالجاء لكونه منافيا لما هو المقصود من التكاليف وهو ان يميز المطيع من العاصى ومن يعبد الله ممن يعبد هواه وان يجازى كل احدهما يختار لنفسه وما يقع بطريق الالجاء والاضطرار لاعبرة به فى امر الاثابة والتعذيب فلذلك لم يجمعهم على الايمان بطريق الالجاء ﴿ قوله انما يجيب الذين ﴾ فسر الاستجابة بالاجابة وقيل الفرق بين يستجيب ويجيب ان يستجيب فيه قبول لما دعى اليه وليس كذلك يجيب لان المجيب قد يجيب بالمخالفة كما اذا قلت لغيرك أتوافقنى فى هذا الامر ام تخالف

وجده كاذبا او نسبه الى الكذب (ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون) ولكنهم يجحدون بآيات الله او يكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرّنهم على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روى ان اباجهل كان يقول مانكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ماجئتنا به فنزلت (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لايكذبونك ليس بنفى تكذيبه مطلقا (فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) على تكذيبهم وايذآئهم فتأس بهم واصبر (حتى أتاهم نصرنا) فيه ايماء بوعد النصر للصابرين (ولا مبدّل لكلمات الله) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) اى من قصصهم وما كابدوا من قومهم (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عنك وعن الايمان بما جئت به (فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض او سلما فى السماء فتأتيهم بآية) منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفى الارض صفة لنفقا وفى السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغى او حالين من المستكنّ وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاوّل والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) اى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اوّلوه بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة (فلا تكوننّ من الجاهلين) بالحرص على مالايكون والجزع فى مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة (انما يستجيب الذين يسمعون) انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله او ألقى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لايسمعون (والموتى يبعثهم الله) فيعلمهم حيث لاينفعهم الايمان (ثم اليه يرجعون) للجزآء

فيقول المجيب الخالف والمعنى لاتحرص على هدى من ختم الله على قلبه وسمعه وبصره فانهم كالموتى من حيث عدم انتفاعهم بالحياة وبالقوى المعدة فى الاحياء لاستكمال النفس فلايسمعون دعوتك اياهم الى الحق حتى يجيبوها وانما يستجيب الذين وفقهم الله تعالى لاتباع الحجة والبرهان واما المنهمكون فى اتباع الشهوات وتقليد الآباء والامهات فانهم كالموتى فلايبعثون من موت الجهالة قبل يوم البعث والنشور فانهم وان انتبهوا عن موت الجهالة وموت الغفلة الا ان الانتباه يومئذ لاينفعهم لان ذلك اليوم يوم الجزاء لايوم الكسب **قوله** اى آية مما اقترحوه اوآية اخرى قيد الآية التى طلبوا انزالها بكونها ممااقترحوه اوبكونها مغايرة لماانزل من الآيات المتكاثرة دفعا لما قال بعض الملاحدة الطاعنين فى النبوة من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لوكان قداتى بآية او معجزة لما صح ان يقول اولئك الكفرة لولانزل عليه آية فانه يشعر انه لم ينزل عليه آية ما* ولماقال الله تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل آية فانه يشعر بانه تعالى سلم ماشعربه كلامهم من انه تعالى لم ينزل عليه آية اصلا وادعى ان انزالها مقدور له ولكن لم يقع لعدم تعلق المشيئة به فلم يكن منه عليه الصلاة والسلام الامجرد انه ادعى الرسالة والرسالة لاتثبت بمجرد الادعاء* فأجاب عن الاول بأن مرادهم لولا انزل عليه آية اقترحناها اوآية غيرها اظهرها بناء على عدم اعتدادهم بالآيات الظاهرة عنادا* وعن الثانى بأن المراد بقوله قل ان الله قادر على ان ينزل آية انه قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه اوآية تضطرهم الى الايمان اوآية معقبة للهلاك ان جحدوها وعدم انزال مثل هذه الآية لايستلزم عدم انزال الآية مطلقا غاية مافى الباب ان القوم جحدوها عنادا **قوله** يعنى اللوح المحفوظ فانه مشتمل على مايجرى فى العالم قال عليه الصلاة والسلام *جف القلم بماهو كائن الى يوم القيامة او القرآن* ولما ورد ان يقال ليس فى القرآن تفاصيل علم الطب وعلم الحساب ولاتفاصيل كثير من المباحث والعلوم ولاتفاصيل مذاهب الناس ودلائلهم المذكورة فى علم الاصول والفروع اشار الى جوابه بقوله فانه قددون فيه مايحتاج اليه من امر الدين مفصلا اومجملا اى دون فيه بعض ذلك مفصلا وبعضه مجملا يعنى ان قوله تعالى مافرطنا فى الكتاب من شئ وان كان عاما الا ان المراد به الخاص والمعنى مافرطنا فيه من شئ يحتاج اليه المكلفون فى امر الدين بناء على ان لفظ التفريط لايستعمل الا فى ترك مايحتاج اليه ولاينسب احد الى التفريط والتقصير فى ان لايفصل مالا حاجة له اليه وعلم الاصول بتمامه موجود فى القرآن لان الدلائل الاصلية مذكورة فيه على ابلغ الوجوه واما روايات المذاهب وتفاصيل الاقاويل فلاحاجة اليها واماتفاصيل علم الفروع فالعلماء قالوا ان القرآن دل على ان الاجماع وخبر الواحد والقياس حجة فى الشريعة وكل مادل عليه احد هذه الاصول الثلاثة كان ذلك فى الحقيقة موجودا فى القرآن قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وقال عليه الصلاة والسلام* عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى* وروى ان ابن مسعود كان يقول مالى لاألعن من لعنه الله فى كتابه يعنى الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة وروى ان امرأة قرأت جميع القرآن ثم أتته فقالت ياابن ام عبدالله تلوت البارحة مابين الدفتين فلم اجد فيه لعن الله الواشمة فقال لوتلوته لوجدته قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ومما أتانا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال* لعن الله الواشمة والمستوشمة* وروى ان الامام الشافعى كان جالسا فى المسجد الحرام فقال لاتسألونى عن شئ الا اجيبكم فيه من كتاب الله تعالى فقال رجل ماتقول فى المحرم اذا قتل الزنبور فقال لاشئ عليه فقال اين هذا فى كتاب الله فقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ثم ذكر اسنادا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال* عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى* ثم ذكر اسنادا الى عمر رضى الله عنه انه قال للمحرم قتل الزنبور فأجابه بكتاب الله تعالى مستنبطا منه بثلاث درجات وبالجملة ان القرآن لمادل ان الاجماع حجة وان خبر الواحد حجة وان القياس حجة فكل حكم ثبت من طريق من هذه الطرق الثلاثة كان فى الحقيقة ثابتا بالقرآن فعند هذا يصح قوله تعالى مافرطنا فى الكتاب من شئ **قوله** وشئ فى موضع المصدر اى مافرطنا فيه تفريطا او شيأ من التفريط كما فى قوله لايضركم كيدهم شيأ **قوله** ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى الخبر اى انهم غافلون عن هذه الدلائل حال كونهم مستقرين فى الظلمات فيتعلق بمحذوف **قوله** والكاف حرف خطاب اى ليس باسم حتى يكون فى محل النصب على انه مفعول رأيت بل هو حرف اكد به ضمير الفاعل المخاطب لتأكيد الاسناد وأرأيت ههنا بمعنى اخبرنى وان كان بمعنى أبصرت او أعلمت يكون تاء الخطاب مطابقا لما قصد به فى الافراد والتثنية والجمع والتذكير

(والتأنيث)

(وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه) اى آية مما اقترحوه اوآية اخرى سوى ماانزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا (قل ان الله قادر على ان ينزل آية) مما اقترحوه اوآية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل اوآية ان جحدوها هلكوا (ولكن اكثرهم لايعلمون) ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد (ومامن دابة فى الارض) تدب على وجهها (ولاطائر) وقرئ طائر بالرفع على المحل (يطير بجناحيه) فى الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها (الاامم امثالكم) محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى (مافرطنا فى الكتاب من شئ) يعنى اللوح المحفوظ فانه مشتمل على مايجرى فى العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولاجماد اوالقرآن فانه قددون فيه مايحتاج اليه من امر الدين مفصلا اومجملا ومن مزيدة وشئ فى موضع المصدر لاالمفعول به فان فرط لايتعدى بنفسه وقدعدى بفى الى الكتاب وقرئ مافرطنا بالتخفيف (ثم الى ربهم يحشرون) يعنى الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها (والذين كذبوا بآياتنا صم) لايسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم (وبكم) لاينطقون بالحق (فى الظلمات) خبر ثالث اى خابطون فى ظلمات الكفر او فى ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى الخبر (من يشأ الله يضلله) من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) بأن يرشده الى الهدى ويحمله عليه (قل أرأيتكم) استفهام وتعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لامحل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ماشأنه

و التأنيث تقول ارأيت ارأيتما ارأيتم ارأيت الخ ولا يجوز ان يلحقها كاف على انه حرف خطاب بل ان لحقها الكاف كان اسما منصوب المحل على انه مفعول اوّل و يكون مطابقا لما يراد به تقول ارأيتك ارأيتما كما ارأيتموكم ارأيتك بكسر التاء و الكاف ارأيتنّ كنّ بنونين مشدّدتين و ان كان بمعنى اخبرني فحينئذ تثبت له احكام مختصة به منها انه لا يلحقه تعليق ولا الغاء لان اخبرني لا يلحقه شيء منهما عند الجمهور ومنها انه يلحقه كاف هي حرف خطاب بعد ضمير الفاعل الذى هو التاء و ذلك الكاف يطابق ما يراد به من الافراد وتذكير وضدّيهما والتاء تبقى على حالة واحدة مفردة مفتوحة ابدا لان هذا الكاف انما لحق الفعل ليدل على احوال فاعله فيجب ان يبقى الفاعل على حالة واحدة نحو ارأيتك ارأيتكما ارأيتكم ارأيتك بفتح التاء وكسر الكاف ارأيتكنّ وهذا عند البصريين واما عند الكوفيين فالكاف الذى يلحقه ليس بحرف بل هو اسم منصوب المحل على المفعولية كما ان التاء اسم مرفوع المحل على الفاعلية فيطابق كل واحد منهما ما قصد فيقال ارأيتك ارأيتماكما ارأيتموكم اذا كان ارأيت بصرية او علمية و لما لم يكن الكاف اسما عند البصريين لم يكن له محل من الاعراب لان هذا الفعل يتعدى الى مفعولين كقولك ارأيت زيدا ما فعل فلو جعلت الكاف معربا منصوب المحل لكان ثالثا و لكان معنى قولك ارأيتك زيدا ما شأنه ارأيت نفسك زيدا ما صنع لان الكاف عبارة عن المخاطب و هذا معنى باطل و لان الكاف لو كان منصوبا على المفعولية لوجب ان تظهر علامة التثنية والجمع والتذكير والتأنيث فى التاء فتقول ارأيتما كما ارأيتموكم ارأيتنّ كنّ ﴿**قوله** بل الفعل معلق﴾ لانه فى الاصل من افعال القلوب التى تعلق بحرف الاستفهام فلا يتعدى الى المفعول وان اعتبر كونه بمعنى اخبرني لا يلحقه التعليق فيقدّر له مفعول و التقدير ارأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها او اتخاذكم غير الله آلهة هل يكشف ضرّكم ونحو ذلك فقوله آلهتكم او اتخاذكم مفعول اوّل وما بعده مفعول ثان حذفا للعلم بهما والجملة الاستفهامية سادّة مسدّ الثانى وهى قوله أغير الله تدعون فانه يدل على المفعول الثانى وهو قول المصنف ويدل عليه اغير الله تدعون والتاء هى الفاعل والكاف حرف خطاب جيء بها لتدل على احوال المخاطب من الافراد والتذكير ونحوهما والاستفهام فيها للتبكيت والجائهم الى الاقرار بانهم ان اتاهم عذاب الله فى الدنيا او اتاهم العذاب عند قيام الساعة لا يرجعون فى دفعه الا الى الله تعالى لا الى الاصنام والاوثان ولذلك قال بل اياه تدعون و بل فيه حرف اضراب وانتقال الى قصة اخرى لا لابطال ما تقدّم لما تقرر من انها لا تكون فى كلام الله الا كذلك وقد صرّح بأن جواب قوله ان كنتم صادقين محذوف اى فادعوه ولم يتعرّض لجواب قوله ان اتاكم لكن فهم من كلامه انه محذوف ايضا دل عليه متعلق الاستخبار وهو مفعول ارأيتكم حيث قال تقديره ارأيتكم آلهتكم تنفعكم ان أتاكم عذاب الله ولا يصلح قوله اغير الله لان يكون جوابا له لان الجملة المصدّرة بهمزة الاستفهام لا تقع جوابا للشرط ولا قوله ارأيتكم لكونه مصدّرا بالهمزة ولان جواب الشرط لا يتقدّم عليه عند البصريين وانما جوّزه الكوفيون وبعض آخر من النحاة ﴿**قوله** ولا يشاء فى الآخرة﴾ دفع لما يتوهم من قوله فيكشف ذلك العذاب ان شاء ان العذاب ربما يكشف عن المشركين فى الآخرة وليس كذلك لانه تعالى لا يغفر ان يشرك به ﴿**قوله** وتتركون آلهتكم﴾ اى دعاء آلهتكم لانه معطوف على قوله بل اياه تدعون يريد ان النسيان ليس بمعنى الغفلة بل المعنى انهم يتركون دعاءهم مع كونهم ذاكرين لها او هو مجاز عن الترك وان جاز ان يكون حقيقة وان كلمة ما فى ما تشركون موصولة والعائد محذوف اى ما تشركونه مع الله فى العبادة وان جاز ان تكون مصدرية اى تنسون الاشراك نفسه او تنسون المشرك به من الاصنام وغيرها على ان يكون المصدر بمعنى المفعول فقول المصنف آلهتكم يحتمل ان يكون مبنيا على هذا الاحتمال ﴿**قوله** اى فكفروا وكذبوا﴾ يعنى ان الفاء فى قوله فأخذناهم فصيحة تفصح ان الكلام مبنى على اعتبار الحذف ﴿**قوله** يتذللون لنا﴾ اشارة الى ان التضرّع تفعل من الضراعة وهى المذلة والخشوع المبنية على الانقياد والطاعة وترك التمرّد والعناد يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة فهو ضارع اى ذليل ضعيف ﴿**قوله** معناه نفى تضرّعهم الخ﴾ اى لما تقرر من ان حرف التحضيض مع الماضى يفيد التوبيخ على ترك الفعل ﴿**قوله** استدراك على المعنى﴾ فانه لما كان معنى جملة التحضيض ما تضرّعوا صح ان يستدرك عنها بقوله ولكن كأنه قيل لما جاءهم بأسنا لم يتضرّعوا ولكن قست قلوبهم وانما احتيج الى هذا التأويل لان قوله ولكن قست قلوبهم جملة خبرية معطوفة على قوله لولا تضرّعوا وهى انشائية ولا يصح عطف احداهما على الاخرى لكمال الانقطاع ﴿**قوله** مراوحة عليهم﴾ المراوحة فى العملين ان يعمل هذا مرّة و هذا مرّة فانه تعالى اخذهم

فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعدّيت الفعل الى ثلاثة مفاعيل ولزم فى الآية ان يقال ارأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع ارأيتكم وارأيت وارأيتم وافرأيتم وافرأيت اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التى بعد الراء والكسائى يحذفها اصلا والباقون يحققون وحمزة اذا وقف وافق نافعا (ان أتاكم عذاب الله) كما أتى من قبلكم (او اتتكم الساعة) وهو لها ويدل عليه (أغير الله تدعون) وهو تبكيت لهم (ان كنتم صادقين) ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اى فادعوه (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص (فيكشف ما تدعون اليه) اى ما تدعون الى كشفه (ان شاء) ان يتفضل عليكم ولا يشاء فى الآخرة (وتنسون ما تشركون) وتتركون آلهتكم فى ذلك الوقت لما ركز فى العقول من انه القادر على كشف الضرّ دون غيره او تنسونه من شدّة الامر وهوله (ولقد ارسلنا الى امم من قبلك) اى قبلك ومن زائدة (فأخذناهم) اى فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم (بالبأساء) بالشدّة والفقر (والضرّاء) الضرّ والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما (لعلهم يتضرّعون) يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرّعوا) معناه نفى تضرّعهم فى ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم (ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) استدراك على المعنى وبيان لا صارف لهم عن التضرّع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم بأعمالهم التى زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) من البأساء والضرّاء ولم يتعظوا به (فتحنا عليهم ابواب كل شيء) من انواع النعم مراوحة عليهم واستدراجا بين نوبتى الضرّاء والسرّاء وامتحانا لهم بالشدّة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة

اوّلا بالبأساء والضرّآء لكى يتضرّعوا ثم انهم لما لم يتعظوا بذلك نقلهم الله تعالى من البأساء والضرّآء الى الراحة والرخاء وانواع الآلاء والنعماء فلم ينتفعوا به ايضا وهذا كما يفعله الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه والزاما للحجة وازاحة للعلة وفى الوسيط هذا الفتح فتح استدراج ومكر ثم نقل عن الحسن من وسع عليه فلم يرانه يمكر به فلا رأى له ومن قتر عليه فلم يرانه ينظر اليه فلا رأى له ثم قرأ هذه الآية وقوله عليه الصلاة والسلام * مكر بالقوم ورب الكعبة اى اعطوا حاجتهم ثم اخذوا وروى عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال * اذا رأيت الله يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك منه استدراج * ثم تلا هذه الآية فلما نسوا ماذكروا به الى آخر الآيتين الى هنا كلام الوسيط ﴿قوله وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد﴾ لان التفعيل مؤذن بالتكثير ومابعده ههنا ابواب فناسب التكثير ﴿قوله اعجبوا﴾ اى صاروا معجبين بحالهم وهو اشارة الى ان المراد بالفرح ههنا فرح البطر كفرح قارون بما اصابه من الدنيا واذا فى قوله تعالى فاذاهم مبلسون للمفاجأة وهى ظرف مكان عند سيبويه وظرف زمان عند جماعة وذهب الكوفيون الى انها حرف وناصبها على تقدير كونها ظرفا خبرا لمبتدأ اى ابلسوا فى مكان اقامتهم او فى زمانها والابلاس فى اللغة يكون بمعنى اليأس من النجاة عند ورود الهلكة ويكون بمعنى انقطاع الحجة ويكون بمعنى الحيرة قال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين وقال الفرآء المبلس الذى انقطع رجاؤه وقال اهل المعانى وانما اخذوا فى الراحة والرخاء ليكون اشدّ لتحسرهم على مافاتهم من حال السلامة والعافية ﴿قوله اى آخرهم﴾ الذى يتبعهم فان الدابر التابع للشئ من خلفه كالولد للوالد يقال دبر فلان القوم يدبرهم دبرا ودبورا اذا كان آخرهم وقال ابو عبيدة دابر القوم آخرهم الذى يدبرهم وقال الاصمعى الدابر الاصل يقال قطع الله دابره اى اذهب الله اصله ﴿قوله تعالى قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم الآية﴾ المفعول الاوّل محذوف تقديره ارأيتم سمعكم وابصاركم ان اخذها الله والجملة الاستفهامية فى موضع الثانى كأنه قيل ان اخذها الله يأتيكم بها آلهتكم وهو احتجاج آخر على المشركين والمعنى ارأيتم ايها المشركون ان اذهب الله وانتزع منكم اشرف اعضائكم الذى هو محل القوّة السامعة والباصرة ومحل الحياة والعقل والعلم وهى النعم التى يبطل بزوالها مصالح الدنيا والدين هل من احد غير الله يأتيكم بها ومن المعلوم انه لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى فهو المستحق للعبادة والتعظيم ﴿قوله اى بذلك او بما اخذ وختم عليه﴾ يعنى افرد ضميره مع كونه راجعا الى جميع المذكورات لتنزيله منزلة اسم الاشارة او لتأويل تلك المذكورات بالذى اخذ وختم عليه او بأحدها لا على التعيين ﴿قوله نكرّرها تارة كذا وتارة كذا وتارة كذا﴾ اشارة الى ان المراد من تصريف الآيات الدالة على التوحيد والنبوّة بيانها وايرادها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون كل واحد منها يقوّى ماقبله فى الايصال الى المطلوب ثم استبعد اعراض المشركين عن التأمّل فيها مع هذه المبالغة فى تفهيمها وتقريرها وكشفها وايضاحها وعجب رسوله منه فقال ثم هم اى ثم انظر يا محمد كيف هم يصدفون وكيف فى قوله تعالى انظر كيف نصرّف معمول لنصرّف ونصبها اما على التشبيه بالحال او التشبيه بالظرف وهى معلقة لانظر ﴿قوله من غير مقدّمة﴾ لما كان العذاب الذى يأتى فجأة من غير سبق علامة تؤذن بحلوله فى معنى الخفية حسن ان يذكر جهرة فى مقابلة قوله بغتة فان الذى يتقدّمه امارة حلوله بمنزلة الجهر بالنسبة الى مالا يتقدّمه الامارة والا فمقابل الجهرة هو الخفية لا البغتة لما بين بالآية الاولى تفرّده تعالى بافاضة ماهو اجل النعم واقرب الوسائل الى تحصيل الكمالات الانسانية وهو السمع والبصر والقلب بين بهذه الآية تفرّده تعالى بدفع جميع انواع العذاب والمعنى انه لا دافع لشئ من انواع العذاب ولا مفيض لخير من الخيرات الا الله تعالى فوجب ان يكون منفردا بكونه معبودا وان لا يعبد شئ سواه ﴿قوله وقيل ليلا او نهارا﴾ لم يرض المصنف بهذا التفسير لانه لو جاءهم ذلك العذاب ليلا وقد عاينوا امارة قدومه لم يكن بغتة ولو جاءهم نهارا وهم لا يشعرون بقدومه لم يكن جهرة ﴿قوله مايهلك به﴾ جعل الاستفهام بمعنى النفى لان عدم ذكر المستثنى منه انما يصح اذا كان الكلام غير موجب ولا يصح فى الموجب لعدم صحة المعنى نحو جاءنى الا زيد فههنا لما لم يذكر المستثنى منه دل ذلك على ان الاستفهام بمعنى النفى وهذه الجملة الاستفهامية فى موضع المفعول الثانى لأرأيتكم والاوّل محذوف والمعنى اخبرونى عذاب الله ان أتاكم هل يهلك المحق ﴿قوله هلاك سخط وتعذيب﴾ جواب لما يقال العذاب اذا نزل لا يميز بين الظالمين وغيرهم فكيف خصص الهلاك بهم * وتقرير الجواب ان الهلاك وان عمّ الابرار والاشرار الا ان هلاك الاشرار انما هو لاجل سخط

او مكرا بهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد فى جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذى فى الاعراف (حتى اذا فرحوا) اعجبوا (بما اوتوا) من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه (أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون) متحسرون آيسون (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) اى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه (والحمد لله رب العالمين) على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها (قل ارأيتم ان أخذ الله سمعكم وابصاركم) اصمكم واعماكم (وختم على قلوبكم) بان يغطى عليها مايزول به عقلكم وفهمكم (من اله غير الله يأتيكم به) اى بذلك او بما اخذ وختم عليه او بأحد هذه المذكورات (انظر كيف نصرّف الآيات) نكرّرها تارة من جهة المقدّمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدّمين (ثم هم يصدفون) يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها (قل ارأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة) من غير مقدمة (او جهرة) يتقدّمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة (هل يهلك) اى مايهلك به هلاك سخط وتعذيب (الا القوم الظالمون) ولذلك صح الاستثناء المفرّغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء

الله و ارادة تعذيبهم به بخلاف الابرار فانه ليس هلاك سخط و تعذيب بل هم يستوجبون بسبب نزول ذلك البلاء بهم مثوبات عظيمة و درجات رفيعة عندالله فالهلاك فى الحقيقة مختص بالظالمين فانه اذا نزل البلاء بهم فقد خسروا الدنيا و الآخرة معا ﴿قوله ولم نرسلهم ليقترح عليهم و يتلهى بهم﴾ من قولهم تلهى بفلان اذا سخر منه و لعب به و هو اشارة الى ان قوله تعالى الا مبشرين و منذرين و ان كان حالا من المرسلين الا ان فى هذه الحال معنى العلية اى لم نرسلهم لان يقترح عليهم الآيات بل لان يبشروا او ينذروا و لا قدرة لهم على اظهار الآيات و المعجزات بل ذلك مفوض الى مشيئة الله تعالى ثم ذكر ثواب من صدق بهم و آمن فقال فمن آمن و اصلح الآية و هذه الآية مثل ماقبلها متعلقة بقول المشركين لولا نزل عليه آية من ربه و قد اجيب عنه بوجوه و هذه الآية جواب آخر عنه بانهم انما بعثوا للدعوة الى الحق بالانذار و التبشير لا ليقترح عليهم و يلعب بهم ﴿قوله جعل العذاب ماسا لهم﴾ جواب عما يقال المس لكونه من الافعال المسبوقة بالقصد و الاختيار حقه ان يسند الى الاحياء فكيف اسند الى العذاب و تقرير الجواب انه من قبيل الاستعارة بالكناية حيث شبه العذاب بالحى تشبيها مضمرا فى النفس و دل عليه باثبات شئ من لوازم المشبه به له و هو اسناد المس اليه كما فى قولك انشبت المنية اظفارها ﴿قوله و استغنى بتعريفه عن التوصيف﴾ يعنى ان العذاب المتفرع على تكذيب آيات الله هو العذاب الشديد الهائل لا مطلق العذاب فكان مقتضى الظاهر ان يوصف بما يدل على الشدة و الفظاعة الا انه لما ذكر معرفا بلام العهد الخارجى استغنى عن تعريفه ﴿قوله بسبب خروجهم عن التصديق﴾ خص الفسق بالخروج عن التصديق نظرا الى وجود المخصص و هو كون الكلام فى الذين كفروا و كذبوا بآيات الله فمن لم يكن مكذبا بآيات الله لا يلحقه هذا الوعيد فسقط بهذا التأويل ما قيل من انه تعالى علل عذاب الكفار بكونهم فاسقين فاقتضى ان يكون كل فاسق كذلك ﴿قوله مقدوراته﴾ على ان الخزائن جمع خزينة بمعنى مخزونة و قوله او خزائن رزقه على ان يكون جمع خزانة و هو اسم للمكان الذى يخزن فيه الشئ و خزن الشئ احرازه بحيث لا تتناوله الايدى و هو من باب ضرب و هذه الآية متعلقة بقول المشركين لولا نزل عليه آية من ربه * و من بقية جوابه فانهم كانوا يقترحون مابدا لهم مثل ان يقولوا ان كنت رسولا من عندالله فاطلب من الله تعالى حتى يوسع علينا منافع الدنيا و خيراتها فأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه و سلم ان يقول لهم لا اقول لكم عندى خزائن الله و ايضا كانوا يقولون ان كنت رسولا من عندالله فلابد و ان تخبرنا بما سيقع لنا فى المستقبل من المصالح و المضار حتى نستعد لتحصيل تلك المصالح و لدفع تلك المضار فأمره بأن يقول و لا اعلم الغيب فكيف تطلبون منى هذه المطالب و ايضا انهم كانوا يقولون مالهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الاسواق و يتزوج النساء و يخالط الناس فقال الله تعالى قل لهم انى لست من الملائكة و لكنى بشر رسول لا ادعى الا الرسالة و النبوة و ليس شأنى الا تبليغ ما اوحى الى و الامور التى تطلبونها لا يمكن تحصيلها الا بقدرة الله تعالى فكيف تطلبونها منى و قد تعلمون ان قدرة البشر لا تفى بتحصيلها و ما ادعيه من الرسالة منصب لا يمتنع حصوله للبشر فكيف اطبقتم على انكار قولى و دفع دعواى ﴿قوله تبرأ من دعوى الالوهية و الملكية﴾ بناء على ان يكون المراد من قوله لا اقول لكم عندى خزائن الله انى لا ادعى كونى موصوفا بالقدرة اللائقة بالاله تعالى و من قوله و لا اعلم الغيب انى لا ادعى كونى موصوفا بعلم الله تعالى و حصل بمجموع الكلامين انه لا يدعى الالهية و قوله و لا اقول لكم انى ملك صريح فى انه لا يدعى الملكية فصار حاصل الكلام انى لا ادعى الالوهية و لا ادعى الملكية و لكن ادعى الرسالة التى يمكن حصولها لنوع البشر فكيف تستبعدون ما ادعيه و ظاهر هذه الآية يدل على انه عليه الصلاة و السلام لا يعمل الا بالوحى و انه لم يكن يحكم من تلقاء نفسه فى شئ من الاحكام و انه ما كان يجتهد و يحكم بالقياس و يؤكد ذلك قوله تعالى و ماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فلذلك استدل من نفى القياس بهذا النص فانه تعالى امره ان يقول ان أتبع الا مايوحى الى ثم امرنا باتباعه حيث قال فاتبعوه فثبت به انه عليه الصلاة و السلام ما كان يعمل الا بالوحى النازل فوجب ان لا يجوز لاحد من امته ان يعمل الا بالوحى النازل عليه و ذلك ينفى جواز العمل بالقياس ثم اكد الله تعالى ذلك بقوله قل هل يستوى الاعمى و البصير و ذلك لان العمل بغير الوحى يجرى مجرى عمل الاعمى و العمل بمقتضى الوحى يجرى مجرى عمل البصير و ذكر فى بعض كتب الاصول ان الوحى نوعان ظاهر و باطن فالظاهر ثلاثة الاول ماثبت بلسان الملك و القرآن من هذا القبيل و الثانى ماثبت عنده باشارة الملك من غير ان يبينه بالكلام و اليه الاشارة بقوله عليه الصلاة و السلام * ان روح القدس نفث فى روعى

(و ما نرسل المرسلين الا مبشرين) المؤمنين بالجنة (و منذرين) الكافرين بالنار و لم نرسلهم ليقترح عليهم و يتلهى بهم (فمن آمن و اصلح) مايجب اصلاحه على ماشرع لهم (فلا خوف عليهم) من العذاب (و لا هم يحزنون) بفوت الثواب (و الذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب) جعل العذاب ماسا لهم كأنه الطالب للوصول اليهم و استغنى بتعريفه عن التوصيف (بما كانوا يفسقون) بسبب خروجهم عن التصديق و الطاعة (قل لا اقول لكم عندى خزائن الله) مقدوراته او خزائن رزقه (و لا اعلم الغيب) مالم يوح الى و لم ينصب عليه دليل و هو من جملة المقول (و لا اقول لكم انى ملك) انى من جنس الملائكة او اقدر على مايقدرون عليه (ان اتبع الا مايوحى الى) تبرأ من دعوى الالوهية و الملكية و ادعى النبوة التى هى من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه و جزمهم على فساد مدعاه

(قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدى اوالجاهل والعالم اومدعى المستحيل كالالوهية والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة (أفلا تتفكرون) فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحى مما لامحيص عنه (وأنذر به) الضمير لما يوحى الى (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) هم المؤمنون المفرطون فى العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان اوكافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته (ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) فى موضع الحال من يحشروا فان المخوف هوالحشر على هذه الحال (لعلهم يتقون) لكى يتقوا (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روى انهم قالوا لو طردت هؤلاء الأعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروى ان عمر رضى الله عنه قال له لو فعلت حتى تنظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلى رضى الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفى الكهف (يريدون وجهه) حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم (ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) اى ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عندالله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم او آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اى من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه (فتطردهم) فتبعدهم وهو جواب النفى (فتكون من الظالمين) جواب النهى ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر (فعطفه)

ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها والثالث ماتبدى لقلبه اى ظهر لقلبه بلا شبهة بالهام من الله تعالى بأن اراه الله بنور من عنده انه من عندالله كما قال تعالى لتحكم بين الناس بما اراك الله والباطن ماينال بالاجتهاد والتأمل فى الاحكام المنصوص عليها وجعل اجتهاده عليه الصلاة والسلام وحيا باعتبار المآل فان تقريره عليه الصلاة والسلام على اجتهاده يدل على انه هوالحق كما اذا ثبت بالوحى ابتداء وابى الاشعرية واكثر المعتزلة والمتكلمين ان حكمه عليه الصلاة والسلام بالاجتهاد **قوله** مثل للضال والمهتدى فانه عليه الصلاة والسلام لما وصف نفسه بكونه متبعا للوحى الالهى لزم منه ان يصف نفسه بالاهتداء ويصف من عانده واستبعد دعواه بالضلال ولزم منه ايضا ان يصف نفسه بانه عالم حيث علمه الله بالوحى ويصف من لم يتبع الوحى بالجهل حيث لم يقبلوا الوحى فأمره الله تعالى ان يقول للمعاندين هل يستوى الضال والمهتدى او هل يستوى العالم والجاهل وعلى التقديرين يكون قوله تعالى قل هل يستوى الاعمى والبصير متعلقا بقوله ان أتبع الا مايوحى الى **قوله** اومدعى المستحيل والمستقيم فان الاول كالاعمى حيث يخبط خبط عشواء ولا يميز بين المستحيل والمستقيم ومدعى المستقيم كالبصير حيث يمشى على بصيرة وتميز بين مايكون ومالا يكون أفلا تتفكرون فتهتدوا باتباع الوحى والعمل بمقتضاه او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل فان منشأ استبعادكم دعواى انما هو عدم التمييز بينهما فعلى هذا يتعلق قوله افلا تتفكرون بقوله قل لا اقول لكم عندى خزآئن الله وعلى قوله او فتعلموا ان اتباع الوحى مما لامحيص عنه يكون متعلقا بقوله ان أتبع الا مايوحى الى كأنه قيل أفلا تتفكرون فتعلموا وجوب اتباعى لانى لا اتبع الا مايوحى الى **قوله** فى موضع الحال من يحشروا ان كان المراد من الذين يخافون الكفار فالكلام ظاهر لان الظالمين ليس لهم من حميم ولا شفيع يطاع واما ان كان المراد بهم المسلمون فقوله تعالى ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع ينافى مذهب اهل السنة فى اثبات الشفاعة للمؤمنين فلابد ان يقال شفاعة الملائكة والرسل للمؤمنين انما تكون باذن الله تعالى فكانت الشفاعة فى الحقيقة من الله **قوله** تعالى ماعليك من حسابهم من شئ ومامن حسابك عليهم من شئ كلمة من فى قوله من شئ زآئدة وهو فاعل عليك وعليهم لاعتمادهما على النفى ومن حسابك ومن حسابهم صفة الشئ ثم قدمت فصارت حالا وانما قدم فى الجملة الاولى عليك وفى الثانية من حسابك لانهما المتعلقان برسول الله صلى الله عليه وسلم من الجملتين فذكرهما اهم والاهم اقدم ولما لم يقتصر المشركون فى طعن فقرآء المسلمين على وصفهم بكونهم موالى ومساكين بل طعنوا فى ايمانهم ايضا حيث قالوا يامحمد انهم انما اجتمعوا عندك وقبلوا دينك لانهم يجدون عندك مأكولا وملبوسا اى بهذا السبب والا فهم عارون عن دينك وعن الايمان بك فلو طردتهم عن مجلسك اولم تطردهم واقمتهم عنا اذا جئناك لاتبعناك فرضى عليه الصلاة والسلام بالثانى طمعا فى ايمانهم حتى صار الفقرآء بذلك فى مظنة الطرد فنهاه الله تعالى وقال ماعليك من حسابهم من شئ اى ليس لك الا اعتبار ظاهر حالهم وهو اتسامهم بسمة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضى كما يقوله المشركون فمضرة حساب ايمانهم لاترجع الا اليهم لا اليك لان المضرة المترتبة على حساب كل نفس عائدة اليها لا الى غيرها والمقصود منه دفع طعن الكفار وتثبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على تربية الفقرآء وادنائهم وان اريد بالحساب حساب الرزق يكون المعنى لايجب على النبى ولا على احد من امته حساب رزق صاحبه انما على النبى التبليغ وعلى الامة القبول والطاعة وهذا على تقدير ان يكون ضمير حسابهم وعليهم للذين يدعون ربهم واما ان كان الضمير للمشركين يكون المعنى لا تؤاخذ انت بالعقوبة المترتبة على حسابهم ولا هم بحسابك وانما تؤاخذ كل نفس بعملها ولا تزر وازرة وزر اخرى **قوله** وهو جواب النفى نحو ماتأتينا فتحدثنا بنصب فتحدث على ان يكون معنى انتفاء التحديث لانتفاء سببه الذى هو الاتيان والآية الكريمة من هذا القبيل فانه لو كان مضرة حسابهم مستقرة على المخاطب لكان ذلك سببا لابعاد من يتوهم الوهن فى ايمانه فحكم بأن هذا السبب غير واقع حتى يقع مسببه الذى هو الطرد **قوله** على وجه التسبب اى تسبب كونه ظالما عن طردهم لا عن كون حسابهم عليه حتى يلزم صحة كونه جوابا للنفى فان كونه ظالما مسبب عنه وفى الحواشى السعدية على الكشاف ان قوله على وجه التسبب دفع لما يتوهم من انه لو جعل عطفا على جواب النفى لصح ان يقع جوابا للنفى وليس كذلك اذ لا معنى لقولك ماعليك من حسابهم فتكون من الظالمين انتهى يعنى ان عطفه على فتطردهم يتصور على وجهين احدهما ان يعطف عليه مع اعتبار كون الطرد متوقفا على النفى ومنتفيا بانتفائه اى مع اعتبار كونه جوابا للنفى

فعطفه عليه بهذا الاعتبار يستلزم ان يصح كونه معطوفا على فتطردهم باعتبار كونه جوابا للنفى والوجه الثانى كونه معطوفا مرتبا على نفس الطرد من غير اعتبار كونه متوقفا على النفى ومنفيا بانتفائه وعطفه عليه بهذا الاعتبار لايستلزم ان يصح كونه جوابا للنفى حتى يقال لامعنى لكونه جوابا للنفى فلا معنى لحمل الكلام على مايستلزم كونه جوابا له فثبت جواز عطفه على فتطردهم من غير لزوم المحذور وهو ان يكون المعنى ماعليك من حسابهم شئ فتكون من الظالمين هذا نهاية توجيه كلام المجوز ولعل وجه كلام المصنف ان جعله منصوبا بالعطف على الجواب يجب ان يكون على الوجه الاول لان المعطوف على ماله حظ من الاعراب انما يعطف عليه اذا قصد تشريك المعطوف فى حكم اعراب المعطوف عليه من كونه فاعلا اومفعولا او خبرا او حالا او صفة او غير ذلك وقوله فتطردهم فى الآية معرب منصوب على جواب النفى فيجب ان يفيد العطف عليه كون المعطوف مشاركا له فى حكم اعرابه وهو كونه على جواب النفى وقد ظهر انه لامعنى لكونه جواب النفى فلا وجه لتجويز كونه معطوفا عليه لانه مستلزم المحال محال اللهم الا ان يحمل الكلام على المبالغة فى النهى عن الطرد اى لو طردتهم على تقدير ان يكون حسابهم عليك كنت ظالما فكيف اذا لم يكن حسابهم عليك فهو نظير قوله عليه الصلاة والسلام * نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه * ﴿قوله ومثل ذلك الفتن﴾ اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف والمعنى فتنا بعض الناس ببعض فى امر الدين فتنا مثل ذلك الفتن والابتلاء الواقع باختلاف احوال الناس فى امور الدنيا كالفقر والغنى والرياسة والهوان وجعل ذلك اشارة الى الفتن المدلول عليه بقوله فتنا ﴿قوله او للتعليل﴾ اى لانها لام كى * ولما ورد ان يقال ان معنى فتناهم ابتليناهم فكيف جعل الابتلاء سببا لان يقولوا ذلك القول * اجاب عنه بأن فتنا متضمن معنى خذلنا وخذلانهم سبب لافتتانهم وهو سبب لذلك القول ومعنى هذه الفتنة ان كل واحد من الفريقين مبتلى بصاحبه فرؤساء الكفار الاغنياء كانوا يحسدون فقراء الصحابة على كونهم سابقين الى الاسلام مسارعين الى قبوله فقالوا لو دخلنا فى الاسلام لوجب علينا ان ننقاد لهؤلاء الفقراء المساكين وان نعترف لهم بالتبعية فكان ذلك يشق عليهم واما فقراء الصحابة فكانوا يرون اولئك الكفار فى الراحة والمسرة وطيب العيش والسعة فكانوا يقولون كيف حصلت هذه الاحوال لهؤلاء الكفار مع انا بقينا فى الشدة والضيق فقال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض فأحد الفريقين يرى الآخر مقدما فى المناصب الدنيوية ويقول هذا الذى فضله الله علينا واما المحققون فهم يعلمون ان كل مافعله الله تعالى فهو حق وحكمة وصواب لا اعتراض عليه اما بحكم المالكية كما هو قول اهل السنة واما بحسب المصلحة كما هو قول المعتزلة فكانوا صابرين فى وقت البلاء شاكرين فى وقت الآلاء والنعماء وهم الذين قال الله تعالى فى حقهم أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴿قوله تعالى واذا جاءك الذين﴾ اذا فيه منصوب بجوابه اى فقل سلام عليكم وقت مجيئهم اى اوقع هذا القول كله فى وقت مجيئهم قال عكرمة نزلت فى الذين نهى الله عز وجل نبيه عليه السلام عن طردهم وكان عليه الصلاة والسلام اذا رآهم بدأهم بالسلام * قال الامام فيه اشكال وهو ان الناس اتفقوا على ان هذه السورة نزلت دفعة واحدة واذا كان كذلك فكيف يمكن ان يقال فى كل واحدة من آيات هذه السورة ان سبب نزول هذه الآية الامر الفلانى بعينه بل الاقرب ان تحمل هذه الآية على عمومها فكل من آمن بالله تعالى دخل تحت هذا التشريف ﴿قوله وامره بأن يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم﴾ اشارة الى ماقال الامام من ان من الناس من قال انه لما امر الرسول عليه الصلاة والسلام ان يقول لهم سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة كان هذا من قول الله تعالى ومن كلامه فهذا يدل على انه سبحانه وتعالى قال لهم فى الدنيا سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ومنهم من قال بل هذا من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿قوله ايذانا﴾ علة لمجموع قوله وصفهم وامره فان التصديق بالقرآن والاتباع للحجج فضيلة علمية كما ان المواظبة على العبادة فضيلة عملية ﴿قوله ومن كان كذلك﴾ اى وايذانا بأن من جمع بين فضيلتى العلم والعمل ينبغى ان يقرب ويعز ويبشر الخ ووجه الايذان انه تعالى علق النهى عن طردهم على اتصافهم بالفضيلة العملية ثم عطف بالواو الجامعة جملة واذا جاءك الذين يؤمنون الخ على جملة النهى بأن وضع الظاهر موضع الضمير فان مقتضى الظاهر ان يقول لاتطرد الذين يدعون ربهم وقل لهم سلام عليكم فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بأن اتصافهم بالفضيلة العملية علة لما ذكر من التقريب والاعزاز والتبشير فكأنه قيل من جمع بين هاتين الفضيلتين لاتطردهم وابدأهم بالسلام او بلغ اليهم سلام الله وبشرهم بأن الله يسلمهم

(وكذلك فتنا بعضهم ببعض) ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس فى امور الدنيا فتنا اى ابتلينا بعضهم ببعض فى امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان (ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) اى أهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لأن يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ماسبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا (أليس الله بأعلم بالشاكرين) بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لايقع منه فيخذله (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بأن يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد النهى عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغى ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الآخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيأ فانصرفوا فنزلت

من الآفات فى الدنيا اويرحهم فى الآخرة والسلام اسم بمعنى التسليم اى الدعاء بالسلامة فمعنى سلام عليكم دعوت بأن يسلمكم الله من الآفات فى دينكم ونفسكم وقولهم كتب على نفسه كذا لفلان يفيد انه اوجب ذلك على نفسه وكلمة على ايضا تفيد الايجاب واذا اجتمعا تأكد الايجاب وهذا الايجاب لاينا فى كونه تعالى فاعلا مختارا بل هو عبارة لتأكيد الوعد وبيان لفضله وكرمه **قوله** استئناف بتفسير الرحمة كلمة انّ فى الموضعين مكسورة فى قرآءة ابن كثيروابى عمرو وحمزة والكسائى ومفتوحة فى قرآءة ابن عامروعاصم واما فى قرآءة نافع فالاولى مفتوحة والثانية مكسورة فمن كسر الاولى قال انها مستأنفة وان الكلام قدتم عند قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم ابتدأ وقال انه من عمل منكم سوأ الآية تفسيرا للرحمة التى كتبها على نفسه ومن فتحها جعلها بدلا من الرحمة وتفسيرا لها والتقدير كتب على نفسه انه من عمل الخ فان مضمون هذه الجملة لاشك انه رحمة **قوله** بجهالة فى موضع الحال اى من فاعل عمل اى عمله ملتبسا بالجهالة حقيقة بأن يفعله وهو لايعلم مايترتب عليه من المفسدة كعمر رضى الله عنه فيما اشار اليه من اجابة الكفرة فيما سألوا ولم يعلم انها مفسدة او حكما بأن يفعله عالما بسوء عاقبته فان من عمل مايؤدّى الى الضرر فى العاقبة وهو عالم بذلك او ظانّ فهو فى حكم الجاهل فقوله بجهالة حال مؤكدة لانها مقرّرة لمضمون قوله عمل سوألان عمل السوء لاينفك عن الجهالة حقيقة او حكما **قوله** غيرنافع فانه وان فتح الاولى الاانه كسر الثانية بأن ابدل الاولى من الرحمة واستأنف بمابعد الفاء اى كسران اوقوعها فى صدر جملة وقعت خبرا لمن الموصولة او جوابا لها ان كانت شرطية وقد اجمع القرآء على كسرها بعد فاء الجزآء فى قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم كأنه قيل فهو غفور رحيم الاان الكلام بانّ اوكد فكسرت لدخولها على المبتدأ والخبر واما من عدا نافعا ممن فتح الاولى فقد فتح الثانية ايضا بجعلها فى محل الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف اى فأمره او شأنه انه غفور رحيم او على انها مبتدأ حذف خبره اى فله غفرانه ورحمته اى فغفرانه ورحمته حاصلان له **قوله** ومثل ذلك التفصيل على ان الكاف صفة مصدر محذوف وذلك اشارة الى ماسبق فى هذه السورة الكريمة من تفصيل دلائل النبوّة والتوحيد والبعث لالزام الحجة على مشركى مكة والمعنى مثل ذلك التفصيل نميز ونبين لك حجتنا فى كل حق ينكره اهل الباطل وهذا حاصل الكلام والمعنى على مااختاره المصنف انه تعالى فصل طوآئف المجرمين الى من هو مطبوع على قلبه لايرجى اسلامه وذكرهم بقوله والذين كفروا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات والى من يرى فيه امارة القبول وهو الذى يخاف اذا سمع ذكر القيامة وذكرهم بقوله وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم والى الذين دخلوا فى الاسلام الاانهم لايحفظون حدوده وذكرهم بقوله واذاجاءك الذين يؤمنون بآياتنا وخاطبهم بقوله من عمل منكم سوأ ثم قال بعد هذا التفصيل ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل آيات القرآن فى صفة الطوآئف الثلاث **قوله** قرأه نافع بالتاء اى من فوق على اسناد الفعل الى المخاطب ونصب السبيل على المفعولية اى لتعلم يامحمد سبيلهم فان استبان يتعدّى ولايتعدّى يقال استبان الشئ واستبنته **قوله** وابن كثير الخ فانهم قرأوا ولتستبين بتاء التأنيث ورفعوا سبيل على انه فاعل فان السبيل يذكر ويؤنث وتذكيره لغة بنى تميم وتأنيثه لغة اهل الحجاز وقد نطق القرآن بهما قال تعالى وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وقال ويصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ولم تعدّ تستبين فى هذه القرآءة **قوله** والباقون وهم حمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم فانهم قرأوا يستبين بالياء من تحت ورفع سبيل باسناد الفعل اليه وتذكير السبيل على لغة بنى تميم **قوله** ويجوز ان يعطف لما اشار بقوله ولتستوضح يامحمد سبيلهم فصلنا هذا التفصيل الى ان متعلق اللام فى لتستبين مقدّر وهو قوله فصلنا وقدّره على لفظ الماضى نظرا لما عليه المعنى وذكر نفصل الآيات بلفظ المضارع لقصد الاستمرار ولتناول الماضى والآتى عطف عليه قوله ويجوز ان يعطف على علة مقدرة فتكون اللام متعلقة بالفعل المذكور وتستبين منصوب باضمار ان بعد لام كى قيل فى الكلام حذف معطوف والتقدير ولتستبين سبيل المجرمين وسبيل المحقين ولم يذكره استغناء بذكر مقابله لان ذكر احد المتقابلين يدل على ذكر المقابل الآخر كما فى قوله تعالى سرابيل تقيكم الحرّ ولم يذكر البرد استغناء عنه بذكر الحرّ **قوله** تأكيد لقطع اطماعهم فان بعض المشركين لما قال له عليه الصلاة والسلام استلم آلهتنا حتى نؤمن بالهك امر الله تعالى اياه عليه الصلاة والسلام ان يقول لهم انى نهيت الآية قطعا لاطماعهم ثم اكد ذلك بقوله قل لااتبع اهوآءكم فانه من حيث انه يقرّر مضمون ماقبله تأكيد له واشارة الى

(الموجب)

(انه من عمل منكم سوأ) استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها (بجهالة) فى موضع الحال اى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضارّ والمفاسد كعمر رضى الله عنه فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب مايؤدّى الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل (ثم تاب من بعده) من بعد العمل والسوء (واصلح) بالتدارك والعزم على ان لايعود اليه (فانه غفور رحيم) فتحه من فتح الاوّل غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اى فأمره اوفعله غفرانه (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) آيات القرآن فى صفة المطيعين والمجرمين المصرّين منهم والاوّابين (ولتستبين سبيل المجرمين) قرأه نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يامحمد سبيلهم فتعامل كلامنهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء وبالرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث او يجوز ان يعطف على علة مقدّرة اى نفصل الآيات ليظهر الحق ولتستبين (قل انى نهيت) صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل علىّ من الآيات فى امر التوحيد (ان اعبد الذين تدعون من دون الله) عن عبادة ماتدعون من دون الله اوماتدعونها آلهة اى تسمونها (قل لااتبع اهوآءكم) تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهى وعلة الامتناع عن متابعتهم

اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها (من ربي) من

الموجب للنهي كأنهم قالوا لم نهيت عما نحن فيه ولم تمتنع عن متابعتها * اجاب بأن ما انتم عليه هوى وليس بهدى فكيف اتبع الهوى واترك الهدى **قوله واستجهال لهم** لان الادلة العقلية والسمعية لما كانتا متطابقتين في الدلالة على التوحيد والزجر عن الاشراك ولم ينزجروا عنه دل ذلك على انهم جاهلون لا يميزون بين الحق والباطل ولا بين الهوى والهدى **قوله وما انا في شيء من الهدى** اشارة الى الفرق بين ان يقال وما انا من المهتدين وبين ان يقال وما اهتديت ولا اكون مهتديا بأن الاول ابلغ من الثاني لان الدخول في عداد من اهتدى يكفي فيه الاتصاف بشيء من الهدى بخلاف نحو قولك هو مهتد فانه يدل على الاهتداء التام فلزم منه ان يكون نفي الاول ابلغ في نفي الاهتداء من نفي الثاني وقوله وما انا من المهتدين تأكيد لقوله قد ضللت واتى به جملة فعلية لتدل على تجدد الفعل وحدوثه وبالثانية اسمية لتدل على التحقق والثبات **قوله تنبيه على ما يجب اتباعه** وهو البينة والبرهان الواضح وما لا يجوز اتباعه هو الهوى يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بحجة واضحة وشاهد صدق وقوله تعالى وكذبتم به يحتمل ان يكون جملة مستأنفة سيقت للاخبار بذلك وان يكون في محل النصب على الحالية **قوله اي القضاء الحق** لما قرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي يقض بسكون القاف وكسر الضاد المعجمة المخففة ذكر لانتصاب الحق وجهين الاول انه صفة مصدر محذوف اي يقضي القضاء الحق والثاني ان يقضي بمعنى يصنع فيتعدى بنفسه ويؤيد هذه القرآءة قوله تعالى وهو خير الفاصلين فان الفصل يناسب القضاء ولما لم ترسم الياء بعد الضاد في المصاحف قرأ الحجازيان وعاصم يقص بضم القاف والصاد المهملة المشددة من قص الحديث او من قص الاثر اي اتبعه كأن الياء حذفت خطا كما حذفت لفظا لالتقاء الساكنين كما حذفت في نحو وما تغن النذر وكما حذفت الواو في نحو سندع الزبانية ويمح الله الباطل **قوله مستعار من المفاتح** اي استعارة مكنية فقد شبه الغيب بالخزآئن المستوثق منها بالاقفال واثبت لها مفاتح على سبيل التخييل ولما كان عنده تلك المفاتح كان المتوصل الى ما في الخزآئن من المغيبات هو لا غير وهذا الحصر مستفاد من تقديم الظرف على المبتدأ **قوله مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات** اخبر اولا باختصاصه بعلم المغيبات المخزونة في عالم الغيب ثم اخبر بتعلق علمه بالمشاهدات المعبر عنها بقوله ما في البر والبحر فان هذا العنوان الكلي والمفهوم الاجمالي يتناول جميع ما لا يحيط بعلمه الا الله من المكنونات التي لا توجد ولا تبلغ الى كمالها اللائق بها الا بايجاد الله تعالى اياها وتدبيره فيها وهذا الحكم من حيث وضوحه عند العقل بالنسبة الى احاطة علمه بالمغيبات صار كالدليل له فلذلك ذكر بعده تقوية له وتقريبا الى الاذهان ولما كان احاطة علمه تعالى باحوال الجزئيات ابلغ من احاطة علمه بانفس الجزئيات صرح باحاطة علمه بها حيث قال وما تسقط من ورقة الا يعلمها ليكون كالدليل على الحكم المذكور قبله ثم بالغ في احاطة علمه باحوال الجزئيات بقوله ولا حبة في ظلمات الارض فان الحبة تكون في غاية الصغر وظلمات الارض في غاية السعة بحيث يختفي فيها اكبر الاجسام واعظمها فلما صرح بأن الحبة الصغيرة الملقاة في ظلمات الارض مع اتساعها لا تخرج عن علم الله تعالى البتة صار هذا الحكم مقويا ومقررا للحكم السابق ثم اجمل الكلام وعبر عن المقصود بعبارة اخرى فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقوله تعالى من ورقة فاعل تسقط ومن زآئدة لاستغراق الجنس وقوله تعالى لا يعلمها حال من ورقة اي لا تسقط ورقة في حال من الاحوال الا في حال كونه تعالى عالما بها وقوله تعالى ولا حبة مجرور بالعطف على لفظ ورقة ولو قرئ مرفوعا لكان معطوفا على الموضع وفي ظلمات صفة حبة وقوله ولا رطب ولا يابس مجروران ايضا بالعطف على لفظ ورقة وقرئا مرفوعين عطفا على المحل ويجوز ان يكون رفعها اي رفع الثلاثة على الابتدآء والخبر هو قوله الا في كتاب مبين فان قرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالجر عطفا على لفظ ورقة او بالرفع عطفا على محلها تكون داخلة في حكمها كأنه قيل وما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه فلا يجوز ان يكون قوله الا في كتاب مبين استثناء ثانيا من قوله الا يعلمها لان الا يعلمها اثبات من النفي فيكون الا في كتاب نفيا من الاثبات فيلزم ان لا يعلمها في كتاب وليس كذلك لان كل شيء في كتاب وكل ما هو في كتاب يجب ان يعلمه في كتاب فلابد من القول بأن الاستثناء الثاني بدل من الاول وتأكيد له **قوله اطلق البعث ترشيحا للتوفي** لا يخفى ان الترشيح له نوع خصوص بالمشبه به والبعث مما لا خصوص له بالموت اذ يقال بعثه من نومه اذا ايقظه صرح بذلك في المطول الا ان يتكلف بأن الامر كذلك في اصل اللغة لكنه حقيقة

معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة (وكذبتم به) الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى (ما عندي ما تستعجلون به) يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم (ان الحكم الا لله) في تعجيل العذاب وتأخيره (يقض الحق) اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر (وهو خير الفاصلين) القاضين (قل لو أن عندي) اي في قدرتي ومكنتي (ما تستعجلون به) من العذاب (لقضي الامر بيني وبينكم) لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم (والله اعلم بالظالمين) في معنى استدراك كأنه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم (وعنده مفاتح الغيب) خزآئنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده ان قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها (لا يعلمها الا هو) فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها (ويعلم ما في البر والبحر) عطف للاخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات (ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) معطوفات على ورقة وقوله (الا في كتاب مبين) بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة اورفعا على الابتدآء والخبر

الا في كتاب مبين (وهو الذي يتوفاكم بالليل) ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء

شرعية في احياء الموتى في الآخرة ﴿قوله تعالى ليقضى اجل﴾ على بناء المفعول في قرآءة الجمهور واجل مرفوع به وفي الفاعل المحذوف احتمالان احدهما انه ضمير البارى تعالى والثاني انه ضمير المخاطبين اى لتقضوا وتستوفوا آجالكم وقرئ على بناء الفاعل وهو الله تعالى واجلا حينئذ منصوب به على المفعولية * واعلم انه تعالى لما ذكر انه ينيمهم اولا ثم يوقظهم ثانيا كان ذلك جاريا مجرى الاحياء بعد الاماتة فلذلك استدل به على صحة البعث والقيامة فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم في جميع اعماركم ﴿قوله وقيل الآية خطاب للكفرة﴾ عطف على مايدل عليه كلامه في تفسير الآية لكون الخطاب لعامة من أنامه الله وايقظه ليستوفى المستيقظ مدة حياته مؤمنا كان اوكافرا واختار ذلك لان ظاهر الآية العموم وليس فيها مايقتضى تخصيصها بالكفرة الا انه على تقدير التخصيص لابد ان يحمل ماسند اليهم في الليل والنهار على الحالة المذمومة من احوال الانسان العاقل فان اللائق به ان يستعمل كل نعمة فيما خلقت لاجله فينام لأن تستريح به قواه ويتقوى بذلك على طاعة الله ويستيقظ لاكتساب مافيه مرضاة الله ويستعده عند لقاء مولاه لاان يلقى كالجيفة بالليل ويكتسب الآثام بالنهار وهذا القائل لم يحمل البعث بمعنى الايقاظ بل جعله بمعنى البعث من القبور بناء على ان قوله ويعلم ماجرحتم بالنهار دال على حال اليقظة وكسبهم فيها وكلمة ثم تقتضى تأخر البعث عنها والبعث المتأخر عنها هو البعث من القبور * فان قلت البعث من القبور ليس علة لاقضاء الاجل المسمى * فالجواب ان المراد بالاجل المسمى مدة الكون في القبور لامدة الحياة كما ذهب اليه المصنف والبعث علة لانقضاء تلك المدة ﴿قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده﴾ ليس المراد بالفوقية الجهة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل المراد الفوقية من حيث القدرة فانه تعالى قهار للممكنات المعدومة بالايجاد والتكوين وللممكنات الموجودة بالافناء والافساد وقهار لكل ضد بضده فيقهر النور بالظلمة والظلمة بالنور والليل بالنهار والنهار بالليل وقهار للعناصر التى تألف البدن منها فانها مع كونها متنافرة متباعدة بالطبع والخاصية قد الف الملك القهار بينها بأن خلع عنها كيفياتها المتضادة واودع فيها كيفية واحدة متوسطة بين تلك الكيفيات الصرفة وقهار للروح والبدن حيث جمع بينهما على سبيل القهر والقدرة الكاملة وجعل كل واحد منهما مستكملا بصاحبه منتفعا بالآخر فان الروح يصون البدن عن العفونة والفساد والبدن يصير آلة للروح في تحصيل السعادات الابدية والمعارف الآلهية مع مابينهما من كمال المباعدة والمنافرة فان البدن كثيف سفلى ظلمانى فاسد عفن والروح لطيف علوى نورانى مشرق باق طاهر نظيف وقد الف الملك الجبار بينهما ليصلحا لقبول العهد والمحن فاذا تأملت هذه الاسرار المودعة في الممكنات من العلويات والسفليات والذوات والصفات علمت ان كلها مقهورة تحت قهر الله تعالى مسخرة بتسخيره تعالى كما قال وهو القاهر فوق عباده ﴿قوله تعالى ويرسل عليكم حفظة﴾ جملة فعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها وهى قوله وهو القاهر اوجملة مستأنفة سيقت للاخبار بذلك وجعله معطوفا على قاهر لكون حرف التعريف فيه بمعنى الذى وكون التقدير وهو الذى يقهر عباده ويرسل ضعيف لانه يلزم من ذلك الفصل بين ابعاض الصلة بأجنبى فان المعطوف على الصلة من تمام الصلة فلا يجوز ان يتخلل بينهما امر اجنبى ومن جملة قهره لعباده تعالى ارسال الحفظة عليهم لحفظ اعمالهم قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين واختلفت الآثار في عدد الحفظة * روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال مع كل انسان ملكان احدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على اليمين واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظره لعله يتوب منها فان لم يتب كتبها عليه * وروى عنه كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل العبد حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه تسع ساعات لعله يسبح اويستغفر * وروى ان العبد اذا قعد فأحد الملكين عن يمينه والآخر عن يساره وان مشى فأحدهما امامه والآخر خلفه وان نام فأحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه * وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ايضا انه قال مع كل مؤمن خمسة من الحفظة واحد عن يمينه يكتب الحسنات وواحد عن يساره يكتب السيئات وواحد أمامه يلقنه الخيرات وواحد خلفه يدفع عنه الآفات وواحد على ناصيته يكتب مايصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويبلغه اليه * وقيل مع كل مؤمن اربعة من الملائكة اثنان بالنهار واثنان بالليل وقيل مع كل مؤمن ستون ملكا وقيل وكل بكل عبد مائة وستون ملكا يذبون عنه الشياطين كما يذب عن ضعفة

(ليقضى اجل مسمى) ليبلغ المتيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا (ثم اليه مرجعكم) بالموت (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين عليه

الشاء الذبان وهو جمع كثرة لذباب مثل غراب وغربان والذب المنع والدفع ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين
لاختطفته الشياطين ﴿قوله ملك الموت واعوانه﴾ التوفي في الحقيقة يحصل بقدرة الله تعالى كما قال الله تعالى الله
يتوفى الانفس حين موتها وقال هو الذي خلق الموت والحياة ثم انه في عالم الظاهر مفوض الى ملك الموت وهو
الرئيس المطلق في هذا الباب كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت ثم له اعوان وخدم وانصار يدل عليه قوله
تعالى في هذه الآية توفته رسلنا فحسنت اضافة التوفي الى كل واحد من هذه الثلاثة بحسب كل واحد من
الاعتبارات المذكورة روي عن مجاهد انه قال جعلت الارض مثل الطست لملك الموت يتناول من يتناوله ومامن
اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وروي ان الدنيا بين يدي ملك الموت كالمائدة الصغيرة يتناول من هنا
ومن هنا فاذا كثرت عليه الارواح يدعوها فتجيب روي عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى
ملك الموت عند رأس رجل من الانصار فقال عليه الصلاة والسلام* ارفق بصاحبي فانه مؤمن* فقال أبشر يا محمد اني
لأقبض روح ابن آدم فاذا صرخ صارخ من اهله قلت ماهذا الصراخ فوالله ماظلمناه ولا استبقينا من اجله فالنا
في قبضه ذنب فان ترضوا بما صنع الله تعالى تؤجروا وان تسخطوا او تجزعوا تأثموا ومالكم عندنا من عتبة وان
لنا عليكم لبغتة وعودة فالحذر الحذر ومامن اهل بيت شعر ولا مدر في بر ولا بحر الا وانا اتصفح وجوههم في كل يوم
وليلة خمس مرات حتى اني لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله يا محمد لو اني اردت ان أقبض بعوضة
ماقدرت على ذلك حتى يكون الله تعالى هو الآمر بقبضها ﴿قوله وقرأ حمزة توفاه﴾ اما على انه فعل ماض اسند
الى ماليس تأنيثه حقيقيا فلذلك ذكر او مضارع اصله تتوفاه حذفت منه احدى التاءين ﴿قوله الى حكمه
وجزائه﴾ يعني ان الرد الى الله ليس على ظاهره لكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة بل هو عبارة عن جعلهم
منقادين لحكم الله تعالى مطيعين لقضائه بأن يساقوا الى حيث لا مالك ولا حاكم فيه سواه ﴿قوله الذي يتولى امرهم﴾
فسر المولى به لدفع كون قوله تعالى في هذه الآية مناقضا لقوله وان الكافرين لا مولى لهم فان المولى في تلك الآية
بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار والمولى ههنا بمعنى المالك الذي يتولى امرهم والله تعالى مالك الامور كلها في حق
كل الخلائق وهذه المناقضة انما تتوهم اذا كانت الآية في حق جميع المكلفين من المؤمنين والكفار وهو الظاهر وان
كانت واردة في حق المؤمنين خاصة يجوز ان يكون المولى بمعنى الناصر من غير محذور فان من رد اليه تعالى اصالة
هم المؤمنون والكفار في هذا الامر تبع لهم ﴿قوله معلنين ومسرين﴾ على ان يكون تضرعا وخفية مصدرين في
موضع الحال من فاعل تدعون وتدعون حال من مفعول ينجيكم اي ينجيكم داعين اياه ﴿قوله اواعلانا واسرارا﴾
على ان يكون كل واحد منهما مفعولا مطلقا من غير لفظ الفعل مثل قعدت جلوسا قرأ الجمهور خفية بضم الخاء وقرئ
بكسرها وهما لغتان كما في الاسوة والاسوة ﴿قوله على ارادة القول﴾ ويكون ذلك القول المقدر في محل النصب
على الحال من فاعل تدعونه اي تدعونه قائلين هذه الجملة القسمية والشكر الاعتراف بالنعمة مع القيام بحقها
وحق نعمة الله تعالى ان يطاع منعمها ولا يعصى فضلا عن ان يشرك به مالا يقدر على شئ اصلا والمقصود من صورة
الاستفهام في قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر التبكيت والالزام ومن قوله تعالى قل الله ينجيكم
حملهم على الاقرار بأن المنجي من جميع الشدائد هو الله تعالى حيث نبه به على انه المتعين للجواب بالاتفاق وثم في قوله
تعالى ثم انتم تشركون لاستبعاد اشراككم عن هذا الاقرار والمناسب لقولهم لنكونن من الشاكرين ان يقال ثم انتم
لا تشكرون اي لا تعبدون المنعم لكن وضع تشركون موضعه تنبيها على ان الاشراك بمنزلة ترك الشكر رأسا
﴿قوله كما فعل بقوم نوح﴾ حيث اهلكهم بان ارسل عليهم الطوفان والصاعقة والريح والصيحة واهلك قوم لوط
واصحاب الفيل بأن امطر عليهم الحجارة لما استبعد الله تعالى اشراكهم مع الاقرار بأن المنجي من الشدائد كلها هو
الله تعالى اعلمهم بانه القادر على تعذيبهم فقال قل هو القادر ﴿قوله يخلطكم﴾ يقال لبست عليه الامر اي
خلطت وهو من باب ضرب وقولك لبست الثوب من باب علم ومصدره اللبس بضم اللام ومصدر الاول اللبس بالفتح
وشيعا منصوب على انه حال من مفعول يلبسكم وهو جمع شيعة كسدرة وسدر والشيعة كل قوم اجتمعوا على
امر وهو معنى قوله فرقا متحزبين على اهواء شتى فمعنى يلبسكم يخلط امركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق فاذا نشأ
بين الامة اهواء مختلفة ومذاهب متنافية تصير الامة فرقا مختلفة يتبع كل فرقة اماما على حدة فيقاتل بعضهم بعضا
فينشب القتال بينهم اي فيعلق ويدخل وهو من باب علم قال

(حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا)
ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه
بالف ممالة (وهم لا يفرطون) بالتواني
والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون
ما حد لهم بزيادة او نقصان (ثم ردوا
الى الله) الى حكمه وجزائه (مولاهم)
الذي يتولى امرهم (الحق) العدل الذي
لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح
(ألا له الحكم) يومئذ لا حكم لغيره فيه
(وهو اسرع الحاسبين) يحاسب الخلائق
في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن
حساب (قل من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر) من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة
لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار
فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو
كواكب او من الخسف في البر والغرق
في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف
والمعنى واحد (تدعونه تضرعا وخفية)
معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ
خفية بالكسر (لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول
اي تقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون
لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه
اشارة الى الظلمة (قل الله ينجيكم منها)
شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون
(ومن كل كرب) غم سواها (ثم انتم
تشركون) تعودون الى الشرك ولا توفون
بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا
تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة
الله تعالى فكأنه لم يعبده رأسا (قل هو
القادر على ان يبعث عليكم عذابا من
فوقكم) كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب
الفيل (او من تحت ارجلكم) كما اغرق
فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم
اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم
سفلتكم وعبيدكم (او يلبسكم شيعا)
يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى
فينشب القتال بينكم قال * وكتيبة لبستها
بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدي *

۞ وكتيبة لبستها بكتيبة ۞ حتى اذا التبست نفضت لها يدى ۞

اى رب كتيبة خلطتها بكتيبة الكتيبة الجيش والعسكر فلما اختلطت نفضت يدى منهم وخليتهم وشأنهم يريد انه مهياج للشر والفتنة (قوله اى بالعذاب) وهو ظاهر لتقدم ذكره صريحا فى قوله عذابا من فوقكم او بالقرآن وهو كالمذكور من حيث ان تعريف الآيات للعهد كأنه قيل انظر كيف نصرف آيات القرآن قال المصنف بعد ثلاثة اسطر اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن وورودها على وجوه مختلفة من اول السورة الى هنا لكى يفهم منها المشركون بطلان قولهم وتناقض مذهبهم لكنهم لم يتعظوا بها ولم يهتدوا بدلائلها بل كذبوا القرآن فى كونه كتابا منزلا من عند الله تعالى وهو الحق اى الصادق فى ذلك وقوله وهو الحق يحتمل ان يكون استئنافا لبيان وقوع العذاب او حقية القرآن ويحتمل ان يكون حالا من الضمير فى به اى كذبوا به حال كونه حقا (قوله يريد به اما العذاب) بقرينة المقام والافكل ما اخبر به الله تعالى من اخبار الوعد والوعيد له وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير ولا بد ان يعلم المكلف جميع ذلك عند ظهوره ونزوله ولفظ المستقر يحتمل ان يكون اسم زمان ومكان ومصدر لان جميع ذلك من المزيد فيه يكون على لفظ اسم المفعول ولا مانع من حمله على كل واحد منها فى الآية لصحة ان يقال لكل ما اخبر الله به استقرار لا محالة او لكل ذلك وقت استقرار او مكان استقرار الا ان المصنف حمله على الزمان لكونه انسب بهذا المقام ثم انه تعالى لما بين انه عليه الصلاة والسلام ليس بحفيظ على المكذبين حتى يمنعهم من الكفر والتكذيب وليس عليه ان يلزمهم الى ان يقبلوا الدين بين انهم ان ضموا الى الكفر والتكذيب الاستهزاء بالدين والطعن فى القرآن العظيم والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام يجب عليه الاعراض عنهم وترك مجالستهم حتى يخوضوا فى حديث غيره فقال واذا رأيت الذين يخوضون الآية قيل الخطاب فيه للنبى عليه الصلاة والسلام والمراد غيره وقيل الخطاب لغيره والمعنى اذا رأيت ايها السامع الذين يخوضون فى آياتنا * روى ان المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن فشتموا واستهزأوا فأمرهم ان لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وكلمة اذا فى الآية منصوبة بجوابها وهو فأعرض اى فأعرض عنهم فى هذا الوقت والظاهر ان فى الآية تقدير حال محذوفة اى واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم وهم خائضون فيها او وهم ملتبسون بالخوض فيها لان المأمور به هو الاعراض عنهم فى تلك الحال لا مطلقا بقرينة قوله حتى يخوضوا فى حديث غيره والخوض فى اللغة الشروع فى الشئ مطلقا يقال خاض القوم فى الحديث وتخاوضوا فيه اى تفاوضوا وتشاركوا بأن فاوض فيه بعضهم بعضا الا انه غلب فى الشروع فى الشئ بالباطل قال تعالى حكاية عن الكفار وكنا نخوض مع الخائضين فلذلك قال المصنف يخوضون فى آياتنا بالتكذيب والاستهزاء الا ان الخوض فى قوله تعالى حتى يخوضوا فى حديث الظاهر انه على اصل معناه * قال الامام لفظ الخوض فى اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه العبث واللعب فربما يسأل الرجل عن قوم فيجيب قائلا تركتهم يخوضون يريد أنه تركهم وهم شرعوا فى كلمات لا ينبغى ذكرها ثم قال ومن الحشوية من تمسك بهذه الآية فى النهى عن الاستدلال والمناظرة فى ذات الله تعالى وصفاته قال لان ذلك خوض فى آيات الله والخوض فيها حرام بدليل هذه الآية ثم اجاب عنه بقوله انا نقلنا عن المفسرين ان المراد من الخوض الشروع فى آيات الله على سبيل الطعن والاستهزاء وبينا ايضا ان لفظ الخوض فى اصل اللغة لهذا المعنى فسقط هذا الاستدلال (قوله تعالى واما ينسينك الشيطان) بتخفيف السين من انساه كقوله تعالى وما انسانيه الا الشيطان فأنساه الشيطان ذكر ربه وقرأ ابن عامر بتشديد السين فان نسى يتعدى بكل واحد من التضعيف والتخفيف والمفعول الثانى محذوف على القراءتين اى واما ينسينك الشيطان ما أمرت به من ترك مجالستهم واما اصله ان ما فأدغمت وان حرف شرط وما صلة والنون لتأكيد ذكرت الشرطية الاولى بكلمة اذا لان خوضهم فى الآيات محقق الوقوع بخلاف انساء الشيطان اياه عليه الصلاة والسلام فانه محض احتمال ذكر لبيان ان التكليف ساقط عن الناسى وكذا نسيان غيره عليه الصلاة والسلام فانه ايضا امر محتمل قد يقع وقد لا يقع والكلام فى خطاب ينسينك كالكلام فى خطاب واذا رأيت (قوله بعد ان تذكره) اشارة الى ان الذكرى مصدر بمعنى الذكر ولم يجئ مصدر على فعلى غير ذكرى (قوله شئ مما يحاسبون عليه) اشارة الى ان من فى من شئ زائدة وشئ فى محل الرفع على انه فاعل عليك لاعتماده على النفى ومن حسابهم حال من شئ لانه لو تأخر عنه لكان صفة له وصفة النكرة متى قدمت عليها انتصبت على الحالية

(ويذيق بعضكم بأس بعض) يقاتل بعضكم بعضا (انظر كيف نصرف الآيات) بالوعد والوعيد (لعلهم يفقهون وكذب به قومك) اى بالعذاب او بالقرآن (وهو الحق) الواقع لا محالة او الصدق (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الى امركم فأمنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ (لكل نبأ) خبر يريد به اما العذاب او الايعاد به (مستقر) وقت استقرار ووقوع (وسوف تعلمون) عند وقوعه فى الدنيا او فى الآخرة (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها (فأعرض عنهم) فلا تجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن (واما ينسينك الشيطان) بأن يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد ان تذكره (مع القوم الظالمين) اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام (وما على الذين يتقون) وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم (من حسابهم من شئ) شئ مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم واقوالهم

(والمعنى)

والمعنى ما استقرّ على الذين يتقون الشرك شيء كائنا مما يحاسب المشركون عليه ﴿قوله ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى﴾ يعني ان ذكرى منصوب على انه مفعول مطلق لفعل مضمر وهو مع فاعله المضمر في محل الرفع على انه مبتدأ حذف خبره فقوله ولكن عطف به هذه الجملة على الجملة السابقة وكذا ان جعل ذكرى مرفوعا على انه مبتدأ حذف خبره بتقدير ولكن عليهم ذكرى وذكرى بمعنى التذكير ﴿قوله ولا يجوز عطفه على محل من شيء﴾ على طريق قولك ما في الدار من احد ولكن زيد * فان قلت الجمع بين الواو ولكن جمع بين حرفي عطف وهو ممتنع * اجيب بأن لكن يخرج عن العطف ويتخلص للاستدراك عند مجيء الواو كما ان اللام مع سوف تخرج عن كونها للحال وتتخلص للتأكيد ووجه كون قوله من حسابهم آبيا عن عطف ذكرى على محل من شيء عطف المفرد على المفرد على معنى ما على المتقين من حسابهم شيء ولكن عليهم ذكرى ان العطف يقتضي التشريك فان كان في المعطوف عليه قيد فالظاهر تقييد المعطوف بذلك القيد الا ان توجد قرينة صارفة عن اعتبار ذلك القيد في المعطوف فحينئذ يعمل على حسب ما تقتضيه القرينة فاذا قلت ضربت زيدا يوم الجمعة وعمرا كان الظاهر اشتراك عمرو مع زيد في كونه مضروبا وفي وقوع الضرب عليه يوالجمعة واما اذا قلت وعمرا يوم السبت فحينئذ لا يشارك عمرو مع زيد الا في كونه مضروبا ولا يشاركه في قيده والآية الكريمة من قبيل المثال الاول فان شيأ فيها مقيد بكونه مما يحاسبون عليه بناء على ان قوله من حسابهم حال من شيء فلو عطف ذكرى عليه لكان ذكرى ايضا مقيدا بكونه مما يحاسبون عليه اذلم يوجد في الآية قرينة تمنع عن اعتبار ذلك القيد في المعطوف ولاشك ان ذكرى ليس من حسابهم فلا يجوز عطفه على ما هو من حسابهم ﴿قوله ولا على شيء﴾ اى ولا يجوز عطفه على لفظ شيء ايضا لذلك ولان من لا تزاد في الاثبات يعني ان لكن حرف ايجاب فلو عطف ما بعدها على المجرور بمن لفظا لزم زيادة من في الموجب وجمهور البصريين لا يجوّز ونها ﴿قوله ولا تنثلم﴾ اى لا تختل تقواهم من الثلمة وهي الخلل يقال ثلمت الشيء فانثلم وتثلم اى اختل ﴿قوله فنزلت﴾ اى نزلت رخصة للمؤمنين في القعود معهم على سبيل التذكير والمنع من الخوض ونحوه من قبائح الاقوال والافعال اى ما على الذين يتقون الشرك والخوض وسائر المعاصي من آثام الخائضين من شيء ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى لعلهم يتقون الخوض اذا وعظوهم فرخص في مجالستهم على سبيل الوعظ والتذكير واظهار الكراهة على سوء صنيعهم لعل ذلك يمنعهم عن المعاودة الى مثله ﴿قوله تعالى وذر الذين اتخذوا﴾ وهم المذكورون بقوله الذين يخوضون في آياتنا ومعنى ذرهم اعرض عنهم واترك معاشرتهم وملاطفتهم وليس المراد ان يترك انذارهم لانه تعالى قال بعده وذكر به فالمعنى لا تبال بتكذيبهم واستهزآئهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر بالقرآن ﴿قوله بنوا امر دينهم﴾ الذي حقه ان يؤخذ عن نبيّ من الانبياء ويبنى على تشريعه على التشهي واتباع الهوى وما يكون كذلك فهو لعب ولهو من حيث انه لا يعود عليهم ما ينفع عاجلا وآجلا لاخفاء في ان ليس للمشركين دين من الاديان المشروعة من قبل نبي من الانبياء وقد اضيف اليهم دين واخبر بأنهم اتخذوه لهوا ولعبا اى عطلة ومشغلة يشتغلون به عن الدين الحق يقال لهاه من كذا اى شغله عنه فلابدّ ان يبين وجه اضافة الدين اليهم مع انه لا دين لهم فذكر للاضافة وجوها الاوّل ان المراد بدينهم ما ينبغي ان يتدينوا به ويتقرّبوا بملابسته الى مولاهم الحق والمراد باتخاذه لعبا جعله شيأ كائنا من جنس ما يلعب به ويلهى بملابسته عن الحق كعبادة الاصنام ونحوها والثاني ان المراد بدينهم هو دين الاسلام ووجه كونه دينا لهم انه فرض عليهم وان كلفوا بالتدين به وانهم لما سخروا به واستهزأوا فقد اتخذوه لعبا ولهوا والفرق بين الوجهين مع ان ما ينبغي ان يتدينوا به في الواقع هو دين الاسلام ان المراد بدينهم على الوجه الثاني هو دين الاسلام بخصوصه وعلى الوجه الاوّل مطلق ما يصدق عليه مفهوم قولنا ما ينبغي ان يتدينوا به والثالث ان المراد بالدين العيد الذي يعاد اليه كل حين معهود سمي العد دينا مجازا لان العيد مبنيّ على العادات والدين العادة فانه تعالى قد جعل لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله تعالى والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرّعه الله حيث جعلوه يوم الصلاة والتكبير وفعل الخيرات وحضور الجماعات وصدقة الفطر ونحر الضحايا وهذه الوجوه كلها مبنية على ان يكون اتخذوا متعدّيا الى مفعولين اوّلهما دينهم وثانيهما لهوا ولعبا ويحتمل ان يكون متعدّيا الى واحد على ان يكون اتخذوا بمعنى اكتسبوا وعملوا فيكون قوله لعبا ولهوا على هذا مفعولا من اجله اى اكتسبوه لاجل اللهو واللعب وهو الحظوظ العاجلة الدنيوية فان ارباب العقل واليقين انما

(ولكن ذكرى) ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات (لعلهم يتقون) يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزأوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام ونطوف فنزلت (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) اى بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرّض لهم (وغرّتهم الحياة الدنيا) حتى انكروا البعث

يتمسكون بالدين لاجل انه قام البرهان القاطع على انه هو الحق و الصواب و انه لنيل مرضاة الله تعالى هو الباب
واما الذين فى عقولهم مخافة فانهم يتوسلون باعمال الدين الى اخذ المناصب و الرياسة و التعيش بين الانام وجمع
الاموال فانهم يتمسكون بالدين للدنيا و قد حكم الله تعالى على الدنيا فى سائر الآيات بانها لعب ولهو فمن توسل بدينه
الى دنياه فقد اتخذ دينه لاجل اللعب و اللهو فاذا تأملت فى حال اكثر الخلق وجدتهم موصوفين بهذه الصفة وداخلين
تحت هذه الحالة * واعلم انه تعالى امر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يترك من كان موصوفا بوصفين الوصف الاول
ان يتخذوا دينهم لعبا و لهوا و الوصف الثانى ان يغتروا بالحياة الدنيا و يتوهموا ان ما اعطوا فيها من الجاه والمال و سلامة
القوى و الاعضاء انما هو لكرامتهم على الله تعالى فاطمأنوا بذلك الى الحياة الدنيا و أعرضوا عن الاهتمام برعاية حقوق
الدين و أداهم ذلك الى ان انكروا البعث والحساب ﴿قوله مخافة ان تسلم الى الهلاك﴾ على ان يكون ان تبسل
فى محل النصب على انه مفعول له روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان تبسل نفس بما كسبت اى ترهن
فى جهنم بما كسبت فى الدنيا وقال مجاهد تسلم للهلكة بان تمنع من مرادها و تخذل و قال قتادة تحبس فى جهنم
ومعنى الآية ذكرهم بالقرآن كراهة احتباسهم فى نار جهنم بسبب جناياتهم ﴿قوله لان فريسته لاتفلت﴾ اى
لان ما افترسه من الصيد لايتخلص منه فلتة اى فجأة فلما كان اصل الابسال و البسل المنع صح استعمال الابسال
فى معنى الاسلام الى الهلاك لان الاسلام الى الهلاك يستلزم المنع فانه اذا اسلم احد الى الهلاك كان المسلم اليه وهو
الهلاك يمنع المسلم وهو الشخص من الخروج منه والخلاص عنه ﴿قوله تعالى ليس لها﴾ الظاهر ان هذه الجملة
مستأنفة سيقت للاخبار بذلك و يحتمل ان تكون فى محل الرفع على انها صفة لنفس او فى محل النصب على انها حال
من الضمير فى كسبت و من دون الله حال من ولى لانها لو تأخرت لكانت صفة له فتتعلق بمحذوف هو حال ﴿قوله
وههنا الفداء﴾ يعنى ان العدل ههنا ليس بمعنى ما يفتدى به بل المراد به ههنا المعنى المصدرى يقال فداه فداء اذا
اعطى بدله شيأ فافتداه اى خلصه به وكل واحد من الفدية و الفداء وان كان يستعمل فى موضع الآخر الا ان
ما ذكرناه من تخصيص كل واحد منهما بمعنى غير معنى الآخر يستفاد من المقام ﴿قوله وكل نصب على
المصدرية﴾ فانه يكون فى حكم ما اضيف اليه و نظيره خير مقدم وكثير نفع ﴿قوله الفعل مسندا الى منها﴾
فانه اذا لم يوجد المفعول به الصريح يجوز اسناد الفعل الى الجار و المجرور فان العدل المذكور لما كان مصدرا لم يصلح
لأن يكون مأخوذا لان الاخذ يتعلق بالاعيان لا المعانى واسناده الى العدل فى قوله تعالى و لا يؤخذ منها عدل
من حيث انه ليس المراد به المصدر بل الشئ المفدى به فصح اسناد الاخذ اليه قال الامام الاخذ قد يستعمل
بمعنى القبول كما فى قوله تعالى و يأخذ الصدقات اى يقبلها و اذا حمل الاخذ فى هذه الآية على القبول جاز اسناده
الى المصدر بلا محذور ثم قال المقصود من هذه الآية بيان ان وجوه الخلاص منسدة على تلك النفس اذ لا ولى
يتولى دفع ذلك المحذور و لا شفيع يشفع فيها و لا فدية تقبل ليحصل الخلاص بسبب ذلك حتى لو جعلت الدنيا بأمرها
فدية من عذاب الله تعالى لم تنفع و اذا كانت وجوه الخلاص فى الدنيا هى هذه الثلاثة و ثبت ان شيأ منها لا يفيد
فى الآخرة البتة ظهر انه ليس هناك الا الابسال و الارتهان و الاستسلام ومن ايقن بهذا كيف لا ترتعد فرائصه
اذا اقدم على المعصية ﴿قوله و نرجع الى الشرك﴾ جعل الرجوع الى الشرك ردا على العقب بناء على ان كل من
اعرض عن الحق الى الباطل فقد رجع الى خلف و رجع على عقبيه و رجع القهقرى لان الاصل فى الانسان هو
الجهل ثم يترقى و يتعلم الى ان يستكمل بالكمالات العلية و المعارف اليقينية قال الله تعالى و الله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيأ و جعل لكم السمع و الابصار و الافئدة فاذا رجع من العلم الى الجهل مرة اخرى فكأنه
رجع الى اول مرة فلهذا السبب يقال له انه رجع على عقبيه و ارتد الى خلفه ﴿قوله المهامه﴾ جمع مهمه
وهو المفازة البعيدة و هوى بكسر العين يهوى هوى اى أحب و هوى بالفتح يهوى هويا اى سقط الى اسفل فمعنى
استهوته جرته الى المساقط و المهالك و جعلته هاويا عادلا ضالا عن طريقه ذاهبا فى مهامه الارض الى خلاف
سمته و مقصده كما يقال استزلته و استغوته اى جرته الى الزلة و الغواية و قوله تعالى فى الارض متعلق
بقوله استهوته و حيران حال من هاء استهوته وهو صفة مشبهة مؤنثه حيرى و الفعل منه حار يحار حيرة
و الحيران المتردد فى الامر بحيث لا يهتدى الى المخرج منه و نظير هذه الآية قوله تعالى و من يشرك بالله فكأنما خر
من السماء و لاشك ان الانسان حال هويه من المكان العالى الى اسفل المنازل يكون فى غاية الدهشة و الحيرة

(وذكر به) اى بالقرآن (ان تبسل نفس
بما كسبت) مخافة ان تسلم الى الهلاك و ترهن
بسوء عملها واصل الابسال و البسل المنع
ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه
والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا
بسل عليك اى حرام (ليس لها من دون الله
ولى ولا شفيع) يدفع عنها العذاب (وان
تعدل كل عدل) وان تفد كل فداء والعدل
الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل
نصب على المصدرية (لا يؤخذ منها) الفعل
مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله
ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به (اولئك
الذين ابسلوا بما كسبوا) اى اسلموا الى
العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم
الزائغة (لهم شراب من حميم وعذاب أليم
بما كانوا يكفرون) تأكيد وتفصيل لذلك
والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم
ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم
(قل أندعو) أنعبد (من دون الله ما لا ينفعنا
ولا يضرنا) ما لا يقدر على نفعنا وضرنا
(ونرد على اعقابنا) ونرجع الى الشرك (بعد
اذ هدانا الله) فأنقذنا منه ورزقنا الاسلام
(كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهبت به
مردة الجن الى المهامه استفعال من هوى
يهوى هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه
بألف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال
من فاعل نرد اى مشبهين بالذى استهوته او على
المصدر اى ردا مثل رد الذى استهوته
(فى الارض حيران) متحيرا ضالا عن
الطريق (له اصحاب) لهذا المستهوى رفقة
(يدعونه الى الهدى) اى يهدونه الطريق
المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى
تسمية للمفعول بالمصدر (ائتنا) يقولون له
ائتنا

وقوله له اصحاب جملة فى محل النصب على انها حال ثانية من الهاء او صفة لحيران او حال من الضمير فى حيران و يدعونه صفة اصحاب والى الهدى متعلق بيدعونه والهدى اما حقيقة بان كان بمعنى الهداية او مجاز مرسل على طريق تسمية المهدىّ اليه بالهدى والجملة الامرية فى محل النصب بالقول المضمر اى يقولون ائتنا والقول المضمر فى محل الرفع على انه صفة لاصحاب مثل يدعونه شبهالله تعالى من اشرك وعبد غيرالله تعالى مع قيام البرهان الفاصل بين الحق والباطل بشخص موصوف بثلاثة اوصاف الاوّل استهوته مردة الجن والغيلان فى المهامه والمفاوز والثانى كونه حيران تائها ضالا عن الجادّة لايدرى كيف يصنع والثالث ان يكون له اصحاب يدعونه قائلين له ائتنا فقد اعتسفت المهمه وضللت عن الجادّة وهو لايجيبهم ولايترك متابعة الجنّ وهذه الاوصاف المعتبرة فى جانب المشبه به معتبرة فى جانب المشبه الذى استحسن طريق الشرك وصاحب الكشاف لماانكر الجنّ واستيلاءها على بعض الاناسىّ بقدرة الله تعالى جعل الاوصاف المعتبرة فى جانب المشبه به مبنية على ماتزعمه العرب وتعتقده من ان الجنّ تستهوى الانسان وتستولى عليه والحال انه ممايقول به العرب والعجم واكثراهل الملل ويدّعى مشاهدته كثير من الثقات وليس لمنكره دليل يعوّل عليه بل هوممن استهوته الشياطين فى مهامه الضلال الفلسفى حيران له اصحاب من اهل السنة يدعونه الى الهدى الشرعى قائلين له ائتنا وهو يستمرّ على تعسفه لايلوى عليهم ولايلتفت اليهم والشياطين والجنّ اجسام لطيفة تتشكل باشكال مختلفة وتقدر على ان تنفذ فى بواطن الحيوان نفوذ الهوآء فى خلال الاجسام المتخلخلة واختلف فى اختلافهما بالنوع مع الاتفاق على انهما من اصناف المكلفين فذهب بعضهم الى ان الجنّ اجسام لطيفة هوآئية يظهر منها افعال عجيبة منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصى والشياطين اجسام نارية شأنها القاء النفس فى المفاسد وانواع الضلالة وذهب آخرون الى ان الشياطين صنف من الجنّ وهى الشرّيرة منهم فتفسير الشياطين بمردة الجنّ اختيار لهذا المذهب واشارة الى ان اسم الشيطان مشتق من شطن بمعنى بعد ويسمى كل عات متمرّد شيطانا لبعده عن الحق وتمرّده وقيل انه مشتق من شاط بمعنى بطل ﴿ قوله او على موقعه ﴾ اى على موقع لنسلم وهو ان نسلم فان العرب تقول امرتك ان تسلم وامرتك بأن تسلم وامرتك لتسلم فعلى الاوّل الباء محذوفة وهى للالصاق وعلى الثالث مفعول الامر محذوف واللام للتعليل فلماجاز كل واحد من هذه العبارات كان قوله لنسلم واقعا فى موقع ان نسلم مغنيا غناءه فصار ان نسلم كانه هو المذكور فى موضع لنسلم فجاز ان يعطف عليه ﴿ قوله كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ﴾ خولف بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يجعلا على نسق واحد بأن يقال امرنا ان نسلم ونقيم او امرنا ان اسلموا واقيموا التنبيه على الفرق بين حالتى الكفر والايمان فان المأمور بالاسلام هو الكافر والمأمور باقامة الصلاة هو المؤمن والكافر حال كفره ليس بأهل لساحة الحضور والخطاب فلذلك لم يؤمروا بلفظ امر الحاضر بل قيل امرنا لنسلم لرب العالمين واذا اسلم صار اهلا لشرف الخطاب فخوطب وامر كما يخاطب الحاضرون وقيل ان اقيموا واتقوا ﴿ قوله وعلى هذا ﴾ اى على تقدير ان يكون قوله تعالى قل أندعو من دون الله واردا فى شأن ابى بكر الصدّيق مع ابنه رضى الله عنهما يجيب به ابنه كان القياس ان يقال قل لابى بكر اجب ابنك بأن تقول له أندعو من دون الله الآية الا انه امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يجيب بهذا القول من قبل الصدّيق تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الواقع بينه عليه الصلاة والسلام وبين الصدّيق رضى الله عنه * واعلم انه تعالى لمابين اوّلا ان الهدى هدى الله وحصل به الترغيب فى جميع الطاعات المأمور بها من افعال القلوب وافعال الجوارح والتنفير عن جميع المنكرات والمنهيات ذكر عقيب هذا الكلام الاجمالى ماهو اشرف اقسام الهدى من كل باب فبدأ بذكر ماهو رئيس الطاعات الروحانية وهو الاسلام ثم ذكر الصلاة التى هى رئيس الطاعات الجسمانية ثم ذكر التقوى التى هى رئيس ماهو من قبيل التروك والاحتراز عن كل مالاينبغى فقال وان اقيموا الصلاة واتقوه ثم قال وهو الذى اليه تحشرون للاشارة الى ان منافع هذه الاعمال انما تظهر يوم الحشر والجزآء ثم انه تعالى لمابين فى الآيات المتقدمة فساد طريق عبدة الاصنام ذكر بعدها مايدل على ان لامعبود الاالله فقال وهو الذى خلق السموات والارض بالحق اى قائما بالحق والحكمة وهو حال من فاعل خلق والباء للتعدية كما فى قولك قام بأمر كذا وقيل الباء بمعنى اللام اى اظهارا للحق لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته فهو نظير قوله تعالى ربناماخلقت هذاباطلا وقوله تعالى وماخلقنا السموات والارض ومابينهما لاعبين قال اهل السنة انه تعالى خالق لجميع المحدثات مالك لكل الكائنات وتصرف المالك فى ملكه

(قل ان هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) وحده وماعداه ضلال (وامرنا لنسلم لرب العالمين) من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زآئدة (وأن اقيموا الصلاة واتقوه) عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلاة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا الصلاة روى ان عبد الرحمن بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصدّيق تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما (وهو الذى اليه تحشرون) يوم القيامة (وهوالذى خلق السموات والارض بالحق) قائما بالحق

حسن و صواب على الاطلاق فكان حقا على الاطلاق لامحالة و قالت المعتزلة ان معنى كونه حقا واقع على وفق مصالح المكلفين مطابق لمنافعهم ﴿قوله كقولك القتال يوم الجمعة﴾ اى واقع فيه او مستقر فيه يعنى ان ظرف الزمان وان لم يقع خبرا عن الاعيان والذوات الا انه يقع خبرا عن الحدث والقول بمعنى الحدث فجاز ان يقع ظرف الزمان خبرا عنه فلفظ قوله مبتدأ والحق صفته و يوم يقول خبر مقدم عليه و انتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين كأنه قيل قوله الحق نافذ حين قال لشئ من الاشياء كن فيكون عقيبه كما قال المصنف فى معنى الجملة الثانية قوله الحق نافذ فى الكائنات فظاهره يشعر انه اختار ماذهب اليه الاشاعرة من حمل كلمة كن على ظاهرها بأن اجرى الله تعالى عادته فى تكوين الاشياء على ان يقول هذه الكلمة حال تكونها فتكون عقيبها بلافصل ولكنه اختار فى سورة يس ماذهب اليه اكثر المفسرين من ان قوله كن مجاز عن سرعة التكوين ﴿قوله او بمحذوف دل عليه بالحق﴾ فانه حال وتقديره قائما بالحق وفيه معنى يقوم بالحق وهو المعنى بالمحذوف كأنه قيل يقوم بالحق يوم يقول والحكيم هو المصيب فى افعاله والخبير هو العالم بحقائقهما من غير اشتباه ﴿قوله والمراد به حين يكوّن الاشياء﴾ والمعنى وحين يقول لشئ من الاشياء التى يكوّنها و يحدثها من غير ان يقيد ذلك التكوين بكونه فى يوم القيامة بأن يقال وحين يقال لما يخلقه الله تعالى يوم القيامة ومن قيده بذلك اخذ التقييد من قرينة الحال فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها فكأنه قيل يوم يقول للخلق موتوا فيموتون وانتشروا فينتشرون ولما توقف امر البعث والجزاء على اصلين احدهما كونه تعالى قادرا على جميع الممكنات والثانى كونه عالما بجميع المعلومات لانه على تقدير ان لايكون قادرا على كل الممكنات لم يقدر على البعث ورد الارواح الى الاجسام وعلى تقدير ان لايكون عالما بجميع الجزئيات لم يصح ان يجازى كل واحد من المطيع والعاصى على حسب عمله فلا يحصل المقصود الاصلى من البعث والقيامة قال وله الملك يوم ينفخ فى الصور للدلالة على كمال القدرة وقال عالم الغيب والشهادة للدلالة على كمال العلم فلزم من مجموعهما صحة البعث والحساب والجزاء ثم قال وهو الحكيم الخبير ليكون كالفذلكة للآية والحاصل لها لان الحكيم هو المصيب فى افعاله والخبير هو العالم بحقائق الكائنات من غير اشتباه فى ظواهرها وبواطنها والفذلكة فى اصطلاح اهل الحساب اجمال ماعدّ اولا على سبيل التفصيل مأخوذ من فذلك ﴿قوله وفى كتب التواريخ ان اسمه تارح﴾ قال الزجاج لاخلاف بين النسابين فى ان اسمه تارح صح بالهاء المهملة سماعا حتى ان بعض الملاحدة تمسك باجماعهم وجعله ذريعة الى الطعن فى القرآن قائلا ان نسبة ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى آزر خطأ فالمصنف اشار الى دفع الطعن بما نقله بقوله فقيل وقيل واجماع النسابين لاعبرة به فى مقابلة صريح القرآن لان ذلك الاجماع انما انعقد بأن قلد بعضهم بعضا وبالآخرة يرجع ذلك الاجماع الى قول الواحد او الاثنين مثل وهب وكعب ونحوهما وربما يتعلقون بما يحدّث به من اخبار اليهود والنصارى ولو سلم ان اسمه كان تارح فهو لايمنع ان يسمى بآزر ايضا لانه قد يسمى شخص واحد باسمين مختلفين كاسرائيل ويعقوب فيحتمل ان يكون اسمه الاصلى آزر وكان تارح لقباله فاشتهر هذا اللقب وخفى الاسم فالله تعالى ذكره باسمه الاصلى ويحتمل ان يكون بالعكس ويجوز ان لايكون آزر اسماله بل يكون لفظا دالا على صفة الذم كالمخطئ والضال والمعوج كأنه قيل واذ قال ابراهيم لابيه المخطئ الضال تعييباله بكفره وانحرافه عن الحق وقيل انه بمعنى الشيخ الهرم بلغة اهل خوارزم * قال الامام زعمت الشيعة ان احدا من آباء الرسول صلى الله عليه وسلم واجداده ما كان كافرا وانكروا كون والد ابراهيم كافرا وقالوا ان آزر كان عم ابراهيم والعم قد يسمى بالاب الا ترى ان يعقوب لما قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا فسموا اسمعيل بكونه ابا ليعقوب مع انه كان عماله وقال عليه الصلاة والسلام ردّوا علىّ ابى العباس وهو عمه عليه الصلاة والسلام واحتجوا على قولهم ان آباء الانبياء ما كانوا كفارا بوجوه منها قوله تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين قيل معناه انه كان ينقل روحه من ساجد الى ساجد فعلى هذا تكون الآية دالة على ان جميع آباء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كانوا مسلمين فيجب القطع ان والد ابراهيم كان مسلما وقوله عليه الصلاة والسلام * لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات * وقد قال انما المشركون نجس وذلك يوجب ان يقال ان احدا من اجداده ما كان من المشركين فلزم منه ان لايكون والد ابراهيم مشركا وقد ثبت ان آزر كان مشركا فوجب القطع بأن والد ابراهيم كان شخصا آخر غير آزر * فان قيل ان قوله تعالى وتقلبك

(ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر اوفاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكوّن الاشياء ويحدثها اوحين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (عالم الغيب والشهادة) اى هو عالم الغيب (وهو الحكيم الخبير) كالفذلكة للآية (واذ قال ابراهيم لابيه آزر) هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارح فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب

وقيل العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موازنه اونعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره مابعده اى أتعبد آزر ثم قال (أتتخذ اصناما آلهة) تفسير او تقرير ويدل عليه ان قرئ ءازر اتتخذ اصناما بفتح همزة أزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم (انى اراك وقومك فى ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر الضلالة (وكذلك نرى ابراهيم) ومثل هذا التبصير نبصره

فى الساجدين يحتمل وجوها اخر احدها انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف الرسول صلى الله عليه وسلم تلك الليلة على بيوت اصحابه لينظر ماذا يصنعون لشدة حرصه على طاعة اصحابه فوجدها كبيوت الزنابير لكثرة ماسمع من اصوات قرآتهم وتسبيحهم وتهليلهم فالمراد من قوله وتقلبك فى الساجدين طوافه عليهم تلك الليلة وهم ساجدون وثانيها انه عليه الصلاة والسلام كان يصلى بالجماعة وتقلبه فى الساجدين معناه كونه فيما بينهم ومختلطا بهم حال القيام والركوع والسجود وثالثها ان يكون المراد انه لايخفى على الله حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين للاشتغال بامور الدين ورابعها ان المراد تقلب بصره فيمن يصلى خلفه والدليل عليه قوله عليه الصلاة والسلام أتموا الركوع والسجود فانى اراكم من وراء ظهرى * فهذه الوجوه الاربعة مما يحتملها ظاهر الآية فسقط ماذكرتم والجواب ان لفظ الآية محتمل للكل وليس حمل الآية على البعض اولى من حملها على الباقى فوجب حملها على الكل وحينئذ يحصل المقصود وذكروا وجوها اخر تدل على ان آزر ليس ابا لابراهيم حقيقة ثم قال واما اصحابنا فقد زعموا ان والد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كافرا وذكروا ان نص الكتاب فى هذه الآية يدل على ان آزر كان كافرا وكان والد ابراهيم وايضا يدل عليه قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه واما قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين فانه ليس بحجة على كون آبائه مسلمين ساجدين لاحتماله وجوها اخر غير ذلك وقوله يحمل على الكل قلنا هو محال لان حمل اللفظ المشترك على جميع معانيه لايجوز وايضا حمل اللفظ على حقيقته ومجازه معا لايجوز واما قوله عليه الصلاة والسلام * لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات * فذلك محمول على انه ما وقع فى نسبه من ولد من الزنى كما ورد فى حديث آخر * ولدت من نكاح لامن سفاح * ﴿قوله ولعل منع صرفه﴾ يعنى ان آزر ممنوع من الصرف الا انه على تقدير كونه صفة بمعنى المخطئ والمعوج او الهرم يشكل منع صرفه ويمكن ان يقال فى دفع الاشكال انه على وزن افعل فيمنع للوزن والصفة كأحمر لان العجمة انما تؤثر فى منع الصرف بشرط العلمية وقد انتفت حينئذ فاحتيج الى اعتبار حمله على موازنه كما فى سراويل اذا لم يصرف وهو الاكثر فان هذا الوزن انما يمنع اذا كان جمعا او منقولا عن الجمع وسراويل ليس كذلك ومع ذلك منع الصرف لانه اعجمى حمل على موازنه ومن جعله مشتقا من الازر او الوزر قال هو عربى ولم يصرفه للتعريف ووزن الفعل ﴿قوله والاقرب انه علم اعجمى﴾ لانه هو الظاهر واعتبار معنى الوصفية لادليل عليه يعتد به ولم يجزم به لاحتمال كونه على وزن افعل كآدم لكن وزن فاعل كثير فى السريانية وعلى تقدير كونه على وزن فاعل يكون ممنوعا للعلمية والعجمة وقال ابو البقاء وزنه افعل كآدم ولم ينصرف للعجمة والتعريف على قول من لم يشتقه من الازر او الوزر ومن اشتقه من واحد منهما قال هو عربى ولم يصرف للتعريف ووزن الفعل ﴿قوله وقيل اسم صنم﴾ اى قيل اسم ابيه تارح وآزر اسم صنم يعبده والد ابراهيم لكنه تعالى سماه آزر للزوم عبادته فان من بالغ فى محبة احد يجعل اسم محبوبه اسما له او اطلق عليه آزر بحذف المضاف اى قال لابيه عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ﴿قوله وقيل المراد به الصنم﴾ معطوف على قوله هو عطف بيان لابيه ويدل عليه ان قرئ ءأزرا تتخذ اصناما آلهة بفتح همزة أزر وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاى ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد أزرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل فى حكم الانكار كأنه كالبيان له * قال الامام هذه التكلفات انما يجب المصير اليها اذا دل دليل قاهر على ان والد ابراهيم ما كان اسمه آزر وهذا الدليل لم يوجد البتة فأى حاجة تحملنا على هذه التأويلات ومما يدل على صحة ماقلنا ان اليهود والنصارى والمشركين كانوا فى غاية الحرص على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم واظهار نقصه فلو كان هذا النسب كذبا لما امتنع سكوتهم عن تكذيبه فى العادة وحيث لم يكذبوا علمنا صحة هذا النسب واعلم ان ابراهيم خليل الرحمن لما سلم قلبه للعرفان ولسانه لاقامة البرهان على فساد طريق اهل الشرك والطغيان وسلم بدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم انه عليه الصلاة والسلام سأل ربه وقال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين وجب فى كرم الله تعالى ان يجيب دعاءه ويحقق مطلوبه فأجاب دعاءه وجعل جميع الطوائف واهل الاديان والملل معترفين بفضله حتى ان المشركين ايضا يعظمونه ويفتخرون بكونهم من اولاده ولما كان العرب معترفين بفضله لاجرم جعل الله تعالى مناظرته مع قومه حجة على مشركى العرب ﴿قوله ومثل هذا التبصير نبصره﴾ يريد ان ذلك اشارة الى الاراءة التى تضمنها قوله نرى لا الى اراءة اخرى

شبه بها هذه الارآءة كما يقال ضربته كذلك اى مثل هذا الضرب المخصوص ويمكن ان يكون اشارة الى ماتقدم من قوله انى اراك وقومك فى ضلال مبين اى مثل مارايناه من قبح عبادة الاصنام وتضليل ابيه وقومه نريه ملكوت السموات والارض فيكون قوله فلما جن عليه الليل الخ تفصيلا او بيانا لتلك الارآءة فان جعلنا كذلك اشارة الى ماتقدم لايكون قوله وكذلك نرى الخ جملة معترضة لان الجملة المعترضة لابد ان تكون مستقلة غير متعلقة بما قبلها ولا مابعدها الا على جهة التأكيد بل يكون جملة معطوفة على قوله قال ابراهيم لابيه آزر ويكون قوله فلما جن تفصيلا بطريق تمثيل الارآءة واورد التبصير بدل الارآءة تصحيحا لتذكير اسم الاشارة وتنبيها على ان الارآءة ليست من رؤية البصر الا ان التبصير لابد ان يكون بمعنى التعريف لان الملكوت بمعنى دلائل الربوبية والالوهية ليس مما يبصر حسا فكان فيما ذكره بقوله نبصره دلائل ربوبيتنا فيهما استعارة لنظر البصر * فان قيل رؤية البصر حاصلة لجميع الموحدين * فالجواب انهم وان كانوا يعرفون اصل دلائل الربوبية الا ان الاطلاع على آثار حكمة الله تعالى فى كل واحد من مخلوقات هذا العالم بحسب اجناسها وانواعها واشخاصها واحوالها مما لايحصل الا لاكابر الانبياء ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يقول فى دعائه * ارنا الاشياء كما هى * ﴿ قوله وهو حكاية حال ماضية ﴾ جواب عما يقال هذه الارآءة حصلت فيما تقدم من الزمان فالانسب ان يقال وكذلك اريناه اجاب بانه على سبيل الحكاية عن الماضى تحقيقا لحصوله وتصويرا لعظم شأنه ﴿ قوله وقرئ ترى بالتاء ﴾ اى الفوقانية فان قرآءة الجمهور نرى بنون العظمة ومن قرأه بتاء التأنيث نصب ابراهيم على المفعولية ورفع ملكوت لاسناد الفعل اليه اى تريه دلائل الربوبية ربوبيته تعالى للسموات والارض ومافيهما والملكوت مصدر على فعلوت من الملك بمعنى القدرة والسلطنة زيدت الواو والتاء للمبالغة كالرغبوت والرهبوت والرحموت والجبروت قال الراغب الملكوت مختص بملك الله تعالى فقولهم فلان له ملكوت اليمن وملكوت العراق مجاز للاستدلال على استقلاله فى السلطنة الظاهرة ﴿ قوله اى ليستدل ﴾ على ان يكون قوله وليكون معطوفا على علة مقدرة والثانى وهو قوله اوفعلنا ذلك على ان يكون علة لمحذوف اى اريناه ذلك ليكون من الموقنين برؤية ملكوتهما واليقين عبارة عن علم يحصل بعد زوال الشبهة وهو مستفاد من النظر والتأمل ﴿ قوله تفصيل وبيان لذلك ﴾ اى التبصير والارآءة المدلول عليه بقوله تعالى وكذلك نرى فان تبصير الملكوت مجمل لاتعرض فيه لكيفية ففصل ذلك المجمل بقوله فلما جن الآية فيكون قوله وكذلك نرى جملة معطوفة على قوله قال ابراهيم لابيه آزر لامعترضة لان الجملة المعطوفة لاتكون معترضة بخلاف ماذا جعل فلما جن معطوفا على قوله اذقال ابراهيم فان قوله وكذلك نرى حينئذ يكون معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه حكى الله تعالى عنه اولا انه انكر على ابيه وقومه فى عبادتهم الاصنام ثم ذكر استدلاله على وحدانية الله تعالى وتفرده باستحقاق العبادة واورد بينهما قوله وكذلك على سبيل الاعتراض وفى الاعتراض بهذه الجملة تنويه لماسيأتى من استدلال ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبيان انه تبصيرله من الله تعالى وتسديد ﴿ قوله كانوا يعبدون الاصنام والكواكب ﴾ عطف الكواكب على الاصنام للاشارة الى ان من يعبد هذه الاحجار المنحوتة فى هذه الساعة لايعبدها على اعتقاد ان لها تأثيرا وتدبيرا فى انتظام احوال هذا العالم السفلى فان بطلان ذلك معلوم ببديهة العقل وما علم بطلانه ببديهة لايذهب الى صحته الجم الغفير والقوم الكثير فلابد ان يكون لهم فى عبادتها منشأ غلط وذكر العلماء فى بيانه وجوها كثيرة الاول ان الناس رأوا تغيرات احوال هذا العالم الاسفل مربوطة بتغيرات احوال الكواكب فان قرب الشمس وبعدها من سمت الرأس يحدث الفصول الاربعة وبسبب تلك الفصول تحدث الاحوال المختلفة فى هذا العالم والذين رصدوا احوال سائر الكواكب زعموا ان ماوقع من السعادات والنحوسات فى هذا العالم منوط بالاتصالات الفلكية والمناسبات الكوكبية فلما اعتقدوا بالغوا فى تعظيمها وعبدوها ثم ان عبدة الكواكب فريقان منهم من يقول انه سبحانه وتعالى خلق هذه الكواكب وفوض تدبير هذا العالم السفلى اليها فهذه الكواكب هى المدبرات لهذا العالم قالوا فيجب علينا ان نعبدها ثم ان هذه الكواكب تعبد الله وتطيعه فهؤلاء اثبتوا الوسائط بين الاله الاكبر وبين احوال هذا العالم ومنهم قوم غلاة ينكرون الصانع ويقولون هذه الافلاك والكواكب اجسام واجبة الوجود لذواتها ويمتنع عليها العدم والفناء وهى المدبرات لهذا العالم الاسفل وهؤلاء هم الدهرية الخالصة وكل واحد من الفريقين اشتغلوا بعبادتها وتعظيمها ثم انهم لما رأوا هذه الكواكب قد تغيب

وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ﴿ ملكوت السموات والارض ﴾ ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدآئعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة ﴿ وليكون من الموقنين ﴾ اى ليستدل وليكون اوفعلنا ذلك ليكون ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ﴾ تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب

من الابصار فى اكثر الاوقات اتخذوا لكل كوكب صنما من الجوهر المنسوب اليه فاتخذوا صنم الشمس من الذهب وزينوه بالاحجار المنسوبة الى الشمس وهى الياقوت والماس واتخذوا صنم القمر من الفضة وعلى هذا القياس ثم اقبلوا على عبادة تلك الاصنام قاصدين بعبادتها عبادة تلك الكواكب والتقرب اليها والوجه الثانى فى منشأ غلط عبدة الاصنام ماذكر من ان اهل الهند والصين كانوا يثبتون الاله والملائكة الا انهم كانوا يعتقدون انه تعالى جسم وصورة كاحسن مايكون من الصور والملائكة ايضا صور حسنة الا انهم كلهم محتجبون عنا بالسموات فلا جرم اتخذوا تماثيل انيقة المنظر حسنة الرواء والهيكل فيتخذون صورة فى غاية الحسن ويقولون انها هيكل الاله وصورا اخرى معجبة دون الصورة الاولى ويجعلونها على صور الملائكة ثم يواظبون على عبادتها قاصدين بتلك العبادة الزلفى من الله تعالى ومن الملائكة والوجه الثالث ان القوم يعتقدون ان الله تعالى فوّض تدبير كل واحد من هذه الاقانيم الى ملك بعينه وفوّض تدبير كل قسم من اقسام العالم الى روح سماوى بعينه فيقولون مدبر البحار ملك ومدبر الجبال ملك آخر ومدبر الغيوم والامطار ملك ومدبر الارزاق ملك ومدبر الحروب والمقاتلات ملك آخر فلما اعتقدوا ذلك اتخذوا لكل واحد من اولئك الملائكة صنما مخصوصا وهيكلا معينا ويطلبون من كل صنم مايليق بذلك الروح الفلكى من الآثار والتدبيرات وذكروا وجوهاً أخر فى منشأ غلطهم كلها باطل والحق انه اله واحد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وليس له شريك فى تدبير ملكه تعالى عن ذلك علوّا كبيرا ولما كان حاصل دين عبدة الاصنام القول بآلهية الكواكب حكى الله تعالى عن الخليل عليه الصلاة والسلام استجهال ابيه آزر وقومه فى اتخاذهم الاصنام آلهة ثم اقامته الدليل على ان شيأ من الكواكب لايصلح للآلهية والمعبودية ﴿ قوله فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ﴾ اختلف المفسرون فى ان المقصود مما حكاه الله تعالى عن ابراهيم من الاستدلال على وحدانية الله تعالى وابطال الوهية ماسواه هل هو نظره واستدلاله فى نفسه وتحصيل المعرفة لنفسه اومقصوده ازام القوم وارشادهم الى طريق النظر والاستدلال وتنبيههم على ضلالهم فى امر دينهم واختار المصنف الثانى لان قوله لئن لم يهدنى ربى لأكوننّ من القوم الضالين يدل على انه كان عارفا بأن له ربا يستحق العبادة ومنه الهداية وان قومه على الضلال ويشعر بأن محاجته كانت مع منكر مبالغ فى الانكار حيث احتيج الى القسم فان اللام فى قوله لئن موطئة للقسم وفى لأكوننّ جواب قسم ومما يدل على انه عليه الصلاة والسلام كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة بالدليل انه تعالى اخبر عنه انه قال لابيه قبل هذه الواقعة أتتخذ اصناما آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين ويدل عليه ايضا انه قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين اى وليكون بسبب تلك الادلة من الموقنين ثم قال بعده فلما جنّ عليه الليل والفاء تقتضى التعقيب فدلت الفاء فى قوله فلما جنّ عليه الليل على ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان صار ابراهيم من الموقنين العارفين بربه ويدل عليه ايضا انه تعالى لماذكر هذه القصة قال وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ولم يقل على نفسه فعلم ان هذه المباحثة انما جرت مع قومه لاجل ان يرشدهم الى الايمان والتوحيد لالاجل أن ابراهيم يستدل به لتحصيل سبيل المعرفة واليقين لنفسه ﴿ قوله وقوله هذا ربى على سبيل الوضع ﴾ اى على سبيل التسليم صورة لا على سبيل الاخبار عن معتقده لئلا يلزم صدور الكفر عن النبىّ قبل البعثة فان القول بربوبية النجم كفر بالاجماع ولا يجوز الكفر على الانبياء بالاجماع فان قومه لماذهبوا الى ان الكواكب ربهم والهم ذكر ابراهيم مقالتهم بعباراتهم ليذكر عقيبه مايدل على فساده وهو قوله لا احب الآفلين ﴿ قوله او على وجه النظر والاستدلال ﴾ عطف على سبيل الوضع قال اهل التفسير ولد ابراهيم فى زمن نمرود بن كنعان وكان نمرود اوّل من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد فى بلدك فى هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك فى كتب الانبياء وقيل رأى نمرود فى منامه كان كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهنة فسألهم فقالوا هو مولود يولد فى ناحيتك فى هذه السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك واهل بيتك على يديه فأمر بذبح كل غلام يولد فى ناحيته تلك السنة وحبس كل امرأة حبلى وجدت فى ناحيته عنده الا ام ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية حديثة لم يعرف الحبل ببطنها فلما دنت ولادة ابراهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته فى حلفاء ثم رجعت فأخبرت

فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجنّ عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على مايقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته واوّل اوان بلوغه

زوجها بأنها ولدت فى موضع كذا فانطلق ابوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سربا عند نهر فواراه فيه وسدّ عليه
بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امّه تختلف اليه فترضعه فقالت ذات يوم لأنظرنّ اليه مايفعل فوجدته يمص من
اصبع ماءو من اصبع لبنا و من اصبع عسلا و من اصبع تمرا و من اصبع سمنا وكان اليوم على ابراهيم فى الشباب كالشهر
والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم فى السرب الاخمسة عشر شهرا حتى قال لامّه اخرجينى فأخرجته عشاء فنظر
وتفكر فى خلق السموات والارض وقال ان الذى خلقنى ورزقنى واطعمنى وسقانى لربى الذى مالى اله سواه ثم نظر
فى السماء فرأى كوكبا قال هذا ربى ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما افل قال لا احب الآفلين لان الآفل يزول
اثره وسلطانه فلا يصلح الهاولان الآفل لكونه متحرّكا يكون محلا للحوادث فلا يكون الها ومايكون حادثا يحتاج
فى وجوده الى فاعل مختار يوجده فيكون ممكنا وسلسلة الممكنات لابدّ ان تنتهى الى الواجب وهو الاله المستحق
للعبادة ثم رأى القمر بازغا فقال هذا ربى واتبعه بصره حتى غاب ثم طلعت الشمس هكذا الخ وقيل انه كان فى السرب
سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو فى السرب قال لامّه من ربى
قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابى قالت له اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت ارأيت الغلام
الذى كنا نحدّث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال فأتاه ابوه آزر فقال له ابراهيم ياابتاه من ربى
فقال امّك قال فمن رب امى قال اناقال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جنّ عليه
الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فأبصر كوكبا قال هذا ربى الى آخر القصة واختلفوا فى قوله فأجراه
بعضهم على الظاهر وقالوا كان ابراهيم مسترشدا طالبا للتوحيد واليقين بالنظر والاستدلال على نفسه فلم
يضرّه ذلك فى حال الاستدلال وايضا كان ذلك فى طفوليته قبل قيام الحجة عليه فلم يكن كفرا ذكر صاحب التيسير
نقلا عن جماعة من اهل الكلام ان هذا كان منه فى وقت لم يكن جرى عليه القلم فلم يكن كفرا وهو ماقاله المصنف
وانما قاله زمان مراهقته واوّل اوان بلوغه فلا يكون هذا الكلام من ابراهيم ارشادا لقومه وتنبيها على ضلالتهم
ويؤيده قوله تعالى وليكون من الموقنين على تقدير ان يكون قوله تعالى فلما جنّ عليه الليل الآية تفصيلا لما
قبله من الاراءة والتبصير **قوله** فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث بيان لوجه
الاستدلال بالافول على عدم الالوهية وذلك لان الافول يقتضى شيئين الحركة والاحتجاب بالاستتار وكل واحد
منهما يقتضى ماينافى الالوهية وهو الامكان والحدوث فان كل متحرّك جسم محل للحوادث والجسم محتاج الى
حيزه فيكون ممكنا وايضا مايكون محدثا يكون مفتقرا الى الموجد فيكون ممكنا ومالا يخلو عن الحوادث يكون محدثا
ومايكون كذلك لايكون الها لان الاله هو الموجود الذى ينقطع عنه سلسلة الاحتياج كما قال وان الى ربك
المنتهى وكذا الاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث اذ لاشك ان ما احتاج فى انبساط نوره وبقاء
سلطانه الى ارتفاع الحجاب يكون ممكنا محتاجا الى الغير وكل ممكن محدث بالضرورة وبالجملة افول الكواكب
يدل على حدوثها وحدوثها يدل على افتقارها فى وجودها الى القادر المختار فذلك القادر هو الاله المستحق للعبادة
دون الوسائط **قوله** ذكر اسم الاشارة ولم يقل هذه ربى مع كونه اشارة الى الشمس وهى مؤنث سماعى بناء على
ان المؤنث اذا اخبر عنه بمذكر يعامل معاملة المذكر لكونهما عبارة عن شئ واحد ولصيانة مايخبر عنه بأنه رب عن
صورة التأنيث الاترى انهم قالوا فى صفة الله تعالى علام ولم يقل علامة وان كان ابلغ احترازا عن علامة التأنيث
قوله وانما احتج بالافول دون البزوغ الذى هو الابتداء فى الطلوع جواب عما يقال الافول انما يدل على
الحدوث من حيث انه حركة وعلى هذا التقدير يكون الطلوع ايضا دليلا على الحدوث فلم ترك ابراهيم عليه الصلاة
والسلام الاستدلال على حدوثها بالطلوع وعدل عن اثبات هذا المطلوب الى الافول واجاب بأن الاحتجاج
بالافول اظهر لانه يدل على الحدوث من وجهين من حيث انه حركة ومن حيث انه احتجاب وغيبة ومن كان الها
يجب ان ينعكس منه نور الوجود الى جميع الموجودات ابتداء وبقاء فلا يجوز ان يغيب عنها طرفة عين فلا يجوز
الافول فى حقه ولانه انما اورد هذا الدليل على قومه حين كان يدعوهم من عبادة النجوم الى التوحيد فلا يبعد ان
يقال انه عليه الصلاة والسلام كان جالسا مع قومه ليلة من الليالى وزجرهم عن عبادة الكواكب فبينما هو فى تقرير
ذلك الكلام اذ وقع بصره على كوكب مضئ فلما افل قال عليه الصلاة والسلام لو كان هذا الكوكب الها لما انتقل
من الصعود الى الافول ومن القوة الى الضعف ثم طلع القمر وهو فى اثناء تقرير الدليل فأفل فأعاد عليهم ذلك الكلام

(فلما أفل) اى غاب (قال لا احب الآفلين) فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية (فلما رأى القمر بازغا) مبتدئا فى الطلوع (قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لأكوننّ من القوم الضالين) استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لايهتدى اليه الابتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لايصلح للالوهية وانّ من اتخذه الها فهو ضال (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى) ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث (هذا اكبر) كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم (فلما افلت قال ياقوم انى برئ مما تشركون) من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ منها توجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين) وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال

وكذا القول فى الشمس و بالجملة لما كان اوّل ماتحقق فى مجلس المناظرة هو الافول دون البزوغ استدل بالافول وان كان البزوغ ايضا صالحا للاستدلال به ﴿قوله وخاصموه فى التوحيد﴾ يعنى انه عليه الصلاة و السلام لما اورد عليهم الحجة المذكورة اوردوا عليه حججا على صحة اقوالهم مثل ان تمسكوا بالتقليد بأن قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ومثل قولهم أجعل الآلهة آلها واحدا ان هذا لشئ عجاب ومثل انهم خوّفوه بانك لما طعنت فى آلهة هذه الاصنام وقعت من جهة هذه الاصنام فى الآفات و البليات و نظيره ماحكاه الله تعالى فى قصة قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فذكروا هذا الجنس من الكلام مع ابراهيم عليه الصلاة و السلام فأجاب عن حججهم بقوله أتحاجونى فى الله وقرأ الجمهور اتحاجونى بنون ثقيلة اصله اتحاجوننى بنونين اولاهما نون الرفع فى الامثلة الخمسة و الثانية نون الوقاية فاستثقل اجتماعهما فأدغمت الاولى فى الثانية فقول المصنف بتخفيف النون اشارة الى معنيين حذف احدى النونين تخفيفا و عدم تشديد النون الملفوظة وقرأ نافع بنون خفيفة مكسورة بحذف احدى النونين وكلاهما لغة عند اجتماعهما واختلف النحاة فى أيتهما المحذوفة فذهب سيبويه ومن تبعه الى ان المحذوفة هى الاولى وذهب الاخفش ومن تبعه الى ان المحذوفة هى الثانية وقوله وقدهدانى حال من الياء فى أتحاجونى اى أتجادلوننى فيه حال كونى مهديا من عنده اومن اسم الله اى حال كونه هاديالى وقوله تعالى ولا اخاف ماتشركون به الظاهر انه جملة مستأنفة اخبر عليه الصلاة و السلام بانه لايخاف مايشركون به ثقة برحمته التى وسعت كل شئ وقوله لا اخاف معبوداتكم فى وقت اشارة الى ان الاستثناء فى قوله الا ان يشاء ربى متصل و المستثنى منه وقت محذوف و التقدير لا اخاف معبوداتكم قط الا وقت مشيئة ربى شيأ يخاف منه فان المصدر قد يقوم مقام الوقت نحو آتيك خفوق النجم و صياح الديك اى وقت خفوقه و صياحه ﴿قوله ان يصيبنى بمكروه﴾ اشارة الى ان شيأ مفعول به ليشاء ففسر شيأ به ليعلم انه مفعول به و ليس بمصدر على معنى الا ان يشاء ربى شيأ من المشيئة وانما ذكر عليه الصلاة و السلام هذا الاستثناء لانه لايبعد ان يحدث للانسان فى مستقبل عمره شئ من المكاره فيقول الحمق من الناس ان ذلك المكروه انما حدث به بسبب انه طعن فى آلهية الاصنام فذكر ابراهيم هذا الاستثناء ليشير الى انه ان حدث به شئ من المكاره فانما حدث بمحض مشيئة الله تعالى اياه و لامدخل فيه لطعنه فى الاصنام ﴿قوله تعالى ولاتخافون انكم اشركتم بالله﴾ يحتمل ان يكون معطوفا على اخاف فتكون هذه الجملة داخلة فى حيز التعجب و الانكار وان تكون جملة حالية اى وكيف اخاف الذى تشركون حال كونكم غير خائفين عاقبة اشراككم ولابدّ حينئذ من اضمار مبتدأ قبل المضارع المنفى بلا لان المضارع المنفى بلا حكمه حكم المثبت من حيث انه لاتباشره الواو وانظر الى حسن هذا النظم البليغ حيث جعل متعلق الخوف الواقع منه الاصنام ومتعلق الخوف الواقع منهم اشراكهم بالله غيره احترازا من ان يعادل البارى تعالى باصنامهم بأن يقول وكيف اخاف معبوداتكم وانتم لاتخافون الله تعالى ﴿قوله ماىحق ان يخاف منه﴾ اشارة الى ان متعلق العلم محذوف و يجوز ان لا يراد تعلقه بالمفعول على معنى ان كنتم من ذوى العلم وجواب ان كنتم محذوف اى فاخبرونى ﴿قوله ولم يلبسوا﴾ بفتح الياء وكسر الباء اما معطوف على الصلة و لامحل له حينئذ اوجملة حالية على معنى الذين آمنوا غير لابسين ايمانهم بظلم ﴿قوله وقيل المعصية﴾ ذهب المعتزلة الى ان المراد بالظلم ههنا المعصية لا الشرك بناء على ان خلط احد الشيئين بالآخر يقتضى اجتماعهما و لا تصوّر خلط الايمان بالشرك لانهما ضدّان لا يجتمعان وهذه الشبهة ان اوردت عليهم بان يقال كما ان الايمان لايجامع الكفر فكذلك المعصية لاتجامع الايمان عندكم لكونه اسما لفعل الطاعات و اجتناب المعاصى فلا يكون مرتكب الكبيرة مؤمنا عندكم فلهم ان يجيبوا عنها بان الايمان كثيرا مايطلق على نفس التصديق بل ربما لايفهم من ذكره بلفظ الفعل الا هذا حتى انه يعطف عليه عمل الطاعات فى مواضع كثيرة من القرآن وذهب اهل السنة الى ان المراد من الظلم ههنا الشرك تمسكا بما روى فى الحديث المذكور فى البخارى و مسلم وتلقاه الثقات بالقبول وقالوا ان اريد بالايمان مطلق التصديق سواء كان باللسان اوغيره فظاهر انه يجامع الشرك كما فى المنافق وكذا ان اريد به تصديق القلب لجواز ان يصدّق المرء بوجود الصانع دون وحدانيته كما قال تعالى ومايؤمن اكثرهم بالله الاوهم مشركون وتمسكت المعتزلة بهذه الآية فى عدم انقطاع وعيد الفاسق بانه اعتبر فى الامن الايمان وعدم الظلم معا والمجموع غير حاصل للفاسق فلا يحصل له الأمن اصلا فلا ينقطع وعيده ونحن نقول اختصاص الأمن

(وحاجه قومه) وخاصموه فى التوحيد (قال أتحاجونى فى الله) فى وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون (وقدهدانى) الى توحيده (ولا اخاف ماتشركون به) اى لا اخاف معبوداتكم فى وقت لانها لاتضر بنفسها ولاتنفع (الا ان يشاء ربى شيأ) ان يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديدلهم بعذاب الله (وسع ربى كل شئ علما) كأنه علة الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها (افلاتتذكرون) فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز (وكيف اخاف مااشركتم) ولايتعلق به ضرّ (ولاتخافون انكم اشركتم بالله) وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز والقادر والضارّ والنافع (مالم ينزل به عليكم سلطانا) مالم ينزل باشراكه كتابا اولم ينصب عليه دليلا (فأىّ الفريقين احق بالأمن) اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه (ان كنتم تعلمون) مايحق ان يخاف منه (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون) استئناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم هنا الشرك لما روى ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ماتظنون انما هو ماقال لقمان لابنه يابنىّ لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان تصدّق بوجود الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية (وتلك) اشارة الى مااحتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جنّ عليه الليل الى قوله وهم مهتدون

بالمؤمن الذى لم يظلم نفسه لا يوجب كون العصاة معذبين البتة لاحتمال ان يكون عدم امنهم لكونهم خائفين من العذاب متوقعين اياه نظرا الى آيات الوعيد وان وردت النصوص الدالة على كونهم فى مشيئة الله تعالى وانه تعالى يغفر مادون الشرك لمن يشاء ﴿قوله او من قوله اتحاجونى اليه﴾ فان قومه لما خوفوه بأن آلهتهم تخبله لاجل طعنه فيها وابطال امرها احتج عليهم فيها بقوله ولا تخافون اى افلا تخافون انتم حيث اقدمتم على الشرك بالله وسويتم فى العبادة بين خالق العالم ومدبره وبين الخشب المنحوت فقيل تلك اشارة الى هذا الاحتجاج ويجوز ان تكون اشارة الى الكل كما اختاره المصنف وتلك مبتدأ وحجتنا خبره وآتيناها ابراهيم فى محل النصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة كما فى قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية او فى محل الرفع على انه خبر ثان اخبر عنها بخبرين احدهما مفرد والآخر جملة ولا يجوز ان يكون صفة لحجتنا لانها معرفة بالاضافة فلا توصف بالنكرة وقوله على قومه متعلق بحجتنا على ما اختاره المصنف ومنع ابو البقاء كونه متعلقا بحجتنا بناء على ان الحجة مصدر وآتيناها خبر او حال وكل واحد منهما لا يفصل به بين الموصول وصلته ولم يلتفت المصنف اليه بناء على ان الحجة ليست مصدرا بل هى عبارة عن الكلام المؤلف للاستدلال على الشئ وان جعل حجتنا بدلا او بيانا لتلك وجعل الجملة الفعلية خبرا عن المبتدأ لا يجوز ان يكون على قومه متعلقا بحجتنا للفصل بينهما بالخبر وهو اجنبى عن المبتدأ ليس بمعمول له فيتعلق بمحذوف على انه حال اى آتيناها ابراهيم حجة على قومه او دليلا ﴿قوله وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين﴾ والباقون باضافة درجات وانتصابها على انها مفعول نرفع واما على قراءة الكوفيين فانتصاب درجات يحتمل ان يكون على الظرفية ومن نشاء مفعول نرفع اى نرفع من نشاء مراتب ومنازل ويحتمل ان يكون على انها مفعول ثان قدم على الاول وذلك يحتاج الى تضمين نرفع معنى فعل يتعدى الى اثنين وهو يعطى مثلا اى نعطى بالرفع من نشاء درجات اى رتبا فالدرجات هى المرفوعة لقوله رفيع الدرجات واذا رفعت الدرجة فقد رفع صاحبها ويحتمل ان ينتصب بنزع الخافض اى نرفع الى منازل والى درجات والمراد بالدرجات ههنا درجات العلم والفهم والحكمة كما رفع درجات ابراهيم فيها حتى فاق فى زمن صباه شيوخ اهل عصره واهتدى الى مالم يهتد اليه الا اكابر الانبياء ﴿قوله عد هداه نعمة على ابراهيم﴾ فان المقصود من هذه الآيات تعديد نعم الله تعالى على ابراهيم جزاء على اظهار حجة وحدانية الله تعالى وبذل نفسه فى دعوة المشركين الى عبادته فانه تعالى لما حكى عنه انه انكر على ابيه وقومه فى عبادة الاصنام وارشدهم الى الحق بطريق النظر والاستدلال عدد وجوه نعمه واحسانه عليه فأولها قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم ذكر الله تعالى نفسه باللفظ الدال على العظمة للدلالة على ان ايتاءه ابراهيم تلك الحجة من اشرف النعم واجل العطايا والمواهب وثانيها قوله تعالى نرفع درجات من نشاء فانه تعالى بين به انه خص ابراهيم بدرجة رفيعة عالية وثالثها انه جعله عزيزا فى الدنيا حيث جعل اشرف الناس وهم الانبياء والرسل من نسله ومن ذريته وابقى هذه الكرامة فى نسله الى يوم القيامة وهب الله تعالى لابراهيم اسحق من صلبه ويعقوب من صلب اسحق نافلة له فانه تعالى رزقه اولادا مثل اسحق ويعقوب وجعل انبياء بنى اسرآئيل من نسلهما وجعل سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين من نسل اسمعيل عليه الصلاة والسلام وايضا اخرجه من اصلاب آباء طاهرين مثل نوح وادريس وشيث عليهم الصلاة والسلام فظهر ان المقصود بيان كرامة ابراهيم عليه الصلاة والسلام من جهة الآباء والاولاد وان قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب جملة فعلية معطوفة على الجملة الاسمية التى هى قوله وتلك حجتنا وعطف الاسمية على الفعلية وعكسه جائز ولم يصرح بمتعلق قوله هدينا ليذهب ذهن السامع الى انه تعالى هداهما الى كل شرف وفضيلة لا يهدى اليه سواه كالهداية الى الثواب العظيم فى ارفع درجات الجنان والارشاد الى الفضائل الدينية فانه لا يبعد ان يكون جازاهم على الاحسان الصادر منهم لانهم اجتهدوا فى طلب الحق فالله تعالى جازاهم على حسن طلبهم باتصالهم الى الحق كقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المراد بهذه الهداية الارشاد الى النبوة والرسالة لان الهداية المخصوصة بالانبياء ليست الا ذلك ﴿قوله فلو كان لابراهيم﴾ اى لو كان الضمير له يكون داود وما عطف عليه الى قوله كل من الصالحين منصوبا بالعطف على اسحق مفعولا لفعل الهبة ويكون من ذريته متعلقا بذلك الفعل وتكون من لابتداء الغاية او للتبيين اى ووهبنا له بعد اسحق ويعقوب هذه الانبياء العشرة الذين هم من ذريته وهم المعدودون فى الآيتين الى قوله والياس ويكون انتصاب اسمعيل ومابعده بالعطف على نوحا ومعمولا لفعل الهداية اى وهدينا هذه الانبياء الاربعة كما هدينا نوحا

او من قوله أتحاجونى اليه (حجتنا آتيناها ابراهيم) ارشدناه اليها وعلمناه اياها (على قومه) متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اى آتيناها ابراهيم حجة على قومه (نرفع درجات من نشاء) فى العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين (ان ربك حكيم) فى رفعه وخفضه (عليم) بحال من يرفعه واستعداده له (ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا) اى كلا منهما (ونوحا هدينا من قبل) من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد (ومن ذريته) الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين فى تلك الآية والتى بعدها والمذكورون فى الآية الثالثة عطف على نوحا (داود وسليمان وايوب) وايوب بن امرص من اسباط عيصا بن اسحق (ويوسف وموسى وهرون)

(وان)

(كل من الصالحين) الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لاينبغى (واسمعيل واليسع) هو اليسع بن اخطوب

و ان كان ضمير ذرّيته لنوح يكون داود وجميع من ذكر بعده فى الآيات الثلاث منصوبا معطوفا على قوله نوحا ومفعولا لفعل الهداية ويكون من ذرّيته بيانا لجميع هؤلاء المذكورين ويحتمل ان يكون حالا اى حال كون هؤلاء الانبياء منسوبين اليه ﴿ **قوله** اى ونجزى المحسنين جزآء مثل ماجزينا ابراهيم ﴾ اشارة الى ان الكاف فى كذلك فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف لنجزى ﴿ **قوله** وفى ذكره دليل على ان الذرّية تتناول اولاد البنت ﴾ فيكون الحسن والحسين من ذرّية سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم مع انتسابهما اليه بالام ومن آذاهما فقد آذى ذريته عليه الصلاة والسلام ﴿ **قوله** وقرأ حمزة والكسائى والليسع ﴾ بلام مشدّدة وياء ساكنة بعدها وقرآءة الجمهور بلام واحدة وفتح الياء بعدها ﴿ **قوله** وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ﴾ لما استدلوا به على ان الانبياء افضل من الملائكة بناء على ان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملائكة قال بعضهم معناه فضلناهم على عالمى زمانهم قال فى المواقف لانزاع فى ان الانبياء افضل من الملائكة السفلية الارضية انما النزاع فى الملائكة العلوية السماوية وقال اكثر اصحابنا الانبياء افضل وعليه الشيعة واكثر اهل الملل وقالت المعتزلة وابوعبد الله الحليمى والقاضى ابوبكر منا الملائكة افضل وعليه الفلاسفة واختار المصنف مذهب الجمهور وفضلهم على من عداهم من الخلق ﴿ **قوله** فان منهم من لم يكن نبيا ولامهديا ﴾ اشارة الى وجه ايراد من التبعيضية والى انها متعلقة بفضلنا اوبهدينا اى وفضلنا بعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم اوهدينا من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات على ان كل واحد من المتعلق والمفعول محذوف ﴿ **قوله** فاختص طريقهم بالاقتدآء ﴾ امر بالاختصاص وليس بماض والباء داخلة على المقصور كما فى قولك نخصك بالعبادة اى اجعل اقتدآءك مقصورا على هداهم وطريقهم وقوله فبهداهم متعلق باقتده قدّم عليه ليفيد الاختصاص * فان قيل الواجب فى الاعتقاديات واصول الدين هو اتباع الدليل من العقل والسمع ولايجوز سيما للنبى صلى الله عليه وسلم ان يقلد غيره فامعنى امره بالاقتدآء بهم * قلنا معناه الاخذ به لكن لا من حيث انه طريقهم بل من حيث انه طريق العقل والشرع ففيه تعظيم لهم وتنبيه على ان طريقهم هى الحق الموافق لدليل العقل والسمع فكأنه قيل فخذ ماتوافقوا عليه من التوحيد والتنزيه عن كل مالايليق بالبارى تعالى فى الذات والصفات والافعال واصول الدين مستدلا بالدليل الذى استدلوا به على ماتفقوا عليه فليس فى الآية دليل على انه عليه الصلاة والسلام مكلف بشرع من قبله لان من ذهب الى حكم متمسكا بدليل يثبته لايقال له انه اخذ ذلك الحكم ممن قبله وان وافقه فى الاعتقاد بذلك الحكم وفى الاستدلال عليه بالدليل الذى استدل به من قبله وموافقته اياهم على هذا الوجه لاتدل على ان يكون منصبه اقل من منصبهم بل احتج العلماء بهذه الآية على انه عليه الصلاة والسلام افضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرّقة فيهم فداود وسليمان كانا من اصحاب الشكر على النعمة وايوب كان من اصحاب الصبر على البلية ويوسف كان جامعا بينهما وموسى عليه الصلاة والسلام كان صاحب المعجزات القاهرة وزكريا ويحيى وعيسى والياس كانوا اصحاب الزهد واسمعيل كان صاحب الصدق فثبت انه تعالى انما ذكر كل واحد من هذه الانبياء لان الغالب عليه كان خصلة معينة من خصال المدح والشرف ثم انه تعالى لما ذكر الكل امر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين بأن يقتدى بهم بأسرهم فكأنه تعالى امره عليه الصلاة والسلام بأن يجمع من خصال العبودية او الطاعة كل الصفات التى كانت متفرّقة فيهم بأجمعهم ولما امره الله تعالى بذلك امتنع ان يقال انه قصر فى تحصيلها فثبت انه حصلها واجتمع فيه من خصال الخير ما كان متفرقا فيهم فوجب ان يقال انه افضل الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ﴿ **قوله** والهاء فى اقتده للوقف ﴾ اى وليس بضمير لانّ بهداهم متعلق باقتده وهو لايتعدّى الى مفعول ثان وحقها ان لاتثبت فى حال الوصل كما لاتثبت همزة الوصل فيه لان هذه الهاء فى حال السكت بمنزلة همزة الوصل فى حال الابتدآء فكما لاتثبت الهمزة حال الوصل كذلك لاتثبت الهاء ومنهم من يثبتها فى الوصل ايضا لكونها ثابتة فى المصحف فكرهوا مخالفته فأثبتوا الهاء فى الحالتين ﴿ **قوله** ويشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر ﴾ اى وليست بهاء الوقف وقال الواحدى وقرأ ابن عامر بكسرها وخطأه مجاهد وقال هذه هاء وقف فلاتحرّك فى حال من الاحوال وانما تذكر لتظهر بها حركة ماقبلها وقال ابوعلى الفارسى جعل ابن عامر الهاء كناية عن المصدر لاهاء الوقف كأنه قال فبهداهم اقتد الاقتدآء والفعل يدل على المصدر فكنى عنه بها كما حكى سيبويه من قولهم من

وقرأ حمزة والكسائى والليسع وعلى القرآءتين علم اعجمى ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد فى قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله (ويونس) هو يونس بن متى (ولوطا) هو هاران ابن اخى ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق (ومن آبائهم وذرّياتهم واخوانهم) عطف على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولامهديا (واجتبيناهم) عطف على فضلنا او هدينا (وهديناهم الى صراط مستقيم) تكرير لبيان ماهدوا اليه (ذلك هدى الله) اشارة الى مادانوا به (يهدى به من يشاء من عباده) دليل على انه متفضل بالهداية (ولو اشركوا) اى ولو شرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلوّ شأنهم (لحبط عنهم ماكانوا يعملون) لكانوا كغيرهم فى حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها (اولئك الذين آتيناهم الكتاب) يريد به الجنس (والحكم) الحكمة او فصل الامر على مايقتضيه الحق (والنبوّة) والرسالة (فان يكفر بها) اى بهذه الثلاثة (هؤلاء) يعنى قريشا (فقد وكلنا بها) اى بمراعاتها (قوما ليسوا بها بكافرين) وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اوكل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة (اولئك الذين هدى الله) يريد الانبياء المتقدم ذكرهم (فبهداهم اقتده) فاختص طريقهم بالاقتدآء والمراد بهداهم ماتوافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولايمكن التأسى بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء فى اقتده للوقف ومن اثبتها فى الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابى عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف ويحذف الهاء فى الوصل خاصة حمزة والكسائى ويشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر ويكسر الهاء بغير اشباع برواية هشام (قل لااسألكم عليه) اى على التبليغ او القرءآن (اجرا) جعلا من جهتكم كالم

كذب كان شرّاله اى كان الكذب شرّاله واما حمزة والكسائى فانهما يحذفانها فى الوصل ويثبتانها فى الوقف وفى التيسير قرأ ابن ذكوان فبهداهم اقتدهى بكسر الهاء وصلتها بياء وهشام بكسرها من غير صلة وهما راويا ابن عامر الشامى ﴿ قوله وما عرفوه حق معرفته ﴾ عبر عن المعرفة بالقدر لكونه سببا لها وطريقا اليها يقال قدر الشئ يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره والسبر تعيين قدر الشئ بالمسبار يقال سبرت الجرح اذا نظرت ماغوره والمسبار مايسبر به الجرح والحزر التقدير والخرص اذا اراد ان يعلم مقداره ومنه قوله عليه الصلاة والسلام *اذاغم عليكم الهلال فاقدروا *له اى فاطلبوا ان تعرفوه ثم يقال لمن عرف شيأ هو يقدر قدره ولمن لم يعرفه بصفاته انه لايقدر قدره ولماحكى الله تعالى عنهم انهم ماقدروا الله حق قدره بين ماهو السبب فى ذلك وهو قولهم ما انزل الله على بشر من شئ ووجه كونه سببا لعدم معرفتهم حق معرفته ان من أنكر النبوّة والرسالة امان يقول انه تعالى ماكلف احدا من خلقه اصلا او يقول انه تعالى كلفهم والاوّل باطل لانه يستلزم القول بانه تعالى ترك احوال خلقه سدى واباح لهم جميع المنكرات والقبائح وهو لايليق بالحكيم الخبير فتعين القول بانه كلف الخلق بالامر والنهى وذلك يستلزم ان يرسل اليهم من يبلغ احكامه ويبين حلاله وحرامه ومافيه صلاح احوال الخلق وفسادها وماذلك الا الرسول *فان قيل لم لايجوز ان يقال العقل كاف فى ايجاب الواجبات وتحريم المنكرات *فالجواب هب ان الامر كما قلتم الا انه لايمتنع تأكيد التعريف العقلى بالتعريفات المشروعات على ألسنة الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فثبت ان كل من منع البعثة والرسالة فقد طعن فى حكمة الله تعالى فكان ذلك جهالة بصفة الالهية فحينئذ يصدق فى حقه ماقدروا الله حق قدره ووجه انتظام هذه الآية بماقبلها انه قدتقرّر ان مدار امر القرآن العظيم على اثبات امر التوحيد والنبوّة والمعاد ولماحكى الله تعالى عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام احتجاجه على حقية التوحيد وابطال قاعدة الشرك وعبادة الكواكب والاصنام شرع بعده فى تقرير امر النبوّة فقال وماقدروا الله حق قدره حيث انكروا النبوّة والرسالة ﴿ قوله قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن ﴾ جواب عما يقال ان اهل الكتاب من اليهود والنصارى كيف يمكن لهم ان يقولوا ما انزل الله على بشر من شئ بتنكير بشر وشئ والنكرة فى سياق النفى تفيد العموم وهم معتقدون ان التوراة كتاب انزله الله على موسى والانجيل كتاب انزله الله على عيسى عليهما الصلاة والسلام *وتقرير الجواب ان قائل هذا القول لماحمله الغضب على ان ينكر نبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزال الله القرآن عليه اراد ان يقول لست مرسلا وما انزل الله عليك شيأ البتة الا انه قال ما انزل الله على بشر من شئ مبالغة فى ذلك الانكار فقيل فى جوابه الزاماله قد انزل الله التوراة على موسى فلم لايجوز انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كأنه ابرز كلامه فى صورة الممتنعات حيث بالغ فى انكاره فالزم بتجويزه فلم يبق له بعد هذا الالزام الا ان يطالبه بالمعجز الدال على وقوع هذا الجائز فى خصوص محمد صلى الله عليه وسلم فان اتى به فقد حصل الافحام وتم الكلام ولم يبق الا الاسلام وان اصرّ اليهودى على انه تعالى ماانزل على محمد صلى الله عليه وسلم البتة مع انه معترف بانه تعالى انزل التوراة على موسى فذلك محض الجهالة والتقليد *فان قيل قد اتفق اكثر المفسرين على ان هذه السورة مكية وانها نزلت دفعة ومناظرات اليهود مع الرسول كانت مدنية فكيف يمكن تطبيق هذه الآية على تلك المناظرة وايضا لمانزلت السورة دفعة واحدة فكيف يمكن ان يقال هذه الآية المعينة انمانزلت فى الوقعة الفلانية *اجاب عنه الامام بأن القائلين بأن سبب نزول هذه الآية هنا مناظرة اليهود قالوا السورة كلها مكية ونزلت دفعة واحدة الا هذه الآية فانها نزلت بالمدينة فى هذه الواقعة الا ان الامام ابا الليث وصاحب التيسير رويا ان هذه السورة كلها مكية وكان مالك بن الصيف يخرج مع نفر الى مكة معاندين ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء وقد كان من احبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام *انشدك بالله الذى انزل التوراة على موسى هل تجدفيها ان الله يبغض الحبر السمين *قال نعم قال *فانت الحبر السمين قد سمنت من الاكلات التى يطعمك اليهود *فضحك القوم فخجل مالك بن الصيف فقال غضبا ما انزل الله على بشر من شئ فلمارجع مالك الى قومه قالوا له ويلك ماهذا الذى بلغنا عنك قال انه قد اغضبنى فلذلك قلت ماقلت قالوا أكلما غضبت قلت بغير حق وتقول غضبت فقلت بغير حق افأخذوا الرياسة والحبرية منه وجعلوها الى كعب بن الاشرف فنزلت هذه الاية وماقدروا الله حق قدره ﴿ قوله وقرآءة الجمهور ﴾ مجرور بالعطف على قوله بدليل فان هذا

(وماقدروا الله حق قدره) وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة والانعام على العباد (اذقالوا ماانزل الله على بشر من شئ) حين انكروا الوحى وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته اوفى السخط على الكفار وشدّة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله (قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) وقرآءة الجمهور بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وماقدروا

(الخطاب)

الخطاب في الافعال الثلاثة انما يليق باليهود فدل ذلك على ان القائلين هم اليهود ﴿قوله وتضمين ذلك﴾ مجرور ايضا بالعطف على قوله نقض كلامهم والزامهم وذلك اشارة الى النقض والالزام ﴿قوله وكتبوه في ورقات﴾ يدل على ان انتصاب قراطيس بنزع الخافض اى يجعلونه فى قراطيس و يبدونها صفة قراطيس ﴿قوله وقيل هم المشركون﴾ عطف على قوله و القائلون هم اليهود و المراد ان يقال كفار قريش وان كانوا ينكرون نبوة جميع الانبياء ويقولون ماانزل الله على بشر من شئ الا انه كيف يمكن نقض كلامهم و الزامهم بنبوّة موسى عليه السلام اجاب عنه بقوله و الزامهم بانزال التوراة * وتقريره ان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود و كانوا يسمعون ذكر موسى والتوراة و ماظهر الله تعالى على يده من المعجزات القاهرة فكان ذلك جاريا مجرى اعترافهم بنبوّة موسى و انزال التوراة عليه فلم يبعد الزامهم بذلك و على هذا قرآءة الغيبة فى الافعال الثلاثة ظاهرة ﴿قوله زيادة على مافى التوراة﴾ اشارة الى ان علمتم خطاب لليهود كما ذهب اليه الاكثرون ثم ان الافعال الثلاثة اعنى تجعلونه و تبدون وتخفون سوآء قرئت على الخطاب او الغيبة فى محل النصب على الحالية من الهاء فى به و قوله و علمتم على قرآءة الغيبة فيها يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا و انما جيئ به مخاطبا على طريق الالتفات واما على قرآءة الخطاب فهو حال باضمار قد * واعلم انهم لما الزموا بانزال الكتاب على موسى عليه الصلاة و السلام وصف الله تعالى كتابه بصفات ثلاث قصدا الى تجهيلهم و توبيخهم احداها انه نور وهدى للناس و ثانيتها انهم حرّفوه و تصرّفوا فيه بابدآء بعض واخفاء كثير كالآيات المشتملة على صفات محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرها و ثالثتها انهم علموا فى ذلك الكتاب على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مالم يعلموا هم ولا آباؤهم وهو اكثر ماكانوا يختلفون فيه مما اوحى اليه كما قال تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرآئيل اكثر الذى هم فيه يختلفون ومن قرأ الافعال الثلاثة بصورة الغيبة حمل الكلام على الالتفات فان قوله تعالى من انزل الكتاب لما كان جوابا لهم كان المطابق له تجعلونه على لفظ الخطاب الا انه التفت الى طريق الغيبة تبعيدا لهم عن ساحة عز الحضور و الخطاب بسبب فعلتهم القبيحة ثم التفت ثانيا من الغيبة الى الخطاب فى قوله و علمتم تنبيها على ان الغائبين هم المخاطبون وماحسن هذين الالتفاتين حيث اعرض عنهم عند ارادة نسبة القبيح اليهم حتى لايواجهوا به وحيث نسب اليهم الحسن وهو علم مالم يعلموا خاطبهم به قال الحسن قوله تعالى و علمتم مالم تعلموا معناه جعل لهم علم ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وان جعل خطاب علمتم لمن آمن من قريش تكون الجملة معترضة بين الامر بقوله قل من انزل و بين قوله قل الله اتى بها فى اثناء تبكيت المشركين تذكيرا لهم ما انعم عليهم من نعمة الاسلام والعرفان وتنويها لها فان كون هذا الخطاب لمن آمن يستدعى ان يكون قائل ماانزل الله على بشر من شئ هم المشركون ﴿قوله او حال من مفعوله﴾ اى من مفعول ذرهم عطف على قوله صلة اى ويجوز ان يكون الظرف حالا منه مثل يلعبون هذا على مذهب من يجوّز تعدد الحال من ذى حال واحد ومن لم يجوّز ذلك جعل الظرف متعلقا بذرهم او بيلعبون او حالا من فاعل يلعبون ﴿قوله او من هم الثانى﴾ عطف على قوله من هم الاوّل اى ويجوز ان يكون يلعبون حالا من ضمير خوضهم وجاز ذلك لانه فى قوّة الفاعل لان المصدر مضاف الى فاعله والتقدير ذرهم يخوضوا لاعبين قال بعضهم هذه الآية منسوخة بآية السيف وهو بعيد لان قوله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون مذكور لاجل التهديد وذلك لاينافى حصول المقاتلة فلم تكن آية القتال رافعة لشئ من مدلولات هذه الآية فلانسخ فيها ثم انه تعالى لما ابطل بالدليل قول من قال ماانزل الله على بشر من شئ ذكر بعده ان القرآن كتاب انزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم و وصفه اوّلا بقوله انزلناه ليعلم ان الله تعالى هو الذى تولى انزاله بالوحى على لسان جبريل عليه السلام وليس تركيب الفاظه على هذه الفصاحة من قبل الرسول و وصفه ثانيا بانه مبارك اى كثير الفائدة والنفع وكيف لاولم يوجد كتاب يحيط ماحاط به القرآن العظيم من العلوم النظرية و العملية اما العلوم النظرية فاشرفها هو معرفة ذات الله وصفاته وافعاله واحكامه ولايوجد كتاب يفيد معرفة هذه الامور مثل ماافاده القرآن واما العلوم العملية فالمطلوب منها اما اعمال الجوارح واما اعمال القلوب وهو المسمى بعلم الاخلاق وتزكية النفس فانك لاتجد شيئا منهما مثل ماتجده فى القرآن العظيم فخيره كثير ومنفعته عظيمة و وصفه ثالثا بانه مصدّق لماقبله من الكتب الالهية والامر كذلك لان الموجود فى سائر الكتب الالهية اما اصول الشرآئع او فروعها والاصول لاتختلف باختلاف الملل والاديان والازمان فوجب ان يكون

وتضمين ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة وذمّهم على تجزئتها بابداء بعض ماانتخبوه وكتبوه فى ورقات متفرّقة واخفاء بعض لايشتهونه روى ان مالك ابن الصيف قاله لما اغضبه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله انشدك بالذى انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فأنت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لانه كان من المشهورات الذآئعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لوانا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم (وعلمتم) على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم) زيادة على مافى التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بنى اسرآئيل اكثر الذى فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش (قل الله) اى انزله الله او الله انزله امره بأن يجيب عنهم اشعارا بأن الجواب متعين لايمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لايقدرون على الجواب (ثم ذرهم فى خوضهم) فى اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة (يلعبون) حال من هم الاوّل والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله او فاعل يلعبون او من هم الثانى والظرف متصل بالاوّل

(وهذا كتاب انزلناه مبارك) كثير الفائدة والنفع (مصدق الذى بين يديه) يعنى التوراة او الكتب الخ قبله (ولتنذر ام القرى) عطف على مادل عليه مبارك اى البركات ولتنذر اوعلة محذوف اى ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اى لينذر الكتاب (ومن حولها) اهل المشرق والمغرب (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبى والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسى اواختلق عليه احكاما كعمرو بن لحى ومتابعيه (او قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ) كعبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال (ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله) كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى اذ الظالمون) حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين (فى غمرات الموت) شدائده من غمره الماء اذا غشيه (والملائكة باسطوا ايديهم) بقبض ارواحهم كالمتقاضى الملظ او بالعذاب (أخرجوا انفسكم) اى يقولون لهم أخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم اوأخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا (اليوم) يريد به وقت الامانة او الوقت الممتد من الامانة الى ما لانهاية له (تجزون عذاب الهون) اى الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحى كاذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون (ولقد جئتمونا) للحساب والجزاء (فرادى) منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التى زعمتم (تعالى)

القرآن موافقا ومطابقا لما فى سائر الكتب من اصول الدين واما علم الفروع والاحكام فانه وان وقع الاختلاف فيها باختلاف الازمنة والامم الا ان ما وقع فى كل عصر وزمان لما كان موافقا لما اقتضته الحكمة والمصلحة كانت الاحكام متوافقة من هذه الحيثية مصدقا بعضها بعضا هذا ما خطر ببالى وقال الامام واما علم الفروع فقد كانت الكتب الالهية المتقدمة على القرآن مشتملة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك فقد حصل فى تلك الكتب ان التكاليف الموجودة فيها انما تبقى الى وقت بعثته عليه الصلاة والسلام واما بعد ظهور شرعه فانها تصير منسوخة والقرآن مصدق لهذا المعنى وموافق له ﴿قوله لانها قبلة اهل القرى﴾ فصارت كالاصل لسائر القرى وايضا لما اجتمع الخلق اليها لاجل الحج الذى هو من اصول العبادات كما يجتمع الاولاد الى الام صارت كالام لهم وايضا لما كانت اعظم القرى شأنا صارت بالنسبة الى سائر القرى كالام بالنسبة الى الاولاد وايضا لما دحيت الارضون من تحتها كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما صارت اصل الارض كلها كالام اصل النسل وايضا لما كان فيها البيت الذى هو اصل سائر البيوت واسبق منها بحيث صار ذلك البيت بمنزلة الام لسائر البيوت صارت نفس مكة ايضا بمنزلة الام لسائر القرى وقوله ام القرى على حذف المضاف كقوله واسأل القرية وقرأ الجمهور لتنذر بتاء الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ بياء الغيبة اى لينذر الكتاب بمواعظه وزواجره ﴿قوله فان من صدق بالآخرة الخ﴾ علة لكون الايمان بالآخرة سببا للايمان بالكتاب والنبى صلى الله عليه وسلم فان من آمن بالبعث والحساب والجزاء تعظم رغبته فى نيل الثواب ورهبته من حلول العقاب وذلك يصرفه عن الانهماك فى الحظوظ العاجلة ويحمله على النظر فى الدلائل الموصلة الى الحق وسعادة الآخرة فيؤمن بالنبى والكتاب ويحافظ على جميع الطاعات والتكاليف التى اشرفها واجمعها اقامة الصلاة ثم انه تعالى بعد ما ابطل قول من قال ما انزل الله على بشر من شئ وبين كون القرآن كتابا نازلا من عنده وبين شرفه ورفعته ذكر وعيد من ادعى النبوة والرسالة كذبا وافتراء كمسيلمة الكذاب صاحب اليمامة والاسود العنسى صاحب صنعاء قال ومن اظلم الآية ومن اظلم مبتدأ وخبر وكذبا مفعول افترى اى اختلق كذبا وافتعله ولا فائدة فى جعله مفعولا مطلقا لان الكذب اعم من الافتراء بخلاف ما اذا كان المصدر نوعا من الفعل نحو قعدت القرفصاء او مرادفا له نحو قعدت جلوسا ويحتمل ان يكون مفعولا له اى افترى لاجل الكذب او مصدرا واقعا موقع الحال اى افترى حال كونه كاذبا وهى حال مؤكدة ﴿قوله او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحى﴾ وهو اول من غير دين اسمعيل ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة قال عليه الصلاة والسلام فى حقه «رأيته يجر قصبه فى النار» ﴿قوله حذف مفعوله﴾ وحذف جواب لو ايضا اى لو ترى الظالمين فى هذا الوقت لرأيت امرا عظيما والظالمون مبتدأ وفى غمرات الموت خبره واذ مضاف الى الجملة والغمرة الشدة الغالبة من غمره الماء اذا علاه وغطاه فالغمرة ما يغمر من الماء استعيرت للشدة الغالبة لانها تستر بغمها من تنزل به ﴿قوله كالمتقاضى الملظ﴾ اى كالغريم الملازم الملح الذى يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه فى المطالبة ولا يمهل ويقول له أخرج مالى عليك الساعة ولا ازال من مكانى حتى انزعه من كبدك وحدقتك وقيل معناه باسطوا ايديهم بالعذاب وقوله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم فى محل النصب على انه حال من الضمير المستكن فى قوله فى غمرات وقوله تعالى اخرجوا انفسكم فى محل النصب بقول مضمر ﴿قوله تغليظا وتعنيفا﴾ جواب عما يقال لا مقدرة لهم على اخراج ارواحهم من اجسادهم فما الفائدة فى هذا الكلام ﴿قوله واضافته الى الهون لعراقته﴾ كأنه قيل لابد فى الاضافة من الدلالة على اختصاص المضاف اليه فما وجه اختصاص العذاب بالهوان والذلة فأجاب عنه بانه لما لم يقصد بالعذاب شئ سوى الهوان والحقارة صار العذاب اصيلا فى الهوان متمكنا فيه فاضيف اليه لافادة هذا المعنى ﴿قوله وهو جمع فرد﴾ قال الامام فرادى لفظ جمع وفى واحده قولان قال ابن قتيبة فرادى جمع فردان مثل سكارى وسكران وكسالى وكسلان وقال غيره فرادى جمع فريد مثل ردافى جمع رديف واسارى جمع اسير وقال الفراء جمع واحده فرد وفردة وفريد وفى الصحاح الفرد الوتر والجمع افراد وفرادى على غير قياس كأنه جمع فردان ودر فرد وفارد وفريد كله بمعنى منفرد ومن قرأ فرادا بالتنوين فقد جعله اسما صحيحا اى ليس فيه ألف مقصورة للتأنيث كرخال ورخل بكسر الخاء والرخل الانثى من اولاد الضأن والذكر حمل والجمع رخال بالكسر ورخال ايضا بالضم وفرادى منصوب على انه حال من فاعل جئتمونا وجئتمونا يحتمل ان يكون بمعنى المصدر المستقبل اى تجيئوننا وانما برز فى صورة الماضى لتحققه كقوله

تعالى أتى امر الله و نادى اصحاب الجنة و يحتمل ان يكون ماضيا على ان يكون حكاية لما يقال لهم يوم القيامة في مقام الحساب فان مجيئهم فرادى يكون سابقا واقعا قبل هذا القول فعلى هذا الاحتمال يكون قوله تعالى و لقد جئتمونا معطوفا على قول الملائكة أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون اى كما يقولون ذلك على وجه التعنيف و التوبيخ كذلك يقولون حكاية عن الله تعالى و لقد جئتمونا فرادى و يجوز ان يكون قائل هذا القول هو الله تعالى لا الملائكة من عند انفسهم بل يقولونه عن الله تعالى و القائل اما الملائكة الموكلون بقبض ارواحهم او الملائكة الموكلون بعقابهم **﴿ قوله** بدل منه **﴾** اى من فرادى ذكر ان محل الكاف فيه اربعة اوجه احدها النصب على انها صفة مصدر محذوف اى جئتمونا مجيئا مثل مجيئكم يوم خلقناكم و الثلاثة الباقية على ان تكون حالا من فاعل جئتمونا ان جوّز تعدّد الحال من ذى الحال الواحد و ان تكون بدلا مما هو حال من ذلك الفاعل ان لم يجز التعدّد فيها و ان تكون حالا من الضمير المستكنّ فى فرادى اى مشبهين ابتدآء خلقكم و فيه نظر لانهم لم يشبهوا ابتدآء خلقهم فينبغى ان يقدّر مضاف اى مشبهة حال مجيئكم حال ابتدآء خلقكم **﴿ قوله** غرلا **﴾** جمع اغرل و هو الاقلف و الغرلة القلفة و البهم هم الذين لا شئ معهم **﴿ قوله** فشغلتم به عن الآخرة **﴾** و اما اذا لم يكن مشغولا به معرضا عن الآخرة بأن صرفه الى الجهات الموجبة لتعظيم امر الله و الشفقة على خلق الله فحينئذ لا يكون تاركا له وراء ظهره بل يكون مقدّما اياه تلقاء وجهه قال الله تعالى و ما تقدّموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله **﴿ قوله** ما قدّمتموه منه شيأ **﴾** هكذا فيما رأيته من النسخ و العبارة الظاهرة ما قدّمتم منه شيأ فكأنه جعل شيأ بدلا من ضمير المفعول و توسط منه بين البدل و المبدل منه لانه ليس بأجنبي بل هو من تتمة البدل و معنى الآية ان الله تعالى اعطى النفس الانسانية هذه القوى و الآلات الجسدانية لتحصيل المعارف اليقينية و الاعمال الصالحة و المشرك لم يكتسب بما اعطاه الله تعالى من القوى و الآلات ما يسعده فى الآخرة و يكون سببا لسعادته الابدية بل صرف جدّه و جهده الى تحصيل المال و الجاه و عبادة الاصنام على اعتقاد انها شفعاؤه عند الله تعالى ثم انه اذا انتقل من العالم الجسمانى الى العالم الروحانى و ورد محفل القيامة يرى ان ما افنى عمره فى تحصيله من المال و الجاه و سائر الحظوظ الجسمانية و اللذات النفسانية قد بقى وراء ظهره لم يصحبه شئ منها و يستبين له ايضا انه لم يكتسب بما اعطاه الله تعالى من الآلات الجسمانية و الكمالات العلمية و العملية ما ينفعه فى هذا المحفل و قد ضاع وقت الاكتساب و اسبابه ايضا و لا يجد من الاصنام ما زعم من كونها شفعاء له عند الله فحق ان يقال فى حقه انه قد ورد محفل القيامة منفردا عن كل ما حصله فى الدنيا و توقع ان ينتفع به عند الله تعالى بخلاف المؤمنين فانهم صرفوا همتهم الى العقائد الصحيحة و الاعمال الصالحة فبقيت معهم فى قبورهم و حضرت معهم فى محفل القيامة فهم فى الحقيقة ما حضروا فرادى **﴿ قوله** اى تقطع وصلكم **﴾** على قرآءة من قرأ بينكم بالرفع و هم ابن كثير و ابو عمرو و ابن عامر و حمزة و عاصم فى رواية ابى بكر فانهم جعلوا بين اسما غير ظرف و جعلوه لفظا مشتركا اشتراكا لفظيا يستعمل للوصل و الفراق كالجون للاسود و الابيض فيعرب على حسب استدعاء العامل و قيل فى وجه قرآءة الرفع ان بين ظرف الا انه اتسع فى هذا الظرف حيث جعل مسندا اليه كما قيل * فويل خلفكم و امامكم * فصار كسائر الاسماء المتصرّف فيها على حسب استدعاء العامل و يدل عليه قوله تعالى و من بيننا و بينك حجاب فاستعمل مجرورا بمن و قوله هذا فراق بينى و بينك و قوله بجمع بينهما و قوله تعالى شهادة بينكم جعل بين فى هذه المواضع مضافا اليه متصرّفا فيه و لو كان لازم الظرفية لما جاز استعماله الا منصوبا و الاصل ههنا انتصاب بينكم على الظرفية بأن يقال لقد تقطع بينكم و هى قرآءة نافع و الكسائى و حفص بأن يكون تقطع مسندا الى ضمير مصدره لان تقطع لا بدّ له من فاعل و بينكم ظرف و ليس بفاعل ففاعله التقطع و التقدير تقطع التقطع و هو معنى قوله على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه الا انه لا بدّ ان يؤوّل الكلام بأن يجعل تقطع بمعنى وقع لانه لو ابقى قولنا تقطع التقطع على اصل معناه حصل الوصل و هو ضدّ المقصود فكان معنى الكلام وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين بمعنى جمع الجمع بين الشيئين اى اوقع الجمع بينهما ثم اتسع بأن اسند الفعل الى ظرفه و قيل فى توجيه قرآءة النصب ان الاصل لقد تقطع ما بينكم من الوصل و المودّة فانكرة موصوفة لا موصولة لان حذف الموصول و ابقاء الصلة لا يجوز بخلاف حذف الموصوف فحذفت ما و اقيم بينكم مقام موصوفه و ايد هذا الوجه بقرآءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم **﴿ قوله** انها شفعاؤكم **﴾** سادّ مسدّ مفعولى تزعمون فان ما فى قوله ما كنتم سوآء كانت موصولة او موصوفة لا بدّ ان تشتمل الجملة

(كما خلقناكم اوّل مرّة) بدل منه اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد او حال ثانية ان جوّز التعدّد فيها او حال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتدآء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كما خلقناكم (و تركتم ما خوّلناكم) ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) ما قدّمتموه منه شيأ و لم تحتملوا نقيرا (و ما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) اى شركاء الله فى ربوبيتكم و استحقاق عبادتكم (لقد تقطع بينكم) اى تقطع وصلكم و تشتت جمعكم و البين من الاضداد يستعمل للوصل و الفصل و قيل هو الظرف اسند اليه الفعل اتساعا و المعنى وقع التقطع بينكم و يشهد له قرآءة نافع و الكسائى و حفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه و اصله لقد تقطع ما بينكم و قد قرئ به (و ضلّ عنكم) ضاع و بطل (ما كنتم تزعمون) انها شفعاؤكم او ان لا بعث و لا جزاء

الواقعة بعدها على ضمير يعود اليها وان تزعمون لابدّ له من مفعولين فقدّرا لجميع فى هذا القول و المناسب لقوله تعالى سابقا و مانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ان يقال فى التقدير تزعمونهم شركاء الله فى ربوبيتكم

قوله بالنبات والشجر اى انه تعالى يشق الحبة اليابسة فيخرج منها ورقا اخضر ويشق النواة الصلبة فيخرج شجرة ذات اوراق و اغصان على ان الفلق هو الشق و الفطر وقيل فالق ههنا بمعنى خالق ثم انه تعالى لما قرّر امر التوحيد واردفه بتقرير امر النبوّة عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته و حكمته و علمه تنبيها على ان المقصود الاصلى هو معرفة الله تعالى بذاته و صفاته و افعاله فقال ان الله فالق الحب و هو جمع حبة و هو اسم لجميع البذور المقصودة بذواتها كالشعير و الحنطة و نحوهما والنوى و احدها نواة و هى الشئ الموجود فى داخل الثمر مثل نواة الخوخ و التمر

قوله يريد به ماينمو من الحيوان و النبات ليطابق ماقبله يعنى ان الحى و الميت هنا مجاز عن النامى و الجامد تشبيها للنامى بالحى كما فى قوله تعالى ويحيى الارض بعد موتها و الحى حقيقة مايكون موصوفا بالحياة المستتبعة للحس و الحركة الارادية و الميت حقيقة مايكون خاليا عن صفة الحياة مع كون الحياة من شأنه ولم يحملهما المصنف على معناهما الحقيقى لان قوله تعالى يخرج الحى من الميت فى موضع البيان لقوله تعالى فالق الحب و النوى و لذلك ترك العاطف بينهما فلو حملا على اصل معناهما لما صلحت الجملة لان تكون بيانا لما قبلها و لما كانت مطابقة له و قوله تعالى و مخرج الميت لما لم يصلح بيانا له لم يحسن عطفه على يخرج الحى فلذلك جعل معطوفا على قوله فالق الحب و ذكر بلفظ اسم الفاعل مثله و منهم من حمل اللفظ على الحقيقة و قال يخرج من النطفة الميتة بشرا حيا ثم يخرج من البشر الحى نطفة ميتة و يخرج من البيضة فروجة حية و يخرج من الدجاجة بيضة ميتة و الزجاج حمله على المجاز و قال يخرج النبات الخضر من الحب اليابس و يخرج الحب اليابس من النبات الحى النامى و قال ابن عباس يخرج المؤمن من الكافر كما فى حق ابراهيم و الكافر من المؤمن كما فى حق ولد نوح عليه السلام و العاصى من المطيع و بالعكس وقرأ نافع وحمزة و الكسائى وحفص عن عاصم الميّت مشدّد الياء فى الكلمتين و الباقون بالتخفيف ثم انه تعالى لما استدل على وجود الصانع و علمه وقدرته و حكمته بدلالة احوال النبات و الحيوان استدل عليها ايضا بالاحوال الفلكية و ذلك لان فلق ظلمة الليل بنور الصبح اعظم فى الدلالة على كمال القدرة من دلالة فلق الحب و النوى بالنبات و الشجر فقال فالق الاصباح و هو مرفوع على انه صفة لاسم الله فى قوله تعالى ذلكم الله *فان قيل ظاهر الآية يدل على انه تعالى فلق الصبح وليس الامر كذلك فان الحق تعالى فلق الظلمة بالصبح فكيف الوجه فيه *فالجواب الاوّل انه تعالى كما يشق الظلمة الخالصة الواقعة فى الليل و يخرج منها عمود الصبح و هو الصبح المستطيل الذى شبهته العرب بذنب السرحان و يعقبه ظلمة خالصة كذلك يشق ذلك العمود و يخرج منه الظلمة الخالصة و يخرج منه ايضا بياض النهار و اسفاره فان الصبح و الصباح و الاصباح عبارات عن اوّل مايبدو من النهار و اوّل مايبدو منه صبحان فالصبح الاوّل هو الصبح المستطيل الذى يعقبه الظلمة الخالصة ثم يطلع بعده الصبح المستطير فى جميع الافق فيصح ان يقال انه تعالى فالق الاصباح الاوّل عن ظلمة آخر الليل و فالق الظلمة عن بياض النهار ايضا* و الجواب الثانى ان المراد فالق ظلمة الاصباح على حذف المضاف و المراد بظلمة الاصباح الغبش الذى يلى الاصباح المستطيل و يعقبه و الغبش بالتحريك البقية من الليل و يقال انه ظلمة آخر الليل و قد اشار المصنف الى الجوابين

قوله و نصبه اى و نصب سكنا على قرآءة و جاعل الليل بالاضافة لايجوز ان يكون بجاعل لان اسم الفاعل لايعمل اذا كان بمعنى الماضى بل هو منصوب بفعل مضمر دل عليه جاعل اى جعل الليل سكنا و سكن فعل بمعنى مفعول نحو قبض بمعنى مقبوض و الليل منصوب بجعل على قرآءة و جعل الليل و كذا سكنا منصوب به على انه مفعول ثان له على ان يكون الجعل بمعنى التصيير او على انه حال من الليل على انه بمعنى الخلق و تكون الحال مقدرة

قوله او به اى و يجوز ان يكون سكنا منصوبا بجاعل على ان يراد به جعل مستمرّ و هذا مخالف لقوله فى مالك يوم الدين ان المعنى له الملك فى هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية مفيدة لوقوعه صفة للمعرفة و هو صريح فى ان اسم الفاعل اذا قصد به زمان مستمرّ لا يكون عاملا فتكون اضافته حقيقية مفيدة للتعريف و قد صرّح ههنا بانه اذا قصد به الاستمرار تكون اضافته لفظية من حيث كونه مضافا الى معموله فبين كلاميه تدافع* و اجيب بأن السلف قد اجمعوا على ان اسم الفاعل لايعمل اذا قصد به الماضى و يعمل اذا قصد به الحال او الاستقبال و اما اذا قصد به الاستمرار فقد اختلفوا فى عمله حينئذ بناء على ان الاستمرار يحتوى على الازمنة

(ان الله فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذى فى الحنطة والنواة (يخرج الحى) يريد به ماينمو من الحيوان والنبات ليطابق ماقبله (من الميت) مما لاينمو كالنطف والحب (ومخرج الميت من الحى) ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان (ذلكم الله) اى ذلكم المحيي المميت هو الذى يحق له العبادة (فانى تؤفكون) تصرفون عنه الى غيره (فالق الاصباح) شاق عمود الصبح من ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصباح سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح (وجاعل الليل سكنا) يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأنّ اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لابه فانه فى معنى الماضى ويدل عليه قرآءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمرّ فى الازمنة المختلفة

الماضية والآتية والحال فمنهم من اعتبر جانب الآتي والحال فجعل الاضافة لفظية ومنهم من اعتبر جانب الماضي فجعل الاضافة معنوية والتعويل على القرآئن والمقامات فكلامه في الموضعين مبني على الاعتبارين **قوله** وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر الخ قرأ الجمهور بنصب الشمس والقمر وهي واضحة على قرآءة الكوفيين حيث يجعل هذان منصوبين كما مرّ في سكنا معطوفين على المنصوب بجعل ويكون حسبانا اما مفعولا ثانيا او حالا واما على قرآءة الجمهور بأن جعل جاعل بمعنى الماضي فلابدّ من اضمار فعل ينصبهما اي وجعل الشمس وان قلنا انه ليس بمعنى الماضي سوآء كان للاستمرار او بمعنى الحال والاستقبال يكون نصبهما بالعطف على محل المجرور كما في قوله

هل انت باعث دينار لحاجتنا ❀ او عبد ربّ اخا عون بن مخراق

بنصب عبد ويشهد له قرآءة ابي حيوة اياهما بالجرّ عطفا على لفظ الليل **قوله** والاحسن نصبهما بجعل مقدرا فانه احسن من جعلهما منصوبين بالعطف على محل المجرور لان اسم الفاعل ههنا لا يخلو اما ان يكون بمعنى الماضي فلا يكون لمجروره محل او للاستمرار فلا يكون عمله متفقا عليه وكذا هو احسن من جرهما بالعطف على الليل لانه مبني على جواز العطف على معمولي عاملين مختلفين او على جواز كون اسم الفاعل الذي قصد به الاستمرار عاملا وكلاهما مختلف فيه بين النحاة **قوله** اي على ادوار اي جعلهما يجريان على ادوار مختلفة تحسب بهما الاوقات فانه تعالى قدّر حركة الشمس بمقدار من السرعة والبطئ بحيث تتم دورتها في سنة وقدّر حركة القمر بحيث يتم الدورة في شهر وبهذا التقدير تنتظم المصالح المتعلقة بالفصول الاربعة كنضج الثمار وامور الحرث والنسل ونحو ذلك مما يتوقف عليه قوام العالم وباختلاف منازل القمر وتجدّد الاهلة في كل شهر يعلم آجال الديون ومواقيت الاشياء قال تعالى في حق الاهلة هي مواقيت للناس والحج وقال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فمعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان على ان الحسبان مصدر بمعنى الحساب كالرجحان والنقصان وفعله حسب يحسب من باب نصر واما الحسبان بكسر الحاء فهو من باب علم ومعناه الظنّ والتخمين **قوله** تعالى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها كل واحد من اللامين في لكم ولتهتدوا متعلق بجعل وجاز تعلق حرفي جرّ متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد لكون الثاني بدلا من الاول بدل اشتمال باعادة العامل ونظيره قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم فان لبيوت بدل من قوله لمن يكفر باعادة العامل **قوله** هو آدم عليه السلام وهو نفس واحدة وحوآء مخلوقة من ضلع من اضلاعه فصار كل الناس محدثة ومخلوقة من نفس واحدة حتى عيسى عليه السلام فان ابتدآء تكوينه كان من مريم التي هي مخلوقة من ابويها وهذا دليل رابع على وجود الآله وكمال قدرته وعلمه واستدل عليه بكيفية انشاء عالم الانسان وبثه في وجه الارض **قوله** فلكم استقرار واستيداع على ان يكون كل واحد من قوله فمستقرّ ومستودع على لفظ اسم المفعول مصدرا ميميا مرفوعا على الابتدآء وخبره محذوف وهو لكم ولا يجوز ان يكون الخبر المضمر منكم لان المعاني لا تحمل على الاعيان ويحتمل ان يكون كل واحد منهما اسم مكان الاستقرار والاستيداع والتقدير فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ولا يجوز ان يكون المستقرّ بفتح القاف اسم مفعول لان استقرّ لا يتعدّى فلا يكون له مفعول بخلاف استودع فانه فعل يتعدّى الى مفعولين تقول اودعت زيدا ألفا واستودعت مثله فالمستودع يجوز ان يكون اسم مفعول ويراد منه انسان استودع في مكان كما يجوز ان يكون مصدرا ميميا واسم مكان الا ان من قرأ فمستقرّ بفتح القاف وهو لا يحتمل الا الوجهين المصدر والمكان جعل المستودع ايضا مصدرا او مكانا ليكون المعطوف مثل المعطوف عليه وفي قاف المستقرّ قرآءتان الفتح والكسر بخلاف المستودع فان القرآء اتفقوا على ان داله مفتوحة ليس الا والمصنف اشار الى الفرق بقوله لان الاستقرار منا دون الاستيداع واراد بالبصريين اباعمرو ويعقوب وابن كثير المكي فالمستقرّ في قرآءتهم يكون اسم فاعل ويراد به الاشخاص فيكون المستودع بفتح الدال اسم مفعول حتى يكون عبارة عن الاشخاص ايضا ويكون الخبر المحذوف حينئذ منكم لا لكم والتقدير فمنكم مستقرّ في الاصلاب ومنكم مستودع في الارحام جعل صلب الاب مستقرّا للنطفة ورحم الامّ مستودعا لها لان النطفة حصلت في صلب الاب لا من قبل الغير وحصلت في رحم الامّ بفعل الغير فأشبهت الوديعة كأن الرجل اودعها ما كان مستقرّا عنده الا ان اكثر الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال المستقرّ هو الارحام

وعلى هذا يجوز ان يكون (والشمس والقمر) عطفا على محل الليل ويشهد له قرآءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدّرا وقرئ بالرفع على الابتدآء والخبر محذوف اي مجعولان (حسبانا) اي على ادوار مختلفة تحسب بهما الاوقات ويكونان على الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص (العليم) بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما (وهو الذي جعل لكم النجوم) خلقها لكم (لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم (قد فصلنا الآيات) بيناها فصلا فصلا (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون به (وهو الذي انشأكم من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام (فمستقرّ ومستودع) اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اي فمنكم قارّ ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع

والمستودع الاصلاب ثم قرأو تقرّ فى الارحام مانشاء وقال سعيد بن جبير قال لى ابن عباس رضى الله عنهما هل تزوّجت قلت لا قال اما انه ما كان مستودعا فى ظهرك فسيخرجه الله تعالى وقيل المستقرّ فوق الارض لقوله تعالى ولكم فى الارض مستقرّ ومتاع الى حين والمستودع القبر لان اهله انما تودع فيه لان تخرج منه تارة اخرى ﴿قوله تعالى قد فصلنا الآيات﴾ اى بيناها على وجه انفصل بعضها عن بعض ﴿قوله ذكر مع ذكر النجوم يعلمون ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون﴾ يعنى ان الفقه عبارة عن الوقوف على المعنى الخفىّ واصل تركيب الفقه يدل على الشق والفتح والفقيه العالم الذى يشق الاحكام ويفتش عن حقائقها ويفتح ما استغلق منها روى ان سلمان نزل على نبطية بالعراق فقال ههنا مكان نظيف اصلى فيه فقالت طهر قلبك وصل حيث شئت فقال فقهت وفطنت للحق اى نظرت نظرا دقيقا فظهر ان الفقه انما يطلق حيث يكون فيه حذاقة وتدقيق نظر وسمى علم الشريعة فقها لانه علم مستنبط بالقوانين والادلة والاقيسة والانظار الدقيقة فيها وقوله تعالى وهو الذى جعل لكم النجوم اشارة الى آيات الآفاق وقوله وهو الذى انشأكم من نفس واحدة اشارة الى آيات الانفس ولا شك ان آيات الآفاق اظهر واجلى وآيات الانفس ادق واخفى فكان ذكر الفقه لها انسب واولى كما ان انفس بنى آدم ادق صنعا واجمع لآثار القدرة ودلائلها فكذا الاستدلال بها على وجود الصانع وكمال قدرته ادق واخفى ﴿قوله من السحاب﴾ سمى السحاب سماء لان العرب تسمى كل ما فوقك سماء فتقول لسقف البيت سماء البيت وقال ابو على الجبائى فى تفسيره ان الله تعالى يخلق المطر فى السماء ثم ينزله من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض قال لان ظاهر النص يقتضى نزول المطر من السماء والعدول عن الظاهر الى التأويل انما يحتاج اليه عند قيام الدليل على ان اجراء اللفظ على ظاهره غير ممكن وفى هذا الموضع لم يقم دليل على امتناع نزول المطر من السماء فوجب اجراء اللفظ على ظاهره وهذه الآية اشارة الى دليل خامس على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ووجوه احسانه الى خلقه * واعلم ان هذه الدلائل كما انها دلائل فهى ايضا نعم بالغة واحسانات كاملة والكلام اذا كان دليلا من بعض الوجوه وكان انعاما واحسانا من سائر الوجوه كان تأثيره فى القلب عظيما وعند هذا يظهر ان المشتغل بدعوة الخلق الى الحق لا ينبغى له ان يعدل عن هذه الطريقة ﴿قوله على تلوين الخطاب﴾ اى تغييره الى لون آخر حيث التفت من طريق الغائبة فى قوله هو الذى انزل الى الاخبار عن نفسه بنون العظمة وهى ليست نون الجمع حتى يقال المخرج هو الله تعالى وحده لا شريك له فيه فاوجه ايراد لفظ الجمع فى قوله فأخرجنا فان الملك العظيم يعبر عن نفسه بلفظ الجمع تعظيما له ﴿قوله نبت كل صنف من النبات﴾ النبت والنبات ما يخرج من الارض من الناميات سواء كان له ساق كالشجر او لم يكن له ساق كالنجم والمعنى اخرجنا نبات كل صنف كنبات الحنطة والشعير والرمان والتفاح وغيرها قال الفراء قوله تعالى فأخرجنا به نبات كل شئ يقتضى ان يكون لكل شئ نبات وليس الامر كذلك فالمراد فأخرجنا به نبات كل شئ له نبات فما لا يكون له نبات لا يكون داخلا فى قوله كل شئ والمصنف افاد ما قاله الفراء بقوله كل صنف من النبات ﴿قوله الانواع المفتنة﴾ اى المتنوّعة بمعنى المختلفة من الفنّ وهو النوع يقال افتنّ الرجل فى حديثه وفى خطبته اذا جاء بالافانين اى بالاساليب التى هى اجناس الكلام وطرقه ﴿قوله وهو الخارج من الحبة المتشعب﴾ اى الشئ الاخضر الخارج من النبات هو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة يعنى اغصان الشجر وشعب النجم ثم انه تعالى يخرج من ذلك الخضر المتشعب حبا متراكبا بعضه فوق بعض مثل سنابل البرّ والشعير ونحوهما وجملة نخرج منه حبا صفة لخضرا والجمهور على ان نخرج مسندا الى ضمير المعظم نفسه وقرأ ابن محيصن والاعمش يخرج بياء الغيبة مبنيا للمفعول وحب قائم مقام فاعله والجملة صفة خضرا كما فى قراءة الجمهور ﴿قوله اى واخرجنا من النخل نخلا﴾ علقه بفعل مقدر ليكون من طلعها قنوان جملة اسمية قدّم فيها الخبر على المبتدأ وهذه الجملة فى محل النصب على انها صفة لمحذوف وهو مفعول الفعل المقدر والمعنى واخرجنا نخلا من جنس النخل موصوفة بانها مخرجة من طلعها قنوان وهذه الجملة الفعلية معطوفة على الفعلية التى قبلها وقوله ومن النخل اى من النخل شئ من طلعها قنوان على ان من النخل خبر مبتدأ محذوف ومن طلعها قنوان جملة اسمية مرفوعة المحل على انها صفة لذلك المحذوف والجملة الاسمية الكبرى معطوفة على الفعلية قبلها كما اذا كان من النخل خبرا مقدما ومن طلعها بدلا منه بدل البعض من الكل باعادة العامل كما فى قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله وقنوان مبتدأ مؤخر * والاعذاق جمع عذق

(قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر (وهو الذى انزل من السماء ماء) من السحاب او من جانب السماء (فأخرجنا) على تلوين الخطاب (به) بالماء (نبات كل شئ) نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المفتنة المسقية بماء واحد كما فى قوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل (فأخرجنا منه) من النبات او الماء (خضرا) شيأ اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل (ومن النخل من طلعها قنوان) اى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع

بالكسر ويقال له القنو والكباسة ايضا وهو للتمر بمنزلة العنقود للعنب والطلع اوّل ما يرى من عذق النخلة الواحدة طلعة عن ابي عبيد انه قال اطلعت النخل اذا خرج طلعهـا وهو كفرّاها قبل ان ينشق عن الاغريض قال الاصمعي الكافر والكفرّى وعاء طلع النخل كذا في الصحاح ﴿ قوله وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها ﴾ اى اقتصر على ذكر قنوان دانية ولم يعطف عليها مايقابلها بأن يقال ومنها قنوان بعيدة لان ذكر احد المتقابلين يدل على الآخر كما قيل سرابيل تقيكم الحرّ ولم يقل وسرابيل تقيكم البرد لان ذكر احد الضدّين يدل على الثاني فكذا ههنا وايضا ذكر القريبة وترك البعيدة لان النعمة في القريبة اكمل واكثر ﴿ قوله ولا يجوز عطفه على قنوان ﴾ اى من نبات اعناب على حذف المضاف لان البستان لايكون من العنب نفسه بل من النبات والاشجار لان المعنى يصير حينئذ وحاصلة او مخرجة من طلع النخل قنوان وجنات من اعناب وفساده ظاهر وقوله تعالى والزيتون والرمان لم يقرأهما احد الا منصوبين وجعل المصنف انتصابهما وانتصاب جنات بالعطف على نبات كل شئ والاقرب لفظا ومعنى ان يجعل جنات عطفا على خضرا لان اخراج الجنات بعد اخراج النبات كما ان اخراج الخضر بعده وان يجعل الزيتون والرمان معطوفين على حبا لانهما مخرجان في الطور الثالث كما ان حبا مخرج فيه لكن لم يذهب الى هذا اما في عطف الجنات فلانه فسر اخراج الخضر من النبات بتشعبه من اصله واخراج الجنات ليس كذلك واما في عطف الزيتون والرمان فلانهما وان كانا مخرجين من الخضر المتشعب من اصل النبات الا ان ما ذكر من مرتبة الاخراج لما لم يعتبر في الجنات لم يعتبر فيهما ايضا بل جعل كلا المعطوفين معطوفا على نبات كل شئ على طريق عطف الخاص على العام تشريفا لهذين المعطوفين على غيرهما وجعل الجميع مخرجا بسبب الماء لان كثرة صنوف المسببات واقترانها مع وحدة السبب وهو الماء أدخل في مقصود المقام وهو بيان كمال قدرة الله تعالى وحكمته ﴿ قوله لعزة هذين الصنفين عندهم ﴾ يعني ان الظاهر جرّهما بالعطف على اعناب لكون الجميع من جملة ثمار الجنات فلما عدل الى نصبهما احتجنا الى ان نطلب فيه نكتة فلم نجد سوى نكتة قصد الاختصاص والتنبيه على تمييز هذين الصنفين وشرفهما من بين ثمار الجنات ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم ﴾ وقرأ ابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم بتخفيف ميم ثمر كقولهم رسل ورسل والباقون بفتح الثاء والميم على انه جمع ثمرة نحو بقر وبقرة وشجر وشجرة * والينع النضج يقال ينع يينع بفتح العين في الماضي وكسرها في الغابر ويقال ايضا ينعت الثمرة تينع ينعا وينعا من باب علم والفتح لغة الحجاز والضم لغة بعض نجد واينعت تونع ايناعا ثلاثيا ورباعيا كلاهما بمعنى والنعت يانع ومونع وقوله اذا اثمر ظرف لقوله انظروا امر بالنظر في اوّل حال حدوث الثمرة وفي حال كمال نضجها مع كونها نابتة من ارض واحدة ومسقية بماء واحد ليعلم انها كيف تتبدّل وتنتقل الى احوال مضادّة للاحوال السابقة وحصول هذه التغيرات لابدّ له من سبب وليس من تأثير الطبائع والفصول والانجم والافلاك لان نسبتها الى جميع هذه الاجسام النباتية متساوية متشابهة والنسب المتشابهة لا يمكن ان تكون اسبابا لحدوث الحوادث المختلفة ولما بطل اسناد هذه الحوادث المختلفة اليها تعين كونها مسندة الى القادر العليم الحكيم المدبر لهذا العالم على وفق الرحمة والحكمة والمصلحة ولا ينتفع بهذه الدلائل الواضحة الا المؤمنون لان ذات الدليل لا يوجب العلم وانما يحصل العلم بشرط التفكر والتأمل فيه كما ينبغي مع ارتفاع ما يمنع عن قبول الحق واتباعه قال القرطبي هذا الينع هو الذي يتوقف عليه جواز بيع الثمرة وهو ان يطيب اكل الفاكهة ويؤمن عليها من العاهة عند طلوع الثريا بما اجرى الله تعالى عادته عليه روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «اذا طلعت الثريا صباحا رفعت العاهة عن اهل البلد» وطلوعها صباحا لاثنتي عشرة ليلة تمضي من شهر ايار وهو آخر الشهور الثلاثة وهي أذار ونيسان وأيار من اوّل فصل الربيع ﴿ قوله اى الملائكة ﴾ قد مرّ أن من المشركين طائفة يعبدون الكواكب ويعبدون الاصنام على زعم انها صور الكواكب وهؤلاء هم الذين ناظرهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله لا احب الآفلين وبقي من المشركين ثلاث طوائف منهم من يعبد الملائكة قائلين بانهم بنات الله ومدبرون احوال هذا العالم ومنهم من يقول للعالم آلهان احدهما يفعل الخير وهو خالق النور والناس والدواب والانعام وجميع ماله نفع وخير ويسمونه يزدان وثانيهما يفعل الشر وهو خالق الظلمة والحيات والعقارب وجميع ماله ضرر وفساد ويسمونه اهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا وقالوا انه شريك لله تعالى في تدبير هذا العالم خيراته من الله تعالى وشروره من ابليس ومنهم من يشرك بالله تعالى بأن يعبد النار او بأن يقول عزير ابن الله او المسيح ابن الله ونحو ذلك من طرق الكفر

(دانية) قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرهـا عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها (وجنات من اعناب) عطف على نبات كل شئ وقرئ بالرفع على الابتداء اى ولكم او وثم جنات او ومن الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لايخرج من النخل (والزيتون والرمان) ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم (مشتبها وغير متشابه) حال من الرمان او من الجميع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر والطعم واللون (انظروا الى ثمره) اى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب (اذا اثمر) اذا اخرج ثمره كيف ثمر ضئيلا لايكاد ينتفع به (وينعه) والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود ضخيما ذانفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه (ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فانّ حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لايكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ندّ يعارضه او ضدّ يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والردّ عليه فقال (وجعلوا لله شركاء الجنّ) اى الملائكة بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم

ووجوهه بأن سوّل لهم الشيطان ذلك ودعاهم اليه فاطاعوه فيما دعاهم اليه وقبلوا ذلك منه كما يقبل المؤمن حكم الله تعالى ويطيعه فيما امر به فكان ذلك القبول والاطاعة منهم بمنزلة عبادة الشياطين وجعلهم الشياطين شركاء لله فيمكن ان يحمل لفظ الجنّ فى قوله تعالى شركاء الجنّ على كل واحد من الملائكة والشياطين الذين دعوهم الى طرق الكفر والضلال وابليس الذى يسمونه اهرمن فلذلك جوّز المصنف حمله على كل واحد منهما حيث قال اى الملائكة او الشياطين الذين اطاعوهم وقالوا الشيطان خالق الشرّ وكل ضارّ فان * قيل من قال خالق الشرّ هو ابليس اثبت لله تعالى شريكا واحدا هو ابليس فكيف يصح ان يقول فى حقهم انهم جعلوا لله شركاء اجيب بانهم يقولون عسكر الله هم الملائكة وعسكر ابليس هم الشياطين والملائكة جماعة عظيمة وارواح طاهرة مقدّسة يلهمون الارواح البشرية الخيرات والطاعات والشياطين طائفة كثيرة تلقى الوساوس الباطلة الى النفوس البشرية والله تعالى مع عسكره من الملائكة يحاربون ابليس مع عسكره من الشياطين فلذلك حكى الله تعالى عنهم أنهم اثبتوا لله شركاء الجنّ **قوله ومفعولا جعلوا لله شركاء** على ان يكون شركاء مفعولا اوّلا ولله متعلقا بمحذوف هو المفعول الثانى والجنّ بدل من شركاء مفسر له فان البدل قد يقصد به تفسير المبدل منه * فان قلت كيف يجوز ان يكون الجنّ بدلا من شركاء وشرط البدل ان يصح حلوله محل المبدل منه ولا يصح ذلك هنا فانه لا يصح ان يقال وجعلوا لله الجنّ * والجواب لا نسلم انه يجب فى كل بدل ان يصح حلوله محل المبدل منه الا ترى انه يصح ان يقال زيد مررت به ابى عبدالله ولو قلت زيد مررت بابى عبدالله لم يجز لعدم العائد الى المبتدأ **قوله او شركاء الجنّ** اى ويجوز ان يكون الجنّ هو المفعول الاوّل وشركاء مفعولا ثانيا ولو جعل الجنّ عطف بيان لما ورد السؤال والجواب قدم على المفعول الاوّل اهتماما بشان المقدم فان المقصود بالاستعظام هو نفس اتخاذ الشريك لله تعالى سوآء كان ذلك الشريك انسيا او جنيا او ملكا لا اتخاذ الجنّ شريكا ولهذا الاهتمام ايضا قدم لله على متعلقه وهو شركاء والحاصل ان التركيب فيه تقديمان نكتة كل واحد منهما الاهتمام بشأن المقدم **قوله او حال منه** عطف على قوله متعلق بشركاء اى بعد ان كان شركاء الجنّ مفعولين جاز ان يكون لله متعلقا بمحذوف على انه حال من شركاء لانه لو تأخر عنها جاز أن يكون صفة لها والمعنى جعلوا الجنّ شركاء فى حال كونهم مملوكين لله **قوله وقرئ الجنّ بالرفع** يعنى ان الجمهور على نصب الجنّ وقرئ بالرفع على تقدير هم الجنّ جوابا لمن قال من هم وقرئ بالجرّ ايضا على الاضافة البيانية والمعنى وجعلوا شركاء الجنّ لله **قوله وقد علموا ان الله خالقهم** اى خالق الجاعلين بان خلقهم منفردا بذلك من غير مشارك له فى خلقهم فكيف يشركون به غيره ممن لا تاثير له فى خلقهم قدر العلم لان المقصود من الآية وهو التوبيخ والانكار على اشراكهم الجنّ لله تعالى انما يتحقق على تقدير ان يكونوا عالمين بخالقهم وبعدم مدخلية الجنّ فى الخلق اصلا ويحتمل ان يكون ضمير خلقهم للجنّ اى والحال انه تعالى خلق الجنّ فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له فعلى الاوّل معناه جعلوا غير من خلقهم شريكا لخالقهم وعلى الثانى جعلوا المخلوق شريكا لخالقه والجمهور على خلقهم بفتح اللام فعلا ماضيا وقرئ خلقهم بسكون اللام على انه مصدر بمعنى مخلوقهم فيكون عطفا على الجنّ اى وجعلوا الجنّ وما يخلقونه وينحتونه من الاصنام شركاء لله او على انه مصدر بمعنى اختلاقهم اى افتعالهم وكذبهم فيكون عطفا على شركاء وهو مفعول اوّل والجنّ بدل منه ولله هو المفعول الثانى قدم على الاوّل اى جعلوا الجنّ واباطيلهم التى افتعلوها شركاء لله تعالى حيث اثبتوا له تعالى شركاء ونسبوا اليه قبائحهم بأن قالوا والله أمرنا بها قرأ الجمهور وخرقوا بالخاء المعجمة وتخفيف الرآء اى افتعلوا وافتروا قال الفرآء خلقوا واختلقوا وخرقوا واخرقوا وافتروا وخرصوا بمعنى كذبوا كان الرجل اذا كذب كذبة فى نادى القوم يقول له اهل المجلس قد خرقتها والله وقرئ حرفوا بالحاء المهملة والفاء وتخفيف الرآء كذا فى اللباب بمعنى زوّروا له اولادا بنين وبنات لان المزوّر محروف ومغير من الحق الى الباطل **قوله من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها** اى بديع سمواته اى مكوّنة من غير سبق مثال كما يقال فلان بديع الشعر اى بديع شعره والابداع عبارة عن تكوين الشئ من غير سبق مثال او من قبيل اضافتها الى الظرف كقولهم ثبت الغدر اى ثابت فيه والغدر الموضع الخشن الكثير الحجارة وفيه شقوق لا يأمن من مشى فيه من العثار والسقوط يقال فرس ثبت الغدر اذا كان مأمونا من الهفوة والزلة ورجل ثبت الغدر اى ثابت فى القتال والجدال فى موضع الزلل والخصومة **قوله بمعنى انه عديم النظير فيهما** اشارة الى ان الظرفية لا تنافى تنزهه تعالى عن المكان والجهة بناء على ان المقصود من الاضافة الى الظرف بيان انه

او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشرّ وكل ضارّ كما هو رأى الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجنّ بدل من شركاء او شركاء الجنّ ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجنّ بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجنّ وبالجرّ على الاضافة للتبيين (وخلقهم) حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجنّ وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجنّ اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه (وخرقوا له) افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الرآء للتكثير وقرئ وحرفوا اى وزوّروا (بنين وبنات) فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله (بغير علم) من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو فى موضع الحال من الواو او المصدر اى خرقا بغير علم (سبحانه وتعالى عما يصفون) وهو ان له شريكا او ولدا (بديع السموات والارض) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه

تعالى بديع منزه عن المثل و النظير فيما ينتهي اليه عقل البشر من السموات و الارض و هو لا يستدعي ان يكون نفسه تعالى مستقرا فيهما ﴿قوله من اين او كيف يكون له ولد﴾ يعني ان قوله أنى بمعنى كيف او من اين والظاهر ان يكون تامة اى كيف يوجد له ولد و اسباب الولادة منتفية و يحتمل ان تكون ناقصة و ولد اسمها و انى خبرها وله في محل النصب على الحال من ولد و قوله ولم تكن له صاحبة حال من مضمون الجملة المتقدمة اى كيف يوجد له ولد و الحال انه لم تكن له زوجة و قد علم ان الولد انما يكون من بين ذكر و انثى كما فى قوله * لقد ولد الاخيطل ام سوء * تصغير اخطل ﴿قوله و قرئ بالياء﴾ اى التحتانية مع كون الفعل مسندا الى صاحبة اقامة للفصل مقام علامة التأنيث او على ان لا يكون الفعل مسندا الى صاحبة بل يكون اسم يكن مستترا فيه راجعا الى اسم الله و يكون له خبرا مقدما و صاحبة مبتدأ مؤخر و الجملة خبر يكن او يكون الضمير المستتر فيه ضمير الشأن و له صاحبة جملة اسمية مفسرة لضمير الشأن و قوله تعالى و خلق كل شئ جملة اخبارية مستأنفة سيقت لبيان انه تعالى خالق لكل الممكنات قادر على كل المحدثات اذا اراد احداث شئ قال له كن فيكون و من هذا شأنه امتنع منه احداث شخص بطريق الولادة و لما توقف الخلق على العلم اخبر بانه تعالى علمه محيط بجميع المعلومات فهو غنى مطلق عن جميع ما سواه فكيف يتخذ صاحبة او ولدا مع ان التوالد انما يكون بين الاشخاص التى يتطرق اليها الفناء لابقاء النوع و الذى يكون باقيا بشخصه لا يحتاج الى التوليد الذى يقصد به بقاء النوع ﴿قوله و انما لم يقل به﴾ مع ان الظاهر ان المقام مقام الاضمار لتقدم ذكر المعبر عنه الا انه عدل الى الاظهار لان الشئ المذكور اولا هو الممكن لان الواجب و الممتنع ليسا بمخلوقين فلو قيل و هو به عليم لفهم ان علمه محيط بالممكنات مع انه تعالى عالم بجميع ما يصح ان يعلم و يخبر عنه سواء كان واجبا او ممكنا او ممتنعا فاعيد لفظ بكل شئ صريحا ليصح حمله على معنى يعم جميع الاشياء الخارجية و الذهنية و هذا مخالف لما ذكره المصنف فى تفسير قوله تعالى فى اوائل سورة البقرة ان الله على كل شئ قدير من ان الشئ فى الاصل مصدر شاء اطلق تارة بمعنى شائى فيتناول البارى تعالى و بمعنى مشئ وجوده اخرى فلا يتناول الا ما وجد فى احد الازمنة لان ما شاء الله وجوده فهو موجود فى الجملة و على التقديرين فالشئ يختص بالموجود و لا يتناول الممتنع الا عند المعتزلة فانهم يفسرون الشئ بما يصح ان يعلم و يخبر عنه فيتناول الممتنع ايضا ﴿قوله و فى الآية استدلال على نفى الولد﴾ ابطال لقول من اخترق له بنين و بنات تقرير الوجه الاول انه تعالى بديع السموات و الارض و هما مع كونهما من جنس الاجسام التى يصح ان توصف بكونها والدا اذا لم يكن لهما ولد لاستمرارهما و طول مدتهما فبدعهما اولى بأن يتعالى عن ان يتخذ ولدا و تقرير الوجهين الآخرين ظاهر و قال الامام فى وجه الاستدلال بهذه الآية على بطلان قول من زعم ان الملائكة بنات الله و عيسى ابن الله ان قولهم بانه تعالى والد لهؤلاء لا يخلو اما ان يكون مبنيا على انه تعالى ابدعها من غير تقدم نطفة و والد او على ان يكون والدا لها على طريق كون الانسان والدا لاولاده فان بنوا قولهم ذلك على كونه تعالى مبدعا لعيسى و للملائكة من غير سبق اب و نطفة لزمهم ان يقولوا بانه تعالى والد للسموات و الارض لكونه تعالى مبدعا لهما من غير سبق و كونه تعالى والدا لهما محال لم يقل به احد و ان بنوه على تحقق الولادة المعهودة بينه تعالى و بين هؤلاء توجه عليهم ان يقال انى يكون له ولد و لم تكن له صاحبة و ان الولد كفؤ لوالده و لا مماثلة بين الخالق و المخلوق و لا بين من احاط بكل شئ علما و من لا يكون كذلك ﴿قوله و استدل به المعتزلة على امتناع الرؤية﴾ وجه الاستدلال ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية فقوله لا تدركه الابصار يقتضى ان لا يراه شئ من الابصار فى شئ من الاحوال بدليل صحة استثناء جميع الاشخاص فى جميع الاحوال منه بأن يقال لا تدركه الابصار الا بصر كذا و الا فى الحالة الفلانية و صحة الاستثناء من جملة دلائل عموم المستثنى منه فثبت ان عموم الآية يفيد عموم النفى لكل الاشخاص فى جميع الاحوال و اجاب اهل السنة عن هذا الاستدلال بأن الرؤية جنس تحتها نوعان رؤية مع الاحاطة و رؤية لامع الاحاطة فالتى تسمى بالادراك منهما هى الرؤية مع الاحاطة و هى المنفية بهذه الآية و نفى احد نوعى الجنس لا يوجب نفى الجنس رأسا فلم تكن الآية دليلا على نفى الرؤية مطلقا فيجوز ان يراه المؤمنون يوم القيامة سلمنا ان الادراك هو الرؤية مطلقا سواء كانت مع الاحاطة او لامع الاحاطة لكن لا نسلم دلالة الآية على انتفائها فى جميع الاوقات لان نفيها ذكر مطلقا و لم يقيد بجميع الاوقات فيحمل على النفى فى بعض الاوقات جمعا بين هذه الآية و بين النصوص الواردة و قد روى فى تفسير الآية لا تدركه الابصار فى الدنيا و هو يرى فى الآخرة

و رفعه على الخبر و المبتدأ محذوف او على الابتداء و خبره (انى يكون له ولد) اى من أين او كيف يكون له ولد (و لم تكن له صاحبة) يكون منها الولد و قرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشأن (و خلق كل شئ و هو بكل شئ عليم) لا يخفى عليه خافية و انما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول و فى الآية استدلال على نفى الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات و الارضون و هى مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها و طول مدتها فهو اولى بأن يتعالى عنها و الثانى ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر و انثى متجانسين و الله تعالى منزه عن المجانسة و الثالث ان الولد كفؤ الوالد و لا كفؤ له بوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه و الثانى انه لذاته عالم بكل المعلومات و لا كذلك غيره بالاجماع (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات و هو مبتدأ (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ) أخبار مترادفة و يجوز ان يكون البعض بدلا او صفة و البعض خبرا (فاعبدوه) حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة (و هو على كل شئ وكيل) اى و هو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه و توسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم و رقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها (لا تدركه) اى لا تحيط به (الابصار) جمع بصر و هو حاسة النظر و قد يقال للعين من حيث انها محلها و استدل به المعتزلة على امتناع الرؤية و هو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية و لا النفى فى الآية عاما فى الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات و لا فى الاشخاص فانه فى قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفى لا يجب الامتناع

«قوله يحيط علمه بها» قيل الانسب بالمقام انه علم بطريق الرؤية ويجوز تعميمه ايضا «قوله فيدرك مالاتدركه الابصار كالابصار» هذه الجملة سيقت لوصفه تعالى بماتضمن تعليل قوله وهو يدرك الابصار فقط على هذا الوجه ثم ان المراد بالابصار هنا النور الذى يدرك به المبصرات فانه لايدركه مدرك بخلاف جرم العين فانه يرى او يقال المراد ان كل عين لاترى نفسها ووقع فى نسخة بدل كالابصار بالابصار على صيغة المصدر «قوله ويجوز ان يكون من باب الف الخ» فان اللطيف يناسب كونه غير مدرك بالفتح والخبير يناسب كونه مدركا بالكسر وبقوله فيكون مستعارا من مقابل الكثيف اندفع ماقيل ان المناسب لعدم الادراك اللطيف المشتق من اللطافة وهو ليس بمراد هنا واما اللطيف المشتق من اللطف بمعنى الرأفة فلا يظهر له مناسبة هنا وفى شرح الاسماء الحسنى لمحمد البهائى اللطيف الذى يعامل عباده باللطف والطافه لاتتناهى ظواهرها وبواطنها فى الاولى والآخرة وان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها والله لطيف بعباده يرزق من يشاء هيأ مصالح الناس من حيث لايشعرون واخفى لهم لطفه من حيث لايعلمون وقيل اللطيف العليم بالغوامض والدقائق من المعانى والحقائق ولذا يقال للحاذق فى صنعته لطيف ويحتمل ان يكون من اللطافة المقابلة للكثافة وهو وان كان فى ظاهر الاستعمال من اوصاف الجسم لكن اللطافة المطلقة لاتوجد فى الجسم لان الجسمية يلزمها الكثافة وانما لطافتها بالاضافة فاللطافة المطلقة لايبعد ان يوصف بها النور المطلق الذى يجل عن ادراك البصائر فضلا عن الابصار ويعز عن شعور الاسرار فضلا عن الافكار ويتعالى عن مشابهة الصور والامثال ويتنزه عن حلول الالوان والاشكال فان كمال اللطافة انما يكون لمن هذا شأنه ووصف الغير بها لايكون على الاطلاق بل بالقياس الى ماهو دونه فى اللطافة ويوصف بالنسبة اليه بالكثافة انتهى وهذا يقتضى انه حقيقة فيه تعالى فتأمله والخبير للمبالغة فيه فيكون علة والمقام وان اقتضى ترك العطف لكن المقصود به اثبات هذه الاوصاف والتعليل الذى اشار اليه المصنف رحمه الله ضمنى وقوله لما لايدرك بالحاسة اى ليس شأنه ذلك فلا يقال اذا كان اللطيف بمعنى مالاتدركه الابصار كيف يعلل الشئ بنفسه فلا يرد هذا كما توهم وقوله لاينطبع فيها اى لاينطبع ويرتسم مثاله فيها والا فالشئ نفسه لاينطبع ففيه تسمح وهذا احد المذاهب فى كيفية الرؤية وتحقيقه فى كتب الحكمة والكلام وقوله وهى للنفس الخ المعروف انها القلب كالبصر للعين وقوله تجلى بمعنى تظهر وتكشف وقوله الدلالة بجمعه باعتبار انواعه وقيل المراد آيات القرآن «قوله فلنفسه ابصر» قدره غيره فلنفسه الابصار وقدره ابو حيان فيما بقوله فالابصار لنفسه اى نفعه وثمرته ومن عمى فعليها اى فالعمى عليها اى فجدوى العمى عائد على نفسه والابصار والعمى كنايتان عن الهدى والضلال قال وهذا الذى قدرناه من المصدر وهو الابصار والعمى اولى لوجهين احدهما ان المحذوف يكون مفردا لاجملة ويكون الجار والمجرور عمدة لافضلة وفى تقدير غيره المحذوف جملة والجار والمجرور فضلة ولانه لوكان المقدر فعلا لم تدخله الفاء سوآء كانت شرطية او موصولة مشبهة بالشرط لان الفعل الماضى اذ لم يكن دعاء ولاجامدا ووقع جواب شرط او خبر مبتدأ مشبه باسم الشرط لم تدخل الفاء فى جواب الشرط ولافى خبر المبتدأ فلو قلت من جاءنى فاكرمته لم يجز بخلاف تقديرنا وهو غير وارد لانه ليس كالمثال الذى ذكره بل مثاله من جاءنى فلا كرامه جاء اذ تقدم فيه الجار والمجرور لافادة الحصر والجار والمجرور اذا تقدم على الماضى جاز اقترانه بالفاء بل قيل انها لازمة له كما صرح به الرضى والمعرب السفاقسى ففى هذه المسئلة ثلاثة مذاهب المنع وهو مختار ابى حيان والجواز واللزوم وهو مختار غيره وفى الدر المصون ان هذا التقدير سبق الزمخشرى اليه غيره من السلف كالكلبى وقوله فعليها وباله لم يقدر فعليها عمى كما قدره الزمخشرى لان عمى لم يعهد تعديه بعلى بخلاف ماقدره فانه لايحتاج الى تكلف تأويل وقيل انه قدر فى احداهما الفعل وفى الاخرى الاسم اشارة الى جواز كل من المسلكين والمراد بالعمى والبصر الهدى والضلال كما اشار اليه المصنف رحمه الله ومن هذا عرفت ان الظرف المقدر متعلقه فعلا يقع جواب الشرط مع الفاء او بدونها كما يؤخذ من كلام الزجاج وقد ردّ فى المغنى وليس بصواب كما ستراه «قوله والله هو الحفيظ» الحصر مستفاد من تقديم المسند اليه على ماعرف من مذهب الزمخشرى من عدم اشتراط الخبر الفعلى وقوله وهذا الخ يعنى قد جاءكم بصائر الى هنا كما صرح به فى الكشاف لاقوله وما انا عليكم بحفيظ فقط كما قيل وعلى هذا فقل مقدرة كما صرح به شرّاح الكشاف واما ماقيل الورود على لسانه لايقتضى هذا التقدير فان منشئ القصيدة على لسان غيره لايضمر القول فخيل فاسد وانما نظيره ماذا وصف متكلم نفسه ثم ذكر مالايصح اسناده اليه فانه لابدّ من تقدير

(وهو يدرك الابصار) يحيط علمه بها (وهو اللطيف الخبير) فيدرك مالاتدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب الف اى لاتدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لايدرك بالحاسة ولاينطبع فيها (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصائر جمع البصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلى لها الحق وتبصرها به (فمن ابصر) اى ابصر الحق وآمن به (فلنفسه) ابصر لان نفعه لها (ومن عمى) عن الحق وضل (فعليها) وباله (وما انا عليكم بحفيظ) وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم (وكذلك نصرّف الآيات) ومثل ذلك التصريف نصرّف وهو اجرآء المعنى الدآئر فى المعانى المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال

الحكاية والافسد كلامه واختل نظامه و قوله و مثل ذلك قدمر شرحه ﴿قوله وليقولوا الخ﴾ قدر صرّفنا ماضيا والزمخشري قدره مضارعا متأخرا قيل لقصد التخصيص و فيه نظر و اللام لام العاقبة و هو مجاز منقول من التعليل و لذا عطف عليه الغرض و جوّز ان يكون على الحقيقة ابو البقاء و غيره لان نزول الآيات لاضلال الاشقياء و هداية السعداء قال تعالى يضل به كثيرا و يهدي به كثيرا و يجوز ان يكون التقدير لينكروا و ليقولوا الخ و قيل هذه اللام للامر و يؤيده انه قرئ بسكونها كأنه قيل و كذلك نصرّف الآيات و ليقولوا هم مايقولون فانهم لا احتفال لهم و لا اعتداد بقولهم و هذا امر معناه الوعيد و التهديد و عدم الاكتراث بقولهم و في الدرّ المصون فيه نظر لان المعنى على ماقالوه و ايضا فان قوله و لنبينه نص في ان اللام لام كي و اما تسكين اللام في القرآءة الشاذة فلا دليل فيها لاحتمال انها خففت لاجرآئها مجرى كبد و كونها معترضة و لنبينه متعلق بمقدر معطوف على ماقبله و ان صححه لايخرجه عن كونه خلاف الظاهر و عبارة الزمخشري هنا و ليقولوا جوابه محذوف تقديره و ليقولوا درست نصرّفها و مراده بالجواب المتعلق و هو اصطلاح منه وقع في مواضع من كتابه قال المعرب سماه جوابا لانه يقع جوابا لسائل الذي يقول اين متعلق هذا الجار فلا يرد عليه ماقاله ابو حيان و لكونه خلاف الظاهر عدل عنه المصنف رحمه الله ﴿قوله درست من الدروس الخ﴾ فيه قرآءت ثلاث متواترة و ماعداها شاذة فقرأ ابن عامر درست كضربت و ابن كثير و ابو عمرو دارست كقاتلت و الباقون درست انت كضربت و معنى الاولى قدمت و تكررت على الاسماع كقوله اساطير الاوّلين و معنى الثانية دارست يامحمد غيرك ممن يعلم الاخبار الماضية كقوله انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه الآية و معنى الثالثة حفظت و اتقنت بالدرس اخبار من مضى كقوله تعالى فهي تملى عليه بكرة و اصيلا و قرئ في الشواذ درست ماضيا مجهولا و فسرت بليت و عفت اي الآيات و اعترض عليه بان درس بمعنى انمحى لازم لم يعرف متعدّيا في اللغة و الاستعمال *ورُدّ بانه ورد متعدّيا قال الزبيدي درس الشيء دروسا عفا و درسته الريح و قال التحرير جاء درس لازما و متعدّيا لمعنيين و قرئ درّست مشددا معلوما و تشديده للتكثير او للتعدية و التقدير درّست غيرك الكتب و قرئ مشددا مجهولا و قرئ دورست على مجهول فاعل و دارست بتاء التأنيث و الضمير للآيات او للجماعة و قرئ درست بضم الراء و الاسناد للآيات مبالغة في محوها او تلاوتها لان فعل المضموم للطبائع و الغرآئز و قرأ ابيّ رضي الله عنه درس و فاعله ضمير النبي صلى الله عليه و سلم او الكتاب ان كان بمعنى انمحى و درسن بنون الاناث مخففا و مشدّدا و قرئ دارسات بمعنى قديمات او بمعنى ذات درس او دروس كعيشة راضية و ارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي دارسات و قرآءة المفاعلة اما على انه بمعنى اصل الفعل او تأويله بمامرّ تحقيقه في قوله تعالى يخادعون الله ﴿قوله اللام على اصله﴾ قال الشريف قدس سره افعاله تعالى يتفرع عليها حكم و مصالح هي ثمراتها و ان لم تكن عللا غائية لها حيث لولاها لم يقدم الفاعل عليها و من اهل السنة من وافق المعتزلة في التعليل و الغرض الراجع منفعته الى العباد و ادّعى انه مذهب الفقهاء و المحدّثين اذا عرفت هذا فاعلم ان حقيقة التعليل عند اهل السنة بيان مايدل على المصلحة المترتبة على الفعل و اما تفسيرها بالباعث الذي لولاه لم يقدم الفاعل على الفعل فهو من تحقيقات المتكلمين لاتعلق له باللغة و اما عند اهل اللغة فهو حقيقة في ذلك مطلقا و الفرق بينها و بين لام العاقبة ان لام العاقبة ماتدخل على مايترتب على الفعل و ليس مصلحة فيه خلاف تقدّم شرحه فما قيل ان اللامات الداخلة على فوآئد افعاله المسماة بالحكم و المصالح استعارات تبعية فلاتكون اللام فيها على اصلها الا على رأي من يجوّز ان تكون افعاله معللة بالاغراض و لايقول به المصنف رحمه الله مردودا بما سمعت آنفا و قوله باعتبار المعنى يعني التأويل بالكتاب او القرآن و المراد بالمصدر التبيين او التصريف كما قيل فهو مفعول مطلق على الاوّل و قوله فانهم المنتفعون به بيان لوجه تخصيصهم بذلك و جعل ماسواهم كالعدم و جعل الجملة المعترضة بين المعطوف و المعطوف عليه تأكيدا يفيد تقوية الكلام صرّح به الزمخشري في مواضع من كتابه فلاعبرة بمن انكره و قوله اكّد به ايجاب الاتباع لان من هذا وصفه يجب اتباعه ﴿قوله او حال مؤكدة﴾ قسم ابن مالك في التسهيل الحال المؤكدة الى مؤكدة لعاملها نحو ولى مدبرا و لاتعثوا في الارض مفسدين و مؤكدة لغيره في بيان فخر او تعظيم او نحوه و يجب ان يتقدّم عليها جملة اسمية و يحذف عاملها وجوبا فمن قال كونها واقعة بعد الجملة الاسمية شرط لوجوب حذف عاملها الا لصحتها كقوله و لاتعثوا في الارض مفسدين فقد خلط بين معنى الحال و قسميها و معنى لاتحتفل لاتعتدّ بها و لاتبال و قوله و لاتلتفت تفسير له و أوّله بهذا لانه لابدّ له من التبليغ و القتال الا ان يكون

﴿وليقولوا درست﴾ اي وليقولوا درست صرّفنا و اللام لام العاقبة و الدرس القرآءة و التعلم و قرأ ابن كثير و ابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب و ذاكرتهم و ابن عامر و يعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الايات و عفت كقولهم اساطير الاوّلين و قرئ درست بضم الرآء مبالغة في درست و درست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفت و دارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا و جاز اضمارهم بلاذكر لشهرتهم بالدراسة و درسن اي عفون و درس اي درس محمد و دارسات اي قديمات او ذات درس كقوله في عيشة راضية ﴿ولنبينه﴾ اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف و الضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن و ان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر ﴿لقوم يعلمون﴾ فانهم المنتفعون به ﴿اتبع ما اوحي اليك من ربك﴾ بالتدين به ﴿لااله الا هو﴾ اعتراض اكّد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية ﴿و اعرض عن المشركين﴾ و لاتحتفل بأهوآئهم و لاتلتفت الى آرآئهم و من جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على مايعم الكف عنهم

قبل الامر بالقتال ثم نسخ بآية السيف في سورة برآءة فيكون حينئذ على عمومه وقوله وهو دليل الخ رد على المعتزلة كما مرّ والزمخشري فسره بمشيئة اكراه وقسر لان عندهم مشيئة الاختيار حاصلة البتة قال النحرير وهذه عكازته في دفع مذهب اهل السنة من ان الله تعالى لم يشأ ايمان الكافر ولا طاعة العاصي تمسكا بامثال هذه الآيات

قوله اى ولا تذكروا آلهتهم الخ هذا امالان الذين يدعون عبارة عن الآلهة والعائد مقدر والتعبير بالذين على زعمهم انهم من اولى العلم او بناء على ان سب آلهتهم سب لهم كما يقال ضرب الدابة صفع لراكبها او على تغليب العقلاء منهم كالمسيح صلى الله عليه وسلم وعزير ثم انه في الكشاف ذكر في سبب النزول وجهين الاول انهم قالوا عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهينّ عن سب آلهتنا او لنهجونّ الهك والثاني ان المسلمين كانوا يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله * واورد على الاول ان وصف آلهتهم بانها حصب جهنم وبانها لا تضر ولا تنفع سب لها فكيف نهى عنه بقوله ولا تسبوا الخ * واجيب بانهم اذا قصدوا بالتلاوة سبهم وغيظهم يستقيم النهي عنها ولا بدع فيه كما ينهى عن التلاوة في المواضع المكروهة او معناه لا يقع السب منكم بناء على ما ورد في الآية فيصير سببا لسبهم وقيل السب ذكر المساوي لمجرد التحقير والاهانة وذلك انما ورد للاستدلال على عدم صلوحها للالوهية والمعبودية ومثله لا يسمى سبا وفيه نظر وقيل عليه ان سبب النزول على احدى الروايتين وصفه لها بانها حصب جهنم فكيف لا يكون ذلك سبا * فالجواب ان يقال النهي عن السب في الحقيقة انما هو عن اظهاره فانه المؤدى الى سب الله فتأمل

قوله او لنهجونّ الهك فان قيل انهم كانوا يقرّون بالله وعظمته وان آلهتهم انما عبدوها لتكون شفعاء عنده فكيف يسبونه * قلنا لا يفعلون ذلك صريحا بل يفضي كلامهم الى ذلك كشتمهم له ولمن يأمره بذلك مثلا وقد فسر بغير علم بهذا وهو حسن جدّا او ان الغيظ والغضب ربما حملهم على سب الله صريحا الا ترى المسلم قد يحمله شدة غضبه على التكلم بالكفر وعدوا كضربا وعدوّا كعتوّا وعداء كعزاء وعدوان كسبحان مصدر عدا عليه يعنى تعدّى وتجاوز وهو مفعول مطلق لتسبوا من معناه لان السب عدوان او مفعول له او حال مؤكدة مثل بغير علم وقرأ ابن كثير في رواية عنه عدوّا بفتح العين وضم الدال وتشديد الواو على انه حال

قوله وفيه دليل الخ يعنى اذا ادّت الطاعة الى معصية راجحة على معصية ترك الطاعة وكانت سببا لها بخلاف الطاعة في موضع فيه معصية لا يمكن دفعها وكثيرا ما يشتبهان ولذا لم يحضر ابن سيرين جنازة اجتمع فيها الرجال والنساء وخالفه الحسن للفرق بينهما كما في الكشاف وقد علم مما مرّ في تفسير قوله تعالى فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ماهو الصحيح عند الشافعية كما افاده القدسي في الرمز من انه لا يترك ما يطلب لمقارنة بدعة كترك اجابة دعوة لما فيها من الملاهي وصلاة جنازة لنائحة فان قدر على المنع منع والا صبر وهذا اذا لم يكن مقتدى به والا لا يقعد لان فيه شين الدين وما روى عن ابي حنيفة رحمه الله انه ابتلى به قبل صيرورته اماما يقتدى به وقال الامام ابو منصور كيف نهانا الله عن سب من يستحق السب لئلا يسب من لا يستحقه وقد امرنا بقتالهم واذا قاتلناهم قتلونا وقتل المؤمن بغير حق منكر ولذا امر النبي صلى الله عليه وسلم بالتبليغ والتلاوة عليهم وان كانوا يكذبونه * واجاب بأن سب الآلهة مباح غير مفروض وقتالهم فرض وكذا التبليغ وما كان مباحا نهى عما يتولد منه ويحدث وما كان فرضا لا ينهى عما يتولد منه وعلى هذا يقع الفرق لابي حنيفة فيمن قطع يد قاطع قصاصا فمات منه فانه يضمن الدية لان استيفاء حقه مباح فأخذ بالمتولد منه انتهى والامام اذا قطع يد السارق فمات لا يضمن لانه فرض عليه فلم يؤخذ بالمتولد منه انتهى ومنه تعلم ان قوله الطاعة ليس على اطلاقه

قوله من الخير والشر الخ وقوله في الكشاف مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من الكفار سوء عملهم اى خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زينا في زعمهم كقولهم ان الله تعالى امرنا بهذا او زينه لنا يعنى ان ظاهر الآية يقتضى انه تعالى زين للكافر الكفر وعمله القبيح وتزيين القبيح قبيح والله متعال عنه على اصول المعتزلة فلذا اوّل الآية بوجوه رجح منها الوجه الثاني لمناسبته لوصف الكفرة قبله والمصنف رحمه الله تعالى ذكر وجها آخر وترك ما ذكره لعدم الحاجة اليه عندنا ولم يجعل التشبيه فيه من قبيل ضربته كذلك لخفائه قيل ولانه يأباه قوله لكل امة وفيه نظر وقوله والمشبه به بالنصب عطف على اسم ان ويجوز رفعه

قوله مصدر في موقع الحال او حال مؤوّل باسم الفاعل او منصوب بنزع الخافض اى اقسموا بجهد ايمانهم اى او كدها وقد مرّ الكلام عليه في المائدة والتحكم اظهار الحكومة وتكلفها باقتراح الآيات

قوله لئن جاءتهم آية الخ كانزال الملائكة وغير ذلك

(ولو شاء الله) توحيدهم وعدم اشراكهم (ما اشركوا) وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وانّ مراده واجب الوقوع (وما جعلناك عليهم حفيظا) رقيبا (وما انت عليهم بوكيل) تقوم بامورهم (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) اى ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح (فيسبوا الله عدوا) تجاوزا عن الحق الى الباطل (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوّا يقال عدا فلان عدوا وعدوّا وعداء وعدوانا روى انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهينّ عن سب آلهتنا او لنهجونّ الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادّت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدّى الى الشر شرّ (كذلك زينا لكل امة عملهم) من الخير والشرّ باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل او كل بالشرّمة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم (ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون) بالمحاسبة والمجازاة عليه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول عليه الصلاة والسلام في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله) هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء

وفيه اشارة الى ان ماجاءهم ليس بآية عندهم كما يدل عليه قوله واستحقار مارأوا منها فلا حاجة الى التقييد بقوله من مقترحاتهم الا ان يكون لبيان الواقع ﴿قوله وليس شئ منها بقدرتي الخ﴾ في الكشاف انما الآيات عندالله وهو قادر عليها ولكنه لاينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عندالله لاعندي فكيف اجيئكم اليها وآتيكم بها والمصنف رحمه الله اشار الى ان العندية بمعنى كونها مقدورة له تعالى والمقصود من الحصر نفي القدرة عن نفسه ليبين انه لايمكنه ان يجيئهم بها وزاد الزمخشري وجها آخر وهو ان المراد ان الآيات منحصرة في المقدورية لاتتعداها الى النزول بغير حكمة يعني فكيف اجيئكم بها قيل ولم يلتفت اليه المصنف كما قال النحرير ان فائدة الحصر لاتظهر على هذا الوجه ويمكن ان تظهر بانه لاحكمة فيما يطلبونه فلا يمكن ان يجيئهم به وقد جنح الى هذا من قال العندية من حيث القدرة ومن حيثية الاتيان بالمشيئة ان اقتضته الحكمة وقوله ان الآية المقترحة اشارة الى ان الضمير راجع للآية لاللآيات لان عدم ايمانهم عند مجيئ ما اقترحوه ابلغ في توبيخهم قيل ولو جعل الضمير للآيات لكان فيه مزيد مبالغة في بعدهم عن الايمان وبلوغهم في العناد غاية الامكان ولايخفى مافيه الا ان يلاحظ انه باعتبار شمولها للمقترحة وغيرها فتأمل ﴿قوله ومايدريكم استفهام انكار﴾ وهو في المعنى نفي وفي بعض الحواشي ما استفهامية لانافية والايبقى الفعل بلافاعل وفي الدر المصون قيل فاعله ضمير الله اي مايشعركم الله انه اذا جاءت الآيات المقترحة لايؤمنون وهو تكلف بعيد وقال السفاقسي انه غير مستقيم لان الله اعلمهم بانهم لايؤمنون الا ان تجعل مازائدة ﴿قوله انكر السبب مبالغة في نفي المسبب الخ﴾ اشارة الى جواب مايقال انك اذا قيل لك اكرم زيدا يكافئك قلت في انكاره مادراك اني اذا اكرمته يكافئني فان قيل لاتكرمه فانه لايكافئك قلت في انكاره مادراك انه لايكافئني تريد وانا اعلم منه المكافأة فقتضي حسن ظن المؤمنين بهؤلاء المعاندين ان يقال ومايدريكم انها اذا جاءت يؤمنون فاثبات لايعكس المعنى الى ان المعلوم لك الثبوت وانت تنكر على من نفى كذا قرره شراح الكشاف فلذا حمله بعضهم على زيادة لا وبعضهم على ان ان بمعنى لعل وبعضهم على انها جواب قسم بناء على ان في جواب القسم يجوز فتحها والزمخشري وتبعه المصنف ابقى الكلام على ظاهره فقيل في المثال المذكور انك اذا علمت انه لايكافئ واشير عليك باكرامه لظن المشير المكافأة فلك حينئذ معه حالتان حالة ان تنكر عليه ادعاء العلم بما تعلم خلافه وحالة ان تعذره لعدم علمه بما احطت به ففي الحالة الاولى بقوله مايدريك انه يكافئ وفي الثانية بقوله مايدريك انه لايكافئ اي من اين تعلم انت ماعلمته انا من عدم المكافأة وكذلك الآية لاقامة عذر المؤمنين كما يدل عليه مابعده وايضاحه كما قيل انه استفهام في معنى النفي والاخبار عنهم بعدم العلم لا انكار عليهم والمعنى ان الآيات عندالله ينزلها بحسب المصالح وقد علم انهم لايؤمنون ولاينجع ذلك فيهم وانتم لاتدرون مافي الواقع من علمه تعالى فلذا توقعتم ايمانهم والاستفهام الانكاري له معنيان فالانكار ان كان بمعنى لم يقال مايشعركم انها اذا جاءت يؤمنون وبمعنى لايقال لايؤمنون والمراد الثاني بدليل مابعده وفي الكشف انه في الثاني منكر عليهم الاقتراح وهو القول من غير علم وبمعنى مالايعرف حقيقته وهو ابلغ وان كان الثاني اوضح واقرب ومنه يعلم انه يجوز ان يكون الانكار بمعنى لم ايضا فقوله انكر السبب اي الاشعار مبالغة في نفي المسبب اي الشعور وليس معناه انه انكر الدراية بهذا العلم واريد انكار اظهار الحرص اي انتم لاتدرون كما قيل فالمعنى لاتدرون انهم يؤمنون وفي نفي المسبب بهذا الطريق مبالغة ليست في نفيه بدونها لان في الكناية اثبات الشئ ببينة وفيه تعريض بأن الله عالم بعدم ايمانهم على تقدير مجيئ الآية المقترحة لهم وتنبيه على انه تعالى لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لايؤمنون فعدم الانزال لعدم الايمان ﴿قوله ان بمعنى لعل﴾ هذا قول الخليل رحمه الله ويؤيده ان يشعركم ويدريكم بمعنى وكثيرا ماتأتي لعل بعد فعل الدراية نحو ومايدريك لعله يزكى وان في مصحف ابي رضي الله عنه وما ادراك لعلها وقوله كأنه قال ومايشعركم مايكون منهم اشارة الى ان مفعوله محذوف على هذين الوجهين وهو يتعدى الى مفعولين ﴿قوله ثم اخبرهم الخ﴾ ظاهره انه اخبار ابتدائي وجعله ابن الحاجب جواب سؤال وفي الكشف كأنه قيل لم ذلك فقيل لانها اذا جاءت لايؤمنون ولك ان تنبه على قوله ومايشعركم فانه ابرز في معرض المحتمل كأنه سئل عنه سؤال شاك ثم علل بقوله لانها اذا جاءت لايؤمنون جزما بالطرف المخالف وبيانا لكون الاستفهام غير جار على الحقيقة وفيه انكار لتصديق المؤمنين على وجه يتضمن انكار صدق المشركين في المقسم عليه وهذا نوع من السحر البياني لطيف المسلك وعلى كونه خطابا للمؤمنين لايكون داخلا

وليس شئ منها بقدرتي وارادتي (ومايشعركم) ومايدريكم استفهام انكار (أنها) اي ان الآية المقترحة (اذا جاءت لايؤمنون) اي لاتدرون انهم لايؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بأنها اذا جاءت لايؤمنون بها وقيل لامزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر بخلاف عنه عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كأنه قال ومايشعركم مايكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيئ الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لاتؤمنون بالتاء وقرئ ومايشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي ومايشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها (ونقلب افئدتهم وابصارهم) عطف على لايؤمنون اي ومايشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها (كما لم يؤمنوا به) اي بما انزل من الآيات (اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وندعهم متحيرين لانهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة

(ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا) كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا اوتأتى بالله و الملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء بما بشروا به وانذروا به او جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات اومصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قرآءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه (ماكانوا ليؤمنوا) لماسبق عليهم القضاء بالكفر (الا ان يشاءالله) استثناء من اعم الاحوال اى لايؤمنون فى حال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة (ولكن اكثرهم يجهلون) انهم لواتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على مالا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم اولكن اكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا فى ايمانهم (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا) اى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبى سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه (شياطين الانس والجن) مردة الفريقين وهو بدل من عدوا اواول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به اوحال منه

فى حيز قل الابان بقدر قل للكافرين انما الآيات عندالله وللمؤمنين وما يدريكم وهو تكلف لاداعى اليه وعلى كونه خطابا للمشركين يدخل تحته ويكون فيه التفات والحاصل انه تعالى بين اجمالا انه اذا جاءهم مااقترحوه لا يؤمنون ثم فصل ذلك بأن قال لو اعطاهم ماطلبوا من انزال الملائكة حتى رأوهم عيانا واحيى الموتى حتى كلموهم وشهدوا لك بالنبوة كما سألوا بل لوزاد فى ذلك بما لايبلغه اقتراحهم بأن يحشر عليهم كل شئ قبلا ماكانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله فذكر الله تعالى هذا الكلام بيانا لكذبهم وانه لا فائدة فى انزال الآيات واظهار المعجزات بعد المعجزات بل المعجزة الواحدة لابد منها لتمييز الصادق من الكاذب واما الزيادة عليها فتحكم محض لاحاجة اليه والا فلهم ان يطلبوا بعد ظهور المعجزة الثانية ثالثة وبعد الثالثة رابعة ويلزم منه ان لاتستقر الحجة وان لاينتهى الامر الى مقطع ومفصل وذلك يوجب سد باب النبوات قال صاحب التيسير فى تفسير هذه الآية ولو اننا نزلنا الى هؤلاء المقترحين كل الملائكة فشهدوا لك بالنبوة وان كانوا سألوا انزال ملك حيث قالوا لولا انزل عليه ملك واحيينا لهم كل الاموات فكلموهم بأن شهدوا لك وان كانوا سألوا منك احياء اثنين من موتاهم قصى بن كلاب وجدعان بن عمرو وكانا كبيرين صدوقين فيهم حيث قالوا لواحييتهما فشهدا لك بالنبوة لشهدنا نحن ايضا وحشرنا عليهم اى وبعثنا كل حيوان من الفيل الى البعوضة اى اقمنا القيامة لم يؤمنوا برؤية هذه الآيات الاان يشاءالله ايمانهم فيؤمنوا فان الآية وان عظمت لاتضطرهم الى الايمان فانه لاآية اعظم من قيام الساعة والله تعالى يقول ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه فيكون معنى قوله تعالى ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين اى ان شاء الله ان يخضعوا لاان الآية تضطرهم الى ذلك ودل على انهم انما لم يؤمنوا لان الله تعالى لم يشأ ايمانهم ولوشاء لآمنوا ومن علم الله منه اختيار الكفر والاصرار عليه شاءله ذلك ومن علم منه اختيار الايمان شاءله ذلك الى هنا كلامه ﴿قوله وقبلا﴾ اى بضم القاف والباء وهى قرآءة من عدا نافعا وابن عامر فانهما قرأا قبلا بكسر القاف وفتح الباء وذكر لقرآءة الجمهور ثلاثة اوجه الاول ان يكون جمع قبيل بمعنى الكفيل يقال قبل به يقبل ويقبل من بابى نصر وضرب قبالة اى كفالة فان فعيلا يجمع على فعل كرغيف ورغف ونصيب ونصب وقضيب وقضب وانتصابه على انه حال من المفعول اى وحشرناهم كفلاء بصحة مابشرنا به وانذرنا وبصدق محمد صلى الله عليه وسلم فى جميع ماأخبر به كما قالوا اوتأتى بالله والملائكة قبيلا يضمنون ذلك والثانى ان يكون جمع قبيل بمعنى جماعة جماعة اوصنفا صنفا والمعنى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا اى فوجا فوجا ونوعا نوعا من سائر المخلوقات والثالث ان يكون مصدرا كقبلا بمعنى المقابلة والمواجهة والمعاينة يقال لقيت فلانا قبلا وقبلا ومقابلة اى مواجهة ومعاينة ﴿قوله وانما جاز ذلك﴾ مع ان حق ماوقع حالا من النكرة ان يتقدم عليها لعمومه واضافته ﴿قوله وقيل منقطع﴾ فان المعتزلة فسروا الآية الكريمة بأن قالوا لواننا اظهرنا تلك الآيات العجيبة لهؤلاء الكفار ماكانوا ليؤمنوا على سبيل الاختيار الاان يشاءالله ايمانهم مشيئة اكراه وقسر فان الايمان الحاصل بالالجاء والقسر ليس من جنس الايمان الاختيارى فيكون الاستثناء منقطعا وانما لجؤا الى هذا التأويل لانهم لما ذهبوا الى ان الله تعالى شاء من الكل الايمان الذى يفعلونه على سبيل الاختيار كانت هذه الآية مناقضة لمذهبهم لانه تعالى قال انهم لايؤمنون الا ان يشاءالله ايمانهم فلما لم يؤمنوا دل ذلك على ان الله تعالى ماشاء ايمانهم وهو مذهب اهل السنة فاضطروا الى ان قالوا المراد بالمشيئة مشيئة الاكراه والقسر فعدم ايمانهم لايستلزم الا عدم المشيئة القسرية وهو لايستلزم عدم المشيئة مطلقا ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون متعلق جهلهم امرا مخصوصا جاز ان ينفرد بعلمه من استحكم فى قلبه العناد والاصرار على الكفر ﴿قوله اى كما جعلنا لك عدوا﴾ اشارة الى ان قوله تعالى وكذلك معطوف على معنى ماتقدم من الكلام لان ماتقدم يدل على انه تعالى جعل له اعدآء والمراد تسلية النبى صلى الله عليه وسلم اى كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبى قبلك اعدآء وجعل بمعنى صير فيتعدى الى اثنين اولهما شياطين الانس وثانيهما عدوا ولكل حال من عدوا لانه صفته فى الاصل او متعلق بالجعل قبله ويجوز ان يكون المفعول الاول عدوا ولكل هو الثانى قدم عليه وشياطين بدل من المفعول الاول ﴿قوله وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه﴾ ولاشك ان تلك العداوة معصية وكفر فلزم ان يكون خالق الخير والشر والمعصية والايمان والكفر هو الله تعالى لاالعبد فتكون الآية حجة لنا على المعتزلة وقالوا فى تأويل الآية المراد بهذا الجعل هو الحكم والبيان فان الرجل اذا حكم بكفر انسان قيل انه اكفر

فلانا و اذا اخبر عن عدالته قبل عدله فكذا ههنا انه تعالى لما بين للرسول صلى الله عليه وسلم كونهم اعدآء لهم لاجرم قال انه جعلهم اعدآء له و الشيطان يطلق على كل عات متمرد من الانس و الجن و الشيطان من الجن اذا اعياه المؤمن وعجز عن اغوآئه ذهب الى متمرد من الانس فاغراه على المؤمن ليفتنه و عن مالك بن دينار انه قال شياطين الانس اشد على من شياطين الجن وذلك انى اذا تعوذت بالله من شياطين الجن ذهبوا عنى و شياطين الانس تجيئنى فتجرنى الى المعاصى عيانا ﴿قوله يوحى﴾ يحتمل ان يكون مستأنفا اخبر عنهم بذلك وان يكون حالا من شياطين والوحى الكلام الخفى والقول السريع الذى يلقى سرا والزخرف هو الذى يكون باطنه باطلا وظاهره مزينا يقال فلان يزخرف كلامه اذا زينه بالكذب والباطل وكل شئ مموه فهو مزخرف ﴿قوله وكفرهم﴾ اشارة الى ان ما مصدرية اى اترکهم واترك افترآءهم فى ترويج ما اعتقدوه وذهبوا اليه ﴿قوله عطف على غرورا﴾ فاللام لام كى والفعل بعدها منصوب باضمار ان وهى متعلقة بقوله يوحى بعضهم الى بعض للغرور وللصغو ونصب غرورا لاتحاد فاعله مع فاعل عامله بخلاف الصغو فان فاعل الوحى والغرور هو البعض وفاعل الصغو الافئدة قال الامام تقدير الآية عند اصحابنا وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن ومن صفتهم انه يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول وانما فعلنا ذلك لتصغى افئدة الذين لايؤمنون بالآخرة اى انما اوجدنا العداوة فى قلوب الشياطين الذين من صفتهم ما ذكرناه ليكون كلامهم المزخرف مقبولا عند هؤلاء الكفار ثم قال قالوا واذا حملنا الآية على هذا الوجه يظهر انه تعالى يريد الكفر من الكافر وقالت المعتزلة هذه اللام لام العاقبة لان الصغو ونحوه لايجوز ان يتعلق به مشيئة الله تعالى وطلبه منهم والمعنى ان عاقبة امرهم فى الدنيا تؤول الى ان يقبلوا هذه الاباطيل ويرضوا بها ﴿قوله او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون﴾ تقديره والله لتصغى فان جواب القسم ان كان جملة فعلية وكان الفعل مضارعا مثبتا فالاكثر تصديره باللام وتوكيده بالنون اى بالنون الفارقة بينها وبين لام الابتدآء فلما لم يفرق بينهما بالنون كسرت اللام دفعا للالتباس لان لام الابتدآء مفتوحة نحو لأضربن وقل خلو المضارع عن اللام استغناء بالنون وقد جاء

☼ وقتيل مرة أثأرن فانه ☼ فرغ وان اخاهم لم يضهد ☼

قوله فرع اى شريف وقوله لم يضهد يقال ضهدته فهو مضهود اى مقهور مضطر ولايجوز عند البصريين الاكتفاء باللام عن النون الا فى الضرورة والكوفيون اجازوه بلا ضرورة قال الشاعر

☼ تألى ابن اوس حلفة ليردنى ☼ الى نسوة كانت لهن مفائد ☼

بفتح لام ليردنى وضم داله ومفائد جمع مفأد وهى الخشبة التى يحرك بها التنور وروى ليردنى بكسر اللام ونصب الدال وبعض العرب يكسر لام القسم الداخلة على الفعل المضارع نحو والله ليفعلن كذا فى شرح الرضى ﴿قوله وضعفه ظاهر﴾ لان الف تصغى لم تسقط فكيف تكون اللام لام الامر وحمله على اشباع فتحة الغين غير مستقيم لان ذلك لايجوز موضع الالتباس ولم اجد نقلا على انه اذا اكتفى باللام عن النون تكسر اللام وانما تفتح اذا اجتمعتا بأن قيل لتصغين مثلا وقد وجد فتح اللام مع حذف النون فى قوله

☼ لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم ☼ ليعلم ربى ان بيتى واسع ☼

فان قوله ليعلم جواب القسم الموطأ له باللام فى لئن ومع ذلك فهى مفتوحة مع حذف نون التوكيد ﴿قوله والضمير﴾ اى فى اليه لما له الضمير فى فعلوه اى للوحى او زخرف القول او الغرور او معاداة الانبياء لانها بمعنى التعادى ﴿قوله تعالى أفغير﴾ منصوب على انه مفعول ابتغى مقدم عليه ويكون حكما حينئذ اما حالا واما تمييزا لغير ويجوز ان ينتصب غير على الحال من حكما لانه فى الاصل يجوز ان يكون وصفا له وحكما هو المفعول به فتحصل فى نصب غير وجهان وفى نصب حكما ثلاثة اوجه حالا او مفعولا او تمييزا كان اهل مكة قالوا له عليه الصلاة والسلام اجعل بيننا وبينك قاضيا يفصل بين المحق منا والمبطل فأمره الله تعالى ان يجيبهم بذلك والحكم ابلغ من الحاكم لان الحكم لايحكم الا بالعدل ﴿قوله وهو الذى انزل﴾ هذه الجملة فى محل النصب على الحال من فاعل ابتغى لما قالوا اجعل بيننا وبينك قاضيا انكر عليهم بأن قال كيف ابتغى حكما غير الله وقد حكم بنبوتى حيث خصنى بهذا الكتاب المفصل الكامل البالغ الى حد الاعجاز واى حاكم يبلغ فى الحكم والبيان ونصب الدليل الموجب للايقان والاذعان الى هذا الحد الذى هو بمنزلة العيان وايضا جعل الله التوراة والانجيل مشتملين على الآيات الدالة على نبوتى ورسالتى

(يوحى بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض (زخرف القول) الا باطيل المموهة من زخرفه اذا زينه (غرورا) مفعول له او مصدر فى موقع الحال (ولو شاء ربك) ايمانهم (ما فعلوه) اى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة (فذرهم وما يفترون) وكفرهم (ولتصغى اليه افئدة الذين لايؤمنون بالآخرة) عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا لكل نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه ظاهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير فى فعلوه (وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا) وليكتسبوا (ما هم مقترفون) من الآثام (أفغير الله ابتغى حكما) على ارادة القول اى قل لهم يا محمد أفغير الله اطلب من يحكم بينى وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لايوصف به غير العادل (وهو الذى انزل اليكم الكتاب) القرآن المعجز (مفصلا) مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات

(والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله بعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد (فلا تكونن من الممترين) فى انهم يعلمون ذلك او فى انه منزل بجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكن من المشركين او خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى لاحد ان يمترى فيه (وتمت كلمات ربك) بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده (صدقا) فى الاخبار والمواعيد (وعدلا) فى الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له (لا مبدل لكلماته) لا احد يبدل شيأ منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة او على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله تعالى بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبى ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اى ما تكلم به او القرآن (وهو السميع) لما يقولون (العليم) بما يضمرون فلا يهملهم (وان تطع اكثر من فى الارض) اى اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او تباع الهوى وقيل الارض مكة (يضلوك عن سبيل الله) عن الطريق الموصل اليه فان الضال فى غالب الامر لا يأمر الا بما فيه ضلال (ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم (وان هم الا يخرصون) يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شئ وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) اى اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة فى محل النصب بفعل دل عليه أعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر فى مثل ذلك [illegible] مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اى يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر

وعلى كون القرآن كتابا سماويا منزلا من عند الله تعالى ونظيرها قوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب **قوله او فى انه منزل** اى من ربك بسبب جحود قومك اى لا يكون جحود قومك وكفرهم به سببا لامترائك فى كونه كتابا سماويا لما كان ظاهر الكلام النهى عن الامتراء فى حقية القرآن وهذا لا يتصور من النبى صلى الله عليه وسلم فلا فائدة فى النهى عنه اجاب عنه بوجوه الاول ان تعلق الامتراء هو علم اهل الكتاب بحقية القرآن والثانى انه من باب التهييج والثالث انه عليه الصلاة والسلام خوطب بذلك لكونه امام امته والمراد نهى امته والرابع ان الخطاب ليس للنبى بل لعموم الناس والمعنى لما ظهرت الدلائل فلا ينبغى ان يمترى فيه احد **قوله بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده** اشارة الى ان كلمات الله تتناول جميع ما تكلم به من اخباره واوامره ونواهيه ووعده ووعيده بالثواب والعقاب وان تمامها عبارة عن بلوغها الغاية فى كونها كافية فى بيان ما يحتاج اليه المكلفون الى يوم القيامة علما وعملا وفى كونها صدقا وعدلا فان جميع ما ورد فى القرآن العظيم منحصر فى نوعين الخبر والتكليف اما الخبر فالمراد به كل ما اخبر الله تعالى عن وجوده او عن عدمه كالخبر عن وجود ذاته وصفاته الثبوتية والسلبية وكالخبر عن احكام الله تعالى فى الوعد والوعيد والثواب والعقاب وكالخبر عن احوال المتقدمين وعن الغيوب المستقبلة فان جميع ذلك داخل تحت الخبر واما التكليف فيدخل فيه كل امر ونهى صدر عنه تعالى وتعلق بالمكلفين من الجن والانس والملك واذا تقرر انحصار مباحث القرآن فى هذين القسمين فاعلم ان كلماته تعالى ان كانت من باب الخبر فقد بلغت فى الصدق الى ما لا يتوهم ما هو اصدق منها وان كانت من باب التكليف فقد بلغت فى العدالة الى ما لا يتوهم ما هو اعدل منها وان اريد بالكلمات نفس القرآن لا من حيث اشتماله على ما فيه من الاخبار والتكاليف يكون المعنى تم القرآن وبلغ الغاية فى كونه معجزا دالا على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بحيث لم يبق مع نزوله الى معجز آخر صدقا فى اخباره وعدلا فى احكامه وذكر فى انتصاب صدقا وعدلا ثلاثة اوجه التمييز وكونهما مصدرين واقعين موقع الحال اى تمت الكلمات صادقات وعادلات والثالث كونهما مفعولا لهما اى تمت لاجل الصدق والعدل الواقعين فيها **قوله اى ما تكلم به او القرآن** يعنى ان الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد كما يقال قال زهير فى كلمته اى فى قصيدته فكذلك كلمات الله تعالى كلمة واحدة من حيث انها كلام الله المنزل لهداية الخلق وكذا مجموع القرآن كلمة واحدة لذلك وارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى بين فى الآية السابقة ان القرآن معجز وذكر فى هذه الآية انه تمت كلمات ربك **قوله يريد الكفار او الجهال او تباع الهوى** الظاهر انه اراد بالكفار من يضل بالاعتقاد الباطل فيما يتعلق بالالهيات والنبوات وامر المعاد وبالجهال من يضل بالاعتقاد الباطل فيما يتعلق بالاحكام كتحليل الميتة وتحريم البحائر والسوائب فان كل واحد من الفريقين وان صدق عليه انه كافر وجاهل الا ان لفظ الكفر قد غلب فى الاعتقاد الفاسد المتعلق باصول الدين ولفظ الجهل فى الاعتقاد الفاسد فى الفروع وتباع الهوى هم الذين يخالفون اهل السنة والجماعة بتأويل الكتاب والسنة على حسب هواهم كالمعتزلة والشيعة ونحوهما من اهل قبلتنا ووجه اتصال الآية بما قبلها انه تعالى ازال اولا شبهة من تردد فى صحة نبوته عليه الصلاة والسلام حيث امره عليه الصلاة والسلام بأن يقول لهم كيف تبتغون حكما غير الله وقد حكم بصحة نبوتى بما لا مزيد عليه ثم بين بهذه الآية انه بعد زوال الشبهة وظهور الحجة لا ينبغى للعاقل ان يلتفت الى كلمات الجهال واهل الضلال فان اكثر اهل الارض ضال والضال فى غالب الامر لا يدعو الا الى ما فيه ضلال **قوله وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم** فالاتباع على الاول بمعنى التمسك وعلى الثانى بمعنى التدين فان دينهم الذى هم عليه ظن وهوى لم يأخذوه من حجة وبرهان فيتدينون باعتقاد فاسد **قوله وحقيقته** اى حقيقة الخرص الجوى الخرص حزر ما على النخل من الرطب ثم الحزر التقدير والخراص الكذاب **قوله فان افعل** اى افعل التفضيل لا يعمل فى الظاهر الا عند الكوفيين فان افعل يعمل عمل الفعل عندهم ولا يعمل عند غيرهم لا رفعا ولا نصبا لعدم كونه بمعنى الفعل لان الفعل لا يدل على التفضيل وقوله فى مثل ذلك احتراز عن مثل قولهم ما رأيت رجلا احسن فى عينه الكحل منه فى عين زيد فان احسن قد رفع الكحل لكونه بمعنى حسن فانه بمعنى قولك ما رأيت رجلا حسن فى عينه الكحل مثل حسنه فى عين زيد فانه يعمل فى الظاهر اذا كان بحسب اللفظ جاريا على شئ وهو فى المعنى صفة لامر آخر متعلق بذلك الشئ بحيث يكون ذلك الامر مفضلا باعتبار ذلك الشئ ومفضلا على نفسه باعتبار غير ذلك الشئ فان

(احسن)

احسن فى المثال المذكور جار على رجل وهو فى المعنى صفة للكحل المتعلق به والكحل مفضل باعتبار الرجل ومفضل على نفسه باعتبار غير الرجل وهو عين زيد ﴿قوله او مجرورة باضافة اعلم اليه﴾ ولا يجوز ذلك على قرآءة يضل بفتح حرف المضارعة لان افعل التفضيل اذا قصد به الزيادة على من اضيف اليه لايضاف الا الى مايكون الموصوف بأفعل منهم نحو زيد افضل الناس فلايجوز يوسف احسن اخوته لان الموصوف بأحسن ليس من اخوة يوسف لخروجه عنهم باضافتهم اليه فاذا قلت زيد أعلم الضالين لزم ان يكون زيد من الضالين فلو جعل أعلم مضافا الى من يضل بفتح الياء لانفهم كونه تعالى من جملة الضالين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بخلاف ما اذا قرئ يضل بضم الياء فانه يجوز ان يجعل أعلم مضافا حينئذ لعدم لزوم ذلك المحذور ﴿قوله مسبب عن انكار اتباع المضلين﴾ يعني ان الفاء فى قوله تعالى فكلوا مما جواب شرط مقدر اى ان انتهيتم عن اتباع المضلين وكنتم بآيات الله مؤمنين فكلوا مما ذكر عليه اسم الله ولا تأكلوا الميتة فانها لم تذبح على اسم الله فانهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تأكلوه مما قتلتموه انتم فحلون ماحرّم الله كما انهم يحرّمون البحائر والسوآئب وقد احلها الله تعالى *قال الامام فان قيل ان المشركين كانوا يبيحون اكل ماذبح على اسم الله ولا ينازعون فيه وانما النزاع فى انهم كانوا يبيحون اكل الميتة والمسلمون كانوا يحرّمونها واذا كان كذلك كان ورود الامر باباحة ماذكر اسم الله عليه عبثا لانه يقتضى اثبات الحكم فى المتفق عليه وترك الحكم فى المختلف فيه فأجاب عنه بقوله لعل القوم كانوا يحرّمون المذكاة ويبيحون اكل الميتة فالله تعالى ردّ عليهم فى الامرين فحكم بحل المذكاة بقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وبتحريم الميتة بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ثم قال ويجوز ان يحمل قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه على ان المراد اجعلوا اكلكم مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه فيكون المعنى على هذا الوجه تحريم اكل الميتة فقط انتهى كلامه فيكون قوله تعالى ومالكم ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه بمعنى ان لاتجعلوا اكلكم مقصورا عليه والمصنف اختار هذا الجواب حيث قال والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه لان الجواب الاوّل بعيد جدًا ﴿قوله وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل﴾ اى قرأوا فصل وحرّم على البناء للمفعول فيهما بناء على ان قوله تعالى حرمت عليكم الميتة تفصيل لما اجمل فى هذه الآية فلما وجب فى التفصيل ان يقال حرّمت على بناء المفعول وجب ذلك ايضا فى المجمل وهو قوله فصل لكم ماحرّم عليكم وهو مالك الاعيان ومبين الحلال والحرام وقرأ نافع وحفص عن عاصم فصل لكم ماحرّم عليكم على بناء الفاعل فيهما اى فصل الله ماحرم عليكم باسناد كل واحد من الفعلين الى ضمير الجلالة المذكورة فى قوله مما ذكر اسم الله عليه وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم فصل على بناء الفاعل وحرّم على بناء المفعول على وفق قوله تعالى قد فصلنا الآيات وقوله حرّمت عليكم الميتة قال اكثر المفسرين المراد بالتفصيل المذكور بقوله تعالى وقد فصل لكم ماحرّم عليكم ماذكر فى اوّل سورة المائدة بقوله حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الآية وفيه اشكال وهو ان سورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر ما انزله الله تعالى فى المدينة وقوله فصل يقتضى ان يكون التفصيل سابقا على هذه الحكاية والمدنى متأخر عن المكى فكيف يصح ان يخبر عما سيأتى بلفظ الماضى *قال الامام والاولى ان يقال المراد بالتفصيل المحكى عنه بلفظ الماضى ماذكر بعد هذه الاية بقوله تعالى قل لااجد فيما اوحى الىّ محرّما على طاعم يطعمه الآية وهى وان كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل الا ان هذا القدر من التأخر لايمنع ان يكون هو المراد خصوصا ان هذه السورة نزلت دفعة واحدة باجماع المفسرين فيكون التفصيل متقدما بالنسبة الى زمان تبليغ جبريل عليه الصلاة السلام هذه الآية ﴿قوله مما حرّم عليكم﴾ بيان لما اضطررتم اشارة الى ان الاستثناء متصل والمستثنى منه ماحرّم على ان ما مصدرية بمعنى المدّة اى وقد فصل لكم الاشياء التى حرّمت عليكم فى جميع الاوقات الا وقت الاضطرار اليها وان جعلت موصولة تعين ان يكون الاستثناء منقطعا لان مااضطرّ اليه حلال فلا يدخل تحت ماحرّم عليهم الا ان يقال المراد بما حرّم جنس ماحرّم مع قطع النظر عن كونه حلالا او محرّما فحينئذ لايكون الاستثناء منقطعا لان مااضطرّ اليه داخل فى ذلك الجنس ﴿قوله مايعلن به ومايسرّ الخ﴾ يعنى ان المراد بالاثم مايوجب الاثم وهو المعاصى كلها الا انه يحتمل ان يراد بظاهر الاثم مايعلن منه وباطنه مايسرّ سوآء كان ذلك الاثم من اعمال القلوب او الجوارح ويحتمل ان يراد بظاهره مايعمله الانسان بجوارحه وباطنه ماينويه ويقصده بقلبه وما يكون من افعال القلوب خاصة وقيل ظاهر الاثم الاعلان بالزنى

او مجرورة باضافة اعلم اليه اى اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل فى العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لابالغير (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرّمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه (ان كنتم بآياته مؤمنين) فان الايمان بها يقتضى استباحة مااحله الله واجتناب ماحرّمه (ومالكم ان لاتأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) واى غرض لكم فى ان تحرّجوا عن اكله ومايمنعكم عنه (وقد فصل لكم ماحرّم عليكم) مما لم يحرّم بقوله حرّمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرّم على البناء للفاعل (الا مااضطررتم اليه) مما حرّم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة (وان كثيرا ليضلون) بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح (باهوآئهم بغير علم) بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم (ان ربك هو اعلم بالمعتدين) بالمجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) مايعلن به ومايسرّ او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنى فى الحوانيت واتخاذ الاخدان (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون) يكتسبون

وباطنه الاستمرار به وكانت العرب يحبون الزنى وكان الشريف يستتر به باتخاذ الاخدان وغير الشريف لايبالي به فيظهره فيزني في الحوانيت قال الضحاك كان اهل الجاهلية يرون الزنى حلالا ما كان سرا فحرم الله تعالى بهذه الآية السر منه والعلانية والاول اصح لان تخصيص اللفظ العام بصورة معينة من غير دليل غير جائز فيكون نهيا عاما عن جميع المحرمات واعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وهما قوله تعالى فكلوا ولاتأكلوا لما بين الله تعالى تفصيل المحرمات اتبعه بايجاب تركها بالكلية وعلى تقدير ان يكون المراد بظاهر الاثم وباطنه الاعلان بالزنى والاستمرار به يكون قوله تعالى وذروا معطوفا على قوله فكلوا وداخلا في التسبب عن انكار اتباع المضلين في تحريم الحلال وتحليل الحرام ﴿ **قوله** ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا ﴾ والآية عامة في جميع المأكولات والمشروبات فلهذا ذهب عطاء الى ان كل مالم يذكر اسم الله عليه من طعام او شراب فهو حرام واما سائر الفقهاء فقد اجمعوا على تخصيصه بالحيوان الذي زالت حياته فهو منحصر في ثلاثة اقسام لان ما زال حياته ولم يذكر عليه اسم الله اما ان لايكون مذبوحا وهو الميتة واما ان يكون مذبوحا ثم انه لايخلو من ان يذكر عليه اسم غير الله اولايذكر عليه اسم الله ولا اسم غير الله ولاخلاف في حرمة القسمين الاولين وانما الخلاف في القسم الثالث وهو الحيوان الذي ذبحه اهل الذبح ولم يسم عليه اصلا ففيه ثلاثة اقوال الاول انه حرام مطلقا نظرا الى عموم الآية للاقسام الثلاثة والثاني انه حلال مطلقا وعليه الامام الشافعي فانه ذهب الى حل متروك التسمية سواء تركت عمدا او خطأ اذا كان الذابح اهلا للذبح وخصص الآية بالقسمين الاولين اي الميتة وماذبح على غير اسم الله بناء على ان التسمية على ذكر المؤمن وفي قلبه مادام مؤمنا فلا يتحقق منه عدم الذكر فلا يحرم من ذبيحته الا ما اهل به لغير الله ولانه تعالى جعل اكل مالم يذكر اسم الله عليه فسقا حيث قال وانه لفسق وقد اجمع المسلمون على انه لايفسق بأكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية اذ لايفسق المرء بفعل ماهو في محل الاجتهاد فدل ذلك على ان المراد بمالم يذكر اسم الله عليه احد القسمين الاولين ويدل عليه ايضا قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم فان مجادلتهم انما كانت في مسألتين مسألة الميتة حيث قالوا للمسلمين مايقتله الصقر والكلب تأكلونه ومايقتله الله فلاتأكلونه ومسألة ماذبح على اسم غير الله من الاصنام حيث قالوا للمسلمين لكم آله ولنا آلهة ونحن نأكل ماتذبحون على اسم آلهكم فلم لاتأكلون مانذبحه على اسم آلهتنا فلما لم تكن مجادلتهم الا في القسمين الاولين دل ذلك على خصوص النهي بهما ويدل عليه ايضا قوله تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون وانما يكفر الانسان لو اطاع الكفار في اباحة الميتة او المذبوح على اسم الصنم لا في اكل متروك التسمية والقول الثالث انه حرام ان ترك اسم الله عمدا وحلال ان ترك سهوا واليه ذهب ابوحنيفة فانه قال الآية عامة للاقسام الثلاثة دالة على حرمتها الا ان متروك التسمية بالنسيان خارج عنها لوجهين احدهما ان الضمير في قوله وانه لفسق يرجع الى ترك التسمية وهو اقرب فالاولى رجوع الضمير اليه ولاشك ان اهمال التسمية انما يكون فسقا اذا كان عمدا لان الناسي خارج غير مكلف فيكون المعنى ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه عمدا فيكون التارك الناسي خارجا عن الآية وثانيهما انه عليه الصلاة والسلام سئل عن ترك التسمية نسيانا فقال «كلوه فان تسمية الله تعالى في قلب كل مؤمن» فانه عليه الصلاة والسلام لم يجعل الناسي تاركا حيث جعل تسمية الله تعالى في قلب كل مؤمن ولم يلحق به العامد لانه لما ترك التسمية عامدا صار كأنه نفى مافي قلبه وهذا وجه قول المصنف وفرق ابوحنيفة بين العمد والنسيان الان الموجود في اكثر النسخ واول بالميتة او بماذكر غير اسم الله عليه والظاهر انه غلط من الناسخين لان من ذهب الى تخصيص قوله تعالى مالم يذكر اسم الله عليه ليس اباحنيفة وحده بل الذاهبون الى التخصيص هم الأئمة المالكية والشافعية والحنفية الا انهم اخرجوا العامد والناسي جميعا عن عموم الآية ولم يخرج ابوحنيفة الا الناسي بأن جعله في حكم الذاكر فلايصح ان يقال انه اول الآية بأحد القسمين الاولين لانه عمل بعمومها للاقسام الثلاثة وان كلمة او ليست في موقعها لان المقام مقام الواو الجامعة لان كل واحد من القسمين مراد بالآية عندهم ﴿ **قوله** والضمير لما ﴾ اي ضمير انه يرجع الى الموصول على تأويلين احدهما انه يجعل الموصول نفس الفسق مبالغة وثانيهما تقدير المضاف اي وان اكله لفسق ولما جاز ان يرجع الى الاكل المدلول عليه بقوله ولاتأكلوا جاز ايضا ان يرجع الى عدم الذكر المدلول عليه بقوله مالم يذكر وقوله تعالى ليجادلوكم متعلق بيوحون اي يوحون لاجل مجادلتكم قيل المراد من الشياطين هنا ابليس وجنوده وهم وسوسوا الى اوليائهم من المشركين ليخاصموا محمدا

(ولاتأكلوا ممالم يذكر اسم الله عليه) ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليها وفرق ابوحنيفة بين العمد والنسيان واول بالميتة او بماذكر اسم غيره عليه لقوله (وانه لفسق) فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لاتأكلوا (وان الشياطين ليوحون) ليوسوسون (الى اوليائهم) من الكفار (ليجادلوكم) بقولهم تأكلون ماقتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ماقتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة (وان اطعتموهم) في استحلال ماحرم (انكم لمشركون) فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي

صلى الله عليه وسلم واصحابه فى اكل الميتة واكل ماذكر عليه غير اسم الله وقيل المراد بالشياطين مردة المجوس وباوليائهم مشركوا قريش وذلك انه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس من اهل فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ومراسلة ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان مايذبحونه حلال وان مايذبحه الله تعالى حرام فجادل قريش بذلك اصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فوقع فى انفس ناس من المسلمين من ذلك شئ فنزلت الآية اى وهى قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اى وان مجوس فارس يوسوسون الى اوليائهم قريش ليجادلوكم فى حق الميتة ﴿ **قوله** مثل به من هداه الله ﴾ اى الى الايمان والتوحيد وانقذه من ظلمة الكفر وجهالة الاشراك يعنى ان قوله تعالى اومن كان ميتا فأحييناه استعارة تمثيلية اذلا ذكر للمشبه صريحا ولا دلالة حتى يكون من باب التشبيه دون الاستعارة وهذا كما تقول فى الاستعارة الافرادية أيكون الاسد كالثعلب اى الشجاع كالجبان فكذا فى الآية شبه المؤمن المهتدى بنور الحجج والآيات الى حياة المعرفة والايمان بمن كان ميتا فجعل حيا واعطى نورا يهتدى به فى مصالحه فاطلق عليه التركيب المستعمل فى المشبه به فقيل أفمن كان ميتا فأحييناه وجعلناله نورا يمشى به فى الناس فجعل القلب الخالى عن العرفان والايمان بمنزلة الميت وجعل نفس العرفان والايمان بمنزلة الحياة له وجعلت الحجج والآيات المؤدية الى الايمان بمنزلة النور الذى يهتدى به الى المطالب كما شبه الكافر المصر على الكفر والضلال بمن استقر فى وادمظلم احاطت به الظلمة من جميع جوانبه فيبقى متحيرا لاخلاص منها ﴿ **قوله** وقرأ نافع ويعقوب ميتا ﴾ اى بتشديد الياء على الاصل والباقون بالتخفيف ومن فى قوله تعالى اومن كان ميتا مبتدأ وكمن خبره وهى موصولة ومثله فى الظلمات جملة اسمية وقعت صلة للموصول وليس بخارج منها حال من المستكن فى الظرف لامن الهاء فى مثله للفصل بينه وبين الحال بالخبر والمعنى أهو كالذى صفته انه مستقر فى الظلمات حال كونه مقيما فيها لايفارقها بحال واستقراره فى الظلمات على الوجه المذكور صفة عجيبة الشأن فلذلك شبه بالمثل وهو القول السائر المشبه مضربه بمورده فاطلق عليه لفظ المثل واطلاق المثل على الصفة العجيبة الشأن كثير قال تعالى ولله المثل الاعلى وقال مثل الجنة التى وعد المتقون ﴿ **قوله** كما زين للمؤمن ايمانه ﴾ زينه الله له فاختاره على الكفر والضلال فقضاه الله تعالى له فى الازل وخلقه فيه وقت اختياره اياه فأحياه به والكاف فيه صفة مصدر محذوف اى زينا للكافر تزيينا مثل مازينا للمؤمن ايمانه فاحييناه به والفاعل المزين للفريقين هو الله تعالى عند اهل السنة لما سبق من ان الفعل يتوقف على حصول الداعى وحصوله لابد وان يكون بخلق الله تعالى والداعى عبارة عن العلم او الظن باشتمال ذلك الفعل على نفع زائد وصلاح راجح فهذا الداعى لامعنى له الا هذا التزيين فاذا كان موجد هذا الداعى هو الله تعالى كان المزين لامحالة هو الله تعالى وصح ان يسند التزيين الى الشيطان باعتبار وسوسته والى الكفار باعتبار دعوتهم اليه وترغيبهم فيه والى الله تعالى باعتبار قضائه وخلقه لنفس الفعل ومايدعو اليه من دواعيه ﴿ **قوله** والآية نزلت فى حمزة وابى جهل ﴾ روى عن ابن عباس ان اباجهل رمى النبى صلى الله عليه وسلم بفرث والفرث السرجين مادام فى الكرش فأخبر حمزة بمافعل ابو جهل وهو راجع من الصيد وبيده قوس وكان يومئذ لم يؤمن بعد فلق اباجهل فضرب رأسه بقوسه فقال ابو جهل اماترى ماجاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا فقال حمزة وانتم اسفه الناس تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا رسوله فنزلت هذه الآية * وعن مقاتل انها نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وابى جهل وذلك انه قال زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان اى صرنا كالفرسين المعدين للمراهنة على المسابقة والمراهنة المخاطرة والرهن هو الجعل المعطى للسابق قالوا منانبى يوحى اليه والله لانؤمن به حتى يأتينا وحى كما يوحى اليه فنزلت هذه الآية وقيل نزلت فى عمر بن الخطاب وابى جهل وكانا جميعا يؤذيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا النبى صلى الله عليه وسلم لاحدهما فاستجيب له فى عمر رضى الله عنه ﴿ **قوله** ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثانى ﴾ والتقدير جعلنا فى كل قرية مجرميها اكابر ليمكروا فيها فيتعلق الجار بنفس الفعل الذى قبله عن الزجاج انه قال انما جعل المجرمين اكابر لانهم لاجل رياستهم اقدر على المكر والغدر وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم وجعل الكاف فى قوله وكذلك للتشبيه فكان المعنى كما جعلنا فى مكة مجرميها اكابر ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية مجرميها اكابر ليمكروا فيها قال الواحدى فى تفسير الآية يعنى كما ان فساق مكة اكابرها كذلك جعلنا فساق كل قرية اكابرها ورؤساءها

أومن كان ميتا فأحييناه وجعلناله نورا) يمشى به فى الناس) مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها فى الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل (كمن مثله) صفته وهو مبتدأ خبره (فى الظلمات) وقوله (ليس بخارج منها) حال من المستكن فى الظرف لامن الهاء فى مثله للفصل وهو مثل لمن بقى على الضلالة لايفارقها بحال (كذلك) كما زين للمؤمن ايمانه (زين للكافرين ماكانوا يعملون) والآية نزلت فى حمزة وابى جهل وقيل فى عمر او عمار وابى جهل (وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها) اى كما جعلنا فى مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثانى او فى كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم (ومايمكرون الا بانفسهم) لان وباله يحيق بهم (ومايشعرون) ذلك

المترفين و يجوز ان يكون فى كل قرية مفعولا ثانيا قدم على الاول و اكابر هو الاول و مجرميها بدلا من اكابر و يجوز ان يكون مجرميها مضافا اليه لاكابر بأن يكون فى كل قرية متعلقا بجعلنا بمعنى مكنا و اكابر مجرميها مفعوله ولا يجوز ان يكون الجعل حينئذ بمعنى التصيير لانه يقتضى مفعولين و على تقدير الاضافة لا يبقى للفعل مفعول ثان فلا يتم المعنى لانك اذا قلت جعلت زيدا وسكت لم يفد الكلام حتى تقول رئيسا او ما اشبه ذلك وهذا وجه قوله ان فسرنا الجعل بالتمكين وليت شعرى انه لم لا يجوز على تقدير الاضافة ان يكون الجعل بمعنى التصيير ويكون قوله فى كل قرية مفعولا ثانيا قدم على الاول و يكون اكابر مجرميها مفعولا اولا مؤخرا كما جاز ذلك فى قوله تعالى وجعلوا لله شركاء فيكون المعنى جعلنا مستقرا فى كل قرية رؤساء فساقها واى حاجة الى ان يكون الجعل بمعنى التمكين حينئذ و قوله تعالى ليمكروا فيها يدل على انه تعالى انما جعلهم بهذه المثابة لانه اراد منهم ان يمكروا بالناس فهذا يقتضى ان يكون الخير والشر كلاهما بارادة الله تعالى قال مجاهد طريق مكرهم انهم اجلسوا على طريق من طرق مكة اربعة ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويخبروهم انه شاعر كاهن ونحو ذلك ثم انه تعالى لما بين ان فساق كل قرية يكونون رؤساءها المتميزين بكثرة المال والجاه بين ما كان من رؤساء مكة من الجرم والفسق وهو انه متى ظهرت لهم معجزة قاهرة تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن ولن نصدق حتى يوحى الينا و يأتينا جبريل عليه السلام و يخبرنا ان محمدا صادق فيما ادعاه و ذلك يدل على انهم انما اصروا على الكفر لتوغلهم فى الحسد و المكر لا لطلب الحجة والبرهان و الا فطريق العرفان ليس منحصرا فى ان يأتى كل واحد منهم وحى على حدة وقال الضحاك اراد كل واحد من اكابر مكة ان يخص بالوحى و الرسالة كما اخبر الله تعالى عنهم فى قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة * و روى ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لانى اكبر منك سنا و اكثر منك مالا و ولدا فنزلت الآية * قال الامام قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله فيه قولان الاول وهو المشهور ان القوم ارادوا ان يحصل لهم النبوة و الرسالة كما حصلت لمحمد صلى الله عليه وسلم وان يكونوا متبوعين لا تابعين و القول الثانى ان المعنى و اذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع النبى صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله كما قال مشركوا العرب لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه اى كتابا من الله الى ابى جهل والى فلان وفلان على حدة وعلى هذا فالقوم ما طلبوا النبوة و انما طلبوا ان تأتيهم آيات قاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين كى تدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال قال المحققون و القول الاول اقوى لان قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته لا يليق الا بالقول الاول وصاحب التيسير لم يذكر الا القول الاول ثم قال ومن غاية السفه ان يقال لرجل آمن فيقول لا او من حتى يجعلنى الله نبيا ﴿ قوله يوم القيامة ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى عند الله منصوب بقوله سيصيب فتكون العندية مجازا عن حشرهم يوم القيامة بحيث استكبروا عن طاعته عليه الصلاة والسلام و الايمان به ولما كان الحامل على تمردهم و عنادهم طلب العز والكرامة بين الله تعالى انه يعاملهم بضد مطلوبهم وهو الخزى العظيم و العذاب الاليم ﴿ قوله و يفسح فيه مجاله ﴾ عطف تفسير لقوله فيتسع له اى يفسح فى الصدر موضع جولان الاسلام يقال فسح المكان اى اتسع ويقال شرح الله صدره فانشرح اى وسع صدره لقبول الخير فتوسع وقيل الشرح الفتح و الشرح البيان ايضا ولما امتنع ان يحمل توسيع الصدر على المعنى الحقيقى جعله المصنف كناية عن جعل النفس قابلة مهيأة لحلوله فيها مصفاة عن ما يمنعه و ينافيه و توضيحه ان قدرة العبد صالحة للضدين لا يترجح احد الضدين على الآخر بمجرد تلك القدرة والا لزم ترجح احد المتساويين على الآخر بلا مرجح فلا بد ان يحصل فى القلب داعية يميل القلب بسببها الى احد الطرفين و تلك الداعية لا معنى لها الا العلم او الظن بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زائدة و منفعة راجحة فاذا حصل هذا المعنى فى القلب دعاه ذلك المعنى الى فعل ذلك الشئ و ان حصل فى القلب العلم او الظن بأن ذلك الفعل مشتمل على ضرر زائد و مفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه و قد ثبت بالدليل ان حصول هذا الداعى لا بد ان يكون من الله تعالى والا لزم التسلسل و ان مجموع القدرة مع الداعى يوجب الفعل اذا ثبت هذا فنقول يستحيل ان يصدر الايمان عن العبد الا اذا خلق الله فى قلبه اعتقاد ان الايمان راجح المنفعة زائد المصلحة و اذا حصل فى القلب هذا الاعتقاد مال القلب الى الايمان و حصل فى النفس رغبة شديدة فى تحصيله وهذا هو

(انشراح)

﴿ واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله ﴾ يعنى كفار قريش لما روى ان ابا جهل قال زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت ﴿ الله اعلم حيث يجعل رسالاته ﴾ استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وانما هى بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبى لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذى يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته ﴿ سيصيب الذين اجرموا صغار ﴾ ذل وحقارة بعد كبرهم ﴿ عند الله ﴾ يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله ﴿ وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴾ بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم ﴿ فمن يرد الله ان يهديه ﴾ يعرفه طريق الحق و يوفقه للايمان ﴿ يشرح صدره للاسلام ﴾ فيتسع له و يفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه و ينافيه

انشراح الصدر للايمان بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم مثلا واذا حصل فى القلب انه سبب للمفسدة العظيمة فى الدين والدنيا وانه يوجب المضارّ الكثيرة فعندهذا ينفر القلب عنه نفرة شديدة وهذا هو المراد من انه تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا فصار تقدير الآية من اراد الله منه الايمان قوّى صوارفه عن الكفر ودواعيه الى الايمان وجعل قلبه قابلا لحلول الايمان مهيأ لتحليه به صافيا خاليا عما يمنعه وينافيه ومن اراد منه الكفر قوّى صوارفه عن الايمان وقوّى دواعيه الى الكفر ﴿قوله واليه اشار عليه الصلاة والسلام حين سئل عنه﴾ قيل لما نزلت هذه الآية سئل النبى صلى الله عليه وسلم بأن قيل له كيف يشرح الله الصدر فقال عليه الصلاة والسلام يقذف نورا فيه حتى ينفسح وينشرح فقيل له هل لذلك من امارة الخ ووجه كونه اشارة الى ماذكر من ان شرح الصدر كناية عن تقوية الدواعى وتهيئة القلب لقبول الايمان وحلوله فيه انه عليه الصلاة والسلام عبر عما خلقه الله تعالى فى القلب من اعتقاد ان الايمان راجح المنفعة زائد المصلحة بالنور المقذوف فى القلب وجعل النفرة عن الدنيا والرغبة فى الآخرة امارة لخلق تلك الداعية فى القلب وقذف ذلك النور فيه لان من آمن بالله ورسوله وكتابه يعلم يقينا ان الحياة الدنيا لعب ولهو سريعة الزوال وان الآخرة هى دار القرار وان منفعة الدنيا ليست الا ان يتوسل بها الى تحصيل الحياة الابدية فلا جرم يتجافى عن دار الغرور وتقوى رغبته فى دار الخلود ويستعد للموت قبل نزوله ﴿قوله وقرأ ابن كثير ضيقا﴾ اى بسكون الياء والباقون بتشديد الياء المكسورة وكلاهما بمعنى نحو سيد وسيد وميت وميت بأن يكون اصل الكلمة التشديد ثم خففت ويحتمل ان يكون الضيق بفتح الضاد وسكون الياء مصدر ضاق يضيق مثل باع يبيع بيعا ووصف به الصدر على احد الاوجه الثلاثة المذكورة فى المصدر الواقع وصفا للجثة نحو رجل عدل وهو حذف المضاف او المبالغة او وقوعه موقع اسم الفاعل اى يجعل صدره ذا ضيق او ضائقا او نفس الضيق مبالغة وحرجا بفتح الراء وكسرها هو المتزايد فى الضيق فهو اخص من الاوّل فكل حرج ضيق من غير عكس فعلى هذا المفتوح والمكسور بمعنى واحد يقال رجل حرج وحرج وفرق الزجاج والفارسى بينهما فقال المفتوح مصدر والمكسور اسم فاعل واختاره المصنف حيث جعل المفتوح مصدرا وصف به على احد الاوجه الثلاثة المتقدمة ونصبه على القرآءتين اما على أنه صفة لضيقا او اما على انه مفعول ثان لجعل وقد تعدد المفعول كما يتعدد خبر المبتدأ فكما جاز تعدد الخبر قبل دخول نواسخ الابتدآء عليه فكذا يجوز تعدده بعد دخولها وما فى قوله تعالى كأنما يصعد كافة مهيئة لدخول كان على الجملة الفعلية كهى فى قوله انما توفون ﴿قوله وقرأ ابن كثير يصعد﴾ اى بسكون الصاد وتخفيف العين مضارع صعد اى ارتفع وابو بكر عن عاصم يصاعد بتشديد الصاد وبعدها الف اصلها يتصاعد اى يتعاطى الصعود ويتكلفه فادغم التاء فى الصاد تخفيفا والباقون يصعد بتشديد الصاد والعين دون الف بينهما مضارع تصعد اى تكلف الصعود والاصل يتصعد فادغم كما فى قرآءة شعبة وهذه الجملة التشبيهية يحتمل ان تكون مستأنفة شبه بها اى بايرادها حال من جعل الله صدره ضيقا حرجا بحال من يطلب الصعود الى السماء المظلة او الى مكان مرتفع وعر كالعقبة الكؤود يعنى انه فى نفوره من الاسلام وثقله عليه بمنزلة من تكلف مالا يطيقه كما ان صعود السماء لا يستطاع فكذا الاسلام بالنسبة اليه والمعنى يشق عليه الايمان كما يشق عليه الصعود الى السماء ويحتمل ان يكون حالا من الضمير المستكنّ فى ضيقا او حرجا قال الامام فى كيفية هذا التشبيه وجهان الاوّل كما ان الانسان اذا كلف الصعود الى السماء ثقل ذلك التكليف عليه وعظم وقعه عليه وقويت نفرته عنه فكذلك الكافر يثقل عليه الايمان وتعظم نفرته عنه والثانى ان يكون التقدير ان قلبه يتباعد عن الاسلام ويتقاعد عن قبول الايمان فشبه ذلك البعد ببعد من يصعد من الارض الى السماء ﴿قوله كما يضيق صدره﴾ اشارة الى ان الكاف فى قوله تعالى كذلك تفيد تشبيه شئ بشئ وانما ههنا التشبيه جعله الرجس عليهم بجعله اياهم ضيق الصدر اى كما يجعل صدورهم ضيقة يجعل الرجس عليهم ﴿قوله وهو حال مؤكدة﴾ اى ليست قيدا يتقيد بها عاملها او يتبين بها هيئة تعلق العامل بذى الحال كالمنتقلة بل هى امر لازم لمضمون الجملة التى قبلها فصار مضمون الحال كأنه عين مضمون الجملة المتقدمة مؤكدله كالتصديق فانه لازم لحقية القرآن وكذا الاستقامة فانها لازمة للمشار اليه من صراط الله تعالى فصارت كل واحدة منهما كانها عين مضمون ماقبلها مؤكدة له فجعلت مؤكدة له بهذا الاعتبار الا ان الصراط ان كان بمعنى العادة والطريقة جاز ان يجعل مستقيما حالا مقيدة لان العادة لا يلزم كونها مطردة فقوله الطريق الذى ارتضاه الله ناظر الى كون هذا اشارة الى البيان او الاسلام وقوله او عادته ناظر الى كونه اشارة الى التوفيق والخذلان

واليه اشار عليه الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من امارة يعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اى شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر (كأنما يصعد فى السماء) شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول مالا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا فى الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد (كذلك) اى كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق (يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل (وهذا) اشارة الى البيان الذى جاء به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان (صراط ربك) الطريق الذى ارتضاه الله او عادته وطريقه الذى اقتضته حكمته (مستقيما) لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة

﴿قوله تعالى قدفصلنا الآيات﴾ اى ذكرناها فصلا فصلا بحيث لايختلط واحد منها بالآخر لقوم يتعظون بها وقوله لهم دار السلام يحتمل ان يكون جملة مستأنفة فلا محل لها كأن سائلا سأل عما اعدالله لهم فقيل لهم ذلك ويحتمل ان يكون حالا من فاعل يذكرون اى حالا مقدرة و يحتمل ان يكون وصفا لقوم وعند ربهم حال من دار السلام والعامل فيها الاستقرار فى لهم والعندية اما كناية عن وعدها والتكفل بها او عن ادخارها و ان ذلك المدخر لايعلم كنهه الاالله تعالى لان معنى العندية القرب ومعلوم ان ذلك القرب ليس بالمكان والجهة بل بالشرف والعلو والرتبة فلايعرف العباد كنهه ﴿قوله او متوليهم﴾ عطف على قوله مواليهم بمعنى محبهم يعنى ان الولى ان كان بمعنى المحب او الناصر كان الباء للسببية اى يحبهم و ينصرهم بسبب اعمالهم وان كان بمعنى متولى الامور والمتصرّف فيها فالباء للملابسة اى متولى امورهم ومتكفل بمصالحهم ملتبسا بجزآء اعمالهم على حذف المضاف وهو الجزآء قال الحسن بن الفضل يتولاهم فى الدنيا بالتوفيق وفى الآخرة بالجزآء ﴿قوله نصب باضمار اذكر﴾ فقوله يامعشر الجنّ على هذا الوجه فى موضع الحال بتقدير القول اى واذكر يوم نحشرهم قائلين يامعشر الجنّ وان جعل الظرف منصوبا بالقول المضمر فلا يحتاج الى تقدير عامل آخر ليعمل فى جملة النداء والتقدير ونقول يوم نحشرهم جميعا يامعشر الجنّ فعلى هذا التقدير يكون القائل هو الله تعالى كما انه هو الحاشر لجميعهم وروى عن الزجاج انه قال تقدير الكلام ويوم نحشرهم جميعا يقال لهم يامعشر الجنّ فقدر العامل فيهما القول المبنى للمفعول حتى يكون القائل غير الحاشر لانه يبعد ان يتكلم الله تعالى بنفسه مع الكفار بدليل قوله تعالى فى حق الكفار ولايكلمهم الله ولاينظر اليهم فقوله يامعشر الجنّ على هذا التقدير فى محل الرفع لقيامه مقام الفاعل وقرأ حفص ويوم يحشرهم بياء الغيبة باسناد الفعل الى ضمير الرب فى قوله تعالى عند ربهم والباقون بالنون لما ذكرالله تعالى ان المتذكرين المتعظين بالقرآن وآياته لهم دار السلام عند ربهم بين حال اضدادهم بقوله ويوم نحشرهم جميعا الآية لتكون قصة اهل الجنة مردوفة بقصة اهل النار وليكون الوعيد مذكورا بعد الوعد والمعشر الجماعة التى تضبطهم جهة واحدة وحصل بينهم معاشرة ومخالطة ويجمع على معاشر ﴿قوله اى من اغوآئهم﴾ قدر المضاف لان الجنّ لايقدرون على الاستكثار من نفس الانس لان القادر على ايجاد الجسم واحيائه وتكميله بالعقل وسائر القوى ليس الاالله فوجب ان يكون المعنى قداضللتم خلقا كثيرا من الانس او كثرتم الاتباع من الانس حيث اتبعوكم فى الدنيا وحشروا معكم فى العقبى وهذا تبكيت الجنّ وتوبيخهم على اضلال الانس واغوآئهم ويتضمن تبكيت الانس على اتباعهم الجنّ والقبول منهم فلما بكت كل واحد من الفريقين حكى الله تعالى جواب الانس بقوله وقال اولياؤهم اى اولياء الشياطين الذين اطاعوهم حال كونهم من الانس ويجوز ان يكون من الانس لبيان جنس الاولياء لان اولياء الشياطين جنسان انس وجنّ والتقدير وقال اولياؤهم الذين هم من الانس اعترافا باتباعهم الشهوات وتضييع اعمارهم فى الانهماك باستيفاءاللذات الفانية والحظوظ العاجلة ربنا استمتع بعضنا ببعض اى استمتع الانس بالجنّ والجنّ بالانس اما انتفاع الانس بالجنّ فمن حيث ان الجنّ كانوا يدلونهم على انواع الشهوات ومايتوصل به اليها ويسهلون طريق تحصيلها عليهم واما انتفاع الجنّ بالانس فمن حيث ان الانس اطاعوهم ولم يضيعوا سعيهم والرئيس المطاع ينتفع بانقياد اتباعه له وقيل استمتاع الانس بهم ان الرجل كان اذاسافر وامسى بارض قفر وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه فيبيت آمنا فى نفسه فهذا استمتاع الانس بالجنّ واما استمتاع الجنّ بالانس فهو ان الانسان اذاعاذ بالجنّ كان ذلك تعظيما منه للجنّ وذلك ان الانس كانت تقول للجنّ قد سدتم الانس فالجنّ تنتفع باعتراف الانس بسيادتهم وباستهم وقدرتهم على اجارتهم اياهم والاجارة الانقاذ والتخليص يقال اجاره الله من العذاب اى انقذه وفى الدعاء اللهم أجرنا من النار وايدصحة هذا الوجه قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجنّ ولم يرض المصنف بهذا القول لان قوله تعالى قد استكثرتم من الانس يأباه لان من يقول من الانس اعوذ بسيد هذا الوادى قليل وقيل قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض كلام الانس خاصة يقولون استمتع بعضنا ببعض آخر منا لان استمتاع الانس بالجنّ وبالعكس امر قليل نادر لايكاد يظهر واما استمتاع بعض الانس ببعض فهو امر ظاهر شائع فوجب حمل الكلام عليه ولم يلتفت المصنف اليه لان الكلام بهذا المعنى لايصلح جوابا للتبكيت المذكور ﴿قوله منزلكم او ذات مثواكم﴾ الاول على ان يكون المثوى اسم مكان بمعنى مكان الاقامة والثانى على ان يكون مصدرا ميميا ولما لم يصح حمل الاقامة

(قدفصلنا الآيات لقوم يذكرون) فيعلمون ان القادر هو الله تعالى وان كل مايحدث من خير او شرّ فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم (لهم دار السلام) دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام (عند ربهم) فى ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره (وهو وليهم) مواليهم او ناصرهم (بما كانوا يعملون) بسبب اعمالهم او متوليهم بجزآئها فيتولى ايصاله اليهم (ويوم نحشرهم جميعا) نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب يحشرهم بالياء (يامعشر الجنّ) يعنى الشياطين (قد استكثرتم من الانس) اى من اغوآئهم واضلالهم او منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود (وقال اولياؤهم من الانس) الذين اطاعوهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) اى انتفع الانس بالجن بأن دلوهم على الشهوات ومايتوصل به اليها والجنّ بالانس بأن اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم فى المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم (وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا) اى البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم (قال النار مثواكم) منزلكم او ذات مثواكم (خالدين فيها) حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا

على النار قدّر المضاف اى النار ذات اقامتكم واسم المكان لما لم يعمل عمل الفعل لكونه ليس فيه معنى الفعل جعل
ناصب الحال معنى الاضافة ﴿قوله الا الاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير﴾ فقد روى انهم ينقلون
من عذاب النار ويدخلون واديا فيه من الزمهرير مايميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون من العوى يقال عوى
الكلب اى صاح ويطلبون الردّ الى الجحيم فيكون قوله الا ماشاء الله مستثنى من مضمون الجملة التى قبله وهى قوله
النار مثواكم خالدين فيها كأنه قيل يخلدون فى عذاب النار الأبد كله الا اوقات مشيئة الله تعالى ان ينقلوا من النار
على ان ما فى قوله الا ماشاء الله مصدرية ويقدّر مضاف كما فى آتيك خفوق النجم ﴿قوله وقيل الا ماشاء قبل
الدخول﴾ اى قيل انه مستثنى متصل من مضمون ماقبله ايضا الا ان المستثنى من اوقات الخلود ليس الأوقات
الواقعة بعد دخول النار ليفهم خروج الكفار من النار وعلى التقديرين لايستلزم قوله الا ماشاء الله خروج الكفار
من النار وعدم خلودهم فيها بل الاوقات الواقعة بعد الحشر قبل الدخول وهو وقت المحاسبة فان اولياء الشياطين
من الانس لما اعترفوا يوم الحشر والحساب بما فعلوا من استمتاع بعضهم ببعض اجيبوا فى ذلك الموقف بأن قيل
لهم النار مثواكم خالدين فيها ولزم منه ان تكون النار موضع اقامتهم من ذلك الوقت الى الابد فاستثنى ماقبل
الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا الا وقت امهالكم الى وقت الادخال ﴿قوله حكيم فى افعاله﴾ كاكرام
المتذكرين بالآيات بدار السلام وكونه وليا لهم بالحراسة والنصرة والمعونة وتخليد اولياء الشياطين فى النار
وكاف التشبيه فى قوله تعالى وكذلك نولى تقتضى شيأ تقدّم ذكره ليشبه به ماذكر بعدها والتقدير كما كانا عصاة
الانس والجنّ حتى استمتع بعضهم ببعض كذلك نكل بعضهم الى بعض فى الآخرة ليستعين ويستنصر منه
فلا ينتفع به كما قال ابليس ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخىّ وقال ادعوا شركاءكم واين شركاؤكم فالتولية على هذا
من الولىّ بمعنى الناصر ﴿قوله او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم﴾ فالولاية على هذا بمعنى التصرّف ويكون
قوله كذلك اشارة الى التولية المدلول عليها بقوله نولى ولايقصد به التشبيه كما تقول علمته كذلك فبين الله تعالى اوّلا
ان الانس والجنّ يتولى بعضهم بعضا ويتمتع بعضهم ببعض ثم بين ان ذلك انما حصل بتقديره وقضائه فقال وكذلك
نولى الآية ﴿قوله اولياء بعض وقرناءهم﴾ جمع ولى بمعنى القريب والقرين يقال وليه يليه وليا بكسر العين
فى الماضى والغابر اذا قربه ودنا منه فالجنسية سبب للانضمام فى الدنيا والآخرة فان الارواح الخبيثة تنضم الى
مايشاكلها فى الخبث وتحشر معه كما كانت تنضم اليه فان كل واحد منها يهتم بشأن من يشاكله فى النصرة والمعونة
والتقوية وقيل نولى اى نسلط بعضهم على بعض على ان التولية بمعنى التصرّف روى الكلبى فى تفسيرها ان الله
تعالى اذا اراد بقوم خيرا ولى امرهم خيارهم واذا اراد بقوم شرّا ولى امرهم شرارهم وروى مالك بن دينار
قال جاء فى بعض كتب الله تعالى انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن اطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى
جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك لكن توبوا اعطفهم عليكم ﴿قوله الرسل من الانس خاصة﴾
اختلفوا فى انه هل كان من الجنّ رسول اولا فقال الضحاك من الجنّ رسل كالانس وتعلق بظاهر هذه الآية وبآية
اخرى وهى قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير ويؤيده قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا فانه يدل
على ان طبع البشر لا يوافق طبع الملك فلا يتيسر بينهما الافادة والاستفادة فلذلك وجب فى حكمة الله تعالى ان
يجعل رسول الانس من الانس ليكمل الاستئناس وهذا السبب حاصل فى الجنّ فوجب ان يكون رسول الجنّ
من الجنّ ايضا وذهب اكثر العلماء الى انه ما كان من الجنّ رسول البتة وانما كانت الرسل من بنى آدم الا انه لم ينقل
عنهم حجة تدل على ما ذهبوا اليه سوى ادّعاء الاجماع وهو بعيد جدّا لانه كيف ينعقد الاجماع مع حصول
الاختلاف الا ان يقال مخالفة الضحاك خلاف وليس باختلاف فلا ينافى انعقاد الاجماع واجاب المصنف عن تمسك
الضحاك بهذه الآية بانه تعالى جمع مجموع الانس والجنّ فى الخطاب فقال يامعشر الجنّ والانس الم يأتكم رسل
منكم وهو لا يقتضى الا ان يكون رسل الفريقين بعضا من مجموع الفريقين فاذا كان الرسل من الانس فقط يصدق
ان يقال ان رسل الفريقين بعض من مجموعهما فلم يلزم من الآية ان يكون رسول الجنّ من الجنّ فلا يصح ان
يستدل بها عليه ﴿قوله وقيل الرسل من الجنّ رسل الرسل اليهم﴾ اى قيل فى جواب من تمسك بظاهر الآية
انها تدل على ان الجن اتاهم رسل منهم ولاتدل على ان اولئك الرسل هم الذين اوحى اليهم بواسطة جبريل عليه
الصلاة والسلام لجواز ان يكونوا رسل الرسل بأن تكون الرسل الموحى اليهم من الانس الا انه تعالى كان يلق

(الا ما شاء الله) الا الاوقات التى ينقلون
فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء
قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا
الا ما امهلكم (ان ربك حكيم) فى افعاله
(عليم) باعمال الثقلين واحوالهم (وكذلك
نولى بعض الظالمين بعضا) نكل بعضهم
الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا
فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم فى العذاب
كما كانوا فى الدنيا (بما كانوا يكسبون)
من الكفر والمعاصى (يا معشر الجنّ
والانس الم يأتكم رسل منكم) الرسل
من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن
فى الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح
دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا
بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم
وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم
كقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين
(يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء
يومكم هذا) يعنى يوم القيامة (قالوا)
جوابا (شهدنا على انفسنا) بالجرم
والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر
واستيجاب العذاب (وغرّتهم الحياة الدنيا
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين)
ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم
فانهم اغترّوا بالحياة الدنيا واللذات المخدجة
واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان
عاقبة امرهم ان اضطرّوا الى الشهادة
على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب
المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم

او مخففة من الثقيلة اى الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك (ولكل) من المكلفين (درجات) مراتب (مما عملوا) من اعمالهم اومن جزآئها اومن اجلها (وما ربك بغافل عما يعملون) فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة (وربك الغنىّ) عن العباد و العبادة (ذوالرحمة) يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم و يمهلهم على المعاصى وفيه تنبيه على ان ماسبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله (ان يشأ يذهبكم) اى ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق (كما انشأكم من ذرية قوم آخرين) اى قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم (انما توعدون) من البعث واحواله (لآت) لكائن لا محالة(وماانتم بمعجزين) طالبكم به (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن اوعلى ناحيتكم وجهتكم وحالتكم التى انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة.وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع فى كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم (انى عامل) على ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد كأن المهدّد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على مايفضى به اليه وتسجيل بأن المهدّد لا يأتى منه الا الشرّ كالمأمور به الذى لايقدر ان يتفصى عنه (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اى فسوف تعرفون الذى يكون له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقى (انه لايفلح الظالمون) وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة (وجعلوا) اى مشركوا العرب (لله مما ذرأ) خلق (من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وماكان (ما)

الداعية فى قلوب قوم من الجنّ الى استماع كلام الرسل فيستمعون كلامهم ويأتون قومهم من الجنّ ويخبرونهم بما سمعوا من الرسل وينذرونهم به كما قال تعالى واذصرفنا اليك نفرا من الجنّ الى قوله ولوا الى قومهم منذرين فاولئك الجنّ كانوا رسل الرسل فكانوا رسل الله تعالى والدليل عليه انه تعالى سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال اذ ارسلنا اليهم اثنين فلهذا وبخ الله تعالى مجموع الفريقين بأن قال ماعذركم فى الكفر وقد اتاكم رسل منكم وقد قام الاجماع على ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل الى الثقلين وداع لكل واحد من الفريقين الى الايمان به وبالله واليوم الآخر ﴿قوله وهو خبر مبتدأ محذوف﴾ ولايبعد ان يقال ان ذلك مبتدأ وان لم يكن خبره على حذف اللام اى ذلك الارسال لاجل ان لم يكن ﴿قوله اوملتبسين بظلم او ظالما﴾ على الاوّل يكون حالا من القرى وعلى الثانى يكون حالا امامن ربك او من الضمير فى مهلك ﴿قوله مراتب﴾ فسر الدرجات بالمراتب لانه لمافسر الكل بالمكلفين مطلقا سوآء كانوا مؤمنين او كفارا لزم ان يفسر الدرجات بالمراتب لان الدرجات غلب استعمالها مطلقا فى الخير والثواب والكفار لاثواب لهم ﴿قوله من اعمالهم﴾ على ان مامصدرية ومما عملوا فى محل الرفع على انه صفات درجات وكذا على قوله من جزآئها وما حينئذ موصولة والمضاف محذوف وعلى الثالث من للعلة ﴿قوله على تغليب الخطاب﴾ لدخول المخاطبين فى قوله ولكل درجات وقرأ العامة بياء الغيبة بناء على قوله ولكل ﴿قوله الغنىّ ذوالرحمة﴾ يجوز ان يكونا خبرين وان يكونا وصفين لمبتدأ وان يشأ يذهبكم خبرا وان يكون الغنى وصفا وذو الرحمة خبرا والجملة الشرطية خبرا ثانيا او مستأنفة ﴿قوله على غاية تمكنكم﴾ على ان تكون المكانة مصدرا بمعنى التمكن وهو القوّة والاقتدار وقد تكون المكانة بمعنى المكان وهو موضع الكون كالمقام والمقامة بمعنى موضع القيام ثم جعل المكانة بمعنى المكان مجازا عن الجهة والحالة التى يكون الانسان عليها وما فى الآية يجوز ان يكون بهذا المعنى اى اعملوا على جهتكم وحالتكم التى انتم عليها كما يقال للرجل اذا امران يثبت على حالة على مكانتك يا فلان اى اثبت على ما انت عليه لاتنحرف عنه ومن قرأ على مكانتكم بالافراد اراد الجنس ومن جمع نظر الى اضافتها الى جماعة المخاطبين وقد علم ان لكل واحد منهم مكانة على حدة ﴿قوله مجمعا عليه﴾ اى عازما يقال اجمعت على الامر اذا عزمت عليه قال تعالى فأجمعوا امركم ﴿قوله وتسجيل بأن المهدّد لايأتى منه الا الشرّ كالمأمور به﴾ يريد ان الامر للتهديد من قبيل الاستعارة تشبيها للشرّ المهدّد عليه بالمعنى المأمور به الواجب الذى لابدّ ان يكون ﴿قوله بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار﴾ يعنى ان الدار والعاقبة وان اطلقتا الا ان المراد بالدار هذه الدار اى الدنيا وبالعاقبة العاقبة الحسنى واشار به الى دفع مايقال قوله تعالى فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار يدل على ان العصاة ليس لهم عاقبة الدار وليس كذلك * قال صاحب الكشاف فى تفسير قوله تعالى فى سورة القصص وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار هى عاقبة المحمودة بدليل قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن بين عقبى الدار بجنات ثم قال فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان المراد بالدار الدنيا وخاتمتها لابدّ ان تكون اما بخير او بشرّ فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشرّ واجاب بانه تعالى قد وضع الدنيا مجازا الى الآخرة وما اعدّ فيها للمتقين وجعل الدنيا دار الكسب والعناء وجعل الآخرة دار الرحمة والغناء فمن لقى فيها التعب والشقاء فانما هو لتحريفه ما كلف به من الهدى فتبين بهذا ان العاقبة الاصلية لهذه الدار هى عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وكلمة من ان جعلت استفهامية تكون فى محل الرفع على الابتدآء ويكون قوله تكون مع اسمه وخبره فى محل الرفع خبرا لها ويكون فعل العلم معلقا عنها بالاستفهام وان جعلت موصولة وهو الظاهر فهى فى محل النصب على انها مفعول تعلمون وهو هنا متعدّ الى واحد لكونه بمعنى تعرفون ﴿قوله وشيأ منهما لآلهتهم﴾ اشارة الى ان تقدير الكلام كما قاله الزجاج جعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا ودل على هذا المحذوف تفصيله القسمين فيما بعد وهو قوله هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا والشركاء من الشركة لامن الشرك ويجوز ان يكون من الشرك اى الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وانما اضافوها الى انفسهم لاعتقادهم اياها كذلك وسمى آلهتهم شركاءهم لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم وجعلوها شركاء لانفسهم فيها فاضافة شركائنا اما الى المفعول اى الذين شاركونا فى اموالنا واما الى الفاعل اى الذين اشركناهم فى اموالنا من المتاجر والزروع والانعام وغيرها ﴿قوله ثم ان رأوا الخ﴾ بيان لمعنى وصول ماعينوه لله الى شركائهم وعدم وصول

ماعينوه للاوثان الى الله تعالى روى عن مقاتل انه قال ان زكا ونما نصيب الآلهة ولم يزك نصيب الله
تركوا نصيب الآلهة لها وان كان بالعكس قالوا لابد لآلهتنا من نفقة فاخذوا نصيب الله واعطوه
للسدنة فذلك قوله تعالى فما كان لشركائهم يعنى من نماء الحرث والانعام فلا يصل الى الله اى لايصل الى الجهة
التى كانوا يصرفون نصيب الله تعالى اليها اى الى المساكين والاضياف وقالوا لو شاء الله زكى نصيب نفسه وان زكا
ماعينوه لله ولم ينم نصيب الآلهة بدلوا ذلك النامى الذى عينوه لله وجعلوه لآلهتهم وانفقوه على سدنتها وهو
قوله تعالى وما كان لله فهو يصل الى شركائهم اى يصل الى الجهة التى كانوا يصرفون نصيب الشركاء اليها ثم انه
تعالى ذم هذا الفعل بقوله تعالى ساء مايحكمون وكيف يحمد فعل من اخترع من عند نفسه بزعمه الباطل مالم
يأمر الله به ولاسيما اختراعه ان يشرك مع الخالق فيما خلقه جمادا لايقدر على شئ ثم يرجحه عليه فتح الله تعالى اولا
طريقة المشركين فى انكارهم البعث والقيامة ثم ذكر من جهالتهم المبنية على ضعف عقولهم هذا الفعل ليعرف
الناس ضلالتهم ولايلتفت الى كلامهم احد ﴿قوله حكمهم هذا﴾ يعنى ان مايحكمون فاعل ساء وحكمهم
مخصوص بالذم اى بئس الشئ الذى يحكمون حكمهم هذا كأنه قيل بئس الحكم حكمهم ثم انه تعالى حكى عنهم جهالة
اخرى وهى ان شركاءهم زينوا لهم قتل اولادهم فاطاعوهم فى ذلك فقال وكذلك زين لكثير من المشركين
قتل اولادهم شركاؤهم والكاف فيه منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف اى زين لهم الشركاء قتل اولادهم
تزيينا مثل تزيين ذلك الفعل القبيح قيل ويجوز ان يكون ذلك مستأنفا غير مشار به الى ماقبله فيكون المعنى
وهكذا زين قرأ العامة زين مبنيا للفاعل وبنصب قتل على انه مفعول زين وجر اولادهم بالاضافة ورفع شركائهم
على انه فاعل زين وهى قرآءة واضحة المعنى والتركيب وقرأ ابن عامر زين على بناء المفعول ورفع قتل على انه
مفعول مالم يسم فاعله ونصب اولادهم على انه مفعول المصدر وجر شركائهم على اضافة المصدر اليه وهذه القرآءة
صحيحة متواترة لايصح ان يطعن فيها لان ابن عامر أعلى القرآء السبعة سندا واقدمهم هجرة اما علو سنده فانه
قرأ على ابى الدرداء وواثلة بن الاسقع وفضالة بن عبيد ومعاوية بن ابى سفيان والمغيرة المخزومى وروى انه قرأ على
عثمان نفسه وناهيك به واما قدم هجرته فانه ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن هشام بن عمار احد
شيوخ البخارى اخذ عن اصحاب اصحابه وفضائله كثيرة وانما ذكرنا هذا تنبيها على خطأ من رد قرآءته ونسبه
الى اللحن واتباع مجرد الرسوم فقط قائلا ان التقدير حينئذ زين لكثير من المشركين قتل شركائهم اولادهم لكنه فصل
بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول به وهو الاولاد فانه مفعول المصدر قال ابو على الفارسى وهو قبيح قليل
فى الاستعمال ولكنه قدجاء فى الشعر كما انشده ابو الحسن الاخفش

فزججتها بمزجة * زج القلوص ابى مزاده

اى زج ابى مزادة القلوص الزج الطعن والمزجة بكسر الميم الرمح القصير وابى مزادة كنية رجل والقلوص الشابة
من النوق واضيف القتل فى هذه القرآءة الى الشركاء وان لم يتولوا ذلك لانهم هم الذين زينوا ذلك ودعوا اليه
فكأنهم فعلوا ذلك ﴿قوله بالوأد ونحرهم لآلهتهم﴾ متعلق بقتل الاولاد والوأد دفن الابنة فى القبر وهى
حية يقال وأد ابنته يئدها وأدا اذا دفنها فى القبر وهى حية وكان اهل الجاهلية يدفنون بناتهم احياء خوفا من
الفقر اومن التزوج اومن السبى واختلف فى المراد بالشركاء فقال مجاهد شركاؤهم شياطينهم امروهم بأن يقتلوا
اولادهم خشية العيلة وسميت الشياطين شركاء لانهم اتخذوهم شركاء لله فأطاعوهم فى معصية الله تعالى
ولهذا اضيفت اليهم كما فى قوله تعالى اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون واشار المصنف الى القولين فى بيان الشركاء
بقوله من الجن اومن السدنة وقال الكلبى شركاؤهم سدنة آلهتهم وهم الذين كانوا يزينون للكفار قتل اولادهم
فكان الرجل منهم يحلف بالله لئن ولد له كذا وكذا لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله روى ان
عبد المطلب كان قدرأى فى المنام انه يحفر زمزم ونعت له موضعها وقام يحفر وليس له ولد يومئذ الا الحارث فنذر لئن
ولد له عشرة نفر لينحرن احدهم لله تعالى على الكعبة فلما تموا عشرة اخبرهم بنذره فاطاعوه وكتب كل واحد منهم
اسمه فى قدح فخرج على عبد الله فأخذ الشفرة لينحره فقامت قريش من انديتها فقالوا لاتفعل حتى ننظر فيه
فانطلقوا به الى عرافين والعراف الكاهن اى رفعوا الامر الى جماعة كهنة فقالوا قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا
عليه وعليها القداح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم واذا خرجت على الابل فقدرضى

وان رأوا مالآلهتهم ازكى تركوه لها حبا
لآلهتهم وفى قوله مما ذرأ تنبيه على فرط
جهالتهم فانهم اشركوا الخالق فى خلقه
جمادا لايقدر على شئ ثم رجحوه عليه بأن
جعلوا الزاكى له وفى قوله بزعمهم تنبيه على
ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ
الكسائى بالضم فى الموضعين وهو لغة فيه
وقدجاء ايضا الكسر كالود (ساء مايحكمون)
حكمهم هذا (وكذلك) ومثل ذلك التزيين
فى قسمة القربات (زين لكثير من المشركين
قتل اولادهم) بالوأد ونحرهم لآلهتهم
(شركاؤهم) من الجن اومن السدنة وهو
فاعل زين

(وكذا)

ربكم و نجا صاحبكم فقرّبوا الابل فقرّبوا عشرا فخرجت على عبدالله فزادوا عشرا عشرا فخرجت فى كل مرّة على عبدالله الى ان قرّبوا مائة فخرج القدح على الابل فنحرت ثم تركت لايصدّ عنها انسان ولاسبع ولذلك قال عليه الصلاة والسلام * انا ابن الذبيحين * يريد اباه واسمعيل عليه الصلاة والسلام ﴿قوله وهو ضعيف فى العربية﴾ اشارة الى ان الفصل بالمفعول ليس بضعيف فى نفسه بل هو حسن و يدل على حسنه ورود القرآن عليه والطريق اثبات حسن التراكيب بوقوعها فى القرآن لااثبات حسن ماوقع فيه بوقوعه فى غيره قال الكرمانى قرآءة ابن عامر وان ضعفت فى العربية للفصل بين المضاف و المضاف اليه فقوية فى الرواية عالية انتهى وذهب صاحب المفتاح الى تطبيق هذه القرآءة بقاعدة اهل العربية بأن حمل الكلام على حذف المضاف اليه من الاوّل واضمار المضاف فى الثانى و التقدير قتلهم اولادهم قتل شركائهم والثانى بدل من الاوّل بناء على ان تخطئة الثقات و الفصحاء ابعد من ذلك قال صاحب الانتصاف طاعنا فى صاحب الكشاف لقد ركب المصنف فى هذا الفصل عمياء وتاه فى تيهاء وانا ابرأ الى الله تعالى و ابرّئ جلة كتابه و حفظة كلامه مما رماهم به فانه تخيل ان القرآء ائمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفا قرأ به اجتهادا لانقلا ولاسماعا فلذلك غلط ابن عامر فى قرآءته هذه و اخذ يبين وجه غلطه بانه اعتمد فى ذلك على رسم مصحف الشام الذى ارسله عثمان رضى الله عنه اليه حيث رسم شركائهم فيه بالياء فاستدل بذلك على انه مجرور وتعين عنده نصب اولادهم بالقياس اذ لايضاف المصدر الى امرين معا فقرأه منصوبا لذلك و قوله المصنف يريد به صاحب الكشاف وكانت له مندوحة عن نصبه الى جرّه بالاضافة و ابدال الشركاء منه وكان ذلك اولى مما ارتكبه يعنى ابن عامر من الفصل بين المضاف و المضاف اليه الذى لايسمع فى الشعر فضلا عن النثر فضلا عن الكلام المعجز وهذا كله كما ترى ظنّ من الزمخشرى ان ابن عامر قرأ قرآءته هذه رأيا منه وكان الصواب خلافه ولم يعلم الزمخشرى ان هذه القرآءة بنصب الاولاد و الفصل بين المضاف و المضاف اليه مما نعلم ضرورة ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأها على جبريل كما انزلها عليه كذلك ثم تلاها النبى صلى الله عليه وسلم على عدد التواتر من الائمة ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها و يقرأون بها خلفا عن سلف الى ان انتهت الى ابن عامر فقرأها ايضا كما سمعها وهذا معتقد اهل الحق فى جميع الوجوه السبعة انها متواترة جلة و تفصيلا عن افصح من نطق بالضاد اى عن افصح العرب فان النطق بحرف الضاد مختص بلغة العرب فاذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشرى و لابقول امثاله ممن لحن ابن عامر ثم قال قرآءة ابن عامر هذه لاتخالف القياس النحوى وذلك لان الفصل بين المضاف و المضاف اليه وان كان عسيرا الاان المصدر اذا اضيف الى معموله فهو مقدّر بأن مع الفعل وبهذا التقدير عمل فاضافته الى معموله وان كانت محضة لكنها تشبه غير المحضة حتى قال بعض النحاة ان اضافته ليست محضة لذلك فالحاصل ان اتصاله بالمضاف اليه ليس كاتصال غيره وقدجاء الفصل بين المضاف غير المصدر و بين المضاف اليه بالظرف كما فى قول الشاعر * لله درّ اليوم من لامها * يريد لله درّ من لامها اليوم وقوله * لأنت معتاد فى الهيجا مصابرة * يريد لأنت معتاد مصابرة فى الهيجاء وهى الحرب وهذه الامثلة و الشواهد ليست من كلام صاحب الانتصاف وانما ادرجتها انا فى اثناء كلامه لتوضيح المقام وقدجاء الفصل بينهما فى قوله

* هما اخوا فى الحرب من لااخا له * اذا خاف يوما نبوة فدعاهما *

يريد هما اخوا من لااخاله فى الحرب وقدجاء الفصل بينهما بغير الظرف ايضا على قلة كالفصل بالندآء فى قوله

* وفاق كعب بجير منقذلك من * تعجيل مهلكة والخلد فى سقر *

يريد وفاق بجير يا كعب وقول الآخر

* اذا ما اباحفص اتاك رأيتها * على شعر كل الناس يعلو قصيدها *

يريد اذا مااتاك يا اباحفص وقدجاء الفصل بينهما بالنعت ايضا كقول معاوية يخاطب به عمر بن العاص

* نجوت وقد بل المرادىّ سيفه * من ابن ابى شيخ الاباطح طالب *

يريد من ابن ابى طالب شيخ الاباطح فشيخ الاباطح نعت لابى طالب فصل به بين ابى و بين طالب وقول الآخر

* ولئن حلفت على يديك لاحلفن * بيمين اصدق من يمينك مقسم *

يريد لاحلفن بيمين مقسم اصدق من يمينك فاصدق نعت لقوله بيمين فصل به بين يمين و بين مقسم وبالجملة اذا جاء الفصل بين المضاف غير المصدر و بين المضاف اليه فلا اقل من ان يميز المصدر عن غيره لما بيناه من انفكاكه

و قرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذى هو القتل و نصب الاولاد وجرّ الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف فى العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله

فزججتها بمزجة *
زج القلوص ابى مزاده *

فى التقدير وعدم توغله فى الاتصال بان يفصل بينه وبين المضاف اليه بمالبس اجنبيا عنه فكانه ذكر ان مع الفعل ثم قدّم المفعول على الفاعل وقال ابو شامة فى شرح الشاطبية ولابعد فيما استبعده اهل النحو من جهة المعنى وذلك انه قدعهد تقدّم المفعول على الفاعل المرفوع لفظا فاستمرّت له هذه المرتبة مع الفاعل المرفوع تقديرا فان المصدر لوكان منوّنا لجاز تقديم المفعول على فاعله نحو اعجبنى ضرب عمرا زيد فكذا فى الاضافة ثم قال وقدثبت جواز الفصل بين حرف الجرّ ومجروره مع ان شدّة الاتصال بينهما اكثر من شدّته بين المضاف والمضاف اليه كقوله فبما نقضهم ميثاقهم فبما رحمة فصل بكلمة مابين الباء الجارة ومجرورها ولا التفات الى قول من زعم انه لم يأت فى الكلام المنثور مثله لانه ناف ومن اسند هذه القرآءة مثبت والاثبات مرجح على النفى بالاجماع ولو نقل الى هذا الزاعم عن بعض العرب انه استعمله فى النثر لرجع اليه فما باله لايكتفى بناقل القرآءة عن التابعين عن الصحابة

﴿قوله وقرئ بالبناء للمفعول﴾ اى قرئ زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم برفع قتل لقيامه مقام الفاعل وجرّ اولادهم بالاضافة ورفع شركاؤهم على انه فاعل فعل مقدّر تقديره زينه شركاؤهم فهو جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل من زينه لهم فقيل شركاؤهم كقوله تعالى يسبح له فيها بالغدوّ والآصال رجال اى يسبحه رجال وقول الشاعر * ليبك يزيد ضارع لخصومة * واللام فى قوله تعالى لكثير من المشركين متعلقة بزين وكذلك اللام فى قوله ليردوهم *فان قيل كيف يصح تعلق حرفى جرّ بلفظ واحد ومعنى واحد بعامل واحد من غير بدلية ولاعطف اجيب بأن معناهما مختلف فان الاولى للتعدية والثانية للعلية ثم ان كان التزيين من الشياطين فاللام على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فهى لام العاقبة فان الشيطان يفعل التزيين وغرضه بذلك الاردآء فالتعليل فيه واضح واما السدنة فانهم لم يزينوا لهم ذلك لاجل اهلاكهم ولكن لما كان مآلهم الى الاردآء اتى باللام الدالة على العاقبة والمآل وعلل التزيين بشيئين الاردآء والتخليط وهو ادخال الشبه عليهم فى امر دينهم فان اللبس بفتح اللام مصدر لبس عليه يلبس بفتح العين فى الماضى وكسرها فى الغابر ومعناه ادخل عليه الشبه وخلط عليه قال اهل السنة قوله تعالى ولوشاء ربك مافعلوه يدل على ان مافعله المشركون فهو بمشيئة الله تعالى وقالت المعتزلة انه محمول على مشيئة الالجاء اى لوشاء ربك ان يلجئهم على ان لايفعلوه لتركوه جبرا **﴿قوله حجر﴾** قرأ الجمهور بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم بمعنى المحجور والممنوع وقرئ حجر بالضم والسكون وقرئ حرج بكسر الحاء وتقديم الرآء على الجيم قيل أصله حرج بفتح الحاء وكسر الرآء **﴿قوله لايحجون على ظهورها﴾** فان من حج وجب عليه ان يلبى ويذكر اسم الله فكنى بذكر اللازم عن الملزوم وقيل لايركبونها لفعل الخير فانه لما جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير عبر بذكر الله تعالى عن فعل الخير **﴿قوله لان ماقالوه تقوّل عليه﴾** اى كذب يقال تقوّل عليه اى كذب يعنى انهم يفعلون ذلك ويزعمون ان الله تعالى امرهم به فيكون افترآء مصدرا من غير لفظ العامل لان القول المحكىّ عنهم افترآء على الله تعالى فيكون من قبيل قولهم قعد القرفصاء ويجوز ان يكون مصدرا للفعل المقدّر من لفظه اى افتروا ذلك افترآء **﴿قوله والجار﴾** اى قوله عليه متعلق بقالوا لا بافترآء لان المصدر المؤكد لايعمل سوآء ذكر مع الفعل او بدونه وكذا المصدر الذى يكون للنوع او العدد فانه لايعمل ايضا **﴿قوله او على الحال﴾** عطف على قوله على المصدر اى قالوا ذلك حال افترآئهم وهى تشبه الحال المؤكدة لان هذا القول المخصوص لايكون قائله الامفتريا فعلى هذا يجوز ان تعلق الجار بقوله افترآء وكذا على تقدير كون افترآء منصوبا على المفعول له بمعنى قالوا ذلك لاجل الافترآء على البارى تعالى **﴿قوله وتأنيث الخالصة﴾** مع كونها مرفوعة على انها خبر ماالموصولة حملا على المعنى ثم حمل على لفظها فى قوله ومحرّم على ازواجنا مع انه معطوف على خالصة وهما عبارتان عن شئ واحد قرأ حفص عن عاصم وان يكن ميتة بتذكير الفعل ونصب ميتة وقرأ ابوبكر عن عاصم وابن عامر وان تكن بتاء التأنيث والباقون بالياء وقرأ ابن كثير وابن عامر ميتة بالرفع والباقون بالنصب فأبو بكر لما نصب ميتة اسند تكن الى ضمير ما وانث الفعل نظرا الى كون ماعبارة عن الاجنة واما ابن عامر فانه لما رفع ميتة على انها فاعل تكن اسند الفعل الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقى لان الميتة تقع على الذكر والانثى من الحيوان فجاز تأنيث الفعل المسند الى ظاهرها باعتبار اللفظ وجاز تذكيره باعتبار المعنى هذا على قرآءة من رفع ميتة بتكن على ان كان تامة اى وان وجدت ميتة او حدثت واما من نصب ميتة فانه يسند الفعل الى ضمير ما فيذكر باعتبار لفظ ما ويؤنث باعتبار معناها فيكون ميتة خبر كان الناقصة فقوله ولذلك

وقرئ بالبناء للمفعول وجرّ اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل او ماوجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة (ولوشاء الله مافعلوه) ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك (فذرهم ومايفترون) افترآءهم او مايفترونه من الافك (وقالوا هذه) اشارة الى ماجعل لآلهتهم (انعام وحرث حجر) حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اى مضيق (لايطعمها الا من نشاء) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء (بزعمهم) من غير حجة (وانعام حرّمت ظهورها) يعنى البحائر والسوآئب والحوامى (وانعام لايذكرون اسم الله عليها) فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لايحجون على ظهورها (افترآء عليه) نصب على المصدر لان ماقالوه تقوّل على الله تعالى والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او على المفعول له والجار متعلق به او بمحذوف (سيجزيهم بما كانوا يفترون) بسببه او بدله (وقالوا ما فى بطون هذه الانعام) يعنون اجنة البحائر والسوآئب (خالصة لذكورنا ومحرّم على ازواجنا) حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) فالذكور والاناث فيه سوآء وتأنيث الخالصة للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية ابى بكر ابن عامر فى تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهم

اى ولكون مافى معنى الاجنة وافق عاصم مع انه نصب ميتة على انها خبر كان الناقصة فيكون اسمها مستترا فيها
راجعا الى ما فانث تكن اعتبارا لمعنى ما ﴿قوله او التاء فيه للمبالغة﴾ كما فى نحو علامة وراوية بمعنى كثير العلم
ورواية الشعر وليست للتأنيث ولذلك وقع خبر المذكر وهو عطف على قوله للمعنى كذا قوله او هو مصدر اى على وزن
فاعلة كالعاقبة والعافية واذا قيل انها مصدر كان ذلك على حذف مضاف اى ذو خلوص او على وقوع المصدر موقع
اسم الفاعل نحو رجل عدل اى عادل او جعلها نفس الخلوص مبالغة فذكر لتأنيث خالصة ثلاثة اوجه الاول اعتبار
المعنى والثانى ان التاء فيها ليست للتأنيث وانما هى للمبالغة فى الوصف كما فى راوية ونسابة والثالث انه مصدر بمعنى
ذى خلوص ﴿قوله لخفة عقلهم﴾ يعنى ان انتصاب سفها على انه مفعول له وبغير علم صفة سفها اى يقتلون
للسفه الجامع لجهل انه تعالى هو الرزاق ويجوز نصبه على الحال اى ذوى سفه ويؤيده قرآءة سفهاء او على انه مصدر
لفعل مقدر اى سفهوا سفها او على انه مصدر من غير لفظ عامله لان هذا القتل سفه * قال الامام ذكر الله تعالى فيما
تقدم قتلهم اولادهم وتحريمهم مارزقهم الله ثم انه تعالى ذكر هذين الامرين فى هذه الآية وبين ما لزمهم على هذا
الحكم وهو الخسران والسفاهة وعدم العلم وتحريم ما رزقهم الله تعالى والافترآء على الله والضلال وعدم
الاهتدآء فهذه امور سبعة وكل واحد منها سبب تام لاستحقاق الذم اما الخسران فلأن الولد نعمة عظيمة من الله
تعالى على العبد فمن سعى فى ابطاله فقد خسر خسرانا عظيما يستحق بذلك الابطال الذم العظيم فى الدنيا
والعقاب العظيم فى الآخرة وكذا كل واحد من البواقى من اعظم المنكرات والقبائح الموجبة للذم والتوبيخ قال
المفسرون نزلت الآية فى ربيعة ومضر وبعض من العرب وغيرهم كانوا يدفنون البنات احياء مخافة السبى والفقر
والحمية من التزويج * روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اصحابه كان لا يزال مغتما بين يديه فقال
عليه الصلاة والسلام مالك تكون محزونا فقال يارسول الله انى قد أذنبت فى الجاهلية ذنبا فأخاف ان لا يغفر لى
وان أسلمت فقال عليه الصلاة والسلام * اخبرنى عن ذنبك * فقال يارسول الله انى كنت من الذين يقتلون بناتهم فولدت لى
بنت فشفعت الىّ امرأتى ان اتركها فتركتها حتى كبرت وادركت وصارت من اجمل النساء فخطبوها فدخلت
علىّ الحمية فلم يحتملنى قلبى على ان ازوّجها او اتركها فى البيت بلا زوج فقلت للمرأة انى اريد ان اذهب الى قبيلة كذا
فى زيارة اقربائى فابعثيها معى فسرت بذلك وزينتها بالثياب والحلى واخذت علىّ المواثيق بأن لا اخونها فذهبت بها الى
رأس بئر فنظرت فى البئر ففطنت الجارية انى اريد ان القيها فى البئر فالتزمتنى وجعلت تبكى وتقول ياابى اىّ شئ تريد
ان تفعل بى فرحمتها ثم نظرت فى البئر فدخلت علىّ الحمية فالتزمتنى وجعلت تقول ياابى لا تضيع امانة امى فجعلت مرّة
انظر الى البئر ومرّة انظر اليها فأرحمها فغلبنى الشيطان فأخذتها فألقيتها فى البئر منكوسة وهى تنادى فى البئر ياابى
قتلتنى فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت * فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال * لو امرت
ان اعاقب احدا بما فعل فى الجاهلية لعاقبتك بما فعلت * ثم انه تعالى لما فرغ من شرح احوال الاشقياء وتهجين طريقتهم
والتنبيه على جهلهم وخفة عقولهم عاد الى اقامة الدليل على تقرير التوحيد وكمال القدرة والحكمة تهديدا للعصاة
بعظيم قهره وعقابه وتثبيتا للمطيعين على ملازمة طاعته فقال وهو الذى انشأ جنات معروشات وقد سبق ذكر هذا
الدليل فى هذه السورة بقوله وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ فاخرجنا منه خضرا نخرج
منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه
انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون فالآية المتقدمة ذكر فيها خمسة انواع وهى الزرع
والنخل وجنات من اعناب والزيتون والرمان وذكر فى هذه الآية هذه الخمسة بأعيانها لكن على خلاف ذلك
الترتيب وذكر فى الآية المتقدمة انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه فأمر هناك بالنظر فى احوالها والاستدلال بها
على وجود الصانع الحكيم وذكر فى هذه الآية كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده فاذن فى الانتفاع بها وامر
بصرف جزء منها للفقرآء فالذى حصل به الامتياز بين الآيتين انه هناك امر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم
وهو مقدم على الاذن فى الانتفاع لان الاستدلال على الصانع يحصل به سعادة ابدية والانتفاع يحصل به سعادة
جسمانية سريعة الانقضاء والاول اولى بالتقديم ﴿قوله تعالى انشأ جنات﴾ اى خلقها يقال نشأ الشئ نشأة
اذا ظهر وارتفع وانشأه الله انشاء اى اظهره ورفعه ويقال عرش يعرش ويعرش عرشا اى بنى بناء من خشب وبئر
معروشة وكروم معروشات والعريش عريش الكرم واعترش العنب العريش اعتراشا اذا علاه * قال الامام فى قوله

او التاء فيه للمبالغة كما فى رواية الشعراء او هو
مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ
بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا
او حال من الضمير الذى فى الظرف لا من الذى
فى لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم
على العامل المعنوى ولا على صاحبها المجرور
وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه
بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما
او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير
فى فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى
فغلب الذكر (سيجزيهم وصفهم) اى جزآء
وصفهم الكذب على الله فى التحريم والتحليل
من قوله وتصف ألسنتهم الكذب (انه حكيم
عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها)
يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم
مخافة السبى والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر
قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير (بغير علم)
لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله رازق اولادهم
لاهم ويجوز نصبه على الحال او المصدر
(وحرموا ما رزقهم الله) من البحائر ونحوها
(افترآء على الله) يحتمل الوجوه المذكورة
فى مثله (قد ضلوا وما كانوا مهتدين)
الى الحق والصواب (وهو الذى انشأ
جنات) من الكروم (معروشات)
مرفوعات على ما يحملها (وغير معروشات)
ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات
ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات
ما نبت فى الجبال والبرارى (والنخل والزرع
مختلفا اكله) ثمره الذى يؤكل فى الهيئة
والكيفية والضمير للزرع والباقى مقيس
عليه او للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه
معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك
او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه
لم يكن كذلك عند الانشاء (والزيتون
والرمان متشابها وغير متشابه) يتشابه
بعض افرادهما فى اللون والطعم ولا يتشابه
بعضها

...ر هوا من ثمره) من ثمر كل واحد من ذلك (اذا اثمر) وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) يريد به ماكان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لايؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لابالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه (ولاتسرفوا) في التصدق كقوله ولاتبسطها كل البسط (انه لايحب المسرفين) لايرتضي فعلهم (ومن الانعام حمولة وفرشا) عطف على جنات اي وانشأ من الانعام مايحمل الاثقال ومايفرش للذبح اومايفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها (كلوا ممارزقكم الله) كلوا مما احل لكم منه (ولاتتبعوا خطوات الشيطان) في التحليل والتحريم من عند انفسكم (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (ثمانية ازواج) بدل من حمولة وفرشا اومفعول كلوا ولاتتبعوا معترض بينهما اوفعل دل عليه اوحال من مابمعنى مختلفة اومتعددة والزوج مامعه آخر من جنسه يزاوجه وقديقال لمجموعهما والمراد الاول (من الضأن اثنين) زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين اوجمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه (ومن المعز اثنين) التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابوعمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى (قل آلذكرين) ذكر الضأن وذكر المعز (حرم ام الانثيين) ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم (امما اشتملت عليه ارحام الانثيين) اوما حملت اناث الجنسين ذكراكان اوانثى والمعنى انكار ان يحرم الله من جنس الغنم شيأ (نبئوني بعلم) بأمر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيأ من ذلك (ان كنتم صادقين) في دعوى التحريم عليه

تعالى معروشات وغير معروشات اقوال الاول ان المعروشات وغير المعروشات كلاهما الكرم فان بعض الاعناب يعرش وبعضها لايعرش بل يلقى على وجه الارض منبسطا والثاني ان المعروشات العنب الذي يجعل له عروش وغير المعروشات كل مانبت منبسطا على وجه الارض مثل القرع والبطيخ والثالث ان المعروشات مايحتاج الى ان يتخذ له عريش يحمل عليه فيمسكه وهو الكرم اومايجري مجراه وغير المعروشات مالايحتاج اليه بل يقوم على ساقه كالنخل والزرع ونحوهما من الاشجار والبقول ورابعها ان المعروشات مايحصل في البساتين والعمرانات مما يهتم به الناس ويعرشونه وغير المعروشات ماأنبته الله تعالى في البراري والجبال وهو قول المصنف ماغرسه الناس فعرشوه وافرد النخل والزرع بالذكر وهما داخلان في الجنات لما فيهما من الفضيلة على سائر ماينبت في الجنان والمراد بالزرع ههنا جميع الحبوب التي يقتات بها **﴿قوله وان لم يدرك﴾** اشارة الى فائدة التقييد بقوله اذا اثمر وهي اباحة الاكل منه قبل ادراكه وينعه وقيل فائدته اباحة الاكل اي استبيحوا اكله اذا اثمر ولاتحرموه كتحريم المشركين بقولهم هذه انعام وحرث حجر قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب اخراجه كان الظاهر ان يحرم على المالك تناوله قبل اخراج حق المساكين لمكان شركتهم فيه فقال اذا اثمر اباحة للتناول قبل اخراج الحق **﴿قوله لا الزكاة المقدرة﴾** اي المفروضة وهي العشر فيماسقي بماء السماء ونصف العشر فيماسقي بالكلفة كما اذا سقي بالقرب والدالية حمل الحق على الحق الحالي سوى زكاة الخارج لماذكره روي عن مجاهد انه قال اذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه شيأ قبل لقط السنبل فاذا درسته وذريته فاطرح لهم منه واذا عرفت كيله فاعزل زكاته اي عشره وفي الكشاف المراد بالحق ماكان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر **﴿قوله والامر بايتائها يوم الحصاد﴾** اي مع ان الحب يوم الحصاد في السنبل وابو حنيفة رحمه الله جعل الآية مسوقة لايجاب العشر فاستدل بها على وجوب العشر في الثمار حيث قال انه تعالى ذكر العنب والزرع والنخل والزيتون والرمان ثم قال وآتوا حقه يوم حصاده فدل ذلك على وجوب الزكاة في هذه الخمسة والحصد في اللغة عبارة عن القطع فيتناول الكل فذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان العشر واجب في القليل والكثير استدلالا بهذه الآية وقال الاكثرون لايجب الا اذا بلغ خمسة اوسق للحديث **﴿قوله كقوله ولاتبسطها كل البسط﴾** فان من اعطى كل ماله الفقراء ولم يبق الى عياله شيأ مسرف مجاوز حد الاعطاء لانه قدجاء في الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول روي ان ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيأ فكره الله ذلك وانزل قوله تعالى ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين **﴿قوله مايحمل الاثقال﴾** ذكر في تفسير كل واحد من الحمولة والفرش وجهين الاول ان الحمولة مايحمل الاثقال والفرش مايفرش للذبح اويتخذ من صوفه ووبره وشعره مايفرش ولعله من قبيل التسمية بالمصدر والثاني ان الحمولة الكبار التي تصلح للحمل عليها والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل لانها دانية من الارض بسبب صغر أجرامها مثل الفروش المفروش عليها والفرش هي الارض المفروش عليها **﴿قوله كلوا مما احل لكم منه﴾** يعني ان الحرام رزق كالحلال والله تعالى انما اباح أكل بعض مارزقه وهو الحلال وقالت المعتزلة انه تعالى امر بأكل الرزق ومنع من اكل الحرام فهو ينتج ان الرزق ليس بحرام وقال الزجاج في خطوات ثلاثة اوجه ضم الطاء وفتحها واسكانها ومعناه طرق الشيطان اي لاتسلكوا الطريق الذي سوله لكم الشيطان **﴿قوله اومفعول كلوا﴾** اي كلوا ممارزقكم الله ثمانية ازواج اوهو مفعول فعل دل عليه كلوا تقديره كلوا ثمانية ازواج والضأن معروف وهو ذوالصوف من الغنم والكبش الذكر من هذا النوع والنعجة الانثى منه والمعز ذوالشعر من الغنم والتيس الذكر منه والعنز الانثى وهي الماعزة **﴿قوله وهو بدل﴾** يعني ان اثنين بدل من ثمانية ازواج جيء به للتفسير والبيان قال ابو البقاء اثنين بدل من ثمانية وقد عطف عليه بقية الثمانية ويحتمل ان يكون منصوبا بانشأ مقدرا وهو قول الفارسي وقرئ اثنان بالرفع على الابتداء والخبر الجار قبله ومن الضأن متعلق بما نصب اثنين والضأن يحتمل ان يكون اسم جنس ويجمع على ضئين نحو كلب وكليب ويحتمل ان يكون جمع ضائن وضائنة كتاجر وتاجرة وتجر وصاحب وصاحبة وصحب وراكب وراكبة وركب والجمهور على تسكين همزة الضأن وقرئ بفتح الهمزة وهو جمع تكسير لضائن كما يقال خادم وخدم وحارس وحرس ٭ وقرأ ابن كثير ومن المعز بفتح العين والباقون بسكونها وهما لغتان في جمع ماعز وقد تقدم ان فاعلا يجمع تارة على فعل نحو تاجر وتجر وعلى فعل اخرى نحو خادم وخدم ويجمع ايضا على معزى وبه قرأ ابي قال امرؤ القيس

* اذا مالم تكن ابل فمزى * كأنّ قرون جلتها العصىّ *

﴿قوله فانهم كانوا يحرّمون ذكور الانعام تارة﴾ كالحامى فانه اذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرّموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا انه قدحمى ظهره وكالوصيلة فان الشاة كانت اذاولدت انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها ﴿قوله واناثها تارة اخرى﴾ كالبحيرة والسائبة فانه اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها وخلوا سبيلها فلا تركب ولاتحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها وكانوا اذا ولدت النوق البحائر والسوآئب فصيلا حيا حرّموا لحم الفصيل على النساء دون الرجال وان ولدت فصيلا ميتا اشترك الرجال والنساء فى لحم الفصيل ولا يفرّقون بين الذكر والاناث فى حق الاولاد فلما قام الاسلام وبينت الاحكام جادلوا النبى صلى الله عليه وسلم بأن قالوا يا محمد بلغنا انك تحرّم اشياء مما كان آباؤنا يفعلونها فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم * انكم حرّمتم اصنافا من النعم على غير اصل وانما خلق الله تعالى هذه الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن اين جاء هذا التحريم أمن قبل الذكورة ام من قبل الانوثة * فتحيروا ولم يتكلموا فلو قالوا جاء التحريم بسبب الذكورة وجب ان يحرم جميع الذكور وان قالوا بسبب الانوثة وجب ان يحرم جميع الاناث وان كان باشتمال الرحم عليه فينبغى ان يحرم الكل على الكل واما تخصيص مااشتملت عليه الارحام بالولد الخامس او السابع او ببعض دون بعض فمن اين ذلك * قال الامام هذا ما اطبق عليه المفسرون فى تفسير هذه الآية وهو عندى بعيد جدّا لان لقائل ان يقول هب ان هذه الانواع الاربعة اعنى الضان والمعز والابل والبقر محصورة فى الذكور والاناث الا انه لايجب ان تكون علة تحريم ماحكموا بحرمته محصورة فى الذكورة والانوثة بل علة تحريمه كونه بحيرة او سائبة او وصيلة او حاميا او نحو ذلك من الاعتبارات فكما انا اذا قلنا انه تعالى حرّم بعض الحيوانات لاجل الاكل لا يرد علينا ان يقال ان ذلك الحيوان أن حرّم لكونه ذكرا وجب ان يحرّم كل حيوان ذكر وان كان قد حرّم لكونه انثى وجب ان يحرّم كل حيوان انثى ولما لم يكن هذا الكلام لازما علينا فكذا هذا الوجه الذى ذكره المفسرون فى تفسير هذه الآية ثم قال والاقرب عندى فيه وجهان احدهما ان يقال ان هذا الكلام ماورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعنى انكم لاتقرّون بنبوّة نبى ولاتعترفون بشرعة شارع فكيف تحكمون ان هذا يحل وهذا يحرم وثانيهما ان حكمهم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى مخصوص بالابل فالله تعالى بين ان النعم عبارة عن هذه الانعام الاربعة فلما لم تحكموا بهذه الاحكام فى الاقسام الثلاثة وهى الضأن والمعز والبقر فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم على التعيين ﴿قوله بل أكنتم﴾ يعنى ان ام منقطعة بمعنى بل والهمزة اضرب عن الاستفهام الاوّل الى ماهو أهم منه وادخل فى انكار زعمهم ومذهبهم فانهم لما انكروا النبوّة رأسا ولم يمكنهم ان يقولوا اشهدنا الله وسمعنا منه انه حرّم علينا هذه الازواج تعين انهم انما حكموا بذلك افترآء على الله وهو ظلم فلذلك فرّع قوله فمن اظلم ﴿قوله او عمرو بن لحىّ﴾ فانه هو الذى غير شريعة اسمعيل عليه الصلاة والسلام والاقرب ان يكون المراد بقوله تعالى فمن اظلم ممن افترى كل من اتصف بهذا الافترآء لان اللفظ عام وكذا العلة الموجبة لهذا الحكم فالتخصيص تحكم محض ﴿قوله لايهدى القوم الظالمين﴾ من وضع الظاهر موضع الضمير اى لايهدى اولئك المشركين اى لاينقلهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقالت المعتزلة فى تفسيره اى لايهديهم الى ثوابه قيل لما بين الله تعالى فساد طريق اهل الجاهلية فى تحليل بعض المطعومات وتحريمها قالوا فما المحرّم اذا فنزل قل يا محمد لااجد فيما اوحى الىّ طعاما محرّما على آكل يأكله الا ان يكون الطعام المحرّم ميتة فالاستثناء متصل ﴿قوله عطف على أن مع مافى حيزه﴾ اى على قرآءة ابن عامر فانه جعل كان تامة ورفع ميتة فلم يتأت له ان يجعله معطوفا على ميتة فتعين له ان يجعله معطوفا على المستثنى بخلاف قرآءة العامة فانه يكون معطوفا على خبر كان الناقصة عندهم والظاهر ان الاستثناء على قرآءة ابن عامر يكون منقطعا لان المستثنى على قرآءته كون والمستثنى منه عين ﴿قوله فان الخنزير او لحمه قذر﴾ رجح عود الضمير الى الخنزير حيث قدّمه فى الذكر لكونه اقرب المذكورين ولان التحريم المضاف الى الخنزير ليس مختصا بلحمه بل شحمه وشعره وعظمه وسائر مافيه كله حرام فاذا عاد الضمير الى الخنزير أفاد الكلام هذا المقصود وان عاد الى لحمه لايكون فى الكلام تعرّض لتحريم ماعدا اللحم الا انه جاز عوده الى اللحم ايضا لكونه اهم مافيه فان اكثر مايقصد من

﴿ ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرّم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ﴾ كما سبق والمعنى انكار ان الله حرّم شيأ من الاجناس الاربعة ذكرا كان او انثى او ماتحمل اناثها ردّا عليهم فانهم كانوا يحرّمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة اخرى واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرّمها ﴿ام كنتم شهدآء﴾ بل أكنتم حاضرين مشاهدين ﴿ اذ وصاكم الله بهذا ﴾ حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لاتؤمنون بنبى فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع ﴿ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ فنسب اليه تحريم مالم يحرّم والمراد كبراؤهم المقرّرون لذلك او عمرو بن لحىّ بن قمعة المؤسس لذلك ﴿ ليضل الناس بغير علم ان الله لايهدى القوم الظالمين قل لااجد فيما اوحى الىّ ﴾ اى فى القرآن او فيما اوحى الىّ مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحى لابالهوى ﴿ محرّما ﴾ طعاما محرّما ﴿على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة ﴾ الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرآءة ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان هى التامة وقوله ﴿او دما مسفوحا﴾ عطف على ان مع مافى حيزه اى الا وجود ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا كالدم فى العروق لا كالكبد والطحال ﴿ او لحم خنزير فانه رجس ﴾ فان الخنزير او لحمه قذر لتعوّده اكل النجاسة او خبيث مخبث

الحيوان المأكول لحمه فالحل والحرمة يضافان اليه اصالة ولغيره تبعا ﴿قوله عطف على لحم خنزير﴾ اى الا ان يكون الطعام فسقا مهلا به لغير الله جعل العين المحرّمة عين الفسق مبالغة فى كون تناولها فسقا ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له والعامل فيه قوله أهل قدّم عليه مفصولا به بين حرف العطف وهو او وبين المعطوف وهو جملة اهل وتكون هذه الجملة معطوفة على يكون اى لا اجد طعاما محرما الا ما اهل لغير الله به فسقا ﴿قوله والآية محكمة﴾ اى غير منسوخة بل هى ونحوها من النصوص المحرّمة كل واحد منها رافع للحل الاصلى فى حق ما نص على تحريمه وبقى ما لم ينص على تحريمه على الحل الاصلى فيحكم على حله بالاستصحاب وهو الحكم بثبوت الشئ فى الزمان الثانى بناء على ثبوته فى الزمان الاوّل يعنى قد تقرّر انه لا طريق الى معرفة الحل والحرمة الا ان اوحى الله تعالى الى نبيه صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لما امره ان يقول لا اجد فيما اوحى الى محرّما الا هذه الاربعة التى اوّلها الميتة وثانيها الدم المسفوح وثالثها لحم الخنزير ورابعها الفسق وهو الذى اهل به لغير الله ثبت انه لا محرّم الا هذه الاربعة ومن المعلوم ان من المطعومات امورا محرّمة غير هذه الاربعة ثبتت حرمة بعضها بالكتاب كالخمر والربا الحاصل فى معاوضة المطعومات وكالخبائث قال تعالى ويحرّم عليهم الخبائث اى المستقذرات والنجاسات وكالمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وحرمة بعضها بالسنة كحرمة اكل كل ذى ناب من السباع وذى مخلب من الطيور فان حرمتهما ثبتت بنهيه عليه الصلاة والسلام عن اكلهما فان كانت النصوص المحرّمة لهذه المذكورات ناسخة لحكم هذه الآية وهو انحصار المحرّم من المطعومات فى هذه الاربعة لزم القول بكون خبر الواحد ناسخا للكتاب وهو لا يجوز لان القاطع لا يدفع بالظنّ فوجب ان يقال ان قوله تعالى لا اجد للحال فيكون مدلول الآية بيان انحصار المحرّمات فى وقت الاخبار فيما ذكر من الامور الاربعة فيكون ما بقى من تلك الامور باقيا على الاباحة الاصلية فى ذلك الوقت فيكون تحريم ذوات الانياب والمخالب من السباع بعد ذلك الوقت رفعا للحكم الاصلى لا للحكم الشرعى * واعلم ان هذه السورة مكية فبين الله فى هذه السورة المكية انه لا يحرم الا هذه الاربعة ثم اكد هذا بأن قال فى سورة النحل انما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم وكلمة انما تفيد الحصر فقد حصلت لنا آيتان مكيتان تدلان على حصر المحرّمات فى هذه الاربعة ثم ذكر تعالى فى سورة المائدة وهى سورة مدنية احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم وأجمع المفسرون على ان المراد بقوله الا ما يتلى عليكم هو ما ذكره بعد هذه الآية بقليل وهو قوله حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به ثم قال والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وهذه الاشياء اقسام الميتة الا انه تعالى اعادها بالذكر لانهم كانوا يحكمون عليها بالتحليل ثم بين فى سورة البقرة وهى سورة مدنية ايضا انه لا يحرم الا هذه الاربعة فقال انما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية مطابقة لقوله قل لا اجد فيما اوحى الىّ محرّما الا كذا وكذا فى الآية المكية فثبت ان الشريعة من اوّلها الى آخرها كانت مستقرّة على انحصار المحرّمات فى هذه الاربعة فان قيل هذا الحصر يقتضى تحليل النجاسات والمستقذرات مع انها محرمة لقوله تعالى فى آية اخرى ويحرّم عليهم الخبائث فانه يقتضى تحريم كل الخبائث والنجاسات ويقتضى ايضا تحليل الخمر والمنخنقة ونحوهما مع انها محرّمة بالآيات المدنية فالآيات المحرّمة لهذه الاشياء تكون ناسخة للآية الدالة على انحصار المحرّمات فى تلك الاربعة وبعد ما كانت منسوخة لا تبقى دليلا على حل ما عدا تلك الاشياء الاربعة وكونها منسوخة ينافى ما يدل عليه توافق الآيات المكية والمدنية من انحصار المحرّمات فى هذه الاربعة واستقرار الشريعة على ذلك الانحصار والجواب ان الآية الدالة على حرمة الخبائث والنجاسات وعلى حرمة المنخنقة ونحوها ليست ناسخة لهذه الآية الدالة على الانحصار لان قوله تعالى فى هذه الآية او لحم خنزير فانه رجس يدل على ان حرمة لحم الخنزير معللة كونه رجسا نجسا فهذا يقتضى ان تكون النجاسة علة لتحريم الاكل فوجب ان يكون كل نجس محرّما اكله فلا ينا فى تلك الآية وكذا لا تنافيها آية المنخنقة وما بعدها لان جميعها داخل تحت الميتة المحرمة بهذه الآية ولا تنافيها الآية المحرّمة للخمر ايضا لانه تعالى قال فى حقها انها رجس من عمل الشيطان فتدخل تحت قوله فانه رجس ولا تنافيها الآية المحرّمة للربا ونحوه ايضا لان تلك الآية تخصص عموم هذه الآية كأنه قيل الذى اجده فيما اوحى الىّ هى هذه الاربعة وما عداها محللة الا ما ورد النص على تحريمه فانّ حاصل قولنا لا محرّم سوى

(اوفسقا) عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل (اهل لغير الله به) صفة له موضحة وانما سمى ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله فى الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لأهل وهو عطف على يكون والمستكنّ فيه راجع الى ما رجع اليه المستكنّ فى يكون (فمن اضطرّ) فمن دعته الضرورة الى تناول شئ من ذلك (غير باغ) على مضطرّ مثله (ولا عاد) قدر الضرورة (فان ربك غفور رحيم) لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحى الى تلك الغاية محرّما غير هذه وذلك لا ينافى ورود التحريم فى شئ آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب

الاربعة هو ان ماعداها ليست بمحرّمة فاثبات محرّمات اخر تخصيص له لا نسخ ويجوز تخصيص عام الكتاب بخبر
الواحد والجمع ثم انه تعالى بين بقوله وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر الآية انه حرّم على اليهود اشياء
اخر سوى هذه الاربعة وهي نوعان الاوّل انه تعالى حرّم عليهم كل ذي ظفر والثانى ماذكره بقوله ومن البقر
والغنم حرّمنا عليهم شحومهما ﴿قوله كل ماله اصبع﴾ وذوات الاظلاف وهى البقر والغنم والظباء
لااصبع لها فهى محللة لهم سوآء كان مابين اصابعه منفرجا كانواع السباع والكلاب والسنانير اولم يكن منفرجا
كالابل والنعام والاوز والبط * وعن عبدالله بن مسلم انه قال ذو الظفر كل ذى مخلب من الطير وكل ذى حافر
من الدواب ثم قال كذلك قال المفسرون قال وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة وقيل هو كل مالم يكن مشقوق
الاصابع من البهائم والطير كالابل والنعام والاوز والبط وفى الكواشى الظفر للانسان وغيره هو مايكون فى طرف
الايدى والارجل ثم سمى بعض خفا وبعض حافرا وبعض مخلبا وبعض ظفرا * وفى الكشاف وذو الظفر ماله اصبع
من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرّم عليهم فعم التحريم كل ذى ظفر بدليل قوله تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات احلت لهم وقال الامام حمل ذى الظفر على الحافر بعيد من وجهين الاوّل
ان الحافر لايسمى ظفرا الاعلى سبيل الاستعارة والثانى انه لوكان الامر كذلك لوجب ان يقال انه تعالى حرّم
عليهم كل حيوان له حافر وذلك باطل لان الآية تدل على ان الغنم والبقر مباحان لهم مع حصول الحافر لهما واذا
ثبت هذا فنقول وجب حمل الظفر على المخالب والبراثن لان المخالب آلات الجوارح الطير فى الاصطياد والبراثن
آلات للسباع فى الاصطياد قال الاصمعى البراثن من السباع والطير بمنزلة الاصابع من الانسان والمخلب ظفر
البراثن كذا فى الصحاح وعلى هذا التقدير يدخل فيه انواع السباع والكلاب والسنانير ويدخل فيه الطيور التى
تصطاد لان هذه الصفة تعم هذه الاجناس وتقديم قوله تعالى وعلى الذين هادوا على عامله وهو حرّمنا يفيد الاختصاص
عند اكثر العلماء كالزمخشرى والامام الرازى وفى الظفر لغات اعلاها ضم الظاء والفاء وهى قرآءة الجمهور وقرئ
ظفر بسكون الفاء وهى تخفيف لمضمومها وقرئ ظفر بكسر الظاء والفاء وظفر بكسر الظاء وسكون الفاء وكل
واحدة من هذه اللغات يجمع على اظفار وفيه لغة خامسة وهى اظفور ويجمع على اظافير ﴿قوله تعالى ومن
البقر والغنم﴾ الظاهر انه متعلق بمابعده والتقدير وحرّمنا على الذين هادوا من البقر والغنم شحومهما ولو قيل
من البقر والغنم حرّمنا عليهم الشحوم بدون الاضافة لكفى فى افادة اصل المعنى لانه لما تقدم ذكر البقر والغنم علم
ان المراد من الشحوم شحمهما الا انه اضيف الشحوم الى ضميرهما لزيادة الربط كما تقول من زيد اخذت ماله وفى الوسيط
حرّمنا عليهم شحومهما يعنى شحوم الجوف وهى الثروب وشحم الكليتين لانهما الباقيان بعد الاستثناء وقوله تعالى
الا ماحملت ظهورهما قال قتادة ماعلق بالظهر والجنبين من داخل بطونهما وقوله تعالى اوالحوايا وهى المباعر
والمصارين * والمصارين الامعاء جمع مصران جمع مصير وهو فعيل من صار اليه الطعام كذا فى المغرب واحدتها
حاوية وحوية وحاوياء كقاصعاء وقواصع يعنى ماحملت الحوايا من الشحم او ما اختلط بعظم يعنى شحم الالية
فى قولهم جميعا لما فيها من العظم حرّم الله تعالى عليهم شحوم البقر والغنم الاثلاثة انواع الاوّل الشحوم الملتصقة
بظهورهما والثانى الشحوم الملتصقة بالمباعر والمصارين والثالث مااختلط بعظم فهذه الانواع الثلاثة حلال لهم
وانما حرّم عليهم الثرب وشحم الكلية والثرب شحم رقيق يغشى الكرش والامعاء والكرش لكل مجترّ بمنزلة المعدة
للانسان ﴿قوله الاماعلقت بظهورهما﴾ وفسره صاحب الكشاف بقوله الاما اشتمل على الظهور والجنوب
من السحفة وهى بفتح السين وسكون الحاء المهملة الشحمة التى على الظهر الملتصقة بالجلد فيما بين الكتفين الى
الوركين وفى الكواشى هو ماعلق بالظهر والجنب من داخل وعبارة المصنف تحتمل كلا التفسيرين ﴿قوله
اوما اشتمل على الامعاء﴾ اشارة الى ان قوله اوالحوايا فى موضع الرفع عطفا على ظهورهما اى والا الذى حملته الحوايا
واشتمل على الامعاء وقوله على الامعاء تفسير للحوايا فانه غير محرّم عليهم كالذى ذكر قبله وقيل انه فى محل النصب
عطفا على شحومهما اى وحرّمنا عليهم الحوايا ايضا اوما اختلط بعظم فيكون كل واحد من الحوايا والمختلط محرّما
عليهم وتكون او بمعنى الواو ويحتمل ان يكون فى محل النصب عطفا على المستثنى وهو ماحملت ظهورهما كأنه
قيل الاماحملته الظهور اوالحوايا اوالا مااختلط وفى الكواشى اوالحوايا عطف على الظهور فهى رفع اى اوماحملت
الحوايا من الشحم او على ما فهى نصب والمراد نفسها او على الشحوم فحرّم والحاصل ان قوله تعالى حرّمنا عليهم

(وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذى ظفر)
كل ماله اصبع كالابل والسباع والطيور
وقيل كل ذى مخلب وحافر وسمى الحافر
ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم
التحريم (ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم
شحومهما) الثروب وشحوم الكلى
والاضافة لزيادة الربط (الا ماحملت
ظهورهما) الا ماعلقت بظهورهما
(اوالحوايا) اوما اشتمل على الامعاء
جمع حاوية اوحاوياء كقاصعاء وقواصع
اوحوية كسفينة وسفائن وقيل هو
عطف على شحومهما وأو بمعنى الواو
(اوما اختلط بعظم) هو شحم الالية
لاتصالها بالعصعص

شحومهما الاماحملت ظهورهما يشتمل على ثلاثة اشياء مستثنى منه وهو شحومهما ومستثنى وهو ما الموصولة فى قوله ماحملت وفاعل حملت وهو ظهورهما فقوله تعالى او الحوايا او مااختلط بعظم يحتمل ان يعطف على المستثنى منه فينبغى ان تكون كلمة او بمعنى الواو لان حملها على اصل معناها يستلزم ان تكون الآية مسوقة لتحريم احد المذكورات على الابهام وليس من الشرع ان يحرّم واحد مبهم من امور معينة وانما ذلك فى الواجب فقط فيجب ان يكون المحرّم هو المجموع لا الواحد المبهم وذلك انما يكون بأن تكون او بمعنى الواو ويحتمل ان يعطف على المستثنى فينبغى ان تكون او بمعنى الواو ايضا لان المحلل هو المجموع لا الواحد المبهم ويخدش هذا الاحتمال ان عطف الحوايا على المستثنى من الشحم يستلزم كون الحوايا مستثنى من الشحوم مع انها ليست من جنس الشحوم بخلاف ماالصق بالظهور وما اختلط بالعظم ولعل المصنف انما لم يتعرّض لهذا الاحتمال لذلك ويحتمل ان يعطف على ظهورهما وهو الاقرب والعصعص بالضم عجب الذنب وهو عظمه ويقال انه اوّل مايخلق وآخر مايبلى

﴿قوله ذلك التحريم﴾ اى تحريم الطيبات المحللة لهم اشارة الى ان ذلك منصوب المحل على انه مفعول ثان لجزيناهم قدّم على عامله لان جزى يتعدّى الى مفعولين والتقدير جزيناهم ذلك التحريم او ذلك الجزآء بسبب بغيهم وهو قتلهم الانبياء واخذهم الربا واكلهم اموال الناس بالباطل ﴿قوله وانا لصادقون فى الاخبار﴾ اى عن كل شئ لاسيما فى الاخبار عن التحريم المذكور وفى الاخبار عن بغيهم ﴿قوله او الوعد والوعيد﴾ اشارة الى انه تعالى لايخلف فى الوعيد كما لايخلف فى الوعد لان الخلف فى كل واحد منهما كذب فيستحيل صدوره منه تعالى وقيل يجوز منه تعالى الخلف فى وعيده بناء على انه كرم وفضل بخلاف الخلف فى الوعد فانه نقيصة وانشد

* وانى اذا اوعدته اووعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى *

﴿قوله ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع﴾ جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ماذهبوا اليه من انه تعالى لايريد الاما امر به من الايمان والطاعة ووجه استدلالهم انه تعالى حكى عنهم انهم سيعتذرون فى اشراكهم وتحريمهم مااحل الله لهم بأن يقولوا انما اشركنا وحرّمنا ذلك بمشيئة الله تعالى وارادته منا ذلك ولولا مشيئته لم يقع شئ من ذلك وهذا الذى حكاه عنهم هو عين ماذهب اليه اهل السنة ولما حكى الله تعالى ذلك عنهم على سبيل الذم والتقبيح ثبت بطلانه فانه تعالى لايريد من المكلف الا الايمان والطاعة * وتقرير الجواب ان مدخول كلمة لو ليس مشيئة عدم الاشراك والتحريم حتى يكون محصول كلامهم انما اشركنا وحرّمنا لتعلق مشيئة الله تعالى بذلك فيذمهم الله تعالى ويقبح منهم هذا الكلام وتكون الآية دليلا لهم علينا بل مدخولها هو المشيئة مع الرضى وذلك لان مقصود القوم بيان انهم على الحق المرضى عند الله تعالى وهذا المقصود انما يتم بذلك كأنهم قالوا لوشاء الله عدم اشراكنا ورضى به لتحقق ذلك العدم ولما لم يتحقق ذلك العدم علمنا انه تعالى لم يشأ ولم يرض عدم اشراكنا فكان اشراكنا مرضيا مرادا له تعالى وذلك لان كلمة لو لانتفاء المشيئة لانتفاء مدخولها ومدخولها ههنا مجموع الامرين المشيئة والرضى وانتفاء المجموع لايستلزم انتفاء كل واحد منهما فيجوز ان ينتفى الرضى وتوجد المشيئة ويكون مراد القوم بقولهم لكن اشركنا لانتفاء مشيئة الارتضاء لكن اشركنا لانتفاء احد شرطى عدم اشراكنا وهو الرضى به وان تحقق الشرط الآخر وهو تعلق المشيئة به فعلى هذا يتعلق الذم والقبيح بزعمهم انه تعالى لم يرض بعدم اشراكهم وتحريمهم فانه باطل لانه تعالى لايرضى لعباده الكفر والفسوق ﴿قوله كقوله فلوشاء لهداكم اجمعين﴾ تشبيه لكون مدخول كلمة لو مشيئة الارتضاء وانتفاؤها لايستلزم انتفاء كل واحد من المشيئة والرضى فان المنتفى فيه هو المشيئة فقط دون الرضى فان هداية الجميع مرضية وان لم يتعلق بها المشيئة فقول المصنف مشيئة ارتضاء وان امكن حمله على ان المشيئة مجاز عن الرضى وكان هذا الحمل كافيا فى غرضه الا انه لايوافقه قوله كقوله ولوشاء لهداكم لان المشيئة فيه ليست بمعنى الرضى ﴿قوله ويؤيد ذلك﴾ اى يؤيد كون مرادهم بذلك القول بيان انهم على الحق دون الاعتذار ووجه التأييد ان قولهم لوشاء الله مااشركنا لو اريد به الاعتذار لما كان تكذيبا له عليه الصلاة والسلام وانما يكون تكذيبا اذا كان معناه انا انما اشركنا وحرّمنا لكون ذلك مشروعا مرضيا عند الله تعالى وانك كاذب فيما قلت من ان الله تعالى منع من الشرك ولم يحرّم ماحرّمتموه ويؤيد ايضا هذا المعنى قوله قل هلم شهدآءكم الآية فانه صريح فى انهم يدّعون ان الله تعالى حرّم هذه الاشياء وانهم على الحق

(ذلك) التحريم او الجزاء (جزيناهم ببغيهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) فى الاخبار او الوعد والوعيد (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لايهمل (ولا يردّ بأسه عن القوم المجرمين) حين ينزل اوذو رحمة واسعة على المطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقام مقامه ولا يردّ بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لايمكن ردّه عنهم (سيقول الذين اشركوا) اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه (لوشاء الله مااشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شئ) اى لوشاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلوشاء لهداكم اجمعين لمافعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضى عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله (كذلك كذب الذين من قبلهم) اى مثل هذا التكذيب لك فى أن الله تعالى منع من الشرك ولم يحرّم ماحرّموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير فى اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا (حتى ذاقوا بأسنا) الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من امر معلوم يصح الاحتجاج به على مازعمتم (فتخرجوه لنا) فتظهروه لنا (ان تتبعون الا الظن) ماتتبعون فى ذلك الا الظن (وان انتم الا تخرصون) تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه

المشروع المرضيّ والكاف في قوله تعالى كذلك صفة لمصدر محذوف اى مثل التكذيب المشار اليه في قوله فان كذبوك هذا على تقدير ان يكون ضمير كذبوك للمشركين الذين كذبوه عليه الصلاة والسلام فيما اخبرهم به من انه تعالى نهاهم عن الشرك ولم يحرّم عليهم ماحكموا بحرمته والظاهر انه ضمير الذين هادوا وقوله كذلك اشارة الى التكذيب المدلول عليه بقولهم لو شاءالله الخ وقوله حتى ذاقوا غاية لامتداد التكذيب وقوله من علم يحتمل ان يكون مبتدأ وعندكم خبرا مقدما وان يكون فاعلا للظرف لاعتماده على الاستفهام ومن زآئدة على كلا التقديرين والفاء في قوله تعالى قل فلله تقتضي سبق شئ يتفرّع هذا عليه فقدّر الزمخشري شرطا محذوفا يكون هذا جوابا له حيث قال يعني فان كان الامر كازعمتم من ان ماانتم عليه بمشيئة الله تعالى فلله الحجة البالغة وقدر غيره جملة اسمية فقال التقدير قل انتم لاحجة لكم على ماادّعيتم والظاهر انه لاحاجة الى التقدير بل هو متفرّع على قوله قل هل عندكم من علم فان الاستفهام فيه لانكار انه لاحجة لهم على ماادّعوه فلله الحجة البالغة عليكم فانهم لما دفعوا دعوة الانبياء والرسل عن انفسهم بأن قالوا كل ماهو كائن فانه بمشيئة الله تعالى واذا شاءالله منا ذلك كنا عاجزين عن تركه فكيف تأمرنا بتركه وهل في وسعنا وطاقتنا ان نأتي بفعل على خلاف مشيئة الله تعالى فهذا هو شبهة الكفار على الانبياء فقال تعالى حجتهم داحضة بل الحجة البالغة لله من وجهين الاوّل انه تعالى اعطاكم عقولا كاملة وافهاما وافية وآذانا سامعة وعيونا ناظرة وأقدركم على الخير والشرّ وأزال الاعذار والموانع بالكلية عنكم فان شئتم ذهبتم الى عمل الخيرات وان شئتم ذهبتم الى عمل المعاصي والمنكرات اى ذهبتم الى اكتسابها لاالى ايجادها فان المراد قدرة الكسب لاالايجاد وهذه القدرة الممكنة معلومة الثبوت بالضرورة وكذا زوال الموانع والعوائق معلوم كذلك واذا كان الامر كذلك كان ادّعاؤكم انكم عاجزون عن الايمان والطاعة دعوى باطلة فثبت بما ذكرنا انه ليس لكم على الله حجة بل لله الحجة البالغة عليكم قال الزجاج حجته البالغة تبيينه انه الواحد وارساله الانبياء بالحجج التي تعجز عنها الخلائق اجمعون والوجه الثاني انكم تقولون لو كانت افعالنا واقعة على خلاف مشيئة الله تعالى لكنا قد غلبنا الله وقهرناه وأتينا بالفعل على مضادّته ومخالفته وذلك يوجب كونه عاجزا ضعيفا وذلك يقدح في كونه الها فاجاب تعالى عنه بأن العجز والضعف انما يلزم اذا لم يكن قادرا على حملهم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والالجاء وهو قادر على ذلك حيث قال ولو شاء لهداكم اجمعين الا انه لايحملكم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والالجاء لان ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف اقول واحتج اهل السنة بقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين على ان الكل بمشيئة الله تعالى لان كلمة لو في اللغة تفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره فدل على انه تعالى ماشاء ان يهديهم وماهداهم ايضا فهي حجة دامغة لنا على المعتزلة ﴿ قوله وهو اسم فعل ﴾ اى بمعنى أحضروا وهاتوا وقرّبوا وشهدآءكم مفعول به فان اسم الفعل يعمل عمل مسمّاه متعديا كان اولازما وهلمّ فيها لغتان لغة الحجازيين ولغة التميميين فعند الحجازيين يستوى فيها المذكور والمؤنث والواحد والجمع نحو هلم يازيد يازيدان يازيدون ياهند ياهندان ياهندات وعند بني تميم تلحقها الضمائر كما تلحق سائر الافعال فتذكر وتؤنث وتجمع فيقال هلمّ هلمّا هلموا هلمي هلممن وجمهور البصريين على انها مركبة من ها التنبيه ومن لمّ امر من لم يلم فلما ركبتا حذفت ألفها لكثرة الاستعمال اولالتقاء الساكنين تقديرا بناء على ان حركة اللام عارضة وانما ضمت بنقل حركة الميم اليها للادغام فكان كل واحد من ألفها واللام ساكنا وسقطت همزة الوصل للاستغناء عنها بحركة الميم المنقولة الى اللام لاجل الادغام وادغمت الميم في الميم وبنيت على الفتح للخفة وقيل انها مركبة من ها التنبيه ومن لمّ امرا من لمّ الله شعثه اى جمعه فمعنى هلم اجمع نفسك الينا فحذفت ألفها لكثرة الاستعمال وليس فيه حينئذ الاعمل واحد وهو حذف ألفها وهو مذهب الخليل وسيبويه وذهب الفرآء الى انها مركبة من هل التي للزجر ومن امّ من الأمّ وهو القصد وليس فيه الاعمل واحد وهو نقل حركة الهمز الى لام هل وهلمّ تكون متعدية بمعنى احضره ولازمة بمعنى اقبل فمن جعلها متعدية اخذها من اللم وهو الجمع ومن جعلها قاصرة اخذها من اللمم وهو الدنوّ والقرب فمعنى هلم ادن وتقرّب وأقبل ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون المراد بشهدآئهم قدوتهم الذين اقتدوا بهم لامن يشهد بصحة دعواهم كائنا من كان قيد الشهدآء بالاضافة اليهم فان الاضافة لكونها من طرق تعريف المضاف تدل على ان لهم اشخاصا معهودة لكونهم شهدآءهم وانهم انما ذهبوا الى ماذهبوا اليه بشهادة هؤلاء الشهدآء ولذلك ايضا وصف الشهدآء بالموصول مع الصلة للدلالة على ان شهدآءهم معهودون معينون عندهم باتصافهم بمضمون الصلة فان

(الموصولات)

(قل فلله الحجة البالغة) البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوّة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه (فلو شاء لهداكم اجمعين) بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين (قل هلمّ شهدآءكم) أحضروهم وهو اسم فعل لايتصرّف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين هالمّ من لمّ اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل أمّ فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لاتدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقوله هلمّ الينا (الذين يشهدون ان الله حرّم هذا) يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لامتمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهدآء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم

الموصولات انما جعلت معارف لكونها موضوعة لان يطلقها المتكلم على مايعتقد ان المخاطب يعرفه بكونه محكوما
عليه بحكم حاصل له وهو مضمون الصلة فان صلة الموصول لابدّ ان تكون جملة معلومة الانتساب الى ذات الموصول
قبل ايرادها واجرآئها عليه ﴿قوله فان تسليمهم موافقة لهم في الشهادة﴾ فكان بمنزلة الشهادة فاطلق عليه اسم
الشهادة استعارة تصريحية واشتق منه قوله فلا تشهد فكان استعارة تبعية ﴿قوله فاتسع فيه بالتعميم﴾
حيث قاله وتكلم به كل من طلب ان يتقدم ويصل اليه شخص سوآء كان الطالب في علو اوسفل اوغيرهما ﴿قوله
ومايحتمل الخبرية﴾ اى يحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذى والعائد محذوف اى أتل الذى حرّمه ربكم عليكم
وهذا اظهر الاحتمالات الثلاثة ويحتمل ان تكون مصدرية اى أتل تحريم ربكم ونفس التحريم لايتلى وانما هو مصدر
واقع موقع المفعول به اى أتل محرّم ربكم الذى حرّمه عليكم ويحتمل ان تكون استفهامية في محل النصب بحرّم
بعدها والتقدير أتل اى شئ حرّم ربكم ﴿قوله اى لاتشركوا﴾ اختار ان تكون ان في قوله تعالى ان لاتشركوا
مفسرة من حيث انه تقدّمها ما هو في معنى القول لان التحريم هو تكلم القول الدال على الحرمة فقوله لاتشركوا
يصلح ان يكون مفسرا للتحريم المذكور بقوله ماحرّم حتى تكون لا ناهيـة وتكون الجمل المتعاطفة متوافقة
في كونها طلبية بعضها امر وبعضها نهى نحو لاتشركوا ولاتقربوا ولاتقتلوا ولاتتبعوا السبل ونحو أحسنوا
بالوالدين وأوفوا واذاقلتم فاعدلوا وبعهدالله أوفوا وعلى تقدير ان تكون كلمة ان ناصبة للفعل تكون لانافية فلا
يحسن عطف الجملة الانشائية عليهـا وايضا ان جعلت ان مصدرية ولانافية يكون قوله تعالى ان لاتشركوا
في موقع البيان للمحرّم بدلا من مافيلزم ان يكون ترك الشرك والاحسان الى الوالدين محرّما وهو باطل لانهمـا
واجبان فكيف يكونان محرّمين وبجعلها مفسرة يزول الاشكال لان تقدير الكلام يصير حينئذ أتل ماحرّم ربكم
عليكم ان لاتشركوا اى ذلك التحريم هو قوله لاتشركوا به شيأ ﴿قوله ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بماحرّم﴾
جواب عما يقال كيف يعطف قوله وأحسـنوا بالوالدين على الفعل المفسر وهو لاتشركوا مع ان هذا المفسر
قدعلق اى جعل مفسرا لقوله ماحرّم فلو عطف قوله وبالوالدين احسانا على قوله ان لاتشركوا به شيأ لوجب
ان يكون مفسرا لقوله ماحرّم ربكم عليكم فيلزم ان يكون الاحسـان بالوالدين حراما وهو باطـل * وتقرير
الجواب نعم ان عطف الامر على ماجعل تفسيرا للتحريم يستلزم ان يكون الامر دالا على التحريم مفسرا له الا انه
لايلزم منـه ان يكون المأمور به محرّما فانه لايذهب اليه وهم احد بل التحريم مستفاد من الامر وهو تحريم ضدّ
المأمور به فان ايجاب المأمور به يستلزم تحريم ضدّه فان قولك أحسنوا بالوالدين في قوّة قولك لاتسيئوا بالوالدين
وقولك أوفوا الكيل في قوّة قولك لاتبخسوا الكيل والميزان وكذا نظائرهما ﴿قوله ومن جعل ان ناصبة﴾
يتجه عليه ان يقال انّ ان مع الفعل حينئذ تكون في محل النصب على انه بدل مما حرّم وهو باطل لاستلزامه ان
يكون ترك الاشراك محرّما والمحرّم هو الاشراك لانفيه وانّ الاوامر الواردة بعد ذلك معطوفة على لاتشركوا وفيه
ارتكاب عطف الطلبي على الخبرى وجعل المعاني الواجبة المأمور بها محرّمة فلذلك احتيج الى ماذكره المصنف من
التكلفات الاوّل ان يتم الكلام عند قوله أتل ماحرّم ربكم ثم يبتدأ بقوله عليكم ان لاتشركوا اى الزموا ترك
الشرك فتكون الاوامر المعطوفة معطوفة على نفس عليكم لكونه بمعنى الزموا والثانى ان تكون ان مع مافي حيزها
في محل النصب بدلا مما حرّم اومن العائد المحذوف اذ التقدير ماحرّمه وعلى التقديرين تكون لامزيدة لئلا يفسد
المعنى كزيادتها في قوله تعـالى ان لايسجدوا ولئلا يعلم اهل الكتاب والتقدير أتل ماحرّم ربكم ان تشركوا
فيكون عطف الاوامر على المحرّمات باعتبار حرمة اضدادها وعطفها على الخبر باعتبار تضمين الخبر معنى الطلب
ويحتمل ان تكون ان الناصبة مع مافي حيزها في محل الجرّ على حذف لام العلة والتقدير أتل ماحرّم ربكم عليكم
لئلا تشركوا ويحتمل ان تكون في محل الرفع على انها خبرمبتدأ محذوف وهو المحرّم او المتلوّ الا انه في جعل التقدير
المحرّم ان لاتشركوا يجب ان تجعل كلمة لازآئدة لئلا يفسد المعنى ﴿قوله شيأ يحتمل المصدر﴾ بأن يكون عبارة
عن الاشراك اى اشراكا ما او شـيأ من الاشراك واحسـانا منصوب على المصدر وعامله فعل مضمر من لفظه
ويتعلق به قوله وبالوالدين * ومن في قوله من املاق سببية متعلقة بالفعل المنهى عنه اى لاتقتلوا اولادكم لاجل
الاملاق وهو الفقر وقيل الجوع ﴿قوله بدل منه﴾ يعنى ان قوله ماظهر منها ومابطن في محل النصب على انه
بدل من الفواحش بدل اشتمال اى لاتقربوا ظاهرها وباطنها كقولك ضربت زيدا ظاهره وباطنه ومنها حال

(فان شهدوا فلا تشهد معهم) فلا تصدّقهم
فيه وبين لهم فساده فانّ تسليمهم موافقة
لهم في الشهادة الباطلة (ولاتتبع اهوآء
الذين كذبوا باياتنا) من وضع المظهر موضع
المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع
الهوى لاغير وان متبع الحجة لايكون الامصدّقا
بها (والذين لايؤمنون بالآخرة) كعبدة
الاوثان (وهم بربهم يعدلون) يجعلون له
عديلا (قل تعالوا) امر من التعالى واصله
ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل
فاتسع فيـه بالتعميم (أتل) أقرأ (ماحرّم
ربكم) منصوب بأتل ومايحتمل الخبرية
والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية
منصوبة بحرّم والجملة مفعول أتل لانه بمعنى
أقل اى شئ حرم ربكم (عليكم) متعلق
بحرّم او أتل (ان لاتشركوا به) اى
لاتشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولايمنعه
تعليق الفعل المفسر بما حرّم فان التحريم
باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن
جعل ان ناصبة فمحلهما النصب بعليكم على
انه للاغرآء او بالبـدل من ما اومن عائده
المحذوف عـلى ان لازآئدة او الجرّ بتقدير
اللام او الرفع على تقدير المتلوّ أن لاتشركوا
او المحرّم ان تشركوا (شيا) يحتمل المصدر
والمفعول (وبالوالدين احسانا) اى واحسنوا
بهما احسانا وضعه موضع النهى عن
الاسـاءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك
الاساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما
(ولاتقتلوا اولادكم من املاق) من اجل
فقر ومن خشيته كقوله خشـية املاق
(نحن نرزقكم واياهم) منع لموجبية ما كانوا
يفعلون لاجله واحتجاج عليه (ولاتقربوا
الفواحش) كبائر الذنوب او الزنى (ماظهر
منها ومابطن) بدل منه وهو مثل قوله ظاهر
الاثم وباطنه

ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله الا بالحق)
كالقود وقتل المرتدّ ورجم المحصن (ذلكم)
اشارة الى ما ذكر مفصلا (وصاكم به)
بحفظه (لعلكم تعقلون) ترشدون فان كمال
العقل هو الرشد (ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتي هي احسن) اى بالفعلة التي هي احسن
ما يفعل بماله كحفظه وتثميره (حتى يبلغ اشدّه)
حتى يصير بالغا وهو جمع شدّة كنعمة وانعم
او شدّ كصرّ وأصرّ وقيل مفرد كآنك
(وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل
والتسوية (لا نكلف نفسا الا وسعها) لا ما
يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر
معناه ان ايفاء الحق عسير فعليكم بما في
وسعكم وما وراءه معفو عنكم (واذا قلتم)
في حكومة ونحوها (فاعدلوا) فيه (ولو
كان ذا قربى) ولو كان المقول له او عليه من
ذوى قرابتكم (وبعهد الله أوفوا) يعنى
ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام
الشرع (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون)
تتعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائى
تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان
بالتاء والباقون بتشديدها (وان هذا صراطى
مستقيما) الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة
فانها بأسرها في اثبات التوحيد والنبوّة
وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائى ان
بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب
بالفتح والتخفيف وقرأ الباقون به مشدّدة
بتقدير اللام على انه علة لقوله (فاتبعوه)
وقرأ ابن عامر صراطى بفتح الياء وقرئ
وهذا صراطى وهذا صراط ربكم وهذا
صراط ربك (ولا تتبعوا السبل) الاديان
المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى
الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد
لاختلاف الطبائع والعادات (فتفرّق بكم)
فتفرّقكم وتزيلكم (عن سبيله) الذى هو
اتباع الوحى واقتفاء البرهان (ذلكم)
الاتباع (وصاكم به لعلكم تتقون) الضلال
والتفرّق عن الحق (ثم آتينا موسى الكتاب
تماما) عطف على وصاكم وثم للتراخى
في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كأنه قيل
ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك
انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة

من فاعل ظهر فيتعلق بمحذوف وحذف منها بعد قوله بطن لدلالة الاوّل عليه قال ابن عباس كانوا يكرهون الزنى
علانية فيفعلون ذلك سرّا فنهاهم الله تعالى عن الزنى علانية وسرّا وقال الضحاك ما ظهر الخمر وما بطن الزنى والاولى
ان يجرى النهى على عمومه في جميع الفواحش ظاهرها وباطنها ولا يخص بنوع معين (قوله تعالى الا بالحق)
حال من فاعل تقتلوا اى لا تقتلوها الا ملتبسين بالحق ويجوز ان يكون وصفا لمصدر محذوف اى الا قتلا ملتبسا
بالحق (قوله تعالى وأوفوا الكيل) اى أتموه ولا تنقصوا منه شيأ وكل شئ بلغ تمام الكمال فقد وفى وتم ووفيته
اى اتممته واوفى الكيل اى اتمه ولم ينقص منه شيأ وبالقسط حال من فاعل أوفوا اى أوفوهما مقسطين اى
ملتبسين بالقسط وهو العدل * فان قيل ايفاء الكيل والميزان هو عين القسط فما فائدة التكرير * فالجواب ان الله تعالى
امر المعطى بايفاء ذى الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق بأخذ حقه من غير طلب زيادة (قوله
واذا قلتم في حكومة ونحوها) يعنى ان القول ليس مختصا بأداء الشهادة بل يدخل فيه كل ما يتعلق بالقول من
الدعوة الى الدين وتقرير الدلائل عليه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويدخل فيه الحكايات
التى يذكرها الرجل فيجب ان لا يزيد فيها ولا ينقص منها وتبليغ الرسالة وحكم الحاكم ولما كان مدار الامر على
اتباع الحق المشروع وطلب مرضاة الله تعالى لم يختلف الحال بين ان يكون المقول له او المقول عليه ذا قرابة وبين
ان يكون اجنبيا (قوله وابن عامر) اى وقرأ ابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف على انها مخففة من الثقيلة
واسمها ضمير الامر والشأن اى وانه هذا صراطى كقوله تعالى ان الحمد لله (قوله وقرأ الباقون به مشدّدة
بتقدير اللام المفيدة للعلية اى ولان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع
الله احدا وقيل ان ان المشدّدة مع ما في حيزها في محل النصب على انها معطوفة على قوله ما حرّم اى أتل ما حرّم
ربكم عليكم وأتل ان هذا صراطى والمراد بالمتكلم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فان صراطه صراط الله الذى
هو دين الاسلام (قوله تعالى فتفرّق) منصوب باضمار ان بعد الفاء في جواب النهى اصله تتفرّق حذفت منه
احدى التاءين وبكم مفعول به عدّى الفعل اليه بالباء اى فتفرّقكم وقوله مستقيما حال وعاملها معنى الاشارة
(قوله وثم للتراخى في الاخبار) جواب عما يقال كيف يصح عطف الايتاء على التوصية بثم والايتاء قبل
التوصية بدهر طويل فان التوصية وقعت بانزال القرآن وايتاء التوراة لا شك انه متقدّم على انزال القرآن
واجاب عنه بأن ثم ههنا ليست للتراخى الزمانى بل انما هى للتراخى في الاخبار او للتراخى في الرتبة فان الفاء العاطفة
للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ما قبلها في الذكر لان مضمون ما بعدها واقع عقيب مضمون
ما قبلها في الزمان كما في قوله تعالى بعد ذكر الجنة فنعم اجر العاملين وبعد ذكر جهنم فبئس مثوى المتكبرين فان ذكر مدح
الشئ او ذمه انما يصح بعد جرى ذكره ولا يصح حملها على التراخى الزمانى في شئ من الآيتين ومن هذا الباب
عطف تفصيل المجمل على المجمل كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى الى آخرها وقولك اجبته
فقلت لبيك فان موضع ذكر التفصيل بعد الاجمال ومن هذا القبيل ما نحن فيه من الآية فان الاخبار بايتاء
التوراة وانزال القرآن مرتب على الاخبار بالتوصية باتباع صراط الله تعالى اذ لا يخفى ان بيان طريق التوصية
حقه ان يؤخر عن الاخبار بنفس التوصية وكذا بين ايتاء التوراة وانزال القرآن وبين تلك التوصية تفاوت عظيم
في الرتبة لاشتمالهما على تلك التوصية وعلى امثالها مع احكام اخر وفى تقرير الجواب اشارة الى ان قوله تعالى وهذا
كتاب انزلناه مبارك عطف على آتينا موسى الكتاب داخل في حيز ثم ولم يذكر على اسلوب قوله آتينا موسى الكتاب
ولم يقل وانزلنا اليك هذا الكتاب المبارك اظهارا لشرفه ومزيد رتبته ولهذا جعل الفاصلة ثم لعلهم بلقاء ربهم
يؤمنون وههنا لعلكم ترحمون (قوله وصاكم به قديما وحديثا) اشارة الى ان هذه التوصية قديمة لم يزل
يوصى بها كل امة على لسان نبيها ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآيات يعنى من قوله تعالى قل تعالوا
أتل ما حرّم ربكم عليكم الى قوله لعلكم تتقون محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وعن كعب الاحبار انه
قال والذى نفس كعب بيده ان هذه الآيات مفتتح التوراة وهى بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم
عليكم الى آخر الآيات الثلاث وكعب رجل من حمير ادرك زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره واسلم في خلافة عمر
رضى الله عنه وروى ابن مسعود عنه عليه الصلاة والسلام * انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه
وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه * ثم تلا هذه الآية وان هذا صراطى

(مستقيما)

ورحمة لعلهم) لعل بنى اسرآئيل (بلقاء ربهم يؤمنون) اى بلقائه للجزاء (وهذا كتاب) يعنى القرءآن (انزلناه مبارك) كثير النفع (فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه (أن تقولوا) كراهة ان تقولوا علة لانزاله (انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) اليهود والنصارى ولعل الاختصاص فى انما لان الباقى المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم (وان كنا) ان هى المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اى وانه كنا (عن دراستهم) قرآءتهم (لغافلين) لاندرى ماهى اولا نعرف مثلها (اوتقولوا) عطف على الاوّل (لو انا انزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) لحدّة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا امّيون (فقد جاءكم بينة من ربكم) حجة واضحة تعرفونها (وهدى ورحمة) لمن تأمل فيه وعمل به (فمن اظلم ممن كذب بآيات الله) بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها (وصدف) اعرض اوصدّ (عنها) فضل وأضل (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) شدّته (بما كانوا يصدفون) باعراضهم اوصدّهم (هل ينظرون) اى ماينتظرون يعنى اهل مكة وهم ماكانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين (الا ان تأتيهم الملائكة) ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائى بالياء هنا وفى النحل (اويأتى ربك) اى امره بالعذاب اوكل آياته يعنى آيات القيامة والعذاب والهلاك الكلى لقوله (اويأتى بعض آيات ربك) يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة والبرآء بن عازب رضى الله تعالى عنهما كنا نتذاكر الساعة اذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماتتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لاتقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال

طلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن (يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها) كالمحتضر اذا صار

مستقيما فاتبعوه وقوله تماما مفعول له وجاز حذف اللام لكونه فى معنى الاتمام فيكون فعلا لفاعل الفعل المعلل اومصدرا للفعل المقدّر من لفظه على حذف الزوائد اى اتممناه اتماما وقوله للكرامة متعلق بقوله تماما بمعنى اتماما كقوله والله انبتكم من الارض نباتا اى انباتا ولهذا تعلق به قوله للكرامة على انه مفعول به والافتمام مصدر تم وهو لازم فكيف يعدّى الى الكرامة ﴿قوله على من احسن القيام به﴾ على ان يكون التعريف فى قوله الذى للجنس اى لاتمام النعمة الى كل من احسن القيام به فيكون ضمير احسن عائدا الى الموصول ومفعوله محذوف ﴿قوله او على الذى احسن تبليغه﴾ فيكون التعريف للعهد والمعهود موسى عليه الصلاة والسلام فيكون فاعل احسن ايضا ضميرا عائدا الى الموصول ومفعوله محذوفا وهو التبليغ اى اتماما للكرامة على العبد الذى احسن الطاعة فى التبليغ وفى كل ما امر به ﴿قوله اوتماما على ما احسنه﴾ على ان يكون التعريف للعهد ايضا والمعهود العلوم والشرآئع التى احسنها موسى اى اجاد معرفتها ففاعل احسن ضمير موسى ومفعوله محذوف وهو العائد الى الموصول اى تماما على الذى احسنه موسى من العلم والشرآئع بمعنى زيادة على علمه على وجه التتميم ﴿قوله وقرئ بالرفع﴾ اى برفع احسن على انه خبر مبتدأ محذوف والذى وصف للدين اوللوجه الذى تكون عليه الكتب اى حال كون الكتاب تماما على الدين الذى هو احسن اوحال كون الكتاب تاما كاملا كائنا على الوجه الذى هو احسن مايكون عليه الكتب ﴿قوله كراهة ان تقولوا﴾ اختار كونه مفعولا له ولاخفاء ان نفس هذا القول لايصلح ان يكون علة باعثة للانزال بل العلة الباعثة هى عدم ذلك القول فلذلك حمله الكوفيون على حذف لا اى لئلا يقولوا والبصريون على حذف المضاف اى كراهة ان تقولوا وان تقولوا خطاب لاهل مكة والمعنى انزلناه كراهة ان تقولوا يا اهل مكة انزل الكتاب وهو التوراة والانجيل على طائفتين من قبلنا وهم اليهود والنصارى وكنا غافلين عما فيهما لانعلم دراستهم لان كتابهم ليس بلغتنا فانزل الله تعالى كتابا بلغتهم كيلا يعتذروا بأن الكتاب لم يأتهم وان الرسول لم يبعث اليهم ﴿قوله وانه كنا﴾ قدّر للمكسورة المخففة من الثقيلة اسما وهو ضمير الشأن اشارة الى انها يجوز اعمالها حال كونها مخففة كما تعمل يكون مع حذف نونها فى قولك ألم يك زيد قائما نص عليه ابن الحاجب فى الكافية ولم يقل عن دراستهما لان كل طائفة جماعة مع ان ضمير دراستهم للطائفتين ﴿قوله تعالى فقد جاءكم﴾ جواب شرط مقدّر اى ان صدقتم فيما كنتم تعتذرون عن انفسكم فقد جاءكم او ان كنتم كما تزعمون انكم اذا انزلنا عليكم كتابا تكونون اهدى من اليهود والنصارى فقد جاءكم حذف الشرط فدل عليه بالفاء الفصيحة كما فى قوله * فقد جئنا خراسانا * ولما وصف الله تعالى القرآن العظيم بانه كتاب مبارك بكون اتباعه سببا للرحمة وانه بينة نازلة من قبل الرب الكريم وهدى ورحمة عظم كفر من كذب به وصدف عنه ومنع غيره عن اتباعه لان الاوّل ضلال والثانى اضلال فمن جمع بينهما فقد وقع فى غاية الاختلال ﴿قوله اى ماينتظرون﴾ اشارة الى ان هل استفهام معناه النفى وان ينظرون بمعنى ينتظرون فان النظر يستعمل فى معنى الانتظار وتقدير الآية انهم لايؤمنون بك الا اذا جاءهم احد هذه الامور الثلاثة وهى مجئ الملائكة او مجئ الرب او مجئ الآيات القاهرة من الرب كأنه قيل انى اقمت عليهم الحجة وانزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا فما ينتظرون الا احد هذه الامور ﴿قوله بجزيرة العرب﴾ هى ناحية من ارض العرب يحيط بها بحر فارس وبحر السودان ونهرا دجلة والفرات * روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل بالمغرب بابا مسيرة عرضه سبعون عاما للتوبة لايغلق مالم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك فان الايمان انما ينفع صاحبه اذا كان عن برهان رغما للشيطان وتعبدا للرحمن واختيار اللايمان من حيث كونه مأمورا به من قبل الملك المنان ومايكون عند معاينة الآيات ليس بايمان اختيار فى الحقيقة بل هو ايمان يأس وقع خوفا من العذاب فلا ينفع الايمان الحاصل عند معاينة مايضطرّ الانسان الى الايمان فان معاينة اشراط الساعة بمنزلة معاينة نفسها ووقوع العيان يمنع قبول الايمان لانه انما يقبل اذا كان بالغيب قالت عائشة رضى الله عنها اذا خرجت اوّل الآيات طرحت الاقلام وحبست الحفظة وشهدت الاجساد بالاعمال * ويوم منصوب بقوله لاينفع وقرئ مرفوعا على الابتدآء وخبره لاينفع والعائد محذوف اى لاينفع نفسا ايمانها فيه وقوله لم تكن آمنت وان جاز ان يكون حالا من ضمير ايمانها الا ان المصنف اختار كونه صفة نفسا فيقع الفاعل وهو ايمانها فاصلا بين المفعول الموصوف وبين صفته لعدم كون الفاعل اجنبيا من الموصوف الذى هو المفعول لاشتراكهما فى العامل فعلى هذا يجوز ضرب هندا

غلامها القرشية وقوله اوكسبت فى ايمانها خيرا لما عطف على قوله آمنت اشعر النظم ان الايمان السابق العرى عن فعل الخير لا ينفع مطلقا وقد ذهب اهل السنة الى انه ينفع فى عدم التخليد لورود النصوص بذلك ولم يقم دليل عقلى ينافيها وان لم ينفع فى دفع العقاب جزآء على اثم ترك العمل استدل به من لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل كالمعتزلة فان الايمان فى الشرع عبارة عن التصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم الا ان جهور المحدثين و المعتزلة و الخوارج ذهبوا الى انه عبارة عن مجموع امور ثلاثة اعتقاد الحق و الاقرار به و العمل بمقتضاه فمن ترك العمل وحده اى مع انه اعتقد و أقرّ فهو فاسق اتفاقا الا انه عند جهور المحدثين هو مؤمن فاسق و عند الخوارج هو كافر فاسق وعند المعتزلة هو فاسق خارج عن الايمان غير داخل فى الكفر والخارج عن الايمان لا ينتفع بالايمان * قال صاحب الكشاف معنى الآية ان اشراط الساعة اذا جاءت و هى آيات ملجئة مضطرّة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدّمة ايمانها من قبل ظهور الآيات او مقدّمة ايمانها غير كاسبة خيرا فى ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت فى غير وقت الايمان و بين النفس التى آمنت فى وقته ولم تكسب خيرا الا انا نعلم ان قوله تعالى الذين آمنوا و عملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغى ان تنفك احداهما من الاخرى حتى يفوز صاحبها و يسعد و الا فالشقاء و الهلاك انتهى كلامه فتمسك بظاهر الآية على ان مجرّد الايمان بدون ان يكون فيه كسب خير ليس بنافع فلا يخلص صاحبه من الخلود فى النار ﴿ **قوله** و للمعتبر ﴾ اى ولمن اعتبر الايمان المجرّد عن العمل بأن حكم عليه بانه يخلص صاحبه من الخلود فى النار تخصيص هذا الحكم و هو حكم عدم نفع الايمان بذلك اليوم فان الايمان الذى حكم عليه بانه لا ينفع اذا خصص بالايمان الحادث فى ذلك اليوم يكون الحكم بعدم نفعه مخصصا ايضا بواسطة تخصيص الايمان المعتبر فى ذلك الحكم ثم ان هذا التخصيص ليس مستندا الى مجرّد الادّعاء و التشهى بل هو مستند الى دليل وذلك لان كلمة أو لأحد الامرين او الامور فاذا وقعت فى سياق النفى تكون لعموم النفى كالنكرة على ماذكر فى قوله تعالى و لا تطع منهم آثما اوكفورا فقوله تعالى اوكسبت لما عطف على قوله آمنت الواقع فى سياق قوله لم تكن كان المعنى لا ينفع الايمان نفسا انتفى عنها كل واحد من الايمان و كسب الخير فى ذلك الايمان قبل ذلك اليوم و وجب ان يكون المراد بالايمان الذى حكم عليه بعدم النفع هو الايمان الحادث بعد ذلك اليوم فحينئذ لا دلالة فى الآية على عدم نفع الايمان السابق على ذلك اليوم اذا كان عاريا عن فعل الخير و الطاعة حتى يقال انه تعالى سوّى بين النفس الكافرة اذا آمنت فى غير وقت الايمان و بين النفس التى آمنت فى وقته ولم تكسب خيرا فى أن كل واحدة منهما خالدة فى النار فسقط استدلال المعتزلة بها * ولما ورد على هذا التأويل ان يقال تخصيص الحكم المذكور بذلك اليوم وجعل كلمة أو لعموم النفى يستلزم ان يكون المعنى لا ينفع الايمان الحادث فى ذلك اليوم نفسا انتفى عنها كل واحد من الايمان السابق و كسب الخير فيه فيكون ذكر انتفاء كسب الخير فى الايمان السابق لغوا لان انتفاء نفس الايمان السابق يستلزم انتفاء كسب الخير فيه ضرورة اشار المصنف الى جوابه بقوله وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين احدهما الايمان السابق الذى اكتسب فيه العمل الصالح و الآخر مجرّد ذلك الايمان * و تقرير الجواب ان قوله تعالى اوكسبت فى ايمانها خيرا انما يكون لغوا اذا كان المقصود مجرّد بيان عموم النفى وليس كذلك بل المقصود بيان اشتراط النفع بأحد الامرين فانّ هذا البيان انما يحصل بذكرهما جميعا بأن يقول يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع الايمان الحادث فيه نفسا خلت عن الايمان السابق المكتسب فيه الخير وعن اصل ذلك الايمان ايضا فان هذا القول يدل على ان النفس لولم تكن خالية عن كل واحد منهما بل كانت متصفة بأحدهما ايهما كان نفعها ذلك و نجاها من الخلود فى النار ولاشك انه يفهم منه اشتراط النفع بأحد الامرين ويظهر فائدة قوله او كسبت فى ايمانها خيرا ﴿ **قوله** والعطف على لم تكن ﴾ عطف على قوله و حمل الترديد فيكون جوابا آخر عن حديث اللغو وتقريره ان تخصيص الحكم المذكور بذلك اليوم على تقدير تسليم كونه مستلزما لذكر مالا فائدة فى ذكره انما يستلزمه على تقدير كون قوله او كسبت عطفا على قوله آمنت وليس كذلك بل هو معطوف على قوله لم تكن و المعنى لا ينفع الايمان الحادث فى ذلك اليوم نفسا لم تؤمن قبل او آمنت بعد ظهور الآيات و كسبت فى ايمانها الحادث خيرا كأنه قيل لا ينفع مجرّد الايمان النفس الموصوفة بانها لم تؤمن من قبل فضلا عن ان تكتسب فى ايمانها خيرا او بانها آمنت بعد ظهور الآيات و كسبت فى ايمانها الحادث خيرا واجيب عن تمسك المعتزلة ايضا بأن الآية

(اوكسبت فى ايمانها خيرا) عطف على آمنت و المعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدّمة ايمانها اومقدّمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرّد عن العمل و للمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع بأحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها و العطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا (قل انتظروا انا منتظرون) وعيدلهم اى انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل

من باب اللف التقديرى اى لاينفع نفسا ايمانها ولا كسبها فى الايمان لم تكن آمنت من قبل او كسبت فيه فتوافق الآيات والاحاديث الشاهدة بأن مجرد الايمان ينفع ويورث النجاة من العذاب ولو بعد حين وهذا ماقاله القاضى ناصر الدين فى الانتصاف من ان الزمخشرى يروم ان يستدل بالآية على ان الكافر والعاصى فى الخلود سوآء حيث سوّى فى الآية بينهما فى عدم الانتفاع بالايمان بعد ظهور الآيات ولا يتم له فان هذا الكلام اشتمل على مايسمى فى علم البيان والبلاغة باللف واصل الكلام يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن مؤمنة قبل ايمانها بعد ولانفسا لم تكسب فى ايمانها خيرا قبل ماتكسبه من الخير بعد الا انه لف الكلامين فجعلهما كلاما واحدا ايجازا وبلاغة واذا ثبت ان ذلك هو الاصل ظهر ان مايستفاد من الآية غير مخالف لقواعد اهل السنة فانا نقول لاينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير ان ارتفع الايمان المتقدم فى السلامة من الخلود فهذا بأن يدل على رد الاعتزال اجدر من ان يدل له ﴿قوله عليه الصلاة والسلام فى الهاوية﴾ وهى من اسماء النار سميت به لكونها ذات هوى يسقط المجرمون فيها يقال هوى يهوى هويا اذا سقط ﴿قوله شيعا﴾ يقال شايعه يشايعه شياعا اى تبعه ﴿قوله تعالى لست منهم﴾ فى محل الرفع على انه خبر ان ومنهم خبر ليس وفى شئ متعلق بالاستقرار الذى تعلق به منهم اى لست منهم مستقرا فى شئ من تفريقهم ومن سائر احوالهم والحاصل ان قولك لست منى ولست منك يستعمل فى نفى الاتصال بين اثنين كما ان نحو انت منى وانا منك يستعمل فى اثبات الاتصال بينهما ونفى الاتصال انما يستفاد من القرآئن الخارجية فان المحق لكونه ضد المبطل لايتصل به وكذا من اتبع الحجج والبراهين لايتصل بمن يتمسك بتقليد الآباء والاهوآء الباطلة ﴿قوله عشر حسنات امثالها﴾ يعنى ان ظاهره ان يقال عشرة امثالها بالحاق التاء لان الامثال جمع مثل وهو مذكر وقد تقرر ان ثلاثة الى عشرة اذا اضيف الى مذكر يجب الحاق التاء بالعدد نحو ثلاثة رجال الى عشرة رجال ولم يلحق التاء بالعشرة ههنا لان الامثال ليس مميزا للعشرة بل مميزها هو الحسنات والامثال صفة لمميزها روى ابوذر رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال * الحسنة عشر او ازيد والسيئة واحدة او أحقر فالويل لمن غلبت آحاده اعشاره * وقال عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى * اذا هم عبدى بحسنة فاكتبوها وان لم يعملها واذا عملها فعشر امثالها وان هم بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فسيئة واحدة * فان قيل كفر ساعة يوجب عقاب الابد على نهاية التغليظ فاوجه المماثلة * واجيب بأن الكافر على عزم انه لو عاش ابدا لبقى على ذلك الاعتقاد فلما كان العزم مؤبدا عوقب بعقاب الابد بخلاف المسلم المذنب فانه يكون على عزم الاقلاع عن ذلك الذنب فلا جرم كانت عقوبته منقطعة ﴿قوله قضية العدل﴾ توصيفه تعالى بالعدل لايقتضى ان يكون بعض الافعال بالنسبة اليه تعالى ظلما وقبيحا فان كل ماسند اليه تعالى من الافعال حسن وصواب يتصرف فى ملكه كيف يشاء الا انه تعالى لكمال قدرته واحاطة علمه وباهر حكمته وجلال ذاته وكبريائه لايفعل الا ماله حكمة وفائدة جليلة فلينظر الانسان الى بدنه والى بدن العالم بأسره كيف احسن خلقه ووضع كل شئ من اعضائه المختلفة فى موضع يليق به فقوله قضية العدل لايدل على انه مال الى الاعتزال بأن يفهم من كلامه ان الجزآء لو لم يكن مثل السيئة لما كان عدلا ﴿قوله قيما﴾ قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو قيما بفتح القاف وكسر الياء المشددة على انه صفة مشبهة من قام بمعنى القائم والمستقيم الا ان القيم ابلغ منهما باعتبار الزنة لكون زنته دالة على الثبوت وهما دالان على التجدد والحدوث وان كان المستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة فان بناء الاستفعال لكثرة حروفه يفيد مالا يدل عليه المجرد والقيم بكسر القاف وفتح الياء مخففة مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر والحول والشبع وصف به الدين مبالغة او بمعنى ذا قيم ﴿قوله ملة ابراهيم عطف بيان لدينا﴾ فان الملة والدين وان كانا عبارتين عما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه ليتوصلوا باتباعه الى اجل ثوابه الا ان الملة لما ذكرت مضافة كان فيها زيادة التوضيح فصلحت ان تكون عطف بيان للدين والملة من املات الكتاب اى امليته وماشرعه الله تعالى لعباده سمى ملة من حيث انه يدون ويملى ويكتب ويتدارس بين من اتبعه من المؤمنين ويسمى دينا باعتبار طاعتهم لمن شرعه وسنه اى جعله لهم سننا وطريقا ﴿قوله عبادتى كلها﴾ قال الزجاج النسك كل ماتقربت به الى الله تعالى الا ان الغالب عليه فى العرف الحج او الذبح قال مقاتل نسكى اى حجى وقال ابن عباس رضى الله عنهما اى ذبحى يقال من فعل كذا فعليه نسك اى دم يهريقه وجمع بين الصلاة وبين النحر كما فى قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للتعبد

(ان الذين فرقوا دينهم) بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الروم فارقوا اى باينوا (وكانوا شيعا) فرقا يشيع كل فرقة اماما (لست منهم فى شئ) اى فى شئ من السؤال عنهم وعن تفرقهم او عن عقابهم او انت بريئ منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف (انما امرهم الى الله) يتولى جزآءهم (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) بالعقاب (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) اى عشر حسنات امثالها فضلا من الله تعالى وقرأ يعقوب عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ماوعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) قضية للعدل (وهم لايظلمون) بنقص الثواب وزيادة العذاب (قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم) بالوحى والارشاد الى مانصب من الحجج (دينا) بدل من محل الى صراط اذ المعنى هدانى صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ (قيما) فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فأعل لاعلال فعله كالقيام (ملة ابراهيم) عطف بيان لدينا (حنيفا) حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) عطف عليه (قل ان صلاتى ونسكى) عبادتى كلها او قربانى او حجى

(ومحياى ومماتى) وما انا عليه فى حياتى واموت عليه من الايمان والطاعة اوطاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبيرا والحياة والممات انفسهما وقرأنافع محياى باسكان الياء اجراءللوصل مجرى الوقف (لله رب العالمين لاشريك له) خالصة له لا اشرك فيها غيرا (وبذلك)

القول والاخلاص (امرت وانااوّل المسلمين) لان اسلام كل نبي متقدّم على اسلام امته (قل أغير الله ابغى ربا) فاشركه فى عبادتى وهو جواب عن دعائهم له عليه السلام الى عبادة آلهتهم (وهو رب كل شئ) حال فى موقع العلة للانكار والدليل له اى وكل ماسواه مربوب مثلى لايصلح للربوبية (ولاتكسب كل نفس الاعليها) فلا ينفعنى فى ابتغاء رب سواه ماانتم عليه من ذلك (ولاتزر وازرة وزراخرى) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (ثم الى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يبين الرشد من الغى ويميز المحق من المبطل (وهو الذى جعلكم خلائف الارض) يخلف بعضكم بعضا اوخلفاء الله فى ارضه تتصرّفون فيها على ان الخطاب عام اوخلفاء الامم السابقة على ان الخطاب للمؤمنين (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) فى الشرف والغنى (ليبلوكم فيما اتاكم) من الجاه والمال (ان ربك سريع العقاب) لان ماهوآت قريب اولانه يسرع اذا اراده (وانه لغفور رحيم) وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علىّ سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة والله اعلم

سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكم كلها وقيل الاقوله وأعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس اوست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(المص) سبق الكلام فى مثله (كتاب) خبر مبتدأ محذوف اى هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة اوالقرآن (انزل اليك) صفته (فلايكن فى صدرك حرج منه) اى شك (الشرط)

ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث فعلى هذا النسك كل مابه تقربت الى الله تعالى **قوله** تعالى ومحياى ومماتى لله اى حياتى وموتى حاصلان بخلق الله تعالى لابمعنى انه يؤتى بهما لطاعة الله تعالى وخالصا لوجهه لان ذلك انما يكون فيما يكون لاختيار الانسان مدخل فيه فلذلك يجب ان يكون كون الصلاة والنسك لله مفسرا بكونهما واقعتين بخلق الله تعالى وذلك من ادل الدلائل على ان طاعة العبد مخلوقة لله تعالى هذا على تقدير ان يراد بهما الحياة والممات انفسهما واما على تقدير ان يكونا من قبيل ذكر المحل وارادة الحال فيكون المقصود من الكلام ارشاد الانام فى صورة خطابه عليه الصلاة والسلام قال التفتازانى المحيا والممات مجازان عما يقارنهما ويكون معهما من الايمان والعمل الصالح لانه المناسب للحكم عليه بكونه خالصا لوجه الله كالصلاة وسائر العبادات الا انه لايكفى فى العبادات ان يؤتى بها كيف كانت بل يجب ان يؤتى بها مع تمام الاخلاص وانه تعالى لايقبل الا ما كان خالصا لوجهه **قوله** جواب عن قولهم عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان الوليد بن المغيرة كان يقول اتبعوا سبيلى احمل أوزاركم فقيل ولاتزر وازرة اى لاتؤاخذ نفس آثمة باثم اخرى اى لايؤخذ احد بذنب غيره تم مايتعلق بسورة الانعام

(سورة الاعراف مائتان وست آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله كتاب خبر مبتدأ محذوف مبنى على مااختاره من كون ألفاظ التهجى مذكورة على نمط التعديد ومقدرة بالمؤلف من هذه الحروف فانها حينئذ تكون فى حيز الرفع على انها مبتدأ حذف خبره اوخبر محذوف والتقدير هذا المتحدّى به مؤلف من جنس هذه الحروف اوالمؤلف منها كذا فحينئذ يكون كتاب جملة اخرى حذف منها المبتدأ وهو الضمير الراجع الى المؤلف من الحروف واما اذا جعل المص اسما للسورة او القرءآن فحينئذ يكون المص مبتدأ وكتاب خبره كما صرّح به **قوله** فان الشاك حرج الصدر لما فسر الحرج بالشك ومن المعلوم ان لفظ الحرج ليس حقيقة فيه فتعين كونه مجازا فيه احتاج الى بيان العلاقة بين المعنى الاصلى والمجازى وهى ان الحرج من لوازم الشك واللفظ المستعمل فى الملزوم مع عدم امكان ارادة المعنى الاصلى مجاز اذ لايمكن ههنا ارادة حقيقة الحرج اذ لامعنى لتحرج القلب من نفس الكتاب اومن نفس انزاله اومن نفس استناد انزاله الى الله تعالى فان كل ذلك يمثل فى القلب ويرتسم فيه فلا يحرج من الجزم بكونه منزلا من عند الله تعالى وانما المتصوّر ان يحرج القلب من عدم التيقن بكونه منزلا من عند الله تعالى فان الشاك فى الحكم لايستقرّ فى قلبه احد طرفى النسبة فيضيق قلبه منه ومن فى قوله منه سببية اى لايكن فى قلبك حرج بسببه وضمير منه يرجع الى الانزال المسند اليه تعالى المدلول من قوله انزلناه **قوله** او ضيق قلب من تبليغه فحينئذ يكون الحرج على اصل معناه ويقدر المضاف اى حرج من تبليغه فان الحرج حقيقة لايختص بالاجسام والضيق المكانى **قوله** وتوجيه النهى اليه مع ان الحرج ليس مما يؤمر وينهى بالكون فى الصدر اوعدم الكون فيه والنهى من باب التهييج والالهاب ليداوم على اليقين ويزيد فيه كقوله فان كنت فى شك وقيل المراد نهى امته عن الشك لان الامر والنهى انما يتعلقان بمن له شعور وعزيمة على الفعل والترك والحرج ليس كذلك الا انه لما قصد المبالغة فى نهى المخاطب عن كونه فى حرج عبر عن عدم كونه فى حرج بعدم كون الحرج فى صدره على طريق ذكر اللازم وارادة الملزوم فان الكناية ابلغ من الصريح فان قولك لاأرينك ههنا ابلغ من ان يقال لاتكونن ههنا ولاتحضرنّ فيه فان عدم كون المخاطب فى ذلك المكان ملزوم لعدم رؤية المتكلم اياه فيه فعبر عن الاوّل بالثانى لكون نهى المتكلم نفسه عن رؤية المخاطب فيه ابلغ فى نهى المخاطب عن الحضور فيه لكون النهى الاوّل كالبينة للثانى ولاشك ان اثبات الشئ ببينة ابلغ من مجرّد الاثبات ومثله فى الامر قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة فان ظاهره امر الكفار بأن يجدوا فى المؤمنين غلظة والمراد امر المؤمنين بأن يغلظوا على الكفار ولما كان وجد ان الكفار غلظة فى المؤمنين لازما لغلظة المؤمنين عليهم وكان طلب المؤمنين اللازم ابلغ من طلب الملزوم عبر عن غلظة المؤمنين عليهم بذلك **قوله** والفاء تحتمل العطف واختلاف الجملتين خبرا وانشاء لفظا ومعنى يوجب كمال الانقطاع بينهما فلايجوز عطف احداهما على الاخرى فلابدّ ان تؤوّل جملة لايكن حرج بالاخبار على معنى لاينبغى ان يكون حرج او تؤوّل جملة انزل اليك بالانشاء على معنى تيقن بانزاله اليك من ربك فلايكن فى صدرك حرج وقوله فى تصوير

الشرط المقدّر اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك اشارة الى ان جملة النهى وقعت معترضة بين العلة و معلولها وحقها ان تتأخر عن قوله لتنذر الا انها قدّمت عليه تنبيها على انه ينبغى ان يزيل الحرج عن صدره اوّلا ثم يشتغل بالانذار فالفاء فى قوله فلا يكن لترتيب النهى على قوله انزل اليك لتنذر فان الكتاب لما كان منزلا من عندالله تعالى لحكمة الانذار به ينبغى ان لا يشك فيه و لا يخاف من تبليغه لان الله تعالى حينئذ يتكفل بحفظه و نصرته كأنه قيل هذا الكتاب انزله الله عليك و اذا علمت انه تنزيل الله فاعلم ان عناية الله معك و اذا علمت هذا فلا يكن فى صدرك حرج لانّ من كان الله حافظا له و ناصرا يقوى على ايقاع مطلوبه فاشتغل بالانذار و التبليغ و التذكير اشتغال الرجال الابطال و لا تبال بأحد من اهل الزيغ و العناد ﴿قوله لانه اذا ايقن﴾ علة و بيان لوجه كون اللام متعلقة بلا يكن على ان يكون الحرج بمعنى الشك كأنه قيل تيقن بكونه منزلا من عندالله ليشجعك ذلك اليقين على الانذار و قوله و كذا اذا لم يخفهم الخ على ان يكون الحرج بمعناه و يقدّر المضاف فى منه كأنه قيل لا تخف من تكذيبهم اياك ليشجعك عدم الخوف المذكور على الانذار ﴿قوله و الجرّ عطفا على محل لتنذر﴾ فان الفعل فيه منصوب بأن المضمرة بعد لام كى فانسبك منهما المصدر فكأنه قيل للانذار و التذكير فان ذكرى اسم مصدر بمعنى التذكير ثم انه تعالى لما امر رسول الله صلى الله عليه و سلم بالتبليغ و الانذار أمر الامّة بمتابعته و قبول ما انزل اليه فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اى لا تتخذوا غيره اولياء تطيعونهم فى معصية الله و قرئ و لا تبتغوا بالغين المعجمة من الابتغاء كقوله و من يبتغ غير الاسلام دينا و على القرآءتين ضمير من دونه يرجع الى الرب تعالى و هو متعلق بمحذوف لانه كان فى الاصل صفة لاولياء فلما قدّم عليه انتصب حالا اى لا تتبعوا عظماءكم الذين تجعلونهم كالارباب حيث تتبعونهم فيما يحرّمون و يحلّلون و يزيّنون لكم طرق الضلال عن الصراط المستقيم و هو كقوله تعالى اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا اى يطيعونهم فيما يأمرون و ينهون ﴿قوله و قيل الضمير فى من دونه لما انزل﴾ بتقدير المضاف الى اولياء اى دين اولياء و لا يبعد ان يجعل الضمير لمصدر اتبعوا اى لا تتبعوا اولياء اتباعا كائنا من دون اتباع ما انزل ﴿قوله اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا﴾ يعنى ان قليلا معمول لقوله تذكرون على انه صفة مصدره المحذوف او ظرفه المحذوف ﴿قوله و ان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون﴾ لان معمول المصدر لا يتقدم عليه فلا بدّ ان يكون قليلا صفة زمان محذوف و ذلك الزمان المحذوف فى محل الرفع على انه خبر مقدّم و ما المصدرية مع ما بعدها فى تأويل المصدر المرفوع على انه مبتدأ مؤخر و التقدير زمانا قليلا تذكركم اى لا يقع تذكركم الا فى بعض الاحيان ﴿قوله قرأ حمزة الخ﴾ يعنى انهم قرأوا بتاء واحدة و تخفيف الذال بحذف احد التاءين و قرأ ابن عامر يتذكرون بياء تحتانية بعدها تاء على انه تعالى خاطب نبيه عليه الصلاة و السلام بأن هؤلاء الذين ذكروا بالخطاب السابق قليلا ما يتذكرون و الباقون بتاء واحدة و تشديد الذال بادغام تاء التفعل فيها ثم انه تعالى لما امر الرسول بالانذار و التبليغ و امر القوم بالقبول و الاتعاظ ذكر بعده ما فى ترك المتابعة من الوعيد فقال و كم من قرية الآية و كم فيه خبرية للتكثير و فسرها المصنف بقوله و كثيرا المنصوب اشارة الى انها فى موضع النصب على الاشتغال باضمار فعل يفسره ما بعده و لا بدّ ان يقدّر الفعل متأخرا عن كم لان لها صدر الكلام و التقدير و كم من قرية اهلكنا اهلكناها و لو جعل كم فى محل الرفع بالابتداء و جعلت الجملة بعدها خبرها لكان له وجه فيكون التقدير و كثير من القرى اهلكناها ثم انه قدّر امرين احدهما الارادة لدلالة قوله تعالى فجاءها بأسنا على تقديرها اذ لو لم تقدّر لزم ان يكون مجئ البأس بعد الاهلاك و عقيبه و ليس كذلك بل الامر بالعكس و الآخر الاهل و احتيج الى تقديره لان الاهلاك و البأس و البيات و القائلة لا يليق الا بالاهل و لان التحذير و الايعاد لا يكون الا للمكلفين ﴿قوله او اهلكناها بالخذلان﴾ توجيه ثان لعطف قوله فجاءها على اهلكناها بالفاء التعقيبية و تقريره ان الاهلاك عبارة عن الخذلان لان الخذلان و عدم التوفيق سبب للهلاك فعبر بالمسبب عن سببه و المعنى خذلناهم و لم نوفقهم فجاءهم الهلاك و العذاب ﴿قوله تعالى بياتا﴾ يقال بات يبيت بيتا و بياتا و بيتوتة اذا دخل فى الليل قال الازهرى البيتوتة الاستراحة بالليل و القيلولة الاستراحة فى وسط النهار و ان لم يكن مع ذلك نوم و قيل هى نومة نصف النهار و قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرّا و أحسن مقيلا يؤيد قول الازهرى لان الجنة لا نوم فيها و او فى قوله تعالى او هم قائلون للتنويع كأنه قيل اتاهم بأسنا تارة ليلا كقوم لوط و تارة وقت القيلولة كقوم شعيب و معنى الآية انهم جاءهم بأسنا و هم غير متوقعين له اما ليلا و هم نائمون او نهارا و هم قائلون ﴿قوله و فى التعبيرين﴾ احدهما التعبير عن

(لتنذر به) متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عندالله جسر على الانذار و كذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه (و ذكرى للمؤمنين) يحتمل النصب باضمار فعلها اى لتنذر و لتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير و الجرّ عطفا على محل لتنذر و الرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم) يعم القرآن و السنة لقوله تعالى و ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (و لا تتبعوا من دونه اولياء) يضلونكم من الجنّ و الانس و قيل الضمير فى من دونه لما انزل اى و لا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء و قرئ و لا تبتغوا (قليلا ما تذكرون) اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله و تتبعون غيره و ما مزيدة لتأكيد القلة و ان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون قرأ حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء و ابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبى صلى الله عليه و سلم (و كم من قرية) و كثيرا من القرى (اهلكناها) اردنا اهلاكها او اهلكناها بالخذلان (فجاءها) فجاء اهلها (بأسنا) عذابنا (بياتا) بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال (او هم قائلون) عطف عليه اى قائلين نصف النهار كقوم شعيب و انما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفى عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح و فى التعبيرين مبالغة فى غفلتهم و أمنهم من العذاب و لذلك خص الوقتين و لانهما وقت دعة و استراحة فيكون مجئ العذاب فيهما افظع

(فما كان دعواهم) اى دعاؤهم او استغاثتهم او ماكانوا يدعونه من دينهم (اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين) الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه (فلنسألن الذين ارسل اليهم) عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل (ولنسألن المرسلين) عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى فى قوله ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام اوالاول فى موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة (فلنقصن عليهم) على الرسل حين يقولون لاعلم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ماكانوا عليه (بعلم) عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم (وما كنا غائبين) عنهم فيخفى علينا شئ من احوالهم (والوزن) اى القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ماروى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لماروى انه عليه السلام قال ليأتى العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة (يومئذ) خبر المبتدأ الذى هو الوزن (الحق) صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوى (فمن ثقلت موازينه) حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان (فاولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب (ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم) بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ماعرضها للعذاب (بما كانوا بآياتنا يظلمون) فيكذبون بدل التصديق (ولقد مكناكم فى الارض) اى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها

الاعيان بلفظ المصدر وجعلهم نفس البيات وثانيهما التعبير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ﴿قوله اى دعاؤهم﴾ فان الدعوى قد تجيئ بمعنى الدعاء والتضرع ومنه ماحكاه الخليل اللهم اشركنا فى صالح دعوى المسلمين اى فى صالح دعائهم ومنه قوله تعالى فمازالت تلك دعواهم والمعنى لم يكن دعاؤهم ربهم الا هذا القول لعلمهم بأن ليس الحين حين دعاء وقد تجيئ بمعنى الاستغاثة ومنه قول العرب دعواهم يا لكعب اى استغاثتهم فان اللام فى يالكعب لام استغاثة ووجه صحة هذا المعنى فى هذا المقام انهم كانوا يستغيثون من الله تعالى بتوسيط الاصنام بينهم وبين الله تعالى فلما جاءهم بأس الله ماكان استغاثتهم الا قولهم انا كنا ظالمين باستغاثتنا بالاصنام لعلمهم بانه لايستغاث من الله تعالى بغيره وقد تجيئ بمعنى الادعاء وهو المتعارف والمصدر حينئذ يكون بمعنى المفعول ويكون قولهم انا كنا ظالمين عبارة عن اعترافهم ببطلان مذهبهم ودينهم الذى كانوا عليه فقوله ماكانوا يدعونه تفسير لدعواهم وقوله من دينهم بيان ما والمعنى ماكان دينهم ومذهبهم الذى كانوا عليه الا الاعتراف ببطلانه ﴿قوله تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم﴾ تهديد آخر لمن ترك متابعة ماانزله الله تعالى من القرآن والسنة والقائم مقام فاعل ارسل هو الجار والمجرور ﴿قوله والمراد من هذا السؤال﴾ جواب عما يقال المقصود من السؤال ان يخبر المسئول عن كيفية اعماله وقد اخبر الله تعالى عنهم انهم كانوا يقرون بانهم كانوا ظالمين فما فائدة هذا السؤال * وتقرير الجواب انهم لما اقروا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب ظلمهم وتقصيرهم تقريعا وتوبيخا وكذلك الرسل يسألون مع العلم بانهم لايصدر منهم التقصير البتة ليظهر عدم تقصيرهم فى تبليغ ماحملوه من الرسالة ويلحق التقصير كله بالامة فيتضاعف اكرام الله تعالى للرسل لظهور براءتهم من جميع موجبات التقصير ويتضاعف الخزى والاهانة فى حق الكفار ﴿قوله والمنفى﴾ جواب عما يقال كيف الجمع بين قوله تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم وبين قوله تعالى فيومئذ لايسأل عن ذنبه انس ولاجان وقوله ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون * وتقرير الجواب ان السؤال قد يكون لاجل الاستعلام والاستفادة وقد يكون لاجل التوبيخ والاهانة والمنفى هو الاول دون الثانى وايضا يوم القيامة يوم طويل ومواقفه كثيرة وانهم لايسألون عن الاعمال فى موقف الحساب لان كتبهم وجوارحهم تبين جميع ذلك ولكنهم يسألون فى بعض مواقف العقوبة عن الدواعى التى دعتهم الى المعاصى وعن الصوارف التى صرفتهم عن الطاعة زيادة لهم فى عقوبتهم وتقريعهم ﴿قوله والوزن اى القضاء﴾ فى تفسير وزن الاعمال قولان الاول ماورد فى الخبر ان الله تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة يوزن به اعمال العباد خيرها وشرها اما بأن تصور اعمال المؤمن بصورة حسنة وتصور اعمال الكافر بصورة قبيحة فتوزن تلك الصورة او توزن الصحف التى كتبت فيها اعمال العباد والقول الثانى وهو قول مجاهد والضحاك والاعمش ان المراد من الميزان العدل والقضاء وكثير من المتأخرين ذهبوا الى هذا القول وحمل لفظ الوزن على هذا المعنى شائع فى اللغة فان العدل فى الاخذ والاعطاء لايظهر له اثر الا بالكيل والوزن فى الدنيا فلم يبعد جعل الوزن كناية عن العدل بأن يذكر وزن الاعمال ويراد القضاء بالعدل فى امر المجازاة عليها ويعبر عن القضاء بالعدل بالوزن لكون الوزن طريقا لظهور العدل ويقوى ذلك ان الرجل اذا لم يكن له قدر ولاقيمة عند غيره يقال ان فلانا لايقيم لفلان وزنا قال تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴿قوله فيخرج له بطاقة﴾ وهى رقعة توضع فى الثوب فيها رقم الثمن قيل سميت بذلك لانها تشد بطاقة من هدب الثوب روى عن ابى بكر رضى الله عنه انه قال انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم فى الدنيا الحق وثقله عليهم وحق لميزان لايوضع فيه الا الحق ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم فى الدنيا الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لايوضع فيه الا الباطل ان يخف ﴿قوله يومئذ خبر المبتدأ﴾ يعنى ان قوله تعالى والوزن مبتدأ ويومئذ خبره والحق صفة للوزن اى الوزن الحق اى العدل يوم يسأل الله الامم والرسل اى كائن او مستقر فيه ﴿قوله او خبر محذوف﴾ عطف على قوله صفته اى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف والجملة كأنها جواب لمن يقول ماذلك الوزن فقيل هو الحق لا الباطل ويحتمل ان يكون الوزن مبتدأ ويومئذ ظرفا له والحق خبر المبتدأ اى الوزن الواقع يومئذ الحق ﴿قوله موازينه حسناته﴾ على ان الموازين جمع موزون وهى الاعمال لاجمع ميزان التى هى آلة الوزن لان كل انسان له ميزان واحد فقط وقيل هو جمع ميزان وجاز ان يكون لكل احد موازين متعددة بأن يكون لافعال القلوب مثلا ميزان يخصها ولافعال الجوارح ميزان آخر ولما يتعلق باقواله

ميزان ثالث وقوله جمع معيشة هي اسم لما يعاش به اى يحيى به وقيل مايتوصل به الى العيش والعامة على معايش بصريح الياء وروى عن نافع معائش بالهمزة قال النحويون هذا غلط لانه لاتهمز عندهم الياء الواقعة بعد ألف الجمع الا لذا كانت زائدة اى لايهمز الا ماكان حرف المد فيه زائدا نحو صحائف ومدائن واما معايش فالياء فيه اصلية لانها من العيش ووجه همزها ان يشبه الاصلي بالزائد فيقال ان معيشة على زنة صحيفة فكما تهمز ياء صحيفة فكذلك تهمز ياء معيشة ايضا ثم انه تعالى لما ذكر كثرة نعمه تعالى على العبد اتبعه بذكر انه خلق ابانا وجعله مسجود الملائكة والانعام على الاب يجرى مجرى الانعام على الابن وكلمة ثم فى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا تدل على ان امر الملائكة بالسجود لآدم كان بعد خلق بنى آدم وتصويرهم وليس كذلك لان خلقه تعالى وتصويره اياهم انما هو بعد قوله تعالى للملائكة اسجدوا بزمان مديد فذكروا له ثلاثة اوجه ارتضى الوجهين الاولين منها وضعف الثالث * الوجه الاول ان ثم للترتيب الزمانى وان المراد بخلق بنى آدم وتصويرهم خلق نفس آدم وتصويره عبر عنهما بخلق الكل وتصويره لكون خلقه وتصويره مبدأ خلق الكل والوجه الثانى انه ليس المراد بخلق المخاطبين وتصويرهم خلقهم وتصويرهم حقيقة حتى يشكل قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا بل المراد به الابتداء بخلقهم وتصويرهم بأن خلق آدم ثم صوره فلا اشكال والوجه الثالث ان ثم ليست للترتيب فى الزمان بل هى للترتيب فى الاخبار بناء على ان الاخبار بانعام تلك النعمة نعمة اخرى فان تشريف المخاطبين بجعل ابيهم مسجود الملائكة متفرع على ايجادهم وتصويرهم ولم يرض بهذا الوجه لان حمل ثم على الترتيب فى الاخبار انما يصار اليه اذا تعذر حملها على اصل معناها ولم يتعذر ذلك لما ذكر فى الوجهين الاولين والسجود فى الاصل تذلل مع تطامن وفى الشرع وضع الجبهة على الارض بقصد العبادة والمأمور به * اما المعنى الشرعى فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه واما المعنى اللغوى وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعى فى تحصيل ماينوط به معاشهم ويتم به كمالهم وعلى التقديرين فالآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم والمأمورون بالسجود الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه فى محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم فى الارض اولا فأفسدوا فيها فبعث اليهم ابليس فى جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم فى الجزائر والجبال ولا يرد على كونه من الملائكة قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رضى الله عنه روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس وكان الحسن يقول ابليس لم يكن من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور لايستكبرون عن عبادته ولا يعصون ولا كذلك ابليس فانه قد عصى واستكبر والملائكة ليسوا من الجن وابليس من الجن والملائكة رسل الله وابليس ليس كذلك وابليس اول خليقة الجن وابوهم كما ان آدم اول خليقة الانس وابوهم وابليس له ذرية والملائكة لاذرية لهم ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر كانوا مأمورين بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مأمورون به والضمير فى فسجدوا راجع الى القبيلتين فكأنه قيل فسجد المأمورون بالسجود الا ابليس **قوله ولاصلة** اى مزيدة لتأكيد معنى الفعل التى تدخل هى عليه كأنه قيل مامنعك ان تحقق السجود اذ أمرتك اى فى وقت امرى اياك به وما فى قوله مامنعك استفهامية فى محل الرفع بالابتداء والخبر الجملة التى بعدها اى اى شئ منعك وجعل كلمة لاصلة لانها اذا لم تكن صلة يكون المعنى اى شئ منعك من ترك السجود وهو ليس بمقصود بل المقصود ان يقال له اى شئ منعك من السجود وكون لاصلة كثير فى القرآن كقوله تعالى لااقسم وقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لايرجعون اى يؤمنون وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب اى ليتحقق علم اهل الكتاب **قوله اذ أمرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور** وذلك لانه تعالى ذم ابليس على ترك ما امر به والامر لو لم يفد الوجوب لما كان مجرد ترك المأمور به يوجب الذم وهو تعالى ذم ابليس على ترك السجود فى وقت الامر به ولولا ان الامر يفيد الامتثال فى الفور لما استوجب الذم بترك السجود فى الحال **قوله جواب من حيث المعنى** لا من حيث اللفظ فان جواب مامنعك ان يقال

(وجعلنا لكم فيها معايش) اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف (قليلا ماتشكرون) فيما صنعت اليكم (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بأن خلقنا آدم ثم صورناه (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وقيل ثم لتأخير الاخبار (فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) ممن سجد لآدم (قال مامنعك ان لاتسجد) اى ان تسجد ولاصلة مثلها فى لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشئ مضطر الى خلافه فكأنه قيل مااضطرك الى ان لاتسجد (اذ أمرتك) دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور (قال انا خير منه) جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قيل المانع انى خير منه ولايحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا

منعنى كذا الا ماسأنف به من الاخبار بفضله على آدم بناء على شرف عنصره بالنسبة الى عنصر آدم يفهم منه مايكون جوابا لمامنعك كأنه قال الذى منعنى من السجود هو انى افضل منه لان اصلى وعنصرى نار واصل آدم طين والنار افضل من الطين وشرف الاصول يوجب شرف الفروع وكون الاشرف مأمورا بخدمة الادنى يقبح فى العقول اما كون النار افضل من الطين فلأن النار مشرق علوى لطيف خفيف حار يابس مجاور لجواهر السموات والطين مظلم سفلى كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن مجاورة السموات فهذا تقرير شبهة ابليس فى امتناعه عن امتثال امر الله تعالى ونقول فى الجواب ان الخبيث ظن ان النار افضل من الطين مطلقا ولم يعلم ان الفضل لما فضله الله وقد فضل الطين على النار من وجوه منها ان جوهر الطين يقتضى الرزانة والوقار والحلم والصبر وهو الداعى لآدم بعد السعادة التى سبقت له الى التوبة والتواضع والتضرع فأورثه الله الاجتباء والتوبة والهداية وجوهر النار يقتضى الخفة والطيش والحدة والارتفاع وهو الداعى لابليس بعد الشقاوة التى سبقت له الى الاستكبار والاصرار فأورثه الله اللعنة والشقاوة ولان التراب سبب حياة الاشجار والنباتات والنار سبب هلاكها ولان التراب يكون فيه ومنه ارزاق الحيوان واقواتهم ولباس العباد وزينتهم وآلات معاشهم ومساكنهم والنار لايكون فيها شئ من ذلك وايضا النار وان حصل فيها بعض المنفعة فالشر كامن فيها واما التراب فالخير والبركة كامن فيه كلما قلب ظهرت بركته وخيره فاين احدهما من الآخر وايضا فالله تعالى اكثر ذكر الارض فى كتابه الكريم وذكر منافعها من جعلها مهادا وفراشا وبساطا وقرارا وكفاتا للاحياء والاموات ودعا عباده الى التذكر بها والنظر فى عجائب مااودع فيها ولم يذكر النار الا فى معرض العقوبة والتخويف والعذاب الا فى موضعين ذكرها بانها تذكرة لنار الآخرة ومتاع للمقوين اى المسافرين النازلين فى القواء وهى الارض الخالية اذا نزل المسافر فيها تمتع بالنار فى منزله فاين هذا من اوصاف الارض التى اودع الله فيها من المنافع والمعادن والانهار والثمرات والحبوب والاقوات واصناف الحيوان والنبات مالم يودع فى النار شيأ منها واما قوله من كانت مادته افضل فهو افضل فالجواب عنه ان فضيلة الاصل والمادة لاتستلزم فضيلة الفرع والصورة لان الفضيلة عطية من الله تعالى ابتداء لاتستتبعها فضيلة الاصل والمادة وانما الفضيلة لمن فضله الله تعالى الا ترى انه يخرج الحى من الميت والجاهل من العالم والكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر والنور من الظلمة كما فى الزناد والظلمة من النور فدل ذلك على ان الفضيلة لاتحصل الا بفضل الله تعالى وتفضيله لابسبب فضيلة الاصل والجوهر والفضيلة لمن اطاع ربه ولو كان عبدا حبشيا والخسة والحقارة لمن عصى ربه ولو كان شريفا قرشيا ومناط شبهته على تحسين العقل وتقبيحه ولاعبرة به عند المحققين روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال من قاس الدين بشئ من رأيه قرنه الله مع ابليس ﴿قوله وهو ملاكه﴾ اى مايكون من الفضل باعتبار الغاية كاختصاص آدم وتميزه بشرف العلم هو الذى يقوم به الفضل ويبنى عليه وملاك الامر وقوامه مايقوم به الامر ﴿قوله والآية دليل الكون والفساد﴾ اى على تكون المواليد الثلاثة من العناصر والفساد اليها لاخفاء فى دلالة الآية على ان مادة خلقة آدم هى التراب ومادة خلقة ابليس هى النار الا ان دلالتها على كون العناصر الاربعة مادة تكون الانسان بل مادة تكون جميع المواليد الثلاثة على الوجه الذى يدعيه ارباب الفلسفة محل بحث فان الظاهر ان الآية لادلالة لها عليه والمصنف ايضا لايجزم بذلك كما يدل عليه عبارة لعل فى قوله ولعل اضافة خلق الانسان الخ ﴿قوله من السماء او الجنة﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى فاهبط منها يريد من الجنة وكان من سكان الجنة وكانوا فى جنة عدن لا فى جنة الخلد وفيها خلق آدم وقيل معناه انزل من السماء لماروى انه وسوس اليهما وهو فى السماء فانها مكان المتواضعين فأخرجه الله تعالى من السماء الى جزائر البحر وعرشه فى البحر الاخضر فلا يدخل الارض الا خائفا على هيئة السارق وقيل ضمير منها يرجع الى الصورة التى كان عليها لانه كان مشرق اللون ذاهيئة حسنة ومنظر بهى ووجه مليح فعاد الى صورة قبيحة مظلمة ﴿قوله ممن اهانه الله لكبره﴾ فانه لما استكبر بابائه السجود واعلمه الله تعالى انه صاغر بذلك اراد الخبيث ان يمهله الله تعالى الى ان يبعث بنوا آدم من قبورهم كيلا يذوق الموت لانه لاموت بعد ذلك فلم يجب اليه بل أنظره الله تعالى الى النفخة الاولى حتى يموت الخلق كلهم فيموت مع من يموت لانه تعالى بين مدة المهلة فى موضع آخر وان لم يبينها فى هذه السورة حيث قال هنالك انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم النفخة الاولى وهو اليوم الذى يموت فيه الاحياء كلهم ويحتمل ان يكون مراد

(خلقتنى من نار وخلقته من طين) تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله تعالى مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير واسطة باعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب (قال فاهبط منها) من السماء او الجنة (فما يكون لك) فما يصح (ان تتكبر فيها) وتعصى فانها مكان الخاشع والمطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لايليق بأهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لالمجرد عصيانه (فاخرج انك من الصاغرين) ممن اهانه الله لكبره قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (قال أنظرنى الى يوم يبعثون) امهلنى الى يوم القيامة فلاتمتنى اولا تعجل عقوبتى

الخبيث بقوله أنظرنى أخر عقوبتى الى يوم الجزآء و لاتؤاخذنى قبل يوم القيامة لاان يبقيه حيا الى يوم البعث وان لايميته اصلا ﴿قوله يقتضى الاجابة الى ماسأله﴾ وهوان لايميته اصلا بأن يبقيه حيا الى يوم البعث هذا على تقدير ان يكون مراد الخبيث الاحتمال الاوّل واما على الاحتمال الثانى فالظاهر انه تعالى اجاب الى ماسأله حيث أخر عقوبته الى يوم البعث ﴿قوله انتهاء اجله فيه﴾ بدل اشتمال من ضمير يعلمه ﴿قوله بعد ان امهلتنى﴾ مستفاد من الفاء وقوله لأجتهدنّ مستفاد من قوله لأقعدنّ فان مراد الخبيث به الاخبار بانه يجتهد ويواظب على اغوآء بنى آدم واضلالهم من غير فتور وتوان فى ذلك فان من اراد أن يبالغ فى تكميل امر من الامور يقعد حتى يصير فارغ البال عما يشغله عن اتمام مراده ويتوجه بكليته الى تحصيل مقصوده والاغوآء ايقاع الغى فى القلب والغى هو الاعتقاد الباطل والباء سببية وما مصدرية اى فبسبب اغوآئك اياى بواسطتهم اسعى واجتهد فى اغوآئهم واضلالهم حسب طاقتى ومقدرتى حتى يفسدوا بسببى كما فسدت بسببهم لما رأى غواية نفسه بسببهم عزم على الاجتهاد فى اغوآئهم كما قال ودّوا لوتكفرون كما كفروا فتكونون سوآء ﴿قوله فان اللام تصدّ عنه﴾ اى تمنع عن ان يتعلق ماقبلها بما بعدها فان لام جواب القسم لها صدر الكلام كهمزة الاستفهام فلا يتقدم معمول مابعدها عليها فلا يقال والله زيدا لأقولنّ فهى متعلقة بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتنى اقسم بالله لأقعدنّ اى فبسبب اغوآئك اقسم وهمزة أغويتنى للصيرورة ومعناه صيرتنى غاويا وهذا التصيير امامن جهة التسمية بأن يكون اغوآء الله تعالى عبارة عن تسميته اياه غاويا ضالا او من جهة حمله اياه على الغى بأن يخلق فيه الغى والجهل والاسناد على هذا التقدير حقيقى او من جهة انه تعالى كلفه بما غوى ابليس بسببه فانه تعالى لما امره بالسجود لآدم فعند ذلك ظهر غيه وكفر فذلك الغى وان كان فعل الشيطان الا انه اسند اليه تعالى لكونه سببا له ﴿قوله وقيل الباء للقسم﴾ ولايقسم الا بما هو عظيم الشأن جليل القدر والاغوآء لكونه من صفات الله تعالى الفعلية صح ان يقسم به كأنه قيل بقدرتك ونفاذ سلطانك فى لأقعدنّ لهم على الطريق المستقيم الذى يسلكونه الى الجنة بأن ازين لهم الباطل ومايكسبونه من المآثم ويدل على كونها قسمية قوله تعالى فى سورة ص فبعزتك لأغوينهم ﴿قوله ونصبه على الظرف﴾ والتقدير لأقعدنّ لهم فى صراطك الا ان الصراط ظرف مكان محدود فلا يصل اليه الفعل بنفسه بل لابدّ من فى تقول صليت فى المسجد وجلست فى الطريق ولايقال صليت المسجد والبيت الذى استشهد به قد عده النحاة من ضرورات الشعر واوّل البيت

* لدن بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب *

اى كما عسل الثعلب فى الطريق واللدن الرمح يصف رمحا باللين يقال عسل الرمح اى اهتز واضطرب وعسل الذئب اسرع والضمير فى فيه للكف اوللهز وقوله كما عسل الطريق اى فى الطريق وقيل صراطك منصوب على اسقاط الخافض وهو على كقولك ضرب زيد الظهر والبطن اى على الظهر والبطن ﴿قوله اى من جميع الجهات الاربع﴾ يعنى ان الشيطان اقتصر على ذكر هذه الجهات الاربع ومقصوده بيان انه مبالغ فى القاء الوسوسة غير مقصر فى وجه من الوجوه الممكنة عبر عن مبالغته واجتهاده فى القاء الوسوسة بالاتيان من الجوانب الاربعة تشبيها لها باتيان العدوّ من هذه الجهات فان العدوّ اذا كان قويا شجيعا يأتى قرنه من جهة امامه فيبارزه عيانا وجهارا واذا كان مكارا يراقب غرّة خصمه وغفلته يأتيه من جهة خلفه فيغتاله فجأة وخص هاتان الجهتان بكلمة من الابتدآئية لانهما اغلب مايجيء العدوّ منهما فينال فرصته فصارتا كأنهما هما المأتى لاغير وخصت الجهتان الأخريان بكلمة عن الدالة على المجاوزة اشعارا بأن من اتى خصمه من جهة اليمين او الشمال فهو مجاوز عن المأتى الغالب لمجيء العدوّ فان العدوّ قد يأتى منهما لامر دعاه الى الاتيان منهما وان لم يكونا مأتى اصليا وقدّمت الايمان على الشمائل لكون جهة اليمين اقوى من جهة الشمال من حيث ان البطش والدفع انما يكون باليمين دون الشمال فمن يأتى من جهة اليمين اشجع واقدر ممن يجيء من جهة الشمال والايمان والشمائل جمعا يمين وشمال وهما الجارحتان ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون اتيانه من هذه الجهات استعارة تمثيلية لاجتهاده فى اضلال بنى آدم باىّ طريق يمكنه لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم اذليس فى جانب المشبه به الاتيان من هاتين الجهتين * روى ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا آلهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع كونه مستوليا عليه من هذه الجهات الاربع فاوحى الله تعالى اليهم انه بقى للانسان جهتان الفوق

(قال انك من المنظرين) يقتضى الاجابة الى ماساله ظاهرا لكنه محمول على ماجاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته (قال فبما أغويتنى) اى بعد أن امهلتنى لاجتهدنّ فى اغوآئهم باىّ طريق يمكننى بسبب اغوآئك اياى بواسطتهم تسمية او حملا على الغىّ او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بأقعدنّ فان اللام تصدّ عنه وقيل الباء للقسم (لأقعدنّ لهم) ترصدا لهم كما يقعد القاطع للسابلة (صراطك المستقيم) طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله * كما عسل الطريق الثعلب * وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن (ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) اى من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اىّ وجه يمكنه باتيان العدوّ من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش الناس

وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لايعلمون ولايقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدّى الفعل الى الاوّلين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخيرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف عنهم المارّ على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه (ولاتجد اكثرهم شاكرين) مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه لمارأى فيهم مبدأ الشرّ متعددا ومبدأ الخير واحدا وهو الملك الملهم وقيل سمعه من الملائكة (قال اخرج منها مذؤوما) مذموما من ذأمه اذا ذمّه وقرئ مذوما كسول فى مسئول اوككول فى مكيل من ذامه يذيمه ذيما (مدحورا) مطرودا (لمن تبعك منهم) اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه (لأملأنّ جهنم منكم اجمعين) وهو سادّ مسدّ جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لأملأنّ على معنى لمن تبعك هذا الوعيد اوعلة لاخرج ولأملأنّ جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب (ويا آدم) اى وقلنا يا آدم (اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة) وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذيّا والهاء بدل من الياء (فتكونا من الظالمين) فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا تحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب (فوسوس لهما الشيطان) اى فعل الوسوسة لاجلهما وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق فى سورة البقرة كيفيته وسوسته (ليبدى لهما) ليظهر لهما واللام للعاقبة اوللغرض

والتصت فاذا رفع يديه الى الفوق فى الدعاء على سبيل الخضوع اووضع جبهته على الارض على سبيل الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة **﴿قوله من قبل الآخرة﴾** بأن يشك فى امر الآخرة بأن يقول لابعث ولاحساب ولاجنة ولانار ومن قبل الدنيا بأن يزينها فى قلوبهم ويرغبهم فيها ليشتغلوا بها عما يسعدهم فى الآخرة فان الدنيا بين يدى الانسان فهو يشاهدها والآخرة تأتى بعد ذلك فهو يشغلهم بلذات الدنيا وطيباتها ويوقعهم فى الغفلة عن الآخرة وسعادتها والايمان كناية عن الحسنات التى هى اشرف حالتى الانسان كالايمان التى هى اشرف طرفيه ومعنى الاتيان من جانب الحسنات ان يثبطهم عنها ويفتر سعيهم فى تحصيلها وينفرهم منها والشمائل كناية عن السيئات التى هى اخس الحالتين كما ان الشمال اخس الطرفين والمراد من الاتيان من جهة السيئات ان يزينها لهم ويدعوهم اليها روى عن الاصمعى انه قال يقال هو عندنا باليمين اى بمنزلة حسنة واذا كان بمنزلة دنيئة يقال هو عندنا بالشمال **﴿قوله وانما قاله ظنا﴾** جواب عما يقال من ان قول ابليس ولاتجد اكثرهم شاكرين اخبار عن الغيب فكيف عرف ابليس ذلك * وتقرير الجواب ان ابليس لم يقل ذلك على علم ويقين حتى يقال انه كيف علم ذلك وانما قاله على سبيل الظنّ وبناء الامر على الامارة الدالة عليه فانه قدكان عازما على المبالغة فى تزيين الشهوات وتحسين الخطيئات وقد علم ان طبع الانسان يميل اليها ويرغب فيها فغلب على ظنه انهم يتبعونه فيما يدعوهم اليه ويقبلون قوله فيه فقال ذلك بناء على ظنه ولاسيما انه قد علم ان للنفس الانسانى تسع عشرة قوة كلها تدعو النفس الى اللذات الجسمانية والطيبات الشهوانية خمس منها هى الحواس الظاهرة وخمس اخرى هى الحواس الباطنة واثنان منها قوّتا الشهوة والغضب فقوّة الشهوة موضوعة فى الكبد وقوّة الغضب موضوعة فى البطن الايسر من القلب والقوى السبع منها هى القوّة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة ومجموعها تسع عشرة وهى بأسرها تدعو النفس الى عالم الجسم وترغبها فى طلب اللذات البدنية والتى تدعو النفس الى عبادة الله تعالى والسعادة الروحانية هى قوة واحدة وهى قوّة العقل ولاشك ان استيلاء تسع عشرة قوّة اقوى واكمل من استيلاء قوّة واحدة ومن علم ان الامر كذلك يغلب على ظنه ان اكثر بنى آدم يكونون طالبين لهذه اللذات الجسمانية معرضين عن معرفة الحق ومحبته وطلب مرضاته فلهذا قال ابليس ولاتجد اكثرهم شاكرين وهذا مراد المصنف بقوله لمارأى فيهم مبدأ الشرّ متعددا ومبدأ الخير واحدا وهو بيان سبب ظنه **﴿قوله وقيل سمعه من الملائكة﴾** اى الذين رأوا ذلك الحكم مكتوبا فى اللوح المحفوظ او الملائكة الذين اخبرهم الله تعالى بذلك فقال ذلك على سبيل القطع واليقين **﴿قوله مذؤوما مذموما﴾** يعنى ان الذأم من المهموز العين والذم من المضاعف كلاهما بمعنى واحد وهو اشدّ العيب والذأم العيب يقال ذأمه يذأمه ذأما فهو مذؤوم اذا عابه وحقره مثل سأله يسأله والذام العيب يقال منه ذامه يذيمه ذيما وذاما مثل باعه يبيعه بيعا فهو مذيم ومذوم مثل مكيل ومكيول بمعنى مذؤوم ومذموم قرأ الجمهور مذؤوما مدحورا بالهمزة على انهما حالان من فاعل اخرج عند من يجوّز تعدد الحال لذى حال واحدة ومن لايجوّز ذلك فدحورا عنده صفة لمذؤوما اوهى حال من الضمير فى الحال قبلها فتكون الحالان متداخلتين وقرئ مذوما بواو واحدة من دون همز وهى تحتمل وجهين احدهما ان يكون اصله مذؤوما على وزن مسئولا فخففت همزته بأن القيت حركتها على الذال الساكنة قبلها وحذفت الهمزة تخفيفا فصار مذوما مثل مسولا فى مسئولا وثانيهما ان يكون اسم مفعول من ذامه يذيمه كباعه يبيعه وكان حقه ان يقال مذيم كبيع الا انه ابدلت الواو من الياء كما قالوا امكول فى مكيل مع انه من الكيل والدحر الطرد والابعاد يقال دحره يدحره دحرا ودحورا فقوله مدحورا اى مطرودا من الجنة ومن كل خير **﴿قوله على انه خبر لأملأنّ﴾** اى خبر الوعيد المدلول عليه بقوله لأملأنّ فان نفس لأملأن لكونه جواب قسم محذوف يمتنع ان يكون مبتدأ مرفوع المحل فان لمن تبعك اذا قرئ بكسر اللام يكون خبرا مقدما لمبتدأ محذوف والتقدير لمن تبعك منهم هذا الوعيد ودل على قوله هذا الوعيد قوله لأملأنّ جهنم لان هذا القسم وجوابه وعيد فلما كانت الجملة القسمية بتمامها اى القسم مع جوابه دليلا على المبتدأ المحذوف وسادّا مسدّه نسب الى الدليل ماحقه ان يسند الى المدلول فقال خبر لأملأنّ اعتمادا على فهم السامع **﴿قوله او علة لاخرج﴾** كأنه قيل اخرج منها ملتبسا بهاتين الصفتين والآية بعمومها تدل على ان جميع اهل البدع والضلالات يدخلون جهنم الا من غفر الله تعالى له وعفا عنه لدخولهم فى عموم من تبع ابليس **﴿قوله واللام للعاقبة﴾**

او للغرض ﴾ لان الخبيث لم يرد بوسوسته ظهور عورتهما وانما اراد بها ان يوقعهما في المعصية وان يسقطهما
عما هما فيه من الكرامة والنعمة الا ان عاقبة تلك الوسوسة لما ادّت الى ظهور عورتهما كان ظهورها شبيها
بالغرض فادخل عليه لام العلة ويحتمل ان تكون لام الغرض بناء على انه رأى في اللوح المحفوظ او سمع من بعض
الملائكة انه اذا اكل من الشجرة بدت عورته وسقطت حرمته وجاهه فوسوس اليه ليوقعه في المعصية وليحصل له
هذا الغرض ايضا وقوله ان يسوءهما اى يحزنهما مضارع ساءه نقيض سرّه والحزن خلاف السرور وقوله
ولذلك اى ولكون انكشافها سبب المساءة والحزن عبر عنها بالسوءة للمبالغة في سببيتها للحزن وما في قوله
تعالى ماوورى موصولة بمعنى الذى في محل النصب على انها مفعول قوله ليبدى اى ليظهر الذى ستر عنهما وقوله
وورى بواوين صريحتين فعل ماض مجهول وارى فلما بنى للمفعول قلبت الف فاعل واوا لضمة ماقبلها كما في قوتل
فاجتمع واوان الاولى فاء الفعل والثانية مبدلة من الف فاعل واذا اجتمعت واوان في اوّل الكلمة وتحركت الثانية
وجب ابدال الاولى همزة للتخفيف نحو اويصل تصغير واصل واواصل جمع مكسر واصل وان لم تتحرك الثانية
جاز الابدال والابقاء على حالها كما في هذه الآية وقد قرأ عبدالله اورى بابدال الاولى همزة وقرآءة الجمهور ابقاء
الواوين على حالهما وقرأ الجمهور سوآتهما بالجمع من غير نقل ولا ادغام والظاهر انه من وضع الجمع موضع التثنية
كراهة اجتماع تثنيتين كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقرئ سواتهما بلفظ الجمع ايضا الا انه نقل حركة الهمزة
الى الواو وقبلها ثم حذفت للتخفيف ﴿قوله الا كراهة ان تكونا﴾ اشارة الى انه استثناء مفرّغ من اعم المفعول له
اى مانهاكما لامر ما الا كراهة ان تكونا ملكين بتقدير المضاف عند البصريين وقدره الكوفيون الا ان لاتكونا واوهمهما
الخبيث بهذا الكلام انكما ان اكلتما منها تكونان بمنزلة الملائكة او تكونان من الخالدين فرغبهما في اكلها طمعا لحصول
احد الامرين لهما وقيل او هنا بمعنى الواو لان الترغيب في مجموع الامرين ادخل في حصول غرض الخبيث
من الوسوسة ﴿قوله واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء﴾ ووجه الاستدلال ان الملائكة لو لم تكن
افضل من البشر عندهما لما ارتكبا المنهى ليكتسبا تلك المرتبة واجيب عنه بأن رغبتهما في الاكل ليس لان يكونا
ملكين حقيقة لان استحالة انقلاب الحقائق مركوزة في العقول فلا يتم الاستدلال بل انما كان رغبتهما في ان يحصل لهما
ايضا ما للملائكة من الكمالات المختصة بهم كلطافة البنية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة ونحوهما كالقدرة والقوّة
وكونهما من سكان العرش والكرسى وفضل الملائكة من بعض الوجوه لايدل على فضلهم مطلقا لجواز ان يكون
لنوع البشر فضائل اخر راجحة على ما للملك * فان قيل كيف طمع آدم فيما للملائكة مع انه شاهد الملائكة متواضعين
ساجدين له معترفين بفضله * اجيب بانه يحتمل ان يكون الملائكة الساجدون له ملائكة الارض فقط فطمع آدم
عليه الصلاة والسلام في ان يكون من ملائكة السموات وسكان العرش والكرسى والملائكة المقربين وعلى تقدير
ان يكون الساجدون له جميع الملائكة يجوز ان يختصوا بفضائل ليست لآدم فرغب في ان يكون له ايضا تلك الفضائل
وقيل ان آدم عليه الصلاة والسلام علم ان الملائكة لايموتون الى يوم القيامة ولم يعلم ذلك لنفسه فرغب في ان يكون له
من الخلود ما كان للملائكة ﴿قوله اقسم لهما﴾ يعنى ان القسم انما وقع من ابليس فقط الا انه عبر عن اقسامه
بزنة المفاعلة للدلالة على انه اجتهد في القسم اجتهاد المقاسم المغالب فيه ﴿قوله وقيل اقسماله بالقبول﴾ اى
كما اقسم هو لهما انه لمن الناصحين فزنة المفاعلة على بابها ﴿قوله وقيل اقسما عليه﴾ اى حلاه على ان يقسم بالله
انه لمن الناصحين بأن قالا له أتقسم بالله على انك من الناصحين فأقسم لهما بالله فخدعهما بذلك فان اللائق بحال المؤمن
ان يخدع باليمين بالله تعالى لتمكن عظمة اسم الله تعالى في قلبه فظاهر صيغة المقاسمة وان اقتضى تحقق
الفعل من الجانبين والمتحقق من احد الفاعلين ههنا نفس اليمين ومن الآخر الحمل عليها الا ان ذلك جعل مقاسمة على
التغليب والنصح بذل المجهود في طلب الخير خاصة وضدّه الغش مأخوذ من نصح له بمعنى اخلص له الودّ ومنه ناصح
العسل اى خالصه ﴿قوله اهبطهما بذلك من درجة عالية﴾ وهى درجة الطاعة والانتهاء عما نهيا عنه الى
رتبة سافلة وهى حالة المعصية بارتكاب المنهى فالتدلية ههنا معنوية لاحسية ﴿قوله بما غرّهما به من القسم﴾
على ان الباء سببية والغرور مصدر حذف فاعله ومفعوله والتقدير بسبب غروره اياهما باليمين بالله كاذبا
فكان ابليس اوّل من حلف بالله كاذبا وتعين ان سبب غروره اياهما هو القسم مستفاد من سياق الكلام لامن لفظ
بغرور ﴿قوله او ملتبسين بغرور﴾ على ان الجار والمجرور حال من مفعول دلاهما ﴿قوله اى يخصفان

على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما
بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة
وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة
وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن
في الطباع (ماوورى عنهما من سوآتهما)
ماغطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها
من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما
لم يقلب الواو المضمومة همزة في المشهور
كما قلبت في أويصل تصغير واصل لان الثانية
مدّة وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء
حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام
الواو الساكنة فيها (وقال مانهاكما ربكما
عن هذه الشجرة الا ان تكونا) الا كراهة
ان تكونا (ملكين او تكونا من الخالدين)
من الذين لايموتون او يخلدون في الجنة
واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء
وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق
لاتنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما
ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية
والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك
لايدل على فضلهم مطلقا (وقاسمهما انى لكما
لمن الناصحين) اى اقسم لهما على ذلك
واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل
اقسماله بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه
لمن الناصحين فأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة
(فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من الشجرة
نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية
الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال
الشئ من اعلى الى اسفل (بغرور) بما
غرّهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا
لايحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور

(فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما) اى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما

وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم اوغيرهما وان اللباس كان نورا او حلة اوظفرا (وطفقا يخصفان) اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة (عليهما من ورق الجنة) قيل كان ورق التين وقرئ يُخصفان من أخصف اى يخصفان انفسهما ويَخِصّفان من خصف ويُخَصِّفان اصله يختصفان (وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدوّ مبين) عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدوّ وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم (قالا ربنا ظلمنا انفسنا) اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين) دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لاتجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات (قال اهبطوا) الخطاب لآدم وحوّآء وذريتهما اولهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا (بعضكم لبعض عدوّ) فى موضع الحال اى متعادين (ولكم فى الارض مستقرّ) استقرار او موضع استقرار (ومتاع) وتمتع (الى حين) الى تقضى آجالكم (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) للجزآء وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون وفى الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الرآء (يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا) اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله تعالى وأنزل لكم من الانعام وقوله تعالى وانزلنا الحديد (يوارى سوءآتكم) التى قصد الشيطان ابدآءها ويغنيكم عن خصف الورق روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لانطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اوّل سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويهم (وريشا) ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تموّل وقرئ رياشا جمع ريش كشعب (الثياب)

انفسهما ﴾ يعنى ان يخصفان متعدّ الى مفعول واحد وهو شيأ من ورق الجنة فلما نقل الى باب الافعال تعدّى الى مفعولين اى يجعلان انفسهما خاصفتين عليهما من ورق الجنة وفى الآية دليل على ان كشف العورة قبيح من لدن آدم الاترى انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرّر فى عقولهما من قبح كشف العورة قيل الاولى ان يكون ضمير عليهما راجعا الى سوءآتهما لانه من قبيل فقد صغت قلوبكما فى ان عبر عن المثنى بلفظ الجمع لعدم التباس المراد فجاز ان يرجع اليه ضمير التثنية ولايجوز ان يرجع الى آدم وحوّآء لان ضمير عليهما فى محل النصب على انه مفعول يخصفان وقد تقرّر فى النحو أنه لايجوز ان يكون ضميرا الفاعل والمفعول عبارتين عن شئ واحد فى غير افعال القلوب فان ضمير يخصفان عبارة عن آدم وحوّآء فلو كان ضمير عليهما ايضا عبارة عنهما لزم ان يحمل الكلام على مالم يجوّزه النحاة الا ان يحمل الكلام على حذف المضاف ويكون التقدير يخصفان على بدنهما قيل كان لباس الجنة كالظفر فى اشدّ اللطافة واللين والبياض فلما اصاب آدم الخطيئة نزع ذلك عن بدنه وبقى منه الاظفار تذكيرا للنعم وتجديدا للندم وقيل كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر الى البدن ﴿ قوله وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم ﴾ فان قيل لانسلم ان النهى فى قوله تعالى ولاتقربا هذه الشجرة مطلق بل هو مقرون بما يدل على التحريم وهو قوله فتكونا من الظالمين * والجواب ان الدليل على ماذكر هو قوله تعالى ألم انهكما حيث رتب العتاب على مخالفة النهى مطلقا ولم يقل ألم اقل لكما لاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴿ قوله دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر ﴾ لانزاع فى ان مالم يغفر من الذنب يعاقب عليه وانما النزاع فى ان الصغائر هل يجب ان تغفر اذا اجتنبت الكبائر اولا فالظاهر ان يطرح قوله ان لم تغفر وذنب آدم عليه الصلاة والسلام مع كونه صغيرة فانما صدر عنه قبل النبوّة لان النبوّة انما تكون لدعوة الى الحق ولاتتصوّر الدعوة قبل تحقق الامة وقد كثر حذف حرف النداء فى ندآء الرب تعالى تعظيما له وتنزيها عما لايليق بشأنه فان صورة النداء صريح فى الدلالة على معنى الامر والدعوة فان قولك يازيد معناه تعال يازيد او ادعوك يازيد فحذف حرف الندآء احترازا عن صورة الامر والدعوة فانه لما وسوس لهما بقوله مانهاكما الى آخره فلم يقبلا منه عدل الى اليمين على ماقاله فلم يصدّقاه ايضا فعدل بعد ذلك الى شئ آخر فكأنه تعالى اشار اليه بقوله فدلاهما بغرور وهو انه شغلهما باستيفاء اللذات حتى صارا مستغرقين فيها فنسيا النهى كما قال تعالى فنسى ولم نجد له عزما واما العتاب فلترك التحفظ عن اسباب النسيان وقوله وان لم تغفر لنا شرط حذف جوابه لدلالة جواب القسم المقدّر عليه فان القسم مقدّر قبل حرف الشرط ولام التوطئة ونظيره قوله تعالى وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسنّ ﴿ قوله اى خلقناه لكم ﴾ ضمن الانزال معنى الخلق كأنه قيل خلقناه لكم نازلا من السماء فان جميع ذلك انما يحدث بتدبيرات سماوية من حيث انه قضى وكتب فيها او ان جميعها مطابق للقضاء الازلى والتقدير الالهى الواقع فى السماء فصار بذلك كأنه نازل من السماء وايضا جميع مافى الارض انما يكون بالاسباب النازلة من السماء فصار بذلك كأنه نازل منها فلذلك عبر عن انزال اسبابه بانزال نفسه ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انها ذكرت استطرادا لذكر ظهور سوءآتهما والتجائهما الى خصف ورق الجنة عليهما اظهارا للمنة فى خلق مايسترون به عوراتهما التى انكشافها فى غاية القباحة ويوجب اقصى المذلة والمهانة ﴿ قوله ولباسا تتجملون به ﴾ فى الصحاح الريش والرياش بمعنى وهو اللباس الفاخر على مثال الحرم والحرام واللبس واللباس ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وارتاش فلان حسنت حاله انتهى فاللباس مايلبس ليوارى العورة والريش مايتجمل به من الثياب ﴿ قوله خشية الله ﴾ يعنى ان المفسرين اختلفوا فى لباس التقوى فمنهم من حمله على المعنى المجازى ثم ان هذه الطائفة اختلفت فقال بعضهم لباس التقوى هو خشية الله وقيل هو الحياء وقيل هو الايمان وقيل هو السمت الحسن بناء على ان اللباس الذى يفيد التقوى ليس الاهذه الاشياء واللباس بأحد هذه المعانى اضيف الى التقوى لملابسته لها من حيث كونه مفيدا لها او ناشئا منها ومنهم من حمله على معناه الحقيقى وهو لباس الحرب كالدرع والمغفر فانه يتقى به عن ضرر العدوّ او مايلبس اتقاء عن انكشاف العورة بين يدى الله تعالى ولما بين احسانه الينا اوّلا بانزال مايوارى العورة من اللباس وثانيا بانزال لباس التجمل ثم فضل اللباس الاوّل على الثانى بناء على انه وسيلة الى اقامة الفرض والثانى الى اقامة الامر المندوب وهو التزين عند حضور مواضع العبادات تعظيما لها ولاشك ان مايكون وسيلة الى اقامة الفرض خير بالنسبة الى مايكون وسيلة الى اقامة المندوب صرّح بخيريته ردّا لمن زعم ان التعرّى وخلع

الثياب في الطواف بالبيت خير من الطواف كاسيا ومن قرأ ولباس التقوى مرفوعا جعله مبتدأ وجعل ذلك مبتدأ ثانيا وجعل خير خبر الثاني وجعل المبتدأ الثاني مع خبره خبر الاوّل ويكون الرابط اسم الاشارة لان النحاة اتفقوا على صحة كونه رابطة ﴿قوله او خير﴾ عطف على قوله ذلك خبر اى ويجوز ان يكون اسم الاشارة صفة للمضاف الى المعرّف باللام وقد تقرّر ان حق الموصوف ان يكون اخص من الصفة او مساويا لها بناء على انه المقصود بالنسبة ولا يجوز ان يكون المقصود اقل رتبة من غير المقصود واسم الاشارة اخص من المعرّف باللام فبالاولى ان يكون اخص من المضاف الى المعرّف باللام فكيف يكون صفة له اشار الى الجواب عنه بقوله كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه وتقريره ان اسم الاشارة ههنا فى تأويل المشار اليه او المذكور فجاز ان يقع صفة للمضاف الى المعرّف باللام ﴿قوله لا يمحنكم﴾ اى لا يوقعنكم فى المحنة والبلاء فانه لما بلغ بكيده الى ان قدر على ايقاع آدم فى الزلة المؤدّية الى اخراجه من الجنة فبأن يقدر على امثال هذه المضار فى حق بنى آدم اولى فوجب عليهم ان يحترزوا عن قبول وسوسته ﴿قوله تعالى كما اخرج﴾ صفة مصدر محذوف اى لا يفتننكم فتنة مثل فتنة اخراج ابويكم وتأكيد الضمير المرفوع المتصل بهو فى قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله ليس لصحة العطف لوجود الفصل بين المعطوفين بدون التأكيد فمجرّد الفصل كاف فى صحة العطف فلا حاجة الى التأكيد فليس الآية نظير قوله تعالى اسكن انت وزوجك والقبيل الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من جماعة شتى وطوائف مختلفة مثل الروم والزنج والعرب والجمع قبل قال تعالى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا والقبيلة الجماعة من اب واحد فليست القبيلة تأنيث القبيل لهذه المغايرة وقبيل الشيطان اصحابه وجنده ﴿قوله تعالى من حيث لا ترونهم﴾ من فيه لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم فى محل الجرّ باضافة حيث اليه والعدوّ الذى يراك ولا تراه شديد لا يتخلص منه الا من عصمه الله قال ذو النون ان كان هو يراك من حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى فاستعن بالله عليه فان كيد الشيطان كان ضعيفا ولم نكلف محاربة اعيانهم حتى يكون عدم رؤيتنا اياهم مانعا من محاربتهم بل انما كلفنا دفع وسوستهم بما علمنا الله تعالى من طريق دفعها قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال تعالى وقل رب اعوذبك من همزات الشياطين واعوذبك رب ان يحضرون ﴿قوله ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة الخ﴾ اى فى بعض احوالهم وهو حال بقائهم على صورهم الاصلية وهو جواب عما يقال من انه تعالى كيف قال من حيث لا ترونهم مع ان حديث رؤية بعض الناس الجنّ مما يكاد يكون متواترا ومنه ما ذكر فى قصة سليمان عليه الصلاة والسلام وقوله عليه الصلاة والسلام * اولئك جنّ نصيبين * حين قال ابن مسعود رأيت رجالا كذا وكذا ﴿قوله بما اوجدنا بينهم من التناسب﴾ اى فى الخذلان والغواية فصار بعضهم قرين بعض فالاولياء جمع ولى ضدّ العدوّ ويقال منه تولاه اى اتخذه صديقا وخليلا وقوله او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم فالولى على هذا من ولى الرجل البيع ولاية وكل من ولى امر احد فهو وليه فان الشياطين لما حملوا الكفار على ما سوّلوا لهم صاروا بمنزلة من يتولى امورهم ﴿قوله فعلة متناهية فى القبح﴾ ليس المراد ان القوم كانوا يسلمون كون تلك الافعال فواحش ثم كانوا يزعمون ان الله تعالى امرهم بها فان ذلك لا يقوله عاقل بل المراد ان تلك الاشياء كانت فى انفسها فواحش والقوم كانوا يعتقدون انها طاعات وان الله امرهم بها ولما ثبت كون تلك الافعال قبيحة منكرة ببيان الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام امر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم ان الله لا يأمر بالفحشاء والامر بهذا القول اشارة الى ان الشئ لما كان موصوفا فى نفسه بكونه من الفحشاء امتنع ان يأمر الله تعالى به وهذا يقتضى ان يكون ذلك الشئ فى نفسه فحشا مع قطع النظر عن تعلق النهى به واشار الى جوابه بقوله ولا دلالة فيه الخ وتقرير الجواب ان القبح يطلق على معنيين الاوّل كون الشئ قبيحا فى حكم الله تعالى بحيث يترتب عليه الذم آجلا والثانى كراهة الطباع السليمة وعدم الملاءمة للعقول المستقيمة ولا نزاع بيننا وبينكم فى القبح بالمعنى الثانى وانما النزاع فى القبح بالمعنى الاوّل والقبح بهذا المعنى يثبت بحكم العقل عند المعتزلة وعندنا لا يثبت الا بالشرع ولا دلالة فى الآية على كونه عقليا سواء ورد الشرع ام لا ﴿قوله لظهور فساده﴾ فان التقليد لو كان طريقا للعلم لزم حقية الاديان والمذاهب المتناقضة المبنية على تقليد الاسلاف ﴿قوله وقيل هما جوابا سؤالين﴾ اى ليس كل واحد منهما جوابا واحتجاجا على صحة ارتكاب آبائهم اياها بل الاوّل احتجاج عليه والثانى احتجاج على صحة ارتكاب آبائهم اياها

ورفعه بالابتداء وخبره (ذلك خير) او خبر وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا (ذلك) اى انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته (لعلهم يذكرون) فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورّعون عن القبائح (يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان) لا يمحنكم بأن يمنعكم دخول الجنة باغوائكم (كما اخرج ابويكم من الجنة) كما محن ابويكم بأن اخرجهما منها والنهى فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) تعليل للنهى وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة لا تقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا (انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون) بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سوّلوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية (واذا فعلوا فاحشة) فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الطواف (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها) اعتذروا واحتجوا بأمرين تقليد الآباء والافتراء على الله فأعرض عن الاوّل لظهور فساده وردّ الثانى بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلى فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا (أتقولون على الله ما لا تعلمون) انكار يتضمن النهى عن الافتراء على الله

جعل الله تعالى قولهم والله امرنا بها حكما بما لايعلمون لانتفاء طريق علمهم بذلك لان طريق العلم بذلك منحصر فى امرين احدهما ان يسمعوا من الله تعالى ابتدآء من غير توسط رسول يبلغهم انه تعالى امرهم بذلك وثانيهما ان يعرفوا ذلك بواسطة الانبياء واصحاب الوحى الآلهى وكل واحد من الامرين منتف فى حقهم اما انتفاء الاوّل فظاهر واما انتفاء الثانى فلأنهم ينكرون نبوّة الانبياء على الاطلاق فان هذه المناظرة مع كفار قريش وهم كانوا منكرين لاصل النبوّة واذا كان كذلك فلا طريق لهم الى العلم باحكام الله تعالى فكان قولهم والله امرنا بها قولا على الله بما لايعلمون وانه باطل **قوله** تعالى واقيموا وجوهكم ليس عطفا على قوله امر ربى والالزم عطف الانشاء على الاخبار بل هو معطوف على امر بتقدير قل اى وقل اقيموا والمراد بالسجود الصلاة بطريق ذكر الجزء وارادة الكل فكأنه قيل فى وقت كل صلاة او فى مكان كل صلاة **قوله** وتوجهوا الى عبادته كون اقامة الوجه عبارة عن التوجه بالاستقامة ظاهر واما كون المتوجه اليه هو العبادة فهو مستفاد من قوله عند كل مسجد لان التوجه بالاستقامة فى كل وقت صلاة او مكانها لايسبق الى الفهم منه بهذه العبارة سوى التوجه الى الصلاة وماتوقف ادآؤها عليه واللفظ الجامع لها هو لفظ العبادة وقوله غير عادلين اى عن العبادة مستفاد من الاقامة ثم جوّز ان يكون المراد بالمتوجه اليه بالاستقامة هو القبلة والكعبة لان الذهن ينتقل من تلك العبارة الى هذا المعنى ايضا **قوله** كما انشأكم ابتدآء فانه تعالى خلقكم فى الدنيا ولم تكونوا شيأ كذلك تعودون احياء يوم القيامة احتج عليهم فى انكارهم البعث والاعادة بابتدآء الخلق اى ليس بعثكم اشدّ من ابتداء خلقكم كما قال تعالى كما بدأنا اوّل خلق نعيده والكاف فى كما فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف تقديره تعودون عودا مثل مابدأكم وبدأ بالهمزة بمعنى انشأ واخترع **قوله** وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم روى عن ابن عباس ان الله تعالى خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا فمن خلقه فى اوّل الامر للشقاوة استعمله بعمل اهل الشقاوة وكانت عاقبته الشقاوة فيبعث على مامات عليه ومن خلقه للسعادة استعمله بعمل اهل السعادة وكانت عاقبته السعادة فيبعث على مامات عليه اى ومن ابتدأ الله تعالى خلقه على الشقاوة صار اليها وان عمل باعمال اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل عمل اهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال اهل الشقاوة كسحرة فرعون فانهم كانوا يعملون عمل الاشقياء فصاروا سعدآء فى آخر أعمارهم روى سهل بن سعد انه عليه الصلاة والسلام قال« ان العبد ليعمل فيما يرى الناس بعمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانه ليعمل فيما يرى الناس بعمل اهل النار وانه من اهل الجنة وانما الاعمال بالخواتيم» وقوله تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة كالتفسير لقوله كما بدأكم وفريقا الاوّل منصوب بهدى بعده وفريقا الثانى منصوب بفعل مضمر يفسره قوله حق عليهم الضلالة من حيث المعنى وتقديره واضل فريقا حق عليهم الضلالة وهو احسن من تقدير وخذل لما فيه من ايهام الميل الى الاعتزال ولكونه اوفق لقوله حق عليهم الضلالة **قوله** تعليل لخذلانهم ويؤيد كونه للتعليل قرآءة من قرأ انهم بفتح الهمزة وهى نص فى التعليل اى حقت عليهم الضلالة لاتخاذهم الشياطين اولياء وقبولهم مادعوا اليه بدون التأمل والتمييز بين الحق والباطل وكل واحد من الهدى والضلال وان كان يحصل بخلق الله تعالى اياه ابتدآء الا انه تعالى يخلق ذلك حسبما اكتسبه العبد وسعى فى حصوله والمصنف لما قدّر فعل الخذ لان عاملا فى فريقا الثانى تحقق هنا امران ضلالة القوم وخذ لان الله تعالى اياهم المؤدى الى ضلالهم فاتجه له ان يجعل قوله تعالى اتخذوا الى آخره تعليلا وتحقيقا لكل واحد منهما **قوله** سوآء فى استحقاق الذم من حيث انه تعالى ذم المخطئ الذى يظنّ انه فى دينه على الحق بانه حق عليه الضلالة وجعله فى حكم الجاحد المعاند فعلم منه ان مجرّد الظنّ والحسبان لايكفى فى صحة الدين بل لابدّ فيه من الجزم والقطع لانه تعالى ذم الكفار بانهم يحسبون انهم مهتدون ولو كفى مجرّد الحسبان فيه لماذمهم بذلك **قوله** ثيابكم لمواراة عوراتكم الزينة وان كانت اسما لمايتزين به من الثياب الفاخرة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالزينة ههنا الثياب التى تستر العورة استدلالا بسبب نزول الآية فانه قد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اهل الجاهلية من قبائل العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة وقالوا لانطوف فى ثياب اصبنا فيها الذنوب فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة قال ابن عباس رضى الله عنهما فأمرهم الله ان يلبسوا ثيابهم

(قل امر ربى بالقسط) بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافى عن طرفى الافراط والتفريط (وأقيموا وجوهكم) وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها اوأقيموها نحو القبلة (عند كل مسجد) فى كل وقت سجود اومكانه وهو الصلاة اوفى اىّ مسجد حضرتكم الصلاة ولاتؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) اى الطاعة فان اليه مصيركم (كما بدأكم) كما انشأكم ابتدآء (تعودون) باعادته فيجازيكم على اعمالكم فأخلصوا له العبادة وانماشبه الاعادة بالابتدآء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم (فريقا هدى) بان وفقهم للايمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره مابعده اى وخذل فريقا (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) تعليل لخذلانهم اوتحقيق لضلالهم (ويحسبون انهم مهتدون) يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سوآء فى استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر فى النظر (يابنى آدم خذوا زينتكم) ثيابكم لمواراة عوراتكم (عند كل مسجد) لطواف او صلاة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلاة

(وكلوا واشربوا) ما طاب لكم روى ان بنى عامر فى ايام حجهم كانوا لايأكلون الطعام الاقوتا و لايأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت (ولا تسرفوا) بتحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ماشئت والبس ماشئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب فى نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا (انه لا يحب المسرفين) اى لا يرتضى فعلهم (قل من حرّم زينة الله) من الثياب وسائر مايتجمل به (التى اخرج لعباده) من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع (والطيبات من الرزق) المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى من للانكار (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا) بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع (خالصة يوم القيامة) لايشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم (قل انما حرّم ربى الفواحش) ما تزايد قبحه وقيل مايتعلق بالفروج (ماظهر منها ومابطن) جهرها وسرّها (والاثم) وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر (والبغى) الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة (بغير الحق) متعلق بالبغى مؤكد له معنى (وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع مالم يدل عليه برهان (وان تقولوا على الله مالا تعلمون) بالالحاد فى صفاته والافترآء عليه كقولهم والله امرنا بها (ولكل امة اجل) مدّة اووقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة (فاذا جاء اجلهم) انقرضت مدّتهم او حان وقتهم (لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون) اى لايتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لايطلبون التأخر والتقدم لشدّة الهول

ولا يعرّوا قال قتادة كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها وهى تقول اليوم يبدو بعضه او كله * وما بدا منه فلا احله * فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم ومنهم من يقول نفعل ذلك تفاؤلا حتى نتعرى عن الذنوب كما تعرّينا عن الثياب فنزلت قال الكلبى الزينة ماوارى العورة عند كل مسجد لطواف او صلاة وقال طاووس لم يأمرهم بالحرير او الديباج ولكن كان اهل الجاهلية يطوف احدهم بالبيت عريانا فى ذلك نزلت هذه الآية وهذا قول جماعة المفسرين ﴿ قوله بتحريم الحلال ﴾ كتحريم البحيرة والسائبة وتحريم مااحله الله تعالى فى ايام الحج وقيل الاسراف التعدّى فى الاكل والشرب الى الحرام والى مالايحتاج اليه البدن فى قوامه ﴿ قوله مااخطأتك ﴾ اى ماجاوزتك ﴿ قوله سرف ومخيلة ﴾ نشر لقوله كل والبس والمخيلة والخيلاء الكبر ﴿ قوله وقال على بن الحسين ﴾ حكى ان الرشيد كان له طبيب نصرانى فقال لعلى بن الحسين بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له على بن الحسين قد جمع الله تعالى الطب كله فى كلمة واحدة من كتابه قال وماهى قال ولا تسرفوا فقال النصرانى ولا يؤثر عن نبيكم فى الطب شئ فقال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب فى خبر واحد قال وما هو قال * المعدة بيت الادوآء والحمية رأس كل دوآء واعط كل بدن ماعوّدته * فقال النصرانى ماترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا ﴿ قوله وانتصابها على الحال ﴾ والمعنى الطيبات كائنة اومستقرّة للذين آمنوا فى حال كونها خالصة لهم يوم القيامة فقوله هى مبتدأ وللذين آمنوا خبره فيتعلق بالاستقرار المقدّر وفى الحياة الدنيا متعلق بآمنوا وبالاستقرار الذى تعلق به للذين ومتعلق قوله يوم القيامة متعين وهو قوله خالصة لامتعلق له غيرها والمعنى الطيبات وان اشتركت الطائفتان فيها فى الدنيا فهى خالصة للمؤمنين فى الاخرة * فان قلت اذا كانت الطيبات مشتركة بين الفريقين فى الدنيا فكيف قيل هى للذين امنوا فى الدنيا وهذه العبارة تؤذن باختصاصها لهم فى الدنيا ايضا * والجواب مااشار اليه المصنف بقوله بالاصالة * وتقريره ان المراد بالاختصاص المدلول عليه بقوله للذين آمنوا ليس اختصاص اصل التناول منها لهم بل المراد اختصاص المقصودية بخلقها اصالة وبالذات لهم ثم انه تعالى لما بين ان الذى حرّموه ليس بحرام بين بعده انواع المحرّمات فقال قل انما حرّم ربى الفواحش والفرق بينها وبين الاثم ان الاثم يعم جميع المعصية صغيرة كانت اوكبيرة والفاحشة مختصة بما فحش قبحه من الكبائر او بما يتعلق بالفروج ولما حرّم الفواحش اردفها بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم ان التحريم مقصور على الفواحش وروى عن ابن عباس والحسن البصرى انهما قالا الاثم الخمر سميت الخمر اثما لكونها سببا للاثم الكبير لقوله تعالى قل فيهما اثم كبير ولكنه لو اريد بالاثم شرب الخمر فقط لاشكل الحصر المستفاد من قوله تعالى انما حرّم لانه تعالى قد حرّم امورا غير ماذكر فى هذه الآية فالحق ابقاء الاثم على عمومه ولذلك ضعف المصنف هذا الوجه بقوله وقيل الخ * قيل عليه كيف يراد به الخمر وقد كانت الخمر مباحة حين نزول هذه السورة لان هذه السورة مكية وتحريم الخمر انما كان بالمدينة بعد وقعة احد وقد شربها جماعة من الصحابة يوم احد فماتوا شهداء وهى فى اجوافهم ثم البغى والشرك والافترآء وان كانت داخلة تحت الفاحشة والاثم الا انها خصت بالذكر تنبيها على انها اقبح انواع الذنوب كما فى قوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال ﴿ قوله مؤكدا له ﴾ لان البغى لايكون الا بغير الحق ﴿ قوله تهكم بالمشركين ﴾ لانه لايجوز ان ينزل برهان أن يشرك به غيره واذا لم يجز انزال البرهان بالاشراك كان ذكر ذلك تهكما واستهزآء ومعلوم انه لا برهان عليه حتى ينزل فهو من قبيل لاترى الضب بها ينجحر * واكتفى عن ذكر هذا بما سبق فى آل عمران فى تفسير قوله تعالى اشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ﴿ قوله مدّة اووقت لنزول العذاب بهم ﴾ يعنى ان الاجل هو الوقت المضروب لانقضاء المهلة وفسر الاجل المذكور فى هذه الآية بوجهين الاوّل ان المراد به مدّة العمر فاذا انقطع ذلك الاجل وكمل امتنع وقوع التقديم والتأخير فيه والوجه الثانى ان الله تعالى امهل كل امة كذبت رسولها الى وقت معين وهو تعالى لايعذبهم الا ان يبلغوا ذلك الوقت الذى يصيرون فيه مستحقين لعذاب الاستئصال فاذا جاء ذلك الوقت نزل ذلك العذاب لامحالة وهذا التفسير اوفق لقوله ولكل امة لانه لو كان المراد بالاجل المعنى الاوّل لكان الظاهر ان يقال ولكل واحد اجل والتفسير الاوّل اولى من الثانى لانه يقتضى ان يكون لكل امة من الامم وقت معين لنزول عذاب الاستئصال عليهم وليس الامر كذلك لان امّتنا ليست كذلك * فان قيل ان فسر الاجل بمدّة العمر يكون المعنى اذا انتهت مدّة عمر الشخص لايتقدّم موت ذلك الشخص على مجئ اجله ولامعنى له لان كلمة اذا انما تدخل على

(يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتى) شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كاظنه اهل التعليم وضمت
اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه (فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته) فمن تقوّل على الله ما لم يقله او كذب ماقاله (اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) مما كتب لهم من الارزاق والاجال وقيل الكتاب اللوح المحفوظ اى مما اثبت لهم فيه (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) اى يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهى التى يبتدأ بعدها الكلام (قالوا) جواب اذا (اينما كنتم تدعون من دون الله) اى اين الآلهة التى كنتم تعبدونها وما وصلت بأين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة (قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا (وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه (قال ادخلوا) اى قال الله لهم يوم القيامة او احد من الملائكة (فى امم قد خلت من قبلكم) اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم يوم القيامة (من الجن والانس) يعنى كفار الامم الماضية من النوعين (فى النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت امة) اى فى النار (لعنت اختها) التى ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا اداركوا فيها جميعا) اى تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا فى النار (قالت اخراهم) دخولا او منزلة وهم الاتباع (لأولاهم) اى لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم (ربنا هؤلاء اضلونا) سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم (فآتهم عذابا ضعفا من النار) مضاعفا لانهم ضلوا وأضلوا (قال لكل ضعف) اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم (ولكن لا تعلمون) ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم برواية ابى بكر بالياء على الانفصال (وقالت اولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا كلامهم على
جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب (فذوقوا (والعمل)

ما يقع فى المستقبل والجزاء المرتب عليه ثبوتا او انتفاء يجب ان يكون ثبوته او انتفاؤه مستقبلا بالنسبة الى تحقق مضمون الشرط والاستقدام متقدم على مجيئ الاجل فكيف يترتب عليه فيكون الاخبار به لغوا بلا فائدة لانه اخبار بالضروريات التى لا يجهل احد معناها * فالجواب ان ماذكرته انما يلزم ان لو كان قوله ولا يستقدمون معطوفا على قوله لا يستأخرون واقعا فى حيز جزاء اذا وليس ذلك بواجب لجواز ان يكون ولا يستقدمون كلاما مستأنفا جيئ به للاخبار بانهم لا ينقصون اجلهم المضروب لهم بل لابد من استيفائهم اياه كما انهم لا يتأخرون عنه اقل زمان فان ساعة منصوب على الظرفية وهى مثل فى قلة الزمان واقل ما يستعمل فى الامهال يقول المستعجل لصاحبه فى ساعة يريد اقصر وقت واقله ﴿قوله شرط ذكره بحرف الشك﴾ يعنى اتيان الرسل شرط جعل اداته كلمة ان المستعملة فى الامور التى لا يتحقق وقوعها عند المتكلم وفى علمه فان جميع النحاة صرحوا بانها انما تستعمل فى المعانى المحتملة المشكوكة التى لا جزم بوقوعها فى اعتقاد المتكلم فلذلك لا تقع فى كلام الله تعالى الا على طريق الحكاية او على ضرب من التأويل مثل سوق المعلوم فى مقام المشكوك لنكتة تقتضيه بخلاف اذا فان الاصل فيها ان تستعمل فيما يكون وقوعه مجزوما به فى اعتقاد المتكلم فالمناسب لهذا المقام ايراد كلمة اذا لكون الاتيان متعينا عند الله تعالى الا انه اورد حرف الشك للتنبيه على ما ذكره واصل اما ان ما ضمت كلمة ما الى ان الشرطية تأكيدا لما فيها من الدلالة على شرط التعليق والدلالة على زيادة العلم فى المعلق عليه فان قولك اما تفعل معناه وجود الفعل بوجه من الوجوه والتزم ان يؤكد فعلها بالنون الثقيلة او الخفيفة لئلا تنحط درجة فعل الشرط عن حرفه وتعاضدا فى الدلالة على ارادة التأكيد لما بين الله تعالى احوال التكاليف وان لكل احد اجلا معينا بين ان من اتقى الله وخافه بأن اطاع رسوله الذى يقص آياته اى يبين فرائضه واحكامه التى شرعها لعباده او يتلو عليهم القرآن والاحاديث التى هى ايضا من آيات الله تعالى فلا خوف عليهم ولا حزن اذا خاف الناس وحزنوا اى لا يخافون مما يلحق العصاة فى المستقبل ولا يحزنون على ما فاتهم فى الدنيا لاستغراقهم فيما لا عين رأت ولا اذن سمعت وان من لم يتق الله تعالى وكذب بآياته فانهم اصحاب النار وقوله تعالى منكم صفة لرسل وكذلك يقصون قدم الجار والمجرور على الجملة لكونه اقرب الى المفرد خاطب الله هذه الامة بقوله يابنى آدم اما يأتينكم رسل بلفظ الجمع مع ان رسولهم خاتم الانبياء لا يأتيهم غيره فالظاهر ان يقال رسول بلفظ مفرد بناء على ان هذا الحكم غير مختص بهذه الامة وتصديقهم من ارسل اليهم من الرسل وتكذيبهم اياه بل هو يعم جميع بنى آدم ورسلهم ومن فى قوله تعالى فمن اتقى يحتمل ان تكون شرطية وقوله فلا خوف عليهم جوابها وان تكون موصولة وفلا خوف عليهم خبرها على اسلوب قوله والذين كذبوا اولئك والمصنف اختار الثانى بشهادة قوله وادخال الفاء فى الخبر الاول وهو قوله تعالى فلا خوف عليهم دون الثانى وهو اولئك ولما كانت هذه الجملة الاسمية مركبة من الموصول وصلته وخبره جوابا للجملة الشرطية احتيج فى هذه الجملة وفى ما عطف عليها الى رابط يربطها بتلك الجملة ثم انه تعالى لما بين عقوبة المستكبرين عظم جريمتهم التى استحقوا بها تلك العقوبة فقال من اعظم ظلما ممن تقوّل على الله تعالى اى كذب عليه ما لم يقله وكذب ما قاله ويدخل فى التقوّل عليه اثبات الشريك والصاحبة والولد له تعالى واسناد الاحكام الباطلة اليه تعالى ﴿قوله على الانفصال﴾ اى قرأ بياء الغيبة على طريق الانفصال عن خطاب الامة السائلة تضعيف عذاب المتبوعين وليس المراد بقوله تعالى لكل ضعف تضعيف ما يستحقه كل واحد لانه ظلم وما الله بظلام للعبيد بل المراد تضعيف عذاب الضلال بأن يضم اليه عذاب الاضلال والتقليد ﴿قوله ورتبوه عليه﴾ عطف تفسير لقوله عطفوا كلامهم على جواب الله بين به ان ليس المراد بالعطف العطف المتعارف والا لزم ان يكون هذا الكلام مقول قال وهو فاسد والمعنى ان القادة لما سمعوا قوله تعالى للسفلة لكل ضعف قالوا للسفلة اى الاتباع كيف تطمعون ان يخفف عذابكم ويكون عذابنا ضعف عذابكم وما كان لكم علينا من فضل من حيث الاجتناب عن الكفر والضلال حتى تطمعوا به ان يكون عذابكم اخف من عذابنا فانا ما ألجأناكم على الكفر بل كفرتم لكون الكفر موافقا لهواكم كما كفرنا لذلك ﴿قوله تعالى ان الذين كذبوا بآياتنا الآية﴾ من تمام وعيد الكفار والمراد بالآيات الدلائل الدالة على اصول الدين واحكام الشرع كالدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم ووحدته واستجماعه لجميع الصفات اللائقة بالالوهية من الصفات الثبوتية والسلبية وكالدلائل الدالة على صحة النبوات وصحة امر المعاد وما يتعلق بهما والمشركون يكذبون جميع ذلك ويستكبرون اى يترفعون بالباطل عن اتباعها

والعمل بمقتضاها وقرئ لاتفتح ولايفتح بالتاء والياء بالتشديد والتخفيف وقرئ ايضا لاتفتح بفتح التاء من فوق والتضعيف والاصل لاتتفتح بتاءين فحذفت احدهما وابواب السماء على هذه القرآءة مرفوع على الفاعلية قال ابن عباس رضى الله عنهما لاتفتح لاعمالهم ولالدعائهم مأخوذ من قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال السدّى وغيره لاتفتح لارواحهم ابواب السماء لانها خبيثة لايصعد بها لتتصل بالملائكة بل يهوى بها الى سجين وانما تفتح ابواب السماء لارواح المؤمنين كما ورد فى الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب الى ان ينتهى بها الى السماء السابعة ويستفتح لروح الكافر فيقال لها *ارجعى ذميمة فيهوى بها الى سجين* وقيل لاتفتح لهم ابواب السماء حتى تنزل عليهم بركاتها وامطارها استدلالا بقوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ﴿قوله ماهو مثل فى عظم الجرم وهو البعير﴾ فان البعير اعظم الحيوانات واكبرها جثة عند العرب كما ان سم الابرة اضيق المسالك عندهم ولاشك ان دخول اعظم الاجرام فى اضيق المسالك مستحيل والموقوف على المحال محال فكأنه قيل لايدخلون الجنة ابدا ومثله فى المعنى قول من قال

* اذا شاب الغراب اتيت اهلى * وصار القار كاللبن الحليب *

والبعير من الابل بمنزلة الانسان من الناس يقال للجمل بعير وللناقة بعير وانما يقال له بعير اذا اجذع اى صار جذعا او جذعة بأن دخل فى السنة الخامسة فان ولد الناقة يقال له اوّل مايخرج من بطن امّه ولم يعرف ذكورته ولا انوثته سليل فان كان ذكرا يقال له سقب وان كان انثى يقال لها حائل ثم هو حوار الى الانفطام وبعده فصيل الى سنة وفى الثانية ابن مخاض وبنت مخاض وفى الثالثة ابن لبون وبنت لبون وفى الرابعة حق وحقة وفى الخامسة جذع وجذعة وفى السادسة ثنى وثنية وفى السابعة رباع ورباعية بالتخفيف وفى الثامنة سديس لهما وقيل سديسة للانثى وفى التاسعة بازل وبازلة يقال بزل البعير يبزل بزولا اى فطر نابه وانشق وفى العاشرة مخلف ومخلفة وليس بعد البزول والاخلاف سن والجمل زوج الناقة وانما يسمى جملا اذا اربع اى دخل فى السنة السابعة ﴿قوله تعالى لهم من جهنم مهاد﴾ جملة اسمية ومن جهنم حال من مهاد لانه لو تأخر عنه لكان صفة وجهنم لاينصرف للعلمية والتأنيث وقيل اشتقاقه من الجهومة وهى الغلظة يقال رجل جهم الوجه اى غليظه سميت بهذا لغلظ امرها فى العذاب والمهاد جمع مهد وهو الفراش وغواش جمع غاشية وهى كل مايغشاك اى يسترك وللنحاة فى الجمع الذى على فواعل اذا كان منقوصا حذف لامه خلاف هل هو منصرف او غير منصرف قال بعضهم هو منصرف لانه قد زالت صيغة منتهى الجموع فصار وزنه وزن سلام وقذال فانصرف وقال الجمهور انه غير منصرف والتنوين الذى فيه ليس تنوين التمكين بل هو تنوين العوض والمعوض عنه اللام والمصنف اجمل فى التفسير حيث قال والتنوين فيه بدل من الاعلال اما من الياء او من حركتها فان اصل نحو جوار وموال جوارى وموالى استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم حذفت الياء اكتفاء بالكسرة فانهم حذفوا الياء اكتفاء بالكسرة فى المفرد فكان حذفها فى الجمع الذى هو اثقل اولى فلما حذفت الياء والحركة عوض التنوين عن الياء او عن الحركة وهذا هو مذهب الخليل وسيبويه واما عند غيرهما فهو تنوين التمكين ومن قرأ غواش برفع الشين جعل الياء المحذوفة منسية غير معتبرة اصلا لا فى حق الاعراب ولا فى حق منع الصرف فأجرى الاعراب على ماقبلها لكونه آخر الكلمة عنده ومعنى الآية الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف ﴿قوله عبر عنهم بالمجرمين تارة﴾ يعنى انه من باب وقوع الظاهر موقع المضمر للدلالة على ان تلك العقوبة الشديدة كانت لاستجماعهم هذه الاوصاف الذميمة المترتبة على تكذيبهم الآيات ﴿قوله اعتراض للترغيب﴾ فانه لما قصد بيان كون ماذكر من النعيم المقيم الذى قال عليه الصلاة والسلام فى حقه *مالاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر* مترتبا على الايمان والعمل الصالح قال قبل ذلك ان الايمان والعمل الصالح المؤدّيين الى النعيم المذكور انما كلفتم بهما على حسب مافى الوسع والامكان لا على بذل جميع مايدخل تحت طاقة الانسان لتزداد رغبتهم فيهما قال الامام الوسع مايقدر الانسان عليه فى حال السعة والسهولة لا فى حال الضيق والشدّة ويدل عليه ان معاذ بن جبل قال فى تفسير هذه الآية الا يسرها لاعسرها واما اقصى الطاقة فانه يسمى جهدا لاوسعا وغلط من ظن ان الوسع بذل المجهود ﴿قوله اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل﴾ يعنى ان النزع قلع الشئ عن مكانه والغل الحقد الكائن فى الصدور ومعنى قلع ماكان

(لاتفتح لهم ابواب السماء) لادعيتهم واعمالهم اولا رواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التأنيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله (ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) اى حتى يدخل ماهو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لايكون وكذا مايتوقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهى الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو والخياط مايخاط به كالحزام والمحزم (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) اغطية والتنوين فيه للبدل من الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف (وكذلك نجزى الظالمين) عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) على عادته سبحانه وتعالى فى ان يشفع الوعيد بالوعد ولانكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ وخبره للترغيب فى اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لاتكلف نفس (ونزعنا مافى صدورهم من غل) اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل

لبعضهم على بعض فى الدنيا من الاحقاد اخراج اسبابها من القلوب فان تلك الاحقاد انما نشأت من التعلق بالدنيا وما فيها و بانقطاع تلك العلاقة انتهى ما يتفرع عليها من الاحقاد و من جملة اسبابها ايضا ان الشيطان كان يلقى الوساوس الى قلوب بنى آدم فى الدنيا و قد انقطع ذلك فى الآخرة من جهة ان الشيطان لما استغرق فى عذاب النيران لم يتفرغ لالقاء الوساوس فى قلوب الانسان فلذلك صفت طبائع اهل الجنان عما كان بينهم فى الدنيا مما ينافى لصفاء الجنان ﴿قوله او نطهر هامنه﴾ اى و يجوز ان لا يكون المراد بنزع الغل نزع ما كان بينهم فى الدنيا بنزع اسبابه بل يراد تطهير قلوبهم من الغل بحيث لا يعرض لهم الغل و الحسد مما رأوا من تفاوت درجات اهل الجنة بحسب الكمال و النقصان حتى ان صاحب الدرجة النازلة لا ينفعل عن انحطاط درجته عن درجة من فوقه و لا يغتم بسبب حرمانه من الدرجات الرفيعة العالية فان ذلك امر ممكن و الله تعالى قادر عليه و قد وعد بازالة الحقد و الحسد عن القلوب ﴿قوله زيادة فى لذتهم﴾ يشعر بأن قوله تعالى تجرى من تحتهم الانهار كلام مستأنف سيق لبيان ان لهم حالة زآئدة على ما حصل لهم من صفاء القلوب و يحتمل ان يكون حالا من ضمير صدورهم لما تقرر من ان انتصاب الحال من المضاف اليه جائز اذا كان المضاف جزأ من المضاف اليه و يكون العامل فى الحال هو العامل فى المضاف و جاز ذلك و ان لم يكن الحال من هيئات المضاف بناء على ان المضاف و المضاف اليه لما كانا بمنزلة شئ واحد صارت هيئة المضاف اليه كأنها من هيئات المضاف قال مقاتل فى قوله تعالى و نزعنا ما فى صدورهم من غل و ذلك ان اهل الجنة لما انتهوا الى باب الجنة اذا هم بشجرة ينبع من اصل ساقها عينان فيميلون الى احداهما فيشربون منها فيخرج الله منهم ما كان فى اجوافهم من غل و قذر فيطهر اجوافهم بذلك و هو الشراب الطهور المذكور فى قوله تعالى و سقاهم ربهم شرابا طهورا ثم يميلون الى العين الاخرى فيغتسلون منها فيطيب الله تعالى اجسامهم من كل درن و جرت عليهم النضرة فلا تشعث رؤسهم و لا تتغير وجوههم و لا تشحب اى لا تتغير اجسادهم ثم يبشرهم خزنة الجنة قبل ان يدخلوها فينادونهم ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون فلما استقروا فى منازلهم قالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا اى لدينه و ما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ﴿قوله و اللام لتأكيد النفى﴾ اختيار لمذهب الكوفيين فانهم ذهبوا فى مثله الى ان لام الجحود مع ما بعدها واقعة موقع خبر كان و يزعمون ان الفعل المنصوب بعد اللام لا باضمار ان بعد اللام و ان اللام زآئدة لتأكيد النفى و عند البصريين خبر كان محذوف و لام الجحود متعلق بذلك الخبر المحذوف و ينتصب الفعل الواقع بعد اللام باضمار ان و التقدير و ما كنا مريدين للاهتدآء لولا هداية الله لنا موجودة و تقدير قوله تعالى و ما كان الله ليضيع ايمانكم و ما كان الله مريدا الاضاعة ايمانكم اى اعمالكم التى هى ثمرات ايمانكم ﴿قوله على انها مبينة﴾ اى جارية مجرى التفسير لقوله هدانا لهذا و كمال اتصال احدى الجملتين بالاخرى يمنع العطف و قوله تعالى لقد جاءت جواب قسم مقدر و الباء فى قوله بالحق يجوز ان تكون للتعدية و ان تكون للحال اى جاؤا ملتبسين بالحق يقوله اهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا او استقروا فيه و الاغتباط و التبجح واحد و هو الفرح و السرور ﴿قوله اذا رأوها من بعيد﴾ يعنى ناداهم الملائكة بهذا القول و هو ان تلك التى رأيتموها الجنة التى وعدتم بها فى الدنيا على ان تلك مبتدأ اشير بها الى ما رأوه من بعيد و الجنة خبره و اللام فيها للبعد ﴿قوله او بعد دخولها﴾ فيكون تلكم الجنة خبر مبتدأ محذوف اى هذه تلكم التى وعدتم بها فى الدنيا و لما كانت الاشارة الى الجنة الموعود بها فى الدنيا كان المشار اليه غائبا بعيدا فصحت الاشارة اليه بلفظ تلك و يجوز ان يكون تلكم الجنة مبتدأ حذف خبره اى تلكم الجنة التى اخبرتم عنها و وعدتم بها هى هذه و على التقديرين فالمنادى له بحسب الظاهر هو قول المنادى و هو الملائكة او الله تعالى تلكم الجنة الا ان المنادى له بالذات و القصد الاصلى هو قوله اورثتموها بما كنتم تعملون فان اهل الجنة لما ذكروا ما انعم الله به عليهم من هدايته اياهم الى ما يؤديهم الى هذه السعادة العظمى اثنى الله تعالى او الملائكة عليهم بحسن اطاعتهم لربهم بان ذكر انهم ورثوها باعمالهم * فان قيل هذه الآية تدل على ان العبد يدخل الجنة بعمله و قد قال عليه الصلاة و السلام * لن يدخل احدكم الجنة بعمله و انما تدخلونها برحمة الله تعالى و فضله * فاوجه التوفيق بينهما * فالجواب ان العمل لا يوجب دخول الجنة لذاته و انما يوجبه من حيث ان الله تعالى جعله بفضله علامة عليه و وعد بذلك فى مقابلته ايضا و لما كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة فى الحقيقة ليس الا بفضل الله تعالى ﴿قوله و ان فى المواضع الخمسة﴾ من قوله و نودوا ان تلكم الجنة الى قوله و نادى اصحاب النار اصحاب

او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التوادّ و عن علىّ كرم الله وجهه انى لأرجو ان اكون انا و عثمان و طلحة و الزبير منهم ﴿ تجرى من تحتهم الانهار ﴾ زيادة فى لذتهم و سرورهم ﴿ و قالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا ﴾ لما جزآؤه هذا ﴿ و ما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ﴾ لولا هداية الله و توفيقه و اللام لتأكيد النفى و جواب لولا محذوف دل عليه ما قبله و قرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى ﴿ لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا و تبجحا بأن ما علموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الآخرة ﴿ و نودوا اَنْ تِلْكُمُ الجنّة ﴾ اذا رأوها من بعيد او بعد دخولها و المنادى له بالذات ﴿ اُورِثْتُمُوهَا بما كنتم تعملون ﴾ اعطيتموها بسبب اعمالكم و هو حال من الجنة و العامل فيها معنى الاشارة او خبر و الجنة صفة تلكم و أن فى المواضع الخمسة هى المخففة او المفسرة لان المناداة و التأذين من القول

(الجنة)

الجنة ان أفيضوا فكلمة ان فى جميعها يحتمل ان تكون تفسيرية للنادى له لان كل واحد من النداء و التأذين فى معنى القول و التأذين فى اللغة النداء و التصويت للاعلام و ان تكون مخففة من الثقيلة و اسمها ضمير الامر و الشأن و الجملة بعدها خبرها ﴿ قوله وشماتة ﴾ وهى الفرح ببلية العدو فان اصحاب النار كانوا يؤذون المؤمنين و يعيرونهم كما قال تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون الى قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون تشفيا لقلوبهم و زيادة تعذيب للكفار قيل فى وجه تيسر المناداة و المكالمة بين اهل الجنة و النار ان الجنة عالية و جهنم سافلة متسفلة فيكون اهل الجنة مشرفين على اهل النار مع ان بعد ما بين الجنة و النار لا يعلم مقداره الا الله كما قال تعالى فاطلع فرآه فى سوآء الجحيم فامكن لهم تقريع اهل النار و تحسيرهم بقولهم هل وجدتم ماوعد ربكم من سعادة من أطاعه و عقوبة من عصاه فان كل واحد منهما كان يحزنهم اشد الحزن و يوقعهم فى الحسرة فاطلق عليه الوعد لانه يستعمل فى الخير و الشر مع ان بعضه هو الخير الجليل فى حق المؤمنين ﴿ قوله وهما لغتان ﴾ لما روى ان عمر رضى الله عنه سأل قوما عن شئ فقالوا نعم بفتح العين فقال انما النعم الابل قولوا نعم بكسر العين و الفتح لغة اهل الحجاز و عامة العرب ﴿ قوله تعالى فاذن مؤذن ﴾ اى نادى مناد أسمع الفريقين بقوله لعنة الله على الظالمين اى على الكافرين دون المؤمنين و هو اخبار و قيل هو ابتدآء لعن منه لهم و قوله بينهم منصوب باذن اى ان مؤذنا اوقع ذلك الاذان بينهم اى فى وسطهم و يبعد ان يكون معمول مؤذن لان التقدير يكون حينئذ ان مؤذنا من بينهم اذن بذلك الاذان ﴿ قوله تعالى و يبغونها ﴾ اى يطلبون لها اى لسبيل الله تغييرا و امالة الى الباطل بالقاء الشكوك و الشبهات فى دلائل الحق اوقع المؤذن لعنة الله على من كان موصوفا باربعة اوصاف الاول كونهم ظالمين و الظلم و ان كان يعم الفسق الا ان المراد به ههنا الكفر لان الظالم الذى وصف به موصوف بصفات ثلاث مختصة بالكفار و الوصف الثانى كونهم صادين معرضين عن سبيل الله على ان يكون يصدون لازما بمعنى يعرضون لان جعله متعديا بمعنى يمنعون الناس يحوج الى تقدير المفعول و الثالث كونهم طالبين امالة الدين الحق الى الباطل و الرابع كونهم منكرين للآخرة مختصين بهذا الوصف ﴿ قوله ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى ﴾ وكون السور المضروب بينهما مانعا من وصول اثر كل واحدة منهما الى الاخرى لا يستلزم كونه مانعا من اطلاع سكان احداهما على سكان الاخرى و سماع احدهما صوت الآخر و كلامه فان النشأة الآخرة لا تقاس بهذه النشأة و الله تعالى قادر على كل شئ و قد ثبت ان الجنة فوق السموات و ان الجحيم اسفل السافلين و بينهما بون بعيد الا ان احداهما لكونها فى غاية الحسن و الاخرى فى غاية الشدة و القهر كان يصل اثر كل واحدة منهما الى الاخرى فلذلك جعل بينهما سور يمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى و الاعراف جمع عرف و هو اعلى السور و ما ارتفع منه مثل عرف الديك قال الامام العرف كل عال مرتفع و منه عرف الديك و الفرس سمى عرفا لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه ثم قال ذهب الاكثرون الى ان المراد من الاعراف اعالى ذلك السور المضروب بين الجنة و النار ﴿ قوله رجال طائفة من الموحدين ﴾ قال ابن عباس و المفسرون هم قوم استوت حسناتهم و سيئاتهم فمنعتهم حسناتهم من النار و منعتهم سيئاتهم من الجنة فيقومون على سور الجنة ثم يدخلهم الله الجنة برحمته و هم آخر من يدخل الجنة كذا فى الوسيط و عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال «يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة و من كانت سيئاته اكثر من حسناته بواحدة دخل النار الا ان يغفر الله له» ثم قرأ فمن ثقلت موازينه الآية و من خفت موازينه الآية و ان الميزان يخف بمثقال حبة و يرجح به و من استوت حسناته و سيئاته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا اهل الجنة و النار فاذا نظروا الى يمينهم فرأوا اهل الجنة قالوا سلام عليكم و اذا نظروا الى يسارهم فرأوا اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فاما اصحاب الحسنات فيعطون نورا فيمشون به بين ايديهم و بايمانهم و يعطى كل عبد يومئذ نورا و كل امة نورا فاذا أتوا على الصراط سلب الله تعالى نور كل منافق و منافقة فلما رأى اهل الجنة مالقى المنافقون قالوا ربنا اتمم لنا نورنا و اما اصحاب الاعراف فان النور كان فى ايديهم فلم ينزع النور من بين ايديهم و منعتهم سيئاتهم ان يمضوا بها فبقى فى قلوبهم الطمع اذ لم ينزع النور من ايديهم فذلك قوله تعالى لم يدخلوها و هم يطمعون و قال مجاهد اصحاب الاعراف اقوام رضى عنهم آباؤهم دون امهاتهم او امهاتهم دون آبائهم فلم يدخلهم الله الجنة لان آباءهم او امهاتهم غير راضين عنهم فلم يدخلهم الله الجنة كذا فى التيسير ثم ادخلوا الجنة بعد ذلك و كانوا آخر اهل الجنة دخولا ﴿ قوله وقيل قوم علت

(و نادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا) انما قالوه تبجحا بحالهم و شماتة باصحاب النار و تحسيرا لهم و انما لم يقل ماوعدكم كما قال ماوعدنا لان ماساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا وعده بهم كالبعث و الحساب و نعيم اهل الجنة (قالوا نعم) و قرأ الكسائى بكسر العين و هما لغتان (فأذن مؤذن) قيل هو صاحب الصور (بينهم) بين الفريقين (أن لعنة الله على الظالمين) و قرأ ابن كثير و ابن عامر و حمزة و الكسائى أنّ لعنة الله بالتشديد و النصب و قرئ انّ بالكسر على ارادة القول او اجرآء أذن مجرى قال (الذين يصدون عن سبيل الله) صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب (و يبغونها عوجا) زيغا و ميلا عما هو عليه و العوج بالكسر فى المعانى و الاعيان مالم تكن منتصبة و بالفتح ماكان فى المنتصبة كالحائط و الرمح (و هم بالآخرة كافرون و بينهما حجاب) اى بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة و النار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى (و على الاعراف) و على اعراف الحجاب اى على اعاليه و هو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس و قيل العرف ما ارتفع من الشئ فانه يكون بظهوره اعرف من غيره (رجال) طائفة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة و النار حتى يقضى الله فيهم مايشاء و قيل قوم علت درجاتهم كالانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين و علمائهم او ملائكة يرون فى صورة الرجال

درجاتهم ﴾ اى قيل ليس المراد بالرجال المستقرين على الاعراف الموحدين الذين قصروا فى العمل بل المراد بهم الاشراف من اهل الطاعة واهل الثواب ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فقال بعضهم انهم الانبياء اجلسهم الله تعالى على اعالى ذلك السور تمييزا لهم عن سائر اهل القيامة ليكونوا مشرفين على اهل الجنة واهل النار مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقال بعضهم هم الشهدآء الذين خرجوا الى الغزو وغزوا فى سبيل الله بغير اذن آبائهم فقتلوا شهدآء فاعتقوا من النار بقتلهم فى سبيل الله وحبسوا عن الجنة بعصيانهم آباءهم روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن اصحاب الاعراف فقال * هم ناس قتلوا فى سبيل الله منعهم الجنة معصيتهم آباءهم ومنعهم النار قتلهم فى سبيل الله * والظاهر ان هؤلاء الشهدآء من الذين ساوت حسناتهم سيئاتهم فلا يدخلون تحت اقوام علت درجاتهم فمراد المصنف من الشهدآء ليس مثل هؤلاء الشهدآء بل مراده بالشهدآء هم الذين تميزوا من بين جميع اهل القيامة بالاستحقاق لمزيد التعظيم والاجلاس على المنازل العالية والاماكن المرتفعة ليشاهدوا حكم الله تعالى فى اهل الموقف بمقتضى الفضل والعدل وقال بعضهم هم الملائكة الموكلون بأعالى هذا السور يميزون المؤمنين من الكفار قبل ادخالهم الجنة والنار واسم الرجال وان كان فى الاظهر لذكور بنى آدم فغير بعيد ان يطلق على الملائكة الذين يرون فى صورة الرجال كما اطلق على الجن فى قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فانهم سموا رجالا لكونهم فى صورة الرجال * فان قيل هذه الوجوه باطلة لانه تعالى قال فى صفة اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون اى وهم يطمعون فى دخولها وهذا الوصف لا يليق بالملائكة والانبياء والشهدآء * والجواب ان غاية ما فى الباب ان يتأخر دخولهم الجنة وذلك لا ينافى كونهم اشراف اهل الموقف فانه يجوز ان يميزهم الله تعالى من اهل الجنة واهل النار ويجلسهم على تلك الاماكن المرتفعة ليشاهدوا احوال اهل الجنة فى الجنة واحوال اهل النار فى النار فيلحقهم السرور العظيم بمشاهدة تلك الاحوال ثم اذا استقر اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار فحينئذ ينقلهم الله تعالى الى منازلهم العالية فى الجنة فعدم دخولهم الجنة فى اول الامر لا ينافى كمال شرفهم وعلو درجتهم واما قوله تعالى وهم يطمعون فالمراد من هذا الطمع اليقين الا ترى انه قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين وهذا الطمع كان يقينا فكذا ههنا ﴿ **قوله** او من وسم على القلب ﴾ اى قلب المكان اصله بوسماهم ﴿ **قوله** وانما يعرفون ذلك بالالهام ﴾ يندفع به ما يقال نداء اصحاب الاعراف اهل الجنة وصرف ابصارهم الى اهل النار انما يكونان بعد دخول اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار واذا كانوا يشاهدونهما فى الجنة والنار فأى حاجة لهم الى سيماهم حتى يعرفونهم بها * ووجه الاندفاع ان معرفتهم بسيماهم انما هو فى محفل القيامة يعرفونهم بها بالالهام او تعليم الملائكة والندآء والصرف انما هما بعد دخولهم فى الجنة والنار وضمير الجمع فى قوله تعالى ونادوا وفيما بعد يرجع الى قوله رجال وقوله تعالى لم يدخلوها يحتمل ان يكون مستأنفا وقع جوابا لمن قال ما حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون فى دخولها ويحتمل ان يكون حالا من فاعل نادوا او من مفعوله اى نادى اصحاب الاعراف حال كونهم غير داخلين الجنة او نادوهم حال كونهم غير داخلين ﴿ **قوله** حال من الواو على الوجه الاول ﴾ وهو ان يكون المراد باصحاب الاعراف الموحدين المقصرين فى العمل لان الطمع والرجاء يليق بهم وعلى الوجوه الباقية يكون حالا من مفعول نادوا لان رجاء دخول اهل الجنة لا يليق باشراف اهل يوم القيامة ولم يلتفت الى كون الطمع بمعنى اليقين لانه لا حاجة اليه مع امكان حمل اللفظ على المعنى الحقيقى فعلى هذا ينبغى ان يكون لم يدخلوها ايضا حالا من المفعول لئلا ينفكك النظم اى نادوا اصحاب الجنة حال كون اصحابها غير داخلين وهم طامعون وقوله اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم اشارة الى ان قوله تعالى ونادوا اصحاب الجنة جزآء شرط محذوف لدلالة قوله واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار وانما قدر نظروا دون صرفت للاشعار بأن نظرهم الى اصحاب الجنة عن رغبة بخلاف اصحاب النار فان رؤيتهم اياهم تحتاج الى صارف يصرف ابصارهم اليهم ولذلك لم يذكر الشرط فى ندآء اهل الجنة فتقدير الشرط فى ندآئهم غير مطابق لما عليه الكتاب الكريم ثم ان اصحاب الاعراف لما تعوذوا بالله من شدة حال اصحاب النار نادوا رؤساءهم تبكيتا لهم وتوبيخا بأن قالوا لهم ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم وهى شماتة بليغة وتبكيت عظيم لاولئك المخاطبين ثم ان اصحاب الاعراف يشيرون الى جماعة من ضعفاء المسلمين وفقرآئهم مثل بلال وصهيب وسلمان ونحوهم فيقولون للمشركين على وجه الانكار أهؤلاء الذين اقسمتم اى حلفتم

(يعرفون كلا) من اهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم التى اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها فى المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة (ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم) اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم (لم يدخلوها وهم يطمعون) حال من الواو على الوجه الاول ومن اصحاب على الوجه الثانى (واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا) تعوذا بالله (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) اى فى النار (ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفون بسيماهم) من رؤساء الكفرة (قالوا ما اغنى عنكم جمعكم) كثرتكم او جمعكم المال (وما كنتم تستكبرون) عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة (أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة) من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة

وانتم فى الدنيا لاينالهم الله برحمة ثم يقول الله تعالى لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لاخوف عليكم حين يخاف اهل النار ولاانتم تحزنون حين يحزنون فيكون قوله تعالى أهؤلاء الذين اقسمتم فى محل النصب بالقول المتقدم اى قالوا مااغنى عنكم وقالوا أهؤلاء الذين اقسمتم والمقول لهم هم الرجال من رؤساء الكفرة قال اصحاب الاعراف لهم ذلك زيادة تبكيت لهم وهو قول المصنف تمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة ويكون قوله ادخلوا الجنة مقول قول مقدر والمقول لهم اصحاب الاعراف والقائل هو الله تعالى او الملائكة كما قال اوفقيل لاصحاب الاعراف الخ او القائل اصحاب الاعراف والمقول لهم ضعفاء المسلمين يقولون لهم ذلك ردا على الكفرة مااقسموا به وهو قول المصنف اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة الخ ﴿ قوله وقيل لما عيروا ﴾ اى لما عير اصحاب الاعراف اهل النار بأن قالوا لاهل النار ماقالوا قال لهم اهل النار ان دخل اولئك الجنة فانتم لاتدخلونها فعيروهم بذلك واقسموا على ان اصحاب الاعراف لايدخلون الجنة ولاينالهم الله برحمة فيقول الله تعالى او تقول الملائكة الذين حبسوهم على الصراط لاهل النار أهؤلاء يعنى اصحاب الاعراف الذين اقسمتم يااهل النار لاينالهم الله برحمة ثم يقول الله او الملائكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون فيدخل اصحاب الاعراف الجنة ﴿ قوله وقرئ ادخلوا ﴾ على بناء المفعول ماضيا من باب ادخل وقرأ عكرمة دخلوا ماضيا مبنيا للفاعل ولما ورد ان كل واحدة من هاتين القرآءتين على الغيبة فالمناسب لهما ان يقال لاخوف عليهم ولاهم يحزنون فكيف قيل لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون اشار المصنف الى جوابه بقوله وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لاخوف عليكم يعنى ان الجملة المنفية فى محل النصب على انها مقول قول مقدر وذلك القول المقدر منصوب على انه حال من فاعل دخلوا اوادخلوا ﴿ قوله ليلائم الافاضة ﴾ فان الاصل فى الافاضة ان تستعمل فى الماء ومايجرى مجراه من المائعات فلما عطف مما رزقكم الله على قوله من الماء بكلمة او كان المطلوب افاضة احد الامرين اللذين يتعلق بهما فعل الافاضة فناسب ان يحمل مارزقكم على المرزوق الكائن من جنس الاشربة وان حمل على ماهو من جنس الاطعمة يكون الكلام من قبيل ماحذف فيه المعطوف مع بقاء العاطف ويكون التقدير افيضوا علينا شيأ يسيرا من الماء وألقوا علينا شيأ يسيرا مما رزقكم الله من الطعام ومثله كثير فى كلام العرب ومنه قول الشاعر

* علفتها تبنا وماء باردا * حتى شتت همالة عيناها *

يقال شتوت بموضع كذا اذا اقمت به فى الشتاء وهملت عينه اى فاضت ومثله

* ياليت زوجك قدغدا * متقلدا سيفا ورمحا *

اى وحاملا رمحا ومثله * اذا ماالغانيات خرجن يوما * وزججن الحواجب والعيونا *

اى وكحلن العيون فان التزجيج هوترقيق المرأة حاجبها وتطويلها اياه لايتعلق بالعيون روى ان قارئا قرأ قوله تعالى حكاية عن الكفار افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله عند الاستاذ ابى على الدقاق فقال الاستاذ هؤلاء كانت شهوتهم ورغبتهم فى الدنيا فى الشرب والاكل فبقوا فى الآخرة على هذه الحالة وهذا يدل على ان الرجل يموت على ماعاش عليه ويحشر على مامات عليه ﴿ قوله منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف ﴾ يريد ان التركيب من قبيل الاستعارة التمثيلية لان التحريم تكليف وهم ليسوا فى دار التكليف بأن شبه حالهم مع شراب الجنة وطعامها بحال المكلف مع ماحرم عليه فى المنع عنه وكذلك قوله تعالى فاليوم ننساهم لان الله تعالى منزه عن حقيقة النسيان وكذلك وصفهم بالنسيان لانهم لم يكونوا معترفين بلقاء يوم القيامة ولا عارفين به والنسيان انما يكون بعد المعرفة شبه معاملته تعالى مع الكفار بمعاملة من نسى عبده من الخير ولم يلتفت اليه وشبه عدم اخطارهم لقاء الله تعالى ببالهم وعدم مبالاتهم بحال من عرف شيأ ونسيه وكثرت مثل هذه الاستعارات فى القرآن العظيم لان المعانى التى فى عالم الغيب لايمكن ان يعبر عنها الا بما يماثلها من عالم الشهادة ﴿ قوله والتصدية ﴾ هو التصفيق والمكاء الصفير عبر عن نحو هذه الافعال القبيحة مما زين لهم الشيطان باللهو واللعب لكونها مما لاينبغى ان يباشرها العاقل وعبر عن الكفرة بانهم اتخذوا امثالها دينا لانفسهم اى عادة وشأنا ويحتمل ان يكون دينهم مفعولا اول ويكون المعنى اتخذوا دينهم الذى شرع لهم ملعبة حيث جعلوه تابعا لاهوائهم حرموا ماشاؤا وحللوا ماشاؤا مع ان حقهم ان يتبعوا امر الله تعالى ويتدينوا بما شرع لهم غير متجاوزين حدود الله ﴿ قوله وكما كانوا ﴾ اشارة الى ان كلمة ما فى قوله وماكانوا مصدرية مجرورة المحل عطفا على اختها المجرورة بالكاف التى

(ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون) اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة اوفقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ماقالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا أن اصحاب الاعراف لايدخلون الجنة فقال الله اوبعض الملائكة أهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لاخوف عليكم (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء) اى صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار (او مما رزقكم الله) من سائر الاشربة ليلائم الافاضة اومن الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو صرف الهم بما لايحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لايحسن ان يطلب به (وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم) نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار (كما نسوا لقاء يومهم هذا) فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له (وماكانوا بآياتنا يجحدون) وكما كانوا منكرين انها من عند الله

هى فى محل النصب على انها صفة مصدر محذوف اى ننساهم نسيانا كنسيانهم لقاء يومهم هذا وكونهم منكرين ان الآيات من عندالله تعالى ويجوز ان تكون الكاف للتعليل اى فاليوم نتركهم لاجل نسيانهم وجحودهم ومعنى التعليل واضح فى المعطوف والمعنى ان هذه التشديدات انما كانت لهم لانهم كانوا بآياتنا يجحدون ﴿قوله مفصلة﴾ اى حال كون تلك المعانى ذات فصول مختلفة اوممبزا كل ماورد منها فى باب عما ورد فى باب آخر ﴿قوله عالمين﴾ يعنى ان على علم حال من فصلناه ونكر علما للتعظيم وقوله تعالى هدى ورحمة يجوز ان يكون مفعولا له كما جاز كونه حالا اى فصلناه لاجل الهداية والرحمة للمؤمنين فانهم هم الذين اهتدوا به دون غيرهم ثم انه تعالى لما بين انه ازاح العلة بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب به فقال هل ينظرون الا تأويله اى الاعاقبة ماوعدالله فيه من البعث والنشور والحساب والعقاب ومجازاة كل نفس بما كسبت فان هذه الامور تأويل المواعيد المذكورة فى الكتاب من حيث ان تلك المواعيد تؤول اليها فان تأويل الشئ مرجعه ومصيره الذى يؤول ذلك الشئ اليه والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع والمعنى هل ينتظرون ويتوقعون الاعاقبته ومايؤول هواليه * فان قيل كيف يتوقعون وينتظرون مع جحودهم وانكارهم * اجيب عنه بانهم مع جحودهم اياه جعلوا بمنزلة المنتظرين له من حيث انه يأتيهم لامحالة ويحتمل ان يكون فيهم اقوام شكوا وتوقعوا فلهذا السبب انتظروا ﴿قوله تعالى فهل لنا من شفعاء﴾ لفظ شفعاء مبتدأ ومن زائدة فى المبتدأ ولنا خبره مقدم ويجوز ان يكون شفعاء فاعلا للجار والمجرور لاعتماد الجار على الاستفهام وقوله فيشفعوا منصوب باضمار ان فى جواب الاستفهام فقد عطف مافى تأويل الاسم على الاسم الصريح اى فهل لنا من شفعاء فشفاعة منهم لنا وقوله اونرد مرفوع على انه جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية وهى هل لنا من شفعاء وقوله فنعمل منصوب على ماانتصب عليه فيشفعوا اى اوهل نرد فنعمل فيكون المسئول احد الامرين الخلاص من عذاب الآخرة بشفاعة الشفعاء او الرد الى الدنيا لاجل العمل الصالح وان قرئ اونرد بالنصب يكون معطوفا على قوله فيشفعوا فيكون جواب الاستفهام احد الامرين التخلص من عذاب الآخرة بشفاعتهم او الرد الى الدنيا لاجل العمل الصالح فيكون قوله فنعمل منصوبا بالعطف على قوله نرد ويحتمل ان يكون انتصاب نرد بناء على ان تكون كلمة او بمعنى الى ان كما فى قولك لالزمنك او تعطينى حقى اى الى ان تعطينى حتى تجعل قضاء الحق غاية اللزوم فكذا الآية الكريمة فانهم يجعلون الرد الى الدنيا غاية لشفاعة الشفعاء ثم انه تعالى بين ان الذى طلبوه لايحصل لهم البتة حيث حكم عليهم بانهم قدخسروا انفسهم ولو حصل لهم ماطلبوه لما حكم عليهم بذلك ولما قال وضل عنهم ما كانوا يفترون فى حقه بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عندالله ﴿قوله اى فى ستة اوقات﴾ جواب عما يقال اليوم عبارة عن الزمان الممتد من طلوع الشمس الى غروبها فقبل ان يخلق السموات والارض والشمس والقمر كيف يتحقق اليوم حتى يجعل ستة ايام ظرفا لخلق السموات والارض ﴿قوله وفى خلق الاشياء مدرجا﴾ جواب عما يقال من ان خلقها دفعة واحدة ادل على كال القدرة من خلقها فى ستة ايام واوفق لقوله تعالى انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون ولقوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر يقال لمحه اى ابصره بنظر خفيف كذا فى الصحاح فما الحكمة فى خلقها مدرجا * والجواب الثانى مبنى على ان خلق الملائكة ونحوهم من العقلاء المعتبرين مقدم على خلق السموات والارض فانه تعالى خلق هذه الاجرام مدرجا ليشاهدوا فى كل حين وساعة حدوث شئ آخر على التعاقب والتوالى ويستعظموا كال قدرة الخالق وعلمه والخلق على سبيل التدريج اقوى فى الدلالة عليه من الخلق دفعة لانه يتكرر على عقله ظهور الآثار المشتملة على الحكم والمصالح لحظة بعد لحظة فكان اقوى فى افادة اليقين * وتقرير الجواب الثالث انه تعالى خلقهن فى ستة ايام تعليما لخلقه التثبت والتأنى فى الامور وقدجاء فى الحديث * التأنى من الله والعجلة من الشيطان * ﴿قوله استوى امره﴾ اصل الاستواء فى اللغة المساواة قال الله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون يقال سويته فاستوى ويقال استوى من اعوجاج واستوى الشئ اى اعتدل وفلان سوى الخلق اى مستو معتدل والاسم منه السواء وهو العدل والاستواء بهذا المعنى لايتعدى بعلى ولذا يستحيل فى حقه تعالى ويقال بمعنى العلو والاستقرار نحو استوى على ظهر دابته اى استقر وتمكن عليه وبمعنى القصد الى الشئ نحو استوى الى السماء اى قصد وتوجه اليها وبمعنى الاستيلاء والظهور كما فى قول الشاعر

❁ قد استوى بشر على العراق ❁ من غير سيف ودم مهراق ❁

(ولقدجئناهم بكتاب فصلناه) ببيان معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة (على علم) عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم اومشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اى على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) حال من الهاء (هل ينظرون) هل ينتظرون (الا تأويله) الا مايؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور مانطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل) تركوه ترك الناسى (قدجاءت رسل ربنا بالحق) اى قدتبين انهم جاؤا بالحق (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) اليوم (اونرد) اوهل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا اولان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين الشفاعة اوردهم الى الدنيا وعلى الثانى ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين اولامر واحد وهو الرد (فنعمل غير الذى كنا نعمل) جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل (قدخسروا انفسهم) بصرف اعمارهم فى الكفر (وضل عنهم ما كانوا يفترون) بطل عنهم فلم ينفعهم (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) اى فى ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره اوفى مقدار ستة ايام فان اليوم المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأنى فى الامور (ثم استوى على العرش) استوى امره

واستوى الرجل اذا انتهى شبابه والعرش تارة يطلق على سرير الملك قال تعالى نكروا لها عرشها ورفع ابويه على العرش وتارة على العز والسلطنة قال الشاعر

❁ ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم ❁ بربيعة بن الحارث بن شهاب ❁

يقال ذهب عرش فلان اى ذهب عزه وملكه ويطلق ايضا على كل ما علا فاظل ومنه عرش الكروم ولما استحال حمل الاستوآء على التمكن والاستقرار وهو شغل المكان والحيز بالجلوس فيه وتفسير العرش بالسرير وتجويز الانتقال على الله تعالى كما يقوله المشبهة لتعاضد الادلة العقلية والنقلية على انه تعالى منزه عن سمات الحدوث والامكان فانه ليس كمثله شئ لتفرده بعلو الشان ذهب العلماء فى حق هذه الآية الى قولين الاول القول بانا نقطع بانه تعالى منزه عن المكان والجهة ولا نخوض فى تأويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله تعالى وهذا القول هو المختار عند اهل السنة فانهم قالوا الاستوآء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف فيجب على الرجل الايمان به وان يكل العلم بكيفية الاستوآء الى الله عزوجل روى ان رجلا سأل مالك بن انس عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فأطرق رأسه مليا اى زمانا طويلا وعلاه الرحضاء ثم قال الاستوآء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب واجرآؤه على ظاهره بدعة وتأويله على وفق الاصول المحكمة لازم فنخوض فى تأويله على التفصيل والسؤال عنه بدعة وما اظنك الا ضالا ثم امر به فاخرج وسئل بعض الاكابر ايضا عن تأويله فقال تأويله الايمان به والقول الثانى قول من قال ان ظاهر الآية متشابه وحمل المتشابه عن المحكم واجب واجرآؤه على ظاهره بدعة وتأويله على وفق الاصول المحكمة لازم فنخوض فى تأويله على التفصيل وفى تأويل الآية قولان ملخصان اشار المصنف اليهما بقوله استوى امره اواستولى اى استقر وجرى حيث شاء وكما يشاء وتوضيح الاول ما ذكره القفال وهو ان العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال ثل عرشه اى انتقض ملكه وفسد واذا استقام له ملكه واطرد امره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه وهذا نظير قولهم للرجل الطويل فلان طويل النجاد وللرجل الذى تكثر اضيافه كثير الرماد وليس المراد من مثل هذه الالفاظ ظاهر معناها وانما المراد تعريف المقصود على سبيل الكناية فكذا فى الآية المراد من الاستوآء على العرش نفاذ القدرة فى مصنوعاته على حسب ارادته ومشيئته وجريان امره وتدبيره فيها وهو قول المصنف ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والايام فحصول الآية انه تعالى اخبر انه خلق السموات والارض كما اراد وشاء من غير منازع ومدافع ثم اخبر انه بعد ان خلقهما استوى على الملك والتصرف كيف شاء ويدل على صحة هذا التأويل انه تعالى قال فى سورة يونس ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر فان قوله يدبر الامر اجرى مجرى التفسير لقوله استوى على العرش وقال فى هذه الآية ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا الآية وهذا يدل على ان قوله ثم استوى على العرش اشارة الى ما ذكرناه * فان قيل اذا حملتم قوله تعالى ثم استوى على العرش على ان المراد استوى على الملك وجب ان يقال لم يكن الله تعالى مستويا على الملك قبل خلق السموات والارض * اجيب بانه تعالى كان قبل خلق العالم قادرا على تخليقهما وتكوينهما لانه كان مكونا وموجدا لهما باعيانهما فضلا عن ان يكون مدبرا ومتصرفا فيهما لان التصرف فى الشئ انما يأتى بعد تكوينه فاستوآؤه تعالى على الملك وظهور تصرفه فى هذه الاشياء انما يكون بعد خلقها **قوله** اواستولى اى ويحتمل ان يكون استوى بمعنى استولى كما فى قوله قد استوى بشر على العراق اى استولى عليه وملكه فحصول الآية انه تعالى خالق السموات والارض ومالك العرش وقال الامام الواحدى فى الوسيط قوله تعالى ثم استوى على العرش اى اقبل على خلقه وقصد الى ذلك بعد خلق السموات والارض وهذا قول الفرآء وابى العباس المبرد والزجاج انتهى ويؤيده قوله تعالى ثم استوى الى السماء اى عمد الى خلق السماء وان لكل شئ نهاية وكمالا فاذا بلغ حد الكمال قيل استوى ومنه استوآء الشمس واستوآء الميزان فمعنى الآية على هذا خلق السموات والارض واستقر الخلق على العرش واستتم به وما خلق فوقه شيأ آخر ويرجع ضمير استوى على الخلق المدلول عليه بقوله خلق اى ثم استوى خلقه

او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه

على العرش وانتهى عنده ﴿قوله وقيل الملك﴾ يقال ذهب عرش فلان اى زال ملكه وقد يؤوّل العرش في الآية بمعنى الملك اى ما استوى الملك الاله عزوجل ﴿قوله يغطيه به﴾ اى يغطى النهار بالليل بأن يأتى الليل على النهار ويغطيه بظلمته لانك اذا قلت غشى الليل النهار كان غشى ثلاثيا متعديا الى واحد وكان المعنى صار الليل ساترا النهار فان قرآءة الجمهور يغشى بضم الياء وسكون الغين وتخفيف الشين من أغشى فاذا نقلته الى باب الافعال صار متعديا الى اثنين وصار الفاعل مفعولا فصار الليل فاعلا معنى والنهار مفعولا لفظا ومعنى وذلك لان المفعولين فى هذا الباب متى صلح ان يكون واحد منهما فاعلا ومفعولا فى المعنى وجب تقديم الفاعل معنى لئلا يلتبس المراد نحوا عطيت زيدا عمرا واما اذا لم يلتبس المراد كما فى نحو اعطيت زيدا درهما فحينئذ يجوز الامر ان وهذا كما فى الفاعل والمفعول الصريحين نحو ضرب موسى عيسى وضرب زيد عمرا والآية الكريمة من باب اعطيت زيدا عمرا لان كلا من الليل والنهار يصلح ان يكون غاشيا ومغشيا فوجب جعل الليل فاعلا معنى والنهار مفعولا لفظا ومعنى وهذا الذى ذكرناه هو الذى تقتضيه القواعد النحوية الا ان المصنف وصاحب الكشاف جعلا يغشى الليل النهار يحتمل ان يكون الليل غاشيا للنهار وان يكون النهار غاشيا لليل وقال الامام قوله يغشى الليل النهار يحتمل ان يكون المراد يلحق الليل النهار والنهار الليل واللفظ يحتملهما معا وليس فيه تعيين والدليل على الثانى قرآءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اى يدرك النهار الليل ويطلبه الى هنا عبارة الامام وفيه بحث وهو ان اللفظ لا يراد به مجموع المعنيين وانما يحتملهما على البدل فأىّ المعنيين يراد به يكون المعنى الآخر غير مذكور ويحتاج الى ان يجعل الكلام من قبيل سرابيل تقيكم الحر فكما لم يذكر البرد فيه للعلم به فكذا لم يذكر هنا ويغشى النهار الليل اختصارا للعلم به وان لم يذكر وقال سعد الملة التفتازانى فى بيان كون اللفظ محتملا لهما يعنى ان لفظ يغشى الليل النهار يحتمل معنى جعل الليل لاحقا بالنهار بأن يحمل على تقديم المفعول الثانى وهو الليل من قبيل غشيته الثوب ومعنى جعل النهار لاحقا بالليل بأن يكون المفعول الثانى هو النهار وفيه بحث لان جعل الليل لاحقا بالنهار يقتضى ان يكون الليل مفعولا اوّلا فكيف يجعله مفعولا ثانيا ويجعله من قبيل غشيته الثوب فان اللاحق هو المفعول الاوّل وان اخر لفظا والملحق به هو الثانى وان قدّم لفظا كما فى غشيته الثوب اى جعلته مستورا به وما نحن فيه من قبيل يغشى الثوب زيدا ﴿قوله يعقبه سريعا﴾ اشارة الى ان قوله يطلبه استعارة تبعية فان حال كل واحد منهما مع الآخر لو كان ممن يكون منه الطلب لكان طلبا فلشبهه بالطلب سمى طلبا شبه مجيئ احدهما عقيب الآخر بلا فصل بطلبه والحث الاعجال يقال حثثت فلانا فاحتث فهو حثيث ومحثوث اى مجد سريع ويستعمل الحث غالبا فى الحمل على الشئ كالحض عليه فالحض والحث اخوان وفى الصحاح حثه على الشئ اى حضه عليه وولى حثيثا اى مسرعا وقوله تعالى يطلبه حال من الليل لانه هو المحدّث عنه اى يغشى النهار طالباله ويجوز ان يكون حالا من النهار اى مطلوبا فقوله حثيثا ان جعل حالا من فاعل يطلبه او من مفعوله يكون من قبيل الاحوال المتداخلة ووجه اتصال قوله تعالى يغشى الليل النهار بما قبله انه تعالى لما ذكر استوآءه على العرش وهو اخبار عن نفاذ امره وكمال ملكه واطراد تدبيره بين ذلك عيانا بأن اراهم اياه فيما يشاهدونه من آثار ملكه وتصرّفه لينضم العيان الى الخبر ويتضح المقصود كمال الاتضاح جعل الله تعالى تعاقب الليل والنهار الى آخر مدة الدنيا بحيث لو انقطعت الحركات المتعاقبة المتواصلة لانتقض انتظام العالم ثم انه تعالى وصف هذه الحركة بالسرعة والشدّة لانها انما تحصل بحركة الفلك الاعظم فتلك الحركة اشدّ الحركات سرعة واكملها شدّة حتى ان الباحثين عن احوال الموجودات قالوا الانسان اذا كان فى العدو الشديد الكامل فبين ان يرفع رجله ويضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة آلاف ميل فلا جرم يكون التعاقب المتفرّع على مثل هذه الحركة الشديدة فى غاية السرعة فلهذا السبب قال تعالى يطلبه حثيثا ثم اعلم ان الشمس لها نوعان من الحركة احدهما حركتها بحسب ذاتها وهى انما تتم فى سنة كاملة وبسبب هذه الحركة تحصل السنة والنوع الثانى حركتها بسبب حركة الفلك الاعظم وهذه الحركة تتم فى اليوم بليله فلما كان الليل والنهار لا يحصلان بسبب حركة الشمس بل يحصلان بسبب حركة الفلك الاعظم الذى يقال له العرش ذكر الله تعالى قوله يغشى الليل النهار عقيب ذكر العرش بقوله ثم استوى على العرش تنبيها على ان سبب حصول الليل والنهار هو حركة العرش الاعظم لا حركة الشمس والقمر ذكره الامام ثم قال وهذه دقيقة عجيبة ﴿قوله بقضائه وتصريفه﴾ متعلق بمسخرات بمعنى مذللات لما خلقن له اى لما يراد منها من

وقيل الملك (يغشى الليل النهار) يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به اولان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفى الرعد للدلالة على التكرير (يطلبه حثيثا) يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر (ألا له الخلق والامر) فانه الموجد والمتصرّف (تبارك الله رب العالمين) تعالى بالواحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرّد فى الربوبية

رتيب قويم و تدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدّلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادّة الآثار و الافعال واشار اليه بقوله خلق الارض فى يومين اى مافى جهة السفل فى يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادّها اوّلا وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله وخلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها اقواتها فى اربعة ايام اى مع اليومين الاوّلين لقوله تعالى فى سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام ثم لماتم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والايام ثم صرّح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال ألاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بأن يدعوه متذللين مخلصين فقال (ادعوا ربكم تضرّعا وخفية) اى ذوى تضرّع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص (انه لايحب المعتدين) المجاوزين ماامروا به فى الدعاء وغيره نبه به على ان الداعى ينبغى ان لايطلب مالا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسألك الجنة وما قرّب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وماقرّب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لايحب المعتدين (ولاتفسدوا فى الارض) بالكفر والمعاصى (بعد اصلاحها) ببعث الانبياء وشرع الاحكام (وادعوه خوفا وطمعا) ذوى خوف من الردّ لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع فى اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته (ان رحمة الله قريب من المحسنين) ترجيح للطمع وتنبيه على مايتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اى امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول او الذى هو مصدر كالنقيض اوللفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره (وهو الذى يرسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على الوحدة

الطلوع والافول والحركات المقدّرة فسر الامر بالقضاء والتصريف لان حقيقة الامر بمعنى التكليف وهو الذى يجمع على اوامر لاعلى امور انما يتعلق بالعقلاء المختارين وماذكر هنا ليس منها فلابدّ ان يحمل الامر على المعنى المجازى المناسب للمقام وهو القضاء والتصريف على مقتضى الحكمة ووفق الارادة جعل الامور المذكورة فى كونها تابعة لقضائه وتصريفه اياها كما يشاء كأنهنّ مأمورات منقادة لامره فكان قضاؤه وتصريفه شبيها بالامر فاطلق عليه الامر على سبيل الاستعارة لماذكر الله تعالى ان خلق هذه المذكورات مسخرات بامره ذكر عقيبه ان مطلق الخلق والامر له لالغيره تكميلا وتتميما ودلالة على ان خلقه وامره لايختص بهذه الاشياء ولاشركة لاحد فيها اى لايوجد شيأ من المكوّنات الاهو ولايأمر فى خلقه بماشاء الاهو والامام حصر العالم الذى هو عبارة عماسوى الله تعالى فى نوعين عالم الخلق وعالم الامر واراد بالاوّل عالم الاجسام والجسمانيات وبالثانى عالم الارواح والمجرّدات وجعل قوله تعالى ألاله الخلق والامر اشارة الى ذلك حيث قال انه تعالى لما شرح كيفية تخليق السموات قال فقضاهنّ سبع سموات فى يومين واوحى فى كل سماء امرها فدلت تلك الآية على انه سبحانه خص كل فلك بلطيفة نورانية ربانيــة من عالم الامر ثم قال فى هذه الآية والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره فدلت هذه الآية ايضا على انه تعالى خص كل واحد من الشمس والقمر والنجوم بلطيفة نورانية ربانية من عالم الامر ثم قال بعده ألاله الخلق والامر وهو اشارة الى ان كل ماسوى الله تعالى امامن عالم الخلق اومن عالم الامر فكل ماكان جسما او جسمانيــا كان مخصوصا بمقدار معين فكان من عالم الخلق وكل ماكان بريئا من الجسمية والمقدار كان من عالم الارواح ومن عالم الامر فدل على انه تعالى خص كل واحد من اجرام الافلاك والكواكب التى هى من عالم الخلق بملك من الملائكة وهم من عالم الامر والاحاديث الصحيحة مطابقة لذلك وقد روى فى الاخبار ان لله ملائكة يحرّكون الشمس والقمر عند الطلوع والغروب وكذلك القول فى سائر الكواكب وايضا قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية اشارة الى ان الملائكة الذين يقومون بحفظ العرش ثمانية ثم اذا دققت النظر علمت ان عالم الخلق فى تسخير الله تعالى وعالم الامر فى تدبير الله واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقدير الله تعالى فلهذا المعنى قال ألاله الخلق والامر الى هنــا كلامه

قوله ذوى خوف من الردّ الخ اى ليس المراد ادعوه ذوى خوف من العقاب وذوى طمع فى الثواب لان اهل السنة ذهبوا الى ان من عبد ودعا لاجل الخوف من العقاب والطمع فى الثواب لاتصح عبادته ولادعاؤه وانما يصحان لو أتى المكلف بهما لمجرّد انه تعالى امره وكلفه بطاعته بمقتضى الوهيته وانه ليس للعبد الاطاعة سيده ومولاه باتيان مااوجبه عليه والاجتناب عمانهاه عنه فمن اتى بهذه العبادات لاجل هذا الوجه صحت واما من اتى بها خوفا من العقاب او طمعا فى الثواب وجب ان لاتصح لانه ماأتى بها تعبدا لمولاه وقضاء لحق الوهية مولاه وعبودية نفسه فلذلك فسر قوله تعالى خوفا وطمعا بقوله خائفين من ان يردّ مافعلتم لوقوع التقصير فى بعض الشرائط المعتبرة مع الطمع فى قبوله تفضلا **قوله** وتذكير قريب مع ان القاعدة فى فعيل بمعنى فاعل ان لايستوى فيه المذكر والمؤنث كما ان القاعدة فى فعيل بمعنى مفعول ان يستويا فيه وقريب بمعنى فاعل اسند الى ضمير المؤنث وهى الرحمة فينبغى ان تلحق به علامة التأنيث الا انه ذكر لتأويل الرحمة بالرحم فان الرحم بضم الرآء بمعنى الرحمة قال تعالى واقرب رحما والتشبيه قريب بفعيل الذى هو مصدر كالنقيض وهو صوت المحامل والرحال وفى الصحاح انقضت العقاب اى صوّتت قال الشاعر * تنقض ايديها نقيض العقبان * وكالنقيق وهو صوت الضفدع يقال نق ينق نقيقا اى صوّت وكالضغيب وهو صوت الارنب يقال ضغبت تضغب ضغيبا والمصدر يلزمه الافراد والتذكير فى جميع الاحوال فحمل مايوازنه عليه **قوله** اوللفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره فان القريب والبعيــد اذا اريد بهما القريب فى النسب والبعيد فى النسب يجب تأنيثهما اذا وصف بهمــا المؤنث تقول فلانة قريبة منى او بعيدة اذا اريد قربهــا او بعدها منك فى النسب واما اذا اريد القرب او البعد فى المكان فحينئذ يجوز الامران التأنيث على الاصل يقال فلانة قريب وقريبة وبعيد وبعيدة والتذكير بناء على تقدير قولك فلانة قريب او بعيد انهــا فى مكان قريب اوفى مكان بعيد او قريب مكانها منى وبعيد مكانهــا منى **قوله** تعالى وهو الذى يرسل الرياح متصل بقوله الذى خلق السموات والارض لماذكر الله تعالى دلائل الالوهية وكمال العلم والقدرة من العــالم العلوى وهو السموات والشمس والقمر والنجوم اتبعه بذكر مايدل

(نشرا) جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى (بين يدى رحمته) قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه (حتى اذا أقلت) اى حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ يستقله (سحابا ثقالا) بالماء جمعه لان السحاب جمع بمعنى السحائب (سقناه) اى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ (لبلد ميت) لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت (فانزلنا به الماء) بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك (فاخرجنا به) ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهى للسببية (من كل الثمرات) من كل انواعها (كذلك نخرج الموتى) الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس (لعلكم تذكرون) فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا (والبلد الطيب) الارض الكريمة التربة (يخرج نباته باذن ربه) بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة (والذى خبث) اى كالحرة والسبخة (لايخرج الا نكدا) قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذى خبث لايخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اى يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اى ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف (كذلك نصرف الآيات) نرددها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها

عليها من العالم السفلى وقرأ نافع وابو عمرو وابن كثير نشرا بضم النون والشين جمع نشور بمعنى المنتشر في النواحى وهو فعول بمعنى فاعل كصبور وصبر اى متفرقة وهى الرياح التى تهب من كل ناحية والنشر التفريق ومنه نشر الثوب ضد طواه او بمعنى المنشور المفرق كالركوب بمعنى المركوب وهو منصوب حال من الرياح وقرأ ابن عامر نشرا بضم النون وسكون الشين وهو تخفيف نشر بضمتين كما قالوا رسل فى رسل وكتب فى كتب فيكون تخريجه واعرابه كما ذكر فى اصله ويقال انشر الله الروح فنشرت اى احياها لخبث كذا فى الوسيط وقرأ الاخوان نشرا بفتح النون وسكون الشين على انه مصدر واقع موقع الحال بمعنى ناشرات او منشورات او ذات نشر وقيل انه مصدر مؤكد على غير لفظ عامله لتقاربهما معنى وقرأ عاصم بشرا بضم الباء الموحدة وسكون الشين على انه جمع بشير اصله بشر بضمتين نحو قليب وقلب ورغيف ورغف ثم اسكنت الشين للتخفيف كما فى نشر ويؤيدها قوله تعالى يرسل الرياح مبشرات اى تبشر بالمطر وقرئ بشرا بضم الباء والشين على الاصل وقرئ بشرا بفتح الباء وسكون الشين على انه مصدر بشر ثلاثيا وقع موقع الحال اى باشرات او منصوب على انه مفعول له اى للبشارة وقرئ بشرى على وزن رجعى وهو ايضا مصدر كما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر رضى الله عنه حاج فقال عمر لمن حوله مابلغكم فى الريح فلم يرجعوا اليه الجواب بشئ فبلغنى الذى سأل عنه عمر من امر الريح فاستحثثت راحلتى حتى ادركت عمر وكنت فى مؤخر الناس فقلت ياامير المؤمنين اخبرت انك سألت عن الريح وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الريح من روح الله تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها» **قوله فان الصبا** وهى ريح تهب من موضع مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار والدبور الريح التى تقابل الصبا والشمال الريح التى تهب من ناحية القطب والجنوب الريح التى تقابل الشمال وهى التى تدر السحاب اى تستحلبه **قوله تعالى حتى اذا اقلت** غاية لقوله يرسل وأقلت اى حملت ورفعت من أقللت كذا اى حملته بسهولة ومن رفع الشئ وحمله بسهولة لاشك انه يراه قليلا فلذلك اشتق هذا الفعل من القلة **قوله بالبلد** على ان ضميره به لاقرب المذكور والباء ظرفية وجعلها المصنف للالصاق اى فانزلنا فى ذلك البلد الميت الماء وعلى تقدير كون الضمير للسحاب او السوق المدلول عليه بقوله سقناه او الريح تكون الباء سببية او للآلة كما فى كتبت بالقلم والبلد كل موضع من الارض عامرا كان او غير عامر خال او مسكون والطائفة منها بلدة والجمع بلاد * والحرة ارض ذات حجارة سود كأنها احرقت بالنار والسبخة الارض المالحة التى لاتنبت شيأ ونكد بكسر الكاف ينكد بالفتح نكدا اشتد وضاق ورجل نكد اى عسر **قوله وقرئ يخرج** على بناء المفعول ورفع نباته لقيامه مقام الفاعل وهو البلد وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر ونكدا بسكونها وهو مخفف نكد بالكسر مثل كتف وكتف فيكون النظم هكذا والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذى خبث لايخرج الا نكدا فيكون الا نكدا مفعول يخرج **قوله والآية مثل** اى استعارة تمثيلية شبه الله المؤمن بالارض الكريمة التربة والكافر بالارض السبخة وشبه نزول القرءآن بنزول المطر فان الارض الكريمة التربة اذا نزل عليها المطر يحصل فيها انواع الازهار والثمار والارض السبخة وان نزله عليها المطر لم يحصل فيها من النبات الا النزر القليل فكذلك الروح الطاهر النقى من شوآئب الجهل والاخلاق الذميمة اذا اتصل به نور القرءآن ظهرت فيه انواع الطاعات والمعارف والاخلاق الحميدة والروح الخبيث الكدر وان اتصل به نور القرءآن لم تظهر فيه المعارف والاخلاق الحميدة فان الارواح قسمان منها مايكون فى اصل جوهره طاهرا نقيا مستعدا لان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ومنها مايكون غليظا كدرا بطئ القبول للمعارف النفيسة والاخلاق الفاضلة كما ان الاراضى منها ماتكون طيبة نقية ومنها ماتكون فاسدة سبخة وكما انه لايمكن ان يتولد فى الاراضى السبخة تلك الازهار والثمار التى تتولد فى الاراضى الطيبة فكذلك لايمكن ان يظهر فى النفس البليدة الكدرة من المعارف النفيسة والاخلاق الفاضلة مثل مايظهر فى النفوس الطاهرة الصافية واذا كانت احوال النفوس مختلفة اختلافا جوهريا ذاتيا لايمكن ازالته ولا تبديله امتنع من النفوس الغليظة المائلة بالطبع الى افعال الفجور ان تصير نفسا مشرقة بالمعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فتكليف مثل هذه النفس بتلك المعارف النفيسة والاخلاق الفاضلة جار مجرى تكليف مالايطاق فثبت بهذا البيان ان السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه وان النفس الطاهرة يخرج نباتها من المعارف النفيسة والاخلاق الفاضلة باذن ربها والنفس الخبيثة

(لايخرج)

(لقد ارسلنا نوحا الى قومه) جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الامع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ماصدّر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اوّل نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين (فقال ياقوم اعبدوا الله) اى اعبدوه وحده لقوله تعالى (مالكم من آله غيره) وقرأ الكسائى غيره بالكسر نعتا او بدلا على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من التى تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء (انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعى الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان (قال الملأ من قومه) اى الاشراف فانهم يملأون العيون روآء (انا لنراك فى ضلال) فى زوال عن الحق (مبين) بين (قال ياقوم ليس بى ضلالة) اى شئ من الضلال بالغ فى النفى كما بالغوا فى الاثبات وعرّض لهم به (ولكنى رسول من رب العالمين) استدراك باعتبار مايلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكنى على هدى فى الغاية لانى رسول من الله (ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله مالا تعلمون) صفات لرسول او استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوّع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام اولان المراد بها مااوحى اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام فى لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفى اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدّة بطشه او من جهته بالوحى اشياء لاعلم لكم بها (أوعجبتم) الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اى أكذبتم وعجبتم (أن جاءكم) من أن جاءكم (ذكر من ربكم) رسالة او موعظة (على رجل) على لسان رجل (منكم) من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لوشاء الله لأنزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاوّلين (لينذركم) عاقبة الكفر والمعاصى (ولتتقوا) منهما بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) بالتقوى وفائدة حرف الترجى التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقى ينبغى ان لايعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله

لايخرج نباتها الانكدا قليل الفائدة والخير كثير الفضول والشرّ ﴿قوله ولا تكاد تطلق هذه اللام﴾ اشارة الى انها قد تطلق بدون قد نادرا كما فى قوله

حلفت لها بالله حلفة فاجر ❊ لناموا فما ان من حديث ولا صالى

يعنى طرقت الحبيبة فاستشعرت خوفا من الرقباء الذين يتحدّثون او يبيتون فى السمر مصطلين فحلفت لها حلفة فاجر اى كاذب اوعاهر ان القوم نيام ليس هنا حديث لانتفاء المحدّث اى ذو حديث ولا مصطلى بالنار ﴿قوله لانها مظنة التوقع﴾ ضمير انها اللام المذكورة يعنى ان الجملة القسمية لاتساق الا لتأكيد الجملة المقسم عليها التى هى جوابها فكانت الجملة القسمية مظنة لمعنى التوقع للجملة المقسم عليها لان احتياجها الى الاقسام عليها دليل تردّد المخاطب فى مضمونها وتوقعه لحصول مضمونها عند سماعه كلمة القسم كما اذا ذكرت صريحا او ضمنا بان دل عليها بلام الجواب ﴿قوله اوّل نبي بعده﴾ خبر قوله ونوح بن لمك يعنى ان نوحا عليه الصلاة والسلام اوّل نبى بعثه الله تعالى بعد ادريس وبعث ادريس بعد شيث عليهما الصلاة والسلام وقال القرطبي هو اوّل نبي بعث بعد آدم عليهما الصلاة والسلام بتحريم البنات والخالات والعمات وكان نجارا بعثه الله الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس وهو ابن اربعين سنة ﴿قوله وقرأ الكسائى غيره بالكسر نعتا او بدلا على اللفظ﴾ اى على انه صفة تابعة للفظ اله فان من فيه زآئدة وموضعه رفع اما بالابتدآء واما بالفاعلية الا ان تابعه جعل تابعا للفظه والجمهور جعلوه تابعا لمحله وقرئ بالنصب على الاستثناء فان حكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا واذا جعلت قوله من اله مبتدأ فلك فى الخبر وجهان اظهرهما انه لكم والثانى محذوف اى مالكم من اله فى الوجود غير الله ولكم على هذا تخصيص وتبين قال الواحدى فى الكلام حذف وهو خبر ما لانك اذا جعلت غيره صفة لقوله اله لم يبق لهذا النفى خبر ففى الكلام حذف خبره ويكون التقدير مالكم من اله غيره فى الوجود وقال الامام اتفق النحويون على ان قولنا لا اله الا الله لابدّ فيه من اضمار والتقدير لا اله فى الوجود الا الله اولا اله لنا الا الله ﴿قوله اى الاشراف﴾ الملأ الجماعة الا انه خص الاشراف والرؤساء بهذا الاسم لانهم الذين يملأون صدور المجالس وتمتلئ القلوب من هيبتهم وتمتلئ الابصار من روآئهم وهو المنظر الحسن ﴿قوله بالغ فى النفى﴾ يعنى ان المناسب لقولهم لنراك فى ضلال ان يقال ليس فىّ ضلال الا انه عليه الصلاة والسلام اجابهم بقوله ليس بى ضلالة مبالغة فى نفى الضلال عنه لانه نفى ان يلتبس به ضلالة واحدة فضلا عن ان يحيط به الضلال فلو قال لست ضالا لم يؤدّ هذا المعنى ﴿قوله كما بالغوا فى الاثبات﴾ حيث قالوا لنراك فى ضلال بتنكير الضلال للتعظيم ووصفوه بقوله مبين ﴿قوله استدراك باعتبار مايلزمه﴾ اى مايلزم النفى البالغ للضلال وهو كونه على هدى فى الغاية وحق الاستدراك ان يتوسط بين كلامين متنافيين فلما نفى عن نفسه العيب الذى وصفوه به وصف نفسه باشرف الصفات الممكنة فى حق البشر وهو كونه رسولا من رب العالمين ثم ذكر ماهو المقصود من الرسالة وهو امران تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة فقال ابلغكم وكان الظاهر ان يقال يبلغكم وينصح لكم ويعلم الا انه روعى الضمير السابق الذى للمتكلم فقال ابلغكم والاستعمالان جائزان فى كل اسم ظاهر سبقه ضمير متكلم او مخاطب ان شئت تراعى الضمير السابق وهو الاكثر وان شئت تراعى الاسم الظاهر فتقول انا رجل افعل كذا ورجل يفعل كذا ﴿قوله وقرأ ابو عمرو ابلغكم﴾ بنقل بلغ الى باب الافعال للتعدية وجمع رسالة والحال ان له رسالة واحدة باعتبار انواعها من الامر والنهى والوعظ والانذار والقصص او لتعدّدها بحسب اختلاف اوقاتها او لارادة رسالته ورسالة من قبله من اجداده من صحف جدّه ادريس وهى ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهى خمسون صحيفة والفرق بين تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة ان تبليغ الرسالة معناه ان يعرّفهم انواع تكاليف الله تعالى واوامره ونواهيه واما النصيحة فهو ترغيبهم فى الطاعة وتحذيرهم من المعاصى وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه قال الفراء العرب لاتكاد تقول نصحتك وانما تقول نصحت لك ويجوز ان يقال نصحتك الا انّ فى زيادة اللام دلالة على امحاض النصح لهم ﴿قوله من جملتكم﴾ اى متصل بكم نسبا فانهم لما تعجبوا من ارسال البشر انكر عليهم نوح عليه الصلاة والسلام بأن قال لهم ماينفى وجه تعجبهم فقال لهم انه تعالى خلق الخلق فله بحكم الالهية ان يأمر عبيده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولا يجوز ان يخاطبهم بتلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك لايليق بحجاب الكبرياء وينتهى الى حدّ الالجاء وهو ينافى التكليف ولا يجوز ان يكون ذلك الرسول واحدا من الملائكة لان عدم الجنسية يمنع ماهو المقصود من الرسالة كما ذكر فى سورة الانعام

في تفسير قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا فتعين ان تكون تلك الواسطة من نوع الانسان ثم ان كان ذلك الرسول ممن يعرفه المرسل اليهم بنسبه ويعلمون تفاصيل احواله يكون ذلك أدخل في استئناسهم به وقبولهم منه فان المرء يأنس بما هو به اعرف وبظاهر احواله اعلم وبما يقتضي السكون اليه ابصر ﴿قوله متعلق بمعه﴾ اي متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الظرف اي والذين استقرّوا معه في الفلك ﴿قوله او بأنجيناه﴾ فحينئذ يجوز ان تكون كلمة في سببية اي انجيناه بسبب الفلك كما في قوله عليه الصلاة والسلام «دخلت امرأة النار في هرّة» ﴿قوله او حال من الموصول او من الضمير في معه﴾ فحينئذ يتعلق بمحذوف اي كائنين في الفلك او كائنا فيه ﴿قوله عمي القلوب﴾ اي عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوّة والمعاد وعمين جمع عم اصله عمي على وزن خضر فأعل كاعلال قاض قال اهل اللغة يقال رجل عم وقيل عم في البصيرة واعمى في البصر قال زهير

وأعلم ما في اليوم والامس قبله ❊ ولكنني عن علم ما في غد عمي

وقيل عم واعمى بمعنى خضر واخضر وقيل عم فيه دلالة على ثبوت الصفة واستقرارها كفرح وضيق ولو اريد الحدوث لقيل عام كما يقال فارح وضائق وهو معنى قوله والاوّل ابلغ لدلالته على الثبات ﴿قوله والمراد به الواحد منهم﴾ اي من قبيلة عاد وعاد في الاصل اسم الاب الكبير وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح فسميت به القبيلة واتفقوا على ان هودا ما كان اخاهم في الدين واختلفوا في انه هل كانت هناك قرابة اولا قال الكلبي انه كان واحدا من تلك القبيلة وقال آخرون انه ما كان من تلك القبيلة الا انه لما كان من جملة بني آدم لا من الملائكة والجن نسب اليهم بالاخوة والمعنى انا بعثنا الى عاد واحدا من جنسهم وهو البشر ليكون انسهم به وفهمهم كلامه اكمل قيل ان هودا اسم عربي وفيه بحث لانه حكي ان اهل اليمن تزعم ان يعرب بن قحطان بن هود هو اوّل من تكلم بالعربية وبه سميت العرب عربا فعلى هذا يكون هودا عجميا اسم رجل وانما صرف لما ذكر في اخواته من نحو لوط ونوح ﴿قوله استأنف به ولم يعطف﴾ اشارة الى الفرق بين ما ذكر من قصة نوح وهود عليهما السلام حيث قيل في الاوّل فقال وفي الثاني قال بغير عاطف وهو انه اشير في الاوّل الى ان دعوة نوح عليه الصلاة والسلام لم تتأخر عن ارساله وانه باشر الدعوة قبيل الارسال وفي الثاني جعل الكلام جواب سائل ﴿قوله وكأنّ قومه كانوا اقرب﴾ اي الى اجابة الدعوة واتباع الحق حيث اطلق الملأ المعاندين من قوم نوح ووصف المعاندين من قوم هود بقوله الذين كفروا فانه كان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد فانه اسلم وكان يكتم ايمانه بخلاف قوم نوح فانه لم يؤمن منهم احد كذا في الكشاف وفيه نظر لقوله تعالى لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقال ايضا وما آمن معه الا قليل فلذلك عدل المصنف عن تلك العبارة ويحتمل ان يكون مراد صاحب الكشاف انه لم يؤمن من اشرافهم احد اولم يؤمن حال مخاطبة نوح قومه احد منهم وان آمن بعد ذلك آحاد قليلة منهم بخلاف قوم هود فانه آمن بعض الملأ منهم حال المخاطبة اعلم ان عادا قوم كانوا ينزلون اليمن بالاحقاف وهو رمال بين عمان وحضرموت وكانوا قد افسدوا في الارض كلها وقهروا اهلها بفضل قوّتهم التي آتاهم الله عز وجل اياها وكانوا اصحاب اوثان يعبدونها صنم يقال له صداء وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فأمرهم ان يوحدوا الله تعالى ويكفوا عن ظلم الناس وغير ذلك فكذبوه وقالوا من اشدّ منا قوّة فأمسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء فطلبوا الفرج كانت طلبتهم الى الله عز وجل عند بيته الحرام بمكة مسلمهم ومشركهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة اديانهم وكلهم يعظمون مكة واهل مكة يومئذ العماليق سموا عماليق لان اباهم عمليق بن لاود بن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت ام معاوية كلهدة بنت الخيبري رجل من عاد فلما حبس المطر عن عاد وجهدوا قالوا جهزوا وفدا منكم الى مكة فليستسقوا فبعثوا قيل بن عنز وجلهمة بن الخيبري ومرثد ابن سعد وكان مسلما يكتم اسلامه مع اشراف اخر مع كل واحد منهم رهط من قومه حتى بلغ عدة وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة لقوا معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأكرمهم وانزلهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم من البلاء الذي اصابهم شق ذلك عليه

(فكذبوه فانجيناه والذين معه) وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به (في الفلك) متعلق بمعه او بأنجيناه او حال من الموصول او من الضمير في معه (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (انهم كانوا قوما عمين) عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاوّل ابلغ لدلالته على الثبات (والى عاد اخاهم) عطف على نوحا الى قومه (هودا) عطف بيان لأخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب للواحد منهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) استأنف به ولم يعطف كأنه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم (أفلا تتقون) عذاب الله وكأنّ قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال (قال الملأ الذين كفروا من قومه) اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد (انا لنراك في سفاهة) متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك (وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) سبق تفسيره

وقال هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي والله ماادري كيف اصنع بهم استحيي ان آمرهم بالخروج الى مابعثوا اليه فيظنوا انه ضيق عليّ مقامهم عندي وقد هلك من ورآءهم من قومهم جهدا وعطشا فشكا ماكان من امرهم الى قينتيه الجرادتين وهما جاريتان اسم احداهما وردة والاخرى جرادة فقيل جرادتان على التغليب فقالتا قل شعرا نغنيهم اياه لايدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر

☼ الا يا قيل ويحك قم فهينم ☼	لعل الله يسقينا غماما ☼
☼ فيسقي ارض عاد ان عادا ☼	قدا مسوا مايبينون الكلاما ☼
☼ من العطش الشديد فليس ترجو ☼	به الشيخ الكبير ولا الغلاما ☼
☼ وقد كانت نساؤهمو بخير ☼	فقد امست نساؤهمو عياما ☼
☼ وان الوحش يأتيهم جهارا ☼	ولا يخشى لعادى سهاما ☼
☼ وانتم ههنا فيما اشتهيتم ☼	نهاركمو وليلكمو التماما ☼
☼ فقبح وفدكم من وفد قوم ☼	ولا لقوا التحية والسلاما ☼

فلما غنتهم الجرادتان هذا قال بعضهم لبعض ياقوم انما بعثكم قومكم يتغوّثون بكم من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قدآمن بهود سرّا انكم والله لاتسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وانبتم الى ربكم سقيتم فاظهر اسلامه عند ذلك فقال

☼ عصت عاد رسولهمو فأمست ☼	عطاشا ماتبلهم السماء ☼
☼ لهم صنم يقال له صمور ☼	يقابله صداء والهباء ☼
☼ فبصرنا الرسول سبيل رشد ☼	فابصرنا الهدى وجلا العماء ☼
☼ وان اله هود هو الهي ☼	على الله التوكل والرجاء ☼

فقالوا لمعاوية بن بكر احبس عنا مرثدا فلايقدمنّ معنا مكة فانه قدتبع دين هود فقام قيل وهو راس وفد عاد مع اصحابه فقالوا في دعائهم اللهم أعط قيلا ماسألك واقض سؤلنا مع سؤله وقال قيل في دعائه ياالهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله تعالى سحائب ثلاثا بيضاء وحمرآء وسودآء ثم ناداه مناد من السحاب ياقيل اختر لنفسك وقومك من هذه السحائب فقال قيل اخترت السحابة السودآء فانها اكثر السحاب ماء فناداه مناد * اخترت رمادا رمددا * لايبقى من آل عاد احدا * فساق الله السحابة السودآء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من وادلهم يقال له المغيث فلمارأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو مااستعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شئ بأمر ربها اى كل شئ مرّت به فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فلم تدع من عاد احدا الاهلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة فكان مايصيبه ومن معه من الريح الاماتلين بها الجلود وتلتذبها الانفس روى عن عليّ رضى الله عنه ان قبرهود بحضرموت في كثيب احمر وقيل بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبرهود وشعيب وصالح واسماعيل في تلك البقعة وروى ان النبي من الانبياء كان اذا هلك قومه جاء هو والصالحون معه الى مكة يعبدون الله فيها حتى يموتوا ﴿قوله قامة وقوة﴾ اى يحتمل ان يكون المراد بسطة الجسم في الخلقة من حيث طول القامة وعظم الجثة ومن حيث القوّة فان القوى والقدر متفاوتة كتفاوت مقادير الاجساد ويحتمل ان يراد الفضيلة فيهما حيث لم يبين جهتها ﴿قوله لكى يفضى بكم ذكر النعم﴾ بل لابدّ من العمل وشكر المنعم بها والتقدير فاذكروا آلاء الله واعملوا عملا يليق بذلك الانعام لعلكم تفلحون ﴿قوله اما المجيئ من مكان اعتزل به عن قومه﴾ بأن كان له مكان يعبد فيه ربه معتزلا عن قومه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد بحرآء فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم ويحتمل ان يكون مرادهم أجئتنا من السماء كما يجيئ الملك استهزآء به عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا يعتقدون ان الله لايرسل الا الملائكة ويحتمل ان لايريدوا به حقيقة المجيئ بل يريدوا به القصد كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرّضت لنا بتكليف ذلك ﴿قوله قدوجب او حق﴾ على ان يكون وقع مجازا على طريق اطلاق المسبب على السبب او باعتبار مايؤول اليه حمل على المجاز لتعذر حمله على الحقيقة لان الرجس لم يقع وقت استعجالهم اياه * واعلم ان هودا عليه الصلاة والسلام لمادعا قومه الى ان يعبدوا الله وحده ويتركوا عبادة الاصنام فسفهوه وكذبوه ولم يلتفت الى كلماتهم الحمقاء ولم يقابل

وفي اجابة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرأ ابو عمرو ابلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) اى في مساكنهم او في الارض بأن جعلكم ملوكا فان شداد ابن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى بحر عمان خوّفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه (وزادكم في الخلق بسطة) قامة وقوّة (فاذكروا آلاء الله) تعميم بعد تخصيص (لعلكم تفلحون) لكى يفضى بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدى الى الفلاح (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما ألفوه ومعنى المجيئ في أجئتنا اما المجيئ من مكان اعتزل به عن قومه اومن السماء على التهكم اوالقصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني (فائتنا بما تعدنا) من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون (ان كنت من الصادقين) فيه (قال قد وقع) قد وجب او حق (عليكم) او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع (من ربكم رجس) عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (وغضب) ارادة انتقام (أتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم مانزل الله بها من سلطان) اى في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او بنصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لايؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم

(فانتظروا) لما وضح الحق وانتم مصرّون على العناد ونزول العذاب (انى معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه) فى الدين (برحمة منا) عليهم (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) اى استأصلناهم (وما كانوا مؤمنين) تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روى انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوّا فأمسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد فى سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاود بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم

واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين
الا يا قيل ويحك قم فهينم *
لعل الله يسقينا الغماما *
فيسقى ارض عاد ان عادا *
قد امسوا ما يبينون الكلاما *
حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادى المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا (والى ثمود) قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عاد بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحى او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى (اخاهم صالحا) صالح ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوّتى وقوله (هذه ناقة الله لكم آية) استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هى له آية ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا فى آية واضافة الناقة الى الله تعظيما لها ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية (فذروها تأكل فى ارض الله) العشب (ولا تمسوها بسوء) نهى عن المس الذى هو مقدّمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة فى الامر وازاحة للعذر (فيأخذكم عذاب اليم) جواب للنهى (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم فى الارض) ارض الحجر (تتخذون من سهولها قصورا) اى تبنون فى سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجرّ (وتنحتون الجبال بيوتا) وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدّرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا) عن الايمان (من قومه للذين استضعفوا) اى للذين استضعفوهم واستذلوهم (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو (أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه) قالوه على الاستهزاء (قالوا انا بما ارسل به مؤمنون) عدلوا به عن الجواب

سفاهتهم بالسفاهة بل اجابهم بالكلام الصادر عن الحلم والحكمة ولم يزد على ان قال يا قوم ليس بى سفاهة دل ذلك على ان ترك الانتقام اولى كما قال تعالى واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما ثم ادّعى رسالته من رب العالمين ناصحا لهم أمينا فى جميع ما اخبرهم به ثم استدل على وجوب تخصيص العبادة لله تعالى بأن بين ان نعم الله عليهم كثيرة عظيمة وصريح العقل يدل على ان ليس للاصنام شئ من النعم على الخلق لانها جمادات والجماد لا قدرة له على شئ اصلا فكيف يستحق ان يعبد الخلق اياها والعبادة نهاية التعظيم فلا يستحقها الا رب العالمين ومولى نعمهم فأفحمهم بهذه الحجة القاطعة اليقينية فلم يبق لهم سوى التمسك بتقليد الآباء فتمسكوا به قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا واستعجلوا ما خوّفهم به من الوعيد اللاحق بهم على تقدير اصرارهم على ما هم عليه حيث قال أفلا تتقون فقالوا فأتنا بما تعدنا به فقال عليه الصلاة والسلام * قد وقع ما استعجلتم به * ثم انكر عليهم مجادلتهم معه فى حق عبادتهم اسماء لا مسميات لها فانهم يسمون الاصنام بالالهة مع ان معنى الالهية معدوم فيها ويسمونها بالعزى مشتقا من العزة ولا عزة لها اصلا وكذا سائر الاسماء التى يسمون بها الاصنام فان جميعها اسماء مخترعة اطلقت على ما لا يستحق ان يسمى بها ﴿قوله واستدل به على ان الاسم هو المسمى﴾ لان القوم انما يجادلون ويدعون حقية عبادة المسميات وهو عليه الصلاة والسلام انما يذمهم ويبطل منهم هذه الدعوة فلولا ان عبادة الاسماء متحدة مع عبادة المسميات لما توجه الذم والابطال عليهم بانها اسماء سميتموها فينبغى ان تكون الاسماء بمعنى الاشياء المسميات وان الاسم عين المسمى واستدل به ايضا على ان اللغات توقيفية غير اصطلاحية لانها لو كانت اصطلاحية لما توجه الذم والابطال عليهم بتسميتهم الاصنام آلهة من غير توقيف من قبل الله تعالى على تلك التسمية وضعفهما ظاهر اذ لا يخفى ان الاسماء هى الدوال والمسميات مدلولاتها وذم القوم على مجادلتهم فى الاسماء لا يستلزم الاتحاد المذكور لانه قد اشتهر فى العرف انه يقال لمن ليس فيه ما هو مدلول اسمه انه اسم مجرّد لا معنى له فرجع الذم تسميتهم اياها بما لا يليق ان تسمى به فقوله فى اسماء سميتموها ليس معناه مسميات اتخذتموها معبودا باختراعكم حتى يقال اطلاق الاسماء على تلك المسميات يدل على اتحادهما ولانكم اطلقتم هذه الاسماء على تلك المسميات من غير توقيف وتعليم من الله تعالى بل بمجرّد اصطلاحكم حتى يستدل به على كون اللغات توقيفية ﴿قوله اى استأصلناهم﴾ لان دابر الشئ آخره فقطع دابر القوم اهلاكهم من اوّلهم الى آخرهم وهو الاستئصال ﴿قوله تعريض﴾ اشارة الى جواب ما يقال ما فائدة قوله وما كانوا مؤمنين بعد بيان انهم كذبوا بآيات الله يعنى ان فائدته التعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه الصلاة والسلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليعلم ان الهلاك خص المكذبين منهم ونجى الله المؤمنين ﴿قوله استئناف لبيانها﴾ اى جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا اين آيتك فقال هذه ناقة الله كأنه قال انبهكم عليها واشير اليها فى كونها آية اى علامة * فان قيل تلك الناقة كانت آية لكل احد فلم خص اولئك القوم بكونها آية لهم * فالجواب ان نفس الناقة باعتبار خروجها بلا توسط الاسباب المعهودة انما تكون آية ومعجزة موجبة للايمان بنبوّته بالنسبة الى من شاهدها واما بالنسبة الى الغير فالآية الموجبة للايمان هو اخبار الصادق بذلك او الخبر المتواتر ونحو ذلك فان الآية الموجبة للايمان بنبوّة صالح مثلا بالنسبة الينا هو اخبار الله تعالى واخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لا خروج الناقة من الحجر ﴿قوله تعالى ولا تمسوها بسوء﴾ اى لا تصيبوها بسوء على ان الباء فى قوله بسوء للتعدية ويجوز ان تكون للمصاحبة اى لا تمسوها حال مصاحبتكم للسوء ﴿قوله على ان التقدير بيوتا من الجبال﴾ اى على ان يكون انتصاب الجبال بنزع الخافض او على تضمين تنحتون معنى ما يتعدى الى مفعولين اى تتخذون الجبال بيوتا بالنحت اى تصيرونها بيوتا بالنحت وقوله تعالى مفسدين حال مؤكدة لان معناها مفهوم من عاملها فان العيث والعثى اشدّ الفساد اى لا تبالغوا فى الافساد قيل المراد منه النهى عن عقر الناقة والاولى ان يحمل على ظاهره وهو المنع من كل انواع الفساد ﴿قوله وبدل البعض ان كان للذين﴾ فيكون المستضعفون ضربين مؤمنين وكافرين كأنه قيل قال المستكبرون للمؤمنين من الضعفاء دون الكافرين من الضعفاء ﴿قوله عدلوا به عن الجواب السوى﴾ يعنى ان السؤال عن ارسال صالح عليه الصلاة والسلام وانه هل هو مرسل من ربه او لا فالجواب السوىّ المطابق له ان يقال نعم او انه مرسل لكنهم عدلوا عنه الى الاخبار عن انفسهم بانهم مؤمنون به وبما ارسل به تنبيها على ان ارساله امر معلوم محقق حيث اوردوه صلة للموصول فكأنهم قالوا لا كلام فى ارساله انما

(الكلام)

... بقوله فذروها { وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة } الزلزلة { فاصبحوا فى دارهم جاثمين } خامدين ميتين روى انهم من بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لاتفى بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فندعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاتبة وقال له أخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبرآء فان فعلت صدقناك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشرآء جوفاء وبرآء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع فى جماعة ومنع الباقين من الايمان ذواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال لهم صالح ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذا انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فأنجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا { فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين } ظاهره ان توليه عنهم كان ان ابصرهم جاثمين ...

الكلام فى الايمان به فنحن مؤمنون به فهذا الجواب من اسلوب الحكيم وهو تلقى المخاطب بغير ما يترقبه **قوله فلذلك** اى فلاجل ان قول المؤمنين انا بما ارسل به مؤمنون فيه تنبيه على ان ارساله امر معلوم وانما الكلام فى الايمان به عدل الكفرة عن الجواب المطابق له وهو ان يقولوا انا بما ارسل به كافرون الى قولهم انا بالذى آمنتم به كافرون لانهم لو قالوا انا بما ارسل به كافرون لدل على ان ارساله معلوم مسلم عندهم كما دل عليه قول المؤمنين فعدلوا عنه وقالوا انا بالذى آمنتم به كافرون كأنهم قالوا ليس ارساله معلوما مسلما وليس هنا الا دعواه وايمانكم به ونحن بما آمنتم به كافرون والحاصل ان المؤمنين جعلوا ارساله امرا محكما مقررا وفرعوا عليه ايمانهم به واما الكفرة فلم يفرعوا على ارساله كما فرع عليه المؤمنون بل فرعوا كفرهم على ايمان المؤمنين **قوله الزلزلة** قال الفرآء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة يقال رجف الشئ يرجف رجفا ورجفانا اذا تحرك او الرجفة الصيحة التى زلزلت بها الارض واضطربوا لها كذا فى الكشاف وطعن قوم من الملاحدة فى قصة هلاك ثمود قائلين بأن الفاظ القرآن قد اختلفت فى حكاية هذه الواقعة حيث قيل فى موضع فأخذتهم الرجفة وفى موضع آخر الصيحة وفى موضع آخر بالطاغية وزعموا ان ذلك يوجب التناقض ولا تناقض فيها ولا منافاة بينها لان الرجفة مترتبة على الصيحة لانه لما صيح بهم رجفت قلوبهم فماتوا فجاز ان يسند الاهلاك الى كل واحد منهما واما الطاغية فالباء فيها سببية والطاغية مصدر بمعنى الطغيان كالعافية والتاء للمبالغة كما فى نسابة وعلامة فمعنى قوله تعالى فاهلكوا بالطاغية معناه فاهلكوا بسبب طغيانهم **قوله ناقة مخترجة جوفاء وبرآء** فى الكشاف المخترجة التى شاكلت البخت وفى الاساس ناقة مخترجة اذا اخرجت على خلقة الجمل من اخترجه بمعنى استخرجه والجوفاء واسعة الجوف والوبرآء الكثيرة الوبر والعشرآء الناقة التى اتى عليها من يوم ارسل عليها الفحل عشرة اشهر وزال عنها اسم المخاض والمخاض الحوامل من النوق واحدتها خلفة ويقال للفصيل اذا استكمل الحول ودخل فى الثانية ابن مخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع ايضا وقوله فتمخضت الصخرة اى تحركت والنتوج الناقة التى ادركت الوقت الذى تنتج فيه والغب ان ترد الابل الماء يوما وتدعه يوما وقوله ثم تتفحج اى تفرج ما بين رجليها بتقديم الحاء على الجيم يقال افحج الرجل احلوبته اذا فرج ما بين رجليها ليحلبها وكانت تصيف اى تقيم بالصيف من قولهم صاف بالمكان اى اقام به الصيف وشتوت بموضع كذا اى اقمت به فى الشتاء **قوله فرغا** اى صوت وضج يقال رغا البعير يرغو رغوا اذا ضج والرغاء صوت ذوات الخف **قوله اذا انفجت الصخرة** اى انفتحت من الفج وهو الطريق الواسع بين الجبلين يقال فججت ما بين رجلى افجه فجا اذا فتحت فلما انفجت الصخرة فدخلها السقب بعد ما رغا ثلاثا قال صالح عليه الصلاة والسلام لكل رغوة اجل يوم تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقد عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح تصبحون غداة يوم الخميس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم الجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم السبت ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب اول يوم الاحد فكان الامر كما وصف نبيهم عليه الصلاة والسلام فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم مع من اسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما اصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وألقوا انفسهم الى الارض يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت فتقطعت قلوبهم فى صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك كما قال الله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين * فان قيل ان من شاهد خروج الناقة من الصخرة وشاهد ايضا ان الماء الذى كان شربا لكل اولئك القوم فى احد اليومين كان شربا لتلك الناقة الواحدة وشاهد ايضا ان القوم يملؤن جميع اوانيهم بلبنها فيشربون ويدخرون ما فضل عن حاجتهم وشاهد مع جميع ذلك علامات نزول العذاب الشديد فى آخر الامر وكل واحدة منها معجزة قاهرة تلجئ المكلف الى الايمان فهل يحتمل ان يبقى العاقل مع هذه الاحوال مصرا على كفره * فالجواب ان يقال انهم قبل ان شاهدوا نزول العذاب كانوا مصرين على الكفر والتكذيب كسائر من صر على الكفر بعد مشاهدة المعجزات الباهرة واما بعد ما شاهدوا علامات نزول العذاب فقد خرجوا عند ذلك عن التكليف فلم تكن توبتهم مقبولة بعد ذلك **قوله** ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين لان فاء التعقيب تدل على انه حصل هذا التولى بعد جثومهم * ولما ورد ان يقال قوله لهم يا قوم لقد ابلغتكم الآية خطاب مع اولئك وخطاب الاموات لا يجوز * اجاب عنه بجوابين الاول ان صالحا عليه الصلاة والسلام خاطبهم بعد كونهم

فى القبح (ماسبقكم بها من احد من العالمين) ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتأكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف
مقرّرة للانكار كأنه وبخهم اوّلا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه أسوأ (أئنكم لتأتون

الرجال شهوة من دون النساء) بيان لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ فى الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له او مصدر وقع موقع الحال وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لاقضاء الوطر (بل انتم قوم مسرفون) اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التى أدّت بهم الى ارتكاب امثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ اوعن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم اوعن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف (وما كان جواب قومه الا ان قالوا أخرجوهم من قريتكم) اى ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فى من معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا (انهم اناس يتطهرون) اى من الفواحش (فانجيناه واهله) اى من آمن به (الا امرأته) استثناء من اهله فانها كانت تسرّ الكفر (كانت من الغابرين) من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور (وأمطرنا عليهم مطرا) اى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) روى ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردنّ فأرسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم (والى مدين اخاهم شعيبا) اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه (قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) يريد المعجزة التى كانت له وليس فى القرءآن انها ماهى وماروى من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع (روى)

جاثمين كما خاطب نبينا صلى الله عليه وسلم قتلى بدر فقيل له عليه الصلاة والسلام أتكلم مع هؤلاء الجيف فقال ماانتم باسمع منهم ولكنهم لايقدرون على الجواب والثانى ان الرجل قد يخاطب صاحبه وهو ميت ويقول له يا اخى قد نصحتك وبذلت جهدى فى ارشادك فلم تقبل نصيحتى ولم تمتنع عما كنت فيه حتى ألقيت نفسك فى الهلاك وفائدة مثل هذا الكلام تسلية قلبه عما طرأ عليه من التحير والاحتراق ببلية صاحبه فان اثر تلك المصيبة يخف عليه بمثل هذا الكلام ﴿قوله والجملة﴾ وهى قوله ما سبقكم بها من احد استئناف مقرّر للانكار اى ليست جوابا لسؤال بل جيئ بها للتوبيخ بعد الانكار فكونها مستأنفة عبارة عن كونها جملة مبتدأة لقصد التوبيخ انكر عليهم اوّلا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اوّل من عملها ويجوز ان تكون جوابا لسؤال مقدّر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها من احد من العالمين فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به ﴿قوله وهو ابلغ فى الانكار والتوبيخ﴾ لكونه مؤكدا بانّ ولام الابتدآء بعدكونه مصدّرا بهمزة الانكار وقوله شهوة واقع فى موقع الحال فانه يدل على التوبيخ سوآء جعل مفعولا له او مصدرا بمعنى مشتهين او تابعين للشهوة ﴿قوله اضراب عن الانكار﴾ يعنى انه اضراب بمعنى الانتقال من القصة المذكورة الى قصة اخرى هى اتم من الاولى من غير ان يقصد ابطال الاولى انكر عليهم اولا تجاوزهم عن الحدّ فى هذه الفاحشة ثم اضرب عنه الى الاخبار عما آداهم الى ارتكابها اوالى الذم على جميع معايبهم كأنه قيل بل ليس المنكر منكم هذه الفعلة القبيحة فقط بل شأنكم الاسراف والتجاوز عن الحدّ فى جميع الامور فان جميع معايبهم يرجع الى التجاوز عما امروا به وهو المراد بالاسراف ثم جوّز ان لاتكون بل للاضراب عن المذكور بل تكون اضرابا عن الشئ المحذوف وهوانهم زعموا ان لهم عذرا فى ذلك الانكار فاجيبوا بانه لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف والتجاوز عن الحدّ ذهب الامام الشافعى رحمه الله الى ان اللواطة توجب الحدّ وقال ابوحنيفة لاتوجبه بل يعزر فاعلها واصحاب الامام الشافعى اختلفوا فى حدّ اللائط فقال بعضهم يرجم محصنا كان اوغير محصن وكذا المفعول به ان كان محتلما وقال بعضهم ان كان محصنا رجم وان كان غير محصن ادّب وحبس واحتج الاوّلون عليه بان الله تعالى عذب قوم لوط بالرجم والاصل بقاء ماثبت الى ان يرد الناسخ ولم يرد فى شرع محمد صلى الله عليه وسلم ماينسخه فوجب الحكم ببقائه وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وروى عن ابى بكر الصدّيق رضى الله عنه انه احرق رجلا حين عمل عمل قوم لوط بالنار وقد احرقهم ابن الزبير فى زمانه روى ان سبعة اخذوا فى زمان ابن الزبير فى لواط فسأل عنهم فوجد منهم اربعة احصنوا فخرج بهم من الحرم فرجموا بالحجارة حتى ماتوا وحدّ الثلاثة وعنده ابن عباس وابن عمر فلم ينكرا عليه ﴿قوله وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين﴾ اشارة الى ان مدين اسم قبيلة وهم اولاد مدين بن ابراهيم خليل الله ولو كان اسم بلد كما قيل لوجب ان يقدّر المضاف ويقال وارسلنا الى اهل مدين وقوله شعيب بن ميكيل منصوب على انه مفعول ارسلنا ﴿قوله يريد المعجزة التى كانت له﴾ لانه انما امر قومه بعبادة الله تعالى ونهاهم عن عبادة غيره بمقتضى رسالته اليهم فلابدّ له ان يدّعى النبوّة ومن المعلوم ان مدّعى النبوّة لابد له من اظهار المعجزة والالكان متنبئا فهذه الآية دلت على انه حصلت له معجزة دالة على صدقه واما ان تلك المعجزة من اىّ الانواع كانت فليس فى القرءآن دلالة عليه كما لم يحصل فى القرءآن دلالة على كثير من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم قال صاحب الكشاف ومن معجزات شعيب انه حين دفع الى موسى غنمه دفع اليه عصا فتلك العصا صارت تنينا دافعا عن غنمه بأن ابتلعت التنين الكائن فى المرعى ومن معجزاته ايضا ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها والدرع جمع ادرع وهو من الخيل والشياه ما اسودّ رأسه وابيض سائر جسده والانثى درعاء مثل احمر حمرآء حمر ووقوع عصا آدم عليه الصلاة والسلام على يده فى المرّات السبع وغير ذلك من الآيات فهذه كلها كانت قبل نبوّة موسى فكانت معجزات لشعيب لان المعجزة مايكون مسبوقا بدعوى الرسالة وهذا الكلام مبنى على اصل مختلف فيه بين اصحابنا وبين المعتزلة وذلك انه يجوز عندنا ان يظهر الله تعالى على يد من سيصير نبيا ورسولا فى المستقبل انواع الخوارق ويسمى ذلك ارهاصا وعند المعتزلة لايجوز ذلك فالاحوال التى حكاها صاحب الكشاف من قبيل الارهاصات لنبوّة موسى عندنا وعند المعتزلة معجزات لشعيب لما ان الارهاص لايجوز عندهم واعترض المصنف عليه بأن ماروى من الاحوال متأخر عن هذه المقالة فكيف يصح من شعيب ان يقول فى حقها قد جاءتكم بينة بلفظ الماضى وباحتمال كونها كرامة لموسى اوارهاصا لنبوّته بل هو المتعين لانه قد

او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله (والميزان) كما قال فى سورة هود فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد (ولاتبخسوا الناس اشياءهم) ولاتنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لايدعون شيأ الامكسوه (ولاتفسدوا فى الارض) بالكفر والحيف (بعد اصلاحها) بعد مااصلح امرها وأهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة فيها كالاضافة فى بل مكر الليل والنهار (ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين) اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا اوفى الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال (ولاتقعدوا بكل صراط توعدون) بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا واحدا يسعى فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلايفتننك عن دينك ويوعدون من آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق (وتصدون عن سبيل الله) يعنى الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم مايصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه اوالايمان بالله (من آمن به) اى بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولوكان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير فى تقعدوا (وتبغونها عوجا) وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة (واذكروا اذكنتم قليلا) عددكم اوعددكم (فكثركم) بالبركة فى النسل اوالمال (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) من الامم قبلكم واعتبروا بهم (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فتربصوا (حتى يحكم الله بيننا) اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين (وهو خير الحاكمين) اذلامعقب لحكمه ولاحيف فيه

روى ان موسى عليه الصلاة والسلام انما ادرك شعيبا بعد هلاك قومه ولان ذلك لم يكن فى معرض التحدى ﴿قوله اى آلة الكيل﴾ وهى المكيال وهو جواب لمايقال كيف قيل اوفوا الكيل والميزان مع ان الكيل مصدر قولك كلت الطعام كيلا والميزان اسم آلة فالظاهر ان يقال فأوفوا المكيال والميزان كما فى سورة هود والفاء فى قوله فأوفوا لترتيب الامر بالايفاء وايجابه على مجئ البينة وثبوت النبوة والشريعة وانتفاء العذر فى عدم اتباعها ﴿قوله وانما قال اشياءهم للتعميم﴾ لم يرض بأن يراد بالاشياء الاعيان المستحقة بعقد المبايعة بقرينة ماسبق حيث امر بايفاء المكيال والميزان ثم اكد ذلك الامر بالنهى عن ضده وهو البخس والتطفيف فى الكيل والوزن فيكون تقدير الكلام ولاتبخسوا الناس اشياءهم فى المبايعات بناء على ان التأسيس خير من التأكيد لاسيما اذاكان الحمل على التأكيد موقوفا على اخراج العام عن عمومه فلذلك اختار ان يكون المعنى لاتبخسوا الناس اشياءهم مطلقا نهاهم اولا عن البخس فى الكيل والوزن ثم نهاهم عن البخس والمكس فى كل شئ كأخذ الرشى والمؤن الديوانية والمراسم السلطانية والغصب والسرقة وقطع الطريق وانتزاع اموال الناس بالحيلة ﴿قوله وقيل كانوا مكاسين﴾ اى عشارين من المكس وهو مايأخذه العشار او ملحين على البائع فى طلب الزيادة من قولهم مكس فى البيع يمكس بالكسر مكسا وماكس مماكسة ﴿قوله بعدما اصلح امرها واهلها الانبياء الخ﴾ احتاج الى تقدير المضاف وجعل الاضافة بمعنى فى لان اصلاح نفس الارض وافسادها لايتعلق بها قدرة الانسان واختياره فلاتتعلق مصلحة شرعية بالنهى عن افسادها بل الذى ينبغى ان يتعلق به التكليف هو اصلاح مايقع فيها من الامور الفاسدة واصلاحها وافسادها بكون حدود الشرع واحكامه محفوظة مرعية فيما بينهم ومضيعة غير مرعية فلذلك فسر الافساد بالكفر والحيف والاصلاح باقامة حدود الشرع واحكامه ﴿قوله ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا﴾ اى سواء كانت الزيادة زيادة فى امور الدنيا اوزيادة فيما عند الله تعالى من الثواب والدرجات فان الخطاب وان كان مع الكفرة الا ان العمل بما ذكر خير لهم مطلقا ان عملوا به مؤمنين بالله تعالى وباحكامه وهذا على تقدير ان تكون الاشارة بقوله ذلك الى جميع ماذكر من قوله ياقوم اعبدوا الله الآية فان لفظ ذلك وان وضع للاشارة الى الواحد الى ان المشار اليه ههنا ايضا واحد وهو العمل بماذكر فيكون ذلك خيرا لهم فى الدنيا والآخرة امافى الدنيا فلأن من اشتهر بين الناس بالصدق والصلاح والامانة والوفاء يكون محبوبا بينهم ويرغبون فى المعاملة معه فيكثر ماله وقدره واما فى الآخرة فلكونه جامعا بين تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله تعالى وقوله اوفى الانسانية الخ على تقدير ان تكون الاشارة الى ماذكر من اتمام الكيل والميزان وترك البخس والافساد ويكون قوله ان كنتم مؤمنين بمعنى ان كنتم مصدقين لى فى قولى فلاتكون الخيرية حينئذ بمعنى الزيادة مطلقا لان القوم كفرة ولم يفرض ايمانهم ليستحقوا ثواب الآخرة والاحدوثة مايتحدث به وحسن الاحدوثة عبارة عن الذكر الجميل فى الدنيا * فان قلت الخيرية فيماذكر من الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال تتوقف حينئذ على تصديقهم الناصح فى قوله وهم ليسوا كذلك * اجيب بأن قوله ان كنتم مؤمنين ليس شرطا للخيرية بل لفعلهم ماذكر من الامور كأنه قيل فأتوا به ان كنتم مصدقين ﴿قوله بكل طريق﴾ الباء فيه للالصاق لان القعود ملصق بالمكان وفعل القعود كما يتعدى بباء الالصاق يتعدى ايضا بكلمة على وبكلمة فى فيقال قعد على مكان كذا وفى مكان كذا لاستعلاء القاعد على ذلك المكان وحلوله فيه وقوله توعدون وتصدون وتبغون احوال اى لاتقعدوا موعدين وصادين وباغين ولم يذكر الموعود به لتذهب النفس كل مذهب ﴿قوله او بكل صراط على الاول﴾ يعنى على تقدير ان يراد بقوله عن سبيل الله الصراط الذى قعدوا عليه من طرق الدين يكون ضمير به راجعا الى قوله بكل صراط اى تصدون عنه من آمن به على اعمال الفعل الثانى وحذف مفعول الاول وهو المختار البصريين ولو اعمل الاول لوجب اضمار مفعول الثانى على المختار حتى قال بعضهم لايجوز حذفه الا فى ضرورة الشعر ولو اضمر لقيل وتصدونهم لكن لم ينزل القرآن هكذا فعلم ان من آمن ليس مفعول توعدون ﴿قوله تعالى واذكروا﴾ اما ان يكون مفعوله محذوفا فيكون الظرف المذكور بعده معمولا لذلك المفعول اى اذكروا نعمة الله عليكم فى ذلك الوقت واما ان يجعل نفس الظرف مفعولا به والاول هو الاوفق لقول المصنف فى تفسير قوله تعالى فى اوائل سورة البقرة واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ان اذ واذا محلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة اى لايجوز التصرف فيهما بأن يجعل نصبهما على المفعول به اوغيره ولما ورد عليه ان اذ وقع بدلا

(قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا اولتعودنّ فى ملتنا) اى ليكوننّ احد
الامرين اما اخراجكم من القرية اوعودكم
فى الكفر وشعيب عليه السلام لم يكن
فى ملتهم قط لان الانبياء لايجوز عليهم الكفر
مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد
فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك
اجرى الجواب فى قوله (قال اولو كنا
كارهين) اى كيف نعود فيها ونحن كارهون
لها اوأتعيدوننا فى حال كراهتنا (قدافترينا
على الله كذبا) قد اختلقنا عليه (ان عدنا
فى ملتكم بعد اذنجانا الله منها) شرط
جوابه محذوف دليله قدافترينا وهوبمعنى
المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع
للمبالغة وادخل عليه قدلتقريبه من الحال
اىْ قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد
الخلاص منهاحيث نزعم ان الله تعالى ندّا وانه
قدتبين لنا ان ماكنا عليه باطل وما انتم
عليه حق وقيل انه جواب قسم تقديره
والله لقدافترينا (ومايكون لنا) ومايصح لنا
(ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا)
خذ لاننا وارتدادنا وفيه دليل على
ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم
اطماعهم فى العود بالتعليق على مالايكون
(وسع ربنا كل شئ علما) اى احاط علمه
بكل شئ مما كان ومما يكون منا ومنكم
(على الله توكلنا) فى ان يثبتنا على الايمان
ويخلصنا من الاشرار (ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق) احكم بيننا وبينهم
والفتاح القاضى والفتاحة الحكومة اوأظهر
أمرنا حتى ينكشف مابيننا وبينهم ويتميز
الحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه
(وانت خير الفاتحين) على المعنيين (وقال
الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا)
وتركتم دينكم (انكم اذا لخاسرون)
لاستبدالكم ضلالته بهداكم اولفوات مايحصل
لكم بالبخس والتطفيف وهو سادّ مسدّ
جواب الشرط والقسم الموطأ باللام
(فأخذتهم الرجفة) الزلزلة وفى سورة الحجر
فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها
(فاصبحوا فى دراهم جاثمين) فى مدينتهم
(الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كأن لم
يغنوا فيها) اى استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) دينا ودنيا لاالذين صدقوه

من اخاعاد فى قوله تعالى واذكر اخاعاد اذانذرقومه فيكون مفعولا به اجاب عنه بان البدل محذوف والتقدير اذكر الحادث اذكان كذا فلما حذف الحادث اقيم الظرف مقامه وقوله قبيل هذا او واذكر لوطا واذبدل منه ذكره نقلا عن القوم غير مختار عنده **﴿قوله** وشعيب لم يكن فى ملتهم قط**﴾** جواب عمايقال كيف خاطبوا شعيبا عليه الصلاة والسلام بالعود فى الكفر واجابهم ايضا بالعود فى الكفر ولايصح ذلك الا اذا كان كافرا قبل ذلك الوقت لان العود عبارة عن الرجوع الى ماكان عليه من الحال الاوّل والانبياء لايجوز عليهم الصغائر فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر وتقرير الجواب ان العود فى الكفر حكم على الذين معه فانهم دخلوا فى الايمان بعد كفرهم * وانما عدّ نفسه من جملتهم تغليبا للجماعة على الواحد وعاد قد تستعمل بمعنى صار فحينئذ ترفع الاسم وتنصب الخبر فلاتكتفى بمرفوع بل تفتقر الى خبر منصوب فلوكان المعنى ههنا اولتصيرنّ فى ملتنا بعد ان لم تكونوا فيها لزال الاشكال من غير احتياج الى اعتبار التغليب وقد جعله المصنف بمعنى صار فى سورة ابراهيم حيث قال العود فى قوله تعالى اولتعودنّ فى ملتنا بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ولم يتعرّض له فى هذه الآية بناء على انه لايلائمه قوله بعد اذنجانا الله منها **﴿قوله** وعلى ذلك**﴾** اى على اعتبار التغليب فانه عليه الصلاة والسلام يريد بقوله ان عدنا فى ملتكم عود قومه الاانه نظم نفسه فى جملتهم وان كان بريئا مما كانوا عليه ازلا وابدا اجراء لكلامه على حكم التغليب **﴿قوله** وهو بمعنى المستقبل**﴾** لماجعل الجملة قضية شرطية اكتفى عن جوابها بذكر مايدل عليه ورد ان يقال كيف يصح ان يجعل قوله قد افترينا على الله كذبا جواب الشرط معلقا عليه مع ان هذا الترتيب يقتضى ان يكون مضمونه ماضيا بالنسبة الى زمان وقوع مضمون الشرط والمعلق بالشرط لايجوز ان يكون وقوعه سابقا على وقوع الشرط * وانما قلنا ان مقتضى التركيب ذلك لان كلمة ان لاتقلب الماضى المصدر بقد ولا المقدّم على الشرط فكيف اذا اجتمع الامر ان فظهر أن الافتراء الماضى لاتعلق له بالعود ولاسبيل الى الحمل على معنى ان عدنا ظهر انا قدافترينا البتة لان المقصود من الآية بيان انهم لايعودون الى الكفر بأن يقولوا انا ان عدنا افترينا على الله كذبا لكنا لانفترى على الله كذبا فلانعود قطعا ولوحمل على معنى ان عدنا ظهر افتراؤنا لكان المانع من العود الى الكفر ظهور الافتراء لاهونفسه وظاهر ان هذا المعنى غير مستقيم فى هذا المقام فأشار الى جوابه بأن قوله قدافترينا بمعنى المستقبل عبر عنه بلفظ الماضى تنزيلا للافتراء المرتب على العود منزلة الواقع للمبالغة فى الامتناع عن العود وادخل عليه كلمة قد لتقريبه من الحال واشار الى جواب آخر عنه بقوله وقيل انه جواب قسم محذوف وضعفه لكونه لايدفع الاشكال المذكور الابجعل الماضى بمعنى المستقبل تنزيلاله منزلة الواقع وتقريبا الى الحال حتى كأنه قيل والله لقد افترينا الآن ان هممنا الخ لانه لولم يجعل بمعنى المستقبل لماصح تقييده بالشرط فكان اعتبار القسم ضائعا فى دفع الاشكال **﴿قوله** وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته**﴾** اى بمشيئة الله تعالى كماذهب اليه اهل السنة وذلك لان معنى الآية ليس لنا ان نعود الى ملتكم الى ان يشاء الله ان يعيدنا الى تلك الملة وتلك الملة كفر فكان هذا تجويزا من شعيب عليه الصلاة والسلام ان يعيدهم الى الكفر قال الواحدى لم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الاترى الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام واجنبنى وبنىّ ان نعبد الاصنام وكان نبيا صلى الله عليه وسلم كثيرا مايقول يامقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف عليه الصلاة والسلام توفنى مسلما * واستدل اهل السنة بهذه الآية على مذهبهم بوجه آخر وهو انه عليه الصلاة والسلام قال ان عدنا فى ملتكم بعد اذنجانا الله منها فدل على ان المنجى من الكفر هو الله تعالى ولوكان الايمان يحصل بخلق العبد لكان العبد هو المنجى نفسه وهو خلاف قوله بعد اذنجانا الله منها واجاب المعتزلة عنه بوجوه منها ماذكره المصنف من انه عليه الصلاة والسلام اراد بذلك حسم طمعهم من العود بتعليقه بالمحال كمايقال لاافعل ذلك الااذا ابيض القار وشاب الغراب فعلق شعيب عليه الصلاة والسلام عوده الى ملتهم بماعلم انه لايكون اصلا **﴿قوله** وللتنبيه على هذا**﴾** اى على مناط خسران الدارين وهو تكذيب الانبياء لاتصديقهم واتباعهم كرر الموصول فان كون المبتدأ موصولا يشعر بعلية الصلة للحكم المذكور بعدها فينتفى الحكم عند انتفائها وقوله واستأنف بالجملتين اى ابتدأ بهما فان كل واحد من الجملتين كلام مبتدأ لتمام حكايتهم عند قوله فاصبحوا فى دراهم جاثمين فان الملأ لماقالوا لاشياعهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون ردّ الله عليهم بقوله فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين ولمافرّع كلامه بأخذهم بطريق الاستئصال على قولهم المؤدى الى

(الهلاك)

الهلاك على الوجه المذكور لم يبق شئ مما يتعلق ببيان حالهم فلا جرم كان قوله الذين كذبوا شعيبا كلاما مبتدأ مستأنفا جيئ به للمبالغة فى الرد عليهم بتخصيص العذاب و الخسران بالمكذبين و ان المصدقين بمعزل عنه ﴿ **قوله** فاله تأسفا ﴾ اى لا على طريق المكالمة مع الاموات حقيقة فان الظاهر انما تولى عنهم بعد مانزل العذاب بهم اذلا فائدة فى خطابهم و الاسى شدة الحزن من اسى يأسى بكسر العين فى الماضى و فتحها فى الغابر كرضى يرضى و آسى بناء المتكلم وحده على وزن افعل و فسر الآية بوجهين الاول انه اشتد حزنه على هلاك قومه ثم انه عزى نفسه بانهم هم الذين اهلكوا انفسهم بسبب اصرارهم على الكفر فقال منكرا على نفسه مالى احزن على هلاك قوم استحقوا الهلاك و الثانى انه لم يحزن على هلاكهم و انما قال ماقاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم فان الاستفهام للانكار اى لا آسى عليهم ﴿ **قوله** تعالى ومارسلنا فى قرية من نبى ﴾ لما بين الله تعالى جواب احوال هؤلاء الانبياء واحوال ماجرى على اممهم كان من الجائز ان يظن انه تعالى ما انزل عذاب الاستئصال الا فى زمن هؤلاء الانبياء فقط فبين فى هذه الآية ان هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم و بين العلة التى بها يفعل ذلك و المراد بالقرية مجتمع القوم قريه كانت او مدينة ﴿ **قوله** ومنه اعفاء اللحى ﴾ اى توفيرها و تكثير شعرها و اللحى بالضم و الكسر جمع لحية و قوله من نبى فيه حذف و اضمار فان من نبى موصوف حذف صفته اى من نبى كذب او كذبه اهلها روى عن الزجاج ان البأساء كل ما نالهم من شدة فى اموالهم و الضرآء ما نالهم من الامراض وقيل على العكس فالمعنى انهم متى نالهم شدة قالوا ليس هذا بسبب مانحن عليه من الدين و العمل ولم يكن ما نالنا من البأساء و الضرآء عقوبة من الله تعالى بل هو من عادات الزمان بأهله فمرة يحصل لهم الشدة و الضرآء و مرة يحصل لهم الرخاء و الراحة فكونوا على ما انتم عليه كما كان آباؤكم لم يرجعوا عن دينهم بما مسهم من الضرآء فبين الله تعالى انه ازال عذرهم و ازاح علتهم فلم ينقادوا ولم ينتفعوا بذلك فأخذهم الله بغتة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ليكون ذلك اعظم فى الحسرة و الحكمة فى حكاية هذا المعنى ان يحصل الاعتبار لمن سمع هذه القصة و عرفها ﴿ **قوله** أفأمن اهل القرى عطف على قوله فأخذناهم بغتة ﴾ جعل الفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام عاطفة لدخولها على ما ذكر قبلها و لم يلزم بطلان صدارة الهمزة اذ لم يتقدمها شئ من الكلام الذى دخلت هى عليه وتعلق معناها بمضمونه غاية الامر انها توسطت بين الكلامين المتعاطفين لافادة انكار وقوع الثانى عقيب الاول وعادة صاحب الكشاف فى مثلها ان يقدر المعطوف عليه بين الهمزة و حرف العطف و ههنا لم يقدر بينهما شيأ فاختار كل واحد منهما بحسب اقتضاء المقام و سياق الكلام و المقصود بقوله تعالى أفأ اهل القرى انكار ان يقع بعد اخذ قوم شعيب امن اهل القرى ان يجيئهم البأس بياتا او يجيئهم البأس ضحى من غير اعتبار ترتيب بينهما فبالضرورة كان عطف الجملة الاولى بالفاء و الثانية بالواو و دخلت الهمزة لافادة انكار ان يقع بعد ذلك الاخذ هذان الأمنان ﴿ **قوله** و المعنى أبعد ذلك امن اهل القرى ﴾ اشارة الى ان الفاء فى قوله افأمن للتعقيب مع التسبيب اذ بعد مشاهدة مافعل بأهل تلك القرى يستبعد الامن من العاقل و لما لم يكن بين هذا الامن و الامن المعطوف عليه بالواو معنى التعقيب كان ذلك موضع الواو ليدل على كون مجموعهما عقيب الاول و اهل القرى فى قوله افأمن اهل القرى هم اهل مكة وماحواليها و فى الجملة هم من بعث اليهم نبينا صلى الله عليه و سلم و اما وجه وقوع الاعتراض فبين لانه يؤكد ماذكره من ان الاخذ بغتة مرتب على اضداد الايمان و التقوى ولو عكس لانعكس الامر و منه يظهر ان جعل اللام للجنس هنالك اولى ليؤكد اعتراض المعطوف و المعطوف عليه و يشملهما على السوآء ﴿ **قوله** تبيتا ﴾ على ان يكون بياتا بمعنى تبيتا و ينتصب على انه مفعول مطلق لقوله يأتيهم لان التبييت نوع من الاتيان يقال بيت العدو اذا أوقع بهم ليلا و الاسم منه البيات ﴿ **قوله** او وقت بيات ﴾ على ان يكون بمعنى البيتوتة و منصوبا على الظرفية بتقدير المضاف ﴿ **قوله** او مبيتا او مبيتين ﴾ على ان يكون بمعنى التبييت و منصوبا على انه حال من الفاعل او من المفعول فان البأس مبيت و هم مبيتون ﴿ **قوله** او المستتر فى بياتا ﴾ على ان يكون بياتا حالا بمعنى مبيتين فانه حينئذ يتحمل ضمير اهل القرى فيكون الحالان متداخلتين كقوله ضحى فانه منصوب على الظرف الزمانى فالانسب فى بياتا ان ينتصب على الظرفية ليطابق قرينه ﴿ **قوله** او يلهون ﴾ بصرف الهم بما لا ينفع لا فى امر الدين ولا فى امر الدنيا ﴿ **قوله** او يشتغلون ﴾ اى بامور الدنيا فان من اشتغل بدنياه و اعرض عن آخرته فهو كاللاعب ﴿ **قوله** تقرير لقوله أفأمن ﴾ جواب عما يقال لم رجع الى العطف بالفاء و كان الانسب ان

(فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم) قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال (فكيف آسى على قوم كافرين) ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم و المعنى لقد بالغت فى الابلاغ و الانذار و بذلت وسعى فى النصح و الاشفاق فلم تصدقوا قولى فكيف آسى عليكم وقرئ اسى بامالتين (وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالبأساء والضرآء) بالبؤس و الضر (لعلهم يضرعون) كى يتضرعوا و يتذللوا (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء و الشدة السلامة و السعة ابتلاء لهم بالامرين (حتى عفوا) حتى كثروا عددا و عددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى (وقالوا قد مس آباءنا الضرآء والسرآء) كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره و اعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضرآء و السرآء و قد مس آباءنا منه مثل ما مسنا (فأخذناهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بنزول العذاب (ولو ان اهل القرى) يعنى القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا فى قرية من نبى وقيل مكة وما حولها (آمنوا واتقوا) مكان كفرهم و عصيانهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) لوسعنا عليهم الخير و يسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر و النبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد (ولكن كذبوا) الرسل (فأخذناهم بما كانوا يكسبون) من الكفر و المعاصى (أفأمن اهل القرى) عطف على قوله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون و ما بينهما اعتراض و المعنى أبعد ذلك امن اهل القرى (ان يأتيهم بأسنا بياتا) تبيتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو فى الاصل مصدر بمعنى البيتوتة و يجيئ بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم (وهم نائمون) حال من ضميرهم البارز او المستتر فى بياتا (أوامن اهل القرى) وقرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر او بالسكون على الترديد (ان يأتيهم بأسنا ضحى) ضحوة النهار وهو فى الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت (وهم يلعبون) يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم (أفأمنوا مكر الله) تقرير لقوله أفأمن اهل القرى

يستمرّ على طريقة العطف بالواو ليكون في حيز وأمن فيستفاد انكار وقوعه بعد اخذهم فاي حاجة الى استئناف الفاء وقصد ترتب هذا الامن على حدة* وتقرير الجواب ان هذا الامن ليس أمنا آخر بل هو تقرير لمجموع قوله افأمن جعا بعد التفريق قصدا الى زيادة التحذير والانذار فيكون ضمير أفامنوا للموجودين في عصر النبوّة المشار اليهم بقوله افامن اهل القرى لالجميع اهل القرى الهالكة المشار اليهم بقوله ولو ان اهل القرى والباقية المبعوث اليهم نبيا صلى الله عليه وسلم لان المقصود تهديد الموجودين ﴿قوله ومكر الله استعارة﴾ فان اصل المكر اظهار المحبوب واخفاء المكروه شبه الله استدراج العبيد بالنعمة والصحة ليبطروا ويتمادوا في المعصية والغي بالمكر فان ذلك اضرار لهم من حيث لايشعرون وان شئت قلت المكر اضرار احد من غيران يشعر به والفاء في قوله فلا يأمن مكر الله متعلق بمحذوف فكأنه قيل فلما أمنوا خسروا فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وانما عدّي باللام مع ان فعل الهداية يتعدّى الى مفعوله الاوّل بنفسه لانه ضمن معنى التبيين والمتبادر من كلامه ان التضمين معتبر في كل واحدة من القرآءتين فيكون مفعوله على قرآءة الياء محذوفا اى اولم يبين لهم هذا الشأن الطريق المستقيم قال النحرير التفتازاني الظاهر ان اعتبار التضمين انما هو على قرآءة النون حيث ذكر المفعول الثاني وهو ان لو نشاء واما على قرآءة الياء فهو من قبيل تنزيل المتعدي منزلة اللازم بمعنى اولم يفعل الهداية لهم ولاحاجة الى تقدير المفعول الثاني* نقل عن استاذ عصره وفريد دهره المولى المعروف بخضر بك جلبي رحمه الله ان التنزيل منزلة اللازم يمكن ان يكون بالنسبة الى احد المفعولين مع ذكر المفعول الآخر كما يمكن بالنسبة الى المفعول الصريح صرّح به السيد في اقرأ باسم ربك فالقرآءتان متساويتان في اعتبار التضمين والتنزيل ويمكن الفرق بين القرآءتين بأن قصد التعلق الى المفعول الثاني دليل ظاهر على القصد الى المفعول الاوّل لاسيما عند ذكر مايصلح مفعولا اوّل اعني للذين يرثون بخلاف قرآءة الياء اذلا قصد الى التعلق بشيء اصلا فيها ﴿قوله ان الشأن﴾ اشارة الى أن ان في قوله ان لو نشاء مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ﴿قوله عطف على مادل عليه اولم يهد﴾ فانه استفهام بمعنى الاثبات جيء به انكارا لتماديهم في الغفلة وتقاعدهم عن النظر والاعتبار كأنه قيل قد بين لهم ان الشأن لونشاء اصبناهم بجزآء ذنوبهم وينبغي للعاقل ان يحترز عن اقتراف الذنوب لكنهم يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم ﴿قوله لانه في سياقه جواب لو﴾ علة لكونه بمعنى طبعنا فان كلمة لو للماضي وان دخلت على المستقبل وقوله لافضائه علة لقوله ولا يجوز فان قوله ونطبع لوكان معطوفا على جواب لو لفهم انتفاء الطبع عنهم فان كلمة لو تفيد انتفاء جملتيها واللازم باطل لقوله تعالى فهم لايسمعون اى يصرّون على عدم القبول ولقوله تعالى كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فانه ظاهر الدلالة على ان الوارثين والموروثين كلاهما من اهل الطبع ﴿قوله يعني قرى الامم المارّ ذكرهم﴾ وهم امة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قص الله بعض انبائهم تنبيها لهذه الامة على وجوب الاحتراز عن مثل حالهم فانهم اغترّوا بطول الامهال مع كثرة النعم فتوهموا انهم على الحق فطغوا وبطروا وعصوا رسلهم ﴿قوله حال ان جعل القرى خبرا﴾ اى ان جعل تلك مبتدأ مشارا بها الى مابعدها والقرى خبرها يكون نقص عليك في موضع النصب على الحالية اى قاصين كقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية *ولما ورد ان يقال الكلام الخبري انما يساق ليفيد المخاطب وما الفائدة في ان يشار الى جنس القرى او الى الافراد المعهودة منها ويحكم عليها بانها القرى وهل هو الامثل قولك هذا زيد لمن يعلم انه زيد* اشار الى جوابه بقوله ويكون افادته بالتقييد بها يعني ان المعلوم عند المخاطب هو كون المشار اليه محكوما عليه بكونه قرى مطلقا اى من غير ملاحظة تقييده بانه تعالى قص بعض انبائها وبتقييده بذلك حصلت الفائدة كما حصلت بالتقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم الا ان افادة قولك تلك القرى اذا كان منوطا بتقييده بالحال لزم ان لايكون مفيدا اذا جعل قوله نقص خبرا بعد خبر لانعدام التقييد الذي جعل مناط الفائدة ويمكن ان يقال انتفاء المناط المخصوص لايوجب خلوّ الكلام عن الفائدة لجواز حصول الفائدة بأمر آخر كتعريف الخبر بلام العهد فانك اذا اشرت الى قرى وحكمت عليها بانها القرى واردت القرى الكاملة في شأنها حصلت الفائدة لامحالة كما في قوله تعالى ذلك الكتاب وانما يخلو الكلام عن الفائدة ويحتاج الى اعتبار تقييده بالحال اذا كان تعريف القرى للجنس اى مع قطع النظر عن كونها قرى كاملة في شأنها ﴿قوله والدلالة﴾ تفسير لتأكيد النفي فان نفي الفعل مع لام الجحود ابلغ من نفيه بدونها اما عند البصريين فلأن تقدير الكلام عندهم فما كانوا مريدين للايمان ونفي ارادة الفعل ابلغ من نفي نفس الفعل فان

ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لايحتسب (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار (اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها) اى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدّي يهد باللام لانه بمعنى يبين (ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم) ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزآء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا (ونطبع على قلوبهم) عطف على مادل عليه اولم يهد اى يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياقه جواب لولا فضائه الى نفي الطبع عنهم (فهم لايسمعون) سماع تفهم واعتبار (تلك القرى) يعني قرى الامم المارّ ذكرهم (نقص عليك من أنبائها) حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبران جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اى نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لانقصها (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيئهم بها (بما كذبوا من قبل) بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب اى فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اوّلا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة على انهم ماصلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر

(البصريين)

بآيات الآيات ونصب نجح او ما عهدوا اليه حين كانوا فى ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (وان وجدنا اكثرهم لفاسقين) اى علمناهم من وجدت زيد اذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا فى المبتدأ او الخبر او الافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفى واللام بمعنى الا (ثم بعثنا من بعدهم موسى) الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم (بآياتنا) يعنى المعجزات (الى فرعون وملئه فظلموا بها) بأن كفروا بها مكان الايمان الذى هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين) اليك وقوله (حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق) لعله جواب لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق علىّ ان لا اقول كما قرأ نافع فقلب لأمن الالتباس كقوله * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر * اولان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق فى الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلى ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حالة حسنة ويؤيده قرآءة ابىّ بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول بدون على (قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرآئيل) فخلهم حتى يرجعوا معى الى الارض المقدسه التى هى وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال (قال ان كنت جئت بآية) من عند من ارسلك (فأت بها) فأحضرها عندى ليثبت بها صدقك (ان كنت من الصادقين) فى الدعوى (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) ظاهر امره لا يشك فى انه ثعبان وهى الحية العظيمة روى انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بنى اسرآئيل فأخذه فعاد عصا

البصريين يجعلون خبر كان محذوفا ويجعلون هذه اللام متعلقة بذلك الخبر المحذوف ويجعلون الفعل بعدها منصوبا باضمار ان واما عند الكوفيين فان اللام للتأكيد واللام مع التأكيد ابلغ منه بلا تأكيد والكاف فى قوله تعالى كذلك منصوب على انه صفة مصدر محذوف اى مثل ذلك الطبع الذى طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية يطبع على قلوب الكفرة الذين كتب عليهم ان لا يؤمنوا ابدا ﴿قوله والآية اعتراض﴾ اى قوله فما وجدنا الى قوله لفاسقين اعتراض ان كان الضمير فى قوله اكثرهم للناس وان كان الضمير للامم المذكورين فلا يكون اعتراضا بل يكون من تتمة الكلام السابق وهذا تصريح بأن الاعتراض لا يجب ان يتوسط بين الكلامين بل قد يقع فى آخر الكلام ﴿قوله وكان اصله حقيق علىّ ان لا اقول﴾ بكلمة على التى هى حرف جر داخلة على ياء المتكلم وهى قرآءة نافع واما قرآءة العامة فهى حقيق على ان لا اقول بكلمة على التى هى حرف جر داخلة على ان وما فى حيزها جعل المصنف قرآءة العامة كقرآءة نافع فى المعنى بناء على ان الاصل قول الحق حقيق علىّ اى واجب لان الحقيق بمعنى الجدير لا يتعدى بعلى بل يتعدى بالباء فقلب اللفظ فصار انا حقيق على قول الحق واحتيج الى توجيه هذه العبارة بأن مدلولها ان موسى حقيق وواجب على قول الحق ولا معنى له لان الفعل او الترك يجب على الرجل ولا يجب الرجل على الفعل او الترك فلذلك حملها على القلب قيل حمل الكلام على القلب وان جاز الا انه انما يصح اذا تضمن نكتة ولا نكتة هنا حتى قيل ان اصحابنا يخصون القلب باقتضاء الضرورة حمل الكلام عليه فينبغى ان ينزه القرآن عنه وللناس فيه ثلاثة مذاهب الجواز مطلقا والمنع مطلقا والتفصيل بين ان يفيد معنى بديعا فيجوز اولا فيمتنع وذهب المصنف الى انه فصيح عند اتضاح المراد والامن من الالتباس كما فى البيت واول البيت

* ويلحق خيل لا هوادة بينها * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر *

والمراد بالخيل هنا الرجال والهوادة الصلح والضيطار الرجل الضخم الذى لا غناء يقع عنده وقياس جمعه الضياطير الا انه عوض الهاء عن المدة كبيا طرة فى بيطار والحمر عندهم من صفة العجم وهى صفة ذم والمعنى وتشقى الضياطرة بالرماح فقلب لوضوح المراد ﴿قوله اولان ما لزمك فقد لزمته﴾ يعنى انه قال انى حقيق وواجب على قول الحق بناء على انه جعل وجوبه على قول الحق مجازا عن لزومه له بعلاقة اللزوم فان الواجب ومن يجب عليه بينهما ملازمة فعبر عن لزومه للواجب بوجوبه على الواجب وفيه مبالغة حسنة ﴿قوله او للاغراق﴾ اى للمبالغة فى وصف نفسه بالصدق حيث بنى كلامه على الاستعارة المكنية المبنية على التخييل شبه فى نفسه القول الحق بالعاقل الذى يسعى ويجتهد فى ان يكون قائله شخصا معينا وجعل اثبات لازم المشبه به له دليلا على ذلك التشبيه المضمر فانه اثبت للقول الحق ان يجب عليه ان لا يرضى الا بمثل هذا ناطقا به وفى قوله ان اكون انا قائله اشعار بأن الحقيق وان اسند الى موسى عليه الصلاة والسلام فالمعنى على اسناده الى وصفه اعنى صدقية قول القائل به ﴿قوله التى هى وطن آبائهم﴾ وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما صار ملك مصر مشى اليه اقاربه من الارض المقدسة ثم انه عليه الصلاة والسلام لما توفى وانقرضت الاسباط غلبهم فرعون وكان يستعملهم فى الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب فلما جاء موسى عليه الصلاة والسلام اراد ان يرجع بهم الى مقامهم الاصلى الذى هو الارض المقدسة وكان بين اليوم الذى دخل فيه يوسف عليه الصلاة والسلام مصر واليوم الذى دخل فيه موسى اربعمائة عام ﴿قوله فأحضرها عندى﴾ يعنى ان الاتيان والمجئ وان كانا بمعنى الا ان بينهما فرقا باعتبار المبتدأ والمنتهى والحاصل ان ظاهر الكلام طلب حصول الشئ على تقدير الحصول ولا معنى له * فأجاب ببيان مغايرة المطالبة للحصول وهذا مراد من قال السؤال على اتحاد الشرط والجزاء فان مبدأ المجئ هو جناب المرسل ومنتهى الاتيان هو المرسل اليه ﴿قوله اشعر﴾ يقال رجل اشعر اى كثير شعر الجسد وفغرفاه اى فتحه وأحدث اى استطلق بطنه فى ثيابه حتى علم به جلساؤه ولم يكن احدث قبل ذلك ذكر فى الوسيط انه قام به بطنه فى ذلك اليوم ولم يستمسك بطنه بعد ذلك حتى هلك ووصف العصا ههنا بكونها ثعبانا وهو العظيم الهائل الخلق وفى موضع آخر بقوله كأنها جانّ والجانّ من الحيات الخفيف الضئيل الخلق فكيف الجمع بين هاتين الصفتين * اجاب صاحب الكشاف عنه فى غير هذا الموضع بجوابين احدهما انه جمع لها بين الصفتين بين كبر الجثة كالثعبان وبين خفة الحركة وسرعة المشى كالجانّ والثانى انها فى ابتدآء امرها تكون كالجان ثم تتعاظم ويتزايد جسمها الى ان تصير ثعبانا ولما كان انقلاب جسم العصا ثعبانا امرا ممكنا فى ذاته وثبت انه تعالى قادر على جميع الممكنات لزم القطع

(ونزع يده) من جيبه او من تحت ابطه (فاذا هي بيضاء للناظرين) اى بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء فى جبلتها روى انه عليه السلام كان آدم شديد الادمة فادخل يده فى جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس (قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم) قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور فى امره فحكى عنه فى سورة الشعرآء وعنهم ههنا (يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون) ماذا تشيرون فى ان نفعل (قالوا أرجه واخاه وأرسل فى المدآئن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم) كأنه اتفقت عليه اراؤهم فأشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير اى أخر أمره واصله أرجئه كما قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من أرجأت وكذلك أرجئهو على قرآءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر على الاصل فى الضمير وأرجهى من أرجيت كما قرأ نافع فى رواية ورش واسماعيل والكسائى واما قرآءته فى رواية قالون أرجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قرآءة حمزة وحفص أرجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل فى اسكان وسطه واما قرآءة ابن عامر أرجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار فيه وفى يونس ويؤيده اتفاقهم عليه فى الشعرآء (وجاء السحرة فرعون) بعد ما ارسل الشرط فى طلبهم (قالوا أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين) استأنف به كأنه جواب سائل قال ماذا قالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا لأجرا على الاخبار والايجاب الاجر كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم (قال نعم) ان لكم اجرا (وانكم لمن المقربين) عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم (قالوا ياموسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين) خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم فى ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال (قال ألقوا) اكراما وتسامحا او ازدرآء بهم ووثوقا على شأنه (فلما ألقوا سحروا اعين الناس) بأن خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه (واسترهبوهم) وارهبوهم ارهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم (وجاؤا بسحر عظيم) فى فنه روى انهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا (واوحينا الى موسى ان ألق عصاك) فألقاها فصارت حية (فاذا هى تلقف ما يأفكون) ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقف ههنا وفى طه والشعرآء (فوقع الحق) فثبت لظهور امره (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر والمعارضة

(تلقف)

بكونه تعالى قادرا على قلب العصا ثعبانا نقل صاحب التيسير عن وهب ان موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام لما دخلا دار فرعون ووقفا بين يديه لقن الله تعالى موسى دعوة دعا بها فقال لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان رب السموت السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين اللهم انى ادرأ بك فى نحره واعوذ بك من شره واستعينك عليه فاكفنيه بما شئت فحوّل ما فى قلب موسى من الخوف أمنا وتحوّل ما فى قلب فرعون من الامن خوفا فمن دعا بهذا الدعاء وهو خائف أمنه الله ونفس كربته وخفف عنه كرب الموت ﴿قوله تعالى للناظرين﴾ متعلق بمحذوف لانه صفة لبيضاء وقول صاحب الكشاف انه متعلق ببيضاء اراد به التعلق المعنوى لا تفسير الاعراب اى انه من تمته ﴿قوله قيل قاله هو واشراف قومه الخ﴾ اى قيل فى التوفيق بين هذه الآية وبين قوله فى سورة الشعرآء قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم حيث اسند القول فى هذه السورة الى الملأ وفى سورة الشعرآء اسند الى فرعون ووجه التوفيق ان هذا القول لما صدر عنه وعن قومه على سبيل التشاور فى امره صح اسناده الى كل واحد من الفريقين فلذلك اسند فى هذه السورة الى قوله وفى تلك السورة الى نفسه وقوله فماذا تأمرون يحتمل ان يكون من كلام الملأ خاطبوا بذلك فرعون وحده تعظيما له كما تخاطب الملوك بصيغة الجمع وان يكون من كلام فرعون على اضمار قول اى فقال لهم فرعون فماذا تأمرون ويكون كلام الملأ قد تم عند قوله يريد أن يخرجكم من ارضكم قال ابن عباس ما الذى تشيرون به علىّ كذا فى الوسيط ويؤيد كونه من كلام فرعون قوله تعالى قالوا أرجه ولما كان السحر غالبا فى ذلك الزمان ولا شك ان اهل كل صنعة على طبقات مختلفة بحسب الحذاقة والمهارة زعم القوم ان موسى عليه الصلاة والسلام كان فى النهاية من علم السحر وانه جعل ذلك وسيلة الى طلب الملك والرياسة فلذلك قالوا يريد أن يخرجكم من ارضكم بسحره ﴿قوله واصله أرجئه﴾ اى بهمزة ساكنة وهاء مضمومة وفى هذه الكلمة ست قرآآت فى المشهور المتواتر ثلاث مع الهمزة وثلاث بدونها اما الثلاث التى مع الهمزة فأولاها قرآءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر أرجئهو بهمزة ساكنة وهاء متصلة بواو وباشباع ضمة الواو وثانيتها قرآءة ابى عمرو أرجئه كما تقدم الا انه لم يصلها بواو وثالثتها قرآءة ابن ذكوان عن ابن عامر أرجئه بهمزة ساكنة وهاء مكسورة من غير ان يصلها بياء اى من غير اشباع كثرة الهاء واما الثلاث التى بلا همزة فأولاها قرآءة حمزة وحفص أرجه بكسر الجيم وسكون الهاء وصلا ووقفا وثانيتها قرآءة الكسائى وورش عن نافع أرجهى بهاء متصلة بياء حذفت لام الفعل وهى الياء علامة للجزم واتصل الفعل بالضمير المنصوب وثالثتها قرآءة قالون عن نافع أرجه بهاء مكسورة دون ياء وهذا الفعل يستعمل مهموزا وغير مهموز وكل واحدة منهما لغة مشهورة يقال ارجأت الامر اى أخرته وقرئ وآخرون مرجؤن لأمر الله اى مؤخرون حتى ينزل الله فيهم ما يريد ومنه سميت المرجئة مثل المرجعة ورجل مرجئ مثل مرجع هذا اذا همزت فان لم تهمز قلت مرج مثل معط ويقال ارجيت واخطيت وتوضيت بلا همز وقرئ قوله تعالى ترجى من تشاء بالهمز وعدمه ﴿قوله على قرآءة ابن كثير﴾ فان الاصل فى هاء الضمير عنده اذا كانت ضمير الواحد المذكر وكانت مضمومة وسكن ما قبلها ان تكون موصولة بواو واذا كانت مكسورة وسكن ما قبلها ان تكون موصولة بياء سوآء كان ذلك الساكن حرف علة او حرف صحة فالمضمومة نحو فعلوهو وشروهو واجتباهو فبشرهو ومنهو وعنهو ونحو ذلك والمكسورة نحو لأخيهى وابيهى وابويهى وفيهى ونحو ذلك ﴿قوله فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل فى اسكان وسطه﴾ علل سكون الهاء فى ارجه بعلتين * تقرير الاولى ان اسكان هاء الضمير عند من قرأها ساكنة انما يكون اذا تحرك ما قبلها بحيث لم يتخلل بينهما حرف ساكن نحو ضربته بسكون الهاء وههنا قد تخلل بينهما ساكن نظرا الى الاصل الا انه شبهت الهاء المنفصلة عن الحركة بالمتصلة بها نظرا الى صورة الكلمة بعد حذف لام الفعل * وتقرير الثانية ان اصل الكلمة ارجى بياء ساكنة فحذفت الياء علامة للجزم ثم اقيم هاء الضمير مقامها فلما حلت محل الياء الساكنة اسكنت وكذا فى يؤده ونوله ونصله ونؤته منها فان حمزة وعاصما فى رواية ابى بكر قرأ هاء الضمير فيها ساكنة لقيامها مقام اللام الساكنة المحذوفة وعبر المصنف عن هذا المعنى بقوله وجعل جه كابل يعنى ان جه وان كان على صورته الا ان اصل الكلمة ارجئه حذفت لام الكلمة واقيمت الهاء مقامها فكسيت كسوتها التى هى السكون ﴿قوله الى ما هو ابلغ﴾ فان نكون نحن الملقين ابلغ من ان تلقى لاشتمال الاوّل على زيادة الربط بين المسند والمسند اليه ﴿قوله ارسل الشرط﴾ وهم اعوان الامير ﴿قوله فاذا هى تلقف﴾ قرأ العامة تلقف بتشديد القاف من

تلقف يتلقف والاصل تتلقف بتاءين فخذفت احداهما وقرأ حفص تلقف بتخفيف القاف من لقف يلقف على وزن علم يعلم يقال لقفت الشئ القفه لقفا ولقفانا وتلقفته اتلقفه تلقفا اذا اخذته بسرعة فأكلته وابتلعته وفي التيسير انها ابتلعت جميع ماصنعوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ألقى موسى عصاه فصارت ثعبانا رأسه فى السماء وأحد شقيه فى الارض ثم ابتلع ماكان من سحرهم حتى ماترك فى الوادى من سحرهم شيأ وانكشف الناس وولوا هاربين والثعبان على اثرهم فمات بعضهم على بعض بقدر سبعين ألفا وقيل ان فرعون كان فى خيمته اذ أقبل الثعبان فى اثر الحيات حتى اقتحم الى فرعون فى خيمته فقام فرعون عن سريره ونزل بالارض وكان اعرج ولم يعرف ذلك الا يومئذ فانه مشى سبع خطوات فعرفوا بذلك انه اعرج ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فظهر الحق وبطل ماكانوا يعملون من السحر وذلك ان السحرة قالوا لوكان مايصنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت علموا ان ذلك من امر الله تعالى فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ذليلين مقهورين اى غلب فرعون وملأه واتباعه لا السحرة فانهم انقلبوا اعزآء بعزة الايمان قيل ما القوه اى السحرة كان عصيا جوفا فيها الزئبق فلما اصابها حر الشمس تحركت وخيل الى موسى انها تسعى اليه فأوجس فى نفسه خيفة منها وذلك خوف طبيعى فلا ينافى كونه على ثقة ويقين بأن القوم لن يغلبوه وان الله تعالى سيبطل ماصنعوا ويحتمل ان يكون خوفه من وقوع التأخير فى ظهور حجته على سحرهم ﴿ قوله جعلهم ملقين ﴾ كأنه جواب عما يقال قوله تعالى وألقى السحرة يدل على ان غيرهم ألقاهم ساجدين وهو رب العالمين وافعال العباد وان كانت حاصلة بخلق الله تعالى وايجاده الا ان الغالب الشائع فيها اسنادها الى من قامت هى به لا الى من اوجدها فكان الظاهر ان يقال وخروا ساجدين فلم جعلوا ملقين * وتقرير الجواب انهم وان سجدوا باختيارهم الا انهم جعلوا ملقين للتنبيه على قوة الدليل الموجب للعرفان والايمان بحيث الجأهم ذلك الدليل الى التذلل والسجود او للتنبيه على ان حكمة الله تعالى الجأتهم اليه بأن خلق فى قلوبهم داعية قوية لم يتمالكوا معها الا على السجود لينقلب مادبره فرعون لابطال امر موسى عليه الصلاة والصلام على نفسه حتى يكون صاغرا ذليلا بتدبيره او انه من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه حالهم فى شدة الخرور وسرعته حين مشاهدة المعجزة القاهرة بحال من ألقى ﴿ قوله لئلا يتوهم انهم ارادوا به ﴾ اى برب العالمين فرعون لانه يزعم ويقول انا ربكم الاعلى ولا يندفع التوهم الا بعطف هرون على موسى لان فرعون كان قدربى موسى صغيرا فلما قالوا وهرون زالت الشبهة وعرف الكل انهم كفروا بفرعون وآمنوا بالله تعالى ﴿ قوله بتحقيق الهمزتين ﴾ اى من غير ادخال الف بينهما وبعد الهمزتين الف مبدلة من الهمزة التى هى فاء الكلمة ابدلت الفا لسكونها بعد همزة مفتوحة فان اصل هذه الكلمة أأأمنتم بثلاث همزات الاولى للاستفهام والثانية همزة افعل والثالثة فاء الكلمة فالهمزة الثالثة يجب قلبها ألفا والاولى محققة بلاخلاف ولاخلاف الا فى الثانية وقرأ حفص آمنتم بهمزة واحدة بعدها الالف المبدلة من فاء الكلمة وهذه القرآءة تحتمل الخبر المحض المتضمن للتوبيخ وتحتمل الاستفهام الانكارى ولكنه حذف اداة الاستفهام لدلالة السياق عليها وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وابن كثير فى رواية البزى عنه آمنتم بتحقيق الهمزة الاولى وتسهيل الثانية بين بين والالف المبدلة من الفاء ولما رأى فرعون ان اعلم الناس بالسحر اقر بنبوة موسى عليه الصلاة والصلام عند اجتماع الناس فى المجمع العظيم خاف ان يصير ذلك حجة قوية على صحة نبوة موسى عليه الصلاة والسلام فقال هذا الكلام تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة فى الايمان ﴿ قوله أفض علينا صبرا يغمرنا ﴾ معنى الافراغ فى اللغة الصب يقال درهم مفرغ اذا كان مصبوبا فى قالب غير مضروب واصله من افراغ الاناء وهو صب مافيه بالكلية اى الى ان يفرغ الاناء فانه من الفراغ ويقال فاض الماء يفيض فيضا وفيضوضة اى كثر حتى سال على ضفة الوادى والضفة بالكسر جانب النهر وضفتاه جانباه وغمره الماء اى علاه وتفسير الافراغ بالافاضة مبنى على السعة والكثرة وتوصيف الصبر بكونه غامرا مستفاد من مفهوم الافراغ ومن تنكير صبرا فكأنهم طلبوا من الله تعالى كل الصبر وتمامه وقوله كما يفرغ اشارة الى ان قولهم افرغ استعارة تبعية وصبرا قرينة شبه انزال الصبر واكثاره عليهم بافراغ الماء فى الفيضان والغمر لان افراغ الماء هو صبه بالكلية من الاناء فيكون غامرا لما يصب عليه ثم قيل افرغ بدل انزل واكثر على الاستعارة التبعية وعلى الوجه الثانى يكون الصبر استعارة اصلية مكنية وافرغ تخييلية شبه الصبر بالماء فى انه مطهر من الاوزار كما ان الماء مطهر من الاحداث وجعل ايقاع الافراغ عليه قرينة الاستعارة بالكناية لان الافراغ .

﴿ فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ﴾ صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه ﴿ وألقى السحرة ساجدين ﴾ لله جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحث لم يبق لهم تمالك او ان الله ألهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة فى سرعة خرورهم وشدته ﴿ قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ﴾ ابدلوا الثانى من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون ﴿ قال فرعون آمنتم به ﴾ بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائى وابوبكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار ﴿ قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه ﴾ ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى ﴿ فى المدينة ﴾ فى مصر قبل ان تخرجوا للميعاد ﴿ لتخرجوا منها اهلها ﴾ يعنى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرآئيل ﴿ فسوف تعلمون ﴾ عاقبة مافعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله ﴿ لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ﴾ من كل شق طرفا ﴿ ثم لأصلبنكم اجمعين ﴾ تفضيحا لكم وتنكيلا لأمثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته ﴿ قالوا انا الى ربنا منقلبون ﴾ بالموت لامحالة فلا نبالى بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا ﴿ وماتنقم منا ﴾ وماتنكر منا ﴿ الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ﴾ وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرا ﴾ أفض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا مايطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون ﴿ وتوفنا مسلمين ﴾ ثابتين على الاسلام

وقيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون (وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض) بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك (ويذرك) عطف على ليفسدوا اوجواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة* الم اك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودّة والاخاء* على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على أتذر اواستئناف او حال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فأصدق وأكن (وآلهتك) ومعبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ آلهتك اى عبادتك (قال) فرعون (سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم) كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف (وانا فوقهم قاهرون) غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده) تسلية لهم وتقريرا للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر (والعاقبة للمتقين) وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس (قالوا) اى بنوا اسرائيل (اوذينا من قبل ان تأتينا) بالرسالة بقتل الابناء (ومن بعد ما جئتنا) باعادته (قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض) تصريحا بما كنى عنه اوّلا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون بأعيانهم او اولادهم وقد روى ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام (فينظر كيف تعملون) فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين) بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا (ونقص من الثمرات) بكثرة العاهات (لعلهم يذكرون) لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده (فاذا جاءتهم الحسنة) من الخصب والسعة (قالوا لنا هذه) لاجلنا ونحن مستحقوها (وان تصبهم سيئة) جدب وبلاء (يطيروا بموسى ومن معه) يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوّا وانهماكا في الغيّ وانما عرّف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع (ألا انما طائرهم عند الله) اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده (بالشؤم) ... (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان ما يصيبهم من الله او من شؤم اعمالهم

انما يستعمل في الماء ﴿قوله قيل انه فعل بهم ما اوعدهم﴾ لما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال فعل ذلك بهم وقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وايضا قوله تعالى حكاية عنهم ربنا افرغ علينا صبرا يدل على انه كان قد نزل بهم بلاء شديد حتى طلبوا من الله تعالى ان يصبرهم عليه وايضا هو مبالغة في تحذير القوم عن قبول دين موسى عليه الصلاة والسلام وان كانت الآية ساكتة عن انه فعل بهم ذلك اولم يفعل ومما يدل على انه لم يفعل بهم ذلك انهم سألوا الله تعالى ان يتولى توفيهم من غير ان يسلط عليهم اعداءهم حيث دعوا بقولهم وتوفنا مسلمين والظاهر انه تعالى استجاب لهم دعاءهم هذا ثم ان فرعون كان كلما رأى موسى عليه السلام بعد هذه الواقعة خافه اشدّ الخوف فلذلك لم يتعرض له وما اخذه وما حبسه بل خلى سبيله ولم يرض القوم بذلك حتى حملوه على اخذ موسى وحبسه حيث قالوا أتذر موسى وقومه ليفسدوا على الناس دينهم الذي كانوا عليه واذا افسدوا عليهم دينهم توسلوا بذلك الى اخذ الملك والاستيلاء على ملكك قرأ الجمهور ويذرك بياء الغيبة ونصب الفعل اما بالعطف على قوله ليفسدوا فان فرعون اذا تركهم على ما هم عليه ولم يمنعهم منه كان ذلك مؤديا الى تركه وترك آلهته فيصير كأن فرعون تركهم لذلك ويحتمل ان يكون الفعل منصوبا على جواب الاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء كقول الحطيئة

* ألم اك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودّة والاخاء *

والمعنى كيف يكون الجمع بين تركك موسى وقومه مفسدين وبين تركهم اياك وعبادة آلهتك اى لا يمكن وقوع ذلك على ان الاستفهام للانكار ولا يلزم ان يكون للانكار فان المضارع ينتصب بأن مقدرة بعد الواو الدالة على المعية بشرط ان يكون قبلها احد الاشياء الستة ومنها الاستفهام كما اذا قلت هل تعينني واكرمك فان المسئول منه اجتماع الامرين اعني الاعانة والاكرام ﴿قوله كأنه قيل يفسدوا ويذرك﴾ يريد انه من قبيل العطف على التوهم كأنه توهم جزم يفسدوا في جواب الاستفهام فعطف عليه بالجزم بناء على ان جواب الاستفهام كثيرا ما يكون مجزوما بان مقدرة نحو اين بيتك ازرك فلو لم يذكر اللام في ليفسدوا لجاز ان يكون مجزوما في جواب الاستفهام ويكون ويذرك ايضا مجزوما بالعطف عليه فهذا الجائز قد توهم واقعا فانجزم المعطوف لذلك كما في قوله تعالى فأصدق وأكن بجزم أكن فان اصدق منصوب بان مضمرة في جواب التحضيض الجاري مجرى العرض والتمني الا انه نزل منزلة المجزوم في جواب التحضيض مع ترك الفاء فعطف عليه اكن بالجزم كأنه قيل لولا اخرتني الى اجل قريب أصدق وأكن ﴿قوله اى عبادتك﴾ على ان الالهة مصدر بمعنى العبادة ﴿قوله وقد روى الى آخره﴾ حقق الله تعالى ما وعد لهم من اهلاك عدوّهم حيث اغرق فرعون وقومه الا انه انما استخلفهم في ديارهم واموالهم في زمن داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وفتحوا بيت المقدس مع يوشع بن نون ﴿قوله فيرى ما تعملون﴾ النظر قد يراد به الفكر الذي يفيد العلم وهو على الله تعالى محال وقد يراد به تقليب الحدقة نحو المرئي لكي يراه وهو ايضا محال في حقه تعالى فلذلك حمل النظر ههنا على الرؤية اى فيرى ما تعملونه بوقوعه منكم لان الله تعالى لا يجازي العبيد على ما يعلمه فيهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم ﴿قوله يتشاءموا بهم﴾ فان التطير التشاؤم في قول جميع المفسرين فأصل يطيروا يتطيروا ادغمت تاء التفعل في الطاء ولما كان التطير هو التشاؤم بلا خلاف كان المناسب ان يفسر الطائر بالشؤم كما نقل عن الازهري انه قال العرب تسمي الشؤم طيرا وطائرا وطيرة لتشاؤمهم ببارحها ونعيق غرابها وبأخذها ذات اليسار اذا أثاروها وكانت العرب تزجر الطير فتتشاءم بالبارح وتتبرك بالسانح والسانح من الطير ما يجيء من جهة يمين الانسان ويجوز الى جهة يساره فلا يمكن رميه حتى ينحرف الرامي اليه وقال رؤبة السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مياسره وقيل ان كثيرا من اهل الجاهلية كان اذا اراد الحاجة ذهب الى الطير في وكرها ينفرها فاذا اخذت يمينا مضى الى حاجته وهذا هو السانح عندهم واذا اخذت شمالا رجع وهذا هو البارح عندهم فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله «اقرّوا الطير على وكناتها» الوكنة موقع الطير حيث ما وقعت والجمع وكنات ووكن وقال عليه الصلاة والسلام «من رجعه التطير عن حاجته فقد اشرك» قيل وما كفارة ذلك يا رسول الله قال «ان يقول احدكم اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضي الى حاجته» فلما جعلوا الطائر امارة ودليلا على الشؤم وهو ضد اليمن سمي الشؤم طائرا وطيرا تسمية للمدلول باسم الدليل هذا وجه ما نقل عن الازهري وهو المنقول عن ابن عباس ايضا حيث قال قوله ألا انما طائرهم عند الله يريد به ان شؤمهم من قبل الله تعالى اى انما جاءهم الشر بقضاء الله تعالى وحكمه فسر الطائر هنا

على الابتداء او النصب بفعل يفسره (تأتنا به) اى ايماشئ تحضرنا تأتنا به (من آية) بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم

ولذلك قالوا (لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) اى لتسحربها اعيننا وتشبه علينا والضمير فى به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى (فارسلنا عليهم الطوفان) ماطاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر اوسيل وقيل الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون (والجراد والقمل) قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها (والضفادع والدم) روى انهم مطروا ثلاثة ايام فى ظلمة شديدة لايقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرّف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع مالم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فأكل ماابقاه الجراد وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لايكشف ثوب ولاطعام الاوجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرّعوا فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهود ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرآئيلى على اناء فيكون مايليه دما ومايلى الاسرآئيلى ماء ويمص الماء من فم الاسرآئيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط عليهم الرعاف (آيات) نصب على الحال (مفصلات) مبينات لايشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر كان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ماغلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل (فاستكبروا) عن الايمان (وكانوا

بالشؤم الذى هو سبب مانال الانسان من الشرّ واليه اشار المصنف بقوله اى سبب خيرهم وشرّهم عنده وهو حكمه ومشيئته وبقوله اوسبب شؤمهم الخ بتقدير المضاف والمعنى على التقديرين كل مايصيبهم من خير وشرّ فهو بقضاء الله تعالى وتقديره وحكمه ومشيئته قال الفرآء وقد تشاءمت اليهود بالنبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا غلت اسعارنا وقلت امطارنا منذ اتانا وكثرت امواتنا ثم أعلم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ان طيرتهم باطلة فقال * لاطيرة ولاهام * وكان عليه الصلاة والسلام يتفاءل ولايتطير واصل الفأل الكلمة الحسنة وكانت العرب مذهبها فى الفأل والطيرة واحد فأثبت النبى صلى الله عليه وسلم الفأل وابطل الطيرة والفرق بينهما ان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية والطيرية فالكلمة التى تجرى على لسان الانسان يمكن الاستدلال بها بخلاف طيران الطير وحركات البهائم فان ارواحها ضعيفة فلا يمكن الاستدلال بها على شئ من الاحوال **قوله الذى يصوّت به الكاف** اى يتلفظ به من يكف غيره يعنى ان اصل مهما مه التى بمعنى اكفف دخلت على ما الشرطية كأنهم قالوا اكفف ماتأتنا به من آية فالامر كذا وكذا وعلى التقديرين اى سوآء كان اصلها مه مع ما الشرطية او ما الشرطية مع ما الزآئدة هى اسم شرط يجزم فعلين ومحلها نصب بفعل يفسره تأتنا اى ايماشئ تحضرنا تأتنا به اورفع على الابتدآء اى اى شئ تأتنا به وضمير به على التقديرين يرجع الى لفظ مهما وقيل لاتركيب فيها هنا بل كأنهم قالوا مه ثم قالوا ماتأتنا به وليس بشئ لان ذلك قد يأتى فى موضع لازجر فيه ولان كتابتها متصلة ينفى كون كل كلمة منهما مستقلة وقوله من آية بيان لمهما لانها هى هى فى المعنى ولما قال القوم لموسى عليه الصلاة والسلام مهما تأتنا به من آية فهو سحر ونحن لانؤمن بها من اليد والعصا وغيرهما فان كل ذلك لاحقيقة له فلا نؤمن به وكان عليه الصلاة والسلام رجلا حديدا فعند ذلك دعا عليهم فقال يارب ان عبدك فرعون علا فى الارض وبغى وعتا وان قومه نقضوا عهدك فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولمن بعدهم آية وعبرة فأرسل الله تعالى عليهم ماذكره من الآيات المفصلات عن انس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو على الجراد يقول * اللهم اهلك الجراد اللهم اقطع دابر الجراد اللهم اقتل كباره واهلك صغاره وافسد بيضه وخذ بافواهه عن معايشنا وارزقنا انك سميع الدعاء * وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * فى صدر الجراد مكتوب جند الله الاعظم * كذا فى رواية الوسيط وروى * مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم * والقمل قيل هو الدبا اى الجراد قبل ان يطير لكونها لم ينبت لها اجنحة بعد وقيل هو السوس الذى يخرج من الحنطة وهو قول الحسن قال القمل دواب سود صغار وقيل هى القردان وقيل هى دواب تشبهها اصغر منها والطوفان فعلان من الطواف لانه يطوف حتى يعم وغالب استعماله فى الماء الكثير وقيل الطوفان من كل شئ ما كان كثيرا محيطا مطبقا بالجماعة من كل جهة كالماء الكثير والقتل الذريع والموت الجارف والموتان بالضم موت يقع فى الماشية يقال وقع فى المال موتان كذا فى الصحاح وقد فسره النبى صلى الله عليه وسلم بالموت تارة وبأمر من الله تارة وتلا قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون **قوله آيات نصب على الحال** اى ارسلنا عليهم هذه الاشياء حال كونها علامات مبينات او مفصلات اى فصل بعضها عن بعض بزمان يمتحن فيه احوالهم هل يقبلون الحجة او يستمرّون على المخالفة **قوله يعنى العذاب المفصل او الطاعون** يعنى ان الرجز اسم للعذاب ثم انهم اختلفوا فى العذاب ماالمراد به ههنا فقال بعضهم انه عبارة عن الانواع الخمسة المذكورة من العذاب النازل بهم وقال سعيد بن جبير المراد بالرجز ههنا الطاعون وهو عذاب سادس من جملة مااصابهم فمات به من القبط سبعون الف انسان فى يوم واحد فتركوا غير مدفونين ورجح القول الاوّل بناء على ان حمل اللفظ على المعلوم اولى من حمله على المشكوك فيه عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * الطاعون رجز ارسل على بنى اسرآئيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بأرض فلاتقدموا عليه واذا وقع بأرض وانتم فيها فلاتخرجوا منها فرارا * كذا فى المعالم **قوله بعهده عندك** على ان تكون ما مصدرية وان يكون المراد بالعهد النبوّة وسمى النبوّة عهدا اما لان الله تعالى عاهد نبيه على ان يكرمه بها وعاهد النبى ربه على ان يستقل بأعبائها اى فعلها بلا كلفة ولاتعب كأنه يعدّه قليلا اولما فيها من الكلفة بالقيام باعبائها فيكون العهد مستعارا للنبوّة تشبيها لها من حيث اعتبار معنى الكلفة والاختصاص فى كل منهما كما يكون الاختصاص بين المتعاهدين ولان لها حقوقا تحفظ كما يحفظ العهد وهو من العهد الذى يكتب للولاة كأنّ النبوّة منشور من الله تعالى بتولية من

(قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك وهو النبوّة اوبالذى عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك فى آياتك وهو صلة لادع اوحال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل أسعفنا الى مانطلب منك بحق ماعهد عندك اوقسم مجاب بقوله (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بنى اسرآئيل) اى اقسمنا بعهدالله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ و لنرسلنّ (فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه) الى حدّ من الزمان هم بالغوه فعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم (اذاهم ينكثون) جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث من غير تأمل و توقف فيه (فانتقمنامنهم) فأردنا الانتقام منهم (فأغرقناهم فى اليم) اى فى البحر الذى لايدرك قعره وقيل لجته (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنهاغافلين) اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم (مشارق الارض ومغاربها) يعنى ارض الشام ومصر ملكها بنوا اسرآئيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها (التى باركنا فيها) بالخصب وسعة العيش (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرآئيل) ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى ونريد ان نمنّ الى قوله ماكانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد (بماصبروا) بسبب صبرهم على الشدآئد (ودمرنا) وخرّبنا (ماكان يصنع فرعون وقومه) من القصور والعمارات (وماكانوا يعرشون) من الجنات اوماكانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأابن عامر وابوبكرهنا وفى النحل يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه

اكرمهما كذا فى الكشف ﴿قوله او بالذى عهده اليك﴾ اى او صاه اليك و امرك به على ان تكون ماموصولة و تكون الباء للسببية و التوسل كما فى قولك اطلب حاجتك بما قدّمت من الطاعات و المعنى ادع الله فى ان يكشف الرجز عنامتوسلا بالعهد الذى عهده اليك وهو ان تدعوه بهمك و مطلوبك فيجيبك فيه فيكون الجار و المجرور مع متعلقه فى موضع النصب على انه حال من ضمير ادع ﴿قوله وهو صلة لادع﴾ يعنى ان قوله بماعهد على تقدير ان تكون مامصدرية يكون متعلقا بقوله ادع تعلقا معنويا بان تكون الباء فيه للقسم فى السؤال و يسمى قسم الاستعطاف والاستعطاف طلب العطف و هومايكون جوابه جملة طلبية كما فى قوله بحياتك اخبرنى فيكون ادع لنا جواب القسم كأنه قيل اقسمنا بحق ماعندك ادع لنا ﴿قوله اومتعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم﴾ فيه بحث لان الظاهر ان ليس المراد بالتعلق ههنا التعلق اللفظى و هو تعلق حرف الجر بعامله لان الباء حينئذ باء قسم الاستعطاف فلا تعلق لفظا بقوله اسعفنا بل هو جواب قسم الاستعطاف فتعلق به معنى و لاشك ان قوله ادع يصلح جوابا لذلك القسم فاى حاجة الى اعتبار الحذف و جعل ادع دليلا على المحذوف و الاسعاف قضاء الحاجة يقال اسعفته بحاجته اى قضيتها و عدّى بالى لتضمنه معنى الايصال * واعلم انه تعالى بين ماكانوا عليه من المناقضة القبيحة لانهم تارة يكذبون موسى عليه الصلاة و السلام واخرى عند الشدآئد يفزعون اليه فزع الامّة الى نبيها و يسألونه ان يسأل ربه دفع ذلك العذاب عنهم و ذلك يقتضى انهم سلموا كونه نبيا مجاب الدعوة ثم بعد زوال تلك الشدآئد يعودون الى تكذيبه و الطعن فى نبوّته زاعمين انه انمايصل الى مطالبه بسحره فهم يناقضون انفسهم بهذه الاقاويل وقوله تعالى الى اجل متعلق بكشفنا و يرد على ظاهره ان مادخلت عليه لما يترتب جوابه على ابتدآء وقوعه وذلك يقتضى ان يكون النكث مرتبا على ابتدآء الكشف و ذكر الغاية ينافى كونه مرتبا على ابتدآء الوقوع الاانه قيد الكشف بقوله الى اجل وحدّ معين من الزمان ليعلم انهم وان كشف عنهم العذاب بسبب الدعاء لكن لم يكشف ذلك عنهم مطلقا فى جميع الازمان لاصرارهم على ماهم عليه من الكفر و العناد بل انمايكشف عنهم الى اجل معين و عند مجيئ ذلك الاجل يعذبهم الله تعالى لامحالة او يهلكهم ولايلزم من تقييده بقوله الى اجل ان يكون النكث منهم بعد موتهم اوغرقهم لان النكث انما يفاجئ ابتدآء وقوع الكشف لاالكشف المنتهى الى اجله و التقييد انما ذكر لبيان ان الكشف ليس المراد منه ارتفاع الرجز عنهم بالكلية ﴿قوله فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث﴾ اى بادروه ولم يؤخروه عن ابتدآء وقوع الكشف مبنى على محافظة ماذهبوا اليه من ان مايلى كلمة لما من الفعلين يجب ان يكون ماضيا لفظا او معنى فجواب لما بالحقيقة هو هذا الفعل المقدر وكلا الاسمين اعنى لما و اذا معمول له و لما ظرفية و اذا مفعول به و النكث النقض واصله من نكث الصوف ليغزل ثانيا فاستعير لنقض العهد بعد احكامه و ابرامه كما فى خيوط الاكسية اذا نكثت بعدما ابرمت وهذا من احسن الاستعارات ﴿قوله فأردنا الانتقام منهم﴾ اى بسبب انهم نكثوا العهد كلما كشفنا عنهم العذاب ولم يمتنعوا عن كفرهم وغوايتهم وبلغوا الاجل الموقت لهلاكهم فأغرقناهم اردنا الانتقام منهم و الانتقام فى اللغة سلب النعمة بالعذاب ﴿قوله وقيل لجته﴾ اى قيل فى تفسير اليم انه لجة البحر ومعظم مائه ﴿قوله وعدم فكرهم فيها﴾ اشارة الى جواب مايقال الغفلة كالنسيان ليست من الافعال الاختيارية للانسان فكيف يصح ان يذم بها * وتقرير الجواب ان المراد بالغفلة ههنا الحالة الشبيهة بها وهى الاعراض عن الآيات و عدم الالتفات اليها و لاشك ان الانسان يستحق الذم بسببها فعلم من الآية انه يجب على الانسان النظر فى آيات الله تعالى و التفكر فيها و الا لماذمهم بان غفلوا عنها و ذلك يدل على ان التقليد طريق مذموم ﴿قوله وقيل الضمير﴾ اى فى قوله عنها للنقمة و المعنى وكانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين وكأنّ هذا القائل انما ذهب الى ماذهب اليه مع كونه خلاف الظاهر بناء على انه تخيل ان الغفلة عن الآيات عذر لهم من حيث ان الغفلة ليست من كسب الانسان ﴿قوله تعالى مشارق الارض﴾ مفعول ثان لأورثنا وقوله التى باركنا فيها نعت لمشارق و مغارب واختلفوا فى معنى مشارق الارض و مغاربها فبعضهم حمله على مشارق ارض الشام و مصر و مغاربهما لانها هى التى تحت حكم فرعون وقيل ارض مصر لانها ارض القبط وقيل ارض الشام بقرينة توصيفها بقوله التى باركنا فيها لان المراد باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق وذلك لايليق الابأرض الشام وقيل المراد جملة الارض لانه خرج من جملة بنى اسرآئيل داود وسليمان وقد ملكا الارض كلها ﴿قوله ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته﴾ فسر كلمة الله تعالى بوعده اياهم بالنصر و التمكين و فسر تمامها بمضيها وانتهائها الى الانجاز و انما كان الانجاز تماما للوعد

(لان)

لان الوعد بالشئ يبقى كالشئ المعلق واذا حصل الموعود به فقد تم ذلك الوعد وكل كما انه اذا حصل المعلق عليه يتم المعلق وينقضي ﴿قوله بعد مهلك فرعون﴾ الظاهر ان البعدية فيه رتبية فان عبور الجم الغفير البحر العميق من غير ان يبتل قدم احد اعظم آية في اهلاك عدوهم ﴿قوله وقيل من لخم﴾ وهو حي من اليمن ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية وعن الزمخشري انه قبيلة بمصر والكاف في قوله تعالى كما لهم آلهة في محل النصب على انها صفة لالها وما كافة لكاف التشبيه عن العمل الا انها دخلت هنا على الجملة مع ان حق حرف الجر ان يجر الاسم المفرد ﴿قوله وصفهم بالجهل المطلق﴾ حيث لم يذكر مفعوله اما للاطلاق والتعميم اولا جرائه مجرى اللازم واكده بأن وتوسط قوم وجعل ما هو المقصود بالاخبار وصفا له ليكون كالمتحقق المعلوم ﴿قوله مكسر مدمر﴾ التبار الهلاك وتبره تتبيرا اي كسره واهلكه وهؤلاء متبر ما هم فيه اي مكسر مهلك والدمار الهلاك يقال دمره تدميرا ودمر عليه بمعنى كذا في الصحاح ويقال لكسارة الذهب تبر لتكسرها ولتهالك الناس عليها ورضاض الشئ فتاته وكل شئ كسرته فقد رضضته ﴿قوله بايقاع هؤلاء اسم ان﴾ فانه من حيث كونه من اسماء الاشارة يفيد تمييز المسند اليه اكمل التمييز ومن حيث كونه مما يشار به الى البعيد يفيد التحقير وجعل تمييز المشار اليه ذريعة الى تحقيره ابلغ في التحقير وجعل المسند اليه اسم اشارة مع افادته كمال التمييز ينبه عند تعقيب المشار اليه بالوصف على انه جدير بما يرد بعد اسم الاشارة لاجل ذلك الوصف وهو العكوف ههنا فيكون الدمار والاحباط الكلي لازمين لهم كلزوم سببهما الذي هو العكوف ﴿قوله والاخبار عما هم فيه بالتبار الخ﴾ اشارة الى ان ما موصولة وهم فيه جملة اسمية صلة الموصول وعائده والموصول مع صلته في محل الرفع على الابتداء ومتبر خبره وقدم عليه ليؤذن بأن حال ما هم فيه ليست غير التبار وحال عملهم ليست الا البطلان فهم لا يعدونهما وهما لهم ضربة لازب ﴿قوله اطلب لكم﴾ اشارة الى ان قوله ابغيكم بمعنى ابغي لكم يقال بغيت فلانا شيأ وبغيت له قال تعالى يبغونكم الفتنة اي يبغون لكم اجاب موسى عليه الصلاة والسلام القوم بأن حكم عليهم بالجهل وعلى ما هم فيه بالتبار وعلى عملهم بالبطلان وعدم النفع في الدنيا والدين ثم تعجب من حالهم على وجه الانكار والتوبيخ فقال أغير الله ابغيكم الها وغير منصوب على انه مفعول به لأبغيكم وقوله الها اما تمييز لغير او حال والتقدير ابغي لكم غير الله بجهة كونه معبودا او حال كونه معبودا ويجوز ان يكون الها هو المفعول به لأبغيكم ويكون غير حالا منه والاصل ابغي لكم الها غير الله على ان غير الله صفة لاله فلما قدمت صفة النكرة عليها انتصبت حالا ﴿قوله تعالى يسومونكم سوء العذاب﴾ اي يعذبونكم بأشد العذاب يقال سامه خسفا اذا اولاه ظلما وقيل يسومونكم اي يطلبونكم لكن الطلب متعد الى واحد فلا بد من تضمين فعل يتعدى الى اثنين وهو التكليف اي يطلبونكم مكلفين اياكم سوء العذاب ﴿قوله نعمة او محنة عظيمة﴾ فان البلاء يطلق على كل واحدة منهما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وفيه لف ونشر فان البلاء النعمة على تقدير ان تكون الاشارة الى الانجاء والمحنة على تقدير ان تكون الى العذاب ﴿قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾ ليس ثلاثين ظرفا لواعدنا لان الوعد ليس في الثلاثين بل هو المفعول الثاني لواعدنا فانه متعد الى مفعولين * فان قلت كيف يجوز ان يكون ثلاثين ليلة مفعولا به مع ان الموعود يجب ان يكون فعل الواعد والزمان ليس بفعل واحد ممن قام به المواعدة فانه قد روي ان الله تعالى لما اهلك فرعون وسأله موسى انزال الكتاب امره الله تعالى ان يصوم ثلاثين يوما ثم يأتي الطور ووعده ان فعل ذلك ينزل عليه التوراة ووعد موسى عليه الصلاة والسلام ربه ان يصوم تلك المدة فيأتي الطور فالموعود من احد الجانبين انزال التوراة ومن الآخر الصوم واتيان الطور ونفس الثلاثين ليس بموعود فكيف يكون مفعولا به * فنقول لا بد في الكلام من اعتبار الحذف ولا بد ان يكون المحذوف متضمنا لكل واحد مما وعده الله تعالى ووعده موسى عليه الصلاة والسلام واشار اليه صاحب الكواشي بقوله وفيه حذف اي تمام ثلاثين او مكث ثلاثين انتهى فانه تعالى وعده تمام ثلاثين وانقضاءها لانزال الكتاب ووعده موسى عليه الصلاة والسلام اتيان الطور * قال المفسرون كانت تلك الثلاثون ذا القعدة امره الله تعالى ان يصوم فيها ليكلمه ويكرمه بما يتم له امر نبوته قال ابن عباس رضي الله عنهما فصامهن ليلهن ونهارهن فلما انسلخ الشهر كره ان يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم فتناول شيأ من نبات الارض فمضغه فأوحى الله تعالى اليه لا اكلمك حتى يعود فوك الى ما كان عليه اما علمت ان ريح فم الصائم احب الي من ريح المسك وامره بصيام عشرة ايام من ذي الحجة ولما انقضى ذو القعدة بكماله مع عشر ذي الحجة تم اربعون

رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا (فأتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على اصنام لهم) يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر (قالوا ياموسى اجعل لنا الها) مثالا نعبده (كما لهم آلهة) يعبدونها وما كافة للكاف (قال انكم قوم تجهلون) وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل (ان هؤلاء) اشارة الى القوم (متبر) مكسر مدمر (ما هم فيه) يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا (وباطل) مضمحل (ما كانوا يعملون) من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا (قال أغير الله ابغيكم الها) اطلب لكم معبودا (وهو فضلكم على العالمين) والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بأن قصدوا ان يشركوا به أخس شئ من مخلوقاته (واذ أنجيناكم من آل فرعون) واذكروا صنيع الله معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم (يسومونكم سوء العذاب) استئناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما (يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم) بدل منه مبين (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا (واتممناها بعشر) من ذي الحجة (فتم ميقات ربه اربعين ليلة) بالغا اربعين روى انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه فأمره بصوم ثلاثين يوما فلما اتم انكر خلوف

ليلة فعلى هذا يكون كلام الله تعالى له يوم النحر و فى مثله اكمل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه و سلم دينه حيث قال اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى فانه نزل بعد العصر من يوم عرفة عام حجة الوداع و هو عليه الصلاة و السلام واقف بعرفة و قال الامام ابو الليث فى تفسيره و يقال ان الثلاثين كانت ذا الحجة بكماله و العشر عشر المحرّم فتكون المناجاة فى يوم عاشورآء والله اعلم * و الخلوف بالضم تغير رآئحة الفم مصدر خلف من باب نصر و اشار المصنف بنقل هذه الرواية الى جواب ما يقال ما الحكمة فى تفصيل الاربعين ههنا الى الثلاثين و العشر مع الاقتصار على الاربعين فى سورة البقرة حيث قيل فيها و اذ وعدنا موسى اربعين ليلة * و تقرير الجواب ان الحكمة فى التفصيل ههنا الاشارة الى ان اصل المواعدة كان على صوم الثلاثين و زيادة العشر كانت لازالة الخلوف و ما ذكره فى سورة البقرة من مواعدة الاربعين فهو بيان الحاصل و جمع بين العددين و قوله و قيل امره بأن يتخلى الخ جواب آخر عن ذلك * و تقريره فصل الاربعين الى مدّتين لكون ما حل فى احدى المدّتين مغايرا لما حل و وقع فى الاخرى فان المدّة الاولى عينت لان يتجرّد فيها لما يتقرّب به الى الله تعالى و المدّة الثانية عينت لان يفوز فيها بكرامة مولاه * قال الامام الفرق بين الميقات و الوقت ان الميقات ما قدّر فيه عمل من الاعمال و الوقت ما وقت لشئ قدّر ام لا و يوافقه قول المصنف فى تفسير قوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا اى حدّا يوقت به الدنيا و تنتهى عنده او حدّا للخلائق ينتهون اليه ثم ان موسى عليه الصلاة و السلام لما اراد الانطلاق الى الجبل للمناجاة امره الله تعالى ان يختار سبعين رجلا من قومه من ذوى الحجى ليشهدوا له على ما يشاهدونه من اكرام الله تعالى اياه ففعل و استخلف اخاه هرون على قومه و قال له كن خليفتى على قومى و اصلح امرهم و سر فيهم بالسيرة الصالحة التى لا فساد فيها و ثبتهم على ما خلفهم عليه من الايمان و اخلاص العبادة لله تعالى ﴿ **قوله** ما يجب ان يصلح ﴾ على ان يقدّر له مفعول و ما بعده على ان يجرى مجرى اللازم قال الامام الواحدى نقلا عن المفسرين رحمهم الله لما اراد الله تعالى ان يكلم موسى اهبط الى الارض ظلمة سبعة فراسخ فلما دنا موسى عليه الصلاة و السلام الى الظلمة طرد عنه شيطانه و طرد هوام الارض و نحى عنه ملكاه ثم كلمه الله تعالى و كشطت له السماء فرأى الملائكة قياما فى الهوآء و رأى العرش بارزا و كان بعد ذلك لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشى وجهه من النور و لم يزل على وجهه برقع حتى مات و قالت له امرأته انا ما رأيت منك وجهك مذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها و خرّت لله ساجدة و قالت ادع لنا ان يجعلنى زوجتك فى الجنة قال ذلك ان لم تتزوّجى بعدى فان المرأة لآخر ازواجها و عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم * ناجى موسى ربه بمائة الف و اربعين الف كلمة فى ثلاثة ايام كلها وصايا فكان فيما ناجاه ان قال له يا موسى لم يتصنع المتصنعون بمثل الزهد فى الدنيا و لم يتقرب المتقربون بمثل الورع عما حرّمت عليهم و لم يتعبد المتعبدون بمثل البكاء من خيفتى اما الزاهدون فى الدنيا فابيحهم جنتى حتى يتبوّأوا فيها على اطيب عيش و ارغده و اما الورعون عما حرّمت عليهم فانه اذا كان يوم القيامة لم يبق عبد الا ناقشته الحساب الا الورعين فانى اجلهم و اكرمهم و ادخلهم الجنة بغير حساب و اما الباكون من خيفتى فاولئك لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه * ﴿ **قوله** لوقتنا الذى وقتناه ﴾ اشارة الى ان الميقات اضيف اليه تعالى لمناجاة موسى و انزال الكتاب عليه كقوله تعالى ان اجل الله لآت لانه ثبت بتأجيله ﴿ **قوله** و فيما روى الخ ﴾ اختيار لما ذهب اليه اهل السنة و الجماعة من ان كلام الله تعالى صفة ازلية قائمة بذاته تعالى مغايرة لهذه الحروف و الاصوات و ان تكليمه تعالى هو ان يسمع بعض المخلوقين كلامه القديم بلا صوت و حرف ليسمعه من جميع الجهات بلا جهات و لهذا خص موسى عليه الصلاة و السلام باسم الكليم لاختصاصه بذلك من بين البشر و كما لا يبعد رؤية ذاته تعالى مع ان ذاته ليست جسما و لا عرضا فكذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه لا يكون صوتا و لا حرفا و قالت المعتزلة كلام الله تعالى عبارة عن الحروف المؤلفة المنتظمة القائمة بالجسم المباين لذاته تعالى و تكليمه عبارة عن ان يخلق الكلام بالمعنى المذكور منطوقا به فى بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا فى اللوح ﴿ **قوله** ارنى نفسك ﴾ يريد ان ثانى مفعولى ارنى محذوف حذف مبالغة فى الادب حيث لم يواجهه بالتصريح بالمفعول الا انه تعالى لما كلمه و قرّبه نجيا عظم شوقه الى مشاهدة ذاته المقدّسة فلذلك لم يصبر عن سؤال الرؤية و قوله بأن تمكننى من رؤيتك الخ جواب عما يقال النظر فى قوله أنظر اليك اما ان يكون عبارة عن الرؤية او عن مقدّمتها التى هى تقليب الحدقة الى جانب المرئى طلبا لرؤيته و على التقدير الاوّل يكون المعنى ارنى نفسك حتى اراك و هذا فاسد

وقيل امره بأن يتخلى ثلاثين بالصوم و العبادة ثم انزل الله التوراة عليه فى العشر و كلمه فيها (وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى) كن خليفتى فيهم (وأصلح) ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا (ولا تتبع سبيل المفسدين) و لا تتبع من سلك سبيل الافساد و لا تطع من دعاك اليه (ولما جاء موسى لميقاتنا) لوقتنا الذى وقتناه و اللام للاختصاص اى اختص مجيئه بميقاتنا (وكلمه ربه) من غير وسط كما يكلم الملائكة و فيما روى ان موسى عليه السلام كان يسمع هذا الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين (قال رب أرنى انظر اليك) أرنى نفسك بأن تمكننى من رؤيتك او تتجلى لى فأنظر اليك و أراك

لان الشئ لايكون غاية لنفسه و على التقدير الثاني يكون المعنى ارني حتى اقلب الحدقة الى جانبك و هذا فاسد
لوجهين احدهما انه يقتضى اثبات الجهة و الثاني ان تقليب الحدقة الى جانب المرئى مقدمة الرؤية و قد جعل
كالنتيجة عن الرؤية و ذلك فاسد * و تقرير الجواب ان النظر بمعنى الرؤية الا ان المطلوب ليس خلق الرؤية فيه حتى
يلزم كون الشئ غاية لنفسه بل المطلوب ان يمكنه من الرؤية وان يتجلى له بطريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب
فلا اشكال «قوله ولذلك» اى لكونه تعالى جائز الرؤية فى الجملة اجاب الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام
حين سأل الرؤية بنفى كونه فاعلا للرؤية لا بنفى اصل الرؤية ولو لم يكن جائز الرؤية لاجابه بنفى اصل الرؤية بأن يقول
لن أرى «قوله وجعل السؤال لتبكيت قومه الخ» جواب عما ذكره المعتزلة فى تأويل الآية لكون ظاهرها
مخالفا لما ذهبوا اليه من امتناع الرؤية * قال صاحب الكشاف فان قلت كيف طلب موسى عليه الصلاة و السلام ذلك
و هو من اعلم الناس بالله تعالى و صفاته و ما يجوز عليه و ما لا يجوز عليه و بتعاليه عن الرؤية التى هى ادراك بعين
الحواس و ذلك انما يصح فيما كان فى جهة و ما ليس بجسم و لا عرض فمحال ان يكون فى جهة و كيف يكون عليه
الصلاة و السلام طالبا لرؤيته تعالى و قد قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء
منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم و دعاهم سفهاء و ضلالا قلت ما كان طلبه الرؤية الا ليبكت هؤلاء
الذين دعاهم سفهاء و ضلالا و تبرأ من فعلهم و ذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم و اعلمهم الخطأ و نبههم
على الحق فلجوا و تمادوا فى لجاجهم و قالوا لن نؤمن لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عند الله تعالى باستحالة
ذلك و هو قوله لن ترانى ليتيقنوا باستحالته و ينزجروا عن طلبه فلذلك قال رب أرنى انظر اليك الى هنا كلامه
فالمصنف اجاب عنه بأن الرؤية لو كانت ممتنعة لوجب على موسى اقامة الدلائل القاطعة على انه تعالى لا تجوز
رؤيته و ان يمنع قومه بتلك الدلائل عن هذا السؤال و لما لم يذكر شيأ من تلك الدلائل البتة مع ان ذكرها كان
فرضا متعينا ظهر انه تعالى جائز الرؤية و الا لكان موسى عليه الصلاة و السلام تاركا للواجب و ترك الواجب لا يجوز
على الانبياء «قوله والاستدلال بالجواب على استحالتها» و تقرير الاستدلال ان يقال هذه الآية تدل على
ان موسى عليه الصلاة و السلام لا يرى الله البتة لا فى الدنيا و لا فى القيامة لما نقل عن اهل اللغة ان كلمة لن للتأبيد
و متى ثبت هذا ثبت ان احدا لا يراه البتة و متى ثبت هذا ثبت ان الله تعالى يمتنع ان يرى و المصنف اجاب عنه بمنع
كل واحدة من المقدمات الثلاث اما المقدمة الاولى فمنعها بأن لن ترانى لا يدل على ان لا يراه ابدا لما ذكره الامام
الواحدى من ان كون كلمة لن للتأبيد دعوى باطلة على اهل اللغة و ليس يشهد بصحتها كتاب معتبر و لا نقل صحيح
قال اصحابنا و الذى يدل على فساده قوله تعالى فى صفة اليهود و لن يتمنوه ابدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيامة
و منع باقى المقدمات ظاهر «قوله او جهالة بحقيقة الرؤية» فانها و ان كانت عبارة عن الادراك بالباصرة
بعد النظر الذى هو تقليب الحدقة نحو المرئى طلبا لرؤيته و ان الادراك بالحاسة انما يكون اذا كان المدرك فى جهة
لكن ذلك انما يستلزم امتناع الرؤية اذا كانت الحاسة و القوة التى فيها باقيتين على هذه الحالة و ذلك غير لازم لجواز
ان يخلق الله فى الحاسة قوة بها يتمكن من رؤية ما ليس فى جهة اى من ادراكه عند النظر و فتح العين و تقليب
الحدقة فان الرائى ليس هذا العضو المخصوص و لا القوة الحالة فيه بل شئ آخر يستعين فى الرؤية بهما اى يخلق الله
تعالى فيهما ما تستعد به النفس لمشاهدة المرئى «قوله استدراك يريد ان يبين به الخ» المقصود بيان وجه
اتصال هذا الاستدراك بما قبله و ذلك انه تعالى لما نفى ان يرى موسى اياه فى الحال نفيا مؤكدا فان لن لتأكيد نفى
ما سأل عنه و السؤال انما وقع فى تحصيل الرؤية فى الحال فكان قوله لن ترانى نفيا لذلك المطلوب استعظم امر الرؤية
و بين ان احدا لا يقوى على رؤية الله تعالى الا اذا قواه الله تعالى بمعونته و تأييده و امره ان ينظر الى الجبل لكشف
هذا المعنى فان الجبل مع صلابته لما ظهر له اثر التجلى لم يطق ذلك بل اندك و تفرق فكيف يطيقه الانسان الذى
يدهش عند مشاهدة الامور الهائلة فكيف عند مشاهدة ذى العظمة و الجلال المطلق الذى لا يوصف كبرياؤه
و جلاله فكأنه قيل فان لم يستقر الجبل فانك لا تطيق رؤيتى «قوله والجبل قيل جبل زبير» قيل هو اعظم
جبل بمدين و قوله دكا مصدر وقع موقع المفعول به بمعنى مدكوكا اى مدقوقا يقال دككت الشئ ادكه دكا اذا دققته
عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تجلى ربه للجبل صار لعظمته ستة اجبل فوقعت
ثلاثة منها بالمدينة احد و ورقان و رضوى * و وقع ثلاثة بمكة ثور و ثبير و حرا «قوله ظهر له» تفسير لقوله تعالى

وهو دليل على ان رؤيته جائزة فى الجملة
لان طلب المستحيل من الانبياء محال
وخصوصا ما يقتضى الجهل بالله ولذلك
رده بقوله تعالى لن ترانى دون لن أرى
اولن اريك اولن تنظر الىّ تنبيها على انه
قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد فى الرائى
ولم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت
قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ
اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم
ويزيح شبههم كما فعل بهم حين قالوا اجعل
لنا الها ولا تتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا
تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب
على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار
عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان
لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل
على استحالتها ودعوى الضرورة فيه
مكابرة اوجهالة بحقيقة الرؤية (قال لن ترانى
ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف ترانى) استدراك يريد ان يبين به
انه لا يطيقه وفى تعليق الرؤية بالاستقرار
ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على
الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير
(فلما تجلى ربه للجبل) ظهر له عظمته وتصدى
له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة
ورؤية حتى رآه (جعله دكا) مدكوكا
مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق
وقرأ حمزة والكسائى دكاء اى ارضا
مستوية ومنه ناقة دكاء للتى لا سنام لها
وقرئ دكا اى قطعا دكا جمع دكاء بالتشديد
(وخر موسى صعقا) مغشيا عليه من هول
ما رأى (فلما افاق قال) تعظيما لما رأى
(سبحانك تبت اليك) من الجرأة والاقدام
على السؤال بغير اذن (وانا اول المؤمنين)
مر تفسيره وقيل معناه انا اول من آمن
بانك لا ترى فى الدنيا

(قال يا موسى انى اصطفيتك) اخترتك (على الناس) اى الموجودين فى زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع (برسالاتى) يعنى اسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتى (وبكلامى) وبتكلمى اياك (فخذ ما آتيتك) اعطيتك من الرسالة (وكن من الشاكرين) على النعمة فيه روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة يوم النحر (وكتبنا له فى الالواح من كل شئ) مما يحتاجون اليه من امر الدين (موعظة وتفصيلا لكل شئ) بدل من الجار والمجرور اى كتبنا كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى ان الالواح كانت عشرة اوسبعة وكانت من الزمرد اوزبرجد اوياقوت احمر اوصخرة صماء لينها الله لموسى عليه السلام فقطعها بيده وشقها بأصابعه وكان فيها التوراة او غيرها

تجلى للجبل وقوله عظمته واقتداره وامره تفسير لقوله ربه بتقدير المضاف عن ابن عباس ظهر نور ربه للجبل وقال الضحاك اظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر ثور وقيل ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقيل ما تجلى الا قدر الخنصر وتصدى اقتدار الله تعالى للجبل اى تعرضه له عبارة عن تعلق قدرته وارادته بدكه * قال صاحب الكشاف أنظر الى اعظام الله تعالى امر الرؤية فى هذه الآية ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه الوصمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم

* لجماعة سموا هواهم سنة *	وجماعة حمر لعمرى مؤكفه *
* قدشبهوه بخلقه وتخوفوا *	شنع الورى فتستروا بالبلكفه *

قوله المتسمين من الاتسام يقال اتسم بالشئ اذا صار موسوما به معلما وقوله المتسمين من التسمى مطاوع التسمية يقال تسمى به اى صار مسمى به والبلكفة القول بأن الرؤية بلا كيف ومؤكفة اى مشدود عليها الاكاف وهو البرذعة والشنع بالضم جمع شنعة اسم من الشناعة ولقد عورض ماانشده وانشأه من الهذيان فقيل

* لجماعة كفروا برؤية ربهم *	ولقاءه حمر لعمرى مؤكفه *
* هم عطلوه عن الصفات وعطلوا *	عنه الفعال فيا لها من متلفه *
* هم نازعوه الخلق حتى اشركوا *	بالله زمرة حاكة واساكفه *
* هم غلقوا ابواب رحمته التى *	هى لاتزال على المعاصى موكفه *
* لهموا قواعد فى العقائد رذلة *	ومذاهب مجهولة مستنكفه *
* يبكى كتاب الله من تأويلهم *	بدموعه المنهلة المستوكفه *
* وكذا احاديث النبى دموعها *	منهم على الخدين غير منكفه *
* فالله امطر من سحاب عذابه *	وعقابه ابدا عليهم اوكفه *

قوله يعنى اسفار التوراة﴾ اى كتب التوراة ومجلداتها وألواحها وهو جمع سفر وهو الكتاب يقال سفره اى كتبه فتكون الرسالة عبارة عن نفس الشئ المرسل به الى الغير فينبغى ان يقدر المضاف اى بتبليغ رسالتى ويجوز ان يراد بها المصدر اى بارسالى اياك وفى التيسير قوله تعالى برسالاتى وبكلامى يعنى بأن ارسلتك بما ارسلت اليك من الاوامر والنواهى والوعد والوعيد والاحكام والمواعظ وبأن كلمتك بلا واسطة ويرد على هذا التأويل بأن يقال كيف اصطفاه على الناس بالرسالة مع ان كثيرا من الناس ساواه فى الرسالة ويجاب عنه بانه تعالى بين انه خصه من دون الناس بمجموع امرين وهو الرسالة مع التكليم من غير واسطة وهذا المجموع لم يحصل لغيره وانما قال على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد تسمع كلام الله تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى قال القرطبى ودل هذا على ان قومه لم يشاركه احد منهم فى التكليم ولا احد من السبعين الذين اختارهم لان اصطفاءه بما ذكر تنصيص على تخصيصه به * قال صاحب الكشاف لم يقل موسى عليه الصلاة والسلام ارنى انظر اليك طلبا لرؤيته وانما قاله تبكيتا لهؤلاء الذين ألحوا عليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ثم قال فان قلت فهلا قال ارهم ذلك ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه الصلاة والسلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة اذا ارادوا ان يرى موسى ربه فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد وقال الامام اختلفوا فى انه تعالى كلم موسى وحده او كله وكلم اقواما آخرين فظاهر الآية يدل على الاول لان قوله تعالى وكلمه ربه يدل على تخصيص موسى بهذا التشريف والتخصيص بالذكر يدل على نفى الحكم عما عداه وقال القاضى بل السبعون المختارون سمعوا ايضا كلام الله تعالى لان الغرض من احضارهم ان يخبروا قوم موسى عما يجرى هناك وهذا المقصود لا يتم الا عند سماع الكلام وعن ابن عباس انه قال جاء موسى ومعه السبعون فصعد موسى الجبل وبقى السبعون فى اسفل الجبل وكلم الله تعالى موسى وكتب له فى الالواح كتابا وقربه نجيا فلما سمع موسى صرير القلم عظم شوقه فقال رب ارنى انظر اليك الى هنا كلام الامام والله اعلم ﴿**قوله** بدل من الجار والمجرور﴾ يعنى ان كل شئ فى محل النصب على انه مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه فتكون كلمة من فيه مزيدة لا تبعيضية ولم يجعلها ابتدائية حالا من موعظة وموعظة مفعولا به لانه ليس له كثير معنى

(ولم)

و لم يجعل موعظة مفعولا له وان كانت شرآئط النصب حاصلة لان الظاهر ان تفصيلا عطف عليه و ظاهر انه لامعنى لقولك كتبناله من كل شئ لتفصيل كل شئ ﴿ قوله بأحسن مافيها الخ ﴾ اشارة الى جواب مايقال من انه تعالى لماتعبد بكل مافى التوراة وجب ان يكون الكل حسنا و قوله يأخذوا بأحسنها يقتضى ان يكون فيها ماليس بأحسن وانه لايجوز الاخذبه وهو متناقض * واجاب عنه بثلاثة اوجه الاوّل ان مافى التوراة من التكاليف متفاوت منه ماهو احسن ومنه ماهو حسن كالقصاص و العفو و الانتصار و الصبر وكل واحد منها وان كان مشروعا حسنا فى حكم التوراة الا انه تعالى امرهم بطريق الندب ان يأخذوا بالافضل فانه اكثر ثوابا كقوله تعالى واتبعوا احسن ماانزل اليكم من ربكم وقوله فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه * ولا يرد ان يقال انه تعالى لماامر بالاحسن فقد منع عن الاخذ بالحسن وذلك يقدح فى كونه حسنا * لانانقول انما امرهم بالاخذ بالاحسن على طريق الندب فيزول التناقض والاشكال والوجه الثانى ان التكاليف التى تعبد الله بأخذها يدخل تحتها الواجب والمندوب والمباح واحسن هؤلاء الثلاثة الواجبات والمندوبات فكان الاخذبهما احسن وان كان الاخذ بالمباح حسنا مشروعا ايضا والوجه الثالث ان بناءافعل ههنا ليس للزيادة على ماضيف اليه بل هو للزيادة المطلقة بأن يقصد تفضيل المفضل على كل ماسواه مطلقا لاعلى المضاف اليه وحده فيكون اضافته لمجرّد التخصيص والتوضيح كاضافة نحو العالم والحسن ممالا تفضيل فيه فالمأمور به من الاخذهو الاخذ بماهو البالغ فى الحسن مطلقا وهو المأمور به مما اشتملت التوراة عليه فان التوراة مشتملة على الامر والنهى والمأمور به احسن من المنهى عنه لاعلى معنى ان بينهما اشتراكا فى الحسن وان احدهما ازيد من الآخر فيه ضرورة انه لاحسن للمنهىّ عنه بل على معنى ان المأمور به ابلغ فى الحسن من المنهى عنه فى القبح كمايقال الصيف احرّ من الشتاء اى ابلغ فى الحرّ من الشتاء فى البرد والمعنى ان لحرّ الصيف حدّة ولبرد الشتاء حدّة وحدّة حرّ الصيف اكثر واشدّ من حدّة برد الشتاء فكذلك لحسن المأمور به مرتبة ولقبح المنهى عنه مرتبة ومرتبة حسن المأمور به اعلى واولى من مرتبة قبح المنهى عنه قال صاحب الكشاف فى سورة مريم الصيف احرّ من الشتاء من وجيز كلامهم يريدون به ان الصيف ابلغ فى حرّه من الشتاء فى برده وتحقيقه ان تفضيل حرارة الصيف على حرارة الشتاء غير مراد اذليس ذلك ممايرتاب فيه ذوحس بل هو راجع الى تفضيل كثرة الحرارة وقوّتها على كثرة البرودة وقوّتها فلمّا اريد بأحسنها المأمور به لكونه ابلغ فى الحسن من المنهى عنه فى القبح كان اللازم ان لايجوز الاخذ بالمنهى عنه ولا تناقض فيه وقوله تعالى يأخذوا الظاهر انه مجزوم جوابا للامر فى قوله وأمر قومك ولابدّ من تأويله لان الواجب فى مثله انحلال الجملتين الى شرط وجزاء وكون ماهو فى معنى الجزاء لازما لما هو فى معنى الشرط وليس الامر فيمانحن فيه كذلك لانه لايلزم من امره اياهم بذلك ان يأخذوه بدليل عصيان بعضهم له فى ذلك وقيل الجزم على اضمار اللام تقديره ليأخذوا وقوله بأحسنها الظاهر ان الباء فيه زآئدة واحسنها مفعول به والتقدير يأخذوا احسنها كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ﴿ قوله وقرئ سأوريكم ﴾ بواو خالصة بعد الهمزة بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند اى اخرجت ناره فقوله سأوريكم بمعنى سأنير وسأبين لكم لتتبينوا ﴿ قوله اى يتكبرون بماليس بحق ﴾ يشعر بأن تكبر المحق على المبطل ليس ممايذم به صاحبه كما اشتهر من ان التكبر على المتكبر صدقة والحق ان التكبر بالحق صفة مختصة بالله تعالى لانه الذى له القدرة والفضل الذى ليس لغيره فهو الجدير بأن يكون متكبرا فالتكبر صفة مدح فى حق الله تعالى وصفة ذم فى حق ماسوى الله عزوعلا والمفهوم من الآية ان الذين يتعظمون عن الانقياد للانبياء عليهم الصلاة والسلام استكبارا وطلبا للعلوّ والرياسة فى الارض بغير الحق يصرفهم الله تعالى بان يطبع على قلوبهم عن التفكر فى آياته المنصوبة فى الافاق والانفس عقوبة لهم على استكبارهم فلا يعتبرون بآيات الافاق كخلق السموات والارض ومافيهما من الشمس والقمر والنجوم والبرّ والبحر وانواع النبات والحيوان ولا بآيات الانفس حتى يستدلوا بها على وجود الصانع الحكيم القادر على اثابة المطيع وعقاب العاصى ليكون ذلك الاعتبار باعثا لهم على الرغبة فى طاعته والاجتناب عن معصيته فثبت بذلك انه تعالى يمنع عن الايمان ويصدّ عنه بان يطبع على قلوب المستكبرين ويصرفهم عن التفكر فى الدلائل الموجبة للتوحيد والايمان وقالت المعتزلة لايمكن حمل الآية على انه تعالى يصرف المتكبرين الموصوفين بانهم ان يروا كل آية لايؤمنوا بها وبأنهم ان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا عن الايمان لانه تعالى علل الصرف المذكور باتصافهم بالاوصاف

(فخذها) على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذما آتيتك والهاء للالواح او لكل شئ فانه بمعنى الاشياء او للرسالات (بقوّة) بجدّ وعزيمة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) اى بأحسن مافيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريق الندب والحث على الافضل كقوله تعالى واتبعوا أحسن ماانزل اليكم من ربكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لابالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احرّ من الشتاء (سأريكم دار الفاسقين) دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها اومنازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم فى الآخرة وهى جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم الذين استضعفوا (سأصرف عن آياتى) المنصوبة فى الآفاق والانفس (الذين يتكبرون فى الارض) بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم (بغير الحق) صلة يتكبرون اى يتكبرون بماليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله

(وان يروا كل اية) منزلة او معجزة (لايؤمنوا بها) لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد

الوجه الاول (وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا) لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثها لغات كالسقم والسقم والسقام (وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اى سأصرف ذلك الصرف بسببهما (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) اى ولقائهم الدار الآخرة اوما وعد الله في الآخرة (حبطت اعمالهم) لاينتفعون بها (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) الا جزاء اعمالهم (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعد ذهابه الى الميقات (من حليهم) التى استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلى ويعقوب على الافراد (عجلا جسدا) بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا عن الروح ونصبه على البدل (له خوار) صوت البقر روى ان السامرى لما صاغ العجل ألقى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به اولان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اى صياح (ألم يروا انه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا) تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى ألم يروا حين اتخذوه الها انه لايقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر (اتخذوه) تكرير للذم اى اتخذوه الها (وكانوا ظالمين) واضعين الاشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم (ولما سقط في ايديهم) كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم (ورأوا) وعلموا (انهم قد ضلوا) باتخاذ العجل (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا) بانزال التوبة (بالبراهين)

المذكورة المستلزمة للكفر ولاشك ان العلة متقدمة على الحكم فلا يكون الصرف عن الايمان الذى هو خلق الكفر فيهم عقوبة متفرعة على الكفر الحاصل فلذلك قالوا في تفسير الآية سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بأن جمع لها السحرة فأبى الله تعالى الا علو الحق وانتكاس الباطل وابدا المصنف ان يكون المراد بالصرف الصرف عن التفكر في الآيات بجعلهم مطبوعى القلوب بقوله تعالى وان يروا كل آية لايؤمنوا بها بل يقولون مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فان من لم يتأثر بكل آية كيف يقال في حقه سأصرفه عن ابطالها بل اضطره الى ان تعود عليه باعلائها او باهلاكهم ﴿ قوله وعدم تدبرهم ﴾ عبر عن عدم تدبر الآيات بالغفلة عنها تشبيها لمن اعرض عن الشئ بمن غفل عنه ﴿ قوله ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر ﴾ عطف من حيث المعنى على ما فهم من تقرير هو وان يكون ذلك مبتدأ والجار والمجرور خبره ويجوز ان يكون منصوبا على انه مفعول به لفعل محذوف اى فعلنا ذلك لهذا السبب ﴿ قوله تعالى ولقاء الآخرة ﴾ اما من اضافة المصدر الى مفعوله والفاعل محذوف او من اضافته الى الظرف بتقدير في والفاعل والمفعول محذوفان اى لقائهم الموعود في الدار الآخرة ﴿ قوله الا جزاء اعمالهم ﴾ لان نفس ما كانوا يعملونه لايجزونه وانما يجزون عقابه ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ﴾ اى بكسر الحاء واللام وتشديد الياء كدلى وعصى جمع دلو وعصا اصلهما دلوو وعصوو قلبت الواو الاخيرة ياء لوقوعها طرفا بعد ضمة فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت وكسرت عين الكلمة وان كانت مضمومة في الاصل لتصح الياء ثم لك بعد ذلك فيه وجهان ترك الفاء على ضمها واتباعها للعين في الكسرة وهذا مطرد في كل جمع على فعول من معتل اللام سواء كانت لامه واوا كما في عصى ودلى او ياء كما في حلى وثدى في جمع حلى وثدى اصلهما حلوى وثدوى نحو فلوس في جمع فلس والحلى اسم لما يتزين به من الذهب والفضة وقرئ حليهم بفتح الحاء وسكون اللام على التوحيد اقامة لاسم الجنس مقام الجمع ﴿ قوله من بعده من حليهم ﴾ كل واحد من حرفي الجر متعلق باتخذ وجاز ان يتعلق حرفا جر متحدا اللفظ بعامل واحد لاختلاف معنييهما لان الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض ويجوز ان يكون من حليهم متعلقا بمحذوف على انه حال من عجلا لانه لو تاخر عنه لكان صفته اى عجلا كائنا من حليهم فلما قدم عليه انتصب حالا منه وجعل جسدا بدلا من عجلا اولى من جعله نعتا له او عطف بيان لان الجسد ليس مشتقا فلا ينعت به الا بتأويل وعطف البيان في النكرات قليل او ممتنع عند الجمهور والجسد اسم لجسم يكون له لحم ودم او لجثة لاروح لها والسامرى رجل من قرية يقال لها سامرة وكان رجلا مطاعا في قوم موسى وكانوا قد سألوه الها يعبدونه فجمع ذلك الحلى فصاغ لهم من ذلك الحلى عجلا ثم اختلف الناس فقال قوم قد اخذ كفا من تراب حافر فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فألقاه في جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما فظهر فيه خوار مرة واحدة فقال السامرى هذا الهكم واله موسى وقال اكثر المفسرين من المعتزلة كان قد جعل ذلك العجل مجوفا وجعل في جوفه انابيب على شكل مخصوص وكان وضع ذلك التمثال على مهب الريح فكانت الريح تدخل في تلك الانابيب ويظهر منه صوت مخصوص يشبه خوار العجل ثم قيل انه ماخار الا مرة واحدة وقيل كان يخور كثيرا فاذا خار سجدوا له واذا سكت رفعوا رؤسهم وقال وهب كان يخور ولايتحرك وقال السدى كان يخور ويمشى ﴿ قوله وقرئ جؤار ﴾ بالجيم والهمزة من جأر اذا صاح ﴿ قوله كناية عن اشتداد ندمهم ﴾ وجعله كناية لامجازا لعدم المانع عن ارادة الحقيقة والايدى على هذا حقيقة لان السقوط في اليد الذى هو عض اليد من لوازم النادم المتحسر فكنى بذكر اللازم عن الملزوم واصل الكلام سقط فوهم في ايديهم اى وقع لان من اشتد ندمه بعض يده ثم حذف الفاعل واسند الفعل وهو سقط الى الجار والمجرور نحو مر بزيد وقال الزجاج معناه سقط الندم في قلوبهم ونفوسهم وعبر عن وقوع الندم في القلب بسقوطه في اليد لان اليد لكونها جارحة عظيمة يتوسل بها الى عامة الافعال من الطاعات والمعاصى يسند اليها مالم يكن لها مدخل في مباشرته وتحصيله نحو اتسعت يد فلان وضاقت يده كقوله تعالى ذلك بما قدمت يداك وكثير من الذنوب لم تقدمه اليد وايضا تجعل اليد محلا لما لايحل فيها البتة نحو حصلت الاصحاب والعبيد والاماء في يده فشبه ما يحصل في النفس والقلب بما يحصل في اليد في التحقق والظهور والتمكن من الانتفاع به فاطلق عليه انه في اليد على سبيل الاستعارة التمثيلية وهذا الندم والاستغفار المبنى على العلم بانهم قد ضلوا فارتكبوا معصية الله تعالى كان بعد رجوع موسى اليهم وتحقق خطاهم وضلالهم

بالبراهين القاطعة ﴿قوله شديد الغضب وقيل حزينا﴾ يعني ان الاسف صفة مشبهة كازمن ومعناه شديد الغضب يقال آسفني فأسفت اى اغضبني فغضبت ومنه قوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم وقال السدي والكلبي الاسف الحزين ثم قيل ان غضبه لله تعالى وتأسفه على ماكان منهم من عبادة العجل والكفر بالله تعالى حصل عند مجيئه من الطور الى قومه من حيث انه انما عرف حالهم عند ذلك وقيل بل كان عارفا بذلك قبل مجيئه اليهم وهو اقرب لقوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا وهو انما كان راجعا الى قومه قبل وصوله اليهم عالما بهذه الحالة بسبب انه تعالى اخبره في حال المكالمة بما كان من قومه من عبادة العجل بقوله فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان من ذلك متأسفا على ماكان منهم وفسر قوله تعالى بئسما خلفتموني من بعدي بقوله بئسما فعلتم وعملتم بعدي بناء على انه يقال خلفه بمايكره اذا عمل بعده ذلك العمل كما يقال خلف فلان فلانا اذا كان خليفته ومنه قوله تعالى وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي ﴿قوله تفسر المستكن في بئس﴾ فان الفاعل في باب نعم وبئس اذا كان مضمرا يجب ان يفسر بنكرة موصوفة او بما وفسر ههنا بقوله ماخلفتموني ولا يجوز ان يكون ماخلفتموني فاعل بئس لان فاعله يجب ان يكون معرّفا باللام او مضافا الى المعرّف باللام وهو ليس واحدا منهما فتعين ان يكون الفاعل مضمرا ولا يضمر الفاعل فيه الا بشرط التفسير ومفسره قوله ماخلفتموني وقوله ومعنى من بعدي جواب عما يقال مامعنى قوله من بعدي بعد قوله خلفتموني * اجاب عنه بان معناه من بعد انطلاقي على ان يكون الخطاب لعبدة العجل وقوله او من بعد مارأيتم مني الخ على تقدير ان يكون الخطاب لهرون واتباعه المؤمنين ﴿قوله اتركتموه غيرتام﴾ يريد ان الامر واحد الاوامر وانه بمعنى المأمور به وهو ان ينتظروا موسى عليه الصلاة والسلام اربعين يوما حافظين لعهده وما وصاهم به من التوحيد واخلاص العبادة لله تعالى حتى يأتيهم بكتاب الله المشتمل على المواعظ والاحكام وان العجلة عن الشيء عبارة عن تركه غير تام انكر على قومه في عدم اتمامهم ماامرهم الله به من ان ينتظروا موسى عليه الصلاة والسلام الى ان يجيئهم من غير ان يغيروا شيأ مما تركهم عليه واصل العبارة اعجلتم عن امر ربكم الا انه اسقط الخافض وعدّى الفعل بنفسه على سبيل الاتساع وتضمين الفعل معنى مايتعدى بنفسه كأنه قيل اسبقتم امر ربكم غير متمّ اياه بأن فعلتم مابدا لكم قال الامام معنى العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشيء في اوّل اوقاته قال ابن عباس اعجلتم امر ربكم اى ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الكلبي اعجلتم اى سبقتم بعبادة العجل قبل ان يأتيكم امر ربكم اى لو جاز ان يعبد العجل تقربا الى الله بعبادته لامر الله تعالى به فلم عبدتموه قبل ان يأتيكم به امر من الله ﴿قوله او أعجلتم وعد ربكم﴾ على ان الامر واحد الامور وعبارة عن وعد الاربعين ومعنى سبقهم الميعاد وعدم صبرهم له انهم عدّوا كل واحد من عشرين يوما وعشرين ليلة يوما كاملا وجعلوا الجميع اربعين يوما فلما لم يرجع موسى عليه الصلاة والسلام عند مضيّ عشرين يوما قالوا قد مضى الاربعون ولم يرجع فقدروا انه قد مات فوبخهم موسى على ذلك بقوله اسبقتم ميعاد ربكم بناء على الزعم الفاسد وماتممتموه كما وعده الله تعالى فبادرتم الى تغيير دين الله تعالى ﴿قوله طرحها﴾ اى ألقاها على الارض القاء عنيفا حتى تكسرت قال الامام ولقائل ان يقول ليس في القرآن الا انه القى الالواح واما انه ألقاها بحيث تكسرت فليس في القرآن وانه لجرأة عظيمة على كتاب الله تعالى ومثله لايليق بالانبياء ويؤيد هذا قوله تعالى بعد ذلك ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح فدل ذلك على انها لم تكسر ولا شيء منها بل انه اخذها بأعيانها ومن قال بأن ستة اسباعها رفعت الى السماء فلا بدّ له من دليل ولم اجد مايدل عليه الا ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * يرحم الله اخي موسى ليس الخبر كالمعاينة ان الله تعالى اخبر موسى ان قومه قد ضلوا فلم يكسر الالواح فلما عاين ذلك كسر الالواح ﴿قوله توهما﴾ لان تقصير الانبياء حقيقة في كف قومهم عن ارتكاب الكفر والوقوع فيه لايجوز ﴿قوله او تشبيها بخمسة عشر﴾ وانما قال تشبيها لان ابن ليس بمركب معام حقيقة حتى يكون حركة كل واحد من الاسمين حركة بناء بل هو مضاف الى امي فحركته حركة اعراب ولما حذفت ياء المتكلم من لفظ امي بني على الفتح تشبيها لهذا التركيب الاضافي بتركيب خمسة عشر ﴿قوله مايشمتون بي لاجله﴾ هو بفتح الياء والميم على وزن يعلمون يقال شمت به شماتة من باب علم يعلم اذا فرح ببلية اصابت عدوّه ثم ينقل الى باب الافعال للتعدية وشماتة العدوّ اشدّ من كل بلية قال الشاعر

(ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا) شديد الغضب وقيل حزينا (قال بئسما خلفتموني من بعدي) فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد مارأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه (أعجلتم امر ربكم) أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدّى تعديته او أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدّرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم (وألقى الالواح) طرحها من شدّة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روى ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام (واخذ برأس اخيه) بشعر رأسه (يجره اليه) توهما بانه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل (قال ابن ام) ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن امِّ بالكسر واصله يا ابن امي بالياء فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي (فلا تشمت بي الاعداء) فلا تفعل بي مايشمتون بي لاجله (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير (قال رب اغفر لي) بما صنعت بأخي (ولاخي) ان فرّط في كفهم ضمه الى نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه (وأدخلنا في رحمتك) بمزيد الانعام علينا (وانت ارحم الراحمين) فأنت ارحم بنا منا على انفسنا

(ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم) وهو ماامرهم به من قتل انفسهم (وذلة فى الحياة الدنيا) وهو خروجهم من ديارهم وقيل الجزية (وكذلك نجزى المفترين) على الله ولا فرية اعظم من فريتهم وهى قولهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم (والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصى (ثم تابوا من بعدها) من بعد السيئات (وآمنوا) واشتغلوا بالايمان وما هو بمقتضاه من الاعمال الصالحة (ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور رحيم) وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بنى اسرآئيل (ولما سكت) سكن وقد قرئ به (عن موسى الغضب) باعتذار هرون او بتوبتهم وفى هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على مافعل كالآمر به والمغرى عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا (اخذ الالواح) التى ألقاها (وفى نسختها) وفيما نسخ فيها اى كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اى من الالواح المنكسرة (هدى) بيان للحق (ورحمة) ارشاد الى الصلاح والخير (للذين هم لربهم يرهبون) دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصى الله لربهم (واختار موسى قومه) اى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه (سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة) روى انه تعالى امره ان يأتيه فى سبعين من بنى اسرآئيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة اى الصاعقة اورجفة الجبل فصعقوا منها

والموت دون شماتة الاعدآء * وتشميت العاطس وتسميته بالشين والسين الدعاء له بالخير وقيل الشين اعلى اللغتين **قوله** تعالى اتخذوا العجل — المفعول الثانى من مفعولى الاتخاذ محذوف والتقدير اتخذوا العجل الها معبودا قال الامام وللمفسرين فى هذه الآية طريقان الاول ان المراد بالذين اتخذوا العجل الذين باشروا عبادة العجل ورد عليه ان تلك الاقوام تاب الله عليهم بسبب ان قتلوا انفسهم توبة على ذنبهم فاذا تاب الله عليهم فكيف يمكن ان يقال فى حقهم سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا والجواب عنه ان ذلك الغضب انما حصل فى الدنيا لا فى الآخرة وهو ان الله تعالى امرهم بأن يقتلوا انفسهم والمراد بقوله وذلة فى الحياة الدنيا هو انهم قد ضلوا فذلوا ثم قال فان قيل السين فى قوله سينالهم للاستقبال فكيف يحمل هذا على حكم الدنيا قلنا هذا الكلام حكاية عما اخبر الله به موسى عليه الصلاة والسلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل واخبره فى ذلك الوقت ان سينالهم غضب من ربهم وذلة فلما قال الله تعالى ذلك لموسى عليه الصلاة والسلام قبل ان يتوب القوم بقتلهم انفسهم صح ان تدخل سين الاستقبال على الحكم المتعلق بالدنيا والطريق الثانى ان المراد بالذين اتخذوا العجل ابناؤهم الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم نسب اتخاذ العجل اليهم مع انه فعل آبائهم بناء على قاعدة العرب فانهم يعيرون الابناء بقبائح افعال الآباء ثم حكم عليهم بانهم سينالهم غضب من ربهم فى الآخرة وذلة فى الحياة الدنيا نحو الجلاء والنفى عن الاوطان وضرب الجزية ويجوز ان يكون التقدير ان الذين اتخذوا العجل اى الذين باشروا ذلك سينالهم اى سينال اولادهم على حذف المضاف لدلالة الكلام عليه والظاهر ان قول المصنف وهو ماامرهم به من قتل انفسهم يقتضى ان يراد بهم المباشرون وقوله وهو خروجهم من ديارهم حال ابنائهم ولعله حمل قوله الذين اتخذوا العجل على مايتناول الاصول والفروع **قوله** واشتغلوا بالايمان — حمل الايمان على الثبات عليه والعمل بمقتضاه لان اصل الايمان مقدم على التوبة والايمان المتأخر عنها هو الايمان الكامل الذى ينزل الايمان المقرون بالمعاصى عنده منزلة العدم **قوله** سكن — حمل السكوت على المعنى المجازى لان السكوت الحقيقى الذى هو قطع الكلام لايتصور من الغضب وهو من بديع الاستعارة بالكناية شبه الغضب بانسان يغرى موسى عليه الصلاة والسلام ويقول له قل لقومك كذا وكذا وألق الالواح وخذ برأس اخيك ثم يقطع الاغرآء ويترك الكلام ويمكن ان يشبه سكون الغضب بسكوته فيكون استعارة تبعية **قوله** اخذ الالواح التى ألقاها — اشارة الى ان الالواح المأخوذة هى الالواح المذكورة فى قوله وألقى الالواح وان شيأ منها لم ينكسر ولم يبطل وان ماروى من ان ستة اسباع التوراة رفعت الى السماء ليس كذلك بل انه قد كان وضعها فى موضع ليتفرغ لما قصد له لا رغبة عنها فلما فرغ عاد اليها فأخذها بعينها فعلى هذا قوله تعالى وفى نسختها معناه وفيما نسخ وكتب فيها نقلا من اللوح المحفوظ فان النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا كتبت كتابا من كتاب حرفا بعد حرف قلت نسخت ذلك الكتاب كأنك نقلت مافى الاصل الى الكتاب الثانى وقوله وفى نسختها هدى جملة اسمية فى محل النصب على انه حال من الالواح ورحمة عطف على هدى وقوله للذين متعلق بمحذوف لانه صفة لرحمة اى ورحمة كائنة للذين يرهبون ربهم وهم مبتدأ ويرهبون خبره والجملة صلة الموصول ولربهم مفعول يرهبون واللام فيه مقوية للفعل لانه لما تقدم معموله ضعف فقوى باللام كما فى قوله ان كنتم للرؤيا تعبرون فان اللام تكون مقوية حيث كان العامل مؤخرا اوفرعا نحو فعال لما يريد ويحتمل ان تكون اللام للعلة ويكون مفعول يرهبون محذوفا اى يرهبون معصية الله اوعقابه لاجل ربهم لا رياء ولا سمعة **قوله** وقيل فيما نسخ منها — مبنى على ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما ألقى موسى الالواح تكسرت فصام اربعين يوما فأعاد الله الالواح وفيها نقش مافى الاولى ولم يرض المصنف بهذا القول لان الظاهر ان تعريف الالواح فى قوله اخذ الالواح للعهد والمعنى اخذ الالواح التى ألقاها والحال ان فى تلك الالواح هدى ورحمة وحمل الكلام على معنى انه اخذ الالواح والحال ان فيما نسخ ونقل منها هدى بعيد **قوله** اى من قومه — اختار يتعدى الى اثنين الى اولهما بنفسه والى ثانيهما بحرف الجر يقال اخترت زيدا من الرجال ثم يتسع ويحذف الجار ويوصل الفعل بنفسه وقد يحذف المفعول الثانى رأسا فيقال اخترت زيدا وقومه مفعول ثان وسبعين اولهما والتقدير واختار موسى سبعين رجلا من قومه والاختيار افتعال من لفظ الخير كاصطفى من الصفوة يقال اختار الشئ اذا اخذ خيره وخياره قيل فيه دليل على ان كلهم لم يعبدوا العجل قال الكلبى اختار سبعين رجلا لينطلقوا معه الى الجبل فلم يجد الا ستين شيخا فأوحى الله اليه ان يختار من الشباب

عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا فأمرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى الميقات واختلفوا فى هذا الاختيار هل هو للخروج الى ميقات الكلام وسؤال موسى ربه بقوله رب ارنى انظر اليك او للخروج الى موضع آخر فقال بعض المفسرين انه للخروج الى ميقات الكلام وطلب الرؤية وهو الذى اختاره المصنف وقيل المراد من هذا الميقات غير ميقات الكلام وطلب الرؤية بل هو ميقات وقته الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام ليأتى فيه بسبعين رجلا من خيار بنى اسرآئيل ليعتذروا عما كان من القوم من عبادة العجل فان قوم موسى لما عبدوا العجل ثم تابوا امره الله تعالى ان يجمع سبعين رجلا ويحضروا موضعا يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرج موسى معهم وكانوا فى اسفل الجبل اخذتهم الرجفة اى زلزلة الجبل وقيل زلزلة بدا انهم ماتوا قيل فى سبب الرجفة ان هؤلاء السبعين وان كانوا ماعبدوا العجل الا انهم فارقوا عبدة العجل عند اشتغالهم بعبادة العجل وقيل انهم مابالغوا فى النهى عن عبادة العجل فلذلك اخذتهم الرجفة وقيل بل لكفرهم بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة لابسؤال الرؤية بل بسؤال الرؤية جهرة اى مقابلة وهى تشبيه وهو كفر واما اصل الرؤية فهو ثابت وقيل المراد بهذا الميقات ماروى عن على رضى الله عنه انه قال* ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى قالوا هو الذى قتل هرون فاختار موسى سبعين رجلا وذهبوا الى هرون فأحياه الله تعالى وقال ماقتلنى احد ولكنى توفانى الله تعالى فأخذتهم الرجفة هنالك* والرجفة الارتعاد والحركة الشديدة وفسرها المصنف بقوله اى الصاعقة لقوله تعالى فى سورة البقرة فى حق السبعين الذين اختارهم موسى لميقات واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك اى لاجل قولك بأن الله تعالى اعطاك التوراة وكلمك ولن نقر بأنك نبى حتى نرى الله جهرة اى عيانا فأخذتكم الصاعقة اى مايصعقون منه ويموتون وهى نار جاءت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون مااصابكم ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث فهذه الآية تدل على ان الرجفة والصاعقة شئ واحد ورجفة ابدانهم متفرعة على الصاعقة ﴿قوله تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى مارأى او بسبب آخر﴾ فالمعنى ليت مشيئتك تعلقت باهلاكنا قبل وقوع هذه الواقعة لكى لا نراها وهذا التمنى انما يستفاد من لو بحسب المقام والا فلو اذا كان للتمنى لايحتاج الى الجواب فان مفعول المشيئة محذوف ههنا اى لو شئت هلاكنا وقوله اهلكتهم جواب لو والاكثر ان يجاب باللام ولم يأت جواب لو مجردا عن اللام الاههنا وفى قوله لو نشاء اصبناهم وقوله لو نشاء جعلناه اجاجا عن مقاتل قال لما اخذتهم الرجفة كان موسى عليه الصلاة والسلام يبكى ويقول يارب مااقول لبنى اسرآئيل اذا رجعت اليهم وقد اهلكت خيارهم ولم يبق معى رجل واحد منهم لو شئت أمتهم واياى معهم من قبل ان يصحبونى ليعاين بنوا اسرآئيل مااصاب خيارهم ولايتهمونى ﴿قوله او عنى به الخ﴾ اى ويجوز ان لايكون المراد تمنى الهلاك بسبب آخر قبل هذه الواقعة بل يكون المراد دعاء الترحم عليهم بأن يبعثهم ويردهم الى قومهم سالمين فلما دعا موسى عليه الصلاة والسلام وتضرع كشف الله عنهم تلك الرجفة والاستفهام فى قوله أتهلكنا يجوز ان يكون على بابه اى أتعمنا بالاهلاك ام تخص السفهاء منا وقيل لايجوز ان يظن موسى عليه السلام ان الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم فيجب ان يحمل الاستفهام بمعنى النفى بمعنى انك ماتهلك من لم يذنب بذنب غيره كما تقول أتهين من يخدمك اى لاتفعل ذلك ونقل محيى السنة عن المبرد انه قال قوله تعالى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا الاستفهام استعطاف اى لاتهلكنا وارحمنا اذقد علم موسى ان الله تعالى اعدل من ان يأخذ احدا بجرم غيره ﴿قوله تعالى منا﴾ فى محل النصب على انه حال من السفهاء ويجوز ان يكون للبيان والمراد بما فعله السفهاء طلب رؤية الله تعالى عيانا فى ميقات مكالمة موسى ربه على الطور والسبعون اختارهم موسى لميقات المكالمة وطلب التوراة وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة والاعتذار عنها قال وهب لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيبة اخذتهم الرجفة وقلقوا ورجفوا حتى كادت تبين منهم مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزرآء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه فكشف الله تعالى عنهم تلك الرجفة فظن موسى عليه الصلاة والسلام انهم عوقبوا باتخاذ بنى اسرآئيل العجل فقال سائلا مستفهما أتهلكنا بما فعل السفهاء من عبادة العجل قال الواحدى ضمير هى فى قوله ان هى الافتنتك راجع الى الفتنة كما تقول ان هو الازيد وان هى

(قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى) تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى مارأى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم فى البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم (ان هى الافتنتك) ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا فى الرؤية او اوجدت فى العجل خوارا فزاغوا به (تضل بها من تشاء) ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل (وتهدى من تشاء) هداه فيقوى بها ايمانه

الاهتد و المعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الافتنتك اختبارك وابتلاؤك اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فثبتوا على الحق ﴿قوله وتبدلها بالحسنة﴾ وكل من سواك انما يتجاوز عن الذنب اماطلبا للثناء الجميل اوللثواب الجزيل او للرقة الجنسية في القلب واما انت فتغفر ذنوب عبادك لالطلب غرض وعوض بل لمحض الفضل والكرم فلا جرم انت خير الغافرين ﴿قوله تعالى واكتب لنا﴾ اى واثبت لنا واقسم وذكر الكتابة لانها ادوم وقيل اى وفقنا في الدنيا للحسنات التي يكتبها لنا الحفظة ﴿قوله ويحتمل ان يكون﴾ اى ان يكون هدنا بكسر الهاء فان هاد يهيد لما كان متعديا جاز ان يبنى للفاعل والمفعول بخلاف هاد يهود فانه لازم فلا يبنى للمفعول الاان هدنا بضم الهاء جاز ان يكون مبنيا للمفعول من هاد يهيد فاذا بنيته للمفعول تقول هيد يهاد كماتقول عيد المريض يعاد اصله عود بضم العين وكسر الواو فبعضهم ينقل كسرة الواو الى العين ثم يقلب الواو ياء لسكونها وانكسار ماقبلها فيقول عيد وبعضهم يحذف كسرة الواو فيقول عود وقد تقرر في الصرف ان مجهول قال فيه ثلاث لغات قول وقيل والاشمام وان قول لغة ضعيفة لثقل الضمة والواو وقوله انت ولينا يفيد الحصر اى لاولى لنا ولاناصر الاانت والمتوقع من الولى والناصر امران احدهما دفع الضرر والثاني تحصيل النفع ودفع الضرر مقدم على تحصيل النفع فلذلك بدأ بدفع الضرر حيث قال فاغفر لنا وارحمنا فان المغفرة عبارة عن اسقاط العقوبة والرحمة عبارة عن ايصال الخير فان الفاء فيه سببية ثم اتبعه بطلب تحصيل النفع حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة ولما حكى الله تعالى دعاء موسى ذكر بعده ماكان جوابا لموسى فقال تعالى قال عذابي اصيب به من اشاء اى اعذب من اشاء تعذيبه والتعذيب متعلق بمشيئتي وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكي ومن تصرف في خالص ملك نفسه فليس لاحد ان يعترض عليه واما رحمة الله تعالى فانها تعم الكل في الدنيا لانه ما من مسلم ولا كافر الا وعليه آثار نعمته ورحمته في الدنيا فبها يتعيشون وفيها يتقلبون لان الكافر يرزق ويدفع عنه البلاء لسعة رحمة الله فيعيش بها فاذا صارا الى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضئ بنور غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه بقي في الظلمة فتكون للمؤمنين خاصة في الآخرة وذلك قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون اى سأجعلها في الآخرة للذين يتقون الشرك والمعاصي عبر عن الجعل والاثبات بالكتابة لكونها ادوم واثبت * قال القشيري خص بالعذاب من يشاء وعم بالرحمة كل شئ وفيه مجال لآمال العصاة فانهم وان لم يكونوا مطيعين فهم داخلون تحت قوله كل شئ روى انه لما نزل قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شئ قال ابليس انامن ذلك الشئ قال الله عز وجل فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون فسمعها اليهود والنصارى وقالوا نحن نؤمن بالتوراة والانجيل ونؤدي الزكاة فاستلبها تعالى من ابليس واليهود والنصارى فجعلها لهذه الامة خاصة فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي وهو نبينا صلى الله عليه وسلم فانه رسول بالنسبة اليه تعالى ونبي بالنسبة الى امته وامي من حيث كونه على صفة امة العرب فان اكثرهم لايكتبون ولايقرأون ولا يحسبون والمشهور في الفرق بين الرسول والنبي ان الرسول من اوحي اليه كتاب يختص به مؤيدا بالمعجزات القاطعة والنبي من له معجزة قاطعة سواء كان صاحب كتاب ام لا فهواعم من الرسول وكونه عليه الصلاة والسلام اميا من جملة معجزاته فانه عليه الصلاة والسلام لوكان يحسن الخط والقراءة لصار متهما بانه ربماطالع في كتب الاولين فحصل هذه العلوم من تلك المطالعة فلما اتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على علوم الاولين والآخرين من غير تعلم ولا مطالعة كان ذلك من المعجزات الباهرة روى انه عليه الصلاة والسلام اجتاز في طريقه برجل من اليهود يمرّض ابناله فمال اليه فقال يايهودي هل تجدون نبي عندكم مكتوبا في التوراة * فاومأ اليه اليهودي برأسه يعلمه انهم لايجدونه عندهم مكتوبا في التوراة فقال له ابن اليهودي والله يارسول الله انهم يجدونك مكتوبا في التوراة ولقد طلعت وان في يده لسفرا من التوراة يقرأ فيه صفتك وصفة اصحابك وذكرك فلم ازل استره عنك فانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله فكان آخر ماتكلم به الغلام حتى قضى نحبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقيموا على اخيكم حتى تقضوا حقه قال الراوي فخلنا بين اليهودي وبينه وتولينا امره حتى واريناه وانصرفنا ﴿قوله فسأثبتها في الآخرة﴾ على ان تكون السين للتأكيد وقوله منكم حال مبنية لقوله تعالى للذين يتقون كأنه قيل فأكتبها للذين الموصوفين بهذه الصفات منكم خاصة يابني اسرائيل بشهادة قوله الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فان هذه الصفة مختصة بهم ﴿قوله اوكالربا والرشوة﴾ اشارة الى انه يجوز ان يراد بالطيبات

(انت ولينا) القائم بامرنا (فاغفر لنا) بمغفرة ماقارفنا (وارحمنا وانت خير الغافرين) تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة) حسن معيشة وتوفيق طاعة (وفي الآخرة) الجنة (انا هدنا اليك) تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا أماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى أملنا انفسنا وأملنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض (قال عذابي اصيب به من أشاء) تعذيبه (ورحمتي وسعت كل شئ) في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره (فسأكتبها) فسأثبتها في الآخرة اوفسأكتبها كتبة خاصة منكم يابني اسرائيل (للذين يتقون) الكفر والمعاصي (ويؤتون الزكاة) خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم (والذين هم بآياتنا يؤمنون) فلا يكفرون بشئ منها (الذين يتبعون الرسول النبي) مبتدأ خبره يأمرهم اوخبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين اوبدل من الذين يتقون بدل البعض اوالكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد (الامي) الذي لايكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) اسما وصفة (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات) مماحرم عليهم كالشحوم (ويحرم عليهم الخبائث) كالدم ولحم الخنزير اوكالربا والرشوة (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) ويخفف عنهم ماكلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اى يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم

والخبائث مايستطيبه الطبع ويستلذبه ومايستخبثه الطبع وينفر عنه فتكون الآية دليلا على ان الاصل في كل مايستطيبه الطبع الحل وفي كل مايستخبثه الحرمة الا لدليل منفصل ويجوز ان يراد بهما ماطاب في حكم الشرع وماخبث فدلول الآية حينئذ ان مايحكم الشرع بحله فهو حلال ومايحكم بحرمته فهو حرام ﴿قوله اى مع نبوّته﴾ فيكون معه متعلقا بأنزل حالا من الضمير فيه اى انزل مصاحبا لنبوّته وهو جواب عما يقال مامعنى قوله انزل معه وانما انزل معه جبريل عليه الصلاة والسلام ويجوز ان يتعلق باتبعوا فيكون ظرفا لاتبعوا فكأنه قيل واتبعوا القرآن مع اتباع سنن الرسول صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون حالا من فاعل اتبعوا اى اتبعوا القرآن مصاحبين له عليه الصلاة والسلام في متابعته فكما انه عليه الصلاة والسلام يتبع القرآن فكونوا معه في اتباعه ﴿قوله ومضمون الآية﴾ وهي قوله تعالى عذابي اصيب به من اشاء الى قوله اولئك هم المفلحون جواب دعاء موسى وهو قوله انت ولينا فاغفر لنا الى آخر الآية فانه عليه الصلاة والسلام دعا لنفسه ولبني اسرآئيل بمغفرة الذنوب والخطيئات وبالرحمة وكرامة الدارين لان المغفرة هي اسقاط العقوبة والرحمة ايصال الخير واكد سؤال الاوّل بقوله وانت خير الغافرين وفصل سؤال الرحمة الى استدعاء الرحمة الدنيوية بقوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة والى استدعاء الرحمة الاخروية بقوله وفي الآخرة وتقرّب اليه تعالى في تحصيلها بقوله انا هدنا اليك فلما كان حاصل مسألته دفع العذاب وتحصيل الرحمة الدنيوية والاخروية * اجابه تعالى بقوله عذابي اصيب به من اشاء فكأنه قيل اما حديث العذاب فيتعلق بمشيئتي لاقدرة لأحد على دفعه ولا اعتراض عليّ واما الرحمة الدنيوية فهي عامة للمؤمن والكافر والبرّ والفاجر واما الاخروية فمخصوصة بالموصوفين بالتقوى وايتاء الزكاة والايمان بجميع الآيات ومتابعة الرسول النبيّ الاميّ صلى الله عليه وسلم وهذه الاوصاف انما تجمع في الموجودين في زمان نبوّته عليه الصلاة والسلام ممن آمن به من بني اسرآئيل كما اشار اليه المصنف بقوله خاصة منكم يابني اسرآئيل فان قوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انما يتحقق في حقهم واما من كان وجودهم قبل زمان نبوّته عليه الصلاة والسلام فان اتباعهم لايمكن قبل وجوده وبعثته * فان قيل الرحمة الاخروية لو اختصت ببني اسرآئيل الموجودين في زمانه عليه الصلاة والسلام لزم ان لاتثبت لغيرهم من المؤمنين وليس كذلك * فالجواب ان هذا الاختصاص ليس معناه ان الرحمة الاخروية لاتتجاوز الى غيرهم اصلا بل المراد باختصاصها بهم بحسب الاضافة والنسبة الى طائفة اخرى وهي من لم يؤمن به عليه الصلاة والسلام من بني اسرآئيل الموجودين في زمانه * فان قيل الضمير في قوله تعالى فسأكتبها راجع الى الرحمة المذكورة والرحمة المذكورة هي الرحمة العامة الوسعة كل شئ وكيف تختص بجماعة معينين * والجواب ان الرحمة المذكورة هي الرحمة المطلقة التي اخبر عنها بانها عامة في الدنيا مختصة في الآخرة وانما ذكر اختصاص الرحمة بهذه الطائفة في جواب موسى ليتخلص من قصته الى ذكر سيد المرسلين ومدحته وانه من التخلصات الفائقة والتلفيفات الرائقة ولاسيما قد عقبه بقوله فالذين آمنوا به وعزروه وقوله قل ياايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا * فان قيل ان موسى عليه السلام دعا لنفسه ولبني اسرآئيل بالمغفرة والرحمة * والجواب بأن العذاب لجماعة والرحمة لجماعة كيف يطابق دعاءه عليه الصلاة والسلام * قلت انه مطابق له على وجه يشتمل على ترهيب بني اسرآئيل وترغيبهم اما ترهيبهم فلأن قوله عذابي اصيب به من اشاء توبيخ لهم على كفرهم بآيات الله وطلبهم الرؤية جهرة وقد عرّض بذلك اى بكفرهم بالآيات في قوله بآياتنا يؤمنون واما ترغيبهم فبقوله فسأكتبها لانهم لما سمعوا انّ الرحمة الاخروية لمن آمن من اعقابهم بجميع آيات الله كان ترغيبا لهم في الايمان بالآيات والعمل الصالح واذا تقرّر هذا ظهر كون مضمون الآية جوابا لدعاء موسى عليه الصلاة والسلام ﴿قوله بيان لما قبله﴾ وهو صلة الموصول يعني قوله لااله الا هو بدل من الصلة قبله وفيه بيان لها لان من ملك العالم كان هو الاله المنفرد بالالوهية فلا يكون له محل من الاعراب كالصلة وقوله يحيي ويميت بيان لقوله لااله الا هو سيق لبيان اختصاصه بالالهية لانه لايقدر على الاحياء والاماتة الا الاله ﴿قوله وانما عدل عن التكلم﴾ فان مقتضى قوله اني رسول الله ان يقال فآمنوا بالله وبي الا انه عدل عن الضمير الى الاسم الظاهر لتجرى عليه الصفات المذكورة فان الضمير لايوصف ولا يوصف به والصفات المذكورة داعية الى الايمان اما كونه نبيا فظاهر واما كونه اميّا فلما مرّ انه معجزة من معجزاته عليه الصلاة والسلام ﴿قوله في خطط الضلالة﴾ اى في دآئرتها جمع خطة بكسر الخاء وهي الارض التي يخطها

(فالذين آمنوا به وعزروه) وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير (ونصروه) لي (واتبعوا النور الذي انزل معه) اى مع نبوّته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اى واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة (اولئك هم المفلحون) الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه السلام (قل ياايها الناس اني رسول الله اليكم) الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم (جميعا) حال من اليكم (الذي له ملك السموات والارض) صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف الذي اضيف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره (لااله الا هو) وهو على الوجوه الاوّل بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لاغيره وفي (يحيي ويميت) مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية (فآمنوا بالله ورسوله النبيّ الاميّ الذي يؤمن بالله وكلماته) ماانزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له (واتبعوه لعلكم تهتدون) جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدّقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة

الرجل لنفسه بأن يعلم عليها علامة بالخط ليعلم انه قد اختارها ليبنيها دارا ومنه خطط الكوفة والبصرة ﴿قوله والمراد بها الثابتون الايمان﴾ فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام ولم يزيغوا عن الحق كما زاغ عبدة العجل والذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وقيل المراد بها الذين ادركوا نبينا عليه الصلاة والسلام من بنى اسرآئيل وآمنوا به كعبدالله بن سلام وابن صوريا ونحوهما ورد عليه انهم كانوا قليلين فى العدد ولفظ الامة يقتضى الكثرة واجيب بانهم لما كانوا مخلصين فى الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كما فى قوله تعالى ان ابراهيم كان امة وقيل المراد بها قوم وراء الصين وذلك ان بنى اسرآئيل لما كفروا وقتلوا انبياءهم وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم سربا فى الارض وجعل امامهم المصابيح تضيء لهم بالنهار فاذا أمسوا ونزلوا اظلم عليهم السرب فاذا اصبحوا اضاءت لهم المصابيح ومعهم نهر من ماء يجرى واجرى الله تعالى عليهم ارزاقهم فساروا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا من وراء الصين الى ارض بأقصى المشرق طاهرة طيبة فنزلوا وهم مختلطون بالسباع والوحوش والهوام لا يضر بعضهم بعضا من اجل انه ليست لهم ذنوب وهم متمسكون بالاسلام لا يعصون الله تعالى طرفة عين تصافحهم الملائكة فهم فى منقطع من الارض لا يصل احد منا اليهم ولا منهم الينا وانهم كبنى اب واحد ليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون * روى انه عليه الصلاة والسلام قال جبريل ليلة المعراج انى احب ان ارى القوم الذين اثنى الله عليهم فقال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون * فقال ان بينك وبينهم مسيرة ست سنين ذاهبا وست سنين راجعا ولكن سل ربك فدعا النبى صلى الله عليه وسلم وأمن جبريل عليه السلام فأوحى الله الى جبريل ان اجبه الى ما سأل فركب البراق فخطى خطوات فاذا هو بين اظهر القوم فسلم عليهم وسالوه من انت فقال انا النبى الامى فقالوا انت الذى بشر بك موسى عليه الصلاة والسلام فمن معك قال اوترونه قالوا نعم قال هذا جبريل قال فرأيت قبورهم على ابواب دورهم قلت ولم ذلك قالوا اذا لئلا نجد أن نذكر الموت صباحا ومساء قال ارى بنيانكم مستويا قالوا لئلا يشرف بعضنا على بعض ولئلا يسد احد على احد الريح والهواء قال مالى لا ارى لكم قاضيا ولا سلطانا قالوا انصف بعضنا بعضا واعطينا الحق من انفسنا فلم نحتج الى قاض ينصف بيننا قال مالى ارى اسواقكم خالية قالوا نزرع جميعا ونحصد جميعا فيأخذ كل رجل منا ما يكفيه ويدع الباقى لاخيه قال مالى ارى هؤلاء القوم يضحكون قالوا مات لهم ميت فيضحكون سرورا بما قبض عليه من التوحيد قال فما لهؤلاء القوم يبكون قالوا ولد لهم مولود فهم لا يدرون على اى دين يقبض قال فاذا ولد لكم ذكر فماذا تصنعون قالوا نصوم لله شكرا شهرا قال فالانثى قالوا نصوم لله شكرا شهرين قال ولم قالوا لان موسى عليه الصلاة والسلام اخبرنا ان الصبر على الانثى اعظم اجرا من الصبر على الذكر قال أفتزنون قالوا وهل يفعل ذلك احد لو فعل ذلك احد لحصبته السماء من فوقه وخسفت به الارض من تحته قال أفتربون قالوا انما يربى من لا يؤمن برزق الله قال أفتمرضون قالوا لا نمرض ولا نذنب انما يذنب امتك فيمرضون ليكون ذلك كفارة لذنوبهم قال اولكم سباع وهوام قالوا نعم تمر بنا ونمر بها ولا تؤذينا ولا نؤذيها فعرض النبى صلى الله عليه وسلم عليهم شريعته والصلوات الخمس وعلمهم الفاتحة وسورا من القرآن قيل انهم كانوا يسبتون فأمرهم ان يتركوه وان يجمعوا وقيل انهم قالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا فقال من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه منى السلام فرد محمد على موسى السلام عليهما الصلاة والسلام ﴿قوله فانه متضمن معنى صير﴾ يعنى ان قطع انما يتعدى الى واحد فان ابقى على اصل معناه يكون انتصاب اثنتى عشرة بالحالية لا بالمفعولية لانه حال من مفعول قطعناهم اى فرقناهم معدودين بهذا العدد وان جعلناه متضمنا معنى صير يكون مفعولا ثانيا له ﴿قوله وتأنيثه﴾ يعنى ان اثنتى عشرة سواء جعل مفعولا ثانيا لصيرناهم او حالا من مفعول قطعناهم عبارة عن قوم موسى فحقه ان يقال اثنى عشر الا انه انث اسم عددهم نظرا الى ان القوم فى معنى الامة او القطعة وتمييز اثنتى عشرة محذوف حذف للعلم به تقديره اثنتى عشرة امة او فرقة واسباطا بدل من ذلك التمييز وانما قلنا ان التمييز محذوف ولم تجعل اسباطا مميزا له لوجهين الاول ان الاسباط لو كان مميزا لكان العدد مذكرا لان الاسباط جمع سبط وهو مذكر فكان ينبغى ان يقال اثنى عشر اسباطا والثانى ان مميز احد عشر الى تسعة عشر يكون مفردا منصوبا واسباطا جمع فلا يصلح ان يكون مميزا له وجوز ان يكون اسباطا تمييزا له بناء على ان كل فرقة من الفرق المتقطعة من بنى اسرآئيل ليس سبطا واحدا بل اسباطا لان السبط ولد الولد فلو قيل قطعناهم اثنى عشر

(سبطا)

﴿ومن قوم موسى﴾ يعنى بنى اسرائيل ﴿امة يهدون بالحق﴾ يهدون الناس محقين او بكلمة الحق ﴿وبه﴾ وبالحق ﴿يعدلون﴾ بينهم فى الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه أتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به ﴿وقطعناهم﴾ اى قوم موسى وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض ﴿اثنتى عشرة﴾ مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة ﴿اسباطا﴾ بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتى عشرة اسباط وكأنه قيل اثنتى عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها ﴿امما﴾ على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثانى بدل من اسباطا

(واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه) فى التيه (ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست) اى فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى عليه السلام لم يتوقف فى الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل فى ذاته (منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس) كل سبط (مشربهم وظللنا عليهم الغمام) ليقيهم حرّ الشمس (وانزلنا عليهم المنّ والسلوى كلوا) اى وقلنا لهم كلوا (من طيبات مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون) سبق تفسيره فى سورة البقرة (واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية) باضمار اذكر والقرية بيت المقدس (وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا) مثل ما فى سورة البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قوله قولوا على وادخلوا فلا أثر له فى المعنى لانه لم يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما (نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين) وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثانى مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس فى مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو خطايا كم (فبدّل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون) مضى تفسيره فيها (واسألهم) للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التى لاتعلم الا بتعليم او وحى ليكون ذلك معجزة لك عليهم

سبطا لكان المعنى اثنى عشر ولد ولد وليس المراد ذلك بل المراد اثنتا عشرة قبيلة اسباطا فحذف ماهو المميز حقيقة وهو القبيلة واقيم صفته وهو اسباطا مقامه واعرب باعرابه والاسباط فى بنى اسرآئيل كالقبائل فى العرب وهو تعالى لما اخرجهم من ارض مصر وادخلهم البرية جعلهم اثنتى عشرة فرقة قبائل شتى ليكون امر كل سبط متعرفا من جهة رئيسهم فيخف الامر على موسى فيما يحتاج اليه من تعرف احوالهم ويسهل عليه جمعهم ويعلم كل فريق مرجعهم فى امورهم وانحصار الفرق فى اثنتى عشرة فرقة لانهم كانوا من اثنى عشر رجلا من اولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام فأنعم الله عليهم بهذا التقطيع والتمييز لتنتظم احوالهم ولئلا يتحاسدوا فيقع فيهم الهرج والمرج ثم ذكر ما انعم به عليهم فى التيه اذا احتاجوا الى مايشربونه قال المفسرون عطش بنوا اسرآئيل فى التيه فقالوا ياموسى من اين لنا الشراب فاستسقى لهم موسى اى سأل الله ان يسقيهم الماء فأوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك الحجر قال ابن عباس وكان حجرا خفيفا مربعا مثل رأس الرجل امر أن يحمله معه وقيل كان يضعه فى مخلاته احتياطا من الفقدان لانه كان مأمورا بضرب حجر معين كذا فى الكشف فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فتنفجر منه عيون لكل سبط عين ﴿قوله فانبجست﴾ يقال بجست الماء فانبجس اى فجرته فانفجر وبجس الماء بنفسه يبجس يتعدى ولا يتعدى فالانبجاس والانفجار سوآء وقيل الانبجاس خروج الماء بقلة والانفجار خروجه بكثرة فطريق الجمع بين هذه الآية ومافى سورة البقرة ان الماء ابتدأ بالخروج قليلا ثم صار كثيرا وقيل كان فى ذلك الحجر اثنتا عشرة حفرة فكانوا اذا نزلوا وضعوا الحجر وجاء كل سبط الى حفرته فحفروا الجداول الى اهلها فذلك قوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم اى موضع شربهم ﴿قوله تعالى وماظلمونا﴾ فيه اختصار لان هذا الكلام انما يحسن ذكره لو انهم تعدّوا ما امرهم الله به واصله فظلموا بأن كفروا هذه النعم ومعلوم ان المكلف اذا ارتكب المحظور فهو ظالم لنفسه واشتقاق القرية من قريت اى جمعت والمقراة الحوض الذى يجمع فيه الماء ويقال لبيت النمل قرية لانه يجمع فيه النمل وسميت البلدة قرية لاجتماع اهلها فيها والمراد بالباب باب القرية وقيل باب القبة التى يتعبد فيها موسى وهرون وحطة فعلة من الحط كالردة من الرد والحط وضع الشئ من اعلى الى اسفل كوضع الحمل من ظهر الدابة والمراد بالحطة ههنا المغفرة وحط الذنوب وقيل انهم اصابوا خطيئة بابائهم على موسى دخول الارض التى فيها الجبارون ولاجل تلك الخطيئة تاهوا فى تلك المفازة اربعين سنة عقوبة لهم على ابائهم على موسى عليه الصلاة والسلام دخول مدينة الجبارين وكانت المفازة بحيث يتيه اى يتحير من سار فيها فأراد الله ان يغفر لهم فقال لهم قولوا حطة اى قولوا مسألتنا حط ذنوبنا عنا او أمرك حطة قال فى الكشف اى شأنك يا ربنا ان تحط ذنوبنا وقيل معناه امرنا حطة اى نحط ونترك فى هذه القرية ونقيم بها ﴿قوله وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء﴾ اى المضمومة وفتح الفاء والباقون بالنون المفتوحة وكسر الفاء وقرأ ابو عمرو خطايا كم على لفظ قضايا كم من غير همزة وابن عامر خطيئتكم بالهمزة ورفع التاء من غير الف على التوحيد ونافع كذلك الا انه على الجمع والباقون على الجمع وكسر التاء كذا فى التيسير ﴿قوله وانما اخرج الثانى مخرج الاستئناف﴾ اى حيث جيئ به مرفوعا ولم يعطف على ماهو مجزوم جوابا للامر لانه لو عطف عليه مجزوما لفهم ان اثابة المحسن مسببة عن امتثال ما امروا به كما ان مغفرة المسيئ مسببة عنه وليس الامر كذلك بل الامتثال توبة للمسيئ وسبب لمغفرته بخلاف اثابة المحسن فانها محض تفضل ﴿قوله فبدّل الذين ظلموا منهم قولا﴾ فى الكلام حذف لان بدّل يتعدى الى اثنين الى احدهما بالباء وهو المتروك والى الآخر بغير الباء وهو المأخوذ والتقدير فبدّل الذين ظلموا بالذى قيل لهم قولا غيره والظاهر ان الذى امروا به ان يقولوا لفظا يؤدّى مايؤدّيه لفظ حطة لا ان يقولوا هذه اللفظة بعينها والمراد انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به روى انهم قالوا حنطة مكان حطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمعوثا اى حنطة حمرآء استهزآء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب عفو الله ورحمته الى طلب مايشتهون من اعراض الدنيا ولو جاؤا بلفظ آخر يفيد معنى ما امروا به مثل ان يقولوا مكان حطة نستغفرك ربنا ونتوب اليك او اللهم اغفرلنا او ما اشبه ذلك لم يؤاخذوا به والرجز فى الاصل مايعاف وكذلك الرجس والمراد به الطاعون روى انه مات به فى ساعة واحدة اربعة وعشرون ألفا ﴿قوله للتقرير والتقريع﴾ اى ليس المقصود من السؤال استعلام مالم يعلمه السائل لانه عليه الصلاة والسلام قد علم هذه القصة من قبل الله تعالى بالوحى بل المقصود ان يحملهم الرسول صلى الله عليه وسلم على ان يقرّوا بقديم كفرهم ومخالفة

اسلافهم الانبياء بارتكاب المعاصي والمعنى قل لهم الم يكن كذا وكذا حتى يصدقوك ويفتضحوا بذلك ومع ذلك
يتضمن هذا السؤال اظهار معجزة لهم فان الانسان قد يقول لغيره اليس الامر كذا وكذا ليعرف ذلك الغير بانه عالم
بتلك الواقعة غير غافل عنها فانهم كانوا يكتمون هذه القصة لما فيها من الشنعة عليهم فاطلع الله تعالى نبيه عليها لتكون
من جملة معجزاته عليه الصلاة والسلام ولما كان عليه الصلاة والسلام رجلا اميا لم يتعلم علما ولم يطالع كتابا ومع
ذلك ذكر هذه القصة على وجهها من غير تفاوت ولا زيادة ولا نقصان تعين انه عليه الصلاة والسلام انما علم ذلك
بالوحي فكان اخباره بذلك معجزة وبرهانا دالا على صدقه في دعوى النبوّة ﴿قوله عن خبرها﴾ قدّر المضاف
لان المسئول عنه ليس نفس القرية بل خبرها وما وقع باهلها وقوله تعالى اذ يعدون في السبت يجوز ان يكون
منصوبا بكانت او بحاضرة اى كانت حاضرة البحر وقت عدوانهم وتجاوزهم عما حدّ لهم من تعظيم يوم السبت
وان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة وفي تقييد العامل بتحقق مضمونه في ذلك الوقت اشارة الى ان القرية خربت بعد
ذلك الوقت وجاز ان يكون منصوبا بالمضاف المقدر اى واسألهم عن خبر القرية اذ يعدون وجعله بدل اشتمال من ذلك
المضاف محل بحث لان اذ لا يتصرّف فيها ولا يدخل عليها حرف جرّ وجعلها بدلا يجوّز دخول كلمة من عليها لان
البدل على نية تكرار العامل ولا يتصرّف فيها الا بان يضاف اليها بعض الظروف الزمانية نحو يومئذ كان كذا ﴿قوله
وقرئ يعدّون﴾ بفتح العين وتشديد الدال وهي تشبه قرآءة نافع وهي تعدّوا في السبت والاصل تعتدوا فادغمت
التاء في الدال لقرب المخرج وقرئ يعدون بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال من اعدّ يعدّ اعدادا اذا هيأ فانه
روى انهم كانوا مأمورين في يوم السبت بالعبادة فتركوها وهيأوا آلات الصيد ﴿قوله اذ تأتيهم ظرف
ليعدون﴾ اى عدوا اذ اتاتهم لان اذ لما مضى فيصرف المضارع الى الماضي ﴿قوله ويؤيد الاوّل﴾ اى
يؤيد كون السبت مصدرا امران الاوّل قرآءة اسباتهم على لفظ المصدر والثاني قوله تعالى ويوم لا يسبتون
اى ويوم لا يفعلون عمل يوم السبت من تعظيمه بترك الصيد والاشتغال بالعبادة فان يوم لا يسبتون في مقابلة يوم
سبتهم ولا يسبتون من السبت الذي هو مصدر لا من السبت الذي هو اسم اليوم فيكون سبتهم ايضا مصدرا ليتحقق
مقابلة الفعل بترك الفعل يقال اسبتت اليهود اى دخلت في يوم السبت وسبتت اى قامت بأمر سبتها وعملت فيه
ما يعمل في السبت ويقال ايضا سبت علاوته سبتا اذا ضرب عنقه ومنه سمى يوم السبت لانقطاع الايام عنده
والجمع اسبت وسبوت وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * من احتجم يوم السبت واصابه برص فلا يلومنّ
الا نفسه * ﴿قوله تعالى كذلك نبلوهم﴾ مستقبل بمعنى الماضي اى امتحناهم مثل هذا الاختبار الشديد
بفسقهم وعصيانهم بالله فيكون تمام الكلام على هذا عند قوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك وتكون الكاف
في موضع النصب بنبلوهم اى بلوناهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الذي وقع بهم في امر الحيتان قال
المفسرون ان اليهود امروا بتعظيم السبت وحرّم عليهم فيه الصيد فاذا كان يوم السبت شرعت ودنت لهم الحيتان
ينظرون اليها فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تر الى السبت المقبل بلاء ابتلوا به بفسقهم ومجاهرتهم بالمعاصي عقوبة
لهم وروى عن الامام ابي منصور ابتلاهم الله تعالى بذلك النهي ليرى الخلق المطيع منهم والعاصي وان ذلك
الامام نقل عن آخرين انهم قالوا ابتلاهم بذلك لما كانوا يفسقون في السرّ ليكون فسقهم وتعذيبهم ظاهرا عند
الخلق كما كان ظاهرا عند الله لئلا يقولوا عند التعذيب انهم عذبوا بلا ظلم ولا تعدّ وقيل تمام الكلام عند قوله
كذلك والمعنى ويوم لا يسبتون لا تأتيهم الحيتان مثل ذلك الاتيان الذي تأتيه يوم السبت ثم استأنف فقال نبلوهم
بما كانوا يفسقون والكاف على هذا في موضع النصب بالاتيان اى لا تأتيهم مثل ذلك الاتيان وهو الاتيان
شرّعا وظاهر النظم يدل على ان الباء متعلقة بقوله نبلوهم الا ان المصنف جعلها متعلقة بيعدون نظرا الى ان كون
الاعتداء بالفسق سببا لتعذيبهم بارتكاب ما نهوا عنه اقرب من كونه سببا للابتلاء بذلك البلاء ﴿قوله مخترمهم﴾
اى مستأصلهم ومطهر الارض منهم يقال اخترمهم الدهر وتخرّمهم اى اقتطعهم واستأصلهم ﴿قوله قالوه
مبالغة﴾ جواب عما يقال كيف يصح من الصلحاء ان يقولوا لم تعظون مع ان الظاهر منه ان يكون انكارا للوعظ
والنهي عن المنكر واجب وانكار النهي عن المنكر معصية بعيدة من الصلحاء * وتقرير الجواب ان الصلحاء لم يقولوا
ذلك انكارا لوعظهم وانما قالوه اما مبالغة في بيان عدم انتفاعهم بالوعظ او سؤالا عن علة موعظة قوم شأنهم
الاعراض عن القبول والاستخفاف بالوعظ والانهماك في الضلال حتى اشرفوا بذلك على ان يهلكهم الله تعالى

(عن القرية) عن خبرها وما وقع باهلها
(التي كانت حاضرة البحر) قريبة منه وهي
ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر
وقيل مدين وقيل طبرية (اذ يعدون في السبت)
يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ
ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف
او بدل منه بدل الاشتمال (اذ تأتيهم حيتانهم)
ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدّون
واصله يعتدون ويعدّون من الاعداد اى
يعدّون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا
ان يشتغلوا فيه بغير العبادة (يوم سبتهم شرّعا)
يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود
اذا عظمت سبتها بالتجرّد للعبادة وقيل اسم
لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه
ويؤيد الاوّل ان قرئ يوم اسباتهم وقوله
(ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) وقرئ لا يسبتون
من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى
لا يدخلون في السبت وشرّعا حال من الحيتان
ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا
اذا دنا واشرف (كذلك نبلوهم بما كانوا
يفسقون) مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم
بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله
اى لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء
متعلق بيعدون (واذ قالت) عطف على
اذ يعدون (امّة منهم) جماعة من اهل القرية
يعني صلحاءهم وهم الذين اجتهدوا في
موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم (لم تعظون
قوما الله مهلكهم) مخترمهم (او معذبهم عذابا
شديدا) في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه
مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن
علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم او قول
من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم

او يعذبهم عذابا شديدا ثم بين انه يحتمل ان يقول ذلك بعض الصلحاء و المجتهدين فى الموعظة و النهى عن المنكر لبعض
آخرا و ان يقوله من ارعوى و امتنع عن الموعظة بعد الاجتهاد البليغ فيها لمن لم يرعو منهم عنها فعلى الاول اهل القرية
تكون فرقتين فرقة مذنبة صادوا السمك و فرقة صلحاء وعظوا الفرقة المذنبة و نهوهم و هذه الفرقة تقاولوا فيما
بينهم بذلك و على الثانى تكون اهل القرية ثلاث فرق فرقة مذنبة و فرقتان صالحتان اجتهد كل واحدة منهما
فى موعظة الفرقة المذنبة ثم ان احدى هاتين الفرقتين ارعوت عن موعظة الفرقة المذنبة ليأسهم من القبول
والاخرى لم ترعو عنها و قالت الفرقة الساكتة من هاتين الفرقتين للاخرى لم تعظون ﴿قوله وقيل المراد﴾
اى بقوله تعالى و اذ قالت امة منهم اى قالت طائفة من الفرقة الهالكة للفرقة الصالحة حين وعظوهم لم تعظون قوما الله
مهلكهم او معذبهم بزعمكم فعلى هذا تكون اهل القرية فرقتين فرقة مذنبة و فرقة واعظة و تجيب الفرقة المذنبة
وعاظهم بأن يقولوا لم تعظون قوما الى آخرها الا ان يكون القائلين هم الموعوظون المذنبون خلاف ظاهر قوله
تعالى معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون ولذلك ضعفه المصنف و المعذرة اسم مصدر وهو العذر وقيل انها بمعنى الاعتذار
والعذر التنصل من الذنب اى التبرى منه قرأ العامة معذرة بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف اى موعظتنا
معذرة و قرأ حفص عن عاصم بالنصب على انها مصدر فعل مقدر من لفظها اى اعتذرنا به معذرة او على العلة
اى وعظناهم لاجل المعذرة و معناه ان الامر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء العصاة عذرا الى الله تعالى
ولعلهم يتقون الله و يتركون المعصية لان قبول الحق الواضح يرجى من الانسان ﴿قوله تركوا ترك الناس﴾
يعنى ان قوله تعالى نسوا استعارة تبعية شبه تركهم عمدا ما وعظوا به بترك من تركه سهوا او نسيانا فاطلق عليه اسم النسيان
استعارة تصريحية فاشتق منه نسوا و صير الى المجاز لتعذر الحمل على الحقيقة ﴿قوله بعذاب بئيس﴾
بفتح الباء و همزة مكسورة بعدها ياء ساكنة مثل رئيس اى بعذاب ذى بأس و هو الشدة و قرأ ابو بكر بيئس
بفتح الباء و همزة مفتوحة بعد الياء الساكنة و ابن عامر بئس بكسر الباء و همزة ساكنة بعدها على انه صفة على وزن
فعل اصله بئس بفتح الباء و كسر الهمزة خفف كما فى كبد و كتف بأن قيل كبد و كتف و نافع بيس بكسر الباء من
غير همز مثل عيس على قلب الهمزة ياء او على انه فعل الذم نقل الى الاسمية فوصف به و قرئ بيس بتشديد الياء كميت
وريس اصله بيئس قلبت همزته ياء و ادغم الياء فى الياء و بيس بياء ساكنة على التخفيف كهين فى هين و بأس على
فاعل ﴿قوله تكبروا عن ترك ما نهوا عنه﴾ فسر العتو بالتكبر و التمرد و العناد و فى جميع ذلك معنى الاباء و الاباء عن
المنهى عنه انما يكون بالاطاعة و معلوم ان الاطاعة لكونها لا توجب العقوبة غير مراد ههنا فلذلك قدر المضاف
و التكبر عن ترك المنهى عنه انما يكون بارتكابه الذى يوجب العقوبة ﴿قوله كقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون﴾ يعنى ان قوله تعالى قلنا لهم كونوا قردة ليس المراد به انه تعالى كونهم قردة بقول و كلام
سمع يدل على طلب التكوين لان حمل الكلام على الامر بعيد من حيث ان المأمور بالفعل يجب ان يكون قادرا
عليه و القوم ما كانوا قادرين على ان يقلبوا انفسهم قردة و ايضا الامر بالكون ان كان حال وجود المكون فلا وجه
للامر و ان كان حال عدمه فكذلك اذ لا معنى لان يؤمر المعدوم بأن يوجد بنفسه بل المراد انه تعالى مسخهم قردة
بتعلق قدرته و ارادته بذلك الا انه اخرج الكلام على طريق الاستعارة التمثيلية بأن شبه تأثير قدرة الله تعالى
فى المراد من غير توقف و امتناع و من غير مزاولة عمل و استعمال آلة بأمر المطاع للمطيع فى حصول المأمور به من
غير امتناع و توقف فاستعير قوله تعالى كونوا قردة من امر المطاع للمطيع لتأثير قدرته فى المكون و ليس ثمة قول و لا
امر و لا مامور حقيقة ﴿قوله و الظاهر يقتضى ان الله تعالى عذبهم اولا﴾ اى الظاهر ان العذاب البئيس
المذكور اولا غير المسخ المذكور بعده و ان القوم تمردوا مع نزول ذلك العذاب فمسخهم الله تعالى قردة بعد ذلك و ان
جاز ان يكون قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه تكريرا للآية الاولى و تفصيلا لها ﴿قوله اى أعلم﴾ و المعنى اذكر
يا محمد اذ أعلم الله اسلافهم على ألسنة انبيائهم انهم ان غيروا او بدلوا و لم يؤمنوا بالنبى الامى سلط الله عليهم العرب
يقاتلونهم الى ان يسلموا او يعطوا الجزية كذا فى التيسير فضمير عليهم على هذا ينبغى ان يرجع الى من وجد فى عصره
عليه الصلاة و السلام يعنى ان تأذن مثل توعد بمعنى اوعد الا ان الايذان قد يراد به التبيين و الاعلام للغير و هو قوله اى
اعلم و قد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال تأذن ربك اى قال ربك و قد يراد به العزم على الامر و تصميم
النية الجازمة القاطعة كقوله * لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل * اى لمن يقطعه بالنية و عزم الله تعالى على الامر

وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة
اجابوا به وعاظهم ردا عليهم و تهكما بهم
(قالوا معذرة الى ربكم) جواب للسؤال اى
موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى
تفريط فى النهى عن المنكر و قرأ حفص معذرة
بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به
معذرة او وعظناهم معذرة (ولعلهم يتقون)
اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك (فلما نسوا)
تركوا ترك الناسى (ما ذكروا به) ما ذكرهم به
صلحاؤهم (انجينا الذين ينهون عن السوء
واخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء و مخالفة
امر الله (بعذاب بئيس) شديد فعيل من بؤس
يبؤس بؤسا اذا اشتد و قرأ ابو بكر بيئس على
وزن فيعل كضيغم و ابن عامر بئس بكسر الباء
و سكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ به
فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد
فى كبد و نافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت
فى ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل
اسما و قرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء
ثم ادغامها و بيس على التخفيف كهين و بأس
كفاعل (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم
(فلما عتوا عما نهوا عنه) تكبروا عن ترك
ما نهوا عنه كقوله تعالى و عتوا عن امر ربهم
(قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) كقوله انما
قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
و الظاهر يقتضى ان الله تعالى عذبهم اولا
بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم و يجوز
ان تكون الآية الثانية تقريرا و تفصيلا للاولى
روى ان الناهين لما يئسوا من اتعاظ المعتدين
كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه
باب مطروق فأصبحوا يوما و لم يخرج اليهم
احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا
عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم و لكن
القرود تعرفهم فجعلت تأتى أنسباءهم و تشم
ثيابهم و تدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث
و عن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم
(و اذ تأذن ربك) اى اعلم تفعل من الايذان
بمعناه كالتوعد و الايعاد او عزم لان العازم
على الشئ يؤذن نفسه بفعله

عبارة عن تقرر ذلك الامر فى علمه و تعلق ارادته بوقوعه فى الوقت المقدر له عبر عن الارادة الجازمة و القصد المستحكم بالايذان لما فيه من معنى ايذان المريد نفسه بفعل ما اراده لما شرح الله تعالى بعض فضائح اعمال اليهود و قبائح افعالهم ذكر فى هذه الآية انه تعالى حكم عليهم بالذل و الصغار و فرقهم فى اطراف الارض و نواحيها و لم يجعل منهم ملكا يجتمعون عنده و يمتنعون به عن قهر من يعاديهم و استمر ذلك عليهم الى يوم القيامة ﴿قوله الى يوم القيامة﴾ متعلق بقوله ليبعثن و اللام فيه لام جواب القسم لان قوله و اذ تأذن جار مجرى القسم من حيث دلالته على تأكيد الخبر المؤذن به * و قوله ليسلطن على اليهود اشارة الى ان ضمير عليهم لا يرجع الى ما رجع اليه ضمير قوله فلما عتوا عما نهوا عنه لانهم قد مسخوا قردة ثم هلكوا بعد ثلاثة ايام و لم يبق لهم نسل حتى يضرب عليهم الذلة و الصغار الى يوم القيامة بل هو راجع الى من اصر على اليهودية المغيرة المخترعة من بنى اسرآئيل * و قوله بعث الله عليهم بعد سليمان الخ يمنع ان يرجع الى ما رجع اليه ضمير قوله و اسألهم و هم اليهود الذين ادركهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و دعاهم الى شريعته و ان اختاره الامام بناء على ان المقصود من هذه الآية تخويف اليهود الذين كانوا فى زمان الرسول صلى الله عليه و سلم و زجرهم عن البقاء على اليهودية لانهم اذا علموا ابقاء الذل عليهم الى يوم القيامة انزجروا و لما اخبر الله تعالى فى زمان محمد عليه الصلاة و السلام عن هذه الواقعة ثم شاهدنا ان الامر كذلك كان هذا اخبارا صدقا حقا عن الغيب و كان معجزا و الخبر المروى فى ان اتباع الدجال هم اليهود ان صح فمعناه انهم كانوا قبل خروجه يهودا ثم دانوا بالهيئة فذكروا بالاسم الاول و لولا هذا التوجه لكان ذلك الخبر الذى فرض صدقه مناقضا لهذه الآية فانهم فى وقت اتباعهم الدجال قد خرجوا عن الذلة و القهر ﴿قوله و امما مفعول ثان﴾ ان جعل قطع بمعنى صير او حال ان بقى على اصل معناه و منهم الصالحون صفة لامما او بدل منه فيكون مفعولا ثانيا او حالا من مفعول قطعناهم اى فرقناهم حال كونهم منهم الصالحون ﴿قوله تقديره و منهم ناس﴾ اشارة الى ان منهم خبر مقدم و دون ذلك صفة موصوف محذوف و هو المبتدأ و التقدير و منهم ناس او قوم دون ذلك ﴿قوله اى منحطون عن الصلاح﴾ ايماء الى ان ذلك اشارة الى الصلاح المدلول عليه بقوله الصالحون الا انه حينئذ لابد من تقدير المضاف ليصح المعنى اى و منهم دون اهل ذلك الصلاح ليعتدل التقسيم ﴿قوله تعالى و بلوناهم﴾ اى عاملناهم معاملة المبتلى المختبر بنحو النعم و الخصب و العافية و بنحو الجدب و الشدائد لعلهم يرجعون عما هم عليه الى طاعة ربهم فان كل واحد من الحسنات و السيئات يدعو الى الطاعة اما الحسنات فللترغيب و اما السيئات فللترهيب ﴿قوله مصدر نعت به﴾ يقال خلف فلان فلانا اذا كان خليفته و خلفه فى قومه خلافة اى قام مقامه فى تدبير احوال قومه و الخلف و الخلف بسكون اللام و فتحها فى الاصل مصدر كالطلب و الضرب نعت به من جاء بعد احد يقال هو خلف سوء من ابيه و خلف صدق اذا قام مقامه الا ان الاول يستعمل فى الطالح الردى و الثانى فى الصالح السوى قال الشاعر

* ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * و بقيت فى خلف كجلد الاجرب *

و قيل خلف بسكون اللام اسم جمع لخالف كركب لراكب و تجر لتاجر و قال الاخفش هما سوآء منهم من يحرك و منهم من يسكن فيهما جميعا ﴿قوله و المراد به﴾ اى بالخلف الذين خلفوا من بعد اليهود الذين فرقهم الله تعالى فى الارض امما موصوفين بأن منهم الصالحون و منهم دون ذلك ﴿قوله حطام هذا الشئ الادنى﴾ الحطام ما تكسر من اليبس فسر به العرض بفتح العين و الرآء و المراد به جميع متاع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر و الفاجر و اما العرض بسكون الرآء فما خالف العين اعنى الدراهم و الدنانير عبر عن متاع الدنيا بالحطام لعدم بقائها و سرعة زوالها و الادنى تذكير الدنيا و المعنى يأخذون عرض هذه الدنيا و انما ذكر لانه لم يذكر الموصوف من نحو الدار و الحياة فكأنه جعله وصفا للشئ او للمكان و المقام ﴿قوله و هو من الدنو﴾ و هو القرب سميت هذه الدار و هذه الحياة دنيا لدنوها و كونها عاجلة يقال دنوت منه دنوا اى قربت و الدنى القريب و اما الدنئ بمعنى الدون فهو مهموز يقال دنأ الرجل دناءة اى صار دنيئا خسيسا لاخير فيه * و قوله و رثوا الكتاب فى محل الرفع على انه نعت لخلف و يأخذون حال من فاعل ورثوا و يحتمل ان يكون يأخذون مستأنفا اخبر عنهم بذلك ﴿قوله و هو يحتمل العطف﴾ اى قوله و يقولون يحتمل ان يكون معطوفا على يأخذون و ان يكون حالا من فاعله الا ان علماء المعانى صرحوا بأن الجملة الحالية ان كانت فعلية و الفعل مضارع مثبت امتنع دخول الواو عليها و يجب

و اجرى مجرى فعل القسم كعلم الله و شهد الله و لذلك اجيب بجوابه و هو (ليبعثن عليهم الى يوم القيامة) و المعنى و اذ أوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود (من يسومهم سوء العذاب) كالاذلال و ضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم و قتل مقاتليهم و سبى نساءهم و ذراريهم و ضرب الجزية على من بقى منهم و كانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه و سلم ففعل ما فعل بهم ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر (ان ربك لسريع العقاب) عاقبهم فى الدنيا (و انه لغفور رحيم) لمن تاب و آمن (و قطعناهم فى الارض امما) و فرقناهم فيها بحيث لايكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط و امما مفعول ثان او حال (منهم الصالحون) صفة او بدل منه و هم الذين آمنوا بالمدينة و نظراؤهم (و منهم دون ذلك) تقديره و منهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصلاح و هم كفرتهم و فسقتهم (و بلوناهم بالحسنات و السيئات) بالنعم و النقم (لعلهم يرجعون) ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه (فخلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) بدل سوء مصدر نعت به و لذلك يقع على الواحد و الجمع و قيل جمع و هو شائع فى الشر و الخلف بالفتح فى الخير و المراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه و سلم (ورثوا الكتاب) التوراة من اسلافهم يقرأونها و يقفون على ما فيها (يأخذون عرض هذا الادنى) حطام هذا الشئ الادنى يعنى الدنيا و هو من الدنو او من الدناءة و هو ما كانوا يأخذون من الرشى فى الحكومة على تحريف الكلم و الجملة حال من الواو (و يقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بذلك و يتجاوز عنه و هو يحتمل العطف و الحال و الفعل مسند الى الجار و المجرور او مصدر يأخذون (و ان يأتهم عرض مثله يأخذوه) حال من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه

الاكتفاء بالضمير نحو لاتمنن تستكثر واجابوا عن قول من قال قمت واصك وجهه وقول من قال

فلما خشيت أظافيرهم ❊ نجوت وارهنهم مالكا ❊

بانه مبنى على حذف المبتدأ اى وانا اصك وانا ارهنهم فتكون الجملة اسمية فيصح دخول الواو واجاب بعضهم بان ماجاء فى النثر من نحو قمت واصك شاذ وماجاء فى النظم من نحو نجوت وارهنهم ضرورة فعلى هذا ينبغى ان يكون مراد من قال ان قوله ويقولون حال انه حال بتقدير وهم يقولون ﴿قوله والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال وكد الله عليهم فى التوراة ان لايقولوا على الله الا الحق فقالوا الباطل وهو ما اوجبوا على الله تعالى من مغفرة ذنوبهم التى لايتوبون منها وليس فى التوراة ميعاد المغفرة مع الاصرار على الذنب وقيل ذكر فى التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فانه لايغفر الا بالتوبة ﴿قوله عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير﴾ مع ان المعطوف خبرية والمعطوف عليه طلبية فكأنه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ونظيره قوله تعالى الم نربك فينا وليدا ولبثت معناه قد ربيناك ولبثت ويجوز كونه معطوفا على ورثوا فيكون قوله ألم يؤخذ معترضا بينهما ﴿قوله وقرأ نافع الخ﴾ اى انهم قرأوا افلا تعقلون بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة وجه الخطاب التلوين والالتفات من الغيبة الى الخطاب فالمراد بالضمائر حينئذ شئ واحد ويحتمل ان يكون الخطاب لهذه الامة اى أفلا تعقلون انتم حال هؤلاء وتتعجبون من حالهم وعلى قرآءة الغيبة يكون الضمير جاريا على ماتقدم من الضمائر وقرأ العامة والذين يمسكون بالتشديد من مسك بمعنى تمسك فان فعل قد يكون بمعنى تفعل قال الامام الواحدى يقال مسكت بالشئ وتمسكت به واستمسكت به وامتسكت به وروى ابو بكر عن عاصم يمسكون مخففة وهو رديئ لانه لايقال امسكت بالشئ وانما يقال امسكت الشئ ومعنى يمسكون بالكتاب يؤمنون به ويحكمون بما فيه قال عامة المفسرين نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب انتهى كلامه ﴿قوله على تقدير منهم﴾ يعنى ان الخبر الجملة لابد فيها من رابط يربطها بالمبتدأ وذلك الرابط اما ضمير محذوف اعتمادا على دلالة الفحوى عليه او الاسم الظاهر الموضوع موضع الضمير فان مقتضى الظاهر ان يقال انا لانضيع اجرهم الا انه وضع المصلحين موضع الضمير تنبيها على انه تعالى لايضيع اجرهم لاجل اصلاحهم ﴿قوله وافراد الاقامة﴾ اى بالذكر مع اندراجها فى التمسك بالكتاب فانها اعظم العبادات بعد الايمان للتنبيه على فضلها حتى كأنها ليست من جنس التمسك به تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات كما ذكر فى قوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ونظائره مما يذكر فيه الخاص بعد العام ﴿قوله اى قلعناه ورفعناه فوقهم﴾ ذكر فعلين الاول منهما تفسير النتق وثانيهما هو الناصب لقوله فوقهم على الظرفية نقل الامام الرازى عن ابى عبيدة ان اصل النتق قلع الشئ من موضعه والرمى به يقال نتق مافى الجراب اذا رمى به وصبه وامرأة ناتق ومنتاق اذا كثر ولدها كانها ترمى بأولادها رميا فمعنى نتقنا الجبل اى قلعناه من اصله وجعلناه فوقهم * وقال الامام الواحدى نتقنا الجبل فوقهم اى رفعناه باقتلاع له من اصله يقال نتقه ينتقه نتقا اذا قلعه من اصله فظهر بهذا ان قول المصنف اى قلعناه تفسير لقوله نتقنا الجبل وان الرفع غير داخل فى معنى النتق وان النتق من مقدمات الرفع وسبب لحصوله الا ان نتقنا لما لم يصلح ناصبا لقوله فوقهم ضمنه معنى فعل يمكن ان يعمل فيه وهو رفعنا او جعلنا كأنه قيل رفعنا الجبل فوقهم بنتقه وقلعه من مكانه فعلى هذا يكون فوقهم منصوبا بنتق لانه بمعنى رفع ﴿قوله واصل النتق الجذب﴾ يقال نتقت الغرب من البئر اى جذبته قيل الجبل هو الطور الذى سمع موسى عليه الصلاة والسلام وهو عليه كلام الله تعالى واعطى الالواح وقيل هو جبل من جبال فلسطين فرسخا فى فرسخ وقيل هو الجبل الذى عند بيت المقدس قيل ان موسى لما اتى بنى اسرآئيل بالتوراة وقرأها عليهم وسمعوا مافيها من التغليظ كبر ذلك عليهم وابوا ان يقبلوا ذلك فأمر الله الجبل فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا من سقوطه فلذلك لاترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لاترى يهوديا تقرأ عليه التوراة الا اهتز وحرك لها رأسه قال القشيرى رحمه الله قصارى كل من اتى جبرا ان ينكص على عقبيه طوعا كذلك اهل الكتاب لما قبلوا الكتاب باجبار التكليف مالبثوا حتى قابلوه بالتحريف ﴿قوله لانه لم يقع متعلقه﴾ اى ماعلق وقوع الجبل به

(ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) اى فى الكتاب (ان لايقولوا على الله الا الحق) عطف بيان للميثاق اومتعلق به اى بأن يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افترآء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب (ودرسوا مافيه) عطف على ألم يأخذ من حيث المعنى فانه تقرير اوعلى ورثوا وهو اعتراض (والدار الآخرة خير للذين يتقون) مما يأخذ هؤلاء (أفلا يعقلون) فيعلموا ذلك ولايستبدلوا الادنى الدنيئ المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين (والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة) عطف على الذين يتقون وقوله أفلا يعقلون اعتراض او مبتدأ خبره (انا لانضيع اجر المصلحين) على تقدير منهم اووضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات (واذ نتقنا الجبل فوقهم) اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب (كأنه ظلة) سقيفة وهى كل ما اظلك (وظنوا) وتيقنوا (انه واقع بهم) ساقط عليهم لان الجبل لايثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم مافيها والا ليقعن عليكم (خذوا) على اضمار القول اى وقلنا خذوا اوقائلين خذوا (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو (واذكروا مافيه) بالعمل به ولا تتركوه كالمنسى (لعلكم تتقون) قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق

وهو عدم قبولهم مافي التوراة حيث قبلوه وسجدوا على انصاف جباههم ﴿قوله اي اخرج من اصلابهم﴾
اى من اصلاب بنى آدم الصلبية قيل هم مائة وعشرون ولدا من صلب آدم عليه السلام كانت حوآء تلد كل سنة
ولدين ابنا و بنتا اخرج من اصلابهم نسلهم ثم اخرج من اصلاب نسلهم ذرياتهم ثم اخرج من اصلاب تلك
الذرية ذرية وهكذا حتى اخرج جميع من هو كائن الى يوم القيامة اخرج من ظهورهم كل نسمة تخرج من
ظهر نسلا من نسل كما تتوالد الابناء من الآباء ولم يذكر ظهر آدم مع ان الذرية كما اخذت من ظهور بنى آدم
اخذت من ظهر نفس آدم واخذ الميثاق من الجميع اعتمادا على انفهامه من الكلام كما قال تعالى ويوم تقوم
الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ولم يذكر نفس فرعون لان في الكلام دليلا عليه ولما ذكر انه تعالى اخذ
ميثاق بنى اسرائيل بنتق الجبل فوقهم وبما جعل لهم من دلائل السمع ودلائل العقل ذكر بعد اخذ الميثاق عليهم
اخذ الميثاق على الكل تقريرا للحجة على جميع المكلفين والمصنف اشار الى هذا القول بقوله لما خلق الله آدم اخرج
من ظهره ذرية كالذر الخ * قال الامام في تفسير هذه الآية قولان مشهوران الاول وهو مذهب المفسرين واهل
الاثر انه تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته الى يوم القيامة على ماذكره
المفسرون من الآثار الواردة في هذا المعنى ثم قال والمعتزلة اطبقوا على انه لايجوز تفسير هذه الآية بهذا الوجه
واحتجوا على فساده بوجوه منها ان اخذ الميثاق لايمكن الامن العاقل فلو اخذ الله الميثاق من اولئك لكانوا
عقلاء ولو كانوا عقلاء واعطوا ذلك الميثاق حال عقلهم لوجب ان يتذكروا في هذا الوقت انهم اعطوا الميثاق قبل
دخولهم في هذا العالم لان الانسان اذا وقعت له واقعة عظيمة مهيبة فانه لايجوز مع كونه عاقلا ان ينساها نسيانا
كليا بحيث لايتذكر منها شيأ ومنها ان البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم وتلك الذريات المأخوذة من
ظهور بنى آدم لايكون كل واحد منها عالما فاهما عاقلا الا اذا حصل له قدر من البنية اللحمية والدمية واذا
كان كذلك فمجموع تلك الاشخاص الذين خرجوا الى الوجود من اول تخليق آدم الى آخر قيام القيامة لاتحويهم
عرصة الدنيا فكيف يمكن ان يقال انهم حصلوا بأسرهم دفعة واحدة في صلب آدم عليه الصلاة والسلام
ومنها ان فائدة اخذ الميثاق اما ان تكون بأن يصير ذلك الميثاق حجة عليهم في التمسك بالايمان في ذلك الوقت
او ان يصير ذلك حجة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا والاول باطل لانعقاد الاجماع على انهم بسبب ذلك القدر
من الميثاق لايصيرون مستحقين للثواب والعقاب والمدح والذم وكذا الثاني لانهم لما لم يذكروا ذلك الميثاق في الدنيا
فكيف يصير ذلك حجة عليهم في التمسك بالايمان * ثم قال والقول الثاني في تفسير هذه الآية قول اصحاب النظر
وارباب المعقولات وهو انه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب آبائهم وذلك بانهم كانوا نطفا فاخرجها
الله تعالى وأودعها ارحام الامهات وجعلها علقا ثم مضغا حتى جعلهم بشرا سويا خلقا كاملا وكان ذلك في ادنى
مدة كما يموت الكل فيها عند النفخة الاولى ويحيى الكل فيها عند النفخة الثانية وكانه تعالى علم آدم اسماء الاشياء
كلها فيها ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته وغرائب صنعته فبالاشهاد صاروا
كأنهم قالوا بلى وان لم يكن هناك قول باللسان ونظيره قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا
أتينا طائعين وقول من قال قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فان الذى ورائي ماخلاني ورأيي * وقول
الشاعر ❊ امتلأ الحوض وقال قطني ❊ ثم قال هذا القول الثاني لاطعن فيه البتة وانه لاينافي صحة
القول الاول * واجاب عن قول من قال لو صح القول بأخذ الميثاق لوجب ان يتذكره الانسان الآن بأن
خالق العلم بالاحوال الماضية هو الله تعالى وهو فاعل مختار جائز ان لايخلقه * واجاب عن قولهم ان اخذ
الميثاق لايمكن الامن العاقل بأن البنية ليست شرطا عندنا لحصول الحياة والعلم فان الجزء الذى لايتجزأ قابل
للحياة والعقل وعن قولهم ان ظهر آدم لايسع لمجموعها بان هذا اذا قلنا ان الانسان عبارة عن الجواهر
الفردة واما اذا قلنا ان الانسان هو النفس الناطقة وانه جوهر غير متحيز ولاحال في المتحيز فالسؤال زائل
والمصنف لما جعل قوله تعالى واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى استعارة تمثيلية مبنية على
تشبيه حال شئ بحال شئ آخر حيث شبه نصب ادلة الربوبية وتمكينهم من معرفة ربوبيته تعالى باشهادهم عليها
وسؤالهم سؤال التقرير بقوله ألست بربكم اجاب بماله مدخل عظيم في المعرفة والاقرار والتمسك
والطاعة فيكون حجة عليهم في التمسك بالايمان واخذ الميثاق بهذا المعنى المجازى قائم مقام الاقرار

﴿واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ اى اخرج من اصلابهم نسلهم على مايتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم ﴿واشهدهم على انفسهم ألست بربكم﴾ اى ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم مايدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريق التمثيل

ربوبيته تعالى واقرارهم بها واعطاؤهم الميثاق عليها قائم مقام تمكينهم من العلم بها وهذا التمكين القائم معهم
في هذا العالم سبب تمكنهم من الاستدلال بمالهم من العقول المؤدية الى شهادتهم على الفائدة في اخذ الميثاق بانه
تعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد ونقل عن القرطبي ان القوم استدلوا بهذه الآية على ان من مات صغيرا
دخل الجنة لاقراره في الميثاق الاول ومن بلغ لم يغنه الميثاق الاول شيأ بل يكون ذلك حجة عليه ان اخل
بالتصديق والاقرار حيث ضيع تمكنه من ذلك بالنظر الصحيح فيما نصب له من دلائل الوهيته تعالى وربوبيته واقل
تلك الدلائل انه تعالى اخرجهم من اصلاب آبائهم ونقلهم الى ارحام امهاتهم الى ان بلغوا بتقليب الاحوال عليهم
من نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة الى ان كانوا كاملي العقل مستعدين للاستدلال بما شاهدوا من آثار
صنع الله تعالى فيهم على ان لهم الها قادرا منفردا بالربوبية وكمال العلم والقدرة وهي الفطرة الاصلية التي فطر الناس
عليها ليتمكن بها الانسان مماله وماعليه ﴿قوله ويدل عليه﴾ اي على ان اشهادهم بأن قال لهم ألست بربكم
بطريق التمثيل وتنزيل دلالة الحال منزلة البيان بالمقال قوله تعالى قالوا بلى شهدنا اي اقررنا واعترفنا بانك ربنا
والهنا لارب لنا غيرك ووجه الدلالة انه تعالى وان كان له ان يكلم عباده الا ان العقل السليم يأبى ان تتكلم الذريات
المأخوذة من الاصلاب بلسان المقال لان كون تلك الذريات تامة الخلقة سوية الاعضاء يقتضي ان لايكون
خلق الانسان من النطفة على سبيل الابتداء بل يجب ان يكون خلقا على سبيل الاعادة واجمع المسلمون على ان خلقه
من النطفة هو الخلق المبتدأ وقوله تعالى شهدنا فيه قولان الاول انه من كلام الملائكة وذلك ان الذرية لما قالوا بلى
قال الله تعالى للملائكة اشهدوا فقالوا اشهدنا عليهم بالاقرار لئلا يقولوا يوم القيامة مااقررنا وماعلمنا ان لنا الها يجب اتباع
امره فأسقط كلمة لا كما في قوله تعالى وألقى في الارض رواسي ان تميد بكم اي لئلا تميد بكم هذا قول الكوفيين وتقديره
عند البصريين شهدنا كراهة ان تقولوا فقوله ان تقولوا متعلق بقول الملائكة شهدنا اي معمول له على انه مفعول
من اجله وكلام الذرية قد انقطع عند قولهم بلى فيحسن الوقف عليه والقول الثاني ان قوله شهدنا من بقية كلام الذرية
وعلى هذا التقدير فقوله ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين يكون مفعولا له لقوله واشهدهم على انفسهم
اي واشهدهم على انفسهم بكذا وكذا لئلا يقولوا او كراهة ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين وعلى هذا التقدير
لايجوز الوقف على قوله شهدنا ايضا لان قوله ان تقولوا لما تعلق بماقبله وهو قوله واشهدهم لم يجز قطعه عنه
﴿قوله وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء﴾ اي بناء الغيبة على وفق ماسبق من قوله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم
واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا وقرأ الباقون بتاء الخطاب لانه قد جرى في الكلام خطاب وقوله ألست بربكم
وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون ﴿قوله لان التقليد عند قيام الدليل الخ﴾ بيان لوجه
الزام الحجة بقوله ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين مانبهنا البتة او تقولوا انما اشرك آباؤنا على سبيل التقليد
لاسلافنا ونحن لانذكر هذا الاقرار والميثاق وان تفكرنا وذلك انه تعالى لما اوضح دلائل وحدانيته وصدق رسله فيما
اخبروا به وابدع نوع الانسان على الفطرة السليمة التي يتمكنون بها من معرفة الحق استدلالا بتلك الدلائل لم يتأت لهم
ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين ولا ان يعتذروا بتقليد اسلافهم لان الادلة المنصوبة وتمكنهم من الاستدلال بها قائم
معهم فلا عذر لهم في سلوك طريق الضلال اصلا ﴿قوله لحديث رواه عمر رضي الله عنه﴾ والحديث رواه الامام
محيي السنة في المصابيح ومعالم التنزيل وهو ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية واذ اخذ ربك
من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية قال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها
فقال عليه الصلاة والسلام * ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء
للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره بشماله فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار
يعملون * فقال رجل ففيم العمل يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ان الله اذا خلق العبد للجنة
استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل
اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار * قال المصنف في شرحه للمصابيح معنى الآية ان الله
تعالى اخرج من اصلاب بني آدم نسلهم واشهدهم على انفسهم بأن نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته
وركب فيهم العقول والبصائر وجعلها مميزة بين الحق والباطل فنزل تمكينهم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل
وخلق الاستعداد فيهم وتمكنهم من معرفتها والاقرار بها منزلة الاشهاد والاعتراف تمثيلا وتخييلا ونظيره قوله تعالى انما

ويدل عليه قوله (قالوا بلى شهدنا ان تقولوا
يوم القيامة) اي كراهة ان تقولوا (انا كنا
عن هذا غافلين) لم ننبه عليه بدليل
(او تقولوا) عطف على ان تقولوا وقرأ
ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة
(انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية
من بعدهم) فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام
الدليل والتمكن من العلم به لايصلح عذرا
(أفتهلكنا بما فعل المبطلون) يعني آباءهم
المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله
آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم
وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك
لحديث رواه عمر رضي الله تعالى عنه
وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب
المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام
ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد
ماألزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج
عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم
عن التقليد وحملهم عن النظر والاستدلال
كما قال (وكذلك نفصل الآيات ولعلهم
يرجعون) اي عن التقليد واتباع الباطل

(واتل عليهم) اي على اليهود (نبأ الذي آتيناه آياتنا) هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو نفسه فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله (فانسلخ منها) من الآيات بأن كفر بها واعرض عنها (فأتبعه الشيطان) حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وقيل استتبعه (فكان من الغاوين) فصار من الضالين روي ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فألحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه (ولو شئنا لرفعناه) الى منازل الابرار من العلماء (بها) بسبب تلك الآيات وملازمتها (ولكنه اخلد الى الارض) مال الى الدنيا او الى السفالة (واتبع هواه) في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فأوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة

قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين وقول الشاعر * اذا قالت الانساع للبطن ألحق * وقوله * قالت له ريح الصبا قرقار * فان من البين الذي لا يشك فيه انه لا قول ولا خطاب ثمة وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى وظاهر الحديث لا يساعد هذا المعنى ولا ظاهر الآية فانه سبحانه وتعالى لو اراد ان يذكر انه استخرج الذرية من صلب آدم دفعة واحدة لا على توليد بعضهم من بعض على ممر الزمان لقال واذ اخذ ربك من ظهر آدم ذريته والتوفيق بينهما ان يقال المراد من بني آدم في الآية آدم واولاده وكأنه صار اسما للنوع كالانسان والبشر والمراد بالاخراج توليد بعضهم من بعض على ممر الزمان واقتصر في الحديث على ذكر آدم اكتفاء بذكر الاصل عن ذكر الفرع وقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث * مسح ظهر آدم * يحتمل ان يكون الماسح هو الملك الموكل على تصوير الاجنة وتخليقها وجمع موادها واسند اليه تعالى لانه هو الآمر به كما اسند التوفي اليه في قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والمتوفي لها هو الملائكة لقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ويحتمل ان يكون الماسح هو الله تعالى ويكون المسح من باب التمثيل وقيل هو من المساحة بمعنى التقدير كأنه قال قدر ما في ظهره من الذرية الى هنا كلام المصنف في ذلك الشرح واشار بقوله في هذا الكتاب وقيل الى ان تفسير الآية بما روي عن عمر رضي الله عنه من استخراج الذرية من ظهر آدم وتعيين بعضهم للجنة وبعضهم للنار لا يخلو عن ضعف اما اولا فلانه لا ميثاق فيه واما ثانيا فلأن ما فيه استخراج الذرية من ظهر آدم وما في الآية استخراجهم من ظهور بني آدم **﴿قوله هو احد علماء بني اسرائيل﴾** عن ابن عباس انها نزلت في البسوس وكان من قصتها ان رجلا من بني اسرائيل كان قد اعطي ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امرأة يقال لها البسوس له منها اولاد فقالت اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امرأة في بني اسرائيل فدعا لها فجعلت اجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الزوج فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة نباحة والناس يعيروننا بها ادع الله ان يردها الى حالها الاول فدعا الله تعالى فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات الثلاث كلها وقيل نزلت في ابي عامر بن نعمان الراهب وكان ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي جئتنا به فقال عليه الصلاة والسلام * جئت بالحنيفية دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام * قال فانا عليها قال عليه الصلاة والسلام * لست عليها ولكنك ادخلت فيها ما ليس منها * فقال ابو عامر امات الله الكاذب طريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل الى المنافقين بان استعدوا بالقوة والسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر وآت بجند أخرج محمدا واصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني انتظارا لمجيئه فمات بالشام طريدا وحيدا فاستجاب الله دعاءه في نفسه **﴿قوله او بلعم بن باعوراء﴾** وذلك ان موسى عليه الصلاة والسلام قصد بلده وغزا اهله وكانوا كفارا فطلبوا منه ان يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الله الاعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه حتى دعا عليه فاستجيب له ووقع موسى وبنوا اسرائيل في التيه بدعائه فقال موسى يا رب باي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاء بلعم فقال يا رب فكما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ثم دعا موسى ان ينزع منه اسم الله الاعظم والايمان فسلخه مما كان عليه ونزع منه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء وأخر المصنف هذا الوجه لان الظاهر ان احتباسهم في التيه كان بقولهم انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وكيف يليق بموسى ان يدعو على بلعم بن باعوراء بزوال الايمان وكان مبعوثا الى الناس ليدعوهم الى الايمان **﴿قوله حتى لحقه﴾** على ان يكون اتبع مثل تبع متعديا الى واحد بمعنى ادركه ولحقه وهو مبالغة في ذمه حيث جعل اماما للشيطان وفي الصحاح اتبعت القوم على افعلت اذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم واتبعت ايضا غيري يقال اتبعه الشيء فاتبعه قال الاخفش تبعته واتبعته بمعنى مثل ردفته واردفته **﴿قوله او الى السفالة﴾** وهي الانحطاط الذي هو مقابل الرفع كان الدنيا مقابل لمنازل الابرار فان الدنيا ليست منازلهم لقوله عليه الصلاة والسلام * فاعبروها ولا تعمروها * **﴿قوله وانما علق رفعه بمشيئة الله﴾** يعني ان الظاهر ان يعلق رفعه بفعله الذي يستحق به الرفع مثل ان يقال او لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها اي بسبب تلك الآيات وملازمتها لان قوله بها افاد ان لزوم الآيات والعمل بها سبب لرفعه فيكون الرفع بالآيات معلقا بلزوم العمل بالآيات فكان الظاهر ان يعلق الرفع بفعل العبد الا انه علق بمشيئته تعالى تنبيها على ان السبب الحقيقي هو المشيئة حيث انها سبب

للافعال الموجبة لرفع الدرجة وان الافعال المذكورة وسائط فى حصول رفعها فكما يصح تعليق الرفع بالوسائط المعتبرة فيه يصح تعليقه بالمشيئة التى هى سبب لتلك الوسائط والافعال * ولما كانت كلمة لو تدل على انتفاء الشئ لانتفاء غيره افاد الكلام انا مارفعنا درجته لعدم ملازمته العمل بمقتضى الآيات وملازمة العمل لما كانت مسببة عن المشيئة كان عدم الملازمة دليلا على انتفاء سببه الذى هو المشيئة فلزم ان يكون انتفاء الرفع لانتفاء المشيئة ولذلك قال ولو شئنا لرفعناه الا ان الملائم حينئذ ان يستدرك بما يقال لكنا لم نشأ رفعه على استثناء نقيض السبب الحقيق اولكنه اعرض عن ملازمة الآيات والعمل بمقتضاها على استثناء نقيض السبب الظاهرى فعدل عنه واوقع موقعه اخلد الى الارض لما ذكره من المبالغة والتنبيه ووجه المبالغة ان الاخلاد الى الارض كناية عن الاعراض عن الآيات والكناية ابلغ من التصريح * فحصول الآية ولو شئنا رفع درجته لو فقناه للعمل بالآيات ورفعنا درجته بتلك الاعمال ولكنا لم نشأ منه ذلك فهذا يدل على ان الكائنات من الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشيئة الله تعالى وهذه الآية من اشد الآيات على العلماء لانه تعالى لما خص هذا الرجل بآياته وبيناته وعلمه اسمه الاعظم وخصه بالدعوات المستجابة واتبع الهوى سلخه من الدين وصار فى درجة الكلب وذلك يدل على ان من كانت نعم الله عليه اكثر اذا اعرض عن متابعة الهدى واتبع الهوى كان بعده عن الله اعظم واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله * من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا * وقال عليه الصلاة والسلام * ماذئبان جائعان ارسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والسرف فى دينه * قيل كان سبب انسلاخه عنها طاعته امرأته واخذه الحطام من اهل زمانه ولا شئ اضر بالعالم منهما ﴿قوله ادلاع اللسان﴾ بالدال المهملة يقال دلع لسانه فاندلع اى اخرجه فخرج ودلع لسانه اى خرج يتعدى ولا يتعدى والتمثيل واقع موقع لازم التركيب يعنى قوله تعالى فمثله واقع موقع قوله لحططناه ابلغ حط ووضعنا منزلته الذى هو لازم مدلول قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فان مدلوله انا لم نشأ رفعه ونفى مشيئة الرفع يلزمه نفى الرفع ووضع المنزلة اقيم التمثيل المذكور مقام هذا اللازم للمبالغة فى الحط فان فى تمثيله بالكلب حطا وفى تمثيله فى اخس احواله زيادة حط مع ان تصوير المعقول بصورة المحسوس ابلغ فى بيانه لان الفة العامة بالمحسوس اتم واكل وادراكهم له اعم واشمل قيل فى وجه التمثيل ان كل شئ يلهث فانما يلهث من اعياء او عطش الا الكلب اللاهث فانه يلهث فى كل واحدة من حالتى الاعياء والراحة وحالتى العطش والرى فان ذلك عادة له وطبيعة وهو مواظب عليه للطبيعة الخسيسة لا لاجل حاجة وضرورة فكذلك من آتاه الله العلم والدين واغناه الله عن التعرض لاوساخ اموال الناس اى طلب الدنيا والقاء نفسه فيها كان حاله كحال ذلك اللاهث حيث واظب على الحالة الخسيسة والفعل القبيح لمجرد اتباع نفسه الخبيثة وطبيعته الخسيسة لا لاجل الحاجة والضرورة وقيل ايضا ان العالم اذا توسل بعلمه الى طلب الدنيا بان يورد عليهم انواع علومه ويظهر عندهم فضائل نفسه ومناقبها فلاشك انه عند ذكر تلك الكلمات وتقرير العبارات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ماتمكن فى قلبه من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حالته شبيهة بحال ذلك الكلب الذى يخرج لسانه ابدا لمجرد الطبيعة الخسيسة سواء دعته الى ذلك حاجة وضرورة ام لا ثم انه تعالى لما مثل حال من اوتى الآيات والبينات وعلم الاسم الاعظم وخص بالدعوات المستجابات بحال الكلب اللاهث فى كل حال عم بهذا التمثيل جميع المكذبين بآيات الله فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وذلك اشارة الى صفة الكلب ويجوز ان يشار به الى المنسلخ من الآيات او الكلب على ان يكون اداة التشبيه محذوفة من ذلك اى صفة المنسلخ او صفة الكلب مثل الذين كذبوا ﴿قوله فانها نحو قصتهم﴾ اى فان قصة بلعم نحو قصة اليهود فان بلعم بعدما اوتى آيات الله انسلخ منها ومال الى الدنيا حتى صار كالكلب كذلك اليهود بعدما اوتوا التوراة المشتملة على نعت رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن المعجز وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به انسلخوا مما اعتقدوا فى حقه وكذبوه وحرفوا اسمه فليحذروا مما يؤول اليه حال بلعم ﴿قوله اى مثل القوم﴾ يعنى ان ساء بمعنى بئس وفاعلها مضمر فيها ومثلا مميز لذلك المضمر مفسر له وقد تقرر ان المخصوص بالذم لا يكون الا من جنس التمييز والتمييز مفسر للفاعل فهو هو فيجب ان يصدق الفاعل والتمييز والمخصوص على شئ واحد والقوم ههنا غير صادق على التمييز والفاعل فلذلك قدر المضاف المحذوف وهو المخصوص وجعل تقدير الكلام ساء مثلا مثل القوم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ﴿قوله وقرئ ساء مثل القوم﴾ برفع مثل

(فمثله) فصفته التى هى مثل فى الخسة (كمثل الكلب) كصفته فى اخس احواله وهو (ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث) اى يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية فى موضع الحال والمعنى لاهثا فى الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذى هو نفى الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص) القصة المذكورة على اليهود فانها نحو قصتهم (لعلهم يتفكرون) تفكرا يؤدى بهم الى الاتعاظ (ساء مثلا القوم) اى مثل القوم وقرئ مثل القوم على حذف المخصوص بالذم (الذين كذبوا بآياتنا) بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها (وانفسهم كانوا يظلمون) اما ان يكون داخلا فى الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول

والافراد فى الاوّل والجمع فى الثانى باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار فى الاخبار عمن هداه الله بالمهتدى تعظيم لشأن الاهتدآء وتنبيه على انه فى نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لولم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها (ولقد ذرأنا) خلقنا (لجهنم كثيرا من الجنّ والانس) يعنى المصرّين على الكفر فى علمه تعالى (لهم قلوب لايفقهون بها) اى لايلقونها الى معرفة الحق والنظر فى دلائله (ولهم اعين لايبصرون بها) اى لاينظرون الى ماخلق الله نظر اعتبار (ولهم آذان لايسمعون بها) الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر (اولئك كالانعام) فى عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر اوفى ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها (بل هم اضل) فانها تدرك مايمكن لها ان تدرك من المنافع والمضارّ وتجتهد فى جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار (اولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة (ولله الاسماء الحسنى) لانها دالة على معان هى احسن المعانى والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات (فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء (وذروا الذين يلحدون فى اسمائه) واتركوا تسمية الزآئغين فيها الذين يسمونه بما لاتوقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم ياابا المكارم ياابيض الوجه اولاتبالوا بانكارهم ماسمى به نفسه كقولهم مانعرف الارحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه اواعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال (سيجزون ماكانوا يعملون) وقرأ حمزة هنا وفى فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد اذا مال عن القصد (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون) ذكر ذلك بعد مابين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه ايضا خلق للجنة امة هادين بالحق عادلين بالامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان فى كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله صلى الله عليه وسلم لاتزال من امتى طائفة على الحق الى ان يأتى امر الله اذلواختص بعهد الرسول اوغيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد اوالاستنزال (بفعل)

مضافا الى القوم على انه فاعل ساء والموصول على هذا فى محل الرفع على انه المخصوص بالذم فلابدّ من حذف المضاف ليتصادق الفاعل والمخصوص على شئ واحد والتقدير ساء مثل القوم مثل الذين اى صفتهم العجيبة وهى تكذيبهم بآيات الله واعراضهم عنها بعد قيام الحجة عليهم وعلمهم بها ثم انه تعالى لماوصف الضالين وعرّف حالهم بالمثل المذكور بين بقوله من يهدالله فهو المهتدى الآية ان كل واحد من الهدى والضلال من الله تعالى وان هدايته تعالى تختص ببعض دون بعض فانها مستلزمة للاهتدآء ولما كانت هذه التصريحات مخالفة لما تشتهيه انفس المعتزلة اضطربوا وذكروا فى تأويل الآية وجوها كثيرة منها ماذكره الجبائى وارتضاه القاضى وهو ان المراد من يهده الله الى الجنة والثواب فى الآخرة فهو المهتدى فى الدنيا السالك طريقة الرشد فيما كلف به فبين تعالى انه لايهدى الى الثواب فى الآخرة الامن هذه صفته ومن يضلله عن طريق الجنة فاؤلئك هم الخاسرون وهو ضعيف لانه قدحمل قوله من يهدالله على الهداية فى الآخرة الى الجنة وقوله فهو المهتدى على الاهتدآء الى الحق فى الدنيا وذلك يوجب الركاكة فى النظم بل يجب ان تكون الهداية والاهتدآء راجعين الى شئ واحد حتى يكون الكلام حسن النظم ﴿قوله والافراد فى الاوّل﴾ اى افراد ضمير من قوله تعالى فهو المهتدى وجمعه فى قوله فاولئك هم الخاسرون لاعتبار جانب اللفظ فى الاوّل وجانب المعنى فى الثانى تنبيه على ماذكر ﴿قوله تعالى اولئك كالانعام﴾ فان الانسان وسائر الحيوانات متشاركة فى القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمولدة ومتشاركة ايضا فى منافع الحواس الباطنة والظاهرة وفى احوال التخيل والتوهم والتذكر ولاامتياز بين الانسان وسائر الحيوانات الابحسب القوّة العقلية والفكرية التى تهديه الى معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فلما اعرض الكفار عن اعمال القوّة العقلية والفكرية والتوسل بها الى معرفة الحق والعمل بالخير كانوا كالانعام بل هم اضل لان الحيوانات لاقدرة لها على تحصيل هذه الفضائل والانسان اعطى القدرة على تحصيلها ومن يعرض عن اكتساب الفضائل العظيمة مع القدرة على تحصيلها كان اخس حالا ممن لايكتسبها مع العجز ولان الانعام مطيعة لله تعالى والكافر غير مطيع لربه ولان البهائم اذا كان معها مرشد لاتضل والكفار تضل وان جاءهم الانبياء وانزل عليهم الكتب ثم انه تعالى لماوصف المخلوقين لجهنم بقوله اولئك هم الغافلون امر بعده بذكره تعالى فقال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وهذا كالتنبيه على ان الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر الله والمخلص من عذاب جهنم هو ذكر الله واصحاب الذوق والمشاهدة يجدون من ارواحهم ان الامر كذلك فان القلب اذا غفل عن ذكر الله واقبل على الدنيا وشهواتها وقع فى نار الحرص وزمهرير البعد والحجاب واذا اجرى على قلبه ذكر الله تعالى ومعرفته تخلص من نيران الآفات ومن حسرات الخسران ﴿قوله والمراد بها الالفاظ﴾ اى الالفاظ الدالة على البارى تعالى روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الاواحدا من احصاها دخل الجنة ان الله وتر يحب الوتر وهى هو الله الذى لااله الاهو الرحمن الرحيم الملك القدوس الى آخرها ﴿قوله وقيل الصفات﴾ فكأنه قيل ولله الاوصاف الحسنى مثل كونه عالما بعلم قديم وقادرا على كل شئ وخالقا لكل شئ ومريدا لكل كائن ونحو ذلك فان لفظ الاسم قديطلق على مايدل على معنى اى على معنى تام غير مقارن للزمان يقال طار اسمه فى الآفاق اى انتشرت صفته ونعته دلت الآية على انه تعالى له اسماء حسنة وان الانسان لايدعو الله الابها وانها توقيفية لااصطلاحية فانه يجوز ان يقال ياجواد ولا يجوز ان يقال ياسخى ويجوز ان يقال ياعالم ولايجوز ان يقال يافقيه ياعاقل ياطبيب قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم وقال ومكروا ومكر الله ولايقال فى الدعاء يامخادع يامكار ويقال انه تعالى خالق كل شئ واله كل شئ ولايقال ياخالق الخنازير والخبائث وياإله القرود ومحقرات عالم الكون قال مقاتل رحمه الله ان رجلا من الصحابة دعا الله فى صلاته ودعا الرحمن فقال رجل من المشركين أليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو ربين اثنين فأنزل الله تعالى هذه الآية فدعا النبى صلى الله عليه وسلم وقال ادعوا الله اوادعوا الرحمن رغما لانوف المشركين اياما تدعوا من هذه الاسماء فله الاسماء الحسنى ﴿قوله سنستدنيهم﴾ الاستدناء استفعال من الدنو وهو القرب اى سنقربهم الى الهلاك على التدريج فى كتمان وخفية وقيل الاستدراج اتباع البرّ مع انساء الشكر قال عليه الصلاة والسلام * اذا رأيت الله انعم على عبده وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج * ثم تلا هذه الآية وقوله تعالى والذين مبتدأ وخبره الجملة الاستقبالية بعده ويحتمل ان يكون فى محل النصب على الاشتغال

بفعل مقدّر تقديره سنستدرج الذين كذبوا ﴿قوله فخذا فخذا﴾ اى قوما فوما وقبيلة قبيلة والفخذ فى العشائر اقل من البطن اوّلها الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ﴿قوله يهوّت﴾ اى يصوّت يقال هيت به وهوّت اى صاح به ودعاه عن قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا مايحذرهم عقوبة الله ووقائعه فقام على الصفا ليلا وجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يابنى فلان يابنى فلان الى الصباح فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوّت الى الصباح فنزلت الآية وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يغشاه حالة عجيبة عند نزول الوحى فيتغير وجهه الكريم ويصفرّ لونه المليح وتعرض له حالة شبيهة بالغشى والجهال كانوا يقولون انه جنون فبين الله تعالى فى هذه الآية انه ليس بمجنون انما هو نذير مبين من رب العالمين وحثهم على التفكر فى امره عليه الصلاة والسلام ليعلموا انه انما دعا للانذار لا لمانسب اليه من الجنون والجنة حالة من الجنون كالجلسة والركبة ودخول من فى قوله من جنة يوجب ان لايكون به نوع من انواع الجنون فان من كان شأنه الدعوة الى الله تعالى واقامة الدلائل القاطعة والبينات الباهرة بالفاظ فصيحة بلغت فى الفصاحة الى حيث عجز الاوّلون والآخرون عن معارضتها وكان حسن الخلق طيب النفس مرضىّ الطريقة نقى السريرة مواظبا على اعمال حسنة صار بها قدوة لعقلاء العالمين كيف يتصوّر ان يكون فيه نوع من الجنة بل هو رحمة للعالمين وسماه صاحبهم لانه نبيهم يصحبهم ويخالطهم وكلمة ما فى قوله مابصاحبهم يجوز ان يكون استفهامية فى محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم اى اىّ شئ استقرّ بصاحبهم من الجنون وان تكون نافية حثهم على التكفر فى شأنه ومكارم اخلاقه اوّلا ثم ابتدأ كلاما آخر اما استفهام انكار او نفيا ثم قصره على الانذار المبين بطريق النفى والاستثناء تأكيدا لتكذيبهم ثم وبخهم على ترك النظر فيما يدل على صدقه وصحة مايدعوهم اليه من توحيد صانع العالم وعظم شأنه وكمال قدرته لتطمئنّ قلوبهم الى التصديق بنبوّة الداعى فان النظر فى امر النبوّة متفرّع على النظر فى دلائل التوحيد وثبوت الصانع الحكيم والملكوت بمنزلة الملك وزيدت التاء والواو للمبالغة كالرغبوت والرهبوت والملك السلطان وتقديره ملكوتنا فى السموات والارض ثم اشار الى ان دليل التوحيد ليس مقصورا على السموات والارض بل كل مايقع عليه اسم الشئ برهان باهر على التوحيد كما قيل ❊ وفى كل شئ له آية ❊ تدل على انه واحد ❊ فان كل ذرّة من ذرّات الكائنات مع كونها مساوية لسائر الذرّات فى كونها جوهرا او ذاتا متحيزة مخالفة لسائر الذوات فى اللون والشكل والطبع والطعم وسائر الصفات واختصاص كل واحدة منها بما يخصها من الصفات لابدّ له من مخصص ولابدّ ان تنتهى سلسلة المخصصات الى الواجب لذاته والالدار او تسلسل ﴿قوله وكذا اسم يكون﴾ فيه انه يقتضى تكرار تقدير الشأن فى الآية فان التقدير حينئذ ان الشأن عسى ان يكون الشأن والاولى ان يقال ان يكون وقد اقترب تنازعا فى اجلهم ويمكن ان يقال رجح التكرار المذكور على التزام الاضمار قبل الذكر لانه لايصار اليه الا ضرورة ﴿قوله قبل معافصة الموت﴾ اى قبل اغتياله فجأة يقال عافصت الرجل اذا اخذته على غرّة ﴿قوله تعالى فبأىّ﴾ متعلق بيؤمنون وهى جملة استفهامية سيقت للتعجب من تصميمهم على الكفر بعد الزام الحجة بنهاية البيان والتقرير اى اذا لم يؤمنوا بهذا الحديث فكيف يؤمنون بغيره والمراد من التعلق فى قوله وقيل هو متعلق التعلق المعنوى بمعنى ارتباط الكلام بما قبله لا التعلق الصناعى وكان لفظ التضعيف وهو قيل اشارة الى ان الاولى ان يجعل متعلقا بالتوبيخ المستفاد من مجموع قوله اولم ينظروا فى ملكوت السموات الآية ﴿قوله كالتقرير﴾ اى لضلالهم فانه تعالى لما ذكر تصميمهم على الكفر وتماديهم فى الضلال بين ههنا علة ضلالهم فقال من يضلل الله فلاهادى له ووجه الغيبة فى يذرهم ظاهر وهو اسناده الى ضمير الاسم الظاهر وهو اسم الجلالة ووجه التكلم الالتفات من الغيبة الى التكلم تعظيما للفعل ووجه الرفع الاستئناف اى وهو يذرهم او نحن نذرهم على حسب القراءتين ووجه جزمه العطف على محل قوله فلاهادى له لان الجملة المنفية جواب الشرط فى محل الجزم فعطف على محلها والعمه التردّد والحيرة ﴿قوله او لسرعة حسابها﴾ اى او لكون الحساب الواقع فيها يتم وينقضى فى ساعة واحدة لانه تعالى لايشغله شأن عن شأن كأنه تعالى لما حثهم على الايمان والتوبة بقوله وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم تحذيرا لهم من معافصة الموت قبل التوبة فان من مات فقد قامت قيامته وينكشف له مايستحقه من الثواب والعقاب سأل جماعة من اليهود وقيل من قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تقوم الساعة فنزل قوله تعالى يسألونك عن الساعة تحقيق فى القلوب ان وقت قيام الساعة مكتوم عن الخلق ليصير المكلف مسارعا الى التوبة واداء الواجبات فانه

(أولم يتفكروا مابصاحبهم) يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام (من جنة) من جنون روى انه عليه الصلاة والسلام صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوّت الى الصباح فنزلت (ان هو الا نذير مبين) موضح انذاره يصوّت بحيث لايخفى على ناظر (أولم ينظروا) نظر استدلال (فى ملكوت السموات والارض وماخلق الله من شئ) مما يقع عليه الشئ من الاجناس التى لايمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولى امرها ليظهر لهم صحة مايدعوهم اليه (وأن عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا فى اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ماينجيهم قبل معافصة الموت ونزول العذاب (فبأىّ حديث بعده) اى بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فمابالهم لايبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأىّ حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله (من يضلل الله فلاهادى له) كالتقرير والتعليل له (ونذرهم فى طغيانهم) بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائى به وبالجزم عطفا على محل فلاهادى له كأنه قيل لايهده احد غيره ويذرهم (يعمهون) حال من هم (يسألونك عن الساعة) اى عن القيامة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة (ايان مرساها) متى ارساؤها اى اثباتها واستقرارها ورسوّ الشئ ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اىّ لان معناه اى وقت وهو من اويت اليه لان البعض آو الى الكل

(قل انما علمها عند ربى) استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولانبيا مرسلا (لايجليها لوقتها) لايظهر امرها فى وقتها (الا هو)

والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام فى قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس (ثقلت فى السموات والارض) عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه اشارة الى الحكمة فى اخفائها (لاتأتيكم الابغتة) الافجأة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (يسألونك كأنك حفى عنها) عالم بها فعيل من حفى عن الشئ اذا سأل عنه فان من بالغ فى السؤال عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه به ولذلك عدى بعن وقيل هو صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفى تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل كأنك حفى من حفى بالشئ اذا فرح ومعناه كأنك حفى بالسؤال عنها تحبه اى وانت تكرهه لانه من الغيب الذى استأثر الله بعلمه (قل انما علمها عند الله) كرره لتكرير يسألونك لماينيط به من هذه الزيادة وللمبالغة (ولكن اكثر الناس لايعلمون) ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه (قل لااملك لنفسى نفعا ولاضرا) جلب نفع ولادفع ضر وهو اظهار العبودية والتبرى من ادعاء العلم بالغيوب (الاماشاء الله) من ذلك فيلهمنى اياه ويوفقنى له (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء) ولو كنت اعلمه لخالفت حالى ماهى عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لايمسنى سوء (ان انا الانذير وبشير) وماانا الاعبد مرسل للانذار والبشارة (لقوم يؤمنون) فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) هو آدم (وجعل منها) من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله وجعل لكم من انفسكم ازواجا (زوجها) حواء (ليسكن اليها) ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشئ الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب

لو علم وقت قيامها لتقاصر عن التوبة وأخرها وكذلك اخفى ليلة القدر ليجتهد المكلف فى العبادة ليالى الشهر كلها واخفى ساعة الاجابة من يوم الجمعة ليكون المكلف مجدا فى الدعاء فى كل اليوم وايان ظرف زمان بمعنى متى والمرسى ههنا مصدر ميمى بمعنى الارساء وهو الاثبات يقال رسا يرسو رسوا اى ثبت وارساه غيره ارساء ومرسى وايان مبتدأ خبره مرساها قيل اصله ايوان فحذفت الواو على غير قياس ولم يعوض عنها شئ او قلبت الواو ياء على غير القياس فاجتمعت ثلاث ياآت فاستثقل ذلك فحذفت احداهن وبنيت الكلمة على الفتح لتضمنها معنى الاستفهام فصار ايان وقيل انه فعلان من اى لان معناه اى وقت زيدت الالف والنون على اى فصار ايان وقيل انه فعال من اين وانكره ابن جنى وقال ايان سؤال عن الزمان واين سؤال عن المكان فكيف يكون احدهما مأخوذا من الآخر واصل اى اوى فعل من اويت اليه لان البعض آو الى الكل مستند اليه فقلبت الواو ياء وادغمت فى الياء والرسو والارساء لايستعملان الافى ثبوت الشئ الثقيل واثباته يقال رست السفينة وارسيتها انا قال تعالى والجبال ارساها ولما كان اثقل الاشياء على الخلق هو الساعة سمى الله تعالى وقوعها واثباتها بالارساء ﴿قوله لايظهر امرها﴾ اشارة الى ان التجلية اظهار الشئ والتجلى ظهوره وقدر المضاف فى قوله لايجليها لانه تعالى قد كشف واظهر نفس قيام الساعة بدلائل قطعية ونصوص متعاضدة وليس المنفى الا اظهار امرها فى حق وقتها وتعيينه والمعنى لايعلم الوقت الذى فيه يحصل قيام الساعة الا الله سبحانه وتعالى ﴿قوله عظمت على اهلها﴾ اشارة الى ان المراد بثقل الساعة فى السموات والارض ثقلها بالنسبة الى اهلها وان كلمة فى بمعنى على كما فى قوله تعالى ولأصلبنكم فى جذوع النخل اى عظمت على اهلها خوفا من شدائدها ومافيها من الاهوال ومن جملة اهوالها فناء من فى السموات والارض وهلاكهم وذلك ثقيل على القلوب وقيل المراد ثقلها بالنسبة الى نفس السموات والارض من حيث انهما لايطيقان مجئ الساعة بانشقاق السماء وتكور الشمس والقمر وانتثار النجوم وتزلزل الارض ورجفانها وتبدلها غير الارض المعهودة وبطلان الجبال والبحار ﴿قوله فعيل من حفى عن الشئ﴾ يعنى ان حفى معناه الاصلى الحقيق استقصى فى السؤال عنه وتعلمه باقصى ماممكن ومن استقصى فى تعلم الشئ وبالغ فى السؤال عنه يلزمه ان يستحكم علمه فيه ويكون ماهرا فى العلم به فلذلك كنى بقوله تعالى حفى عنها عن معنى عالم بها ولما ورد ان يقال لو كان الحفى بمعنى العالم لوجب ان يعدى بالباء فكيف قيل حفى عنها اجاب عنه بأن الحفاوة لما كان اصل معناها الاستقصاء فى السؤال كان معنى السؤال ملحوظا فى معناها الكنائى فعدى تعديته وقيل انما يرد الاشكال على تقدير ان تكون عنها متعلقة بقوله حفى وليس كذلك بل هى متعلقة بيسألونك وقوله كأنك حفى معترض بينهما وصلة حفى محذوفة وتقدير الكلام يسألونك عنها كأنك حفى بها ﴿قوله وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة﴾ عطف على قوله عالم بها * الجوهرى حفيت به بالكسر حفاوة وتحفيت به اى بالغت فى الطافه واكرامه انتهى ومنه قوله تعالى انه كان بى حفيا اى بارا لطيفا يجيب دعائى فمعنى الآية يسألونك كأنك صديق لهم بار بهم وانت لاتكون حفيا بهم ماداموا على كفرهم وقيل هو فعيل من قولهم حفيت به حفاوة وتحفيت تحفيا اى فرحت به وبششت فالمعنى يسألونك كأنك حفى تسر وتفرح بالسؤال عنها والحال انك تكره السؤال عنها لانها من علم الغيب الذى استأثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه وعلى الوجوه كلها قوله تعالى كأنك حفى عنها فى محل النصب على انه حال من مفعول يسألونك اى مشبها حالك بحال الحفى نظرا الى زعمهم واعتقادهم ﴿قوله لماينيط به﴾ علة لتكرير يسألونك وقوله للمبالغة اى فى انكار سؤالهم علة لزيادة قوله كأنك حفى عنها وتكرير اللفظ لفائدة زائدة ليس بتكرار فى الحقيقة ﴿قوله والتبرى من ادعاء العلم بالغيوب﴾ فان من لايعلم نفعه فى اى الاشياء ومضرته فى ايها كيف يحصل عنده علم وقت قيام الساعة ونظيره قوله تعالى فى سورة يونس ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لااملك لنفسى ضرا ولانفعا الاماشاء الله قيل لما رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة بنى المصطلق جاءت ريح فى الطريق نفرت الدواب منها فأخبر عليه الصلاة والسلام بموت رفاعة بالمدينة وكان فيه غيظ المنافقين وقال عليه الصلاة والسلام * انظروا اين ناقتى * فقال عبدالله بن ابى بن سلول ألاتعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولايعرف ناقته قال عليه الصلاة والسلام * ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتى فى هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة * فوجدوها على ماقال فأنزل الله تعالى قل لااملك لنفسى نفعا ولاضرا ﴿قوله وانما ذكر الضمير﴾ اى ضمير قوله ليسكن مع رجوعه الى النفس وقد انث ماهو عبارة عنها حيث قيل واحدة وجعل منها زوجها رعاية لجانب معنى النفس

(فلما تغشاها) اى جامعها (حملت حملا خفيفا) خف عليها ولم تلق منه ماتلق منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة

(لان)

لان المراد بها آدم عليه الصلاة والسلام ورعاية جانب المعنى في اسناده فعل السكون والتغشي هو الانسب لان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فينبغي ان يتصور الساكن والمتغشي بصورة الذكر لا بصورة الانثى واصل التغشي التغطية كني به عن الجماع لان كل واحد من الرجل والمرأة لباس الآخر وساتره فانه اذا علاها فقد صار كالغاشي لها والحمل بفتح الحاء ما كان في البطن وعلى رأس الشجر وبكسر الحاء ما حمل على ظهر الدابة وحملا في الآية يجوز ان يراد به المصدر فينصب انتصابه وان يراد به نفس الجنين فينصب انتصاب المفعول به كقولك حملت زيدا ﴿قوله فاستمرت به﴾ اى ذهبت ودامت بذلك الحمل الخفيف كانت تجيء وتذهب وتقوم وتقعد وتمشي بسهولة من غير تعب وفي الصحاح مر عليه وبه يمر مرا اى اجتاز ومر يمر مرا ومرورا اى ذهب واستمر مثله وقرئ فرت بتخفيف الراء وفيها وجهان احدهما ان اصلها التشديد ولكنهم كرهوا التضعيف في حرف مكرر فتركوه وهذه كقراءة وقرن بفتح القاف اذا جعلناه من القرار والثاني انه من المرية وهو الشك اى فشكت بسببه أهو حمل ام مرض وقرئ فاستمرت وهي واضحة وقرئ ايضا فارت بألف وتخفيف الراء من مار يمور اى جاء وذهب وتصرف في كل وجه واصله مورت قلبت الواو ألفا فصار مارت ويجوز ان يكون فاعلت من المرية واصله ماريت قلبت الياء ألفا ثم حذفت الالف لالتقاء الساكنين ومتعلق الدعاء في قوله دعوا الله محذوف لدلالة الجملة القسمية عليه اى دعواه بان يؤتيهما ولدا صالحا ﴿قوله اى جعل اولادهما﴾ قدر المضاف وهو الاولاد في موضعين والتقدير جعل اولادهما لله شركاء فيما آتى اولادهما دفعا للاشكال الوارد على ظاهر الآية فانه فسر النفس الواحدة بنفس آدم وفسر زوجها بحواء عليهما الصلاة والسلام فلو لم يقدر المضاف للزم نسبتهما الى الشرك وهما بريئان منه فقدر المضاف لدفع هذا الاشكال فيكون اول الآية في حق آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام كالكلام المعترض بين الكلام الوارد في شرح احوال المشركين حكى الله تعالى للمشركين ان حواء لما اثقلت دعا آدم وحواء ربهما لئن اعطيتنا ولدا سويا صالحا في الدين لنشكرن لك ووجه دعائهما بذلك ان آدم عليه الصلاة والسلام رأى حين اخذ الميثاق على ذريته ان منهم السوي والتقي وغير السوي وغير التقي فسألا ان يكون هذا الولد تقيا سويا وقالا لئن آتيتنا صالحا سويا لنشكرن لك واعطاهما صالحا وشكرا لانهما ليسا بحيث يعد ان من انفسهما بذلك ولا يفعلانه وتم الكلام ههنا ثم شرع في توبيخ المشركين بقوله فلما آتاهما صالحا اى فلما اعطى من اولادهما من كان والداو والدة من اهل الشرك ولدا صالحا سوي الاعضاء جعل هذان الابوان لله شركاء فيما اعطاهما بأن سميا الاولاد بعبد العزى وعبد اللات ونحوهما وسجدا للاصنام شكرا على هذه النعمة وهذا التقرير احسن من تقرير المصنف فانه يشعر ان المضاف انما يقدر في قوله جعلا ومابعده دون قوله فلما آتاهما صالحا ولاشك ان جعل الاولاد ليس في ذلك الحين بل بعده بأزمنة متطاولة الا ان يقال كلمة لما ليست للزمان المتضايق بل هي للزمان الممتد فلا يلزم ان يقع مضمون الشرط والجزاء في يوم واحد وشهر اوسنة بل يختلف ذلك باختلاف الامور الواقعة فيه تقول لما ظهر الاسلام طهرت البلاد من دنس الشرك والالحاد ولما ركب السلطان قمع آثار الشر والفساد ﴿قوله ويدل عليه﴾ اى على حذف المضاف قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون فانه يدل على ان الذين أتوا بهذا الشرك جماعة دون آدم وحواء وقوله بعده أيشركون مالا يخلق شيأ فان المقصود منه الرد على من جعل الاصنام شركاء لله تعالى وهذا المقصود انما يحصل بتقدير المضاف ﴿قوله وامثال ذلك لايليق بالانبياء﴾ فان تسميته بعبد الحارث وان لم يكن شركا في الحقيقة لان اسماء الاعلام لاتفيد معانيها اللغوية الا ان اتباع آدم لامر الشيطان مع نبوته وعلمه الكثير المدلول عليه بقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وتجاربه الكثيرة التي حصلت له بسبب الزلة التي وقع فيها لاجل وسوسة الشيطان بعيد ممن جعله الله تعالى مسجود الملائكة وفضل عليهم لعلم مالم تعلمه الملائكة فانه مع كثرة علومه كيف لايتنبه لأن اسم الشيطان هو الحارث وكيف سمى ولد نفسه بعبد الحارث أفضاقت الاسماء عليه حتى انه لم يجد سوى هذا الاسم مع انهم لايخلون الاعلام المضافة عن الايماء الى المعاني الاصلية وملاحظتها وهذا القدر من الحاجة كاف في تقدير المضاف ﴿قوله فاعطاهما اربعة بنين﴾ اضاف اثنين الى صنميه مناف وشمس وواحدا الى نفسه وآخر الى داره التي هي دار الندوة وابدا الزمخشري هذا الاحتمال بقوله في قصة ام معبد

* فيا لقصي مازوى الله عنكم * به من فخار لايبارى وسؤدد *

روي انه عليه الصلاة والسلام خرج من مكة مهاجرا الى المدينة ومعه ابوبكر رضي الله عنه ومولاه عامر بن

(غرت به) فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فرت بالتخفيف وفاستمرت وفارت من المور وهو المجيء والذهاب اومن المرية اى فظنت الحمل وارتابت به (فلما اثقلت) صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اى اثقلها حملها (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه (لنكونن من الشاكرين) لك على هذه النعمة المجددة (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) اى جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله (فتعالى الله عما يشركون أيشركون مالا يخلق شيأ وهم يخلقون) يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها مايدريك مافي بطنك لعله بهيمة اوكلب ومايدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا بين الملائكة فقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لايليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية فطلبا من الله الولد فأعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما

فهيرة و دليلهما الليثي عبد الله بن اريقط فمرّوا على خيمتي ام معبد فسألوها لحما و تمرا ليشتروا فلم يصيبوا عندها شيأ وكان القوم مسنتين اى اصحاب قحط و جدب فنظر عليه الصلاة و السلام الى شاة فى جانب الخيمة فقال * ماهذه الشاة ياام معبد * قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال * هل بها من لبن * قالت هى اجهد من ذلك قال * أتأذنين ان احلبها * قالت بأبى انت و امى ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بها رسول الله صلى الله عليه و سلم فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها فى شأنها فتفاجت عليه ودرّت و اجترّت و دعا باناء يربض الرهط اى يرويهم فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء اى وبيص الرغوة ثم سقاها حتى رويت وسقى اصحابه حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب ثانيا و غادره عندها و ارتحلوا فجاء زوجها ابو معبد فلما رأى اللبن عجب و قال من اين لك هذا ياام معبد و الشاة عازب حيال و لاحلوب فى البيت قالت لا والله الا انه مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فقال صفيه لى فوصفته له قال هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من امره كذا وكذا و لقد هممت ان اصحبه ولأفعلنّ ان وجدت الى ذلك سبيلا فأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت و لايدرون من صاحبه

٭ جزى الله رب الناس خير جزآئه ٭	رفيقين قالا خيمتى ام معبد ٭
٭ هما نزلاها بالهدى و اهتدت بهم ٭	وقد فاز من امسى رفيق محمد ٭
٭ فيالقصيّ مازوى الله عنكمو ٭	به من فخار لايبارى وسؤدد ٭
٭ ليهن بنى كعب مقام فتاتهم ٭	ومقعدها للمؤمنين بمرصد ٭
٭ سلوا اختكم عن شاتها و انائها ٭	فانكمو ان تسألوا الشاة تشهد ٭
٭ دعاها بشاة حائل فتحلبت ٭	له بصريح ضرّة الشاة مزبد ٭
٭ فغادرها رهنا لديها لحالب ٭	يرددها فى مصدر ثم مورد ٭

الضرّة اصل الضرع الذى لايخلو من لبن وقيل هى الضرع كله ماخلا الاطباء جمع طبى بالضم وهى رأس الضرع وقوله الصريح اللبن اذا ذهبت رغوته وقوله فيالقصيّ اللام فيه للتعجب كما فى قولهم ياللماء و ياللدواهى وقصيّ عبارة عن القبيلة و المعنى تعالوا ياقصيّ ليتعجب منكم فيما اغفلتموه من حظكم و اضعتموه من عزكم بعصيانكم رسول الله صلى الله عليه وسلم و الجائكم اياه الى الخروج من بين اظهركم ومافى مازوى الله عنكمو استفهامية او موصولة اى اىّ شئ سلبه الله ومنعه عنكم به اى بسبب النبى صلى الله عليه وسلم وارتحاله من فخار لايقابل ولا يعارض وقوله خيمتى نصب على الظرفية باجرآء الموقت مجرى المبهم قيل الصوت صوت مسلم من الجنّ أقبل من اسفل مكة حتى خرج بأعلاها ﴿قوله وقرأ نافع وابو بكر شركا﴾ اى بكسر الشين وسكون الرآء وتنوين الكاف والباقون بضم الشين وفتح الرآء ومد الكاف مهموزا من غير تنوين جمع شريك و الشرك مصدر بمعنى الشركة والمشركون لاينكرون ان من آتاهما هو الله تعالى فى الحقيقة و الاصالة فكان الظاهر ان يقال جعلا لغيره شركاء اى شركة فيما آتاهما الا انهم لما اشركا فيه غيره تعالى فقد اثبتاله تعالى شركة فيه لان الشركة تكون بين اثنين ويحتمل ان يكون الكلام مبنيا على تقدير المضاف اى ذوى شرك ﴿قوله جيئ به﴾ جواب عما يقال انما يعبر بلفظ هم عن العقلاء ولا يجمع بالواو و النون الا العقلاء فكيف قيل فى حق الاصنام وهم يخلقون واجاب بأن ذلك مبنى على اعتقاد الكفار فيها مايعتقدونه فى العقلاء ﴿قوله اى المشركين﴾ تفسير للضمير المنصوب و ضمير الخطاب للرسول و المؤمنين اى وان تدعوا انتم هؤلاء الكفار الى الايمان ولايجوز ان يكون تدعوا مسندا الى ضمير الرسول فقط لانه حينئذ كان ينبغى ان يحذف الواو لاجل الجازم ﴿قوله وقرأ نافع بالتخفيف﴾ اى لايتبعونكم بتخفيف التاء قيل هما لغتان ولهذا جاء فى قصة آدم عليه الصلاة و السلام فمن تبع وفى موضع آخر فمن اتبع وقيل تبعه بمعنى اقتفى أثره واتبعه بالتشديد بمعنى اقتدى به ثم انه تعالى اكد مضمون هذه الشرطية بقوله سوآء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون ﴿قوله وانما لم يقل ام صمتم﴾ مع ان مقتضى القياس و الشائع فى الاستعمال ان يذكر بعد همزة التسوية واختها الفعل ليؤوّل بالمصدر كما فى قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم و حاصل الجواب الثانى فان محصول الجواب الاوّل واضح ان المستويين ههنا هما احداث الدعاء والاستمرار على الصمات وذلك يقتضى ان يجعل قسيم احداث الدعاء مايدل على الثبات على الصمات وهو الجملة الاسمية وانما قلنا ان احد المستويين هنا الثبات على الصمات لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله تعالى دون اصنامهم لقوله تعالى واذا مس الناس ضرّ دعوا ربهم فكانت حالتهم المستمرة ان يكونوا

وقرأ نافع وابوبكر شركا اى شركة بأن اشركا فيه غيره او ذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيئ به على تسميتهم اياها آلهة (ولايستطيعون لهم نصرا) اى لعبدتهم (ولاانفسهم ينصرون) فيدفعون عنها مايعتريها (وان تدعوهم) اى المشركين (الى الهدى) الى الاسلام (لايتبعوكم) وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لايتبعوكم الى مرادكم ولايجيبوكم كما يجيبكم الله (سواء عليكم أدعوتموهم امانتم صامتون) وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة فى عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوّى بالثبات على الصمات اولانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سوآء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم

صامتين عن دعوة الاصنام فلذلك قيل ان دعوتموهم لم يكن فرق بين احداثكم دعاءهم و بين ما انتم عليه من عادة
صمتكم عن دعائهم ﴿قوله من حيث انها مملوكة مسخرة﴾ اشارة الى جواب ما يقال كيف يحسن وصف الاصنام
بأنها عباد أمثالكم مع انها جمادات و العباد انما يطلق على الاحياء العقلاء * و تقريره انه عبر عنها بضمير العقلاء فى قوله
فادعوهم فليستجيبوا لكم و قيل ان الذين دون ان التى بناء على ان المشركين لما ادّعوا انها تضرّ و تنفع وجب ان يعتقدوا
فيها كونها عاقلة فاهمة فلهذا وردت هذه الالفاظ على وفق اعتقادهم ﴿قوله و يحتمل الخ﴾ جواب آخر
و تقريره ان هذا اللفظ ورد فى معرض الاستهزاء بهم و سيق على سبيل الفرض و التقدير كأنه قيل ان قصارى امرهم
ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فان ثبت ذلك فلا فضل لهم عليكم فلم جعلتم انفسكم عبيدا و جعلتموها آلهة و اربابا
﴿قوله ثم عاد عليه﴾ اى ابطل ان يكونوا عبادا ببيان ان الانسان افضل بكثير من الاصنام بل لا نسبة لفضيلة
الانسان الى فضيلة الاصنام البتة فكيف يكون الاخس الادنى الذى لا يحصل منه فائدة البتة لا فى جلب منفعة و لا فى
دفع مضرّة مثلا للافضل الاكمل فضلا عن ان يكون مستحقا العبادة الافضل اياه ﴿قوله و قرئ ان الذين﴾ قرأ
العامة بتشديد انّ فالموصول محل النصب على انه اسم ان و عباد خبرها و قرئ بتخفيف ان و نصب عباد امثالكم
و المعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية نسبت ما الى الحجاز لان
اهله يختصون باعمالها و هو مذهب الكسائى و اكثر الكوفيين غير الفراء و سيبويه لا يعملها فيقول ان زيد منطلق
برفع منطلق بناء على ان عمل ما عمل ليس ضعيف و ان التى بمعناها تكون اضعف * و اورد على هذه القراءة انها تنفى
كون الاصنام عبادا امثالكم و القراءة المشهورة تثبت ذلك و لا يجوز التناقض فى كلام الله تعالى * و اجيب بأن
القراءة الدالة على نفى المماثلة معناها ان الاصنام ادنى حالا و احقر من عابديها الذين هم اتم حالا و اقدر على الضرر
و النفع بالنسبة الى الاصنام فانها جماد لا تقدر على شئ اصلا فكيف يعبد الكامل من هو دونه فتكون هذه القراءة بحسب
محصولها و مؤدّاها موافقة للقراءة المتواترة و ادل على المعنى المقصود بطريق الاولى و قرأ العامة يبطشون بكسر
الطاء على انه من باب ضرب يضرب و قرئ بضم الطاء و هما لغتان بمعنى و البطش الاخذ بقوة ﴿قوله انتم﴾
اى الجماعة المخاطبون بقوله كيدون قيل انهم كانوا يخوّفونه عليه الصلاة و السلام بآلهتهم قائلين نخاف ان يصيبك
بعض آلهتنا بسوء فقال تعالى قل ادعوا شركاءكم الآية يريد انى قد ذممت اصنامكم و سفهت عقولكم و احلامكم
فاقصدونى بما شئتم من الكيد و استعجلوا فيه و لا تمهلوا فانى لا اخافكم ثقة بالله الذى هو المنفرد بالقدرة على النفع
و الضرّ و الخير و الشرّ و لا يقول مثل هذا الكلام الا الواثق بعصمة الله تعالى ﴿قوله تعالى ان وليى الله﴾
بثلاث يا آت الاولى ياء فعيل و هى ساكنة و الثانية لام الفعل و هى مكسورة قد ادغمت الاولى فيها فصارت ياء مشدّدة
و الثالثة ياء الاضافة و هى مفتوحة و الولى ههنا بمعنى الناصر و الحافظ اضيف الى ياء المتكلم و المعنى ان الذى يتولى
نصرتى و حفظى هو الله الذى اكرمنى بانزال القرآن و ايحائه الىّ و ايحاء الكتاب اليه يستلزم رسالته لا محالة و قوله
و هو يتولى الصالحين تذييل و هو ان يعقب الكلام بما يشتمل على معناه تأكيدا له و قوله اى و من عادته مستفاد من اسمية
الجملة ﴿قوله من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم﴾ جواب ما يقال من ان مضمون هذه الآية قد ذكر سابقا
فما الفائدة فى تكريره * و تقرير الجواب انه ذكر اوّلا لتقريع عبدة الاصنام و ذكر ههنا اتماما لتعليل عدم مبالاته بهم و للفرق
بين من يستحق المبالاة به و من لا يستحقها ﴿قوله يشبهون الناظرين﴾ يعنى ان قوله تعالى ينظرون اليك
استعارة تبعية شبه مقابلة الاصنام له عليه السلام بنظرها اليه اى يخيل اليك انهم ينظرون لان لها اعينا مصنوعة
مركبة بالجواهر و هم غير ناظرين و مبصرين فى الحقيقة و كون الضمير المنصوب فى تراهم للاصنام يستدعى ان يكون
المنصوب فى تدعوهم ايضا للاصنام فيكون الضمير المرفوع للمشركين و المعنى ايها المشركون ان تدعوا اصنامكم الى
ان يهدوكم لا يسمعوا دعاءكم و يحتمل ان تكون الآية فى صفة المشركين و المعنى و ان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى
الهدى لا يسمعوا اى لا يقبلوا ذلك بقلوبهم فلا يجيبوكم و تراهم يا محمد ينظرون اليك بأعينهم و هم لا يبصرونك بقلوبهم
﴿قوله اى خذ ما عفا لك﴾ لما بين الله تعالى ان كيد المشركين لا يضرّه عليه الصلاة و السلام امره بمكارم الاخلاق
الداعية الى الالفة و الاتفاق فقال اقبل من الناس ما عفا لك من اخلاقهم و افعالهم اى تيسر و تسهل و لا تكلفهم الجهد
اى المشقة من قولك اخذت حق عفوا اى بسهولة قال اهل اللغة عفو المال ما فضل من النفقة و ما اتى من غير كلفة
قال الشاعر * خذى العفو منى تستديمى مودّتى * و لا تنطقى فى سورة حين اغضب * اى و لا تتكلمى فى سطوتى

(ان الذين تدعون من دون الله) اى
تعبدونهم و تسمونهم آلهة (عباد امثالكم)
من حيث انها مملوكة مسخرة (فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) انهم آلهة
و يحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسى قال لهم
ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء
امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق
بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال
(ألهم ارجل يمشون بها ام لهم أيد يبطشون
بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان
يسمعون بها) و قرئ ان الذين بتخفيف انّ
و نصب عباد على انها نافية عملت عمل ما الحجازية
و لم يثبت مثله و يبطشون بالضم ههنا و فى
القصص و الدخان (قل ادعوا شركاءكم)
واستعينوا بهم فى عداوتى (ثم كيدون) فبالغوا
فيما تقدرون عليه من مكروهى انتم و شركاؤكم
(فلا تنظرون) فلا تمهلون فانى لا ابالى بكم
لوثوقى على ولاية الله و حفظه (ان وليى الله
الذى نزل الكتاب) القرآن (و هو يتولى
الصالحين) اى و من عادته تعالى ان يتولى
الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه (و الذين
تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم و لا
انفسهم ينصرون) من تمام التعليل لعدم
مبالاته بهم (و ان تدعوهم الى الهدى
لا يسمعوا و تراهم ينظرون اليك و هم
لا يبصرون) يشبهون الناظرين اليك لانهم
صوّروا بصورة من ينظر الى من يواجهه
(خذ العفو) اى خذ ما عفا لك من افعال الناس
و تسهل و لا تطلب ما يشق عليهم من العفو
الذى هو ضدّ الجهد

او خذ العفو من المذنبين او الفضل و ماتسهل
من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة
(وأمر بالعرف) المعروف المستحسن من
الافعال (وأعرض عن الجاهلين) فلاتمارهم
ولاتكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة
لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها
(واما ينزغنك من الشيطان نزغ) ينخسنك
منه نخس اى وسوسة تحملك على خلاف ما
امرت به كاعترآء غضب وفكر والنزغ
والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس
اغرآءهم على المعاصى وازعاجا بغرز السائق
مايسوقه (فاستعذ بالله انه سميع) يسمع
استعاذتك (عليم) يعلم مافيه صلاح امرك
فحملك عليه او سميع بأقوال من آذاك عليم
بأفعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام
ومتابعة الشيطان (ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان) لمة منه وهو اسم فاعل
من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت
حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به
الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير و ابو عمرو
والكسائى ويعقوب طيف على انه مصدر
او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان
الجنس ولذلك جمع ضميره (تذكروا) ما امر
الله به ونهى عنه (فاذاهم مبصرون) بسبب
التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان
فيتحرزون عنها ولايتبعونه فيها والآية
تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله
(واخوانهم يمدونهم) اى واخوان
الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان
(فى الغى) بالتزيين والحمل عليه وقرئ
يمدونهم من امد ويمادونهم كأنهم يعينونهم
بالتسهيل والاغوآء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع
والامتثال (ثم لايقصرون) ثم لايمسكون
عن اغوآئهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون
الضمير للاخوان اى لايكفون عن الغى
ولايقصرون كالمتقين

واعتدائى حين اغضب* واعلم ان الحقوق التى تستوفى من الناس وتؤخذ منهم منها مايجوز ادخال المساهلة والمسامحة
فيه ومنها مالايجوز فيه ذلك والقسم الاول هو المراد بقوله تعالى خذ العفو واما القسم الثانى فالحكم فيه ان يؤمر
بالعرف والعرف والمعروف مايستحسنه الشرع القويم والعقل السليم ولو اقتصر على الاخذ بالعفو فى هذا القسم
لأدّى ذلك الى تغيير الدين وابطال الحق وانه لايجوز ثم اذا امر بالعرف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما اقدم
بعض الجاهلين على السفاهة والايذآء فلهذا السبب قال تعالى فى هذه الآية واعرض عن الجاهلين وهو تحمل الاذى
والعفو عمن جنى والحلم على من جفا فظهر بهذا ان هذه الآية مشتملة على مكارم الاخلاق فيما يتعلق بمعاملة الناس
مع الغير ﴿قوله او الفضل﴾ اى او خذ ما عفالك وفضل من اموالهم اى ما اتوك به عفوا فخذه ولاتسأل
ما وراء ذلك ﴿قوله شبه وسوسته﴾ يعنى ان قوله تعالى ينزغنك استعارة تبعية شبه اغرآء الشيطان الناس على
المعاصى بوسوسته بالنزغ والغرز واستعير له اسم النزغ ثم اشتق منه ينزغنك والافليس هناك نزغ وغرز روى انه لما نزل
قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم* كيف اصنع يارب مع
الظالم والغضب يحمل على الانتقام ومخالفة ما امرت به من مكارم الاخلاق فقيل له ان الغضب من نزغ الشيطان
فاما ينزغنك الشيطان فاستعذ بالله جعل النزغ ملابسة الفعل بحيث صار جميع ماقام به من المعانى والاعراض
ملابسا بذلك الفعل واما صله ان الشرطية زيدت عليها مالاتأكيد وقوله تعالى انه سميع عليم يدل على ان الاستعاذة
باللسان لاتفيد الا اذا حضر فى القلب العلم بمعنى الاستعاذة فكأنه تعالى يقول اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فانى
سميع لمقالك واستحضر معناها فى قلبك فانى عليم بما فى ضميرك وقلبك ولم يتعرض المصنف لهذا الاحتمال
﴿قوله لمة منه﴾ اى عارضة من جهة الشيطان والذى من جهته لايكون الا الوسوسة وطيف الشيطان لمته
وهو الخاطر الشيطانى وطيف الخيال الصورة المتمثلة فى محل القوة المتخيلة والاصل ان الخيال اسم بمعنى التخيل
وارتسام الصورة المذكورة فى محلها وطيفها نزولها فيه فالطيف مصدر قولك طاف به الخيال اى ألم به ونزل يطيف
طيفا والطائف مادار حول الشئ قال ابو عمرو الطائف مايطوف حول الشئ وهو هنا ماطاف من وسوسة
الشيطان والطيف اللمة والوسوسة وقيل الطيف والطائف بمعنى قال ابو الليث طائف الشيطان وطيف الشيطان
مايغشى الانسان من وساوسه وقال الفرآء الطائف والطيف سوآء وهو ما كان كالخيال والشئ الذى يلم بك ويجوز
ان لايكون الطيف مصدرا بل يكون مخففا من فيعل اصله طيف بتشديد الياء فحذفت عين الكلمة كما قيل فى ميت وهين
﴿قوله والآية تأكيد وتقرير لما قبلها﴾ بناء على ان الخطاب فى الآية المتقدمة وان كان للرسول صلى الله عليه
وسلم الا ان حكمه يعم جميع المكلفين ﴿قوله الذين لم يتقوا﴾ صفة اخوان اشار به الى وجه رجحان كون ضمير اخوانهم
للشيطان الذى اريد به الجنس فان كون اخوانهم مذكورا فى مقابلة الذين اتقوا يؤيد كون المراد بالاخوان غير
المتقين فالضمير المنصوب فى يمدونهم يعود على غير المتقين والمرفوع يعود على الشيطان والتقدير واخوان الشيطان
يمدهم الشيطان اى يمدهم فى الغى بحملهم عليه واغرائهم فعلى هذا الوجه يكون الخبر جاريا على غير من هو له فى
المعنى لان الامداد مسند الى الشيطان فى المعنى وهو فى اللفظ خبر عن اخوانهم فان اخوانهم مبتدأ ويمدونهم خبر له
اسند الى الشيطان والعائد الى المبتدأ ضمير المفعول كما فى قولك جارية زيد يضربها الخبر عن الجارية بفعل غيرها ولم يقل
يضربها هو لان ابراز الضمير انما يجب فى مثلها اذا كان الخبر صفة لافعلا ﴿قوله اى وقرئ يمدونهم﴾
اى قرأ نافع يمدونهم بضم الياء وكسر الميم من الامداد والباقون يمدونهم بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان بمعنى قال
الواحدى عامة ماجاء فى التنزيل مما يحمد ويستحب امددت على وزن افعلت كقوله انما نمدهم به من مال وبنين
وقوله وامددناهم بفاكهة وقوله أتمدونني بمال وما كان بخلافه فانه يجئ على مددت قال ونمدهم فى طغيانهم
يعمهون لان الامداد انما جاء فيما يحمد وقد استعمل فى الغى والوجه ههنا قرآءة العامة وهى بفتح الياء ومن ضم
الياء فقد استعمل ماهو للخير فى ضده كقوله فبشرهم بعذاب اليم قال الكلبى لكل كافر اخ من الشياطين يمده
فى الغى ويطول له الاغوآء حتى يستمر عليه ﴿قوله ويجوز ان يكون الضمير﴾ اى فى قوله لايقصرون
للاخوان كما جاز ان يكون للشياطين لانه يجوز ان يقال فى حق كل واحد من الشيطان والاخوان انه لايكف
ولاينتهى عما هو عليه من الاغوآء والغى والاقصار الكف عن الشئ يقال اقصر فلان عن الشئ يقصر
اقصارا اذا كف عنه وانتهى قال ابن عباس رضى الله عنهما اى ثم لايفترون عن الضلال والاضلال اما الغاوى

فعن الضلال واما المغوى فعن الاضلال فعلى هذا ايضا ضمير لايقصرون يكون للاخوان والشياطين جميعا ﴿قوله ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين﴾ وبالضمير المجرور الذى اضيف اليه الاخوان الجاهلون والمعنى والشياطين الذين هم اخوان الجاهلين يمدون الجاهلين فى الغى بحملهم عليه فعلى هذا يكون الخبر جاريا على من هو له لفظا ومعنى حيث اخبر عن الشياطين بفعل انفسهم ﴿قوله بآية من القرآن او مما اقترحوه﴾ قيل كان اهل مكة يسألون النبى صلى الله عليه وسلم فلا يجيبهم انتظارا للوحى فربما يتأخر نزول الوحى عنه فيقولون هلا افتعلتها وتقولتها وجئت بها من قبل نفسك كسائر ما تقرأه علينا لانهم كانوا ينكرون كون القرآن وحيا الهيا ويقولون انه تقوله من عند نفسه وان هذا الا افك مفترى فاذا تأخر الوحى عن زمان سؤالهم يقولون هلا اخترعت شيأ تقرأه علينا من عند نفسك وما اعتذارك بابطاء الوحى عنك قال الفراء تقول العرب اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك وايضا كانوا يطلبون منه عليه الصلاة والسلام آيات معينة على سبيل التعنت كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وكقولهم أحى لنا فلانا الميت يكلمنا ويصدقك فيما تدعونا اليه ونحو ذلك فربما لا يأذن الله تعالى له فى اتيان ما اقترحوه فيقولون هلا اخترعت هذا الذى سألناك واتيت به وانت رسول بزعمك ولا بد للرسول من معجزة تطمئن بها قلوب الامة فهلا تأتينا بالمعجزة التى نطلبها منك بأن تطلب من الله تعالى ان يخلقها على يديك ان كنت صادقا فى ان الله تعالى يقبل دعاءك ويجيب اقتراحك عليه ﴿قوله هلا جمعتها﴾ اشارة الى ان اجتباه بمعنى جمعه قال صاحب الكشاف اجتبى الشئ بمعنى جباه لنفسه اى جمعه كما يقال اجتمعه اى جمعه لنفسه وقوله او هلا طلبتها اشارة الى ان الاجتباء بمعنى الاختيار الذى هو طلب الخير ﴿قوله بها يبصر الحق﴾ اشارة الى ان البصائر جمع بصيرة وانها فى الاصل بمعنى الابصار المقابل للعمى وان لفظ البصائر يطلق على الحجج والبراهين بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب فانها اسباب لبصائر القلوب وادراكها والقرآن لاشتماله على دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وجميع ما هو الحق والصواب من عقائد المكلفين وافعالهم واخلاقهم صار سببا لبصيرة القلب وادراكه لتلك المطالب فوصف بانه بصائر وهادى الى الطريق المستقيم وسبب رحمة رحم الله تعالى من عمل به فيدخلهم الجنة بفضله ورحمته ثم انه تعالى لما عظم شأن القرآن بقوله هذا بصائر الى آخره اردفه بقوله واذا قرئ القرآن وقوله تعالى له متعلق بقوله استمعوا اى استمعوا الاجله والضمير للقرآن والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وانصت بمعنى واحد ﴿قوله نزلت فى الصلاة﴾ اى فى تحريم الكلام فيها قال قتادة كان الرجل يأتى وهم فى الصلاة فيسألهم كم صليتم وكم بقى وكانوا يتكلمون فى الصلاة لحوائجهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وامرهم بالانصات فيها قال مجاهد وجب الانصات فى موضعين فى الصلاة والامام يقرأ وفى الجمعة والامام يخطب ﴿قوله وهو ضعيف﴾ قال الامام الواحدى رحمه الله فى الوسيط ولا تدل الآية على ترك القرآءة خلف الامام لان هذا الانصات المأمور به نهى عن الكلام فى الصلاة لا عن القرآءة او عن ترك الجهر بالقرآءة خلف الامام كما روى عن ابن عباس انه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة المكتوبة وقرأ اصحابه وراءه رافعى اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت هذه الآية وهذا قول ابى حنيفة واصحابه والعرب تسمى تارك الجهر منصتا وان كان يقرأ فى نفسه اذا لم يسمع احدا وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام سمع ناسا يقرأون مع الامام فلما انصرف قال اما آن لكم ان تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ولما كان المقصود من الامر بالانصات النهى عن الكلام فى الصلاة او عن الجهر بالقرآءة خلف الامام لم يكن فى الآية دلالة على النهى عن قرآءة المأموم ومع هذا فحكم ظاهر الآية مرعى عند الامام الشافعى رحمه الله لان السنة عنده ان يسكت الامام بعد فراغه من الفاتحة ليقرأ المأموم الفاتحة حال سكتة الامام وايضا عموم قوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا وان اوجب سكوت المأموم عند قرآءة الامام الا ان قوله عليه السلام * اذا كنتم خلفى فلا تقرأوا الا بفاتحة الكتاب فانه لا صلاة الا بها * وقوله عليه الصلاة والسلام * لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب * خص عموم القرآن فانه يجوز تخصيص عموم القرآن بالسنة وذكر فى اللباب ان من اوجب القرآءة على المأموم قال الآية فى غير الفاتحة ويقرأ الفاتحة فى سكتات الامام ولا ينازع الامام فى القرآءة ﴿قوله ومتكلما كلاما﴾ اشارة الى ان قوله دون الجهر صفة لشئ محذوف وذلك المحذوف حال معطوف على ما قبله ثم انه تعالى لما امر الامة بأن ينصتوا ويستمعوا قرآءة الرسول صلى الله عليه وسلم اردف ذلك الامر بأن امره عليه الصلاة والسلام فى هذه الآية بأن

ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هو له (واذا لم تأتهم بآية) من القرآن او مما اقترحوه (قالوا لولا اجتبيتها) هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأه او هلا طلبتها من الله (قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى) لست بمختلق للآيات اولست بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) سبق تفسيره (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) نزلت فى الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قرآءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لا يرى وجوب القرآءة على المأموم وهو ضعيف (واذكر ربك فى نفسك) عام فى الاذكار من القرآءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقرآءة سرا بعد فراغ الامام من قرآءته كما هو مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا (ودون الجهر من القول) ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل فى الخشوع والاخلاص

(بالغدوّ والآصال) باوقات الغدوّ والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل فى الاصيل مطابق للغدوّ (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله (ان الذين عند ربك) يعنى ملائكة الملأ الاعلى (لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه) وينزهونه (وله يسجدون) ويخصونه بالعبادة والتذلل لايشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقرآءته وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول ياويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

(سورة الانفال مدنية وهى)
(ست وسبعون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يسألونك عن الأنفال) اى الغنائم يعنى حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمى به مايشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه (قل الانفال لله والرسول) اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول على مايأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر أنها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أو الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له عناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردأ لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السوآء ولهذا قيل لايلزم الامام ان يفى بما وعد وهو قول الشافعى رحمه الله تعالى وعن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخى عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى مالايعلمه الا الله من قتل اخى واخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذه

يذكر ربه فى نفسه وان يذكره عارفا بمعانى الاذكار التى يقولها بلسانه مستحضرا لصفات الجلال والعز والعظمة والكبرياء وذلك لان الذكر باللسان اذا كان عاريا عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة الاترى ان الفقهاء اجمعوا على ان الرجل اذا قال بعت واشتريت مع انه لايعرف معانى هذه الالفاظ ولايفهم منها شيأ فانه لاينعقد البيع والشرآء فكذا ههنا * قال الامام سمعت ان بعض الاكابر من ارباب القلوب كان اذا اراد ان يأمر واحدا من المريدين بالخلوة والذكر امره اربعين يوما بالخلوة والتصفية ثم عند استكمال هذه المدة وحصول التصفية التامة يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين ويقول لذلك المريد اعتبر حال قلبك عند سماع هذه الاسماء فكل اسم وجدت قلبك عند سماعه قوى تأثره وعظم شوقه فاعلم ان الله تعالى انما يفتح ابواب المكاشفات عليك بواسطة المواظبة على ذكر ذلك الاسم بعينه وهذا طريق حسن لطيف فى هذا الباب * وكمال حال الانسان لما توقف على انكشاف عزة الربوبية وذلة العبودية امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يذكر ربه فى نفسه متضرعا لان المقصود الاول انما يتم بقوله واذكر ربك فى نفسك والمقصود الثانى انما يتم بقوله تضرعا وخيفة بكسر الخاء اصلها خوفة قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ماقبلها وهذا الخوف يتناول خوف التقصير فى الاعمال وخوف الخاتمة وخوف السابقة فان مايظهر فى الخاتمة ليس الا ماسبق له الحكم فى الفاتحة ولذلك كان عليه الصلاة والسلام * يقول جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة * ﴿ قوله بأوقات الغدوّ والعشيات ﴾ اشارة الى ان الغدوّ جمع غدوة وهى مابين صلاة الغداة وطلوع الشمس والآصال جمع اصيل نحو يمين وايمان وهو الوقت بعد العصر الى المغرب والعشىّ والعشية من صلاة المغرب الى العتمة واضافة الاوقات اليهما بيانية وقوله تعالى بالغدوّ والآصال متعلق باذكر اى اذكر فى هذين الوقتين وهى البكرات والعشيات وخص هذان الوقتان بالامر بالذكر لانه فيهما تتغير احوال العالم تغيرا عجيبا يدل على ان المؤثر فيه هو الاله الموصوف بالحكمة الباهرة والقدرة الكاملة فكل من شاهد هذه التغيرات ينبغى ان يذكر المؤثر فيهما بالتضرع والابتهال والخوف من تحويل حاله الى سوء الحال فلذا خص الله تعالى هذين الوقتين بالامر بالذكر وقيل الغدوّ والآصال عبارة عن الليل والنهار والمراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الامكان امره أوّلا بأن يذكر ربه بلسانه على وجه يستحضر فى نفسه معانى الاذكار التى يقولها بلسانه ثم اتبعه قوله ولاتكن من الغافلين للدلالة على ان الانسان ينبغى له ان لايغفل قلبه عن استحضار جلال الله تعالى وكبريائه بقدر الطاقة البشرية ثم انه تعالى لما رغب رسوله صلى الله عليه وسلم فى الذكر وفى المواظبة عليه ذكر عقيبه مايقوّى دواعيه فى ذلك فقال ان الذين عند ربك مع غاية طهارتهم وعصمتهم من الكدورات الطبيعية الحاملة على الشهوة والغضب والغل والحقد والحسد لما كانوا مواظبين على العبودية والخضوع التام كان الانسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الجسمانيات اولى بالمواظبة على الطاعات قدم من عبادة الملائكة ماهو من اعمال القلوب وهو التسبيح والتنزيه ثم ذكر ماهو من اعمال الجوارح تنبيها على ان الاصل فى الطاعة والعبودية اعمال القلوب ويتفرع عليها اعمال الجوارح ﴿ قوله تعالى وله ﴾ متعلق بيسجدون قدم عليه ليفيد الحصر فانهم لايسجدون لغير الله تعالى

(سورة الانفال مدنية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله وانما سميت الغنيمة ﴾ وهى المال المأخوذ من الكفار قهرا نفلا واصل النفل الزيادة على اصل الشئ يقال لهذا على هذا نفل اى فضل وزيادة كذا فى الكشف وسميت الغنائم أنفالا لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل لهم الغنائم وسميت التطوّعات نافلة لكونها زآئدة على الفرض الذى هو الاصل قال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اى زيادة على ماسأل وماشرطه الامام لمقتحم خطر لاشك انه زآئد على اصل سهمه فوجه كونه نفلا ظاهر واسند يسألونك الى من لم يسبق ذكرهم وحسن ذلك ههنا لان السائل عن حكم الانفال كان معلوما متعينا حال نزول الآية وهم قوم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم كان لهم تعلق بالغنائم فلم يحتج فى انصراف السؤال اليهم الى سبق ذكرهم ﴿ قوله ولهذا ﴾ اى ولاجل انه عليه الصلاة والسلام قسم غنائم بدر بين الشبان المسارعين الى القتل والاسر والشيوخ الثابتين فى المصاف على السوآء ولم يعط الشبان ماوعدلهم من السلب ذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى احد قوليه الى ان الامام لايلزمه الوفاء بما وعده وقال ابو حنيفة رضى

الله تعالى عنه يلزمه الوفاء بما وعدبه ﴿قوله اى يسألك الشبان ماشرطت لهم﴾ وهو سؤال الاستعطاء كما فى قولك سألته درهما لاسؤال الاستعلام فانه يعدّى بعن ﴿قوله الحال التى بينكم﴾ فسربه قوله تعالى ذات بينكم بناء على ان الامر الملابس بالشئ الواقع فيه يقال انه ذو الشئ كما يقال لمضمرات الصدور ذات الصدور ويقال اسقنى ذا انائك اى ما فى انائك من الشراب وذات بينكم هنا صفة لمفعول محذوف تقديره واصلحوا احوالا ذات بينكم واحتج بهذه الآية من ذهب الى ان ترك الطاعة يوجب زوال الايمان بناء على ان المعلق على الشئ بكلمة ان عدم عند عدم ذلك الشئ ﴿قوله فان الايمان يقتضى ذلك﴾ اى يقتضى الطاعة المذكورة باعتقاد حقية ماشرع من الاحكام التى من جملتها تسليم امر قسمة الغنائم الى الله ورسوله وان كان العمل بمقتضى الاعتقاد المذكور منوطا باختيار المكلف كانت المعصية بترك العمل غير منافية لاصل الايمان والذى ينافيه هو المعصية بترك الاعتقاد على تقدير ان يكون جواب الشرط مايدل عليه قوله واطيعوا واما على تقدير ان يكون الجواب مايدل عليه مجموع قوله فاتقوا الله واصلحوا واطيعوا فالمراد بالايمان حينئذ هو الايمان الكامل للعلم بأن اصل الايمان لايتوقف على التحلى بتلك الامور الثلاثة كلها ﴿قوله فزعت لذكره استعظاما له﴾ يعنى ان المراد من الوجل الذى هو الخوف والفزع ههنا هو الخوف المتفرّع على مجرد ذكر الله تعالى وملاحظة عظمته وجلاله فان هذا الخوف لايزول عن قلب من ذكر الله تعالى عالما بنعوت جلاله وصفات كماله سوآء كان ملكا مقرّبا او نبيا مرسلا او مؤمنا تقيا فان كل واحد منهم عند ذكر الله تعالى يلاحظ عظمة الله تعالى واستغناءه عن جميع ماسواه ويعلم احتياجه اليه فى جميع مهماته فلاجرم يهابه ويقشعرّ جلده وتغلب عليه الدهشة بحيث يكاد يفنى وجوده واما خوف العقاب فهو لايحصل من مجرّد ذكر الله تعالى وانما يحصل بملاحظة معصيته وذكر قهر الله وعقابه واللائق بهذا المقام هو الحمل على خوف العظمة والجلال لانه اللازم لكمال الايمان وقال الامام اللائق بهذا الموضع ارادة خوف العقاب الذى هو وظيفة العصاة بناء على ان المقصود من هذه الآية الزام اهل بدر طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قسمة الانفال واشار المصنف الى ضعفه حيث قال وقيل هو الرجل يهم بمعصية الخ والقرآءة المتواترة وجلت بكسر الجيم فى الماضى وفتحها فى الغابر وفيه لغة اخرى قرئ بها فى الشاذة وجلت بفتح الجيم فى الماضى وكسرها فى الغابر فتحذف الواو فى المضارع كما فى وعد يعد وقرئ فرقت بكسر الرآء * الجوهرى الفرق بالتحريك الخوف وقد فرق بالكسر تقول فرقت ولاتقول فرقتك ﴿قوله لزيادة المؤمن به﴾ لالاجل ان الايمان بمعنى التصديق الجازم والاقرار يقبل الزيادة والنقصان فان التصديق وهو الاعتقاد الجازم الذى لايحتمل النقيض كيف يحتمل الزيادة وكذا الاقرار لايحتملها فالايمان المتعلق بشئ واحد لايحتمل التفاوت بالزيادة والنقصان ولكن يجوز تفاوت نفس الايمان بالقلة والكثرة على حسب قلة متعلقه وكثرته ولما كانت التكاليف متتابعة متعاقبة فى زمان نزول الوحى فعند نزول كل آية وحدوث كل تكليف وتصديق الامة بذلك يزداد تصديقهم بحسب الكمية على ماكان قبله فقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة اتوا باقرار جديد وكان ذلك زيادة فى الايمان والتصديق بحسب العدد مع كون كل واحد من آحاد ايمانهم باقيا بحاله لايزيد ولاينقص ﴿قوله اولاطمئنان النفس﴾ اى ويجوز ان يراد بقوله تعالى زادتهم ايمانا ان نفس تصديقهم يزداد ويتقوّى بتظاهر الادلة قال النحرير المحقق والاصوب ان نفس التصديق مما يقبل الزيادة والنقصان للفرق الظاهر بين يقين الانبياء عليهم الصلاة والسلام وارباب المكاشفات ويقين آحاد الامة ولهذا قال امير المؤمنين رضى الله تعالى عنه لوكشف الغطاء ماازددت يقينا * وكذا بين ماقام عليه دليل واحد من التصديقات وماقامت عليه ادلة كثيرة ومنعه الامام بأن الجزم الحاصل بسبب الدليل الواحد ان كان مانعا من النقيض يمتنع ان يصير التصديق الذى قام عليه الدلائل الكثيرة اقوى من الذى قام عليه دليل واحد وان كان غير مانع من النقيض لم يكن دليلا بل كان امارة ولم تكن النتيجة معلومة بل كانت مظنونة ﴿قوله صفة مصدر محذوف﴾ اى هم المؤمنون ايمانا حقا قال الفرآء تقدير الكلام اخبركم بذلك حقا اى اخبارا حقا ونظيره اولئك هم الكافرون حقا ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لمضمون جملة اسمية كقولك هو عبد الله حقا اى احقه حقا ويجوز على ضعف ان يكون مؤكدا لمضمون الجملة الواقعة بعده وهى قوله تعالى لهم درجات ويكون الكلام قدتم عند قوله هم المؤمنون ثم ابتدأ بقوله حقا لهم درجات وتقديم المصدر المؤكد لمضمون الجملة عليها مذهب ضعيف وصف الله

وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اى يسألك الشبان ماشرطت لهم فيها (فاتقوا الله) فى الاختلاف والمشاجرة (وأصلحوا ذات بينكم) الحال التى بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول (واطيعوا الله ورسوله) فيه (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى ذلك او ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان (انما المؤمنون) اى الكاملون فى الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة وفرقت اى خافت (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه (وعلى ربهم يتوكلون) يفوّضون اليه امورهم ولايخشون ولايرجون الا اياه (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا) لانهم حققوا ايمانهم بأن ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التى هى العيار عليها الصلاة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله حقا

تعالى المؤمنين بخمسة اوصاف ثلاثة منها متعلقة بالباطن والقلب وهى الخشية والوجل من عظمة الله تعالى وجلاله والانقياد لآيات الله تعالى واحكامه وعبر عنه بالاخلاص وان لايثق ولايعتمد فى امر من الامور الاعلى الله عزوجل واثنان منها يتعلقان بالظاهر وهما الصلاة والصدقة ولاشك ان هذه الاخلاق والاعمال القلبية والقالبية لها تأثيرات فى تصفية القلب وفى تنويره بالمعارف الالهية ونيله الكرامات الربانية والمنازل العلية الروحانية وان المؤثر كلما كان اقوى واكمل كانت الآثار اقوى واكمل وكلما كان المؤثر اضعف كانت الآثار اضعف وادنى ولما كانت هذه الاخلاق والاعمال لهـا درجات ومراتب مختلفة كانت الآثار المترتبة عليهـا من المعارف والكرامات والمنازل الروحانية متفاوتة ايضاو ذلك هو المراد بقوله تعالى لهم درجات عندربهم والثواب الحاصل فى الجنة ايضامقدر بمقدار هذه الاحوال فثبت ان مراتب السعادات الروحانية قبل الموت وبعد الموت ومراتب السعادات الحاصلة فى الجنة كثيرة مختلفة فلهذا قال تعالى لهم درجات عند ربهم* فان قيل أليس ان المفضول اذا علم حصول الدرجات العالية للفاضل وحرمانه منها فانه يتألم قلبه ويتنغص عيشه وذلك يخل بكون الثواب رزقا كريما* فالجواب ان استغراق كل احد فى سعاداته الخاصة به يمنعه من حصول الحقد والحسد وبالجملة فاحوال الآخرة لاتناسب احوال الدنيا الا بالاسم ﴿قوله هذه الحال فى كراهتهم اياها﴾ اى كون الانفال لله ورسوله مثل اخراجك فى استثقالهم كل واحد منهما روى انه عليه الصلاة والسلام لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلين قال* من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن اسر اسيرا فله كذا وكذا* ليرغبهم فى القتال فلما انهزم المشركون وطلب الشبان المسارعون نفلهم قال سعد بن عبادة رضى الله عنه يارسول الله ان جماعة من اصحابك وقوك بأنفسهم ولم يتأخروا عن القتال جبنا ولابخلا ببذل مهجهم لكنهم اشفقوا اى خافوا عليك من ان تغتال فتى اخذ هؤلاء ماسميته لهم بقى خلق من المسلين بغير شئ فأنزل الله تعالى يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول يصنع فيهامايشاء فأمسك المسلون عن الطلب وفى انفس بعضهم شئ من الكراهة كره بعض من الشيوخ اولا ماراه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تنفيل ماكان له عناء فى محاربة الكفار وكره بعض الشبان بعدما نزلت هذه الآية انتزاع الغنائم من ايديهم وجعلها لله ورسوله يحكم مايشاء والمراد كراهة الطبع كالتى تلحق الصائم فى الصيف والمسافر فى سفر الحج او الغزو مع امتثال حكم الشرع طوعا ورغبة شبه الله تعالى رضاهم بكون قسمة الانفال مفوضة الى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها على ماكان يأمره الله تعالى به مع مافى طبعهم من الكراهة والاستثقال برضاهم بالخروج من المدينة لحرب الكفار كارهين لها ﴿قوله تعالى كما اخرجك﴾ اى كما امرك بالخروج ودعاك اليه فان جبريل عليه السلام اتاه وامره بالخروج وقوله بالحق متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من مفعول اخرجك اى اخرجك ملتبسا بالحق وهو اظهار دين الله وقهر اعداء الله ﴿قوله النجاء النجاء﴾ مصدر يقال نجوت نجاء اى اسرعت وسبقت والتقدير أسرعوا الاسراع اواعدوا اى الزموا الاسراع وقوله على كل صعب وذلول اى أسرعوا على كل مركوب ولاتتوقفوا الى ان تجدوا المركوب الذلول وقوله عيركم اى الزموا عيركم اوتداركوا عيركم واحفظوها واموالكم بدل من عيركم روى ان ابا سفيان لما سمع بمسير النبى صلى الله عليه وسلم نحوه استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه الى مكة وامره ان يأتى قريشا فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد عرض لعيرهم فى اصحابه فخرج ضمضم الى مكة سريعا وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا افزعتها فبعثت الى اخيها العباس رضى الله تعالى عنه فقالت له والله يااخى لقد رأيت الليلة رؤيا افزعتنى وخشيت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم على ماأحدثك قال لها ومارأيت قالت رأيت راكبا اقبل على بعيرله حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته الاانفروا ياآل غدر لمصارعكم فى ثلاث بعدثلاثة ايام فأرى الناس قداجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبيناهم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها بأعلى صوته الاانفروا ياآل غدر لمصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس ابى قبيس فصرخ بمثلها ثم اخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فمابقى بيت من بيوت مكة ولادار من دورها الا دخلته منها فلقة فقال العباس ان هذه لرؤيا تفرق لرؤسائنا وانت فاكتميها ولاتذكريها لاحدثم خرج العباس فلقى عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس وكان له صديقا فذكرها له واستكتمه اياها وذكرها عتبة لابنه ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش

(لهم درجات عند ربهم) كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنـة يرتقونها بأعمالهم (ومغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) اعدلهم فى الجنة لاينقطع عدده ولاينتهى امده (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق) خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال فى كراهتهم اياهـا كحال اخراجك للحرب فى كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله لله والرسول اى الانفال تثبت لله والرسول عليه السلام مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعنى المدينة لانها مهاجره ومسكنه اوبيته فيها مع كراهتهم (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) فى موقع الحال اى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلين فأعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابوجهل فوق الكعبة يااهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم واموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت فى مكة الااصابه شئ منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك اباجهل فقال مارضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تنبأت نساؤهم

عليه جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم

نتأهب له انا خرجنا للعير فرد عليهم وقال ان العير قدمضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قداقبل فقالوا يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فيه فوالله لوسرت الى عدن ابين ماتخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث مااحببت لانالانقول لك كما قالت بنوا اسرآئيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا اناههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علىّ ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقدشرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لايروا نصرته الاعلى عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال لكأنك تريدنا يارسول الله قال اجل قال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لواستعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منارجل واحد ومانكره ان تلق بنا عدونا وانالصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ماتقربه عينك فسربنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لمافرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو فى وثاقه لايصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ماوعدك فكرهه بعضهم قوله (يجادلونك فى الحق) فى ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلق العير عليه (بعدماتبين) انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول عليه الصلاة والسلام (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) اى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذروى انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان

لا (٣٨)

قال العباس فغدوت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآنى ابو جهل قال ياابا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا قال فلما فرغت اقبلت حتى جلست معهم فقال لى ابو جهل يابن عبدالمطلب متى حدثت هذه النبيئة فيكم قلت وما ذلك قال الرؤيا التى رأتها عاتكة ثم قال يابنى عبدالمطلب أمارضيتم ان تتنبأ رجالكم حتى تنبأت نساؤكم قدزعمت عاتكة فى رؤياها انه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك ماقالت حقافسيكون وان مضى الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا انكم اكذب بيت فى العرب قال العباس فوالله ماكان منى اليه من نكير الا انى جحدت ذلك وانكرت ان تكون رأت شيأ ثم تفرقنا فلما امسيت لم تبق امرأة من بنى عبدالمطلب الا أتتنى فقالت اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع فى رجالكم ثم قدتناول النساء وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت قال فقلت والله ماكان منى اليه من نكير وايم الله لأتعرضن له فان عاد لأكفينكه قال فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب فدخلت المسجد فرأيته فوالله انى لأمشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ماقال فأقع به وكان رجلا خفيفا حديد اللسان اذهو سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره وقدجدع انف بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة اموالكم مع ابى سفيان قدعرض لها محمد فى اصحابه لاأرى ان تدركوها الغوث الغوث قال فشغلنى عنه وشغله عنى ماجاء من الامر فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش احد الا اباالهب قدتخلف وبعث مكانه واحدا فخرجوا سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه فنزل جبريل وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين اى الفرقتين احداهما ابوسفيان مع العير والاخرى ابوجهل مع النفير الى آخر القصة ﴿قوله لوسرت الى عدن ابين﴾ ذكره لغاية بعده لانه نهاية اليمن وبعده البحر وفى المغرب أبين بالفتح اسم رجل من حمير نسب اليه عدن لان ذلك الرجل عدن بها اى اقام بها ﴿قوله لواستعرضت بناهذا البحر﴾ اى لوطلبت منا ان نعبره عرضا وخص ذلك لانه اصعب من الطول والباء تحتمل التعدية والمصاحبة والاخير انسب وفى الصحاح استعرض اى طلب ان يعرض ماعنده من الامر اى لوطلبت من البحر عرض ماعنده من الامواج والاهوال حال ركوبك فيه ونحن فى صحبتك لخضناه وماخفناه وهذامجاز من القول وفيه مبالغة ﴿قوله فناداه العباس وهو فى وثاقه﴾ اى فى قيده وكان قدخرج مع المشركين فأسر مع جملة من اسر يوم بدر وكان قداسلم قبل وقعة بدر الا انه كان يكتم اسلامه عن قومه لانه كان له اموال متفرقة على الناس وفى القطبية انه كان لم يؤمن بعد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال كان الذى اسر العباس اباليسر كعب بن عمرو اخابنى سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى اليسر كيف اسرت العباس قال يارسول الله لقداعاننى عليه رجل مارأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * لقداعانك عليه ملك كريم * ﴿قوله لايصلح﴾ اى لايصلح هذا الرأى وهو التوجه الى العير ﴿قوله فكرهه بعضهم قوله﴾ الفاء فيه فاء النتيجة والتفريع اى اذاتقرران القصة جرت على ماذكر فقدظهر ان بعض الصحابة استثقلوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العير قدمضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قداقبل يريد بذلك انه آثر تلق النفير وجهاد اعداء الدين ليظهر الدين الحق على الاديان كلها وقدتمت القصة فنقل مقالة العباس رضى الله تعالى عنه وهو مأسور مقيد ولما كان المقصود من ايراد القصة بيان وجه قوله تعالى وان فريقا من المؤمنين لكارهون وتبين من القصة ان كراهة ترك العير الى النفير انماصدر من بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم لامن جميعهم لان كبار الصحابة الراسخين فى متابعة النبى صلى الله عليه وسلم لايليق بشأنهم اظهار النفرة والكراهة عما ارشد عليه الصلاة والسلام اياهم اليه وحرضهم عليه فرع على تمام القصة قوله فكرهه بعضهم قوله ثم بين ان الحق الذى جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو تلق النفير لايثارهم عليه تلق العير ومجادلتهم هى قولهم كيف نقاتل ولم نتأهب للقتال وما كان خروجنا الا للعير وهلاقلت لنا ونحن فى المدينة لنستعد ونتأهب للحرب وقوله تعالى يجادلونك يحتمل ان يكون حالا ثانية اى اخرجك فى حال مجادلتهم اياك ويحتمل ان يكون حالا من الضمير فى لكارهون اى لكارهون فى حال مجادلتهم وبعد ماتبين منصوب بيجادلونك وما مصدرية اى بعد تبينه ووضوحه والجدال فى الحق بعد تبينه اقبح من الجدال فيه قبل اتضاحه * ورجالة جمع راجل وهو خلاف الفارس ويجمع ايضا على رجل مثل صاحب وصحب

(وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك (ويريد الله ان يحق الحق) ان يثبته ويعليه (بكلماته) الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته (ويقطع دابر الكافرين) ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين (ليحق الحق ويبطل الباطل) اى يفعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها (ولو كره المجرمون) ذلك (اذ تستغيثون ربكم) بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اى رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم ألف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم أني ممدكم) بأني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجرى استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول (بألف من الملائكة مردفين) متبعين المؤمنين او بعضهم من اردفته بعضا اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اى متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلهم وقد روى اخبار تدل عليها (القتال)

وعلى رجال ولما كانت مجادلتهم مبنية على كراهة القتال والخوف من غلبة العدو شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اى يشاهد اسباب الموت وموجباته فقوله وهم ينظرون حال من المستكن في يساقون ﴿قوله والشوكة الحدة﴾ اى السلاح الذي له حدة كسنان الرمح والسيف ونصل السهم فان الذي يشبه بواحدة الشوك اى بالنبت الحديد الطرف هو السلاح المذكور لا نفس الحدة ﴿قوله اى يثبته ويعليه﴾ فسر به قوله تعالى ان يحق الحق لان الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته وما ثبت للشيء لذاته فانه يمتنع تحصيله بجعل جاعل وفعل فاعل فلما تعذر حمل الكلام على حقيقته وجب ان يقال المراد بتحقيق الحق وابطال الباطل اظهار كون ذلك الحق حقا واظهار كون ذلك الباطل باطلا وذلك يكون تارة باظهار الدلائل والبينات وتارة يكون بتقوية رؤساء الحق وقهر رؤساء الباطل فكأنه قيل انكم تريدون العير للفوز بالمال والله تعالى يريد ان تتوجهوا الى النفير لما فيه من اعلاء الدين الحق واستئصال الكافرين فان قطع الدابر عبارة عن الاستئصال فقوله تعالى ويريد الله ان يحق الحق مذكور في مقابلة قوله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم والمقصود من الآيتين تمييز ما بين الارادتين فلا يكون قوله ليحق الحق تكريرا لما قبله وان تبادر الذهن الى كونه تكرارا بناء على ان الحق هو الاسلام وان تحقيق الحق عبارة عن اظهار الاسلام واثباته فلما ذكر اولا انه تعالى يريد بحمل الرسول صلى الله عليه وسلم على ايثار تلقي النفير ان يظهر الاسلام على الاديان كلها وعلل الحمل المذكور ثانيا باظهار الاسلام واثباته وابطال الكفر ومحقه وهو تكرار لان جعل حكم علة الفعل في قوة ارادته منه فكأنه قيل اراد بحمله عليه السلام على ايثار تلقي النفير ونصرته ان يظهر دين الاسلام ويثبته فلاجل هذا الاظهار والاثبات فعل ما فعل من حمله عليه الصلاة والسلام على ذلك ونصر المؤمنين وخذلان المشركين وهو تكرار بحسب الظاهر الا انه ليس تكرارا في الحقيقة لان المذكور اولا ليس الا لبيان الفرق بين الارادتين ارادة الله تعالى اثبات الدين وارادتهم تحصيل الدنيا مع قطع النظر عن ان مراد الله تعالى هذا بأي فعل يراد وبأي طريق يتوصل اليه والمقصود بقوله ليحق الحق انه تعالى لم يفعل ما فعل من حمله عليه الصلاة والسلام على ايثار تلقي النفير ونصر المؤمنين وخذلان المشركين الا لهذا الغرض الصحيح والحكمة الباهرة وهو اثبات الاسلام وابطال الكفر ﴿قوله او متعلق بقوله ليحق الحق﴾ اى ظرف منصوب به والمعنى ليحق الحق وقت استغاثتكم وفيه نظر لان قوله ليحق مستقبل لكونه منصوبا باضمار ان واذ ظرف لماضي فكيف يعمل المستقبل في الماضي وان كان منصوبا باضمار ان يكون الكلام مستأنفا اى منقطعا عما قبله والاستغاثة طلب الغوث والنصر والعون وقيل الاستغاثة طلب الخلة وقت الحاجة وفي هذه الاستغاثة قولان الاول انها كانت من الرسول صلى الله عليه وسلم على ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه والثاني انها كانت من جماعة المؤمنين لان خوفهم كان اشد من خوفه عليه الصلاة والسلام ويمكن الجمع بينهما بانه عليه السلام دعا وتضرع والمؤمنون كانوا يؤمنون على دعائه وروي انه لما اصطف القوم قال ابو جهل اللهم اولانا بالحق فانصره ﴿قوله متبعين المؤمنين﴾ على ان يكون اردفه وردفه بمعنى تبعه فان اردفه لغة في ردفه مثل تبعه واتبعه بمعنى ردفه اى تبعه كذا في الصحاح ومتبوع الملائكة اما المؤمنون او بعض آخر منهم يقال تبعت القوم اذا مشيت خلفهم او مروا بك فمضيت معهم ﴿قوله او متبعين﴾ على ان تكون همزة اردف لتعدية ردفه الى مفعول ثان من قولك اردفته الشيء فردفه بمعنى اتبعته الشيء فتبعه اى جعلت الثاني يتبع الاول فتبعه فالملائكة يتبعون بعضهم بعضا او يتبعون انفسهم المؤمنين والحاصل ان اتبع بالتخفيف يتعدى الى مفعولين واتبع بالتشديد يتعدى الى واحد واردف قد جاء بمعناهما ومفعوله او مفعولاه محذوف لفهم المعنى فيقدر في كل موضع ما يليق به وان كان مردفين اسم مفعول من اردف المتعدي الى واحد يكون بمعنى متبعين بان كانوا مقدمة الجيش وان كان من اردف المتعدي الى اثنين يكون بمعنى متبعين بان جعلوا ساقة الجيش تابعين غيرهم ﴿قوله وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها﴾ اى وتشديد الدال ﴿قوله واختلف في مقاتلتهم﴾ فقال قوم نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة ملك على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وقاتلوا وقيل قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الاحزاب ويوم حنين وقال آخرون لم يقاتلوا في شيء من معارك القتال وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وذلك قوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا ولو نزلوا

للقتال لكان الملك الواحد كافيا فى اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل عليه الصلاة و السلام اهلك بريشة من جناحه مدآئن قوم لوط و اهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة روى انه عليه الصلاة والسلام اخذ كفا من الحصباء فرمى المشركين بها وقال *شاهت الوجوه اللهم أرعب قلوبهم و زلزل اقدامهم فانهزم اعدآء الله بدون شئ و اخذ المسلمون يقتلون ويأسرون وروى عن علىّ رضى الله عنه انه قال لما التقى الصفان جاءت ريح لم ارمثلها قط شدّة ثم ذهبت فجاءت اخرى مثلها ثم ثالثة فكانت الاولى جبريل عليه السلام فى الف من الملائكة عليهم الصلاة و السلام فكانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الثانية ميكائيل فى ألف من الملائكة عليهم السلام فكانوا فى ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر رضى الله عنه فى الميمنة وكانت الثالثة اسرافيل فى ألف منهم عليهم الصلاة والسلام و نزلوا فى ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم و انا فى الميسرة ولما هزم الله تعالى اعدآءه جمعنا الغنائم وجعلناها ثلاثمائة وسبعة عشر سهما وكانت الرجالة ثلاثمائة وثلاثة عشر راجلا والفارس رجلان فاعطى للراجل منهم سهم وللفارس سهمان ثم انه عليه الصلاة و السلام امر بالقليب ان يهوّر ثم امر بالقتلى فطرحوا كلهم فيه الا امية بن خلف فانه كان سمينا انتفخ من يومه و ترايل لحمه حين جرّوه فقال اتركوه ولما طرحوا فى القليب وقف عليهم و ناداهم ياعتبة بن ربيعة وياشيبة بن ربيعة ويا امية بن خلف ويا ابا جهل بن هشام هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فانى وجدت ماوعدنى ربى حقا بئس القوم كنتم لنبيكم كذبتمونى و صدقنى النـاس واخرجتمونى وآوانى الناس وقاتلتمونى ونصرنى النـاس فقال الصحابة رضى الله عنهم يارسول الله أتنادى قوما قدماتوا فقال عليه الصلاة و السلام *والذى نفس محمد بيده ما انتم بأسمع لما اقول منهم *وفى رواية *ما انتم بأسمع منهم ولكن لايجيبون * ﴿**قوله** وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس﴾ وهو النوم الخفيف بفتح الياء وسكون الغين ورفع النعاس على الفاعلية وقرأ نافع يغشيكم بضم الياء وسكون الغين وكسر الشين ونصب النعاس وقرأ الباقون يغشيكم النعاس بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين المكسورة ونصب النعاس والفاعل على القرآءتين الاخيرتين ضمير البارى والنعاس فيهما مفعول به واغشى وغشى لغتان بمعنى وانتصاب أمنة على انها مفعول له للفعل السابق *ولما ورد ان يقال كيف جاز النصب هنا مع فوات شرطه وهو اتحاد الفاعل لان التغشية والاغشاء فعل الله تعالى والامنة فعل المخاطبين * اشار الى جوابه بان الفاعل متحد فى المعنى لان معنى الآية اذ تنعسون امنة والامنة فعل الناعس وان كان امنة مصدر امنه ضدّ خوّفه فالامر واضح لان فاعل التغشية والاغشاء والامان كلها هو الله تعالى الا ان كون امنة مصدر أمّنه لاتساعده الاوضاع اللغوية المتعارفة والتوجيه الاوّل جائز فى جميع القراآت الثلاث والتوجيه الثـانى مختص بالقرآءتين الاوليين وهنا توجيه ثالث مختص بقرآءة ابن كثير لان كون النعاس فاعلا انما هو فى قرآءته وهو ان يجعل الامنة فعل النعاس على الاسـناد المجازى حيث اسـند فعل الناعس الى نعاسه للملابسة بينهما كما ان الغشيان فعل النعاس فيتحد الفاعل ويحتمل ان يكون اسـناد الامنة الى النعاس تخييلا للاستعارة بالكناية بان يشـبه النعاس بشخص من شأنه ان يغشى القوم حال امنه ولا يغشاهم حال خوفه الا انه لما حصل له من الله تعالى الامن من الكفار غشى القوم وأنامهم والامنة لما كانت من توابع المشبه به كان اثباتها للنعاس تخييلا وقرينة للاستعارة المكنية التى هى ماذكر من التشبيه المضمر فيكون الكلام تمثيلا وتخييلا للمقصود بابراز المعقول فى صورة المحسوس ونظير هذا التمثيل والتخييل قول من قال

۞ يهاب النوم ان يغشى عيونها ۞ تهابك فهو نفـار شرود ۞

يعنى ان النوم يهاب ان يغشى عيون اعدآئك ومخالفيك وانهم لاينامون من خوفك وقوله تهابك صفة عيونا ونفار مبالغة نافر وشرود فعول بمعنى فاعل من شرد البعير اذا نفر وفى البيت مبالغة حسنة ﴿**قوله** وقرئ امنة﴾ بسكون الميم كرحمة كما قرئ امنة بفتح الميم مثل حىّ حياة اصله حيية قلبت الياء الثانية ألفا *فان قيل كل نوم و نعاس فانه لايحصل الا من قبل الله تعالى فتخصيص هذا النعاس بأنه من الله لابدّ فيه من فائدة فما هى *اجيب بان الفائدة فيه الاشارة الى تفخيم هذا النعاس و انطوآئه على مالا يوجد فى سائر آحاد جنسه وذلك من وجوه احدها ان الخائف اذا خاف العدوّ خوفا شديدا على نفسه واهله لايأخذه النوم فصار حصول النوم لهم فى وقت الخوف الشديد دليلا على انه تعالى ازال عنهم الخوف وانعم عليهم بالأمن وطمأنينة القلب كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال

(وماجعله الله) اى الامداد (الابشرى لكم) الابشـارة لكم بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم) فيزول مابها من الوجل لقلتكم وذلتكم (وما النصر الامن عندالله ان الله عزيز حكيم) وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لاتأثير لهـا فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسو منه بفقدها (اذ يغشيكم النعاس) بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما فى عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع يغشيكم بالتخفيف من اغشيته الشئ اذا اغشيته اياه والفاعل على القرآءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع (امنة منه) أمنا من الله قوله يغشيكم النعـاس وهو مفعول له باعتبار المعنى فان متضمن معنى تنعسون و يغشاكم بمعنـاه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فتكون فعل المغشى وان تجعل على القرآءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه اولانه كان من حقه ان لايغشاهم لشدّة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصلت له أمنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله

يهـاب النوم ان يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرود *وقرئ امنة كرحمة وهى لغة

النعاس فى القتال امنة من الله تعالى و فى الصلاة وسوسة من الشيطان و ثانيها انه لولا حضور هذا النعاس وحصول الاستراحة حتى تمكنوا فى اليوم الثانى من القتال لما تم الظفر وثالثها انهم ماناموا نوما غرقا بحيث يتمكن العدو من معافصتهم واخذهم على غرة بل كان ذلك نعاسا فحصل لهم زوال الكلال والاعياء مع انهم كانوا بحيث لوقصدهم العدو لعرفوا وصوله ولقدروا على دفعه ورابعها ان هذا النعاس غشيهم دفعة واحدة مع كثرتهم وحصول النعاس للجمع العظيم فى الخوف الشديد امر خارق للعادة فلهذا قيل ان ذلك النعاس فى حكم المعجز ﴿قوله من الحدث والجنابة﴾ فان الطهارة منها هى الطهارة الشرعية وحمل الطهارة الواقعة فى كلام الشارع عليها اولى من حملها على طهارة القلب من وساوس الشيطان واصل الرجز الايذآء والتعذيب ولما كانت الجنابة تحدث من تخييل الشيطان اضيفت الى الشيطان وسميت رجزا ﴿قوله اووسوسته﴾ منصوب بالعطف على الجنابة والاعفر بالعين المهملة الرمل الاحمر ﴿قوله تسوخ﴾ اى تدخل وتغيب ﴿قوله تعالى وليربط على قلوبكم﴾ الربط الشد يقال لكل من صبر على امر ربطه على قلبه اى قوّاه وشدده وازال اضطرابه وارتيابه وعدى بعلى للايذان بان قوة قلوبهم بلغت فى الكمال الى ان صارت مستولية على القلوب حتى صارت كأنها علت عليها وارتفعت فوقها وفى الوسيط على صلة والمعنى ليربط قلوبكم بما انزل من الماء فتثبت ولاتضطرب بوسوسة الشيطان ﴿قوله وهو مفعول يوحى﴾ يعنى قوله انى معكم بفتح همزة انى مفعول يوحى اى يوحى ربك كونه تعالى معهم فى اعانتهم وتثبيتهم ذكر المصنف فى كيفية هذا التثبيت ثلاثة اوجه الاول ان الملائكة يثبتونهم بالبشارة امابأن عرّفوا الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ناصر المؤمنين والرسول عرّف المؤمنين تلك البشارة ويحتمل ان يكون طريق بشارتهم ان يلهموا قلوب المؤمنين بنصرة الله تعالى اياهم فكما ان الشيطان يمكنه القاء الوسوسة الى الانسان فكذلك الملائكة عليهم الصلاة والسلام يمكنهم القاء الالهام الى المؤمنين ويحتمل ان يتمثل الملائكة بصور الرجال من معارفهم ويعدوهم النصر والفتح والظفر كما يكون تكثير السواد بذلك وفسر قوله تعالى انى معكم بمعيتهم فى تثبيت المؤمنين اشارة الى ان ليس المعنى بقوله انى معكم ازالة الخوف كما يتوهم ذلك من ظاهر العبارة كما فى قوله تعالى لاتخف ولاتحزن ان الله معنا وهذا المعنى لايصح هنا لان الملائكة ماكانوا خائفين من الكفار ﴿قوله فيكون قوله سألقى كالتفسير﴾ متفرع على ماذكره فى تفسير قوله تعالى انى معكم فثبتوا فانه لما فسره بانه تعالى خاطب الملائكة بأنى معكم فى اعانة المؤمنين وتثبيتهم كأنه تعالى امر الملائكة بتثبيت المؤمنين كان قوله تعالى سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله انى معكم فانه لمابين ان قوله انى معكم معناه الاعانة ولااعانة اعظم من القاء الرعب فى قلوب الاعدآء وذلك لان القلب هوالحاكم فى البدن واميره وقد مرّانه تعالى ربط قلوب المؤمنين بمعنى انه قوّاها وازال الخوف عنها ذكر ههنا انه اعان المؤمنين بان ألقى الرعب والخوف فى قلوب الكافرين فكان تقوية قلوب انفسهم وتخويف قلوب اعدآئهم من اعظم نعم الله تعالى عليهم فظهر ان قوله سألقى فى قلوب كالتفسير لقوله انى معكم وقوله فاضربوا فوق الاعناق كالتفسير لقوله فثبتوا الذين آمنوا اذلا تثبيت أقوى من ضرب اعناق الاعادى فسر الجملة الخبرية بالخبرية والانشائية بالانشائية فلذلك لم يعطف قوله سألقى على ماقبله ﴿قوله وفيه دليل على انهم قاتلوا﴾ اى فى قوله تعالى للملائكة انى معكم فى اعانتكم للمؤمنين دليل على ذلك لان اعانة المقاتلين انما تكون بالمشاركة معهم فى القتال ﴿قوله ومن منع ذلك﴾ اى من منع مقاتلة الملائكة يوم بدر جعل الخطاب فى قوله انى معكم للمؤمنين ليكون له معنى مغاير لمعنى قوله سألقى وقال المراد انه تعالى اوحى الى الملائكة انى مع المؤمنين فانصروهم وثبتوهم وايد هذا المعنى بأن أنى مع فلان انما يقال اذا كان الفلان خائفا ويقصد به ازالة خوفه والملائكة ماكانوا يخافون الكفار حتى يقال لهم انى معكم ازالة لخوفهم وانما الخائف منهم هم المسلمون فينبغى ان يكون الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب بان انتقل من خطاب الملائكة الى خطاب المؤمنين بناء على انه لاغائب بالنسبة اليه تعالى فخاطب من يشاء من خلقه واما على ان يكون قوله تعالى سألقى تلقينا من الله تعالى للملائكة ان يقولوا للمؤمنين تثبيتا لهم فى المعركة ان الله تعالى قال لهم سألقى الخ واما على ان يكون الخطاب فى قوله انى معكم للملائكة ولايكون سألقى تفسيراله بل يكون تفسيرا لقوله فثبتوا وعلى هذا يكون الخطاب فى قوله فاضربوا للمؤمنين صادرا من الملائكة حكاه الله تعالى لنا ويكون فصل قوله سألقى عماقبله مبنيا على كونه تفسيرا للتثبيت وبيانا لطريقه ﴿قوله من العدوة﴾ العدوة جانب الوادى وناحيته وخصم كل شئ جانبه وناحيته كذا فى الصحاح

(وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) من الحدث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعنى الجنابة لانها من تخييله اووسوسة وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضأوا وتلبد الرمل الذى بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة (وليربط على قلوبكم) بالوثوق على لطف الله بهم (ويثبت به الاقدام) اى بالمطر حتى لاتسوخ فى الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت فى المعركة (اذ يوحى ربك) بدل ثالث اومتعلق بيثبت (الى الملائكة انى معكم) فى اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول اواجرآء الوحى مجراه (فثبتوا الذين آمنوا) بالبشارة اوبتكثير سوادهم اوبمحاربة اعدآئهم فيكون قوله (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) كالتفسير لقوله انى معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سألقى الى قوله كل بنان تلقين للملائكة مايثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولى هذا (فاضربوا فوق الاعناق) اعاليها التى هى المذابح اوالرؤس (واضربوا منهم كل بنان) اصابع اى حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم (ذلك) اشارة الى الضرب اوالامر به والخطاب للرسول اولكل احد من المخاطبين قبل (بأنهم شاقوا الله ورسوله) بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين فى شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب

(ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) تقرير للتعليل او وعيد بما اعدلهم فى الآخرة بعد ما حاق بهم فى الدنيا (ذلكم) الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اى الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه (فذوقوه) اوغيره مثل باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة (وان للكافرين عذاب النار) عطف على ذلكم اونصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ماعجل لكم مع ما اجل لكم فى الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف (ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمى به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال (فلا تولوهم الادبار) بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول اى اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حتى تولوا وهم اثنا عشر ألفا (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال) يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب (او متحيزا الى فئة) او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضى الله عنه انه كان فى سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يارسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لاعمل له او الاستثناء من المولين اى الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز (فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه فى الحرب

واتفق القراء على فك الادغام فى قوله تعالى ومن يشاقق الله لانه كتب فى المصاحف بقافين مفكوكتين والادغام فى مثله لغة تميم وفكه لغة الحجاز وشاقوا الله مجاز والمعنى شاقوا اولياء الله ودينه * قال صاحب الكشاف سئلت فى المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا فى عدوة وذاك فى عدوة كالمخاصمة والمشاقة لان هذا فى خصم اى فى جانب وذاك فى خصم وهذا فى شق وذاك فى شق **﴿قوله تقرير﴾** اى للعذاب المعجل المسبب للمشاقة وقوله او وعيد فان قوله شديد العقاب يدل على ان الذى نزل بهم فى ذلك اليوم من القتل والاسر شئ قليل بالنسبة الى ما اعدلهم من عقاب يوم القيامة **﴿قوله عطف على ذلكم﴾** فان كان ذلكم خبر مبتدأ محذوف يكون ماعطف عليه ايضا كذلك والتقدير الامر والعقاب ذلكم والحتم المقضى به والواجب ان للكافرين عذاب النار وان كان المعطوف عليه مبتدأ حذف خبره يكون المعطوف كذلك والتقدير ذلكم واقع واستقرار عذاب النار للكافرين حتم ومقرر **﴿قوله كثيرا﴾** مبنى على ان زحفا اسم للجم الكثير وانه حال من المفعول فقط ثم عطف عليه قوله ويجوز كونه حالا من الفاعل والمفعول معا ومن الفاعل وحده يقال زحف يزحف زحفا من باب فتح يفتح اى مشى اليه ودنا قليلا قليلا والحال لما كان فى المعنى خبرا عن ذى الحال ووجب ان يصح حملها عليه واسم المعنى لايصح حمله على اسم الذات وجب ان يجعل زحفا اسما بمعنى الجماعة الذين يزحفون الى عدوهم وسمى الجيش الكثير بالمصدر وان يجمع على زحوف نحو قلب وقلوب وبحر وبحور **﴿قوله والاظهر انها محكمة﴾** يعنى ان الآية حاكمة بانه اذا وقع التقاء المؤمنين مع الكفار فى حيز المزاحفة وهو اذا سويت الصفوف وزحف بعضهم الى بعض اى سار سيرا قليلا يدنو به كل فريق الى صاحبه قليلا قليلا يحرم على المؤمنين ان يجعلوا ادبارهم تلى الكفار بأن يحولوا وجوههم عن عدوهم وهو كناية عن الانهزام روى عن عطاء انها منسوخة بقوله تعالى فى آخر هذه السورة ياايها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لايفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين بناء على ان من انكر المعاد وظن ان السعادة فى هذه الحياة الدنيا تبقى بها ولايعرضها الزوال بخلاف من اعتقد ان السعادة لاتحصل الا فى الدار الآخرة فانه لايبالى بهذه الحياة الدنيا فيقدم على الجهاد بقلب قوى وعزم صحيح فيقاوم الواحد الجمع الكثير ممن انكر ذلك فاوجب الله تعالى اولا على الواحد ان يقاوم العشرة والثبات لهم ثم خفف واوجب على الواحد ان يقاوم الاثنين فليس لقوم ان يفروا من مثليهم وكان لهم ان يفروا من ثلاثة امثالهم فالآية التى نحن فيها دلت على ان الانهزام من العدو حرام الا فى حالتين احداهما الانحراف للقتال والاخرى الانضمام الى فئة وجمع من المسلمين ليستعين بهم ويعود الى القتال من غير فرق بين ان يكون عدد الكفار مثلى عدد المسلمين او اكثر والتى فى آخر السورة نسخت حكم هذه الآية فيما اذا كان عدد الكفار اكثر من مثلى عدد المسلمين وقال المصنف الظاهر ان هذه الآية غير منسوخة لكنها مخصوصة وانما تكون منسوخة لو صرح فيها بحرمة الانهزام على تقدير كون عدد الكفار اكثر من عشرة امثال عدد المسلمين **﴿قوله او منحازا﴾** اى منضما يقال حاز الشئ اذا ضمه لنفسه وتحيزت الحية اذا تلوت وانحاز عنه اى عدل وانحاز القوم اى تركوا مركزهم الى آخر ويقال انحرف وتحرف اذا مال الى جانب آخر وتحاوز الفريقان فى الحرب اى انحاز كل فريق عن الآخر * وعكر يعكر عكرا اى عطف عطفا والعكارون الراجعون الكرارون والعكرة الكرة وعكر اى حمل **﴿قوله والا لغو﴾** لا يريد بقوله الا لغو انها زائدة بل المراد ان متحرفا ومتحيزا على تقدير كونهما حالين يكون الا لغوا من حيث العمل فيما بعدها ويستوى وجودها وعدمها فى حق اعراب مابعدها بخلاف ما اذا كانا منصوبين على الاستثناء فان الا حينئذ تكون عاملة او مشاركة للعامل او واسطة فى العمل وعلى تقدير الحالية يكون فى الحقيقة استثناء مفرغا من حال محذوفة فيعرب على حسب العامل فلايكون لكلمة الا مدخل فى العمل فيه والتقدير ومن يولهم ملتبسا باى حال الا فى حال كذا وان جعل الاستثناء من المولين الذين تعمهم كلمة من يكون المعنى ومن يولهم فقد باء بغضب الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل اصله متحيوز من تحيوز قلبت الواو ياء فادغمت ولو كان وزنه متفعلا لقيل الا متحوزا لانه يبنى من حاز يحوز حوزا وهو واوى ويقال فى بناء التفعل منه تحوز يتحوز تحوزا فلما قيل متحيزا علم انه من تفيعل لا من تفعل **﴿قوله هذا اذا لم يزد﴾** يعنى ان هذا الوعيد وهو قوله تعالى فقد باء بغضب من الله الآية وان كان بحسب

(فلم تقتلوهم) بقوتكم (ولكن الله قتلهم) بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روى انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسألك ما وعدتنى فأتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الاشغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت وأسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم (وما رميت) يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه (اذ رميت) اى اتيت بصورة الرمى (ولكن الله رمى) اتى بما هو غاية الرمى فأوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى

وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابيّ بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم حنين نحو الحصن فأصاب ابن ابى الحقيق على فراشه والجمهور على الاوّل وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) وليتم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات (ان الله سميع) لاستغاثتهم ودعائهم (عليم) بنياتهم واحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمى ومحله الرفع اى المقصود او الامر ذلكم وقوله (وان الله موهن كيد الكافرين) معطوف عليه اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين واكرم الحزبين (وان تنتهوا) عن الكفر ومعاداة الرسول (فهو خير لكم) لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته عليكم (ولن تغنى) ولن تدفع (عنكم فئتكم) جماعتكم (شيأ) من الاغناء او المضارّ (ولو كثرت) فئتكم (وان الله مع المؤمنين) بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وأنّ بالفتح على ولأنّ الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدوّ ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤكد ذلك (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه) اى ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله

الظاهر متناولا لكل من يولى دبره يوم ملاقاة الكفار الا انه مخصوص بما اذا لم يزد العدوّ على ضعف المسلمين لانهم اذا كانوا على الشطر من عدوّهم لا يجوز لهم ان يفرّوا ويولوا ظهورهم الا متحرّفا لقتال او متحيزا الى فئة وان كانوا اقل من ذلك جاز لهم ان يولوا ظهورهم ويتحازوا عنهم قال ابن عباس رضى الله عنه من فرّ من ثلاثة فلم يفرّ ومن فرّ من اثنين فقد فرّ اى ارتكب المحرم وهو كبيرة لان الفرار من الزحف كبيرة وقيل هذه الآية مخصوصة بأهل بدر الحاضرين معه عليه الصلاة والسلام في الحرب اذ ليس لهم فئة يتحازون اليها دون النبى صلى الله عليه وسلم فليس لاحد منهم ان يتحاز الى من لا يتقوّى به فيكون انحيازه فرارا من الزحف كبيرة بخلاف من عداهم من المسلمين فان عجز عن مقاومة الكفار بسبب قلتهم وكثرة الكفرة وغلب على ظنه انه ان ثبت قتل من غير فائدة وان تحيز الى جمع كان راجيا للخلاص وطامعا في مقاومة العدوّ بسبب كثرة الفئة وقوتهم لا يكون فراره كبيرة مستوجبة لهذا الوعيد وقال بعض المفسرين ان هذا الوعيد مختص بمن انهزم يوم بدر اذ ليس لهم ان يتحازوا لانه لم يكن يومئذ في الارض فئة للمسلمين واما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة لبعض كما قال صلى الله عليه وسلم في حق بعض المنهزمين «انتم العكارون وانا فئتكم» وقال محمد بن سيرين لما قتل ابو عبيدة جاء الخبر الى عمر رضى الله تعالى عنهما فقال لو انحاز الىّ لكنت له فئة ﴿قوله لما طلعت قريش من العقنقل﴾ وهو الكثيب الذى جاؤا منه الى الوادى ﴿قوله فجعل يخور﴾ اى يضعف وينكسر حتى مات يقال خار الحرّ يخور خورا ضعف وانكسر «قال الامام قيل ان الآية نزلت في يوم احد في قتل ابىّ بن خلف وذلك انه اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد من يحيى هذا وهو رميم فقال عليه الصلاة والسلام «يحييه الله ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك النار» فأسر يوم بدر فلما افتدى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عندى فرسا اعتلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال عليه الصلاة والسلام «بل انا اقتلك ان شاء الله» فلما كان يوم احد أقبل ابىّ على ذلك الفرس حتى دنا من الرسول صلى الله عليه وسلم فاعترض له رجال من المسلمين ليقتلوه فقال عليه الصلاة والسلام «استأخروا» ورماه بحربة فكسر ضلعا من اضلاعه فحمل فمات ببعض الطريق ففى ذلك نزلت الآية وقيل انها نزلت يوم حنين وذلك انه عليه الصلاة والسلام اخذ قوسا وهو على باب حنين فرمى سهما وصل السهم حتى قتل ابن ابى الحقيق وهو على فراشه فأنزل الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والاصح انها نزلت في يوم بدر والا لتداخل في اثناء القصة كلام اجنبى عنها ﴿قوله وليتم عليهم﴾ اشارة الى ان البلاء ههنا محمول على النعمة وعلى المحنة لان اصله الاختبار وذلك كما يكون بالمحنة لاظهار الصبر يكون بالنعمة ايضا لاظهار الشكر والاختبار من الله تعالى اظهار ما علم كما علم لا لتحصيل علم ما لم يعلم واللام في قوله تعالى وليبلى متعلقة بمحذوف اى وليبلى فعل ذلك او متعلقة بما قبلها بأن يكون معطوفا على علة محذوفة اى ولكن الله رمى ليقهر الكافرين وليبلى المؤمنين منه بلاء يجوز ان يكون بمعنى المصدر اى ابلاء وان يراد به نفس المبلى به ﴿قوله وحفص موهن كيد﴾ بجرّ كيد باضافة موهن اليه وتخفيف الهاء وغير حفص ينوّن لفظ موهن وينصب كيد الا ان اهل الحرمين وابا عمرو ممن قرأ بالتنوين يقرأون موهن بفتح الواو وتشديد الهاء والباقون من اصحاب التنوين يقرأون موهن باسكان الواو وتخفيف الهاء ﴿قوله خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم﴾ اى ان تستنصروا ايا أهدى الفئتين واكرم الحزبين فقد جاءكم النصر ﴿قوله ويؤيد ذلك الخ﴾ فان نداء المؤمنين وامرهم بطاعة الله وطاعة رسوله يدل على ان الخطاب السابق لهم ﴿قوله او للامر﴾ اى لا تتولوا عن هذا الامر واجتهدوا في امتثاله وعليكم برعاية طاعة الله وطاعة رسوله في جميع ما فعلتم وتركتم ﴿قوله كالكفرة﴾ فانهم يقولون سمعنا وعصينا لانهم يجاهرون بالكفر والتكذيب والمنافقون يدّعون السماع والقبول بألسنتهم ويبطنون الكفر والتكذيب في قلوبهم ﴿قوله شرّ ما يدب﴾ اى يمشى على الارض على ان يحمل لفظ الدابة على معناها اللغوى وقوله او شرّ البهائم على ان يحمل على معناها العرفى العام نقلوه من الوصفية وجعلوه اسما للبهائم على ارادة معناه عند اهل العرف العام وجمع الصم مع انه خبر شرّ حملا على المعنى لانه يراد به الكثرة ﴿قوله سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات﴾ الاوّل عبارة عن السعادة الروحانية والمثوبات الاخروية والثانى عبارة عن التنبيه بالحجج والمواعظ والتوسل بها الى الايمان واليقين والمعنى لو حصل واستقرّ فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع فهم وقبول واطاعة اى استعداد لقبول الكمال واستسعاد بثمراته ولو اسمعهم مع عدم استقرار الخير فيهم حتى فهموا لما كان تفهمهم

في طاعة الرسول لقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذى دل عليه الطاعة (وانتم تسمعون) القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) كالكفرة او المنافقين الذين ادّعوا السماع (وهم لا يسمعون) سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا (ان شرّ الدواب عند الله) شرّ ما يدب على الارض او شرّ البهائم (الصمّ) عن الحق (البكم الذين لا يعقلون) اياه عدّهم من البهائم ثم جعلها شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله (ولو علم الله فيهم خيرا) سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات (لأسمعهم) سماع تفهم (ولو أسمعهم) وقد علم ان لا خير فيهم (لتولوا)

(اثر)

لله وللرسول) بالطاعة (اذا دعاكم) وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول روى انه عليه السلام مر على ابى سعيد الخدري وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال مامنعك عن اجابتى قال كنت اصلى قال ألم تخبر فيما اوحى الىّ استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التأخير وللمصلى ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاوّل (لما يحييكم) من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال

لاتعجبنّ الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن *

اومما يورثكم الحياة الابدية فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال اومن الجهاد فانه سبب بقائكم اذلو تركوه لغلبهم العدوّ وقتلهم اوالشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ماعسى يغفل عنه صاحبها اوحث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت اوغيره اوتصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزآئمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المرّ بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الرآء واجرآء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدّد فيه (وانه اليه تحشرون) فيجازيكم بأعمالكم (واتقوا فتنة لاتصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة) اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة فى الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لاتصيبنّ اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لاتصيب الظالمين منكم خاصة بل تعمكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم واماصفة لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان النون لاتدخل المنفى فى غير القسم اوللنهى على ارادة القول كقوله

* حتى اذا جنّ الظلام واختلط *

اثر وهو متابعة الحجج والعمل بمقتضاها بل تركوا سريعا لكون ذلك الفهم فيهم امرا عارضا سريع الزوال غير مناسب لذواتهم وهم معرضون بالذات فلا يثبت فيهم الفهم كما قال امير المؤمنين كرم الله وجهه خذ الحكمة ولو من اهل النفاق فان الحكمة لتختلج فى صدر المنافق حتى تسكن الى صواحبها فى صدور المؤمنين اى لاتثبت فى صدره لكونها عارضية هناك لاتناسب ذاته عبر عن عدم استقرار الخير فيهم بعدم علم الله بوجوده اذهو من لوازم عدمه فى نفسه فعبر باللازم عن الملزوم فقيل لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم لكونه ابلغ فى الدلالة على انعدام الخير فيهم لان نفى لازم الشئ نفى لنفس ذلك الشئ فيكون ابلغ بالنسبة الى نفى نفس ذلك الشئ * وفى الآية اشكال من حيث ان النحويين يقولون كلمة لو وضعت للدلالة على انتفاء الشئ لاجل انتفاء غيره فاذا قلت لو جئتنى لاكرمتك افاد انه ماحصل المجئ وماحصل الاكرام فعلى هذا يكون قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم بمعنى ماعلم الله فيهم خيرا وما اسمعهم ويكون قوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا بمعنى انه تعالى مااسمعهم وانهم ماتولوا ومعلوم ان عدم التولى خير من الخيرات فيكون آخر الكلام مناقضا لاوّله لان اوّله يقتضى نفى الخير عنهم وآخره يقتضى حصوله فيهم * واجيب بأن كلمة لو فى الآية لمجرّد الشرط وبيان الاستلزام مع قطع النظر عن الغير كما فى قوله عليه الصلاة والسلام *نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه *فان لفظة لو فيه لو افادت ماذكره النحاة لكان المعنى انه خاف الله تعالى وعصاه وذلك تناقض فثبت انها لاتفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره وانما تفيد مجرّد الاستلزام ثم انه اذا لم يعص عند عدم الخوف فبالاولى ان لايعصى عند الخوف وكذا لو الثانية فى الآية فانه اذا تولى عند الاسماع والتفهيم فعند عدمه اولى وهذا جواب حسن الا انه يخالف قول الجمهور * واجيب ايضا بانا لانسلم ان عدم التولى لعدم الاسماع خير وانما الخير ان يسمعوا ويحصل منهم التصديق والقبول لاالاعراض والنفور لانه لما حكم الله تعالى عليهم بالتولى عن الدلائل وبالاعراض عن الحق وانهم لايقبلونه البتة وجب ان يكون صدور الايمان عنهم محالا لان صدوره عنهم يقتضى ان ينقلب خبر الله كذبا وانه محال **﴿قوله وقيل﴾** اى قيل ليس المعنى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم الدلائل والمواعظ سماع فهم وقبول بل المعنى لأسمعهم كلام قصى بن كلاب بأن يحييه ويمكنه من ان يخبرهم بصحة نبوّته عليه الصلاة والسلام وانه تعالى لو اسمعهم كلامه لتولوا عن قبول الحق ولأعرضوا عنه **﴿قوله تعالى استجيبوا لله﴾** اى اجيبوا الله تعالى ورسوله بالطاعة كما فى قوله

* وداع دعا يامن يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

﴿قوله واختلف فيه﴾ اى فى جواز قطع الصلاة لاجابة الداعى فقيل انه مختص باستجابة الرسول صلى الله عليه وسلم ولايجوز قطع الصلاة لاجابة غيره وقيل انه لايختص به عليه الصلاة والسلام بل يجوز لكل مصل ان يقطع صلاته لامر لايحتمل التأخير كانجاء الغريق مثلا **﴿قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه﴾** قال صاحب الكشاف فى تفسيره يعنى ان الله تعالى يميته فتفوته الفرصة التى هو واجدها وهى فرصة التمكن من اخلاص القلب ومصالحة ادوائه وعلله ورده سليما كما يرده الله تعالى فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله ثم قال والجبرية على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوّا كبيرا قال المحقق التفتازانى رحمه الله تعالى ماذكره من قوله انه يميته هو تأويل المعتزلة وعند اهل السنة انه تعالى يحول بين الكافر وطاعته حتى اذا اراد ان يؤمن والله لايريد ايمانه حال بينه وبين قلبه كيف شاء وكذا اذا اراد المؤمن ان يكفر ولم يرد الله كفره وبالجملة فالسعيد من اسعده الله والشقى من اضله الله والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء وهذا منقول عن ابن عباس والضحاك رضى الله تعالى عنهم فلا يكون قول الظالمين بل رده قول الجاهلين انتهى كلامه **﴿قوله اتقوا ذنبا يعمكم اثره﴾** اى شؤمه ووباله فسر الفتنة بالذنب فيكون المراد باصابة الذنب اصابة اثره الذى هو شؤم الذنب ووباله اذ ماذكر من اقرار المنكر وافتراق كلمة الامة فى امر الدين ونحوهما ذنوب لايختص وبالها بالمجرمين بل يعمهم وغيرهم وذكر فى قوله لاتصيبنّ وجوها الاوّل ان يكون مجزوما جوابا للامر فتكون لانافية والثانى ان يكون منصوبا على انه صفة فتنة ولا للنفى اويكون مجزوما بلا الناهية واقعا صفة فتنة بتقدير القول لان الجملة الطلبية لاتقع صفة الا بتقدير القول كأنه قيل اتقوا فتنة مقولا فيها لاتصيبنّ كما وصف المذق بقوله هل رأيت والمذق اللبن المخلوط بالماء ويقال له السمار بفتح السين وفى الصحاح السمار اللبن المخلوط وتسميره ترقيقه بالماء والمذق سمار فيه لون الزرقة التى هى لون الذئب والثالث

ان يكون جواب قسم محذوف وان اختلفا في المعنى ضرورة ان النفي يخالف الاثبات والرابع ان يكون نهيا بعد امر اى نهيا مؤكدا للامر والحاصل ان لاتصيبن امانفي او نهي والنفي اما جواب الامر او صفة والنهي امالتأكيد او صفة بتقدير القول وظاهر الآية يقتضي ان يكون نفيا واقعا صفة فتنة اذ المعنى الذي يتبادر الى الفهم اتقوا فتنة لاتختص اصابتها بالمجرمين بل تشملهم وغيرهم *ثم لما كان جواب الشرط مقدرا ذكر ان المعنى على تقدير كونه جوابا للامر ولما كان جواب الشرط مترددا فيه فلايليق به التأكيد* اجاب عنه بأن فيه معنى النهي كما اذا قلت انزل عن الدابة لاتطرحنك نفي في معنى النهي فلذلك جاز تأكيده بالنون وعلى هذا المقدر من جنس الامر اذلا معنى لجواب الامر الا ما المطلوب من الامر سببه فيكون الشرط هو المطلوب من الامر فاذا قيل اكرمني تكن كذا فتكن كذا انمايكون جوابا للامر فلزم مماذكرنا ان يكون التقدير ان تتقوا لاتصيبن الظالمين خاصة بل تعمهم وغيرهم اصابتها وهو فاسد لان اصابتها كيف تعم على تقدير الاتقاء *واجيب عنه بانه على رأى الكوفيين حيث يقدرون مايناسب الكلام ولا يلتزمون ان يكون المقدر من جنس الملفوظ فيقدرون في مثل لاتدن من الاسد يأكلك الاثبات اى ان تدن يأكلك وفي مثل اتقوا الفتنة لاتصبنكم العقوبة اى ان لم تتقوا يصبكم وغيركم وبالها والمصنف قدر شرطا يستقيم به المعنى لامضمون الامر ولانقيضه فلايتبين به كون المذكور جواب الامر لعدم كونه مسببا عن الامر فقيل ان مراده ان التقدير ان تتقوا لاتصبكم وان اصابتكم لاتصب الظالمين فقط بل عمتكم فاقيم جواب الشرط المقدر الذي هو مضمون الامر مقامه لتسببه عنه وانت خبير بان عموم اصابة الفتنة ليس مسببا عن عدم الاصابة ولا عن الامر فالظاهر ان يقدر نقيض مضمون الامر اى ان لم تتقوا تصبكم وغيركم فان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم فيكون عموم الاصابة لازما للازم عدم الاتقاء الذي هو مضمون الاتقاء فلهذا جاز ان يجعل جواب الامر وقيل مراده ان التقدير ان لم تتقوا اصابتكم على ماهو مذهب الكسائي وان اصابتكم لاتخص الظالمين وانت خبير بأنه لاحاجة الى اعتبار الواسطة بل يكفي ان لم تتقوا لا تصيب الظالمين خاصة

﴿ **قوله** ويحتمل ان يكون نهيا ﴾ اى للمخاطبين عن التعرض للظلم بعد امرهم باتقاء الذنب فان ظاهر النهي وان كان للفتنة الا ان المراد نهي القوم عن التعرض للظلم على معنى اتقوا فتنة يقال في حقها لاتعرضوا للظلم فتصيبكم هي او اثرها ووبالها ان اريد بالفتنة الذنب وعلى تقدير ان يراد بالفتنة العذاب فقوله لاتصيبن سواء جعل نهيا مؤكدا للامر او نهيا واقعا صفة لفتنة ظاهره ان يكون نهيا للفتنة ومعلوم ان ليس المراد ذلك بل هو نهي للمخاطبين ثم انه ليس نهيا لهم عن اصابة الفتنة اياهم لان اصابة الفتنة فعل غيرهم ولا ينهى احد عن فعل غيره بل هو نهي لهم عن سبب اصابة الفتنة اياهم وهو الظلم فالمعنى على تقدير كونه نهيا واردا بعد الامر لتأكيده لاتعرضوا معاشر المؤمنين للظلم فانه سبب لاصابة الفتنة التي هي اثر الظلم ووباله فتصيب الفتنة الظالمين الذين هم انتم خاصة بناء على ظلمكم وانما اصابتهم على ظلمهم خاصة دون سائر الناس ثم جعل النهي للفتنة للمبالغة واقيم الذين ظلموا مقام ضميرهم تنبيها على ان سبب اصابة الفتنة اياهم هو ظلمهم ثم بين الظالمين بقوله منكم للدلالة على ان ظلمهم له خصوصية ليست لظلم غيرهم ثم اكد تلك الخصوصية بقوله خاصة وهذا الذي ذكرناه توضيح لقوله وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم اى وفائدة كون لاتصيبن نهيا مستقلا واردا بعد الامر وكذا اذا جعلته نهيا صفة لفتنة يكون المعنى ذلك بعينه لكن على تقدير القول كمامر

﴿ **قوله** ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين ﴾ هكذا ذكر في اكثر النسخ والظاهر ان المراد بالوجوه الاول الوجوه التي يكون لا في لاتصيبن فيها نافية وهي ان تكون جواب الامر وجواب القسم محذوف او صفة لفتنة وبالوجهين الاخيرين ان يكون لاتصيبن نهيا بعد امر ونهيا صفة لفتنة وجعلهما اخيرين بطريق التغليب وكذا جعل الوجوه الباقية اول بذلك الطريق ايضا والا فالوجهان الاخيران حقيقة هما كونه جواب قسم محذوف ونهيا بعد امر والجملة القسمية صفة لفتنة فلايكون لاتصيبن نهيا بل يكون نفيا ومن في النفي تبعيضية لان المعنى لاتختص بالظالمين وغير الظالم هو البعض الآخر من جملة المخاطبين واما في النهي فبيانية لانه قدمر ان لا على تقدير كونها ناهية تكون لاتصيبن نهيا للمخاطبين عن الظلم الذي هو سبب الفتنة وقد عبر عن المخاطبين باعتبار الظلم بالذين ظلموا فيكون منكم بيانا للذين ظلموا وفي بعض النسخ ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين فيكون المراد بالوجه الاول ان تكون جوابا للامر وبالاخيرين ان يكون نفيا او نهيا بعد امر فيكون عدم التعرض لمعنى من على تقدير كون لاتصيبن نفيا صفة

(وكونه)

ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم (واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض) ارض مكة يستضعفكم قريش

من الغنائم (لعلكم تشكرون) هذه النعم (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول فى المغانم روى
انه عليه السلام حاصر بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا بارض الشأم فأبى
الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا ارسل الينا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ
فأشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشدّ نفسه على سارية فى المسجد وقال والله
لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علىّ فمكث سبعة ايام حتى خرّ مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدّق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد الامانة لتضمنه اياه (وتخونوا أماناتكم) فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاوّل او منصوب على الجواب بالواو (وانتم تعلمون) انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة) لانهم سبب الوقوع فى الاثم او العقاب او محنة من الله تعالى ليبلوكم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كأبى لبابة (وان الله عنده اجر عظيم) لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فأنيطوا هممكم بما يؤدّيكم اليه (يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) هداية فى قلوبكم تفرّقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرّق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة مما تحذرون فى الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح (ويكفر عنكم سيئاتكم) ويسترها (ويغفر لكم) بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدّم وما تأخر لانها فى اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم (والله ذو الفضل العظيم) تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل (واذ يمكر بك الذين كفروا) تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك (ليثبتوك) بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبّتوك بالتشديد
وليبيتوك من البيات وليقيدوك (او يقتلوك) بسيوفهم لا (٣٩) (او يخرجوك) من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فزعوا فاجتمعوا
فى دار الندوة متشاورين فى امره فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد سمعت اجتماعكم فأردت ان احضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقال ابو البخترى
رأيى ان تحبسوه فى بيت وتسدّوا منافذه غير كوّة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال
هشام بن عمرو رأيى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضرّكم ما صنع فقال بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل

وكونه جواب قسم مبنيا على كونه معلوما بالقايسة ﴿قوله والخطاب للمهاجرين﴾ لقوله فآواكم لما امرهم الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ثم امرهم بالاتقاء عن المعصية ذكر بعدما يوجب عليهم الطاعة وترك المعصية والمخالفة وذلك انهم كانوا فى اوّل امرهم قليلين فى العدد وكانوا بحيث يستضعفهم غيرهم حتى كانوا يخافون ان خرجوا من مكة ان يسلبهم الناس فقوّاهم الله تعالى بأن جعل لهم مأوى يرجعون اليه وهو المدينة دار الهجرة والتخطف الاخذ والانتزاع بسرعة ليفعل الآخذ فى المأخوذ ما شاء من القتل والاسر ﴿قوله بتعطيل الفرائض والسنن﴾ فانها اعمال ائتمن الله تعالى عليها العباد ليحافظوا على ادائها فى اوقاتها برعاية حدودها وحقوقها فمن ضيعها فقد خان الله تعالى فيها ﴿قوله فأشار الى حلقه انه الذبح﴾ اى ان حكم سعد الذبح والقتل والاشارة الى حلقه اشارة الى ان نزولكم على حكم سعد بمنزلة قتلكم وهذا منه خيانة لله ولرسوله ﴿قوله او منصوب﴾ اى باضمار ان بعد الواو الواقعة بعد النهى اى لا تجمعوا بين الخيانتين كقوله

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ❁ عار عليك اذا فعلت عظيم

والجزم اولى لان فيه النهى عن كل واحد على حدته بخلاف النصب فانه نهى عن الجمع بينهما والنهى عن الجمع بين الشيئين لا يستلزم النهى عن كل واحد منهما على حدة ﴿قوله لانهم سبب الوقوع فى الاثم او العقاب او محنة من الله تعالى﴾ يعنى ان الفتنة قد تطلق بمعنى الآفة والبلاء وقد تطلق على معنى الابتلاء والامتحان فالله تعالى جعل الاموال والاولاد فتنة بالمعنى الاوّل لكونها اسبابا مؤدّية الى الوقوع فى الآفة التى هى ارتكاب المعصية فى الدنيا او الوقوع فى عقاب العقبى عبر عن الاموال والاولاد بضمير العقلاء تغليبا وان جعلها فتنة بمعنى الامتحان فوجهه كونها اسبابا لوقوع العبد فى محن الله تعالى انه يظهر بها من اتبع الهوى ممن آثر رضى المولى والفرقان مصدر بمعنى الفرق اطلق على ما يكون سببا للفرق والتمييز ولما حذر الله تعالى عن الانهماك فى محبة الاموال والاولاد رغب فى تقوى الله تعالى بالاجتناب عن الكبائر والملازمة على الطاعات فان من اجتنب الخيانة ولازم الطاعة جعل الله له ما يتميز به عن الفساق والعصاة فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فبأن يهدى قلبه وينوّره بنور المعرفة واليقين فتجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولا يصدر عنه الا ما هو حق وصواب فهذه الهداية فرقان يفرق بها المتق من اضداده وكذا كونه منصورا فرقان يفرق به من المبطلين بان ينصره ويخذل المبطلين وبان ينصب له براهين قاطعة يتفصى بها من الشبهات فى امر الدين وبان ينجيه مما يخافه فى الدنيا والآخرة وبان يظهر شأنه ويعلى قدره فهذه الامور كما انها فرقان يفرق بها بين المتق وغيره فهى ايضا فرقان يفرق بها بين الحق والباطل وكذا النصر اذ يفرق به انه على الحق والمنصور عليه على الباطل وكذا المخرج والنجاة فانهما يفرقان بينه وبين الشبهات وما يخاف منه ﴿قوله تذكار لما مكر قريش به﴾ اى تذكير لمكرهم وهو حيلة وتدبير فى اهلاك احد والمكر لتضمنه معنى الحيلة والخدعة يوهم مذمّة من اتصف به فلا يسند اليه تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج ﴿قوله بالوثاق او الحبس﴾ لما كان اثبات الشئ عبارة عن الزامه بموضع وذلك قد يكون بشدّه وتوثيقه بالوثاق لان كل من شدّ فقد ثبت لانه لا يقدر على الحركة وقد يكون بحبسه كما قال بعض اصحاب المكر أرى ان تأخذوا محمدا صلى الله عليه وسلم وتحبسوه فى مكان وتشدّوا وثاقه وتسدّوا بابه غير كوّة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كمن هلك قبله من الشعراء وقد يكون بالاثخان اى توهينه واضعافه بالجروح بحيث لا يقدر منها على الحركة فسر الاثبات بكل واحد منها ﴿قوله وقرئ ليثبتوك﴾ بتعديته بتضعيف العين بدل الهمزة وليبيتوك من البيات وهو اسم من قولهم بيت العدو اى اوقع بهم ليلا ﴿قوله فاجتمعوا فى دار الندوة﴾ ندا القوم ندوا حضروا الندى وهو على فعيل مجلس القوم ما داموا فيه فاذا تفرّقوا فليس بندى ومنه سميت دار الندوة بمكة التى بناها قصى لانهم كانوا يندون فيها اى يجتمعون للمشاورة روى ان النضر بن الحارث من بنى عبد الدار كان يختلف تاجرا الى فارس والروم والحيرة فيسمع اخبار رستم واسفنديار واحاديث العجم واشترى احاديث كليلة ودمنة وكان يمرّ باليهود والنصارى فيراهم يقرأون التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون فجاء مكة فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيقرأ القرآن وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين وهو منهم فيقرأ عليهم اساطير الاوّلين اى ما سطروه فى كتبهم من اخبار الامم الماضية واسمائهم وكان يزعم انها مثل ما يذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من قصص الاوّلين والاساطير جمع اسطورة وهى

الماكرين) اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا الى الله انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم

(واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاضيهم او قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فامنعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرّعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان (ان هذا الا اساطير الاولين) ما سطره الاولون من القصص (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روى انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا منزلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون (وما لهم ان لا يعذبهم الله) وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون (وهم يصدون عن المسجد الحرام) وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية (وما كانوا اولياءه) مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو ردّ لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصدّ من نشاء وندخل من نشاء (ان اولياؤه الا المتقون) من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان لله (ولكنّ اكثرهم لا يعلمون) ان

(الصدى)

المكتوبة ﴿قوله أبلغ في الجحود﴾ لانه جزم بان القرآن ليس بحق ثم فرض انه حق وعلق العذاب به وكأنه فرض محالا ومعلوم ان المعلق على المحال لا يقع فلما كان حقيقة امره عليه الصلاة والسلام بمنزلة المحال عندهم زعموا ان البلاء الذي طلبوه لا يصيبهم لانهم شرطوا لاصابته كونه حقا فطلبوا امطار الحجارة عليهم اعلاما بانهم على غاية الثقة في ان امره عليه الصلاة والسلام ليس بحق وما اجهلهم * فان قلت كلمة ان للخلو عن الجزم فكيف استعملت في صورة الجزم * فنقول انها لعدم الجزم بوقوع الشرط ومتى جزم بعدم وقوعه عدم الجزم بوقوعه ﴿قوله وقرئ الحق بالرفع﴾ على ان يكون هو في محل الرفع على الابتداء والحق خبره وتكون الجملة خبرا لكان وقرأ العامة بنصب الحق على انه خبر كان ودخلت كلمة هو للفصل ولا موضع لها وانما دخلت ليعلم ان قوله تعالى من عندك حال في معنى الحق اي الثابت حال كونه من عندك وقوله من السماء صفة لحجارة فيتعلق بمحذوف ولو جعل متعلقا بقوله امطر لم يبق لقوله من السماء فائدة لان المطر لا يكون الا من السماء وفائدة توصيف الحجارة بقوله من السماء الدلالة على ان المراد بالحجارة السجيل وهو حجارة مسوّمة اي معلمة معدّة لتعذيب قوم من العصاة روى انها حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها اسماء القوم فلا بدّ من ذكر السماء لتعيين ان المراد من الحجارة السجيل ﴿قوله بيان لما كان الموجب لامهالهم﴾ مع انهم قد استحقوا ان يهلكهم الله تعالى بدعائهم لتحقق شرط اهلاكهم وهو كون ما اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا نازلا من عند الله والمعنى ان الله تعالى لا يهلكهم مع ذلك لامرين الاول انه عليه الصلاة والسلام مادام حاضرا معهم مقيما بين اظهرهم فانه تعالى لا يفعل بهم ذلك تعظيما له عليه الصلاة والسلام وهذا عادة الله تعالى مع جميع الانبياء المتقدمين فانه تعالى لم يعذب اهل قرية الا بعد ان يخرج رسوله كما كان في حق هود وصالح ولوط عليهم الصلاة والسلام * فان قيل لما كان حضوره عليه الصلاة والسلام فيهم مانعا من نزول العذاب عليهم فكيف قال قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم * اجيب بان المراد من الاول عذاب الاستئصال ومن الثاني العذاب الحاصل بالمحاربة والمقاتلة والامر الثاني انه تعالى لا يفعل بهم ذلك وهم يستغفرون اي وفيهم من يستغفر من المؤمنين المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون المهاجرة من بين اظهرهم يقال للجوار حرمة فجار الكرام في ظل انعامهم والكفار وان لم يمتنعوا بقرب الرسول صلى الله عليه وسلم لكن لما كانوا بقرب من آمن به اندفع العذاب عنهم ببركة جوار المؤمنين وعن مجاهد اي وفي اصلابهم من يستغفر وقيل اي فيهم من يؤول امره الى الاسلام فان فيهم قوما كان في علم الله تعالى دخولهم في الاسلام منهم ابو سفيان بن حرب رضي الله تعالى عنه وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب والحارث بن هشام وحكيم بن حزام وصفوان بن امية وغيرهم وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك انهم كانوا يقولون بعد الطواف غفرانك ولا يبعد ان يدفع ذلك عذاب الاستئصال مع كونه صادرا عن المشرك وقيل قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فلما انصرفوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم انه تعالى لما بين ان الموجب لامهالهم هو هذان الامران ذكر بعده انهم يستحقون العذاب ويعذبون وان كان لا على وجه الاستئصال متى زال ذلك الموجب فقال ومالهم ان لا يعذبهم الله ﴿قوله واللام لتأكيد النفي﴾ يعني ان اللام في قوله تعالى ليعذبهم لام الجحود والفعل بعدها منصوب باضمار ان وشرطها ان يتقدمها كون منفي وذهب البصريون الى ان خبر كان محذوف وتتعلق هذه اللام بذلك الخبر المحذوف والمعنى وما كان الله مريدا لتعذيبهم وذهب الكوفيون الى ان هذه اللام مع ما بعدها في محل الخبر ولا يقدرون شيأ محذوفا ويزعمون ان الفعل بعدها منصوب بنفس اللام لا باضمار أن وان اللام زائدة لتأكيد النفي وظاهر كلام المصنف يشعر بانه اختار مذهب الكوفيين الا انه لا ينافي اتيانه على مذهب البصريين لان انتفاء ارادة العذاب ابلغ وآكد من نفي العذاب صرّح في خبر كان الاول بلام الجحود دون خبرها الثاني للدلالة على ان كينونته عليه الصلاة والسلام فيهم ابلغ في كونها سببا لعدم تعذيبهم من استغفارهم فأين بركة وجوده عليه الصلاة والسلام من بركة استغفارهم ﴿قوله اي دعاؤهم﴾ الصلاة في اللغة الدعاء وفي عرف الشرع الاركان المعلومة والافعال المخصوصة وليس شئ من المكاء والتصدية من جنس الصلاة اللغوية ولا الشرعية يقال مكا يمكو اذا جمع كفيه ثم صفر فيهما قال الاصمعي قلت لو احد من اهل اللغة لا المكاء فشبك بين اصابعه ثم وضعها على فمه ونفخ فينبغي ان لا يصح استثناؤهما فاشار الى توجيه الاستثناء بان الصفير والتصفيق وهو ضرب اليد على اليد اظهارا

(وتصدية) تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب اوعدم ولايتهم للمسجد فانها لاتليق بمن هذه صلاته روى انهم كانوا يطوفون عراة الرجال و النساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها و يصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه و يرون انهم يصلون ايضا (فذوقوا العذاب) يعني القتل و الاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة و اللام يحتمل ان تكون للعهد و المعهود ائتنا بعذاب اليم (بما كنتم تكفرون) اعتقادا و عملا (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله) نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزرا و في ابي سفيان استأجر ليوم احد ألفين

سوى من اجناش من العرب و انفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيبت قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا و المراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله (فسينفقونها) تمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر و الثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد و يحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد (ثم تكون عليهم حسرة) ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة (ثم يغلبون) آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك (و الذين كفروا) اى الذين ثبتوا على الكفر منهم اذا سلم بعضهم (الى جهنم يحشرون) يساقون (ليميز الله الخبيث من الطيب) الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح و اللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته و اللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة و الكسائي و يعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) فيجمعه و يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين (فيجعله في جهنم) كله (اولئك) اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين (هم الخاسرون) الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم (قل للذين كفروا) يعني اباسفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم (ان ينتهوا) عن معاداة الرسول عليه الصلاة و السلام بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم و يغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى (وان يعودوا) الى قتاله (فقد مضت سنة الاولين) الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) لا يوجد فيهم شرك (ويكون الدين كله لله) وتضمحل عنهم الاديان الباطلة (فان انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) فيجازيهم على انتهائهم عنه و اسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد و الدعوة الى الاسلام و الاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم فيكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب (وان تولوا) ولم ينتهوا (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم (نعم المولى) لا يضيع من تولاه

الصدى وهو الصوت نوع من العبادة و الدعاء في زعمهم وانهم كانوا يعتقدون انهما من جنس الصلاة وقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال كانت قريش يطوفون بالبيت عراة و يصفرون و يصفقون للاحتراز عن ان يطوفوا بيت الله بثياب عصوا الله فيها فأنزل الله تعالى قل من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده فامروا بالثياب وكانوا يعدّون المكاء والتصدية نوعا من العبادة و الدعاء و يسمونهما صلاة فخرج هذا الاستثناء على حسب معتقدهم ثم اشار الى وجه آخر وهو ان المراد بالصلاة الصلاة الشرعية واستثنى المكاء و التصدية مع انهما ليسا من جنسها تقريعا للمشركين بتركهم ما امروا به في المسجد الحرام وجعلهم المكاء و التصدية بدلا منه فان ما لا يدخل تحت الشيء قد يستثنى منه لمصلحة وغرض كقصد المدح و الذم كما تقول العرب مالفلان عيب الا الشجاعة فلا عيب له وكذا الغرض ههنا ان من كان المكاء و التصدية صلاته فلا صلاة له وقد امروا بها ﴿قوله تفعلة من الصدى او من الصدّ﴾ يعني اختلف في التصدية انها من الصدى او من الصدّ وهو المنع يقال صدّه عن الامر صدّا اى منعه وصرفه عنه وينقل الى باب التفعيل للتكثير و يقال صدّد يصدّد تصديدا و تصددة فلما كثرت الدالات قلبت احداهنّ ياء كما في نحو تقضى البازى و اصله تقضض روى الامام محيي السنة رضي الله تعالى عنه عن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان التصدية تصدية المؤمنين عن المسجد الحرام و عن الدين و الصلاة ثم قال فأصلها على هذا التأويل التصددة بدالين فقلبت احدى الدالين ياء وعن مقاتل انه عليه الصلاة و السلام كان اذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان عن يمينه فيصفران و رجلان عن يساره فيصفقان ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وصلاته وهم بنو عبد الدار فقتلهم الله تعالى ببدر ﴿قوله وقرئ﴾ يعني ان قرآءة العامة رفع صلاتهم ونصب مكاء وقرئ بنصب صلاتهم و رفع مكاء على تقديم خبر كان على اسمها وحمل صاحب المفتاح هذه القرآءة على القلب بناء على انه لا يجوز ان يخبر عن النكرة بالمعرفة الا في ضرورة الشعر كقوله يكون مزاجها عسل وماء * وقال ابن جني لا حاجة الى اعتبار القلب لان المكاء و التصدية اسما جنس لانهما مصدران واسم الجنس تعريفه وتنكيره متقاربان فلم يبال بأيهما جعل اسما او خبرا و المعرفة و النكرة في باب الجنس سوآء فلا فرق بين ان يقال ما كان ذات الا مكاء و الا المكاء الا يرى ان المعرّف باللام في نحو قوله * ولقد امر على اللئيم يسبني * في حكم المنكر حيث وصف بالجملة كما توصف بها النكرة ﴿قوله مشبكين بين اصابعهم﴾ تصوير لمكائهم فان المكاء عبارة عن تشبيك الاصابع ثم وضعها على الفم وان ينفخ فيها ﴿قوله عشر جزر﴾ جمع جزور وهو البعير ذكرا كان او انثى الا ان لفظه مؤنث تقول هذه الجزور فلذلك لم يقل عشرة جزر بالتاء ﴿قوله سوى من اجناش﴾ اى سوى من صار جيشا وفي الكشاف انه استأجر ليوم احد ألفين من الاحابيش سوى من اجناش و الاحابيش جمع احبوشة وهي الجماعة من الناس من قبائل شتى و استجاش اى طلب الجيش * والاوقية اثنان و اربعون مثقالا ﴿قوله ولعل﴾ يعني ان الاظهر ان قوله تعالى ينفقون اموالهم محمول على الحال بمعنى انه اخبار عن انفاقهم يوم بدر وقوله فسينفقونها اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد فيتغاير الانفاقان و يحتمل ان يكون الاول ايضا محمولا على الاستقبال فيتحدان كأنه قيل ان الذين يريدون ان ينفقوا اموالهم فسينفقونها فيكون سوق الاول لبيان الغرض من الانفاق وسوق الثاني لبيان عاقبته و المنوى في قوله ثم تكون ضمير اموالهم ولما كانت عاقبة انفاقها حسرة جعلت ذواتها كأنها عين الحسرة على سبيل المبالغة جعل الحرب سجالا تشبيها لها بالمساجلة من حيث انها تكون تارة لهم و تارة عليهم ﴿قوله فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا﴾ يعني ان الركم ليس عبارة عن الجمع مطلقا بل هو الجمع بين الاشياء بحيث يتراكب بعضها فوق بعض ومنه السحاب المركوم فيجعل بعض الكفرة على بعض في جهنم بان يلقوا امكانا ضيقا مقرّنين هذا على تقدير ان يراد بالخبيث جنس الكافر كما هو الظاهر وان اريد به ما يتناول جنس الكافر و ما انفقه في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم يكون المعنى فيركم المشركين مع ما انفقوا في جهنم فيعذبهم به كما يحمى على اموال الكافرين في نار جهنم فيعذبون بها وقوله وهو ابلغ من الميز أى وان كان كل منهما يتعدى الى واحد تقول مزت الشيء وميزت الشيء وتميزت الشيء فانماز وامتاز وتميز كلاهما بمعنى الا ان الثاني ابلغ لدلالته على الاعمال ﴿قوله اى الذي اخذتموه من الكفار قهرا﴾ اشارة الى ان كلمة ما في قوله أنما غنمتم موصولة و غنمتم صلتها و عائدها محذوف اى أنما غنمتموه فكان حق ما هذه ان تكتب منفصلة من ان كما في قوله تعالى انما توعدون لآت لكنها كتبت متصلة اتباعا للرسم ولما امر الله تعالى بالمقاتلة في قوله وقاتلوهم ومن المعلوم انه عند المقاتلة قد تحصل الغنيمة لا جرم ذكر الله

و ابن السبيل) فكأنه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به و حكمه بعد باق غير أن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعل الشيخان رضي الله تعالى عنهما و قيل الى الامام و قيل الى الاصناف الاربعة

و قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى سقط سهمه و سهم ذوى القربى بوفاته و صار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية و عن مالك رضي الله تعالى عنه الامر فيه مفوض الى رأي الامام يصرفه الى ما يراه أهم و ذهب ابو العالية الى ظاهر الآية فقال يقسم ستة اقسام و يصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة و قيل سهم الله لبيت المال و قيل هو مضموم الى سهم الرسول و ذو القربى بنوا هاشم و بنوا المطلب لما روى انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوى القربى عليهما فقال له عثمان و جبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنوا هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم ارأيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم و حرمتنا و انما نحن و هم بمنزلة فقال عليه الصلاة و السلام انهم لم يفارقونا فى جاهلية و لا فى اسلام و شبك بين اصابعه و قيل بنوا هاشم وحدهم و قيل جميع قريش و الغنى و الفقير فيه سواء و قيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل و قيل الخمس كله لهم و المراد باليتامى و المساكين و ابن السبيل من كان منهم و العطف للتخصيص و الآية نزلت ببدر و قيل كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر و ثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (ان كنتم آمنتم بالله) متعلق بمحذوف دل عليه و اعلموا اى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم و اقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملى اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض و المقصود بالذات هو العمل (و ما انزلنا على عبدنا) محمد من الآيات و الملائكة و النصر و قرئ عبدنا بضمتين اى الرسول و المؤمنين (يوم الفرقان) يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق و الباطل (يوم التقى الجمعان) المسلمون و الكفار (و الله على كل شئ قدير) فيقدر على نصر القليل على الكثير و الامداد بالملائكة (اذ انتم بالعدوة الدنيا) بدل من يوم الفرقان و العدوة بالحركات الثلاث شط الوادى و قد قرئ بها و المشهور الضم و الكسر و هو قرآءة ابن كثير و ابى عمرو و يعقوب (و هم بالعدوة القصوى) البعدى من المدينة تأنيث الاقصى و كان قياسه (فعلى)

تعالى حكم الغنيمة فى هذه الآية و الفيء و الغنيمة بمعنى و قيل الفيء ما كان عن صلح بغير قتال و يؤيد الاول قوله عليه الصلاة و السلام فى الغنائم «مالى مما افاء الله عليكم الا الخمس و الخمس مردود عليكم» و الغنم الفوز بالشئ يقال غنم يغنم غنما و هو غانم و الغنيمة فى الشريعة ما دخلت فى ايدى المسلمين من اموال المشركين على سبيل القهر بالخيل و الركاب و انها كانت لا تحل للامم السالفة و قد احل لهذه الامة اربعة اخماسها بين الله تعالى فى هذه الآية مصارف خمسها ثم بين فى غير هذه السورة حل اربعة اخماسها لنا حيث قال فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ﴿قوله و الجمهور﴾ جواب لما عسى يقال لو كان لله تعالى نصيب على حدة لكان ذلك النصيب سدس المغنوم لا خمسه فكيف قيل فان لله خمسه اى ذهب اكثر المفسرين و الفقهاء الى ان قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك و اضاف هذا المال الى نفسه لشرفه و ليس المراد أن سهما من الغنيمة نصيب الله تعالى مفردا فان ما فى الدنيا و الآخرة كلها لله تعالى و يؤيده قوله عليه الصلاة و السلام «مالى مما افاء الله عليكم الا الخمس» فلو كان لله تعالى سهم على حدة لكان سهمه عليه الصلاة و السلام السدس لا الخمس ﴿قوله و حكمه بعد باق﴾ اى و حكم ما ذهب اليه الجمهور فى معنى الآية باق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم عند الامام الشافعى فان الخمس يقسم عنده على خمسة اسهم ﴿قوله و سهم ذوى القربى﴾ اى اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف و كان لعبد مناف اربعة بنين هاشم و المطلب و نوفل و عبد شمس اما هاشم فولده عبد المطلب و اسد و عبد المطلب له عشرة بنين منهم عبد الله و ابو طالب و حمزة و العباس و ابو لهب و الحارث و الزبير و اختلف فى المراد بذى القربى منهم فقيل بنوا هاشم و بنوا المطلب و ليس لبنى عبد شمس و لا لبنى نوفل منه شئ و كان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه من بنى عبد شمس و جبير بن مطعم من بنى نوفل لما روى انه عليه الصلاة و السلام قسم سهم ذوى القربى بين بنى هاشم و بنى المطلب و لم يعط احدا من بنى عبد شمس و لا من بنى نوفل شيأ ﴿قوله و الغنى و الفقير فيه سواء﴾ لانه عليه الصلاة و السلام و الخلفاء بعده كانوا يعطون العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله و قيل هو مخصوص بفقرائهم اى يعطى لفقرائهم لا لقرابتهم فلهذا ذهب ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه الى ان سهم ذوى القربى ساقط بعد وفاته عليه الصلاة و السلام كما سقط سهمه عليه الصلاة و السلام بعد وفاته لانه لم يخلفه احد فى الرسالة فلا يخلفه فى سهمه فيكون خمس الغنيمة عنده اليوم لثلاثة اصناف اليتامى و المساكين و ابن السبيل و اليتامى جمع يتيم و هو الصغير المسلم الذى لا اب له يصرف اليه سهم من الخمس اذا كان فقيرا و المساكين هم اهل الفاقة و الحاجة من المسلمين و ابن السبيل هو المسافر البعيد عن ماله فلا يترك صنف من هذه الاصناف بغير حظ من قسمة الخمس و يجوز تفضيل بعضهم على بعض بمقدار الحاجة و هذا الذى ذكرنا هو قسمة الخمس من الغنيمة و هى المذكورة فى القرآن العظيم و الباقى و هو اربعة اخماس للغانمين الذين باشروا القتال للفارس ثلاثة اسهم سهم له و سهمان لفرسه لما روى عن عمر رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلاة و السلام قال «للفارس ثلاثة اسهم سهم له و سهمان لفرسه» و للراجل سهم عند الامام الشافعى و عند ابى حنيفة رضي الله تعالى عنهما للفارس سهمان و للراجل سهم ﴿قوله بعد بدر بشهر و ثلاثة ايام﴾ و كانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان و هو اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتال المشركين لاعلاء كلمة الحق و الدين ﴿قوله متعلق بمحذوف﴾ يعنى أن شرط جوابه مقدر عند الجمهور و ان اجاز الكوفيون ان يكون جوابه مقدما عليه و لم يكتف بتقدير قوله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء و قدر معه قوله فسلموه اليهم الخ لما ذكر من أن العلم مقصود بالعرض و المقصود بالذات هو العمل و قوله و ما انزلنا فى محل الجر بالعطف على الجلالة و قوله يوم الفرقان منصوب بأنزلنا و يوم التقى الجمعان بدل منه اى ان كنتم آمنتم بالله و بالمنزل على عبدنا يوم الفرقان و هو قوله تعالى يسألونك عن الانفال و هو منزل فى يوم بدر ﴿قوله شط الوادى﴾ اى جانبه و فى الصحاح الشط جانب النهر و الوادى و بالعدوة متعلق بمحذوف اى اذ انتم نزول بشفير الوادى الادنى للمدينة و عدوكم نازل بجانبه الابعد منها لانه خبر المبتدأ و الباء بمعنى فى كقولك زيد بمكة و قرأ ابن كثير و ابو عمرو و يعقوب بالعدوة بكسر العين فيهما و الباقون بالضم فيهما و قرئ بالفتح ايضا فى الشواذ و هى كلها لغات بمعنى و قرئ شاذا بالعدية بقلب الواو ياء لانكسار ما قبلها و لا يعتبر الفاصل لانه ساكن و هو حاجز غير حصين كما قالوا و فيه ضعف ﴿قوله تفرقة بين الاسم و الصفة﴾ فان فعلى ان كانت واوية قلبت واوها ياء فى الاسم دون الصفة و ان كانت يائية لم يفرق بين الاسم و الصفة بل تكون لامها باقية على حالها نحو الجلوى تأنيث الاجلى و كل واحدة من الدنيا و القصوى

الدلالة على قوّة العدوّ واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لايخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة ولذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولايمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ﴿ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد﴾ اى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ﴿ولكن﴾ جمع بينكم على هذه الحالة من غير ميعاد ﴿ليقضى الله امرا كان مفعولا﴾ حقيقا بأن يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدآئه وقوله ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حىّ عن بينة﴾ بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة اوليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حىّ المشارف للهلاك والحياة او من هذا حاله فى علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيى بفك الادغام للحمل على المستقبل ﴿وان الله لسميع عليم﴾ بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد ﴿اذ يريكهم الله فى منامك قليلا﴾ مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك فى رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوّهم ﴿ولو اراكهم كثيرا لفشلتم﴾ لجبنتم ﴿ولتنازعتم فى الامر﴾ امر القتال وتفرّقت آراؤكم بين الثبات والفرار ﴿ولكنّ الله سلم﴾ انعم بالسلامة من الفشل والتنازع ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها ﴿واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا﴾ الضميران مفعولا يرى قليلا حال من الثانى وانما قللهم فى اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا

فعلى من ذات الواو اما الدنيا فلانها من دنا يدنو دنوّا واما القصوى فلانها من قصا المكان يقصو قصوّا اذا بعد وهما وان كانا من قبيل الصفات لكونهما من باب افعل التفضيل الا انهما الحقتا بالاسماء دون الصفات بسبب استعمالهما فى اكثر الامر بلا موصوف فلذلك كان القياس فيهما قلب الواو وذكر فى المفصل ان فعلى تقلب واوها ياء فى الاسم دون الصفة وان القصوى صفة * والركب جمع راكب مثل صحب وصاحب والمراد به العير وقوّادها ابو سفيان واصحابه كانوا بقرب ساحل البحر بينهم وبين المسلمين ثلاثة اميال يعنى الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير وقوله وفائدتها اى فائدة الجملة الحالية الدلالة على تعيين مراكز كل واحد من الجمعين والركب فان معنى الآية سلموا خمس ما غنمتم الى ما عين لكم من المصارف واقنعوا بما بقى من الاخماس الاربعة ان كنتم آمنتم بما انزلنا على عبدنا اذ انتم نازلون بشفير الوادى الادنى الى المدينة وعدوّكم نازل بشفير الوادى الاقصى من المدينة الى جانب مكة والحال ان الركب فى موضع اسفل منكم الى ساحل البحر والفائدة فى تعيين هذه المواضع الدالة على قوّة العدوّ وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم اى اختلاطه وضعفه من اللوث وهى اللين والضعف قيل فى صفة المصلوب

كأنه عاشق قدمدّ صفحته ❊ يوم الوداع الى توديع مرتحل

اوقائم من نعاس فيه لوثته ❊ مواصل لتمطيه من الكسل

وفى الصحاح الالتياث الاختلاط والالتفاف يقال التاثت الخطوب والتاث برأس القلم شعرة والتاث فى عمله ابطأ

﴿قوله ولذا ذكر مراكز الفريقين﴾ اى اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى وذكر ان العير وقوّادها اسفل منهم ﴿قوله لاختلفتم﴾ اى لخالف بعضكم بعضا وعزمتم على التخلف عن محاربة النفير لكثرتهم وقلتكم ولكن جمعكم الله تعالى من غير ميعاد لكم ليقضى الله امرا كان مفعولا فى علمه وحكمه او كان حقيقا بأن يفعل فانه تعالى دبر تدبيرا عجيبا لوقوع الحرب بين الجمعين من حيث انه أخبر المؤمنين باقبال العير حتى خرجوا واقلق الكفار بسماع خبر خروجهم لكى ينفروا وسبب الاسباب حتى اجتمعوا للحرب وايد الله تعالى المؤمنين بنصره بأن ربط الله تعالى على قلوبهم وقوّاها وازال عنها الاضطراب والارتياب وألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب وامدّهم بانزال الملائكة والمطر وغير ذلك من وجوه لطفه وفعل ذلك خارق للعادة ليظهر الحق ويقطع دابر الكافرين ﴿قوله وقرئ ليهلك بالفتح﴾ اى بفتح اللام وهى لغة شاذة نحو أبى يأبى لان هلك مفتوح العين من غير حرف الحلق ﴿قوله اذ يقللهم فى عينك﴾ اشارة الى ان الاراءة بصرية تتعدى الى اثنين وان قليلا حال من المفعول الثانى وان المنام مصدر ميمى بمعنى النوم اطلق لفظ العين على حاسة الخيال تشبيها بالباصرة فى كونها سببا لادراك المحسوسات العينية غاية ما فى الباب ان الباصرة يدرك بها عند حضور المادّة وحاسة الخيال يدرك بها حال غيبة المادّة من حاسة البصر عن مجاهد رضى الله تعالى عنه انه قال ارى الله النبى صلى الله عليه وسلم كفار قريش فى منامه قليلا فأخبر بذلك اصحابه فقالوا رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم حق والقوم قليل فكان ذلك سببا لقوّة قلوبهم * فان قيل رؤية الكثير قليلا غلط فكيف يجوز من الله تعالى ان يفعل ذلك * اجيب بانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولعله تعالى اراه البعض دون البعض فحكم عليه الصلاة والسلام على اولئك الذين راهم بانهم قليل ويحتمل أنه عليه الصلاة والسلام رأى فى منامه ما كان تأويله ضعف امر العدوّ فجاز ان يريه الله انهم قليلو العدد ويكون تأويله ضعف امرهم فيخبر اصحابه بذلك ويقول انى رأيت مصارع القوم غدا فقويت نفوس اصحابه بذلك وليس هذا من اراءة الشئ على غير ما هو عليه لان الرؤيا تخيل وتنبه على شئ تمثل صورته فى المخيلة فعلى هذا يكون قوله تعالى ولو اراكهم كثيرا لفشلتم بمعنى ولو رأيت فى منامك ما يكون تأويله قوّة امرهم ثم اخبرت اصحابك بذلك لفشلوا اى لجبنوا ولتنازعوا واختلفوا ولم يتفقوا على قتالهم ومن جملة ما انعم الله تعالى به على اهل بدر انه تعالى اراهم عدوّهم اوّلا فى المنام قليلا فقوّى قلوبهم بذلك ثم انه تعالى اكد التقليل الذى ظهر لهم فى المنام بان اظهر لهم ذلك التقليل فى اليقظة كما قلل عدد المؤمنين فى اعين المشركين ايضا وهو قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم * واعلم انه تعالى قلل عدد المشركين فى اعين المؤمنين وقلل عدد المؤمنين فى اعين المشركين والحكمة فى التقليل الاوّل تصديق رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم وايضا لتقوى قلوبهم وتزداد جرآءتهم عليهم

فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى

فى الشروط (ليقضى الله امرا كان مفعولا) كرره لاختلاف الفعل المعلل به اولان المراد بالامر ثمة الاكتفاء على الوجه المحكى وههنا اعزاز

الاسلام واهله واذلال الاشراك وحزبه (والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة) حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب فى القتال (فاثبتوا) للقائهم (واذكروا الله كثيرا) فى مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغى ان لا يشغله شئ عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بأن لطفه لا ينفك عنه فى شئ من الاحوال (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا) باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد (فتفشلوا) جواب النهى وقيل عطف عليه ولذلك قرئ (وتذهب ريحكم) بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها فى تمشى امرها ونفاذه مشبهة بها فى هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور (واصبروا ان الله مع الصابرين) بالكلاءة والنصر (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) يعنى اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير (بطرا) فخرا وأشرا (ورئاء الناس) ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة واتاهم رسول ابى سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب فيها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرآئين وامرهم بأن يكونوا اهل التقوى والاخلاص من حيث ان النهى عن الشئ امر بضده (ويصدون عن سبيل الله) معطوف على بطرا ان جعل مصدرا فى موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر (والله بما تعملون محيط) فيجازيكم عليه (واذ زين لهم الشيطان) مقدر باذكر (اعمالهم) فى معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها بأن وسوس اليهم (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم) مقالة نفسانية والمعنى انه ألقى فى روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما (والمراد)

والحكمة فى التقليل الثانى ان المشركين لما استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا فى الاستعداد والتأهب والحذر فصار ذلك سببا لاستيلاء المؤمنين عليهم وقوله اكلة جزور مثل يضرب به فى القلة اى قلتهم بحيث تشبعهم جزور واحدة والاكلة جمع آكل ﴿قوله فقللهم فى اعينهم﴾ جواب عما يقال ما الحكمة فى تقليل المؤمنين فى اعين المشركين قبل التحام القتال ثم تكثيرهم بعده ويحتمل ان يكون التقليل من الجانبين مبنيا على ان المسلمين رأوا الملائكة معهم فكان المشركون فى مقابلة المسلمين والملائكة قليلا ولم ير المشركون الملائكة فكان المسلمون فى مقابلة المشركين قليلا ﴿قوله كرره لاختلاف الفعل المعلل به﴾ وهو الجمع بين الفريقين على الحالة المذكورة فى الاول وتقليل كل واحد من الفريقين فى اعين الآخر فى الثانى اولان المراد بالامر ثمة التقاء الفريقين على الوجه المحكى حتى يكون استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه يكون معجزة دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الاشراك وحزبه والحاصل ان التكرير اما لاختلاف الفعل المعلل به او لاختلاف علته ثم قال والى الله ترجع الامور للتنبيه على ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يصلح ان يكون زادا اليوم الميعاد ﴿قوله فخرا وأشرا﴾ يعنى ان البطر والاشر الطغيان فى النعمة بترك شكرها وجعلها وسيلة الى ما لا يرضاه الله وقيل البطر عدم مقابلة النعمة بالشكر والخيلاء والرياء اظهار الجميل ليرى مع ان باطنه يكون قبيحا والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية وقوله بطرا ورئاء منصوبان على المفعول له ويجوز ان يكونا مصدرين واقعين موقع الحال من فاعل خرجوا اى خرجوا بطرين ومرائين ورئاء الناس مصدر مضاف الى مفعوله ﴿قوله وتعزف علينا القينات﴾ اى وتغنى علينا الجوارى بضرب آلات اللهو فان المعازف آلات الملاهى والعازف اللاهى بها والمغنى والقينة الامة مغنية كانت او غير مغنية والجمع القينات وقيل القينة هى المغنية وليس كذلك وقوله فوافوها اى أتوا بدرا ولكن سقوا كأس المنايا مكان كأس الخمور وناحت عليهم النوائح مكان تغنى القينات ﴿قوله معطوف على بطرا﴾ وحذف مفعول يصدون للعلم به ولما كان عطف الفعل على الاسم غير حسن كان ينبغى ان يجعل يصدون بمعنى صادين ان جعل بطرا ورئاء بمعنى بطرين ومرآئين واما ان جعلا مفعولا لهما كان ينبغى ان يجعل يصدون فى تأويل المصدر الا ان صدهم لما كان متجددا حادثا عند بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعائه النبوة عبر عنه بصيغة الفعل بخلاف البطر والرئاء فانهما صفتان ثابتتان راسختان فيهم فعبر عنهما بلفظ الاسم الدال على التمكن والاستقرار كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ولو قيل يبسط لدل على ان البسط يتجدد ساعة فساعة ﴿قوله مقالة نفسانية﴾ اختار ان تزيين الشيطان لهم لم يكن بأن يتمثل ويتحول فى صورة انسان وانما وقع بطريق الوسوسة والالقاء فى الروع لانه المعهود المتبادر مما يسند الى الشيطان فلا يعدل عنه من غير مانع ﴿قوله واوهمهم ان اتباعهم اياه مجير لهم﴾ اشارة الى ان قوله وانى جار لكم من قبيل الاسناد الى السبب الداعى الى الفعل ومعنى الجار فى قوله وانى جار لكم المجير الحافظ الذى يدفع عن صاحبه انواع الضرر كما يدفع الجار عن جاره والعرب تقول انا جارك من فلان اى حافظ لك من مضرته فلا يصل اليك منه مكروه ﴿قوله ولكم خبر لا غالب﴾ اى لا غالب كائن لكم او صفته وخبره محذوف اى لا غالب كائنا لكم واقع او موجود وعلى التقديرين اسم لا التى لنفى الجنس نكرة مفردة غير مضاف ولا مشابه له فلذلك بنى على الفتح وقوله وليس صلته اى ليس متعلقا بغالب لانه لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لما جاز بناء غالب بل يكون معربا منصوبا لان اسم لا اذا عمل فيما بعده يكون مشابها للمضاف من حيث ان كل واحد منهما عامل فيما بعده ومن حيث ان ما بعدهما متمم ومخصص لهما وقد تقرر فى النحو ان اسم لا اذا كان نكرة مضافا او مشابها للمضاف كان تاليا لكلمة لا اى لا يقع فاصل بين الاسم وبين لا وجب ان يكون منصوبا فظهر ان لكم لو كان مفعول غالب لوجب ان يقال لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا فلما بنى غالب تعين ان لكم ليس مفعول غالب وان اليوم ليس منصوبا بغالب وان من الناس ليس حالا من الضمير فى غالب لما مر من ان اسم لا اذا عمل فيما بعده لا يجوز بناؤه لشبهه بالمضاف بل اليوم منصوب بما تعلق به الخبر ومن الناس حال من الضمير فيه وقوله تعالى وانى جار لكم يجوز ان يكون معطوفا على قوله لا غالب لكم فيكون قد عطف جملة مثبتة على جملة منفية ويجوز ان يكون حالا من فاعل ما تعلق به الخبر فتكون الواو للحال ﴿قوله رجع القهقرى﴾ قيل هذا اصل معنى النكوص الا انه قد اتسع فيه حتى استعمل فى كل رجوع وان لم يكن قهقرى

لى المسير ذكرت ما بينهم و بين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى و قال لاغالب لكم اليوم وانى مجيركم من بنى كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين أتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى ارى مالاترون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى اخاف الله انى اخافه ان يصيبنى بمكروه من الملائكة او يهلكنى و يكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه مالم يره قبله والاوّل ماقاله الحسن واختاره ابن بحر (والله شديد العقاب) يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا (اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقى فى قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين (غرّ هؤلاء) يعنون المؤمنين (دينهم) حين تعرّضوا لما لا يدلهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف (ومن يتوكل على الله) جواب لهم (فان الله عزيز) غالب لا يذل من استجار به وان قل (حكيم) يفعل بحكمته البالغة مايستبعده العقل ويعجز عن ادراكه (ولو ترى) ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان (اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قرآءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره (يضربون وجوههم) والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاوّل حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين (وأدبارهم) ظهورهم او أستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اى يضربون ماقبل منهم وما ادبر (وذوقوا عذاب الحريق) عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله (ذلك) الضرب والعذاب (بما قدّمت ايديكم) بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك

و المراد مطلق الرجوع لانه كناية عن الفرار وفيه بحث لان غالب الفرار حال القتال انما هو كما ذكر وهو رجوع القهقرى لخوف الفارّ من جهة العدوّ وقوله على عقبيه حال مؤكدة لان رجوع القهقرى انما يكون على العقبين ﴿قوله وخاف عليهم﴾ اى لا على نفسه اذ قد امهله الله تعالى الى الوقت المعلوم روى عن قتادة انه قال صدق الامين فى قوله انى ارى مالاترون وكذب فى قوله انى اخاف الله والله مابه مخافة ولكن علم انه لاقوّة له فأوردهم معركة القتال وخذلهم وتلك عادة عدوّ الله لمن اطاعه يقحمهم ورطة الهلاك ثم يتبرأ منهم وقيل لما رأى جبريل عليه السلام خاف ان يأخذه جبريل ويعرّفهم حاله وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خاف ان يكون الوقت الذى انظر اليه قد حضر فقال ماقال اشفاقا على نفسه ﴿قوله وقيل﴾ عطف على قوله مقالة نفسانية والاحنة الحقد والبغض الكامل ﴿قوله يثنيهم﴾ اى يكفهم ويصرفهم يقال ثنيت الشئ اذا صرفته عن مقصده ﴿قوله وكان يده الخ﴾ جملة حالية بتقدير قد من فاعل نكص ويجوز ان ينقطع كلام ابليس عند قوله انى اخاف الله ثم يقول الله والله شديد العقاب ويجوز ان يكون ذلك من بقية كلام ابليس ﴿قوله والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد﴾ على ان يكون المراد بالذين فى قلوبهم مرض قوم من قريش اسلموا وماقوى اسلامهم وكانوا بمكة مستضعفين قد اسلموا وحبسهم اقرباؤهم عن الهجرة فلما خرجت قريش الى بدر اخرجوهم كرها فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدّوا وقالوا غرّ هؤلاء دينهم يعنى انهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ومع ذلك يقاتلون ألف رجل وماذلك الا انهم اعتمدوا على دينهم وقيل ان المراد ان هؤلاء يسعون فى قتل انفسهم رجاء ان يجعلوا احياء بعد الموت ويثابوا على هذا القتل فقالوا غرّ هؤلاء دينهم ﴿قوله لما لا يدلهم به﴾ او لما طاقة لهم به ﴿قوله ويدل عليه﴾ اى على كون الملائكة فاعل يتوفى بياء المذكر الغائب قرآءة ابن عامر تتوفى بتاء التأنيث للجماعة والباقون قرأوا بياء الغيبة الا ان الاظهر ان يكون الفعل على قرآءتهم مسندا الى الملائكة ليوافق قرآءة ابن عامر وذكر الفعل للفصل بينه وبين الفاعل ولان تأنيث الفاعل غير حقيقى ويحتمل ان يكون الفعل على قرآءة العامة مسندا الى ضمير الله تعالى لتقدم ذكره فيكون الملائكة مبتدأ ويضربون خبره والجملة حال من المفعول على مااختاره المصنف ويجوز ان تكون استئنافية جوابا لسؤال مقدّر فعلى هذا الوجه يوقف على كفروا وعلى الاوّل وهو ان تكون الملائكة فاعل يتوفى يكون يضربون جملة حالية وجواب لو محذوف لدلالة المقام عليه اى لرأيت امرا عظيما والحذف فى مثل هذا الموضع ابلغ من الذكر لان النفس تذهب فيه الى كل مذهب قيل المراد بالذين كفروا هم الذين قتلوا من المشركين ببدر وانهم لما قتلوا ضربت الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان المشركين كانوا اذا اقبلوا ضربوا وجوههم بالسيف واذا ادبروا ضربوا ادبارهم فلاجرم قابلهم بمثله فى وقت نزع الروح وقيل يجوز ان تكون هذه الآية فى الذين لم يقتلوا ببدر اخبر الله عن احوالهم عند حضور آجالهم ان الملائكة تقبض ارواحهم بالضرب على وجوههم وأدبارهم فيكون قبض ارواحهم مشاكلا لقبض ارواح الذين قتلوا ببدر ضربا وطعنا من خلف وقدّام وقوله تعالى ولو ترى يؤيد القول الاوّل لما ذكره المصنف من ان كلمة لو تردّ المضارع الى معنى الماضى ولابدّ ان يحمل معنى المضىّ ههنا على سبيل الفرض والتقدير كأنه قيل قد مضى هذا المعنى ولم تره ولو رأيته لرأيت امرا فظيعا وهذا المعنى يستدعى ان يكون قوله الذين كفروا محمولا على الكفرة المعهودين شرح الله تعالى احوال هؤلاء الكفرة حال حياتهم ثم بين احوال موتهم ومايصل اليهم من العذاب فى ذلك الوقت وقيل توفى الشئ واستيفاؤه عبارة عن اخذه تاما وافيا فقوله تعالى يتوفى الذين كفروا الملائكة يدل على ان الملائكة يستوفون الذوات الكافرة والذى يستوفونه هى الارواح والاجسام فهذا يدل على ان الانسان شئ مغاير لهذا الجسد وانه هو المكلف الموصوف بالايمان والكفر ﴿قوله اى ويقولون ذوقوا﴾ ليس الاحتياج الى هذا التقدير لمجرّد قبح عطف الانشاء على الاخبار بل لان المعنى على ذلك لان هذا من كلام الملائكة قطعا وعذاب الحريق اشارة الى عذاب جهنم والملائكة يقولون لهم ذلك القول عند التوفى انذارا لهم بانهم يذوقون عذابها عن قريب فلا يكون ذوقوا للحال بل للاستقبال جعل القول المذكور بشارة على سبيل التهكم والاستهزاء ﴿قوله وقيل كانت معهم مقامع الخ﴾ عطف على قوله بشارة لهم بعذاب الآخرة اى النار وقيل الحريق اسم للنار وان الملائكة يضربونهم عند التوفى بمقامع من حديد كلما ضربوهم بها التهبت النار منها فى جراحاتهم ويقولون لهم ذوقوا هذا العذاب الآن وستشبعون منه عن قريب ﴿قوله بسبب ما كسبتم﴾ اشارة الى ان اليد

مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد (كدأب آل فرعون) اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون
وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه (والذين من قبلهم) من قبل آل فرعون (كفروا بآيات الله) تفسير لدأبهم
(فأخذهم الله بذنوبهم) كما اخذ هؤلاء (ان الله قوي شديد العقاب) لا يغلبه في دفعه شيء (ذلك) اشارة الى ما حل بهم (بأن الله) بسبب ان الله (لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم) مبدلا اياها بالنقمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما أحدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره متى تغير حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا (وان الله سميع) لما يقولون (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون) تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم (وكل) من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) انفسهم بالظلم والمعاصي (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا) اصروا على الكفر ورسخوا فيه (فهم لا يؤمنون) فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بأنهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالأوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة (وهم لا يتقون) سبة الغدر ومغبته اولا يتقون الله فيه او نصره (مناصبتك)

في قوله تعالى بما قدمت ايديكم عبارة عن النفس الدراكة عبر عنها باسم اغلب آلاتها واسبابها في اكتساب الافعال ولو اقتصر على قوله بما قدمت ايديكم لانفهم كون المكسوبات الباطلة سببا للتعذيب وذلك لا ينافي جواز التعذيب بغير ذنب فعطف عليه ما بعده تصريحا لعدم جواز ذلك وصاحب الكشاف جعل نفي الظلم سببا للتعذيب حيث قال اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفرهم ومعاصيهم وبأن الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين فكأنه قال نفي الظلم سبب للتعذيب اذ لو كان ظالما لامكن ان لا يعذبهم بذنوبهم وهو تصريح بأن ترك تعذيب من يستحقه ظلم ورد المصنف ذلك وجعل نفي الظلم قيدا بسبب المكسوبات الباطلة ﴿ قوله وظلام للتكثير لاجل العبيد ﴾ جواب عما يقال ظلام بناء المبالغة فمدلول الآية انتفاء كونه تعالى كثير الظلم وهو لا ينافي جواز اتصافه تعالى بأصل الظلم بل يدل على اتصافه به بناء على قاعدة رجوع النفي الى القيد وهو محال وتقرير الجواب ان الظلام للتكثير فيدل على كثرة الظلم بالقياس الى كل فرد من افراد العبيد حتى يقال انتفاء كثرة الظلم بالقياس الى كل فرد لا ينافي ان يظلمه في الجملة بل الكثرة المنفية انما هي بازاء كثرة افراد العبيد على طريق التوزيع كما يقال في مقابلة الجمع بالجمع فان العبيد يدل على الكثرة بل على الاستغراق فالظالم لهم يكون كثير الظلم لاصابة كل واحد منهم ظلما على حدة فصار المعنى انه تعالى ليس بظالم لهذا ولا لذاك الى ما لا يحصى والمنفي عن كل عبد انما هو اصل الظلم وهو المطلوب ﴿ قوله اي دأب هؤلاء ﴾ على ان الكاف خبر مبتدأ محذوف والدأب العادة والشأن واصل الدأب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب في كذا اي يداوم عليه ويواظب ويتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دأبا لان الانسان يداوم على عادته ويواظب عليها لما بين ما نزل بأهل بدر من الكفار عاجلا وآجلا بين ان هذه طريقته وسنته ودأبه في الكل فان آل فرعون ايقنوا ان موسى عليه السلام نبي الله فكذبوه فأنزل الله تعالى بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون ﴿ قوله تعالى والذين من قبلهم ﴾ اي وكدأب الذين اي عادتهم والغرض التنبيه على ان لهم عذابا مؤخرا سوى ما نزل بهم من العذاب العاجل وقوله الى حال اسوأ اشارة الى دفع ما يقال من ان آل فرعون ومشركي مكة لم يكن لهم حال مرضية حتى يقال انهم غيروها الى حال مسخوطة فغير الله تعالى نعمته عليهم الى النقمة * وتقرير الدفع ان قوله تعالى ما بأنفسهم يعم الحالة المرضية والقبيحة فكما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى ما هو اسوأ منها واولئك كانوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات القاطعة غيروا حالهم الى ما هو اسوأ مما كانت فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب ﴿ قوله تكرير للتأكيد ﴾ فانه تعالى شبه اولا دأب كفار قريش بدأب آل فرعون وبين وجه التشبيه بقوله كذبوا بآيات ربهم وتكذيب الآيات وان كان هو الكفر بالآيات وهو وجه التشبيه الاول الا ان الآيات في التشبيه الثاني لما ذكرت مضافة الى الرب فقط نيط بهذا التشبيه الدلالة على كفران النعم لان في الرب والربوبية معنى انه منعم عليهم مرب لهم وتكذيب آيات المنعم المربي كفران لنعمه وهذا غير متحقق في التشبيه الاول وايضا فقد رتب على التشبيه الاول الاخذ بالذنوب وفيه اجمال وبين في الثاني ما اخذ به آل فرعون وهو الاغراق ﴿ قوله وقيل ﴾ اي وقيل ليس بتكرير لكن الاول لتشبيه الكفر والاخذ به لان قوله تعالى كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم جمله مستقلة ذكرت بعد ذكر طرفي التشبيه صالحة لان تكون وجه التشبيه فوجب حملها عليه والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم بدليل ما سبق من قوله ذلك بان الله لم يك مغيرا الى آخرها ولم يرض المصنف بهذا القول لان قوله تعالى في التشبيه الثاني كذبوا بآيات ربهم ذكر في موضع قوله في التشبيه الاول كفروا بآيات الله فكما جعل هذا وجه التشبيه وجب ان يجعل ذلك ايضا وجه التشبيه ثم انه تعالى لما وصف كل الكفار بقوله وكل كانوا ظالمين افرد بعضهم بمزية في الشر والفساد وهو ما اجتمع فيه مع كفره الاصرار عليه وكونه ناقضا للعهد على الدوام وفسر قوله الذين كفروا بقوله الذين أصروا على الكفر ليخبر عن المتصف به بانه لا يؤمن وفسر قوله فهم لا يؤمنون بقوله فلا يتوقع منهم ايمان لان معناه انه لا يقع منهم ايمان في الازمنة المستقبلة واذا لم يقع منهم ايمان في زمان لم يتوقع منهم ايمان ﴿ قوله ان لا يمالئوا ﴾ اي لا يعاونوا العدو عليه والممالأة المعاونة ﴿ قوله وركب كعب ﴾ بيان لطريق مما لأتهم يوم الخندق ﴿ قوله ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ ﴾ اي الذين اخذت منهم العهد ويحتمل ان يكون منهم حالا من عائد الموصول المحذوف والتقدير الذين عاهدتهم كائنين فمن للتبعيض * والسبة العار الذي يسب به والمغبة العاقبة ﴿ قوله فترق عن

مناصبتك ﴾ اى معاداتك و المحاربة معك و النصب مصدر نصبت الشئ اذا اقمته و يقال نصبت لفلان نصبا اذا عاديته و ناصبته الحرب فانك اذا قتلت هؤلاء الناقضين و اوقعت فيهم النكاية و القهر يضطرب و يخاف منك غيرهم من الناقضين بحيث يذهب منهم بالكلية ما يخطر ببالهم من مناصبتك ﴿ قوله و كأنه مقلوب شذر ﴾ بمعنى فرّق يقال تفرّقوا شذر مذر اذا ذهبوا فى كل وجه و ناحية و انما قال ذلك لان مادة شرّذ بتقديم الرآء المهملة على الذال المعجمة غير مستعمل فى كلام العرب و يدل عليه ان الجوهرى لم يذكر هذه المادة فى الصحاح ﴿ قوله و من خلفهم ﴾ اى و قرئ بمن الجارة فان شرّذ منزل منزلة اللازم و يكون خلفهم ظرفا له لتقارب معنى من و فى تقول اضرب زيدا من ورآء عمرو بمعنى فى ورآئه امر الله تعالى رسوله عليه الصلاة و السلام بايقاع فعل التشريد من ورآء القوم و جعل ذلك كناية عن تشريد من فى تلك الجهة لان فعل التشريد فى جهة ورآئهم من لوازم تشريد من فيها فيتوافق معنى قرآءتى فتح الميم و كسرها و لذلك قال و المعنى واحد ﴿ قوله لعل المشرّدين ﴾ يعنى ان ضمير لعلهم يذكرون مرجعه من خلفهم فانهم اذا رأوا ما حل بالناظرين تذكروا و اتعظوا ﴿ قوله فاطرح اليهم عهدهم ﴾ فسر النبذ بالطرح و قدر المفعول المحذوف اى اعلمهم قبل حربك اياهم انك قد فسخت العهد بينك و بينهم حتى تكون انت و هم فى العلم بنقض العهد سوآء ﴿ قوله و لا تناجزهم ﴾ اى لا تعاجلهم فى المحاربة بان تحاربهم قبل ان يظهر نبذ العهد منك ﴿ قوله على ان الفاعل ضمير احد ﴾ اى لا يحسبن احد ممن يتأتى منه الحسبان الذين كفروا سبقوا اى فاتوا و افلتوا من ان يظفر بهم و تخلصوا من عذاب الدنيا و من عذاب الآخرة لما بين الله تعالى ما يفعله الرسول صلى الله عليه و سلم فى حق من يجده فى الحرب ممن آذاه و نقض عهده مرارا بين ان من لم يتفق له عليه الصلاة و السلام اسره و قتله يوم بدر و غيره من معارك القتال من الذين آذوه و بالغوا فى عصيانه لا يفوتون الله تعالى و لا يعجزونه من الانتقام منهم و المقصود تسلية الرسول صلى الله عليه و سلم بمن فاته و لم يتمكن عليه الصلاة و السلام من الانتقام منه ﴿ قوله او على تقدير ان سبقوا ﴾ عطف على قوله و المفعول الاول انفسهم على تقدير ان يكون يحسبن بياء الغيبة مسندا الى قوله الذين كفروا و يحتمل ان يكون مفعوله الاول محذوفا احترازا عن تكرار ذكر الامر الواحد فى كلام واحد مرة بعد اخرى و يحتمل ان يكون تقدير الكلام و لا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا و ان الموصولة مع ما فى حيزها سادة مسد المفعولين فحذفت ان الموصولة لان المقصود يتم بالمسند و المسند اليه و هما حاصلان فيه و بقيت صلتها كما فى قوله و من آياته يريكم قل أفغير الله تأمرونى اعبد و من هذا القبيل قول من قال و تسمع بالمعيدى خير من ان تراه * و قوله

الا ايهذا الزاجرى احضر الوغا * و ان اشهد اللذات هل انت مخلدى

و لعل مراد المصنف بقوله و هو ضعيف كونه قليل الورود فى كلام العرب و يحتمل ان يكون قوله الذين كفروا فاعلا و يكون قوله انهم لا يعجزون سادا مسد المفعولين على قرآءة من يقرأ بفتح أنهم فتكون كلمة لا فى قوله لا يعجزون مزيدة ليصح المعنى و يكون سبقوا فى محل النصب على الحال بمعنى سابقين مفلتين هاربين و الاظهر ان فتح انهم مبنى على حذف لام العلة اى لانهم فانه يتخلص به عن جعل لا صلة ﴿ قوله او لا يجدون ﴾ عطف على قوله لا يفوتون الله على ان تكون همزة افعل للوجدان فانها قد تكون لوجدان المفعول على فاعلية اصله ان كان الفعل لازما و مفعوليته ان كان متعديا كما فى اعجزته و اسمنته ﴿ قوله الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ﴾ لانه ابتداء كلام غير متصل بما قبله كقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا و تم الكلام به ثم قال ساء ما يحكمون فكما ان قوله ساء ما يحكمون منقطع عن الجملة التى قبله كذلك قوله انهم لا يعجزون بخلاف ما لو فتحت ألف انهم فان الجملة حينئذ تكون متعلقة بالجملة الاولى ﴿ قوله و لعل الآية ﴾ و هى قوله تعالى و لا تحسبن الذين كفروا ازاحة لما يرد على قوله تعالى فانبذ اليهم كأنه قيل كيف يوقظ العدو و يعلمهم بفسخ العهد قبل المحاربة مع انهم ان علموا بذلك امان يتأهبوا للقتال و يستجمعوا اقصى ما يمكن لهم من اسباب التقوى و الغلبة او يفرّوا و يتخلصوا او على التقديرين يفوت الانتقام منهم و ما يكفى للمحاربة معهم بغير نبذ و اعلام ظهور امارات الخيانة منهم فأزاح الله تعالى هذا المحذور بقوله لا تحسبنهم سبقوا و اعلم ان النبذ انما يجب على الامام ان ظهرت خيانة المعاهدين بامارات ظنية و اما اذا ظهر انهم نقضوا العهد ظهورا مقطوعا به فحينئذ لا حاجة الى نبذ العهد كما فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة و هم فى ذمة النبى صلى الله عليه و سلم ﴿ قوله من فل المشركين ﴾ اى منهزميهم

و قرئ شرّذ بالذال المعجمة و كأنه مقلوب شذر و من خلفهم و المعنى واحد فانه اذا شرّد من ورآءهم فقد فعل التشريد فى الورآء (لعلهم يذكرون) لعل المشرّدين يتعظون (و اما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نقض عهد بامارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم عهدهم (على سوآء) على عدل و طريق قصد فى العداوة و لا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سوآء فى الخوف او العلم بنقض العهد و هو فى موضع الحال من النابذ على الوجه الاوّل اى ثابتا على طريق سوىّ او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره و قوله (ان الله لا يحب الخائنين) تعليل للامر بالنبذ و النهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف (و لا تحسبن) خطاب للنبى عليه الصلاة و السلام و قوله (الذين كفروا سبقوا) مفعولاه و قرأ ابن عامر و حمزة و حفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا و المفعول الاوّل انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا و هو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على (انهم لا يعجزون) بالفتح على قرآءة ابن عامر و ان لا صلة و سبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين و الاظهر انه تعليل للنهى اى لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم و كذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف و لعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد و ايقاظ العدوّ و قيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين

(وأعدّوا) ايها المؤمنون (لهم) لناقضى العهد او الكفار (ما استطعتم من قوّة) من ما يتقوّى به فى الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر «الا ان القوّة الرمى» قالها ثلاثا ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه (ومن رباط الخيل) اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمى به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوّة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة (ترهبون به) تخوّفون به وعن يعقوب ترهّبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد (عدوّ الله وعدوّكم) يعنى كفار مكة (وآخرين من دونهم) من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس (لاتعلمونهم) لاتعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم) يعرفهم (وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم) جزآؤه (وانتم لاتظلمون) بتضييع العمل او نقص الثواب (وان جنحوا) مالوا ومنه الجناح وقد يعدّى باللام والى (للسلم) للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر (فاجنح لها) وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب تكفيك من انفاسها جرع *

وقرئ فاجنح بالضم (وتوكل على الله) ولاتخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم (انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) بنياتهم والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف (وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله) فان محسبك الله وكافيك قال جرير

انى وجدت من المكارم حسبكم * ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا *

(هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين) جميعا (وألف بين قلوبهم) مع ما فيهم من العصبية والضغينة فى أدنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث لايكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم وبيانه (لو انفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) اى تناهى عداوتهم الى حدّ لو انفق منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر على الألفة والاصلاح (ولكنّ الله ألف بينهم) بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء (انه عزيز) تام القدرة والغلبة لايعصى عليه ما يريده (حكيم) يعلم انه كيف ينبغى
[illegible] ألف بين [illegible] بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا

و الفل القوم المنهزمون وهو مصدر سمى به يقع على الواحد والاثنين والجمع ﴿قوله فعال بمعنى مفعول﴾ كلباس بمعنى ملبوس وكتاب بمعنى مكتوب او مصدر ثلاثى نحو صاح صياحا لان مصادر الثلاثى ليست قياسية او مصدر فاعل وهو كثير ومعنى المفاعلة ان ارتباط الخيل يفعله كل احد لفعل الآخر فيرابط المؤمنون بعضهم بعضا او جمع ربيط بمعنى مربوط وقيل يجوز ان يكون جمعا لربط مصدر ربط يربط نحو كعب وكعاب وكلب وكلاب ﴿قوله جمع رباط﴾ نحو كتاب وكتب ﴿قوله والضمير﴾ اى فى قوله به يجوز ان يرجع الى مفعول أعدّوا وهو الموصول فيجوز ان يكون ترهبون حالا من الفاعل اى أعدّوا حال كونكم مرهبين وان جعل ضمير به للاعداد يتعين كونه حالا من الفاعل والاعداد اتخاذ الشئ لوقت الحاجة لما امر الله تعالى رسوله بمحاربة الكفار وان يشرّد بهم من خلفهم امر فى هذه الآية باعداد ما يتقوّى به على المحاربة من الخيل والسلاح ونحوهما روى ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف لكونها اقوى على الكرّ والفرّ ويختارون اناث الخيل عند البيات والغارات لقلة صهيلها قال عليه الصلاة والسلام «الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة» وقال عليه الصلاة والسلام «من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزان يوم القيامة» ﴿قوله لاتعرفونهم باعيانهم﴾ جعل العلم بمعنى المعرفة لانه لم يذكر له الامفعول واحد ولو كان على اصل معناه لتعدى الى اثنين ولما كان متعلق المعرفة الذوات دون النسب ذكر قوله باعيانهم والعلم يتعلق بالنسب ولو كان العلم ههنا على اصل معناه لوجب ان يقال لاتعلمونهم من حيث كونهم اعدآء ويرد عليه انّ جعل العلم بمعنى المعرفة فى قوله لاتعلمونهم صحيح لافى قوله الله يعلمهم لما صرّح به العلماء من ان المعرفة بالشئ تستدعى سبق الجهل فلا يجوز نسبتها الى الله تعالى الا ان يفرّق بين لفظ المعرفة وبين لفظ العلم المستعمل بمعنى المعرفة بناء على ان المراد بكونه بمعنى المعرفة كونه متعلقا بالذوات دون النسب النسب مع قطع النظر عن كونها مجهولة قبل التعلق ﴿قوله ومنه الجناح﴾ لميلان الطائر به الى احد شقيه يقال جنح له واليه اذا مال ﴿قوله لاتصالها بقصتهم﴾ وقدمر ان المراد بقوله تعالى الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرّة هم يهود قريظة روى الامام رحمه الله عن مجاهد ان الآية نزلت فى قريظة والنضير وورودها فيهم لايمنع من اجرآئها على ظاهر عمومها وقال الامام ابو الليث انما يجوز الصلح اذا لم يكن للمسلمين قوّة فاذا كان للمسلمين قوّة ينبغى ان لايصالحوهم وينبغى ان يقاتلوهم حتى يسلموا او يعطوا الجزية ان لم يكونوا من العرب فان الجزية لم توضع على العرب وتوضع على غيرهم حتى لاتبقى بقية الكفر فى انساب النبى صلى الله عليه وسلم لان العرب كلها من نسبه فلا توضع الجزية عليهم بل يحاربون حتى يسلموا او يقتلوا وانما امر الله تعالى نبيه بالصلح حين كانت الغلبة للمشركين وكان فى المسلمين قلة وقال صاحب الكشاف والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا فانهم يحاربون الى الهدنة والهدنة الصلح يقال هادنه اى صالحه والاسم الهدنة فاختار انها غير مخصوصة بأهل الكتاب ولا منسوخة بآية السيف بل الامر مفوّض الى رأى الامام ﴿قوله انى وجدت من المكارم حسبكم﴾ اى محسبكم وكافيكم وهو مفعول ثان لوجدت وان تلبسوا مفعوله الاوّل والخزّ من كل شئ اكرمه وفى رواية خز الثياب وهو الثياب المعمولة من الابريسم وبعد البيت

فاذا تذكرت المكارم مرّة * فى مجلس انتم به فتقنعوا *

اى غطوا وجوهكم يهجو قوما ويقول كفاكم من المكارم لبس الثياب الناعمة واكل المطعومات الطيبة واذا ذكرت المكارم فى مجلس انتم به فتقنعوا واستروا وجوهكم من الحياء فلستم منها فى شئ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال اسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة وثلاثون رجلا وامرأة ثم اسلم عمر رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فصاروا اربعين فنزل جبريل عليه السلام بقوله يا ايها النبى حسبك الله اى يتولى الله تعالى كفايتك فى جميع ما تحتاج اليه هو الذى ايدك وقوّاك واعانك بنصره وبمن اتبعك من المؤمنين * فان قيل حيث قال هو الذى ايدك بنصره فأى حاجة مع نصرة الله تعالى الى المؤمنين حتى قال وبالمؤمنين * اجيب بأن التأييد ليس الا من الله تعالى ولكنه على قسمين احدهما ما يحصل من غير واسطة اسباب معلومة معتادة والثانى ما يحصل بسبب واسطة الاسباب المعتادة فأشار الى الاوّل بقوله ايدك بنصره والى الثانى بقوله وبالمؤمنين ثم انه تعالى بين كيف ايده بالمؤمنين فقال وألف بين قلوبهم الآية فانه عليه الصلاة والسلام بعث الى قوم شديدى الانفة عظيمى الحمية حتى لو لطم رجل من

قبيلة قاتل عنه قبيلته حتى يدركوا ثاره فكان دأبهم الخصومة الدآئمة والمحاربة الشديدة يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض فلما آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر انتقلوا عن تلك الحالة القبيحة وتحولت اخلاقهم الشنيعة الى الخصال الحميدة والاخلاق المرضية فكان جل همتهم ومطمح نظرهم طاعة الله وطاعة رسوله حتى قاتل الرجل اخاه واباه وابنه ابتغاء وجه الله ونصرة لشرعه ودينه فصاروا انصارا واعوانا والحكمة فيه ان المحبة انما تتعلق بالمحبوب عند تصور خير وكمال فيه ثم ان الخيرات والكمالات تنقسم الى قسمين احدهما الكمالات الدآئمة الباقية وثانيهما الكمالات المتبدلة المتغيرة وهى الكمالات الجسمانية والخيرات الطبيعية البدنية فالمحبة المبنية على مثل هذه الكمالات سريعة الزوال فان الانسان قد يتصور ان يحصل له بصحبة زيد مال عظيم او جاه خطير فيحبه ثم يخطر بباله ان ذلك المال والجاه لا يحصل له فيبغضه لان المحبة لما كانت معللة بتصور الكمال وكان ذلك الكمال سريع الزوال والانتقال كانت المحبة المتفرعة عليه سريعة التبدل والزوال بخلاف ما اذا كان موجب المحبة تصور الكمالات الباقية المقدسة عن التغير والزوال فان المحبة تكون باقية امنة من التغير والزوال فان حال المعلول فى البقاء والتبدل تابع لحال العلة وهذا هو المراد بقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين اذا تقرر هذا فنقول لما كانت العرب قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه طالبين للمال والجاه والمفاخرة بهما وكانت المحبة الواقعة بينهم معللة بهذه العلة فلا جرم كانت المحبة سريعة الزوال وكانوا بأدنى سبب يقعون فى الحرب والفتنة فلما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة زالت الخشونة والمخاصمات التى بينهم فصاروا اخوانا متوافقين وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام فتحت عليهم ابواب الدنيا وتوجهوا الى طلبها والرغبة فيها فعادوا الى المعاداة والمحاربة وهذا هو السبب الحقيقى فى كثرة وقوع الخلاف بين اهل الدنيا ودوام الالفة والمحبة بين اهل الله وطلاب الآخرة **﴿قوله فى محل النصب على المفعول معه﴾** المعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا **﴿قوله اشتجر﴾** يقال اشتجر القوم وتشاجروا اى تنازعوا والقنى جمع قناة وهى الرمح والمهند السيف المصنوع من حديد الهند وروى ان المصراع الاول هكذا * اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا * وانشقاق العصا عبارة عن التفرق والمخالفة والهيجاء الحرب يمد ويقصر **﴿قوله او الجر عطفا على المكنى﴾** اى على الكاف فى حسبك ويجوز العطف على المضمر المجرور من غير اعادة الخافض عند الكوفيين نحو مررت بك وزيد خلافا للبصريين **﴿قوله وقيل اسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم الخ﴾** فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت فى سورة مدنية بأمره عليه الصلاة والسلام وعلى اى قول كان لا تكون هذه الآية تكرارا لما قبلها لان قوله فان حسبك الله معناه انه تعالى يكفيك امرهم ان صالحوك على سبيل المخادعة وهذه الآية معناها انه تعالى يكفيك فى كل ما تحتاج اليه من امور الدنيا والدين **﴿قوله وهو ان ينهكه المرض﴾** اى يذهب لحمه ويضعفه والحرض الرجل الذى اذابه الحزن والعشق قال الشاعر * انى امرؤ لج بى حرض فأحرضنى * اى اذابنى وافسدنى يقال نهكت الثوب انهكه نهكا بفتح الهاء فى الماضى والمضارع اى لبسته حتى خلق ونهكته الحمى اذا جهدته وانحفته ونقصت لحمه واشفى على الشئ اشرف عليه قال الزجاج التحريض فى اللغة ان يحث الانسان غيره على شئ حتى يعلم منه انه اذا تخلف عنه كان حارضا والحارض هو الذى قارب الهلاك ففى الآية اشارة الى ان المؤمنين لو تخلفوا عن القتال بعد حث النبى صلى الله عليه وسلم كانوا حارضين اى هالكين والحرض القرب من الهلاك قال تعالى حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين **﴿قوله شرط فى معنى الامر﴾** يعنى ان الآية وان كانت على صورة الاخبار بأن الواحد يغلب العشرة الا ان المراد منها الامر بالمصابرة والاجتهاد فى القتال ويدول عليه انه لو كان المراد منها الاخبار لزم ان لا يغلب مائتان من الكفار عشرين من المؤمنين قط ومعلوم ان الامر ليس كذلك وان قوله تعالى الآن خفف الله عنكم نسخ والنسخ أليق بالامر منه بالخبر وان قوله تعالى بعد ذلك والله مع الصابرين ترغيب فى الثبات على الجهاد وهو لا يلائم الاخبار ثم انه تعالى اثبت فى الشرط الاول قيد الصبر وحذف قيد كون العدو من الذين كفروا وحذف فى الشرط الثانى قيد الصبر وقيد العدو بكونه من الذين كفروا على عكس الاول فحذف من كل واحد منهما ما اثبت فى الآخر وهو فى غاية الفصاحة وقرأ الكوفيون وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا بتذكير يكن فيهما ونافع وابن كثير وابن عامر بتأنيثه فيهما وابو عمرو ويعقوب فى الاولى كالكوفيين وفى الثانية كالباقين فمن ذكر فللفصل بين الفعل وفاعله بقوله منكم ولان التأنيث مجازى

(يا ايها النبى حسبك الله) كافيك (ومن اتبعك من المؤمنين) اما فى محل النصب على المفعول معه كقوله

اذا كانت الهيجاء واشتجر القنى *

فحسبك والضحاك سيف مهند *

او الجر عطفا على المكنى عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اى كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر وقيل اسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضى الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نزلت فى اسلامه (يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال) بالغ فى حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) شرط فى معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء فى الآيتين ووافقهم البصريان فى فان تكن منكم مائة صابرة

(بانهم قوم لايفقهون) بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لايثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالى الدرجات قتلوا اوقتلوا ولايستحقون من الله الا الهوان والخذلان (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله) لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فأمروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قرآءة عاصم وحمزة والضم وهو قرآءة الباقين (والله مع الصابرين) بالنصر والمعونة فكيف لايغلبون (ماكان لنبيّ) وقرئ للنبيّ على العهد (ان يكون له اسرى) وقرأ البصريان بالتاء (حتى يثخن فى الارض) يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى اهله من أثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة (تريدون عرض الدنيا) حطامها بأخذكم الفدآء

وان المراد بالمائة الذكور ومن أنث اعتبر اللفظ ولم يلتفت الى المعنى ولاالى الفصل وفرّق ابوعمرو بين الفعلين فذكر فى الاوّل لما ذكر ولانه نظر الى قوله يغلبوا وانث فى الثانى لقوة التأنيث بوصفه بالمؤنث فى قوله صابرة واما قوله تعالى ان يكن منكم ألف فبالتذكير عند جميع القرآء الا الاعرج فانه انث المسند الى عشرين فى عبارة المصنف نوع ابهام ﴿ قوله بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر ﴾ ومن اعتقد أن لاحياة الا هذه الحياة الدنيوية فانه يشح بها ولايعرّضها للزوال واما من اعتقد ان الحياة المعتبرة انما تكون فى الدار الآخرة فانه لايبالى بهذه الحياة العاجلة ويصرفها الى مايؤدّى الى سعادة الآخرة فيقدّم على الجهاد بقلب قوىّ وهمة صادقة بتأييد الله تعالى اياه وتقوية قلبه على الصبر والثبات فيقاوم الواحد من مثله العدد الكثير ممن لايعتقد بالمعاد وحياة الآخرة وايضا الكفار انما يعوّلون على قوتهم وشوكتهم والمؤمنون يستعينون بربهم بالدعاء والتضرّع ومن كان كذلك كان النصر والظفر به أليق واولى * فان قيل محصول الآية وجوب ثبات الواحد للعشرة فما الفائدة فى العدول عن هذه اللفظة الوجيزة الى تلك الكلمات الطويلة * اجيب عنه بأن هذا الكلام انما ورد على وفق الواقعة لانه عليه الصلاة والسلام كان يبعث السرايا والغالب ان تلك السرايا ماكان ينقص عددها عن العشرين وماكان يزيد على المائة فلهذا ذكر الله تعالى هذين العددين ووجوب ثبات الواحد للعشرة كان فى الابتدآء روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كتب عليهم ان لايفرّ الواحد من العشرة ثم خفف عنهم وامروا بأن لايفرّ الواحد من الاثنين قال الامام محيى السنة كان هذا يوم بدر فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقلت على المؤمنين فخفف الله تعالى عنهم وروى عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهم انه لما نزل التكليف الاوّل ضج المهاجرون وقالوا ياربنا نحن جياع وعدوّنا شباع ونحن فى غربة وعدوّنا فى اهليهم ونحن قد اخرجنا من ديارنا واموالنا وعدوّنا ليسوا كذلك وقال الانصار شغلنا بعدوّنا وانسينا اخواننا فنزل التخفيف ﴿ قوله وتكرير المعنى الواحد الخ ﴾ جواب عما يقال لم كرّر معنى ثبات الواحد للعشرة فى التكليف الاوّل بذكر عددين متناسبين فى افادة ذلك المعنى وهما ثبات العشرين للمائتين وثبات الالف للالفين فالذى استقرّ عليه حكم التكليف بهذه الآية ان كل مسلم بالغ مكلف وقف بازآء مشركين عبدا كان المسلم اوحرّا فالهزيمة محرّمة عليه مادام معه سلاح يقاتل به فان لم يبق معه سلاح فله ان ينهزم وان قاتله ثلاثة حلت الهزيمة والصبر احسن روى انه وقف وصبر ثلاثة آلاف من المسلمين فى غزوة مؤتة وقد أمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة عليهم وقال * ان قتل زيد فالامير جعفر بن ابى طالب وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة * مع مائتى ألف من المشركين مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة وهم لخم وجذام ثم انه تعالى علم حكما آخر من احكام الغزو والجهاد فى حق النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماكان لنبىّ من الانبياء ذلك فلم يكن منك ومن قرأ ماكان للنبى فمعناه ان هذا الحكم ماكان ينبغى حصوله لهذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله وقرأ البصريان ﴾ ابوعمرو ويعقوب تكون بالتأنيث لكون الجمع فى تأويل الجماعة فان أسرى جمع اسير فأسارى جمع الجمع مثل جريح وجرحى وقرأ الباقون بالتذكير لكون الفعل متعديا وكون تأنيث أسرى غير حقيقى لان المرابهم الذكور وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل وكل واحد من هذه الثلاثة اذا انفرد جاز تذكير الفعل وعند اجتماع الكل يكون اولى ﴿ قوله واصله الثخانة ﴾ وهى الغلظة والصلابة والقوّة والشدّة يقال ثخن الشئ ثخانة اى غلظ وقوى واثخنه المرض اذا اشتدّت قوّة المرض عليه فقوله حتى يثخن فى الارض اى حتى يقوى ويشتدّ ويغلب ويقهر فهمزة أثخن للصيرورة وقال اكثر المفسرين المراد منه ان يبالغ فى قتل اعدآئه قالوا وانما قلنا ذلك لان اللفظ يدل عليه فان الملك والدولة انما تقوى وتشتدّ بالقتل قال الشاعر

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى ❁ حتى يراق على جوانبه الدم

وكثرة القتل توجب قوّة الرهبة وشدّة المهابة فعبر عنها بالاثخان على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب وكلمة حتى لانتهاء الغاية فقوله حتى يثخن فى الارض يدل على انه بعد حصول الاثخان فى الارض له ان يقدم على الاسرى ﴿ قوله حطامها ﴾ هو ماتكسر من اليبس عبر عن منافع الدنيا واسبابها بالحطام لقلة قدرها بالنسبة الى تقوى الله واجمع المفسرون على ان المراد من عرض الدنيا ههنا اخذ الفدآء وسمى منافع الدنيا عرضا لانها لاثبات لها ولادوام فكأنها تعرض ثم تزول ولذلك سمى المتكلمون الاعراض اعراضا لانها لاثبات لها كثبات الاجسام فانها تطرأ على

[illegible] لما كثرت الجان وصارت الغلبة للمؤمنين روى انه عليه السلام اتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار
فيهم فقال ابوبكر رضى الله تعالى عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذمنهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضى الله تعالى عنه اضرب اعناقهم فانهم
ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفدآء ومكنى من فلان لنسيبله ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله
ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابابكر مثل ابراهيم قال فمن
تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال لاتذر على الارض
من الكافرين ديارا فخير اصحابه فأخذوا الفدآء
فنزلت فدخل عمر رضى الله تعالى عنه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو
بكر يبكيان فقال يارسول الله اخبرنى فان اجد
بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابك على اصحابك
فى اخذهم الفدآء ولقد عرض علىّ عذابهم
ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية
دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام
يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لايقرّون
عليه (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم
من الله سبق اثباته فى اللوح وهو ان لايعاقب
المخطئ فى اجتهاده او ان لايعذب اهل بدر
او قوما بما لم يصرح لهم بالنهى عنه او ان
الفدية التى اخذوها ستحل لهم (لمسكم)
لنالكم (فيما اخذتم) من الفدآء (عذاب
عظيم) روى انه عليه السلام قال لو نزل
العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك
لانه ايضا اشار بالاثخان (فكلوا مما غنمتم) من
الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل أمسكوا عن
الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف
تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث
من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة
(حلالا) حال من المغنوم او صفة للمصدر
اى اكلا حلالا وفائدته ازاحة ماوقع فى
نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على
الاولين ولذلك وصفه بقوله (طيبا واتقوا الله)
فى مخالفته (ان الله غفور) غفر لكم ذنبكم
(رحيم) اباح لكم ما اخذتم (يا ايها النبى قل
لمن فى ايديكم من الاسرى) وقرأ ابو عمرو من
الاسارى (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) ايمانا
او اخلاصا (يؤتكم خيرا مما اخذ منكم) من
الفدآء روى انها نزلت فى العباس كلفه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يفدى نفسه وابنى
اخويه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث
فقال يا محمد تركتنى اتكفف قريشا مابقيت فقال
أين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت
خروجك وقلت لها انى لا ادرى مايصيبنى فى
وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد
الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك
قال اخبرنى به ربى تعالى قال فأشهد انك صادق
وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع
عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل قال العباس فابدلنى الله خيرا من ذلك لى الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب فى عشرين ألفا واعطانى زمزم ما احب
ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود بقوله (ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا) يعنى الاسرى (خيانتك) نقض ما عاهدوك
(فقد خانوا الله) بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل (من قبل فأمكن منهم) اى فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم (والله عليم حكيم
ان الذين آمنوا وهاجروا) اوطانهم هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله (وجاهدوا بأموالهم) فصرفوها فى الكراع والسلاح وانفقوها على
المحاويج (وانفسهم فى سبيل الله) بمباشرة القتال (والذين آووا ونصروا) هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدآئهم (اولئك بعضهم

الاجسام فتزول عنها والاجسام باقية بحالها ﴿قوله ونار توقد﴾ اى وكل نار لئلا يلزم من عطفه على امرئ العطف
على معمولى عاملين مختلفين اعنى كل وتحسبين وللاشارة الى هذا ذكر المصنف المصراع الاول مع انه لادخل له
فى الاستشهاد ﴿قوله فلم يهو﴾ اى لم يحب من هوى بالكسر يهوى هوى اى أحب ﴿قوله فخير اصحابه﴾ بأن
قال ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم فيستشهد منكم بعددهم فقالوا بل نأخذ الفدآء فاستشهدوا بأحد بسبب
قولهم هذا وأخذهم الفدآء وكان فدآء الاسارى عشرين اوقية اى كان فدآء كل اسير عشرين اوقية فكان فدآء
العباس اربعين اوقية عشرين لنفسه وعشرين لابن اخيه عقيل بن ابى طالب والاوقية اربعون درهما فى الدراهم
وستة دنانير فى الدنانير ﴿قوله أدنى من هذه الشجرة﴾ اى حال كون ذلك العذاب اقرب اليهم من قرب هذه الشجرة
الىّ وينبغى ان يكون هذا منه عليه الصلاة والسلام اشارة الى ما نزل بهم يوم احد ﴿قوله او ان لايعذب اهل بدر﴾
اى ان لايعذب الا بعد النهى فانه تعالى مانهاهم صريحا عن اخذ الفدية الا انهم لما اخذوها قبل ان يؤمروا به عاب
الله تعالى ذلك عليهم ﴿قوله او ان الفدية التى اخذوها ستحل لهم﴾ يعنى ان الغنائم كانت حراما على الانبياء
المتقدمين فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت تنزل نار من السماء تأكله فهذه الامة لما اخذوا
الفدآء يوم بدر قبل نزول آية الحل انزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق اى لولا حكم مكتوب فى اللوح بانه يحل
لكم الغنائم لمسكم العذاب فان حرمة الاخذ لما كانت ساقطة عند الله تعالى صادف محلا لاحرمة له فى علم
الله تعالى فسقطت عقوبة هتك الحرمة لذلك كالو قصد وطئ امرأة زفت اليه وهو يعتقد انها ليست بزوجة له
فاذا هى زوجته فعلى هذا الوجه تكون الآية معاتبة لهم على اخذ الفدية لاتحريما لها كما فى الوجهين الاولين
قيل معنى الآية لولا انه تعالى حكم فى الازل بالعفو عن هذه الواقعة لمسهم عذاب عظيم ﴿قوله لما نجا منه
غير عمر وسعد﴾ فيه دليل على انه لم يكن احد من المؤمنين ممن حضر بدرا الا احب الفدآء غير عمر وسعد
ابن معاذ رضى الله عنهما ﴿قوله وفائدته﴾ اى فائدة التقييد بقوله حلالا او فائدة ذكر المسبب الذى هو اباحة
الغنائم وماتفرع عليها من اكلها حلالا طيبا ازاحة ماوقع فى نفوسهم من حرمتها على الوجهين الاولين وان
أخذ الفدآء على تقدير ابتنائه على الخطأ فى الاجتهاد وعلى تقدير كونه حراما فى حكم الله تعالى فدفع تلك الحرمة
او ما وقع فى نفوسهم من الاشتباه فى حلها بما ذكره ﴿قوله نزلت فى العباس﴾ اى ابن عبد المطلب وكان اسر
يوم بدر وقد خرج بعشرين اوقية من ذهب ليطعم الناس واراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا وبقيت العشرون
اوقية معه فأخذت منه فى الحرب فكلم النبى صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدائه فأبى وقال
اما شئ خرجت تستعين به علينا فلا اتركه لك ومع ذلك كلفه فدآء ابنى اخويه فأبى ﴿قوله لى الآن عشرون
عبدا﴾ كلهم تاجر يضرب اى يسافر ويتجر بمال كثير وأدناهم ما لا يضرب بعشرين الف درهم مكان العشرين
اوقية والآية وان نزلت فى حق العباس رضى الله تعالى عنه خاصة الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
وقيل نزلت فى حق جملة الاسارى ويؤيده قوله تعالى لمن فى ايديكم وقوله من الاسارى وقوله فى قلوبكم واخذ
منكم ويغفر لكم بلفظ الجمع ﴿قوله هم الانصار آووا المهاجرين﴾ اى اسكنوا المهاجرين ديارهم ونصروهم على
اعدآئهم قسم الله من آمن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اربعة اقسام وذكر حكم كل واحد فالقسم
الاول من آمن به عليه الصلاة والسلام لما انتقل من مكة الى المدينة ووافقه فى تلك الهجرة والقسم الثانى من بقى
فى مكة ولم يوافقه فى تلك الهجرة والقسم الثالث الانصار الذين بذلوا النفس والمال فى خدمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصلاح مهمات اصحابه لما هاجر عليه السلام اليهم مع طائفة من اصحابه والقسم الرابع من مؤمنى
زمانه عليه الصلاة والسلام هم الذين آمنوا بعد وهاجروا وجاهدوا مع جملة من الصحابة واختلفوا فى قوله تعالى
بعضهم اولياء بعض فروى الواحدى عن ابن عباس وعن سائر المفسرين ان المراد بهذه الولاية الوراثة قالوا جعل
الله تعالى سبب التوارث بين المسلمين الهجرة والنصرة دون القرابة فمن آمن ولم يهاجر لايرث قريبه المهاجر لانه
لم يهاجر ولم ينصر فجعل الله اصحاب الهجرة والنصرة طائفة واحدة واوجب على كل واحد منهم موالاة الآخر
ومواساته وموافاته فلذلك كان عليه السلام حين قدم المدينة آخى بين المهاجرين والانصار فجعل لكل مهاجر اخا
انصاريا فقرّوا على ذلك حتى شاطروا المهاجرين اموالهم ودورهم واذا كان الرجل من الانصار امرأتان عرضهما
على اخيه من المهاجرين بناء على ان ينزل عن ايتهما فكان التوارث بهذه المؤاخاة دون القرابة اذا لم تكن معها هجرة

او بالنصرة والمظاهرة (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) اى من توليهم فى الميراث ...
كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا (وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر) فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد فانه لا ينقض عهدهم بنصرهم عليهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) فى الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والموازرة بينهم وبين المسلمين (الاتفعلوه) الاتفعلوا ماامرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم لبعض حتى فى التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار (تكن فتنة فى الارض) تحصل فتنة فيها عظيمة وهى ضعف الايمان وظهور الكفر (وفساد كبير) فى الدين وقرئ كثير (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا) لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين فى الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعدلهم الموعد الكريم فقال (لهم مغفرة ورزق كريم) لاتبعة له ولامنة فيه ثم ألحق بهم فى الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم) اى من جملتكم ايها المهاجرون والانصار (واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) فى التوارث من الاجانب (فى كتاب الله) فى حكمه او فى اللوح او فى القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام (ان الله بكل شيء عليم) من المواريث والحكمة فى اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اوّلا واعتبار القرابة ثانيا * عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قرأ سورة الانفال وبرآءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه برئ من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

﴿سورة برآءة مدنية﴾

وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهى آخر مانزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهى التبرئ منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها ومايخزيهم ويفضحهم ينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم ويذكر عذابهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفى ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان فى الانفال ذكر العهود وفى برآءة نبذها فضمت اليها وقيل (نظير) لما اختلفت الصحابة فى انها سورة واحدة هى سابعة السبع الطول او سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله (برآءة من الله ورسوله) اى هذه برآءة ... برآءة متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان تكون برآءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر (الى الذين عاهدتم من المشركين)

فكان لايرث غير المهاجر من المهاجر وان كانا قريبين حتى كان يوم فتح مكة فسقطت فرضية الهجرة ونزلت الآية الموجبة للتوارث بين الاقرباء من بعض ونزلت قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله ﴿قوله او بالنصرة والمظاهرة﴾ عطف على قوله فى الميراث اى يتولى بعضهم بعضا فى الميراث او بالنصرة والمعونة فان اولياء جمع ولى نحو صديق واصدقاء والولى ضد العدو يقال منه تولاه والولى يجيء بمعنى الناصر ايضا وكل واحد من الفريقين صديق للآخر يعظمه ويهتم بشأنه ويخصه بمعاونته ومظاهرته بل لفظ الولاية غير مشعر بمعنى الوراثة الا ان المفسرين حملوه على هذا المعنى بناء على ان الولاية المثبتة فى هذه الآية هى الولاية المنفية فى قوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء والولاية المنفية فيه ليست بمعنى النصرة لانه تعالى عطف عليه قوله وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر ولاشك ان ذلك عبارة عن الموالاة فى الدين والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فوجب ان يكون المراد من الولاية المذكورة امرا مغايرا لمعنى النصرة ﴿قوله تشبيها لها بالعمل﴾ يريد ان المصدر الذى يجيء على فعالة بالكسر انما يكون فى الصناعات ومايكون بمزاولة العمل كالكتابة والزراعة والخياطة والحراثة والتجارة والقصارة والصياغة ونحوها والولاية ليست من هذا القبيل الا على سبيل التشبيه فان الولى بتوليه صاحبه ونصرته كانه يزاول عملا فشبه التولى بالعمل ثم استعيرله الولاية بالكسر ثم انه تعالى لما بين ان حكم المؤمن الذى لم يهاجر انقطاع الولاية بينه وبين المؤمنين توهم انه يجب ان يتحقق بينهم المقاطعة كما فى حق الكفار فأزال هذا الوهم بقوله وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر اى الذين آمنوا واقاموا فى بلدهم او باديتهم ولم يهاجروا اليكم وقصدهم عدو من الكفار وطلبوا منكم النصرة فانصروهم ولاتخذلوهم الا اذا كان من قصدهم من الكفار بينكم وبينهم معاهدة ومواعدة فيجب عليكم الوفاء بالعهد وترك الحرب معهم ولا يلزمكم نصرة الذين آمنوا ولم يهاجروا عليهم ﴿قوله لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين فى الايمان منهم الخ﴾ اشارة الى ان هذا ليس بتكرار لانه تعالى ذكرهم اوّلا لبيان حكمهم وهو ولاية بعضهم بعضا ثم انه تعالى ذكرهم ههنا تعظيما لهم وبيانا لعلو درجتهم بالنسبة الى المؤمن الذى لم يهاجر وهذا الترتيب فى غاية الحسن لانه تعالى قدم ذكر المهاجرين والانصار لكونهم افضل الناس ثم ذكر القسم الثانى وهم الذى آمنوا من بعد وهاجروا ثم ذكر الثالث وهم المؤمنون الذين لم يهاجروا فانهم وان كان لهم فضل بسبب ايمانهم الا انهم بسبب تركهم الهجرة حالتهم نازلة عن حال القسمين الاوّلين والمهاجرون حيث اسسوا قاعدة الايمان واتباع النبى صلى الله عليه وسلم افضل منهم فيكون حكمهم متوسطا من حيث ان الولاية المثبتة للقسمين الاوّلين منفية عن هذا القسم من حيث التوارث والتظاهر الا انهم بحيث لو استنصروا المؤمنين واستعانوا بهم نصروهم واعانوهم وهذا الحكم متوسط بين الاجلال والاذلال واما الكفار فليس لهم يوجب شيأ من اسباب الفضيلة فوجب ان ينقطع المسلمون عنهم من كل الوجوه وهذا آخر مايتعلق بسورة الانفال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة التوبة مدنية﴾

﴿قوله وهى آخر مانزلت﴾ لما روى عن البرآء بن عازب رضى الله عنه آخر سورة نزلت كاملة برآءة وعن ابن كيسان نزلت برآءة على رأس تسع من هجرة النبى عليه الصلاة والسلام والمقشقشة اى المبرأة من النفاق كما يبرأ المهنوء من الجرب والمبعثرة اى المظهرة لاحوال المنافقين يقال بعثرت الشيء اخرجته وكشفته والتنقير ايضا التعييب يقال نقرت الرجل اذا عبته واثارة الخبر اشاعته والدمدمة المهلكة يقال دمدم الله عليهم اى اهلكهم ﴿قوله لانها نزلت لرفع الامان﴾ لانها نزلت بالسيف ونبذ العهد والبرآءة من عصمة المعاهدين ليس فيها امان وبسم الله الرحمن الرحيم لكونه مفتاح سلم ورحمة وبركة امان فلايليق ان يكتب فى اوّل سورة افتتحت بالمقاتلة ونبذ العهود ﴿قوله لان فى الانفال ذكر العهود وفى برآءة نبذها﴾ وانه ختم سورة الانفال بايجاب ان يوالى المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية ثم انه صرح بهذا المعنى فى قوله برآءة من الله ورسوله فلما كان هذا عين ذلك الكلام وتأكيدا له ضمت هذه السورة اليها ولم يكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم لان كتابتها بينهما تدل على كونهما سورتين متغايرتين ﴿قوله وقيل﴾ يعنى انه لما ظهر الاختلاف بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى انها سورة واحدة او سورتان تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول هما سورتان وما كتبوها بينهما على قول من يقول سورة واحدة ﴿قوله اى هذه برآءة﴾ على ان برآءة خبر مبتدأ محذوف ومن متعلقة بمحذوف هو صفة المجرور هو.

نظير قوله كتاب من فلان ثم جوّز ان تكون مبتدأ مخصصا بالصفة و الى الذين خبره كقولك رجل من بنى تميم فى الدار والبرآءة معناها انقطاع العصمة يقال برئت من فلان ابرأ برآءة اى انقطعت بيننا النسبة ولم يبق بيننا علقة ومنه برئت من الدين ﴿قوله وانما علقت البرآءة﴾ يعنى ان المعاهدة لما تحققت بالمسلمين كان حق البرآءة ان تنسب اليهم لان البرآءة انما تكون من قبل المعاهدة فكيف نسبت الى الله تعالى * وتقرير الجواب نعم ان عقد المعاهدة قام بالمؤمنين الا انهم انما عاهدوا باذن الله تعالى فى معاهدة المشركين بقوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتولى للعهد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم ادخلوا فى الخطاب لانهم راضون بقوله ومتفقون عليه فكأنهم عقدوا وعاهدوا ﴿قوله فأمرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين﴾ فاما الذين لم ينقضوا العهد ولم يظاهروا احدا على المؤمنين فقد امر الله تعالى باتمام العهد بينهم فى المدة المعهودة حيث قال الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام الى قوله فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقال فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اى استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم روى انه عليه الصلاة والسلام لما خرج الى غزوة تبوك وتخلف المنافقون وارجفوا بالاراجيف جعل المشركون ينقضون العهد فأمر الله تعالى بنقض عهودهم والمعنى فقد برئ الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء بها اذا نكثوا ويجوز له عليه الصلاة والسلام ان ينقض العهد بأحد ثلاثة امور الاول ان يظهر له منهم خيانة مستورة ويخاف ضررهم فينبذ العهد اليهم حتى يستووا فى معرفة نقض العهد لقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سوآء والثانى ان يكون قد شرط لبعضهم فى وقت العهد ان يقرهم على العهد فيما ذكر من المدة الا ان يأمر الله تعالى بقطعه فلما امر الله تعالى بقطع العهد بينهم قطعه لاجل الشرط والثالث ان يكون العهد مؤجلا فتنقضى المدة وينقضى العهد بانقضائها فحينئذ يكون الغرض من اظهار البرآءة ان يظهر لهم انه لا يعود الى العهد وانه على عزم المحاربة والمقاتلة ولا يجوز له عليه الصلاة والسلام نقض العهد فى غير هذه الاحوال الثلاث لانه يجرى مجرى الغدر وخلف القول والله ورسوله بريئان منه ﴿قوله فقال فسيحوا﴾ اشارة الى ان قوله تعالى فسيحوا على اضمار القول اى قل لهم سيروا فى الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين والسياحة الضرب فى الارض والاتساع فى السير والبعد عن البلد ومواضع العمارة وليس ذلك من باب الامر بل المقصود الاباحة والاطلاق والاعلام لحصول الامان وازالة الخوف والمعنى انكم آمنون من القتل فى هذه المدة ثم انكم بعد انقضاء تلك المدة حرب لله ولرسوله تحاربون وتقتلون حيث ادركتم وتؤسرون الى ان تتوبوا والمقصود من هذا الاعلام امور الاول ان يتفكروا فى انفسهم ويحتاطوا فى امرهم ويعلموا ان ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام او السيف فيصير ذلك حاملا لهم على الاسلام والثانى ان لا ينسب المسلمون الى الخيانة ونقض العهد فان المسلمين لو قاتلوهم عقيب اظهار النقض فربما يسبق الى الوهم ذلك فأمهلوا هذه المدة ليستعدوا للحرب ويعدوا آلاتها وفى ذلك تنزيه المؤمنين عن الخيانة واظهار شوكتهم وقوتهم وعدم التفاتهم الى الكفرة واستعدادهم للحرب واختلف فى ابتداء هذه الاشهر الاربعة فقيل ان سورة برآءة نزلت فى شوال فيكون ابتداء الاربعة اشهر من شوال الى انتهاء المحرم وقيل انها وان نزلت فى شوال الا ان قراءتها على الكفار وتبليغها اليهم كان يوم الحج الاكبر والصواب الذى عليه الاكثر أن ابتداء هذه المدة اليوم العاشر من ذى الحجة الى انقضاء عشر من ربيع الآخر وقيل ابتداء تلك المدة كان من عشر ذى القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى ذلك الوقت بسبب النسيء الذى كان فيها ثم صار فى السنة الثانية فى ذى الحجة وهى حجة الوداع ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام * الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض * روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا يوم الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ودخل بنوا بكر فى عهد قريش ثم عدت بنوا بكر على خزاعة فنالت منها وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنوا بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره ان قريشا اخلفوك الموعد ونقضوا ميثاقهم المؤكد فقال عليه الصلاة والسلام * لانصرت ان لم انصرك * ثم تجهز الى مكة ففتح مكة سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج ثم قيل له انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فبعث ابابكر رضى الله عنه تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء

وانما علقت البرآءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانهما بريئان منهما وذلك انهم عاهدوا مشركى العرب فنكثوا الا اناسا منهم بنى ضمرة وبنى كنانة فأمرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال (فسيحوا فى الارض اربعة اشهر) شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم لانها نزلت فى شوال وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضى الله عنه اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على رضى الله تعالى عنه سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير أم مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر رضى الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة وقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت بأربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده ولعل قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤدى عنى الا رجل منى ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان يؤدى عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه فى بعض الروايات لا ينبغى لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلى (واعلموا انكم غير معجزى الله) لا تفوتونه وان امهلكم (وان الله مخزى الكافرين) بالقتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة

﴿ واذان من الله ورسوله الى الناس ﴾ اى اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطا ورفعه كرفع برآءة على الوجهين ﴿ يوم الحج الاكبر ﴾ يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولماروى انه عليه الصلاة والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر اولان المراد بالحج مايقع فى ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقى الاعمال اولان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب اولانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ﴿ أن الله ﴾ اى بأن الله ﴿ برئ من المشركين ﴾ اى من عهودهم ﴿ ورسوله ﴾ عطف على المستكن فى برئ اوعلى محل ان واسمها فى قرآءة من كسرها اجرآء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان اولان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله برآءة من الله اخبار بثبوت البرآءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين ﴿ فان تبتم ﴾ من الكفر والغدر ﴿ فهو ﴾ فالتوب ﴿ خير لكم وان توليتم ﴾ عن التوبة اوثبتم على التولى عن الاسلام والوفاء ﴿ فاعلموا انكم غير معجزى الله ﴾ لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا فى الدنيا ﴿ وبشر الذين كفروا بعذاب اليم ﴾ فى الآخرة ﴿ الا الذين عاهدتم من المشركين ﴾ استثناء من المشركين او استدراك فكأنه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ﴿ ثم لم ينقصوكم شيأ ﴾ من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ﴿ ولم يظاهروا عليكم احدا ﴾ من اعدآئكم ﴿ فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ﴾ الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى

ليقرأ على الناس صدر سورة برآءة وامر ان يؤذن بمكة ومنى وعرفة ان قد برئت ذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك وان لايطوف بالبيت عريان الى آخر ماذكره المصنف والعضب القطع وناقة عضباء اى مشقوقة الاذن والعضباء لقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن مشقوقة الاذن والرغاء صوت ذوات الخف وعترة الرجل رهطه ونسله الاقربون وقد جرت العادة ان لايتولى تقرير العهد ونقضه الارجل من الاقارب فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف مايعرف فينا من نقض العهود فربما لم يقبلوا فأرسل اليهم بتولية ذلك عليا فلما بلغ على رضى الله تعالى عنه رسالته قالوا عند ذلك ياعلى ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد ورآء ظهرنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الاطعن بالرماح وضرب بالسيوف ﴿ قوله يوم العيد وقيل يوم عرفة ﴾ يعنى اختلف فى يوم الحج الاكبر انه يوم النحر او يوم عرفة واحتج من قال انه يوم النحر بأن اعمال الحج انما تتم فى هذا اليوم وهى الطواف والنحر والحلق والرمى ومن قال انه يوم عرفة احتج بقوله عليه الصلاة والسلام * الحج عرفة * ولان معظم اعمال الحج وهو الوقوف بعرفة انما يكون فى هذا اليوم وانما قلنا الوقوف اعظم اعمال الحج لان من ادرك الوقوف فقد ادرك الحج ومن فاته فقد فاته الحج ﴿ قوله فانه اكبر من باقى الاعمال ﴾ فان مايقع فى يوم عرفة هو الوقوف الذى هو معظم اعمال الحج الاكبر قال الحسن رضى الله عنه سمى ذلك اليوم بيوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق قبله ولابعده فعظم ذلك اليوم فى قلب جميع الطوآئف ثم انه تعالى بين ان ذلك الاذان بأى شئ كان فقال ان الله برئ من المشركين والجمهور على رفع قوله ورسوله عطفا على المستكن فى قوله برئ وجاز ذلك للفصل القائم مقام التأكيد ﴿ قوله او على محل ان واسمها فى قرآءة من كسرها ﴾ واما من قرأ بفتح الهمزة فانه لايجعل الرفع مبنيا على العطف على محل اسم ان لانه لايجوز العطف على محل اسم أن المفتوحة مطلقا عند السيرافى بخلاف المكسورة ووجه الفرق ان المكسورة لاتغير معنى الجملة بل تؤكدها فلذا ان قلت ان زيدا قائم افدت به ماافدت بقولك زيد قائم مع زيادة التأكيد فكان اسمها المنصوب فى محل الرفع على الابتدآء من حيث كون المكسورة فى حكم العدم فجاز العطف على محل ذلك الاسم بالرفع بخلاف المفتوحة فانها تغير معنى الجملة فتكون مع مافى حيزها فى تأويل اسم مفرد مرفوع او منصوب او مجرور فيكون اسمها كبعض حروف الكلمة فلايبقى له محل حتى يقال انه فى محل الرفع على الابتدآء وانه يعطف على محله بالرفع وابن الحاجب جعل المفتوحة على قسمين الاول ماهو فى حكم المكسورة وهى التى وقعت بعد فعل القلب وجوز العطف على محل اسمها نحو علمت ان زيدا قائم وعمرو بعطف عمرو على محل زيد لجعل المفتوحة فى مثله كالمكسورة بناء على ان المفتوحة مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولى علمت كما ان المكسورة مع مافى حيزها فى تقدير اسمين اى المبتدأ والخبر فحكم المفتوحة بعد فعل القلب كحكم المكسورة فى قيامها مع مافى حيزها مقام الاسمين فعلى هذا التدقيق يجوز ان يكون ورسوله فى الآية معطوفا على محل المفتوحة لوقوعها بعد فعل القلب لان اذان بمعنى اعلام * واعلم ان عبارة القوم اختلفت فى هذه المسألة فمنهم من يقول على محل اسم ان ومنهم من يقول على محل ان واسمها واختاره المصنف ووجه العبارة الاولى ان الاسم هو الذى كان مرفوعا قبل دخول ان ودخولها عليه كلا دخول فبقى على كونه مرفوعا ومن قال على محل ان واسمها نظر الى ان اسمها لوكان وحده مرفوع المحل لكان وحده مبتدأ والمبتدأ مجرد عن العوامل عندهم واسمها ليس بمجرد والعبارة الاولى هى الاولى لان كلمة ان كالعدم باعتباره وانما تفيد اذا اعتبرت النصب ﴿ قوله ولاتكرير فيه ﴾ يعنى ان جملة قوله واذان من الله ليست تكريرا لقوله برآءة من الله ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون الجملة الثانية اخبارا بوجوب الاعلام بماسمس من البرآءة علق الاذان بالناس فان الاذان عام لجميع من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث وعلقت البرآءة بالذين عوهدوا من المشركين لكونها مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم ﴿ قوله اوثبتم على التولى عن الاسلام ﴾ لانهم كانوا متولين معرضين عن الاسلام فوجب ان يكون التولى المصدر بكلمة ان بمعنى التولى عن التوبة او بمعنى التولى عن الثبات على الاسلام ﴿ قوله استثناء من المشركين او استدراك ﴾ يعنى انه استثناء متصل كأنه قيل برآءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الذين لم ينقضوا العهد او منقطع على ان يكون المراد بالمشركين هم الناكثون ﴿ قوله تعالى ثم لم ينقصوكم شيأ ﴾ قرأ الجمهور ينقصوكم شيأ بالصاد المهملة وهو يتعدى الى واحد والى اثنين ويجوز هنا جعله متعديا الى اثنين بأن يكون كم مفعولا اول وشيأ مفعولا ثانيا والى واحد فيكون شيأ منصوبا على

(فاذا انسلخ) انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة (الاشهر الحرم) التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرّم وهذا مخل للنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها (فاقتلوا المشركين) الناكثين (حيث وجدتموهم) من حل وحرم (وخذوهم) واسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم) واحبسوهم اوحيلوا بينهم و بين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) كل ممرّ لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن الشرك بالايمان (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) تصديقا لتوبتهم وايمانهم (فخلوا سبيلهم) فدعوهم ولا تتعرّضوا لهم بشي من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله (ان الله غفور رحيم) تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة (وان احد من المشركين) المأمور بالتعرّض لهم (استجارك) استأمنك وطلب منك جوارك (فأجره) فآمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه مأمنه) موضع امنه ان لم يسلم وأحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل (ذلك) الامن اوالامر (بأنهم قوم لا يعلمون) ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بدّ من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لأن يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم اولان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدّم للاستفهام اوللمشركين اوعند الله وهو على الاوّلين صفة للعهد اوظرف له اوليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء اوالجرّ على البدل اوالرفع على ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) اى فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فأتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية (ان الله يحب المتقين) سبق بيانه

المصدر اى شيأ من النقصان وقرئ ينقضوكم بالضاد المعجمة وهى على حذف المضاف اى ينقضوا عهدكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وفى القرآءة الاولى مقابلة النقص بالتمام مع الاستغناء عن ارتكاب الحذف قيل ان المراد من المشركين المعاهدين الذين لم ينقضوا شيأ من عهدهم بنوا ضمرة حيّ من كنانة امر الله تعالى باتمام عهدهم الى مدّتهم وكان قد بقي من مدّتهم تسعة اشهر فانهم لما اتقوا نقض العهد ونكثه استحقوا من الله تعالى ان يصان عهدهم ايضا من النقض والنكث ﴿قوله واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه﴾ شبه الشهر باللباس وجعل اهل الشهر لابسين له فاذا هل الهلال فكأنّ اهله يدخلون فيه فيزدادون فى كل ليلة منه جزأ الى مضيّ نصفه فيتم لبسا ثم انه ينسلخ منهم جزأ فجزأ الى ان ينقضى وينسلخ ﴿قوله التى ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها﴾ على ان يكون الالف واللام فى الاشهر الحرم للعهد والمعهود الاشهر المتقدمة بناء على ان النكرة اذا اعيدت معرفة يراد بها عين الاوّل الا اذا وصفت المعرفة بصفة تشعر بالمغايرة كقولك رأيت رجلا فأكرمت الرجل الطويل فانك لا تريد بالثانى عين الاوّل فى مثله والاشهر ههنا قد وصفت بالحرم وهى صفة مفهومة من فحوى الكلام فلا تقتضى المغايرة فيكون المراد بالمعرّف ما ذكر منكرا قبل ذكره معرفة قال بعض المفسرين منهم الكواشى ان المراد بالاشهر الحرم رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرّم وسميت بذلك لان الله تعالى حرّم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرّض لهم ولم يرض بهذا القول لكونه مخلا بانتظام حمل لفظ المعرّف على المنكر واقتضائه بقاء حرمة الاشهر المذكورة وهو خلاف الاجماع واما اذا حمل الاشهر الحرم على الاشهر التى ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها فقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية يكون امرا بمحاربة المشركين وقتالهم بعد انسلاخ تلك الاشهر المعينة الى أبد الآباد وهذه الآية ناسخة لكل آية فى القرآن فيها ذكر الاعراض والصبر على اذى الاعداء على وفق ما اجمع عليه جمهور العلماء رحمهم الله ﴿قوله واحبسوهم اوحيلوا﴾ يعنى ان معنى الحصر المنع والمراد اما منعهم عن الخروج من المحبس اومنعهم عن البيت الحرام وعن ابن عباس ان المعنى انهم ان تحصنوا فاحصروهم والمرصد مفعل من رصده يرصده اى رقبه يرقبه وهو يصلح للزمان والمكان والمصدر والمفعول يعين كونه محمولا على المكان الذى يرقب فيه العدوّ اى كونوا لهم راصدين لتأخذوهم من اىّ جهة توجهوا ﴿قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك﴾ وجه ارتباطه بما قبله انه تعالى لما اوجب قتل المشركين عند انقضاء الاشهر الحرم دل ذلك على ان حجة الله تعالى قد قامت عليهم وان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك من انواع الدلائل والبينات يكفى فى ازاحة عذرهم وعللهم وذلك يقتضى ان احدا من المشركين لو طلب الدليل والحجة لا يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام واما بالقتل فلما كان هذا الوهم يخطر بالبال لا جرم ذكر الله تعالى هذه الآية ازالة لهذه الشبهة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال ان رجلا من المشركين قال لعلىّ رضى الله عنه ان اردنا ان نأتى الرسول بعد انقضاء هذه المدّة لسماع كلام الله او لحاجة اخرى فهل نقتل فقال علىّ رضى الله عنه لا لان الله تعالى قال وان احد من المشركين استجارك فأجره الآية ﴿قوله ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم﴾ اى مع توقد الغيظ والعداوة فى قلوبهم فان الوغرة شدّة توقد الحرّ ومنه قولهم فى صدره وغرة علىّ اى حقد وعداوة تتوقد من الغيظ والمصدر الوغر بالتحريك تقول وغر صدره علىّ يوغر وغرا فهو واغر الصدر ﴿قوله وخبر يكون كيف﴾ ذكر فى خبره ثلاثة اوجه الاوّل وهو الاظهر انه كيف وعهد اسمها قدّم الخبر عليها وجوبا لاشتماله على ماله صدر الكلام وهو الاستفهام الانكارى وقوله للمشركين متعلق اما بيكون على رأى من يجوّز فى كان ان يعمل فى الظرف وشبهه واما بمحذوف لانها صفة لعهد فى الاصل فلما قدّمت انتصبت حالا والمصنف جعل اللام فيه للبيان كالتى فى هيت لك فتتعلق بمحذوف على انها صفة لعهد او تتعلق بنفس عهد لانه مصدر والوجه الثانى ان خبر يكون هو قوله للمشركين وعند على هذا فيها الاوجه المتقدّمة وهو معنى قول المصنف وهو اى قوله عند الله على الاوّلين صفة للعهد او ظرف له او ليكون والوجه الثالث ان يكون الخبر عند الله وللمشركين على هذا اما تبيين على ما اختاره المصنف واما متعلق بيكون عند من يجوّز ذلك واما حال من عهد وكيف ان لم يكن خبرا كما فى الوجهين الاخيرين يكون منصوبا بالحال وهذه الوجوه كلها على تقدير ان تكون كان ناقصة ويحتمل ان تكون تامّة بمعنى كيف يوجد العهد للمشركين ثم استثنى المعاهدين الذين ثبتوا على مقتضى العهد ولم ينكثوه وما يحتمل الشرطية والمصدرية فان كانت شرطية تكون فى محل النصب على الظرف الزمانى والتقدير اىّ زمان

استقاموا لكم فاستقيموا لهم وان كانت مصدرية تكون مقدرة بازمان ايضا منصوبة المحل على الظرفية ايضا فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم ثم قال الله تعالى ان الله يحب المتقين اى يحب من اتقى وو فى حق من عاهده ﴿قوله وحذف الفعل﴾ اى الفعل المستفهم عنه المستبعد الوقوع اى كيف عهد يثبتون عليه او يبقى حكمه عند الله وعند رسوله وحالهم انهم ان يظهروا عليكم ﴿قوله وخبرتمانى﴾ البيت لكعب الغنوى يرثى اخاه ابا المغوار وقوله فكيف و هاتا هضبة و قليب روى و كثيب و الهضبة الجبل المنبسط على وجه الارض و القليب البئر قبل ان تطوى و الكثيب التل من الرمل و الهضبة و القليب قيل انهما اسماجبلين فى البادية التى مات فيهما ابو المغوار و قيل المراد بهما المعنى المعروف يقول الشاعر لصاحبيه خبرتمانى و قلتمالى من سكن الامصار مات بالوباء فكيف مات اخى فى البادية واشار الى هضبة و قليب كانا فى الموضع الذى مات فيه اخوه و حذف الفعل العامل فى كيف اى فكيف مات ﴿قوله حلفا﴾ يعنى ان الال فيه اقوال احدها ان المراد به الحلف و المعنى انهم ان يظهروا عليكم بعد ماسبق لهم من تأكيد الايمان و المواثيق لم ينظروا فى حلف و لاعهد و لم يبقوا عليكم و لم يراعوا حلفا و السقب الذكر من ولد الناقة و الرأل و لد النعامة يخاطب واحدا ينكر قرابته من قريش و يقول كأنها قرابة و لد الناقة و و لد النعامة و ليس بينهما مناسبة و ان تشابها صورة و قيل الال هو الله استدلالا بماروى عن ابى بكر رضى الله عنه انه لما سمع هذيان مسيلمة لعنه الله قال ان هذا الكلام لم يخرج من ال اى من الله عز و جل و اورد عليه ان اسماء الله تعالى معروفة فى الكتاب و السنة و لم يسمع احد يقول يا ال افعل كذا ﴿قوله وقيل ربوبية﴾ اى و قيل المراد بالال الربوبية و التربية و بين الطريق اراد تهامنه بقوله و لعله و تقريره ان الال بالفتح هو الجؤار و الصياح و اشتق منه الال بالكسر للحلف للمناسبة بينهما من حيث انهم اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم و شهروه بان يجأروا و رفعوا به اصواتهم ثم اطلق لفظ الال على القرابة تشبيها لها بالحلف من حيث كونها سببا للالفة و الانضمام فالمعنى حينئذ لا ينظرون و لا يراعون فيكم ربوبية و تربية حتى اذا ظفر العبد المشرك بسيده المؤمن لا يراعى حق ربوبيته و اذا ظفر المربى بمن رباه لا يراعى حق تربيته و قيل اشتقاق الال بمعنى الربوبية من الل الشئ تأليلا اذا حدده بناء على ان الربوبية و التربية لاتخلو عن افادة الحدة و القوة و قيل اشتقاقه من أل البرق اذا لمع بناء على ان الربوبية و التربية لاتخلو عن افادة اللمعان و الظهور و قيل ان الال لفظ عبرى بمعنى الامان و المعنى ان ادنى الناس اذا اعطى امانا للكافر تقدم على جميع الناس و لذلك اجاز عمر رضى الله عنه امان عبد لكافر و قدمه على جميع العسكر و قال الاصمعى الذمة مالزم ان يحفظ و يحمى و يذم الرجل على اضاعته ﴿قوله المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر﴾ صفة بعد صفة لحالهم اى انهم يقولون للمؤمنين بألسنتهم خلاف مافى قلوبهم و الاباء أشد الامتناع فان كل اباء امتناع من غير عكس ﴿قوله فانهم بعد ظهورهم لا يرضون﴾ حتى يقال ان قوله ان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا و لا ذمة حال ارضائهم اياكم لا يقتضى تحقق الارضاء بناء على جواز رجوع النفى الى القيد فقط او الى مجموع القيد و المقيد لا الى نفس المقيد وحده استدل على عدم جواز الحالية بدليل آخر و محصوله ان المعنى على تقدير الحالية انهم لا يبقون على المؤمنين فى الحال و لا يبقون عليهم حال الظفر بهم اى لا يرحمونهم بل يفعلون بهم ما يقتضيه كمال العداوة و نهاية الحقد و الضغينة يقال ابقى على فلان اذا ارحمه و رعاه ﴿قوله متمردون﴾ فسر فسق الكافر بكونه متمردا عاريا عن العقيدة و المودة المانعتين عن السوء اشارة الى مايقال من ان الضمير فى اكثرهم راجع الى المشركين لانهم المتقدم ذكرهم و الشرك اخبث من الفسق فما معنى وصف الكفار بالفسق فى مقام المبالغة فى ذمهم و وجه الدفع ان توصيف المشرك بالفسق ابلغ فى ذمه من توصيفه بالكفر و الشرك لان الكافر قد يكون فى دينه له شمائل و فضائل مرضية تصرفه عن الكذب و نكث العهد و سائر مايخل بالعرض و ينافى المروءة و كثير من الكفرة فاسقون فى دينهم لا يفترون عن الكذب و نقض العهد و المكر و الخديعة و نحو ذلك مما ينافى المروءة فمن انضم الى كفره هذه الصفات الذميمة يكون فى غاية الخباثة و مذموما عند جميع الناس و فى جميع الاديان فسقط بهذا مايقال ايضا من ان جميع الكفرة فاسقون فلا يبقى لتخصيص اكثرهم بالذكر فائدة و التفادى التجانب و التباعد يقال تفادى الرجل من كذا اذا تحاماه و احترز عنه ﴿قوله لا عقيدة تزعهم﴾ اى تمنعهم و تصرفهم عن ارتكاب القبائح يقال وزعه اى ردعه و منعه و بالفارسى * بازداشت اورا * و الاحدوثة مايتحدث به و المعنى لمافى بعضهم من التنزه عن الافعال التى تجر الى ان يتحدث الناس فى حقه من المثالب و المعايب ﴿قوله وهو﴾ اى الثمن القليل

(كيف) تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة و حذف الفعل للعلم به كما فى قوله * و خبرتمانى انما الموت بالقرى * فكيف و هاتا هضبة و قليب * اى فكيف مات (و ان يظهروا عليكم) اى و حالهم انهم ان يظفروا بكم (لا يرقبوا فيكم) لا يراعوا فيكم (الا) حلفا و قيل قرابة قال حسان

لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رأل النعام * و قيل ربوبية و لعله اشتق للحلف من الأل و هو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم و شهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب مالا يعقده الحلف ثم للربوبية و التربية و قيل اشتقاقه من ألل الشئ اذا حدده او من أل البرق اذا لمع و قيل انه عبرى بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل و جبريل (و لا ذمة) عهدا او حقا يعاب على اغفاله (يرضونكم بأفواههم) استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر و لا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون و لان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان و الطاعة و الوفاء بالعهد فى الحال و استبطان الكفر و المعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم و الحالية تنافيه (و تأبى قلوبهم) ماتفوه به افواههم (و اكثرهم فاسقون) متمردون لا عقيدة تزعهم و لا مروءة تردعهم و تخصيص الاكثر لما فى بعض الكفرة من التفادى عن الغدر و التعفف عما يجر احدوثة السوء (اشتروا بآيات الله) استبدلوا بالقرآن (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا و هو اتباع الاهواء و الشهوات

(الذى)

الذى اختاره المشركون عن اتباع احكام القرآن هو اتباع الاهوآء والشهوات ﴿قوله تعالى فصدّوا﴾ يحتمل ان يكون لازما بمعنى ضدلوا وان يكون متعديا بمعنى منعوا وصرفوا غيرهم يقال صدّ يصدّ صدودا اى اعرض وعدل وصدّه عن الامر صدّا اى منعه وصرفه عنه ﴿قوله وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابوسفيان واطعمهم﴾ ليصدّ الناس بذلك عن متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم او ليحملهم على نقض العهد كما روى عن مجاهد رضى الله عنه انه قال اطعم ابوسفيان بن حرب حلفاءه وترك حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد الذى كان بينهم بسبب تلك الاكلة وقيل لا يبعد ان يكون طائفة من اليهود اعانوا المشركين على نقض تلك العهود فكان المراد من هذه الآية ذم اولئك اليهود وكون كل واحد منهما نازلا فى حق من نقض العهد من المشركين وكون الثانى تفسيرا لعملهم السيئ انسب بما قبله لان الضمائر فى الآيات السابقة راجعة الى المشركين الناقضين وتخصيص هذا الضمير باليهود او الاعراب تخصيص بلا دليل واخلال لاسلوب النظم ﴿قوله هم المعتدون فى الشرارة﴾ اى بنقضهم العهد وتعديهم ما حدّه الله تعالى فى دينه وما توجبه العقد والعهد ﴿قوله فهم اخوانكم﴾ اشارة الى ان فاخوانكم خبر مبتدأ محذوف والجملة الاسمية فى محل الجزم على جواب الشرط وفى الدين متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل علق الله تعالى حصول الاخوّة فى الدين على مجموع الامور الثلاثة التوبة عن الكفر واقام الصلاة وايتاء الزكاة والمعلق على الشيء بكلمة ان ينعدم ان عدم ذلك الشيء فهذا يقتضى انه متى لم يوجد مجموع هذه الامور الثلاثة لا تحصل الاخوّة فى الدين وهو مشكل لان المكلف المسلم لو كان فقيرا او كان غنيا لكن لم يمض عليه الحول لا يلزمه ايتاء الزكاة فاذا لم يؤتها فقد انعدم عنده ما توقف عليه حصول اخوّة الدين فيلزم ان لا يكون مؤمنا الا ان يقال التعليق بكلمة ان انما يدل على مجرّد كون المعلق عليه مستلزما لما علق عليه ولا يدل على انعدام المعلق عليه وهو انما يستفاد من دليل خارجى وذلك يجوز ان يكون المعلق لازما اعم فيتحقق بدون تحقق ما جعل ملزوما له وان سلم ان نفس التعليق يدل على انعدام المعلق عليه لكن لا نسلم انه يلزم من ذلك ان لا يكون المسلم الفقير مؤمنا بعدم ايتاء الزكاة وانما يلزم ذلك ان لو كان المعلق عليه ايتاءها على جميع التقادير وليس كذلك بل المعلق عليه هو الايتاء عند تحقق شرآئط مخصوصة مبينة بدلائل شرعية قال ابن مسعود رضى الله عنه أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك لا صلاة له ﴿قوله اعتراض﴾ حيث وقعت بين كلامين متناسبين فانه تعالى بين اوّلا حال من لا يراقب فى الله الا ولا ذمة وينقض العهد ويقول بلسانه ما يأبى عنه قلبه ويتعدى ما حدّه له ثم بين انهم ان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فحينئذ تثبت لهم احكام الايمان جميعا وبين الله تعالى هذا المعنى بقوله فاخوانكم فى الدين ثم بين انهم ان نكثوا ايمانهم اى نقضوا عهدهم اما بأن ارتدّوا عن الايمان والعياذ بالله تعالى على ان يحمل العهد على مبايعة الاسلام بقرينة ذكره فى مقابلة قوله فان تابوا الآية بأن نقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمرّوا عليه بشهادة ان الآية وردت فى ناقضى العهد وانه تعالى جعلهم صنفين احدهما من تاب منهم والآخر من اقام على نقض عهده فلما كانت الشرطيتان متناسبتين كانت جملة قوله ونفصل الآيات لقوم يعلمون معترضة بينهما وقوله يعلمون منزل منزلة اللازم كأنه قيل ان من تأمل تفصيلها فهو العالم ﴿قوله ائمة﴾ قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين اى بين مخرج الهمزة والياء والالف بينهما والكوفيون وابن ذكوان عن ابن عامر بتحقيقهما من غير ادخال الالف بينهما وقرئ ايضا كذلك الا انه ادخل بينهما الف هذا هو المشهور مما روى عن القرآء السبعة وليس فيما اشتهر عنهم قلب الهمزة الثانية ياء خالصة فلذلك جعل التصريح بالياء لحنا قال الامام الواحدى فى البسيط والاصل فى ائمة أأممة لأنها جمع امام نحو مثال وامثلة وحمار واحمرة ولكن لما اجتمعت الميمان ادغمت الاولى فى الثانية والقيت حركتها على الهمزة قبلها فصارت أئمة فابدلت من الهمزة المكسورة ياء كراهة لاجتماع الهمزتين وهذا هو الاختيار عند جميع النحويين ومن قرأ بهمزتين فقد راعى الاصل وليس بالوجه انتهى كلامه وجعل الشاطبى ابدال الهمزة الثانية ياء خالصة مذهبا للنحويين لا للقرآء فالمصنف اختار مذهب النحاة الكوفيين فى هذه اللفظة فان النحويين البصريين يوجبون ابدال الثانية ياء وغيرهم يحققها او يسهل بين بين ومن ادخل الالف بينهما ادخلها للخفة حتى يفصل بين الهمزتين ﴿قوله اى لا ايمان لهم على الحقيقة﴾ اشارة الى دفع ما يتوهم من ان نفى الايمان عنهم بقوله انهم لا ايمان لهم ينافى قوله وان نكثوا ايمانهم ووجه الدفع ان المراد بالايمان المثبتة لهم ما اظهروه من الايمان والمنفية ما هو ايمان على الحقيقة فان ما هو يمين حقيقة لا ينقدم

(فصدّوا عن سبيله) دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشترآءهم اداهم الى الصدّ (انهم ساء ما كانوا يعملون) عملهم هذا او ما دل عليه قوله (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) فهو تفسير لا تكرير وقيل الاوّل عام فى الناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابوسفيان واطعمهم (واولئك هم المعتدون) فى الشرارة (فان تابوا) عن الكفر (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم) فهم اخوانكم (فى الدين) لهم مالكم وعليهم ماعليكم (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين (وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم) وان نكثوا بعد ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود (وطعنوا فى دينكم) بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام (فقاتلوا ائمة الكفر) اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم فى الكفر أحقاء بالقتل وقيل المراد بالأئمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهمّ وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى وروح عن يعقوب أئمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن (انهم لا ايمان لهم) اى لا ايمان لهم على الحقيقة

والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمى اذا طعن فى الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليست يمينا وهو ضعيف اذ
المراد نفى الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان اولا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتدين
وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لايؤمنون على الاخبار عن قوم معينين اوليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله (لعلهم ينتهون) متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم
فى المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريق المؤذين (ألا تقاتلون ﴿ ٤٢٤ ﴾ قوما) تحريض على القتال لان الهمزة دخلت
على النفى للانكار فأفادت المبالغة فى الفعل (نكثوا ايمانهم) التى حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على ان لايعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة (وهموا باخراج الرسول) حين تشاوروا فى امره بدار الندوة على ما مر ذكره فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة (وهم بدأوكم اول مرة) بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدى به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم (أتخشونهم) أتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم (فالله احق أن تخشوه) فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره (ان كنتم مؤمنين) فان قضية الايمان ان لايخشى الامنه (قاتلوهم) امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه (يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم) وعدلهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعنى بنى خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشروا فان الفرج قريب (ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء اخبار بأن بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين (والله عليم) بما كان وما سيكون (حكيم) لايفعل ولايحكم الا على وفق الحكمة (ام حسبتم) خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان (أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم) ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق (بلسانه)
العلم به مستلزم لوقوعه (ولم يتخذوا) عطف على جاهدوا داخل فى الصلة (من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) بطانة يوالونهم ويفشون اليهم

صاحبها على نكثها والاتيان بما يخالف موجبها ﴿ قوله والا لما طعنوا ﴾ مبنى على ان يراد بالعهد فى قوله وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم مبايعة الاسلام وبنكثه الارتداد عن الايمان وقوله ولم ينكثوا مبنى على ان يراد بالعهد عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله وفيه دليل على ان الذمى اذا طعن فى الاسلام فقد نكث عهده ﴾ لان العهد معه معقود على ان لايطعن فاذا طعن فقد نكث فجاز قتله وعطف قوله وطعنوا فى دينكم على ماقبله مع ان نقض العهد كاف لاباحة القتل لزيادة تحريض المؤمنين على قتالهم وقيل معناه وان نكثوا ايمانهم بطعنهم فى دينكم فقد يذكر الفعلان بواو بينهما على ان يكون الثانى تفسيرا للاول كقولك استخف فلان بحقى وردنى عما طلبت ﴿ قوله على ان يمين الكافر ليست يمينا ﴾ حتى لو اسلم بعد انقضاء اليمين وحنث فيها لم يكن عليه كفارة عنده وعليه الكفارة عند الامام الشافعى رضى الله عنه وقال معنى الآية انهم لما لم يوفوا بها صارت ايمانهم كلا ايمان لا انه لا ايمان لهم فى الحقيقة لوصفهم بالنكث والنكث لايكون حيث لايمين ﴿ قوله بمعنى لا امان اولا اسلام ﴾ يعنى ان الايمان بكسر الهمزة مصدر آمن تقول آمن يؤمن ايمانا ثم ان الايمان يحتمل ان يكون بمعنى التصديق فالمعنى انهم كفرة لا ايمان لهم بالله تعالى وبأحكامه وان يكون من الامن والامان تقول أمنت فلانا وآمنت غيرى اى اعطيته الامان فقوله لا ايمان لهم معناه لاتعطوهم الامان بعد نكثهم وطعنهم فانهم لايستحقون ذلك بعده او انهم لايوفون لاحد بعهد يعقدونه له وقرأ الباقون لا ايمان بفتح الهمزة وهى جمع يمين ﴿ قوله وتشبث به ﴾ اى بما قرأ به ابن عامر ﴿ قوله تعالى ألا تقاتلون قوما ﴾ روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال قوله سبحانه وتعالى الا تقتلون قوما ترغيب فى فتح مكة وقال الحسن لايجوز ان يكون المراد منه ذلك لان سورة براءة انزلت بعد فتح مكة ﴿ قوله والآية من المعجزات ﴾ لان الله تعالى قد وعد المؤمنين على لسان النبى عليه الصلاة والسلام ان يعذب الكفار بأيديهم ويخزيهم اى يذلهم بالاسر والقتل وينصر المؤمنين عليهم فأنجز وعده ولم يظهر خلاف ما وعدهم ﴿ قوله خطاب للمؤمنين ﴾ وقيل للمنافقين وايا ما كان فهو ترغيب فى الجهاد بأن يقال ام حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم باللسان من الايمان فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب والمراد بنفى العلم نفى المعلوم اى ولم يوجد منكم ما يدل على صدقكم فيما اظهرتموه من الايمان وهو جهاد المشركين وهو نظير ما يقال ما علم الله منى ما قيل فى والمراد ما وجد ذلك منى ولما كان علم الله تعالى مستلزما لوجوده فى نفسه جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده وعدم علمه بوجوده كناية عن عدم وجوده فانه تعالى يعلم كل ما سيوجد ويعلمه موجودا حين يوجد لانه تعالى يعلم كل شئ على ما هو به والعلم الذى يجازى عليه هو العلم بالشئ بعد وجوده والمصنف جعل تعلق العلم بالوقوع مستلزما لنفى اللازم فى مادة تحقق اللازم من الجانبين ولو جعل تعلق العلم بالوقوع لازماله لكان نفى العلم برهانا على نفى المعلوم فيكون نفى العلم اثباتا لنفى المعلوم بالبرهان ﴿ قوله عطف على جاهدوا داخل فى الصلة ﴾ اى الذين جاهدوا ولم يتخذوا فان شعار المؤمن المخلص فى ايمانه ان يجاهد اعداء دين الله بنفسه وماله وان يوالى الله ورسوله والمؤمنين ولا يوالى غير الرسول والمؤمنين ولا يتخذ غير اولياء الله من الكفار والمنافقين وليجة وخواص ويحتمل ان يكون قوله ولم يتخذوا فى محل النصب على انه حال من فاعل جاهدوا اى جاهدوا حال كونهم غير متخذين وليجة فان المجاهد قد يجاهد ولا يكون مخلصا بل يكون منافقا باطنه يخالف ظاهره فبين الله تعالى انه لابد وان يأتوا بالجهاد مع الاخلاص خاليا عن الرياء والنفاق وموالاة الكفرة فان الجهاد انما يكون عبادة ان أتى به انقيادا لامر الله تعالى وبذلا للنفس والمال طلبا لمرضاة الله والوليجة فعيلة من الولوج وهو الدخول ووليجة الرجل من يداخله فى باطن اموره وخدينه الذى يطلعه على ما فى داخل قلبه وقيل الوليجة كل ما يتخذه الانسان معتمدا عليه وليس من اهله من قولهم فلان وليجة فى القوم اذا دخل فيهم وليس منهم ﴿ قوله وما فى لما من معنى التوقع ﴾ فان لما يستعمل فى الاغلب فى نفى الامر المتوقع كما يخبر بقد فى الاغلب عن حصول الامر المتوقع تقول لمن يتوقع ركوب الامير قد ركب ولا يركب ان كان قد يستعمل فى غير المتوقع نحو قد ندم ولا ينفعه الندم ولما كان الغالب فى لما كونها لنفى الامر المتوقع دلت الآية على ان تبين المخلصين وتميزهم من الذين لم يخلصوا دينهم امر متوقع وانه تعالى يميز بينهم فانه تعالى لما فرض القتال تميز المنافق من غيره وتميز من يوالى المؤمنين ممن يعاديهم ﴿ قوله يعلم غرضكم منه ﴾ اى من الجهاد ويعلم من يجاهد رياء وسمعة ممن يجاهد لاعزاز دين الله وقهر اعدائه فان المقصود من ايجاب القتال ليس نفس القتال بل هو ابتلاء الهى يتميز به من آمن

بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روى انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله تعالى عنه في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت (اولئك حبطت اعمالهم) التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك (وفي النار هم خالدون) لاجله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة) اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زوّاري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زآئره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلاة وآتى الزكاة عليه (ولم يخش الا الله) اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها (فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين) ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتدآء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتدآؤهم دآئرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغترّوا باحوالهم ويتكلوا عليها (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) السقاية والعمارة مصدر اسقى وعمر فلا تشبهان بالجثث بل لا بدّ من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاوّل قرآءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرّر ذلك بقوله (لا يستوون عند الله) وبين عدم تساويهم بقوله (والله لا يهدي القوم الظالمين) اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوّون بينهم وبين المؤمنين (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله) اعلى مرتبة واكثر كرامة ممن لم تستجمع هذه الصفات فيه او من اهل السقاية والعمارة عندكم (واولئك هم الفائزون) بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها) في الجنات (نعيم مقيم) دآئم وقرا حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه ورآء التعيين والتعريف (خالدين فيها ابدا) اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل (ان الله عنده اجر عظيم) يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء) نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله (ان استحبوا الكفر على الايمان) ان اختاروه وحرّضوا عليه (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) بوضعهم الموالاة في غير محلها (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم) اقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشيرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم (واموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون

بلسانه ممن آمن بقلبه فالمخلص يجاهد واثقا بالله تعالى وابتغاء لوجهه الكريم والمنافق يجاهد مع الركون الى غير الله تعالى متذبذبا بين الفريقين قيل من ظن انه يكتفي منه بالدعوى دون تحقيق المعنى فهو على غلط في حسبانه وظنه ﴿قوله لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به عليه الصلاة والسلام﴾ فانه انما جرى ذكر الله تعالى يكون ذكره عليه الصلاة والسلام مقارنا لذكره تعالى كما في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها فلما كانا مزدوجين صارا كأنهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه فكان الايمان به عليه الصلاة والسلام مندرجا تحت ذكر الايمان بالله تعالى ﴿قوله ولدلالة قوله واقام الصلاة وآتى الزكاة عليه﴾ لان الصلاة لا تتم الا بالاذان والاقامة والتشهد وهذه الاشياء مشتملة على ذكر النبوّة فاكتفى بذكر اقامتها عن ذكر الايمان به عليه الصلاة والسلام لان اقامتها توجب الايمان به عليه الصلاة والسلام ولان الصلاة والزكاة لما ذكرتا بلام العهد والمعهود من الصلاة والزكاة عند المسلمين ليس الا الاعمال التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واتيان تلك الاعمال يستلزم الايمان به عليه الصلاة والسلام ﴿قوله اي في ابواب الدين﴾ جواب عما يقال كيف قيل ولم يخش الا الله والحال ان المؤمن يخشى مما يؤذيه ويضرّه كالظلمة والسباع المهلكة ونحوها ولا يتمالك ان لا يخشى شيأ منها وتقرير الجواب ان المعنى والله اعلم انه تعالى اذا كلف العبد بشيء من الامور المتعلقة بالدين كالحج والجهاد ونحوهما وعرض له ما يمنعه من اقامة ذلك الامر بان يضرّه ويفوّت عليه شيأ من حقوق نفسه على تقدير اقامة ذلك الامر الذي كلف به ينبغي ان لا يخاف مما يفوّت عليه حق نفسه بل يجتهد في اقامة حق الله تعالى خوفا من غضبه وعقابه ولا يختار على رضى الله رضى غيره خوفا من ذلك الغير كما قال تعالى أتخشونهم فالله احق ان تخشوه وقال فلا تخافوهم وخافون فان الخوف من المضارّ النفسانية امر جبليّ لا محذور فيه انما المحذور ترجيح حق نفسه على حق الله تعالى وان يجعل فوات حظ نفسه كعذاب الله ﴿قوله نزلت في المهاجرين﴾ اي في من امر بالهجرة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان قبل فتح مكة من آمن ولم يهاجر لم يقبل الله تعالى ايمانه حتى يهاجر عن الكفار والمعنى لا تتخذوهم اصدقاء تؤثرون المقام بين اظهرهم على الهجرة الى دار الاسلام ان استحبوا الكفر واختاروه اي ان كان الكفر احب اليهم من الايمان قال الامام حملوا الآية على ايجاب الهجرة والحمل عليها والحال ان الهجرة ان كانت واجبة قبل فتح مكة فمشكل لان الصحيح ان هذه السورة انما نزلت بعد فتح مكة فكيف حمل الآية على ما ذكر ثم قال والاقرب ان تكون محمولة على ايجاب التبرّي من الكفرة وترك الموالاة معهم باتخاذهم بطانة واصدقاء فيفشون اليهم اسرارهم فانه تعالى لما اوجب على المؤمنين ذلك كأنهم قالوا كيف تمكن هذه المقاطعة التامّة بين الرجل وابيه وابنه واخيه فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الآباء والاولاد والاخوان بسبب الكفر وهو قوله ان استحبوا الكفر ولما نزلت هذه الآية قالوا يا نبي الله نحن ان اعتزلنا عمن خالفنا في الدين نقطع عن آبائنا وعشيرتنا وتذهب تجاراتنا وتخرّب ديارنا فنزل قوله تعالى قل ان كان آباؤكم الآية وعشيرة الرجل اهله الاقربون وقيل هم اهل الرجل الذين يتكثر بهم اي يصيرون له بمنزلة العدد الكثير فصارت العشيرة اسما لاقارب الرجل الذين يتكثر بهم سوآء بلغت العشرة ام فوقها وقيل هم الجماعة المجتمعة بنسب او عهد او ودّ كعقد العشرة واختار المصنف القول الاخير حيث قال فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد اي يجمعهم عقد كما يجمع عقد العشرة وحداتها ويربط بعضها ببعض ﴿قوله جواب ووعيد﴾ اي لمن آثر حظوظ نفسه ورجح مهمات دنياه على مصلحة دينه ولما كان هذا الوعيد يشق على النفوس ذكر ما يدل على ان من ترك الدنيا لاجل الدين فانه تعالى يوصله الى مطلوبه وضرب لهذا مثلا قصة حنين فان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الوقعة كانوا في غاية الكثرة والقوّة فلما اعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين فلما تضرّعوا في حال الانهزام الى الله تعالى قوّاهم حتى هزموا عسكر الكفار وذلك دليل على ان الانسان متى اعتمد على الله نجا ففي قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة الآية تسلية لاولئك المأمورين بمقاطعة الآباء والابناء لاجل مصلحة الدين ووعد لهم بانهم ان فعلوا ذلك اوصلهم الله تعالى الى جميع مهماتهم على احسن الوجوه والمواطن جمع موطن وهو كل موضع اقام به الانسان لامر وهذه الكلمة تصلح لان تكون مصدرا ميميا واسم زمان ايضا لكونه معتل الفاء كالموعد والمراد بالمواطن الكثيرة غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال انها ثمانون موطنا منها بدر وقريظة والنضير

(لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) يعنى مواطن الحرب وهى مواقعها (ويوم حنين) وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر فى ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله (اذ اعجبتكم كثرتكم) منه ان يعطف على موضع فى مواطن فانه لا يقتضى تشاركهما فى ما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضى كثرتهم واعجابها اياهم فى جميع المواطن وحنين وادبين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثنى عشر ألفا العشر الذين حضروا فتح مكة وألفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فأدرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهى شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حمى الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا (فلم تغن عنكم) اى الكثرة (شيأ) من الغناء او من امر العدو (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) برحبها اى سعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه (ثم وليتم) الكفار ظهوركم (مدبرين) منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال (ثم انزل الله سكينته) رحمته التى سكنوا بها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) الذين انهزموا

والحديبية وخيبر وفتح مكة ﴿قوله وموطن يوم حنين﴾ جواب عما يقال كيف عطف الزمان وهو يوم حنين على المواطن مع ان متعلقات الفعل انما يعطف بعضها على بعض اذا كانت من جنس واحد والا فلا يعطف احدها على الآخر ولا يجعل تابعا له بل يتعلق كل واحد منها بالفعل بلا توسط العاطف فيقال مثلا ضربت زيدا يوم الجمعة امام الامير فكيف تخلل العاطف بين المكان والزمان فى الآية وليسا من جنس واحد لان الفعل يقتضى كل واحد منهما على حدة فاجاب بانه من عطف المكان على المكان بتقدير المضاف او الزمان على الزمان كذلك اى نصركم فى ايام مواطن ويجوز ان تجعل المواطن اسم زمان كمقتل الحسين فيكون من عطف الزمان على الزمان من غير تقدير المضاف وان كان كون الموطن اسم زمان بعيدا من الفهم فى هذا المقام كأنه قال فى ازمنة اقامات بموقف الحروب ﴿قوله ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه﴾ اى هذا رد على الزمخشرى فى قوله يجب ان يكون يوم حنين منصوبا بمضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم فى جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا فى جميعها فبقى ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصب اذ باضمار اذكر انتهى كلامه يعنى انه ان لم يقدر فعل آخر ينصب المبدل منه بل كان الفعل المذكور ناصبا للجميع يلزم ان يكون زمان الاعجاب بالكثرة ظرفا للنصرة الواقعة فى المواطن الكثيرة لان الفعل واحد والحال انه لم تكن لهم كثرة فى تلك المواطن فضلا عن ان تكون تلك الكثرة اعجبتهم فيها فلذلك وجب ان يقال ان المبدل منه منصوب بفعل مضمر وبهذا التقرير اندفع ما يقال ان ما ذكرت من ان يكون البدل منصوبا بالفعل الظاهر يستلزم ان يكون زمان الاعجاب بالكثرة ظرفا للنصرة الواقعة فى مواطن كثيرة وهذا انما يلزم ان لو كان المبدل منه فى حكم التنحية مع حرف العطف ليؤول الى نصركم الله فى مواطن كثيرة اذ اعجبتكم وليس كذلك بل يؤول الى نصركم فى مواطن واذ اعجبتكم وحاصل الرد ان العطف لا ينافى تعدد العامل فى المعطوف والمعطوف عليه بحسب الافراد وان اتحدا فى النوع الا ترى الى قولنا اضرب زيدا اليوم وعمرا غدا واضربه حين يقوم وحين يقعد واضرب زيدا قائما وعمرا قاعدا الى غير ذلك فقولنا نصرهم الله فى مواطن كثيرة واذ اعجبتهم كثرتهم لا يستلزم ان تكون النصرة الواقعة فيهما نصرة واحدة شخصية حتى يقال اقتضى الكلام تحقق كثرتهم واعجابها اياهم فى جميع الموطن ﴿قوله هوازن وثقيف﴾ مفعول حارب روى انه عليه الصلاة والسلام لما فتح مكة وقد بقيت عليه ثلاثة ايام من شهر رمضان فمكث حتى دخل شوال مشت اشراف هوازن بعضها الى بعض وكذا اشراف ثقيف بعضها الى بعض وحشدوا وهيئوا وقالوا والله مالاقى محمدا قوم يحسنون القتال فأجمعوا امركم فسيروا اليه قبل ان يسير اليكم فأجمعوا امرهم على ذلك واخرجوا معهم اموالهم ونساءهم وأبناءهم فحملوا النساء فوق الابل وراء صفوف الرجال ثم جاؤا بالابل والغنم والذرارى وراء ذلك لكى يقاتل كل واحد منهم عن اهله وماله ولا يفر احد منهم بزعمهم فساروا كذلك حتى نزلوا باوطاس وقد كان عليه الصلاة والسلام بعث اليهم عينا ليتجسس عن حالهم وما كان منهم ويسمع اخبارهم فوصل اليهم فسمع مالك بن عوف امير القوم يقول لاصحابه ما ثم اليوم اربعة فى شئ ما الا فرج الله فاقبل العين الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما سمع من مقالتهم فقال رجل من المسلمين والله يارسول الله لا نغلب اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة وابتلى الله تعالى المؤمنين بكلمته تلك وقيل ان هذه الكلمة قالها ابو بكر رضى الله عنه وقيل قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام هو بعيد لانه عليه السلام كان فى اكثر الاحوال متوكلا على الله تعالى منقطع القلب عن الدنيا واسبابها والظاهر ان القول لا ينافى التوكل على الله تعالى ولا يستلزم الاعتماد على الاسباب الظاهرة وروى عنه عليه السلام انه قال « خير الاصحاب اربعة وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة آلاف ولا يغلب اثناعشر ألفا من قلة كلمتهم واحدة » وانما ساءته عليه الصلاة والسلام تلك الكلمة لان فيها اعتمادا على الكثرة واعتبارا لها ولا يليق بهم الاعتماد الا على الله ونصرته فلذلك اعلمهم الله تعالى بقوله اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ ثم وليتم مدبرين انهم ليسوا بكثرتهم يغلبون وانما يغلبون بنصر الله اياهم فلما نظروا فى ذلك اليوم الى كثرتهم انهزموا ثم تداركهم بنصره حين التجأوا اليه تعالى وتضرعوا والفل بالفتح اسم المنهزم يستوى فيه الواحد والجمع يقال رجل فل وقوم فل واصحاب الشجرة اهل بيعة الرضوان وهم الذين قال تعالى فى حقهم لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة واصحاب سورة البقرة هم المذكورون فى قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ﴿قوله فكروا عنقا واحدا﴾ اى

(رجعوا)

رجعوا جماعة واحدة اى دفعة والوطيس التنور والآن حمى الوطيس كناية عن اشتداد الحرب والمراد بالسكينة
مايسكن اليه القلب ويوجب الامنة ووجه الاطلاق ان الانسان اذا خاف فرّ وفؤاده يتحرك واذا أمن سكن وثبت فلما
كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن ﴿قوله للتنبيه على اختلاف حاليهما﴾ فانهم
انهزموا بخلافه عليه الصلاة والسلام فانه ماولى ظهره الى جانب المشركين قط قال البرآء بن عازب كانت هوازن
رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا وكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانكشفت اوّل الخيول مولية وتبعهم الناس
منهزمين لايلوون على شئ ولم يبق معه عليه الصلاة والسلام الا العباس بن عبدالمطلب وابوسفيان بن الحارث
رضى الله تعالى عنهما قال البرآء بن عازب والذى لااله الاهو ماولى رسول الله عليه الصلاة والسلام قط وقال رأيته
وابوسفيان آخذ بالركاب والعباس آخذ بلجام بغلته دلدل وهو يقول * انا النبى لاكذب * انا ابن عبدالمطلب * وطفق
يركض بغلته نحو الكفار وهذا من غاية شجاعته حيث ذكر اسمه فى تلك الحال ولم يخف من الكفار على نفسه وفى الآية
دليل على ان المؤمن لايخرج من الايمان وان عمل الكبيرة لانهم قد ارتكبوا الكبيرة حيث هربوا وكان عددهم اكثر
من عدد المشركين فسماهم الله تعالى مؤمنين ﴿قوله وكانوا خمسة آلاف او ثمانية آلاف او ستة عشر الفا﴾
اتفقوا على ان المراد بالجنود المنزلة الملائكة الا انهم اختلفوا فى عدد الملائكة وليس فى هذه الآية مايدل على
عددهم كما هو فى قصة بدر فقال سعيد بن جبير امدالله تعالى نبيه بخمسة آلاف من الملائكة ولعله انما قاسه على يوم
بدر وقال سعيد بن المسيب حدثنى رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما
انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا
واختلفوا ايضا فى الملائكة هل قاتلوا فى ذلك اليوم فالذى روى عن سعيد بن المسيب يدل على انهم قاتلوا
وآخرون قالوا ان الملائكة ماقاتلوا فى ذلك اليوم كما قاتلوا يوم بدر وفائدة نزولهم فى ذلك اليوم القاء الخواطر الحسنة
فى قلوب المؤمنين وقيل ان الله تعالى لما هزم المشركين بوادى حنين ولوا مدبرين ونزلوا اوطاس وبها عيالهم
واموالهم فبعث رسول الله عليه الصلاة والسلام رجلا من الاشعريين يقال له ابوعامر وامّره على جيش وارسله
الى اوطاس فسار اليهم فاقتتلوا وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيالهم وهرب اميرهم مالك بن عوف فاتى
الطائف وتحصن به واخذ ماله واهله فيمن اخذ وقتل امير المؤمنين ابوعامر روى ان المسلمين اسروا يومئذ ستة
آلاف ثم انه اتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم فاتى الجعرانة
فاحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين واوطاس ﴿قوله ماكنا نعدل بالاحساب شيأ﴾ اى نختار سبايانا من
نسائنا وابنائنا فان ايثارهم على ايثار استرجاع المال حسب وهو بالاختيار اجدر والنسب والحسب مايعدّ من المفاخر
كنوا بذلك عن اختيار الذرارى والنساء على استرجاع الاموال لان تركهم فى ذل الاسر يفضى الى الطعن فى احسابهم
﴿قوله فشأنه﴾ اى فيلزم شأنه وقوله ومن لا اى ومن لاتطيب نفسه ان تردّه والعرفاء جمع عريف بمعنى
النقيب وهو دون الرئيس ﴿قوله خبث باطنهم﴾ مبنى على ان النجس بفتحتين مصدر لنجس اخبر به عن
الذوات بتقدير المضاف اى ذو نجس وهو مافى بطونهم من الشرك ويحتمل ان يكون مبنيا على ان يكون نجس بفتحتين صفة
مشبهة مثل حسن كما اشار اليه الجوهرى حيث قال نجس الشئ بالكسر ينجس نجسا فهو نجس ونجس ايضا قال تعالى
انما المشركون نجس قال الفرآء اذا قالوه مع الرجس اتبعوه اياه وقالوا رجس نجس بالكسر وأنجسه غيره ونجسه
بمعنى الى هنا منقول من الصحاح ﴿قوله او لانه يجب ان يجتنب عنهم الخ﴾ يعنى ان التركيب من قبيل زيد
اسد من باب التشبيه البليغ كأنه قيل انهم بمنزلة الشئ النجس العين فى وجوب الاجتناب عنهم وهو قريب من قول
صاحب الكشاف او جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة فى وصفهم بها ﴿قوله او لانهم لايتطهرون﴾ اى من
الجنابة والحدث ولايجتنبون عن النجاسات العينية فكانوا ذوى نجاسات حكمية وحقيقية فحكم عليهم بانهم
نجس بمعنى ذوى نجس فى اعضائهم الظاهرة كان المعنى على الوجه الثانى كون الكلام محمولا على التشبيه
والمبالغة والحاصل ان جمهور الفقهاء اتفقوا على ان الكفر لايؤثر فى نجاسة بدن الكافر نجاسة حقيقية وانما
يؤثر فى نجاسة باطنه فكان صفة الكفر القائم بهم بمنزلة النجاسة الملتصقة بالشئ ومنهم من يقول فى تأويل الآية
انهم لما لم يتطهروا من الجنابة والحدث ولامن سائر النجاسات التى تصيب اجسادهم كانوا ذوى نجس فحكم عليهم
بانهم نجس لذلك ومنهم من يقول معنى الآية انهم بمنزلة الاعيان النجسة فى وجوب الاجتناب عنهم ﴿قوله

واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما
وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلاة
والسلام ولم يفرّوا (وانزل جنودا لم تروها)
بأعينكم يعنى الملائكة وكانوا خمسة آلاف
او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال
(وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر
والسبى (وذلك جزآء الكافرين) اى مافعل
بهم جزآء كفرهم فى الدنيا (ثم يتوب الله من بعد
ذلك على من يشاء) منهم بالتوفيق للاسلام
(والله غفور رحيم) يتجاوز عنهم ويتفضل
عليهم روى ان اناسا منهم جاؤا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا
يارسول الله انت خير الناس وأبرّهم وقد سبى
اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبى
يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم
مالا يحصى فقال صلى الله عليه وسلم اختاروا
اما سبايا كم واما اموالكم فقالوا ماكنا نعدل
بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم
بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب
شيأ فمن كان بيده سبى وطابت نفسه ان يردّه
فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى
نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا
فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا
عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا
(يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس)
لخبث باطنهم اولانه يجب ان يجتنب عنهم كما
يجتنب عن الانجاس اولانهم لايتطهرون
ولايجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها
غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته
نجس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
ن اعيانهم نجسة كالكلاب

وهو ككبد في كبد ﴾ يعني ان النجس بالكسر والسكون اسم فاعل في الاصل على وزن فعل مثل كتف وكبد
ثم خفف باسكان عينه بنقل حركتها الى ماقبلها ولابد من حذف موصوف حينئذ واقامة هذه الصفة مقامه اى
فريق نجس او جنس نجس ﴿ قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾ قيل المراد بالمسجد الحرام نفس المسجد
وقيل جميع الحرم وهو الاقرب لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله وذلك لان موضع التجارات
ليس هو عين المسجد فلو كان المقصود من هذه الآية المنع من المسجد خاصة لما خافوا بسبب هذا المنع وانما يخافون
العيلة اذا منعوا من حضور الاسواق والمواسم ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام مع انهم اجمعوا على انه انما رفع الرسول عليه الصلاة والسلام من بيت ام هانى ويؤيده قوله عليه الصلاة
والسلام * لايجتمع دينان في جزيرة العرب * وهي من اقصى عدن ابين الى ريف العراق طولا ومن جدة وماوالاها
من ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا * واعلم ان جملة بلاد الاسلام فى حق الكفر ثلاثة اقسام القسم الاول
الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان او مستأمنا لظاهر هذه الآية واذا جاء رسول من دار الكفر الى
الامام والامام فى الحرم لايأذن له فى دخوله بل يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وان دخل مشرك فى الحرم
متواريا فمرض فيه اخرجناه مريضا وان مات ودفن ولم نعلم نبشناه واخرجنا عظامه اذا امكن هذا مذهب الامام
الشافعى رضى الله عنه وجوز اهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم وانما يمنع من الحج والعمرة والقسم الثانى من بلاد
الاسلام الحجاز فيجوز للكافر دخولها بالاذن ولكن لايقيم اكثر من ثلاثة ايام لما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لئن عشت الى قابل لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة
العرب حتى لاادع فيها الامسلما فمضى رسول الله عليه الصلاة والسلام واوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة
العرب فلم يتفرغ لذلك ابوبكر واجلاهم عمر فى خلافته واجل لمن يقدم منهم تاجرا ثلاثا والقسم الثالث سائر بلاد
الاسلام يجوز للكافر ان يقيم فيها بذمة او امان ولكن لايدخل المساجد الاباذن مسلم ﴿ قوله سنة برآءة ﴾ اى
السنة التى حج فيها ابوبكر ونادى على بالبرآءة من المشركين وهى السنة التاسعة من الهجرة * والعيلة الفقر يقال
عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر لما منع المشركون من قربان المسجد الحرام قال المسلمون انهم كانوا يأتون بالميرة
ويتبايعون فالآن ينقطع المهاجر ويضيق العيش فنزلت قال مقاتل ثم اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش وتبالة وحملوا
الطعام الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون منه وصنعاء قصبة اليمن وجرش موضع باليمن وتبالة بلدة حصينة باليمن
﴿ قوله او حال ﴾ اى او على انها اسم فاعل حذف موصوفها وهو الحال واقيم هو مقام الموصوف فكان عبارة
عنه والتقدير وان خفتم حالا عائلة ﴿ قوله قيده بالمشيئة ﴾ مع ان القيد بها ينافى ماهو المقصود من الآية وهو
ازالة خوفهم من العيلة لفوائد الفائدة الاولى ان لايعتمد على حصول هذا المطلوب الموعود بل يكون الانسان ابدا
متضرعا الى الله تعالى فى طلب الخيرات ودفع الآفات والثانية ان الاغناء الموعود ليس يجب عليه تعالى بل هو
متفضل به فى ذلك ولايتفضل به الا عن مشيئته وارادته والثالثة التنبيه على ان الموعود ليس بموعود بالنسبة
الى جميع الاشخاص بل بالنسبة الى جميع الامكنة والازمان وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لاحظ هذه
الحكم فى دعائه بقوله وارزق اهله من الثمرات فان من التبعيضية فى ذلك الدعاء بمنزلة قيد ان شاء فى هذا الوعد
﴿ قوله لايؤمنون بهما على ماينبغى ﴾ اشارة الى دفع ماعسى ان يقال من ان الآية نزلت لبيان حكم اهل الكتاب
ومعلوم ان اهل الكتاب يقولون نحن نؤمن بالله واليوم الآخر لقوله من اهل الكتاب امة الخ فاوجه توصيفهم بانهم
لايؤمنون بهما ووجه الدفع ظاهر * واعلم انه تعالى لما بين حكم المشركين وهو البرآءة من عهدهم واعلام تلك البرآءة
للناس ووجوب مقاتلتهم وتبعيدهم عن المسجد الحرام ذكر بعده حكم اهل الكتاب وهو ان يقاتلوا الى ان يعطوا
الجزية او يسلموا وحكم المشركين القتال او الاسلام ﴿ قوله ماثبت تحريمه بالكتاب والسنة ﴾ من الميتة
والدم والخمر ولحم الخنزير وتحريف الكتاب وكتمان وصف النبى عليه الصلاة والسلام الثابت اشارة الى ان قوله دين
الحق من قبيل اضافة الاسم الى الصفة واصل الكلام ولايدينون الدين الحق وعن قتادة ان الحق هو الله تعالى
والمعنى ولايدينون دين الله ودينه الاسلام وقيل المعنى ولايطيعون الله طاعة اهل الحق على ان الدين الطاعة والجزية
مايعطيه المعاهد على عهده وهى فعلة لبيان الهيئة كالركبة من جزى اذا قضى ماعليه ﴿ قوله اى عن يد مواتية ﴾
اى موافقة غير ممتنعة يقال واتيته على ذلك الامر مواتاة اذا وافقته وطاوعته واليد قد تجعل كناية عن

وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو
ككبد فى كبد واكثر ماجاء تابعا لرجس
(فلا يقربوا المسجد الحرام) لنجاستهم وانما
نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول
الحرم وقيل المراد به النهى عن الحج والعمرة
لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة
رحمه الله تعالى وقاس مالك سائر المساجد
على المسجد الحرام فى المنع وفيه دليل على ان
الكفار مخاطبون بالفروع (بعد عامهم هذا)
يعنى سنة برآءة وهى التاسعة وقيل سنة حجة
الوداع (وان خفتم عيلة) فقرا بسبب منعهم
من الحرم وانقطاع ماكان لكم من قدومهم
من المكاسب والارزاق (فسوف يغنيكم الله
من فضله) من عطائه او تفضله بوجه آخر
وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم
مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا
وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم
وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض
وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال
(ان شاء) قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال الى الله
تعالى ولينبه على انه تعالى متفضل فى ذلك
وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض
وفى عام دون عام (ان الله عليم) باحوالكم
(حكيم) فيما يعطى ويمنع (قاتلوا الذين
لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) اى
لايؤمنون بهما على ماينبغى كما بيناه فى اول
البقرة فان ايمانهم كلا ايمان (ولا يحرمون
ماحرم الله ورسوله) ماثبت تحريمه بالكتاب
والسنة وقيل رسوله هو الذى يزعمون اتباعه
والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ
اعتقادا وعملا (ولا يدينون دين الحق)
الثابت الذى هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها
(من الذين اوتوا الكتاب) بيان للذين
لايؤمنون (حتى يعطوا الجزية) ماتقرر
عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا
قضاه (عن يد) حال من الضمير فى يعطوا
اى عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم
بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدى غيرهم
ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى
ولذلك قيل لاتؤخذ من الفقير

الانقياد يقال اعطى فلان بيده اذا اسلم وانقاد وعلاقة المجاز ان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد كانه قيل قاتلوهم حتى يعطوا الجزية عن طيب نفس وحسن انقياد دون ان يكرهوا عليه فاذا احتيج فى اخذها منهم الى الاكراه والابرام لا يبقى عقد الذمة وعاد حكم القتل والقتال ﴿ قوله او يد قاهرة عليهم ﴾ اى مستولية عليهم على ان يكون المراد باليد يد الآخذ لا يد من عليه الجزية كما فى الوجوه الاول ويد الآخذ عبارة عن قدرته واستيلائه وكلمة عن فى غير الوجه الثانى سببية كما فى يسمنون عن الاكل والشرب اى يبلغون فى السمن الى غاية الكمال بسبب الاكل والشرب ﴿ قوله او عن انعام عليهم ﴾ على ان تكون يد الآخذ عبارة عن انعامه لا عن قدرته واستيلائه ﴿ قوله او من الجزية ﴾ عطف على قوله من الضمير ﴿ قوله توجأ عنقه ﴾ اى يضرب قفاه باليد يقال وجأت عنقه وجأ اى ضربته والحكمة فى وجئ عنقه وعدم الاكتفاء بأخذ الجزية انه تعالى قيد اعطاءهم الجزية بقوله وهم صاغرون فلا يكفى فى حقن دم الكتابى مجرد دفع الجزية بل لا بد من ايصال الذل والصغار اليه والسبب فيه ان طبع العاقل ينفر عن تحمل الذل والصغار فاذا امهل الكافر مدة وهو يشاهد عز الاسلام ويسمع دلائل صحته ويشاهد الذل والصغار فى الكفر واهله فالظاهر انه يحمله ذلك على الانتقال الى الاسلام وهو المقصود من شرع الجزية فان المقصود من اخذ الجزية ليس تقرير الكتابى على كفره بل المقصود من اخذها حقن دمه وامهاله مدة رجاء انه ربما وقف فى هذه المدة على محاسن الاسلام وقوة دلائله فينتقل من الكفر الى الايمان والحال ان كتابهم فى ايديهم فربما يتفكرون فيه فيبصرون صدق محمد عليه الصلاة والسلام فى دعوى النبوة فامهلوا لهذا المعنى لا تقريرا لهم ورضى به وقال بعض انما اقروا على دينهم الباطل بأخذ الجزية حرمة لآبائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والانجيل ﴿ قوله لان لهم شبهة كتاب ﴾ لما روى عن على رضى الله عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا وقد اسرى على كتابهم فرفع من بين اظهرهم والحاصل ان الكفار ثلاثة انواع نوع منهم يقاتلون حتى يسلموا او يعطوا الجزية وهم اليهود والنصارى بهذه الآية واما المجوس فبقوله عليه الصلاة والسلام *سنوا بهم سنة اهل الكتاب* والنوع الثالث هم الكفرة الذين ليسوا مجوسا ولا اهل كتاب ولا من مشركى العرب كعبدة الاوثان من الترك والهند ومن فى حكمهم فذهب الامام الشافعى رضى الله عنه الى انه لا يجوز اخذ الجزية منهم وذهب ابو حنيفة واصحابه رضى الله تعالى عنهم الى انه يجوز اخذ الجزية منهم كما يجوز اخذها من المجوس ويجوز اجتماع الدينين فى غير جزيرة العرب وهم من غير العرب وبقى الكلام فى قدر الجزية روى عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم *على كل محتلم دينار* وانه عليه الصلاة والسلام بعث معاذا الى اليمن وامره ان يأخذ من كل حالم اى بالغ دينارا ولم يفصل بين الغنى والفقير والمتوسط وقسم على الفقراء اثنى عشر درهما وعلى الاوساط اربعة وعشرين درهما وعلى اهل الثروة ثمانية واربعين درهما ﴿ قوله انما قال بعضهم من متقدميهم ﴾ روى ان بخت نصر لما ظهر على بنى اسرائيل وقتل علماءهم ولم يبق فيهم احد يعرف التوراة وكان عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل على دير هرقل على شط دجلة فطاف فى القرية فلم ير فيها احدا وعامة شجرها مثمر حمل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق فلما رأى خراب القرية وهلاكها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها قالها تعجبا لا شكا فى البعث فألقى الله تعالى عليه النوم ونزع منه الروح وبقى ميتا مائة عام وأمات حماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله تعالى عنه العيون فلم يره احد ثم انه تعالى احياه بعدما اماته مائة سنة واحيى حماره ايضا فركب حماره حتى اتى محلته فأنكره الناس وانكر منازله فتتبع اهله وقومه فوجد ابناله شيخا ابن مائة وثمانى عشرة سنة وبنو ابنيه شيوخ ووجد من دونهم عجوزا عمياء مقعدة مضى عليها مائة وعشرون سنة كانت امة له وكان قد خرج عزير عنهم وهى بنت عشرين سنة فقال لهم انا عزير كان الله اماتنى مائة سنة ثم بعثنى قالت العجوز ان عزيرا كان مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية فادع الله يرد على بصرى حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح يده على عينيها فصحت واخذ بيدها وقال لها قومى باذن الله تعالى فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت فقالت اشهد انك عزير وقال ابنه كان لابى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير قال السدى والكلبى لما رجع عزير الى قومه وقد احرق بخت نصر التوراة ولم يبق من الله عهد بين الخلق فبكى عزير على التوراة فأتاه ملك بأناء فيه ماء فسقاه من

او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد (وهم صاغرون) اذلاء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تؤخذ الجزية وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضى تخصيص الجزية بأهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فألحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى تؤخذ منهم الا من مشركى العرب لما روى الزهرى انه عليه الصلاة والسلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها فى كل سنة دينار سواء فيه الغنى والفقير وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى على الغنى ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شئ على الفقير غير الكسوب (وقالت اليهود عزير ابن الله) انما قال بعضهم من متقدميهم

لا

او ممن كان بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ماهذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القرآءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين اولان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر (وقالت النصارى المسيح ابن الله) هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب اولان يفعل مافعله من ابرآء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها (ذلك قولهم بأفواههم) اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان (يضاهون قول الذين كفروا) اى يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (من قبل) اى من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لاتحيض (قاتلهم الله) دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق الى الباطل (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) بأن اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ماحرم الله اوبالسجود لهم (والمسيح بن مريم) بأن جعلوه ابنا لله (وما امروا) اى وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ (الا ليعبدوا) ليطيعوا (الها واحدا) وهو الله واما طاعة الرسل وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله (لا اله الا هو) صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد (سبحانه عما يشركون) تنزيه له عن ان يكون له شريك

ذلك فكتبت التوراة في صدره فقال لبني اسرآئيل ياقوم ان الله تعالى بعثني اليكم لأجدد لكم توراتكم قالوا فأملاها عليهم عن ظهر قلبه ثم قال رجل ان ابي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية فدفنت في كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم فلم يجدوه غادر منها شيأ فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل الا لكونه ابنه فعند ذلك قالت اليهود المتقدمون عزير ابن الله ﴿قوله او ممن كان بالمدينة﴾ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود منهم شماس بن قيس ومالك بن الصيف وغيرهما فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لاتزعم ان عزيرا ابن الله تعالى فانزل الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله قرأ عاصم والكسائي بتنوين عزير على انه اسم عربي مبتدأ وابن خبره فتنوينه على الاصل لانه لما لم يكن فيه عجمة كان منصرفا وقرأ الباقون بغير تنوين وانما حذف تنوينه اما لكونه ممنوعا من الصرف للتعريف والعجمة او لانه وان كان اسما عربيا مرفوعا على الابتدآء الا انه حذف تنوينه لالتقاء الساكنين على حد قرآءة قل هو الله احد الله الصمد فان نون التنوين في عزير ساكنة وكذا الباء في ابن الله ساكنة ايضا فالتقى ساكنان فحذف نون التنوين للتخفيف كما تحذف حروف العلة عند التقائها بالساكن ويحتمل ان يكون الحذف مبنيا على ان عزيرا مرفوع بالابتدآء وابن صفته والخبر محذوف اى عزير ابن الله نبينا او امامنا او صاحبنا وقد تقرر ان لفظ الابن متى وقع صفة بين علمين غير مفصول بينه وبين موصوفه حذفت ألفه خطا وتنوين موصوفه لفظا وزيف المصنف هذا الاحتمال بناء على مانقل عن عبد القاهر الجرجاني انه قال في كتابه دلائل الاعجاز ان الاسم اذا وصف بصفة ثم اخبر عنه انصرف الحكم الى الخبر فمن كذبه انصرف تكذيبه الى الخبر وصار ذلك الوصف مسلما فلو تعلق الانكار بقولهم عزير ابن الله معبود لتوجه الانكار الى كونه معبودا لهم وحصل تسليم كونه ابن الله تعالى ومن المعلوم ان ذلك كفر ﴿قوله اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم﴾ جواب عما يقال ان كل قول فانما يقال بالفم فما معنى قوله تعالى ذلك قولهم بأفواههم واجاب عنه بوجهين تقرير الاول ان القول وان كان لايتحقق الا بالفم الا ان قولهم قيد بأن يكون واقعا بأفواههم دفعا لتوهم ان يكون القول المسند اليهم مجازا عن بيان المراد بوجه آخر غير القاء اللفظ المسموع اليهم كالكتبة والاشارة ونحوهما من الافعال الدالة عليه فلما قيل بأفواههم تقرر ان القول الذي اسند اليهم هو القول الحقيقي لا المجازي وتقرير الثاني انه لو اقتصر على قوله ذلك قولهم بأفواههم لفهم ان قولهم ذلك له معنى ثابت في قلوبهم متأيد بالبرهان والدليل فقيل بأفواههم ليعلم ان ذلك القول ليس الا لفظا يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالالفاظ المهملة فان القول بأن له تعالى ولدا ليس له معنى يقبله العقل للعلم بانه تعالى منزه عن الحاجة والشهوة والصاحبة فما هو الا مجرد لفظ يقال بالفم كالمهمل ﴿قوله والهمز لغة فيه﴾ قرأ العامة يضاهون بضم الهاء بعدها واو وقرأ عاصم بهاء مكسورة بعدها همزة مضمومة بعدها واو فهما بمعنى واحد وهو المشابهة وفيه لغتان ضاهأت وضاهيت ﴿قوله بأن اطاعوهم او بالسجود لهم﴾ يؤيد الاول ماروي ان عدي بن حاتم كان نصرانيا وقال اتيت رسول الله عليه الصلاة والسلام وفي عنقي صليب من ذهب وهو يقرأ سورة برآءة فقال ياعدي اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته ثم انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقلت انا لسنا نعبدهم فقال عليه الصلاة والسلام * أليسوا يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ماحرم الله فتستحلونه * فقلت بلى قال * فذلك عبادتهم * ويؤيد الثاني مايشاهد من ان الجهال والحشوية اذا بالغوا في تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى القول بالحلول والاتحاد وذلك الشيخ اذا كان طالبا للدنيا بعيدا عن الدين فقد يلقي اليهم ان الامر كما يقولون ويعتقدون ولو خلا ببعض الحمقاء من اتباعه فربما ادعى الالهية والربوبية واذا كان هذا مشاهدا في هذه الامة فكيف يبعد ثبوته في الامم السالفة وقد روي ان النسطورية من النصارى يزعمون ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة وان عيسى ومريم لهما ناسوتية ولاهوتية والاحبار جمع حبر وقيل جمع حبر بالكسر وقيل هما لغتان بمعنى وهو الفقيه العالم ذميا كان او مسلما بعد ان يكون من اهل الكتاب قال اهل المعنى الحبر العالم الذي صناعته تحبير المعاني بحسن البيان عنها والراهب الذي تمكنت الخشية والرهبة من قلبه وظهرت آثار الرهبة على وجهه ولسانه فصار الاحبار مختصا بعلماء اليهود من ولد هرون عليه الصلاة والسلام والرهبان بعلماء النصارى اصحاب الصوامع ﴿قوله تعالى والمسيح بن مريم﴾ عطف على رهبانهم والمفعول الثاني محذوف وتقدير الكلام اتخذ اليهود احبارهم اربابا والنصارى رهبانهم والمسيح بن مريم اربابا اطلق الضمير في اتخذوا وان كان منقسما

(ويأبى الله) اى لا يرضى (الا ان يتم نوره) باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم فى طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه فى معنى النفى (ولو كره الكافرون) محذوف الجواب لدلالة ماقبله عليه (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرّر (ولو كره المشركون) غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير فى ليظهره للدين الحق او للرسول عليه السلام واللام فى الدين للجنس اى على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم (يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل) يأخذونها بالرشى فى الاحكام سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه (ويصدّون عن سبيل الله) دينه (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله) يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة فى وصفهم بالحرص على المال والضن به وان يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدّون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضى الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها مابقى من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادّى زكاته فليس بكنز اى بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفرآء او بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد منه من لم يؤدّ حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدّى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره (فبشرهم بعذاب اليم) هو الكىّ بهما (يوم يحمى عليها فى نار جهنم) اى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علىّ رضى الله تعالى عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة ومافوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيها للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التموّل او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) لان جمعهم وامساكهم اياه كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية اولانهم ازورّوا عن السائل وأعرضوا عنه وولوه ظهورهم اولانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الأعضاء الرئيسة التى هى الدماغ والقلب والكبد اولانها اصول الجهات الاربع التى هى مقادم البدن ومآخره وجنباه (هذا ماكنزتم) على ارادة القول (لانفسكم) لمنفعتها وكان عين مضرّتها وسبب تعذيبها (فذوقوا ما كنتم تكنزون) اى وبال كنزكم اوما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون (ان عدّة الشهور) اى مبلغ عددها (عند الله) معمول عدّة لانها مصدر (اثنا عشر شهرا فى كتاب الله) فى اللوح

الى اليهود والنصارى لا من المبس ﴿قوله وقيل انه تمثيل﴾ عطف على مايفهم مما سبق وهو ان يكون المجاز فى المفرد بأن يكون اطفاء نور الله مستعارا لابطال دلائل الحق وجنده ﴿قوله او على اهلها﴾ يعنى على تقدير ان يكون ضمير ليظهره للرسول صلى الله عليه وسلم يجب ان يقدر مضاف فى قوله على الدين ﴿قوله سمى اخذ المال اكلا﴾ يعنى ان الاحبار علماء اليهود والرهبان عباد النصارى بحسب العرف المقصود وصفهم بحب الدنيا ومزيد الحرص والطمع فى اخذ اموال الناس بأىّ طريق امكن لا بنفس الاكل فقط الا انه عبر عن الاخذ باسم ماهو اعظم مقاصده ولما كان معظم مقاصد اهل الدنيا المال والجاه وانهم يمنعون بهما عن تحصيل سعادة الآخرة وصف الله تعالى اكثر الاحبار والرهبان بكونهم مشغوفين بهذين الامرين اما المال فهو المراد بقوله ليأكلوا اموال الناس واما الجاه فهو المراد بقوله ويصدّون اى يمنعون الناس عن متابعة خيار الخلق ولاسيما عن متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون لاتباعهم ان الدين الحق هو الدين الذى انتم عليه ويلقنونهم انواع الشبهات والمكر والخديعة لئلا يزول رياستهم وجاههم ﴿قوله اى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها﴾ فتكون الكنوز المحمى عليها بايقاد النار ذات حرارة شديدة والنار فى نفسها حامية ذات حرّة فاذا وصفت بانها تحمى يدل ذلك على قوّة ايقادها وشدّة حرّها الجوهرى حميت النار بالكسر وحمى التنور حميا بالفتح فيهما اى اشتدّ حرّهما وحميت عليه بالكسر غضبت ثم جعل اصل ماذكر من التفسير تحمى الكنوز بالنار وهو ظاهر لان المقصود بيان ان الكنوز المكوى بها تجعل حارّة اشدّ الحرارة فتكوى بها اعضاؤهم المذكورة والعبارة الظاهرة الدالة على هذا المقصود ان يسند الاحماء الى الكنوز الا انه اسند الاحماء الى الجار والمجرور ولما كان الفعل مسندا الى الجار والمجرور حسن تذكيره واصل الكنز فى كلام العرب الجمع وكل شئ جمع بعضه الى بعض فهو مكنوز يقال هذا جسم مكتنز الاجزآء واختلف علماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى المراد بهذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو كنز المال وجمعه مع عدم الانفاق فيما امر الله تعالى ان ينفق فيه وقيل ان المال المكتنز اذا جمع فهو الكنز المذموم سوآء اديت زكاته او لم تؤدّ والقائل بهذا القول تمسك بعموم هذه الآية فان ظاهرها يدل على المنع من جمع المال فالمصير الى ان الجمع مباح بعد اخراج الزكاة ترك لظاهر هذه الآية فلا يصار اليه الا بدليل منفصل وبما روى انه لما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام * تبا للذهب تبا للفضة * قالها ثلاثا فقالوا اىّ مال نتخذه قال * لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه * وبما روى عن علىّ رضى الله عنه انه قال كل مال زاد على اربعة آلاف فهو كنز اديت منه الزكاة او لم تؤدّ ﴿قوله لان جمعهم وامساكهم اياه﴾ بيان لوجه تخصيص هذه الاعضاء الثلاثة بالكى * وتقريره ان مقصود الكانز من جمع المال لما كان طلب الوجاهة بالغنى تعلق الكى بأعلى وجهه فلما قصد به ايضا التنعم بالمطاعم الشهية التى ينتفخ بسببها الجنبان والملابس البهية التى تطرح على الظهر تعلق الكى بالجنوب والظهور ايضا ﴿قوله اولانهم ازورّوا عن السائل﴾ اى عدلوا عنه بان صرفوا وجوههم عن جانبه واعرضوا عنه بأن يولوه جنوبهم وظهورهم عن ابى بكر الوراق خصت هذه المواضع بالذكر لان صاحب المال اذا رأى الفقير قبض جبهته واذا جلس الفقير بجنبه تباعد عنه وولاه ظهره ﴿قوله او فى حكمه﴾ اى ويحتمل ان يكون المراد بالكتاب فى هذه المواضع الحكم والايجاب كما فى قوله تعالى كتب عليكم القتال كتب عليكم القصاص كتب ربكم على نفسه الرحمة فقوله تعالى فى كتاب الله اى فيما اوجبه وحكم به وقوله فى كتاب الله صفة لاثنا عشر والتقدير اثنا عشر مثبتة فى كتاب الله ويوم متعلق بالاستقرار المدلول عليه بالجار والمجرور وهو فى كتاب الله صفة لاثنا عشر فحينئذ يكون الكتاب عبارة عن اللوح المحفوظ ولا يراد به المصدر لان الظروف لا تتعلق باسماء الاعيان فلا يقال غلامك يوم الجمعة والتقدير ان عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله اى فى حكمه الواقع يوم خلق السموات والارض وقوله منها اربعة حرم يجوز ان يكون حالا من الضمير فى الاستقرار وان يكون مستأنفا ومعنى كونها حرما ان المعصية فيها اشدّ عقابا والطاعة فيها اشدّ ثوابا والعرب كانوا يعظمونها جدّا حتى لو لقى الرجل قاتل ابيه او ابنه لم يتعرّض له * واعلم ان السنة عند العرب عبارة عن اثنى عشر شهرا من الشهور القمرية وعند سائر الطوآئف عبارة عن المدّة التى تدور الشمس فيها دورة تامة والسنة القمرية اقل من السنة الشمسية بمقدار معلوم وبسبب ذلك النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا فى الشتاء مرّة وفى الصيف اخرى وكان يشق الامر عليهم بسبب هذا الانتقال وايضا اذا ارادوا التجارة فربما كان ذلك الوقت غير موافق لحضور اسباب التجارات من الاطراف فكان يشق عليهم تحمل اسباب

وقوله (يوم خلق السموات والارض) متعلق ...
(منها اربعة حرم) واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم (ذلك الدين القيم) اى تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما (فلا تظلموا فيهن انفسكم) بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأوّلوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزراً كارتكابها في الحرم و حال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم او في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاوّل ما روى انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوّال وذي القعدة (وقاتلوا

المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال (واعلموا ان الله مع المتقين) بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم (انما النسيء) اى تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاءهم شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرّموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرّد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسيّ بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا أخره (زيادة في الكفر) لانه تحريم ما احله الله وتحليل ماحرّمه الله فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم (يضل به الذين كفروا) ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله تعالى (يحلونه عاما) يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرّمون مكانه شهرا آخر (ويحرمونه عاما) فيتركونه على حرمته قيل اوّل من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرّم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرّمت عليكم المحرّم فحرّموه والجملتان تفسير للضلال او حال (ليواطئوا عدة ما حرّم الله) اى ليوافقوا عدة الاربعة المحرّمة واللام متعلقة بيحرّمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين (فيحلوا ما حرّم الله) بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت (زين لهم سوء اعمالهم) وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم وأضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا (والله لا يهدي القوم الكافرين) هداية موصلة الى الاهتداء (يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم) تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وأثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ (الى الارض) متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدّى بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم (أرضيتم بالحياة الدنيا) وغرورها (من الآخرة) بدل الآخرة ونعيمها (فما متاع الحياة الدنيا) فما التمتع بها (في الآخرة) في جنب الآخرة (الا قليل) مستحقر (الا تنفروا) ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه (يعذبكم عذابا اليما) بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدوّ (ويستبدل قوما غيركم) ويستبدل بكم آخرين مطيعين كأهل اليمن وابناء فارس (ولا تضرّوه شيئا) اى لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغنيّ عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام اى ولا تضرّوه فان الله وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق (والله على كل شيء قدير) فيقدر على تبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله) اى ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره (اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين) ولم يكن معه

تجارتهم بهذا السبب فلهذا السبب اقدموا على الكبيسة واعتبروا حال السنة الشمسية وعند ذلك بقي زمان الحج مختصا بوقت واحد معين موافق لمصالحهم كمصلحتهم المتعلقة بالدنيا وانتفعوا بتجاراتهم ومصالح معاشهم وحصل لهم بسبب الكبيسة امران احدهما انهم كانوا يجعلون بعض السنين ثلاثة عشر شهرا بسبب اجتماع تلك الزيادات والثاني انه كان ينتقل الحج من بعض الشهور العربية الى غيره وكان الحج يقع في بعض السنين في ذي الحجة وفي بعضها في صفر وهكذا على الدور حتى ينتهي بعد مدة مخصوصة مرة اخرى الى ذي الحجة وكل من الزيادة في عدد الشهر والسنة تأخير الحرمة الحاصلة لشهر الى شهر وبناء امر العبادات على السنة الشمسية وان كان موافقا لرعاية مصالح الدنيا الا انه مخالف لحكم الله تعالى وموجب لتغيير تكاليفه فانه تعالى امرهم من زمان ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام ببناء الامر على رعاية السنة القمرية وهم تركوا امر الله في رعاية السنة القمرية واعتبروا السنة الشمسية رعاية مصالح دنياهم فلذلك استوجبوا الذم الواقع في هذه الآية ﴿قوله وقع موقع الحال﴾ اما من الفاعل او من المفعول اى قاتلوهم مجتمعين انتم او اياهم ﴿قوله حتى رفضوا خصوص الاشهر﴾ لانهم كانوا اصحاب حروب وغارات فربما كان يشق عليهم ان يمكثوا ثلاثة اشهر متوالية لا يغزون فيها فكانوا يؤخرون تحريم المحرّم الى صفر فيحرّمونه ويستحلون المحرّم فيمكثون بذلك زمانا ثم يرون التحريم الى المحرّم ولا يفعلون ذلك في ذي الحجة الا اذا اجتمعت العرب للموسم فينادي مناد ان أحلوه وحرّموا مكانه شهرا آخر فيتغير شهر الحج ايضا ولما فتح الله تعالى مكة سنة ثمان من الهجرة وقف النبي بعرفة وقال يا ايها الناس ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فلا شهر ينسأ ولا عدة تخطأ وان الحج في ذي الحجة الى يوم القيامة ﴿قوله واعتبروا مجرّد العدد﴾ بأن قالوا الاشهر الحرم اربعة وقد حرّمنا اربعة اشهر وتركوا حرمة خصوص الشهور رعاية احد الواجبين قرأ الجمهور انما النسيء بالهمزة بعد الياء وهو مصدر على فعيل من انسأ بمعنى أخر كالنذير من انذر والنكير من انكر او من نسأه اى أخره فهو منسوء ويرد عليه انه كيف يجوز ان يخبر عن النسيء بمعنى المؤخر بأنه زيادة والمؤخر هو الشهر لا يكون زيادة في الكفر واجيب بانه على حذف مضاف اما من الاوّل والتقدير انما زيادة النسيء واما من الثاني اى انما النسيء ذو زيادة في الكفر ﴿قوله والنسء﴾ اى بسكون السين قبل الهمزة والنساء بالمد مصدر نسأت الشيء نسأ اى أخرته وكذا انسأته كفعلت وافعلت بمعنى ونسأت عنه دينه اذا أخرته نساء بالمد كذا في الصحاح ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل﴾ اى بضم الياء وفتح الضاد والمضل هو الله تعالى حقيقة والشيطان بتسويله وقرأ باقي السبعة يضل بفتح الياء وكسر الضاد ويحسن اسناد الضلال الى الذين كفروا سواء اضلوا غيرهم ام لا ﴿قوله يحلون النسيء من الاشهر﴾ اشار به الى قول من قال ان النسيء فعيل بمعنى مفعول ﴿قوله اى ليوافقوا﴾ يعني ان المواطأة عبارة عن الموافقة والاجتماع يقال تواطأوا على كذا اى اجتمعوا عليه كأن كل واحد يطأ حيث يطأ الآخر ﴿قوله واللام متعلقة بيحرمونه﴾ وهو مقتضى مذهب البصريين فانهم يعملون الثاني من المتنازعين لقربه ومذهب الكوفيين يقتضي ان تكون متعلقة بيحلونه لانهم يعملون الاوّل لسبقه ومعنى موافقتهم العدة انهم لا يحلون شهرا من الحرام الا حرّموا مكانه شهرا من الحلال ولا يحرّمون شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من الحرام ويقولون الاشهر الحرم اربعة وقد حرّمنا اربعة اشهر فيتوافقون على رعاية نفس العدد ويلغون حرمة خصوص ما حرّمه الله من الاشهر وهو قوله تعالى فيحلوا ما حرّم الله ﴿قوله وقرئ تثاقلتم على الاصل﴾ واثاقلتم ادغمت تاء التفاعل فيما بعدها فاحتيج الى همزة الوصل للابتداء لما ذكر الله تعالى فضائح الكفار عاد الى الترغيب في مقاتلتهم ومعاتبة المؤمنين حيث قيل لهم وقاتلوا المشركين كافة وانه عليه الصلاة والسلام لما امر بجهاد الروم وامرهم ان يتأهبوا لذلك شق عليهم الخروج وتثاقلوا لكون الناس والبلاد في جدب وعسرة وشدة حر وطابت ثمار المدينة وظلالها حينئذ وقوله تعالى مالكم استفهام بمعنى التوبيخ وقوله انفروا في سبيل الله اى اخرجوا الى الغزو ويقال نفر القوم ينفرون نفرا ونفيرا اذا خرجوا الى مكان لامر واجب الخروج والقوم الذين يخرجون يقال لهم النفير ﴿قوله ضمن معنى الاخلاد﴾ اى تثاقلتم مائلين الى ارضكم والاقامة فيها بالبلوغ ثمارها وطيب ظلالها وتعب الخروج للغزو وشدة الحرارة وكثرة العدو والشقة السفر البعيد والمسافة التي تقطع بمشقة ﴿قوله وقيل الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام﴾ ولا يخفى انه على الاوّل كان لله تعالى ﴿قوله لحذف الجزاء﴾ لان قوله فقد نصره الله لوقوع مضمونه قبل وقوع مضمون الشرط لا يصلح جزاء مترتبا على وقوع الشرط في المستقبل وكونه كالدليل على ما هو الجزاء حقيقة من

واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال (اذ هما في الغار) بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان او ظرف لثاني (لصاحبه) وهو ابو بكر رضي الله تعالى عنه (لا تحزن ان الله معنا) بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق ابو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه (فأنزل الله سكينته) أمنته التي تسكن عندها القلوب (عليه) على النبي او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا (وايده بجنود لم تروها) يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يعني الشرك او دعوة الكفر (وكلمة الله هي العليا) يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم من ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او تأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل (والله عزيز حكيم) في امره وتدبيره (انفروا خفافا) لنشاطكم له (وثقالا) عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي ان أنفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج

حيث انه تعالى لما نصره وقواه حال كونه لم يكن معه الا رجل واحد ظهر انه سينصره ويظهر دينه اليوم وان تثاقل من استنفره من الموصوفين لاتضاح امر نبوته وحقية دينه وكثرة اتباعه عددا وعددا فالمذكور بمنزلة القياس الجلي كأنه قيل ان لا تنصروه فقد نصره الله فيما مضى وهو اضعف حالا واقل رجالا فكذا ينصره في المستقبل فان النصرة الماضية بمنزلة الدليل لنصرته الآتية والوجه الثاني قريب من الاول لاشتراكهما في حمل الكلام على حذف الجواب وكون المذكور بمنزلة القياس الجلي فكأنه استدل على النصرة الموعودة الواقعة في زمان القوة والكثرة بالنصرة الماضية الواقعة في زمان الضعف والقلة ولاشك ان الموعدة اولى من السابقة وعلى الثاني بمنزلة الاستصحاب المعلوم للمخاطبين فكأنه استدل على النصرة الموعودة بعلم المخاطبين بانه من المنصورين وقد تحقق علمهم وذكر الزمان لتذكيرهم نصره اياه كأنهم يشاهدونه فالمعنى ان لا تنصروه فقد عرفتم انه من المنصورين لا من المخذولين فالله تعالى ينصره في المستقبل بناء على ما كان ﴿قوله واسناد الاخراج الى الكفرة﴾ مع ان المسند اليهم ليس الا الهم باخراجه او قتله وهو عليه الصلاة والسلام انما خرج باذن الله تعالى لا باخراج الكفرة اياه ﴿قوله ونصبه على الحال﴾ فانه في موضع النصب سواء قرئ بفتح الياء على اللغة المشهورة او باسكانها على لغة من يقول رأيت رامي القوم بحذف حركة الياء تشبيها لها بالالف في نحو رأيت عصا القوم ومعنى ثاني اثنين احد اثنين فانه اذا حضر اثنان في موضع يكون كل واحد منهما ثانيا للآخر فيقال فلان ثاني اثنين ويراد انه احدهما ليس معهما ثالث فمعنى الآية فقد نصره الله احد اثنين اي نصره منفردا الا عن ابي بكر رضي الله عنه وكفى بهذا دليلا على فضل ابي بكر رضي الله عنه على سائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين حيث استخلصه رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في مثل تلك الحالة قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في حقه

❊ وثاني اثنين في الغار المنيف لقد ❊ طاف العدو به اذ صاعد الجبلا ❊

❊ وكان في مثل تلك الحال صاحبه ❊ دون الخلائق لم يعدل به بدلا ❊

وقصة الهجرة ان قريشا ومن بمكة من المشركين لما اجتمعوا في دار الندوة وتعاهدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم امره الله ان يخرج هو وابو بكر الى الغار ثم يتوجه الى المدينة فخرج هو وابو بكر اول الليل الى الغار وامر عليا ان يضطجع على فراشه ليمنعهم سواد علي من طلبه حتى يبلغ هو وصاحبه الى ما امر الله ان يبلغا قالت عائشة رضي الله عنها فبينما نحن يوما جلوس في بيت ابي بكر وقت الظهيرة اذ قال قائل لابي بكر هذا رسول الله عليه الصلاة والسلام جاء متقنعا فاستأذن علينا وليس من عادته ان يأتينا في مثل تلك الساعة فاذن له فدخل فقال لابي بكر أخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بأبي انت وامي يا رسول الله قال فاني قد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر فالصحبة بأبي انت وامي يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتي هاتين فقال عليه الصلاة والسلام بالثمن وكان اشتراهما بثمانمائة فاخذ رسول الله عليه الصلاة والسلام القصوى وكانت عنده يغزو عليها المغازي ويحج عليها حتى ماتت في خلافة ابي بكر رضي الله تعالى عنه قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فجهزناهما باخف الجهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب فوضعنا فيها شيأ من اللحم والخبز فخرج عليه الصلاة والسلام ليلا من بيته وانتهى الى بيت ابي بكر فخرجا معا وكان ابو بكر استأجر عبدالله بن اريقط ودفع اليه الراحلتين وواعده ان يعاودهما بعد ثلاث ليال وذهبا حتى وصلا الى الغار فدخل ابو بكر الغار يلتمس ما في الغار فقال له عليه الصلاة والسلام مالك فقال ابو بكر بابي انت وامي انه مأوى السباع والهوام فان كان فيه شئ كان بي لا بك وكان في الغار جحر فوضع عقبه فيه لئلا يخرج ما يؤذي الرسول فمكثا فيه ثلاث ليال واتى عبدالله بالراحلتين صباح الليلة الثالثة ﴿قوله هي العليا﴾ يجوز ان تكون هي مبتدأ ثانيا والعليا خبره والجملة خبر الاول ويجوز ان تكون هي فصلا والخبر العليا ﴿قوله قال ابن ام مكتوم له عليه الصلاة والسلام أعلي ان انفر قال نعم﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام قال في جوابه ما انت الا خفيف أو ثقيل يعني انه تعالى استنفر الخفيف والثقيل فيجب على كل واحد منهما فلما اجاب عليه الصلاة والسلام ابن ام مكتوم ذهب الى اهله فتقلد بسلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله تعالى ليس على الاعمى حرج وقيل انه منسوخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فان ظاهر الآية يوجب النفر على المؤمنين كافة قال مجاهد رضي الله تعالى عنه ان ابا ايوب شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن الغزوات مع المسلمين ويقول قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا ولا يخلوا احد من كونه

﴿وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله﴾ بما امكن لكم كليهما اواحدهما ﴿ذلكم خيرلكم﴾ من تركه ﴿ان كنتم تعلمون﴾ الخير علمتم انه خير اوان كنتم تعلمون انه خيراذا خبار الله به صدق فبادروا اليه ﴿لوكان عرضا﴾ اى لوكان مادعوا اليه نفعادنيويا ﴿قريبا﴾ سهل المأخذ ﴿وسفرا قاصدا﴾ متوسطا ﴿لاتبعوك﴾ لوافقوك ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ المسافة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين ﴿وسيحلفون بالله﴾ اى المتخلفون اذا رجعت من تبوك متعذرين ﴿لواستطعنا﴾ يقولون لوكان لنا استطاعة العدة أوالبدن وقرئ لواستطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير فى قوله اشتروا الضلالة ﴿لخرجنامعكم﴾ سادّ مسدّ جوابى القسم والشرط وهذامن المعجزات لانه اخبار عماوقع قبل وقوعه ﴿يهلكون انفسهم﴾ بأيقاعهافى العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس فى الهلاك او حال من فاعله ﴿والله يعلم انهم لكاذبون﴾ فى ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج ﴿عفاالله عنك﴾ كناية عن خطأه فى الاذن فان العفو من روادفه ﴿لم اذنت لهم﴾ بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاىّ شئ اذنت لهم فى القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ فى الاعتذار ﴿وتعلم الكاذبين﴾ فيه قيل انمافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفدآء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما ﴿لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخرأن يجاهدوا باموالهم وانفسهم﴾ اى ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك فى ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوا فى التخلف عنه اوأن يستأذنوك فى التخلف كراهة ان يجاهدوا ﴿والله عليم بالمتقين﴾ شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بالثواب ﴿انما يستأذنك﴾ فى التخلف ﴿الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر فى الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما ﴿وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون﴾ يتحيرون ﴿ولوارادوا الخروج لأعدوا له﴾ للخروج ﴿عدّة﴾ اهبة وقرئ عدّه بحذف التاء عند الاضافة كقوله

خفيفا او ثقيلا ﴿قوله خيرلكم من تركه﴾ فان قيل مامعنى كون الجهاد خيرا من تركه والحال انه لاخير فى تركه اجيب بان معناه ان مايستفاد بالجهاد من ثواب الآخرة خير مما يستفيده القاعد عنه من الراحة وسعة العيش والتنعم بهما ﴿قوله اى لوكان مادعوا اليه نفعادنيويا﴾ اشارة الى ان اسم كان محذوف لدلالة ماتقدم وهو الجهاد وان العرض وهو ماعرض لك من منافع الدنيا عرض حاضر يأكل منه البرّ والفاجر لمابالغ فى ترغيب المؤمنين فى الجهاد عاد الى تقرير كونهم متثاقلين مائلين الى الاقامة بأرضهم وبين ان المدعوّ اليه لوكان عرضا قريبا وسفرا سهلا لاتبعوك سمى المتوسط بين طرفى الافراط والتفريط قاصدا بمعنى ذى قصد كقولهم تامر ولابن من حيث انه يقصده كل احد ﴿قوله سادّ مسدّ جوابى القسم والشرط﴾ فانهما اذا اجتمعاو تقدم القسم على الشرط يجعل المذكور بعدهماجوابا للقسم ويحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه ﴿قوله تعالى لم اذنت لهم﴾ كل واحد متعلق بأذنت وجاز ذلك لان معنى اللامين مختلف فالاولى للتعليل والثانية للتبليغ ومتعلق الاذن محذوف اى لم اذنت لهم فى القعود حذف لدلالة ماسبق من اعتذارهم عن تخلفهم عنه عليه الصلاة والسلام ثم ان قوله عفاالله عنك لم اذنت لهم يدل على ان ذلك التخلف كان باذن الرسول عليه الصلاة والسلام فجعل المصنف ذلك الاذن منه خطأ بناء على انّ الاستفهام فى قوله لم اذنت لهم للانكار ويكون العفو كناية عن الخطأ وهذا الخطأ ليس من قبيل الذنب بل هو من قبيل ترك الاولى بناء على انه خطأ فى الاجتهاد فانه عليه الصلاة والسلام اجتهد فى تلك الواقعة وغاية مافى الباب انه لم يصب فى اجتهاده والمجتهد اذا اخطأ فله اجر فان العلماء قد احتجوا بهذه الآية على انه عليه الصلاة والسلام قد يحكم بالاجتهاد فى بعض وقائع وبدخوله عليه الصلاة والسلام تحت قوله تعالى فاعتبروا يااولى الابصار وهو عليه الصلاة والسلام سيد اولى الابصار فكان مأمورا بالاعتبار ايضا نقل الامام عن قتادة وعمر بن ميمون اثنان فعلهما الرسول عليه الصلاة والسلام لم يؤمر فيهما بشئ اذنه للمنافقين واخذه الفدآء من الاسارى فعاتبه الله عليهما كما تسمعون وعن سفيان بن عيينة انه قال انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ان يعير بالذنب ثم قال قوله تعالى عفاالله عنك لايستدعى سابقة الذنب فانه يجوز ان يقال انه تعالى قال ذلك للمبالغة فى تعظيم رسوله وتوقيره بافتتاح الكلام بالدعاء له كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما عنده عفاالله عنك ماصنعت فى امرى ورضى عنك ماجوابك عن كلامى وغرضه من هذا الكلام التعظيم والتبجيل قال على ابن الجهم يخاطب المتوكل وقد امر بنفيه

عفا الله عنك ألاحرمة	تجود بفضلك يا ابن الندا
ألم تر عبدا عدا طوره	ومولى عفا ورشدا هدى
أقلنى اقالك من لم يزل	يقيك ويصرف عنك الردى

ولوسلمنا ان قوله عفاالله عنك يستدعى سابقة الذنب لكن لانسلم ان قوله لم اذنت لهم مقول على سبيل الانكار عليه لانه عليه الصلاة والسلام لايخلوا اما ان يكون صدر عنه ذنب فى هذه الواقعة اولم يصدر عنه ذنب فعلى كل تقدير يمتنع ان يكون قوله تعالى لم اذنت لهم انكارا عليه اما على التقدير الاوّل فلانه اذا لم يصدر عنه ذنب فكيف يتوجه عليه الانكار واما على التقدير الثانى فلان قوله عفاالله عنك يدل على حصول العفو عنه وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فظهر بطلان من احتج بهذه الآية على صدور الذنب عنه عليه الصلاة والسلام من وجهين الاوّل ان العفو يستدعى سابقة الذنب والثانى ان الاستفهام الانكارى فى لم اذنت لهم يدل على ان ذلك الاذن كان معصية وذنبا بل الآية محمولة على انه تعالى عاتب نبيه على ترك الاولى والاكمل وعن قتادة انه تعالى عاتبه فى هذه الآية كما تسمعون ثم رخص له فى سورة النور حيث قال فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ﴿قوله اى ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك فى ان يجاهدوا﴾ حمل الكلام على نفى الاستمرار والاعتياد بناء على حمل لفظ المضارع على الاستمرار كما فى قولهم فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم فلما دخله النفى دل الكلام على نفى الاستمرار وان يكون عادتهم الاستئذان وان وقع ذلك منهم نادرا وجعل قوله تعالى ان يجاهدوا فى موضع الجرّ بان كان اصله فى ان يجاهدوا فحذف الجار واوصل الفعل ثم اشار الى احتمال آخر وهو ان يكون متعلق الاستئذان محذوفا ويكون قوله يجاهدوا فى موضع النصب على انه مفعول من اجله والمعنى ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك كراهة ان يجاهدوا ﴿قوله وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة﴾ كما حذف من لفظ عدة

... ابعاثهم) استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ماخرجوا

ولكن تثبطوا لانه تعالى كره ابعاثهم اى نهوضهم للخروج (فثبطهم) فحبسهم بالجبن والكسل (وقيل اقعدوا مع القاعدين) تمثيل لالقاءالله كراهة الخروج فى قلوبهم اووسوسة الشيطان بالامر بالقعود اوحكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول عليه السلام لهم و القاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لايخلو عن ذم

(لوخرجوا فيكم مازادوكم) بخروجهم شيأ (الاخبالا) فساد اوشرا ولايستلزم ذلك انيكون لهم خبال حتى لوخرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار أعم العام الذى وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لايكون مفرغا (ولأوضعوا خلالكم) ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة وللتضرية اوالهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع (يبغونكم الفتنة) يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيمابينكم اوالرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى أوضعوا (وفيكم سماعون لهم) ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم (والله عليم بالظالمين) فيعلم ضمائرهم ومايتأتى منهم (لقد ابتغوا الفتنة) تشتيت امرك وتفريق اصحابك (من قبل) يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ماخرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآرآء فى ابطال امرك (حتى جاء الحق) النصر والتأييد الالهى (وظهر امر الله) وعلا دينه (وهم كارهون) اى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ماثبطهم الله لاجله وكره ابعاثهم له وهتك أستارهم وكشف أسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول عليه الصلاة والسلام بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه (ومنهم من يقول ائذن لى) فى القعود (ولاتفتنى) ولاتوقعنى فى الفتنة اى العصيان والمخالفة بان لاتأذن لى وفيه اشعار بانه لامحالة متخلف اذن له اولم يأذن اوفى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذلاكافل لهم بعدى اوفى الفتنة بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار انى مولع بالنساء فلاتفتنى ببنات اصفر ولكنى اعينك بمالى فاتركنى (الافى الفتنة سقطوا) اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف او ظهور النفاق لاما احترزوا عنه (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) جامعة لهم يوم القيامة اوالآن لاحاطة اسبابها بهم (ان تصبك) فى بعض غزواتك (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم) لفرط حسدهم (وان تصبك) فى بعضها (مصيبة) كسر اوشدة كما اصاب يوم احد (يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل) تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم فى التخلف (ويتولوا) عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له اوعن الرسول صلى الله عليه وسلم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الاماكتب الله لنا) الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة اوماكتب لأجلنا فى اللوح المحفوظ ولايتغير بموافقتكم ولابمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا

فى قوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا * اصله عدة الامر فانهم يحذفون التاء لاجل الاضافة كما يحذفون التنوين ومنه قوله تعالى واقام الصلاة وقرأ الجمهور عدة بضم العين وتاء التأنيث وهى الزاد والراحلة وجميع مايحتاج اليه المسافر والمعنى عدته فلما تركت الاضافة نونت الكلمة ﴿قوله استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج﴾ جواب عما يقال من حق حرف الاستدراك ان يتوسط بين كلامين متغايرين نفيا واثباتا بينهما نوع تقابل ولاتقابل ههنا بين الطرفين لان قوله تعالى ولو ارادوا الخروج لأعدوا له معناه انهم لم يريدوا الخروج فلم يستعدوا له وقوله ولكن كره الله انبعاثهم معناه لكن لم يرد انبعاثهم فكيف استدرك على نفى ارادتهم الانبعاث بنفى ارادة الله تعالى انبعاثهم ولاتقابل بينهما بوجه ما وتقرير الجواب ان قوله تعالى ولو ارادوا الخروج وان كان معناه نفى ارادتهم لكنه يستلزم خروجهم وقوله كره الله انبعاثهم يستلزم تثبيطهم عن الخروج فيؤول الى معنى لم يخرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج وهو كلام منتظم لانه استدراك على نفى الشئ باثبات ضده كما يستدرك على نفى الاحسان باثبات الاساءة والتثبيط صرف الانسان عن الفعل الذى يهم به ﴿قوله تمثيل﴾ لما كان الظاهر انيكون القائل هو الله تعالى ويكون العدول الى بناء المفعول لتعظيم الفاعل وظاهر انه لم يأمرهم بالقعود حمل الكلام على التمثيل ﴿قوله ولاجل هذا التوهم﴾ اى توهم ان الاستثناء المتصل يستلزم انيكون فى اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام خبال وفساد جعل الاستثناء منقطعا والمعنى مازادوكم قوة ولاشدة ولكن خبالا وفى التيسير وليس معنى قوله مازادوكم الاخبالا انهم كانوا فى فساد والمنافقون زادوا فى فسادهم ولكن معناه لوخرجوا فيكم اى فيما بينكم مازادوكم قوة لكن اوقعوا افسادا بالتجبين وتهويل امر الكفرو التردد فى الرأى وتزيين امر لفريق وتقبيحه عند فريق آخر ليختلفوا فتفترق كلمتهم ولاينتظم امرهم انتهى وليس الاستثناء هنا منقطعا لان المستثنى منه فيه غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذى هو الشئ لان زاد يتعدى الى اثنين فيكون الاستثناء متصلا لان الخبال بعض من اعم العام ﴿قوله ولأسرعوا ركائبهم بينكم﴾ يعنى ان الايضاع حمل الراكب مركبه على الاسراع يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا ولايجوز ان يقال اوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا فيكون مفعول اوضعوا فى الآية محذوفا اى ركائبهم والخلال جمع خلل وهو الفرجة بين الشيئين والمراد من الآية السعى بينهم بالقاء مايهيج العداوة كالنميمة والتضرية وهو الاغراء ﴿قوله تعالى يبغونكم﴾ فى محل النصب على انه حال من فاعل اوضعوا اى حال كونهم باغين اى طاغين او طالبين الفتنة لكم ومعنى الفتنة ههنا افتراق الكلمة ﴿قوله تعالى وفيكم سماعون لهم﴾ يجوز انيكون حالا من مفعول يبغونكم او من فاعله وجاز الامران لان فى الجملة ضميريهما ويجوز انيكون مستأنفا والمعنى ان فيكم من يسمع لهم ويصغى لقولهم ويجوز انيكون المعنى فيكم جواسيس منهم يسمعون لهم الاخبار منكم فاللام على الاول للتقوية لكون العامل فرعا وعلى الثانى للتعليل اى لاجلهم ﴿قوله يعنى يوم احد﴾ فان ابن ابى انصرف يوم احد مع اصحابه وهم ثلاثمائة وبقى النبى صلى الله عليه وسلم مع خلص المؤمنين وهم سبعمائة وكذا ابتغوا الفتنة فى حرب الخندق حيث قالوا يااهل يثرب لامقام لكم فارجعوا وفى ليلة وقف اثنا عشر رجلا من المنافقين على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا به صلى الله عليه وسلم فاخبره الله تعالى بذلك وسلمه منهم فكان شأنهم تجبين المؤمنين عن لقاء العدو وتهويل امر عليهم فى الغزوات والفتك ان يأتى الرجل صاحبه وهو غافل حتى يشد عليه فيقتله وفى الحديث قيد الايمان الفتك اى لايفتك مؤمن ﴿قوله ودبروا المكايد﴾ يعنى ان المراد بتقليب الامر تصريفه وترديده لاجل التدبر والتأمل فيه ﴿قوله لماروى ان جد بن قيس﴾ روى انه صلى الله عليه وسلم لما تجهز لغزوة تبوك قال ياأباوهب هل لك فى جلاد بنى الاصفر يعنى الروم تتخذ منهم سرارى فوصفهن الخ فقال جد ائذن لى فى القعود ولاتفتنى بنساء الروم فانه قد علمت الانصار انى رجل مفرط فى التعلق بالنساء فاخشى ان افتتن ببنات الاصفر اى لااصبر عنهن فاواقعهن قبل القسمة فاقع فى الفتنة وفى الاثم اوفأشتغل بهن فيشغلنى ذلك عن طلب المعاش وعن الخروج للجهاد اى ذلك عذرى ولم يقبل الله تعالى عذره وبين انه قد وقع فى الفتنة بمخالفة النبى صلى الله عليه وسلم قال ابو العالية كان الاصفر رجلا من الحبشة ملك الروم فولد له بنات لعس لم ير مثلهن والعس جمع لعساء وهى المرأة التى لون الشفة منها يضرب الى السواد قليلا وذلك يستملح غاية الملاحة ﴿قوله وقرئ هل يصيبنا﴾ من غير تشديد الياء وقرئ ايضا بكلمة هل بدل لن وبتشديد الياء على انه مضارع فيعل اصله يصيوبنا لما اجتمعت الواو والياء

فيما قصدبه وقيل من الصوب (هو مولانا) ناصرنا ومتولى امرنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لان حقهم ان لايتوكلوا على غيره (قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسنيين) الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة (ونحن نتربص بكم) ايضا احدى السوءيين (ان يصيبكم الله بعذاب من عنده) بقارعة من السماء (او بايدينا) او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر (فتربصوا) ماهو عاقبتنا (انامعكم متربصون) ماهو عاقبتكم (قل انفقوا طوعا اوكرها لن يتقبل منكم) أمر في معنى الخبراى لن يقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا اوكرها وفائدته المبالغة في تساوى الانفاقين في عدم القبول كأنهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل امرين ان لايؤخذ منهم وان لايثابوا عليه وقوله (انكم كنتم قوما فاسقين) تعليل له على سبيل الاستئناف ومابعده بيان وتقرير له (ومامنعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله) اى ومامنعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقى وقرئ يقبل على ان الفعل لله (ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى) متثاقلين (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لايرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا (فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم) فان ذلك استدراج ووبال لهم كماقال (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا) بسبب مايكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب (وتزهق انفسهم وهم كافرون) فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبه فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة (ويحلفون بالله انهم لمنكم) لمن جملة المسلمين (وماهم منكم) لكفر قلوبهم (ولكنهم قوم يفرقون) يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية (لو يجدون ملجأ) حصنا يلجأون اليه

وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فيها ولوكان مضارع فعل كان حقه ان يقال هل يصوّبنا لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب * الجوهرى صاب السهم يصوب صوبا اى قصدولم يجر والقصد اتيان الشئ والجور الميل والعدول عن الطريق ﴿قوله واشتقاقه﴾ اى اشتقاق يصيبنا بالتشديد من الصواب وهو مقابل الخطأ لانه اى لان مدلوله وقوع الشئ فيما قصدبه وان لايخطأ فيه وقيل من الصوب وهو النزول وقوله تعالى قل لن يصيبنا جواب عن فرح المنافقين بما اصاب المؤمنين وقوله قل هل تربصون جواب ثان عنه وقوله او بايدينا اى ان اظهرتم مافى قلوبكم من الكفر والنفاق وقوله الا احدى الحسنيين مستثنى مفرّغ فى محل النصب على انه مفعول تربصون وقوله فتربصوا وان كان صيغة امر الا ان المراد منه التهديد اى فانتظروا مواعيد الشيطان انامنتظرون مواعيد الله تعالى من اظهار دينه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال * يضمن الله تعالى لمن خرج فى سبيله لايخرج الا ايمانا بالله وتصديقا برسوله ان يدخله الجنة او يرجعه الى منزله الذى خرج منه نائلا مانال من اجر او غنيمة * فدل هذا على ان احدى الحسنيين المغفرة او الجنة والاخرى احد الامرين على طريق منع الخلو وهو الاجر والغنيمة ﴿قوله امر فى معنى الخبر﴾ قال الفرآء والزجاج هذا لفظ امر ومعناه معنى الشرط اى ان انفقتم طائعين او كارهين لن يتقبل منكم انتهى صرف الامر عن اصل معناه لان قوله لن يتقبل منكم يأبى عن ابقائه على اصل معناه ﴿قوله وفائدته﴾ اى فائدة الخبر فى صورة الامر التأكيد والمبالغة فى بيان تساوى الامرين وعدم تفاوت الحال على كلا التقديرين ونحوه قول كثير عزة لعشيقته

* أسيئى بنا او احسنى لاملالة * لدينا ولا مقلية ان تقلّت *

فان فى صورة الامر تأكيدا لعدم تفاوت الحال كأنه يأمرها بذلك ليتحقق ثباته على العهد ويتبين غاية التبين وقوله ان تقلت اى ان تبغض كأنه يقول لها امتحنى قوة محبتى لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظرى هل يتفاوت حالى معك مسيئة كنت او محسنة والاخبار المجرّد لايفيد هذه المبالغة وكذا فى الآية لو اكتفى بان يقال لن يتقبل منكم انفقتم طوعا اوكرها لخلا الكلام عن الدلالة على المبالغة الحاصلة بايراد الكلام فى صورة الاخبار فانه فى قوّة ان يقال انفقوا على اىّ حال اردتم ثم انظروا هل يتقبل منكم ﴿قوله اى ومامنعهم قبول نفقاتهم﴾ الظاهر ان قبول مفعول ثان لمنع عدّى اليه الفعل بنفسه اوباسقاط حرف الجرّ اى مامنعهم من قبولها لان منع قد يتعدى الى مفعول ثان بنفسه فيقال منعت الشئ ومنعت فلانا حقه وقد يتعدى اليه بحرف الجرّ فيقال منعته من حقه ويحتمل ان يكون بدل اشتمال من الضمير المنصوب فى منعهم وفى فاعل منع وجهان اظهرهما انه قوله الا انهم كفروا اى مامنعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم والثانى انه ضمير الله تعالى اى ومامنعهم الله ويكون الا انهم منصوبا على اسقاط حرف الجرّ اى الا لانهم كفروا ﴿قوله تعالى ولا يأتون الصلاة ولا ينفقون﴾ معطوفان على قوله كفروا اى مامنعهم قبولها الا كفرهم وكسلهم فى اتيان الصلاة وكونهم كارهين للانفاق فان قلت كيف علل عدم قبول نفقاتهم بكراهتهم الانفاق مع ان المنافق لكونه فاقد الايمان الذى يبعث على النشاط فى اوّل العبادات يكون كسلان فى اتيان الصلاة ويكون كارها للانفاق * قلت انما علل عدم قبول نفقاتهم ههنا بالكفر وحده كما اشار اليه المصنف بقوله ومابعده بيان وتقرير له لان المذكور بعده مجموع الامور الثلاثة * فان قيل ظاهر الآية يدل على ان عدم القبول معلل بمجموع الامور الثلاثة وهو الكفر بالله ورسوله وعدم الاتيان بالصلاة الا على وجه الكسل وعدم الانفاق الا على سبيل الكراهة والحال ان الكفر سبب مستقل للمنع من القبول وعند حصول السبب المستقل لايبقى لغيره اثر فكيف يمكن اسنادا لحكم الى الفسق بالمعنى الاعم او الى الاسباب الباقية * اجاب الامام عنه بقوله هذا الاشكال انما يتوجه على قول المعتزلة القائلين بان الكفر لكونه كفرا يؤثر فى هذا الحكم ولا يتوجه على اهل السنة لان هذه الاسباب عندهم عرضيات غير موجبة للثواب ولا للعقاب واجتماع العرضيات الكثيرة على الشئ الواحد جائز عندهم ﴿قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الآية﴾ لما قطع الله تعالى فى هذه الآية الاولى رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة بين هنا ان الاشياء التى يظنونها من منافع الدنيا فانه تعالى جعلها اسبابا لتعذيبهم فى الدنيا والاعجاب هو السرور بالشئ مع نوع من الافتخار به ومع اعتقاد انه ليس لغيره مايساويه به ثم شاع استعماله فى السرور بما يتعجب منه مطلقا يقول لايعجبك ما انعمنا عليهم من الاولاد والاموال فان العبد اذا كان مستدرجا كثر ماله وولده ﴿قوله حصنا يلجأون اليه﴾ يعنى ان ملجأ مفعل

من لجأ اليه اى لاذبه والملجأ يصلح للمصدر والزمان والمكان والظاهر انه محمول هنا على المكان والمغارات جمع مغارة وهى مفعلة وهى الموضع الذى يغور الانسان فيه اى يستتر وكل شئ سترت فيه وغبت فهو مغارة لك والمدّخل مفتعل من الدخول وهو بناء مبالغة فى هذا المعنى والاصل مدتخل فادغمت الدال فى تاء الافتعال كما فى ادّان من الدين والمتدخل اسم مفعول من تدخل وبناء التفعّل يجئ متعديا اذا كان للاتخاذ نحو توسده اى اتخذه وسادة واما قراءة مندخلا بالنون بعد الميم على انه اسم مفعول من اندخل ففيها اشكال لان باب الانفعال لازم لايتعدى فكيف بنى منه اسم المفعول الا ان يجعل اسم مكان وترتيب هذه المعطوفات ترتيب بديع لانه ذكر اوّلا الامر الاعم وهو الملجأ من اىّ نوع كان ثم ذكر المغارات التى يختفى فيها فى اعلى الاماكن وهى الجبال ثم الاماكن التى يختفى فيها فى الاماكن السافلة من السروب التى عبر عنها بالمدّخل والجموح النفور باسراع ومنه فرس جموح اذا لم يردّه لجام اى رجعوا واقبلوا اليه يسرعون اسراعا لايردّ وجوههم شئ مثل مايجمح الفرس والجمز من السير اشدّ من العنق يقال جمز البعير يجمز بالكسر والجماز البعير الذى يحمله راكبه على السير فوق العنق والعنق ضرب من سير الابل تهز اعناقها عنده وتنشط والمعنى انهم وان كانوا يحلفون لكم انهم منكم الا انهم كاذبون فى ذلك وانما يحلفون خوفا من القتل لتعذر خروجهم من بلادهم ولو استطاعوا ترك دورهم واموالهم والالتجاء الى بعض الحصون والغيران والسروب التى تحت الارض لفعلوه تسترا عنكم واستكراها لرؤيتكم ولقائكم ثم انه تعالى بين نوعا آخر من قبائح افعالهم وهو طعنهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الصدقات وقسمتها بأن يقولوا انه لايراعى العدل فيها ويؤثر بها من يشاء من اقاربه واهل بيته قرأ العامة بكسر الميم من لمزه يلمزه اى عابه واصله الاشارة بالعين ونحوها روى عن الزجاج انه قال يقال لمزت الرجل وهمزته اذا عبته والهمزة اللمزة هو الذى يغتاب الانسان ويعيبه فلم يفرق بين الهمز واللمز وفرق ابوبكر الاصم بينهما فقال اللمز أن يشير الى صاحبه بعيب صاحبه والهمز ان يكسر عينه على صاحبه وقال الليث اللمز هو العيب فى الوجه يقال رجل لمزة اى يعيبك فى وجهك ورجل همزة اى يعيبك بالغيب وفى التيسير قال الحسن يلمزك اى يعيبك وقيل اللمز العيب مسارة والهمز العيب مجاهرة قال فى الصحاح يقال رجل لماز ولمزة اى عياب ويقال ايضا لمزه يلمزه اذا ضربه ودفعه والهمز مثل اللمز والهماز العياب والهامز والهمزة مثله **قوله** واذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزآئية — قدتقرر فى النحو أن حرف الشرط اذا لم يؤثر فى الجزاء معنى لم يدل على كونه مرتبطا بالشرط فلابدّ من رابط بينهما واولى الاشياء به الفاء لمناسبتها الجزآء معنى لان معناها التعقيب لما فصل والجزآء متعقب كالفاء فان مضمون الجملة الشرطية كون وجود الشرط متأخرا عنه وجود الجزآء وكل واحد من معنى الفاء واذا المفاجأة مناسب له وشرط قيامها مقام الفاء كون الجزآء جملة اسمية لان اذا التى للمفاجأة لاتدخل على غير الجملة الاسمية الانادرا **قوله والجواب محذوف** — وذلك الجواب مرتب على اربعة امور الاوّل الرضى بما اعطاهم الرسول بناء على اعتقاد انه صلى الله عليه وسلم انما فعله بأمر الله تعالى الذى لااعتراض عليه وان جميع ما امر به حق وصواب موافق للحكمة والمصلحة والثانى ان يظهر اثر ذلك على لسانهم بأن يقولوا حسبنا الله اى كفانا الرضى بقضاء الله وحكمه ولا نؤثر عليه ما اصاب غيرنا من المال والثالث الاعتماد على فضل الله وما فى خزآئن قدرته من منافع الدنيا وثواب الآخرة والرابع ان يقولوا انا الى الله راغبون اى نحن لانطلب من الايمان والطاعة اخذ المال والفوز بمناصب الدنيا ومنافعها وانما نطلب اكتساب سعادة الآخرة بل الاستغراق فى العبودية كما دل عليه لفظ الآية وهو قوله انا الى الله راغبون حيث لم يقل انا الى ثواب الله راغبون نقل ان عيسى صلى الله عليه وسلم مرّ بقوم يذكرون الله فقال ما الذى يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله تعالى فقال اصبتم ومرّ على قوم مشتغلين بالذكر فسألهم عن سببه فقالوا لانذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة فى الثواب بل لاظهار ذكر العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بالالفاظ الدالة على صفات قدسه فقال انتم المحقون المحققون **قوله تصويبا وتحقيقا لما فعله** — فانهم لمزوه صلى الله عليه وسلم فى حق الصدقات بين ان ما فعله لايتطرق اليه اللمز والطعن بوجه ما لانه اخذ القليل من مال الغنى ليصرفه الى مصارفه دفعا لحاجتهم وكلمة انما تفيد الحصر فدل الكلام على انه لاحق فى جنس الصدقات لاحد الا لهذه الاصناف فقط وقال الامام الشافعى رضى الله عنه لابدّ من صرفها الى الاصناف الثمانية وان يعطى من كل صنف ثلاثة نفر لان اقل الجمع ثلاثة فان دفع

(اومغارات) غيرانا (او مدّخلا) نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اى مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل (لولوا اليه) لأقبلوا نحوه (وهم يجمحون) يسرعون اسراعا لايردّهم شئ كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة (ومنهم من يلمزك) يعيبك وقرأ ابن كثير يلامزك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم (فى الصدقات) فى قسمها (فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون) قيل انها نزلت فى ابى الجواظ المنافق قال ألاترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل فى ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يارسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزآئية (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) ما اعطاهم الرسول من الغنيمة اوالصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بأمره (وقالوا حسبنا الله) كفانا فضله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) صدقة او غنيمة اخرى فيؤتينا اكثر مما آتانا (انا الى الله راغبون) فى ان يغنينا من فضله والآية بأسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام فقال (انما الصدقات للفقراء والمساكين) اى الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم فى قسم الزكوات دون الغنائم

سهم الفقراء الى فقيرين ضمن نصيب الثالث وهو الثلث وانه لابد من التسوية في انصباء هذه الاصناف الثمانية
ولا يجوز التفاضل ﴿ قوله والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته ﴾ اى ليس له شئ يصرفه الى
امر محتاج اليه فالفقير اشد حاجة من المسكين وهو قول الامام الشافعي وقال ابو حنيفة واصحابه الفقير احسن حالا
من المسكين والمسكين اشد حاجة وقال ابو يوسف ومحمد لا فرق بين الفقراء والمساكين والله تعالى وصفهم بهذين
الوصفين والمقصود شئ واحد * وفائدة الخلاف تظهر في هذه المسئلة وهو انه لو اوصى لفلان وللفقراء والمساكين
فالذين قالوا الفقراء هم المساكين قالوا لفلان النصف والذين قالوا الفقراء غير المساكين قالوا لفلان الثلث فاحتج
الامام الشافعي رحمه الله تعالى بقوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين اثبت لهم ملكا مع انه سماهم مساكين
وبقوله صلى الله عليه وسلم * اللهم أحيني مسكينا * وبقوله * كاد الفقر يكون كفرا * وكان تعوذ منه فكيف يصح ان يتعوذ
من الفقر ويسأل ماهو دونه وهل هذا الا تناقض واحتج ابو حنيفة بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة فانه تعالى وصف
المسكين بكونه ذا متربة وذلك يدل على نهاية الضر والشدة كأنه يلصق بالتراب من غاية ضره وفاقته ﴿ قوله
قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه ﴾ اى في الاسلام ويعطيهم ليتألفوا على الاسلام ويستقروا عليه ﴿ قوله
او اشراف ﴾ وهم ايضا من المسلمين قد اسلموا ونيتهم قوية في الاسلام الا انهم اشراف قومهم فيعطيهم تألفا لقومهم
وترغيبا لامثالهم في الاسلام ﴿ قوله وقيل اشراف ﴾ اى قيل المؤلفة قوم من اشراف الكفرة يرجى اسلامهم
فيعطون ترغيبا لهم في الاسلام فقد كان صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما اعطى صفوان بن امية لما رأى
من ميله الى الاسلام وقد عد من المؤلفة المسلمون الذين سكنوا بازاء قوم كفار او قوم مانعي الزكاة في موضع بعيد
لا يبلغهم جيش المسلمين الا بمؤونة كثيرة فهم لا يجاهدون الكفار ولا يقاتلون مانعي الزكاة لضعف حالهم فيجوز ان
يعطيهم من سهم الغزاة ومن مال الصدقة ليجاهدوا الكفار او يقاتلوا مانعي الزكاة حتى يأخذوا منهم الزكاة ويحملوها
الى الامام ﴿ قوله على اداء النجوم ﴾ سمى بدل الكتابة نجوما لكون اوانه مفرقا على النجوم بمعنى الاوقات
المضروبة لادائه فان النجم في الاصل اسم للكوكب ثم اطلق على الوقت المضروب لكون تعينه متعلقا بحركة النجوم
ثم اطلق على مايؤدى في ذلك الوقت بطريق اطلاق اسم المحل على ماحل فيه ذهب اكثر الفقهاء الى ان المراد
بالرقاب المكاتبون يعطون شيأ من الصدقة ليؤدوا به بدل الكتابة فينالوا العتق وقيل المراد بصرف سهم
من الصدقة في فك الرقاب ان يشترى بسهم الرقاب عبيد يعتقون ﴿ قوله للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب ﴾
ولو لم يؤت بكلمة في وكان الرقاب مجرورا بالعطف على ماهو مجرور بلام التمليك لكان المعنى ان سهم الرقاب يدفع
اليهم كما يدفع سهم الاصناف الاربعة المتقدمة اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا فلما عدل في الرقاب عن اللام الى كلمة
في دل الكلام على ان نصيبهم لا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف في ذلك النصيب كما شاؤا بل يصرف نصيبهم الى
جهة صاحبهم المعتبرة في الصفة التي لاجلها استحقوا سهما من الزكاة فيوضع نصيبهم في تخليص رقبتهم من الرق
وكذا القول في الغارمين وفيما بعدهم فيصرف سهم الغارمين الى قضاء ديونهم وسهم الغزاة وابناء السبيل في دفع
حاجتهم والحاصل انه تعالى اثبت سهما من الزكاة للاصناف الاربعة التي تقدم ذكرهم بلام التمليك فقال انما
الصدقات للفقراء والمساكين ولما ذكر الرقاب ابدل حرف اللام بكلمة في فقال وفي الرقاب فلابد لهذا الفرق
من فائدة وفائدته ماذكره المصنف من الدلالة على ان استحقاق الاصناف المتقدمة لذواتهم الموصوفة بما
اعتراهم من الصفات وان استحقاق الاصناف المذكورة بعدهم انما يثبت لجهة حاجتهم التي بنى عليها العنوان
الذى عبر به عنهم فلا تدفع سهامهم الى انفسهم ليتصرفوا فيها تصرف الملاك في املاكها بل تدفع الى جهة حاجتهم
ولذلك قال اصحاب الامام الشافعي الاحتياط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد بأذن المكاتب عونا باسقاط بعض
بدل الكتابة عن ذمته وقال صاحب الكشاف عدل في الاربعة الاخيرة عن اللام الى في للايذان بانهم في استحقاق
المتصدق به عليهم احق ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء ان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا ظرفا
لها ومصرفا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ
ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل
والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين انتهى كلامه
﴿ قوله المديونين ﴾ الغارم والغريم وان كان قد يطلق كل واحد منهما على من له الدين الا ان المراد بالغارم

والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا
من حاجته من الفقار كأنه اصيب فقاره
والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه
من السكون كأن العجز اسكنه ويدل عليه
قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه
عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ
من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا
ذا متربة (والعاملين عليها) الساعين
في تحصيلها وجمعها (والمؤلفة قلوبهم)
قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف
قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم
اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع
بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل
اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه كان
عليه الصلاة والسلام يعطيهم والاصح انه
كان يعطيهم من خمس الخمس الذى كان خاص
ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها
على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل كان
سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله
وكثر اهله سقط (وفي الرقاب) وللصرف
في فك الرقاب بأن يعاون المكاتب بشئ منها
على اداء النجوم وقيل بأن يبتاع الرقاب فتعتق
وبه قال مالك واحمد او بأن يفدى الاسارى
والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان
الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم
احق بها (والغارمين) المديونين لانفسهم
في غير معصية ومن غير اسراف اذا لم يكن
لهم وفاء او لحمالة لاصلاح ذات البين وان كانوا
اغنياء لقوله عليه الصلاة والسلام لا تحل
الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله
او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار
مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين
للغني او لعامل عليها

في الآية الذي عليه الدين واصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق والغرام العذاب اللازم ويسمى الدين غراما لكونه شاقا على الانسان ولازماله وفي الصحاح الغرامة ما يلزم اداؤه وكذلك المغرم والغرم وقد غرم الرجل الدية والمديون الذي لزمه الدين بسبب معصية لايدخل في الآية لان المقصود من صرف المال الاعانة والمعصية لاتستوجب الاعانة والدين الذي حصل بسبب غير معصية قسمان دين حصل بسبب نفقات ضرورية او في مصلحة ودين حصل بسبب حمالات واصلاح ذات بين والكل داخل في الآية والحمالة بالفتح ما يتحمله الانسان عن غيره من دية او غرامة مثل ان تقع حرب بين فريقين يسفك فيها الدماء فيدخل بينهم رجل يتحمل ديات القتل عنهم على نفسه لاصلاح ذات البين ﴿قوله وقيل وفي بناء القناطر والمصانع﴾ جمع مصنعة وهي شيء كالحوض يجمع فيه ماء المطر وتطلق المصانع على الحصون ايضا يعني ان المفسرين قالوا المراد بسبيل الله الغزاة ويجوز لهم ان يأخذوا من الزكاة وان كانوا اغنياء وقال ابو حنيفة وصاحباه لايعطى الغازي الا مع الحاجة ونقل القفال في تفسيره عن بعض الفقهاء انهم اجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان قوله تعالى في سبيل الله عام في الكل وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع بان بعدت داره او ماتت راحلته ﴿قوله مصدر لما دل عليه الآية﴾ لان قوله تعالى انما الصدقات للفقراء في قوة فرض الله تعالى اياها لهم وقيل انها منصوبة بفعلها المقدر اي فرض الله تعالى ذلك فريضة ﴿قوله او حال من الضمير المستكن في للفقراء﴾ لو وقع خبرا اي انما الصدقات كائنة لهم حالة كونها فريضة اي مفروضة وفائدة التقييد الاشارة الى ان صدقة التطوع يجوز دفعها الى هؤلاء والى غيرهم من بني هاشم ومواليهم والى بناء المساجد والرباطات وتكفين الموتى ونحوها ﴿قوله ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم﴾ قال الامام العامل والمؤلفة مفقودان في هذا الزمان فبقيت الاصناف الستة والاولى ان تصرف الزكاة اليهم جميعا كما هو قول الامام الشافعي رضي الله عنه لانه الغاية في الاحتياط * واعلم ان الاوصاف التي عبر بها عن الاصناف المذكورة وان كانت تعم المسلم والكافر الا ان الاخبار دلت على انه لايجوز صرف الزكاة الى الفقراء او غيرهم الا اذا كانوا مسلمين ﴿قوله يسمع كل ما يقال له ويصدقه﴾ يعني ان الاذن في الاصل اسم لآلة السماع واطلق على من يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد على طريق التشبيه البليغ من حيث انه لفرط سماعه وقبول جميع ما يسمعه صار بجملته كأنه آلة السماع كما ان لفظ العين في الاصل اسم لآلة البصر ثم اطلق على الجاسوس بذلك الطريق ﴿قوله او اشتق له فعل﴾ عطف على قوله سمي بالجارحة ويحتمل ان يكون اطلاق الاذن على من يسمع كل ما يقال له ويصدقه مبنيا على توليد لفظ من لفظ آخر واطلاق المولد على ما يلائم معنى اللفظ المولد منه بأن اشتق من الاذن بمعنى الاستماع لفظ اذن بضمتين ثم اطلق على الرجل الذي يصدق كل ما يسمعه كما اشتق لفظ انف بضمتين من الانف بمعنى جارحة الشم فاطلق على ما فيه معنى التقدم والسبق يقال روضة انف بالضم اي لم يرعها احد وانفت الابل اذا وطئت كلأ انفا وهو الذي لم يرع بعد وكأس انف اذا لم يشرب بها قبل ذلك وكما اشتق لفظ شلل بضمتين من الشل بمعنى الطرد يقال شللت الابل اشلها شلا اذا طردتها فاشتلت والاسم الشلل نزلت الآية في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرونه بما لاينبغي من القول واتفق ان بعضا منهم ذكره صلى الله عليه وسلم بذلك فقال بعض آخر منهم لاتفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقول فيقع فينا فقال الجلاس بن سويد بل نقول ما شئنا ثم نذهب اليه فنحلف انا ما قلنا فيقبل قولنا وانما محمد اذن يريد انه ليس له ذكر ولا بعد غور بل هو سليم القلب سريع الاعذار بكل ما يسمع فيقبل كل عذر صدقا كان او كذبا وكان عليه الصلاة والسلام كذلك لكرمه وحسن خلقه فظن اولئك انه صلى الله عليه وسلم انما يقبل ويعاملهم به لسلامة قلبه وقلة رأيه وقصور عقله ﴿قوله تصديق لهم بانه اذن﴾ يعني ان الاضافة فيه للتخصيص والتقييد والمعنى هب انه اذن يسمع ما يقال له ويقبله لكن مستمع خير وصلاح دون مستمع شر وفساد فيكون الخير مسموعا لا صفة للاذن لانه يستلزم كون الرحمة ايضا صفة له ولا يوصف الاذن بالرحمة وذكر جار الله وجها آخر وقدمه على هذا الوجه وهو ان تكون الاضافة في اذن خير من باب اضافة الموصوف الى الصفة للمبالغة في الاتصاف كما في قولهم رجل صدق وشاهد عدل كأنه قيل نعم هو اذن لكن نعم الاذن فاذن من يسمع العذر ويقبله خير ممن لايقبله اذا كان ناشئا من الكرم وحسن الخلق وعلى الوجهين قوله تعالى اذن خير خبر لمبتدأ محذوف اي قل هو اذن خير لكم ﴿قوله ثم فسر ذلك﴾ اي بين كونه اذن خير بانه

(وفي سبيل الله) والصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله (فريضة من الله) مصدر لما دل عليه الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة (والله عليم حكيم) يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية الاشتراك واليه ذهب الشافعي رضي الله عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين جواز صرفها الى صنف واحد واختاره بعض اصحابنا وبه قال الائمة الثلاثة وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله تعالى على ان الآية بيان ان الصدقة لاتخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن) يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن أذنا اذا استمع كأنف وشلل روي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول (قل اذن خير لكم) تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله

تعالى سلم فى حقه صلى الله عليه وسلم انه اذن الا انه فسر ذلك القول بما هو مدح له صلى الله عليه وسلم وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة ثم فسر كونه اذن خير بأن وصفه بثلاثة اوصاف الاوّل انه يؤمن بالله فيسمع جميع ماجاء منه ويقبله والثانى انه يؤمن للمؤمنين اى يقبل قولهم ويصدّقهم فيما اخبروا به عنده ولا يصدّق المنافقين ولاشك انّ ما اخبر به المؤمنون الخلص فهو خير وصدق فمن استمعه وقبله يكون اذن خير والثالث كونه رحمة لمن اظهر الايمان منهم من حيث انه يجرى امرهم على الظاهر ولا يبالغ فى التفتيش عن بواطنهم ولا يسعى فى هتك استارهم فمن آمن بالله وصدّق المؤمنين الخلص وكان رحمة لمن اظهر الايمان يكون اذن خير لهم ﴿ **قوله** واللام مزيدة للتفرقة ﴾ جواب عما يقال لم عدّى فعل الايمان الى الله بالباء والى المؤمنين باللام * وتقريره ان الايمان بمعنى الامان من الخلد فى النيران وهو الايمان المقابل للكفر حقه ان يعدّى بالباء واما الايمان بمعنى التصديق والتسليم فانه يعدّى باللام للتفرقة بينهما وان كان حقه ان يعدّى بنفسه كالتصديق حيث يقال صدقتك ولا يقال صدقت لك كما فى قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا وما آمن لموسى الاذرية من قومه وقالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون وقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم ﴿ **قوله** وقرئ اذن خير ﴾ والجمهور على جرّ خير بالاضافة وقرأ ابو بكر عن عاصم اذن بالتنوين وخير بالرفع والتنوين اما على انه صفة لاذن او خبر ثان للمبتدأ المحذوف ﴿ **قوله** لهم عذاب اليم بايذآئه ﴾ قد بين انه صلى الله عليه وسلم خير ورحمة لهم مع كونهم فى غاية الخبث والضلال فابدلوه مقابلة لاحسانه بالاساءة فيكونون مستوجبين للعذاب الشديد لاسيما ان ايذآءه ايذآء الله تعالى وقوله على معاذيرهم فيما قالوا قد تقدّم ان منهم الذين يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم ويسيئون القول فيه فبلغه ما قال بعضهم من المقالة الحمق فدعا صلى الله عليه وسلم ذلك البعض وسألهم عنه فانكروا وحلفوا انهم ماقالوا ذلك فنزل قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي وقوله يحلفون بالله ليرضوكم اى ليزيلوا سخطكم وقيل نزل قوله تعالى يحلفون بالله لكم فى رهط وكان من الواجب ان يرضوا الله باخلاص الايمان والتوبة عن الكفر والنفاق باظهار خلاف مايكتمونه فى صدورهم ﴿ **قوله** وتوحيد الضمير ﴾ جواب عما يقال كيف قيل احق ان يرضوه بافراد الضمير مع انه ضمير الله ورسوله فالواجب تثنية الضمير * اجاب عنه اوّلا بان الارضاءين متلازمان فاكتفى بذكر احدهما لكون ذكره وحده فى حكم ذكرهما معا كما يقال احسان زيد وافضاله نعشني وجبرني اى رفعني وقوّاني ولم يقل نعشاني وجبراني وثانيا بانه اكتفى بذكر ارضاء الرسول كما فى قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم للتنبيه على ان حكمه حكم الله تعالى وثالثا بأن قوله تعالى والله مبتدأ واحق ان يرضوه خبره والرسول مبتدأ ثان وخبره محذوف لدلالة خبر الاوّل عليه وقال سيبويه خبر الاوّل محذوف كما فى قول الشاعر

❊ نحن بما عندنا وانت بما ❊ عندك راض والرأى مختلف ❊

ورجح قوله لان فيه اعتبار الاقرب مع السلامة من الفصل بين المبتدأ والخبر بخلاف مااختاره المصنف وان رجح ايضا من حيث ان فيه وضع الارضاء فيمن استحقه لذاته فانه تعالى هو المقصود بجميع الطاعات فهو احق بالارضاء ﴿ **قوله** وقرئ بالتاء ﴾ اى قرأ الجمهور يعلموا بياء الغيبة ردّا على المنافقين وقرئ تعلموا بتاء الخطاب اما على الالتفات من الغيبة الى الخطاب للمنافقين فيكون الاستفهام للتقريع والتوبيخ على عدم علمهم بذلك مع طول مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وتحذيره اياهم عن معصية الله وترغيبه فى طاعته واما خطاب للمؤمنين على طريق الاستفهام التقريرى ﴿ **قوله** مفاعلة من الحدّ ﴾ الذى هو الجهة والجانب فان كل واحد من المخالفين والمعاندين فى غير حدّ صاحبه كما يقال شاقه ان كان فى شق غير شق صاحبه وعاداه ان كان فى عدوة غير عدوة صاحبه والعلم ههنا يحتمل ان يكون على بابه فتسدّ أنّ مسدّ مفعوليه وان يكون بمعنى العرفان فتسدّ مسدّ مفعوله ومن شرطية وقوله فان له نار جهنم جوابها والجملة الشرطية فى محل الرفع على انه خبر أنّ الاولى وهذا تخريج واضح غاية مافى الباب ان ان المفتوحة لكونها تغير معنى الجملة وتجعلها فى حكم المفرد كانت مع مافى حيزها مبتدأ محذوف الخبر والتقدير فجزآؤه ان له او فحق ان له نحو عندى انك قائم وان جعل ان الثانية تكريرا للاولى للتأكيد وكان التقدير من يحادد الله فله نار جهنم كانت الجملة الشرطية ايضا خبر انّ ولا يحتاج الى ارتكاب الحذف الا ان حملها على التكرير خلاف الظاهر لانها لتحقيق مضمون الجزآء كما ان الاولى لتحقيق مضمون الجملة الكبرى مع ان جعلها تأكيدا للاولى يستلزم الفصل بين المؤكد والمؤكد بجملة الشرط وايقاع اجنبي بين فاء

(يؤمن بالله) يصدّق به لما قام عنده من الادلة (ويؤمن للمؤمنين) ويصدّقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان (ورحمة) اى وهو رحمة (للذين آمنوا منكم) لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سرّه وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) بايذآئه (يحلفون بالله لكم) على معاذيرهم فيما قالوا او يحلفون (ليرضوكم) لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين (والله ورسوله أحق أن يرضوه) احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الارضاءين اولانّ الكلام فى ايذآء الرسول صلى الله عليه وسلم وارضائه اولان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك (ان كانوا مؤمنين) صدقا (ألم يعلموا انه) ان الشأن وقرئ بالتاء (من يحادد الله ورسوله) يشاقق مفاعلة من الحدّ (فأن له نار جهنم خالدا فيها) على حذف الخبر اى فحق ان له او على تكرير ان للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك

الجزآء و ما فى حيزه و ان جعل فأن له معطوفا على أنه على ان جواب من محذوف تقديره ألم يعلوا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم تلزم المخالفة لما صرح به النحاة من انه اذا حذف جواب الشرط لزم ان يكون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مقرونا بلم وعلى ماذكر من الاحتمال يكون الجواب محذوفا و فعل الشرط مضارع غير مقترن بلم ﴿قوله و قرئ فان له بالكسر﴾ قال ابن الحاجب فى الكافية فان جاز التقدير ان جاز الامران اى ان وقعت المفتوحة فى موضع جاز فيه تقدير المفرد و الجملة جاز فيه فتح ان وكسرها و ذلك فى مواضع احدها ان تقع بعد فاء الجزآء نحو من يكرمنى فأنى اكرمه جاز فيه الكسر بتأويل فانا اكرمه و الفتح على ان يجعل مافى حيزها مبتدأ محذوف الخبراى فاكرامى له ثابت ولا يخفى ان كل واحد من التقديرين جائز فى الآية فجاز فيها الفتح والكسر ﴿قوله و ذلك يدل على تردّدهم ايضا فى كفرهم﴾ جواب عما يقال كيف يحذر المنافق نزول الوحى على الرسول صلى الله عليه وسلم و هو كافر بنبوّته * و تقريره ان النفاق لا يستلزم كون المنافق قاطعا بعدم نبوّته صلى الله عليه وسلم لجواز كونه شاكا فى صحة نبوّته و الشاك خائف فلهذا السبب خافوا ان ينزل عليه فى حقهم مايفضحهم فان حذرهم منه يدل على انهم مترددون فى كفرهم كتردّد المؤمنين وقيل فى جوابه ان قوله تعالى يحذر خبر فى معنى الامر لان المراد منه الامر بالحذر اى ليحذر المنافقون * واجيب عنه ايضا بان هذا حذر اظهره المنافقون على وجه الاستهزآء حين رأوا انه صلى الله عليه وسلم يذكر كل شئ ويدّعى انه عن الوحى وكان المنافقون يكذبون بذلك فيما بينهم فأخبر الله تعالى رسوله بذلك و امره ان يعلمهم انه مظهر سرّهم الذى حذروا ظهوره و يؤيد هذا الجواب قوله تعالى قل استهزؤا * واعلم انهم كانوا يسمون سورة برآءة سورة الحافرة من حيث انها حفرت عما فى قلوب المنافقين و يسمونها الفاضحة و المبعثرة و المثيرة لاثارتها ذمهم و مثالبهم قال ابن عباس انزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم و اسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين وقيل اجتمع اثنا عشر رجلا من المنافقين على امر من النفاق فأخبر جبريل الرسول عليهما الصلاة و السلام باسمائهم فقال صلى الله عليه وسلم * ان ناسا اجتمعوا على كيت وكيت فليقوموا وليعترفوا وليستغفروا ربهم حتى اشفع لهم * فلم يقوموا فقال صلى الله عليه وسلم بعد ذلك * قم يافلان و يافلان * حتى اتى عليهم جميعا ثم قالوا نعترف و نستغفر قال * لا كنت فى اوّل الامر اطلب الشفاعة و الله كان اسرع فى الاجابة اخرجوا عنى اخرجوا عنى * حتى خرج الكل وقال الاصم ان عند رجوع النبى صلى الله عليه وسلم من تبوك وقف له على العقبة اثنا عشر رجلا ليفتكوا به فأخبره جبريل عليه السلام وكانوا متلثمين فى ظلمة و امره ان يرسل اليهم من يصرف وجوه رواحلهم فأمر حذيفة بذلك فضربها حتى نحاهم عنه ثم قال من عرفت من القوم فقال لم اعرف منهم احدا فذكر النبى صلى الله عليه وسلم اسماءهم و عددهم له وقال * ان جبريل اخبرنى بذلك * فقال حذيفة ألا تبعث اليهم ليقتلوا فقال * اكره ان تقول العرب قاتل بأصحابه حتى اذا ظفر بهم صار يقتلهم بل يكفيناالله ذلك ﴿قوله تعالى و لئن سألتهم﴾ اى عما كانوا فيه من الاستهزآء ليقولنّ انما كنا نخوض و اصل الخوض الدخول فى مائع مثل الماء و الطين ثم كثر حتى صار اسما لكل دخول فيه تلويث واذى و المعنى انما كنا نخوض فى الباطل من الكلام كما يخوض الركب لقطع الطريق فأجابهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله * أبالله و آياته ورسوله كنتم تستهزؤن * بأن امره الله تعالى بذلك كانه قال له صلى الله عليه وسلم لا تعبأ باعتذارهم الكاذب بقولهم انما كنا نخوض و نلعب و قل لهم انكم تقدمون على الاستهزآء الا انه كيف اقدمتم على الاستهزآء بمن لا يصح الاستهزآء به فانه فرق بين ان يقال أتستهزئ بالله و بين ان يقال أبالله تستهزئ فان الاوّل يقتضى الانكار على ملابسة الاستهزآء والثانى يقتضى الانكار على ايقاع الاستهزآء بالله و فى لفظ الاعتذار قولان عند اهل اللغة الاوّل انه عبارة عن محو أثر الذنب من قولهم اعتذرت المنازل اذا درست و يقال مررت بمنزل معتذر اى مندرس فالاعتذار هو الدروس و منه اخذ الاعتذار لانّ المعتذر يحاول ازالة اثر ذنبه و القول الثانى ان الاعتذار هو القطع و منه يقال للقلفة عذرة لانها تعذر اى تقطع و يقال للبكارة عذرة لانها تقطع بالافتراع و يقال اعتذرت المياه اذا انقطعت فالعذر لما كان سببا لقطع اللوم سمى عذرا قال الواحدى و القولان متقاربان لانّ محو أثر الذنب و قطع اللوم متقاربان ﴿قوله قد اظهرتم الكفر بعد اظهاركم الايمان﴾ اعتبر الاظهار فيهما لان المنافق لم يؤمن قط فضلا عن ان يكون بعد الايمان وفى الآية دليل على ان الجدّ و اللعب فى اظهار كلمة الكفر سوآء فان الهزل بالكفر كفر بلا خلاف بين الائمة وكذا

وقرئ فان له بالكسر (ذلك الخزى العظيم) يعنى الهلاك الدآئم (يحذر المنافقون ان تنزل عليهم) على المؤمنين (سورة تنبئهم بما فى قلوبهم) وتهتك عليهم أستارهم ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على تردّدهم ايضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا على بت فى امر الرسول صلى الله عليه وسلم بشئ وقيل انه خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزآء لقوله (قل استهزؤا ان الله مخرج) مبرز أو مظهر (ما تحذرون) اى ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم (ولئن سألتهم ليقولنّ انما كنا نخوض ونلعب) روى ان ركب المنافقين مرّوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا فى شئ من امرك و امر اصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (قل أبالله و آياته و رسوله كنتم تستهزؤن) توبيخا على استهزآئهم بمن لا يصح الاستهزآء به والزاما للحجة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب (لا تعتذروا) لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب (قد كفرتم) قد اظهرتم الكفر بايذآء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيه (بعد ايمانكم) بعد اظهاركم الايمان

لافرق بين الجدّ و الهزل فى النكاح و الطلاق و الرجعة لقوله صلى الله عليه وسلم * ثلاث جدّهن جدّ وهزلهن جدّ النكاح و الطلاق و الرجعة * قال الترمذى فى حق هذا الحديث انه حديث حسن و العمل على هذا عند اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم ونقل القرطبي عن سعيد بن المسيب قال * ثلاث ليس فيهن لعب النكاح و الطلاق و العتق ﴿قوله و قرأ عاصم بالنون فيهما﴾ فانه قرأ ان نعف بفتح نون العظمة و رفع الفاء و نعذب بضم نون العظمة و كسر الذال و طائفة بالنصب و قرأ الباقون ان يعف عن طائفة بضم ياء الغيبة و فتح الفاء تعذب طائفة بضم تاء التأنيث و البناء للمفعول و رفع طائفة لقيامها مقام الفاعل و القائم مقام فاعل الفعل الاوّل الجار و المجرور وقرئ تعف بالتاء و البناء للمفعول و القياس تذكير الفعل لانه يقال سير بالدابة و لا يقال سيرت بالدابة و لكنه انث الفعل على المعنى فان قوله ان تعف عن طائفة معناه ان ترحم طائفة فانث الفعل لذلك وهو غريب ﴿قوله اى متشابهة فى النفاق والبعد عن الايمان﴾ لما شرح الله تعالى قبائح افعال المنافقين بين أنّ اناثهم كذكورهم فى تلك الافعال المنكرة و الخصال القبيحة فكلمة من فيه اتصالية كما فى قولك انت منى و انا منك اى امرنا واحد لا مباينة بيننا فيه و من الاتصالية ابتدآئية لانّ الابتدآء فيها باعتبار الاتصال فقولك انت منى جملة اسمية معناها انت منى متصل فى الشمائل والافعال وانّ ما فيك من الشمائل ناشئة ومستفادة منى لا تمايز بيننا من حيث الافعال و الخصال فكذا المعنى فى قوله تعالى بعضهم من بعض فهذه الآية على ماذكر من التوجيه لا تكون متصلة بخصوص قوله تعالى ويحلفون بالله انهم لمنكم بل تكون متصلة بخصوص ماذكر فى شرح قبائح المنافقين ﴿قوله وقيل انه تكذيبهم﴾ معطوف على ماذكر مما فهمه فى تفسير الآية وعلى كلا التوجيهين يكون قوله يأمرون بالمنكر الخ كالدليل لما قبله وهو ما لا مدخل لكسب العبد واختياره فيه كالنسيان فانه ليس فى اختيار البشر ولا مدخل لاختياره فيه فتمتنع المؤاخذة على النسيان فلذلك فسر قوله نسوا الله بقوله أغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته ولما كان النسيان محالا فى حقه تعالى فسر قوله تعالى فنسيهم بقوله فتركهم من لطفه و فضله فالنسيان مجاز عن ترك الذكر لان من نسى شيأ لم يذكره فاطلق اسم الملزوم واريد لازمه فلما تركوا ذكر الله تعالى بالعبادة و الثناء عليه ترك الله ذكرهم بالرحمة والاحسان وجازاهم بالتفضيح و الخذلان ﴿قوله الكاملون فى التمرّد و الفسوق عن دآئرة الخير﴾ الكمال مستفاد من تعريف الجنس فى الفاسقين الدال على انهم هم الجنس كله ولو لم يحمل عليه لما صح الحصر المستفاد من ضمير الفصل وتعريف الخبر لانه كم من فاسق سواهم وفسر الفسق بالتمرّد لان الكافر اذا وصف بالفسق دل على المبالغة فى الخروج عن امر الله و طاعته ولما وصفهم بكمال التمرّد ذكر ما وعدلهم فى الآخرة وجعل قوله خالدين فيها حالا مقدّرة من المفعول الاوّل لوعد لكونها غير مقارنة له وقوله هى حسبهم جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب والمعنى ان تلك العقوبة كافية لهم ولا شئ ابلغ منها ولا يمكن الزيادة عليها ولا ينافيه عطف قوله ولعنهم لكونه بيانا لبعض ما تضمنه الخلود فى عذاب النار المخلد مع كونها كافية فى الايلام بالغة اقصى درجات التعذيب تتضمن شدآئد اخر من اللعن و الذم والاهانة بالسلاسل و الاغلال و العياذ بالله من سخطه و عقابه ﴿قوله و المراد به ما وعدوه﴾ من الخلود فى نار جهنم و ذكره بعده تأكيدا له ﴿قوله او ما يقاسونه من تعب النفاق﴾ اى ويجوز ان يكون المراد بقوله ولهم عذاب مقيم العذاب الفاضل الذى لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من الخوف من اطلاع الرسول على بواطنهم او ما يجدونه دآئما ابدا من انواع الفضائح ﴿قوله اى انتم مثل الذين﴾ اى يجوز أن تكون الكاف فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف لان المقصود على الاوّل تشبيههم بمن قبلهم فى العدول عن امر الله والامر بالمنكر والنهى عن المعروف وقبض الايدى عن الخيرات ونحو ذلك مما خاضوا فيه من الامور الباطلة رغبة فى الاستمتاع بالحظوظ العاجلة المخدجة و الالتذاذ بما رزقوا من الاموال و الاولاد وعلى الثانى تشبيه الفعل بالفعل بتقدير المضاف ﴿قوله بيان لتشبيههم بهم﴾ حيث وصف كل واحد منهم وممن قبلهم بكثرة الاموال والاولاد ثم ذكر انهم استمتعوا بنصيبهم وخاضوا كما استمتع من قبلهم وخاضوا وسمى النصيب خلاقا لكونه عبارة عما قدر للانسان من خير وشرّ ﴿قوله والتهائهم بها﴾ اى تلهيهم ولعبهم بتلك الشهوات يقال لهوت بالشئ ألهو لهوا وتلهيت به اذا التهيت به ﴿قوله تمهيدا لذم المخاطبين﴾ علة لقوله ذم الاوّلين والمقصود دفع ما يقال من ان ذكر استمتاع الاوّلين بخلاقهم وقع مكرّرا حيث ذكر اوّلا قوله فاستمتعوا بخلاقهم ثم قوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم والثانى مغن عن الاوّل فما الفائدة فى التكرير * ووجه الدفع انه تعالى ذم الاوّلين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم

(ان يعف عن طائفة منكم) لتوبتهم واخلاصهم او تجنبهم عن الايذاء والاستهزآء (تعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصرّين على النفاق او مقدمين على الايذآء والاستهزآء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء و بناء الفاعل فيهما وهو الله و ان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كأنه قال ان ترحم طائفة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) اى متشابهة فى النفاق والبعد عن الايمان كأبعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيبهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وماهم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادّة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله (يأمرون بالمنكر) بالكفر والمعاصى (وينهون عن المعروف) عن الايمان والطاعة (ويقبضون ايديهم) عن المبارّ وقبض اليد كناية عن الشح (نسوا الله) اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته (فنسيهم) فتركهم من فضله ولطفه (ان المنافقين هم الفاسقون) الكاملون فى التمرّد والفسوق عن دآئرة الخير (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدّرين الخلود (هى حسبهم) عقابا وجزآء وفيه دليل على عظم عذابها (ولعنهم الله) ابعدهم من رحمته وأهانهم (ولهم عذاب مقيم) لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق (كالذين من قبلكم) اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم (كانوا اشدّ منكم قوّة واكثر اموالا واولادا) بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم (فاستمتعوا بخلاقهم) نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدّر لصاحبه (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) ذم الاوّلين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذآئذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم

اهلكوا بالرجفة (وقوم ابراهيم) اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه (واصحاب مدين) واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة (والمؤتفكات) قريات

قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر (اتتهم رسلهم) يعنى الكل (بالبينات فما كان الله ليظلمهم) اى لم يك من عادته مايشابه ظلم الناس كالعقوبة بلاجرم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) فى مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله) فى سائر الامور (اولئك سيرحمهم الله) لامحالة فان السين مؤكدة للوقوع (ان الله عزيز) غالب على كل شئ لايمتنع عليه مايريده (حكيم) يضع الاشياء فى مواضعها (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة) تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر (فى جنات عدن) اقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن دار الله التى لم ترها عين قط ولم تخطر على قلب بشر لايسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس ماهو ابهى الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول مايقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى من شوائب الكدورات التى لاتخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لايعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال (ورضوان من الله اكبر) لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضى وقد اعطيتنا مالم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واى شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا (ذلك) اى الرضوان او جميع ماتقدم (هو الفوز العظيم) الذى تستحقر دونه الدنيا ومافيها (يا ايها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالزام الحجة واقامة الحدود (واغلظ عليهم) فى ذلك ولا تحابهم (ومأواهم جهنم وبئس المصير) مصيرهم (يحلفون بالله ماقالوا) روى انه عليه الصلاة والسلام اقام فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان مايقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله

من سعادة الآخرة بسبب استغراقهم فى تلك الحظوظ العاجلة وجعل ذم الاولين تمهيدا لذم المخاطبين بان شبه حالهم بحال الاولين ففى التكرير تأكيد ومبالغة فى ذم المخاطبين وتقبيح حالهم ولم يسلك هذه الطريقة فى التشبيه الثانى وهو قوله وخضتم كالذى خاضوا حيث لم يقل وخاضوا وخضتم كخوضهم اكتفاء بتقديم التمهيد المذكور فان التشبيه الثانى لما كان معطوفا على التشبيه الاول علم ان المقدمة المذكورة هناك مقصودة ههنا فاستغنى عن ذكرها فى التشبيه الثانى ﴿قوله كالذين خاضوا﴾ والتقدير وخضتم خوضا كخوض الذين خاضوا على ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف * ولما ورد ان يقال لم افرد الذى مع ان المراد به الجماعة بدلالة رجوع ضمير الجمع اليه فى قوله خاضوا والقياس ان يقال كالذين خاضوا لما تقرر فى النحو ان جمع الذى فى ذوى العلم الذين فى الاحوال الثلاث على الاشهر والذون فى حال الرفع على لغة هذيل * اشار الى جوابه اولا بأن اصله الذين فحذف نونه تخفيفا وايضا حذف المصدر الموصوف مع المصدر الذى اضيف الى الموصول فبقى وخضتم كالذى خاضوا وثانيا بقوله اوكالفوج الذى خاضوا وثالثا بقوله اوكالخوض الذى خاضوه يعنى افرد الموصول لكونه صفة للمصدر المحذوف لا لمن قبلهم من الاولين الذين رجع اليهم ضمير خاضوا وعائد المصدر محذوف ثم انه تعالى لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين فى الرغبة فى الدنيا وفى تكذيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمبالغة فى ايذائهم هددهم بان اشار الى ماجرى على المتقدمين من وجوه الهلاك ليعتبروا بحالهم ولينزجروا عماهم فيه من قبائح الافعال ﴿قوله نمرود﴾ اشارة الى ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بقوم ابراهيم نمرود بن كنعان والمراد باصحاب مدين قوم شعيب ومدين اسم بلدهم والمؤتفكات جمع مؤتفكة وهى المنقلبة يقال افكه فائتفك اى قلبه فانقلب وقرى قوم لوط انقلبت فصار اعلاها اسفلها ﴿قوله فان السين مؤكدة للوقوع﴾ يعنى ان السين فى الاثبات بمنزلة لن فى النفى ولهذا قد تتمحض للتأكيد من غير قصد الى معنى الاستقبال ثم انه تعالى لما اكد وعده بالرحمة على الاجمال فصل الرحمة الموعودة بقوله وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى * قال الامام والاقرب انه تعالى اراد بالجنات البساتين اى المناظر لانه تعالى قال ومساكن طيبة فى جنات عدن اى مناظرهم الجنات التى هى البساتين والمصنف فسر العدن بالاقامة والخلود اختيارا لقول من قال انه مصدر قولك عدن بالمكان يعدن عدنا وعدونا اذا اقام به ويقال تركت ابل بنى فلان عوادن بمكان كذا وهو ان تلزم الابل المكان وتألفه ومنه المعدن لمستقر الجوهر وعلى هذا القول الجنات كلها جنات عدن لايبغون عنها حولا وليس تكرارا لقوله خالدين فيها لان قوله تعالى جنات عدن اخبار بدوام مقامهم فيما اعد لهم من المساكن وقوله تعالى خالدين فيها اخبار بدوام النعيم لهم فى الجنات فهما معنيان مختلفان ﴿قوله وعنه صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التى لم ترها عين الخ﴾ اشارة الى ان فى العدن قولا آخر وهو اسم علم لموضع معين فى الجنة استدلالا بالاخبار الواردة فيه ﴿قوله ومرجع العطف فيها﴾ يعنى ان العطف يقتضى التغاير فعطف قوله تعالى ومساكن طيبة على قوله جنات تجرى يحتمل ان يكون مبنيا على التغاير الذاتى بين المعطوف والمعطوف عليه بان يراد بالجنات البساتين وبالمساكن الطيبة القصور المبنية من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر مثلا ويحتمل ان يكون مبنيا على التغاير الوصفى مع اتحاد الذات ﴿قوله والمنافقين بالزام الحجة﴾ ولا تجوز المحاربة والمجاهدة بالسيف معهم لانهم يظهرون الاسلام وينكرون الكفر وحكم شريعتنا ان نحكم بالظاهر لقوله صلى الله عليه وسلم * نحن نحكم بالظاهر * وقد امر الله تعالى بالجهاد معهم وهو عبارة عن بذل الجهد فى الصرف عن المنكر والارشاد الى الحق وليس فى لفظ جاهد مايدل على كون ذلك الجهاد بالسيف او باللسان او بطريق آخر فنقول الآية تدل على وجوب الجهاد مع المنافقين واما كيفية تلك المجاهدة فلفظ الآية لايدل عليها وانما تعرف هى من دليل آخر فقد دلت الدلائل المنفصلة على ان المجاهدة مع الكفار يجب ان تكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة تارة باليد وتارة باللسان فمن لم يستطع فبالقلب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بقوله واغلظ عليهم شدة الانتهار والنظر بالبغض والمقت وعن ابن مسعود ان يكفهر فى وجوههم روى انه صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان مايقول محمد لاخواننا الذين خلفناهم فى المدينة حقا فنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال يارجل ان محمدا هو الصادق وانتم شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه عامر بن قيس فأخبره بما قاله الجلاس فقال الجلاس كذب يارسول الله على فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبدالله بن ابيّ وان لم يرض رسول الله (وما نقموا) وما انكروا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم (الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله) فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهار سول الله صلى الله عليه وسلم أثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى والاستثنا مفرّغ من اعم المفاعيل او العلل (فان يتوبوا يك خيرا لهم) هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب (وان يتولوا) بالاصرار على النفاق (يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (وما لهم في الارض من ولي ولا نصير)

فينجيهم من العذاب (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكوننّ من الصالحين) نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطينّ كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدّقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرّا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذي فيه الفرآئض فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله منعني ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا جزآء عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان (فلما آتاهم من فضله بخلوا به) منعوا حق الله منه (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الاعراض عنها (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فأورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم (الى يوم يلقونه) يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزآءه وهو يوم القيامة (بما اخلفوا الله ما وعدوه) بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح (وبما كانوا يكذبون) وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذّبون بالتشديد (ألم يعلموا) اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات (ان الله يعلم سرّهم) ما اسرّوه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكاة جزية (وان الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه ذلك (الذين يلمزون) ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرّهم وقرئ يلمزون بالضم (المطوّعين) المتطوّعين (من المؤمنين في الصدقات) روي انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدّق عاصم بن عديّ بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بتّ ليلتي اجرّ بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء (حال)
ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر ونفسه ليعطي من الصدقات فنزلت (والذين لا يجدون الا جهدهم) الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر

ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب عليّ عامر فحلف عامر بالله الذي لا اله الا هو لقد قال وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه صلى الله عليه وسلم قبل ان يتفرّقا بهذه الآية فان يتوبوا يك خيرا لهم فقال الجلاس يا رسول الله ان الله قد عرض عليّ التوبة صدق عامر بن قيس فيما قال وانا قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته ﴿قوله او اخراجه﴾ مجرور معطوف على قوله من قتل الرسول اي يحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى وهموا بما لم ينالوا ما قصده الخمسة عشر من قتله صلى الله عليه وسلم بالليل اذا تسنم العقبة فانهم لما اجتمعوا لذلك الغرض كان الظاهر انهم قد طعنوا في نبوّته صلى الله عليه وسلم ونسبوه الى الكذب في دعوى الرسالة وذلك هو قولهم كلمة الكفر ويحتمل ان يكون المراد به الاخراج الذي همّ به عبدالله بن ابيّ حيث قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الاعزّ منها الاذل واراد به الرسول صلى الله عليه وسلم وسمع زيد بن ارقم هذا وبلغه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهمّ بقتل عبدالله بن ابيّ فجاء عبدالله فحلف انه لم يقله فنزلت الآية ﴿قوله او بان يتوّجوا﴾ اي بان يلبسوه التاج وهو تفسير لقوله تعالى بما لم ينالوا او هو غير ما روى السدّي انه قال قوله تعالى بما لم ينالوا هو قولهم اذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبدالله بن ابيّ تاجا فلم يصلوا اليه ﴿قوله أثروا﴾ اي استغنوا او كثرت اموالهم والثرآء كثرة المال وما عابوا واشبأ منهم الا اغناء الله اياهم وهو من باب قولهم مالي عندك ذنب الا اني احسنت اليك * اي ان كان ثم ذنب فهو هذا وقد تهكم بهم كقوله

※ ما نقموا من بني امية الا ※ انهم يحلمون اذ غضبوا ※

والتقدير على الثاني ما كرهوا الداعي وما دعوا اليه لشيء الا لاجل ان اغناهم الله ورسوله ﴿قوله تعالى لنصدّقنّ﴾ اصله لنتصدّقنّ ادغمت التاء في الصاد لقربها منها والمتصدّق معطي الصدقة قال تعالى وتصدّق علينا ان الله يجزي المتصدّقين ﴿قوله اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا﴾ يقال اعقبه الله خيرا اي صير عاقبة امره ذلك ويقال أكل فلان اكلة اعقبته سقما وفي الصحاح اعقبه بطاعته اي جازاه ﴿قوله ويجوز ان يكون الضمير للبخل﴾ لا يخفى انه تجويز امر بعيد لان اعقب لو كان مسندا الى ضمير البخل المدلول عليه بقوله بخلوا به لكان المعنى بخلهم اعقبهم نفاقا متمكنا في قلوبهم بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ولا شك ان اسناد النفاق الى البخل بسبب اخلاف وعد الله معنى بعيد والظاهر ان اعقب مسند الى ضمير الجلالة لان الضمير الواقع قبله وبعده وهو ضمير من فضله وضمير يلقونه كل واحد منهما راجع اليه تعالى والظاهر ان يكون ضمير اعقب ايضا عبارة عنه تعالى ﴿قوله او يلقون عمله﴾ اي عمل البخل وجزآءه وهذا على تقدير ان يكون ضمير اعقب البخل وفي التيسير قال الحسن قوله تعالى فأعقبهم نفاقا اي صار بخلهم سببا لذلك وقوله الى يوم يلقونه اي يرون بخلهم كما قال ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره ﴿قوله حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم﴾ يدل على ان عبد الرحمن رضي الله عنه كانت له امرأتان وان ثمن ماله كان اكثر من مائة وستين الف درهم ليصح ان يصالح احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وفي الكشاف حتى صولحت امرأته تماضر عن ربع الثمن على ثمانين الف درهم وهو يدل على انه خلف اربع زوجات وان ثمن ماله كان اكثر من ثلاثمائة ألف وعشرين ألفا ليصح ان يصالح احدى الزوجات الاربع عن ربع الثمن على ثمانين والله اعلم والوسق بالفتح ستون صاعا وقيل هو حمل بعير ﴿قوله اجرّ بالجرير﴾ الجرير حبل يجرّ به البعير بمنزلة العذار للدابة والباء زائدة اي اجرّ الجرير والمعنى بتّ استقي للناس على اجرة صاعين ﴿قوله جازاهم على سخريتهم﴾ فيكون جزآء السخرية بالسخرية مبنيا على المشاكلة فانها تورث الكلام حسنا كما سمي جزآء الاستهزاء استهزاء وجزآء السيئة سيئة او على الاستعارة فان جزآء السخرية مماثل لها فاطلق احد المثلين على الآخر لمشابهته له فعلى هذا يكون سخر الله استعارة تبعية ﴿قوله يريد به التساوي بين الامرين﴾ يعني ان الكلام وان ورد على صورة الامر الا ان المراد الاخبار بتساوي الامرين كما في قوله تعالى انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وفائدة العدول الى صيغة الامر مع ان الخبر ايضا يدل على تساوي الامرين في عدم النفع مثل ان يقال استغفارك من حيث ترتب المغفرة عليه كعدمه لا فرق بينهما هي الدلالة على التأكيد والمبالغة في تساوي الامرين كأنه قيل ان شئت ان تعرف ان لا اغفر لهم على كل

كما نص عليه بقوله (ان تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم) روى ان عبد الله بن عبد الله بن ابى وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لأزيدنّ على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوّز ان يكون ذلك حدًّا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة ﴿٤٤٥﴾ والسبعين والسبعمائة ونحوها فى التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنه العدد بأسره (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها (والله لايهدى القوم الفاسقين) المتمرّدين فى كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك فى كفره المطبوع عليه لاينقلع ولايهتدى والتنبيه على عذر الرسول فى استغفاره وهو عدم يأسه من ايمانهم مالم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحىّ اى بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال (وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله) ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله فيه وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج (وقالوا لاتنفروا فى الحرّ) اى قاله بعضهم لبعض اوقالوه للمؤمنين تثبيطا (قل نار جهنم اشدّ حرّا) وقد آثرتموها بهذه المخالفة (لو كانوا يفقهون) انّ مآبهم اليها اوانها كيف هى ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) اخبار عما يؤول اليه حالهم فى الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم (فان رجعك الله الى طائفة منهم) فان ردّك الله الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعنى منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقى منهم وكان المتخلفون اثنى عشر رجلا (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة اخرى بعد تبوك (فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوّا) اخبار فى معنى النهى للمبالغة لا (٤٤) (انكم رضيتم بالقعود اوّل مرّة) تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واوّل مرّة هى الخرجة الى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) اى المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين (ولا تصل على احد منهم مات ابدا) روى ان ابن ابىّ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه فى شعاره الذى يلى جسده ويصلى عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلى عليه فنزلت

حال المضى بان تستغفر لهم تارة وتترك تارة اخرى تجدنى استمرّ على عدم مغفرتى لهم فى الحالين ﴿قوله فان مغفرة الكافر بالاقلاع﴾ اى الامتناع عن الكفر وبالارشاد الى الحق بمعنى الدلالة الموصلة الى الحق وكل واحد من هذين السببين منتف فى حق المتمرّدين فى كفرهم ماداموا مختارين للكفر والطغيان متمرّدين فيهما فانتفى المسبب ايضا فى حقهم وهو المغفرة فكان قوله تعالى والله لايهدى القوم الفاسقين كالدليل على عدم مغفرة الله تعالى لهم البتة • فان قيل كيف يغفر لهم وهم كفار متمرّدون والمتمرّد فى الكفر لايهديه الله الى الحق ومن لايهتدى الى الحق لايغفر له فهو صلى الله عليه وسلم انما علم كونهم متمرّدين مطبوعين على الضلال بهذا الدليل فلذلك استغفر لهم قبل قيام الدليل ﴿قوله بقعودهم عن الغزو خلفه﴾ اشارة الى ان المقعد مصدر بمعنى القعود وان خلاف منصوب على الظرفية اى بعد ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال اقام زيد خلاف القوم اى تخلف بعد ذهابهم وروى عن الاخفش وغيره ان خلاف بمعنى خلف وبعد ويؤيده قرآءة ابن عباس بفتح الخاء وسكون اللام ﴿قوله فيكون انتصابه على العلة﴾ اى فرحوا لاجل مخالفتهم فانهم احتالوا حتى تخلفوا عنه صلى الله عليه وسلم باحتيالهم الظاهر له صلى الله عليه وسلم او مخالفين له وصفهم الله بقوله المخلفون كما اشار صاحب الكشاف اليه بقوله هم الذين استأذنوا رسول الله من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة فى غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان ﴿قوله ايثارا للدعة﴾ وهى الراحة وقوله والخفض عطف تفسير لها يقال عيش خافض اى رافه وقوله على طاعة الله متعلق بقوله ايثارا وقوله وفيه تعريض اشارة الى فائدة قوله وكرهوا ان يجاهدوا الآية مع ان الفرح متعلق بالاقامة والتخلف عن الغزو يدل على كراهية الجهاد والمهج جمع مهجة وهى الروح وقيل الدم وقيل هى دم القلب خاصة والتثبيط عن الامر عبارة عن الصرف عنه يقال ثبطه عن الامر تثبيطا اى شغله عنه ﴿قوله اخبار عما يؤول اليه حالهم﴾ والمعنى ستحصل لهم هذه الحالة لقوله تعالى بعده جزاء بما كانوا يكسبون ﴿قوله اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب﴾ فان ظاهر الامر الايجاب ولايحتمل من الصدق والكذب مايحتمله الخبر وقوله تعالى قليلا وكثيرا وان جاز كونهما منصوبين على ظرفية الزمان اى زمانا قليلا وزمانا كثيرا الا ان الظاهر انهما منصوبان على المصدر ﴿قوله فان كلهم لم يكونوا منافقين﴾ علة لتخصيص المخلفين بالمنافقين منهم وهذا على تقدير ان يجعل ضمير منهم للمخلفين وان جعل للمنافقين وكان المراد بالطائفة من بقى من المنافقين فلا تخصيص ﴿قوله وكان اسقاطهم من ديوان الغزاة عقوبة لهم﴾ لما فيه من اظهار نفاقهم وكون خروجهم للغزاة مؤديا الى انواع من المفاسد وذلك لان استصحاب المسلمين فى الغزوات وترغيبهم فى الجهاد امر معلوم بالضرورة فلما امتنع هؤلاء عن الخروج الى الغزو بعد استئذانهم له كان ذلك تصريحا بكونهم خارجين عن زمرة من كلف بالجهاد وهذا تفضيح واهانة فى حياتهم ثم انه كلف رسوله صلى الله عليه وسلم بان يفضحهم بعد الوفاة حيث قال ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان ابن ابىّ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويصلى عليه اذا مات ويقوم على قبره ثم انه ارسل الى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه قميصه ليكفن فيه فارسل اليه القميص الفوقانى فردّه وطلب منه القميص الذى يلى جلده ليكفن فيه فقال عمر أتعطى قميصك الرجس النجس فقال صلى الله عليه وسلم • ان قميصى لايغنى عنه من الله شيأ ولعل الله ان يدخل به الناس فى الاسلام • وكان المنافقون عند عبد الله فلما رأوه يطلب القميص منه ويرجو ان ينفعه اسلم منهم الف فلما مات جاء ابنه يعرفه صلى الله عليه وسلم بموته قبل دفنه فقال ان لم تصل عليه يارسول الله لم يصل عليه مسلم فقام عليه الصلاة والسلام ليصلى فجاء عمر فقام بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين القبلة لئلا يصلى عليه فنزلت الآية واخذ جبريل صلى الله عليه وسلم بثوبه وقال ولا تصل على احد منهم مات ابدا فأعرض عن الصلاة عليه وهذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضى الله عنه فان الوحى كان ينزل على وفق قوله فى آيات كثيرة منها هذه الآية وهو منصب عال ودرجة رفيعة فى الدين فلهذا قال صلى الله عليه وسلم فى حقه • لو لم ابعث لبعثت ياعمر نبيا • فان قيل كيف يجوز ان يقال ان الرسول رغب فى ان يصلى عليه بعد ان علم كونه كافرا قد مات على كفره وان صلاته دعاء له بالمغفرة وذلك محظور لانه تعالى منعه من ان يستغفر لمشرك واعلمه انه لايغفر للكفار البتة وايضا الصلاة عليه ودفع قميصه اليه يوجب اعزازه وهو مأمور باهانة الكفار • فالجواب انه لعل السبب فيه

وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه
عن التكفين في قيصه ونهى عن الصلاة
عليه لان الضنة بالقميص كانت مخلة بالكرم
ولانه كان مكافأة لالباسه العباس قيصه
حين اسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء
للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر
ولذلك رتب النهى على قوله مات ابدا يعني
الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب
دون التمتع فكأنه لم يحى (ولا تقم على قبره)
ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة (انهم
كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون)
تعليل للنهى او لتأبيد الموت (ولا تعجبك
اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها
في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون)
تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار
طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس
مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق
غير الاول (واذا انزلت سورة) من القرآن
ويجوز ان يراد بها بعضها (ان آمنوا بالله)
بان آمنوا بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة
(وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا
الطول منهم) ذووا الفضل والسعة (وقالوا
ذرنا نكن مع القاعدين) الذين قعدوا لعذر
(رضوا بان يكونوا مع الخوالف) مع النساء
جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه
(وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون)
ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة
وما في التخلف عنه من الشقاوة (لكن الرسول
والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم
وانفسهم) اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا
فقد جاهد من هو خير منهم (واولئك
لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة
في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل
الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهي
جمع خيرة تخفيف خيرة (واولئك
هم المفلحون) الفائزون بالمطالب (اعد الله
لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لما لهم
من الخيرات الاخروية

انه لما طلب منه صلى الله عليه وسلم ان يرسل اليه قيصه الذي يمس جلده ليدفن فيه غلب على ظنه انه تاب عن نفاقه
وآمن لان ذلك الوقت وقت توبة الفاجر وايمان الكافر فلما رأى منه اظهار الاسلام وشاهد منه هذه الامارة الدالة
على اسلامه غلب على ظنه انه صار مسلما فلذلك رغب في ان يصلى عليه فلما نزل جبريل صلى الله عليه وسلم واخبره
بانه مات على كفره ونفاقه امتنع من الصلاة عليه واما دفع القميص اليه فذكروا فيه وجوها منها ان العباس عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قيصا وكان رجلا طويلا فكساه عبد الله قيصه فهو
صلى الله عليه وسلم انما دفع اليه قيصه مكافأة لاحسانه ذلك لا اعزازا له ومنها انه تعالى امره ان لا يرد سائلا بقوله
واما السائل فلا تنهر فلما طلب عبد الله منه القميص دفعه اليه لهذا المعنى ومنها انه انما دفعه اليه بمقتضى كرمه وغلبة الرحمة
والرأفة عليه كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال فبما رحمة من الله لنت لهم فامتنع من الصلاة عليه
رعاية لامر الله تعالى ودفع اليه القميص لاظهار الرأفة والرحمة ومنها انه لعله اوحى اليه انك ان دفعت اليه قيصك
صار ذلك حاملا لدخول ألف نفس من المنافقين في الاسلام ففعل ذلك لهذا الغرض ﴿قوله صلى عليه ثم
نزلت﴾ قال الامام الواحدي في الوسيط روى عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما انه لما توفي عبد الله بن ابي
جاء ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قيصه ليكفن فيه فارسل اليه القميص الفوقاني فرده
فطلب الذي يلي جلده ليكفن فيه اياه فأعطاه ثم سأله ان يصلى عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي فقام
عمر بن الخطاب فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتصلي عليه فقال صلى الله عليه وسلم
* انما خيرني الله فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم * قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز
وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا رواه البخاري عن عبيد الله بن اسمعيل ورواه مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة
كلاهما عن اسامة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ﴿قوله والمراد﴾ منصوب معطوف على قوله
الضنة ﴿قوله ولذلك رتب النهى على قوله مات ابدا﴾ اى ولكون الاستغفار ممنوعا في حق من مات كافرا
رتب النهى عن الصلاة على الاحد الموصوف بأنه كائن منهم والموصوف بانه مات ابدا فان منهم صفة لاحد وكذلك
جملة قوله مات فانها ايضا في محل الجر على صفة احد وابدا ظرف منصوب بمات على ما اختاره المصنف وتفرد به
كأنه قيل لا تصل على احد منهم ميت ابدا بان مات على الكفر * قال الامام نقلا عن الواحدي ان قوله تعالى
مات في موضع جر على انه صفة للنكرة كأنه قيل على احد منهم ميت وقوله ابدا متعلق بقوله ولا تصل على احد يريد
انه ظرف للنهى والتقدير ولا تصل ابدا على احد منهم مات ﴿قوله تكرير للتأكيد﴾ يعني ان هذه الآية قد سبق
ذكرها بعينها في هذه السورة فلا فرق بينهما الا في عبارات مخصوصة اولاها انه تعالى قال في الآية المتقدمة فلا تعجبك
بالفاء وههنا قال ولا تعجبك بالواو وثانيتها انه تعالى قال هناك اموالهم ولا اولادهم وههنا كلمة لا محذوفة وثالثتها
انه تعالى قال هناك انما يريد الله ليعذبهم وههنا قال انما يريد الله ان يعذبهم بكلمة ان بدل اللام ورابعتها انه تعالى
قال هناك في الحياة الدنيا وههنا حذف لفظ الحياة فقيل هذه الآية ليست للتأكيد لان ما سبق نزلت في حق
قوم وهذه نزلت في آخرين وقيل انها تأكيد للآية السابقة والمقام يقتضي التأكيد لان اشد ما يفتتن به الانسان
من اسباب الدنيا الاموال والاولاد فيجب التحذير عنها مرة بعد اخرى ﴿قوله طامحة﴾ اى مرتفعة ناظرة
يقال طمح بصره الى الشئ اى ارتفع ﴿قوله مغتبطة﴾ اى مغبوطة والغبطة ان تمنى مثل حال المغبوط من غير
ان يريد زوالها عنه والا لكان حسدا تقول منه غبطته بما نال اغبطه غبطا وغبطة فاغتبط كقولك منعته فامتنع
وحبسته فاحتبس ﴿قوله ويجوز ان يراد بها بعضها﴾ وجعلها صاحب الكشاف نظير القرآن والكتاب
فكما ان كلا منهما يقع على الكل والبعض فكذا السورة فانها ليست الا اسما للمجموع فاطلاقها على البعض مجاز
ولا يخفى ان كلا منهما موضوع للقدر المشترك بين الكل والبعض بخلاف السورة فانها ليست الا اسما للمجموع
فاطلاقها على البعض مجاز ﴿قوله ويجوز ان تكون أن المفسرة﴾ لانه قد تقدمها ما هو بمعنى القول وعلى الاول
كانت مصدرية على حذف حرف الجر وفي قوله استأذنك التفات من الغيبة الى الخطاب ومقتضى الظاهر ان يقال
استأذنه بناء على لفظ رسوله ﴿قوله وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه﴾ قال الجوهري فلان خالفة اهل بيته
وخالف اهل بيته ايضا اذا كان لا خير فيه انتهى فالتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية ولعل الوجه في تسمية
من لا خير فيه من الرجال خالفة كونه غير مجيب الى ما دعى اليه من المهمات قال المفسرون كان يصعب على المنافقين

(تسميتهم)

الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب معذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ

المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لاتدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار (سيصيب الذين كفروا منهم) من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره (عذاب اليم) بالقتل والنار (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) كالهرمى والزمنى (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) لفقرهم كجهينة ومزينة وبنى عذرة (حرج) اثم في التأخر (اذا نصحوا لله ورسوله) بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل المولى الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح (ما على المحسنين من سبيل) اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك (والله غفور رحيم) لهم او للمسيء فكيف المحسن (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرفوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه السلام لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه (قلت لا اجد ما احملكم عليه) حال من الكاف في اتوك باضمار قد (تولوا) جواب اذا (واعينهم تفيض) تسيل (من الدمع) اى دمعا اى دمعها فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا (حزنا) نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله (ان لا يجدوا) لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض (ما ينفقون) في مغزاهم (انما السبيل) بالمعاتبة (على الذين يستأذنونك وهم اغنياء) واجدون للاهبة (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) استئناف لبيان ما هو السبب

تسميتهم بالخوالف فنزلت الآية تعييرا لهم وذما ﴿ قوله معتذرين بالجهد ﴾ مصدر جهد عيشهم بكسر الهاء بمعنى نكد واشتد ﴿ قوله والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر ﴾ فقوله تعالى وجاء المعذرون معناه وجاء المقصرون في الجهاد بان توانوا ولم يجدوا فيه من غير عذر والحاصل ان المصنف ذكر في لفظ المعذرين ثلاث قراآت الاولى تشديد الذال فقط والثانية التخفيف والثالثة تشديد العين والذال وذكر في القرآءة الاولى احتمالين الاول انه يكون اسم فاعل من باب التفعيل ومعناه المقصر في الجهاد المعتذر بغير عذر المتصنع في اعتذاره والثاني ان يكون اسم فاعل من باب الافتعال واصله المعتذرون نقلت فتحة التاء الى العين فقلبت التاء دالا وادغمت في الذال التي بعدها والاعتذار قد يكون بالكذب كما في قوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم فانه تعالى بين كون هذا الاعتذار فاسدا بقوله قل لا تعتذروا وقد يكون بالصدق كما في قول لبيد * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر * يريد فقد جاء بعذر صحيح وقيل المعذر بالتشديد من يعتذر بلا عذر وجعل المعذرون بالتخفيف اسم فاعل من اعذر اذا اجتهد في العذر وبالغ فيه فيكون صادقا في اعتذاره يقال اعذرت اليه اى اتيت العذر الصحيح وصنف منهم قعدوا وتخلفوا من غير استئذان فضلا عن الاعتذار وانما قعدوا كذبا على الله تعالى فهم المرادون بقوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله وجعل القرآءة الثالثة اسم فاعل من تعذر بمعنى اعتذر اصله متعذرون وجعل هذه القرآءة لحنا بناء على ان التاء لا تدغم في العين لبعد المخرج فظهر مما ذكرنا ان الاختلاف في انهم كانوا محقين في الاعتذار او مبطلين انما هو على قرآءة التشديد على ان يكون المعذرون بمعنى المعتذرون ان كان بمعنى المقصرين فهم مبطلون بلا خلاف وعلى قرآءة التخفيف يكونون محقين بلا خلاف ﴿ قوله فيكون ﴾ متفرع على قوله بالصحة لان المعتذرين بالصحة لا يقال في حقهم انهم كاذبون في ادعاء الايمان ولا في الاعتذار ﴿ قوله كالهرمى ﴾ في جمع هرم يقال هو هرم وقوم هرمى والهرم بفتحتين كبر السن يقال هرم الرجل وأهرم روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر الضعفاء بالهرمى والمشايخ والعجزة فانهم وان كانوا اصحاء من حيث الابدان الا انهم ضعفاء ليس لهم قوة يقتدرون بها على الجهاد والمرضى الذين بهم علة يرجى زوالها الا انهم في الحال لا طاقة لهم والناصح الخالص والنصح اخلاص العمل من الغش يقال نصح الشيء اذا خلص ونصح له في القول اخلصه له قال صلى الله عليه وسلم * الدين النصيحة * قالوا لمن قال * لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم * قال العلماء النصيحة لله اخلاص الاعتقاد في الوحدانية ووصفه بصفات الالهية وتنزيهه عن النقائص والرغبة في مرضاته والبعد عن مساخطه والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته والتزام طاعته في نهيه وامره وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه وتوقيره ومحبته ومحبة آل بيته وتعظيمه وتعظيم سنته واحياؤها بعد موته بالبحث عنها والتفقه فيها والذب عنها وتعليمها والدعاء اليها والتخلق بها والنصح لائمة المسلمين ترك الخروج عليهم وارشادهم الى الحق وتنبيههم فيما اغفلوه من امور المسلمين ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم والنصح لعامة المسلمين ترك معاداتهم وارشادهم وحب الصالحين منهم والدعاء لجميعهم وارادة الخير لكافتهم فقوله تعالى في هذه الآية اذا نصحوا لله ورسوله معناه اذا اخلصوا الايمان لله ورسوله وامتثلوا امرهما في جميع الامور ومعظمها ان لا يفشوا ما سمعوا من الاراجيف وان لا يثيروا الفتن وان يسعوا في ايصال الاخبار السارة وهذا كله بعد اخلاص ايمانهم واعمالهم من الغش والرياء وكلمة من في قوله من سبيل زائدة اى ما على المحسنين سبيل اى لا اثم عليهم بسبب القعود عن الجهاد لانخراطهم في سلك المحسنين حيث اتوا بما في وسعهم من نصحهم لله ولرسوله ﴿ قوله عطف على الضعفاء ﴾ اى لا شيء من حرج ثابت على كذا وكذا ولا على الذين ﴿ قوله وهم البكاؤون ﴾ قال المفسرون المراد بقوله تعالى ولا على الذين سبعة نفر من الانصار سموا البكائين ﴿ قوله تعالى حزنا نصب على العلة ﴾ والعامل فيه تفيض * فان قيل فاعل الفيض مغاير لفاعل الحزن لان الفيض قد اسند الى العين والحزن صادر من اصحاب الاعين واذا اختلف الفاعل وجب جر المفعول له بالحرف فكيف نصب ههنا قلنا ان الحزن قد يسند الى العين ايضا مجازا فيقال عين حزينة وسخينة اى غير مسرورة وقريرة ونحو ذلك ويجوز ان يكون العامل فيه تولوا فحينئذ يتحد فاعلا العلة والمعلول حقيقة ويجوز ان يكون حزنا حالا من فاعل تولوا او من فاعل تفيض اى تولوا حزنين او تفيض اعينهم حزينة على ما تقدم من المجاز ويجوز ان يكون المصدر منصوبا بفعل مقدر من لفظه اى يحزنون حزنا وهذه الجملة التي قدرناها ناصبة لهذا المصدر في محل النصب على الحال اما من فاعل تفيض او من فاعل تولوا ﴿ قوله لئلا يجدوا متعلق بحزنا ﴾ هذا على تقدير ان يكون حزنا مفعولا له او حالا واما اذا

(يعتذرون اليكم) فى التخلف (اذا رجعتم اليهم) من هذه السفرة (قل لاتعتذروا) بالمعاذير الكاذبة لانه (لن نؤمن لكم) لن نصدّقكم لانه (قد نبأنا الله من اخباركم) اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو مافى ضمائركم من الشرّ والفساد (وسيرى الله عملكم ورسوله) أتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكأنه استتابة وامهال للتوبة (ثم تردّون الى عالم الغيب والشهادة) اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرّهم وعلنهم لايفوت عن علمه شئ من ضمائرهم واعمالهم (فينبئكم بما كنتم تعملون) بالتوبيخ والعقاب عليه (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) فلا تعاتبوهم (فأعرضوا عنهم) ولا توبخوهم (انهم رجس) لاينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لاتقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة (ومأواهم جهنم) من تمام التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لاينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم (جزآء بما كانوا يكسبون) يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة (يحلفون لكم لترضوا عنهم) بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم (فان ترضوا عنهم فان الله لايرضى عن القوم الفاسقين) اى فان رضاكم لايستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لاينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم أن يلبسوا عليكم لايمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولاينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم (الاعراب) اهل البدو (اشدّ كفرا ونفاقا) من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة (وأجدر ان لايعلموا) واحق بان لايعلموا (حدود ما انزل الله على رسوله) من الشرآئع فرآئضها وسننها (والله عليم) يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا (ومن الاعراب من يتخذ) يعدّ (ماينفق) يصرفه فى سبيل الله ويتصدّق به (مغرما) غرامة وخسرانا اذ لايحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق ريآء او تقية (ويتربص بكم الدوائر) دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق (عليهم دائرة السوء) اعتراض بالدعاء عليهم بنحو مايتربصونه او الاخبار عن

(على)

جعل مصدرا فلا يجوز ذلك لان المصدر لايعمل اذا كان مؤكدا لعامله ﴿قوله لن نصدّقكم﴾ اشارة الى ان الجملة استئناف لبيان وجه نهيهم عن الاعتذار لان المعتذر اذا علم ان عذره لايقبل وجب عليه ان يمتنع عنه وكذا قوله تعالى قد نبأنا الله فانه ايضا علة لانتفاء التصديق ولما حكى الله تعالى عنهم انهم يعتذرون ذكر بقوله سيحلفون بالله لكم انهم كاذبون فى تلك الاعذار بالايمان الكاذبة والمعنى انهم سيحلفون انهم ماقدروا على الخروج وحلفوا على ذلك لتعرضوا عنهم اى لتصفحوا عنهم ولتعرضوا عن لومهم وتعنيفهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قوله تعالى فأعرضوا عنهم يريد اتركوا كلامهم وسلامهم قال اهل المعانى انهم طلبوا اعراض الصفح فأعطوا اعراض المقت حيث امر الله تعالى رسوله والمؤمنين ان يظهروا لهم الاستخفاف بهم ويعرّفوهم ان أقدارهم اوضع من ان يصلوا الى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿قوله لاينفع فيهم التأنيب﴾ وهو اللوم والتعنيف ﴿قوله يجوز ان يكون مصدرا﴾ اى لفعل مقدّر من لفظه اى يجزون جزآء او لمضمون ماقبله فان قوله تعالى مأواهم جهنم فى معنى يجزون بعذاب جهنم ثم انه تعالى بعد ما بين انهم يحلفون بالله ليعرض المسلمون عن ايذآئهم بين انهم يحلفون ليرضى المسلمون فيستديموا ما كانوا يفعلونه بهم ﴿قوله او ان امكنهم ان يلبسوا الخ﴾ على ان يكون قوله تعالى فان ترضوا كناية عن تلبيسهم على المؤمنين بالايمان الكاذبة ﴿قوله اهل البدو﴾ اشارة الى ان الاعراب وان كان على صورة الجمع نحو حجر واحجار الا انه ليس جمع العرب والا لزم ان يكون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو الصنف الخاص من بنى آدم سوآء سكن البوادى ام سكن القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادى فقط فعلى هذا يكون العرب اعم من الاعراب وقيل العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى والاعراب اهل البدو فعلى هذا هما متباينان قال اهل اللغة يقال رجل عربى اذا كان نسبته الى العرب وجمعه العرب كما يقال مجوسىّ ويهودىّ ثم تحذف ياء النسبة فى الجمع فيقال مجوس ويهود ورجل اعرابى بالالف اذا كان بدويا يطلب مساقط العشب والكلأ سواء كان من العرب او من مواليهم ويجمع على الاعراب والاعرابى اذا قيل له ياعربى فرح والعربى اذا قيل له يااعرابى غضب فمن استوطن القرى العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم اعراب ويدل على الفرق قوله حب العرب من الايمان واما الاعراب فقد ذمهم الله تعالى فى هذه الآية فقد ظهر بما قررنا ان الاعراب جمع اعرابى وقد تقرر ان الاصل فى الجمع المحلى بالالف واللام ان ينصرف الى المعهود السابق فان لم يوجد المعهود السابق حمل على الاستغراق للضرورة اذ لو لم يحمل عليه لزم الاجمال فلذلك قال بعض العلماء المراد بالاعراب ههنا جمع معينون من منافقى العرب يوالون منافقى المدينة فصرفوا هذا اللفظ اليهم وفى التيسير ان هذه الآية تتصل بقوله وجاء المعذرون من الاعراب اى ان سكان البوادى اذا كانوا كفارا او منافقين فهم اشدّ كفرا ونفاقا من اهل الحضر وذلك لان اهل البدو يشبهون الوحوش فهم مجبولون على الامتناع عن الطاعة والانقياد ولان استيلاء الهوآء الحار اليابس عليهم يزيد قساوة قلوبهم ولان من لم يدخل تحت تأديب مؤدّب ولم يخالط اهل العلم والمعرفة ولم يستمع لكتاب الله تعالى ومواعظ رسوله صلى الله عليه وسلم بآياته الشافية كيف يكون مساويا لمن اصبح وامسى فى صحبة اهل العلم والحكمة مستمعا لمواعظ الاحكام والكتاب والسنة وان شئت ان تعرف الفرق بين اهل الحضر والبادية فقابل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ومن كانوا ابعد عن سماع القرآن والسنن كانوا اجدر واولى واحق بان لايعلموا حدود العبادات والشرآئع المنزلة على رسول الله ﴿قوله غرامة وخسرانا﴾ اشارة الى ان المغرم مصدر بمعنى الغرامة وهى التزام مالايلزم وهو لايكون الا بضياع رأس المال فلذلك عطف عليه قوله وخسرانا واصلها الملازمة ومنها الغريم للزومه ومن فى قوله تعالى ومن يتخذ اما موصولة او موصوفة فى محل الرفع على الابتدآء ومن الاعراب خبره ومغرما مفعول ثان ليتخذ لانه بمعنى يعدّ ويتربص عطف على يتخذ عطف صلة على صلة او صفة على صفة والتربص الانتظار والدوائر جمع دائرة وهى مايحيط بالانسان من مصيبة ونكبة فمعنى تربص الدوائر انتظار المصائب بان ينقلب الزمان على المسلمين بموت الرسول صلى الله عليه وسلم وغلبة الكفار عليهم والعقبة النوبة ﴿قوله والسوء بالفتح مصدر﴾ اى هو مصدر قولك ساءه نقيض سرّه والاضافة فيه من اضافة الموصوف الى صفته وصفت الدائرة بالمصدر فى الاصل للمبالغة كما فى نحو رجل عدل ثم اضيفت الى صفتها كما فى قوله تعالى ما كان ابوك امرأ سوء وقوله وظننتم ظن السوء والسوء بالضم يطلق

على ماهو من قبيل المكروه والبلاء قيل لولم تضف الدآئرة الى السوء لعرف منها معنى الشر لان دآئرة الدهر لاتستعمل الا فى المكروه فالمعنى يدور عليهم الحزن والبلا فلا يرون فى مايتخذون الا مايسوءهم ﴿ قوله وفى الفتح ﴾ اى فى الثانية مما فى سورة الفتح واما الاولى بمافيها فقد اتفقت القرآء السبعة على فتح سينها وهما فى قوله تعالى والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دآئرة السوء ﴿ قوله والسابقون الاولون ﴾ وجه اتصاله بماقبله انه تعالى لماذكر فضائل الاعراب الذين يتخذون مايتفقون سبب قربات لهم عندالله تعالى وما اعدّلهم من الثواب بين ان فوق منزلتهم منازل اعلى واعظم منها وهى منازل السابقين الاولين واختلفوا فى ان السابقين من المهاجرين والانصار من هم فعن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة وجماعة من الصحابة وغيرهم رضى الله عنهم انهم هم الذين صلوا الى القبلتين فانهم سابقون اولون بالنسبة الى من صلى بعد تحويل القبلة الى الكعبة وعن عطاء بن ابى رباح رضى الله عنه انهم اهل بدر فانهم السابقون فضلا وزمانا بالنسبة الى من لم يشهد وقعة بدر وعن الشعبى انهم الذين شهدوا بيعة الرضوان بالحديبية وعن مسلم ان المراد بهم من تقدّم موته بعد الاسلام من الشهدآء وغيرهم * قال الامام والصحيح عندى ان المراد بالسابقين من المهاجرين السابقون فى الهجرة ومن الانصار السابقون فى النصرة واستدل عليه بانه تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين انهم سابقون فى ماذا فبقى اللفظ مجملا الا انه تعالى لما وصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا علم ان المراد من السبق السبق فى الهجرة والنصرة ازالة للاجمال عن اللفظ وايضا كل واحد من الهجرة والنصرة لما كان فعلا شاقا على النفس مخالفا للطبع كان طاعة عظيمة ممن اقدم عليه اولا صار قدوة لغيره فى الطاعة وكان ذلك مقويا لقلب الرسول صلى الله عليه وسلم وسببا لزوال الوحشة من خاطره فلذلك اثنى الله تعالى على من كان سابقا فيهما ورضى عنهم وارضاهم بماتقرّ به اعينهم حيث آمنوا ودخلوا فى عداد المسلمين بمكة والمدينة فقوى الاسلام بسببهم وكثر عدد المسلمين باسلامهم وقوى قلبه صلى الله عليه وسلم بسبب دخولهم فى الاسلام واقتدآئهم فكان حالهم فيه كحال من سنّ سنة حسنة فكان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة * ثم ان العلماء اختلفوا فى المدح الحاصل فى هذه الآية أيتناول جميع الصحابة ام يتناول بعضهم فقيل انه لايتناول الا القدماء الصحابة لانهم الذين سبقوا بالهجرة والنصرة فان كلمة من تفيد التبعيض وقيل انه يتناول جميع الصحابة لان جلتهم موصوفون بكونهم سابقين اولين بالنسبة الى سائر المسلمين وكلمة من ليست للتبعيض بل لتبيين من هم السابقون الاولون الموصوفون بوصف كونهم مهاجرين وانصارا كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وكثير من الناس ذهبوا الى هذا القول روى عن حميد بن زياد انه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظى الا تخبرنى عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان بينهم واردت الفتن قال لى ان الله قدغفر لجميعهم وأوجب لهم الجنة فى كتابه محسنهم ومسيئهم فقلت له وفى اى موضع اوجب لهم الجنة قال سبحان الله الا تقرأ قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية فتعلم انه تعالى اوجب لجميع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطا قلت وماذلك الشرط قال شرط عليهم ان يتبعوهم باحسان وهو ان يقتدوابهم فى اعمالهم الحسنة ولا يقتدوابهم فى غير ذلك او يقال هو ان يتبعوهم باحسان فى القول وان لايقولوا فيهم سوأ وان لايطعنوا فيما اقدموا عليه قال حميد بن زياد فكأنى ماقرأت هذه الآية قط وجل اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة ثم الستة الباقون الى تمام العشرة ثم البدريون ثم اصحاب احد ثم اهل بيعة الرضوان بالحديبية ﴿ قوله وقرئ بالرفع ﴾ يعنى ان الجمهور على جر الانصار عطفا على المهاجرين والمعنى ان السابقين من هذين الجنسين شأنهم كذا وقرأ جماعة كثيرة برفعها عطفا على السابقون فعلى هذه القرآءة يكون السبق صفة للمهاجرين فقط وعلى القرآءة الاولى يكون صفة للجميع وينبغى ان تكون كلمة من فى القرآءة الثانية للتبيين اذلا وجه لتخصيص الحكم ببعض المهاجرين وتعميمه لجميع الانصار ممن اهل المدينة انصارا مع ان المهاجرين ايضا نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الذين هاجروا من المؤمنين جاؤهم فآووهم ثم اجتمعوا جميعا على نصرة النبى صلى الله عليه وسلم فى الغزوات واعلم انه تعالى شرح احوال منافقى المدينة ثم ذكر بعدذلك احوال منافقى الاعراب ثم بين ان فى الاعراب من هو صالح مخلص ثم بين ان رؤساء المؤمنين هم السابقون من المهاجرين والانصار فذكر بقوله وممن حولكم من الاعراب منافقون ان جماعة ممن يسكن حول المدينة موصوفة بالنفاق وان كنتم لاتعلمون انهم كذلك وهم مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين

وقرأ ابو عمرو وابن كثير السوء هنا وفى الفتح بضم السين (والله سميع) لمايقولون عند الانفاق (عليم) بمايضمرون (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ماينفق قربات عند الله) سبب قربات وهى ثانى مفعولى يتخذ وعندالله صفتها او ظرف ليتخذ (وصلوات الرسول) وسبب صلواته لانه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سنّ للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلى عليه كما قال عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل ابى أوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره (ألا انها قربة لهم) شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش بضم الراء (سيدخلهم الله فى رحمته) وعدلهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله (ان الله غفور رحيم) لتقريره قيل الاولى فى اسد وغطفان وبنى تميم والثانية فى عبدالله ذى البجادين وقومه (والسابقون الاولون من المهاجرين) هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة (والانصار) واهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابوزرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون (والذين اتبعوهم باحسان) اللاحقون بالسابقين من القبيلين او من الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة (رضى الله عنهم) بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم (ورضوا عنه) بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية (وأعدّلهم جنات تجرى تحتها الانهار) وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو فى سائر المواضع (خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم) ممن حول بلدتكم يعنى المدينة (من الاعراب منافقون) وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها

(ومن اهل المدينة) عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته (مردوا على النفاق) ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله
انا ابن جلا وطلاع الثنايا * وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر اوكلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق (لا تعلمهم) لا تعرفهم بأعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك (نحن نعلمهم) ونطلع على اسرارهم ان قدروا أن يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا (سنعذبهم مرتين) بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او بأخذ الزكاة ونهك الابدان (ثم يردون الى عذاب عظيم) الى عذاب النار (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم مانزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فأطلقهم (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر (عسى الله ان يتوب عليهم) ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم (ان الله غفور رحيم) يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه (خذ من اموالهم صدقة) روى انهم لما اطلقوا قالوا يارسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيأ فنزلت (تطهرهم) من الذنوب اوحب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر (وتزكيهم بها) وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين

حولها ﴿قوله عطف على ممن حولكم﴾ فيكون المجروران مشتركين في الاخبار عن المبتدأ وهو قوله منافقون كأنه قيل المنافقون من قوم حولكم ومن اهل المدينة فالكلام على هذا من عطف المفردات حيث عطف خبر على خبر ويكون قوله مردوا مستأنفا لا محل له على انه جواب لمن قال ما حالهم وجوز المصنف ان يكون مردوا صفة لقوله منافقون وقد فصل بينه وبين صفته بقوله ومن اهل المدينة والتقدير وممن حولكم ومن اهل المدينة منافقون ماردون ولا يخفى ان الفصل بالمعطوف بين الصفة وموصوفها قبيح يشبه قولك في الدار زيد وفي القصر العاقل ﴿قوله او خبر لمحذوف﴾ اى ويجوز ان يكون قوله تعالى ومن اهل المدينة خبرا مقدما لمبتدأ محذوف بعده موصوف بقوله مردوا حذف الموصوف واقيمت صفته مقامه والتقدير ومن اهل المدينة قوم او ناس مردوا كما تقول منا ظعن ومنا اقام وكما قال

* انا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى اضع العمامة تعرفوني *

اى انا ابن رجل كشف الامور وطلاع الثنايا اى الجبال وهو كناية عن قصد عظائم الامور متى اضع العمامة وألبس آلة الحرب تعرفوا اقدامي وشجاعتي ﴿قوله لا تعرفهم﴾ فسر العلم بالمعرفة لان حمله على اصل معناه يحوج الى ان يجعل المفعول الثاني مقدرا والتقدير خلاف الاصل لا يرتكب من غير ضرورة ويفهم من اسلوب كلامه ان يجعل العلم في قوله نعلمهم ايضا بمعنى المعرفة وهو يستلزم اسناد المعرفة اليه تعالى وهو لا يجوز كما صرح به العلماء ﴿قوله بالفضيحة﴾ وذلك ماروى انه صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال * اخرج يافلان فانك منافق * فأخرج من المسجد ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والعذاب الثاني هو القتل والسبي ﴿قوله ونهك الابدان﴾ اى جعلها ضعيفة قريبة من التلاشي والاضمحلال عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد الامراض في الدنيا وعذاب الآخرة فان مرض المؤمن يفيد تكفير السيئات ومرض الكافر تعذيب محض ﴿قوله تعالى وآخرون﴾ عطف على قوله منافقون اى ممن حولكم منافقون ومن اهل المدينة آخرون ويحتمل ان يكون مبتدأ واعترفوا صفته والخبر قوله خلطوا قال الواحدي في الوسيط اى ومن اهل المدينة آخرون اعترفوا اى اقروا بذنوبهم عن معرفة والآية نزلت في قوم من المؤمنين كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك كسلا لا نفاقا ثم ندموا على مافعلوا وتابوا وقيل انهم قوم من المنافقين تابوا عن النفاق لان عطفهم على ماقبلهم يوهم التشريك الا انه وفقهم للتوبة ﴿قوله والواو اما بمعنى الباء﴾ جواب عما يقال ان الخلط يستدعي مخلوطا ومخلوطا به وفي الآية قد عطف احد المخلوطين على الآخر فالمخلوط به اجاب عنه اولا بان الواو مستعار لمعنى الباء بناء على ان الواو للجمع والباء للالصاق والجمع والالصاق من واد واحد فصح ان يستعمل ماوضع لاحدهما فيما وضع له الآخر بطريق الاستعارة كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما اى شاة بدرهم وثانيا بان المخلوط به في كل واحد من الخلطين هو المخلوط في الخلط الآخر لان الخلط لما اقتضى مخلوطا به فهو اما الآخر او غيره والثاني منتف بالاصل وبالقرينة لدلالة سياق الكلام في مثل قولك خلطت الماء واللبن على ان كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به وهو ابلغ من ان يقال خلطت الماء باللبن لانك اذا عينت المخلوط به يكون الخلط واحدا يقصد احدهما اولا ويجعل مخلوطا بالآخر واذا كان بالواو يكون الخلط متعددا يقصد كل واحد من الخلطين فيجعل مخلوطا بالآخر فيكون الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما فكأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء فيكون ماقلت بالواو ابلغ مما قلت بالباء ﴿قوله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم﴾ قال المفسرون عسى من الله يدل على الوجوب الا ان كلامه تعالى ينزل على حسب مايتعارف الناس فالسلطان العظيم اذا التمس المحتاج منه شيأ فانه لا يجيب الا بما يدل على الترجي والطمع كلعل وعسى تنبيها على ان ليس لاحد ان يلزمني شيأ واني لا افعل ما افعل الا على سبيل التفضل والكرم فهذا المعنى هو فائدة ذكر عسى ولعل في مثل هذا الموضع ﴿قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم﴾ اى ان من تاب من المتخلفين لما بذلوا اموالهم للصدقة اوجب الله تعالى اخذها وصيره معتبرا في كمال توبتهم جاريا مجرى الكفارة وليس المراد منه الصدقة الواجبة والا لما قال صلى الله عليه وسلم * ما امرت ان آخذ من اموالكم شيأ * وانما المقصود منه كفارة الذنوب ويدل عليه ماروى انه صلى الله عليه وسلم اخذ الثلث وترك الثلثين والصدقة الواجبة لا تؤخذ هكذا وقيل هذا مبتدأ كلام والمقصود منه ايجاب اخذ الزكاة من الاغنياء عليه واليه ذهب اكثر الفقهاء قالوا اوجب الله تعالى ان يؤخذ منهم بعض اموالهم وان القدر المأخوذ طهرة لهم فانه روى ان الصدقة اوساخ اموال الناس

(وغسالتها)

وغسالتها فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ فكان دفعها جاريا مجرى التطهير والتزكية قيل انها مبالغة فى التطهير وقيل التزكية بمعنى الانماء وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم يدل على ان المأخوذ بعض تلك الاموال لا كلها وان مقدار ذلك البعض غير مذكور ههنا ولفظ صدقة وان كان نكرة يصح اطلاقها على اى جزء كان ولو كان فى غاية القلة والحقارة الا ان المقصود ليس ايجاب القدر المبهم على الاجمال فوجب ان يكون المراد صدقة معلومة الصفة والكيفية والكمية عندهم وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة امر بأخذ تلك المقادير التى بينها الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿قوله واعطف عليهم بالدعاء﴾ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما معنى الصلاة عليهم ان يدعو لهم وهو معنى قوله اللهم صل على آل ابى اوفى ﴿قوله تسكن اليها نفوسهم﴾ يعنى ان سكن فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض وقيل السكن الطمأنينة وقيل الرحمة ﴿قوله وجمعها﴾ اى قرأ من عدا حمزة والكسائى وحفص ان صلواتك ههنا وفى هود أصلواتك بألف بعد الواو المفتوحة فى الموضعين ﴿قوله او المراد ان يمكن فى قلوبهم قبول توبتهم﴾ يعنى ان الكلام وان ورد على صورة الاستفهام الا ان المراد منه ان يقوى فى نفوسهم انه تعالى يقبل توبة التائبين ويقبل صدقاتهم ويعفو عن خطاياهم فانه تعالى حكى عنهم انهم تابوا وتصدقوا ولما لم يذكر ههنا الا قوله عسى الله ان يتوب عليهم وليس بصريح فى قبول توبتهم ذكر فى هذه الآية انه يقبل التوبة ويأخذ الصدقات بشارة لهم بقبول مافعلوه وترغيبا للعصاة فى التوبة والطاعة فقد روى انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا فمالهم اليوم لايأتون فنزلت ﴿قوله لتضمنه معنى التجاوز﴾ فان قوله تعالى يقبل التوبة فى قوة ان يقال يتجاوز عن عباده بقبول توبتهم ﴿قوله يقبلها﴾ جعل قوله تعالى يأخذ الصدقات استعارة تبعية لان الآخذ حقيقة هو الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة ثم عين لاخذها غيره كما قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رحمه الله تعالى *خذها من اغنيائهم وردها الى فقرائهم* فانه يدل على ان آخذ تلك الصدقات هو معاذ يأخذها ليصرفها الى الفقراء فوجب ان يكون الاخذ المسند اليه تعالى بمعنى القبول ﴿قوله وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص الخ﴾ اى وقرأ غيرهم مرجؤون بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة كقراءتهم فى الاحزاب ترجئ بالهمزة وهما لغتان يقال ارجأته وارجيته والارجاء التأخير ومنه ارجئه واخاه اى امهله وأخره وسميت المرجئة بهذا الاسم لانهم يؤخرون العمل عن الايمان الذى هو الاعتقاد فى المرتبة ويقولون لايضر مع الايمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة ومنهم من يقول المعرفة الايمان بالله والخضوع والمحبة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الصفات فهو مؤمن ولا يضر معها ترك الطاعة وارتكاب المعاصى ولايعاقب عليها وابليس كان عارفا بالله وانما كفر باستكباره وترك الخضوع لله كما دل عليه قوله تعالى ابى واستكبر وكان من الكافرين وفى الحواشى القطبية المرجئة هم الذين لايقطعون على اهل الكبائر بشئ من عقوبة او عفو بل يؤخرون الحكم فى ذلك الى يوم القيامة وقال الامام وسميت المرجئة بهذا الاسم لانهم لايجزمون على القول بمغفرة التائب ولكن يؤخرون الامر فيها الى مشيئة الله تعالى وقال الامام الاوزاعى لانهم يؤخرون العمل عن الايمان ثم قال واعلم انه تعالى قسم المخلفين عن الجهاد ثلاثة اقسام اولهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثانى التائبون وهم المرادون بقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم وبين الله تعالى انه قبل توبتهم والقسم الثالث هم الموقوفون وهم المذكورون فى هذه الآية والفرق بين القسم الثانى والثالث ان اولئك سارعوا الى التوبة حتى شد ابولبابة واصحابه انفسهم على سوارى المسجد واظهروا الجزع والغم على مافعلوا بخلاف هذا القسم الثالث وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية فانهم كانوا مياسير تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ولم يبالغوا فى الاعتذار كما فعل غيرهم روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الآية نزلت فى كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية فقال كعب انا امد اهل المدينة جملا فمتى شئت لحقت الرسول فتأخر اياما وايس بعدها من اللحوق به فندم على صنيعه وكذلك صاحباه فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لكعب اعتذر اليه من صنيعك فقال لا والله حتى تنزل توبتى واما صاحباه فاعتذرا اليه صلى الله عليه وسلم فقال ماخلفكما عنى قالا لاعذر لنا الا الخطيئة فنزل قوله تعالى وآخرون مرجؤون لامر الله فوقفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية ونهى الناس عن مجالستهم وامرهم باعتزال نسائهم وارسالهن الى اهاليهن فجاءت امرأة هلال تسأل ان تأتيه بطعامه فانه شيخ كبير فأذن لها فى ذلك خاصة وجاء رسول من الشام

(وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم (ان صلواتك سكن لهم) تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتوحيد (والله سميع) باعترافهم (عليم) بندامتهم (ألم يعلموا) الضمير اما للتوب عليهم والمراد ان يمكن فى قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم اولغيرهم والمراد به التحضيض عليهما (ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز (ويأخذ الصدقات) يقبلها قبول من يأخذ شيأ ليؤدى بدله (وان الله هو التواب الرحيم) وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم (وقل اعملوا) ماشئتم (فسيرى الله عملكم) فانه لايخفى عليه خيرا كان او شرا (ورسوله والمؤمنون) فانه تعالى لايخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) بالموت (فينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة عليه (وآخرون) من المتخلفين (مرجؤون) مؤخرون اى موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص مرجون بالواو وهما لغتان (لامر الله) فى شأنهم

فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لايسلموا عليهم ولايكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله (والذين اتخذوا مسجدا) عطف على وآخرون مرجؤون او مبتدأ خبره محذوف اى وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو (ضرارا) مضارة للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن ابن عدى وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه وأحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة (وكفرا) وتقوية للكفر الذى يضمرونه (وتفريقا بين المؤمنين) يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة فى مسجد قباء (وارصادا) ترقبا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) يعنى الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لااجد قوما يقاتلونك الاقاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين وانهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتى من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لماروى انه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت (وليحلفن ان اردنا الا الحسنى) مااردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهى الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى حلفهم (لاتقم فيه ابدا) للصلاة (لمسجد اسس على التقوى) يعنى مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله

الى كعب يرغبه فى اللحاق بهم فقال كعب بلغ من خطيئتى ان طمع فى المشركون قال فضاقت على الارض بما رحبت وبكى هلال بن امية حتى غشى على بصره فجعل اناس يقولون هلكوا ان لم ينزل الله فيهم امرا وآخرون يقولون عسى الله ان يغفر لهم فصاروا مرجئين لامر الله تعالى امايعذبهم واما يرحمهم حتى نزلت توبتهم بعد خمسين يوما بقوله تعالى لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار ﴿قوله والترديد للعباد﴾ جواب عمايقال اما واما للشك والله تعالى منزه عنه فاوجه ايراده ههنا فاجاب عنه بأن الترديد بكلمة اما ههنا للشك العباد ومثله كلمة او فى قوله تعالى او يزيدون ولعل فى قوله لعله يذكر فالمعنى ليكن امرهم عندكم بين الخوف والرجاء ﴿قوله وقرأ نافع وابن عامر بغير واو﴾ لموافقة مصاحفهما فان مصاحف المدينة والشام حذفت منها الواو وفى مصاحف غيرهما الواو ثابتة ومن اسقط الواو يحتمل ان يجعل قوله الذين اتخذوا بدلا من قوله وآخرون مرجون او يجعله مبتدأ وخبره يحتمل ان يكون قوله أفمن اسس بنيانه بحذف العائد تقديره بنيانه منهم ويحتمل ان يكون قوله لايزال بنيانهم وفيه بعد لطول الفصل ويحتمل ان يكون قوله لاتقم فيه بحذف العائد فى مسجدهم ﴿قوله مضارة للمؤمنين﴾ اشارة الى ان ضرارا مفعول له لقوله اتخذوا وان متعلق المصدر محذوف اى اتخذوه لضرر المؤمنين وسائر الامور المذكورة وهى امور ثلاثة الكفر بالنبى صلى الله عليه وسلم وماجاء به وان يفرقوا بسببه جماعة المؤمنين وان يترقبوا وينتظروا من حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار وهو ابو عامر الراهب والد أبى حنظل الذى استشهد يوم احد وغسلته الملائكة وابو عامر الراهب سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد تنصر فى الجاهلية وترهب ولبس المسوح وتعلم علم النصارى فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده وعاداه لانه زالت رياسته وقال له صلى الله عليه وسلم لااجد قوما يقاتلونك الاقاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج الى الشام وارسل الى المنافقين ان أعدوا مااستطعتم من قوة وسلاح وابنوا لى مسجدا فانى آت من عند قيصر بجند واخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا هذا المسجد وانتظروا مجيء ابى عامر ليصلى بهم فى ذلك المسجد والارصاد الانتظار مع العداوة قاله الزجاج وقال الاكثرون الارصاد الاعداد يقال ارصدت له اذا اعددت له ﴿قوله ومات بقنسرين﴾ بكسر القاف وتشديد النون تكسر وتفتح وهو اسم بلدة بالشام روى انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال الراهب الفاسق له صلى الله عليه وسلم ماهذا الذى جئت به قال صلى الله عليه وسلم * جئت بالحنيفية دين ابراهيم * قال ابو عامر فانا عليها فقال صلى الله عليه وسلم * لست عليها * فقال اللعين بلى ولكنك ادخلت فى الحنيفية ماليس منها فقال صلى الله عليه وسلم * ما انا فعلته ولكن جئت بها بيضاء نقية * فقال ابو عامر امات الله الكاذب طريدا وحيدا واللام فى قوله لمسجد لام الابتداء وقيل انها لام جواب قسم محذوف تقديره والله لمسجد واسس صفته اى بنى اصله على التقوى وعلى التقديرين قوله لمسجد مرفوع على الابتداء واسس صفته واحق خبره والقائم مقام الفاعل ضمير المسجد على حذف المضاف اى اسس بنيانه اى وضع اساس بنيانه واختلف فى المسجد الذى اسس على التقوى فذهب قوم الى انه قباء وهو الاوفق للقصة لان الموازنة بين مسجدين كانا فى قباء اوفق من الموازنة بين مسجد المدينة ومسجد الضرار الذى بنى فى قباء عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى مسجد قباء كل سنة ماشيا وراكبا وكان عبدالله رضى الله عنه يفعله وزاد نافع عن ابن عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلى فيه ركعتين وقال آخرون هو مسجد المدينة واختاره سعيد بن المسيب وذكر ان رجلين اختلفا فيه فقال احدهما هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وقال الآخر هو مسجد قباء فسألا النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم * هو مسجدى هذا * وقال صلى الله عليه وسلم * مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى * والظاهر ان قوله تعالى لمسجد اسس نكرة موصوفة فلا يجب حملها على واحد بعينه بل تتناول على سبيل البدل كل مسجد اتصف بالصفة المذكورة ﴿قوله ومن تعم الزمان والمكان﴾ اختار مذهب اليه الكوفيون من ان كلمة من تكون لابتداء الغاية فى الزمان كما تكون لابتداء الغاية فى المكان استدلالا بهذه الآية الكريمة وبقوله

* من الصبح حتى تطلع الشمس لاترى * من القوم الا خارجيا مسوما *

وقوله

* لمن الديار بقنة الحجر * اقوين من حجج ومن شهر *

(القنة)

القنة بالضم اعلى الجبل كالقلة ومنزل قوى اى لاأنيس به يقال اقوت الدار وقويت ايضا اى خلت ونقل من البصريين ان من لاتدخل على الزمان والذى لابتدآء الغاية فى الزمان هو منذ يعنى ان منذ لايجربها الازمان تقول مارأيته منذ شهر ومنذ سنة فمنذ فى الزمان بمنزلة من فى غيره فكل موضع دخلت كلمة من فيه على الزمان يقدّرون فيه شيأ غير الزمان فيقدّرون المضاف فى الآية وفى كل واحد من البيتين فتقدير الآية من تأسيس اوّل يوم فدخلت على مصدر الفعل الذى هو اسس وتقدير البيتين من طلوع الصبح ومن مرّ حجج ومن مرّ شهر والبصريون انما يمنعون كون من لابتدآء الغاية فى الزمان ولايقولون انها لاتكون الالابتدآء الغاية فى المكان حتى يرد ان يقال المضاف المقدّر فى هذه المواضع ليس بمكان حتى تكون من فيهـا لابتدآء الغاية فى المكان

﴿ قوله اولى بان تصلى فيه ﴾ فان قيل كون احد المسجدين اولى بأن يصلى فيه لايوجب المنع من الصلاة فى المسجد الآخر فكيف يكون قوله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اوّل يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال علة للنهى المذكور بقوله لاتقم فيه ابدا * اجيب بأن التعليل وقع بمجموع الامرين اعنى كون مسجد الضرار سببا للمفاسد الاربع المذكورة وكون مسجد التقوى مشتملا على الخيرات الكثيرة * فان قيل كيف قال تعالى احق ان تقوم فيه مع ان المفاسد المذكورة تمنع من جواز قيامه فى الآخر * والجواب ان الكلام مبنى على التنزل والمعنى انه لوجاز القيام فى مسجد الضرار لكان القيام فى مسجد التقوى احق لسبب المذكور فكيف والقيام فيه باطل ويمكن ان يقال احق ههنا ليس للتفضيل بل هو بمعنى حقيق اذلامفاضلة بين المسجدين **﴿ قوله ان يتطهروا من المعاصى ﴾** حمل التطهر على الطهارة من الذنوب والمعاصى لان اصحاب هذا المسجد ذكروا فى مقابلة اصحاب مسجد الضرار وانهم قد وصفوا بمضارّة المسلمين والكفر بالله والتفريق والارصاد فينبغى ان يوصف مقابلوهم باضدادها وماذاك الابكونهم منزهين عن الكفر والمعاصى وحمله على الطهارة من الجنابة قبل ان يناموا وعلى الاستنجاء بالماء بعد استعمـال الاحجار ليس فيه هذا اللطف ثم انه تعالى لما ذكر الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وبين ان الحامل لهم على بنائه تلك المفاسد الاربع المذكورة وانهم يحلفون بالايمان الكاذبة على ان ليس غرضهم من بنائه الا الرفق بالمسلمين والمعاونة على العجز عن المصير الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب علة او حاجة او ليلة مظلمة او ليلة شاتية ثم رجح مسجد التقوى بامرين احدهما انه بنى اصله واساسه على التقوى وثانيهما انه فيه رجال يحبون ان يتطهروا شرع فى بيان تفاوت مابين الفريقين فقال افمن اسس بنيانه الآية والبنيان مصدر كالغفران والمراد منه ههنا المبنى واطلاق لفظ المصدر على المفعول مجاز مشهور يقال ضرب الامير ونسج زيد اى مضروبه ومنسوجه والتأسيس احكام أس البناء وهو اصله وقوله تعالى على تقوى يجوز ان يتعلق بنفس اسس فهو مفعول فى المعنى وان يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير المستكنّ فى اسس ومحصول المعنى ان المؤسس بنيانه متقيا يخاف الله تعالى ويرجو ثوابه ورضوانه خير ام المؤسس بنيانه غير متق ويجوز ان يراد بالبنيان بناء المسجد والمعنى اى الفريقين اولى بالخيرية من اسس بناء المسجد يريد به تقوى الله وطاعته وهم اهل مسجد قباء او مسجد المدينة ام من اسس بنيانه على النفاق والكفر وتفريق المسلمين وانتظار الكفار بأن يأتوه فيقصدوا كيد المسلمين ويحتالوا لتوهين امر الدين الا ان المصنف اختار ان يكون المراد بالبنيان بنيان الدين لانه انسب بتوصيف اهل الضرار بمضارّة المسلمين والكفر والتفريق والارصاد وتوصيف مسجد اهل التقوى بانهم يحبون ان يتطهروا من المعاصى والخصـال المذمومة * وجرف الوادى جانبه الذى يحفر اصله المـاء وتجرفه السيول اى تأكله وتذهب به وجرف هار أى هائر وهو المتصدّع الذى اشفى على التهدّم والسقوط يقال هار الجرف اذا تصدّع من خلفه وهو ثابت فى مكانه فاذا سقط فقد انهـار وتهوّر ومعناه السـاقط الذى يتداعى بعضه فى اثر بعض كما ينهار الرمل والشئ الرخو وفاعل انهار ضمير الجرف وهو يستلزم انهيار الشفا والبنيان جميعا وانهيار هما او انهيار احدهما لايستلزم انهياره والباء فى به للتعدية او للمصاحبة اى فانهار مصاحباله **﴿ قوله وهو ماجرفه الوادى ﴾** فيه توسع والمراد ان الجرف هو جانب الوادى وقد حفر سيل الوادى اصله وكونه هارا عبارة عن كونه متصدّعا مشرفا على السقوط **﴿ قوله تمثيلا لمابنوا عليه امر دينهم ﴾** وهو النفاق والشقاق فانه شبه النفاق بشفا جرف هار اى بطرف جانب الوادى الذى ذهب اصله بالسيل وانصدع فمال الى السقوط فى قلة الثبـات وسرعة الانطماس فاستعير شفا الجرف للمشبه وقرينة الاستعارة وضع شفا

(احق ان تقوم فيه) اولى بأن تصلى فيه (فيه رجال يحبون ان يتطهروا) من المعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلاينـامون عليها (والله يحب المطّهّرين) يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه تعالى ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال عليه الصلاة والسلام أمؤمنون انتم فسكتوا فأعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسـلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الانصار ان الله عزوجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا (أفمن أسس بنيانه) بنيان دينه (على تقوى من الله ورضوان خير) على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة (ام من أسس بنيانه على شفا جرف هار) على قاعدة هى اضعف القواعد وارخاها (فانهار به فى نار جهنم) فأدّى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط فى النار وانما وضع شفا الجرف وهو ماجرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلا لمابنوا عليه امر دينهم فى البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به فى النـار ووضعه فى مقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذاك على امر يحفظه من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التى الجنة أدناها وتأسيس هذا على ماهم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لامحالة

جرف في مقابلة التقوى فان التقوى حق و صواب فينبغي ان يراد بما ذكر في مقابلتها الباطل المستقبح و قوله فانها ربه ترشيح للاستعارة فانه ملائم للمستعار منه و هو المعنى الاصلي لشفا الجرف و هو طرف الوادي الذي حفر اصله بالماء و انصدع ﴿ قوله و قرئ أساس ﴾ اى بفتح الهمزة و اس بضم الهمزة و تشديد السين و هما مفردان اضيفا الى البنيان و معناهما اصل البناء و الاسس محركا لغة في الاساس و جمع الاسس آساس مثل سبب و اسباب كذا في الصحاح و قول المصنف الاسس بضمتين و الآساس بالمد و الاساس بكسر الهمزة جمع اس محل بحث فان الاسس جمع اساس و الآساس جمع اسس مقصور أساس و جمع الاس بالضم انما هو الاساس بالكسر الا ان الاس و الاساس و الاسس لما كانت لغات بمعنى واحد جعلت بمنزلة لفظ واحد ﴿ قوله و تقوى ﴾ اى و قرئ على تقوى منونة و حكى هذه القرآءة سيبويه و لم يرتضها الناس بناء على ان ألفها للتأنيث فلا وجه لتنوينها و قال في توجيهها ان ألفها للالحاق كألف ارطى و في الصحاح و تقوى فيها لغتان تنون مثل تترى فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث و هو اجود و اصلها وترى من الوتر و هو الفرد قال تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى اى واحدا بعد واحد و من نونها جعل ألفها ملحقة ﴿ قوله جرف بالتخفيف ﴾ اى باسكان الرآء و هما لغتان كشغل و شغل ﴿ قوله تعالى الذي بنوا ريبة ﴾ وصف به بنيانهم للدلالة على ان المراد بالبنيان ما هو المبنى حقيقة لا ما دبروه من الامور و ان البناء قد يطلق على تدبير الامر و تقديره كما في قولهم * و كم ابني و تهدم * و قوله

* متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه و غيرك يهدم *

جعل بنيانهم نفس الريبة مبالغة لكونه سببا لها و كان شكهم في الدين و نفاقهم حاملا لهم على ان ابنوا هذا المسجد كما قال تعالى ضرارا و تفريقا بين المؤمنين و ارصادا ثم كان ما بنوه سببا لتزايد شكهم و نفاقهم حيث حملهم ذلك على تحقيق مقتضيات النفاق و التدبير فيها ثم لما هدمه رسول الله صلى الله عليه و سلم غاظهم ذلك و عظم هدمه فازدادوا تصميما على النفاق و مقتا للاسلام فصار ذلك البناء كأنه عين الشك و النفاق و المستثنى منه في قوله تعالى الا ان تقطع قلوبهم محذوف هو اعم الازمنة او اعم الاحوال و التقدير لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت الا وقت تقطع قلوبهم او في كل حال الا حال تقطعها و قرأ ابن عامر و حمزة و حفص تقطع بفتح التاء و الاصل تتقطع بتاءين فحذفت احداهما و عن ابن كثير بفتح التاء و تسكين القاف و نصب قلوبهم على المفعولية و الخطاب لرسول الله صلى الله عليه و سلم اى الا ان تفعل في قلوبهم هذا الفعل فتقتلهم و قرأ الباقون تقطع بضم التاء على بناء المفعول و هو مضارع قطع بالتشديد و قرئ يقطع بالياء لكون تأنيث القلوب غير حقيقي ﴿ قوله تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة ﴾ اذ لا يمكن حمل الكلام على الحقيقة لانه لا يجوز ان يشترى الله شيأ في الحقيقة فانه مالك الكل فان انفسنا مخلوقة لله تعالى و اموالنا رزقه فأخرج الكلام على صورة الاستعارة التمثيلية زيادة في الدعاء الى الطاعة روى ان الانصار لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة العقبة بمكة و هم سبعون نفسا قال عبدالله بن رواحة اشترط لربك و نفسك فقال اشترطت لربي ان تعبدوه و لا تشركوا به شيأ و اشترطت لنفسي ان تمنعوني ما تمنعونه من انفسكم و اموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل و لا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم و اموالهم بأن لهم الجنة و قوله تعالى بأن لهم الجنة متعلق باشترى و دخلت الباء ههنا على المتروك على ما هو الاصل فيها و تسمى باء المقابلة و باء العوض اشترى الله تعالى من المؤمنين انفسهم التي هي عبارة عن الجوهر الاصلي المركب الذي هو آلة في اكتساب الكمالات و مالهم الذي هو وسيلة الى رعاية مصالح هذا المركب بالجنة و جعلها تعالى بمنزلة الثمن ﴿ قوله استئناف ببيان ما لاجله الشرى ﴾ اى ببيان الصورة المشبهة بالشرى فان المقاتل في سبيل الله سوآء قتل او قتل لاشك انه ينفق ماله في تلك السبيل ثم ان اتفق ان يكون مقتولا بذل مع ذلك بدنه ايضا و انه تعالى يأخذ ماله و بدنه و يعطي بدلهما الجنة فالمراد بالشرى الذي اخبر الله تعالى عنه بقوله اشترى من المؤمنين هذه الصورة المخصوصة المعينة فلما كان المطلوب من المفهوم الكلي الاجمالي صورة مخصوصة معينة صح لسائل ان يقول حين سمع قول الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم ما المطلوب بهذا الشرى و بالصورة التي جعل الشرى المذكور عنوانا لاجلها و يجاب عنه بانه قال يقاتلون في سبيل الله اى يبذلون انفسهم و اموالهم فيأخذها الله تعالى منهم و يعوضهم الجنة فعلى هذا الوجه لا يكون يقاتلون في معنى الامر و قيل انه امر في صورة الخبر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله بأموالكم و انفسكم ﴿ قوله و قرأ حمزة و الكسائي بتقديم المبني للمفعول ﴾ اى تقديم كونهم مقتولين على

و قرأ نافع و ابن عامر اسس على البناء للمفعول و قرئ اساس بنيانه و أس بنيانه على الاضافة و أسس و آساس بالفتح و المد و اساس بالكسر و ثلاثتها جمع اس و تقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى و قرأ ابن عامر و حمزة و ابو بكر جرف بالتخفيف (و الله لا يهدي القوم الظالمين) الى ما فيه صلاحهم و نجاتهم (لا يزال بنيانهم الذي بنوا) بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول و ليس بجمع و لذلك قد تدخله التاء و وصف بالمفرد و أخبر عنه بقوله (ريبة في قلوبهم) اى شكا و نفاقا و المعنى ان بناهم هذا لا يزال سبب شكهم و تزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله عليه و سلم رسخ ذلك في قلوبهم و ازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم (الا ان تقطع قلوبهم) قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك و الاضمار و هو في غاية المبالغة و الاستثناء من اعم الازمنة و قيل المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار و قيل التقطع بالتوبة ندما و أسفا و قرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء و تقطع بمعنى تتقطع و هو قرآءة ابن عامر و حمزة و حفص و قرئ يقطع بالياء و يقطع بالتخفيف و تقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب و لو قطعت على البناء للفاعل و المفعول (و الله عليم) بنياتهم (حكيم) فيما امر بهدم بنائهم (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم و اموالهم بأن لهم الجنة) تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم و اموالهم في سبيله (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون) استئناف ببيان ما لاجله الشرى و قيل يقاتلون في معنى الامر و قرأ حمزة و الكسائي بتقديم المبني للمفعول و قد عرفت ان الو او لا توجب الترتيب و ان فعل البعض قد يسند الى الكل

كونهم قاتلين للاشعار بان طائفة كثيرة من المسلمين وان صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بل يبقون بعد ذلك مع الاعداء قاتلين لهم بقدر الامكان كما قال فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله اى ما وهن من بقى منهم وقرأ الباقون بتقديم المبنى للفاعل على المبنى للمفعول للدلالة على انهم يقتلون ولا يرجعون عنهم الان يصيرو مقتولين ﴿قوله مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى﴾ يعنى لا حاجة الى ان يقدر فعل من لفظ المصدر لان مضمون الجملة السابقة يصلح ان يكون ناصبا للمصدر لكونها فى معنى وعد الله لهم الجنة فى مقابلة مابذلوه من انفسهم واموالهم وحقا نعت للمصدر وعليه حال من حقا لانه لو تأخر عنه لكان صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالا ﴿قوله مذكورا فيهما﴾ اشارة الى ان قوله فى التوراة متعلق بمحذوف هو صفة للوعد فيكون المعنى ان الوعد بالجنة للمقاتلين فى سبيل الله من هذه الامة مذكور فى كتب الله المنزلة ﴿قوله مبالغة فى الانجاز﴾ لان قوله تعالى ومن اوفى بعهده استفهام بمعنى الانكار اى لا احد اوفى بما وعد من الله واوفى افعل تفضيل وقوله من صلته وهذه الآية مشتملة على انواع من التأكيدات فأولها ان كون المشترى هو الله المقدس عن الكذب والحيلة ادل دليل على تأكيد هذا الوعد وثانيها انه عبر عن المقصود الذى هو الوعد بالجنة بالبيع والشرى وذلك حق مؤكد وثالثها كلمة عليه التى تفيد الوجوب ورابعها انه تعالى حقق الوعد واكده بقوله حقا وخامسها انه تعالى استشهد على حقية الوعد المذكور بكونه مذكورا فى جميع الكتب الالهية وسادسها ومن اوفى الى غير ذلك ﴿قوله والمراد بهم المؤمنون المذكورون﴾ اى فى قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وعدلهم الجنة ولا ثم بين فى هذه الآية ان اولئك هم الموصوفون بهذه الصفات وروى عن الزجاج انه قال الذى عندى ان قوله التائبون العابدون رفع بالابتداء وخبره مضمر والمعنى التائبون الى آخر الآية لهم الجنة ايضا وان لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين لترك الجهاد وهذا الوجه الذى قاله الزجاج وجه حسن لانه حينئذ يكون الوعد بالجنة لهم وان لم يجاهدوا بخلاف الوجه الاول فان الوعد بالجنة فيه يكون خاصا بالمجاهدين الموصوفين بما ذكر روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بالتائبين التائبون من الشرك وعن الحسن من الشرك والنفاق وعن الاصوليين التائبون من كل معصية وهذا اولى لان التائبين لكونه فى تقدير الذين تابوا من ألفاظ العموم يتناول كل تائب فتخصيصه بالتائب من بعض المعصية تحكم محض واصل التوبة الرجوع ثم خصت بالرجوع من العقوبة الى المغفرة والرحمة والعابدون هم الذين أتوا بالعبادة وهى عبارة عن الاتيان بفعل يشعر بتعظيم الله تعالى والسائحون عند عامة المفسرين الصائمون عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كل ماذكر فى القرآن من السياحة فهو الصيام وعن النبى صلى الله عليه وسلم «سياحة امتى الصيام» وانما سمى الصائم سائحا لانه يمتنع عن الشهوات كالسائح فى الارض فانه يقنع بما تيسر له مما يوصله الى مقصده ولا يتوسع فى استيفاء اللذات واتباع الشهوات لان الصائم لما امتنع عن الاكل والشرب والوقاع وسد على نفسه ابواب الشهوات انفتحت عليه ابواب الحكمة والمعرفة ومالت نفسه الى عالم المعقولات وانتقل من مقام الى مقام ومن درجة الى درجة وهذا الانتقال هو السياحة فى عالم الروحانيات فلذلك شبه الصائم بالسائح فى الارض وقال على كرم الله وجهه المراد بقوله تعالى السائحون الغزاة فى سبيل الله يقطعون المنازل والمراحل الى ان يصلوا الى ديار الكفرة فيجاهدوهم وقال عكرمة هم طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد فى طلب العلم وقوله تعالى الراكعون الساجدون يعنى المصلين فان هيئة القيام والقعود يؤتى بهما على وفق العادة بخلاف الركوع والسجود فانهما ليسا من الهيئات الطبيعية الموافقة للعادة فلا يؤتى بهما الا على سبيل العبادة فكان لهما مزيد اختصاص بالصلاة فلذلك كنى بهما عنها ﴿قوله التنبيه على ان ماقبله مفصل الفضائل وهذا مجملها﴾ ذكر الله تعالى على سبيل التفصيل من الفضائل والتكاليف مالاينفك المكلف عنها فى اغلب اوقاته وهى التوبة والعبادة والاشتغال بحمد الله تعالى والسياحة لطلب مهمات الدين كالعلم والجهاد والركوع والسجود والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولما كانت التكاليف الشرعية غير منحصرة فيما ذكر بل لها اصناف واقسام كثيرة لايمكن تفصيلها وتبيينها الا فى مجلدات ذكر الله تعالى سائر اقسام التكاليف على سبيل الاجمال بقوله والحافظون لحدود الله تعالى والفقهاء ظنوا ان الذى ذكروه فى بيان التكاليف واف وليس كذلك لان افعال المكلفين قسمان افعال الجوارح وافعال القلوب وكتب الفقه مشتملة على شرح اقسام التكاليف المتعلقة بأعمال الجوارح واما التكاليف المتعلقة بأعمال القلوب فليس فى كتبهم منها الا القليل النادر وبعض مباحثها مبين فى الكتب

(وعدا عليه حقا) مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه فى معنى الوعد (فى التوراة والانجيل والقرآن) مذكورا فيهما كما اثبت فى القرآن (ومن أوفى بعهده من الله) مبالغة فى الانجاز وتقرير لكونه حقا (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال (وذلك هو الفوز العظيم التائبون) رفع على المدح اى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى اوخبره مابعده اى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين (العابدون) الذين عبدوا الله مخلصين له الدين (الحامدون) لنعمائه اولما نالهم من السرآء والضرآء (السائحون) الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام سياحة امتى الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات اولانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم (الراكعون الساجدون) فى الصلاة (الآمرون بالمعروف) بالايمان والطاعة (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصى والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه فى حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفى قوله تعالى (والحافظون لحدود الله) اى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرآئع للتنبيه على ان ماقبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بأن التعداد قدتم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتدآء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية (وبشر المؤمنين) يعنى به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام

(ماكان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين) روى انه عليه الصلاة والسلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عندالله فأبى فقال عليه السلام لاازال استغفر لك مالم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابوآء فزار قبر أمه ثم قام مستعبرا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر امى فاذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وانزل على الآيتين (ولو كانوا اولى قربى من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم) بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه) وعدها ابراهيم اباه بقوله لأستغفرنّ لك اى لأطلبنّ مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ماقبله ويدل عليه قرآءة من قرأ اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهو الوعد بالايمان (فلما تبين له انه عدوّ لله) بأن مات على الكفر او اوحى فيه بانه لن يؤمن (تبرّأ منه) قطع استغفاره (انّ ابراهيم لاوّاه) لكثير التأوّه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه (حليم) صبور على الاذى والجملة لبيان ماحمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه (وما كان الله ليضل قوما) اى ليسميهم ضلالا او يؤاخذهم مؤاخذتهم (بعد اذ هداهم) للاسلام (حتى يبين لهم مايتقون) حتى يبين لهم حظر مايجب اتقاؤه وكأنه بيان عذر للرسول فى قوله لعمه اولمن استغفر لأسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه فى قوم مضوا على الامر الاوّل فى القبلة والخمر ونحو ذلك وفى الجملة دليل على انّ الغافل غير مكلف (ان الله بكل شئ عليم) فيعلم امرهم فى الحالين (ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير) لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وتضمن ذلك وجوب التبرّى منهم رأسا بين لهم انّ الله مالك كل موجود ومتولى امره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرّأوا مما عداه حتى لايبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار) من اذن المنافقين فى التخلف

الكلامية والبعض الآخر فصله الامام الغزالى وامثاله فى علم الاخلاق ومجموعها مندرج فى قوله تعالى والحافظون لحدود الله وقدتم بالسابع وهو قوله الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر بناء على انهما فى حكم خصلة واحدة كما دل عليه تخلل الواو الجامعة بينهما والا فالمذكور قبل قوله والحافظون لحدود الله ثمانية اوصاف وهو تاسعها وقيل انما دخلت الواو فيه لانها واو الثمانية كقوله تعالى وثامنهم كلبهم قال بعض النحويين هى لغة فصيحة لبعض العرب يقولون اذا عدّوا واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة عشرة قال القرطبي وهى لغة قريش قال ابو البقاء انما دخلت الواو فى الثمانية ايذانا بأن السبعة عندهم عدد تام وانما دلت على ذلك لان الواو تؤذن بانّ مابعدها مغاير لما قبلها ولذلك عطف بها الذوات المتغايرة والصفات المتغايرة وقيل هذا قول ضعيف لااصل له **قوله** روى انه صلى الله عليه وسلم قال لابى طالب الى آخره يستبعد ان يكون سبب نزول هذه الآية قوله صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب *لاازال استغفر لك مالم انه عنه *بناء على ان هذه السورة الكريمة من آخر القرآن نزولا ووفاة ابى طالب كانت بمكة فى اوائل الاسلام *واجيب بانه لابعد فيه لم لايجوز ان يقال انه صلى الله عليه وسلم بقى يستغفر لابى طالب من ذلك الوقت الى وقت نزول هذه الآية فان التشديد على الكفار انما نزل فى هذه السورة فلعل المؤمنين كان يجوز لهم ان يستغفروا لآبائهم من الكافرين وكان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ثم انه تعالى منعهم من ذلك عند نزول هذه السورة ولا بعد فى ذلك **قوله** خرج الى الابوآء هو بفتح الهمزة وسكون الباء منزل بين مكة والمدينة توفيت فيه آمنة رضى الله عنها وذلك انه صلى الله عليه وسلم ولد وأبوه عبدالله لم يكن حيا وكانت امه آمنة لما بلغ ست سنين خرجت الى اخوالها بالمدينة تزورهم ثم رجعت به الى مكة فلما كانت بالابوآء ماتت هناك **قوله** مستعبرا اى باكيا من العبرة وهى الدمع **قوله** وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم وجه الدلالة ان امتناع الاستغفار انما هو بعد ان يتبين انهم اصحاب الجحيم وذلك انما يتبين باستمرار كفرهم الى حين الموت فانه تعالى يغفر مادون ذلك لمن يشاء وانّ من مات على الكفر فمأواه جهنم خالدا فيها ابدا فكان طلب الغفران لمن مات على الكفر بمنزلة طلب ان يخلف الله وعده ووعيده وكان كل واحد من النبوّة والايمان مانعا من الاستغفار لمشرك تبين كونه من اصحاب الجحيم بموته على الكفر لما فيه من تجويز تبدّل حكم الله تعالى وقضائه واستغفار ابراهيم لابيه كان قبل التبين لقوله تعالى فلما تبين له انه عدوّ لله تبرّأ منه اى قطع استغفاره وهذا خلاصة الجواب عن النقض الوارد على قوله تعالى ماكان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية فان ابراهيم انما استغفر لابيه حال حياته بأن يوفقه الله تعالى للايمان بناء على انه وعد أباه بذلك ولم يستغفر له بعد موته على الكفر **قوله** وعدها اياه يحتمل الوجهين الاوّل على ان يكون الضمير المرفوع راجعا الى ابراهيم والمنصوب راجعا الى ابيه فالواعد ابراهيم وعد اباه ان يستغفر له رجاء اسلامه ويؤيد هذا الاحتمال قرآءة الحسن وغيره اباه بالباء الموحدة والثانى على ان يكون الضمير المرفوع لابى ابراهيم والمنصوب لنفس ابراهيم والمعنى ان اباه وعده ان يؤمن فلذلك استغفر له فلما تبين له بالوحى انه لايؤمن او تبين له باصراره على الكفر وموته عليه انه عدوّ لله تبرّأ منه **قوله** لكثير التأوّه وهو ان يقول الرجل عند الشكاية والتوجع آه من كذا واصله اوه بسكون الواو وكسر الهاء فقلبوا الواو ألفا وقالوا آه من كذا وربما شدّدوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء فقالوا اوّه وربما حذفوا الهاء فقالوا اوّ وبعضهم يفتح الواو مع التشديد فيقول اوّه وبعضهم يقول اوّاه بالمدّ والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء لتطويل الصوت بالشكاية وفى الحديث الاوّاه الخاشع المتضرّع وقيل معنى كون ابراهيم صلى الله عليه وسلم اوّاها انه كلما ذكر لنفسه تقصيرا او ذكر له شيأ من شدآئد الآخرة كان يتأوّه اشفاقا واستعظاما له والشكاسة صعوبة الخلق يقال رجل شكس اى صعب الخلق وغليظ القلب **قوله** وقيل انه فى قوم مضوا على الامر الاوّل فى القبلة والخمر اى انه فى بيان عذر قوم استمرّوا على العمل بالحكم المنسوخ غير عاملين بنسخه كمن استمرّ على ان يصلى الى بيت المقدس بعد تحويل القبلة واستمرّ على شرب الخمر بعد نزول آية تحريمها بناء على عدم علمه بكل واحد من تحويل القبلة وتحريم الخمر وقيل انه فى بيان عذر من ارتكب المحرّم قبل نزول آية تحريمه **قوله** من اذن المنافقين فى التخلف يعنى ان توبة الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه معناها انه يتجاوز ويعرض عن ذنبهم المعين الذى فرط منهم من قبيل ترك الاولى وهو اذنهم للمنافقين فى التخلف عنه صلى الله عليه وسلم وهذا الاذن وان صدر عنه صلى الله عليه وسلم وحده الا انه اسند الى

الكل على طريق قولهم بنوافلان قتلوا زيدا وان كان القاتل واحدا منهم بناء على قبول وقوع القتل بينهم ﴿قوله اوبرّأهم من علقة الذنوب﴾ اى ممايعدّ ذنبا فى حقهم فان ترك الاولى يعدّ ذنبا فى حقه صلى الله عليه وسلم كما فى قوله تعالى ليغفر لك الله ماتقدّم من ذنبك وماتأخر فان المغفور له فيه ليس ذنبا معينا بل مطلق مايعدّ ذنبا فى حقه صلى الله عليه وسلم سوآء فرط منه قبل البعثة او بعدها فانه تعالى لما استقصى فى شرح غزوة تبوك احوال المخلفين عنها ذكر فى هذه الآية حكما آخر من احكامها وهو انه تعالى تاب اى تجاوز وصفح عما فرط وصدر عنه صلى الله عليه وسلم وعن المؤمنين ممايعدّ زلة فى حقهم اىّ شئ كان لما اصابهم فى ترك الغزو من الشدآئد * قال الامام الانسان طول عمره لاينفك عن زلات امامن باب الصغائر او من باب ترك الاولى ثم أنه صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين لما تحملوا مشاق هذا السفر وصبروا على شدآئده اخبر الله تعالى ان تحمل تلك الشدآئد صار مكفرا لجميع مافرط منهم من الزلات وصار قائما مقام التوبة المقرونة بالاخلاص فلذلك قال الله تعالى لقد تاب الله على النبي الآية عن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه السورة وفى آياتها بيان معاملات المنافقين على التفصيل ظننا انه لايبقى احدمنا الانزل فيه قرءآن وسميت الفاضحة الى ان نزلت هذه الآية فلما نزلت سميت بسببها سورة التوبة ﴿قوله حتى شربوا الفظ﴾ وهو ماء الكرش عن عمر رضى الله عنه قال خرجنا فى قيظ شديد واصابنا فيه عطش شديد حتى ان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل مابقى على كبده فقال ابو بكر يارسول الله ان الله وعدك بدعائك خيرا فادع الله لنا قال * نعم * فرفع يديه فلم يرجعهما حتى اظلت السماء ثم سكبت فملأ نا او عيتنا ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت المعسكر وفيها كانت قصة دعائه بتمر قليل وجعله فى قصعة ودعائه بالبركة حتى اخذ الناس وهم اكثر من ثلاثين ألفا ازوادهم والتمر بحاله وفيها كانت قصة وضعه كفيه فى ماء قليل وانفجار الماء من اصابعه العشر حتى شربوا وسقوا دوابهم ﴿قوله وفى كاد ضمير الشأن او ضمير القوم﴾ اى الذى دل عليه ذكر المهاجرين والانصار وقلوب مرفوع بتزيغ والجملة فى محل النصب على انها خبر كاد ولابدّ فى الجملة التى تكون خبرا عن ضمير الشأن من ضمير يعود الى اسمها وهو الضمير فى منهم وهذا الاعراب خلاف مااشتهر فى النحو من ان خبر أفعال المقاربة لايكون الامضارعا رافعا لضمير اسمها فاذا قدرنا فيها ضمير الشأن او ضمير القوم كانت الجملة التى بعدها خبرا لها ولايكون المرفوع فيها ضميرا راجعا الى اسم كاد ولم يجعل الكلام من باب تنازع الفعلين لانه لو جعل من باب التنازع لكان ينبغى ان يقال من بعد ماكادت تزيغ قلوب على مايقتضيه مذهب البصريين فانهم يختارون اعمال الثانى ويضمرون الفاعل على وفق الاظهار وكاد عند بعضهم تفيد مجرّد المقارنة مع عدم الوقوع فهذه التوبة المذكورة بعدها توبة عن تلك المقارنة والزيغ الميل واختلفوا فى ذلك الذى وقع فى قلوبهم فقيل هم بعضهم عند تلك الشدّة العظيمة ان يفارق الرسول وينصرف الى وطنه لكنه صبر واحتسب فلذلك قال الله تعالى ثم تاب عليهم اى لما صبروا وثبتوا وندموا على ذلك الهم وقال آخرون بل كان ذلك الذى وقع فى قلوبهم مجرّد حديث النفس الذى يكون مقدّمة للعزيمة فلما نالتهم الشدّة وقع ذلك فى قلوبهم ومع ذلك تابوا وتداركوا هذا اليسير خوفا ان يكون ذلك معصية منهم فلذلك قال تعالى ثم تاب عليهم ﴿قوله تكرير للتأكيد﴾ فانه اذا قيل عفا السلطان عن فلان ثم عفا عنه دل على ان ذلك العفو عفو مؤكد بلغ الغاية القصوى فى الكمال والقوّة وهذه التوبة لما علقت بمكابدتهم الشدآئد فى ساعة العسرة كان التكرير بسببها دالا على المبالغة ﴿قوله او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم﴾ اى ويحتمل ان لايكون تكريرا بأن يكون الاوّل مسوقا لبيان انه تعالى تجاوز عما فرط منه صلى الله عليه وسلم واتباعه من المهاجرين والانصار ويكون الثانى مسوقا لبيان انه تعالى تاب على الفريق الذى كاد الشأن أن تزيغ قلوبهم على ان يكون ضمير عليهم للفريق المذكور لاللجملة ماذكر ﴿قوله تخلفوا عن الغزو﴾ ذكر لتسميتهم مخلفين وجهين مع انهم لم يؤمروا بالتخلف ولم يرض الرسول صلى الله عليه وسلم بتخلفهم الاوّل ان من تخلف عن المسافرين ولم يخرج معهم يقال انه خلفه المسافرون كما تقول لصاحبك اين خلفت فلانا فيقول بموضع كذا لايريد انه امره بالتخلف وانما يريد انه تخلف عنه والثانى ان معنى كونهم مخلفين كونهم مؤخرين فى قبول التوبة فانه صلى الله عليه وسلم أخر امرهم الى ان نزلت آية توبتهم فانه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن مالك الشاعر وكان انصاريا شهد بيعة العقبة ولم يشهد غزوة بدر حين اعترف بذنبه وقال * ماخلفنى عنك عذر وانما تخلفت لمجرّد الكسل وقلة الاهتمام قم عنى حتى

اوبرّاهم من علقة الذنوب كقوله ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى مامن احد الاوهو محتاج الى التوبة حتى النبى والمهاجرين والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذمامن احد الاوله مقام يستنقص دونه ماهو فيه والترقى اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده (الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) فى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة من الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ (من بعد ماكادتزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الايمان اواتباع الرسول وفى كاد ضمير الشأن او ضمير القوم والعائد عليه الضمير فى منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقى وقرئ من بعد مازاغت قلوب فريق منهم يعنى المتخلفين (ثم تاب عليهم) تكرير للتأكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ماكابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم (انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة) وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال ابن امية ومرارة بن الربيع (الذين خلفوا) تخلفوا عن الغزو أوخلف امرهم فانهم المرجون

للتوبة (ليتوبوا) اوانزل قبول توبتهم ليعدّوا في جملة التوّابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرّة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم (ان الله هو التوّاب) لمن تاب ولوعاد في اليوم مائة مرّة (الرحيم) المتفضل عليه بالنعم (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) فيما لا يرضاه (وكونوا مع الصادقين) في ايمانهم وعهودهم وفي دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اى في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم (ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله) عن حكمه نهى عبرعنه بصيغة النفي للمبالغة (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) لايصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه مايكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقرّبت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومرّ كالريح فمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكان هو ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفرله وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم (ذلك) اشارة الى مادل عليه قوله ماكان من النهى عن التخلف او وجوب المشايعة (بانهم) بسبب انهم (لا يصيبهم ظمأ) شئ من العطش (ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) مجاعة (في سبيل الله ولا يطأون موطئا) ولايدوسون مكانا (يغيظ الكفار) يغضبهم وطؤه (ولا ينالون من عدو نيلا) كالقتل والاسر والنهب (الا كتب لهم به عمل صالح) الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة (ان الله لايضيع اجر المحسنين) على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلأنه سعي في تكميلهم بأقصى مايمكن كضرب المداوى للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم من سطوة الكفار واستيلائهم (ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو علاقة (ولا كبيرة) مثل ما انفق عثمان رضى الله تعالى عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض (الا كتب لهم) اثبت لهم ذلك

يقضى الله فيك * وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لصاحبيه ايضا وهلال بن امية هو الذى نزلت فيه آية اللعان وهو ومرارة بن الربيع كانا رجلين صالحين من الانصار ﴿قوله لاعراض الناس عنهم بالكلية﴾ فان المؤمنين منعوا من كلامهم ومن معاملتهم وامر ازواجهم باعتزالهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم معرضا عنهم فكانوا يخافون ان يموتوا فلايصلى الرسول على جنائزهم او يموت صلى الله عليه وسلم وهم من الناس بتلك المنزلة فلايكلمهم احد منهم ولايصلى على جنائزهم ولم يفسر التوبة عليهم بقبولها منهم اذلاوجه لان يقال قبل توبتهم ليتوبوا بل فسرها اوّلا بالتوفيق للتوبة لانه الاصل الذى يتفرّع عليه توبتهم بمعنى الرجوع عن المعصية وهذه التوبة يتفرّع عليها توبة الله عليهم بمعنى قبولها منهم فههنا امور ثلاثة التوفيق للتوبة ونفس توبتهم وقبول الله تعالى اياها ذكر الله الامر الثالث بقوله وعلى الثلاثة ثم ذكر الامر الاوّل بقوله ثم تاب عليهم وعطفه بكلمة ثم لكونه بعيدا عنها بحسب الرتبة ثم ذكر الامر الثانى بقوله ليتوبوا ﴿قوله اوانزل قبول توبتهم﴾ تفسير ثان لقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا فكلمة ثم على هذا على اصل معناها وقوله او رجع عليهم تفسير ثالث والكل حسن وقوله تعالى وعلى الثلاثة يجوز ان يكون معطوفا على النبي صلى الله عليه وسلم اى تاب على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الثلاثة وان يكون معطوفا على الضمير المجرور في عليهم اى ثم تاب عليهم وعلى الثلاثة ولذلك اعيد حرف الجرّ وأن في قوله ان لاملجأ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن مقدّر ولا مع مافي حيزها خبران ومن الله خبر لا وأن مع مافي حيزها سادّ مسدّ مفعولى ظنوا بمعنى علموا ذلك كأنه تعالى ذكر هذا الوصف في معرض المدح والثناء وقال لايكون الا مع علمهم بذلك ونظيره قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم والمعنى وعلموا ان الشأن لا التجاء من سخط الله تعالى الى احد الا اليه فقوله الا اليه استثناء من المحذوف ثم انه تعالى لماقبل توبة هؤلاء الثلاثة ذكر مايكون كالزاجر عن ارتكاب مثل ماارتكبوا مما لايرضاه الله تعالى ورسوله فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ﴿قوله في ايمانهم وعهودهم او في دين الله﴾ اختلف في الصادقين هل هو عام او خاص بالثلاثة وعلى تقدير العموم يكون المراد بالصدق الصدق في الدين برعاية جميع مايقتضيه الدين مما يرجع الى النيات والاقوال والافعال والاحوال والوثوق في عهودهم لله ورسوله على الطاعة كما في قوله تعالى رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه وقيل الصادقون هم الثلاثة اى كونوا مثلهم في توبتهم وانابتهم الا ان هذا القول يأباه كون الخطاب في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا عاما لجميع المؤمنين لان امر كافة المؤمنين بكونهم مع هؤلاء الثلاثة وكونهم مثلهم بعيد من حيث ان التكاليف الواقعة في الكتاب والسنة متوجهة على المكلفين في جميع الازمنة الى يوم القيامة وموافقة الثلاثة موقوفة على وجودهم واما اذا كان الخطاب خاصا بمن تخلف عن غزوة تبوك كما ذهب البعض اليه فحينئذ يحتمل ان يحمل الصادقين على المؤمنين بالخصوص وفي الآية دلالة على شرف اهل الصدق وعلوّ درجتهم الاترى الى ابليس كيف استنكف عن الكذب حيث ذكر الاستثناء في قوله فبعزتك لأغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين فانه لولم يذكر الاستثناء لكان كاذبا في ادّعاء اغواء الكل واذا كان الكذب شيأ يستنكف عنه ابليس اللعين فالمسلم اولى ان يستنكف عنه روى أن واحدا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له اريد ان اومن بك ولكنى احب الخمر والزنى والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرّم هذه الاشياء ولاطاقة لى على تركها بأسرها وان قنعت بترك واحد منها آمنت فقال صلى الله عليه وسلم * اترك الكذب * فقبل ذلك ثم اسلم فلما خرج من عنده صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه الخمر فقال ان انا شربت فسألنى الرسول صلى الله عليه وسلم وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت اقام الحدّ علىّ ثم عرضوا عليه الزنى فجاء ذلك الخاطر فترك وكذا في السرقة فعاد الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال مااحسن مافعلت لما منعتنى عن الكذب انسدّت ابواب المعاصى علىّ وتاب عن الكل رأسا ﴿قوله لايصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه﴾ تفسير ببيان حاصل المعنى فان الباء في قوله بأنفسهم للتعدية فقولك رغبت عنه معناه اعرضت عنه واذا قلت رغبت بنفسى عنه فكأنك قلت جعلت نفسى راغبة عنه فههنا ظاهر نظم الآية ولا يجعلوا انفسهم راغبة عن نفسه اى عما ألقى فيه نفسه العزيزة عند الله تعالى من كل نفس من شدائد الغزو واهواله وخلاصة المعنى ماذكره الله تعالى والضح الشمس وفي الحديث * لايقعدنّ احدكم بين الضح والظل فانه مقعد الشيطان * ويقال زهاالسراب الشئ يزهاه اذا رفعه ﴿قوله وفي لايرغبوا يجوز النصب﴾ اى بعطفه على ان يتخلفوا بزيادة لا لتأكيد النفي بتقدير ولان يرغبوا والجزم ايضا على ان تكون لا للنهى ﴿قوله اثبت لهم ذلك﴾ اشارة الى افراد ضمير كتب مع كونه

(عبارة)

عبارة عن الانفاق وقطع الوادى المدلول عليهما بقوله تعالى ولا ينفقون ولا يقطعون اجرى الضمير مجرى اسم الاشارة وكذلك ايضا افرد ضمير به فى قوله الا كتب لهم به عمل صالح مع كونه عبارة عن الامور المتعددة المذكورة سابقا وقوله الا كتب فى محل النصب على انه حال من ظمأ وما عطف عليه اى لا يصيبهم ظمأ ولا كذا الا مكتوبا لهم بذلك عمل صالح **﴿قوله جزاء احسن﴾** يعنى انه لابدّ من ارتكاب الحذف والمحذوف اما المضاف او المضاف اليه وذلك لان ما فى قوله تعالى ما كانوا يعملون مصدرية ونفس العمل لا يكون جزاء فلابدّ من تقدير الجزاء ثم الاحسن يجوز أن يكون من صفة عملهم وان يكون من صفة ما يكون جزاء له فعلى الاوّل لابدّ من تقدير مضاف اى ليجزيهم جزاء احسن ما كانوا يعملون اى اعمالهم وذلك لان اعمال المجاهدين اما واجب او مندوب او مباح فالله تعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح وعلى الثانى لابدّ من تقدير المضاف اليه اى ليجزيهم احسن جزاء اعمالهم **﴿قوله فهلا نفر﴾** يعنى ان لولا تحضيضية مثل هلا وقد تقرّر ان حرف التحضيض اذا دخل على الماضى يفيد التوبيخ على ترك الفعل والتوبيخ انما يكون على ترك الواجب فيستفاد منه كون الفعل واجبا فظهر ان المراد بقوله تعالى فلولا نفر الامر بالنفير بعد ما بين انه لا يمكن نفير الكافة لاىّ مطلوب كان من المطالب الدينية اى لاىّ مطلوب كان من المطالب كالغزو والتفقه فى الدين والتفقه معرفة احكام الدين وهو ينقسم الى فرض عين كعلم الطهارة والصوم والصلاة وفرض كفاية مثل ان يتعلم حتى يبلغ درجة الاجتهاد والفتيا والمراد من العلم فى قوله صلى الله عليه وسلم * طلب العلم فريضة على كل مسلم * ما يكون تعلمه فرض عين **﴿قوله لان عموم كل فرقة يقتضى ان ينفر من كل ثلاثة طائفة﴾** لان كل ثلاثة فرقة وقد اوجب الله تعالى ان يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلاثة يكون اثنين او واحدا فوجب ان تكون الطائفة اما اثنين او واحدا ثم انه تعالى اوجب العمل بخبرهم لقوله ولينذروا قومهم فانه عبارة عن اخبارهم وقوله لعلهم يحذرون ايجاب على قومهم ان يعملوا باخبارهم وذلك يقتضى ان يكون خبر الواحد والاثنين حجة فى الشرع **﴿قوله وقد قيل للآية معنى آخر﴾** محصول المعنى الاوّل انه تعالى بيّن اوّلا ان لا يمكن ان ينفر كافة الناس لاقامة مهمّ من المهمات الدينية ثم انه امر بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم بأن ينفر منهم جماعة قليلة لتحصل تلك الجماعة بسبب نفرهم الفقاهة التى هى معرفة احكام الدين وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم ان يستكملوا بحسب قوّتهم النظرية ويرشدوا قومهم حين الرجوع اليهم بالانذار والتذكير فضمير قوله تعالى ليتفقهوا فى الدين ولينذروا على هذا المعنى للطائفة النافرة وتوضيح المعنى الثانى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الجهاد لا يتخلف عنه الا منافق او صاحب علة فلما بالغ الله تعالى فى تعييب المتخلفين عن غزوة تبوك وانزل الآيات الشداد فى حقهم قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شئ من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واسرى السرايا الى الكفار نفر المسلمون جميعا الى العدوّ وتركوه وحده بالمدينة فنزلت هذه الآية والمعنى لا يجوز ان ينفر كلهم الى الجهاد بل يجب ان يصيروا طائفتين طائفة تبقى فى خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم وطائفة اخرى تنفر الى الجهاد لينتظم بكل واحدة من الطائفتين مصلحة من مصالح الدين لان انتظام امر الدين فى ذلك الزمان كما يتوقف على من يقوم بجهاد الكفار يتوقف على من يقوم ايضا بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليتعلم ما نزل فى زمان نفير المجاهدين من الشرائع والتكاليف ويبلغها للغائبين وبهذا الطريق يتم امر الدين حيث ناب كل طائفة مناب الطائفة الاخرى نابت الطائفة النافرة للغزو مناب الطائفة المقيمة فى امر الغزو ونابت الطائفة المقيمة مناب النافرين فى امر التفقه فالطائفة المقيمة هم الذين يتفقهون فى الدين لملازمتهم خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم ما ورد من التنزيل فكلما ورد وكيف شرع عرفوه وحفظوه فاذا رجعت الطائفة من الغزو انذرتهم الطائفة المقيمة ما تعلموه من الشرائع والتكاليف وهذا لابدّ فيه من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة اخرى ليتفقه المقيمون فى الدين واشار المصنف اليه بقوله فيكون الضمير فى ليتفقهوا ولينذروا لبواقى الفرق بعد الطوآئف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوآئف النافرة والمعنى ليتفقه الفرق الباقية ولينذروا قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا فى ايام غيبتهم من العلوم **﴿قوله امروا بقتال الاقرب﴾** يعنى انه تعالى لما امر بقتال المشركين كافة ارشدهم فى ذلك الى الطريق الاصلح وهو ان يبدأوا بالاقرب فالاقرب منتقلين الى الابعد فالابعد الا ترى ان امر الدعوة وقع على هذا الترتيب قال الله تعالى

وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه مخل بأمر المعاش (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة (ليتفقهوا فى الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغى ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد (لعلهم يحذرون) ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضى ان ينفر من كل ثلاثة تفرّدوا بقريبة طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كى يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبارهم لم تتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا فى كتابى المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل فى المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فأمروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذى هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى ليتفقهوا ولينذروا لبواقى الفرق بعد الطوآئف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوآئف اى ولينذر البواقى قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم (يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اوّلا بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالى المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة (وليجدوا فيكم غلظة) شدّة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها (واعلموا ان الله مع المتقين) بالحراسة والاعانة

﴿ واذا ما انزلت سورة فمنهم ﴾ من المنافقين ﴿ من يقول ﴾ انكارا واستهزاء ﴿ ايكم زادته هذه ﴾ السورة ﴿ ايمانا ﴾ وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته ﴿ فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا ﴾ بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى

ايمانهم ﴿ وهم يستبشرون ﴾ بنزولها لانه سبب زيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم ﴿ واما الذين فى قلوبهم مرض ﴾ كفر ﴿ فزادتهم رجسا الى رجسهم ﴾ كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها ﴿ وماتوا وهم كافرون ﴾ واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه ﴿ أولا يرون ﴾ يعنى المنافقين وقرأ حمزة بالتاء ﴿ انهم يفتنون ﴾ يبتلون بأصناف البليات اوبالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون مايظهر عليه من الآيات ﴿ فى كل عام مرة اومرتين ثم لايتوبون ﴾ ثم لاينتبهون ولايتوبون من نفاقهم ﴿ ولاهم يذكرون ﴾ ولايعتبرون ﴿ واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض ﴾ تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية اوغيظا لما فيها من عيوبهم ﴿ هل يراكم من احد ﴾ اى يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فان لم يرهم احد قاموا وان رآهم احد أقاموا ﴿ ثم انصرفوا ﴾ عن حضرته مخافة الفضيحة ﴿ صرف الله قلوبهم ﴾ عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء ﴿ بانهم ﴾ بسبب انهم ﴿ قوم لايفقهون ﴾ لسوء فهمهم وعدم تدبرهم ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ من جنسكم عربى مثلكم وقرئ من انفسكم اى اشرفكم ﴿ عزيز عليه ﴾ شديد شاق ﴿ ماعنتم ﴾ عنتكم ولقاؤكم المكروه ﴿ حريص عليكم ﴾ اى على ايمانكم وصلاح شأنكم ﴿ بالمؤمنين ﴾ منكم ومن غيركم ﴿ رؤف رحيم ﴾ قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل ﴿ فان تولوا ﴾ عن الايمان بك ﴿ فقل حسبى الله ﴾ فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم ﴿ لااله الاهو ﴾ كالدليل عليه ﴿ عليه توكلت ﴾ فلا ارجو ولا اخاف الامنه ﴿ وهو رب العرش العظيم ﴾ الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذى تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان * وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علىّ الا آية آية وحرفا حرفا ماخلا سورة برآءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علىّ ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

والنذر عشيرتك الاقربين وامر الغزوات واقع على هذا الترتيب لانه صلى الله عليه وسلم حارب قومه اوّلا ثم انتقل الى غزو الشام والصحابة ايضا لما فرغوا من امر الشام دخلوا العراق ثم انه تعالى بعدما ذكر قبائح اعمال المنافقين ذكر قبائح اقوالهم حيث قال واذا ما انزلت سورة الآية وكلمة ما صلة مؤكدة ﴿ قوله وقرئ ايكم بالنصب ﴾ على الاشتغال تقديره وايكم زادت زادته هذه ايمانا فقدر الفعل متأخرا عنه من اجل ان له صدر الكلام والجمهور على رفع ايكم على انه مبتدأ ومابعده خبره واجاب الله تعالى عن انكارهم واستهزآئهم بالمؤمنين فى اعتقادهم زيادة الايمان بالعلم الحاصل بالوحى والعمل به فقال حصل للمنافقين بسبب نزول هذه السورة امران الاوّل انما زيدهم رجسا الى رجسهم والثانى انهم يموتون على كفرهم وهذا اقبح من الاوّل والايمان الذى هو عبارة عن التصديق تصوّر زيادته على وجهين الاوّل ان كل من كانت الدلائل عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد واقوى لانه عند الحصول على كثرة الدلائل وقوّتها يزول الشك ويقوى اليقين كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله * لووزن ايمان ابى بكر بايمان اهل الارض لرجح * يريد ان معرفته بالله اتم واقوى والوجه الثانى من وجهى زيادة التصديق ان المؤمن لامحالة يصدّق جميع ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولاشك ان التكاليف والآيات الدالة عليها متوالية متعاقبة فى زمنه صلى الله عليه وسلم فعند نزول كل آية وتجدّد كل تكليف يزيد المؤمن تصديقا واقرارا لانه كلما سمع آية جديدة اتى باقرار جديد وكان ذلك زيادة فى تصديقه وايمانه ﴿ قوله تغامزوا بالعيون ﴾ يعنى ان المراد من النظر النظر المخصوص الدال على الطعن فى تلك السورة والاستهزآء بها وعلى الغيظ ﴿ قوله اى يقولون ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى هل يراكم فى محل النصب بقول مضمر وجملة القول فى محل النصب على انها حال من فاعل نظر والمعنى انهم عند سماع تلك السورة يتأذون ويريدون الخروج من المسجد زاعمين انهم لايصبرون على استماعه ويغلبهم الضحك فيفتضحون بين المؤمنين او لغلبه الغيظ لكونها ناطقة بعيوبهم وقبائح افعالهم فيقول بعضهم لبعض هل يراكم حينئذ من المؤمنين احد ان قمتم من مجلسكم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد فان علموا ان احدا يراهم قاموا وتثبتوا * واعلم انه تعالى لما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة التكاليف الشاقة التى يصعب على الامّة تحملها وتوطين النفس على قبولها ختم السورة بما يسهل تحمل تلك التكاليف فقال عز وجل من قائل لقد جاءكم رسول من انفسكم بضم الفاء وقرئ بفتحها من النفاسة وصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بخمس صفات الاولى انه بشر مثل المكلفين اذ لو كان من جنس الملائكة لصعب الامر عليهم والثانية انه صلى الله عليه وسلم من جنس العرب وصف به ترغيبا للعرب فى نصرته والقيام بخدمته كأنه قيل لهم كل مايحصل منكم له من الدولة والرفعة فى الدين فهو سبب لعزكم وفخركم لانه منكم ومن نسبكم والصفة الثالثة قوله تعالى عزيز عليه ماعنتم وكلمة ما مصدرية والعنت الدخول فى المشقة والمعنى شديد عليه مشقتكم والصفة الرابعة قوله تعالى حريص عليكم اى على ايمانكم وصلاح احوالكم لامتناع ان يتعلق حرصه صلى الله عليه وسلم بذواتهم والصفة الخامسة قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم قال ابن عباس رضى الله عنه سماه الله تعالى باسمين من اسمائه ولم يجمع الله تعالى اسمين من اسمائه فى غير رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله بالمؤمنين متعلق برؤف رحيم ليفيد الاختصاص اى لارأفة ولا رحمة الا للمؤمنين واما الكفار فليس عليهم رأفة ولا رحمة * فان قيل كيف وصف بكونه رؤفا بالمؤمنين وقد كلفهم الله فى هذه السورة بأنواع من التكاليف الشاقة التى لايقدر على تحملها الامن وفقه الله تعالى * فالجواب ان التكليف المذكور من كمال رأفته بهم من حيث انه انما فعل بهم ذلك حتى يتخلصوا من العقاب المؤبد ويفوزوا بالثواب المؤبد ﴿ قوله قدم الابلغ منهما ﴾ اشارة الى جواب مايقال ان مقام المدح يقتضى الترقى من الفاضل الى الافضل فكيف عكس

وكان تمام طبع هذه اللاحقة المنتهية الى آخر سورة التوبة من حاشية شيخ زاده على القاضى البيضاوى
فى المطبعة العثمانية * فى دار الخلافة العلية * فى عصر حضرة السلطان ابن السلطان
السلطان الغازى ﴿ عبدالحميدخان ﴾ ادام الله ظلال رأفته مادام الدوران * لثلاث
ليال خلون من صفر الخير سنة ست وثلاثمائة بعد الالف * من هجرة من له العز
والشرف * عليه ابهى الصلاة والتسليم * ماتليت آيات القرآن العظيم *

﴿ طبع فى المطبعة النفيسة العثمانية لازالت شرفها الى يوم القيامة ﴾

١٣٠٦

﴿ هذا فهرس كتاب شيخ زاده على التفسير القاضي البيضاوى من تكملة الجزء الاول ﴾

﴿ هذا فهرس كتاب شيخ زاده على التفسير القاضي البيضاوي ﴾

